الأعمال الكاملة

لفضيلة الشيخ

فارس آل شويل الزهراني

- تقبله الله -

جمع وترتيب
مداد المجاهدين

الطبعة الأولى
١٤٤٨ هـ - ٢٠٢٦ م

الأعمال الكاملـة

لفضيلة الشيخ

فارس آل شويل الزهراني

-تقبله الله-

جمع وترتيب

مداد المـجاهدين

الطبعة الأولى

١٤٤٨ هـ - ٢٠٢٦ م

إهـداء

إلى الصارم المسلول على آل سلول

إلى الفـــارس الباســـل الأبـــيّ

إلى الغيـور الجسـور الصـادع بالحـق

إلى شيخنا الصبور الذي لم ترده الفتن ولم تثنِه المحن

إلى الشهيد –بإذن الله– الذي غذى كلماته بدمائه

أبي جندل فارس بن أحمد آل شويل الزهراني الأزدي

وإلى ذويـه، وابنته خديجة وابنه سلمان –جمعهم الله في عليين–.

فهرس المحتويات

مقدمة الناشر ٦
(سيِّدُ الشُّهداء) ٧
الجواب المسدّد لمن بدّل دين الرسول محمد ﷺ ١٤
المقدمة ١٥
(دعوى وتهمة الكلام في أهل العلم في هذه البلاد) ٣٦
(تهمة اعتناق منهج الخوارج) ١٠٩
(دعوى اعتناق المنهج التكفيري) ٢٢٠
(تهمة تكفير الحكومات ووصفها الطاغوتية وأنها تحارب الإسلام والمسلمين) ٢٣٤
(تهمة السعي لمقاتلة المستأمنين والمعاهدين في جميع أنحاء العالم) ٣٠٢
(تهمة انتهاج منهج الخوارج في الجهاد باعتقاده بعينية الخروج للقتال في مواطن الفتنة ودون اشتراط إذن ولي الأمر ورايته) ٣١٠
(تهمة تحريم الزواج ببنات البلد باعتبار أنهن غير مسلمات) ٣٤١
(تهمة الانتماء لقاعدة الجهاد والدعوة إليه والدفاع عنه والتنظير له وتمجيد قياداته) ٣٤٥
(تهمة التستر والإيواء التي وردت في أكثر من موضوع) ٤٢١
تهم متفرقة ٤٤٤
(خاتمة الرد) ٤٦٦
الكتب ٤٨٧
سلسلة العلاقات الدولية في الإسلام (الحلقة الأولى) ٤٨٨
الحلقة الثانية ٥٤٣
الحلقة الثالثة ٥٩٤
الآيات والأحاديث الغزيرة على كفر قوات درع الجزيرة ٦٤٨

الباحث عن حكم قتل أفراد وضباط المباحث ٧٥٣
تحريض المجاهدين الأبطال على إحياء سنة الاغتيال ٩٠٣
نصوص الفقهاء حول أحكام الإغارة والتترس ١٠٦٣
وجوب استنقاذ المستضعفين من سجون الطواغيت والمرتدين.....١١١٠
قصص تاريخية للمطلوبين ١٢٧٩
أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان ١٣٧٩
إهداء ١٣٨١
أنا ضد أمريكا إلى أن تنقضي ١٣٨٢
المقدمة..... ١٣٨٥
اسمه ونشأته وأسرته..... ١٣٩٣
أقوال العلماء وطلبة العلم في الإمام أسامة بن لادن..... ١٤٠١
أقوال المشاهير والمثقفين في الإمام أسامة بن لادن ١٤٣٢
أقوال الكفار في الإمام أسامة بن لادن (الحق ما شهدت به الأعداء) ١٤٤٥
إحصاءات وأرقام حول (شعبية) الإمام أسامة بن لادن ١٤٥٦
تُهم وشائعات حول الإمام أسامة بن لادن..... ١٤٧٨
جهاد الإمام أسامة بن لادن..... ١٥٤١
الإمام أسامة بن لادن والقيادة ١٦١٢
الإمام أسامة بن لادن والحرب غير المتوازية ١٦٣٠
مقالات حول الإمام أسامة بن لادن وتنظيمه ١٦٦٣
شعر في الإمام أسامة بن لادن..... ١٩٠٢
مواقف مؤثرة للإمام أسامة بن لادن ١٩٥٥
كلمات وبيانات ولقاءات الإمام أسامة بن لادن..... ١٩٦٠

الخاتمة ٢٢١٢
الله أكبر خربت أمريكا..... ٢٢١٧
الصوتيات المفرغة ٢٤٣٩
جنسية آل سعود تحت قدمي ٢٤٤٠
نصيحة إلى العساكر ٢٤٤٣
يا أهل الجنوب..... ٢٤٥٤
طلب مناظرة مع سفر الحوالي ٢٤٧٠
الرد على الدعاوى الكاذبة لسفر الحوالي..... ٢٤٧١
المقالات والرسائل والحوارات..... ٢٤٧٧
الألوية والرايات ٢٤٧٨
فبايعهم على الموت ٢٤٨٨
برامج ما نريكم إلا ما يرى آل سعود ٢٤٩٤
مناظرة.. بين السيف والقلم ٢٥٠٦
إلى بنتي خديجة وابني سلمان..... ٢٥١٢
مشاعر أسير تجاه أولاده ٢٥١٩
لقاء مع الشيخ أبي جندل الأزدي ٢٥٢٩
حوار مع الشيخ أبي جندل الأزدي..... ٢٥٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام أشرف الخلق أجمعين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذه الأعمال الكاملة لشيخنا فارس بن أحمد آل شويل -تقبله الله ورضي عنه-، وقد أعانني الله عز وجل ومنّ عليّ بجمعها في مجلد واحد رغم الظروف التي أثقلتني وكادت أن تحول دون إخراجه.. فلله الحمد حمدًا كثيرا.

وأسأله سبحانه أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وصدقة جارية لي ولشيخنا الذي بذل دماءه ثمنًا لمبادئه وكلماته.. فعساها أن تنتفض حيّة [1]، ويحيي الله بها خلقًا كثيرًا إلى يوم يبعثون.

وجزى الله كل من أعانني على إخراج هذا العمل ومن يساهم في نشره خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين.

مدادُ المجاهدين

الجمعة، ١٠ صفر، ١٤٤٨ هـ

---

[1] يقول سيد قطب رحمه الله: "إن أفكارنا وكلماتنا تظل جثثًا هامدة، حتى إذا متنا في سبيلها أو غذيناها بالدماء؛ انتفضت حيّة وعاشت بين الأحياء".

بسم الله الرحمن الرحيم

(سيِّدُ الشُّهداء)

الحمد لله ربّ العالمين، قاهر الجبابرة والظالمين، والصلاة والسَّلام على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعينَ، وبعد:

فإنَّ مِن شرف العلم أن النفوس تتشوَّف إليه بالمعرفة بفطرتِها، وتستشرفُ مجاورته بقصد الانتفاع منه بطبيعتِها، لأنَّه يملك القلوب ويقتادُ أزِمَّةَ الألباب، وكلَّما شرفُ العلم المعيَّن كانت النفوس إليه أشوَف ولمجاورته أرغَب بحسب ما له من علوِّ الكعب ورفيع الطبيعة، وحيثُ أنَّ ذلك لم يكن ليكون لعلمٍ من علوم العالمين إلَّا للعلمِ الذي دلَّ على ربّ العالمين، حرِصَت عليه الملوك، وانشغَفَ به أهلُ الرِّياسات.

وكلُّ ملوك الدنيا وحكَّامِها في ذلك على صنفين، فصنفٌ صلحوا فكانُوا لا يقطعون أمرًا في الحكم في شيءٍ حتَّى يقطعَ لهم أهلُ العلم فيه حلِّيتَه في الشَّرع، وصنفٌ خبثُوا فكانوا يقطعونَ كلَّ أمرٍ في الحكم في كلِّ شيءٍ ويحملونَ أهلَ العلم على لَيِّ أعناقِ الشَّرع لينفذ هواهم في الخلق، وأمثالُ الصالحين الصدِّيقُ والفاروقُ وجِلَّةُ أهل الفضل من القرون، وأمثالُ الخُبَثَاء المخبَثين فرعونُ وهامانُ وجنودهُما وقارون.

وعلَّة حرصِ الفريقين على إدناءِ منازل أهل العلم مفترقةٌ على صورتَين، فأئمَّةُ الصلاح والإصلاح يريدونَ بتقريبِ أهل العلم أن يكونَ كلُّ فعلهم في موافقة مُراد الله -جلَّ جلاله- من الحقّ، وأمَّا أئمَّةُ الكفر والضلالة فيريدون بالتقريبِ أن يكون كلُّ فعلهم في موافقةِ مُراد الأهواء من الباطل؛ ولذا أخذَ الجبَّار على من آتاه علمًا في الدين عهدَ التِّبيانِ والتبيين، وتوعَّد الناكثين لعهدِه بالوعيد العظيم، فقالَ الحقَّ وهو الحقُّ -سبحانه-: ﴿إنَّ الذين يَكتُمونَ مَا أنزَلنا من البيِّناتِ والهُدَى للنَّاسِ في الكِتَابِ أُولئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ ويَلعنهمُ اللَّاعِنون﴾[البقرة: ١٥٩].

وكتمانُ العالمِ أعظمُ جرمًا من كتمان الجاهل، وليسَ كتمانُ الجاهلِ في جنبِ كتمان العالم شيئًا مذكورًا، وذلك لأنَّ كتمانَ الجاهلِ يُضَلُّ به الجاهلُ الفردُ دون القومِ الكثير، وأنَّ كتمانَ العالم يُضَلُّ بهِ الجمعُ والأقوامُ الكثير؛ ولذا كانَت مُدافعة العلماء لباطل السلاطين من الأعمال العظيمة في الإسلام، لما فيها من حجز الناس عن الكذب على الله -جلَّ وعزَّ-، والاجتراء على أحكامه، والتنكُّبِ لدينه ومُحاربة وجوده، وتزيين الباطل الخبيثِ تحت قُبَّةِ أدلَّته الجليلة، قالَ الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٤٤].

وفي كلِّ ذلك من الكفاية ما جعلَ النبيَّ ﷺ يُرتِّبُ لمنْ أبَى ذلك الكذب والاجتراء والإضلال للناس وقامَ في وجوهِ طُلَّابِه من الظلمةِ مرتبةَ الشَّهادة في سبيل الله، قالَ رسول الله ﷺ: ((سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المطَّلِبِ، ورجلٌ قام إلى إمامٍ جَائِرٍ فأمرَهُ ونَهاهُ، فَقَتَلَهُ))[صحيح الترغيب].

وقد جرَت العادة أن يكون في كلِّ زمانٍ علماءُ صلاحٍ وعلماءُ سلطان، ينافحُ كلُّ فرقةٍ منهم عن حوزةٍ تُفدَى بالرُّوحِ والنَّفيس، وبذلُ النُّفوس "أقصَى غايةِ الجُودِ".

وقد كانَ من أولئك الأغيار الكرام -نحسبُهم والله حسيبُهم- ممَّن قاموا في وجوه السلاطين، ونغَّصُوا عليهم عيشَهم بالتبيانِ والتَبيين، ومُقارعةِ باطلهم بالقلم واللِّسان، والذَّودِ عمَّن حملَ عليهم الصوارمَ والرِّماح، حتَّى لقيَ الله -عزَّ وجلَّ- غيرَ مُبدِّلٍ شريعته ولا مُغيِّرٍ رُسومَ الدِّين ولا خاضعٍ لسُلطانٍ ظالمٍ مُبين؛ الشيخُ اليافعُ الجليل، فارس آل شويل الزهراني -تقبَّله الله في الشُّهداء- وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرَ الجزاء، ويأبَى الله لمنْ شاءَ من خلقهِ أن يكونَ فناءُ بدنِه فناءً لذكرِه وعِلمِه، وأن يكونَ علماءُ الضَّلالةِ هم الأعلون إذ لم يكونوا صادقين.

التعريف بالشيخ، اسمه ونسبه:

هو الشيخ العالم المجاهد، فارس بن أحمد آل شويل الزهراني، سليلُ قبائل الأزد، ترجع جذورُه إلى ناحية الجنوب من جزيرة الإسلام، من قريةٍ يقال لها الجوفاء، وُلِدَ سنة ١٣٩٧ للهجرة / ١٩٧٧ م.

أحوالُه ومناقبُه:

جُمِعَ للشيخ الآيُ الكريم في قلبه في مَطالع سِنِيّه، وأحسن الله إليه بالتوفيق في دراسته كما أحسن إليه به في ديانته، إذ كان كثير التحنُّث والعبادة، وكان يختم كتاب ربّه -سبحانه وتعالى- في كلِّ ثلاث، وله في مصافِّ المتجافين عن المضاجع قدمٌ قائمة، وقد فُتِحَ عليه في حفظ أحاديث النبيّ ﷺ فتحٌ كبير، حتَّى لا يكاد يُسأل عن حديثٍ منها إلَّا نفع فيه وأفاد، هذا مع قوَّة الحافظة وحسن الضبط وجودة الاستحضار، كما ذُكِرَ ذلك عنه في حفظه ألوفًا من الأحاديث، واستحضاره مسائل شيخ الإسلام دون الحاجة للرجوع إلى شيءٍ من كتبه، مع حفظٍ لعلوم الأصول واللغة وألفيَّة ابن مالك ونونيَّة ابن القيِّم. وكان يطيلُ جلوسه في المسجد عاكفًا على القرآن والسنَّة وكتب العلم الساعات الطويلة، وقد زَكَّاه الشيخ سليمان العلوان -فكَّ الله أسره- إذ كان يلتزمه في تخريج الأحاديث والحكم عليها، ولا نزكِّيهما على الله تعالى.

نفيرُه وأسره إلى استشهاده:

ظلَّ الشيخ كذلك حتَّى سنح له النفير إلى مرابض الأفغان، فخرج يغذُّ السير مهاجرًا إلى الله تعالى يطلب ما عنده من الكرامة، وكان لحلقِ لحيته مضطرًا بالغُ الأثر عليه من تعظيمه لجناب السنَّة المطهَّرة، فبكى لذلك، ثم لم يطُل به المقام في بلاد الأفغان حتَّى قُدِّرَ عليه الابتلاء بالأسر في شهر أغسطس من عام ٢٠٠٤ م.

وقد أُسِر الشيخ في الحدود الجنوبية، ولقيَ من التعذيب أشدّه، ومكث على الأرض شهرًا ليس عليه غطاءٌ يقيه ويحتمي به، وما أخرجه ذلك مع شدته عن ثباته وصبره، وظلَّ الشيخ في أسر انفرادي لا يرى أحدًا ولا يراه أحد، ولم يزل ثبت الجنان صابرًا في وجه ذلك كله.

وقد عُثِرَ في زنزانته بخطِّه على بعض جدرانها: (لقد راجعتُ في هذه الزنزانة صحيحَ البخاري ومسلم ١٥ مرة في شهرين، أخوكم فارس آل شويل الزهراني).

وحكى أخوه (محمد) عنه ما يذكره من سمت العلماء وسلوكهم ويقينهم بوعد الله تعالى، وتوكُّله في كلِّ أمره على الله عزَّ وجلَّ.

وقد كان وقت الشيخ عامرًا بالعلم ومراجعته، فكان يختم كلَّ يوم خمسة أجزاء من القرآن الكريم، وكان وِردُه من الحديث كل يومٍ اثنين وثمانين وجهًا، كما دأبَ على مراجعة محفوظِه من المتون العلمَّية في شتَّى الفنون، مع حفظِه لكثيرٍ من المنظوم والمنثور من الشعر والأدب، ويحفظُ من المغنِي حاجتَه كما يحفظُ كتاب الجهاد كاملًا، وكان الشيخ يتمنَّى لو زِيد في وقت يومه لشدَّة انشغافِه بالعلم وانشغاله بتحصيلِه.

واشتهر الشيخ بصدعهِ بالحقِّ وثباته على الأمر وعدم خشيته في الله تعالى لومةً للائِم، ولم يكن يعطي الدنيَّة في دينه حتَّى لقيَ اللهَ تعالى على ذلك نحسبه والله حسيبه.

وكان قد سُئل عن أحداث الشام فكفَّ رأيَه عنها، وعلَّل ذلك بقلَّة معرفته بمجرياتها وغيابه عن حضور أحداثها، وهذا يُنبيك عن نهجٍ لعالمٍ ربَّانيٍ يعتمدُ الدليل لا الهوى، وليس كالمتقحِّمين في الأمر المجهول اقتحامَ من رأَى ومن سَمِع، وإنما كان يُجمل الرأيَ فيها بالقول: (لهم عليَّ حقُّ النُصرة والدعاء لهم بأن يجمع الله قلوبهم جميعًا على الحق. وأريد أن أخرج من الأسر لكي أكون ظهرًا قويًا لإخوة المنهج).

وقد ذُكِرَ له أمرُ الشيخ أبي بكرٍ البغدادي -تقبَّله الله- وما أجرَاه اللهُ -سبحانه وتعالَى- على يدَيه من الفتوح، ومن تهديمِه أسوار السجون، ونصرة أهل الشام بالنفس والنفيس، وإزالته الأوثان والأصنام، وكسرِه للحدود المصطنعة في جسد أمَّة الإسلام، فأثنى عليه ودعا له بالنصر والثبات والتأييد.

وأمَّا شجاعتُه فكان جبهةً قائمةً لوحده، وكان إذا أراد جند الطاغوت ضربَ أحد الإخوة المأسورين اضطرُّوا لإخراجه من جناح الشيخ ممَّا يعلمونه من انتصار الشيخ لإخوانه، وما زالوا يكابدونه حتَّى بطلت مكائدهم أمام ثباته وصلابته وقوَّة بأسِه ورسوخِه، وما زال كالجبل الأشمِّ على ذلك ثابتًا لا يتزحزح عن الحقِّ والنصرة ما أمكنه، حتَّى انتهوا إلى تحاشيه وتلبية رغباته وتجنب مضايقته.

وبعدَ ردحٍ من الزمان في جُبِّ الأسر وديا جيرِ الظُلمِ السوداء في سجون الجزيرة وقبضةِ ظلمَتِها المغترِّين بما أُوتُوه من الزينة والأموال ليُضِلُّوا عن سبيل الله ويحاربوا أولياءَه، ارتقَى الشيخ أبو جندل الأزدي، فارس الزهراني، يوم السبت، الثاني من شهر يناير، عام ٢٠١٦م، رفقةَ ثُلَّةٍ من شباب الإسلام، بلغ عددهم ثلاثةً وثلاثين موحِّدًا، بأيدٍ آثمةٍ ظالمة. فتقبَّلهم الله في الشهداء، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيرَ الجزاء، لتتسعَّر بدمائِهم جمراتُ الثأرِ تحت رمادِها حتَّى يأذنَ اللهُ تعالى لنُورِ جمرِها بالانبلاج.

؛

يقولُونَ لِي فيكَ انقباضٌ وإنَّمَا ... رأَوا رجُلًا عَنْ موقفِ الذُلِّ أَحجَمَا
أرَى الناسَ مَنْ دانَاهُمُ هَانَ عندَهُم ... ومَنْ أكرمَتهُ عِزَّةُ النَّفسِ أُكرِمَا
ولَمْ أقضِ حقَّ العلمِ إن كانَ كلَّما ... بدَا طَمَعٌ صيَّرتُهُ ليَ سُلَّمَا
ومَا زِلتُ مُنحَازًا بعِرْضِيَ جَانِبًا ... عِن الذُّلِّ أعتَدُّ الصِّيانةَ مَغنَمَا
ولَمْ أبتذِل في خدمةِ العلمِ مُهجَتِي ... لأَخْدِم مَنْ لَاقَيتُ لكن لِأُخدَمَا
أَأَشقَى بهِ غرسًا وأَجنِيهِ ذِلَّةً؟! ... إذًا فاتِّبَاعُ الجَهلِ قد كانَ أَحْزَمَا
ولو أنَّ أهلَ العلمِ صانوهُ صَانَهُم ... ولو عظَّمُوهُ في النُّفوسِ لعُظِّمَا
ولكن أهانوه فهَانُوا ودنَّسُوا ... مُحيَّاهُ بالأطماعِ حتَّى تجهَّمَا
فإنْ قُلتَ جدُّ العلمِ كابٍ فإنَّمَا ... كَبَا حينَ لم يُحرَس حِمَاهُ وأُسلِمَا
ومَا كُلُّ برقٍ لاحَ لي يستفِزُّنِي ... ولا كُلُّ مَنْ في الأرضِ أرضَاهُ مِنعِمَا

؛

وفيما يأتي شيءٌ من إرثِ الشيخ فارس الَّذي أبقاه الله – سبحانه وتعالى – بعدَه، فنسألُ الله العَظيمَ ربَّ العرشِ الكريم أن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأنْ يجعلَ نشرَهُ وبثَّه صدقةً جاريةً عنه إلى يوم الدِّين، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

لكاتبها -جزاه الله خيرا-.

الجواب المسدّد لمن بدّل دين الرسول محمد ﷺ

(عائلة آل سعود الضالّة، خيانة شرع، وخداع شعب، وإذلال أمّة)

بسم الله الرحمن الرحيم

أَبْـدَأُ بِاسْـــمِ خَـالِـقِي مُحَمْـدِلاً ... مُحَسْبِـلاً مُكْتَـــفِيًـا مُحَـوْقِـلا
أبـدأ باسـم الله مستعينـاً ... راضٍ بـه مدبـراً معـيناً
وَالحَمْـــدُ للهِ الـذِي قَـدْ أَنْـزَلا ... كِتَـابَـهُ مُبَـيَّنًـا مُفَـصَّـلا
ثُمَّ الصَّـــلاةُ مَعْ سَـلامِـهِ عَلَى ... رَسُـوْلِهِ مُحَمَّـدٍ خَيْرِ المِـلا
وَالآلِ وَالصَّحْبِ الكِـرَامِ الفُضَـلا ... الأَنْجُـمِ الزُّهـر الهُـدَاةِ النُّبَـلا
وَالتَّـابِعِيْنَ وَالسَّـادَةِ الغُـرِّ الأُلَى ... قَدْ نَقَـلُوا الدِّيْنَ لَنَـا مُكَمَّـلا
وتَـابِعِيْـهِمُ وَكُـلُّ مَنْ تَـلا ... وَكُلُّ مَنْ عَنْـهُم لَـهُ قَدْ حَمَـلا
أَزْكَـى صَـلاةٍ وَسَـلامٍ وبّـلا ... تَـدُوْمُ مَـا اسْـوَدَّ الظَّلامُ وَانْجَلَى

وبعد..

فيقول كاتب هذه السطور الحر المأسور (فارس بن أحمد بن جمعان آل شويل الزهراني) من زنزانته الانفرادية رقم (٢)، في الجناح الانفرادي رقم (٢)، في المبنى (ب ١٠)، في سجن الحائر بمدينة الرياض، وفي يوم الأحد بتاريخ (١٤٣٤/٢/١٠): بدأت بعد صلاة العصر في كتابة هذا الرد على الدعاوى والتهم الموجهة إليّ وإلى من يسير في نفس الدرب الذي أسير فيه من إخواني وأحبابي في كل مكان، وذلك في أواخر السنة التاسعة من سجني، حيث اعتقلت في مدينة أبها بتاريخ (١٤٢٥/٦/١٩)، وتم نقلي بعد ساعات إلى سجن (الحاير الجائر)، ومنذ ذلك التاريخ وأنا أتنقل في أجنحته الانفرادية بأوامر السجان إلى يومي هذا.

وقبل سبعة أشهر من هذا التاريخ وتحديداً ما بين أواخر جمادى الآخرة من عام (١٤٣٣) إلى أواخر شهر محرم من عام (١٤٣٤) عُرض عليّ الخروج إلى ما يسمى (سجن المديرية)، وذلك تمهيداً لمحاكمتي خمس مرات رفضتها جميعاً، وكتبتُ لكم بأن تحكموا بما شئتم ولتقضوا

بما تقضون به فلا اعتراض ولا ردود، فالأمر لله من قبل ومن بعد، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وتوقعت أن الأمر انتهى عند هذا لأني بقيت لأكثر من ثمان سنوات بلا محاكمة، ولم تأت محاكمتي إلا في سياق أحداث ووقائع جعلت من تركني كل هذه السنين بلا محاكمة يغير رأيه وقراره فأذن بمحاكمتي، ولو لم يأذن لم أُعرض على المحاكمة -وهو محمد بن نايف -، وفي يوم الجمعة تاريخ (١٤٣٤/٢/١) عُرض عليّ الخروج إلى سجن المديرية لمحاكمتي فرفضت كرفضي السابق، وتوقعت أنهم يتصرّفون كالسابق بأن يحضروا لي ورقة وقلماً لكي أكتب بذلك ويوثقونه بالصوت عبر الكاميرا -لأني أرفض التصوير وأحياناً يلحّون على التصوير وأرفض دائماً إلا مرةً واحدة أخذوا صورة سريعة للوجه والباقي بالصوت -المهم توقعت الإجراء المعتاد ولكن فوجئت عند الساعة الثامنة تقريباً -أي بعد أربع ساعات تقريباً من عرضهم الأول- فوجئت بدخول أعدادٍ كبيرة من العسكر يتقدمهم بعض جنود الطوارئ (السود المبرقعين) ومعهم الكلبشات والعصي الكهربائية وكاميرا التصوير وكان كلامهم (تخرُج وإلا...).

ومارسوا الإرهاب والتهديد بالويل والثبور وعظائم الأمور، فرفضت الخروج وقلت احكموا بما شئتم غيابياً بالقتل أو بالمؤبد، وارتفعت الأصوات ورأيت الشروع منهم في مد اليد، فقلت لهم: (بلا عنتريات، واحذروا أن تطبّوا في مطبّات أنتم في غنى عنها إلخ...)، فكبّلوني خلف ظهري، وساقوني مُكرهاً لا مختاراً إلى سجن المديرية.

وأضربت عن الكلام إلى أن وصلت هناك، ثم أضربت عن الطعام حتى صباح يوم السبت جاءني أحد ضباط ذلك المكان وأنا في الجناح الانفرادي رقم (٢) غرفة رقم (٨) فقال: بأن التوجيه عندنا بإحضارك (بالقوة الجبرية) إلى ما يسمى (بالمحكمة الجزائية المتخصصة في شؤون الإرهاب وأمن الدولة)، وأن الإضراب لا فائدة منه وإذا ذهبت إليهم فقل ما تريد وارجع إلى الحائر.

ففككت إضرابي، ثم استخرت الله ودعوته، فكنت بين خيار عدم الكلام معكم – الصمت – أو الصدع بما أُدين الله به أمامكم، وذلك أني كما قال الشاعر:

ما بين محكمة تقام وأختها ... مُني الضمير بغفوة النعسان
الشعب يلعنها وتقرن باسمه ... أرأيت كيف تبجح البهتان؟
فيها القضاة هم الخصوم وإنها ... لعدالةٌ مختلة الميزان

وكما قال الآخر:

قالوا: محاكمة، فقلت: رواية ... أعطوا لمخرجها وسام فنون
هي شر مهزلة ومأساة معاً ... قد أضحكتني مثل ما تبكيني
الخصم فيها مدع ومحقق ... وهو الذي يقضي بلا قانون
أرأيت محكمة تحاكم أمةً ... بالظن والشبهات والتخمين

وكما قال الآخر:

الحكم جاء ولم تبدأ محاكمتي ... هل تلك محكمة أم سجن بسيوني
ماذا أقول لمن أبدى كراهيتي ... وأصدر الحكم بين الكاف والنون
في السجن مذبحة واليوم مقصلة ... ترنو لرأسي بتصريح ومضمون

وكما قال الآخر في قصيدة (على لسان أم لولدها):

أما حكايتنا فمن لون الحكايات القديمةْ

تلك التي يمضي بها التاريخ داميةً أليمـةْ

الحاكم الجبّار والبطش المسلّح والجريمــة

وشريعةٌ لم تعترف بالرأي أو شرف الخصومة

ماعاد في تنّورها لحضارة الإنسان قيمـــــة

الحرّ يعرف ما تريد المحكمـــةْ

فقضاته سلفاً قد ارتشفوا دمه

لا يرتجي دفعــاً لبهتــانٍ رماه به الطغـــاة

المجرمــون الجالسون على كراسي القضـــاة

حكموا بما شاؤوا وسيق أبوك في أصفــاده

قد كان يرجو رحمـةً للنـــاس من جــلاده

ما كان – يرحمُهُ الإله – يخون حبّ بلاده

لكنّــه كيــد المــدلّ بجنــده وعتــــاده

المشتهي سفـك الدمـاء على ثرى بغـداده

كذبوا وقالوا عن بطولته خيانة

وأمامنا التقرير ينطق بالإدانــة

هذا الذي قالوه عنه غداً يرَدّد عن سواه

فلما كان يوم الأحد (١٤٣٤/٢/٣) جاؤوني بعد الفجر وقالوا هيّا إلى (المحكمة)، فخرجت معهم وركبنا (الباص)، ولأول مرة من تسع سنين ألتقي بالسجناء إلا في حالات شاذة ونادرة واستثنائية، فأنا معزول عن العالم وعن الناس.

فلما وصلت إلى ما يسمى (بالمحكمة) كنت بين الخيارين السابقين، إما السكوت أو الصدع، لأني استخرت الله وسألته الهداية والسداد، فبدا لي رأي ثالث وهو سماع ما عندكم ثم الرد باختصار شفهياً بخروجي إليكم مكرهاً لا مختاراً تحت العصيّ الكهربائية، وأني سأرد على الدعاوى والتهم كتابةً مفصلة، وعدت إلى (الحائر الجائر الظالم أهله) يوم الاثنين (١٤٣٤/٢/٤).

وهذه السطور السابقة مقدمة مختصرة لكي يعلم من يريد محاكمتي كم هو ظلم وجور أن يبقى الإنسان سنين عدداً بلا محاكمة، وأن يعلم أن محاكمتي جاءت لضغوط سياسية وإعلامية وحقوقية، وأن يعلم بأن محكمته هذه صورية لا معنى لها إلا ذرّ الرماد في العيون بأن الناس تتحاكم أمام المحاكم، وأما أنا فالذي أجزم به أنَّا في بلد (الخصم فيها والحكم والمدعي والمحقق والسجان والقاضي والشرطي... إلخ) هم مجموعة وزمرة تتحكم في كل ذلك يقودهم (محمد بن نايف)، وكما قيل: (فيما الخصام وأنت الخصم والحكم)، وأنا رفضت الخروج إليكم لأني لا أرى فائدة من ذلك، فالمسألة في النهاية كما قيل: (عنز ولو طار)، وبما أنني أُكرهت على ما جرى وحصل ما حصل، فكما قال الناظم:

وَإِذَا اضْطُرِرْتَ إِلَى الْجِدَالِ وَلَمْ تَجِدْ ... لَكَ مَهْرَبًا وَتَلاقَتِ الصَّفَّانِ
فَاجْعَلْ كِتَابَ اللهِ دِرْعًا سَابِغًا ... وَالشَّرْعَ سَيْفَكَ وَابْدُ فِي الْمَيْدَانِ
والسنّة البيضاء دونك جنّة ... واركب جواد العزم في الجولان
واثبت بصبرك تحت ألوية الهدى ... فالصبر أوثق عدّة الإنسان
واطعن برمح الحق كل معاند ... لله درّ الفارس الطعّان
واحمل بسيف الصدق حملة مخلص ... متجرّد لله غير جبان

ولي في ذلك سلف وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقد رفض الحضور إلى من يحكم فيه بحكم الجاهلية وبغير ما أنزل الله، يقول رحمه الله في الفتاوى الكبرى (٦/٣٢٤): "فقلت: أنا لا أحضر إلى من يحكم فيَّ بحكم الجاهلية وبغير ما أنزل الله، ويفعل بي ما لا تستحلّه اليهود ولا النصارى -كما فعلتم في المجلس الأول-، وقلت للرسول: قد كان ذلك بحضوركم، أتريدون أن تمكروا بي كما مكروا في العام الماضي، هذا لا أجيب إليه، ولكن من زعم أني قلت قولاً باطلاً فليكتب خطه بما أنكره من كلامي ويذكر حجته، وأنا أكتب جوابي مع كلامه، ويعرض كلامي وكلامه على علماء الشرق والغرب، فقد قلت هذا بالشام، وأنا قائله هنا، وهذه عقيدتي التي بحثت بالشام بحضرة قضاتها ومشايخا وعلمائها... إلخ"أ.هـ

ويقول أيضًا رحمه الله.. الفتاوى الكبرى (٦/٣٢٦): "فلا يؤمر العالم بما يوجب لعنة الله عليه - أي في كتمان العلم - فأخذا الجواب وذهبا فأطالا الغيبة ثم رجعا ولم يأتيا بكلام محصل إلا طلب الحضور، فأغلظت لهم في الجواب، وقلت لهم بصوت رفيع: يا مبدلين يا مرتدين عن الشريعة يا زنادقة وكلاماً آخر كثيراً، ثم قمت وطلبت فتح الباب والعود إلى مكاني، وقد كتبت هنا بعض ما يتعلق بهذه المحنة التي طلبوها مني في هذا اليوم، وبينت بعض ما فيها من تبديل الدين واتباع غير سبيل المؤمنين لما في ذلك من المنفعة للمسلمين، وذلك من وجوه كثيره نكتب منها ما يسّره الله تعالى...إلخ " أ.هـ

ويقول أيضاً رحمه الله في الفتاوى الكبرى في كتاب الرد على الطوائف الملحدة والزنادقة والجهمية والمعتزلة والرافضة (٦/٣٢٣): "فإنه في آخر شهر رمضان سنة ست وعشرين وسبعمائة جاء أميران رسولان من عند الملأ المجتمعين من الأمراء والقضاة ومن معهم، وذكرا رسالة من عند الأمراء مضمونها طلب الحضور ومخاطبة القضاة لتخرج وتنفصل القضية وأن المطلوب خروجك وأن يكون الكلام مختصراً ونحو ذلك، فقلت: سلم على الأمراء وقل لهم: لكم سنة وقبل السنةٍ مدة أخرى تسمعون كلام الخصوم الليل والنهار، وإلى الساعة لم تسمعوا مني كلمة واحدة، وهذا من أعظم الظلم، فلو كان الخصم يهودياً أو نصرانياً أو عدواً آخر للإسلام ولدولتكم لما جاز أن تحكموا عليه حتى تسمعوا كلامه، وأنتم قد سمعتم كلام الخصوم

وحدهم في مجالس كثيرة، فاسمعوا كلامي وحدي في مجلس واحد، وبعد ذلك نجتمع ونتخاطب بحضوركم فإن هذا من أقل العدل الذي أمر الله به في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨] فطلب الرسولان أن أكتب ذلك في ورقةٍ، فكتبته فذهبا، ثم عادا وقالا: المطلوب حضورك لتخاطب القضاة لكلمتين وتنفصل" أ.هـ

ومحكمتكم هذه التي أكرهتموني على الحضور إليها ليست بمستقلة ولا محايدة ولا حرة، والأمر كله يدار بخيوط اللعبة التي يحركها الأكابر المجرمون، وهذا ما أدين الله به وأعتقده، والمسألة صراع بين (قوة الحق وحق القوة)، فأنتم في خندق (حق القوة) ونحن في خندق (قوة الحق)، ولهذا أقول كما قال أبو طالب:

ولما رأيت القوم لا ودَّ فيهم ... وقد قطعوا كلَّ العُرى والوسائل
وقد صارَحُونا بالعداوةِ والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدوِّ المزايل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنّةً ... يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحةٍ ... وأبيضَ عضبٍ من تراث المقاول
أعوذ برب الناس من كلّ طاعنٍ ... علينا بسوءٍ أو ملحٍ بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبةٍ ... ومن ملحقٍ في الدين مالم نحاول

وقد استلمت أوراق الدعوى لأرد عليها، فلما قرأتها علمت أن المباحث هم من صاغها وكتبها، وذلك أني عندهم مدة تسع سنين وألتقيهم بين فترة وأخرى وجلست مع أكابرهم وعرفت طرحهم ورؤاهم وكيف يفكّرون وينظرون للأمور، والخلاصة لذلك أنهم في أمرٍ مريج، وفي قولٍ مختلفٍ يؤفك عنه من أفك، يرددون ما يُقال لهم وينفذون توجيهات واعتمادات من فوقهم، وإن أيقنوا أن هلاك البلد فيها.

وكما قال الناظم في الكافية الشافية:

فاسأل بهم ذا خبرة تلقاهم أعداء كل موحد رباني
واسأل بهم ذا خبرة تلقاهم أعداء رسل الله والقرآن

إضافة إلى ركاكة الأسلوب وضعفه وتناقضه، وشحنه بالأراجيف والأكاذيب والإرهاب اللفظي، وكيل التهم والدعاوى، وقلب الحقائق رأساً على عقب، ووصف الخصوم بعبارات منفرة ومقززة ملأت الصفحات، وإبداء رؤية وتصور لأحداث ربع قرن تقريباً بشكل ساذج وسطحي ومغالط للواقع والحقائق، وإغماض العينين عن أحداث كبرى عصفت بالعالم وتسببت في ما تلاها من أحداث، لكن كما قال الناظم في الكافية الشافية:

فالبهت عندكم رخيص سعره حثوا بلا كيل ولا ميزان
فالحمد لله المعافي عبده مما بلاكم ياذوي العرفان
فلأجل ذا نبذوا الكتاب وراءهم ومضوا على آثار كل مهان
ولأجل ذاك غدوا على السنن التي جاءت وأهليها ذوي أضغان
يرمونهم كذباً بكل عظيمةٍ حاشاهم من إفك ذي بهتان

وتذكرت عند قراءتي لهذه الدعاوى حديث أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنها ستأتي على الناس سنون خداعة، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة)) قيل: وما الرويبضة؟ قال: ((السفيه يتكلم في أمر العامة)) [رواه أحمد (٧٩١٢) وابن ماجه (٤٠٣٦)]، وقال البوصيري بأن في إسناده مقال، وهو كذلك، لكن رواه أحمد أيضاً بلفظ: ((قبل الساعة سنون خداعة، يكذب فيها الصادق، ويصدق فيها الكاذب، ويخون فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، وينطق فيها الرويبضة)). وفي لفظ: ((وينظر فيها للرويبضة)). وإسناده حسن فهو يقوي ما قبله ورقمه (٨٤٥٩)، وجوّد إسناده ابن كثير في النهاية.

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((إن أمام الدجال – وفي لفظ – ((إن بين يدي الساعة)) سنين خداعة، يكذب فيها الصادق، ويصدق فيها الكاذب، ويخون فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، ويتكلم فيها الرويبضة، قيل وما الرويبضة؟ قال: الفويسق يتكلم في أمر العامة)) [رواه أحمد (١٣٢٩٩) (١٣٢٩٩) بإسنادين أحدهما حسن والآخر فيه لين].

وهذا والله أعلم من نوع الأشراط التي تتكرر ما بين زمن وآخر، وإن لم تكن هذه السنون في العقود الأخيرة بالسنوات الخداعة فمتى؟

ويزيد الطين بلّة هذه القنوات الفضائية والإعلام المملوك لهؤلاء الرويبضات في بلاد المسلمين الذين يقومون بدور سحرة فرعون قبل إيمانهم، كما قال الله: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:١١٦] . فقلبوا الموازين، وبدّلوا الحقائق، وصوّروا الرذيلة فضيلةً، والفضيلة رذيلة، والخيانة أمانةً، والأمانة خيانةً، والجبن شجاعة، والشجاعة جبناً، وأصبح الصنائع والعملاء سادةً وقادةً، يولّون ويعزلون، ويأمرون وينهون، وصورهم تملأ الشاشات والجرائد والمجلات، وكما قال الشاعر في قصيدة (حبيب الشعب):

صورةُ الحاكمِ في كلِّ اتِّجاهْ

أينما سِرنا نراهْ!

في المقاهي

في الملاهي

في الوزاراتِ

وفي الحارات

والباراتِ

والأسواقِ

والتلفازِ

والمسرحِ

والمبغى

وفي ظاهرِ جدرانِ المصحّاتِ

وفي داخلِ دوراتِ المياهْ

أينما سرنا نراه!

❊ ❊ ❊

صورةُ الحاكمِ في كلِّ اتّجاهْ

باسِمٌ

في بلدٍ يبكي من القهرِ بُكاهْ!

مُشرقٌ

في بلدٍ تلهو الليالي في ضُحاهْ!

ناعِمٌ

في بلدٍ حتى بلاياهُ

بأنواعِ البلايا مبتلاهْ!

صارخٌ

في بلدٍ مُعتقلِ الصوتِ

ومنزوعِ الشِّفَاهْ!

سالمٌ

في بلدٍ يُعدمُ فيهِ النّاسُ

بالآلافِ، يومياً

بدعوى الاشتباهْ!

* * * *

صورةُ الحاكم في كُلِّ اتّجاهْ

نِعمةٌ منهُ علينا

إذْ نرى، حين نراهْ

أنَّه لما يَزَلْ حَيَّاً

وما زِلنا على قيدِ الحياةْ!!!

نعم في هذه السنوات الخداعات التي أوشكت على الانقشاع والزوال حال أمتي كما قال الشاعر:

أُنبيك أنّا أُمّةٌ أَمَةٌ تباع وتشترى ونصيبها الحرمان
أُنبيك أنّا أُمّةٌ أسيادها خدمٌ وخيرُ فحولها خصيان
قِطعٌ من الكذب الصقيل فليس في تاريخهم روحٌ ولا ريحان
أُسدٌ ولكن يحدثون بثوبهم إن حركت أذنابها الفئران
متعفنون وصبحهم سطوٌ على قوت العباد وليلهم غلمان
متدينون ودينهم بدنانهم ومسهّدون وسُكرهم سكران
عربٌ ولكن لو نزعت قشورهم لوجدت أنّ اللب أمريكان
جيلان مرّا لم يكن في ظلهم ظلٌ ولا بوجودهم وجدانُ
نأتي إلى الدنيا وفي أعناقنا نيرٌ وفي أعماقنا نيران
حتى المرارة أقلعت عن نفسها ولنا على إدمانها إدمان
تُخصى لنا الأسماع منذ مجيئنا شرعاً ويُعمل للشفاه ختان
ونسير مقلوبين حتى لا تُرى مقلوبة بعيوننا البلدان
والدرب متضح لنا فوراءنا متعقِّبٌ وأمامنا سجّانُ
فيخاف من فرط السكوت سكوتنا من أن تمر بذهننا الأذهان
ونخاف أن يشيَ السكوت بصمتنا فكأنما لسكوتنا آذان
لو قيل للحيوان كن بشراً هنا لبكى وأعلن رفضه الحيوانُ

وكما قال الآخر:

قتل امرئٍ في غابةٍ جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمنٍ مسألةً فيها نظر

والحق للقـــــــــــــــوة لا يعـطـاهـا إلا مـن ظـفـــــــر
ذي حـالـة الـدنـيـا فـكـــــــن مـن شـــــرهـا عـلـى حـذر

وأصبحنا في زمن تتحدث فيه المسافحات والمتخذات أخدان عن الشرف والفضيلة، بل والوسطية، ولعلهن يعنين بالوسط (ما بين السرة والركبة) وكما قال قوم لوط: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل:٥٦].

وخلال هذه السنين أطلقت المصطلحات والأوصاف وسار البعض على نظرية (هتلر): "اكذب واكذب حتى يصدقك الناس"، فكذبوا وافتروا واستخدموا كل وسيلة ممكنة لذلك، وفي ثنايا هذه الدعوى بل الدعاوى التي استلمتها الشيء الكثير من ذلك، فمن ذلك:

- تكرار كلمة "الهالك" في سياق الذم والتقبيح مع أن الله عز وجل يقول في آخر آية من سورة القصص: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨] فالخلائق كلها تهلك وتموت إلا الله، فإنه الحيّ الذي لا يموت، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر:٣٤] - أي حتى إذا مات -.

وفي حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: ((كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي)). [رواه البخاري (٣٤٥٥) ومسلم (١٨٤٢)].

فبيّن أن وفاة النبي هلاكه، وما زال العلماء عبر العصور يقسمون التركات والمواريث ويصدرون ذلك بقولهم "هلك هالك عن كذا وكذا..." - أي مات ميت-، فكلنا سنموت ونهلك، فليست هذه العبارة بخاصة بهذه الأسماء التي تذكرونها في دعواكم هذه، فأنتم لا بدّ هالكون في يوم من الأيام.

- وأيضاً كلمة "الإرهاب" هي كلمة ليست في قاموس المسلمين وأعلامه وكتبه إلا في سياقات معينة عند الحديث عن إرهاب أعداء الله، كما في آية الأنفال ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠].

بخلاف اليوم، أصبحت يرددها البعض بشكل ممل وغريب وفاضح ضد خصومه، فاستخدمتها الحكومات الغربية الصليبية ضد المسلمين عند احتلالهم لبلدانهم، واستخدمها الطغاة الحاكمون الجاثمون على أنفاس العباد في عدة أقطار ضد المصلحين والدعاة والهداة، وفي السنوات الأخيرة أشهرتها أمريكا وأظهرتها في حربها على بلدان المسلمين حذراً من استخدام (الحرب على الإسلام) فأصبحت (الحرب على الإرهاب)، وسار خلفها وعلى خطاها الأذناب والصنائع حذو القذة بالقذة، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، فخصوم اليهود في بلاد الشام إرهابيون، وخصوم بشار الأسد ودولته النصيرية المشركة إرهابيون، وخصوم كرزاي ودولته كذلك، وخصوم حكومة المالكي الصفوية الرافضية كذلك، والحبل على الجرار.

والعجيب أن بعض الحكومات الغربية منها بريطانيا أدركت خطورة ذلك ونتائجه العكسية والمبالغة في استعماله، فقامت بالمنع من استعماله من قبل (الوزراء والحكومة) كما حدث ذلك قبل عدة سنوات، وكما قال الناظم:

أو حاسد قد بات يغلي صـــــدره ... بعداوتي كالمرجل المـــــــــلآن
لو قلت هذا البحر قال مكذبـــــا ... هذا السراب يكون بالقيعـــــــان
أو قلت هذي الشمس قال مباهتـــا ... الشمس لم تطلـــــــع إلى ذا الآن
أو قلت قال الله قال رسولـــــــه ... غضـــب الخبيث وجاء بالكتمان
ما عنده علم سوى التكفيـــــر والت ... ـــبديع والتضليل والبهتـــــــان
فإذا تيقن أنه المغـــــــــلوب عن ... ـــــد تقابل الفرســـان في الميدان
قال اشتكوه إلى القضاة فإن هـــــم ... حكموا وإلا أشكوه للسلطـــــان
قولوا له هذا يحل الملك بـــــــل ... هذا يزيل الملك مثل فـــــــلان

فاعقره من قبل اشتداد الأمـــــر منـ ـــه بقوة الأتباع والأعـــــــوان
وإذا دعاكم للرسول وحكمـــــــــه فادعوه كلكم لرأي فـــــــــلان
وإذا اجتمعتم في المجـالس فـالغطوا والغوا إذا ما احتج بالقـــــــرآن
واستنصروا بمحاضر وشهـــــــادة قد أصـــلحت بالرفق والإتقـــــان
لا تسألوا الشهداء كيف تحملـــــوا وبأي وقت بل بأي مكـــــــان
وارفوا شهادتهم ومشوا حالهـــــــا بل أصلحوها غاية الإمكـــــــان
فإذا هم شهدوا فزكـــــــوهم ولا تصـــغوا لقول الجارح الطعـــــان
قولوا عدالة مثلهم قطعيـــــــــة لسنا نعارضها بقول فـــــــلان
ثبتت على الحكام بل حكموا بهـــا فالطعن فيها ليس ذا إمكـــــان
من جاء يقدح فيهم فليتخـــــــذ ظهراً كمثل حجارة الصـــــوّان
ونسير مقلوبين حتـى لا تُـــرى مقـلـوبـة بعيـونـنـا الـبـلـــدان

هذا هو حالنا مع المباحث ومن يأتمرون بأمره (محمد بن نايف)، ومنذ أكثر من عقدين من الزمن وهم يتعاملون مع الأحداث بنفس الأسلوب والطريقة والأسطوانة المشروخة وشيطنة الخصوم وعدم الاستجابة للحق والحجج والبراهين، لا يعرفون من شريعة الإسلام إلا أحاديث الخوارج وأحاديث السمع والطاعة ليشهروها في وجه كل مخالف للعائلة والأسرة التي تحكم والفرد الذي يتصرّف في الأوامر، وهذا هو حال كثير من دويلات هذا الزمن وصنائع الصليبيين في بلاد المسلمين، فعطّلوا بذلك شريعة الإسلام ونبذوها وراءهم ظهرياً، وبدلوا دين الله، وحاربوا شعيرة الجهاد أشد المحاربة خدمة لأسيادهم، وكما قال الشاعر:

وراعي الشـــعب ســـجّانٌ غشـــومٌ وسفّاحٌ يَسِنُّ له نِصالَـــــــــــهْ
وحـادي الـركـب بـومٌ أو غـرابٌ وقـد قـادَ الجـمـوعَ (أبـو رغـالـهْ)
يُرمرمُ من فتاتِ الكفرِ قوتـــــــاً ويلعقُ من كؤوســـهمُ الثُّمـالَـــــهْ
يقبّل راحةَ الطاغوتِ حينـــــــاً ويلثمُ دونما خجلٍ نِعَالـــــــــَـهْ

فيرتعُ في مرابعنا دخيـــــــــــلٌ يُطـارِد في حضـــارتنـا الأصـــالـةْ
إذا سأل الزعيمُ مزيـــــــــــدَ ذُلٍّ لشعب لا يَرُدُّ له سؤالـــــــــــهْ
وإن نصـــحَ الحـكـيـمُ فـلا سمـيـعٌ ولا قلبٌ يَعي صِـــدقَ المقـالـــــهْ

وكثر أئمة الضلالة وأحبار السوء، وجاءت التأويلات الفاسدة والمجادلة بالباطل ليدحضوا بها الحق، وفرضت الآراء المنحرفة والضالة بقوة الحديد والنار، وكما قال عمر رضي الله عنه لزياد بن حدير: "هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قال: قلت: لا. قال: يهدمه زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين". [رواه الدارمي (٢٢٠) بإسناد صحيح].

وكما قال ابن المبارك رحمه الله:

وهـل أفســـد الـدين إلا الملـوك وأحـبـار ســـوء ورهـبـانهـا

فكيف وقد تقسّمت بلاد المسلمين إلى دويلات تحكمها أسر وعوائل تحت مسمّى أحزاب وطنية وعوائل ملكية وأميرية، كل له علم وراية، وقنوات وصحف ومجلات وإذاعات ووكالات أنباء وهيئات فتوى.. إلخ، في إطار حدود جغرافية رسمتها (بريطانيا وفرنسا) تحت مسمّى (سايكس بيكو)، وكما قال أحد الشعراء يصور هذا الحال:

لنـا فـي الشـرق أوطـانٌ، ولكـــــنْ تضـيـق بنـا كـمـا ضـاقت لُحُـــــود
تنـازع أهلُهـا فلـكلِّ حـــــزبٍ حـمـىً، ولكل مملكةٍ عـمـيـــــد
نقـيـم بـهـا عـلى ذُلٍّ وفقـــــرٍ ونظـمأُ لا يسـوغ لنـا الـــــوُرود
أكـاذيبُ السيـاسة بيّنـــــاتٌ تكـيـد بـهـا الـحكـومة مـا تكـيـــد
وُعـودٌ كلهـــــا كـذبٌ وزورٌ فكـم وإلام تخدعُـنـا الـوعـــــود؟
إذا مـا الـمُلْكُ شِيد عـــــلى خـداعٍ فلا يبقى الخـداع ولا الـمَشيـــــد
ومـن لـم يتخـذ مُلكـاً صحيحـــــاً فلا تغني الـممـالـكُ والـــــحدود

وقالوا دولةٌ نشأت حديثاً تؤيدها السياسة والعهود
كذبتمُ ما لنا في الأمر شيءٌ فقولوا إننا شعبٌ عبيد

وكما قال أبو هريرة رضي الله عنه: "إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين كان دين الله دغلاً ومال الله دولاً وعباد الله خولاً – أي خدماً –".[١]

وهذا الحال وهو التلاعب بالدين وتطويعه للأسرة التي تحكم، وتوظيفه توظيف الصقر للصيد، فهم يصيدون به الدنيا، فيتكبرون في الأرض ويعلون ويفسقون، ويصبح المال الذي هو للمسلمين حكراً عليهم وعلى أولادهم ونسائهم، وللناس الفتات، وكما قال الشاعر:

ويقومَ أهلك وحدهم في نعمةٍ مرموقةٍ، موفورةِ الأطراف
والناس تغرق في الشقاء، ومن ينل حظاً كبيراً، نالَ حد كفاف

وبذلك يصبح الناس كالخدم والعبيد لدى هذه الأسر والعوائل، ويتكلم من يتكلم باسم الشعب والشعب لا يدري، وتتخذ القرارات المصيرية والكبرى بلا شورى ولا رأي من أحد، فرؤية الحاكم وحاشيته من أولاده ثاقبةٌ وحكيمةٌ ورشيدةٌ، وإذا ذهب ذاهب إلى شيخ من شيوخ الهيئات الشرعية فسأله عن ذلك كان الجواب: (بأن ولي الأمر أعرف بالمصلحة)، وإذا سمع الحاكم بأن هناك أصوات معترضة ومحتجة ولها رأي آخر كان الجواب: (بأن الشيوخ أبخص)..

وضاع الدين والناس والبلد بين هذه الجملتين، وتحرك المنافقون المجادلون بالكتاب، واشتغلت القنوات والإذاعات والجرائد والمجلات لترويج رؤية أصحاب النظرة الثاقبة والبصيرة

---

[١] رواه أبو يعلى في مسنده، انظر المطالب العالية(٤٤٦٥). وصحح إسناده البوصيري في إتحاف المهرة، وإسناده صحيح على شرط مسلم، وهو موقوف له حكم الرفع لأنه لا يقال من قبل الرأي، وقد جاء من حديث أبي سعيد الخدري وأبي ذر ومعاوية بأسانيد لا تخلو من مقال.

النافذة، وكتبت الخطب وعُمِّمَت على المساجد لفرض تلك القرارات والآراء بكل وسيلة ممكنة، واستنفرت أجهزة الأمن (أمن الأسر والعوائل) لمعرفة كل مخالف لتلك الرؤية، أو سمها ما شئت، ثم الاعتقال له ووضعه في السجون حتى يتوب من مخالفته ويعود إلى الوسطية التي هي كما قال الشاعر:

قطيعٌ نحنُ والجزار راعينـــــا

ومنفيون نمشي في أراضينـــا

ونحملُ نعشنا قسرًا بأيدينـا

ونُعربُ عن تعازينا لنا فينا

فوالينا أدام الله والينـــــا

رآنا أمةً وسطا فما أبقى لنا دنيا

ولا أبقى لنـــا دينـــا

فتجسسوا على الناس وتتبعوا عوراتهم، ودخلوا في نياتهم، وارتكبوا الموبقات والكبائر من نميمة وغيبة وظلم وقهر، وكتبوا التقارير الكاذبة، ودخلوا في ظلمات بعضها فوق بعض من المحرمات والانتهاكات لشريعة الله.

يقول معاوية رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسده)). فقال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من رسول الله نفعه الله بها. [رواه أبو داوود (٤٨٨٨) وصححه ابن حبان (٥٧٣٠) وإسناده حسن].

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: صعد رسول الله ﷺ المنبر، فنادى بصوت رفيع فقال: ((يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه: لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيّروهم،

ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله)).

قال نافع: ونظر ابن عمر يوماً إلى الكعبة فقال: "ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك". [رواه الترمذي (٢٠٣٢) بإسناد حسن].

فكيف بمن يحارب العلماء والدعاة وأهل العلم وشباب المسلمين ويسجنهم السنوات الطويلة خدمة لأعداء المسلمين، ويقدمهم قرابين على أعتاب البيت الأبيض الأمريكي؟!

وبما أن الأمر عظيم، والخطب كبير، والدعاوى كثيرة، ولا بد من الإجابة والبيان، فأقول:

قرأت هذه الدعاوى والتهم ووجدتها تدور على تهمٍ عامة حول المنهج والدرب والطريق الذي أسير فيه، وأخرى حول الوقائع والأحداث التي وقعت في جزيرة العرب خلال العقدين الماضيين، وثالثة حول تهم ووقائع خاصة بشخصي، وبما أن هناك تداخلاً بين هذه الأمور فسأجيب جواباً مفصلاً، مع أني في مكان لا يسمح بإعداد البحث العلمي لقلة المراجع العلمية والكتب المتخصصة في بعض الجوانب التي أحتاجها، وصعوبة الوصول إلى الوثائق والمصادر لتوثيق بعض الوقائع المعاصرة، وصعوبة الكتابة التي انقطعت عنها لتسع سنين، وعدم إمكان إعادة الكتابة ومراجعة ذلك، لأن الورق محصيّ ومجرود عليَّ، فلا أستطيع وضع مسودة لما أكتبه ولا إعادة ذلك أو التقديم والتأخير إن رأيت ذلك، لذا أعتبر ما أكتبه أشبه بخواطر تم صيدها، وأظن لو تيسّر لي ما أحتاجه في هذا الشأن لخرج الرد على هذه التهم والدعاوى أضعاف ما سأكتبه، والله المستعان.

وأقول لخصومي جميعًا، وأولهم وقاضيهم الأعلى محمد بن نايف:

دربي ودربك كيف يلتقيـــــان؟! ما بيننا بحر بلا شطـــــآن
أنا للذرا أمضي وأنت إلى الثـــرى هل يستوي النهجان في الميـــزان!
أنا رايتي حلم الشعوب ونبضهـــا وعقيدتي نبع من الإحســـان
أنا والحضارة توأمان وإننـــا لا بد في يوم لمعتنقـــان
كالظل تتبعني وترصد خطـــوتي وإذا عثرت أقالني قـــرآني
أنا ما سجدتُ وما انحنيت بقامتـــي إلا لربّ الواحد الدّيّـــان
وحملتُ ما بين الجوانح مُصحفـــي وتلوتُه في السّر والإعـــلان
فإذا نطقت فللهداية منطقـــي وإذا سكتُ فكي أصون لسانـــي
وأنا ضدّ أحزاب الشقاء لأننـــي أسمى من الصّلصال والنيـــران
أنا ضدّ إذعانِ القطيع وضـــدّ مَنْ باعوا القطيع بأبخس الأثمـــان
أنا ضدّ أنصاف الحُلول لأنّنـــي أدركت سرّ ملاسة الثُّعبـــان
أنا مسلمٌ وأقولها ملء الهـــوى رغْمَ الدُّجى والسوط والقُضْبـــان
أنا مسلمٌ والنور ينبضُ في دمـــي ولسانُ كلّ المكرُماتِ لسانـــي
أنا مسلمٌ والشمس تعرف هـــامتي والسائرون بدروبها إخوانـــي
ما فلَّ سيفُ العادياتِ جـــراءتي كلاّ ولا هزَّ الأذى بنيانـــي
أنا كلّما سَقَطَتْ عليَّ قذيفـــةٌ هَطَلَتْ عليَّ سحائبُ الرحمـــنِ
أنا كلَّما قطعوا بناناً من يـــدي نَبَتَتْ على كفيَّ ألفُ بنـــان
قَدَري بأنْ أخطو وحولي غابـــةٌ وعلى الطريق عصائبُ الغربـــان
وأُواجهُ الأوثان يزحمُ بعضُهـــا بعضاً ألا قُبِّحتِ من أوثـــانِ
عَصْري وأعرفه وأعرفُ أنّـــه في قبضة الأحبار والرّهبـــان

نَهشُوا لحومَ الخلق ملكَ بطونهـــــــم ما مسّهم نصبٌ من الإدمـــــــان
لكنّني كالطّود دون جُموعهـــــــم ولسوف يغمُر زحفهم طوفـــــــان
ولسوف يُبصرُني الكفيف بدَرْبـــــه ولسوف أَرْوي غُلَّةَ العطشـــــان

(دعوى وتهمة الكلام في أهل العلم في هذه البلاد)

طالما رددوا في هذه الأوراق الكلام حول علماء هذه البلاد وأنّا نطعن فيهم ولا نأخذ منهم.. إلخ.

فأقول:

إن الله عز وجل يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٤]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٠].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريّون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)). [رواه مسلم (٥٠)].

وعن طارق بن شهاب قال: "أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجل فقال: الصلاة قبل الخطبة. فقال: قد ترك ما هنالك. فقال أبو سعيد – أي الخدري –: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من رأى منكم منكراً

فليغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان))". [رواه مسلم (٤٩)].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قام فخطب، فقال: "يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيّروه أوشك أن يعمّهم الله بعقابه))". [رواه أحمد (١، ١٦، ٢٩، ٥٣) وإسناده صحيح على شرط الشيخين].

وعن أبي بكر رضي الله عنه أيضاً بلفظ: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمّهم الله بعقابه". [رواه أحمد (٣٠) وإسناده صحيح على شرط الشيخين].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاس أَنْ يَقُولَ فِي حَقٍّ إِذَا رَآهُ، أَوْ شَهِدَهُ، أَوْ سَمِعَهُ)). قال أبو سعيد: "وددت أني لم أسمعه". [رواه أحمد (١١٠١٧) وإسناده صحيح على شرط مسلم].

وعن طارق بن شهاب أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ وقد وضع رجله في الغرز: أيَّ الجهاد أفضل؟ قال: ((كلمة حق عند سلطان جائر)). [رواه أحمد (١٨٨٣٠) والنسائي (٤٢٠٩) وإسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين).

ورواه أحمد أيضاً (١٨٨٢٨) بلفظ: ((كلمة حق عند إمام جائر)). وإسناده صحيح أيضاً كسابقه.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: "يامعشر القراء استقيموا، فقد سبقتم سبقاً بعيداً، وإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً". [رواه البخاري (٧٢٨٢)]. والمراد بالقرّاء أي العلماء.

وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: "ربَّ يوم لو أتاني الموت لم أَشكِ، فأما اليوم فقد خالطت أشياء لا أدري على ما أنا منها".

وأوصى أبا مسعود فقال: "عليك بما تعرف، وإياك والتلوّن في دين الله". [رواه ابن أبي شيبه في المصنف وإسناده صحيح].

وعن زيد بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال ناس لابن عمر: "إنا لندخل إلى سلطاننا أو أمرائنا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم. فقال: كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله ﷺ". [رواه البخاري (٧١٧٨)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه لقي ناساً خرجوا من عند مروان، فقال: "من أين جاء هؤلاء؟ قالوا: خرجنا من عند الأمير مروان. قال: وكل حق رأيتموه تكلمتم به وأعنتم عليه وكل منكر رأيتموه أنكرتموه ورددتموه عليه؟ قالوا: لا والله، بل يقول ما ينكر فنقول قد أصبت أصلحك الله، فإذا خرجنا من عنده قلنا قاتلهُ اللَّهُ، ما أظْلَمَهُ وأفجَرَهُ، قال عبد اللَّه: كنا بعهد رسول الله ﷺ نَعُدُّ هذا نفاقًا لمن كان هكذا". [رواه أحمد (٥٣٧٣) وهو حديث صحيح].

هذه الآيات والأحاديث وغيرها كثير جعلت من أهل العلم الربانيين الصادقين عبر الأزمنة يقومون بها خير قيام، فيوفون بعهد الله عليهم وميثاقه، ويصدعون بأمر الله، ويقولون الحق وإن كان مُراً لا يخافون في الله لومة لائم.

يقول الإمام أحمد رحمه الله: "الحمد لله الذي جعل في كلِّ زمانِ فترةٍ من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يُحيون بكتاب الله الموتى، ويبصِّرون بنور الله أهلَ العمى، فكم من قتيلٍ لإبليس قد أحيَوْه، وكم من ضالٍّ تائهٍ هَدَوْه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم! ينفون عن كتاب الله تحريفَ الغالين وانتحالَ المبطلين وتأويلَ الجاهلين، الذين عقدوا ألويةَ البدعة، وأطلقوا عِقالَ الفتنة، فهُم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علمٍ، يتكلَّمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جُهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين..".

ونصر القرآن والسنة والحق فرض لازم لا بد من القيام به، قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

هـذا ونصـــر الـديـن فـرض لازم لا للكفاية بل على الأعيـــــــان
بيـد وإمـا باللســـان فـإن عجزت فبالتوجه والدعا بجنـــــــــان
ما بعد ذا والله للإيمـــــــــان حـبـة خـردل يا ناصـــر الإيمـان

يقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "إن الله تعالى لا يعذب العامة بعمل الخاصة، فإذا ظهرت المعاصي فلم تنكر؛ أخذت العامة والخاصة". [رواه الحميدي في مسنده بإسناد صحيح رجاله ثقات (المطالب العالية/٣٣٠٠)].

وقد سمى النبي ﷺ قول الحق عند الإمام الجائر بأنه أفضل الجهاد؛ وذلك لأن من جاهد العدو فهو متردد بين الرجاء والخوف، وبين الغلبة له أو لعدوه، بخلاف الذي يقوم هذا المقام أمام هذا الجائر، فإن الغالب الهلاك والتلف وغضب السلطان أو الحبس والضر والإهانة، فصار أفضل لهذه الاعتبارات؛ وأيضاً لقلة الناصر والمعين والمساعد، بل الغالب على الناس تخطئته وتوبيخه، بخلاف القتال مع الكفار وفي الميادين يجد الأنصار والأعوان والموافقين له.

وعن الأوزاعي: حدثني أبو كثير – أي مالك بن مرشد – أنه سمع أباه يقول: "أتيت أبا ذرٍ رضي الله عنه وهو عند الجمرة الوسطى وقد اجتمع الناس يستفتونه، فجاءه رجل فوقف عليه فقال: ألم ينهك أمير المؤمنين عن الفتيا؟ قال فرفع رأسه إليه فقال: أرقيبٌ أنت عليَّ؟! لو وضعتم الصمصامة على هذه – وأشار إلى قفاه –، ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله قبل أن تجيزوا عليَّ لأنفذتها" [١].

---

[١] رواه الدارمي (٥٦٢) وإسحاق بن راهوية كما في (المطالب العالية/٣٠٦٩) وصححه ابن حجر وإسناده صحيح

وعن محمد بن كعب: "كان أبو أيوب يخالف مروان، فقال: ما يحملك على هذا؟ قال: إني رأيت رسول الله ﷺ يصلي الصلوات، فإن وافقته، وافقناك، وإن خالفته، خالفناك". [رواه الطبراني (٣٩٩٣) وإسناده صحيح رجاله ثقات].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قام إلى مروان بن الحكم وقد أبطأ بالجمعة فقال له: "أتظلّ عند ابنة فلان تروّحك بالمراوح وتسقيك الماء البارد وأبناء المهاجرين والأنصار يصهرون من الحر، لقد هممت أن أفعل وأفعل ثم قال: اسمعوا من أميركم". [ذكره في العقد الفريد (٥٥/١)].

وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: "لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالإنكار من قلوبكم، لكي لا تحبط أعمالكم". [ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٣٢/٤)].

وقال سليمان التيمي: "كان الشعبي يرى التقية، وكان ابن جبير لا يرى التقية، وكان الحجاج إذا أتي بالرجل – يعني ممن قام عليه – قال له: أكفرت بخروجك علي؟ فإن قال نعم، خلى سبيله. فقال لسعيد: أكفرت؟ قال: لا، قال: اختر أي قتلة أقتلك، قال: اختر أنت؛ فإن القصاص أمامك". [السير (٣٣٨/٤)].

قال الذهبي رحمه الله "السير (٣٤٠/٤)": "ولما علم من فضل الشهادة ثبت للقتل ولم يكترث ولا عامل عدوه بالتقية المباحة له رحمه الله". أ.هـ.

وقال ابن كثير عن سعيد بن جبير "البداية والنهاية (١٠٥/٩)": "قال له الحجاج ويلك فقال سعيد: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار، فقال: اضربوا عنقه. فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أستحفظك بها حتى ألقاك يوم القيامة فأنا خصمك عند الله، فذبح من قفاه فبلغ ذلك الحسن، فقال: اللهم يا قاصم الجبابرة اقصم الحجاج. فما بقي إلا ثلاثة حتى وقع من جوفه دود فأنتن منه فمات، وقال سعيد للحجاج: لما أمر بقتله وضحك فقال له: ما أضحكك؟ فقال: أضحك من جرأتك عليَّ وحلم الله عنك".أ.هـ

وقال ابن كثير رحمه الله أيضاً: (١٠٣/٩): "لم يلبث الحجاج إلا أربعين يوماً، وكان إذا نام يراه في المنام يأخذ بمجامع ثوبه ويقول: يا عدو الله! فيم قتلتني؟ فيقول الحجاج: مالي ولسعيد بن جبير" أ.هـ

وحين دخل الإمام الأوزاعي رحمه الله على عبد الله بن علي السفاح قال: "دخلت أتخطى القتلى، دخلت عليه فرأيت الرجال وقوفا بين يديه بالسيوف فلما رأيت ذلك لم أشك إلا وأنا مقتول... قال الأوزاعي قلت: لأصدقنه واستبلستُ للموت – أي وطّن نفسه عليه واستيقن –".

قال الذهبي رحمه الله معلقاّ على ذلك "السير (١٢٥/٧)": "كان عبد الله بن علي ملكاً جباراً سفاكاً للدماء صعب المراس، ومع هذا فالإمام الأوزاعي يصدعه بمُرّ الحق كما ترى لا كخلقٍ من علماء السوء الذين يحسنون للأمراء ما يقتحمون به من الظلم والعسف ويقلبون لهم الباطل حقاً – قاتلهم الله – أو يسكتون مع القدرة على بيان الحق". أ.هـ

وقال سفيان الثوري رحمه الله كما في "السير (٢٧٨/٧)": "إذا أثنى على الرجل جيرانه أجمعون فهو رجل سوء، لأنه ربما رآهم يعصون فلا ينكر ويلقاهم ببشر". أ.هـ

وفي كتاب الذهب المسبوك في وعظ الملوك: "قال القعقاع بن حكيم: كنت عند المهدي، وأتي بسفيان الثوري كبير علماء المسلمين في عصره، فلما دخل عليه سلم ولم يسلم بالخلافة والربيع قائم على رأسه متكئاً على سيفه يرقب أمره فأقبل عليه المهدي بوجه طلق وقال له: ياسفيان، تفرّ هنا وها هنا تظن أن لو أردناك بسوء لم نقدر عليك، فقد قدرنا عليك الآن، أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا؟ قال سفيان: إن تحكم في يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل. فقال الربيع له: يا أمير المؤمنين، ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا، أتاذن لي أن أضرب عنقه؟ فقال له المهدي: اسكت، ويلك، وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقى لسعادتهم! اكتبوا عهده على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه في حكم. فكتب

عهده ودفعه إليه، فأخذه وخرج ورمى به في جله وغاب عن أنظار الناس، فطلب في كل بلدٍ فلم يوجد، فعين مكانه شريك النخعي". أ.هـ

وفي كتاب "الإمامة والسياسة": "دخل سفيان الثوري على أبي جعفر المنصور فأمره ونهاه، فقال له أبو جعفر: ها هنا يا أبا عبد الله، إليّ إليّ، ادن مني، فقال: إني لا أطأ ما لا أملك ولا تملك. فقال أبو جعفر: يا غلام أدرج البساط وارفع الوطاء، فتقدم سفيان فصار بين يديه وقعد ليس بينه وبين الأرض شيء وهو يقول مِنْهَا: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه:٥٥] فدمعت عينا أبي جعفر، ثم تكلم سفيان دون أن يستأذن، فوعظ وأمر ونهى وذكر وأغلظ في قوله، فقال له الحاجب: أيها الرجل أنت مقتول، فقال سفيان: وإن كنت مقتولاً فالساعة. فسأله أبو جعفر عن مسألة فأجابه، ثم قال سفيان: فما تقول أنت يا أمير المؤمنين فيما أنفقت من مال الله ومال أمة محمد ﷺ بغير إذنهم؟ قد قال عمر في حجةٍ حجها وقد أنفق ستة عشر ديناراً هو ومن معه: ما أرانا إلا وقد أجحفنا ببيت المال، وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: ((رب متخوض في مال الله ومال رسول الله فيما شاءت نفسه له النار غداً))، فقال أبو عبيد الكاتب: أمير المؤمنين يستقبل بمثل هذا؟ فقال له سفيان: اسكت أنت، إنما أهلك فرعونَ هامانُ، وهامانَ فرعونُ، ثم خرج سفيان، فقال أبو عبيدة الكاتب: ألا تأمر بقتل هذا الرجل فوالله ما أعلم أحداً أحق بالقتل منه! فقال أبو جعفر: اسكت، فوالله ما بقي على الأرض أحد اليوم يستحيا منه غير هذا ومالك بن أنس". أ.هـ

وفي كتاب "الإمامة والسياسة" حوار طويل بين سليمان بن عبد الملك وأبي حازم الأعرج فيه: "أن سليمان قال لأبي حازم: ما لنا نكره الموت؟ فقال أبو حازم: لأنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب. قال: صدقت يا أبا حازم، فكيف القدوم على الآخرة؟ قال: نعم، أما المحسن فإنه يقدم على الآخرة كالغائب يقدم على أهله من سفرٍ بعيدٍ، وأما قدوم المسيء فكالعبد الآبق يؤخذ فيشد كتافه فيؤتى به إلى سيده، فإن شاء عفا عنه وإن شاء عذب. فبكى سليمان بكاء شديداً وبكى من حوله ثم

قال: ليت شعري ما لنا عند الله يا أبا حازم؟ فقال: اعرض نفسك على كتاب الله، فإنك تعلم مالك عند الله. قال سليمان: يا أبا حازم وأين أصيب تلك المعرفة في كتاب الله تعالى؟ قال: عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ - وفي آخر هذا الحوار - قال سليمان بن عبد الملك: فما تقول فيما ابتلينا به - يعني الخلافة -؟ قال: اعفنا عن هذا وعن الكلام فيه أصلحك الله. قال سليمان: نصيحة تلقيها.. فقال: ما أقول في سلطان استولى عنوة بلا مشورة من المؤمنين ولا اجتماع المسلمين، فسفكت فيه الدماء الحرام، وقطعت به الأرحام، وعطلت به الحدود، ونكثت به العهود، ثم لم يلبثوا أن ارتحلوا عنها! فيا ليت شعري ما تقولون وماذا يقال لكم! فقال بعض جلسائه: بئس ما قلت يا أعور، أمير المؤمنين يستقبل بهذا؟! فقال أبو حازم: اسكت يا كاذب، فإنما أهلك فرعون هامان وهامان وفرعون، إن الله أخذ على العلماء ليبيّنه ولا يكتمونه". أ.هـ

وفي كتاب "صفة الصفوة (١٨٢/٢)": "يقول سعيد بن سليمان: كنت بمكة وإلى جانبي عبد الله بن عبد العزيز العمري وهو من نسل عمر بن الخطاب، وقد حج هارون الرشيد، فقال له إنسان: يا أبا عبد الله، ها هو ذا أمير المؤمنين يسعى قد أخلي له المسعى، فقال العمري للرجل: لا جزاك الله خيراً، كلفتني أمراً كنت عنه غنياً، ثم علق نعليه وقام، فتبعته، فأقبل هارون الرشيد من المروة يريد الصفا فصاح به: يا هارون! فلما نظر إليه قال: لبيك ياعم. قال: ارق الصفا. فلما رقيه قال: ارم نظرك إلى البيت. قال: قد فعلت. قال: كم هو - أي كم عددهم -؟ قال: ومن يحصيهم! قال: فكم في الناس مثلهم؟ قال: خلق لا يحصيهم إلا الله. قال: اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه، وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم، فانظر كيف تكون! قال: فبكى هارون. قال العمري: وأخرى أقولها.. قال: قل يا عم. قال: إنّ الرجل ليسرف في ماله فيستحق الحجر عليه، فكيف بمن أسرف في مال المسلمين! ثم مضى وهارون يبكي". أ.هـ

وفي كتابه "الإمامة والسياسة" حوار آخر طويل وعظيم أوجز منه الآتي بين سليمان بن عبد الملك وأبي حازم الأعرج أيضاً: "قال سليمان: يا أبا حازم، كيف لنا أن نصلح ما فسد

منا؟ فقال: المأخذ في ذلك قريب يسير يا أمير المؤمنين، فاستوى سليمان جالساً من اتكائه فقال: كيف ذلك؟ فقال: تأخذ المال من حله وتضعه في أهله، وكفّ الأكفّ عما نهيت وتمضيها فيما أمرتْ به. قال سليمان: ومن يطيق ذلك؟ فقال أبو حازم: من هرب من النار إلى الجنة ونبذ سوء العادة إلى خير العبادة. فقال سليمان: أصحبنا يا أبا حازم وتوجه معنا تصب منّا ونُصب منك. قال أبو حازم: أعوذ بالله من ذلك. قال سليمان: ولم يا أبا حازم؟ قال: أخاف أن أركن إلى الذين ظلموا فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات. فقال سليمان: فتزورنا.. قال أبو حازم: إنا عهدنا الملوك يأتون العلماء ولم يكن العلماء يأتون الملوك، فصار في ذلك صلاح الفريقين، ثم صرنا الآن في زمان صار العلماء يأتون الملوك والملوك تقعد عن العلماء، فصار في ذلك فساد الفريقين جميعاً... إلخ " أ.هـ

وقال سفيان الثوري رحمه الله: "كان المال فيما مضى يكره، فأما اليوم فهو ترس المؤمن. وقال: لولا هذه الدنانير لتمندل بنا هؤلاء الملوك. – أي جعلونا مناديل أوساخهم –، وقال: من كان في يده من هذه شيء فليصلحه فإنه زمان إن احتاج كان أول من يبذل دينه. وقال الحلال لا يحتمل السرف". [رواه البغوي في شرح السنه (٤٠٩٨)].

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى فقهاء العراق أن يأتوه فاعتلَّ الحسن البصري – أي أصيب بعلّة – وكتب إلى عمر بن عبد العزيز: "يا أمير المؤمنين، إن استقمت استقاموا، وإن ملت مالوا، يا أمير المؤمنين، لو أن لك عمر نوح وسلطان سليمان ويقين إبراهيم وحكمة لقمان ما كان لك بدٌّ من أن تقتحم العقبة الجنة أو النار، من أخطأته هذه دخل هذه، فلما أتاه الكتاب أخذه فوضعه على عينيه ثم بكى، ثم قال: لم يكن لي بد أن أشرب بكأس الأولين". أ.هـ.

وفي السير للذهبي: "يقول عبد الله بن صالح: سمعت الليث بن سعد يقول: لما قدمت على هارون الرشيد قال لي: يا ليث ما صلاح بلدكم؟ قلت: يا أمير المؤمنين صلاح بلدنا

بإجراء النيل وإصلاح أميرها، ومن رأس العين يأتي الكدر، فإذا صفا رأس العين صفت السواقي. فقال: صدقت يا أبا الحارث". أ.هـ

وفي ذيل الأمالي والنوادر لأبي علي القالي: "دخل يعلى بن مخلد المجاشعي على الحجاج في مرض الموت فقال له: كيف ترى ما بك يا حجاج من غمرات الموت وسكراته؟ فقال: يا يعلى، غماً شديداً، وجهداً جهيداً، وألماً مضيضاً، ونزعاً حريضاً، وسفراً طويلاً، وزاداً قليلاً، فويلي ويلي إن لم يرحمني الجبار! فقال له: يا حجاج، إنما يرحم الله من عباده الرحماء الكرماء أولي الرحمه والرأفة والتحنن والتعطف على عباده وخلقه، أشهد أنك قرين فرعون وهامان لسوء سيرتك وترك ملتك وتنكبك عن قصد الحق وسنن المحجة وآثار الصالحين، قتلت صالحي الناس فأفنيتهم، وأبرت عترة التابعين فتبرتهم، وأطعت المخلوق في معصية الخالق، وأهرقت الدماء وضربت الأبشار، وهتكت الأستار، وسست سياسة متكبر جبار، لا الدين أبقيت، ولا الدنيا أدركت، أعززت بني مروان وأذللت نفسك، وعمرت دورهم وأخربت دارك، فاليوم لا ينجونك ولا يغيثونك إذ لم يكن لك في هذا اليوم ولا لما بعده نظر، لقد كنت لهذه الأمة اهتماماً واغتماماً وعناءً وبلاءً، فالحمد لله الذي أراحها بموتك وأعطاها مناها بخزيك". أ.هـ

وقد جيء بالحطيط الزيات إلى الحجاج فلما دخل عليه قال: "أنت حطيط؟ قال: نعم، سل عما بدا لك، فإني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال: إن سئلت لأصدقنّ، وإن ابتليت لأصبرنَّ، وإن عوفيت لأشكرنَّ. قال: فما تقول فيّ؟ قال: أقول إنك من أعداء الله في الأرض، تنتهك المحارم وتقتل بالظنّة. قال: فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؟ قال: أقول: إنه أعظم جرماً منك، وأنت خطيئة من خطاياه. قال: فقال الحجاج: ضعوا عليه العذاب. قال: فانتهى به العذاب حتى انتحلوا لحمه، فما سمعوه يقول شيئاً ثم مات رحمه الله، وكان ابن ثمان عشرة سنة".

ودخل أحد الزهاد على أحد الخلفاء فقال له: عظني. فقال له: "يا أمير المؤمنين، كنت أسافر الصين فقدمتها مرة وقد أصيب ملكها بسمعه، فبكى بكاء شديداً وقال: أما إني لست أبكي على البليّة النازلة ولكن أبكي المظلوم على الباب يصرخ فلا يؤذن له ولا أسمع صوته، ولكن إن ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب، نادوا في الناس: لا يلبس أحد ثوباً أحمر إلا متظلم، ثم كان يركب الفيل في نهاره حتى يرى حمرة ثياب المظلومين. فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله تعالى غلبت عليه رأفته على المشركين، وأنت مؤمن بالله تعالى ومن أهل بيت نبيه ﷺ كيف لا تغلب رأفتك بالمؤمنين!".

وهذا البويطي كما في "السير (٥٨/١٢)": "سعى به أصحاب ابن أبي دؤاد حتى كتب فيه ابن أبي دؤاد إلى والي مصر فامتحنه – أي في محنة خلق القرآن –، فلم يجب، وكان الوالي حسن الرأي فيه، فقال له: قل فيما بيني وبينك. قال: إنه يقتدي بي مائة ألف ولا يدرون المعنى. فأمر به أن يحمل إلى بغداد، قال الربيع بن سليمان: رأيته على بغلٍ في عنقه غلّ وفي رجليه قيد وبينه وبين الغلّ سلسلة فيها لبنة – طوبة – وزنها أربعون رطلاً، وهو يقول: إنما خلق الله الخلق بـ (كن) فإذا كانت مخلوقة فكأن مخلوقاً خلق بمخلوق، ولئن دخلت عليه لأصدقنّه – يعني الواثق –، ولأموتنّ في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم. وتوفي رحمه الله مسجوناً في قيده بالعراق سنة إحدى وثلاثين ومائتين من الهجرة". أ. هـ

وهذا نعيم بن حماد رحمه الله كما جاء في "السير (٦١٠/١٠)": "حمل على القول بخلق القرآن فأبى وامتنع أن يجيب، فسجن ومات في سجنه سنة تسع وعشرين ومائتين، وجُرَّ بأقياده فألقي في حفرة ولم يكفن ولم يصلّ عليه، وأوصى نعيم بن حماد أن يدفن في قيوده وقال: إني مخاصم".

وكما قال الشاعر:

أنا إن حرمت وداعكم لجنازتـــــي فـمـلائـك الـرحمـن لم يـدعـوني
إن لم يصـــل عليّ في الأرض امرؤ حسبي صلاتهم بعلييـــــــــن

وهذا أحمد بن نصر الخزاعي كما في "السير (١٠/٦٧)" و"البداية والنهاية (١٠/٣١٨)": "حمل من بغداد إلى سامراء مقيداً وجلس له الواثق، فقال له: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله. قال: أفمخلوق هو؟ قال: كلام الله. قال: فترى ربك يوم القيامة؟ قال: كذا جاءت الرواية. قال: ويحك، يرى كما يرى المحدود والمتجسّم ويحويه مكان ويحصره ناظر؟ أنا كفرت بمن هذه صفته، ما تقولون فيه؟ فقال قاضي الجانب الغربي: هو حلال الدم، ووافقه فقهاء. قال الواثق: ما أراه إلا مؤدياً لكفره قائماً بما يعتقده، ودعا بالسيف وقام وقال: إني لأحتسب خطاي إلى هذا الكافر، فضرب عنقه بعد أن مدّوا له رأسه بحبل وهو مقيّد، قال الحسن بن محمد الحربي: سمعت جعفر الصائغ يقول: رأيت أحمد بن نصر – حين قتل قال رأسه: لا إله إلا الله، والله أعلم، وعلّق في أذن أحمد بن نصر ورقة فيها: هذا رأس أحمد بن نصر دعاه الإمام إلى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه فأبى إلا المعاندة فجعله الله إلى ناره. وبقي رأسه مصلوباً ببغداد والبدن مطلوباً بسامراء وفي رجليه زوج قيود" أ.هـ

وقال ابن تيمية رحمه الله: "لن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض في قلبه، فإن رجلاً شكا إلى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة فقال: لو صححت لم تخف أحداً". أ.هـ

وهذا ابن الجوزي رحمه الله يقول كما في "مرآة الزمان لسبطه": "وعظ المستضيء بالله فقال له: يا أمير المؤمنين، إن تكلمت خفت منك، وإن سكت خفت عليك، فأنا أقدم خوفي عليك من خوفي منك لمحبتي دوام أيامك، وأن أقدم قول القائل: اتق الله خير من قول القائل: إنكم أهل بيت مغفور له، وكان عمر بن الخطاب يقول: إذا بلغني عن عامل ظالم أنه قد ظلم الرعية ولم أغيره فأنا الظالم، يا أمير المؤمنين كان يوسف عليه السلام لا يشبع في زمان القحط لئلا ينسى الجياع، وكان عمر يضرب بطنه عام الرمادة ويقول: قرقري إن شئت

أو لا والله لا شبعت والمسلمون جياع، فأطلق الأمير المحابيس وتصدق صدقات كثيرة وأشبع الجياع بسبب ذلك".

وهذا أبو نعيم الفضل بن دكين لما امتحن في محنة القول بخلق القرآن قال: "أدركت الكوفة وبها أكثر من سبعمائة شيخ الأعمش فمن دونه يقولون: القرآن كلام الله وعنقي أهون من زري هذا، فقام إليه أحمد بن يونس فقبّل رأسه – وكان بينهما شحناء – وقال: جزاك الله من شيخ خيراً". [مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (٤٨١)].

وهذا ابن تيمية كما في "البداية والنهاية (١٤/٩٢-٩١)": " – وقد قص أيضاً هذه القصة الشيخ الصالح محمد بن أبي بكر بن قوام البالسي وكان يوم قازان في جملة من كان مع الشيخ تقي الدين ابن تيمية لما تكلم مع قازان فحكى عن كلام شيخ الإسلام تقي الدين لقازان وشجاعته وجرأته عليه – وأنه قال لترجمانه: قل لقازان: أنت تزعم أنك مسلم ومعك مؤذنون وقاض وإمام وشيخ – على ما بلغنا –، فغزوتنا وبلغت بلادنا على ماذا، وأبوك وجدك (هولاكو) كانا كافرين وما غزوا بلاد الإسلام بل عاهدوا قومنا، وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت. قال: وجرت له مع قازان وقطلوشاه وبولاي أمور ونُوب قام ابن تيمية فيها كلها لله ولم يخشَ إلا الله عزّ وجل، قال: وقرّب إلى الجماعة طعاماً فأكلوا منه إلا ابن تيمية، فقيل له: ألا تأكل؟ فقال: كيف آكل من طعامكم وكلّه مما نهبتهم من أغنام الناس طبختموه بما قطعتم من أشجار الناس؟ قال: ثم إن قازان طلب منه الدعاء، فقال في دعائه: اللهم إن كان هذا – عبدك محمود – إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لك فانصره وأيده وملكه البلاد والعباد، وإن كان إنما قام رياءً وسمعةً وطلباً للدنيا ولتكون كلمته هي العليا وليذل الإسلام وأهله فاخذله وزلزله ودمره واقطع دابره، قال: وقازان يؤمّن على دعائه ويرفع يديه، قال: فجعلنا نجمع ثيابنا خوفاً من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله، قال: فلما خرجنا من عنده قال له قاضي القضاة نجم الدين بن صرصري وغيره: كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك والله لا نصحبك من هنا، فقال: وأنا والله لا أصحبكم، قال: فانطلقنا عصبةً وتأخر هو في خاصة نفسه ومعه جماعة من أصحابه فتسامعت به

الخواقين والأمراء من أصحاب قازان فأتوه يتبركون بدعائه وهو سائر إلى دمشق وينظرون إليه، قال: والله ما وصل إلى دمشق إلا في نحو ثلثمائةٍ فارس في ركابه وكنت أنا من جملة من كان معه، وأما أولئك الذين أبوا أن يصحبوه فخرج عليهم جماعة التتر فشلحوهم عن آخرهم". أ.هـ

وهذا غيض من فيض وقطرة من بحر من نماذج العلماء ومواقفهم عبر العصور من الصحابة والتابعين وأتباعهم من سلف الأمة ومن سار على دربهم إلى يومنا هذا، فالبلاء والاختبار والامتحان دليل صدق وصلابة في الدين، وقد قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاءً؟ قال: ((الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل من الناس، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة)). [رواه أحمد (١٤٨١) وغيره وصححه جماعة وإسناده حسن].

قال ابن الأثير في النهاية: "أي الأشرف فالأشرف والأعلى فالأعلى في الرتبة والمنزلة يقال هذا أمثل من هذا أي أفضل وأدنى إلى الخير وأماثل الناس خيارهم". أ.هـ

وقال ابن الجوزي رحمه الله في "مناقب الإمام أحمد (٤٢٢-٤٢٣)": "وما زال الناس يبتلون في الله تعالى ويصبرون، وقد كانت الأنبياء تقتل، وأهل الخير في الأمم السابقة يقتلون ويحرقون وينشر أحدهم بالمنشار وهو ثابت على دينه، وقد سُمَّ نبينا ﷺ وأبو بكر، وقتل عمر وعثمان وعلي، وسُمَّ الحسن وقتل الحسين بن علي وابن الزبير والضحاك بن قيس والنعمان بن بشير وصلب خبيب بن عدي، وقَتَلَ الحجاجُ عبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الله بن غالب الحداني وسعيد بن جبير وأبا البختري الطائي وكميل بن زياد وحطيطاً الزيات وماهان الحنفي صلب، وصلب قبله ابن الزبير، وقَتَلَ الواثقُ أحمد بن نصر الخزاعي وصلبه، فأما من ضُرِبَ من كبار العلماء: فعبد الرحمن بن أبي ليلى ضربه الحجاج أربعمائة سوط ثم قتله، وخبيب بن عبد الله بن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد مائة سوط، فكان

عمر إذا قيل له: ابشر قال: كيف بخبيبٍ على الطريق، وأبو الزناد ضربه بنو أمية، وأبو عمرو بن العلاء ضربه بنو أمية خمسمائة سوط، وربيعة الرأي ضربه بنو أمية، وعطية العوفي ضربه الحجاج أربعمائة سوط، ويزيد الضبّي ضربه الحجاج أربعمائة سوط، وثابت البناني ضربه ابن الجارود خليفة ابن زياد، وعبد الله بن عوف ضرب بلال بن أبي بردة سبعين سوطاً، ومالك بن أنس ضربه المنصور سبعين سوطاً في يمين المكره.. وكان مالك يقول: لا تلزمه اليمين، وأبو السوار العدوي وعقبة بن عبد الغافر ضربا بالسياط، ولأحمد ابن حنبل في هؤلاء أسوة".أ.هـ

وقال أيضاً رحمه الله في "مناقب الإمام أحمد (٤٢١-٤٢٢)": "دخل الحارث بن مسكين على الإمام أحمد فقال له: أخبرني يوسف بن عمر بن يزيد عن مالك بن أنس: أن الزهري سُعِيَ به حتى ضرب بالسياط، فقيل لمالك بعد ذلك: إن الزهري قد أقيم للناس وعلقت كتبه في عنقه، فقال مالك: قد ضرب سعيد بن المسيب بالسياط وحلق رأسه ولحيته، وضرب أبو الزناد بالسياط، وضرب محمد بن المنكدر وأصحاب له في حمام بالسياط، قال: وقال عمر بن عبد العزيز: لا تغبطوا أحداً لم يصبه في هذا الأمر أذى، فأعجب أحمد بقول الحارث". أ.هـ

وقد قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية:

لا توحشنك غربة بين الـــــــورى ... فالناس كالأموات في الحـــــــيَّان
أو ما علمت بأن أهل السنـــــــة ... الغرباء حقاً عند كل زمـــــــان
قل لي متى سلم الرسول وصحـــبـــه ... والتـابعـون لهـم عـلـى الإحســـان
من جاهلٍ ومعاند ومنـــــــافق ... ومحارب بالبغي والطغيـــــــان
وتظن أنك وارث أنّى ومـــــــا ... ذقـت الأذى في نصـــرة الـرحمـن
منَّتك والله المحال النفس فاســتحدث ... سوى ذا الرأي والحسبـــــــان
لو كنت وارثـــــــه لآذاك الألى ... ورثوا عداه بسائر الألـــــــوان

فالذي يزعم أنه وارث النبي ﷺ وهو لا يبتلى ولا يؤذى، بل يترقى من منصب إلى آخر، في زعمه نظر ودعواه كاذبة.

وقد قيل للشافعي: "يبتلى الرجل خير له أم يمكن؟ قال: لا يمكن حتى يبتلى".

وقال ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين (٥/٥٤١)": "ولعمر الله لقد مني من هذا بما مني به من سلف من الأئمة المرضيين، فما أشبه الليلة بالبارحة للناظرين، فهذا مالك بن أنس توصل أعداؤه إلى ضربه بأن قالوا للسلطان: إنه يحل عليك أيمان البيعة فتواه أن يمين المكره لا تنعقد، وهم يحلفون مكرهين غير طائعين، فمنعه السلطان فلم يمتنع لما أخذه الله في الميثاق على من آتاه الله علماً أن يبينه للمسترشدين، ثم تلاه على أثره محمد بن إدريس الشافعي فوشى به أعداؤه إلى الرشيد أنه يحل أيمان البيعة فتواه أن اليمين بالطلاق قبل النكاح لا تنعقد ولا تطلق إن تزوجها فهي طالق، وتلاهما على آثارهما شيخ الإسلام فقال حساده: هذا ينقض عليكم أيمان البيعة، فما فتَّ ذلك في عضد أئمة الإسلام ولا ثنى عزماتهم في الله وهممهم ولا صدهم ذلك عما أوجب الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤]". أ.هـ

فقول هذا المدعي بأني أو بأن هؤلاء يطعنون في علماء هذه البلاد، فأقول:

هناك فرق بين علماء هذه البلاد – أي جزيرة العرب –، وبين علماء الأسر والعوائل والموظفين عندها والمشرعين والمرقعين لها؛ فأما علماء جزيرة العرب وغيرها من بلاد المسلمين ممن هم على الهدى من كل صاحب سنة شهدت له أهل الحديث وعسكر القرآن ممن قال الحق وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وما داهن في دين الله ولم يخش في الله لومة لائم؛ فهؤلاء على العين والرأس، نحبهم ونواليهم وندعو لهم في كل الأزمنة والعصور، رحمهم الله أجمعين وثبَّت الأحياء منهم على الحق حتى يلقوه، وكما قال في الكافية الشافية:

وجنودهم جبريل مع ميكـــــال مع باقي الملائك ناصري القـــــرآن
وجميع رسل الله من نـــــوع إلى خير الورى المبعوث من عـدنان
فالقلب خمستهم أولوا العـــزم الألى في سورة الشورى أتو ببيـــــان
في أول الأحزاب أيـــــضاً ذكرهم هم خير خلق الله من إنســـــان
ولواؤهم بيد الرسول محمـــــد والكل تحت لواء ذي الفرقـــــان
وجميع أصحاب الرسول عصابـــة الإسلام أهل العلم والإيمـــــان
والتابعون لهم بإحســـــان على طباقتهم في سائر الأزمـــــان
أهل الحديث جميعهم وأئمـــــة الفتوى وأهل حقائق العرفـــــان
العارفون بربهم ونبيهـــــم ومراتب الأعمال في الرجحـــــان
سلفية سنية نبويـــــة ليسوا أولي شطح ولا هذيـــــان
هذا كلامهم لدنيا حاضـــــر من غير ما كذب ولا كتمـــــان
فاقبل حوالة من أحـــــال عليهم هم أملياء وصاحبو إمكـــــان

وأما أحبار السوء، وشيوخ الضلالة والبدعة، والشياطين الناطقة والخرساء، واللاهثين وراء المناصب والأموال ولو على حساب دينهم؛ فنبغضهم، ولا نأخذ ديننا منهم، ونحذر منهم، وكما قال القحطاني:

آثرتم الدنيا على أديانكـــــم لا خير في دنيا بلا أديـــــان
وفتحتم أفواهكم وبطونكـــــم فبلعتم الدنيا بغير تـــــوان
كذبتم أقوالكم بفعالكـــــم وحملتم الدنيا على الأديان
قراؤكم قد أشبهوا فقهـــــاءكم فئتان للرحمن عاصيتـــــان
يتكالبان على الحرام وأهلـــــه فعل الكلاب بجيفة اللحمان

يقول ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين (٤٢٨/٣)": "ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله ﷺ وبما كان هو عليه وأصحابه، رأى أن أكثر من يشار إليهم بالدين هم أقل الناس ديناً والله المستعان! وأي دين، وأي خير، فيمن يرى محارم الله تنتهك، وحدوده تضاع، ودينه يترك، وسنة رسول الله ﷺ يرغب عنها، وهو بارد القلب ساكت اللسان شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق! وهل بليّة الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين، وخيارهم المتحزن المتلمظ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله؛ بذل وتبذل، وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه.

وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم قد بلوا في الدنيا بأعظم بليّة تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب؛ فإن القلب كلما كانت حياته أتمّ، كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل". أ.هـ

وهؤلاء كما قال ابن القيم في الكافية الشافية:

وشـــرارهم علماؤهم هم شـــر خلـــــــــق الله آفـــــة هذه الأكـــــوان

وقد قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن أكثر منافقي أمتي قراؤها)). [رواه أحمد (٦٦٣٤،٦٦٣٣) وإسناده حسن].

ومن ينظر في هذه الأوراق وهذه الدعاوى يجد أن المحصلة منها تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعطيل الشريعة وشعيرة الجهاد، لأنها ربطت كلها بالأسرة والعائلة التي تحكم بالمجموعة التي انتقتها لكي تفتي، وسمّوها بالهيئة، وسمّوا أعضاءها (بالكبار)، وقالوا (لا يُفتى والهيئة في البلاد)، واستشهدوا بقول "لا يُفتى ومالك في المدينة"، وكأن هذا القول آيةٌ قرآنيةٌ أو حديثٌ نبويٌ أو إجماعٌ من أهل العلم، وما علموا أن قائله أسرة سابقة، ثم عاقبوا من يفتي أو يتكلم بخلاف ما تقوله هذه الهيئة أو تلك، وهذا ظلم وعدوان؛ فالعلم فضل الله

يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم، ورحمته يختص بها من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، من طلبه وجدَّ في تحصيله وحفظ وقرأ وبحث وطلب وجالس أهله بالركب عُدَّ من أهله، وليس الأمر بمنحةٍ ملكية أو أميرية، ولا يحتاج صاحبه ختماً على جبهته من (آل فلان أو علان)، وليس هو بالوراثة، وقد كان بعض التابعين يفتي بحضرة الصحابة، وهكذا عبر الأزمنة، وقد قال الناظم رحمه الله في ألفية الحديث:

ومن يحدث وهناك أولـــــــــــى فـليـس كـرهـا أو خـلاف الأولى
هـذا هو الأرجح والصـــــــواب عهد النبي حدث الصحـــــــــاب
وفي الصـــحـاب حـدث الأتبـاع يكاد فيه أن يرى الإجمـــــــــاع

وإلزام الناس بهيئة معينة أو شخصٍ معين بأخذ أقوالهم وعدم الخروج عليها أو مخالفتها بلا حجة ولا برهان هو الاستبداد بعينه، وقد حصل بسبب مثل هذا الفساد العظيم عبر التاريخ عندما جاء بعض الأمراء والأفراد والفرق والطوائف وفرضوا على الناس رأيهم المنحرف والباطل وتأويلهم الفاسد بلا حجة ولا دليل، وأوجبوا على الناس ما لم يوجبه الله ورسوله، أو أحلوا ما حرمه الله أو حرموا ما أحله الله ورسوله، خصوصاً إذا اجتمع السلطان وشيوخه وقضاته وجنوده على ذلك، وغالب الفتن خرجت من قصور المستبدين،كما قال معاوية رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((يكون أمراء فلا يرد عليهم قولهم يتهافتون في النار يتبع بعضهم بعضاً)) [رواه أبو يعلى كما في المطالب العالية (٤٣٤٨)].

وعن أبي قبيل قال: خطبنا معاوية في يوم جمعة فقال: "إنما المال مالنا، والفيء فيئنا، من شئنا أعطينا، ومن شئنا منعنا، فلم يرد عليه أحد، فلما كانت الجمعة الثانية قال مثل مقالته فلم يرد عليه أحد، فلما كانت الجمعة الثالثة قال مثل مقالته فقام إليه رجل ممن شهد المسجد فقال: كلا، بل المال مالنا والفيء فيئنا، من حال بيننا وبينه حاكمناه بأسيافنا، فلما صلى أمر بالرجل فأدخل عليه فأجلسه معه علي السرير، ثم أذن للناس فدخلوا عليه، ثم قال: أيها الناس إني تكلمت في أول جمعة فلم يرد عليَّ أحد، وفي الثانية لم يرد عليَّ أحد، فلما كانت

الثالثة أحياني هذا أحياه الله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((سيأتي قوم يتكلمون فلا يرد عليهم، يتقاحمون في النار تقاحم القردة)) فخشيت أن يجعلني الله منهم، فلما رد هذا علي أحياني أحياه الله، ورجوت أن لا يجعلني الله منهم" [١].

وكما قال الذهبي رحمه الله في "السير (١٥٩/٣)": "ومعاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم وما هو ببريء من الهنات والله يعفو عنه)". أ.هـ

فانظر إلى معاوية ورجوعه وإخباره بهذا الحديث ولما جاء من بعده لم يكن ليرجع ويقف، بل ينظر على أن كلمته قد ألقيت في الأرض وهو الحاكم الذي عنده وعنده فتأخذه العزة بالأثم ويؤزه من حوله فيحصل بذلك شرً عظيم، وكما قال أبو سعيد وأبو هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتحضّه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضّه عليه، والمعصوم من عصم الله)). [رواه البخاري (٧١٩٨)].

وكما قال عمر رضي الله عنه: "قد علمت متى تهلك العرب ورب الكعبة إذا ولي أمرهم من لم يصحب الرسول ﷺ ولم يعالج أمر الجاهلية". [رواه ابن سعد في الطبقات، والحاكم في المستدرك وصححه المستدرك (٨٣٩٨)].

وقد قال ذو عمرو لجريرٍ البجلي: "يا جرير، إن بك علي كرامة، وإني مخبرك خبراً: إنكم معشر العرب لن تزالوا بخير ما كنتم إذا أهلك أمير تأمرتم آخر، فإذا كانت بالسيف كانوا ملوكاً يغضبون غضب الملوك ويرضون رضا الملوك". [رواه البخاري (٤٣٥٩)].

وعن يوسف بن ماهك رحمه الله قال: "كان مروان على الحجاز استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق

---

[١] رواه أبو يعلى كما في المطالب العالية (٤٣٤٩) والطبراني في الكبير والأوسط وقال الهيثمي:رجاله ثقات أ.هـ، وإسناده حسن.

شيئاً – وفي رواية الإسماعيلي فقال عبد الرحمن: ما هي إلا هرقلية، ولابن المنذر أجئتم بها هرقلية تبايعون لأبنائكم –، فقال: خذوه. فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾ [الأحقاف: ١٧]. فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا ما أنزل في سورة النور من براءتي". [رواه البخاري (٤٨٢٧)].

وعند أبي يعلى: قال مروان: "إن الله قد أرى أمير المؤمنين رأيا حسناً في يزيد وأن يستخلفه، فقد استخلف أبو بكر وعمر، فقال عبد الرحمن: هرقلية، إن أبا بكر ما جعلها في أحدٍ من ولده ولا في أهل بيته، وما جعلها معاوية إلا كرامة لولده".

وللإسماعيلي: فقال مروان: "سنة أبي بكر وعمر، فقال عبد الرحمن: سنة هرقل وقيصر" أ.هـ [ذكر هذه الألفاظ ابن حجر في الفتح عند الحديث رقم (٤٨٢٧)].

فانظر إلى مروان الذي قال عنه الذهبي في "الميزان ترجمة رقم (٧٩٣٣)": "وله أعمال موبقة نسأل الله السلامة رمى طلحة بسهمٍ وفعل وفعل". أ.هـ. انظر كيف بحكم الإمارة ينسب إلى أبي بكر وعمر ما لم يفعلاه ويقولاه ويفسر القرآن على غير وجهه، وقد كُذِّبَ من عائشة وعبد الرحمن ابنا أبي بكر الصديق، وقد جاء من بعدهم، ووصل الحال بالبعض إلى اختلاق الأحاديث ووضعها للأمراء تمشية لأمورهم، وقد قال الناظم رحمه الله في ألفية الحديث:

والواضعون بعضهم ليفسدا ... ديناً وبعضٌ نصر رأي قصدا
كذا تكسباً وبعض قد روى ... للأمراء ما يوافق الهوى

وقد حصل التأويل الخاطئ عن اجتهاد وسوء تقدير وفهم، ثم جاءت التأويلات الفاسدة والمنحرفة عن بغيٍ وظلم وطغيان، وحصل من جرّاء ذلك الفساد الكبير والعريض، يقول ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين (٦/١٨٨-١٨٩)": "وبالجملة فافتراق أهل الكتابين

وافتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إنما أوجبه التأويل، وإنما أريقت دماء المسلمين يوم الجمل وصفين والحرة وفتنة ابن الزبير وهلم جرّا بالتأويل، وإنما دخل أعداء الإسلام من المتفلسفة والقرامطة والباطنية والإسماعيلية والنصيرية من باب التأويل، فما امتحن الإسلام بمحنة قط إلا وسببها التأويل، فإن محنته إما من المتأولين وإما ممن يسلط عليهم الكفار بسبب ما ارتكبوا من التأويل وخالفوا ظاهر التنزيل وتعللوا بالأباطيل، فما الذي أراق دماء بني جذيمة وقد أسلموا غير التأويل حتى رفع رسول الله ﷺ يديه وتبرأ إلى الله من فعل المتأول بقتلهم وأخذ أموالهم، وما الذي أوجب تأخر الصحابة رضي الله عنهم يوم الحديبية عن موافقة رسول الله ﷺ غير التأويل حتى اشتد غضبه لتأخرهم عن طاعته حتى رجعوا عن ذلك التأويل، وما الذي سفك دم أمير المؤمنين عثمان ظلماً وعدواناً وأوقع الأمة فيما أوقعها فيه حتى الآن غير التأويل، وما الذي سفك دم علي رضي الله عنه وابنه الحسين وأهل بيته رضي الله تعالى عنهم غير التأويل، وما الذي أراق دم عمار بن ياسر وأصحابه غير التأويل، وما الذي أراق دم ابن الزبير وحُجْر بن عدي وسعيد بن جبير وغيرهم من سادات الأمة غير التأويل، وما الذي أريقت عليه دماء العرب في فتنة أبي مسلم غير التأويل، وما الذي جرّد الإمام أحمد بين العقابين وضرب السياط حتى عجت الخليقة إلى ربها تعالى غير التأويل، وما الذي قتل الإمام أحمد بن نصر الخزاعي وخلّد خلقاً من العلماء في السجون حتى ماتوا غير التأويل، وما الذي سلط سيوف التتار على دار الإسلام حتى ردّوا أهلها غير التأويل، وهل دخلت طائفة الإلحاد من أهل الحلول والإتحاد إلا من باب التأويل، وهل فتح باب التأويل إلا مضادةً ومناقضةً لحكم الله في تعليمه عبادة البيان الذي امتنَّ الله في كتابه على الإنسان بتعليمه إياه، فالتأويل بالألغاز والأحاجي والأغلوطات أولى منه بالبيان والتبيين، وهل فرق بين دفع حقائق ما أخبرت به الرسل عن الله وأمرت به بالتأويلات الباطلة المخالفة له وبين رده وعدم قبوله، ولكن هذا رد جحود ومعاندة وذاك رد خداع ومصانعه". أ.هـ

ويقول رحمه الله في "الكافية الشافية في الانتصار للفرقه الناجية" تحت فصل بعنوان (فصل في جناية التأويل على ما جاء به الرسول والفرق بين المردود منه والمقبول):

هذا وأصل بلية الإســـــــلام من تأويل ذي التحريف والبطـــــــلان
وهو الذي قد فرق السبعـــــين بل زادت ثلاثاً قول ذي البرهـــــــان
وهو الذي قتل الخليفة جامـــــــع القرآن ذا النورين والإحســـــــان
وهو الذي قتل الخليفة بعـــــــده أعني علياً قاتل الأقـــــــــران
وهو الذي قتل الحسين وأهلـــــــه فغدوا عليه ممزقي اللحمـــــــان
وهو الذي في يوم حرَّتهم أبـــــاح حمى المدينة معقل الإيمـــــان
حتى جرت تلك الدماء كأنهـــــا في يوم عيد سنة القربـــــــان
وغدا له الحجاج يسفكها ويقتـــل صاحب الإيمان والقـــــــرآن
وجرى بمكة ما جرى من أجلـــــها من عسكر الحجاج ذي العـــدوان
وهو الذي أنشا الخوارج مثلـــــما أنشا الروافض أخبث الحيـــــوان
ولأجله شتموا خيار الخـــلق بـعد الرسل بالعدوان والبهتـــــــان
ولأجله سل البغـــاة سيوفهـــــم ظناً بأنهم ذوو إحســـــــــان
ولأجله قد قال أهل الاعتـــــزال مقالة هدّت قوى الإيمـــــــان
ولأجله قالوا بـــأن كلامـــــــه سبحانه خلق من الأكـــــــوان
لأجله قد كـــذبت بقضائـــــــه شـــبـه المجوس العـابـدي النيران
ولأجله قد خلدوا أهـــل الكبـــائر في الجحيم كعابدي الأوثـــــان
ولأجله قد أنكـــــروا لشفاعـــــة المختار فيهم غاية النكـــــران
ولأجله ضرب الإمام بسوطهـــــم صديق أهل السنة الشيبـــــاني
لأجله قتل ابن نصرٍ أحمـــــــد ذاك الخزاعي العظيم الشـــــان
وهو الذي جر القرامطـــــة الألى يتأولون شرائع الإيمـــــــان
وهو الذي جر النصير وحزبـــــه حتى أتوا بعساكر الكفـــــران
فجرى على الإسلام أعظم محنـــــةٍ وخمارها فينـــــــا إلى ذا الآن

وجميع ما في الكون من بدعٍ وأحداث تخالف مـــــوجب القـــــرآن
فأساسها التأويل ذو البطـــــلان لا تأويل أهل العـــــــــلم والإيمان
إذ ذاك تفسير المراد وكشفـــــــــه وبيان معناه إلى الأذهـــــــــان

ومن التأويلات الفاسدة: أن علماء السلاطين وأحبار السوء كانوا وما زالوا مرجئةً مع الطغاة العتاة، وخوارج على العلماء والدعاة، والإرجاء هو كما قال أحد أهل العلم حين سأله أحد الخلفاء عنه فقال: "دين يعجب الملوك، وكما قال في الكافية الشافية:

وكذلك الإرجاء حين تقـــــــر بالـ ـــمعبود تصبح كامل الإيمـــــان
فارم المصاحف في الحشوش وخـــرِّب البيت العتيق وجد في العصـــــيان
واقتل إذا ما اسطعت كل موحـــــدٍ وتمسّحن بالقسّ والصلبـــــــان
واشتم جميع المرسلين ومن أتـــــوا من عنده جهراً بلا كتمـــــــان
وإذا رأيت حجارة فاسجد لهـــــا بل خرّ للأصنام والأوثـــــــان
وأقـــــر أن الله جـــــل جلالـــه هو وحده الباري لذي الأكـــــوان
وأقر أن رسولـــــه حقـــاً أتـــى من عنده بالوحي والقـــــــرآن
فتكون حقاً مؤمناً وجميـــــــع ذا وزر عليك وليس بالكفـــــــران
هذا هو الإرجـــــاء عند غلاتهـم من كل جهمي أخي الشيـــــطان

فمهما رأوا من الأمراء والملوك والظلمة والأسر والعوائل المستبدّة من طغيان وظلم وعسف ودواهي وموبقات وكبائر وكفريات وشركيات؛ يحسنون لهم ذلك، ويوجدون لهم المخارج ويعينونهم على ما هم فيه ويدخلون عليهم ويصدقونهم بكذبهم ويصدرون لهم الفتاوى التي تُشْرعَنْ لهم المضيّ في ذلك، وغالب شيوخ الحكومات المعاصرة هم على هذا المذهب الملعون مع الحكام في دويلاتهم، وكما قال في الكافية الشافية:

الله أكبر كم على ذا المذهب المـــــ ـــلعون بين النـــاس من شيخـــان

يبغون منهم دعوةً ويقبّلـــــــــون أيادياً منهم رجا الغفـــــــــران
لو أنهم عرفوا حقيقة أمرهـــــــم رجموهم لا شك بالصـــــــوان
فابذر لهم إن كنت تبغي كشـفهـــم وافرش لهم كفاً من الأتبـــــــان
واظهر بمظهر قابلٍ منهـــــــم ولا تظهر بمظهر صاحب النكـــــران

فعلام يلزمني هذا المدعي والمباحث والذين يأتمرون بأمره من عائلة آل سعود بهيئة كذا وشيوخ كذا وقول كذا بلا حجة ولا برهان، وهل إذا لقيت الله وأنا لا أعترف بهذه الهيئة أو ذاك الشيخ أياً كان اسمه ولا آخذ علمي ولا ديني منه هل أكفر بذلك؟! وهل يسألني الملكان في القبر عنهم أم يقال لي: (من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟)؟! وهل إذا عرفت ربي وديني ونبيي عبر كتابه وسنة رسول الله ﷺ وكتب الإسلام ودواوينه واتبعت وما ابتدعت ولم أقل بقول إلا ولي فيه إمام من الخلفاء الراشدين وأصحاب نبيه وأعلام الإسلام المعتبرين واتبعت سبيل المؤمنين ولقيت الله بذلك وما عرفت آل فلان ولا شيوخهم ولا مفتيهم الأكبر، هل سيحاسبني الله على ذلك؟! وهل الشيخ ابن فلان وابن علان أصل لمعرفة الهدى؟! وكما قال الشاعر:

من عـاش في الـدنيـا ولم يعرفهمـا وأقر بالإسـلام والفرقـــــــان
أفمسلم هو عندكم أم كافـــــــر أم عـاقـل أم جـاهـل أم واني

يقول ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين (٣/٥٢٣-٥٢٤)": "وأما هؤلاء الخلف فعكسوا الطريق، وقلبوا أوضاع الدين، فزيفوا كتاب الله وسنة رسوله وأقوال خلفائه وجميع أصحابه، فعرضوها على أقوال من قلدوه، فما وافقها منها قالوا لنا وانقادوا له مذعنين، وما خالف أقوال متبوعيهم منها قالوا: احتج الخصم بكذا وكذا ولم يقبلوه ولم يدينوا به، واحتال فضلاؤهم في ردها بكل ممكن، وتطلبوا لها وجه الحيل التي تردها، حتى إذا كانت موافقة لمذاهبهم وكانت تلك الوجوه بعينها قائمة فيها شنعوا على منازعهم وأنكروا عليه ردها بتلك الوجوه بعينها، وقالوا: لا ترد النصوص بمثل هذا. ومن له همةً تسمو إلى الله ومرضاته، ونصر

الحق الذي بعث الله به رسوله، أين كان ومع من كان؛ لا يرضى لنفسه بمثل هذا المسلك الوخيم والخلق الذميم". أ.هـ

ويقول في الكافية الشافية:

كم ذا التلاعب منكم بالـــــدين و ... الإيمان مثل تلاعب الصبيـــــان
خسفت قلوبكم كما كسفـــت عقـ ... ـــولكم فلا تزكو على القـــــرآن
فترى الموحد حين يسمع قولهـــــم ... ويراهم في محنـــــــــةٍ هوان
وارحمتاه لعينه ولأذنـــــــــه ... يا محنة العينـــــــين والآذان
إن قال حقاً كفّـــــــروه وإن يقـ ... ـــولوا باطلاً نسبـوه للإيمـــان
حتى إذا ما ردَّه عادوه مثـــــل ... عداوة الشيطـــان للإنســـان
قالوا له خالفت أقوال الشيـــــوخ ... ولم يبالوا الخلـــف للفرقـــان
خالفت أقوال الشيوخ فأنتـــــم ... خالفتم من جاء بالقـــــرآن
خالفتم قول الرسول وإنمـــــا ... خالفت مِنْ جرَّاه قول فـــــلان
ياحبَّذا ذاك الخلاف فإنـــــه ... عين الوفاق لطاعة الرحمـــن
أو ما علمت بأن أعداء الرســـول ... عليه عابوا الخلف بالبهتـــان
لشيوخهم ولما عليه قد مضـــى ... أسلافهم في سالف الأزمـــان
ما العيب إلا في خلاف النـــص لا ... رأي الرجال وفكرة الأذهـــان
أنتم تعيبونا بهـــــذا وهو من ... توفيقنا والفضل للمنـــــان
فليهنكم خلف النصـــوص ويهننا ... خلف الشيوخ أيستوي الخلفـــان
والله ما تسوى عقول جميـــع أهل ... الأرض نصاً صح ذا تبيـــان
حتى نقدمها عليه معرضيـــــن ... مؤولين محرفي القـــــرآن
والله إن النص فيما بيننـــــا ... لأجلُّ من آراء كل فـــــلان

والله لم ينقم علينا منكـــــــــــم أبداً خلاف النص من إنســـــــان

وقال ابن القيم في "إعلام الموقعين (١٦٢/٦)": "هل تجوز الفتيا لمن عنده كتب الحديث: إذا كان عند الرجل الصحيحان أو أحدهما أو كتاب من سنن رسول الله ﷺ موثوق بما فيه فهل له أن يفتي بما يجده فيه؟ فقالت طائفة من المتأخرين: ليس له ذلك لأنه قد يكون منسوخاً، أو له معارض، أو يفهم من دلالته خلاف ما يدل عليه، أو يكون أمر ندب فيفهم منه الإيجاب، أو يكون عاماً له مخصص، أو مطلقاً له مقيد، فلا يجوز له العمل ولا الفتيا به حتى يسأل أهل الفقه والفتيا.

وقالت طائفة: بل له أن يعمل به ويفتي به، بل يتعين عليه كما كان الصحابة يفعلون إذا بلغهم الحديث عن رسول الله ﷺ، وحدث به بعضهم بعضاً بادروا إلى العمل به من غير توقف ولا بحث عن معارض، ولا يقول أحد منهم قط: هل عمل بهذا فلان وفلان ولو رأوا من يقول ذلك لأنكروا عليه أشد الإنكار، وكذلك التابعون، وهذا معلوم بالضرورة لمن له أدنى خبرةٍ بحال القوم وسيرتهم.

وطول العهد بالسنة وبعد الزمان وعتقها لا يسوغ ترك الأخذ بها والعمل بغيرها.

ولو كانت سنن رسول الله ﷺ لا يسوغ العمل بها بعد صحتها حتى يعمل بها فلان أو فلان، لكان قول فلان أو فلان عياراً على السنن ومزكياً لها وشرطاً في العمل بها، وهذا من أبطل الباطل.

وقد أقام الله الحجة برسوله دون آحاد الأمة، وقد أمر النبي ﷺ بتبليغ سنته، ودعا لمن بلغها، فلو كان من بلغته لا يعمل بها حتى يعمل بها الإمام فلان والإمام فلان لم يكن في تبليغها فائدة وحصل الاكتفاء بقول فلان وفلان".أ.هـ

فكيف إذا كان طالب العلم أو العالم يحفظ الالآف من الأحاديث والآثار وأهم المنظومات في علوم الآلة من نحو وصرف ومصطلح وأصول فقه... إلخ، فكيف يقول قائل

بأنه يلزمه قول فلان أو هيئة كذا وكذا، وهو يقول ما أنا بدون أولئك فهم رجال ونحن رجال..

يقول ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين (٦/٢٠٣-٢٠٥)": "وهل يلزم العامي أن يتمذهب ببعض المذاهب المعروفة أم لا؟ فيه مذهبان:

أحدهما: لا يلزمه، وهو الصواب المقطوع به، إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله، ولم يوجب الله ولا رسوله على أحد من الناس أن يتمذهب بمذهب رجل من الأمة فيقلّده دينه دون غيره، وقد انطوت القرون الفاضلة مبرأةً مبرأً أهلها من هذه النسبة، بل لا يصح للعامي مذهب ولو تمذهب به، فالعامي لا مذهب له لأن المذهب إنما يكون لمن له نوع نظر واستدلال، ويكون بصيراً بالمذاهب على حسبه، أو لمن قرأ كتاباً في فروع ذلك المذهب وعرف فتاوى إمامه وأقواله، وأما من لم يتأهل لذلك البتّة بل قال: أنا شافعي أو حنبلي أو غير ذلك لم يصر كذلك بمجرد القول كما لو قال: أنا فقيه أو نحوي أو كاتب، لم يصرّ كذلك بمجرد قوله، يوضحه أن القائل إنه شافعي أو مالكي أو حنفي يزعم أنه متبع لذلك الإمام، سالك طريقه، وهذا إنما يصح له إذا سلك سبيله في العلم والمعرفة والاستدلال، فأما مع جهله وبعده جداً عن سيرة الإمام وعلمه وطريقه فكيف يصح له الانتساب إليه إلا بالدعوى المجردة والقول الفارغ من كل معنى؟

والعامي لا يتصور أن يصح له مذهب، ولو تصور ذلك لم يلزمه ولا لغيره، ولا يلزم أحدا قط أن يتمذهب بمذهب رجل من الأمة بحيث يأخذ أقواله كلها ويدع أقوال غيره، وهذه بدعة قبيحة حدثت في الأمة، لم يقل بها أحد من أئمة الإسلام، وهم أعلى رتبة وأجل قدرا وأعلم بالله ورسوله من أن يلزموا الناس بذلك.

وأبعد منه قول من قال: يلزمه أن يتمذهب بمذهب عالم من العلماء، وأبعد منه قول من قال: يلزمه أن يتمذهب بأحد المذاهب الأربعة.

فيالله العجب، ماتت مذاهب أصحاب رسول الله ﷺ ومذاهب التابعين وتابعيهم وسائر أئمة الإسلام، وبطلت جملة إلا مذاهب أربعة أنفس فقط من بين سائر الأئمة والفقهاء، وهل قال ذلك أحد من الأئمة أو دعا إليه أو دلت عليه لفظة واحدة من كلامه عليه؟

والذي أوجبه الله تعالى ورسوله على الصحابة والتابعين وتابعيهم هو الذي أوجبه على من بعدهم إلى يوم القيامة، لا يختلف الواجب ولا يتبدل، وإن اختلفت كيفيته أو قدره باختلاف القدرة والعجز والزمان والمكان والحال، فذلك أيضا تابع لما أوجبه الله ورسوله.

ومن صحح للعامي مذهباً قال: هو قد اعتقد أن هذا المذهب الذي انتسب إليه هو الحق، فعليه الوفاء بموجب اعتقاده، وهذا الذي قاله هؤلاء لو صح للزم منه تحريم استفتاء أهل غير المذهب الذي انتسب إليه، وتحريم تمذهبه بمذهب نظير إمامه أو أرجح منه، أو غير ذلك من اللوازم التي يدل فسادها على فساد ملزوماتها، بل يلزم منه أنه إذا رأى نص رسول الله ﷺ أو قول خلفائه الأربعة مع غير إمامه أن يترك النص وأقوال الصحابة ويقدم عليها قول من انتسب إليه.

وعلى هذا فله أن يستفتي من شاء من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم، ولا يجب عليه ولا على المفتي أن يتقيد بأحد من الأئمة الأربعة بإجماع الأمة، كما لا يجب على العالم أن يتقيد بحديث أهل بلده أو غيره من البلاد، بل إذا صح الحديث وجب عليه العمل به حجازياً كان أو عراقياً أو شامياً أو مصرياً أو يمنياً... إلخ". أ.هـ

وكما قال الصنعاني رحمه الله في أبيات له:

سلام على أهل الحـــــــديث فإنني ... نشـــأت على حب الأحاديث من
هم بذلوا في حفظ سنة أحمـــــــد ... وتنقيحها من جهدهم غاية الجهـــــد
وأعني بهم أسلاف أمةِ أحمـــــــد ... أولئك في بيت القصيد هُمُ قصـــدي
أولئك أمثال البخاري ومسلـــــــم ... وأحمد أهل الجدّ في العلم والـــــجِد

بحور وحاشاهم عن الجزر إنمـــــــا لهم مدد يأتي من الله بالمـــــــــد
رووا وارتووا من بحر علم محمـــــــد وليست لهم تلك المـــــذاهب من ورد
كفاهم كتاب الله والسنة التـــــــي كفت قبلهم صـــحب الرســـول ذوي
أأنتم بأهدى أم صحابة أحمـــــــد وأهل الكسا هيهات ما الشوك كالـورد
أولئك أهدى في الطريقة منكـــــم فهم قدوتي حتى أُوسَّد في لحـــــدي
وشتان ما بين المقلّد في الهـــــدى ومن يقتدي والضد يعرف بالضـــــد
عـلام جعلتم أيها النـاس دينـــــا لأربعة لا شـك في فضلهـم عنـــدي
هم علمـاء الدين شرقـا ومغربـــــا ونور عيون الفضل والحق والزهـــــد
ولكنهـم كالنـاس ليس كلامـهـــــم دليـلا ولا تقليـدهم في غـد يجـــدي
ولا زعمـوا حاشـاهم أن قولـهـــــم دليل فيستهدي بـه كل مستهـــدي
بلـى صـرحوا أنّا نقـابل قولهـــــم إذا خـالف المنصوص بالقـدح والـــرد

فيا لله العجب من أناس ألزمونا بأقوالٍ من دون هؤلاء من شيوخ الأسر الحاكمة وهيئاتها، وألزمونا أيضاً بدساتير وضعية وأنظمةٍ وقوانين ما أنزل الله بها من سلطان، بل عاقبوا وجرّموا وحبسوا وضربوا من خالف ذلك، ولو كان لكتاب الله ولسنة رسوله ﷺ، وجعلوا طاعتهم مستقلة عن طاعة الله ورسوله لا تابعة لها، فالشرع ما شرعوه، والحلال ما حللوه، والحرام ما حرموه، فإذا اعترض معترض قالوا: "هذا النظام وهذه الأوامر والتعليمات من أولياء الأمور"، ونصبوا الحاكم إلهاً من دون الله يقول فلا يرد قوله ويشرع ما لم يأذن به الله وكما قيل:

هبلْ.. هبلْ..

رمز السخافة والخيانة والعمالة والدجل

هُتّافَةُ التهريج ما مَلُّوا الثَّناءْ

زَعموا له ما ليسَ عندَ الأنبياءْ

مَلَكٌ تجلْبَبَ بالضِّياء.. وجاءَ من كبدِ السماءْ

هو عبقري ملهم هو عالم ومعلم

ومن الجهالة ما قتـــل

وسعى القطيع غباوة ... يا للبطل!

وثن يقود جموعهم يا للخجل!

يقول ابن تيمية رحمة الله في "الفتاوى الكبرى (٢٠٧/١)": "إنما يجب على الناس طاعة الله ورسوله وهؤلاء أولو الأمر الذين أمر الله بطاعتهم في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، إنما تجب طاعتهم تبعاً لطاعة الله ورسوله لا استقلالا ثم قال: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وإذا نزلت بالمسلم نازلة فإنه يستفتي من اعتقد أنه يفتيه بشرع الله ورسوله من أي مذهب كان، ولا يجب على أحد من المسلمين تقليد شخص بعينه من العلماء في كل ما يقول، ولا يجب على أحدٍ من المسلمين التزام مذهب شخص معيّن غير الرسول ﷺ في كل ما يوجبه ويخبر به، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، واتّباع الشخص لمذهب شخص بعينه لعجزه عن معرفة الشرع من غير جهته إنما هو مما يسوغ له وليس هو مما يجب على كل أحد إذا أمكنه معرفة الشرع بغير ذلك الطريق، بل كل أحد عليه أن يتقي الله ما استطاع ويطلب علم ما أمر الله به ورسوله، فيفعل المأمور ويترك المحظور".أ.هـ

ويقول رحمه الله في "الفتاوى الكبرى (٣٤٧/٦)": "إنه لو فرض جواز التقليد أو وجوبه في مثل هذا لكان لمن يسوغ تقليده في الدين كالائحة المشهورين الذين أجمع المسلمون على

هدايتهم ودرايتهم، وهذا القول لم يقله أحد ممن يسوغ للمسلمين تقليده في فروع دينهم، فكيف يقلدونه في أصول دينهم التي هي أعظم من فروع الدين". أ.هـ

والطاعة المطلقة إنما تكون لله ولرسوله ﷺ، وقد جاءت الأحاديث المتكاثرة والمتواترة بأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل، وأن الطاعة إنما تكون في المعروف وبالمعروف، وأنه لا طاعة لمن عصى الله ولا طاعة لمن لم يطع الله.

وقد قال ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين (١٦/٢)": "والتحقيق أن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء، ولما كان قيام الإسلام بطائفتي العلماء والأمراء وكان الناس كلهم تبعاً، كان صلاح العالم بصلاح هاتين الطائفتين وفساده فسادهما، كما قال عبد الله بن المبارك وغيره من السلف: صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس، قيل من هم؟ قال: الملوك والعلماء.

وقال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوءٍ ورهبانها" أ.هـ

وقال أيضا في "إعلام الموقعين (٥٤١/٣)": "قولكم: إن الله سبحانه أمر بطاعة أولي الأمر وهم العلماء وطاعتهم تقليدهم فيما يفتون به فجوابه: أن أولي الأمر قد قيل: هم الأمراء، وقيل: هم العلماء، وهما روايتان عن الإمام أحمد، والتحقيق أن الآية تتناول الطائفتين وطاعتهم من طاعة الرسول، لكن خفي على المقلدين أنهم إنما يطاعون في طاعة الله إذا أمروا بأمر الله ورسوله، فكان العلماء مبلغين لأمر الرسول والأمراء منفذين له، فحينئذ تجب

طاعتهم تبعاً لطاعة الله ورسوله، فأين في الآية تقديم آراء الرجال على سنة رسول الله ﷺ وإيثار التقليد عليها؟...

– إلى أن قال – فإن قيل: فما هي طاعتهم المختصة بهم، إذ لو كانوا إنما يطاعون فيما يخبرون به عن الله ورسوله كانت الطاعة لله ورسوله لا لهم..؟

قيل: وهذا هو الحق، وطاعتهم إنما هي تبع لا استقلال، ولهذا قرنها بطاعة الرسول ولم يُعد العامل، وأفرد طاعة الرسول وأعاد العامل، لئلا يتوهم أنه إنما يطاع تبعاً كما يطاع أولو الأمر تبعاً، وليس كذلك، بل طاعته واجبة استقلالاً سواء كان ما أمر أو نهى عنه في القرآن أو لم يكن". أ.هـ

وقال في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية:

حق الإله عبادة بالأمـــــــــر لا ... بهوى النفوس فذاك للشيطـــــــان
من غير إشراك به شيئا همـــــــــا ... سببا النجاة فحبذا السببـــــــــان
ورسـوله فهو المطاع وقولـــــــه المـ ... ـقبول إذ هو صاحب البرهـــــــان
والأمر منه الحتم لا تـــــــخيير فيـ ... ـه عند ذي عقل وذي إيمـــــــان
من قال قولاً غيره قمنـــــــا على ... أقواله بالسبر والميـــــــــــزان
إن وافقت قول الرسول وحكمـــــه ... فعلى الرؤوس تشال كالتيجـــــان
أو خالفت هذا رددنـــــــاها على ... من قالها من كان من إنســـــــان
أو أشكلت عنا توقفنـــــــــا ولم ... نجزم بلا علم ولا برهـــــــــان
هذا الذي أدى إليه علمنـــــــــا ... وبه ندين الله كـــــــــل أوان
فهو المطاع وأمره العالـــــــي على ... أمر الورى وأوامر السلطـــــــان
وهو المقدم في محبتنـــــــا على الـ ... أهلين والأزواج والولـــــــدان
وعلى العبـاد جميعهم حتى على النـ ... ـفس التي قد ضمها الجنبـــــــان

يقول ابن تيمية رحمه الله في "الفتاوي الكبرى (٦/٣٣٨-٣٤١)": "ليس لأحد من الناس أن يلزم الناس ويوجب عليهم إلا ما أوجبه الله ورسوله، ولا يحظر عليهم إلا ما حظره الله ورسوله، فمن أوجب ما لم يوجبه الله ورسوله وحرم ما لم يحرمه الله ورسوله فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، وهو مضاهٍ لما ذمه الله في كتابه من حال المشركين وأهل الكتاب الذين اتخذوا ديناً لم يأمرهم الله به وحرموا ما لم يحرمه الله عليهم، وقد بين ذلك في سورة الأنعام والأعراف وبرآءة وغيرهن من السور.

ولهذا كان شعار أهل البدع إحداث قول أو فعل وإلزام الناس به وإكراههم عليه والموالاة عليه والمعاداة على شركه، كما ابتدعت الخوارج رأيها وألزمت الناس به ووالت وعادت عليه، وابتدعت الرافضة رأيها وألزمت الناس ووالت وعادت عليه، وابتدعت الجهمية رأيها وألزمت الناس به ووالت وعادت عليه لما كان لهم قوة في دولة الخلفاء الثلاثة الذين امتحن في زمنهم الأئمة لتوافقهم على رأي جهم الذي مبدؤه أن القرآن مخلوق وعاقبوا من لم يوافقهم على ذلك.

ومن المعلوم أن هذا من المنكرات المحرمة بالعلم الضروري من دين المسلمين، فإن العقاب لا يجوز أن يكون إلا على ترك واجب أو فعل محرم، ولا يجوز إكراه أحد إلا على ذلك، والإيجاب والتحريم ليس إلا لله ولرسوله، فمن عاقب على فعل أو ترك بغير أمر الله ورسوله وشرع ذلك ديناً؛ فقد جعل لله نداً ولرسوله نظيراً، بمنزلة المشركين الذين جعلوا لله أنداداً، أو بمنزلة المرتدين الذين آمنوا بمسيلمة الكذاب، وهو ممن قيل فيه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

ولهذا كان أئمة أهل السنة والجماعة لا يلزمون الناس بما يقولونه من موارد الاجتهاد، ولا يكرهون أحداً عليه، ولهذا لما استشار هارون الرشيد مالك بن أنس في حمل الناس على موطأه، قال له: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في الأمصار فأخذ كل قوم ممن كان عندهم، وإنما جمعت علم أهل بلدي. - أو كما قال -.

وقال مالك أيضاً: إنما أنا بشر أصيب وأخطئ، فأعرضوا قولي على الكتاب والسنة.

وقال أبو حنيفة: هذا رأي، فمن جاءنا برأي أحسن منه قبلناه.

وقال الشافعي: إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط. وقال: إذا رأيت الحجة موضوعة على الطريق فإني أقول بها.

وقال المزني في أول مختصره: هذا كتاب اختصرته من علم أبي عبد الله الشافعي لمن أراد معرفة مذهبه مع إعلامية نهيه عن تقليده وتقليد غيره من العلماء.

وقال الإمام أحمد: ما ينبغي للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه ولا يشدد عليهم.

وقال: لا تقلد دينك الرجال فإنهم لن يسلموا من أن يغلطوا.

فإذا كان هذا قولهم في الأصول العلمية وفروع الدين، لا يستجيزون إلزام الناس بمذاهبهم مع استدلالهم عليها بالأدلة الشرعية، فكيف بإلزام الناس وإكراههم على أقوال لا توجد في كتاب الله ولا في حديث عن رسول الله ﷺ، ولا تؤثر عن الصحابة والتابعين ولا عن أحد من أئمة المسلمين!

ولهذا قال الإمام أحمد لابن أبي دؤاد الجهمي الذي كان قاضي القضاة في عهد المعتصم لما دعى الناس إلى التجهم وأن يقولوا القرآن مخلوق، وأكرههم عليه بالعقوبة، وأمر بعزل من لم يجبه وقطع رزقه إلى غير ذلك، مما فعله في محنته المشهورة، فقال له في مناظرته لما طلب منه الخليفة أن يوافقه على أن القرآن مخلوق: ائتوني بشيء من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أجيبكم به. فقال له ابن أبي دؤاد: وأنت لا تقول إلا بما في كتاب الله أو سنة رسوله. فقال له: هب أنك تأولت تأويلاً فأنت أعلم وما تأولت، فكيف تستجيز أن تكره الناس عليه بالحبس والضرب؟!

فبين أن العقوبة لا تجوز إلا على ترك ما أوجبه الله أو فعل ما حرمه الله، فإذا كان القول ليس في كتاب الله وسنة رسوله لم يجب على الناس أن يقولوه، لأن الإيجاب إنما يتلقى من الشارع، وإن كان للقول في نفسه حقاً أو اعتقد قائله أنه حق فليس له أن يلزم الناس أن يقولوا ما لم يلزمهم الرسول أن يقولوه لا نصاً ولا استنباطاً؛ وإن كان كذلك فقول القائل: المطلوب من فلان أن يعتقد كذا وكذا وأن لا يتعرض لكذا وكذا إيجاب عليه لهذا الاعتقاد وتحريم عليه لهذا الفعل، وإذا كانوا لا يرون خروجه من السجن إلا بالموافقة على ذلك فقد استحلوا عقوبته وحبسه حتى يطيعهم في ذلك كانوا بمنزلة من ذكر الخوارج والروافض والجهمية المشابهين للمشركين والمرتدين". أ.هـ

وقال أيضاً بعد ذلك بأسطر (٣٤١/٦): "إنهم لو بينوا صواب ما ذكروه من القول لم يكن ذلك موجباً لعقوبة تاركه، فليس كل مسألة فيها نزاع إذا أقام أحد الفريقين الحجة على صواب قوله مما يسيغ له عقوبة مخالفة، بل عامة المسائل التي تنازعت فيها الأمة لا يجوز لأحد الفريقين المتنازعين أن يعاقب الآخر على ترك اتباع قوله، فكيف إذا لم يذكروا حجةً أصلاً ولم يظهروا صواب قولهم". أ.هـ

وقال أيضاً في "الفتاوى الكبرى (٣٤٩/٦)": "وإذا كان وجوب هذا القول منتفياً لم يكن لأحد أن يوجبه على الناس، فضلاً عن أن يعاقب تاركه ويجعله محنةً من وافقه عليه والاه، ومن خالفه عاداه، وهذا المسلك هو أحد ما سلكه العلماء في الرد على الجهمية الممتحنين للناس كابن أبي دؤاد وأمثاله لما ناظرهم من ناظرهم قدام الخلفاء كالمعتصم والواثق، فإنهم بينوا لهم أن القول الذي أوجبوه على الناس وعاقبوا تاركه وهو القول بخلق القرآن لم يقله النبي ﷺ ولا أحد من الخلفاء ولا الأصحاب ولا أئمة المسلمين وعامتهم، ولا أمروا به ولا عاقبوا عليه، ولو كان من الدين الذي يجب دعاء الخلق إليه وعقوبة تاركيه لم يجز إهمالهم لذلك، وإن القائل لهذا القول لو فرض أنه مصيب لم يكن له أن يوجب على الناس ويعاقبهم على ترك كل قول يعتقد أنه صواب، وهذا مما اتفق عليه المسلمون".أ.هـ

وحول هذا المعنى يقول ابن القيم في الكافية الشافية:

يا رب قد أوهى النفاة حبائـــــــل القرآن والآثار والايمـــــــــــان
يا رب قد قلب النفاة الـــــدين والإ يمان ظهراً منه فوق بطـــــــــان
يارب قد بغت النفاة وأجلبـــــــوا بالخيل والرجل الحقير الشـــــــان
نصبوا الحبائل والغوائـــــــل للألى أخذوا بوحيك دون قول فـــــلان
ودعوا عبادك أن يطيعوهم فمـــــن يعصيهم ساموه شر هـــــــــوان
وقضوا على من لم يقل بضـــــلالهم باللعن والتضليل والكفـــــــران
وقضوا على أتباع وحيك بالـــــذي هم أهله لا عسكر الفرقـــــــان
وقضوا بعزلهم وقتلـــــــــهم وحبـ ـسهم ونفيهم عن الأوطـــــــان
وتلاعبوا بالدين مثل تلاعـــــب الـ ـحمر التي نفرت بلا أرســـــــان
حتى كأنهم تواصوا بينهـــــــــم يوصي بذلك أول للثـــــــــاني

ومن يقرأ التاريخ يجد أن بعض الملوك والفرق التي ارتبطت به وزينت وحسنت له الباطل كانوا أشد خطراً على الإسلام والمسلمين من كثير، بل من كل من ادعى النبوة كالمأمون الذي فتن أمة محمد ﷺ وأتى بما لم يعرفه المسلمون لأكثر من مائتي عام، واستبد برأيه، واستخدم كل الوسائل وأجهزة الدولة لفرض رأيه وضلالته، وأكره الناس حتى يوافقوه ويقولوا بقوله، وسار معه فقهاء وقضاة رغبةً ورهبةً، فانظر كيف يحمل شخص واحد بلا حجة ولا برهان، بل هو الكبر والطغيان أمةً بأكملها على رأيه.

يقول ابن الجوزي رحمه الله في "مناقب الإمام أحمد (٣٨٥-٣٨٦)": "كان هارون الرشيد - وهو أبو المأمون - يقول بلغني أن بشر بن غياث يقول: القرآن مخلوق، ولله علي إن أظفرني به لأقتله قتلةً ما قتلتها أحداً.

قال أحمد: فكان بشر متوارياً أيام هارون نحواً من عشرين سنة حتى مات هارون، فظهر ودعا إلى الضلالة وكان من المحنة ما كان، فلما توفي الرشيد كان الأمر كذلك في زمن الأمين، فلما ولي المأمون خالطه قومٌ من المعتزلة فحسنوا له القول بخلق القرآن، وكان يتردد في حمل الناس على ذلك ويراقب بقايا الأشياخ، ثم قوي عزمه على ذلك فحمل الناس عليه.

قال ابن أكثم: قال لنا المأمون لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرت أن القرآن مخلوق، فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين، ومن يزيد حتى يتقى. قال: فقال: ويحك إني أخاف إن أظهرته فيرد علي فيختلف الناس، وتكون فتنةً وأنا أكره الفتنة.

قال: فقال الرجل: فأنا أخبر ذلك منه. فقال له: نعم. فخرج إلى واسط فدخل عليه المسجد وجلس إليه، فقال له: يا أبا خالد، إن أمير المؤمنين يقرئك السلام، ويقول لك: إني أريد أن أظهر أن القرآن مخلوق. قال: فقال: كذبت على أمير المؤمنين، لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه، فإن كنت صادقاً فاقعد إلى المجلس، فإذا اجتمع الناس فقل. قال: فلما أن كان الغد اجتمع الناس فقام، فقال: يا أبا خالد رضي الله عنك، إن أمير المؤمنين يقرئك السلام، ويقول لك: إني أريد أن أظهر أن القرآن مخلوق فما عندك في ذلك؟ قال: كذبت على أمير المؤمنين، أمير المؤمنين لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه وما لم يقل به أحد، قال: فقدم فقال: يا أمير المؤمنين، كنت أعلمَ كان من القصة كيت وكيت، فقال له: ويحك تلعب بك". أ.هـ

فلما مات يزيد بن هارون رحمه الله ظن المأمون بأن الجو خلا له، فأظهر مقالته وضلالته وجرى ما جرى واصطفى الله من اصطفى، واستمرت سنين عدداً، ولما مات المأمون خلفه من سار على سيرته تقليداً له.

يقول ابن الجوزي رحمه الله في "مناقب الإمام أحمد (٤٠٥-٤٠٧)": "ولما أمر المعتصم بحمل أحمد إليه – وكان قد سجنوه في رمضان سنة تسع عشرة في دار إسحاق بن إبراهيم – دخل عليه إسحاق فقال: يا أحمد، إنها والله نفسك، إنه لا يقتلك بالسيف، إنه قد آلى

إن لم تجبه أن يضربك ضرباً بعد ضرب، وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس، وجيء على أحمد بدابة فحمل عليها وعليه الأقياد، وكاد غير مرة أن يخرّ على وجهه لثقل القيود، ثم جيء به إلى دار المعتصم وأدخلوه في حجرةٍ وأدخلوه إلى بيت وأقفل الباب عليه، وذلك في جوف الليل وليس في البيت سراج، فلما كان الغد أخرجوه على الخليفة ليناظره أحمد بن أبي دؤاد والمعتصم يقول: والله لئن أجابني لأطلقن عنه بيدي ولأركبن إليه بجندي ولأطأنَّ عقبه، ثم قال: يا أحمد، والله إني عليك لشفيق وإني لأشفق عليك كشفقتي على هارون ابني ما تقول: فأقول: أعطوني شيئاً من كتاب الله عز وجل أو سنة رسوله، ومرة أخرى يقول المعتصم مؤدبي، وكان في ذلك الموضوع جالساً وأشار إلى ناحية الدار – فسألته عن القرآن فخالفني، فأمرت به فوطئ وسحب، وبعد ثلاثة أيام من المناظرة والإمام أحمد يفحم المبتدعة، قال المعتصم: العقابين والسياط فجيء بهم.

قال إبراهيم البوشخبي: ذكروا أن المعتصم رقَّ في أمر أحمد لما علّق في العقابين ورأى ثبوته وتصميمه وصلابته في أمره حتى أغراه ابن أبي دؤاد، وقال له: إن تركته قيل: إنك تركت مذهب المأمون وسخطت قوله فهاجه ذلك على ضربه.

قال صالح: قال أبي: لما جيء بالسياط نظر إليها المعتصم فقال: ائتوني بغيرها، فأتي بغيرها، ثم قال للجلادين: تقدموا فجعل يتقدم إليَّ الرجل فيضربني سوطين فيقول له – يعني المعتصم –: شدّ قطع الله يدك، ثم يتقدم الآخر فيضربني سوطين وهو في كل ذلك يقول لهم: شدّوا قطع الله أيديكم، فلما ضربت تسعة عشر سوطاً قام إليّ – يعني المعتصم – فقال: يا أحمد، علامَ تقتل نفسك؟! إني والله عليك شفيق. قال: فجعل عجيف ينخسني بقائم سيفه وقال: أتُريد أن تغلب هؤلاء كلهم. وجعل بعضهم يقول: ويلك الخليفة على رأسك قائم. وجعل عبد الرحمن يقول: ويحك يا أحمد من صنع من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع.

قال: وجعل المعتصم يقول: ويحك يا أحمد أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدي، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئاً من كتاب الله عز وجل أو سنة رسوله حتى أقول به، قال: فرجع فجلس، فقال للجلادين: تقدموا، فجعل الجلاد يتقدم ويضربني سوطين وينحى وهو في خلال ذلك يقول: شدّ قطع الله يدك، قال أبي: فذهب عقلي فأفقت بعد ذلك، فإذا الأقياد قد أطلقت عني. فقال لي رجل ممن حضر: إننا كببناك على وجهك وطرحنا على ظهرك بارية ودسناك. قال أبي: فما شعرت بذلك، وأتوني بسويقٍ فقالوا لي: اشرب وتقيأ، فقلت: لست أفطر، ثم جيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم فحضرت صلاة الظهر فتقدم ابن سماعة فصلى، فلما انتقل من الصلاة قال لي: صليت والدم يسيل في ثوبك، فقلت: قد صلى عمر وجرحه يثعب دماً". أ.هـ

قال بعض الجلادين الذين ضربوا الإمام أحمد بن حنبل: "لقد بطل أحمد الشُطَّار، والله لقد ضربته ضرباً لو أبرك لي بعير فضربته ذلك الضرب لنقبت عن جوفه"، وقال آخر: "لقد ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطاً لو ضربته فيلاً لهدّته".

يقول ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية حول المحن التي جرت لأئمة الإسلام وأعلام من الأئمة المضلين وأحبارهم وقضاتهم والفرق المنحرفة التي تسعى بكل ما أوتيت من قوة للوصول إلى أصحاب القرار والنفوذ حتى يتمكنوا فيحصل حينها الفساد والظلم والبغى والطغيان والتاريخ خير شاهد، فيقول رحمه الله:

فلقد رأيتم ما جرى لأئمـــــــة الإ ... سلام من محن على الأزمـــــــان
لا سيما لما استمالوا جاهـــــــلا ... ذا قدرة في الناس مع سلطـــــــان
وسعوا إليه بكل إفـــــــك بيّن ... بل قاسموه بأغلظ الأيمـــــــان
أنَّ النصيحة قصدهم كنصيحـــــة ... الشيطان حين خلا به الأبـــــوان
فيرى عمائم ذات أذنـــــاب على ... تلك القشور طويـــــلة الأردان
ويرى هيولى لا تهول لمبصـــــــر ... وتهول أعمى في ثياب جبـــــان

فإذا أصاخ بسمعه ملؤوه من كذب وتلبيس ومن بهتان
فيرى ويسمع فشرهم وفشارهم يا محنة العينين والأذنان
فتحوا جراب الجهل مع كذب فخذ واحمل بلا كيل ولا ميزان
وأتوا إلى قلب المطاع ففتشوا عما هناك ليدخلوا بأمان
فإذا بدا غرض لهم دخلوا به منه إليه كحيلة الشيطان
فإذا رأوه هش نحو حديثهم ظفروا وقالوا ويح آل فلان
هو في الطريق يعوق مولانا عن المقصود وهو عدو هذا الشان
فإذا هم غرسوا العداوة واظبوا سقي الغراس كفعل ذي البستان
حتى إذا ما أثمرت ودنا لهم وقت الجذاذ وصار ذا إمكان
ركبوا على جُردٍ لهم وحميةٍ واستنجدوا بعساكر الشيطان
فهنالك ابتليت جنود الله من جند اللعين بسائر الألوان
ضرباً وحبساً ثم تكفيراً وتبديعاً وشتماً ظاهر البهتان
فلقد رأينا من فريق منهم أمراً تُهَدَّ له قوى الإيمان
مِنْ سبِّهم أهل الحديث وذنبهم أخذ الحديث وترك قول فلان
يا أمة غضب الإله عليهم ألأجْلِ هذا تشتموا بهوان
تباً لكم إذ تشتمون زوامل الإسلام حزب الله والقرآن

وقال ابن تيمية رحمه الله في "الفتاوى الكبرى (٦/٣٥٩-٣٦٠)": "وامتحانهم على ذلك، وعقوبة من لم يجبهم بالحبس، والضرب، والقتل وقطع الرزق، والعزل عن الولايات، ومنع قبول الشهادة، وترك افتدائهم من أسر العدو، إلى غير ذلك من العقوبات التي إنما تصلح لمن خرج عن الإسلام، وبدلوا بذلك الدين نحو تبديل كثير من المرتدين، فأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، فجاهدوا في الله حق جهاده، متبعين سبيل الصديق وإخوانه الذين جاهدوا

المرتدين بعد موت رسول الله ﷺ حتى وَسَم المسلمون بالإمامة وبأنه الصديق الثاني من كان أحق بهذا التحقيق عند فتور الواني، فإن أولئك الجهمية جعلوا المؤمنين كفارا مرتدين، وجعلوا ما هو من الكفر والتكذيب للرسول إيماناً وعلماً، ولبسوا على الأئمة والأمة الحق بالباطل، وكانت فتنتهم في الدين أعظم ضررا من فتنة الخوارج المارقين، فإن أولئك وإن كفّروا المؤمنين واستحلوا دماءهم وأموالهم، ولم تكن فتنتهم الجحود لكلام رب العالمين وأسمائه وصفاته وما هو عليه في حقيقة ذاته، بل كانت فيما دون ذلك من الخروج عن السنة المشروعة...

- إلى أن قال- ومن أعظم أسباب بدع المتكلمين من الجهمية وغيرهم، قصورهم في مناظرة الكفار والمشركين، فإنهم يناظرونهم ويحاجونهم بغير الحق والعدل، لينصروا الإسلام زعموا بذلك، فيسقط عليهم أولئك لما فيهم من الجهل والظلم ويحاجونهم بممانعات ومعارضات، فيحتاجون حينئذ إلى جحد طائفة من الحق الذي جاء به الرسول والظلم والعدوان لإخوانهم المؤمنين بما استظهر عليهم أولئك المشركون، فصار قولهم مشتملاً على إيمان وكفر، وهدى وضلال، ورشد وغي، وجمع بين النقيضين، وصاروا مخالفين للكفار والمؤمنين كالذين يقاتلون الكفار والمؤمنين، ومثلهم في ذلك مثل من فرط في طاعة الله وطاعة رسوله من ملوك النواحي والأطراف، حتى يسلط عليهم العدو تحقيقاً لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران:١٥٥] يقاتلون العدو قتالاً مشتملاً على معصية الله من الغدر والمثلة والغلول والعدوان، حتى احتاجوا في مقاتلة ذلك العدو إلى العدوان على إخوانهم المؤمنين، والاستيلاء على نفوسهم وأموالهم وبلادهم، وصاروا يقاتلون إخوانهم المؤمنين بنوع مما كانوا يقاتلون به المشركين، وربما رأوا قتال المسلمين آكد، وبهذا وصف النبي ﷺ الخوارج حيث قال: ((يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)). وهذا موجود في سيرة كثير من ملوك الأعاجم وغيرهم، وكثير من أهل البدع وأهل الفجور فحال أهل الأيدي والقتال، يشبه حال أهل الألسنة والجدال". أ.هـ

وبين ابن تيمية رحمه الله كيف أنهم ينتقلون من ظلم إلى آخر بسبب ذلك الإلزام الباطل، فيقول رحمه الله في "الفتاوى الكبرى (٦/٣٤١-٣٤٢)": "لو فرض أن هذا القول الذي

ألزموا به حق وصواب قد ظهرت حجته، ووجبت عقوبة تارك التزامه، فهذا لم يذكروه إلا في هذا الوقت، بعد هذا الطلب والحبس والنداء على الشخص المعين بالمنع من موافقته، ونسبته إلى البدعة والضلالة، ومخالفة جميع العلماء والحكام، وخروجه عما كان عليه الصحابة والتابعون إلى أنواع أخر مما قالوه وفعلوه في حقه من الإيذاء والعقوبة والضرر، زاعمين أن ما صدر عنه من الفتاوى والكتب يتضمن ذلك، فإذا أعرضوا عن ذلك بالكلية، ولم يبينوا في كلامه المتقدم شيئا من الخطأ والضلال الموجب للعقوبة، لم يكن ابتداؤهم بالدعاء إلى مقالة إنشاؤها مبيحا لما فعلوه قبل ذلك من الظلم والكذب والبهتان، والصد عن سبيل الله، والتبديل لدين الله، وإنما هذا انتقال من ظلم إلى ظلم، ليقرروا بالظلم المتأخر حسن الظلم المتقدم، كمن يستجير من الرمضاء بالنار، وهذا يزيدهم إثماً وعذاباً، فهب أن هذا الشخص وافقهم الآن على ما أنشأه من القول، أي شيء في ذلك مما يدل على خطئه وضلاله في أقواله المتقدمة إذا لم تناف هذا القول؟ دع استحقاق العقوبة والكذب والبهتان، فما لم يبينوا أن فيما صدر عنه قبل طلبه وحبسه وإعلام ما ذكروه من أمره ما يوجب ذلك لم ينفعهم هذا وهم قد عجزوا عن إبداء خطأ أو ضلال فيما صدر عنه من المقال... إلخ" أ.هـ

يقول ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

ولقد رأينا من فريـــــق يدعي الإسـ ـــــلام شركاً ظاهر التبيـــــــان
جعلوا له شركـــــاء والوهم وسووهم زادوا لهم حباً بلا كتمـــــــان
والله ما غضبوا إذا انتهكت محـــــا رم ربهم في السر والإعـــــــلان
حتى إذا ما قيل في الوثن الـــــذي يدعونه ما فيه من نقصـــــــان
فأجارك الرحمن من غضـــــب ومن حرب ومن شتم ومن عـــــدوان
وأجارك الرحمن من ضـــــرب وتعـ ـــزير ومن سب ومن سجـــــان
والله لو عطلت كل صفاتـــــــه ما قابلوك ببعض ذا العـــــدوان
والله لو خالفت نص رســـــوله نصاً صريحاً واضح التبيـــــــان

وتبعت قول شيوخهم أو غيـــــرهم كنت المحقق صـــاحب العرفـــــان
حتى إذا خالفت آراء الرجـــــــا ل لسنة المبعوث بالقـــــــــرآن
نادوا عليك ببدعة وضلالـــــــة قالوا وفي تكفيره قـــــــــولان
قالوا تنقصت الكبار وسائـــــر الـ ـــعلماء بل جاهرت بالبهتـــــــان
هذا ولم تسلبهم حقا لهـــــــــم لتكون ذا كذب وذا عـــــــدوان
وإذا سلبت صفاتِه وعلـــــــــوَّه وكلامه جهراً بلا كتمـــــــــان
لم يغضبوا بل كان ذلك عنـــــدهم عين الصـــواب ومقتضـــى الإحســـان

وقد ذكرت فيما سبق من القصص والنقول ما يكفي لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد بأنه ليس لأحد كائناً من كان إلزام الناس بقول أو رأي أو شخص أو هيئة، فلا إلزام إلا ما ألزمه الله ورسوله ولا إيجاب إلا ما أوجباه، ولا محظور إلا ما حظراه، وأن أحبار السوء وشيوخ السلاطين الذين يحسنون ويزينون لهم الباطل ما زال أئمة الاسلام وأعلامه ينتقدونهم ويقدحون فيهم مبيّنين بأنهم قد شابهوا أحبار اليهود ورهبان النصارى.

وكما قال سفيان بن عيينه رحمه الله: "من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى". وقد قال الله عنهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة:٣١].

وكما قال عدي بن حاتم رضي الله عنه للنبي ﷺ: ((إنهم لم يعبدوهم، فقال النبي ﷺ: بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم)). [رواه الترمذي (٣٠٩٥) وهو حديث حسن].

قال ابن كثير في تفسيره (٤/١٦٤٥): "وهكذا قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما: إنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا. وقال السدي: استنصحوا الرجال، وتركوا

كتاب الله وراء ظهورهم. ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ [التوبة:٣١] أي: الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام، وما حلله حل، وما شرعه اتبع، وما حكم به نفذ".أ.هـ

وقال صديق حسن خان رحمه الله في فتح البيان: "في هذه الآية ما يزجر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، عن التقليد في دين الله، وتأثير ما يقوله الأسلاف على ما في الكتاب العزيز والسنة المطهرة، فإن طاعة المتمذهب لمن يقتدي بقوله ويستن بسنته من علماء هذه الأمة مع مخالفته لما جاءت به النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه؛ هو كاتخاذ اليهود والنصارى للأحبار والرهبان أربابا من دون الله للقطع بأنهم لم يعبدوهم بل أطاعوهم وحرموا ما حرموا وحللوا ما حللوا، وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الأمة، وهو أشبه به من شبه البيضة بالبيضة، والتمرة بالتمرة، والماء بالماء.

فيا عباد الله، ما بالكم تركتم الكتاب والسنة جانباً وعمدتم إلى رجال هم مثلكم في تعبد الله لهم بهما وطلبه للعمل منهم بما دلا عليه وأفاداه، فعملتم بما جاؤوا به من الآراء التي لم تعمد بعماد الحق، ولم تعضد بعضد الدين ونصوص الكتاب والسنة، تنادي بأبلغ نداء، وتصوت بأعلى صوت بما يخالف ذلك ويباينه، فأعرتموها آذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وأذهاناً كليلة، وخواطر عليلة، وأنشدتم بلسان الحال:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد" أ.هـ

وقد قال جل جلاله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة:٣٤] قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (١٦٤٧/٤): "قال السدي: الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى. وهو كما قال، فإن الأحبار هم علماء اليهود، كما قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ [المائدة:٦٣] والرهبان: عباد النصارى، والقسيسون: علماؤهم، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة:٨٢] والمقصود: التحذير من علماء السوء وعباد الضلال...

– إلى أن قال – والحاصل: التحذير من التشبه بهم في أحوالهم وأقوالهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ وذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس، يأكلون أموالهم بذلك، كما كان لأحبار اليهود على أهل الجاهلية شرف، ولهم عندهم خُرْجٌ – أي ما يخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم – وهدايا وضرائب تجيء إليهم، فلما بعث الله رسوله – صلوات الله وسلامه عليه – استمروا على ضلالهم وكفرهم وعنادهم، طمعاً منهم أن تبقى لهم تلك الرياسات، فأطفأها الله بنور النبوة، وسلبهم إياها، وعوضهم بالذلة والمسكنة، وباؤوا بغضب من الله.

وقوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي وهم مع أكلهم الحرام يصدون الناس عن اتباع الحق ويلبسون الحق بالباطل، ويظهرون لمن اتبعهم من الجهلة أنهم يدعون إلى الخير، وليسوا كما يزعمون، بل هم دعاة إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون". أ.هـ

ولأهل التفسير والعلم كلام كثير حول قول الله عز وجل: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:١٧٥ – ١٧٧]، وحول قوله جل جلاله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة:٥] وغيرها من الآيات التي تنهى أهل الكتاب عن كتمان الحق وعن لبس الحق بالباطل، فليس شيوخ هذه الدويلات والتي تحكمها بأول من طُعِنَ فيهم، فما هم إلا حلقة في سلسلة أحبار السوء عبر التاريخ، وقد قال الشاطبي صاحب القراءات رحمه الله:

قل للأمير نصيحة لا تركنَّ إلى فقيه
إن الفقيه إذا أتى أبوابكم لاخير فيه

وكما قال الآخر:

أظهروا للناس زهداً وعلى الدينار داروا
وله صاموا وصلوا وله حجوا وزاروا
لو يرى فوق الثريا ولهم ريش لطاروا

وشيوخ هذا الزمان كما قال الطاغية (جمال عبد الناصر): "اديه فرخة يديك فتوه"، وهذا باللهجة المصرية، ومعناه: أعطه دجاجة يعطيك فتوى.

وأما عندنا في جزيرة العرب وهذه الدويلات السبع، فيقولون بلسان الحال وربما المقال: (أعطه ذبيحة يعطيك فتوى منيحة).

وكما قال ابن جبير رئيس ما يسمى بمجلس الشورى في دويلة أسرة آل سعود: "من يدخل معهم فهو يدخل في نفق مظلم، له أول وماله آخر أو تالي".

وهم في غيبة عن واقع المسلمين وقضاياه، ومن العجيب أن مفتي الديار الأول والثاني والحالي ممن ابتلي بفقد البصر وكانوا على التوالي، وهذا لم يأت صدفة أو عن غير قصد بل هو عن عمد والله أعلم، لكي تُغيب صورة الواقع عنهم وحقيقته، ولكي يسمعوهم ما يحبون أن يسمعوا ويحيطوهم بأناس يغيبون عنهم الواقع والحقيقة ويخفون ما لا يحب آل سعود أن يظهر لهم.

وأقول الشخص يكون فاقداً للبصر ومع ذلك يكون عالماً لا مانع منه ولا ضير في ذلك، فقد وجد كثير من العلماء عبر التاريخ وهم عمي، وقد فقد ابن عباس وابن عمر وابن عمرو وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم أبصارهم في آخر أعمارهم، وغيرهم من الصحابة والتابعين كقتادة السدوسي وغيره، وأجر فقد البصر لمن صبر معروف ومشهور في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، ولكن لم تأت دولة لأسرة ما ويكون شيوخها الثلاثة على التوالي

عُمي البصر، فهذا يدعو إلى الريبة والتساؤل، وأن الأمر مقصود ليلبس عليهم ولكي يكون الشيخ في القبضة كالخاتم في الإصبع، فليس الخبر كالمعاينة وليس من سمع كمن رأى، وكثير من الوقائع والأحداث تحتاج إلى رؤية ومعاينة ومشاهدة ومتابعة وقراءة وبحث وسفر وذهاب وإياب حتى يتم الحكم فيها وعليها، فكيف يحصل ذلك لشخص محاط برؤية آل سعود وإعلامها ورموزها؟!

وهذا المفتي الأول محمد بن إبراهيم آل الشيخ لا يطبعون كتبه ومجموع فتاواه لأنه كان أقوى الثلاثة وأشجعهم، بل وكلَّوا حفيده بتهذيبها وحذف ما لا يروق لهم والسبب في ذلك أن الشيخ العالم/ أبا محمد المقدسي – فك الله أسره – أخذ كثيراً منه في كتابه "الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية" لبعض الوقائع والحقائق والفتاوى، فكان الرد بحجب كتب المفتي الأكبر عن الأسواق، وهذه عجيبة من العجائب.

والعجيبة الأخرى أن الفتوى أصبحت وراثة كالملك تدور في أسرة آل الشيخ والأسر الدائرة في فلكها وقطرها، ومن ينظر إلى المؤسسات والوزارات المتعلقة بهذه الشؤون يجد ذلك في ما يسمى بالشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد والعدل وغير ذلك، وهذا كله يجعل من هذا شأنهم يبغون ويظلمون ويستكبرون في الأرض بغير الحق، فالعلم فضل الله يؤتيه من يشاء ورحمته يختص بها من يشاء، وليس بالوراثة وما كان بالوراثة فهو الهرقلية والكسروية.

وأقول قد يكون بعض هؤلاء في نفسه وذاته على خير ودين وعبادة، ولكنه لا يدري وربما يدري بأنهم يتمندلون به (أي يجعلونه منديلاً لأوساخهم)، ويتمنعلون به (أي يجعلونه نعلاً يتقون بها الشوك والأحجار)، ويجعلون منه جسراً يعبرون عليه إلى مرادهم وسلماً يرقون به إلى غاياتهم، ثم إن هؤلاء في غالب الأحداث والوقائع وخصوصاً في ربع القرن الأخير لا يسمعون إلا طرفاً واحداً ويحكمون على الأطراف الأخرى من خلال هذا السماع الأحادي الجانب، ومن قضى على الخصم الثاني ولم يسمع منه واكتفى بسماع الخصم الأول فقد بغى

ولم يدرِ كيف يقضي، بل جعل من نفسه خصماً خصوصاً، وأن آل سعود بما يملكون من إعلام – يقدّره البعض بتسعين في المائة من الإعلام العربي من قنوات وصحف ومجلات وإذاعات – يسوقون روايتهم ورؤيتهم وفتاوى وهؤلاء يصدرونهم ويقيمون حولهم الهالة الإعلامية والقداسة حتى نشأت أجيال على هذا، وهرم آخرون وشب قوم على ذلك، وكما قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

لا تخدعنّ عن الحـــــديث بهذه الـ آراء فهي كثيرة الهذيـــــــــان
أصحابها أهل التخرص والتنـــــــا قض والتهـاتر قـائلو البهـــــتـان
يكفيك أنك لو حرصـــت فلن ترى فئتين منهم قط يتفقـــــــــان
إلا إذا ما قلدا لسواهمـــــــــا فتراهم جيلاً من العميـــــــــان
ويقودهم أعمى يُظنُّ كمبصـــــــرٍ يا محنـة العميـان خلف فـــــلان
هل يستوي هذا ومبصـــــــر رشده الله أكبر كيف يستويـــــــــان

وفي المقابل يعزلون ويخفون ويتجاهلون الطرف الآخر أياً كان، وإذا اضطروا لذكره فعلى سبيل الشتم والسب والقدح والذم، ويتصيدون أي فتوى من هؤلاء الشيوخ ضدهم لكي تكون صكوك جحيم عليهم – كما يظنون –، والأمثلة على ذلك كثيرة ومشهورة.

وأصبحنا لا نرى هؤلاء ولا هيئتهم في الأحداث الكبرى للأمة، وإنما نراها إذا أراد ذلك آل سعود واحتاجوهم حول الحدث الذي يريدون وفي الوقت الذي يحددون وبالكيفية التي يختارون، فجهاز التحكم عن بعد في أيدي هذه الأسرة يرفعون الصوت متى شاؤوا ويكتمونه إذا شاؤوا..

وهكذا يتلاعبون بالفتوى والإفتاء والمفتين والناس، ويقوم الطرفان (آل سعود وآل الشيخ أو من يقوم مقامه أحياناً) بالدور المتبادل بلسان الحال (امسك لي واقطع لك)، وآل سعود يقولون (الشيوخ أبخص) وآل الشيخ ومن يقوم مقامهم يقولون (ولي الأمر أعرف بالمصلحة)،

وتلاعبوا بالدين كتلاعب الصبيان، ومن ينتقد أو يعترض فالسجون والمباحث موجودة وأبوابهم إليها مفتوحة، وأرادوا كما أراد (جمال عبد الناصر) في مصر أن يجعل البلد كله يتحرك (بضغطة زرّ) ويسكن (بضغطة زرّ) أخرى، فأحبار السوء في القبضة، وخيوط تحريكهم في الأيدي والمساجد والجوامع تحت التوجيه، وإرسال الخطب من آل الشيخ والرقابة والتجسس من المباحث ووزارة الداخلية بقيادة (نايف وولده)، ومن يخرج عن هذا المسار المرسوم والخط المعلوم فالويل والثبور وعظائم الأمور..

ومضينا على هذا عقوداً من الزمن، وقد قال ثوبان رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: ((إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلّين)) [١].

وعن أبي عثمان النهدي رحمه الله قال: إني لجالس تحت منبر عمر وهو يخطب الناس، فقال في خطبته: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إنّ أخوف ما أخاف على هذه الأمة كل منافق عليم اللسان)) [رواه أحمد (٣١٠) وإسناده قوي].

وكما قال عمر في الأثر السابق لزياد بن حدير: "هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قال: قلت: لا. قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين". [رواه الدارمي (٢٢٠) بإسناده صحيح].

وكما قيل: (زَلَّة العالِمِ يزلُّ بها عَالَمَ)، فكيف إذا كانت المسألة ليست بزلّة بل انحراف كامل، أو استخدام المبصرين للعلماء العُميّ في أمور لا بد من الإبصار فيها؟!

فاجتمع هذا المثلث الهادم للإسلام: أئمة الضلالة، وأحبار السوء، وإعلام الدجل والزور الذي يملكونه بصنوفه المختلفة، والمحصّلة: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ

---

[١] رواه أحمد (٢٢٣٩٤،٢٢٣٩٣) والدارمي (٢١٥)، والترمذي (٢٢٢٩)، وقال حديث حسن صحيح، وصححه ابن حبان (٧١٩٤)، والحاكم (٨٤٦٩) صححه على شرط الشيخين، وإنما إسناده صحيح على شرط مسلم فقط.

الرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩]، وكما قال فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر:٢٦] لأن موسى لما ظهر وخرج كان كما قيل:

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحر

وأصبح الوضع كما قال ابن القيم في الكافية الشافية:

فمن المصائب أن فرعونكم أضحى يكفر صاحب الإيمان
ويقول ذاك مبدل للدين سا ع بالفساد وذا من البهتان
إن المورث ذا لهم فرعون حين رمى به المولود من عمران
فهو الإمام لهم وهاديهم ومتبوع يقودهم إلى النيران

وتحالف هؤلاء جميعاً على فرض باطلهم وزورهم وانحرافاتهم ومحادتهم لله ولرسوله ومشاقتهم لهما، وغير ذلك مما سيأتي تحت قوالب خادعة ومموهة على بسطاء العقول، واسترهاب للناس عبر وسائلهم المختلفة، والقتل والحبس والنفي لمن تسول له نفسه بخلاف ذلك، وكما قال في الكافية الشافية:

فذروا عداوتنا فإن وراءنا ذاك العدو الثفل ذا الأضغان
فهم عدوكم وهم أعداؤنا فجميعنا في حربهم سيان
فذروا الحراب لنا وشدوا كلنا جمعا عليهم حملة الفرسان
حتى نسوقهم بأجمعنا إلى وسط العرين ممزقي اللحمان
فلقد كوونا بالنصوص وما لنا بلقائها أبد الزمان يدان
كم ذا يقال الله قال رسوله من فوق أعناق لنا وبنان
قالوا لنا قال الرسول وقال في القرآن كيف الدفع للقرآن

وكذاك أنتم منهم أيضا بهـــــــذا المنزل الضنك الذي تريـــــــــان
إن جئتموهم بالعقول أتوكـــــــم بالنص من أثر ومن قـــــــــرآن
فتحالفوا إنا عليهم كلنـــــــــا حزب ونحن وأنتم سلمـــــــــان
فإذا فرغنا منهم فخلافنـــــــــا سهل فنحن وأنتم إخـــــــــوان

وصارت رؤية آل سعود ورأيهم ونهجهم عليه الولاء والبراء والكفر والإيمان والهدى والضلال، وهؤلاء الشيوخ معهم على طول الخط، والعجيب أن علماء الاسلام الذين حفظت أسماءهم وخلدهم التاريخ جميعهم مروا بالبلاء والمحن والشدائد إلا شيوخ آل سعود، فالمناصب والرياسات والأجنحة الطبية والفنادق والمؤتمرات...إلخ، والعجيبة الأخرى أنهم يفتون فيمن يخرج عن مسار آل سعود وشيوخهم بفتاوى في كلمة أو كلمات أو سطر بأنه ضال أو خارجي أو ما شابه ذلك، مع أن هذا الشخص ربما له مؤلفات عدة ورسائل وكتب وأشرطة... إلخ، والعدل والتحقيق والإنصاف توجب أن يكون الرد بطريقة علمية شرعية؛ حجة بحجة، وبرهان ببرهان، وحرف بحرف، وسطر بسطر، ونقطة بنقطة، ليعلم أين أخطأ وأين أصاب وما هو وجه الضلال والانحراف عنده، وهل ذلك من مسائل الاجتهاد التي يسوغ الاختلاف فيها أم هو مخالف لإجماع ضروري أو مشهور، أو مخالفته لقطعيات الشريعة، أم لمسائل فيها راجح ومرجوح، وهل كتاباته مبنية على تتبع الرخص مثلاً أو مخالف لقواعد علم المصطلح أو الأصول أو النحو... إلخ، كما فعل ذلك أئمة الإسلام عبر العصور في الرد على المخالفين سواء في مسائل الأصول أو الفروع مثل (الرد على الجهمية لابن منده)، (والرد على المريسي للدارمي)، (والرد على ابن التغريلة اليهودي لابن حزم)، (والرد على المنطقيين لابن تيمية)، (والرد على الأخنائي)، (والرد على البكري) كلاهما لابن تيمية، (والصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية)، (والرد على الطوائف الملحدة والزنادقة والجهمية والمعتزلة والرافضة لابن تيمية)، (ومنهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية لابن تيمية)، (واجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم)، (والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم)، (والجواب الصحيح لمن بدل دين

المسيح لابن تيمية)، (وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم)، (والرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الاسلام كافر لابن ناصر الدمشقي)، (والرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض للسيوطي)، وغير ذلك كثير..

فعلام يهرب هؤلاء الشيوخ من الردود العلمية، وينحون منحى صكوك التبديع والتضليل المختصر! وكما قال في الكافية الشافية:

وخصـــومهم لم ينصـــفوا في رده بـــل كـــابـروهـم مـــا أتـوا بـبـيـان

يقول الشوكاني رحمه الله في "نيل الأوطار (٦٩٤/١)": "وتقويم البدع المعوجة التي يحدثها الملوك توقع أهل العلم في المسالك الضيقة، فيتكلفون لذلك من الحجج الواهية ما لا ينفق إلا على بهيمة". أ.هـ.

وأقوالهم هذه في الشيخ الإمام أسامة بن لادن والشيخ العالم أبي محمد المقدسي لا ينفق إلا على بهيمة، وهو مرتبط بهوى آل سعود، وقد كتب الشيخ الإمام أسامة بن لادن رسالة طويلة للمفتي الشيخ ابن باز فيها من الأدب والعلم والنقول ما فيها، ولم يرد عليها، بل ظهر قول منسوب إليه في بن لادن (بأنه ضال في أقل من سطر.. إلخ)، وهذا ظلم وعدوان، وكذلك وجد للدكتور سعد الفقيه رسائل عدة وبحوث وموقع وقناة يتكلم فيها ويستقبل الاتصالات والبريد، ومع ذلك حوربوا من خلال الفتاوى دون تثبت وتحرير، بل سعوا بكل وسيلة لاعتقالهم والكيد لهم، وهذا كله مفهوم من آل سعود أن تفعله، ولكن أن يفعل ذلك علماء معروفين لدى العامة وتكون ردودهم هكذا فهذا الذي لا ينفق إلا على بهائم.

وأين مراسلة هؤلاء، وأين الردود العلمية، وأين جامعات وهيئات وشيوخ هذه الأسرة عن البحوث الشرعية والعلمية الكاشفة لما عند هؤلاء من انحراف؟! وأنا أذكر هذه الأسماء والرموز لأن المباحث ذكروها في أوراق الدعوى بطريقة ساذجة وغبية تدعو إلى الغثيان، وكما قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

فـأَتـوَا بأقـوال إذا حصـــلـتـهـا أسمعـت ضـــحكـة هـازل مجـان

وهم تعودوا على الكلبشات والقيود والزنازين الانفرادية والعصا الكهربائية والغمامات، وهي أساليبهم في الرد، وهم في معزل عن العلم والردود العلمية، ويرددون ما قال لهم الشاعر:

مـــن أيـــن جـــاؤوا بالـــذئاب هـــم والشـــيـــاطـــين ســـــواء
مـــدوا خـــطـــاهـــم في انصـــــيـــاع لا وعـــي فـــيـــهـــم أو حـــيـــاء

وهذا الشيخ (أبو محمد المقدسي) حين يذهب مجموعة من الناس بكتابه (الكواشف) إلى أحد المشايخ، وينقل عنه أنه يقول: "أخبروا المؤلف هذا أنه لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر"، وهدد بالاتصال بوزير الداخلية في حينه نايف بن عبد العزيز!

أهذا هو الرد على الكتب! مع أنه ما قرأ الكتاب ولا اطلع عليه، والكتاب ألّف عام (١٤١٠) وإلى الآن ربع قرن من الزمان لم يستطع آل سعود ولا شيوخهم الرد عليه إلا بالسجون والزنازين والقيود والكلبشات... إلخ.

وهذا الموقف والتصرف والقول لا ينفق إلا على بهائم، والشيخ أبو محمد المقدسي له مؤلفات أكثر من ناقده، وله من المواقف والمقامات الشهيرة ما ليس لغيره، وقد عاش سنوات طويلة وعديدة تصل إلى عشرين سنة في غياهب السجون في سبيل الله والصدع بالحق، ومشكلته مع شيوخ آل سعود أنه كتب الكواشف وغيره في آل سعود، وله ردود عدة على كبار شيوخهم وبيان أنهم مرجئة كما في كتابه (مرجئة العصر)، وقد سجن مرات بسبب اتصالات هاتفية من آل سعود كما حصل حين خرج في قناة الجزيرة، وقد قرأت كتبه أو كثير منها وأشهد أنه إمام هدى وأنه يُسألُ عن الناس ولا يسأل عنه – أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحداً، وأسأل الله له الثبات على الحق حتى يلقاه –.

كذلك بقية المشايخ وأهل العلم الذين ذكرهم المباحث في هذه الدعاوى (ناصر الفهد، وحمود العقلا، وهاني السباعي) وغيرهم، لهم كتب وبحوث ورسائل وفتاوى، فردوا عليهم بعلم وانطقوا ببيان وليس بالصياح والتشغيب واللغو، فهم علماء وشيوخ لديهم من العلم ما لدى شيوخ آل سعود وزيادة، وما هم بدون آل فلان وابن علان، والشيخ العالم حمود العقلا رحمه الله شيخ لكثير من شيوخ آل سعود من ضمنهم المفتي الحالي، فاستحوا من الله ومن الناس ما هكذا تورد الإبل! والكتب التي كتبوها بعضها بمئات الصفحات، فلماذا لا يرد عليها إلا عبر المباحث والسجون بالضغط عليهم ومنعهم حقوقهم وعزلهم وحبسهم ومنعهم من زوجاتهم وأولادهم حتى يرجعوا عما هم فيه!

وهذا هو أسلوب الذين قال الله فيهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم:١٣]، وكقوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ۝ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف:٨٨ – ٨٩].

وكما قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

وإذا سببتم بالمحال فسبنا ... بأدلة وحجاج ذي برهان
تبدي فضائحكم وتهتك ستركم ... وتبين جهلكم مع العدوان
يا بعد ما بين السباب بذاكم ... وسبابكم بالكذب والطغيان
من سب بالبرهان ليس بظالم ... والظلم سب العبد بالبهتان

وحال أهل العلم والحق معهم كحال يوسف عليه الصلاة والسلام مع امرأة العزيز (عزيز مصر) حين قالت: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ۝ قَالَ رَبِّ

السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ۝ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[يوسف:٣٢ - ٣٥].

فمن أجل شهوة امرأة متنفذة يسجن يوسف بضع سنين ويقول أن السجن أحب إليه من الخيار الآخر الذي تريده منه وهو موافقتها على الزنا ((ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله))، ويصبر على ذلك، فكيف بمن يدعو العلماء والدعاة إلى موافقته على الباطل والكفر، وتبديل الدين وتحكيم غير الشريعة، ومحاربة الجهاد، وموالاة الكفار، وإباحة جزيرة العرب للصليبيين، والطعن في المجاهدين... إلخ، من الأمور التي يريدونها بالإكراه والضغط؟!

ومن وفقه الله وثبته وبصره يقول: ﴿السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾، والقتل أحب إلي مما تدعونني إليه.

قال ابن قدامه رحمه الله في "المغني (١٢/٢٩٤)": "وروى الأثرم، عن أبي عبد الله، أنه سئل عن الرجل يؤسر، فيعرض على الكفر، ويكره عليه، أله أن يرتد؟ فكرهه كراهة شديدة، وقال ما يشبه هذا عندي الذين أنزلت فيهم الآية من أصحاب النبي ﷺ أولئك كانوا يرادون على الكلمة ثم يتركون يعملون ما شاؤوا، وهؤلاء يريدونهم على الإقامة على الكفر، وترك دينهم، وذلك لأن الذي يكره على كلمة يقولها ثم يخلى، لا ضرر فيها، وهذا المقيم بينهم، يلتزم بإجابتهم إلى الكفر المقام عليه، واستحلال المحرمات، وترك الفرائض والواجبات، وفعل المحظورات والمنكرات، وإن كان امرأة تزوجوها، واستولدوها أولادا كفارا، وكذلك الرجل، وظاهر حالهم المصير إلى الكفر الحقيقي، والانسلاخ من الدين الحنيفي"أ.هـ.

فكيف إذا كان في زماننا هذه القنوات الفضائية المملوكة لآل سعود وملأهم المستكبرين حين يكرهون أو يخدعون البعض في السجون للتراجعات عن الحق الذي هم عليه ليوافقوا

آل سعود أو يداهنوهم، ويجعلون ذلك سبيلاً لخروجهم من السجن، ثم يقومون بالترويج لتلك الأشرطة والتسجيلات ويخدعون الملايين من البشر ويلبسون عليهم دينهم!

وإذا كان البويطي رحمه الله حين قال له والي مصر: قل فيما بيني وبينك، قال: "إنه يقتدي بي مائة ألف ولا يدرون المعنى"، ولم يكن في زمنه قنوات ولا إذاعات ولا صحف كزماننا هذا واتخذ هذا الموقف العظيم، فكيف بزمننا!

وكما قال الرافعي: "وكنت لا أزال أعجب من صبر شيخنا أحمد بن حنبل وقد ضرب بين يدي المعتصم بالسياط حتى غشي عليه فلم يتحول عن رأيه؛ فعلمت الآن أنه لم يجعل من نفسه للضرب معنى الضرب، ولا عرف للصبر معنى الصبر الآدمي؛ ولو هو صبر على هذا صبر الإنسان لجزع وتحول، ولو ضرب ضرب الإنسان لتألم وتغير؛ ولكنه وضع في نفسه معنى ثبات السنة وبقاء الدين، وأنه هو الأمة كلها لا أحمد بن حنبل، فلو تحول لتحول الناس، ولو ابتدع لابتدعوا؛ فكان صبره صبر أمة كاملة لا صبر رجل فرد، وكان يضرب بالسياط ونفسه فوق معنى الضرب، فلو قرضوه بالمقاريض ونشروه بالمناشير لما نالوا منه شيئا؛ إذ لم يكن جسمه إلا ثوبا عليه، وكان الرجل هو الفكر ليس غير هؤلاء قوم لا يرون فضائلهم فضائل، ولكنهم يرونها أمانات قد ائتمنوا عليها من الله لتبقى بهم معانيها في هذه الدنيا؛ فهم يزرعون في الأمم زرعا بيد الله، ولا يملك الزرع غير طبيعته، وما كان المعتصم وهو يريد شيخنا على غير رأيه وعقيدته إلا كالأحمق يقول لشجرة التفاح: أثمري غير التفاح". أ.هـ.

وفي زماننا هذا يريدون الإنسان أن يتحول ليتحول الناس ويبتدع ليبتدع الناس، وهم وشيوخهم أعجز ما يكونون عن العلم والردود العلمية على العلماء وأهل العلم، فيستخدمون طرق الإكراه والتعذيب والترهيب وطول السجن والخداع أحياناً، والترغيب بالدنيا والمال والمناصب أحياناً، المهم أن يتحول العالم ويداهن ويراوغ ولا يتحول الظالم والطاغية والمستبد، وكما قال ذلك الذي كان يضرب الإمام أحمد: "أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم"، فهم في أبهة

الملك والخدم والحشم والجند والإعلام..إلخ لسان حالهم ومقالهم: "أيريد هذا الشخص أن يغلبني وأنا من أنا الذي كلمتي لا تنزل إلى الأرض".

وقد نجحوا في حالات عدة مع أشخاص سجنوهم ثم تحولوا تحولات مختلفة وبزوايا مختلفة ما بين الحادة والمنفرجة.. إلخ، وقاموا بهدم ما بنوه من قبل ونقض ما غزلوه، وردوا على أنفسهم بأنفسهم، ولم يحتج آل سعود ولا شيوخهم أن يردوا عليهم الردود العلمية لأن هذا الأسلوب قد نجح، فظنوا أن الكل هكذا وأن هذا هو الأسلوب الأمثل مع الجميع وما علموا أن الله عز وجل يقول: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام:٨٩]، ويقول تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد:٣٨]، ويقول جلَّ جلاله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤]، وقوله تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣] وغيرها من الآيات، وكما قال في الكافية الشافية:

والحق منصور وممتحن فلا ... تعجب فهذي سنة الرحمن
وبذاك يظهر حزبه من حربه ... ولأجل ذاك الناس طائفتان
ولأجل ذاك الحرب بين الرسل وال ... كفار مذ قام الورى سجلان
لكنما العقبى لأهل الحق إن ... فاتت هنا كان لدى الديان

فمثل هذا اختبار وامتحان لمن يثبت ومن ينكص على عقبيه، ومن يصبر على المحن والآلام، ومن يرجع لأول بلاء واختبار، فالله ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب، يرفع من يشاء ويخفض من يشاء، ويصطفي من يشاء ويثبت من يشاء، غني عن خلقه كما قال موسى عليه السلام: ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم:٨]

وبه يتبين من ينظر إلى المآل لا الحال، ومن يجاهد في الله حق جهاده، ومن يحب السلامة والقعود كما قال الشاعر:

حب السلامة يثني عزم صاحبه ... عن المعالي، ويغري المرء بالكسل
فإن جنحت إليه فاتخذ نفقاً ... في الأرض أو سلّماً في الجو فاعتزل
ودع غمار العلى للمقدمين على ... ركوبها، واقتنع منهن بالبلل
يرضى الذليل بخفض العيش مسكنةٌ ... والعزُّ عند رسيم الأينق الذُّلُلِ

وقد حذر الله في كتابه العزيز من طاعة الكافرين والمنافقين ومداهنتهم فقال لنبيه ﷺ: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۝ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ٨-١١] أي ودوا لو ترخص لهم فيرخصون لك، وتلين في دينك فيلينون في دينهم.

وقال له أيضاً ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:١-٤].

وقال له أيضاً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ۝ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان:٢٣ -٢٤].

وقال جل جلاله لنبيه ﷺ أيضاً: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۝ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۝ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء:٧٣-٧٥].

وقال جل جلاله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس:١٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠].

وقال سبحانه: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٤٥].

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد:٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٩].

وقال سبحانه: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود:١١٢-١١٣].

وقال جل جلاله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل:٩٢].

وغيرها من الآيات التي تحث على الثبات على الحق والاستقامة على أمر الله وشرعه والحذر من المداهنة واتباع الأهواء وموافقة أهل الكفر والنفاق والفجور.

وقال سبحانه لرسوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٨- ١٩]

وقال: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١].

وقال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء:٨٩].

وقال: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة:٢].

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٩].

والقرآن مليء بمثل هذا، والأحاديث النبوية الحاثة على التمسك بالسنة والثبات عليها والعض عليها بالنواجذ بالمئات.

ومع هذا كله فنحن في زمان كثرت فيه الأهواء، وتفنن فيه الطغاة، فلا مكان عندهم للعلم والردود العلمية الشرعية (ومقارعة الفكر بالفكر) كما يدعون، بل مقارعة الفكر بالأسر والقهر والنهر والغدر والكلبشات والقيود والعزل الانفرادي لسنوات وسنوات حتى يرجع

ويتراجع وشعارهم، شعار من قبلهم: (لئن لم تنته لأرجمنك)، (لئن لم تنته لنخرجنك)، (ولئن لم يفعل ما آمره به ليسجنن وليكونا من الصاغرين)، (ولئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين)، وتجويع وترويع ليصلوا إلى الإخضاع والتركيع مع من يستطيعون من أهل العلم، كما هي مكيدة السابقين الذين قال الله عنهم: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران:٧٢].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم، وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار، ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجهلة من الناس: إنما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين، ولهذا قالوا ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وقال ابن أبي نجيح: عن مجاهد في قوله تعالى إخباراً عن اليهود بهذه الآية، يعني يهوداً صلت مع النبي ﷺ صلاة الصبح، وكفروا آخر النهار مكراً منهم، ليروا الناس أن قد بدت لهم الضلالة منه بعد أن كانوا اتبعوه.

وقال العوفي عن ابن عباس: قالت طائفة من أهل الكتاب: إذ لقيتم أصحاب محمد أول النهار فآمنوا، وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا". أ.هـ.

وكذلك اليوم ينكص البعض على أعقابه ويبحث له عن التأويلات والمخارج والأقوال لكي يبرر نكوصه ويقدم مصالحه الشخصية وحبه للسلامة على مصالح الإسلام والأمة، فيحصل بذلك من البلبلة والآثار السيئة في صفوف المسلمين، وهذا ما يريده الطغاة والعتاة، وكما قال ابن القيم في الميمية:

ويا موقدًا ناراً لغيرِكَ ضوؤُهَـــــــا وحرُّ لَظَاهَا بينَ جنبيكَ يضـــــــرِمُ
أهذا جنى العلمِ الذي قد غرستَـــــهُ وهذا الذي قد كنتَ ترجوه يُطعـــــمُ

وهذا هو الحظُّ الذي قد رضيتَـــــهُ لنفسِكَ في الدارينِ جاهٌ ودرهـــــمُ
وهذا هو الربحُ الذي كسبتَـــــــه لعمرُكَ لا ربحٌ ولا الأصلُ يسلَـــــمُ
بخلتَ بشيء لا يضرُّكَ بذلُـــــــه وجُدْتَ بشيء مثلُهُ لا يـــــــقوَّمُ
بخلت بذا الحظ الخسيس دنـــــاءة وجدت بدار الخلد لو كنت تفهـــمُ
وبعتَ نعيماً لا انقضـــــــاءَ لهُ ولا نظير ببـخسٍ عن قليلٍ سَيُـــــعْدَمُ
فهلّا عكست الأمر إن كنت حازمـــاً ولكن أضعت الحزم لو كنت تعلـــمُ
وتهدمُ ما تبني بكفَّيكَ جَاهِـــــــداً فأنت مدى الأيامِ تبني وتـهـــــــدمُ

فالطغاة يريدون من أمثال هؤلاء أن يهدموا ما بنوه بأنفسهم وأيديهم، ويقدمون لهم الإعلام ويفتحون أبوابه لكي يقوموا بهذا الهدم، ويبرروا ذلك بأن الشافعي له مذهبان قديم وجديد، وأن أحمد له روايات في المسألة، وأن الرجوع إلى الحق فضيلة.. إلخ من أقوال مردودة؛ فالشافعي وأحمد لم يبدلوا دين الله، ويوافقوا الظلمة ويرددوا ما أرادوه منهم ويغيروا منهجهم تحت ضغوط أمراء زمانهم، وموقف أحمد مع ثلاثة ملوك أوضح من الشمس في رابعة النهار، لم يستطيعوا أن يصلوا إلى مرادهم منه، وقد دخل عليه بعض الحفاظ من أهل الحديث وهو محبوس بالرقة فجعلوا يذاكرونه ما يريدون في التقية من الأحاديث، فقال: وكيف تصنعون بحديث خباب: ((إن من كان قبلكم كان ينشر أحدهم بالمنشار ثم لا يصده ذلك عن دينه))؟! فيئسوا منه.

وهجر من أجاب في الفتنة كابن معين والمديني وغيرهم، وقال: "لو أنهم صبروا".

وكما قال ابن الجوزي عن أحمد: "هذا رجل هانت عليه نفسه في الله تعالى فبذلها، كما هانت على بلال نفسه، وقد روينا عن سعيد بن المسيب: أنه كانت نفسه عليه في الله تعالى أهون من نفس ذباب.

وإنما تهون أنفسهم عليهم لتلمحهم العواقب، فعيون البصائر ناظرةٌ إلى المال، لا إلى الحال، قد صح عن النبي ﷺ أنه قال: ((يبتلى المرء على حسب دينه)) فسبحان من أيده وبصَّره وقواه ونصره". أ.هـ.

ورواياته ليست رجوعاً وتراجعاً كما يفهمه البعض، ولكن كما قال ابن تيمية رحمه الله: "ومن كان خبيراً بأصول أحمد ونصوصه عرف الراجح في مذهبه في عامة المسائل، وإن كان له بصر بالأدلة الشرعية عرف الراجح في الشرع، وأحمد كان أعلم من غيره بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولهذا لا يكاد يوجد له قول يخالف نصاً كما يوجد لغيره، ولا يوجد له قول ضعيف في الغالب إلا وفي مذهبه قول يوافق القول الأقوى، وأكثر مفاريده التي لم يختلف فيها مذهبه يكون قوله فيها راجحاً".أ.هـ

ورواياته تتعدد بتعدد أقوال الصحابة في المسألة، فيكون له مع كل قول رواية لمدى ورعه واتباعه رحمه الله، ولم يستطع المتوكل أن يروّض أحمد بن حنبل ولما استدعاه إلى سامراء لكي يسكن فيها ويحدث بها انقبض أحمد عن ذلك ورفض أن يشتري بيتا هناك أو يحدث، وأعطى الله عهداً أن لا يحدث بحديث على تمامه حتى يلقاه، ولا يستثني من هذا العهد حتى ولديه، وقال: إنما يريدون أن أحدّث ويكون هذا البلد حبسي، وإنما كان سبب الذين أقاموا بهذا البلد لما أعطوا فقبلوا، وأمروا فحدثوا، والله لقد تمنيت الموت في الأمر الذي كان وإنني لأتمنى الموت في هذا وذاك، إن هذا فتنة الدنيا وذاك فتنة الدين. ثم جعل يضمُّ أصابعه ويقول: لو كان نفسي في يدي لأرسلتها ثم يفتح أصابعه. [ذكر الذهبي ذلك في "سير أعلام النبلاء (١١/٢٧٧،٢٧٦،٢٤٧)].

وكما قال رئيس شرط المعتصم: "ما رأيت أحداً لم يداخل السلطان ولا خالط الملوك أثبت قلباً من أحمد يومئذ، ما نحن في أعينه إلا كأمثال الذباب".

وأما الشافعي رحمه الله فلم ينتقل من مذهب الصدع بالحق إلى مذهب الكتمان، ولا من مذهب الوضوح إلى مذهب المداهنة والمراوغة، ولا من مذهب البعد عن السلاطين ومخالطتهم

إلى مذهب الارتماء في أحضانهم والدفاع عنهم بالحق والباطل، ولا من مذهب الاستقلال إلى مذهب الإملاء والترويض، كلا، فلا هذا ولا ذاك، وإنما ترقى رحمه الله في العلم وتمكن فيه فانتقل من حسن إلى أحسن، ومن فاضل إلى أفضل، نتيجة البحث والسفر والقراءة والحفظ، وهكذا، وليس نتيجة السجن ورغبة الخروج منه أو خوفاً من الدخول فيه، وكما قال الشاعر:

فالسابقون مضـــوا وما خدعوا الورى ... بالترهات لأنهم أمنـــــــــاء
واللاحقون مضوا على أهوائهـــــم ... أرأيت مـــا فعلت بنـــا الأهـــــواء
بـدع بها جمعـوا من الأموال مـــــا ... جمعوا ومجموع الهبـــــاء هبـــــاء
في ذمة العلمـاء هـذا كلـــــــــه ... إن كان فيما بينـنا علمـــــــــاء
إن الحكـام يحكمـون الـــــــورى ... وعلى الملـــوك يحكـــم العلمـــــاء

وأما الذين يحتجون بمثل هذه الحجج وبهؤلاء الأئمة: فلو كانوا في زمانهم لهجروهم وحذروا منهم أشد التحذير؛ كيف وقد داهنوا، وراوغوا، ولبسوا الحق بالباطل، وكتموا الحق، وهدموا ما بنوه بأيديهم، ودخلوا على الظالمين، وركنوا ودافعوا عنهم، وخرجوا في قنواتهم وإذاعاتهم وصحفهم المملوكة لصناديد الفساد والإفساد في الأرض وقنوات الخلاعة والدعارة في مساحات خصصت لهم لكي يقوموا بالدور اللازم منهم، فيتذاكون على بعضهم البعض تحت تأويلات فاسدة وحجج واهية ونخوة شيطانية، يقول ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

يا قومنا الله في إسلامكـــــــــم ... لا تفسدوه بنخوة الشيطـــــــان
يا قومنا اعتبروا بمصرع من خـــــلا ... من قبلكم في هذه الأزمـــــــان
لم يغن عنهم كذبهم ومحالهـــــــم ... وقتالهم بالزور والبهتـــــــــان
كلا ولا التدليس والتلـــــــبيس عن ... ـد الناس والحكام والسلطـــــــان

وبدا لهم عند انكشاف غطائهـــــم ما لم يكن للقوم في حسبـــــــان
وبدا لهم عند انكشاف حقـــائق ال إيمان أنهم على البطـــــــــلان

واستخدمهم آل سعود شر استخدام خصوصاً في مواجهة الدعوة الإصلاحية التجديدية التي ظهرت واشتهرت منذ غزوات نيويورك وواشنطن بقيادة الشيخ المجاهد الإمام أسامة بن لادن رحمه الله، ولأن آل سعود وشيوخهم الرسميين في حال إفلاس أشار عليهم من أشار (بأن الحديد لا يفله الا الحديد)، ومواجهة هؤلاء تتم بطرق مختلفة من أهمها استخدام شيوخ ما يسمى بالصحوة الناكصين على أعقابهم لقدرتهم على التحدث والكتابة ولما يتوهمونه من شعبية لهم فيما مضى، وما علموا بأن الشيخ الإمام أسامة بن لادن رحمه الله سحب من تحتهم البساط فنكسوا على رؤوسهم وتغيرت الموازين وانكشف المغطا وبان المستور وانفض عنهم ومن حولهم الكثير من الناس.

وكان حال أهل الحق والتوحيد والجهاد وصفاء المنهج ووضوح الطريق مع آل سعود وشيوخهم الرسميين وشبه الرسميين كما قال ابن القيم في الكافية الشافية:

مَنْ هؤلاء ومَنْ يقال لهم فقـــــــد جاؤوا بأمر مـــــــــالىء الآذان
ولهم علينا صولة ما صالهـــــــــا ذو باطل بل صاحب البرهـــــــان
أو ما سمعتم قولهم وكلامهـــــــم مثل الصواعق ليس ذا لجبـــــــان
جاؤوكم من فوقكم وأتيتـــــــــم من تحتهم ما أنتم سيّـــــــــــان
جاؤوكم بالوحي لكن جئتـــــــــم بنحاتة الأفكار والأذهـــــــــان
قالوا مشبهة مجسمـــــــــــة فلا تسمع مقال مجسم حيـــــــــوان
والعنهم لعناً كبيراً واغـــــــــزهم بعساكر التعطيل غير جبـــــــان
واحكم بسفك دمائهم وبحبسهـــــم أولا فشردهم عن الأوطـــــــان
حذر صحابك منهم فهم أضـــــل من اليهود وعابدي الصلبـــــــان

واحذر تجادلهم بقـــــــال الله أو قال الرسول فتنثني بهـــــــوان
فإذا ابتليت بهم فغالطهـــم على الت أويل للأخبار والقـــــــرآن

وكيف التعامل مع كل هؤلاء الشيوخ، وهذه الكتب والمؤلفات لأبي محمد المقدسي، وناصر الفهد، ويوسف العييري، وحمود العقلا، وعمر محمود أبو عمر (أبو قتادة)، وأبو بكر ناجي، وعبدالعزيز الطويلعي، وغيرهم من أهل العلم، وبعض ما اجتهد فيه العبد الفقير، هل هو (مقارعة الفكر بالفكر)؟!

وما الفكر الذي يحمله آل سعود أو نايف بن عبد العزيز وولده محمد أو المباحث، وهؤلاء الذين ذكرت أسماءهم لم يتم الرد عليهم بطريقة علمية شرعية منهجية مع كل ما يملكونه من مؤسسات وجامعات وهيئات وشيوخ.. إلخ، وإنما هو اللغط والصياح والصراخ وإلقاء التهم والتجهيل والتقزيم وبخس الناس لأشياءهم والقتل والحبس والسجن والضرب والسحب والإهانة والتعذيب وهدم البيوت وترميل النساء وتيتيم الأطفال وإفقار الأسر والمساومة.. إلخ، وكما قال الشاعر:

كم ســـاوموه لكي يحيـــــــد عن العهود بأسرهـــــــــا
ولكي يخون كتائبـــــــــــا باعوا النفوس لربهـــــــــــا
ولكي يشـوّه ما أضـــــــــاء الكون من صفحاتهـــــــــا
ولكي يكون صنيعـــــــــة الشيطان بين صفوفهـــــــــا
وأبى الكريم مباهـــــــــج الدنيا وطلّق أمرهـــــــــا
ورأى الســـجون معاقـــــــل الأحرار رغم قيودهـــــــــا
وأصـرَّ أن يعلي نـــــــداء الحق في جنباتهـــــــــا

وكما قال الآخر:

يا بؤس من سمعوه حاضر مـــــرة في غزوة اليرموك أو حطيـــــن
يا بؤس من سمعوه يخطب قائـــلا قرآن ربي مصدر التقنيـــــن
يا هول من ضبطوا لديه كتيبـــاً يدعو إلى الإعداد والتمريـــن
يا ويل من عرفوه عاون أســـرة قطعوا عليها مورد التمـــوين
يا ويح حافظ آل عمران لقـــد ظفروا بسلطان عليه مبـــين
فهناك إعدام وتـــأبيد إذا شاؤوا وأشغال وعشر سنـــين

وقد قال ابن القيم رحمه الله لعدد من الفرق ورموز البدعة أبياتاً في الكافية الشافية تناسب حالنا مع هؤلاء القوم تحت فصل بعنوان (في صف العسكرين وتقابل الصفين واستدارة رحى الحرب العوان وتصاول الأقران)، فقال رحمه الله:

يا من يشـــب الحرب جهلاً ما لكم بقتال حزب الله قطّ يـــدان
أنَّى يقاوم جندكم لجنـــودهم وهـم الهـداة وناصـرو الـرحمـن
وجنودكم ما بين كـــذاب ودجـ ـال ومحتال وذي بهتـــان

إلى أن قال:

هذي العساكر قد تلاقت جهـــرة ودنا القتال وصيح بالأقـــران
صفوا الجيوش وعبئوها وابـــرزوا للحرب واقتربوا من الفرســـان
فهم إلى لقياكم بالشـــوق كي يوفوا بنذرهم من القربـــان
ولهم إليكم شوق ذي قرم فمـــا يشفيه غير موائد اللحمـــان
تبًّا لكم لو تعقلون لكنتـــم خلف الخدور كأضعف النســـوان
من أين أنتم والحديث وأهلـــه والوحي والمعقول بالبرهـــان
ما عندكم إلا الدعاوى والشكـــا وى أو شهادات على البهتـــان

هذا الذي والله نلنا منكـــــــــم في الحرب إذ يتقابل الصفـــــــان
والله ما جئتم بقـــــــــال الله أو قال الرسول ونحن في المـــــــيدان
إلا بجعجعة وفرقعـــــــــة وغمـ ـغمة وقعقعة بكل لســـــــــان
ويحق ذاك لكم وأنتم أهلـــــــــه أنتم بحاصلكم أولو عرفـــــــان
وبحقكم تحموا مناصبكـــــــم وأن تحموا مآكلكم بكل سنـــــــان
وبحقنا نحمي الهدى ونذب عـــــن سنن الرسول ومقتضى القـــــرآن
قبح الإله مناصباً ومآكـــــــلاً قامت على العدوان والطغيـــــان

وأخيراً:

أختم الرد على هذه الدعوى والتهمة بأن علماء المسلمين الذين لا يرتبطون بآل سعود من قريب أو بعيد ولا يستخدمهم الطغاة نحبهم وندعو لهم.

وأقول بما قاله ابن تيمية رحمه الله في "الفتاوى الكبرى (٦/٩٢/٩٥)":

"نعوذ بالله سبحانه مما يفضي إلى الوقيعة في أعراض الأئمة، أو انتقاص أحد منهم، أو عدم المعرفة بمقاديرهم وفضلهم، أو محادتهم وترك محبتهم وموالاتهم، ونرجو من الله سبحانه أن نكون ممن يحبهم ويواليهم ويعرف من حقوقهم وفضلهم ما لا يعرفه أكثر الأتباع، وأن يكون نصيبنا من ذلك أوفر نصيب وأعظم حظ، ولا حول ولا قوة إلا بالله لكن دين الإسلام لا يتم إلا بأمرين:

أحدهما: معرفة فضل الأئمة وحقوقهم ومقاديرهم ومراتبهم، وأن فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كل ما قالوه، وما وقع في فتاويهم من المسائل التي خفي عليهم فيها ما جاء به الرسول فقالوا بمبلغ علمهم والحق في خلافها؛ لا يوجب اطراح أقوالهم جُملة، وتنقصهم والوقيعة فيهم، فهذان طرفان جائزان عن القصد، وقصد السبيل بينهما فلا

نؤثم، ولا نعصم، ولا نسلك بهم مسلك الرافضة في علي، ولا مسلكهم في الشيخين، بل نسلك مسلكهم أنفسهم فيمن قبلهم من الصحابة؛ فإنّهم لا يؤثمونهم، ولا يعصمونهم، ولا يقبلون كل أقوالهم، ولا يهدرونها، فكيف ينكرون علينا في الأئمة الأربعة مسلكاً يسلكونه هم في الخلفاء الأربعة وسائر الصحابة!

ولا منافاة بين هذين الأمرين لمن شرح الله صدره للإسلام، وإنّما يتنافيان عند أحد رجلين: جاهل بمقدار الأئمة وفضلهم، أو جاهل بحقيقة الشريعة التي بعث الله بها رسوله، ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهَفوة والزلة هو فيها معذور، بل ومأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين.

قال عبد الله بن المبارك: كنت بالكوفة فناظروني في النبيذ المختلف فيه، فقلت لهم: تعالوا فليحتج المحتج منكم عمن شاء من أصحاب النبي ﷺ بالرخصة، فإن لم يبين الرد عليه عن ذلك الرجل بسند صحت عنه فاحتجوا، فما جاؤوا عن أحد برخصة إلا جئناهم بسند، فلما لم يبق في يد أحد منهم إلا عبد الله بن مسعود وليس احتجاجهم عنه في شدة النبيذ بشيء يصح عنه، إنّما يصح عنه أنه لم ينتبذ له في الجَرِ إلا حذر، قال ابن المبارك: فقلت للمحتج عنه في الرخصة: يا أحمق، عُدَّ أن ابن مسعود لو كان هاهنا جالساً، فقال: هو لك حلال، وما وصفنا عن النبي ﷺ وأصحابه في الشدة كان ينبغي لك أن تحذر وتَخشى، فقال قائل: يا أبا عبد الرحمن، فالنخعي والشعبي – وسمى عدة معهما – كانوا يشربون الحرام!.

فقلت لهم: دعوا عند المناظرة تسمية الرجال، فربّ رجل في الإسلام مناقبه كذا وكذا وعسى أن تكون منه زلة، أفيجوز لأحد أن يحتج بها؟! فإن أبيتم فما قولكم في عطاء وطاوس وجابر بن زيد وسعيد بن جبير وعكرمة؟ قالوا: كانو خياراً، قلت: فما قولكم في الدرهم

بالدرهمين يداً بيد؟ قالوا: حرام، فقلت: إن هؤلاء رأوه حلالاً فماتوا وهم يأكلون الحرام، فبقوا وانقطعت حجتهم.

قال ابن المبارك: أخبرني المعتمر بن سليمان قال: رآني أبي وأنا أنشد الشعر فقال لي: يا بني، لا تنشد الشعر، فقلت له: يا أبت، كان الحسن ينشد وكان ابن سيرين ينشد، فقال لي: أي بني، إن أخذت بشر ما في الحسن وبشر ما في ابن سيرين؛ اجتمع فيك الشر كله.

وهذا الذي ذكره ابن المبارك متفق عليه بين العلماء، فإنه ما من أحد من أعيان الأمة من السابقين والأولين ومن بعدهم إلا لهم أقوال وأفعال خفي عليهم فيها السنة، وهذا باب واسع لا يحصى، مع أن ذلك لا يغض من أقدارهم ولا يسوغ اتباعهم فيها كما قال سبحانه: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [النساء:٥٩].

قال ابن مجاهد والحكم بن عتيبة ومالك وغيرهم: ليس أحد من خلق الله إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ.

وقال سليمان التيمي: إن أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله.

قال ابن عبد البر: هذا إجماع لا أعلم فيه خلافاً.

وقد روي عن النبي ﷺ وأصحابه في هذا المعنى ما ينبغي تأمله، فروى كثير بن عبد الله عن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إني لأخاف

على أمتي من بعدي أعمال ثلاثة، قالوا وما هي يا رسول الله؟ قال: أخاف عليهم زلة العالم، ومن حكم جائر، ومن هوى متبع)) [١].

وقال زياد بن حدير قال عمر: "ثلاث يهدمن الدين: زلَّة العالم، وجدال المنافق بالقرآن، وأئمة مضلون". [سبق تخريجه]

وقال الحسن: قال أبو الدرداء: "إن مما أخشى عليكم زلة العالم وجدال المنافق بالقرآن، والقرآن حق وعلى القرآن منار كأعلام الطريق، وكان معاذ بن جبل يقول في خطبته كل يوم – قلّ ما يخطبه أن يقول ذلك –: الله حكم قسط، هلك المرتابون، إنَّ وراءكم فتناً يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن، حتى يقرأه المؤمن والمنافق والمرأة والصبي الأسود والأحمر، فيوشك أحدهم أن يقول قد قرأت القرآن فما أظن أن يتبعوني حتى أبتدع لهم غيره. قال: فإياكم وما ابتدع، فإن كل بدعة ضلالة، وإياكم وزيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة، وإن المنافق قد يقول كلمة الحق فتلقوا الحق عّمن قد جاء به، فإن على الحق نوراً. قالوا: وكيف زيغة الحكيم؟ قال: هي كلمة تروعكم وتنكرونها، وتقولون ما هذه، فاحذروا زيغته، ولا يصدنكم عنه، فإنه يوشك أن يفيء وأن يراجع الحق، وإن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة، فمن ابتغاهما وجدهما".

وقال سلمان الفارسي: "كيف أنتم عند ثلاثة: زلة العالم، وجدال المنافق بالقرآن، ودنيا تقطع أعناقكم.. فأما زلة العالم فإن اهتدى فلا تقلدوه دينكم، تقولون نصنع مثل ما يصنع فلان، وننهى عما ينهى عنه فلان، وإن أخطأ؛ فلا تقطعوا إياسكم منه، فتعينوا عليه الشيطان. وأما مجادلة المنافق بالقرآن: فإن القرآن مناراً كمنار الطريق، فما عرفتم منه فخذوه،

---

[١] لم يذكر ابن تيمية تخريجه، وهو عند القاضي أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد في أماليه وكثير بن عبد الله، ضعفه الأئمة وتركوه وكذبه بعضهم، ورواه الطبراني في الكبير عن معاذ بن جبل، والمعجم ليس بحوزتي الآن حتى أنظر في إسناده

وما لم تعرفوه فكلوه إلى الله سبحانه. وأما دنيا تقطع أعناقكم: فانظروا إلى مَنْ هو دونكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم".

وعن ابن عباس قال: "ويل للأتباع من عثرات العالم، قيل: كيف ذاك؟ قال: يقول العالم شيئاً برأيه، ثم يجد من هو أعلم منه برسول الله ﷺ، فيترك قوله ذلك، ثم يمضي الأتباع".

وهذه آثار مشهورة رواها ابن عبد البر وغيره.

فإذا كنا قد حذرنا من زلة العالم، وقيل لنا أنها أخوف ما يخاف علينا، وأمرنا مع ذلك أن لا يرجع عنه؛ فالواجب على من شرح الله صدره للإسلام إذا بلغته مقالة ضعيفة عن بعض الأئمة أن لا يحكيها لمن يتقلد بها، بل يسكت عن ذكرها إلى أن يتيقن صحتها، وإلا توقف في قبولها، فما أكثر ما يحكى عن الأئمة ما لا حقيقة له..." إلى آخر كلامه. والوجوه التي ذكرها رحمه الله. وقد ذكر كلام ابن تيمية هذا بنصه وزاد عليه ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين (٥/٢٣٤-٢٤٠)".

(تهمة اعتناق منهج الخوارج... إلخ)

وجوابي:

سبحانك هذا بهتانٌ عظيم وإفتراءٌ كبير، لم يزل آلُ سعود ومباحثهُ وإعلامُه المرئي والمسموع والمقروء يحاول جاهداً إلصاقه بكل مخالف لهم بكل ما أُوتي من قوة، وساقوا أحاديث الخوارج وجمعوها ورموا بها أهل الحق والإيمان وناصري السنة والقرآن كما فعل الظالمون والمستبدون وأمراء الجور وأئمة الضلالة مع أهل الحق عبر التاريخ، فكم من إمام من أئمة الإسلام وأعلامه قد اتُّهم بذلك بغياً وعدواناً من التابعين وأتباعهم، والتاريخ لمن يقرأ خير شاهد على ذلك.

وقد اتهم خصوم أحمد بن حنبل في المحنة بذلك وقالوا بأنه من الخوارج، وهذا سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث يقول بأنه أخذ في المسجد الحرام فأدخل على أبي هارون وهو في إزار ورداء والنعلان في يده، قال: فلما دخلت سلمت وقعدت، فقال أبو عبيدالله: إني أظن أن له رأي سوء - يعني رأي الخوارج - فقلت لأبي هارون: من هذا؟ قال: هذا معاوية بن عبيد الله، فقلت له: احذر هذا وأصحابه.

وقيل ذلك عن ابن تيمية، وابن القيم، وغيرهم من العلماء والدعاة والمجددين.

وفي زماننا هذا حاول آل سعود وشيوخه خصوصاً وصف المجاهدين في سبيل الله والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والمتمسكين بالسنن بذلك، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨].

يقول ابن كثير رحمه الله في "تفسيره (٦/٢٨٦٠)": (أي ينسبون إليهم ما هم بُراءَ منه لم يعلموه ولم يفعلوه... وهذا هو البهت البين، أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم، ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرةُ بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه ويصفونهم بنقيض

ما أخبر الله عنهم؛ فإن الله عز وجل قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الاغبياء يسبونهم وينتقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبداً، فهم في الحقيقة منكوسو القلوب يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين". أ.هـ

وهم في قولهم هذا كمن يأتي إلى النهار ويقول أنت ليلٌ ويصرّ على ذلك ويستمر فيه، وقد عقد ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية فصلاً تحت عنوان (فصل في بيان كذبهم ورميهم أهل الحق بأنهم أشباه الخوارج وبيان شبههم المحقق بالخوارج)، فيقول رحمه الله:

ومن العجائب أنهم قالوا لمـــــن ... قد دان بالآثار والقـــــرآن
أنتم بذا مثل الخوارج وإنهـــــم ... أخذوا الظواهر ما اهتدوا لمعـــاني
فانظر إلى ذا البهت هذا وصفهـــم ... نسبوا إليه شيعة الإيمـــــان
سلّوا على سنن الرسول وحزبـــه ... سيفين سيف يد وسيف لســـان
خرجوا عليهم مثل ما خـــرج الألى ... من قبلهم بالبغي والعـــدوان
والله ما كان الخوارج هكـــذا ... وهم البغاة أئمة الطغيـــان
كفرتم أصحاب سنتـــه وهم ... فساق ملته فمن يلحـــاني
إن قلت هم خير وأهدى منكـــم ... والله ما الفئتان مستويـــان
شتان بين مكفر بالسنـــة ... العليا وبين مكفر العصيـــان
قلتم تأولنا كذاك تأولـــوا ... وكلاكما فئتان باغيتـــان
ولكم عليهم ميزة التعطـــيل ... والتحريف والتبديل والبهتـــان
ولهم عليكم ميزة الإثبـــات والتـ ... ـصديق مع خوف من الرحمـــن
ألكم على تأويلكم أجـــران إذ ... لهم على تأويلـــهم وزران
حاشا رسول الله من ذا الحكـــم بل ... أنتم وهم في حكمه سيـــان
وكلاكما للنص فهو مخـــالف ... هذا وبينكما من الفرقـــان

هم خالفوا نصا لنص مثلـــــــــه لم يفهموا التوفيق بالإحســـــــان
لكنكم خالفتم المنصـــــــــوص للشبه التي هي فكرة الأذهـــــــان
فلأي شيء أنتم خـــــــــير وأقرب منهم للحق والإيمـــــــان
هم قدموا المفهوم من لفظ الكتـــاب على الحديث الموجب التبيـــــان
لكنكم قدمتمو رأي الرجـــــــا ل عليهما أفانتما عـــــــدلان
أم هم إلى الإسلام أقرب منكـــــم لاح الصباح لمن له عينـــــــان
والله يحكم بينكـــــــم يوم الجزا بالعدل والإنصاف والمـــــيزان
هذا ونحن فمنهم بل منكـــــــم براء إلا من هدى وبيـــــــان

والرد على هذه الفرية والدعوى الباطلة من وجوه متعددة، فمنها:

أولاً:

من ينظر في حال الخوارج المذكورين في الأحاديث يجد أن أبرز صفاتهم الشكلية التحليق كما في قوله: ((سيماهم التسبيد))، وفي لفظ: ((التحليق))، ومعنى ذلك أنهم يحلقون رؤوسهم باستمرار ولا يطيلون شعورهم كما هي عادة العرب، وفي زماننا هذا نجد أن هذا الوصف ينطبق على آل سعود وعساكرهم، فهم يحلقون رؤوسهم باستمرار وبتشريع شرعوه وسموه النظام، فلا يمكن للعسكري أن يطيل شعره، بل أكثرهم حلق حتى لحيته وشاربه، وتلعب بهم الشيطان فخرجوا بأشكال يقلدون فيها الشرق والغرب، بخلاف المسلمين المجاهدين من أهل الحق والإيمان في قواعد الجهاد بقيادة الشيخ الإمام أسامة بن لادن رحمه الله والشيخ أيمن الظواهري نصره الله وبقية قيادات المجاهدين وأمرائهم وجنودهم، فشعورهم طويلة تضرب الأكتاف كعادة العرب، يطيلون الشعور ويسرحونها ويظفرونها.

وأنا في السجن تسع سنين الآن تتم حلاقة شعري بشكل مستمر ومنتظم بالإكراه وبقوة الحديد والقيود والكلبشات والضرب والإهانة، وقد حصل لي عدة وقائع معهم أدخلوا علي

العشرات من العساكر والطوارئ واقتادوني إلى الحلاق وحلقوني بالقوة مع حرصي على إطالة شعري وتربيته وتسريحه.

وقد كان أصحاب النبي ﷺ لا يحلقون رؤوسهم إلا في نسك (حج أو عمرة) أو من أذى ومرض، ونحن نقتدي بهم.

ولا أعلم أن أحداً من المجاهدين في ميادين القتال أو في ميادين الدعوة يُجَبرُ أو يدعى إلى حلاقة رأسه في غير الحج والعمرة والأذى والمرض في الرأس، والأشرطة المرئية والمصورة والواقع يشهد بذلك، وأما اللحى فنوفرها ونرخيها ونعفيها استجابة للرسول ﷺ في الأحاديث الصحيحة الآمرة بذلك وهي للوجوب، وأما الشوارب فنحفّها ونقصها ونأخذ منها استجابة للرسول ﷺ في الأحاديث الصحيحة الآمرة بذلك.

فأي الفريقين منا ومنهم أقرب إلى هذا الوصف؟ نحن أم هم؟ إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.

وقد أصبحت من سنين أحلق رأسي بنفسي داخل الزنزانة اتقاءً للمواجهات والمشاكل مع السجانين، لأنهم إذا مروا في الأوقات المحددة لهم على الزنازين فوجدوا أحداً شعره قد طال حلقوه وإن لم يطعهم حلقوه بالقوة وجاؤوا بقوات ما يسمونها (حفظ النظام) وكان ما كان.

وقد أخبرني الشيخ العالم سليمان العلوان بأنه حين ذهبوا به وبقية المشايخ إلى السجن في الدمام كانوا يمرون عليهم كل عشرين يوماً لحلاقة رؤوسهم بشكل مهين ومذل، وذلك في فترة ما بين (١٤٢٩/١٠/٨) إلى (١٤٣٠/٨/١٨)، وكان معه الشيخ ناصر الفهد، والشيخ سعيد بن كارع الغامدي، والشيخ حمد الحميدي، والشيخ علي الخضير، والشيخ أحمد الخالدي، والشيخ عبد الله السلمي، والإخوة علي الفقعسي، وصالح الجديعي، والشبرمي... إلخ.

فانظر إلى فرض شيء لم يفرضه الشرع ولم يأمر به إلا في النسك، كيف فرضوه على الناس وارتكبوا عدة مخالفات شرعية ومعاصي وظلماً وقهراً للرجال! فمن الذي سيماه التحليق، آل سعود والمباحث أم نحن!، وكما قال في الكافية الشافية:

فانظر إلى قلب الدليل عليهم حرفاً بحرف ظاهر التبيان

وقد قال الشيخ العالم سليمان العلوان بأنه ما عرف حقيقة معنى (قهر الرجال) إلا في تلك المرحلة، حيث ذهبوا بهم ومارسوا عليهم صنوف الأذى بتوجيهٍ وأمرٍ من (محمد بن نايف)، وذلك ربما للانتقام منهم وإخضاعهم وإرهابهم وإرهاب من ورائهم، وما جرى في تلك المرحلة أي لأكثر من عشرة أشهر له قصة طويلة ليس هذا مكان بسطها.

ثانيًا:

أن النبي ﷺ جعل المقياس في ذلك أصحاب النبي ﷺ حين قال: ((تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم... إلخ)) أي تحقرون أنتم يا أصحابي ومن كان على نهج الصحابة وسار على دربهم.

وقد كان أصحاب النبي ﷺ يصلون الصلوات الخمس في جماعة المسلمين ويصلون السنن الرواتب ويقومون الليل ويحيون الأسحار ويصلون الضحى، وقصصهم في ذلك مشهورة معروفة في كتب السنة والسير والكتب الخاصة بتراجمهم، وأما الصيام فمنهم السارد له، كعمر بن الخطاب حيث قال ابن عمر: "ما مات عمر حتى سرد الصوم" [رواه ابن أبي شيبة في المصنف]، وعثمان بن عفان كان يصوم الدهر [ذكر ذلك ابن حجر في الإصابة]، وسرد الصحابة أيضاً أبو طلحة وعائشة وأبو أمامه وحمزة بن عمرو الأسلمي وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير معروف مشهور، وهكذا بقية الصحابة بين المستقل والمستكثر.

وأما تلاوة القرآن فكما قال أوس: سألت أصحاب محمد ﷺ كيف تحزّبون القرآن؟ قالوا: "ثلاثاً وخمساً وسبعاً وتسعاً وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل واحد" [١] أي أنهم يختمون كل أسبوع مرة، وهذا حال كثير منهم، وإلا فالحال يختلف من شخص لآخر، فقد كان جماعة يختمون كل سبع ليال وهذا فعل الأكثرين من الصحابة والسلف الصالح، ومنهم في كل ثلاث ليال، وآخرون كل أربع ليال، وآخرون كل خمس ليال، وكل عشر ليال وثمان ليال وست ليال، ومنهم من يختم كل أسبوعين، ومنهم كل شهر، وختم جماعة في يوم وليلة، ولكن كما قالت عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله ﷺ لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث". رواه ابن سعد، ورواه سعيد بن منصور في سننه بلفظ: "كان لا يختم القرآن في أقل من ثلاث". وقال ابن حجر إسناده صحيح.

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم: إن رسول الله ﷺ قال: ((لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث)) [٢].

قال النووي رحمه الله في "التبيان في آداب حملة القرآن (١١-١٢)": "والمختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدرٍ يحصل له معه كمال فهم ما يقرؤه، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو فصل الحكومات بين المسلمين أو غيره من مهمات الدين والمصالح العامة للمسلمين فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلالٌ بما هو مُرصدٌ له، ولا فوت كماله، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر منه ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة من القراءة". أ.هـ

عن يحيى بن عمرو قال: "كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه

---

[١] رواه أبو داود (١٣٩٣) وابن ماجه (١٣٤٥) وفيه ضعف وله شواهد.

[٢] رواه أحمد (٦٥٤٦،٦٧٧٥) وأبو داود (١٣٩٤) والترمذي (٢٩٤٩) وغيرهم، وقال الترمذي: حسن صحيح. وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

فقال: أَخَرَجَ إليكم أبو عبد الرحمن؟ قلنا: لا بعد، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته ولم أرَ والحمد لله إلا خيراً، قال: فما هو؟ فقال: إن عشتَ فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجلٌ وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مئةً فكيبرون مئة، فيقول هلّلوا مئة فيهلّلون مئة، ويقول سبّحوا مئة فيسبّحون مئة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم. ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحِلَق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبدالرحمن حصى نعدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامنٌ أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هَلَكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون وهذه ثيابه لم تَبْل وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملّة هي أهدى من ملة محمد ﷺ أو مفتتحو باب ضلالة، قالوا: يا أبا عبدالرحمن، ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريدٍ للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحِلَق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج". [رواه الدارمي (٢١٠) بإسناد جيد].

فالصحابة هم المقياس، من زاد على صلاتهم وصيامهم وقراءتهم وذكرهم وسلوكهم وحالهم وعبادتهم... إلخ كان داخلاً في تلك الأحاديث.

وعن ابن عباس: أنه لما اعتزلت الخوارج دخلوا داراً وهم ستة آلاف، وأجمعوا على أن يخرجوا على علي بن أبي طالب وأصحاب النبي ﷺ، قال: يا أمير المؤمنين، إن القوم خارجون عليك، فيقول: دعوهم، فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون، فلما كان ذات يوم أتيته صلاة الظهر، فقلت له: يا أمير المؤمنين، أبرد بالصلاة لعلي أدخل على هؤلاء القوم فأكلمهم، فقال: إني أخاف عليك، فقلت: كلا، وكنت رجلاً حسن الخلق لا أؤذي أحداً، فأذن لي فلبست حلّة من أحسن ما يكون من اليمن وترجلت - وكان ابن عباس جميلاً

جهيراً -، فدخلت عليهم نصف النهار، فدخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهاداً، جباههم قرحة من السجود، وأياديهم كأنها ثفن الإبل (أي ركبها الغليظة) وعليهم قمص مرحضة (أي مغسولة) مشمرين، مسهمة وجوههم (أي متغيرة ألوانها) من السهر، فسلمت عليهم، فقالوا: مرحبا بابن عباس، ما جاء بك؟ فقلت: أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار، ومن عند صهر رسول الله ﷺ، وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم، فقالت طائفة منهم: لا تخاصموا قريشا، فإن الله عز وجل يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:٥٨].

فقال اثنان أو ثلاثة: لنكلمنه، فقلت: هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله ﷺ والمهاجرين والأنصار وعليهم نزل القرآن، وليس فيكم منهم أحد وهو أعلم بتأويله، قالوا: ثلاثاً، قلت: هاتوا، قالوا: أما إحداهن، فإنه حكم الرجال في أمر الله وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧]، فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل؟ فقلت: هذه واحدة، وماذا؟ قالوا: وأما الثانية: فإنه قاتل وقتل ولم يسب ولم يغنم، فإن كانوا مؤمنين فلم حلّ لنا قتالهم وقتلهم، ولم يحلّ لنا سبيهم؟ قلت: وما الثالثة؟ قالوا: فإنه محا عن نفسه أمير المؤمنين، فإنه إن لم يكن أمير المؤمنين، فإنه لأمير الكافرين. قلت: هل عندكم غير هذا؟ قالوا: كفانا هذا.

قلت لهم: أما قولكم: "حكّم الرجال في أمر الله": أنا أقرأ عليكم في كتاب الله ما ينقض هذا، فإذا نقض قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم قلت: فإن الله قد صيّر من حكمه إلى الرجال في ربع درهم ثمن أرنب، وتلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة:٩٥] إلى آخر الآية، وفي المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء:٣٥] إلى آخر الآية، فنشدتكم بالله، هل تعلمون حكم الرجال في إصلاح ذات بينهم وفي حقن دمائهم أفضل أم حكمهم في أرنب وبضع امرأة، فأيهما ترون أفضل؟ قالوا: بل هذه، قلت: خرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم، فتسبون أمكم عائشة رضي الله تعالى عنها، فوالله لئن قلتم ليست بأمنا لقد خرجتم من الإسلام، ووالله لئن قلتم لنسبينّها ونستحل منها ما نستحل من غيرها لقد خرجتم من الإسلام، فأنتم بين ضلالتين، لأن الله عز وجل، قال: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦]. أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم محا عن نفسه أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون، أن النبي ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين أبا سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو، فقال لعليّ رضي الله عنه: اكتب لهم كتابا، فكتب لهم عليّ: هذا ما اصطلح عليه رسول الله ﷺ فقال المشركون: والله ما نعلم أنك رسول الله، لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك. فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: اللهم إنك تعلم أني رسول الله، امح يا علي. اكتب هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله. فوالله لرسول الله ﷺ خير من علي وقد محا نفسه، قال: فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا.

وجاء عند عبد الرزاق في مصنفه أن عددهم حين خرجوا أربعة وعشرين ألفاً رجع منهم بعد مناظرة ابن عباس عشرون ألفاً وبقي أربعة آلاف فقتلوا [١].

ولكن قوماً في التاريخ من الظالمين والمستبدين لأنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، ويؤخرون الصلاة عن أوقاتها، وليس لهم في القيام نصيب، وأما الصوم ففي رمضان ولا شيء غيره؛ فهم ينظرون إلى كل من يفوقهم بأنهم خوارج لأنه يحقر صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم، فمن لا يصلي إلا الخمس يحقر صلاته مع من يصلي الخمس والسنن الرواتب، ومن يصلي الخمس والسنن والرواتب فقط يحقر صلاته مع من يصلي الصلوات الخمس والرواتب وقيام الليل، وهكذا، ومن لا يصوم

---

[١] وقد صححه الحاكم (٢٦٧٩) على شرط مسلم، وقال الهيثمي في المجمع رجالهما أي أحمد والطبراني (١٠٥٩٨) في الكبير رجال الصحيحين أ.هـ، وإسناده حسن.

إلا رمضان يحقر صيامه مع من يصوم رمضان وستاً من شوال، ومن يصوم رمضان وستاً من شوال فقط يحقر صيامه مع من يصوم رمضان وستاً من شوال وأيام البيض من كل شهر، وهكذا، وكذلك الأمر في قراءة القرآن، فهل كل من حقر صلاته وصيامه وقراءته مع صلاة وصيام وقراءة الآخرين يجوز ويحل له أن يتهمهم بأنهم خوارج.

ومن سيبقى من الناس حينئذ سالماً من تهمة الخوارج؟! فالناس كانوا وما زالوا يتفاوتون في عبادتهم وصلاتهم وصيامهم وقراءتهم وذكرهم، وهكذا، ولو قلنا بهذا حصل شر عظيم وفساد كبير، وسيصبح الصحابة والسلف الصالح من أمة محمد ﷺ عرضة للإتهام بذلك؛ لأن المتأخرين يحقرون أنفسهم في كل المناحي حين يقارنوها بالصحابة والسلف الصالح! وهذا لا يقوله مسلم يعرف الإسلام.

ولأن أمراء آل سعود ومباحثهم رأوا أناساً يستنون بسنة النبي ﷺ ويهتدون بهديه ويقتدون بأصحابه ما استطاعوا في كل شيء، ورأوهم يصلون الصلوات الخمس في المساجد ويحرصون عليها أشد الحرص ويصلون السنن الراتبة وغيرها من صلاة التطوع، وحقروا صلاتهم مع صلاة هؤلاء؛ فهم لا يصلون إلا الخمس إذا صلوا، ويؤخرونها عن وقتها، ولذا جعلوا من أنفسهم مقياساً لإطلاق هذه الأحكام واستنتاج هذه النتائج، وقس على ذلك الصيام وتلاوة القرآن، وهناك طغاة في بعض أمصار وبلدان المسلمين لا يصلون أصلاً، ويطلقون هذه المسميات على من يصلي الخمس لأنه يحقر صلاته المنعدمة مع صلاة من يصلي الصلوات الخمس، وهكذا في بقية الأمور.

ولما انحرف من انحرف عن هدي النبي ﷺ من الأمراء والساسة والمتنفذين وأصبحوا لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، ولا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً إلا ما اتبعوا من أهوائهم؛ أطلقوا هذا اللقب والوصف على كل متبع ومستن بسنة النبي ﷺ وسائر على درب أصحابه رضي الله عنهم، وحصل بذلك شر عظيم بسبب الطغيان والبهتان وجعلوا من ذلك ذريعة

لقتلهم وحبسهم من غير عدل ولا إنصاف ولا تحقيق لحاجة في أنفسهم. وسيجتمعون عند رب العالمين، ويقضي بينهم بحكمه، ويقتص للمظلوم ممن ظلمه، وعند الله تجتمع الخصوم.

ثالثًا:

أن ما ذكره أعلام المسلمين وفقهاءه من أقوال ومعتقدات للخوارج لم يقل بها أحدٌ منا، لا الشيخ الإمام أسامة بن لادن رحمه الله، ولا الشيخ الظواهري، ولا الشيخ أبو محمد المقدسي، ولا الشيخ ناصر الفهد، ولا كاتب هذه السطور، ولا من ذكروه في أوراق الدعوى، وقاعدة الجهاد بقيادتها العامة وفروعها وأجناد المسلمين تحت راية التوحيد والجهاد في أفغانستان، وباكستان، واليمن، والصومال، والعراق، والشام، وبلاد المغرب الإسلامي، والقوقاز، وغيرها؛ لم يقل أحدٌ منهم بقولٍ واحد من أقوال الخوارج.

فمن أقوالهم الآتي:

١- قال ابن قدامة رحمه الله في "المغني (٢٧٦/١٢)": "وقد عُرِفَ من مذهب الخوارج تكفير كثير من الصحابة ومن بعدهم واستحلال دمائهم وأموالهم، واعتقادهم التقرب بقتلهم إلى ربهم". أ.هـ

ولا والله، ما قال أحد منا بهذا القول في زمان أو مكان بدءًا بالشيخ الإمام أسامة بن لادن رحمه الله، وبقية من تتهمونهم من علماء ومشايخ ودعاة ومجاهدين في كل الميادين، بل إن أصحاب رسول الله ﷺ أحب الناس إلينا بعد الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وكما قال القحطاني رحمه الله:

حب الصحابه والقرابة سنـــــــة ألقى بها ربي إذا أحيـــــــــاني
قـل خير قول في صـــحـابـة أحمـد وامـدح جمـيـع الآل والـنســـوان

وكما قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

واشهد عليهم أن أصحاب الرسول خيار خلق الله من إنسان
حاشا النبيين الكرام فإنهم خير البرية خيرة الرحمن
وخيارهم خلفاؤه من بعده وخيارهم حقا هما العمران
والسابقون الأولون أحق بالتقديم ممن بعدهم ببيان
كل بحسب السبق أفضل رتبة من لاحق والفضل للمنان

وخيرية الصحابة وفضلهم إجماع بين علماء المسلمين كما قال ابن القيم في الكافية الشافية:

إذا أجمع العلماء أن صحابة المختار خير طوائف الإنسان
ذا بالضرورة ليس فيه الخلف بين اثنين ما حكيت به قولان

وكتاب الله وسنة رسوله ﷺ قاضية بذلك حاكمةٌ به، وكما قال الناظم رحمه الله بعد ذكره لأبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذي النورين وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال:

فالستة المكملون العشرة وسائر الصحب الكرام البررة
وأهل بيت المصطفى الأطهار وتابعوه السادة الأخيار
فكلهم في محكم القرآن أثنى عليهم خالق الأكوان
في الفتح والحديد والقتال وغيرها بأكمل الخصال
كذاك في التوراة والإنجيل صفاتهم معلومة التفصيل
وذكرهم في سنة المختار قد سار سير الشمس في الأقطار

٢- وقال ابن قدامة رحمه الله في "المغني (٢٤٧/١٢)": "وإذا أظهر قوم رأي الخوارج مثل تكفير من ارتكب كبيرة..." أ.هـ.

وهذا القول للخوارج وهو تكفير من ارتكب الكبائر لم يقله أحدٌ منا، لا الشيخ الإمام أسامة بن لادن رحمه الله، ولا بقية من تتهمون، وأتحدى أن تثبتوا ذلك وأن تأتوا بنقل واحد من كتاب أو خطاب أو مؤلف أو شريط... إلخ، بل منهجنا في ذلك منهج الكتاب والسنة والصحابة رضي الله عنهم أجمعين وسلف الأمه الصالح، وكما قال القحطاني رحمه الله:

لسنا نكفر مسلما بكبـــــــيرة فالله ذو عفو وذو غفـــــــران
إيماننا بالله بين ثـــــــلاثة عمل وقول واعتقاد جنـــــــان
ويزيـد بالتقوى وينقص بالـــــردى وكـلاهمـا في الـقـلـب يـعـتـلـجـان

وكما قال ناظم منهج أهل السنة والجماعة رحمه الله:

إِيْمَانُنَا يَزِيدُ بِالطَّاعَـــــــــاتِ وَنَقْصُهُ يَكُونُ بَـــالـــــــزلاَّتِ
وَأَهْلُهُ فيهِ عَلَى تَفَاضُـــــــــلِ هَلْ أَنْتَ كَالأَمْلاكِ أَوْ كَالـــــرُّسُلِ
وَالْفَاسِقُ الْمِلِّيُّ ذُو الْعِصْيَـــــانِ لَمْ يُنْفَ عَنهُ مُطلَقُ الإِيمَـــــانِ
لَكنْ بقَدْرِ الْفِسْقِ والْمعَاصِـــــي إِيْمَانهُ مَا زالَ في انْتِقَـــــاصِ
ولاَ نَقُولُ إِنَّهُ فِي النّـــــــارِ مُخَلَّدٌ، بَلْ أَمْرُهُ للْبَـــــــارِي
تَحْتَ مَشِيئَةِ الإِلهِ النَّـــــافِذَهْ إِنْ شَـــا عَفَا عَنْهُ وإِنْ شَـــا أَخَذَهْ
بِقَدْرِ ذَنْبِهِ، إلى الجِنَـــــانِ يُخْرَجُ إِنْ مَاتَ عَلَى الإِيْمَـــــانِ
والْعَرْضُ تَيْسِـــيرُ الْحِسَـــابِ في النَّبَا وَمَنْ يُنَاقَشِ الْحِسَـــــابَ عُذِّبَا
ولا نُكَفِّرُ بِالْمَعَاصِي مُـــــــؤْمِناً إلا مَعَ اسْتِحْلاَلِهِ لمـــــــاَ جَنَى

وهم يوم القيامة تحت مشيئة الله تعالى، ومن شاء أن يدخل النار فهو غير مخلد فيها، بل مصيره إلى الجنة بعد تطهيره من ذنوبه كما في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: ((بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه)). فبايعناه على ذلك. [رواه البخاري (١٨) ومسلم ١٧٠٩].

٣- وقال ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين (٤/٦٠)": "رد الخوارج والمعتزلة النصوص الصريحة المحكمة غاية الإحكام في ثبوت الشفاعة للعصاة وخروجهم من النار بالمتشابه... إلخ". أ.هـ.

ولا والله، ما رد أحد منا بدءًا بالشيخ الإمام أسامة بن لادن رحمه الله وغيره ممن تتهمونهم في أوراقكم هذه، مروراً بالعلماء والمشايخ وأصحاب الكتب والمؤلفات، أبو محمد المقدسي، وأبو قتادة محمود أبو عمر، وناصر الفهد، وكاتب هذه السطور، وغيرهم؛ بل نثبت الشفاعة التي ذكرها الله في كتابه وذكرها رسوله ﷺ لله ولرسوله لأنبياء الله ورسله وللشهداء والصالحين على ما فصله أهل العلم من السلف الصالح أهل السنة والجماعة، وكما قال الناظم رحمه الله في سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول ﷺ:

كَذَا لَهُ الشَّفَاعَةُ العُظْمَى كَمَـــــا ... قَدْ خصَّهُ اللهُ بِهَا تَكَرُّمَـــــــــا
مِنْ بَعْد إذنِ اللهِ لا كَمَـــــا يَرَى ... كُلُّ قُبُوريٍّ عَلَى اللهِ افْتَـــــــرَى
يَشْفَعُ أَوَّلاً إلى الرَّحْمَنِ فـــــــي ... فَصْلِ القَضَاءِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَـــــوْقِفِ
مِن بَعْدِ أنْ يِطْلُبهَا النَّـــــاسُ إلى ... كُلِّ أُولِي العَزْمِ الهُدَاةِ الفُضَـــــلا
وثَانِياً يَشْفَعُ في اسْتِفْتَـــــــاحِ ... مُ دَارِ النَّعِيمِ لأُولِي الْفَـــــــلاحِ
هذَا وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتـــــــانِ ... قَدْ خُصَّتَا بِهِ بِلا نُكـــــــرَانِ

وثَالِثاً يَشْفَعُ فِي أَقْـــــــــوَامِ ... مَاتُوا عَلَى دينِ الهُدَى الإِسْـــــلامِ
وأَوْبَقَتْهُمْ كَثْرَةُ الآثَـــــــــامِ ... فَأُدْخِلُوا النَّارَ بِذَا الإِجْـــــــرَامِ
أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا إِلى الْجِنَـــــــانِ ... بِفَضلِ رَبِّ العَرْشِ ذِي الإِحْسَـــانِ
وَبَعْدَهُ يَشْفَعُ كُلُّ مُرْسَـــــــلِ ... وَكُلُّ عَبْدٍ ذِي صَـــــــلاحٍ وَوَلِي
وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النِّيْـــــــرَانِ ... جَمِيعَ مَنْ مَاتَ عَلَى الإِيمَـــــانِ
فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ يُطْرَحُـــــــونَا ... فَحْمَاً فَيَحْيَوْنَ وَيَنْبُتُونَـــــــا
كَأَنَّمَا يَنْبُتُ فِي هَيْئَاتِـــــــهِ ... حَبُّ حَمِيلِ السَّيْلِ فِي حَافَاتِـــــهِ

وكما قال القحطاني رحمه الله في نونيته:

وَدُخولُ بَعضِ المســـلمينَ جَهَنَّم ... بِكَبائِرِ الآثامِ وَالطُغيـــــــــانِ
وَاللهُ يَرْحَمُهُم بِصِـحَّةِ عَقْدِهِـــــم ... وَيُبَدَّلوا مِنْ خَوْفِهِم بِأَمـــــــانِ
وَشَـفيعُهُم عِنْدَ الخُروجِ مُحَمَّـــــدٌ ... وَطُهورُهُمْ في شاطئ الحَيَـــــوانِ
حَتّى إِذا طَهَرو هُنالِكَ أُدْخِلـــوا ... جَنّاتِ عَدنٍ وَهي خَيرُ جِنـــــانِ
فَاللهُ يَجْمَعُنا وَإِيّاهُمْ بِهِـــــــا ... مِن غَيرِ تَعْذيبٍ وَغَيرِ هَـــــوانِ

وقال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

وَاشْهَدْ عَلَيْهِـمْ أَنَّ إِيمَـانَ الْـــوَرَى ... قَـوْلٌ وَفِعْلٌ ثُـمَّ عَقْـدُ جَنَـــــانِ
وَيَزِيدُ بِالطَّاعَـاتِ قَطْعًـا هَكَـــــذَا ... بالضِّدِّ يُمْسِي وَهْـوَ ذُو نُقْصَـــانِ
وَاللهِ مَـا إِيـمَـانُ عَـاصِينَـــــــا ... كَإِيْمَـانِ الأَمِينِ مُنَـزِّلِ القُـــرْآنِ
كَـلاَّ وَلا إِيْـمَـانُ مُـؤْمِنِنَـــــــا ... كَإِيْمَانِ الرَّسُولِ مُعَلِّمِ الإِيـمـــــانِ
واشهد عليهم أنهم لم يخلـــــــدوا ... أهل الكبائر في حمـــــــيمٍ آن
بل يخرجون بإذنه بشفاعـــــــة ... وبدونها لمساكن بجنـــــــان

واشهد عليهم أن ربهـــــــــم يرى يوم المعاد كما يرى القمـــــــــران

يقول ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين (٤/٧٧)": "كفعل إخوانهم من الخوارج حين ردوا النصوص الصحيحة المحكمة في موالاة المؤمنين ومحبتهم وإن ارتكبوا بعض الذنوب التي تقع مكفرة بالتوبة النصوح، والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، ودعاء المسلمين لهم في حياتهم وبعد موتهم، وبالامتحان في البرزخ، وفي موقف القيامة، وبشفاعة من يأذن الله له في الشفاعة، وبصدق التوحيد، وبرحمة أرحم الراحمين؛ فهذه عشرة أسباب تمحق أثر الذنوب، فإن عجزت هذه الأسباب عنها فلا بد من دخول النار، ثم يخرجون منها. فتركوا ذلك كله بالمتشابه من نصوص الوعيد، وردوا المحكم من أفعالهم وإيمانهم وطاعتهم بالمتشابه من أفعالهم التي يحتمل أن يكونوا قصدوا بها طاعة الله، فاجتهدوا فأداهم اجتهادهم إلى ذلك فحصلوا فيه على الأجر المفرد، وكان حظ أعدائهم منه تكفيرهم واستحلال دمائهم وأموالهم، وإن لم يكونوا قصدوا ذلك كان غايتهم أن يكونوا قد أذنبوا، ولهم من الحسنات والتوبة وغيرها ما يرفع موجب الذنب، فاشتركوا هم والرافضة في رد المحكم من النصوص وأفعال المؤمنين بالمتشابه منها، فكفروهم وخرجوا عليهم بالسيف يقتلون أهل الإيمان ويدعون أهل الأوثان، ففساد الدنيا والدين من تقديم المتشابه على المحكم، وتقديم الرأي على الشرع والهوى على الهدى، وبالله التوفيق". أ.هـ.

٤- قال ابن قدامة رحمه الله في المغني (١٢/٢٤٧): "وإذا أظهر قوم رأي الخوارج - إلى أن قال - وترك الجماعة". أ.هـ.

ولا والله، ما قال أحد منا بترك الجماعة بدءًا بالشيخ الإمام أسامة بن لادن، والشيخ أيمن الظواهري، وغيرهم ممن تتهمونهم في أوراقكم هذه من المشايخ والعلماء والمسلمين المجاهدين في كل الثغور، بل نحن ندعو إلى الجماعة، ولكن تفسير الجماعة عند أهل العلم ما قاله ابن مسعود رضي الله عنه: "الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك". [رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق بإسناد صحيح].

وقال الترمذي رحمه الله: "وتفسير الجماعة عند أهل العلم: هم أهل الفقه والعلم والحديث سئل ابن المبارك: من الجماعة؟ فقال: أبو بكر وعمر، قيل له: قد مات أبو بكر وعمر، قال: فلان وفلان، قيل له: قدم مات فلان وفلان، فقال: أبو حمزة السكري جماعة. قال الترمذي: وأبو حمزة هو محمد بن ميمون وكان شيخاً صالحاً". أ.هـ

ومن قرأ سيرة الشيخ الإمام أسامة بن لادن رحمه الله يجد أنه من أحرص الناس على الجماعة وتوحيد الصفوف وجمع الكلمة وجمع الجماعات العاملة للإسلام تحت مسمى واحد وراية واحدة، وقد ذكروا في أوراق الدعوى هذه جانباً من ذلك لجمع الجماعات المجاهدة في أفغانستان، وكذلك جرى في العراق بعد احتلال الصليبيين له عام (١٤٢٤) حين كثرت المسميات والرايات حصل بعد ذلك الإجتماع من أهل الحق والإيمان تحت مسمىً واحد وراية واحدة ومجلس واحد للشورى وإمارة واحدة، وهم كذلك في كل مكان هذا شأنهم يدعون إلى الحق ويرحمون الخلق ويجمعون الكلمة ويرصون الصفوف ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، بخلاف الجماعات المنحرفة والبدعية والتابعة للدويلات والعوائل فهي تدعو إلى الفرقة والتعصب والتفرق... إلخ كما هو معروف ومشاهد لكل ذي لب وبصير.

يقول ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين (٣/٥٥٦-٥٥٧)": "((فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً)) وهذا ذم المختلفين وتحذير من سلوك سبلهم، وإنما كثر الاختلاف وتفاقم أمره بسبب التقليد وأهله الذين فرقوا الدين وصيروا أهله شيعاً، كل فرقة تنصر متبوعها وتدعو إليه وتذم من خالفها، ولا يرون العمل بقولهم حتى كأنهم ملة أخرى سواهم يدأبون ويكدحون في الرد عليهم، ويقولون: كتبهم وكتبنا، وأئمتهم وأئمتنا، ومذهبهم ومذهبنا. هذا والنبي واحد، والقرآن واحد، والدين واحد، والرب واحد؛ فالواجب على الجميع أن ينقادوا إلى كلمة سواء بينهم كلهم، وأن لا يطيعوا إلا الرسول، ولا يجعلوا معه من تكون أقواله كنصوصه، ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً.

فلو اتفقت كلمتهم على ذلك وانقاد كل واحد منهم لمن دعاه إلى الله ورسوله وتحاكموا كلهم إلى السنة وآثار الصحابة لقلَّ الاختلاف، وإن لم يعدم من الأرض، ولهذا نجد أقل الناس اختلافاً أهل السنة والحديث، فليس على وجه الأرض طائفة أكثر اتفاقاً وأقل اختلافاً منهم لما بنوا على هذا الأصل.

وكلما كانت الفرقة عن الحديث أبعد؛ كان الاختلاف في أنفسهم أشد وأكثر، فإن رد الحق مرج عليه أمره واختلط عليه والتبس عليه وجه الصواب، فلم يدر أين يذهب كما قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق:٥]". أ.هـ.

وقد قالوا في أوراق الدعوى بأن الشيخ الإمام أسامة بن لادن رحمه الله وأقتبس: "شكل مع عددٍ من الأقطاب التي تتفق معه في نفس المبدأ جبهةً موحدة تسمى "الجبهة الإسلامية العالمية لمحاربة اليهود والصليبيين" وتكونت هذه الجبهة من عددٍ من التنظيمات... – إلى أن قالوا – وبتاريخ (١٤١٩/٢/١) عقد أسامة بن لادن مؤتمراً صحفياً بمدينة خوست الأفغانية دعا فيه جميع الحركات الإسلامية المذكورة إلى الانضمام للجبهة العالمية الإسلامية لمحاربة أمريكا وإسرائيل...". أ.هـ الاقتباس.

ولكن الجماعة عند المباحث تختلف عن تفسير أهل العلم المذكور آنفاً، فهم يرونها موافقة آل سعود عموماً ووزير الداخلية خصوصاً، فالعزل والإبقاء مرجعه إلى رأيه ورأيهم، والكفر والإسلام مبنية على خلافهم ووفاقهم، وكما قال في الكافية الشافية:

والعزل والإبقاء مرجعه إلى ... الآراء عندكم بلا كتمان
لكن لدينا ذاك مرجعه إلى ... قول الرسول ومحكم القرآن
والكفر والإسلام عين خلافه ... ووفاقه لا غير بالبرهان
والكفر عندكم خلاف شيوخكم ... ووفاقهم فحقيقة الإيمان

٥- قال ابن قدامة رحمه الله في "المغني (٢٤٧/١٢)": "وإذا أظهر قوم رأي الخوارج... - إلى أن قال- واستحلال دماء المسلمين وأموالهم". انتهى كلامه.

ولا والله، ما قال أحد منا بدءًا بالشيخ الإمام أسامة بن لادن رحمه الله، مروراً بالشيخ أيمن الظواهري، والمشايخ المقدسي، والفهد، ومحمود أبو عمر، وكاتب هذه السطور، وقيادات المجاهدين في كل الثغور والجبهات بذلك، وأتحدى أن تأتوا بقول في كتاب أو خطاب أو بيان أو شريط مسموع أو مرئي بأنَّا نستحل دماء المسلمين وأموالهم، وهذا بهتان عظيم وافتراء كبير، والواقع يكذبه ويدفعه.

فهذا الشيخ الإمام أسامة بن لادن رحمه الله في مطلع هذا القرن الخامس عشر حين احتل الروس أفغانستان كان يسافر إلى باكستان لإيصال الأموال والمساعدات الإغاثية للمسلمين هناك ويعود، فلما دخل إلى أفغانستان ورأى الواقع بنفسه وحال الناس هناك قرر نصرة المسلمين والجهاد في سبيل الله ودعمهم بما استطاع، حتى قيل إنه جمع أكثر من ألف مليون للجهاد ضد الروس ولنصرة المسلمين هناك، وكان هذا واضحاً للخاص والعام، ويذكره حتى مشايخ آل سعود آنذاك، وكان بعض الخطباء يمجد الشيخ أسامة بن لادن، والأشرطة والوثائق على ذلك كثيرة، واستمر إلى خروج المحتل الروسي وسقوط الاتحاد السوفيتي وهو يدافع عن المسلمين وأموالهم وأعراضهم، ويدعمهم بالنفس والنفيس والمال، ويدعو الرجال لنصرتهم ويحرضهم على ذلك، وخطاباته وبياناته وكتاباته وجلساته كلها شاهدة على رجل يهتم بالإسلام والمسلمين، ويذوب كمداً على واقعهم الحزين، ويضمد جراحهم في كل مكان يصابون فيه.

وبقية المسلمين من قيادات وشباب كانوا وما زالوا يهبون وينفرون لنصرة المسلمين والدفاع عنهم وحقن دمائهم وحفظ أعراضهم وأموالهم، وما الشيشان والبوسنة والهرسك وكوسوفا والصومال وجزر الملوك إلا أمثلة على ذلك، مع أن بعض الناس في هذه البلدان لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه أو الشهادة فقط، ومع ذلك هبوا لنصرتهم ودعوتهم وتعليمهم وإغاثتهم.

ثم لما جاء الاحتلال الصليبي الأمريكي على أفغانستان والعراق هبوا كذلك وتركوا أهاليهم وأموالهم وبلادهم وكل شيء، وذهبوا لنصرة المسلمين والدفاع عنهم وعن أعراضهم وأموالهم واستشهدوا وأصيبوا وأسروا وواجهوا من البلاء الشيء العظيم، محتسبين ذلك عند الله، يرجون ثوابه، يبكون إذا رأوا أو سمعوا عن أمٍ أو أمرأةٍ تبكي أو ينتهك عرضها أو يخيفها العدو، ويعدونها كأمهم وأختهم وقريبتهم، يغارون عليها ويفدونها بالغالي والنفيس، ويتذكرون قول الله عز وجل: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء:٧٥]. وغيرها من الآيات والأحاديث التي تحث على نصرة المسلمين وإغاثتهم، يحبون للناس ما يحبون لأنفسهم مع بعد الديار واختلاف اللغات، سهروا الليالي وقاسوا البرد والحر وشدة المعارك وهول الحرب، لم يثبت عليهم أنهم انتهكوا أعراض المسلمات في بلدٍ من البلدان أو قهروهن أو أخافوهن، ولم يثبت عليهم أنهم قتلوا الأطفال أو قطعوهم وعذبوهم أو أخافوهم، ولم يثبت عليهم أنهم أخذوا أموال المسلمين أو استحلوها وسرقوها، ولم يثبت عليهم أنهم استهدفوا المسلمين بالقتل والتشريد.

وقد سافر المئات من شباب جزيرة العرب لنصرة المسلمين في كل مكان، وسافر المئات حين رأوا ما جرى في سجن (أبي غريب) على المسلمين من الصليبيين الأمريكيين في العراق، وسافر المئات لنصرة المسلمين في العراق حين سمعوا صوت امرأة تصيح من سجون الأمريكان، والشواهد على ما أقوله لا تحصر.

وقد عشت بين أهلي وفي قريتي الجوفاء وقبيلتي زهران ومدينتي، وعشت في مدنٍ عدة في جزيرة العرب (المندق، والباحة، ومكة، والمدينة، وبريدة، وعنيزة، وأبها، وخميس مشيط، والرياض، وبقيق والدمام، وغيرها)، وصليت مع الناس وصليت بهم، وخطبتهم وتواصلت معهم، وعرفوني وعرفتهم... إلخ، وأتحدى أن يثبت عليّ أحد أني قلت يوماً باستحلال دماء المسلمين أو أموالهم، أو وقعت في شيء يدل على ذلك، وكتبي بحمد الله شاهدة على حبي للمسلمين ونصحي لهم وغيرتي عليهم ومساندتي لهم، وقد تركت زوجتي وأولادي ومالي

وأهلي وكل شيء خلفي، وهاجرت نصرةً للمسلمين في أفغانستان حين غزاها الكفار واحتلوها، ورأيت المئات من شباب المسلمين من كل بلاد المسلمين جاؤوا لنفس الغرض، وهو الدفاع عن الإسلام والمسلمين، عن بلادهم وأعراضهم وأموالهم ودمائهم...إلخ، وما رأيت أو سمعت أحداً يستحل دماء المسلمين أو أموالهم، ومجالسهم وأحاديثهم وأناشيدهم وأشعارهم كلها حول نصرة الإسلام والمسلمين والدفاع عنهم...إلخ، فكيف يكذب هذا المدعي ويفتري هذه الفرية العظيمة المردوده من كل الوجوه والتي لا يصدقها إلا من أعمى الله بصره وبصيرته؟! وسيأتي مزيد بيان حول هذه الفرية بشكل مفصل بعد قليل.

٦- أن الخوارج إنما أخذت أقوالهم ومعتقداتهم من خلال بعض الحوارات والمناظرات، ولا يعرفون بالتأليف والتصنيف كما ذكر ذلك غير واحدٍ من أهل العلم، ونقلها عنهم من صنف في الفرق والملل والنحل، بينما من تتهمونهم وتلصقون بهم هذه الفرية مؤلفاتهم بالعشرات وكتاباتهم ورسائلهم وخطاباتهم وأشرطتهم مشهورة معروفة، بل إن بعضهم تفوق مؤلفاته لوحده مؤلفات مشايخ آل سعود، فعلام لا تردون عليهم بمؤلفات مثلها أو تفوق بشكل علمي وشرعي كما ذكرت سابقاً، لا بالإرهاب والسجون... إلخ؟! فهذه حيلة العاجز والمفلس.

وهذا الشيخ العالم أبو محمد المقدسي له كتاب بعنوان (الرسالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير) في أكثر من خمسمائة صفحة، وهو من خير الكتب التي صنفت في هذا الباب، والتكفير حكم شرعي لا يجوز التحذير منه كما فعل البعض وسماه بالفتنة، فالأسماء والأحكام الشرعية ليست بفتنة، وإنما الفتنة الغلو والإفراط، أو الجفاء والتفريط، وأما الحق فهو الوسط الممدوح بين هذا وذلك، وغالب رسائل شيوخ آل سعود في عددٍ من المسائل قد تم الرد عليها في مؤلفات ومصنفات مختلفة من عدد من أهل العلم الذين تتهمونهم، فهم يطرحون ما عندهم في مؤلفات كبيرة وصغيرة، ويردون على المخالفين في مؤلفات كبيرة وصغيرة أيضاً، بينما شيوخ آل سعود يطرحون ما عندهم في قضايا كبرى في كلمات وسطر

وسطرين وبيانات مختصرة، وأما الردود على مخالفيهم فصكوك التبديع والتضليل والاتهام بتهمة الخوارج وغيرها، وكما قال القحطاني رحمه الله في نونيته:

ولقد برزت إلى كبار شيوخكم ... فصرفت منهم كل من ناواني
وقلبت أرض حجاجهم ونثرتها ... فوجدتها قولاً بلا برهان
والله أيدني وثبت حجتي ... والله من شبهاتهم نجاني
والحمد لله المهيمن دائماً ... حمداً يلقح فطنتي وجناني
أفتستر الشمس المضيئة بالسها ... أم هل يقاس البحر بالخلجان
عمري لقد فتشتكم فوجدتكم ... حمراً بلا عَنَن ولا أرسان
أحضرتكم وحشرتكم وقصدتكم ... وكسرتكم كسراً بلا جبران

٧- قال ابن تيمية رحمه الله في "الفتاوى الكبرى (٤٥٦/٣)" في سياق مقارنته بين الرافضة والخوارج وأن الروافض شر من الخوارج: "فإن الخوارج غايتهم تكفير عثمان وعلي وشيعتهما".

ولا والله، ما قال أحد منا بدءًا بالشيخ الإمام أسامة بن لادن، والشيخ أيمن الظواهري، مروراً ببقية ممن تتهمونهم بهذه الفرية بهذا القول، لا في كتاب ولا خطاب، ولا في موضع ومكان وزمان، وأتحدى أن تأتوا بشيء يثبت أن أحداً منا قال بشيء من هذا، وتقدم الكلام على موقفنا من أصحاب النبي ﷺ في بداية أقوال الخوارج المنقولة في كتب أهل العلم، وأزيد هنا قول القحطاني في نونيته رحمه الله:

دع ما جرى بين الصحابة في الوغى ... بسيوفهم يوم التقى الجمعان
فقتيلهم منهم وقاتلهم لهم ... وكلاهما في الحشر مرحومان
والله يوم الحشر ينزع كل ما ... تحوي صدورهم من الأضغان
والويل للركب الذين سعوا إلى ... عثمان فاجتمعوا على العصيان

ويل لمن قتل الحسين فإنـــــــــه قد باء من مولاه بالخســـــــــران

وما قاله الناظم رحمه الله في سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول:

ثم الســـكوت واجـب عمـا جرى بينـهـم مـن فعـل مـا قـد قـدرا
فكلهم مجتهد مثـــــــــاب وخطؤهم يغفره الوهـــــــــاب

٨- أن الخوارج لا يشترطون في الإمامة الكبرى (أي الخلافة القرشية)، وتسمى بعضهم في القرن الأول بالخلافة، ووافقهم في ذلك المعتزلة، كما نقله عنهم أهل العلم في شرحهم لأحاديث الإمارة وفيمن تكون، بينما نحن بحمد الله نقول بما قاله أعلام الإسلام وأئمته من جماهير السلف من الصحابة والتابعين، حتى إنه حكى البعض الإجماع في ذلك باشتراط القرشية في الإمامة الكبرى والخلافة، ونسعى لإحياء الخلافة الراشدة، ونتحسر على خيار وصفوة وصالحي قريش، ونقول في ذلك بما في أحاديث النبي ﷺ ومنها:

حديث معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين)). [رواه البخاري (٣٥٠٠-٧١٣٩)].

وسيأتي مزيد بيان حول هذا الحديث في الرد على بعض التهم المتعلقة بالخروج على الولاة.

ومنها: حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان)). رواه البخاري (٧١٤٠)، ورواه مسلم (١٨٢٠) ولفظه: ((لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان)).

ومنها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم)). [رواه مسلم (١٨١٨)].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم)). [رواه البخاري (٣٤٩٥) ومسلم (١٨١٨)].

ومنها: حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: قال النبي ﷺ: ((الناس تبع لقريش في الخير والشر)). [رواه مسلم (١٨١٩)].

ومنها: حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه لما قال رجل من بكر بن وائل: لئن لم تنته قريش ليضعنّ هذا الأمر في جمهورٍ من جماهير العراب سواهم، فقال عمرو بن العاص: كذبت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((قريش ولاة الناس في الخير والشر إلى يوم القيامة))[١].

وقد ذكر مسلم أحاديثه تلك في كتاب الإمارة (باب: الناس تبع لقريش والخلافة في قريش – على حسب تبويب النووي رحمه الله –)، وذكر الترمذي حديثه هذا في (باب ما جاء أن الخلفاء من قريش إلى أن تقوم الساعة)، وقال النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم: "هذه الأحاديث وأشباهها دليل ظاهر أن الخلافة مختصة بقريش، لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة وكذلك بعدهم، ومن خالف فيه من أهل البدع فهو محجوج بإجماع الصحابة والتابعين فمن بعدهم بالأحاديث الصحيح.

وقال القاضي عياض رحمه الله: اشتراط كونه قرشيا هو مذهب العلماء كافة، قال: وقد احتج به أبو بكر وعمر – رضي الله عنهم – على الأنصار يوم السقيفة، فلم ينكره أحد، قال القاضي: وقد عدها العلماء في مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها قول ولا فعل يخالف ما ذكرنا، وكذلك من بعدهم في جميع الأعصار، قال: ولا اعتداد بقول النظام ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع أنه يجوز كونه من غير قريش، ولا بسخافة ضرار بن عمرو في قوله: إن غير القرشي من النبط وغيرهم يقدم على القرشي لهوان خلعه إن عرض منه أمر، وهذا الذي قاله من باطل القول وزخرفه مع ما هو عليه من مخالفة إجماع المسلمين.

---

[١] رواه أحمد (١٧٨٠٨)، والترمذي (٢٢٢٧) وقال: حسن غريب صحيح، وإسناده صحيح.

وأما قوله ﷺ: ((الناس تبع لقريش من الخير والشر)) فمعناه في الإسلام والجاهلية، كما هو مصرح به في الرواية الأولى – يعني رواية –: ((الناس تبع لقريش مسلمهم لمسلمهم، وكافرهم لكافرهم))، لأنهم كانوا في الجاهلية رؤساء العرب، وأصحاب حرم الله، وأهل حج بيت الله، وكانت العرب تنتظر إسلامهم، فلما أسلموا وفتحت مكة، تبعهم الناس، وجاءت وفود العرب من كل جهة، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

وكذلك في الإسلام هم أصحاب الخلافة، والناس تبع لهم، ولقد بين رسول الله ﷺ أن هذا الحكم مستمر إلى آخر الدنيا، ما بقي من الناس اثنان، وقد ظهر ما قاله ﷺ، فمن زمنه ﷺ، إلى الآن (أي إلى وقت النووي رحمه الله وأما بعده فسيأتي بيان ذلك لاحقاً) – الخلافة في قريش من غير مزاحمة لهم فيها، وتبقى كذلك ما بقي اثنان، كما قاله ﷺ، ومن تغلب على الملك بطريق الشوكة لا ينكر أن الخلافة في قريش وإنما يدعي أن ذلك بطريق النيابة عنهم". أ.هـ.

قال ابن حجر رحمه الله عند الحديث رقم (٧١٤٠) من البخاري في الفتح: "وأورد عليه أن الخوارج في زمن بني أمية تسموا بالخلافة واحدا بعد واحد ولم يكونوا من قريش، وكذلك ادعى الخلافة بنو عبيد وخطب لهم بمصر والشام والحجاز ولبعضهم بالعراق أيضا، وأزيلت الخلافة ببغداد قدر سنة، وكانت مدة بني عبيد بمصر سوى ما تقدم لهم بالمغرب تزيد على مائتي سنة، وادعى الخلافة عبد المؤمن صاحب ابن تومرت وليس بقرشي، وكذلك كل من جاء بعده بالمغرب إلى اليوم، والجواب عنه، أما عن بني عبيد فإنهم كانوا يقولون إنهم من ذرية الحسين بن علي ولم يبايعوه إلا على هذا الوصف، والذين أثبتوا نسبتهم ليسوا بدون من نفاه، وأما سائر من ذكر ومن لم يذكر فهم من المتغلبين وحكمهم حكم البغاة فلا عبرة بهم". أ.هـ.

ويجاب عن قول ابن حجر: "إن الذين أثبتوا نسبتهم ليسوا بدون من نفاه" بقول ابن تيمية رحمه الله في "الفتاوى الكبرى (٤٩٣/٣)": "قد عُلم أن جمهور الأمة تطعن في نسبهم،

ويذكرون أنهم من أولاد المجوس أو اليهود، هذا مشهور من شهادة علماء الطوائف من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وأهل الحديث، وأهل الكلام، وعلماء النسب، والعامة، وغيرهم، وهذا أمر قد ذكره عامة المصنفين لأخبار الناس وأيامهم، حتى بعض من قد يتوقف في أمرهم كابن الأثير الموصلي في تاريخه ونحوه، فإنه ذكر ما كتبه علماء المسلمين بخطوطهم في القدح في نسبهم، وأما جمهور المصنفين من المتقدمين والمتأخرين حتى القاضي ابن خلكان في تاريخه: فإنهم ذكروا بطلان نسبهم، وكذلك ابن الجوزي، وأبو شامة، وغيرهما من أهل العلم بذلك، حتى صنف العلماء في كشف أسرارهم، وهتك أستارهم، كما صنف القاضي أبو بكر الباقلاني كتابه المشهور في كشف أسرارهم وهتك أستارهم، وذكر أنهم من ذرية المجوس". أ.هـ.

وقال أيضاً رحمه الله في "الفتاوى الكبرى (٣/٤٩٣-٤٩٤)": "أما القدح في نسبهم فهو مأثور عن جماهير علماء الأمة من علماء الطوائف، وقد تولى الخلافة غيرهم طوائف، وكان في بعضهم من البدعة والعلم ما فيه، فلم يقدح الناس في نسب أحد من أولئك كما قدحوا في نسب هؤلاء، ولا نسبوهم إلى الزندقة والنفاق كما نسبوا هؤلاء، وقد قام من ولد علي طوائف من ولد الحسن وولد الحسين كمحمد بن عبد الله بن حسن وأخيه إبراهيم بن عبد الله بن حسن وأمثالهما ولم يطعن أحد لا من أعدائهم ولا من غير أعدائهم، لا في نسبهم ولا في إسلامهم، وكذلك الداعي القائم بطبرستان وغيره من العلويين، وكذلك بنو حمود الذين تغلبوا بالأندلس مدة، وأمثال هؤلاء لم يقدح أحد في نسبهم ولا في إسلامهم، وقد قتل جماعة من الطالبيين على الخلافة لا سيما في الدولة العباسية، وحبس طائفة كموسى بن جعفر وغيره، ولم يقدح أعداؤهم في نسبهم ولا دينهم، وسبب ذلك أن الأنساب المشهورة أمرها ظاهر متدارك مثل الشمس لا يقدر العدو أن يطفئه، وكذلك إسلام الرجل وصحة إيمانه بالله والرسول أمر لا يخفى، وصاحب النسب والدين لو أراد عدوه أن يبطل نسبه ودينه وله هذه الشهرة لم يمكنه ذلك، فإن هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله ولا يجوز

أن تتفق على ذلك أقوال العلماء، وهؤلاء بنو عبيد القداح ما زال علماء الأمة المأمونون علماً وديناً يقدحون في نسبهم ودينهم". أ.هـ.

وقال أيضاً رحمه الله في نفس المصدر (٣/٤٩٤-٤٩٥): "وإذا كان كذلك فمن شهد لهم بصحة نسب أو إيمان فأقل ما في شهادته أنه شاهد بلا علم، قافٍ ما ليس له به علم، وذلك حرام باتفاق الأمة، بل ما ظهر عنهم من الزندقة والنفاق ومعاداة ما جاء به الرسول ﷺ دليل على بطلان نسبهم الفاطمي، فإن من يكون من أقارب النبي ﷺ القائمين بالخلافة في أمته لا تكون معاداته لدينه كمعاداة هؤلاء" انتهى كلامه رحمه الله. وإنما استطردت في ذكره لبيان انتفاء النسب القرشي عن بني عبيد.

وقال ابن حجر رحمه الله في الفتح عند حديث: ((لا يزال هذا الأمر في قريش)): "وقال القرطبي: هذا الحديث خبر عن المشروعية، أي لا تنعقد الإمامة الكبرى إلا لقرشي مهما وجد منهم أحد، وكأنه جنح إلى أنه خبر بمعنى الأمر". أ.هـ.

وقال ابن حزم رحمه الله في المحلى: "هذه اللفظة لفظة الخبر، فإن كان معناه الأمر فحرام أن يكون الأمر في غيرهم أبدا، وإن كان معناه معنى الخبر كلفظه، فلا شك في أن من لم يكن من قريش فلا أمر له وإن ادعاه، فعلى كل حال فهذا خبر يوجب منع الأمر عمن سواهم". أ.هـ.

وقال ابن حجر رحمه الله في الفتح عند حديث: ((الناس تبع لقريش)) (٣٤٩٥): "قيل هو خبر بمعنى الأمر، ويدل عليه قوله في رواية أخرى: ((قدموا قريشا ولا تقدموها)) أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح لكنه مرسل وله شواهد، وقيل هو خبر على ظاهره. والمراد بالناس بعض الناس وهم سائر العرب من غير قريش - إلى أن قال — وقوله: ((كافرهم تبع لكافرهم)) وقع مصداق ذلك، لأن العرب كانت تعظم قريشا في الجاهلية بسكناها الحرم، فلما بعث النبي ﷺ ودعا إلى الله توقف غالب العرب عن اتباعه وقالوا ننظر ما يصنع قومه، فلما فتح

النبي ﷺ مكة وأسلمت قريش تبعتهم العرب ودخلوا في دين الله أفواجاً، واستمرت خلافة النبوة في قريش؛ فصدق أن كافرهم كان تبعاً لكافرهم وصار مسلمهم تبعا لمسلمهم". أ.هـ.

وقال ابن حجر أيضاً رحمه الله عند حديث (٧١٤٠): "وإلى هذا ذهب جمهور أهل العلم أن شرط الإمام أن يكون قرشياً، وقيد ذلك طوائف ببعض قريش، فقالت طائفة: لا يجوز إلا من ولد علي، وهذا قول الشيعة، ثم اختلفوا اختلافا شديدا في تعيين بعض ذرية علي. وقالت طائفة يختص بولد العباس، وهو قول أبي مسلم الخراساني وأتباعه. ونقل ابن حزم أن طائفة قالت: لا يجوز إلا في ولد جعفر بن أبي طالب، وقالت أخرى في ولد عبد المطلب، وعن بعضهم لا يجوز إلا في بني أمية، وعن بعضهم لا يجوز إلا في ولد عمر، قال ابن حزم: ولا حجة لأحد من هؤلاء الفرق. وقالت الخوارج وطائفة من المعتزلة: يجوز أن يكون الإمام غير قرشي، وإنما يستحق الإمامة من قام بالكتاب والسنة سواء كان عربيا أم عجميا، وبالغ ضرار بن عمرو فقال: تولية غير القرشي أولى لأنه يكون أقل عشيرة فإذا عصى كان أمكن لخلعه. وقال أبو بكر بن الطيب: لم يعرج المسلمون على هذا القول بعد ثبوت حديث الأئمة من قريش، وعمل المسلمون به قرناً بعد قرن، وانعقد الإجماع على اعتبار ذلك قبل أن يقع الاختلاف.

قلت: قد عمل بقول ضرار من قبل أن يوجد من قام بالخلافة من الخوارج على بني أمية كقطري – بفتح القاف والطاء المهملة –، ودامت فتنتهم حتى أبادهم المهلب بن أبي صفرة أكثر من عشرين سنة، وكذا تسمى بأمير المؤمنين من غير الخوارج ممن قام على الحجاج كابن الأشعث، ثم تسمى بالخلافة من قام في قطر من الأقطار في وقت ما فتسمى بالخلافة وليس من قريش كبني عباد وغيرهم بالأندلس كعبد المؤمن وذريته ببلاد المغرب كلها، وهؤلاء ضاهوا الخوارج في هذا ولم يقولوا بأقوالهم ولا تمذهبوا بآرائهم بل كانوا من أهل السنة داعين إليها". أ.هـ.

وقال أيضاً رحمه الله مناقشاً من نقل الإجماع في إشتراط القرشية: "ويحتاج من نقل الإجماع إلى تأويل ما جاء عن عمر من ذلك، فقد أخرج أحمد عن عمر بسند رجاله ثقات أنه قال: إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حي استخلفته، فذكر الحديث وفيه: فإن أدركني أجلي وقد مات أبو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل.. الحديث. ومعاذ بن جبل أنصاري لا نسب له في قريش، فيحتمل أن يقال: لعل الإجماع انعقد بعد عمر على اشتراط أن يكون الخليفة قرشيا أو تغير اجتهاد عمر في ذلك والله أعلم، وأما ما احتج به من لم يعين الخلافة في قريش من تأمير عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة وأسامة وغيرهم في الحروب فليس من الإمامة العظمى في شيء، بل فيه أنه يجوز للخليفة استنابة غير القرشي في حياته". أ.هـ.

وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي شرح الترمذي عند حديث (٢٢٢٧): "فإن قلت: ما وجه الجمع بين الأحاديث التي تدل على اختصاص الخلافة بقريش وبين حديث أنس بن مالك عند أحمد والبخاري والنسائي مرفوعا: ((اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة))، وحديث أم الحصين عند مسلم مرفوعا: ((إن أمر عليكم عبد مجدع يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا)). قلت: المراد من هذين الحديثين وما في معناهما أن الإمام الأعظم إذا استعمل العبد الحبشي على إمارة بلد مثلاً وجبت طاعته، وليس فيه أن العبد الحبشي يكون هو الإمام الأعظم.

قال الخطابي: وقد يضرب المثل بما لا يقع في الوجود، يعني وهذا من ذاك أطلق العبد الحبشي مبالغة في الأمر بالطاعة وإن كان لا يتصور شرعا أن يلي ذلك". أ.هـ.

وأما الاحتجاج بحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((لا يذهب الليل والنهار حتى يملك رجل يقال له جهجاه)). رواه مسلم (٢٩١١)، ورواه الترمذي (٢٢٢٨) بإسناد صحيح على شرط مسلم بلفظ: ((حتى يملك رجل من الموالي يقال له الجهجاه)). فقال في تحفة الأحوذي: أي على سبيل التغلب لا بشورى أهل الحل والعقد، فهذا الحديث لا يخالف الأحاديث القاضية بأن الخلافة في قريش، والموالي بفتح الميم جمع المولى أي المماليك، والمعنى

حتى يصير حاكم على الناس (يقال له جهجاه) قال النووي: هو بفتح الجيم وإسكان الهاء وفي بعض النسخ يعني نسخ مسلم الجهجها بهاءين. وفي بعضها الجهجا بحذف الهاء التي بعد الألف والأول هو المشهور". أ.هـ.

وأما حديث القحطاني الذي يسوق الناس بعصاه فسيأتي التفصيل حوله عند التعليق على مسألة إقامة الدين في الرد على تهمة تكفير الحكومات... إلخ.

ويقول ابن حجر رحمه الله عند قوله: ((ما بقي منهم اثنان)) من حديث رقم (٧١٤٠): "وليس المراد حقيقة العدد، وإنما المراد به انتفاء أن يكون الأمر في غير قريش، ويحتمل أن يحمل المطلق على المقيد في الحديث الأول ويكون التقدير لا يزال هذا الأمر، أي لا يسمى بالخليفة إلا من يكون من قريش إلا أن يسمى به أحد من غيرهم غلبة وقهراً، وإما أن يكون المراد بلفظ الأمر وإن كان لفظه لفظ الخبر، ويحتمل أن يكون بقاء الأمر في قريش في بعض الأقطار دون بعض، فإن بالبلاد اليمنية وهي النجود منها طائفة من ذرية الحسن بن علي لم تزل مملكة تلك البلاد معهم من أواخر المائة الثالثة، وأما من بالحجاز من ذرية الحسن بن علي وهم أمراء مكة وأمراء ينبع من ذرية الحسين بن علي وهم أمراء المدينة فإنهم وإن كانوا من صميم قريش لكنهم تحت حكم غيرهم من ملوك الديار المصرية، فبقي الأمر في قريش بقطر من الأقطار في الجملة، وكبير أولئك أي أهل اليمن يقال له الإمام، ولا يتولى الإمامة فيهم إلا من يكون عالماً متحرياً للعدل.

وقال الكرماني: لم يخل الزمان عن وجود خليفة من قريش، إذ في المغرب خليفة منهم على ما قيل وكذا في مصر.

قلت: الذي في مصر لا شك في كونه قرشيا لأنه من ذرية العباس، والذي في صعدة وغيرها من اليمن لا شك في كونه قرشيا لأنه من ذرية الحسين بن علي، وأما الذي في المغرب فهو حفصي من ذرية أبي حفص صاحب ابن تومرت وقد انتسبوا إلى عمر بن الخطاب". أ.هـ.

والكرماني وابن حجر يتكلمون عن زمانهم أو إلى الوقت الذي يعيشون فيه، وأما بعد ذلك فكانوا تحت حكم العثمانيين وغيرهم، وأما منذ قرن من الزمان وبعد سقوط الدولة العثمانية ومجيء الدويلات الوطنية فقد اضمحل أمرهم، ومن بقي منهم كما في الأردن والمغرب فهم تحت حكم اليهود النصارى، وهم من أعدى أعداء الإسلام والمسلمين، فيصح أن يقول الإنسان بخلوِّ هذا الزمان من إمارة القرشيين وذلك لعدم إقامتهم للدين خرج الأمر من أيديهم، وعودته بإقامة الدين.

وقد جاء ذلك في حديث حذيفة رضي الله عنه حين قال له النبي ﷺ: ((تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يُدركك الموت وأنت على ذلك)). [رواه البخاري (٧٠٨٤) ومسلم (١٨٤٧)].

ولو كان في سؤال حذيفة استحالة وقوع ذلك لبينه النبي ﷺ، وقد أورده البخاري في (كتاب الفتن باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة).

قال ابن حجر رحمه الله: "قال البيضاوي: المعنى إذا لم يكن في الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر على تحمل شدة الزمان، وعض أصل الشجرة كناية عن مكابدة المشقة، كقولهم فلان يعض الحجارة من شدة الألم، أو المراد اللزوم كقوله في الحديث الآخر: ((عضوا عليها بالنواجذ)). ويؤيد الأول قوله في الحديث الآخر: ((فإن مت وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدا منهم)).

وقال ابن بطال: فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور، لأنه وصف الطائفة الأخيرة بأنهم (دعاة على أبواب جهنم)، ولم يقل فيهم: تعرف وتنكر، كما قال في الأولين، وهم لا يكونون كذلك إلا وهم على غير حق، وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة.

قال الطبري: اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة، فقال قوم: هو للوجوب والجماعة السواد الأعظم، ثم ساق عن محمد بن سيرين عن أبي مسعود أنه وصى من سأله لما قتل عثمان: عليك بالجماعة، فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة، وقال قوم: المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم. وقال قوم: المراد بهم أهل العلم، لأن الله جعلهم حجة على الخلق والناس تبع لهم في أمر الدين.

قال الطبري: والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة، قال: وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزابا فلا يتبع أحدا في الفرقة ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر، وعلى ذلك يتنزل ما جاء في سائر الأحاديث، وبه يجمع بين ما ظاهره الاختلاف منها". أ.هـ.

وآل سعود وبقية الآلات والأسر والعوائل التي تحكم في جزيرة العرب ليسوا من قريش، فهم بذلك مخالفون لهذه الأدلة الشرعية الصريحة الصحيحة في هذا الشأن، ومخالفون لإجماع سلف الأمة، وهم بذلك يضاهون الخوارج، بل يزيدون عليهم أنهم لا يقيمون الكتاب والسنة وإن ادعوا ذلك.

يقول ابن تيمية رحمه الله في "اقتضاء الصراط المستقيم (٢٥٧)": "واعلم أن الأحاديث في فضل قريش ثم في فضل بني هاشم فيها كثرة، وليس هذا موضعها، وهي تدل أيضا على ذلك، إذ نسبة قريش إلى العرب كنسبة العرب إلى الناس، وهكذا جاءت الشريعة. فإن الله تعالى خص العرب ولسانهم بأحكام تميزوا بها، ثم خص قريشا على سائر العرب بما جعل فيهم من خلافة النبوة وغير ذلك من الخصائص، ثم خص بني هاشم بتحريم الصدقة واستحقاق قسط من الفيء إلى غير ذلك من الخصائص، فأعطى الله سبحانه كل درجة من الفضل بحسبها، والله عليم حكيم ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ و ﴿اللَّهُ

أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ وقد قال الناس في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ وفي قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أشياء ليس هذا موضعها". أ.هـ.

وقال أيضاً رحمه الله في "اقتضاء الصراط المستقيم (٢٥٠-٢٥١)": "والذي عليه أهل السنة والجماعة اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم عبرانيهم وسريانيهم وروميهم وفارسيهم وغيرهم، وأن قريشًا أفضل العرب وأن بني هاشم أفضل قريش وأن رسول الله ﷺ أفضل بني هاشم.. وليس فضل العرب ثم قريش ثم بني هاشم بمجرد كون النبي ﷺ منهم، وإن كان هذا من الفضل بل هم في أنفسهم أفضل، وبهذا ثبت لرسول الله ﷺ أنه أفضل نفسًا ونسبًا". أ.هـ.

يقول الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "أتيت عمر وهو يخطب على المنبر فصعدت إليه، فقلت: انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك، فقال عمر: لم يكن لأبي منبر، وأخذني فأجلسني معه أقلب حصىً بيدي، فلما نزل انطلق بي إلى منزله، فقال لي: من علمك؟ قلت: والله ما علمني أحداً. قال: بأبي لو جعلت تغشانا. قال: فأتيته يوماً وهو خال بمعاوية وابن عمر بالباب فرجع ابن عمر فرجعت معه فلقيني بعد، قلت: فقال لي: لم أرك، قلت: يا أمير المؤمنين، إني جئت وأنت خالٍ بمعاوية فرجعت مع ابن عمر فقال: أنت أحق بالإذن من ابن عمر فإنما أنبت ما ترى في رؤوسنا الله ثم أنتم" [١].

يقول ابن تيمية رحمه الله في "اقتضاء الصراط المستقيم (٢٧٠-٢٧١)": "يجب على المسلم إذا نظر في الفضائل أو تكلم فيها أن يسلك سبيل العاقل الذي غرضه أن يعرف الخير ويتحراه جهده، وليس غرضه الفخر على أحد ولا الغمط من أحد، فقد روى مسلم في صحيحه عن عياض ابن حمار المجاشعي قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنه أوحي إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد)). فنهى سبحانه على لسان

---

[١] رواه الخطيب وصحح إسناده ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة في ترجمة الحسين بن علي رضي الله عنه.

رسوله ﷺ عن نوعي الاستطالة على الخلق، وهي الفخر والبغي، لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر، وإن كان بغير حق فقد بغى، فلا يحل لا هذا ولا هذا، فإن كان الرجل من الطائفة الفاضلة مثل أن يذكر فضل بني هاشم أو قريش أو العرب أو الفرس أو بعضهم فلا يكون حظه استشعار فضل نفسه والنظر إلى ذلك فإنه مخطئ في هذا، لأن فضل الجنس لا يستلزم فضل الشخص كما قدمناه، فرب حبشي أفضل عند الله من جمهور قريش، ثم هذا النظر يوجب نقصه وخروجه عن الفضل فضلاً عن أن يستعلي بهذا أو يستطيل، وإن كان من الطائفة الأخرى مثل العجم أو غير قريش أو بني هاشم فليعلم أن تصديقه رسول الله ﷺ فيما أخبر وطاعته فيما أمر ومحبة من أحبه والتشبه بمن فضله الله والقيام بالدين الحق الذي بعث الله به عبده ورسوله محمداً ﷺ يوجب له أن يكون أفضل من جمهور الطائفة المفضلة، وهذا هو الفضل الحقيقي، وانظر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين وضع الديوان وقالوا له يبدأ أمير المؤمنين بنفسه، فقال لا ولكن ضعوا عمر حيث وضعه الله تعالى. فبدأ بأهل بيت رسول الله ﷺ ثم من يليهم حتى جاءت نوبته في بني عدي وهم متأخرون عن أكثر بطون قريش. ثم هذا الاتباع للحق ونحوه قدمه على عامة بني هاشم فضلاً عن غيرهم من قريش". أ.هـ.

فهذا ما ندين الله به في هذا الشأن، ونحن نسعى إلى إحياء الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، ونقول بما قاله النبي ﷺ وأجمع عليه الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام، ونقول لن يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أولها، ونحزن لما آل إليه أمر قريش من خروج الأمر عنهم، وصدق رسول الله ﷺ حين قال كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((إن لي على قريش حقا، وإن لقريش عليكم حقا ما حكموا فعدلوا، وأتمنوا فأدوا، واسترحموا فرحموا)). رواه أحمد (٧٦٥٣)، ورواه عبد الرازق في المصنف (١٩٩٠٢) وزاد: ((فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله)) وصححه ابن حبان (٤٥٦٢،٤٥٦٥) وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

فالحاصل أنهم لما ظلموا في الحكم ولم يعدلوا ولم يؤدوا الأمانة وأعظمها إقامة الدين واشتدوا على الضعفاء ولم يرحموا؛ نزع الله الأمر منهم، وكما قال الشاعر:

كسَـــرْنَا قَوْسَ حَمْزَة عَنْ جَهَـالَـة ... وَحَطَّمْنَا بِلاَ وَعْيٍ نِبَـــــالـــــَـهْ
فَمَزَّقَنَا العَدُوُّ وَلاَ جِهَـــــــــادٌ ... وشرّدَنا الطُّغَاةُ وَلاَ عَـــــــدَالَـة
وَبَاتَتْ أُمَّةُ الإِسْلاَمِ حَيْـــــــرَى ... وَبَاتَ رُعَاتُهَا فِي شَرِّ حَالَـــــــة
فَلاَ الصِّدّيقُ يَرْعَاهَا بِحَـــــــزْمٍ ... وَلاَ الفَارُوقُ يَورِثُهَا فِعَـــــــالَهْ
وَلاَ عُثْمَانُ يَمْنَحُهَا عَطَـــــــاءً ... وَيُرخص فِي سَـــبِيـلِ اللَّهِ مَـالَـهْ
وَلاَ سَيْفٌ صقِيلٌ مِنْ عَلِـــــــيٍّ ... يُفيئُنا إِلَى عَدْلٍ ظِـــــــلاَلَهْ

فإن قيل: فما القول في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وهو يقول: ((يا عائشة، قومك أسرع أمتي بي لحاقاً. قالت: فلما جلس قلت: يا رسول الله، جعلني الله فداك لقد دخلت وأنت تقول كلاما ذعرني. قال: وما هو؟ قالت: تزعم أن قومي أسرع أمتك بك لحاقاً. قال: نعم. قالت: ومم ذاك؟ قال: تستحليهم المنايا، وتنفس عليهم أمتهم. قالت: فقلت: فكيف الناس بعد ذلك أو عند ذلك؟ قال: دبىً يأكل شداده ضعافه حتى تقوم الساعة)). قال أبو عبد الرحمن (أي عبد الله بن أحمد بن حنبل) فسره رجل: هو الجنادب التي لم تنبت أجنحتها [١].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أسرع قبائل العرب فناء قريش ويوشك أن تمر المرأة بالنعل فتقول إن هذا نعل قرشي)) [٢].

---

[١] رواه أحمد (٢٤٥١٩) وقال الهثيمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٧-٢٨) (رجاله رجال الصحيح) انتهى، وإسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

[٢] رواه أحمد (٨٤٣٧) وأبو يعلى (٦٢٠٥) والبزار (٢٧٨٨- كشف الأستار) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح) أ.هـ.
وأقول: وكذلك البزار بنفس الإسناد، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

فالجواب والله أعلم: أن ذلك عند بعث الريح التي تجيء لقبض أرواح الناس في آخر الزمان، فقد أورد ابن حبان في صحيحة (٦٨١٤) حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا تقومُ الساعة حتّى تُبعث ريح حمراء من قبل اليمن، فيكفِتُ بها اللهُ كلَّ نفسٍ تؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر، وما ينكرها الناس من قلّة من يموتُ فيها، ماتَ شيخ في بني فلان، وماتت عجوز في بني فلان. ويُسرَى على كتابِ الله، فيرفع إلى السماء فلا يبقى في الأَرض منه آية. وتقيءُ الأَرض أَفلاذَ كَبِدها من الذهب والفضة، ولا ينتفعُ بها بعد ذلك اليوم، فيمرُّ بها الرَّجل فيضربها برجله ويقول: في هذه كان يَقْتَتِلُ مَنْ كانَ قبلنا، وأَصبحت اليوم لا ينتفعُ بها)). قال أَبو هريرة: وإن أَوّل قبائل العرب فناءً: قريش، والذي نفسي بيدِه أَوشك أَن يمرَّ الرَّجل على النعلِ وهي ملقاة في الكناسة؛ فيأخذها بيدِه ثمَّ يقول: كانت هذه من نعال قريش في الناس.

وقد ذكره في باب (ذكر الأخبار عن وصف الريح التي تجيء تقبض أرواح الناس في آخر الزمان) وهو هنا موقوف على أبي هريرة ولم يرفعه – أي القسم المتعلق بفناء قريش –، والواقع يصدق ذلك، فقريش لا زالت موجودة إلى الآن في الحجاز وغيره من الأقطار والأمصار.

رابعًا:

أن أعظم ما يعرف به الخوارج وأشهر وصف لهم في حديث النبي ﷺ قوله: ((يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)).

قال ابن تيمية رحمه الله في "الفتاوى الكبرى (٣/٥٤٦-٥٤٧)": "ومن أعظم ما ذَمَّ به النبي ﷺ الخوارج قوله: ((يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان...)) – إلى أن قال – فهؤلاء الخوارج المارقون من أعظم ما ذمهم به النبي ﷺ أنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان... إلخ". أ.هـ

والواقع المشاهد والمعروف لدى كل متابع في مشارق الأرض ومغاربها في هذا الزمن أن الشيخ الإمام أسامة بن لادن رحمه الله وجماعته من المسلمين المجاهدين هم أكبر خطر على أمريكا الصليبية والحلف الأطلسي الصليبي ودويلة يهود في الشام، وقد قالوا بأنفسهم وصرحوا بذلك عبر كل وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، وكانت الحرب العالمية على الجهاد والمجاهدين تحت مسمى (الحرب على الإرهاب) لأكثر من عقد من الزمان، والحرب سجال، ينالون منا وننال منهم.

وكان استهداف أمريكا في عقر دارها وفي أعظم مؤسساتها العسكرية (وزارة الدفاع – البنتاغون)، وأعظم مؤسساتها الاقتصادية (المركز التجاري العالمي)، ومؤسساتها التشريعية (الكونغرس) والتي لم تتم، والبيت الأبيض مقر الرئيس الصليبي لأقوى دولة في هذا الزمن وهي أيضاً لم تتم، وقبل ذلك استهداف المدمرة الأمريكية في بحر العرب المسماة (كول)، وسفارات أمريكا ومصالحها في أكثر من مكان وإعلان ابن لادن رحمه الله الحرب على أمريكا تحت مسمى (الجبهة العالمية الإسلامية لحرب اليهود والصليبيين)، والتي ذكروها في أوراق الدعوى هذه.

وقبل الحرب مع أمريكا الحرب مع القوة العظمى الأخرى في العالم في حينها وهي (الإتحاد السوفيتي) في أفغانستان لسنوات طويلة، وكان الشيخ الإمام ابن لادن رحمه الله أحد الذين حضروا بقوة في أفغانستان بالمال والرجال حتى سقط الإتحاد السوفيتي وانهار معسكره في مطلع هذا القرن ما بين عام (١٣٩٩) إلى عام (١٤٠٩) وما بعدها، ثم خرج من هناك للظروف التي جرت حينها وبدأ بعدها بسنوات قليلة بالحرب على أمريكا، وخصوصاً حين رأى دخولها المكشوف والمفضوح إلى جزيرة محمد ﷺ جزيرة العرب بعد غزو الطاغية صدام لدويلة الكويت والتي كانت محطة فاصلة في التاريخ المعاصر. وسيأتي التفصيل حول هذا الحدث العظيم لاحقاً.

ثم بعد ذلك المسلمين المجاهدين الذين كانوا مع الشيخ الإمام أسامة بن لادن رحمه الله أو التحقوا به أو على نفس دربه ونهجه في قتاله للأمريكان في الصومال، وللروس النصارى الأرثوذكس في بلاد القوقاز عموماً وقتالهم للنصارى الصرب في بلاد البلقان، ثم في العقد الأخير قتالهم للحلف الأطلسي الصليبي بقيادة أمريكا رأس الكفر العالمي، والأشرطة المصورة التي هي بالعشرات فيها من التوثيق لقتال قواعد الجهاد والمسلمين المجاهدين في أفغانستان وباكستان والعراق لهؤلاء الصليبيين المحتلين لبلاد المسلمين، فتدمير دباباتهم وهمراتهم وناقلات جندهم ووقودهم وعرباتهم المدرعة وإسقاط طائراتهمز... إلخ؛ تثبت من يقاتِل هؤلاء ومن يقاتِلون، فهم في معركة مفتوحة مع أمريكا والحلف الصليبي الأطلسي مسرحها الأهم والأول والأبرز أرض أفغانستان، وهذا معلوم معروف لكل متابع لأحداث هذا الزمان من خاصة الناس وعامتهم، وأمريكا أعلنتها حرباً صليبية مسرحها الأرض كل الأرض، والمسلمون المجاهدون بقيادة الشيخ الإمام أسامة بن لادن رحمه الله في حينها وإلى أن قتل ثم خلفه الشيخ أيمن الظواهري أعلنوها حرباً إسلامية على أمريكا والحلف الأطلسي الصليبي مسرحها الأرض كل الأرض، وهذا يعلمه حتى الصيني والكوري والسنغافوري والهندي والبرازيلي والآرجنتيني... إلخ، كلهم يعرفون أن بن لادن وقاعدة الجهاد هم عدو أمريكا الأول وأخطر المطلوبين لديها وأكبر مهدد لمصالحها، وصورة الشيخ الإمام أسامة بن لادن لا تخفى ربما حتى على من يعيش في جزر الواق واق أو القطب الشمالي أو الجنوبي، وأنه هو من ضرب أمريكا أكبر ضربة في تاريخها... إلخ.

ثم هم هدموا الأوثان كما حصل في تدمير (بوذا) والذي ضجت الدنيا حينها من أجله، وهم كذلك كما حدث من المسلمين المجاهدين في الصومال حين هدموا الأضرحة والتماثيل التي يطاف حولها وتدعى من دون الله، وكذلك ما حدث مؤخراً في أرض مالي من المسلمين المجاهدين هناك حين هدموا الأوثان والأضرحة، وكل ذلك مشهور معروف موثق ومصور، فهم في خلاصة الأمر يقتلون أهل الشرك والكفر والأوثان وينصرون أهل الاسلام والمسلمين في كل مكان.

وهذا الحديث الصحيح في بيان أعظم وصفٍ نعرف به الخوارج هو حجة لنا وحجة على من يرمينا بهذه التهمة ويقذفنا بها؛ فهم أحق بهذا الوصف منا وأولى به، وصدق ابن القيم رحمه الله حين عنون بذلك العنوان لأحد فصوله في الكافية الشافية (فصل في بيان كذبهم في رميهم أهل الحق بأنهم أشباه الخوارج وبيان شبههم المحقق بالخوارج)، وقد مر في أول الرد على هذه التهمة والدعوى.

يقول ابن تيمية رحمه الله عن المقاتلين في وقته وزمانه في "الفتاوى الكبرى (٥٤٨/٣)": "أما الطائفة بالشام ومصر ونحوهما فهم – في هذا الوقت – المقاتلون عن دين الإسلام، وهم من أحق الناس دخولًا في الطائفة المنصورة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله في الأحاديثِ الصحيحة المستفيضة عنه: ((لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلاَ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَة))...

إلى أن قال (٥٤٩/٣): ومن يتدبَّرْ أحوالَ العالَمِ في هذا الوقتِ يعلمْ أن هذه الطائفة هي أقومُ الطوائف بدينِ الإسلام: علمًا وعملًا وجهادًا من شرقِ الأرض وغربِها؛ فإنهم هم الذين يقاتلون أهْلَ الشوكةِ العظيمةِ من المشركين وأهلِ الكتاب، ومغازيهم مع النصارى ومع المشركين من التركِ، ومع الزنادقةِ المنافقين من الداخلين في الرافضةِ وغيرِهم كالإسماعيليَّةِ ونحوهم من القرامطةِ معروفةٌ معلومةٌ قديمًا وحديثًا، والعزُّ الذي للمسلمين بمشارقِ الأرضِ ومغاربِها هو بعزِّهم، ولهذا لمَّا هُزِمُوا سنةَ تسعٍ وتسعين وستِّمائة دخل على أهلِ الإسلام من الذلِّ والمصيبة بمشارقِ الأرض ومغاربها ما لا يعلمه إلا اللهُ، والحكاياتُ في ذلك كثيرةٌ ليس هذا موضعَها، وذلك أنَّ سكَّانَ اليمن – في هذا الوقت – ضعافٌ عاجزون عن الجهاد أو مضيِّعون له؛ وهم مطيعون لمن مَلَكَ هذه البلادَ حتى ذكروا أنهم أرسلوا بالسمع والطاعة لهؤلاءِ، ومَلِكُ المشركين لمَّا جاء إلى حَلَبَ جرى بها من القتل ما جرى، وأمَّا سكَّانُ الحجاز فأكثرُهم – أو كثيرٌ منهم – خارجون عن الشريعةِ، وفيهم من البِدَعِ والضلالِ والفجور ما لا يعلمه إلاَّ الله، وأهلُ الإيمان والدين فيهم مستضعَفون عاجزون، وإنما تكون القوَّةُ والعزَّةُ في هذا الوقتِ لغيرِ أهل الإسلام بهذه البلادِ، فلو ذلَّت هذه الطائفةُ –والعياذُ باللهِ تعالى–

لكان المؤمنون بالحجاز من أذلِّ الناس، لا سيَّما وقد غلب فيهم الرفضُ، ومُلْكُ هؤلاءِ التتارِ المحاربين لله ورسوله الآن مرفوضٌ، فلو غلبوا لَفسد الحجازُ بالكلِّيَّة، وأمَّا بلادُ إفريقيَّةَ فأعرابُها غالبون عليها وهُمْ من شرِّ الخلق، بل هم مستحقُّون للجهاد والغزو، وأمَّا المغربُ الأقصى فمع استيلاءِ الإفرنج على أكثرِ بلادهم لا يقومون بجهادِ النصارى هناك، بل في عسكرِهم من النصارى الذين يحملون الصُّلْبَانَ خلقٌ عظيمٌ، لو استولى التتارُ على هذه البلادِ لكان أهلُ المغرب معهم من أذلِّ الناسِ، لا سيَّما والنصارى تدخل مع التتارِ فيصيرون حزبًا على أهلِ المغرب، فهذا وغيرُه مما يبيّن أنَّ هذه العصابةَ التي بالشامِ ومِصْرَ في هذا الوقتِ هم كتيبةُ الإسلامِ، وعزُّهم عزُّ الإسلام، وذلُّهم ذلُّ الإسلام، فلو استولى عليهم التتارُ لم يَبْقَ للإسلامِ عزٌّ ولا كلمةٌ عاليةٌ ولا طائفةٌ ظاهرةٌ عاليةٌ يخافها أهلُ الأرضِ تقاتل عنه". أ.هـ.

وأقول: والله إن المقاتلين المسلمين في ثغور المسلمين اليوم في أفغانستان، وباكستان، والعراق، والشام، واليمن، والصومال، ومالي، والقوقاز، وغيرهم؛ هم أحق الناس في الدخول في مسمى الطائفة المنصورة التي جاءت في الأحاديث المستفيضة عن النبي ﷺ، وهم أقوم الطوائف بدين الإسلام علماً وعملاً وجهاداً من شرق الأرض وغربها، وهم الذين يقاتلون أهل الشوكة العظيمة من المشركين وأهل الكتاب، ومغازيهم مع الروس النصارى والحلف الصليبي بقيادة أمريكا ومع الزنادقة والملاحدة والمرتدين وغيرهم معروفة قديماً وحديثاً، والعز الذي للمسلمين بمشارق الأرض ومغاربها هو بعزهم، ولولا أن الله قيضهم للدفاع عن الإسلام وأهله أيام الإتحاد السوفيتي ثم أيام أمريكا في السنوات الاثني عشر الماضية لدخل على أهل الإسلام من الذل والمصيبة ما لا يعلمه إلا الله، وقوة هاتين الإمبراطورتين (الإتحاد السوفيتي وأمريكا) سقطت وضعفت وانهارت على أيديهم جزاهم الله عن الإسلام وأهله خيراً، فهم جيش الإسلام والمسلمين، عزهم عز الإسلام والمسلمين، وذلهم ذل الإسلام والمسلمين.

ووالله لو استولت أمريكا عليهم وهزمتهم لم يبق للإسلام عز ولا كلمة عالية ولا طائفة ظاهرة عالية يخافها أهل الأرض تقاتل عنه، ووالله إن كثيراً من العز والخير والحرية وسقوط الطغاة والظالمين والمستبدين كما حصل مؤخراً في كثير من البلدان ما هو إلا من ثمار ذلك

الجهاد والقتال ضد معسكر أمريكا والحلف الأطلسي الصليبي والذي أدى إلى ضعفهم عسكرياً واقتصادياً وسياسياً، حتى أصبحت أمريكا عاجزةً عن الإستمرار في الحرب ولا تستطيع الدخول في معركة أخرى، وتتخبط في أمورها وفقدت مؤشر الإتجاه (البوصلة) وصارت سياستها بلا سياسيين، كطياراتها التي بدون طيارين، ولم تستطع أن تنقذ حليفاً لها في أي مكان لضعفها وعجزها.

وصدق النبي ﷺ حين قال: ((لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم))، فمع كل الخذلان الذي وقع وكل المخالفة من رؤوس الكفر وجيوشها ما ضرهم ذلك، وهم من عز إلى آخر ومن قوةٍ إلى أخرى، يزيدون ولا ينقصون، ويثبتون ولا ينكصون، وينتشرون ولا ينحصرون، ويكثرون ولا يقلون، وكما في حوار أبي سفيان مع هرقل، حين قال هرقل: "وسألتك عن أتباعه: أضعفاؤهم أم اشرافهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم. وهم أتباع الرسل، وسألتك هل يرتدُّ أحدٌ منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطةً له؟ فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتمّ، وسألتك هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قاتلتموه، فتكون الحرب بينكم وبينه سجالاً ينال منكم وتنالون منه، وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة". [رواه البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣)].

فانظر بعد هذا يا من تريد محاكمتي بهذه التهمة، أي الفريقين أقرب إلى هذا، نحن أم من يرمينا بهذه التهمة؟! وكما قال في الكافية الشافية رحمه الله:

فيقال أصل دليلكم في ذلك حجـــ ـــتنا عليكم وهـــي ذات بيـــان

وكما قال أيضاً رحمه الله:

فبحق من أعطاكم ذا الـــعدل والـ إنصاف والتحقيق بالعرفـــان
من ذا على دين الخوارج بعـــد ذا أنتم أم الحشوي ما تريـــان
والله ما أنتم لدى الحشـــوي أهـ ـلاً أن يقدمكم على عثمـــان

فضلاً عن الفاروق والصـــديق فضـ ـلاً عن رسول الله والقـــــرآن
والله لو أبصرتم لرأيتـــــم الـ ـحشوي حامل راية الإيمـــــان
وكلام رب العالمين وعبـــــده في قلبه أعلى وأكبر شـــــان
من أن يحرف عن مواضعـــــه وأن يقضى له بالعزل عن إيقـــــان
يا قومنا بالله قوموا وانظـــــروا وتفكروا في السر والإعـــــلان
نظراً وإن شئتم مناظرة فمـــــن مثنى على هذا ومن وحـــــدان
أي الطوائف بعـــــد ذا أدنى إلى قول الرسول ومحكم الـــــقرآن
فإذا تبين ذا فإمّا تتبعـــــوا أو تعذروا أو تؤذنوا بطعـــــان

وفي المقابل نجد أن آل سعود والمباحث الذين كتبوا هذه الدعاوى والتهم يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الشرك والأوثان، بل ويعينون اليهود والنصارى على المسلمين كما حصل في تاريخهم المعاصر، وخصوصاً منذ أكثر من عشرين سنة حين أدخلوا القوات الصليبية (الأمريكية والبريطانية) وغيرها إلى جزيرة العرب، وشاركهم في ذلك بقية الأسر والعوائل التي تحكم بقية الدويلات (آل الصباح، وآل نهيان، وآل ثاني، وآل خليفة، وآل قابوس)، (وآل علي عبد الله صالح)، وفتحوا لهم القواعد البرية والبحرية والجوية، وأعطوهم المساحات الشاسعة ليفتحوا أكبر القواعد العسكرية لهم في خيانةٍ عظمى لأهم بقعة بالنسبة للإسلام والمسلمين، وجاء الأسطول الخامس الأمريكي ببوارجه ومدمراته وفرقاطاته وطوربيداته وقواربه ليحكم قبضته على كامل البحار المحيطة لجزيرة العرب ومقره في دويلة البحرين، وأدخلوا الطائرات الحربية بأنواعها المختلفة (البي ٥٢) والـ (إف ١٥) وال (إف ١٦) و (الشبح) و(الأباتشي) و (البلاك هوك) والحوامات المختلفة، وكذلك الدبابات والمدرعات والهمرات وناقلات الجند والأسلحة الثقيلة والمتوسطة والخفيفة، وفتحوا لهم الإسكانات والملاعب والملاهي والمنتزهات والمطاعم، وأعطوهم الحرية الكاملة داخل هذه المجمعات والمستوطنات، ومرّروا ذلك تحت ذريعة إخراج (صدام حسين) من الكويت، وبقوا لسنوات يأخذون خيرات جزيرة العرب وقلب العالم ونقطة ومركز الأرض، ولا زالوا إلى الآن..

وأصبحت جزيرة العرب وأرض خاتم النبيين وسيد المرسلين ﷺ ومهبط الوحي وبلاد الحرمين ومنطلق الفتوحات الإسلامية وديار أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذي النورين وعلي بن أبي طالب والمهاجرين والأنصار والصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين في قبضة اليهود والنصارى، تسرح جيوشها الصليبية وتمرح، وتحتل البلدان وتقتل الشعوب وتدمر وتشرد من هذه القواعد التي أعطاهم إياها العوائل والأسر التي تحكم هذه الدويلات السبع.

وهذه حقيقة واضحة مكشوفة دلائلها بينة، وأمريكا وإعلامها وصحفها ومفكروها وساستها يصرحون بذلك، وصورهم وهم يزورون جيوشهم في جزيرة العرب ويحتفلون معهم ويتفقدونهم مشهورة معلومة، وكثير من الناس رأى ذلك بعينيه في عدد من المدن التي فيها قواعد لهم، ورأوا البوارج والمدمرات وهي ترسوا على الموانئ، والوثائق على ذلك كثيرة والشهود كذلك... إلخ، وهذا لم يحدث في تاريخ المسلمين كله أن يحتل الصليبيون جزيرة العرب وتصبح نقطة انطلاق للحرب الصليبية الجديدة، فهذا لم يحدث من قبل في خيانة عظمى لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين وهي من أعظم الصور لتولي اليهود والنصارى ومظاهرتهم، وتمكينهم في بلاد المسلمين، واحتلالهم لمركز العالم وأهم موقع استراتيجي، ومظاهرتهم وتمكينهم في بلاد المسلمين، واحتلالهم لمركز العالم وأهم موقع استراتيجي فيه أكبر ثروة نفطية، وأهم المضايق البحرية وقبلة المسلمين... إلخ.

ألا مَنْ مُبْلِغٍ عنّا طغـــــــــــاةً ... على أرض الجزيرة حاكمينـــــــــا
بأنّ سيوفنا متعطشـــــــــــاتٌ ... ولن يُغمدنَ حتى يرتويـــــــــــنَ
وكنا قد كففناها بحـــــــــــلم ... فصامت عن دمائكمو سنينـــــــا
فأما إذ أبيتم غيرَ جهـــــــــلٍ ... فنحن لها ولكنْ عاقلينـــــــــا
ونحن لها بعزمٍ واقتـــــــــدار ... وإصرارٍ فكونوا جاهزينـــــــــا
فكونوا جاهزين لكربِ يـــــــومٍ ... به نجتاحكم مُستأصلينـــــــــا

ليعلمَ كلُّ جبارٍ عنيـــــــــــدٍ بأنَّ عنادنا أوفى متونـــــــــــا
وأن جهادنا في الله مـــــــــاض إلى يوم القيامة ظاهرينـــــــــا
وليس يصُّدنا خـــــــــذلانُ غِرٍّ ولا إرجـافُ مَـنْ يـهـوى الـركـونا
ولا فكر الحوالي الغث، كـــــــلا ولا أنصاره المستسلميـــــــــنا
سنرمي دولة الطاغوت رمـــــــيا يُخَيِّبُ مِنْ مُرَجِّيها الظنونـــــــا
وينسفُ من عروش الكفر عرشـــــا سَلولياً نُحوسيا خَؤونـــــــــا
وكنا قد قصدنا الروس قبـــــــلاً وكانوا قوةً متمكنينـــــــــــا
فكِدْناهم بحول الله كيـــــــــدا فصاروا قلةً متهالكينـــــــــا
وأبقى الله منهم شرذمـــــــــات وفي الشـــيشـــان ردعُ البائســـينا
وثَنَّينا بأمريكا فقمنـــــــــــا لها بالعزم لا نخشـــى المنونـــــا
لنا من جندها في كلِّ يـــــــــومٍ مصارعُ مثل ما للغابرينـــــــــا
ومرّغنا كرامتها مـــــــــــراراً وبالمرصـــــاد نُصـــليهـا الطعونا
ففي "الصومال" لما عاندتنـــــــا طردناها وكنا الظافرينـــــــــا
وفي "الخبر" اتخذناها مجـــــــالا لتجربةٍ تُعلِّم ناشئينـــــــــا
وفي "كولٍ" جعلنا البحر نـــــــارا وفي "تـنـزانـيـا" و "بأرض كـيـنـا"
وفي "منهاتن" دسنا عُـــــــلاها ودكّينا المعاقل والحصـــونـــــــا
وفي "الأفغان" سُمْناها المـــــــآسي وأحـكـمـنـا "العراق" لهـا كـمـيـنـا
وفي "شـــرق الرياض" وفي "العليـا" أذقناها العذاب مكررينـــــــــا
وما زلنا نقارعها سجـــــــــالا نعالج حَيْنها حِيناً فحينـــــــــا
وفي الأقصى لنا يومٌ قريـــــــبٌ بنصر الله حقاً واثقينـــــــــا
فصرخات الأرامل واليتـــــــامى تحّـرك في جـوانحـنـا الشـــجـونا
وتعطيل الشريعة في البرايـــــــا يحرّضنا لخلع الحاكمينـــــــــا

ولن ننسى دم "البتـــــــار" كلا ولو نســـي الزمـان فمـا نســينـا
ومن في "المسجد الجوفي" تبـــــقى له الذكرى تغذينا الحنينـــــــــا

وقد مكروا مكراً كباراً، ليلاً ونهاراً، ليخدعوا الناس ويروجوا عليهم تحت مصطلحات مختلفة، وقدموا مصالحهم ومصالح عوائلهم وأسرهم وعروشهم وبقاءهم في الحكم والملك على حساب مصلحة الإسلام والمسلمين، وكما قال ابن حزم رحمه الله في رسائله (١٧٦/٣) في ملوك الأندلس وحرصهم على العروش والبقاء فيها: "والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم بادروا إليها، فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنوهم من حُرَم المسلمين وأبنائهم... وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس". أ.هـ.

وقد قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة:٥١-٥٢].

ويقول سبحانه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٩﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨٠﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٧٩ - ٨١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ۚ

وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة:١-٢].

وقال جل جلاله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ۝ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ۝ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:١٤-٢٢].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة:٩].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة:٢٣].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة:١٣].

وقال جل جلاله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٤٤].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٧].

وقال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران:٢٨].

وغيرها من الآيات الواضحات الصريحات في النهي عن موالاة الكافرين وأعداء الدين ومظاهرتهم ومناصرتهم على المسلمين، وأن من يفعل ذلك لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، وأنه من الكافرين الظالمين... إلخ.

ولو ذهبت أستقصي في جمعها وكلام أهل العلم والتفسير حولها لطال المقال والمقام، وقد أفردها عدد من أهل العلم في كتب واسعة وكبيرة، وذلك حرام وردة عن دين الإسلام والمسلمين في كل زمان ومكان، فكيف إذا كان في جزيرة العرب وهي المخصوصة بالكتاب والسنة والإجماع ولها من الحرمة والقداسة ما ليس لغيرها من البقاع والبلدان وفيها بيت الله وكعبته والمسجد الحرام الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦]، وكما في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع أول؟ قال: ((المسجد الحرام)) [رواه البخاري (٣٣٦٦) ومسلم (٥٢٠)].

وهو قبلة المسلمين في كل الأرض، وقال الله عنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٢٨].

ولجزيرة العرب من التاريخ والوقائع والذكريات لدى المسلمين ما ليس لغيرها، ففيها عاش رسول الله ﷺ وبها مات، وفيها مهبط الوحي، ومنها منطلق الفتوحات وهداية الناس... إلخ.

وقد خصها النبي ﷺ بجملة من الأحاديث الصحيحة والصريحة في خلوصها للإسلام والمسلمين:

فقال ابن عباس رضي الله عنهما: وأوصى عند موته بثلاث: ((أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم)) قال الراوي: "ونسيت الثالثة". [رواه البخاري (٣٠٥٣) ومسلم (١٦٣٧)].

وقال عمر رضي الله عنه: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً)) [رواه مسلم (١٧٦٧)].

وقال عمر أيضاً رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ قال: ((لئن عشت إن شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب)) [رواه أحمد (٢١٥) والترمذي (١٦٠٦) وإسناده صحيح على شرط مسلم].

وقال أيضاً رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: ((لئن عشت لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أترك فيها إلا مسلماً)) [رواه أحمد (٢١٩) وإسناده صحيح على شرط مسلم].

وقال أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه: آخر ما تكلم به النبي ﷺ: ((أخرجوا يهود أهل الحجاز، وأهل نجران من جزيرة العرب، واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) [رواه أحمد (١٦٩١) بإسناد صحيح].

وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: كان آخر ما تكلم به نبي الله ﷺ: أن ((أخرجوا يهود الحجاز من جزيرة العرب واعلموا أن شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد)) [رواه أحمد (١٦٩٤) بإسناد صحيح].

وعن أبي عبيدة رضي الله عنه أيضا قال: إن آخر ما تكلم به النبي ﷺ قال: ((أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب)) [رواه أحمد (١٦٩٩) وهو حديث صحيح].

وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: كان في آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ قال: ((أخرجوا يهود من الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب)) [رواه الدرامي (٢٥٤٠) بإسناد صحيح].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال: ((لا يترك بجزيرة العرب دينان)) (١).

وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال: كان من آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال: ((قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لا يبقين دينان بأرض العرب)) (٢).

وعن ابن شهاب – أي الزهري – رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يجتمع دينان في جزيرة العرب. قال مالك: قال ابن شهاب: ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب حتى أتاه الثلج واليقين، أن رسول الله ﷺ قال: لا يجتمع دينان في جزيرة العرب، فأجلى يهود خيبر)) (٣).

والمقصود بجزيرة العرب: ما قاله الأصمعي رحمه الله: "جزيرة العرب هي ما بين أقصى عدن إلى ريف العراق طولاً، ومن جدة وما والاها من أطراف الشام عرضاً".

---

(١) رواه أحمد (٢٦٣٥٢) والطبراني في الأوسط (١٠٧٠) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: "ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع" أ.هـ وهو كما قال: فالإسناد حسن.

(٢) رواه مالك في الموطأ (٢٨١٦) وعبد الرزاق في المصنف (٩٩٨٧)، وقال ابن عبد البر في التمهيد (١/١٦٥-١٦٦): "هكذا جاء الحديث عن مالك في الموطآت كلها مقطوعاً وهو يتصل من وجوه حسان عن النبي ﷺ... إلخ" أ.هـ.

(٣) رواه مالك الموطأ (٢٨١٧) وعبد الرزاق في المصنف (١٩٣٦٧، ٩٩٨٤) إلا أن عنده عن معمر عن ابن شهاب عن ابن المسيب قال: فذكره ومرسلات الزهري ضعيفة، لكن مرسل ابن المسيب يحتج به كثير من أهل الحديث ويشهد له ما مضى من أحاديث.

وقال أبو عبيد رحمه الله: "من أقصى عدن إلى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها من الساحل إلى أطراف الشام عرضاً".

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: "سميت جزيرة العرب لأن بحر فارس وبحر الحبشة والفرات ودجلة أحاطت بها وهي أرض العرب ومعدنها".

وقال الفيروز آبادي في القاموس: "وجزيرة العرب ما أحاط بها بحر الهند وبحر الشام ثم دجلة والفرات، أو ما بين عدن أبين إلى أطراف الشام طولاً، ومن جدة إلى ريف العراق عرضاً".

وسميت جزيرة العرب لإحاطة البحار بها، بحر الهند المعروف الآن ببحر العرب، وبحر فارس المعروف الآن بالخليج الفارسي أو العربي لدى بعض الدويلات – فهو عبر التاريخ يسمى ببحر فارس أو البحر الفارسي –، وبحر القلزم أو الحبشة المعروف الآن بالبحر الأحمر، وأضيفت إلى العرب لأنها كانت بأيديهم قبل الإسلام وبها أوطانهم ومنازلهم.

وقال المغيرة بن عبد الرحمن كما عند البخاري (٣٠٥٣): "مكة والمدينة واليمامة واليمن"، وقال سعيد بن عبد العزيز كما عند ابي داود (٣٠٣٣): "جزيرة العرب: ما بين الوادي – أي وادي القرى – إلى أقصى اليمن إلى تخوم العراق إلى البحر"، وقال في عون المعبود على سنن أبي داود: قال في مراصد الاطلاع: "وادي القرى وادٍ بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى" انتهى. إلى تخوم العراق: أي حدوده ومعالمه. قال في القاموس: "التخوم بالضم الفصل بين الأرضيين من المعالم والحدود". أ.هـ

وقال ابن الأثير رحمه الله في النهاية في غريب الحديث والأثر: "الجزيرة اسم موضع من الأرض وهو ما بين حفر أبي موسى الأشعري إلى أقصى اليمن في الطول، وما بين رمل يبرين إلى منقطع السماوة في العرض. قاله أبو عبيدة". أ.هـ

وفي معجم البلدان (٢/٢٩٤): "حفر أبي موسى: ركايا حفرها أبو موسى الأشعري على جادة البصرة إلى مكة". أ.هـ

وفي المعجم أيضاً (٤/١٠٠٥): "يبرين: رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة". أ.هـ

وفي معجم البلدان أيضاً (٣/١٣١): "بادية السماوة بين الكوفة والشام". أ.هـ

وقال ابن الأثير رحمه الله في النهاية: "قال الأزهري: سميت جزيرة لأن بحر فارس وبحر السودان أحاطا بجانبيها وأحاط بالجانب الشمالي دجلة والفرات". أ.هـ

وقال العظيم آبادي في عون المعبود عند حديث رقم (٣٠٣٣): "قال في "مراصد الاطلاع": قد اختلف في تحديدها، وإنما سميت جزيرة لإحاطة البحار بها من جوانبها والأنهار، وذلك لأن الفرات من جهة شرقها، وبحر البصرة وعبدان، ثم البحر من ذلك الموضع في جنوبها إلى عدن، ثم انعطف مغرباً إلى جدة وساحل مكة والجار ساحل المدينة، ثم إلى أيلة حتى صار إلى القلزم من أرض مصر، ثم صار إلى بحر الروم من جهة الشمال، فأتى على سواحل الأردن وسواحل حمص ودمشق وقنسرين حتى خالط الناحية التي أقبلت منها الفرات، فدخل في هذه الحدود الشامات كلها، إلا أنها جزء قليل بالنسبة إلى بقيتها إذ هي منها في طولها كالجزء منه، وهو عرض الشامات من الجزيرة إلى البحر، وذلك يسير بالنسبة إلى بقية الجزيرة الذي هو منها إلى بحر حضرموت، فالشام ساحل من سواحلها، فنزلت العرب هذه الجزيرة وتوالدوا فيها.

وقد روي مسنداً إلى ابن عباس أن الجزيرة قسمت خمسة أقسام تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن". أ.هـ

وقال ابن تيمية رحمه الله في "اقتضاء الصراط المستقيم(٢٧١-٢٧٢)" "واسم العرب في الأصل كان اسماً لقوم جمعوا ثلاثة أوصاف: أحدها: أن لسانهم كان اللغة العربية، الثاني:

أنهم كانوا من أولاد العرب، الثالث: أن مساكنهم كانت أرض العرب وهي: جزيرة العرب التي هي من بحر القلزم – البحر الأحمر الآن –، إلى بحر البصرة – بحر فارس قديماً المسمى حالياً بالخليج الفارسي أو العربي لدى الدويلات الستة –، ومن أقصى حجر باليمن إلى أوائل الشام، بحيث كانت تدخل اليمن في دارهم ولا تدخل فيها الشام، وفي هذه الأرض كانت العرب حين المبعث وقبله، فلما جاء الإسلام فُتحت الأمصار فسكنوا سائر البلاد من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب وإلى سواحل الشام وأرمينية، وهذه كانت مساكن فارس والروم والبربر وغيرهم". أ.هـ.

والناس اليوم في بلاد العجم يقولون عنها (عربستان) ومعنى ذلك (بلاد العرب)، ويريدون هذه النقطة التي تحتوي الآن سبع دويلات، وفي عرف الجغرافيين المعاصرين يطلقون عليها بشبه الجزيرة العربية لأنها تحاط بالماء من ثلاث جهات، بخلاف الجزيرة فهي تحاط بالمياه من كل الجهات، ولذا إذا قيل الجزيرة فقط ولم تضف إلى العرب فالمراد ما بين دجلة والفرات.

وقال الزبير بن بكار في "أخبار المدينة": "أخبرت عن مالك عن بن شهاب قال: جزيرة العرب المدينة. قال الزبير: قال غيره: جزيرة العرب ما بين العذيب إلى حضرموت، قال الزبير: وهذا أشبه، وحضرموت آخر اليمن". أ.هـ [نقلاً من فتح الباري عند حديث رقم (٣٠٥٣)].

وقال ابن قدامة رحمه الله في "المغني (٢٤٣/١٣)": "وقال أحمد – أي ابن حنبل –: جزيرة العرب المدينة وما والاها، يعني أن الممنوع من سكنى الكفار به المدينة وما والاها وهو مكة واليمامة وخيبر والينبع وفدك ومخاليفها وما والاها، وهذا قول الشافعي لأنهم لم يجلوا من تيماء ولا من اليمن". أ.هـ

وقال قبل ذلك في "المغني (٢٤٢/١٣)": "قال: – أي مالك رحمه الله – أرى أن يجلوا من أرض العرب كلها لأن رسول الله ﷺ قال: ((لا يجتمع دينان في جزيرة العرب)) – سبق تخريجه –". أ.هـ.

فهذه الأقوال لأئمة اللغة وأهل التخصص تشير كلها أو أغلبها إلى شمول جزيرة العرب لكل الدويلات السبع التي تحكمها الآن.

وقد قال الشوكاني رحمه الله بعد نقله لقول البعض بأن المقصود بجزيرة العرب هو الحجاز فقط وأنهم يقررون فيما عداه، وقوله: "ولا مخصص للحجاز عن سائر البلاد إلا برعاية المصلحة في إخراجهم منه أقوى، فوجب مراعاة المصلحة إذا كانت في تقريرهم أقوى منها في إخراجهم". فقال الشوكاني رحمه الله في "نيل الأوطار (٥/٢٤٠-٤١)": "وقد أجيب عن هذا الاستدلال بأجوبة:

- منها: أن حمل جزيرة العرب على الحجاز وإن صح مجازاً من إطلاق اسم الكل على البعض فهو معارض بالقلب، وهو أن يقال: المراد بالحجاز جزيرة العرب إما لانحجازها بالأبحار كانحجازها بالحرار الخمس، وإما مجازاً من إطلاق اسم الجزء على الكل، فترجيح أحد المجازين مفتقر إلى دليل ولا دليل إلا ما ادعاه من فهم أحد المجازين.

- ومنها: أن في خبر جزيرة العرب زيادة لم تغير حكم الخبر، والزيادة كذلك مقبولة.

- ومنها: أن استنباط كون علة التقرير في غير الحجاز هي المصلحة فرع ثبوت الحكم أعني: التقرير لما علم من أن المستنبطة إنما تؤخذ من حكم الأصل بعد ثبوته، والدليل لم يدل إلا على نفي التقرير لا ثبوته لما تقدم في حديث: ((المسلم والكافر لا تتراءى نارهما))، وحديث: ((لا يترك بجزيرة العرب دينان)) ونحوهما.

فهذا الاستنباط واقع في مقابلة النص المصرح فيه بأن العلة كراهة اجتماع دينين.

فلو فرضنا أنه لم يقع النص إلا على إخراجهم من الحجاز، لكان المتعين إلحاق بقية جزيرة العرب به لهذه العلة، فكيف والنص الصحيح مصرح بالإخراج من جزيرة العرب؟

وأيضا هذا الحديث الذي فيه الأمر بالإخراج من الحجاز فيه الأمر بإخراج أهل نجران كما وقع في حديث الباب، وليس نجران من الحجاز، فلو كان لفظ الحجاز مخصصاً للفظ جزيرة العرب على انفراده أو دالا على أن المراد بجزيرة العرب الحجاز فقط لكان في ذلك إهمال لبعض الحديث وإعمال لبعض وإنه باطل.

وأيضاً غاية ما في حديث أبي عبيدة الذي صرح فيه بلفظ أهل الحجاز مفهومه معارض لمنطوق ما في حديث ابن عباس المصرح فيه بلفظ جزيرة العرب، والمفهوم لا يقوى على معارضة المنطوق فكيف يرجح عليه؟

فإن قلت: فهل يخصص لفظ جزيرة العرب المنزل منزلة العام لما له من الإجزاء بلفظ الحجاز عند من جوز التخصيص بالمفهوم.

قلت: هذا المفهوم من مفاهيم اللقب، وهو غير معمول به عند المحققين من أئمة الأصول، حتى قيل إنه لم يقل به إلا الدقاق، وقد تقرر عند فحول أهل الأصول أن ما كان من هذا القبيل يجعل من قبيل التنصيص على بعض الأفراد لا من قبيل التخصيص، إلا عند أبي ثور". أ.هـ.

ومما يؤيد أن المقصود أعم من الإقتصار على المدينة فقط: أن النبي ﷺ قد أخرج اليهود كلهم من المدينة بنفسه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "حاربت النضير وقريظة، فأجلى بني النضير وأقر قريظة ومنَّ عليهم حتى حاربت قريظة فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا بعضهم لحقوا بالنبي ﷺ فآمنهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بني حارثة وكل يهود المدينة". [رواه البخاري (٤٠٢٨) ومسلم (١٧٦٦)]

فكيف يوصي أصحابه بفعل أمر قد وقع وقام هو بنفسه بفعله وتطبيقه؟! ولكنه أمرَ بالإخراج من غير المدينة، هذا هو الواضح من مجموع الأحاديث الواردة، وأيضاً هو قد نص

على الحجاز ومايزه عن نجران، لأن نجران ليست من الحجاز وهي من اليمن في جنوب جزيرة العرب.

وهذا يبين أن المقصود أعم من الحجاز كما في القاموس المحيط: "مكة والمدينة والطائف ومخاليفها لأنها حجزت بين نجد وتهامة أو بين نجد والسراة أو لأنها احتجزت بالحرار الخمس: حرة بني سليم وواقم وليلى وشوران والنار". أ.هـ

ويؤيد أن جزيرة العرب أوسع من قصره على الحجاز فقط: أن نافع بن عتبة بن أبي وقاص رضي الله عنه وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص من صغار الصحابة، وكل الصحابة كبار أسلم يوم فتح مكة، وغزا بعد ذلك مع النبي ﷺ، يقول رضي الله عنه: "كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، قال: فأتى النبي ﷺ قوم من قبل المغرب عليهم ثياب الصوف، فوافقوه عند أكمة، فإنهم لقيام ورسول الله ﷺ قاعد، قال: فقالت لي نفسي: ائتهم، فقم بينهم وبينه لا يغتالونه، قال: ثم قلت: لعله نجي معهم، فأتيتهم فقمت بينهم وبينه، قال: فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي، قال: ((تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله... الحديث))". [رواه مسلم (٢٩٠٠)]

فهو قال ذلك والحجاز كلها في أيدي المسلمين مكة والمدينة وما والاها، لأن نافع سمعه يقيناً بعد فتح مكة، وهذا يدل على أن قوله: ((تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله)) أي ما بقي منها غير الحجاز. حتى تدخل أرض وبلاد العرب آنذاك بكل جهاتها ومدنها في أيدي المسلمين وقد وقع ذلك، ففتحت جزيرة العرب بأكملها، وحتى لما وقعت حروب الردة وارتدت العرب قاتلهم الخليفة الصديق والصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين حتى استردّوها، ثم بدؤوا بغزو فارس والروم.

وقد بوب البخاري أحد أبوابه في كتاب الجزيرة والموادعة بقوله (باب إخراج اليهود من جزيرة العرب)، وبوب النووي صحيح مسلم في كتاب الجهاد والسير بعنوان (باب إجلاء اليهود من الحجاز)، وأوردا فيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: بينما نحن في المسجد

إذ خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: ((انطلقوا إلى يهود. فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس، فقام النبي ﷺ فناداهم فقال: يا معشر يهود، أسلموا تسلموا. فقالوا: بلغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: ذلك أريد، أسلموا تسلموا فقالوا. قد بلغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: ذلك أريد. ثم قالها الثالثة: فقال: اعلموا أنما الأرض لله ورسوله، وأني أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن وجد منكم بماله شيئا فليبعه، وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ورسوله)). [رواه البخاري (٣١٦٧) ومسلم (١٧٦٥)].

قال ابن حجر رحمه الله في فتح الباري عند شرحه لهذا الحديث: "ولم أر من صرح بنسب اليهود المذكورين، والظاهر أنهم بقايا من اليهود تأخروا بالمدينة بعد إجلاء بني قينقاع وقريظة والنضير والفراغ من أمرهم، لأنه كان قبل إسلام أبي هريرة، وإنما جاء أبو هريرة بعد فتح خيبر كما سيأتي بيان ذلك كله في المغازي، وقد أقر النبي ﷺ يهود خيبر على أن يعملوا في الأرض كما تقدم، واستمروا إلى أن أجلاهم عمر، ويحتمل والله أعلم أن يكون النبي ﷺ بعد أن فتح ما بقي من خيبر أمر بإجلاء من بقي ممن صالح من اليهود ثم سألوه أن يبقيهم ليعملوا في الأرض فبقاهم، أو كان قد بقي بالمدينة من اليهود المذكورين طائفة استمروا فيها معتمدين على الرضا بإبقائهم للعمل في أرض خيبر ثم منعهم النبي ﷺ من سكنى المدينة أصلاً والله أعلم". أ.هـ

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: " أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز، وكان رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل خيبر أراد أن يخرج اليهود منها، وكانت الأرض لما ظهر عليها لليهود وللرسول وللمسلمين، فسأل اليهود رسول الله ﷺ أن يتركهم على أن يكفوا العمل ولهم نصف الثمر، فقال رسول الله ﷺ: ((نقركم على ذلك ما شئنا)) فأقروا حتى أجلاهم عمر في إمارته إلى تيماء وأريحا". [رواه البخاري (٣١٥٢) ومسلم (١٥٥١)]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "لما فدع أهل خيبر عبد الله بن عمر قام عمر خطيباً، فقال: إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أموالهم، وقال نقركم ما أقركم

الله، وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فعدي عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه، وليس لنا هناك عدو غيرهم، هم عدونا وتهمتنا، وقد رأيت إجلاءهم. فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بني أبي الحقيق، فقال: يا أمير المؤمنين، أتخرجنا وقد أقرنا محمد ﷺ، وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا، فقال عمر: أظننت أني نسيت قول رسول الله ﷺ، كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة، فقال: كانت هذه هزيلة من أبي القاسم، قال: كذبت يا عدو الله. فأجلاهم عمر وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالاً وإبلاً وعروضاً من أقتاب وحبال وغير ذلك". [رواه البخاري (٢٧٣٠)]

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح عند تعليقه على هذا الحديث: "وقد وقع لي سببان آخران أحدهما: رواه الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: ما زال عمر حتى وجد الثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((لا يجتمع بجزيرة العرب دينان)). فقال: من كان له من أهل الكتابين عهد فليأت به أنفذه له، وإلا فإني مجليكم. فأجلاهم. أخرجه ابن أبي شيبة وغيره: رواه عمر بن شبة في أخبار المدينة من طريق عثمان بن محمد الأخنسي قال: (لما كثر العيال – أي الخدم – في أيدي المسلمين وقووا على العمل في الأرض أجلاهم عمر. ويحتمل أن يكون كل من هذه الأشياء جزء علة في إخراجهم. والإجلاء الإخراج عن المال والوطن على وجه الإزعاج والكراهة". أ.هـ.

فالإخراج لليهود والنصارى مر بمراحل من عهد النبي ﷺ فما بعد على حسب الوقائع والأحداث والمصلحة، وكان وصيته ﷺ الأولى عند وفاته وآخر ما تكلم به، وما ذلك إلا لأهميته وعظمته وفائدته، ولما جاء الصديق رضي الله عنه انشغل بحروب الردة ولم تطل مدته فكان عمر الفاروق هو الذي أجلى من بقي كما سبق يقول الشوكاني رحمه الله في "نيل الأوطار (٢٣٩/٥)": "وظاهر حديث ابن عباس – أي ((أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)) – أنه يجب إخراج كل مشرك من جزيرة العرب سواء كان يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً، ويؤيد هذا ما في حديث عائشة المذكور بلفظ: ((لا يترك بجزيرة العرب دينان))، وكذلك حديث عمر وأبي عبيدة بن الجراح لتصريحهما بإخراج اليهود والنصارى، وبهذا يعرف أن ما

وقع في بعض ألفاظ الحديث الإقتصار على الأمر بإخراج اليهود لا ينافي الأمر العام لما تقرر في الأصول: أن التنصيص على بعض أفراد العام لا يكون مخصصاً للعام المصرح به في لفظ آخر وما نحن فيه من ذلك". أ.هـ

وقال ابن عبد البر رحمه الله في الاستذكار: "قال الشافعي: جزيرة العرب التي أخرج عمر اليهود والنصارى منها: مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها فأما اليمن فليس من جزيرة العرب". أ.هـ

وقوله: "فأما اليمن فليس من جزيرة العرب" فالحديث الصحيح يرده وهو الأمر بالإخراج من نجران، حيث قال: ((أخرجوا يهود من الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب)) [رواه الدرامي (٢٥٤٠) وإسناده صحيح وسبق ذكره]. ونجران من اليمن، قال في (مراصد الاطلاع): "نجران بالفتح ثم السكون وآخره نون، وهو عدة مواضع منها نجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة، وبها كان خبر الأخدود، وكان فيها أساقفة مقيمون منهم السيد والعاقب الذين جاؤوا النبي ﷺ في أصحابهما، ودعاهم إلى المباهلة وبقوا بها حتى أجلاهم عمر رضي الله عنه". أ.هـ

وقال الرازي في مختار الصحاح: "نجران بلد باليمن". أ.هـ

وهم النصارى الذين نزل فيهم صدر سورة آل عمران أكثر من ثمانين آية، وفدوا على النبي ﷺ في العام التاسع من الهجرة، يقول حذيفة رضي الله عنه: "جاء العاقب والسيّد ـ صاحبا نجران ـ إلى رسول الله ﷺ، يريدان أن يلاعناه. قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعنّا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالا: إنّا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً... الحديث". [رواه البخاري (٤٣٠) تحت (باب قصة أهل نجران)].

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح: "بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن يشتمل على ثلاثة وسبعين قرية مسيرة يوم للراكب السريع". أ.هـ

وقد ذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ بعث علياً إلى أهل نجران ليأتيه بصدقاتهم وجزيتهم، وهذه القصة غير قصة أبي عبيدة؛ لأن أبا عبيدة توجه معهم فقبض مال الصلح ورجع، وعليٌّ أرسله النبي ﷺ بعد ذلك يقبض منهم ما استحق عليهم من الجزية ويأخذ ممن أسلم منهم ما وجب عليه من الصدقة". أ.هـ

وقال ابن قدامة رحمه الله في المغني (٢٠٦/١٣): "وأخذ الجزية من نصارى نجران وهم عرب". أ.هـ

وقال البخاري رحمه الله عقب حديث رقم (٣٤٩٩): "سميت اليمن لأنها على يمين الكعبة، والشام لأنها عن يسار الكعبة، والمشأمة الميسرة واليد اليسرى الشؤمى والجانب الأيسر الأشأم".

وقال ابن حجر تعليقاً على ذلك: "قوله "سميت اليمن لأنها عن يمين الكعبة" هو قول أبي عبيدة قاله في تفسير الواقعة، وروي عن قطرب قال: إنما سمي اليمن يماناً ليُمنه، والشام شأماً لشؤمه، وقال الهمداني في الأنساب: لما ظعنت العرب العاربة أقبل بنو قطن بن عامر فتيامنوا، فقال العرب: تيامنت بنو قطن فسُمّوا اليمن، وتشاءم الآخرون فسُمّوا شاماً، وقيل إن الناس لما تفرقت ألسنتهم حين تبلبلت ببابل أخذ بعضهم عن يمين الكعبة فسُمّوا يماناً وأخذ بعضهم عن شمالها فسُمّوا شاماً، وقيل أنما سمّيت اليمن بيمن بن قحطان، وسمّيت الشام بسام بن نوح، وأصله شام بالمعجمة ثم عُرّب بالمهملة، قوله: "والمشأمة الميسرة...الخ" يريد أنها بمعنى قال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [الواقعة: ٩] أصحاب الميسرة ويقال لليد اليسرى الشؤمى، قال: ويقال للجانب الأيسر الأشام. انتهى. ويقال: المراد بأصحاب المشأمة أصحاب النار لأنهم يمر بهم إليها وهي على ناحية الشمال، ويقال لهم ذلك لأنهم يتناولون كتبهم بالشمال والله تعالى أعلم".أ.هـ.

وقد ذكر الفقهاء والعلماء رحمهم الله مسائل عدة حول السكنى والإقامة لليهود والنصارى في جزيرة العرب لماذا وما مدتها وشروطها، وذلك لأهل الذمة الذين يدفعون الجزية للمسلمين عن يد وهم صاغرون، وكذلك حال المعاهدين والمستأمنين الذين يقدمون إما لتجارة أو كرسلٍ وسفراء أو يريدون سماع كلام الله ونحو ذلك، أو يستوفون ديناً لهم عند أحدٍ من الناس، وليس هنا موضع ذكرها وشرحها وتفصيلها لأنها ليست هي مثار نزاعنا وانتقادنا، فنحن في ذلك نسير سيرة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين حيث كان اليهود والنصارى في زمانهم في جزيرة العرب في ضعفٍ وصغارٍ وذلٍّ يدفعون الجزية، ليس لهم قوة ولا سلاح ولا شوكة، بل حتى خارج جزيرة العرب في الشام ومصر، وكانت الشروط المفروضة على أهل الجزية واضحةً جلية في عهد عمر رضي الله عنه وبحضرة المهاجرين والأنصار تخالف تمام المخالفة الواقع الذي نتكلم فيه؛ ومع أنهم كانوا في صغار وليس لهم قوة ومع ذلك جاءت الأحاديث الصحيحة وسنة الخلفاء الراشدين بإخراجهم من جزيرة العرب، وكان ذلك حتى تبقى جزيرة العرب خالصةً صافيةً للإسلام والمسلمين لا يهودية ولا نصرانية ولا مجوسية ولا شرك فيها.

قال ابن حجر رحمه الله عند تعليقه على حديث: ((أخرجوا المشكرين من جزيرة العرب)) الذي أورده البخاري في كتاب الجزية والموادعة (باب إخراج اليهود من جزيرة العرب) برقم (٣١٦٨): "قال الطبري: فيه أن على الإمام إخراج كل من دان بغير دين الإسلام من كل بلد غلب عليها المسلمون عنوةً إذا لم يكن بالمسلمين ضرورة إليهم كعمل الأرض ونحو ذلك، وعلى ذلك أقر عمر من أقر بالسواد والشام، وزعم أن ذلك لا يختص بجزيرة العرب بل يلتحق بها ما كان في حكمها". أ.هـ.

ومن كان في الشام خارج جزيرة العرب جرت عليهم هذه الشروط حتى يبقوا في دار الإسلام وتحت دولة المسلمين، فيقول عبد الرحمن بن غنم: كتبت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى الشام: "من نصارى مدينة كذا وكذا، إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا، وشرطنا لكم على أنفسنا أن لا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب، ولا نجدد ما خرب

منها، ولا نحيي منها ما كان خططاً للمسلمين، وأن لا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين في ليل ولا نهار، وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل، وأن ننزل من رأينا من المسلمين ثلاثة أيام نطعمهم، ولا نأوي في كنائسنا ولا منازلنا جاسوساً، ولا نكتم غشاً للمسلمين، ولا نعلم أولادنا القرآن، ولا نظهر شركاً ولا ندعو إليه أحداً، ولا نمنع أحداً من ذوي قرابتنا الدخول في الإسلام إن أرادوه، وأن نوقر المسلمين، وأن نقوم لهم من مجالسنا إن أرادوا الجلوس، ولا نتشبه بهم في شيء من ملابسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نكتني بكناهم، ولا نركب السروج، ولا نتقلد السيوف، ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله معنا، ولا ننقش خواتيمنا بالعربية، ولا نبيع الخمور، وأن نجز مقاديم رؤوسنا، وأن نلزم زينا حيثما كنا، وأن نشد الزنانير على أوساطنا، وأن لا نظهر الصليب على كنائسنا، وأن لا نظهر صليبنا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم، وأن لا نظهر الصليب على كنائسنا وأن لا نضرب بناقوسٍ في كنائسنا بين حضرة المسلمين وأن لا نخرج سعانين ولا باعوثاً ولا نرفع أصواتنا مع أمواتنا، ولا نظهر النيران معهم في شيء من طرق المسلمين، ولا نجاورهم موتانا، ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين، وأن نرشد المسلمين ولا نطلع عليهم في بنيان لهم. – فلما أتيت عمر بالكتاب زاد فيه – ولا نضرب أحداً من المسلمين. شرطنا لكم ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا، وقبلنا عليه الأمان، فإن نحن خالفنا في شيء مما شرطناه لكم ووظفنا على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل لكم منا ما يحل من أهل المعاندة والشقاق.

– وفي بعض الزيادات – ولا يشارك أحد منا مسلماً في تجارة إلا أن يكون على المسلم أمر التجارة، وأن نضيف كل مسلم عابر سبيل ثلاثة أيام ونطعمه من أوسط ما نجد. ضمنّا ذلك على أنفسنا وذرارينا وأزواجنا ومساكننا، وإن نحن غيرنا أو خالفنا عما شرطنا على أنفسنا وقبلنا الأمان عليه فلا ذمة لنا، وقد حل لك منا ما يحل لأهل المعاندة والشقاق".

فكتب بذلك عبد الرحمن بن غنم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب لهم عمر: "أن امض لهم ما سألوه وألحق فيه حرفين: اشترط أن عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم أن لا يشتروا من سبايانا شيئاً، ومن ضرب مسلماً عمداً فقد خلع عهده".

فأنفذ عبد الرحمن بن غنم ذلك، وأقر من أقام من الروم في مدائن الشام على هذا الشرط[١].

وهو من الأمور المشهورة المتواترة، يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره عند آية التوبة (٢٩) (١٦٤٣/٤- ١٦٤٤): " ولهذا اشترط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلك الشروط المعلومة في إذلالهم وتصغيرهم وتحقيرهم، وذلك مما رواه الأئمة الحفاظ".أ.هـ

وقال ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم (٢١٨): "وهذه الشروط أشهر شيء في كتب الفقه والعلم، وهي مجمع عليها في الجملة بين العلماء من الأئمة المتبوعين وأصحابهم وسائر الأئمة، ولولا شهرتها عند الفقهاء لذكرنا ألفاظ كل طائفة فيها". أ.هـ

وقوله في هذا الأثر: "سعانين أي العيد المعروف عند النصارى قبل عيدهم الكبير بأسبوع، وقيل هو جمعٌ واحده سعنون والباعوث: استسقاء النصارى والقلاية شبه صومعة تكون في كنيسة النصارى".

وقال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (١٦/١٨) عن أحداث سنة (٧٠٠ للهجرة): "وفي يوم قرئت شروط الذمة على أهل الذمة وألزموا بها واتفقت الكلمة على عزلهم عن الجهات، وأخذوا بالصغار، ونودي بذلك في البلد وألزم النصارى بالعمائم الزرق، واليهود بالصفر، والسامرة بالحمر، فحصل بذلك خير كثير وتميزوا عن المسلمين". أ.هـ

---

[١] روى ذلك عبد الرازق في المصنف والبيهقي في السنن الكبرى وغيرهما.
قال ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم (٢١٧): "رواه حرب بإسناد جيد". أ.هـ

وقال ابن القيم رحمه الله في معرض ذكره عن تلاعب المستفتين بالألفاظ وزخرفة القول للوصول إلى إجابات حسب أهواء السائلين لإبطال حق وإحقاق باطل، فقال في إعلام الموفعين (٦/٩٧-٩٨): "وأذكر لك من هذا مثالا وقع في زماننا، وهو أن السلطان أمر أن يلزم أهل الذمة بتغيير عمائمهم وأن تكون خلاف ألوان عمائم المسلمين، فقامت لذلك قيامتهم وعظم عليهم وكان في ذلك من المصالح وإعزاز الإسلام وإذلال الكفرة ما قرت به عيون المسلمين، فألقى الشيطان على ألسنة أوليائه وإخوانه أن صوروا فتيا يتوصلون بها إلى إزالة هذا الغيار وهي ما تقول السادة العلماء في قوم من أهل الذمة ألزموا بلباس غير لباسهم المعتاد وزي غير زيهم المألوف، فحصل لهم بذلك ضرر عظيم في الطرقات والفلوات وتجرأ عليهم بسببه السفهاء والرعاع وآذوهم غاية الأذى، فطمع بذلك في إهانتهم والتعدي عليهم، فهل يسوغ للإمام ردهم إلى زيهم الأول وإعادتهم إلى ما كانوا عليه مع حصول التميز بعلامة يعرفون بها، وهل في ذلك مخالفة للشرع أم لا؟ فأجابهم: من منع التوفيق وصد عن الطريق بجواز ذلك، وأن للإمام إعادتهم إلى ما كانوا عليه قال شيخنا - أي ابن تيمية -، فجاءتني الفتوى فقلت لا تجوز إعادتهم، ويجب إبقاؤهم على الزي الذي يتميزون به عن المسلمين، فذهبوا ثم غيروا الفتوى، ثم جاؤوا بها في قالب آخر، فقلت: لا تجوز إعادتهم، فذهبوا ثم أتوا بها في قالب آخر، فقلت: هي المسألة المعينة، وإن خرجت في عدة قوالب، ثم ذهب إلى السلطان وتكلم عنده بكلام عجب منه الحاضرون، فأطبق القوم على إبقائهم، ولله الحمد".أ.هـ

ولابن القيم رحمه الله كلام موسع ومفصل حول الشروط العمرية على أهل الذمة في كتاب أحكام أهل الذمة، وهذه الشروط عمدة الفقهاء عبر العصور حول أهل الذمة في بلاد المسلمين ودار الإسلام، وليست هي محل الخلاف مع خصومنا وأعداءنا؛ لأن أحكام أهل الذمة معطلة من فترات طويلة ولا محل لها إلا في كتب الفقه والتفسير، أما الواقع فلا ذمة ولا ذميين لا في مصر ولا الشام في ظل الدويلات الوطنية المعاصرة التي ساوت بين المسلمين والكافرين والمشركين، وحكمتها الدساتير الوضعية والقوانين الأرضية، وأما شريعة

الإسلام فلا محل لها من الإعراب، فقد هجرت ونحيت جانباً وأصبحت ترى في هذه الدويلات الرئيس النصراني والنصيري المشرك والجيوش التي يقودها النصارى وتتكون من خليط من نصارى ودروز ونصيرية ومشركين... إلخ، كما هو حال سوريا الآن ولبنان.

يقول ابن قدامة رحمه الله في المغني مجملاً أحكام أهل الذمة (١٣/٢٤٧-٢٤٨): "والمأخوذ في أحكام الذمة ينقسم خمسة أقسام، أحدها: ما لا يتم العقد إلا بذكره وهو شيئان: التزام الجزية وجريان أحكامنا عليهم، فإن أخل بذكر واحد منهما لم يصح العقد وفي معناهما ترك قتال المسلمين، فإنه وإن لم يذكر لفظه فذكر المعاهدة يقتضيه.

القسم الثاني: ما فيه ضرر على المسلمين في أنفسهم وهو ثمانية خصال - ذكرناها فيما تقدم -.

وقد ذكرها رحمه الله في المغني (١٣/١٣٨) وهي: "والزنى بمسلمة وإصابتها باسم نكاح، وفتن مسلم عن دينه، وقطع الطريق عليه، وقتله، وإيواء جاسوس المشركين، والمعاونة على المسلمين بدلالة المشركين على عوراتهم أو مكاتبتهم، وذكر الله تعالى أو كتابه أو دينه أو رسوله بسوء".

القسم الثالث: ما فيه غضاضة على المسلمين، وهو ذكر ربهم أو كتابهم أو دينهم أو رسولهم بسوء.

القسم الرابع: ما فيه إظهار منكر، وهو خمسة أشياء: إحداث البيع والكنائس ونحوها، ورفع أصواتهم بكتبهم بين المسلمين، وإظهار الخمر والخنزير والضرب بالنواقيس، وتعلية البنيان على أبنية المسلمين، والإقامة بالحجاز، ودخول الحرم، فيلزمهم الكف عنه، سواء شرط عليهم أو لم يشرط، في جميع ما في هذه الأقسام الثلاثة.

القسم الخامس: التميز على المسلمين في أربعة أشياء: لباسهم، وشعورهم، وركوبهم، وكناهم.

أما لباسهم: فهو أن يلبسوا ثوبا يخالف لونه لون سائر الثياب، فعادة اليهود العسلي، وعادة النصارى الأدكن، وهو الفاختي، ويكون هذا في ثوب واحد، لا في جميعها، ليقع الفرق، ويضيف إلى هذا شد الزنار فوق ثوبه، إن كان نصرانيا، أو علامة أخرى إن لم يكن نصرانيا، كخرقة يجعلها في عمامته أو قلنسوته، يخالف لونها لونها، ويختم في رقبته خاتم رصاص أو حديد أو جلجل ليفرق بينه وبين المسلمين في الحمام، ويلبس نساؤهم ثوبا ملوناً، ويشد الزنار تحت ثيابهم، وتختم في رقبتها ولا يمنعون لبس فاخر الثياب، ولا العمائم، ولا الطيلسان لأن التمييز حصل بالغيار والزنار.

وأما الشعور: فإنهم يحذفون مقاديم رؤوسهم، ويجزون شعورهم، ولا يفرقون شعورهم لأن النبي ﷺ فرق شعره.

وأما الركوب: فلا يركبون الخيل لأن ركوبها عز، ولهم ركوب ما سواها، ولا يركبون السروج ويركبون عرضاً؛ رجلاه إلى جانب وظهره إلى آخر؛ لما روى الخلال، بإسناده أن عمر أمر بجز نواصي أهل الذمة، وأن يشدوا المناطق، وأن يركبوا الأكف بالعرض.

ويمنعون تقلد السيوف، وحمل السلاح واتخاذه.

وأما الكنى: فلا يكتنوا بكنى المسلمين، كأبي القاسم، وأبي عبد الله، وأبي محمد، وأبي بكر، وأبي الحسن، وشبهها.

ولا يمنعون الكنى بالكلية، فإن أحمد قال لطبيب نصراني: يا أبا إسحاق. وقال: أليس النبي ﷺ لما دخل على سعد بن عبادة قال: " أما ترى ما يقول أبو الخباب، وقال لأسقف نجران: أسلم أبا الحارث. وقال عمر لنصراني: يا أبا حسان، أسلم تسلم". أ.هـ

يقول ابن قدامة رحمه الله في المغني عن الجزية (٢٠٢/١٣): "وهي الوظيفة المأخوذة من الكافر لإقامته بدار الإسلام في كل عام... – إلى أن قال – والأصل فيها الكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب: فقول الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا

يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩].

وأما السنة:

فما روى المغيرة بن شعبة أنه قال لجند كسرى يوم نهاوند: أمرنا نبينا رسول ربنا أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية أخرجه [البخاري (٣١٥٩)].

وعن بريدة أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميراً على سرية أو جيش، أوصاه بتقوى الله تعالى في خاصة نفسه، وبمن معه من المسلمين خيراً، وقال له: إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى خصال ثلاث، ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك، فاقبل، وكف عنهم، فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم في أخبار كثيرة، وأجمع المسلمون على جواز أخذ الجزية في الجملة".أ.هـ وحديث بريدة الذي ذكره رواه مسلم (١٧٣١).

ويقول ابن قدامة رحمة الله "في المغني (٢٤٩/١٣)": "وإذا مات الإمام أو عزل وولي غيره فإن عرف ما عقد عليه عقد الذمة من كان قبله وكان عقداً صحيحاً أقرهم عليه، لأن الخلفاء أقروا عقد عمر ولم يجددوا عقداً سواه، ولأن عقد الذمة مؤبد". أ.هـ

فأين هذا كله مما يدعيه المدعون ويفتريه المفترون بكذبتهم الصلعاء بأن التواجد الأمريكي في جزيرة العرب هو من هذا الباب، وأنهم أهل ذمة وأهل عهد وأمان؟!

وهل كلام الفقهاء وأعلام المسلمين عن آحاد الكفرة حين يدخلون إلى بلادنا بلا سلاح ولا عتاد ويقيمون ثلاثة أيام إلا لضرورة من خلافهم في إقرارهم في بعض أجزاء جزيرة العرب وهم في ضعف وذل وصغار ويدفعون الجزية والخراج... إلخ، هل يقاس على هؤلاء، قيام الأسر والعوائل التي تحكم هذه الدويلات بإدخال الجيوش الحربية الصليبية لتحتل جزيرة

العرب وتحكم قبضتها عليها، وتدخل الطائرات الحربية والدبابات والمدرعات وكل أنواع الأسلحة الخفيفة والمتوسطة والثقيلة، وتفتح القواعد البرية والجوية والبحرية، وتقيم أسطولها الخامس الذي يتحكم في كل البحار المحيط بها، لتصبح جزيرة العرب محتلة عسكرياً، ثم سياسياً واقتصادياً، وتكون هذه العوائل والأسر تأتمر بأمر أمريكا وتنتهي بنهيها، ترفع من رفعت وتخفض من خفضت، وتوالي من والت وتعادي من عادت، وتحب من أحبت وتبغض من أبغضت، وتعترف بمن اعترفت وتسحب الاعتراف عمن سحبت، وتكرم من أكرمت وتهين من أهانت، وتحارب من حاربت وتسالم من سالمت، إن أمرتهم بالركوع ركعوا، وإن أمرتهم بالسجود سجدوا، وإذا أشارت لهم إلى اليمين يمّنوا أو إلى اليسار يسّروا، إن قالت لهم (إلى الأمام سر) ساروا، وإن قالت (إلى الخلف در) داروا، الحلال ما حللته أمريكا، والحرام ما حرمته أمريكا، والشرع ما شرعته أمريكا، العقل عقلها، والحكمة حكمتها، والبيت الأبيض قبلتهم في السراء والضراء، منه تأتيهم التوجيهات والتعليمات والتهديدات، باعوهم البلاد، وأخضعوا لهم العباد، وطغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، وقالوا عنهم أهل ذمة وعهد وأمان، وأعطوهم وهم لا يملكون العطاء قلب الأرض ومركزها، حتى أصبحت أكبر مقر للتواجد الصليبي في العالم فيه أكبر القواعد العسكرية كقاعدة سلطان في الخرج وقاعدة العديد والسيلية في قطر وبقية القواعد في الكويت والإمارات... وغيرها من هذه الدويلات.

وأصبحت بلادنا التي قاتلنا عليها في الجاهلية وأسلمنا عليها في الإسلام وتوارثها الآباء عن الأجداد إلى يومنا هذا يمنحها الصنائع والعملاء لعدو الإسلام والمسلمين الأول أمريكا بناءً على اتفاقات بينهم لا يعلمها إلا هذه الأسر وأمريكا، وفيها شروط الحماية الأمريكية لهذه العوائل من أي تهديد أو خطر مقابل إعطاء أمريكا ما تشتهي وتريد.

وقد قال رئيس وزراء دويلة قطر وزير خارجيتها: "إن بينهم وبين أمريكا شروطاً لا يمكن البوح بها" في أحد برامج قناة الجزيرة.

ومكنوا لأعداء الأمة الإسلامية بأكملها في أرض نبيهم ﷺ، ثم احتلوا منها البلدان بعد ذلك وكمموا الأفواه وحاربوا الدعاة واعتقلوا وأسكتوا كل قول أو صوت أو عالم يظهر الحقيقة ويهتك الأستار ويكشف الأسرار إرضاءً لعيون أمريكا، وقدموا أبناء جلدتهم قرابين على أعتاب البيت الأبيض الأمريكي.

وكما قال أحد الفضلاء في أبيات له:

وملوك هذي الأرض أضحى شأنهم ... كفتاة عهرٍ ما عليها إزارُ
أضحى الصليب في المصاب إمامهم ... بئس الإمام في المصاب اختاروا
فهم المطايا إن أرادوا مطيةً ... فسمُّوهم حين المراد حمارُ
وهم الأسود على الشعوب وإنهم ... في المعمعات حمائمٌ تنهارُ
أجسامهم فحواملٌ قد أثقلت ... ووجوههم فكأنها أدبارُ
وجيوشهم حين اللقاء أذلةٌ ... وعتادهم فلقد كساه غبارُ
تلك الجيوش في الرخاء فوارسٌ ... وإذا الكريهة أقبلت أبكارُ
"فالبنتاجون" أقامهم خدماً لهم ... "والكبتاجون" أحالهم أبقارُ
أنسابهم فقبائل عربيةٌ ... وسلاحهم فعلى الصليب يغارُ
صلواتهم قد يمّموها مكةً ... وقلوبهم فزنادقٌ فجارُ

وكما قال الشاعر:

لهم شموخ (المثنى) ظاهراً ولهم ... هوى إلى بابك الخرمي ينتسبُ
الحاكمون وواشنطن حكومتهم ... واللامعون وما شعوا ولا غربوا
وما تزال بقلبي ألف مبكيةٍ ... من رهبة البوح تستحيي وتضطرب
يكفيك أن عدانا أهدروا دمنا ... ونحن من دمنا نحسو ونحتلب

وكما قال في الكافية الشافية رحمه الله:

وجنوا على الإسلام كل جناية ... إذ سلطوا الأعداء بالعدوان
يا محنة الإسلام والقرآن من ... جهد الصديق وبغي ذي الطغيان
والله لولا الله ناصر دينه ... وكتابه بالحق والبرهان
لتخطفت أعداؤه أرواحنا ... ولقطّعت منا عرى الإيمان

وأحدثوا أكبر الحدث في بلاد المسلمين، وآووا أكبر محدث في هذا الزمان، وكان إدخالهم لهذه الجيوش هو ثاني أكبر مصيبة تحل بالمسلمين خلال قرن من الزمان بعد مصيبة الإحتلال اليهودي لبلاد الشام، فقتلوا أهل الإسلام وتركوا أهل الشرك والأوثان، وأعانوا الكفار الأمريكان على المسلمين، فقتلوهم وشردوهم وأسروهم ودمروا بلدانهم ويتموا الأطفال المسلمين ورملوا النساء المسلمات وفعلوا الأفاعيل، فهم بذلك شر من الخوارج من وجوه كثيرة جداً.

وحتى لو اختلف من اختلف في بعض الأجزاء هل تدخل في جزيرة العرب أم لا، وهل يجوز إقرار الذمي فيها أم لا، إلى آخره من مسائل، فعلماء الإسلام لا يختلفون أبداً في حرمة احتلال بلد من بلاد المسلمين وتمكين الأعداء منه، ولا يختلفون أبداً على عينية الدفاع عن أي بلد يحتله الكفار ويدهمونه، وكما قال في الكافية الشافية رحمه الله:

إذا هم اختلفوا بلفظة مكة ... فيه لهم قولان معروفان
أفبينهم خلف بأن مرادهم ... حرم الإله وقبلة البلدان
وإذا هم اختلفوا بلفظة أحمد ... فيه لهم قولان مذكوران
أفبينهم خُلْفٌ بأن مرادهم ... منه رسول الله ذو البرهان
ونظير هذا ليس يحصر كثرة ... يا قوم فاستحيوا من الرحمن

وكذلك الأمر هنا، فإذا اختلف البعض في بعض التعريفات حول جزيرة العرب، فلا خلاف بينهم في حرمة إدخال الجيوش الصليبية لأي بقعة من بلاد المسلمين، فكيف بجزيرة العرب!

وإذا اختلفوا في بعض مسائل العهد والأمان، فلا اختلاف بينهم على حرمة دخلوهم بالسلاح، وحرمة مظاهرتهم على المسلمين والدلالة على عوراتهم وحرماتهم في أي بلد من بلدان المسلمين، فكيف بجزيرة العرب!

وهذا الذي أدركه الشيخ الإمام أسامة بن لادن رحمه الله وسعى لإبطاله وفضحه وتعريته، وقد أدرك منذ خروجه من أفغانستان بعد سقوط الإتحاد السوفيتي وخروجه منها مدى المكر الذي تمارسه أمريكا وصنائعها، خصوصاً بعد غزو الطاغية صدام لدويلة الكويت، ومحاربة المجاهدين العائدين من أفغانستان واعتقالهم وسجنهم، ولو تأخر الشيخ الإمام أسامة بن لادن قليلاً لاعتقله آل سعود ولكان في السجن إلى الآن، فلذا أعد العدة ورتب أموره لحرب المحتلين الجدد والصليبيين الجدد في جزيرة العرب، فوقعت أحداث العليا في الرياض ضد أهداف صليبية، ثم الخبر بعدها ضد أهداف صليبية كذلك، ثم ما تلاها من عمليات في العالم كينيا وتنزانيا، ثم ضد المدمرة العسكرية الصليبية الأمريكية في خليج عدن، ثم أعد لأكبر وأعظم وأجمل وأنكى عملية وغزوة ضد هذا المحتل الصليبي بتسعة عشر شاباً من شباب المسلمين بينهم سبعة عشر شاباً من أبناء جزيرة العرب، وكان هذا الأمر مقصوداً ومدروساً ومختاراً، فكانت غزوات نيويورك وواشنطن في عقر دار أمريكا وكما قال علي رضي الله عنه: "ما غُزِيَ قوم في عقر دارهم إلا ذلّوا" ضد وزارة الدفاع العسكرية الحربية (البنتاجون)، وضد القوة المالية والاقتصادية (المركز التجاري العالمي)، والأهداف الأخرى التي لم تتم..

فكان ما كان وهو يعلم حينها أن أمريكا ستغزو أفغانستان لا محالة، ضربت أو لم تضرب، وكانت التقارير تقول ذلك وخرجت فيما بعد بأن أمريكا كانت وضعت الخطة لغزو أفغانستان قبل وقوع تلك الغزوات في نيويورك وواشنطن عن طريق الخارجية الأمريكية

والباكستانية، وقد ذكرت ذلك في بعض كتبي منها كتاب (أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان)، وكتاب (الله أكبر خرجت أمريكا)، وكون أمريكا تغزو أفغانستان وقد ضربت خير من أن تغزو ولم تضرب، وكما يقال: (أتغدى به قبل أن يتعشى بي)، وبما أن أمريكا محتلة لبلاد المسلمين تتحكم فيها وتحمي السرطان اليهودي دويلة يهود طفلها المدلل وشبلها المحمي لا بد من جهادها ومحاربتها بكل وسيلة شرعية ممكنة، وبعد التجربة مع الإتحاد السوفيتي في أفغانستان لسنوات طويلة فلا مستحيل في حرب أمريكا، فهي كالإتحاد السوفيتي كافرة محتلة لبلاد المسلمين، فعلام يحرم جهادها وقتالها وحربها ويجب جهاد وقتال وحرب الإتحاد السوفيتي؟! ولماذا يتم غض الطرف عن الذهاب إلى أفغانستان أيام الروس وتتم محاربة من يريد الذهاب إلى أفغانستان أيام أمريكا؟! إلا لأن هذه الدويلات مرتهنة لدى الأمريكان يحركونها كيف شاؤوا ومتى شاؤوا.

وبعد وقوع هذه الغزوات تبين كيف أن هذه الدويلات ودويلات أخرى قاتلت مع أمريكا بكل شيء، فقتلوا أهل الإسلام في أفغانستان وتركوا أهل الشرك والأوثان، بل حموهم ودافعوا عنهم، وأعانوا أمريكا الصليبية في حربها تلك من قلب جزيرة العرب، وأديرت تلك الحرب من قاعدة سلطان في الخرج على بعد (١٠٠كلم) تقريباً من عاصمة دويلة آل سعود، وقد ذهبت بنفسي إلى تلك القاعدة ومررت من أمامها ورأيت الأمريكان، فماذا كانوا يصنعون، هل يهتمون بتوزيع المساعدات الإنسانية أم يرسلون الطائرات ويديرون المعارك والأساطيل لحرب بلد من بلدان المسلمين؟!

وحتى لو اختلف من اختلف مع الشيخ الإمام أسامة بن لادن رحمه الله حول مشروعية ما قام به لأي سبب كان أو لأي مصلحة يدعيها، هل يسيغ له ذلك تجويز أو إقرار أن تغزى أفغانستان من القواعد الصليبية في جزيرة العرب؟!

وهل يسيغ له ذلك تبرير أو تمرير ما يقوم به آل سعود من مظاهرة ومناصرة ومعاونة لأمريكا في حربها ضد المسلمين في أفغانستان وحتى قبل غزو أفغانستان؟!

هل يحل لآل سعود وبقية أسر ودويلات ما يسمى بالخليج إعطاء اليهود والنصارى شبراً واحداً من جزيرة العرب ليسرحوا فيه ويمرحوا بكل أسلحتهم وقواتهم العسكرية؟!

وأين حديث علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((فمن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه عدل ولا صرف، وذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل)). [رواه البخاري (٣١٧٩) ومسلم (١٣٧٠)]؟!

وأي حدث أعظم من تمكين أمريكا الصليبية من قلب العالم الإسلامي، وأي محدث أعظم من الجيوش الصليبية المحتلة لجزيرة العرب؟!

قال ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين (٥٧٨/٦)": "ومن أعظم الحدث تعطيل كتاب الله وسنة رسوله، وإحداث ما خالفهما، ونصر من أحدث ذلك والذب عنه، ومعاداة من دعا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ". أ.هـ.

وقد قال برويز مشرف قاتله الله في مذكراته بأن نائب وزير الخارجية الأمريكية (أرميتاج) اتصل به بعد غزوات نيويورك وواشنطن وقال له: "إن لم تتعاون معنا فسنعيد باكستان إلى العصر الحجري" انتهى.

هذا مع أنه لم يكن في العمليات أي شخص من باكستان، ولا لباكستان أي دور في ما جرى، فيا ترى ماذا قالوا لآل سعود في اتصالاتهم ورأس المجاهدين وأميرهم من جزيرة العرب، وسبعة عشر شاباً في الغزوات من جزيرة العرب، وإلى أي عصر سيعيدونهم!

ولذا ارتموا في أحضانهم وفتحوا الذراعين والساقين لهم، حتى قال رئيس وزراء دويلة قطر ووزير خارجيتها حمد بن جاسم (بأن الدويلات الست مع الأمريكان مثل المعزبات) أي الضرائر المتنافسات على الزوج، وهذا في أحد برامج قناة الجزيرة.

وقد قال أحدهم أبياتاً شديدة وقاسية بل ومقذعة ولكنها تحكي واقعاً:

يا من حكمتم شـــأننـا بعواجي ... من غير أي هدايةٍ وســـــــراجِ
أضـــحت لكم أمريكا فحلاً يمتطي ... صـــهـوات أظـهـركـم بـغـير زواجِ
تـغـرونـهـا بالـنـفـط مـن أثـدائـكـم ... ولكي تنالوا قبلةً وتنـــــــاجي
تتســـابقون لحضـــنهـا فلعلكم ... أن تظفرون بأيرها الـــــــولّاج
كـم مـرة قـد أولجتـه بـفـرجـكـم ... حتى انهرى من كثرة الإيـــــلاجِ
فغـدوتمُ كعجوز بغيٍ بضـــعهـا ... نتنٌ ولا تقوى على الإفحـــــاج
قـد عـاف منهـا كـل خـلٍّ نيكهـا ... وغدت بضاعتهـــــــا بغير رواجِ

وصدق ابن حزم رحمه الله حين قال في "رسائلة (١٧٦/٣)": "والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا إليها، فنحن نراهم يستمدون النصارى، فيمكنونهم من حرم المسلمين وأبنائهم، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً، فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس". انتهى كلامه. وسبق ذكره.

وجاء في طبقات الشافعية قصة إنكار العز بن عبد السلام على ملك دمشق التنازل عن ديار المسلمين وعقد الصلح مع الفرنجة الصليبين المعتدين فقال: "(٢٤٣/٨-٢٤٤)": "لما تحالف الصالح إسماعيل (المعروف بأبي الخبيش حاكم دمشق) مع الصليبيين وأسلمهم قلعة صفد وقلعة الشقيف وصيدا وبعض ديار المسلمين اختياراً لينجدوه على الصالح نجم الدين أيوب حاكم مصر لأن الصالح إسماعيل خاف منه، فكاتب الفرنجة ليساعدوه ضد ابن أخيه حاكم مصر، فدخل الصليبيون دمشق لشراء السلاح ليقاتلوا المسلمين، فشق ذلك على سلطان العلماء شقةً عظيمة في مبايعة الفرنج السلاح، فقال: "يحرم عليكم مبايعتهم لأنكم تتحققون أنهم يشترونه ليقاتلوا به إخوانكم المسلمين"، وترك عز الدين الدعاء للحاكم في الخطبة، وجدد دعاءه في الجامع الذي كان يدعو به إذا فرغ من الخطبتين: "اللهم أبرم لهذه الأمة أمرا رشدا تُعز به وليك وتُذل فيه عدوك ويُعمل فيه بطاعتك ويُنهى فيه عن معصيتك"،

والناس يبتهلون بالتأمين والدعاء للمسلمين والنصر على أعداء الله الملحدين، فكاتب أعوان الشيطان السلطان بذلك وحرفوا القول وزخرفوه، فجاء كتابه باعتقال الشيخ – عز الدين – فبقي مدة معتقلا ثم وصل الصالح إسماعيل وأخرج الشيخ بعد محاورات ومراجعات، فأقام مدة بدمشق ثم انتزح عنها إلى بيت المقدس، فوافاه الملك الناصر داود في الفور فقطع عليه الطريق وأخذه وأقام عنده بنابلس مدة وجرت له معه خطوب.

ثم انتقل إلى بيت المقدس وأقام به مدة، ثم جاء الصالح إسماعيل والملك المنصور صاحب حمص وملوك الفرنج بعساكرهم وجيوشهم إلى بيت المقدس يقصدون الديار المصرية، فسير الصالح إسماعيل بعض خواصه إلى الشيخ بمنديله وقال له تدفع منديلي إلى الشيخ وتتلطف به غاية التلطف وتستنزله وتعده بالعود إلى مناصبه على أحسن حال، فإن وافقك فتدخل به علي وإن خالفك فاعتقله في خيمة إلى جانب خيمتي.

فلما اجتمع الرسول بالشيخ شرع في مسايسته وملاينته، ثم قال له بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وزيادة أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير، فقال سلطان العلماء: والله يا مسكين ما أرضاه أن يقبل يدي فضلا أن أقبل يده، يا قوم أنتم في واد وأنا في واد، الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به. فقال له: قد رسم لي إن لم توافق على ما يطلب منك وإلا اعتقلتك. فقال: افعلوا ما بدالكم. فأخذه واعتقله في خيمة إلى جانب خيمة السلطان، وكان الشيخ يقرأ القرآن والسلطان يسمعه، فقال: يوما لملوك الفرنج تسمعون هذا الشيخ الذي يقرأ القرآن؟ قالوا: نعم. قال: هذا أكبر قسوس المسلمين، وقد حبسته لإنكاره عليّ تسليمي لكم حصون المسلمين، وعزلته عن الخطابة بدمشق وعن مناصبه، ثم أخرجته فجاء إلى القدس وقد جددت حبسه واعتقاله لأجلكم. فقالت له ملوك الفرنج: لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجليه وشربنا مرقتها". انتهى كلامه.

وكما قال أحد شعراء الأندلس عن ملوك الطوائف في الأندلس:

نادِ الملوكَ وقلْ لهم ماذا الذي أحدثتمُ

أسلمتم الإسلام في أيدي العدا وقعدتمُ
وجب القيام عليكم إذ بالنصارى قمتمُ
لا تنكروا شق العصا فعصا النبي شققتمُ

وقد زدت عليها ثمانية أبيات فقلت:

نادِ الملوكَ وقلْ لهم ماذا الذي أحدثتمُ
أسلمتم الإسلام في أيدي العدا وقعدتمُ
وجب القيام عليكم إذ بالنصارى قمتمُ
ولليهود حميتموا ومن الروافض خفتم
إسلامنا حاربتموا إذ للكتاب نبذتموا
بدلتموا حرفتموا لبستموا وكتمتوا
وحلاله حرمتموا وحرامه حللتموا
وبلادنا ضيعتموا إذ للعدو أبحتموا
وبلادنا ضيعتموا إذ للعدو أبحتموا
والمسلمين قتلتموا وأسرتموا وقهرتموا
أطفالهم يتمتموا ونسائهم رملتموا
أموالهم وحقوقهم أهدرتموا وأضعتموا
لا تنكروا شق العصا فعصا النبي شققتموا

ثم جاء بعد ذلك الاحتلال الأمريكي الصليبي للعراق وكان مخططاً له قبل أحداث أمريكا في (١٤٢٢/٦/٢٢) المشهورة (بأحدث الحادي عشر من سبتمر)، فقد قال رئيس الإستخبارات الأسبق في عهد بوش الابن (جورج تينيت): "إن الرئيس الأمريكي دخل البيت الأبيض وقرار غزو العراق في جيبه"، وهناك تقارير ووثائق وحقائق بأن اجتماعات

ولقاءات عقدت داخل أمريكا من كبار الصليبيين أمثال (ديك تشيني وولفوتز ورامسفيلد وغيرهم) أعدوا فيها الخطط لمهاجمة عدد من الدول قيل إنها سبع دول، وذلك قبل غزوات نيويورك وواشنطن بسنوات، وكان المخطط يستهدف إعادة رسم الخارطة، وأقول هذا رداً على من يقول بأن هجمات نيويورك وواشنطن هي السبب ويلقوا باللائمة على الشيخ الإمام ابن لادن ومن معه، كما قال الله عز وجل: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٣١].

والعراق لم يكن له أي دور في غزوات نيويورك وواشنطن، واستعدوا لذلك ودقت طبول الحرب، وجهزوا الخطط والعدة والعتاد من قلب جزيرة العرب، ومن القواعد البرية والبحرية والجوية التي فيها عشرات الآلاف من الجنود الأمريكيين الصليبيين، وخرج حينها عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد آنذاك – والملك الحالي لدويلة آل سعود – نهاية عام (١٤٢٣)، وقال "بأنه في اعتقادي أنه ليست هناك حرب"، مع أن الاستعداد على أشده، وحصل الغزو وكان الإنطلاق البري من دويلة الكويت التي أعطت الأمريكان مساحات شاسعة لذلك، وانطلقت الطائرات من القواعد المنتشرة في جزيرة العرب في هذه الدويلات ومن البحار المحيطة بها..

أقلعت الطائرات من على أسطح حاملات الطائرات، وتم اجتياح بلد من بلدان المسلمين، فقتل مئات الآلاف وحصل التشريد والتدمير وانتهاك الأعراض واغتصاب النساء وأسر المسلمين وتعذيبهم، وهذه الأسر ودويلاتها تدعم بالمال والرجال والمعلومات والمستشفيات والغذاء والدواء والماء، حتى إن بندر بن سلطان سفير آل سعود لدى أمريكا قال حينها: "بأنه لن يحلق لحيته حتى يتم إسقاط صدام حسين والتخلص منه"، ودعموهم بقوات (درع الجزيرة)، وأعلن الأمريكان حينها مشروعهم الجديد الذي سموه (بالشرق الأوسط الجديد) لأن العالم مقسم باعتبار دول الغرب، فالشرق الأقصى والأدنى والأوسط أي بالنسبة لدول الغرب، وإلا فبلادنا هي قلب العالم ومركزه، وبلاد المشرق والمغرب هي بالنسبة لجزيرة

العرب، ولذا قال النبي ﷺ في تعداد أشراط الساعة الكبرى: ((خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب))، فهي وسط بين المشرق والمغرب، ولكن في ظل هيمنة الغرب الصليبي على العالم في العقود المتأخرة راجت هذه التسمية على الكثير، وإلا فهي تسمية خاطئة، وسموا مشروعهم هذا أيضاً (بالشرق الأوسط الكبير)، وجاؤوا بالصنائع الجدد على ظهور الدبابات والطائرات وربما في بطون الغواصات لينصبوهم في الأراضي التي احتلوها، وكل هذا بمساعدة هذه العوائل والأسر التي تتحكم بمصير جزيرة العرب وكأنها مزارع لهم ولذويهم يمنحونها من شاؤوا ويمنعونها ممن شاؤوا، واستقبلوا قادة الصليبين الجدد بوش وبلير ورامسفيلد وديك تشيني وولفوتيز وكوندليزا رايس... إلى آخر تلك الأسماء، وأعطوهم الأوسمة وضيفوهم وأهدوهم الصقور والنسور، حتى إن وزير خارجية آل سعود استقبل نظيرته الأمريكية الصليبية في مدينة جدة بين مكة والمدينة في وقت عيد ميلادها وأقام لذلك احتفالا وكعكةً وكان يناديها بالترخيم (ياكوندي) اختصاراً (لكوند ليزا رايس)، وهذا نشر في الصحف وعبر وسائل الإعلام قرأته بنفسي وأنا في السجن في جرائدهم.

ولا زلت أتعجب من نفي هذا الوزير وأسرته من مقابلة أو مصافحة أو مفاوضة وزير خارجية دويلة يهود أو أي مسؤول آخر فيها وإصدار البيانات في ذلك، لأن ذلك في نظرهم عار وشنار وفضيحة عند الشعوب وتطبيع مع الكيان الصهيوني كما يقولون... إلخ، بينما لا يجدون غضاضة بل يحتفلون كما ترى بحامية دويلة يهود، وما الفرق بين مصافحة "سيبي ليفني" أو "كوندي" وبين لقاء "شارون" أو "بوش" وبين استقبال "وزير دفاع أمريكا" أو "وزير دفاع دويلة يهود"، الكل كفار أشرار أعداء لأمة محمد ﷺ، بل إن الذي يصافح الأيادي الأمريكية أقبح وأشنع من الذي يصافح الأيادي اليهودية، لأنه لولا أمريكا وحمايتها ودعمها وأسلحتها ومعداتها ومالها لما بقيت دويلة يهود، فهي طفلها المدلل، ولكن آل سعود لا يفقهون.

وكما قال وزير خارجية السودان عثمان طه بأن أمريكا تتعامل مع هذه الدويلات بشكل ثنائي لا جماعي لتملي ما تريد، وذلك كحال السجن يعزلون الشخص في زنزانة انفرادية ولا

يجعلونه في الجماعي لأنه يتقوى بالآخرين فلذا يتم العزل والاستقواء عليه، فكذلك سياسة أمريكا معهم، وهذا الذي أقوله ليس من الأسرار ولا الأمور الخفية، بل هو موثق ومكتوب ومسموع ومرئي ومشاهد ومشهور للعامة والخاصة.

وكان حال أمريكا مع هذه الدويلات ما قال الشاعر:

لا ترفعوا رأسا، فإن حسامنا ... بإزالة الرأس العزيزة مُغرم
لا ترفعوا كفّاً، فإن عيوننا ... مبثوثة، والقيد قيد أدهم
لا تنطقوا حرفاً ففي قانوننا ... أنّ الثغور الناطقات تكمّم
وإذا ضربناكم فلا تتحركوا ... وإذا سحقناكم فلا تتألّموا
وإذا أجعناكم فلا تتذمّروا ... وإذا ظلمناكم فلا تتظلّموا
نلقي الطعام لكم فإن قلنا: كلوا ... فكلوا وإلا بالصيام استعصموا
عربٌ وأجمل ما لديكم أنكم ... سلمتمونا أمركم وغفلتموا
ماذا دهاكم؟ تطلبون حقوقكم ... طلب الحقوق من الضعيف محرّم
نحن الذين نقول أما أنتمو ... فالغافلون الصامتون النوّم
الأرض كل الأرض مسرحنا الذي ... تجري الفصول عليه وهو منظم
نجري الشخوص كما نشاء ونشتهي ... الدور يملى والمشاهد ترسم
لن تستريح قلوبنا إلا إذا ... لم يبق في الأرض الفسيحة مسلم

يقول عمر رضي الله عنه: "إنها لبلادهم قاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام، والذي نفسي بيده، لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حميت على الناس من بلادهم شبراً". [رواه البخاري (٣٠٥٩)].

نعم هي بلادنا وديارنا وأرضنا، وإذا كان عمر رضي الله عنه يقول هذا وهو يحمي لمصالح الإسلام والمسلمين وللجهاد في سبيل الله، يقول عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: أتى أعرابي

عمر، فقال: "يا أمير المؤمنين، بلادنا، قاتلنا عليها في الجاهلية، وأسلمنا عليها في الإسلام، علام تحميها؟ قال: فأطرق عمر، وجعل ينفخ ويفتل شاربه – وكان إذا كربه أمر فتل شاربه ونفخ – فلما رأى الأعرابي ما به، جعل يردد ذلك عليه، فقال عمر: المال مال الله، والعباد عباد الله، والله لولا ما أحمل عليه في سبيل الله ما حميت من الأرض شبراً في شبر. [رواه أبو عبيد في كتاب الأموال (٢٩٩)].

فكيف بمن يحمي لنفسه ولعائلته، وكيف بمن يغتصب الأراضي ويتصرف فيها وفق شهواته ورغباته، وكيف إذا كان يعطي بلادنا وأرضنا وسماؤنا وبحارنا ونفطنا ومالنا وأسرارنا للصليبين الكافرين المحتلين لتكون منطلقاً للحروب الصليبية الجديدة.

كما قال الشاعر:

بالأمس كان لهم وطن والـيوم صار لهم كفن
من باع شبراً من بلادي بعته وبلا ثمن

يقول ابن قدامة رحمه الله في "المغني (٨/١٦٥-١٦٧)": "فصل في الحمى، ومعناه أن يحمي أرضا من الموات يمنع الناس رعي ما فيها من الكلأ ليختص بها دونهم وكانت العرب في الجاهلية تعرف ذلك، فكان منهم من إذا انتجع بلداً أوفى بكلب على نشز ثم استعواه ووقف له من كل ناحية من يسمع صوته بالعواء فحيثما انتهى صوته حماه من كل ناحية لنفسه، ويرعى مع العامة فيما سواه، فنهى رسول الله ﷺ عنه لما فيه من التضييق على الناس ومنعهم من الانتفاع بشيء لهم فيه حق، وروى الصعب بن جثامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا حمى إلا لله ولرسوله)) [(١)]. رواه أبو داود.

وقال بلغنا أن النبي ﷺ حمى النقيع، وأن عمر حمى السرف والربذة.

[(١)] وأقول: هو عند البخاري (٢٣٧٠).

وقال: ((الناس شركاء في ثلاث: الماء والنار والكلأ)) [١]. رواه الخلال.

وليس لأحد من الناس سوى الأئمة أن يحمي لما ذكرنا من الخبر والمعنى، فأما النبي ﷺ فكان له أن يحمي لنفسه وللمسلمين لقوله في الخبر: ((لا حمى إلا لله ولرسوله))، لكنه لم يحم لنفسه شيئا وإنما حمى للمسلمين، فقد روى ابن عمر قال: "حمى النبي ﷺ النقيع لخيل المسلمين" [٢]. رواه أبو عبيد.

والنقيع بالنون: موضع ينتقع فيه الماء، فيكثر فيه الخصب لمكان ما يصير فيه من الماء.

وأما سائر أئمة المسلمين فليس لهم أن يحموا لأنفسهم شيئا، ولكن لهم أن يحموا مواضع لترعى فيها خيل المجاهدين، ونعم الجزية، وإبل الصدقة وضوال الناس التي يقوم الإمام بحفظها، وماشية الضعيف من الناس، على وجه لا يستضر به من سواه من الناس، وبهذا قال أبو حنيفة ومالك، والشافعي في صحيح قوليه، وقال في الآخر: ليس لغير النبي ﷺ أن يحمي لقوله: ((لا حمى إلا لله ولرسوله))، ولنا أن عمر وعثمان حميا واشتهر ذلك في الصحابة فلم ينكر عليهما، فكان إجماعا.

وروى أبو عبيد بإسناده عن عامر بن عبد الله بن الزبير، أحسبه عن أبيه قال: أتى أعرابي عمر فقال: يا أمير المؤمنين، بلادنا قاتلنا عليها في الجاهلية وأسلمنا عليها في الإسلام علام تحميها؟ فأطرق عمر، وجعل ينفخ ويفتل شاربه - وكان إذا كربه أمر فتل شاربه ونفخ -، فلما رأى الأعرابي ما به جعل يردد ذلك، فقال عمر: المال مال الله والعباد عباد الله، والله لولا ما أحمل عليه في سبيل الله ما حميت شبرا من الأرض في شبر.

---

[١] وأقول: هو عند أحمد (٢٣٠٨٢) وأبي داود (٣٤٧٧) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ بلفظ: ((المسلمون شركاء...)) وإسناده صحيح.

[٢] وأقول: قد رواه أحمد (٥٦٥٥، ٦٤٣٨، ٦٤٦٤) وإسناده ضعيف لكنه يتقوى بشواهده.

وقال مالك: بلغني أنه كان يحمل في كل عام على أربعين ألفا من الظهر.

وعن أسلم قال: سمعت عمر يقول لهُنيّ حين استعمله على حمى الربذة: يا هُنيّ اضمم جناحك عن الناس، واتق دعوة المظلوم فإنها مجابة، وأدخل رب الصريمة والغنيمة، ودعني من نعم ابن عوف ونعم ابن عفان، فإنهما إن هلكت ماشيتهما رجعا إلى نخل وزرع، وإن هذا المسكين إن هلكت ماشيته جاء يصرخ: يا أمير المؤمنين، فالكلأ أهون عليّ أم غرم الذهب والورق، إنها أرضهم قاتلوا عليها في الجاهلية، وأسلموا عليها في الإسلام، وإنهم ليرون أنا نظلمهم ولولا النعم التي يحمل عليها في سبيل الله ما حميت على الناس من بلادهم شيئا أبدا[١].

وهذا إجماع منهم، ولأن ما كان لمصالح المسلمين قامت الأئمة فيه مقام رسول الله ﷺ، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((ما أطعم الله لنبي طعمة إلا جعلها طعمةً لمن بعده)) [٢].

ويغني عنه حديث سعد بن تميم السكوني وكان من الصحابة، قال: قيل يا رسول الله، ما للخليفة من بعدك؟ قال: ((مثل الذي لي ما عدل في الحكم، وأقسط في القسط، ورحم ذا الرحم، فمن فعل غير ذلك فليس مني، ولست منه)) [٣].

- ونعود لكلام ابن قدامة - وأما الخبر فمخصوص، وأما حماه لنفسه فيفارق حمى النبي ﷺ لنفسه، لأن صلاحه يعود إلى صلاح المسلمين، وماله كان يرده في المسلمين، ففارق الأئمة في ذلك وساووه فيما كان صلاح المسلمين، وليس لهم أن يحموا إلا قدراً لا يضيق

---

[١] وأقول: قد رواه البخاري (٣٠٥٩) مع خلاف في بعض الألفاظ.

[٢] وأقول رواه أحمد (١٤) وأبو داود (٢٩٧٣)، وقال ابن كثير: فيه غرابة ونكارة.أ.هـ

[٣] رواه الطبراني وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات. أ.هـ وإسناده صحيح.

على المسلمين ويضرّ بهم، لأنه إنما جاز لما فيه من المصلحة لما يحمي وليس من المصلحة إدخال الضرر على أكثر الناس". انتهى كلامه. [١]

فهذا عمر يقول: "لولا ما أحمل عليه في سبيل الله ما حميت شبراً" لأنه يخاف الله ويتقيه ويشفق على المسلمين ويسعى في كل ما ينفعهم، بل حتى حين طعن يستأذن عائشة في مكان قبره ويقول لابنه عبد الله: "انطلق إلى عائشة فقل: يقرأ عليكم عمر السلام ولا تقل: أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدةً تبكي، فقال: يقرأ عمر بن الخطاب عليكم السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: قد كنت أريده لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي، قال: فجاء فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال ما لديك؟، قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين قد أذنت، فقال: الحمد لله ما كان شيء أهم من ذلك المضطجع، فإذا أنا قبضت فاحملوني ثم سلم، فقل يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت لك فأدخلوني، وإن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين" [٢].

وإذا كان هذا كلام فقهاء المسلمين حول الحمى لمصلحة الإسلام والمسلمين وإبعاد الضرر عنهم بأي صورة من الصور، فكيف بمن يحمي الأراضي ويقطع الإقطاعات ويبني المجمعات لأعداء الإسلام والمسلمين، يملؤونها بطائرتهم المفخخة ودباباتهم المفخخة وصواريخهم المفخخة وحاملات طائراتهم ومدمراتهم المفخخة وأسلحتهم الخفيفة والمتوسطة والثقيلة المفخخة.

---

[١] وحديث عبد الله بن الزبير المذكور سابقاً صححه الدارقطني فيما نقله ابن حجر في الفتح حيث قال عند حديث (٣٠٥٩): "قال الدراقطني في غرائب مالك هو حديث غريب صحيح". أ.هـ كلامه.

[٢] رواه البخاري (٣٧٠٠).

لقد زرت بعض المجمعات في مطلع شبابي في شرق جزيرة العرب فرأيت من الملاعب والملاهي والفخامة وغير ذلك ما لم أره في حي أو قرية أو هجرة من بلادي لعموم المسلمين.

وكيف الحال بمن يرى أن البلد ملك له ولأهله وذريته كما قال الله عز وجل: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾، فالمدينة مدينة الملك فلان، والطريق طريق الملك فلان، والمدرسة مدرسة الملك فلان، والمستشفى مستشفى الملك فلان، والمسجد مسجد الملك فلان، والجسر جسر الملك فلان، والملعب ملعب الملك فلان، والدوار دوار الملك فلان، والنفق نفق الملك فلان، والنافورة نافورة الملك فلان، والمطار مطار الملك فلان، والمكتبة مكتبة الملك فلان، والتوسعة توسعة الملك فلان، والباب باب الملك فلان، والمطبعة مطبعة الملك فلان، والجامعة جامعة الملك فلان، والمصنع مصنع الملك فلان، والمدينة الطبية مدينة الملك فلان، والمدينة الصناعية مدينة الملك فلان، والميناء ميناء الملك فلان، والعقبة عقبة الملك فلان، والحي حي الملك فلان، والشاطئ شاطئ الملك فلان، والمنتزه منتزه الملك فلان، والقاعدة الجوية قاعدة الملك فلان، والقاعدة البحرية قاعدة الملك فلان، والقاعدة البرية قاعدة الملك فلان، والعبّارة عبّارة الملك فلان، والسفينة سفينة الملك فلان، وناطحة السحاب ناطحة الملك فلان، والمخطط مخطط الملك فلان، والمقبرة مقبرة الملك فلان، والدوري الرياضي دوري الملك فلان، والكأس كأس الملك فلان، ومسابقة القرآن مسابقة الملك فلان، ومسابقة الحديث مسابقة الملك فلان، والميداليات ميداليات الملك فلان، والأوسمة أوسمة الملك فلان، والبلد بلد الملك فلان، والشعب كل الشعب جنسه وجنسيته جنس عائلة آل سعود (وما في البلد إلا ها الولد)، (ويا أرض اشتدي ما عليك أحد قدي)، فالأرض أرضهم، والمال مالهم، وحكمهم رشيد، ونظرتهم ثاقبة، فعلام بعد ذلك لا يمنحون الأمريكان الصليبيين من جزيرة العرب التي ملكوها كما يظنون، ولماذا لا يتكلمون باسمنا ودوننا وهذا حالهم وواقعهم..

وكما قال الشاعر في قصيدته (باسم الشعب ولا يدري):

كم أشـــرقت في سماء المجد رايات ... ورتلت في رحـــاب الخيـــر آيـــات
وكان رائـــدنا يحـــدو مـــسيـــرتـــنا ... الله غايتـنا الرحـــمـــن لا الـــلات
ودولـــة الـــحـــق بالإسلام تحكمنـا ... واليوم تحـكـمنـــا ظـلـمـاً دويـلات
تقود أمـتنـــا في الحرب غانـــيـــة ... والجيش في الزحف قـد ألهتـه مغنـاة
وكـــــم لعوب تهاووا عنـد أرجـلها ... كمـا تهـــاوت على نـار فراشـات
الـــــزّق والـــــرّق والمزمار عدتـنا ... والخـــصـم عـدتـه عـلـم وآلات
وشـرعـــة الله في القرآن نهـــجرها ... وشرعة الخصـــم تلمود وتـــــوراة
وعدة الخصـم صـــــاروخ وطـائرة ... ونحن عـــدتـــنا الكـبرى قـــرارات
سـفينة الشـعب ضـلت لا شـراع لها ... والشعـــب حار وما للشعب منجـاة
الجـــهل والفقر والطغيان يسحقـــه ... والكأس والجنس مسلاةٌ وملهـــــاة
وبـــــاطـن الشـعب آلام مبـــرحة ... وظاهـــر الشعب أفراح وزينـــات
قـــــد هـــده الجوع واهارت عزيمته ... وقـــادة الـشعب بالأكباد تقتـات
كم بـدّدوا المـال هـدراً في مبـاذلهم ... وفي ليـالي الخنى ضـــاعـت مروءات
في السلم كأس وسيجار وغانـــــية ... وســـاحة الحرب في الهيجا إذاعات
وقـــــادة الشعب أموات بلا كفنٍ ... وهـــل يـحـــرر أرض القدس أموات
يا ســـوءة العمر في تاريخ أمتنـا ... لقد بـــدت مـــنكم للعيـــن سوءات
من يزرع اليوم شـــراً فالحصـــاد غداً ... وقـــدرة الـله لـــلطـغـيـان مـِذراة

وكما قال الآخر:

كم باسمنـا نشـــب النزاع ولم يكن ... رأي لـــنـــا بـنشوبه أو شـــان
صحنا فلـــم يشفق علينا عقـــرب ... نـــحـــنـــا ولـم يرفق بنا ثعبان
وأقـول كـــل بـلادنا مـحتلـة ... لا فـرق إن رحـل العـدا أو رانـوا

مـــاذا نـفـيـــد إن استقلت أرضنا واحـــتلـــت الأرواح والأبـــــدان

نعم، كل جزيرة العرب محتلة من الصليبيين الأمريكان والبريطانيين والفرنسيين وغيرهم من قبل صنائعهم الذين استعبدونا وسادوا في بلادنا بغير رضانا ولا مشورة من أحد، وأباحوا بلادنا لأول مرة في التاريخ للصليبيين، فكانوا بذلك نظير أمثالهم من الخونة، كابن العلقمي والطوسي وأبي رغال وغيرهم ممن دلوا على بلاد المسلمين ومكنوا أعداء المسلمين من المسلمين.

وكما قال الشاعر:

كـــان أمـس الأباة مشرق مـجـــدٍ وإذا اليوم في حمانا اليـــــهـــــود
ســـادنـــا قـــادة الـهـــزيـمـة زوراً كيف نرضى واذلتا أن يـــــسودوا
لـــيـس فـيـهـم قـتـيـبـة أو صلاح أو إمـــــام وليـــس فـيـهـــم رشيد
هجروا المصـــحف الطهور وحـاروا وابن دايـــان قـــاده الـــتـــلـمـود
فـــأذلّ الـــعـــدو مـنـا جـبـاهاً وتلاشى من راحتينا الحـــــديـــــد
واسـتـبـيـحـت ديـارنـا لـعـدو وسـلاح الحـكـــام فينا وعـــــود
مـــســـخـــوا الـحق والحقيقة لـما صـــار صـــوت الإعلام فيهم سـعيد
يـــــــزرع الـبـحـــر والهواء وعوداً لا يـبـالـي ألا يـكـــون حـصـيـدُ
شـــرعـــةُ الـــزور والضلال مذيعا أن يـــوم الـــهـــوان والـذل عـيـد
ووجـــوه الـطـغـاة بـالـشر بيض ووجـــوه الـــهـــداة بالـحق سود
ذل مـــن يـــزعـــم الهـزيمة نصراً تـتـهـاوى مـن راحـتـيـه الـبنود

وضيعوا بلادنا لأجل عروشهم وكراسيهم، فكانوا أسوداً على شعوبهم، ونعامات أمام أسيادهم الصليبين الأمريكان.

وكما قال الشاعر:

أضيعوها كما كنتم ... أضعتم قبلها القدسا
وسيروا في جنازتها ... فقد أتقنتم الدرسا
وأصبحتم لقاتلها ... جنوداً تحفر الرمسا
وأصبحتم لقاتلها ... نعالاً تتقن الدوسا
وصرتم يا لجهلكم ... عبيداً بُلّهاً خرسا
أنسلمها لقواد ... يقوّم حسنها شوسا
لقد دفنت شهامتكم ... وقيل لأمكم: تعسا

وإذا كان النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول: ((من أراد أهل هذه البلدة بسوء -يعني أهل المدينة- أذابه الله كما يذوب الملح في الماء)) [رواه مسلم (١٣٨٦)]، وكما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أراد أهل المدينة بسوءٍ أذابه الله كما يذوب الملح في الماء)) [رواه مسلم (١٣٨٧)] وفي رواية له: ((بدهم أو بسوء))، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت سعداً رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء)) [رواه البخاري (١٨٧٧)]، فكيف بمن يكيد جزيرة العرب بأكملها ويسلمها للصليبين من أجل عرشه وملكه؟!

وإذا كان الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۝ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٢٥-٢٨]، فكيف بمن قال للأمريكان الصليبيين سنطيعكم في كل الأمر وليس فقط في بعضه؟!

فمن الذي يقتل أهل الإسلام ويترك أهل الشرك والأوثان، بل يعاون ويناصر ويظاهر الصليبيين في حروبهم أينما كانت؟! فهم بذلك شر من الخوارج بكثير.

يقول ابن تيمية في معرض مقارنته بين الخوارج والرافضة في "الفتاوى الكبرى (٥٤٧/٣)": "والخوارج مع هذا لم يكونوا يعاونون الكفار على قتال المسلمين، والرافضة يعاونون الكفار على قتال المسلمين، فلم يكفهم أنهم لا يقاتلون الكفار مع المسلمين حتى قاتلوا المسلمين مع الكفار، فكانوا أعظم مروقاً عن الدين من أولئك المارقين بكثير كثير، وقد أجمع المسلمون على وجوب قتال الخوارج والروافض ونحوهم إذا فارقوا جماعة المسلمين، كما قاتلهم علي رضي الله عنه، فكيف إذا ضموا إلى ذلك من أحكام المشركين كنائسا وجنكز خان ملك المشركين ما هو من أعظم المضادة لدين الإسلام.

وكل من قفز إليهم من أمراء العسكر وغير الأمراء فحكمه حكمهم، وفيهم من الردة عن شرائع الإسلام بقدر ما ارتد عنه من شرائع الإسلام، وإذا كان السلف قد سموا مانعي الزكاة مرتدين مع كونهم يصومون ويصلون ولم يكونوا يقاتلون جماعة المسلمين، فكيف بمن صار مع أعداء الله ورسوله قاتلاً للمسلمين مع أنه – والعياذ بالله – لو استولى هؤلاء المحاربون لله ورسوله المحادون لله ورسوله المعادون لله ورسوله على أرض الشام ومصر فى مثل هذا الوقت لأفضى ذلك إلى زوال دين الإسلام ودروس شرائعه)). انتهى كلامه.

وقال ابن تيمية رحمه الله أيضاً في "الفتاوى الكبرى (٥٤٦/٣)": "وفيهم من معاونة الكفار على المسلمين ما ليس في الخوارج والرافضة تحب التتار ودولتهم؛ لأنه يحصل لهم بها من العز ما لا يحصل بدولة المسلمين.

والرافضة هم معاونون للمشركين واليهود والنصارى على قتال المسلمين، وهم كانوا من أعظم الأسباب في دخول التتار قبل إسلامهم إلى أرض المشرق بخراسان والعراق والشام، وكانوا من أعظم الناس معاونة لهم على أخذهم لبلاد الإسلام وقتل المسلمين وسبي حريمهم.

وقضية ابن العلقمي وأمثاله مع الخليفة وقضيتهم في حلب مع صاحب حلب: مشهورة يعرفها عموم الناس.

وكذلك في الحروب التي بين المسلمين وبين النصارى بسواحل الشام: قد عرف أهل الخبرة أن الرافضة تكون مع النصارى على المسلمين، وأنهم عاونوهم على أخذ البلاد لما جاء التتار، وعز على الرافضة فتح عكة وغيرها من السواحل.

وإذا غلب المسلمون النصارى والمشركين كان ذلك غصة عند الرافضة، وإذا غلب المشركون والنصارى المسلمين كان ذلك عيداً ومسرة عند الرافضة.

ودخل في الرافضة أهل الزندقة والإلحاد من النصيرية والإسماعيلية وأمثالهم من الملاحدة القرامطة وغيرهم ممن كان بخراسان والعراق والشام وغير ذلك". انتهى كلامه.

وقال ابن القيم رحمه الله حول هذا المعنى في الكافية الشافية:

وكذا أتى الطوسي بالحرب الصر ... يح بصارم منه وسل لسان
وأتى إلى الإسلام يهدم أصله ... من أسِّه وقواعد البنيان
عمر المدارس للفلاسفة الأُلى ... كفروا بدين الله والقرآن
وأتى الى أوقاف أهل الدين بد ... قلها اليهم فعل ذي أضغان
وأراد تحويل الإشارت التي ... هي لابن سينا موضع الفرقان
وأراد تحويل الشريعة بالنوا ... ميس التي كانت لذي اليونان
لكنه علم اللعين بأن هـ ... ـذا ليس في المقدور والإمكان
إلا إذا قتل الخليفة والقضا ... ة وسائر الفقهاء في البلدان
فسعى لذلك وساعد المقدور ... بالأمر الذي هو حكمة الرحمن
فأشار أن يضع التتار سيوفهم ... في عسكر الإيمان والقرآن

لـكـنـهـم يبـقون أهل مصانع الد نيـا لأجـل مـصـالـح الأبـدان
فغدا على سيف التتار الألف فـي مـثـل لـهـا مـضـروبة بوزان
وكـذا ثـمـان مئـيـنـها في ألفها مـضـروبـة بـالـعـد والحـسبان
حتى بكى الإسلام أعـداه الـيـهـود كـذا المجوس وعـابـدو الصـلبـان
فشـفى اللعين النفس من حزب الر سول وعسكر الإيمان والقـرآن
وبـوده لـو كـان فـي أحـد وقد شـهـد الـوقـيـعة مع أبي سفيان
لأقـر أعـيـنـهـم وأوفـى نـذره أو أن يـرى مـتـمـزق الـلـحـمـان

وقال أيضاً في موضع آخر:

وكـذلـك الطوسـي لمـا أن غـدا ذا قـدرة لم يخش من سـلطـان
قتل الخليفة والقضـاة وحاملي الـ قـرآن والـفـقـهـاء في الـبـلـدان
إذ هم مشبهة مجـسمـة وما دانوا بدين أكـابر اليونان

ويقول ابن تيمية رحمه الله في "الفتاوى الكبرى (٥٠٦/٣)": "ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم، وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للسواحل وانقهار النصارى ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار.

ومن أعظم أعيادهم إذا استولى – والعياذ بالله – النصارى على ثغور المسلمين، فإن ثغور المسلمين ما زالت بأيدي المسلمين، حتى جزيرة قبرص يسر الله فتحها عن قريب، وفتحها المسلمون في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فتحها معاوية بن أبي سفيان إلى أثناء المائة الرابعة.

فهؤلاء المحادون لله ورسوله كثروا حينئذ بالسواحل وغيرها، فاستولى النصارى على الساحل؛ ثم بسببهم استولوا على القدس الشريف وغيره؛ فإن أحوالهم كانت من أعظم الأسباب في ذلك، ثم لما أقام الله ملوك المسلمين المجاهدين في سبيل الله تعالى كنور الدين الشهيد وصلاح الدين وأتباعهما وفتحوا السواحل من النصارى وممن كان بها منهم وفتحوا أيضا أرض مصر؛ فإنهم كانوا مستولين عليها نحو مائتي سنة واتفقوا هم والنصارى فجاهدهم المسلمون حتى فتحوا البلاد، ومن ذلك التاريخ انتشرت دعوة الإسلام بالديار المصرية والشامية.

ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم، فإن منجم هولاكو الذي كان وزيرهم وهو النصير الطوسي كان وزيراً لهم بالألموت، وهو الذي أمر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء". انتهى كلامه.

وقال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية عن النصير الطوسي هذا:

وَكَذَا نَصِيرُ الشِّرْكِ فِي أَتْبَاعِهِ ... أَعْدَاءِ رُسْلِ اللهِ وَالإِيمَانِ
نَصَرُوا الضَّلاَلَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِمْ ... وَغَزَوْا جُيُوشَ الدِّينِ وَالقُرْآنِ
فَجَرَى عَلَى الإِسْلاَمِ مِنْهُمْ مِحْنَةٌ ... لَمْ تَجْرِ قَطُّ بِسَالِفِ الأَزْمَانِ

واليوم إنما استولى الأمريكان الصليبيون على أفغانستان ثم العراق بمعاونة هذه العوائل والأسر التي مكنتهم من جزيرة العرب أرضاً وبحراً وجواً، وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ [القصص:٨٦] أي معيناً لهم، بل فارقهم وخالفهم ونابذهم، وقال موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص:١٧] أي معيناً للكافرين بك المخالفين لأمرك.

وهذه المظاهرة والمعاونة والمناصرة لأمريكا الصليبية الكافرة وتمكينها من بلاد المسلمين هي الكفر البواح والردة الصراح عن دين الإسلام بالكتاب والسنة والإجماع، ومن فعل ذلك

كان شراً من الخوارج الذين إنما كانوا يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الشرك والأوثان؛ لأنهم جمعوا بين قتل أهل الإسلام في أفغانستان والعراق وباكستان واليمن والصومال والشام ودعمهم ومظاهرتهم ومناصرتهم لأمريكا طاغوت العصر بكل أنواع الدعم والمناصرة، وتركوا أهل الشرك والأوثان، بل صاحبوهم وغضبوا لهم واستنكروا تدمير الأصنام والأوثان والأضرحة والقبور، واستقبلوهم وضيفوهم وهشوا وبشوا لهم، ولا يكون للمسلمين في مصرٍ من الأمصار حضور وقوة وشوكة إلا سعوا مع أمريكا لحرب أولئك في السر والعلن بالأصالة والوكالة، وبالمال والإعلام والشيوخ.

وخير مثال على ذلك ما جرى من دعم وإنشاء لما سمي بالصحوات في العراق لحرب المسلمين المجاهدين الذين آذوا وأنهكوا أمريكا، فتحالفوا معها ومع العائلة الأخرى في الأردن وغيرها لحرب المسلمين هناك، وكذلك ما جرى في الصومال حين دعم الرئيس النصراني (زيناو) رئيس وزراء أثيوبيا لكي يغزو الصومال، حتى يكون الحاكمون لكل أمصار المسلمين في طوع أمريكا وعلى هواها يأتمرون بأمرها وينتهون بنهيها ولا يكون للمسلمين المجاهدين الأحرار موضع قدم في أي مكان، وساعدوا أمريكا إعلامياً أشد المساعدة، وسوقوا لأمريكا ما تريد من تغريب للمسلمين وتغيير لمعتقداتهم وتبديل لدينهم وتشويه للإسلام الحق وأهله، واختلاق الأكاذيب والإفتراء والبهتان والزور على المسلمين المجاهدين، وترويج الأفلام الأمريكية والإباحية الغربية واللباس واللغة والعادات وغير ذلك، سعياً لأمركة العالم وأمركة المسلمين وأمركة الإسلام، وما قنوات آل إبراهيم الفضائية المرتبطة بأسرة آل سعود (وفهد بن عبد العزيز) الملك الأسبق وقت التمكين بعد أحداث الكويت إلا صورة من صور هذه الحملات الإعلامية التغريبية.

ولا تحارب أمريكا جماعة أو تياراً مرتبطاً بالإسلام من قريب أو بعيد حتى لو كان عند هذه الجماعة أو التيار ما عندها من ضلالات أو انحرافات أو بدع إلا وتجد هذه الأسر والعوائل مع أمريكا في حربها على تلك الجماعة أو ذلك التيار، وفي المقابل يدعمون الخصوم والأعداء لهم بالمال والإعلام وغير ذلك، وخير مثال على هذا دعمهم للحكومات العلمانية

والليبرالية على من ينتسبون للإسلام، كما جرى في الجزائر قبل أكثر من عقدين من الزمان حيث دعموهم بالمليارات، وكذلك دعمهم للطواغيت الساقطين (حسني مبارك وزين العابدين بن علي) في مصر وتونس مع إعلانهما وتصريحهما بالعلمانية الفاصلة للدين عن الحياة، وكذلك مشاركتهم ومعاونتهم مع حسني مبارك ودويلة يهود وأمريكا في حصار غزة حيث كان حينها معسكر ما يسمونه (دول الاعتدال والوسطية) وهي الدولة الخاضعة لأمريكا وسياساتها وتنتهج النهج الليبرالي الكافر، وتجدهم لا يُفرح أمريكا شيء إلا أفرحهم وسرهم، ولا يحزن أمريكا شيء إلا أحزنهم وساءهم، يسهرون لسهرها ويألمون لألمها، اعتقلوا العلماء والمشايخ والدعاة تلبية لطلبها، وبنوا السجون المتكاثرة إرضاءً لها وحموا مساحات شاسعة في (الرياض وبريدة والدمام وأبها وجدة) لتكون سجوناً للعلماء والدعاة والمشايخ وشباب المسلمين وفلذات أكبادهم من أجل عيون أمريكا، وزجوا بعشرات الآلاف من المسلمين فيها لسنوات طويلة خدمةً لأمريكا حتى تعربد في الأرض وتنشر الفساد والكفر والإلحاد، وتمتص خيرات البلاد، وتتحكم في بلاد المسلمين، وتسرح وتمرح كما تشاء، فهي إلهم الذي يعبدون، والبيت الأبيض كعبتهم التي حولها يطوفون، والغرب قبلتهم التي إليها يتوجهون، فهم أهدى سبيلاً، وطريقتهم في نظرهم هي المثلى، وكما قال الشاعر:

من كان للغرب عبد الفكر خاضعه ... فليس منا ولسنا منه في نسب

وكما قال الآخر:

اسألوا الأرض عن رفات الضحايا ... واسألوا الليل عن ظلام السجون
إنما رزء أمتي في رجال ... همهم في فروجهم والبطون
يتعالون فوقنا ونراهم ... سجداً عند أرجل التنين
وبلونا شئونهم فرأينا ... أنهم أتخموا إلى الغرب ميلا
كشياه الجزار تسعى إليه ... أو كمن ينكح الثريا سهيلاً

إذا قتل صليبي أمريكي أو بريطاني أو فرنسي محتل لبلادنا أرسلوا لهم التعازي وواسوهم وأظهروا الحزن والأسى عبر شاشاتهم وإعلامهم، وإذا قتل المسلمون لم يكترثوا لذلك ولم يقيموا له وزناً، وإذا قتل أحد من قادة المجاهدين المسلمين فرحوا واستبشروا وكان إعلامهم يرقص لذلك وينتشي طرباً وكانت صحفهم تذكر الخبر وتبرزه كانتصار ومجد وقع، وإذا هوجم الأمريكان المحتلين لبلاد المسلمين في العراق أو أفغانستان أو جزيرة العرب ضج إعلامهم وخرجت بياناتهم واستنكروا ونددوا وشجبوا ودانوا وخطبوا وكتبوا وربما خصصوا الحلقات لذلك عبر قنواتهم الفضائية، وإذا قتلت الطائرات الأمريكية بطيار وبدون طيار الأطفال والنساء والشيوخ في أفغانستان وباكستان والعراق واليمن فلا سامع ولا مجيب ولا شاجب ولا مستنكر ويذكر الخبر عرضاً وبسرعة وبلا ضجة ولا ضجيج، ويكفي بيان الأمريكان أو الحلف الأطلسي الذي يقول (نعتذر، وحصل خطأ، ولم يكن الأمر مقصوداً، وسنفتح تحقيقاً في ذلك) وهكذا آلاف من المسلمين يُقتلون ولا يحرك ذلك ساكناً لدى الصنائع والعملاء، وأصبح الذي يسير في فلك أمريكا هو الوسطي والمعتدل، وصاحب الإسلام المنفتح والذي يعادي أمريكا الصليبية المحتلة الغازية لبلاد المسلمين هو الإرهابي والمتشدد والمتطرف والخارجي وكلاب النار وشر قتلى تحت أديم السماء إلى آخره من ألقاب أطلقها أسرة آل سعود وشيوخها وكتابها وإعلامها على المسلمين المجاهدين، وسموهم "بالفئة الضالة".

وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۝ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ۝ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ۝ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ [المطففين:٢٩-٣٣].

ومكنوا لكل علماني وليبرالي ومعادٍ للإسلام وأهله وموالٍ لأمريكا والغرب الصليبي ونهجها في القنوات الفضائية والإذاعات والصحف ليكتمل المشهد في الحرب المفتوحة على المسلمين المجاهدين، ولما وقعت غزوات (نيويورك وواشنطن) جأرت أمريكا وكان لها خوار، فارتعد المرتعدون وقالوا نحن معك ولسنا ضدك، وأسامة بن لادن ليس منا ولسنا منه، ثم حركوا شيوخهم وخطباؤهم وإعلامهم وصحفهم وكتابهم وجيوشهم ومباحثهم ومن حولهم، وبدأ

التغيير للمناهج والتعليم والعقول والعادات، وبدأت حرب على كل ما يتصل بالإسلام والمسلمين على حلقات حفظ القرآن والدروس والمحاضرات وأهل الإستقامة وجمع التبرعات وغيرها؛ وذلك أن الغزوات أصابتهم في مقتل.

ولإرضاء أمريكا ولبوش الغاضب شنوا حملتهم المسعورة يريدون أن يطفئوا نور الله ويريدون أن يبدلوا كلام الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، والله متم نوره ولو كره الكافرون؛ فجاءت الدعوات لحوار الأديان وتقاربهم وحوار الحضارات، والتي تجمع بين ما فرق الله ورسوله، وتفرق بين ما جمع الله ورسوله، وتخالف قطعيات الشريعة، وتصادم أسس ومبادئ الإسلام المعلومة بالاضطرار من دين المسلمين، فالتقوا حينها بكل كافر ويهودي ونصراني ومشرك وبوذي ومجوسي وهندوسي تحت عناوين براقة ومصطلحات خداعة، كالأخوّة الإنسانية والبشرية، فجمعوا الأحبار والشيوخ والحاخامات والقسي والرهبان... إلخ لكي يخرجوا بقواعد مشتركة وأرضية موحدة كما يقولون.

ووالله لو رآهم ابن تيمية الذي ألف كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم) لقال بصوت عالٍ: (والله لا يدعو إلى هذا ويحضره ويقره إلا من لا يعرف من دين الإسلام شيئاً، ومن هو أجهل من حمار أهله، والله إن هذا كفر بما جاء به محمد ﷺ، وتبديل للكتاب والسنة والشريعة الإسلامية، ومن أعطى الضوء الأخضر بذلك كما زعموا فهو كافر بدين الإسلام ولو كان طول لحيته بالأمتار وعرضها بالأشبار وبياضها قد تعاقب عليه الليل والنهار).

وكما قال الشاعر:

ومضت بنا الأيام، لـيـلٌ حالـكٌ ... يسطو وفجرٌ ضاحكٌ يتجهَّم
ومضت بنا الأيام، بيت رذيلةٍ ... يُبنَى وبيتُ فضيلةٍ يتهدم
ومضت بنا الأيام، مركب حسرة ... ينجو وزورق فرحةٍ يتحطَّم

ومضـــتْ بنا الأيَّام، موكب عزمنا متـــوقفٌ وعـــدوُّنـا يـــتـــقـدم
وسمعـــــت صـــوتا في مغارة خوفنا يـــوحـــي صـــداه بظالـم لا يـــرحـــم
مـــن أيـــن هذا الصوت؟ كل إجابـــة تاهـت ووضـع بـــلادنـــا يـــتـــأزّم
ومضت بنا الأيام حتى أسفـــــــرت عـــن وجهها الأحداث واختلط الـدّم
وتجدد الصوت الغريـــب نـــــــداؤه شـــؤم وأصوات الـــدافـــع أشـــأم
وتجددت مأساتـــنـــا وتـــمـــزّقـــت أوصـــــال أمـتـــنـا ونام الـضـيّـغـم

وقلبوا المصطلحات وغيروا الحقائق، وأصبح الأمريكي الصليبي المحارب ذمياً أو معاهداً أو مستأمناً، وهذه الذمة أو العهد أو الأمان لا ينقضها عملياً عندهم شيء، فلو قاتل المسلمين أو غزاهم أو سب نبيهم أو دينهم أو حمل السلاح أو فعل ما فعل فالذمة باقية والعهد مستمر والأمان كذلك، وهذا لم يقله أحد من علماء المسلمين المعتبرين.

يقول ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين (٥٣٢/٤)": "ولو أوجب تبديل الأسماء والصور تبدل الأحكام والحقائق لفسدت الديانات وبدلت الشرائع واضمحل الإسلام، وأي شيء نفع المشركين تسميتهم أصنامهم آلهة وليس فيها شيء من صفات الإلهية وحقيقتها، وأي شيء نفعهم تسمية الإشراك بالله تقرباً إلى الله، وأي شيء نفع المعطلين لحقائق أسماء الله وصفاته تسمية ذلك تنزيهاً، وأي شيء نفع الغلاة من البشر واتخاذهم طواغيت يعبدونها من دون الله تسمية ذلك تعظيماً واحتراماً، وأي شيء نفع القدرية المخرجين لأشرف ما في مملكة الرب تعالى من طاعة أنبيائنا ورسله وملائكته وعباده عن قدرته تسمية ذلك عدلاً، وأي شيء نفعهم نفيهم لصفات كاملة تسمية ذلك توحيداً، وأي شيء نفع أعداء الرسل من الفلاسفة القائلين بأن الله لم يخلق السموات والأرض في ستة أيام ولا يحيي الموتى ولا يبعث من في القبور ولا يعلم شيئاً من الموجودات ولا أرسل إلى الناس رسلاً يأمرونهم بطاعته تسمية ذلك حكمة، وأي شيء نفع أهل النفاق تسمية نفاقهم عقلاً معيشياً وقدحهم في عقل من لم ينافق نفاقهم ويداهن في دين الله، وأي شيء نفع المكسة تسمية ما يأخذونه

ظلماً وعدواناً حقوقاً سلطانية وتسمية أوضاعهم الجائرة الظالمة المناقضة لشرع الله ودينه شرع الديوان، وأي شيء نفع أهل البدع والضلال تسمية شبههم الداحضة عند ربهم وعند أهل العلم والدين والإيمان عقليات وبراهين وتسمية كثير من المتصوفة الخيالات الفاسدة والشطحات حقائق؟! فهؤلاء كلهم حقيق أن يتلى عليهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [النجم:٢٣]" انتهى كلامه.

وقال في فصل (بيان المصيبة التي حلت بأهل التعطيل والكفران من جهة الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان) في الكافية الشافية:

يا قوم أصل بلائكم أسماء لم ... ينزل بها الرحمن من سلطان
هي عكَّستكم غاية التعكيس ... واقتلعت دياركم من الأركان
فتهدمت تلك القصور وأوحشت ... منكم ربوع العلم والإيمان

وقد جرى في الأعوام الماضية في أمريكا وفرنسا والدنمارك والسويد وغيرها من الدول من الأذى لله ولرسوله ﷺ وإحراق القرآن والرسوم المسيئة والأفلام المستهزئة، وكان أكبر ما عند آل سعود البيانات المدينة لهذا التصرف، ولم تنتقض العهود ولا المواثيق ولم يسحبوا سفيراً أو يطردوا سفيراً أو يقطعوا العلاقات التجارية معهم، بينما لا يتوانون عن حرب المسلمين المجاهدين بالمال واللسان والنفس ويفترون ويكذبون عليهم الليل والنهار، وسلم منهم اليهود والنصارى والصفويون الرافضة الاثنا عشرية والدروز والنصيرية والمشركون، ولم يسلم منهم المسلمون المجاهدون في كل مكان، حتى يصح أن يقال (حيثما وجدت الأذى للمسلمين المجاهدين، فاعلم أن آل سعود شركاء في ذلك ولهم ضلع فيه).

وكما قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

والأمر والله العظيم يزيد فوق ... الوصف لا يخفى على العميان
وإذا ذكرت الله توحيداً ... رأيت وجوههم مكسوفة الألوان

بل ينظرون إليك شزراً مثل ما نظر التيوس إلى عصا الجوبان
وإذا ذكرت بمدحه شركاءهم يتباشرون تباشر الفرحان
والله ما شموا روائح دينه يا زكمة أعيت طبيب زمان

وأصبح الجهاد في عصرنا وفق نظرة آل سعود وشرعتهم المتأمركة كما قال الشاعر:

وكأن خارطة الجهاد أعدها (ميخا) وأكد رسمها (المعدان)
لا بل قضى شرع الأهلة أن تخوض جهادها وسيوفها الصلبان
كرم الضيافة دائما يقضي بأن تطوى الجفون وتفتح السيقان
معنى الجهاد بعصرنا إجهادنا أو عصرنا وثوابنا خسران
عثمان يقتل كل يوم باسمنا وتخاط من أطمارنا القمصان
ماذا على شجر إذا طرد الخريف هزارها لتغرد الغربان
في الكحل لا تجد الأذى إلا إذا عملت على تكحيلك العميان
أعلمت أن الدارعين تدرعوا بطنينهم وسلاحهم أطنان
وبدوا فهوداً عند منسكب الندى وإذا بهم عند الردى حملان
صمتوا لديك لتلفظي النفس الأخير وبعدها عزفت لك الألحان
ولطالما وعدوا بنصرك في الوغى وعدوا وأبلغ نصرهم خذلان
لم يمتشق سيف ولم تسرج لهم خيل ولم تقطع لهم أرسان
فجميعهم قد كذبوا وجميعهم قد مثلوا وجميعهم قد خانوا

وقد قرأت تاريخهم وتاريخ حكمهم الأخير فلم أجد مرة واحدة في زمان أو مكان أنهم قتلوا يهودياً واحداً أو نصرانياً أو مجوسياً واحداً أو كافراً أو مشركاً واحداً، بل كل قتلاهم من قبائل جزيرة العرب قديماً وحديثاً عبر جنودهم مباشرة، أو قتلاهم من المسلمين في بلدان عدة عبر الدعم والمناصرة والمظاهرة والموالاة لأمريكا وبريطانيا وغيرها براً وبحراً وجواً ومالاً

وإعلاماً... إلى آخره من صور المظاهرة، كما حصل في أفغانستان وباكستان والعراق واليمن والصومال.

وهم لمن يعرف حالهم ويقرأ تاريخهم كما قال ابن تيمية رحمه الله عن التتار في "الفتاوى الكبرى (٥٦١/٣)": "فإن هؤلاء التتار لا يقاتلون على دين الإسلام، بل يقاتلون الناس حتى يدخلوا فى طاعتهم، فمن دخل فى طاعتهم كفوا عنه وإن كان مشركًا أو نصرانيًا أو يهوديًا، ومن لم يدخل كان عدوًا لهم وإن كان من الأنبياء والصالحين.

وقد أمر الله المسلمين أن يقاتلوا أعداءه الكفار، ويوالوا عباده المؤمنين، فيجب على المسلمين من جند الشام ومصر واليمن والمغرب جميعهم، أن يكونوا متعاونين على قتال الكفار، وليس لبعضهم أن يقاتل بعضًا بمجرد الرياسة والأهواء.

فهؤلاء التتار أقل ما يجب عليهم أن يقاتلوا من يليهم من الكفار، وأن يكفوا عن قتال من يليهم من المسلمين، ويتعاونون هم وهم على قتال الكفار". انتهى كلامه.

وهم كما قال الشاعر:

وأرى بعين بصيرتي ما لا يرى ... غيري وأعرف ما يحاك ويُبرم
وإذا سألتم عن بني قومي ففي ... كتب الحقيقة ما يمضّ ويؤلم
لا تسألوا عن حالهم فهناك من ... يمحو مآثر شعبه ويهدّم
وهناك من يبني سعادته على ... كتف الضعيف ويستبد ويظلم
وهناك من يسخو على شهواته ... ويمِضه في المكرمات الدرهم
وهناك من ينسى بأن رحالَه ... تمضي وأن الموت أمر مبرم

وقد قال مسلم ألماني دخل في الإسلام في السنوات الماضية بعد قراءته عن الإسلام والقرآن والنبي ﷺ والمهاجرين والأنصار، بأنه قدم إلى المدينة النبوية ليرى أحفاد الصحابة

والمهاجرين والأنصار، فلما قدم إلى المدينة ساءه وضع الناس وما يراه من مخالفات لسنة النبي ﷺ ولأوامره وعدم اجتناب لنواهيه، والفرق بين الصحابة وواقع الناس، فاعتقله المباحث وأدخلوه السجن مع شباب المسلمين المعتقلين لدى المباحث، فلما رآهم وعاشرهم قال: "الآن وجدت أتباع الصحابة والمهاجرين الأنصار، إنهم في السجون". انتهى كلامه.

وكما قال الشاعر:

يا سيدي.. فلأعترف

أن الجواد الجامح

المجنون قد خسر الرهان

وبأن أوحال الليالي السود

صارت فوق رؤوسنا..

ثياب الملك والتيجان

وبأن أشباه الرجال تحكموا

وبأن هذا العصر للغلمان

يا سيدي.. فلأعترف

أن المآذن لا تساوي رقصة

أو هز خصرٍ في حمى السلطان

أن الفراشات الجميلة

لن تقاوم خسّة الثعبان

أن الأسود تموت حزنًا

عندما تتحكم الفئران

أن السماسرة الكبار توحشوا

باعوا الشعوب.. وأجهضوا الأوطان

ولأعترف يا سيدي..

أني وفيت.. وأن غيري خان

وأني نزفت رحيق عمري

كي يطل الصبح

لكن.. خانني الوغد الجبان

قتلوا الشباب وصولة الفرسان

في زمن النخاسة والهوان

سجنوا الزهور وفجر العمر قربانًا

لأصنام تبيع الإفك جهرًا

في حمى الشيطان

بلد تطوف عليه مكة كعبة الدنيا

وبيت الحق.. والإيمان

بلد عنيد أيقظ الدنيا

علمها طريق المجد

علمها آي الذكر

علمها البيان

بلد جميل كان يوماً كعبة البلدان

ماذا تبقى منه

الآن.. تأكله الكلاب وترتوي

بالدم فوق ربوعه الديدان

الآن ترحل عنه أفواج الحمام

وتنعق الغربان

الآن ترتع فيه أسراب الجراد

وتعبث الفئران

بلد جميل كان يومًا كعبة البلدان

الآن ترتحل الرجولة عن ثراه

ويسقط الفرسان

فـي سـاحـة الدجل الرخيص

يغيب وجه الحق

تسقط أمنيات العمر

يزحف موكب الطغيان

في ساحة القهر الطويل

يضيع صوت العدل

تخبو أغنيات الفجر

تعلو صيحة البهتان

بلدٌ بلون الصبح كان

بلدٌ كبير أنت في عيني

هزيلٌ في ظلام السجن والسجان

بلدٌ جسورٌ أنت في عيني

ذليلٌ في ثياب العجز والنسيان

من علّم الأسد الأبي

بأن ينكس رأسه ويهادن الجرذان

من علّم الفرس المكابر

أن يهرول ساجدًا

في موكب الحملان

من علّم القلب التقي

بأن يبيع صلاته ويعود للأوثان

من علّم البلد العريق

بأن يبيع جنوده

ويقابض الفرسان.. بالغلمان

من علّم البلد الغيور بأن يبيع ترابه

للراغبين بأبخس الأثمان

من علّم السيف الجسور

بأن يعانق خصمه

ويعلّق الشهداء في الميدان

يا أيها البلد المهان

إني بريء منك

يا أيها العهد الجبان

إني بريء منك

يا عصر الضياع

وسطوة الخصيان

إني بريء منك

من كفورك والجبان

ووالله لو خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه في زماننا هذا ومعه أولئك الرجال لقاتل هذه العوائل والأسر وجنودها كما قاتل مسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي وسجاح ومانعي الزكاة، وأعلنها حروب الردة الجديدة، ولو خرج وهو لوحده لسجنوه في الحائر أو ذهبان أو الطرفية أو الدمام أو أبها، ووصفوه بالإرهابي والخارجي والمتطرف وغيرها من ألقابهم، ووالله إني لأجزم أنه لو خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأعلنها حرباً مفتوحة على قنوات الـ (إم. بي. سي) التي أخرجت مسلسلاً عنه، وسير إليها سرية تجعلها قاعاً صفصفاً، ولو شاور أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب والمهاجرين والأنصار لما ترددوا عن قتالهم أبداً ولطهروها من رجس الصليبيين المحتلين.

يقول ابن تيمية رحمه الله في "الفتاوى الكبرى (٥٥٧/٣)": "قتال التتار الذين قدموا إلى بلاد الشام واجب بالكتاب والسنة، فإن الله يقول في القرآن ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩]، والدين هو الطاعة فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كله لله، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩]، وهذه الآية نزلت في أهل الطائف لما دخلوا في الإسلام والتزموا الصلاة والصيام لكن امتنعوا من ترك الربا، فبين الله أنهم محاربون له ولرسوله إذا لم ينتهوا عن الربا، والربا هو آخر ما حرمه الله، وهو مال يؤخذ برضا صاحبه؛ فإذا كان في هؤلاء محاربين لله ورسوله يجب جهادهم فكيف بمن يترك كثيرا من شرائع الإسلام أو أكثرها كالتتار.

وقد اتفق علماء المسلمين على أن الطائفة الممتنعة إذا امتنعت عن بعض واجبات الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها إذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلاة والزكاة أو صيام شهر رمضان أو حج البيت العتيق أو عن الحكم بينهم بالكتاب والسنة أو عن تحريم الفواحش أو الخمر أو نكاح ذوات المحارم أو عن استحلال النفوس والأموال بغير حق أو الربا أو الميسر أو الجهاد للكفار أو عن ضربهم الجزية على أهل الكتاب ونحو ذلك من شرائع الإسلام، فإنهم يقاتلون عليها حتى يكون الدين كله لله.

وقد ثبت في الصحيحين: أن عمر لما ناظر أبا بكر في مانعي الزكاة، قال له أبو بكر: كيف لا أقاتل من ترك الحقوق التي أوجبها الله ورسوله وإن كان قد أسلم كالزكاة وقال له: فإن الزكاة من حقها، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر: فما هو إلا أن رأيت قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنه الحق.

- إلى أن قال -: والتتار وأشباههم أعظم خروجا عن شريعة الإسلام من مانعي الزكاة والخوارج من أهل الطائف الذين امتنعوا عن ترك الربا، فمن شك في قتالهم فهو أجهل الناس بدين الإسلام". انتهى كلامه.

وكما قال الشاعر:

وألـــــقابٌ يتيهُ بـــــها قـــــرودٌ ... وليـــــــس لها مَعَانٍ أو دلالَـــــهْ
سعـــــادتـــهُ شـــقـــاءٌ في شـقـــاءٍ ... وقـــــــد رَفعتْ معاليه السَّفالـــــهْ
ســـيـادتـــــهُ يـقـيـمُ على هـــــوانٍ ... سماحتهُ يعيش مع الضـلالـــــــــهْ
فخـامـتـهُ هـزيـلٌ كـيـف يـــــدري ... بأن النـاسَ قـد فضـــحوا هزالـهْ
ودولَـــــتُهُ يـعـيش مع الأمـــــاني ... ويخـــــشى أن تُـــــفاجِئَه الإقالهْ
مَضَغْـــنا قـــلـــبَ حمزةَ وانـثـنـينا ... نذوقُ المرَّ أو نـــــــــجني وبالهْ
مُؤامـــــــــرةٌ يـــــُدبـرها يهودٌ ... ويرعـــــاهـــــا عـميلٌ لا أبـا لَهْ

فمن شك في قتالهم فهو من أجهل الناس بدين الإسلام، وكذلك اليوم من شك في قتال أمريكا الصليبية والحلف الأطلسي الصليبي المحتلة لبلاد المسلمين فهو من أجهل الناس بدين الإسلام، ولو تسمى بالسماحة والفضيلة والمفتي الأكبر ومفتي الديار والدكتور والبروفسور.

ويقول ابن تيمية رحمه الله في "الفتاوى الكبرى (٣/٣٥٣)": "كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين، وإن تكلمت بالشهادتين.

فإذا أقروا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلوات الخمس وجب قتالهم حتى يصلوا، وإن امتنعوا عن الزكاة وجب قتالهم حتى يؤدوا الزكاة، وكذلك إن امتنعوا عن صيام شهر رمضان أو حج البيت العتيق، وكذلك إن امتنعوا عن تحريم الفواحش أو الزنا أو الميسر أو الخمر أو غير ذلك من محرمات الشريعة، وكذلك إن امتنعوا عن الحكم في الدماء والأموال والأعراض والأبضاع ونحوها بحكم الكتاب والسنة، وكذلك إن امتنعوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار إلى أن يسلموا ويؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وكذلك إن أظهروا البدع المخالفة للكتاب والسنة واتباع سلف الأمة وأئمتها؛ مثل أن يظهروا الإلحاد في أسماء الله وآياته، أو التكذيب بأسماء الله وصفاته، أو التكذيب بقدره وقضائه، أو التكذيب بما كان عليه جماعة المسلمين على عهد الخلفاء الراشدين، أو الطعن في السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، أو مقاتلة المسلمين حتى يدخلوا في طاعتهم التي توجب الخروج عن شريعة الإسلام، وأمثال هذه الأمور. قال تعالى قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩]، فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كله لله.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة:٢٧٨ – ٢٧٩]. وهذه الآية نزلت في أهل الطائف وكانوا قد أسلموا وصلوا وصاموا لكن كانوا يتعاملون بالربا، فأنزل الله هذه الآية وأمر المؤمنين فيها بترك ما بقي من الربا، وقال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾. وقد قرئ (فأذنوا) (وآذنوا) وكلا المعنيين صحيح.

والربا آخر المحرمات في القرآن وهو مال يؤخذ بتراضي المتعاملين، فإذا كان من لم ينته عنه محاربا لله ورسوله؛ فكيف بمن لم ينته عن غيره من المحرمات التي هي أسبق تحريما وأعظم تحريما". انتهى كلامه.

فكيف وقد قال بوش بأنها (حرب صليبية)، وأكبر حليف ومشارك لهم في هذه الحرب هم آل سعود، وكيف وآل سعود والأمريكان يصرحون عبر وسائل الإعلام بأنهم أصدقاء وشركاء وحلفاء وعلاقتهم متينة واستراتيجية وقديمة ولا يعكرها أي شيء، وجعلوا من دولة آل سعود حليفاً خارج الحلف الأطلسي، وقيادات أمريكا العسكرية البرية والبحرية والجوية لا تفتر من زيارات آل سعود، ويستقبلهم آل سعود بكل حفاوة وتقدير واحترام، ويقيمون لهم مأدبة الطعام؛ فبوش حامل راية الصليب ومن سار خلفه ومعه في ذلك فهو مثله حكمه حكمه، وإذا كان لا يحل لمسلم أن يقتل مسلماً آخر حتى لو أكره على ذلك باتفاق العلماء، فكيف بمن يقتل المسلمين بمئات الآلاف في أفغانستان والعراق وباكستان من أجل عرشه وملكه وكرسيه ويساعد في ذلك ويناصر ويظاهر ويوالي ويعين ويدعم.

يقول ابن تيمية رحمه الله في "الفتاوى الكبرى (٣/٥٥٣-٥٥٤)": "والمقصود أنه إذا كان المكره على القتال في الفتنة ليس له أن يقاتل، بل عليه إفساد سلاحه وأن يصبر حتى يقتل مظلوماً، فكيف بالمكره على قتال المسلمين مع الطائفة الخارجة عن شرائع الإسلام كمانعي الزكاة والمرتدين ونحوهم؛ فلا ريب أن هذا يجب عليه إذا أكره على الحضور أن لا يقاتل وإن قتله المسلمون كما لو أكرهه الكفار على حضور صفهم ليقاتل المسلمين وكما لو أكره رجل رجلاً على قتل مسلم معصوم، فإنه لا يجوز له قتله باتفاق المسلمين، وإن أكرهه بالقتل؛ فإنه ليس حفظ نفسه بقتل ذلك المعصوم أولى من العكس، فليس له أن يظلم غيره فيقتله لئلا يقتل هو". انتهى كلامه.

فكيف بمن يبادر إلى الأمريكان بالمناصرة والمظاهرة والمعاونة طائعاً مختاراً، ويقول لن أحلق لحيتي حتى تسقطوا (صدام حسين)، وهذا حث واستعجال لغزو بلد من بلدان المسلمين، فصدام حسين طاغية مجرم ظالم ذهب غير مأسوف عليه كما قال الشاعر:

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

وكما قال الآخر:

قضـــى الله أن البغي يصـــرع أهله وأن على البـاغي تـدور الـدوائر

ولكن هل يجيز ذلك لأحد كائناً من كان أن يستنصر بالكفار الذين هم أشد ظلماً وكفراً وفساداً وعدواناً لإزالة ذلك الطاغية؟!

ولئن كان صدام حسين وبالاً على العراق وأهله فإن أمريكا الصليبية فعلت بالعراق وأهله ما لم يفعله صدام، وقتلت من العراق وأهله ما لم يقتله صدام، ونشرت من الفساد والظلم والشر ما لم ينشره صدام، ثم سلمته للصفويين الرافضة الإثني عشرية بمعاونة هذه الأسر والعوائل.

ولئن كان صدام حسين ظلم وبغى حين غزا الكويت وفعل الأفاعيل لعدة شهور ثم خرج في لعبة ومكر لعل حقائقه وأسراره قد تكشفت، فما فعله آل الصباح وآل سعود وبقية الآلات بالعراق وأهله أكبر وأعظم مما فعله صدام حسين، وقد استمر ذلك لسنوات ولا زال إلى الآن.

وكيف بمن يحارب كل من يحارب الأمريكان ويمنع الجهاد ضدها ويسجن الآلآف من شباب المسلمين، إما لذهابهم إلى أفغانستان أو العراق والتهمة الإرهاب والسفر بدون إذن ولي الأمر)، وسجنوا آلافاً أخرى قبل سفرهم احترازياً حتى لا يذهبوا إلى الجهاد ضد أمريكا، بل وسجنوا حتى من استأذن منهم للذهاب إلى تلك الجبهات أيضاً احترازيا، فهم مع أمريكا في كل شيء قولاً وعملاً، وضد من يعادي أمريكا في كل شيء قولاً وعملاً، وقد شهد لهم بذلك الأمريكان وغيرهم من دول الصليب وحتى اليهود، وأعطوهم شهادة حسن سيرة وسلوك وأثنوا على جهودهم وباركوها وطلبوا المزيد.

وكما قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

والشـــرك فـاحـذره فشـــرك ظـاهر ذا القسم ليس بقـــابـــل الغفـــران

وهو اتخاذ الند للرحمـــــــن أيا كان من حجر ومن إنسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ويحبه كمحبة الديّان
والله ما ساووهم بالله في خلق ولا رزق ولا إحسان
فالله عندهم هو الخلاق والـ زاق مولى الفضل والإحسان
لكنهم ساووهم بالله في حب وتعظيم وفي إيمان
جعلوا محبتهم مع الرحمن ما جعلوا المحبة قط للرحمن
لو كان حبهم لأجل الله ما عادوا أحبته على الإيمان
ولما أحبوا سخطه وتجنبوا محبوبه ومواقع الرضوان
شرط المحبة أن توافق من تحب على محبته بلا عصيان
فإذا ادعيت له المحبة مع خلا فك ما يحب فأنت ذو بهتان
أتحب أعداء الحبيب وتدعي حباً له ما ذاك في إمكان
وكذا تعادي جاهداً أحبابه أين المحبة يا أخا الشيطان
ليس العبادة غير توحيد المحبـ ـة مع خضوع القلب والأركان
والحب نفس وفاقه فيما يحبُّ وبغض ما لا يرتضي بجنان
ووفاقه نفس اتباعك أمره والقصد وجه الله ذي الإحسان
هذا هو الإحسان شرط في قبو ل السعي فافهمه من القرآن
والإتباع بدون شرع رسوله عين المحال وأبطل البطلان
فإذا نبذت كتابه ورسوله وتبعت أمر النفس والشيطان
واتخذت أندادا تحبهم كحـ ـب الله كنت مجانب الإيمان

ووالله لقد اتخذوا أمريكا نداً لله يحبونها كحب الله، داروا معها حيث دارت، وساروا معها حيث سارت، وصالوا معها حيث صالت.

وإذا كان النبي ﷺ قال لعدي بن حاتم: ((أليس أحلوا الحرام فحللتموه، وحرموا الحلال فحرمتموه))، قال: بلى. قال: ((فتلك عبادتهم))، فكيف بمن سار مع أمريكا في كل شيء بلا اعتراض ولا ردود، وإذا كان الله عز وجل قال عن الذين قالوا أنأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله أي في الذبيحة والميتة، فقال الله: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١]. قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (١٣٥٨/٣): "وقال السدي في تفسير هذه الآية: إن المشركين قالوا للمؤمنين كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة الله وما ذبح الله فلا تأكلونه وما ذبحتم أنتم أكلتموه، فقال الله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ [الأنعام:١٢١]، فأكلتم الميتة ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١]، وهكذا قاله مجاهد والضحاك وغير واحد من علماء السلف رحمهم الله، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١] أي حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقدمتم عليه غيره، فهذا هو الشرك". انتهى كلامه.

فكيف بمن أطاع أمريكا في كل شيء واستجاب لها في كل شيء وأعطاها كل شيء وخضع لها في كل شيء ومشى، بل سعى بل عدا نحوها وارتمى في أحضانها، يخافها أكثر مما يخاف الله ويحبها أكثر مما يحب الله؟!

وبعد كل ما تقدم: يتبين أن هذا الوصف (يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الشرك والأوثان) لا ينطبق علينا، وأقوالنا وأفعالنا واعتقادنا يخالف كل المخالفة، بدءًا بقتال الروس والأمريكان الشيخ الأمير المجاهد أسامة بن لادن رحمه الله، فخلفه الشيخ أيمن الظواهري، وجميع المسلمين المجاهدين في ثغور المسلمين الذين ينازلون أمريكا الصليبية والحلف الأطلسي الصليبي، بينما نجد أن آل سعود يأخذون من هذا الحديث الشق الأول وهو أنهم يقتلون أهل الإسلام ثم يزيدون على ذلك بأمور كثيرة سبق ذكرها فيما مضى، فهم بذلك شر من الخوارج بكثير كثير من الكفر والردة والعياذ بالله، وكما قيل في المثل: (رمتني بدائها وانسلت).

وصدق ابن القيم رحمه الله حين قال في فصل (مخالفة طريقهم لطريقة أهل الاستقامة عقلاً ونقلاً) من الكافية الشافية:

هذا الذي ألقى العداوة بيننا ... في الله نحن لأجله خصمان
نصروا الضلالة من سفاهة رأيهم ... لكن نصرنا موجب القرآن
ولنا سلوك ضد مسلكهم فما ... رجلان منا قط يلتقيان
إنا أبينا أن ندين بما به ... دانوا من الآراء والبهتان
إنا عزلناها ولم نعبأ بها ... يكفي الرسول ومحكم الفرقان
من لم يكن يكفيه ذان فلا كفاه ... الله شر حوادث الأزمان
من لم يكن يشفيه ذان فلا شفاه ... الله في قلب ولا أبدان
من لم يكن يغنيه ذان رماه رب ... العرش بالإعدام والحرمان
من لم يكن يهديه ذان فلا هداه ... الله سبل الحق والإيمان
إن الكلام مع الكبار وليس مع ... تلك الأراذل سفلة الحيوان
أوساخ هذا الخلق بل أنتانه ... جيف الوجود وأخبث الأنتان
الطالبين دماء أهل العلم ... بالكفران والعدوان والبهتان
الشاتمي أهل الحديث عداوة ... للسنة العليا مع القرآن
جعلوا مسبتهم طعام حلوقهم ... فالله يقطعها من الأذقان
كبراً وإعجاباً وتيهاً زائداً ... وتجاوزاً لمراتب الإنسان
لو كان هذا من وراء كفاية ... كنا حملنا راية الشكران
لكنه من خلف كل مُخلفٍ ... عن رتبة الإيمان والإحسان
من لي بشبه خوارجٍ قد كفروا ... بالذنب تأويلاً بلا إحسان
ولهم نصوص قصّروا في فهمها ... فأتوا من التقصير في العرفان
وخصومنا قد كفّرونا بالذي ... هو غاية التوحيد والإيمان

(دعوى اعتناق المنهج التكفيري... إلخ)

طالما رددت هذه الدولة هذه الجملة والعبارة علينا عبر إعلامها، ورفعت عقيرتها بذلك تنفيراً وتشويهاً عبر السنين الماضية، وأصبحوا مؤخراً بعد إنشاء هذه المحكمة ووضع القوانين الوضعية لها أصبحت الجملة هكذا (اعتناق المنهج التكفيري المخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة).

وكما قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

لا يفزعنك قعاقع وفراقع ... وجعاجع عريت عن البرهان
ما عندهم شيء يهولك غير ذا ... ك المنجنيق مقطع الأركان

وكما قال أيضاً فيها في فصل بعنوان (في بيان عدوانهم في تلقيب أهل القرآن والحديث بالمجسمة وبيان أنهم أولى بكل لقب خبيث):

كم ذا مشبهة مجسمة نوا ... بتة مسبة جاهل فتان
أسماء سميتم بها أهل الحـ ... ـديث وناصري القرآن والإيمان
سميتموهم أنتم وشيوخكم ... بهتاً بها من غير ما سلطان
وجعلتموها سبة لتنفروا ... عنهم كفعل الساحر الشيطان
ما ذنبهم والله إلا أنهم ... أخذوا بوحي الله والفرقان
وأبوا بأن يتحيزوا لمقالة ... غير الحديث ومقتضى القرآن
وأبوا يدينوا بالذي دنتم به ... من هذه الآراء والهذيان

فهذا أسلوب قديم يستخدمه خصوم القرآن والحديث والسلف الصالح ومن على دربهم معهم للتنفير والتقبيح والتشويه، ولكل زمان ألقابه ومصطلحاته التي يستخدمونها، ولم يسلم من ذلك خير البشر حينما كانوا يقولون عنه (مذمّم)، وعن الصحابة لما أسلموا صبؤوا.

وكما قيل أيضاً:

فوضعتم لهم من الألقاب ما تستقبحون وذا من العدوان

والكفر والتكفير حكم شرعي ثابت بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

فأما الكتاب:

فيقول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

وقال عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٧٣].

وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٥٠].

وقال عز وجل: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ۝ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ

وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء:١٥٥-١٥٧].

وقال عز وجل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

وقال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

وقال عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

وغيرها من الآيات الصريحة الواضحة المتكاثرة في كتاب الله ليس هذا موضع جمعها، وإنما أشرت لبعضها حتى يعلم من يطلق علينا هذا المصطلح أنه يعني كتاباً آخر غير كتاب الله، فاسألوه أي كتاب يعني.

وأما سنة النبي ﷺ:

فعن بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر)) [١].

---

[١] رواه الخمسة إلا أبو داود (أحمد ٢٢٩٣٧)، الترمذي (٢٦٢١)، ابن ماجه (١٠٧٩)، والنسائي (٤٣٦)، وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح)، وصححه ابن حبان (١٤٥٢)، والحاكم (١١)، والعراقي، وإسناده قوي.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من بدل دينه فاقتلوه)) [رواه البخاري (٦٩٢٢)].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة)) [رواه مسلم (٨٢)].

وعن أبي هريرة والحسن: أن النبي ﷺ قال: ((من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد)) [رواه أحمد (٩٥٣٦) وهو حديث حسن].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((قال الله تعالى: أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)) [رواه مسلم (٢٩٨٥)].

وغيرها من الأحاديث، وفي سيرة النبي ﷺ وبراءته من المشركين ومقاتلته لهم حتى نصره الله عليهم ويهود المدينة من بني قينقاع وبني النضير وقريظة الشيء الكثير من ذلك.

وأما الإجماع:

فقد أجمع المهاجرون والأنصار أصحاب النبي الكريم على قتال المرتدين واشتهرت بينهم وبعدهم، وفي دواوين التاريخ بحروب الردة أي الرجوع عن دين الإسلام إلى الكفر، وقال ابن قدامه في "المغني (٢٦٤/١٢)": "وأجمع أهل العلم على وجوب قتال المرتدين، وروي ذلك عن أبي بكر وعثمان وعلي ومعاذ وأبي موسى وابن عباس وخالد وغيرهم، ولم ينكر ذلك فكان إجماعاً". أ.هـ.

فأجمع الصحابة رضي الله عنهم على قتال مسيلمة الكذاب ومن معه، وأجمعوا على قتال طليحة الأسدي ومن معه، وأجمعوا على قتال مانعي الزكاة تحت مسمى الردة والمرتدين حتى عادت جزيرة العرب تحت حكم الإسلام والخلافة الراشدة بقيادة أبي بكر الصديق ومن معه من المهاجرين والأنصار.

فهذا هو إجماع سلف الأمة لا دعاوى الإجماع التي يطلقها من لا علم له بالعلم والفقه والتاريخ، وما زال فقهاء الإسلام والمسلمين عبر التاريخ يذكرون في كتب الفقه أبواباً وفصولاً وكتباً حول المرتدين عن الإسلام تحت مسمى (المرتد والردة والمرتدين وأحكامها)، ويذكرون في ذلك مسائل عدة، فهل هم تكفيريون ويعتنقون المنهج التكفيري الذي تتهموننا به؟!

يقول ابن القيم في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية:

الكفر حقُّ الله ثم رسولِه ... بالشرع يثبت لا بقول فلان
من كان ربُّ العالمين وعبدُه ... قد كفّراه فذاك ذو الكفران

وقد ذكر ابن عبد القوي رحمه الله أحد فقهاء المسلمين في القرن السابع الهجري جملة من المسائل والأمور التي ذكرها الفقهاء كمكفرات لأصحابها، فيقول ضمن منظومته العظيمة في الفقه (عقد الفرائد وكنز الفوائد) التي هي أطول منظومة في فقه الإمام أحمد رحمه الله ولعلها أطول منظومة في الفقه حيث يبلغ عدد أبياتها (١٤٣٦٥) وهو من شيوخ ابن تيمية في العربية:

ومن جحد الإيجاب كفره إن نشأ ... بدار الهدى ما بين أهل التعبد
كذا كل مجموع على حكمه متى ... يكن ظاهرا دون الخفيّ المبعّد
فمن جحد الأركان أو حرمة الزنا ... وخمر وحل الماء والخبز يجحد
وأشباهها من ظاهر الحكم مجمع ... عليه لجهل عرّفنه وأرشد
فمن لم يتب أو ليس يجهل مثله ... لمجحوده يكفر وبالسيف فاقدد
وتارك إحدى الخمس وهناً وصومه ... وحجاً زكاة ناوياً ترك سرمد
ومرجيه مع ظنه الموت قبله ... إذا لم يتب فاقتله كفراً بأبعد
ومن جحد الخلّاق أو صفة له ... أو البعض من كتب الإله الموحد
أو الرسل أو من سبَّه أو رسوله ... ولو كان ذا مزح كفر كالتعمد

ومســـــتـــهـــزئ بالله أو آيـــة لـــه أو الرسل كفره وأدب ولو هـــــــدي
ودعوى شريك أو أب أو قرينـــــــة له أو وليد كل ذا كفرٌ اعـــــــــدد
ويكفر أيضاً مدعٍ لـــنـــــــبـــوة ويكفر في تصديقه كل مسعـــــــد
ومن حلل المحظور من غير شـبهـــة عن النفس والأموال كفره ترشـــد
وإن كـــان بالـتـــأويـل مـنه استحلّه فلا كفر حتى يستبين بمرشـــــــد
ومـن أكـل الـخـنـزير أو نحوها فـلا تـكـفـره يا هـذا بأكـل مجـرد
ومن أظهر الإسلام والكفر باطـــن فذلك زنديق متى تاب فـــــاردد
كذا حكم من قد كفروه بســـحره ومن يتكرر كفره بعد أن هـــــدي
ومن سب رب الخلق أو مرسلا لـــه فقتل أولاء احتم بغير تـــــــردد
وعن أحمد اقبل توبة الجمع إن يُرى لك الصدق كالكفر الأصيلي تـــهتد

يقول ابن قدامة رحمه الله في "المغني (٢٩٨/١٢)": "ومن ادعى النبوة أو صدّق من ادعاه فقد ارتد، لأن مسيلمة لما ادعى النبوة فصدقه قومه صاروا بذلك مرتدين، وكذلك طليحة الأسدي ومصدقوه، وقال النبي ﷺ: ((لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه رسول الله)).

ومن سب الله تعالى؛ كفر، سواء كان مازحاً أو جاداً، وكذلك من استهزأ بالله تعالى أو بآياته أو برسله، أو كتبه، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة:٦٥]، وينبغي أن لا يكتفى من الهازئ بذلك بمجرد الإسلام حتى يؤدب أدبا يزجره عن ذلك، فإنه إذا لم يكتف ممن سب رسول الله ﷺ بالتوبة فممّن سب الله تعالى أولى". أ.هـ.

وقال ابن تيمية رحمه الله في "الفتاوى الكبرى (٥٤١/٣)": "وقد اتفق الصحابة والأئمة بعدهم على قتال مانعي الزكاة وإن كانوا يصلون الخمس ويصومون شهر رمضان.

وهؤلاء لم يكن لهم شبهة سائغة فلهذا كانوا مرتدين وهم يقاتلون على منعها وإن أقروا بالوجوب كما أمر الله". أ.هـ.

وقال أيضاً في "الفتاوى الكبرى (٣/٥٤٣-٥٤٤)": "ومعلوم بالإضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ اتباع غير دين الإسلام أو اتباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ فهو كافر، وهو ككفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٥٠]". أ.هـ.

وقال ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين عن رب العالمين (٥/٩٦-٩٧) ": "هذه الحيل وأمثالها لا يحلّ لمسلم أن يفتي بها في دين الله تعالى، ومن استحل الفتوى بها فهو الذي كفّره الإمام أحمد وغيره من الأئمة، حتى قالوا: إن من أفتى بهذه الحيل فقد قلب الإسلام ظهرًا لبطن، ونقض عُرَى الإسلام عُروةً عُروةً". أ.هـ.

ونقل الطبراني واللالكائي تكفير أكثر من خمسمائة عالم من أعلام المسلمين للجهمية، وذكر ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الإمام حكاه عنهم ... بل حكاه قبله الطبراني

ولو ذهب الإنسان لجمع أقوال وإجماعات أهل العلم من سلف الأمة ومن سار على دربهم عبر القرون في تكفير أفراد أو فرق أو طوائف أو دول كالعبيديين والصوفيين والقرامطة... إلخ لطال المقام، وقد صنف عدد من أهل العلم في ذلك في كتب مفردة لنواقض الاسلام والإيمان القولية والعملية والإعتقادية.

فعلامَ يدعي هذا المدعي أن التكفير مخالف للكتاب، وما الكتاب الذي يعنيه، وعلام يخالف السنة، وما السنة التي يعني، وما هو هذا الإجماع، وعمن نقله، وفي أي مصدر أو مرجع، أم هو إجماع المباحث والعوائل والأسر التي يشتغلون عندها ويرددون ما تقوله لهم كما قال القائل:

خليفة في قفص بين وصـــيف وبغا يقول مـا قـالا لـه كمـا يقول الببغـا

وأنا أمهل هذا المدعي شهراً بل سنة لكي يأتي بنقل في أي مرجع من مراجع المسلمين المعتبرة بنفي الكفر والتكفير.

فـتـكـلـمـوا بالـعـلـم لا الـدعـوى وجيئوا بالـدليـل فنحن ذو أذهـان

وإذا سئل أصحاب هذه الدعوى فقيل لهم: ما قولكم فيمن يقول (بأن الله ثالث ثلاثة)؟

فإن قالوا: كافراً؛ فقد صدقوا لأن الله قال: ﴿قَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾، وإن قالوا: لا نكفرهم بذلك؛ فقد كفروا لردهم وتكذيبهم لقول الله عز وجل.

والأسئلة كثيرة على هذا النحو، فهل إذا قالوا بكفر أولئك المسؤول عنهم يصبحون تكفيريين معتنقين للمنهج التكفيري ويحاكمون على ذلك ويسجنون؟!

وهل من يكفّر من كفره الله ورسوله واتبع في ذلك وما ابتدع، هل يليق أن يطلق عليه هذه المصطلحات، وهل يسوغ أن يطلق على الله بأنه تكفيري لأنه كفر اليهود والنصارى والمشركين... إلخ، وهل يسوغ أن يطلق على النبي ﷺ لأنه كفر المشركين واليهود والنصارى وحاربهم وقاتلهم وتبرأ منهم، وهل يسوغ بإطلاق هذه الألقاب على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والمهاجرين والأنصار والصحابة والتابعين لأنهم كفروا مسيلمة الكذاب والأسود العنسي ومانعي الزكاة وحاربوا حروب الردة وسموها بذلك، وهل وهل... إلخ؟!

هل تريدون أن تحذفوا كلمة (الكافرين والكفر والكفار) من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وتاريخ المسلمين حتى لا تجرحوا مشاعر اليهود والنصارى والمشركين، فبدل أن نقرأ قول الله عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ تصبح قل يا أيها الآخرون أو غير المسلمين؟ إلخ من التحريفات التي لا يقولها مسلم يعرف دينه وإسلامه!

فالكفر مصطلح شرعي ثابت بالكتاب والسنة والإجماع له، أحكامه وفروعه، يثبت باجتماع شروطه وانتفاء موانعه، لا يستطيع أحد كائناً من كان إلغاءه أو حذفه أو تبديله.

وأتحدى أن يأتي أصحاب هذه الدعوى بقول قلته في أحد كتبي أو أشرطتي خالفت فيه الكتاب أو السنة أو الاجماع، أو سرت فيه على طريق غير طريق أهل العلم بلا إفراط ولا تفريط، ولي عشر سنوات منذ أن خرج أول كتاب كتبته ولم يأتيني رد واحد بطريقة علمية شرعية صحيحة، بل ما هو إلا الصياح والصراخ والسب والشتم وإطلاق الألقاب، والتي لا ألتفت إليها ولا أكترث لها.

والذين كتبوا هذه الدعوى هم المباحث الذين يصح أن يقال فيهم:

قلنا فكيف تكفرون ومالكم ... علم بتكفير ولا إيمان

وأما خصومهم فهم كما قال ابن القيم في الكافية الشافية:

قالوا تلقينا عقيدتنا عن ... الوحيين بالأخبار والقرآن
فالحكم ما حكما به لا رأي أهـ ... ـل الإختلاف وظن ذي الحسبان
آراؤهم أحداث هذا الدين نا ... قضة لأصل طهارة الإيمان
آراؤهم ريح المقاعد أين تلـ ... ـك الريح من روح ومن ريحان
قالوا وأنت رقيبنا وشهيدنا ... من فوق عرشك يا عظيم الشان
إنّا أبينا أن ندين ببدعة ... وضلالة أو إفك ذي بهتان

لكن بما قد قلته أو قـــالـــــه من قد أتانا عنك بالفرقـــــــان

وأختم الرد على هذه الدعوى بفصل عقده ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية تحت عنوان (فصل: في الرد عليهم في تكفيرهم أهل العلم والإيمان وذكر انقسامهم إلى أهل الجهل والتفريط والبدع والكفران)، وهو فصل طويل يبين مدى العدل والتحقيق والإنصاف لدى أهل السنة السائرين على دربها فيقول رحمه الله:

ومن العجائب أنكم كفرتـــــــم أهل الحديث وشيعة الـــــــقرآن
إذ خـــالـــفـــوا رأيا لـــه رأي يـــنـــا قضه لأجل النص والبرهـــــــان
وجعلتم التكفير عين خلافكـــــــم ووفاقكم فحقيقة الإيمـــــــــان
فوفاقكم ميزان ديـــــــــن الله لا من جاء بالبرهان والـــــــــفرقان
ميزانكم ميزان بـــــاغ جـــاهـــل والـعـول كـل الـعـول في المـيـزان
أهون به ميزان جور عـــــائـــــل بـيـد المـطـفـف ويـل ذا الـوزان
لو كان ثم حيا وأدنـــى مسـكـــة مـن ديـن أو عـلـم ومـن إيمـان
لم تجعلوا آراءكم مـــــــــيزان كف ـــــر النـاس بالبهتـان والعـدوان
هبكم تأولتم وســـــاغ لـــكـــم أيكفر من يخالفكم بلا برهـــــان
هذه الوقاحة والجراءة والـــجـــها لة ويحكم يا فرقة الطغيـــــــان
الله أكبر ذا عقوبة تـــــــــا رك الوحيين للآراء والهـذيـــان
لكننا نأتي بـــحـــكـــــم عـادل فـيـكـم لأجـل مخـافـة الـرحـمـان
فاسمع إذاً يا منصفاً حكـمـيـهـمـا وانظر إذاً هل لا يســتوي الحكمان
هم عندنا قسمان أهل جـــهـــالة وذوو العناد وذلك القـــسمـــان
جمع وفرق بين نوعيهم هـــمـــا في بدعة لا شك يجتمعـــــــان
وذوو العناد فأهل كفر ظاهـــــر والجاهلون فإنهم نوعـــــــان

متمكنون من الهدى والعلم بالـــــــ أسباب ذات اليسر والإمكـــــــان
لكن إلى أرض الجهالة أخلـــــــدوا واستسهلوا التقليد كالعميـــــــان
لم يبذلوا المقدور في إدراكـــهـــم للحق تهوينا بهذا الشـــــــان
فهم الألى لا شك في تفسيـــقـــهم والكفر فيه عندنا قـــــــولان
والوقف عندي فيهم لست الـــــذي بالكفر أنعتهم ولا الإيمـــــــان
والله أعلم بالبطانة مـــــنـــــهـــم ولنا ظهارة حلة الإعـــــــلان
لكنهم مستوجبون عـــــقـــــابه قطعـاً لأجـل البغي والعـدوان
هبكم عذرتم بالجهالة إنـــكـــــم لن تعذروا بالظلم والـــطغـيـــان
والطعن في قول الرسول وديـــــنه وشهادة بالزور والبـــــهتـــان
وكذلك استحلال قتل مخالفيـــــــ كم قتـل ذي الإشـــراك والعـدوان
إن الخوارج ما أحلوا قـتـــلـــهم إلا لما ارتكبوا من العصيـــــان
وسمعتم قول الرسول وحـــكـــمه فيهم وذلك واضح التبيـــــان
لكنكم أنتم أبحتم قتلـــــــهم بوفاق سنته مع الـــقـــــرآن
والله ما زادوا النقير عليهـــــما لكن بتقرير مع الإيمـــــــان
فبحق من قد خصكم بالعلم والتـــ ـحقيق والإنصاف والعـــــرفان
أنتم أحق أم الخوارج بالـــــذي قال الرسول فأوضحوا ببـــــيان
هم يقتلون لعابد الرحمن بـــــل يدعون أهل عبادة الأوثـــــان
هذا وليسوا أهل تعـطـيـــل ولا عزل النصوص الحق بالبـــــرهان
والآخرون فأهل عجز عن بـــلـــو غ الحق مع قصد ومع إيمـــــان
بالله ثم رسوله ولـــــقـــــائه وهم إذا ميزتهم ضـــــربـــان
قوم دهاهم حسن ظنهم بمـــــا قالته أشياخ ذوو أسنـــــــان
وديانة في الناس لم يجدوا ســـوى أقوالهم فرضوا بها بأمـــــان

لو يقدرون على الهدى لم يرتضوا ... بدلاً به من قائل البهتان
فأولاء معذورون إن لم يظلموا ... ويكفروا بالجهل والعدوان
والآخرون فطالبون الحق لـ ... ـكن صدهم عن علمه شيئان
مع بحثهم ومصنفات قصدهم ... منها وصولهم إلى العرفان
إحداهما طلب الحقائق من سوى ... أبوابها متسوري الجدران
وسلوك طرق غير موصلة إلى ... درك اليقين ومطلع الإيمان
فتشابهت تلك الأمور عليهم ... مثل اشتباه الطرق بالحيران
فترى أفاضلهم حيارى كلها ... في التيه يقرع ناجذ الندمان
ويقول قد كثرت علي الطرق لا ... أدري الطريق الأعظم السلطاني
بل كلهم طرق مخوفات بها ... آفات حاصلة بلا حسبان
فالوقف غايته وآخر أمره ... من غير شك منه في الرحمن
أو دينه وكتابه ورسوله ... ولقائه وقيامة الأبدان
فأولاء بين الذنب والأجرين أو ... إحداهما أو واسع الغفران
فانظر إلى أحكامنا فيهم وقد ... جحدوا النصوص ومقتضى القرآن
وانظر إلى أحاكمهم فينا لأجـ ... ـل خلافهم إذ قاده الوحيان
هل يستوي الحكمان عند الله أو ... عند الرسول وعند ذي إيمان
الكفر حق الله ثم رسوله ... بالنص يثبت لا بقول فلان
من كان رب العالمين وعبده ... قد كفراه فذاك ذو الكفران
فهلم يحكم نحاكمكم إلى ... النصين من وحي ومن قرآن
وهناك يعلم أي حزبينا على ... الكفران حقا أو على الإيمان
فليهنكم تكفير من حمت بإسـ ... ـلام وإيمان له النصان
لكن غايته كغاية من سوى الـ ... ـمعصوم غاية نوع ذا الإحسان

خطأ يصير الأجر أجرا واحـــــدا إن فاته من أجله الكـــفـــــلان
إن كان ذاك مكفرا يا أمة الـــــــ ـعدوان من هذا على الإيـــمـــان
قـد دار بين الأجر والأجرين والتـ ـكفير بالدعوى بلا بـــرهـــان
كفرتم والله من شهد الرســـــو ل بأنه حقاً علـــى الإيـــمـــان
ثنتان من قبل الرسول وخصلـــــة من عندكم أفأنـــتـــما عـــدلان

وقد ألف الشيخ (أبو محمد المقدسي) فك الله أسره كتاباً ضخماً بعنوان (الرسالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير) وهو من خير ما كتب في هذا الشأن في هذا الزمان، بخلاف كتب مرجئة العصر من شيوخ آل سعود وشيوخ الحكومات التي يحاول المباحث وأسرة آل سعود فرضها ونشرها وتسويقها على أنها منهج أهل السلف الصالح، وكذبوا والله بل هي منهج المرجئة بل غلاة المرجئة الجهمية.

ولأبي محمد المقدسي رسالة بعنوان (مرجئة العصر) فيها الرد على أساطين الإرجاء في هذا الزمان وهم من كبار شيوخ آل سعود، ولذا ينقمون عليه أشد نقمة لأنه كشفهم وعراهم بأسلوب علمي وشرعي رصين، ولذا يقومون بالاتصال دائما بملك دويلة الأردن لاعتقاله وكتم صوته، وأما منعه من العمرة والحج فهذا واضح ومعروف لأنه لو قدم لذلك لاعتقلوه ووضعوه بجواري في سجن الحائر، ويحاولون جاهدين عبر دراويشهم شيوخ آل سعود أن يطعنوا في الشيخ (أبي محمد المقدسي) ويصغروه ويجهلوه... إلى آخره.

وأقول لهم جميعاً:

وكـــلـــكـــم خـــواء وهـــو بحـــر هو الصبار شيخ المسلمـــــــــينا
وذا قـــول الأئـــمـــة مـــن قـــديم ومـــا بالطعن صـــــار التبر طينـــاً

وأقول ما قاله ابن القيم رحمه الله في ابن تيمية رحمه الله حيث عقد فصلاً بعنوان (في مصارع النفاة والمعطلين بأسنة أمراء الإثبات الموحدين)، وساق فيها اثنين وخمسين بيتاً في مؤلفات ابن تيميه ومواقفه وردوده ومنها:

أبدى فضائحَهم وبيَّنَ جهلَـــــهم وأرى تناقضَهم بكل زمـــــــان
وأصارَهم واللهِ تحتَ نعالِ أهْـــــــ ـــــلِ الحقِّ بعـدَ ملابسِ التيجـان
وأصـــارَهم تحتَ الحضـــيضِ وطالما كـــــانوا هـــمُ الأعلام للبلـدان

وكذلك أبو محمد المقدسي ثبته الله وفك أسره منذ كتاب (الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية) إلى الآن وهو يكشف ألاعيب وأكاذيب وتناقضات شيوخ آل سعود التي تخفى على كثير من شباب المسلمين الذين خدعهم آل سعود وشيوخه عبر الإعلام والخطب والنفخ في الدراويش حتى يصبحوا كباراً وأعلاماً، فضلوا وأضلوا، والله حسبنا عليهم ونعم الوكيل.

(تهمة تكفير الحكومات ووصفها الطاغوتية وأنها تحارب الإسلام والمسلمين)

فأقول:

قد قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرةٍ علينا وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان. [رواه البخاري (٧٠٥٥، ٧٠٥٦) ومسلم (١٧٠٩)].

وقد كتبت وكتب غيري من أهل العلم ممن تتهمونهم وترفعون هذه الدعوى ضدهم في الكفر البواح الصراح لدى هذه الحكومات والدويلات التي رحل بعضها وبعضها في الطريق في مؤلفات موسعة وكتب مفصلة عن ذلك، بينا فيها هذا الكفر البواح والبرهان على ذلك، وأن سوق المباحث في أوراق هذه الدعاوى لأحاديث السمع والطاعة وعدم المنازعة إلى آخره استدلال في غير موضعه وسياقه، فنحن لا ننكر أحاديث السمع والطاعة لأئمة المسلمين وخلفائهم الذين يحكمون الناس بشريعة رب العالمين ويقيمون العدل والقسط بين الناس إلى آخر ما هنالك، ونقول في ذلك بما يقول أئمة الإسلام ونسير سيرهم وكما قال الناظم رحمه الله:

بل قولنا قول أئمة الهدى طوبى لمن بهديهم قد اهتدى

وطاعتهم بالمعروف وفي المعروف وما لم يأمروا بمعصية؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الله، ولا طاعة لمن عصى الله، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

والأحاديث في ذلك كثيرة وصحيحة ومتواترة، رواها المحدثون في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها وبينها وفسرها الفقهاء والمحدثون، وليست هي محل خلافنا مع المباحث

الذين ساقوها بطريقة انتقائية اختزالية، وحذفوا أو لم يذكروا أحاديثاً صحيحة صريحة في تقييد السمع والطاعة بالمعروف، لأنهم تعودوا على السمع والطاعة المطلقة في كل شيء وبلا قيود.

والعجيب أن بعض الأحاديث التي ساقوها حذفوا منها ما لا يروق لهم ولا يحبون ذكره وسماعه، وجعلوا مكانها نقطاً، وهذا فعل أهل الزيغ والأهواء، والذين يذكرون ما يدعم قولهم ويحذفون ما يخالفه أو يقيده أو يخصصه، والمباحث أحب ما لديهم حديث: ((وإن جلد ظهرك وأخذ مالك))، وهذا التصرف والأسلوب في الاستدلال قبيح من فاعله، فهم لم يذكروا حديث ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)). [رواه البخاري (٧١٤٤) ومسلم (١٨٣٩)].

ولم يذكروا حديث علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف)). [رواه البخاري (٤٣٤٠، ٧١٤٥، ٧٢٥٧) ومسلم (١٨٤٠)].

ولم يذكروا حديث علي رضي الله عنه، قال: بعث رسول الله ﷺ سرية، واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، فأغضبوه في شيء، فقال: اجمعوا لي حطباً، فجمعوا له، ثم قال: أو قدوا ناراً فأوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى، قال: فادخلوها، قال: فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار، فكانوا كذلك، وسكن غضبه وطفأت النار، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: ((لو دخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة في المعروف)) [رواه مسلم (١٨٤٠)].

ولم يذكروا حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا طاعة لبشر في معصية الله)) [رواه أحمد (١٠٦٥) بإسناد صحيح على شرط الشيخين].

ولم يذكروا حديث علي أيضاً رضي الله عنه بلفظ: ((لا طاعة لمخلوق في معصية الله)) [رواه أحمد (١٠٩٥)" بإسناد صحيح على شرط الشيخين].

ولم يذكروا حديث عمران بن حصين حين لقي الحكم بن عمرو الغفاري بين الناس، فقال: تذكر يوم قال رسول الله ﷺ: ((لا طاعة لمخلوق في معصية الله))، قال: نعم، قال عمران: الله أكبر. [رواه أحمد (٢٠٦٥٣) بإسناد صحيح على شرط الشيخين].

ورواه أحمد أيضاً: ((لا طاعة لأحد في معصية الله)). [وإسناده صحيح على شرط الشيخين، ورقمه (٢٠٦٦١)].

ولما ذكروا حديث ابن عمر الذي ذكرته قبل قليل لم يذكروا اسم الصحابي وحذفوا آخره من قوله: ((إلا أن يؤمر بمعصية... إلى آخر الحديث))، واكتفوا بقوله: ((على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره)).

ولم يذكروا الأحاديث التي تبين تقييد ذلك بإقامة الدين وإقامة الصلاة وكونه يقودنا بكتاب الله، كحديث معاوية رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين)) [رواه البخاري (٧١٣٩)]، وحديث أم الحصين رضي الله عنها قالت: سمعته يقول – أي النبي ﷺ –: ((إن أُمّرَ عليكم عبد مجدع أسود يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا)) [رواه مسلم (١٨٣٨)].

فالسمع والطاعة ليست كما يريده المباحث بلا قيود ولا حدود ولا ضوابط، بل طاعتهم تابعة لطاعة الله ورسوله، وليست مستقلة كما سبق بيان ذلك وتفصيله، ونحن بحمد الله نؤمن بذلك جميعه وبجميع أحاديث رسول الله ﷺ، وننزلها منازلها، ونضعها مواضعها، ولسنا ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، أو يقتص من الأحاديث ما يريد ويحذف ما لا يريد، ولسنا ممن يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ ويحذف قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[الماعون:٥]، أو ممن يقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ ويحذف ﴿وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء:٤٣]، ولسنا بحمد الله ممن يحرف الكلم عن مواضعه أو يلبس الحق بالباطل أو يكتم الحق وهو يعلم.

ونحن نقول: إن ما ساقوه وجمعوه من نقولات لبعض أهل العلم قد وضع في غير موضعه؛ لأنّا رأينا كفراً بواحاً عندنا فيه من الله برهان، ولسنا نتكلم عن أمراء جاروا أو ظلموا وفسقوا، وقد فصّل أهل العلم والتحقيق في مسألة الخروج على الأمراء والولاة تفصيلاً لا يريد المباحث ولا شيوخ آل سعود ذكره ولا إظهاره ولا بيانه، وإذا كانوا يحذفون من أحاديث النبي ﷺ ما لا يشتهون ولا يحبون فكيف لا يحذفون من كلام العلماء والفقهاء ما فيه التفصيل الحق.

وكما قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

لبّستم معنى النصوص وقولنا ... فغدا لكم للحق تلبيسان
من حرّف النص الصريح فكيف لا ... يأتي بتحريف على إنسان

وقال أيضاً رحمه الله:

لله ما لقي ابن إسحاقٍ من ... الجهميّ إذ يرميه بالعدوان
ويظل يمدحه إذا كان الذي ... يروي يوافق مذهب الطعان
كم قد رأينا منهم أمثال ذا ... فالحكم لله العلي الشان
هذا هو التطفيف لا التطفيف في ... ذرع ولا كيل ولا ميزان

وهذا الحديث: ((إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان)) لم يذكروه في جملة الأحاديث التي ساقوها، ولا في أثناء النقولات التي تخيروها، ولم يذكروا تفصيل أهل العلم، وإنما جمعوا ما يعزز السمع والطاعة المطلقة، وربما أخذوا ذلك من بعض الخطب التي توزعها وزارة آل الشيخ لما يسمونه (بالشؤون الإسلامية) على المساجد لكي يخطب به الخطباء عند أي حدث أو طارئ.

ونحن نقول هذا الحديث المتفق على صحته هو الفيصل بيننا وبينكم، فقد رأينا كفراً بواحاً صراحاً عندنا فيه البرهان من كتاب الله عز وجل وسنة النبي ﷺ والإجماع الضروري والقطعي وسنة الخلفاء الراشدين وصحابة النبي ﷺ، وهذا الكفر البواح هو ما يلي:

أولاً: مظاهرة الكفار على المسلمين، وقد ذكرت في الرد على تهمة الخوارج عند قول النبي ﷺ: ((يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الشرك والأوثان)) الأدلة والبراهين والوقائع والحوادث التي تثبت أن آل سعود وبقية الآلات والعوائل في جزيرة العرب وفي غيرها قد ظاهرت، وناصرت، وأعانت، ووالت، ودعمت، وأمدت أمريكا والحلف الأطلسي الصليبين بكل شيء، وأن ذلك مشاهد ومشهور ومعلوم للخاص والعام، والوثائق والدلائل على ذلك كثيرة.

وآل سعود وبقية الآلات وكذلك أمريكا والحلف الأطلسي يعترفون بهذا صوتاً وصورةً وكتابةً ويصرحون به، وقد ذكرنا في أشرطتنا المرئية والمسموعة وفي كتبنا من عدد من أهل العلم النقولات والإحالات والمراجع على ذلك، وبعض الكتب التي ذكرها المباحث في هذه الأوراق مليئة بذلك.

ثانيًا: طاعة الكفار واتباع أهوائهم والسير خلفهم واتخاذهم أندادا من دون الله، وبيع بلادنا لهم بثمن نجس كما سبق بيانه أيضاً في الموضوع السابق ذكره في تهمة الخوارج.

ثالثًا: الحكم بغير ما أنزل الله وتحكيم الأنظمة الوضعية والقوانين الأرضية، وتنحية الشريعة الإلهية التي جاء بها محمد ﷺ في الكتاب والسنة، وذلك واضح وضوح العيان في شتى المناحي وفي شتى الوزارات، وفرض ذلك بالقوة.

وقد سبق بيان حكم إلزام الناس بشيء لم يلزمهم به الله ورسوله، ومن ينظر إلى العسكرية كمثال يرى الأنظمة والقوانين المستوردة من الغرب والشرق والتي تصادم شريعة الإسلام تمام

المصادمة، وتفرض بالقوة، كالطاعة المطلقة للعسكر مع بعضهم البعض لمن فوقهم، وهم يقولون (نفذ ثم اعترض)، والجزاءات المستخدمة بينهم والتي لا تخضع للقضاء الشرعي بل للحكم العسكري الجائر والظلم الممنهج وخصوصاً من المباحث والطوارئ على الناس تحت قوانين وأنظمة وضعية يستحلون بها أموراً كثيرة تحت مسمى النظام، فيتجسسون ويتحسسون ويسجنون ويعذبون ويسهّرون ويضربون ويرهبون الناس تحت هذا المسمى (حفظ النظام). وقد رأيت من ذلك الشيء الكثير.

وكذلك التشريعات والقوانين التي تحكم وزارة الصحة والبنوك وغيرها، والتي فيها استحلال لما حرم الله ورسوله، وتحريم لما حلله الله ورسوله، وإظهار للمنكرات بقوة النظام والقانون الوضعي، وتغييب للمعروف بقوة النظام والقانون الوضعي، فانتشر بذلك الربا والمعاملات المحرمة، ونشروا بذلك التبرج والسفور والفواحش بلا نكير، بل لو أنكر ذلك منكر لأنكروا عليه وربما عاقبوه وحاسبوه وسجنوه.

والمستشفيات خير دليل على ما أقول، فالنساء من كل مكان حاسرات كاشفات عن السحر والنحر والصدر والشعر، متجملات في لباس موحد ومنظم، ومفروض بالقوة وباسم النظام، وكذلك الإختلاط الذي لا يقره شرع الله الذي جاء به رسول الله ﷺ، وما ينتج عن ذلك من فساد عريض وزنا ونظرات محرمة وعشق ومعاكسات إلى آخره مما لا يخفى على عاقل وهلم جرا.

وكذلك القوانين والأنظمة التي تتعلق بالتجارة والبيوع وما يسمى (بالمواصفات والمقاييس السعودية)، والتي ترخص وتجيز لكثير من المحرمات التي جاءت الشريعة بتحريمها تحريماً قطعياً لا خلاف فيه، فامتلأت الأسواق والمحلات بها بلا نكير، وكذلك الترخيص لفتح محلات تحارب شعائراً شرعية معلومة بالاضطرار من دين المسلمين، وعلماء الإسلام يفرقون بين ارتكاب الإنسان لكبيرة أو معصية وأنه عاصٍ بمعصيته تلك ينقص إيمانه بذلك بقدر معصيته وذنبه وجرمه وأنه فاسق بذلك على تفصيل عندهم وأن أمره إلى الله وتحت مشيئته إن شاء

عفا عنه وإن شاء عذبه، وبين استحلال ذلك وإجازته؛ فالزنا حرام وكبيرة من كبائر الذنوب، توعد الله عليه فاعله، وحذر منه وبين مآله وعاقبته، وأنه فاحشة، ومن يفعله يلق أثاما إلى آخر ما جاء في ذلك في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن من فعله وستره الله في الدنيا فأمره إلى الله، وهو تحت المشيئة إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه، وإن أقر على نفسه بذلك أو شهد عليه الشهود أقيم عليه الحد بالرجم حتى الموت إن كان محصنا، والجلد مائة جلدة لغير المحصن وتغريب عام ويكون ذلك كفارته، ويبقى تحت دائرة الإسلام ولا يكفر بذلك؛ ولكنه إن استحل الزنا ومارسه على أنه حلال ولا شيء فيه ورخص له وأقام له المحلات والشهادات والسجلات ودور البغاء وحماه بالقانون والنظام والشرطة... إلى آخر ما هنالك؛ فهذا الكفر الصريح لاستحلاله ما حرمه الله ورسوله، وأجمع المسلمون على حرمته، وقس على ذلك.

وقد قال الناظم رحمه الله:

ولا تكفّر بالمعاصي مؤمناً إلا مع استحلاله لما جرى

ومن ينظر في واقع الأسواق اليوم يرى كثيراً من المحرمات قد رخص لها وأعطيت الأذونات والسجلات وحميت بالنظام والقوة، والنكير على من ينكرها؛ وهذا استحلال لما حرم الله ورسوله، كمحلات الفيديو التي امتلأت بالمسلسلات والأفلام والأشرطة التي فيها من الدعارة والإباحية والتبرج والسفور والفاحشة والزنا ومقدماته ما لا يخفى على عارف بواقع هذه المحلات المأذون لها من جهات رسمية عدة.

وأنا لا أتكلم عن عصاة المسلمين وفساقهم الذين يشترون هذه الأفلام وينظرون إليها فهم عصاة فساق آثمون بذلك على التفصيل السابق، ولكن حديثي عن الذي أذن ورخص وأعطى السجل التجاري بذلك والنظام والقوانين وحمى بالقوة، وعاقب من أنكر وأنكر عليه إنكاره، وكذلك الأطباق الفضائية (الدشوش) والتي أذن لها وفتحت لها المحلات واشتريت من الخارج ودخلت عبر الموانئ والمنافذ والمطارات بأذونات وفسوحات ورخصٍ إلى آخره.

وحديثي هنا أيضاً كذلك عن الجهات التي رخصت ووضعت القوانين الوضعية والأنظمة الأرضية التي تحلل المحرمات وتمكن لها وتنشرها وتحميها – ولا أتكلم عن الفسقة والعصاة من المسلمين الذين يشترون هذه المحرمات –، وكذلك كثيراً من أجهزة الألعاب وآلات الطرب وغير ذلك؛ فهذا كله استحلال لما حرم الله ورسوله، وتكذيب لله ورسوله، ومحاربة لله ورسوله، وعناد لله ورسوله.

وإذا كان الصحابة أجمعوا على كفر مانعي الزكاة وسموهم بالمرتدين، فكيف بمن يحل المحرمات ويرخص لها ويحميها بالقوة وينكر على من ينكرها، وقد قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٥٩].

يقول "ابن كثير رحمه الله في تفسيره (١٧٥٧/٤) ": "وقد أنكر تعالى على من حرم ما أحل الله أو أحل ما حرم بمجرد الآراء والأهواء التي لا مستند لها ولا دليل عليها". انتهى كلامه.

وقد قال الله عز وجل: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩]. فذكر الله في هذه الآية الأسباب الموجبة لقتال أهل الكتاب، ومنها أنهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله.

ومن يرخص ويجيز ويبيح ويأذن ويفسح لهذه المحرمات ويضع لها القوانين والأنظمة ويحميها بالقوة ويعاقب من ينكر ذلك وينكر عليه نكيره؛ فهو مثل اليهود والنصارى الذين لا يحرمون ما حرم الله ورسوله، وتحليل الحرام هو كتحريم الحلال، وقد عاب الله في سورة الأنعام والمائدة على المشركين تحريمهم لما أحل الله من الأنعام والثمار والزروع بتلك المصطلحات والأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان.

يقول "ابن كثير رحمه الله في في تفسيره (١٣٧٨/٣)": ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٤٥] على المشركين الذين ابتدعوا ما ابتدعوه، من تحريم المحرمات على أنفسهم بآرائهم الفاسدة من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك، فأمر الله رسوله أن يخبرهم أنه لا يجد فيما أوحاه الله إليه أن ذلك محرم، وإنما حرم ما ذكر في هذه الآية، من الميتة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما أهلّ لغير الله به. وما عدا ذلك فلم يحرم، وإنما هو عفو مسكوت عنه، فكيف تزعمون أنتم أنه حرام، ومن أين حرمتموه ولم يحرمه الله؟ وعلى هذا فلا يبقى تحريم أشياء أخر فيما بعد هذا، كما جاء النهي عن لحوم الحمر ولحوم السباع، وكل ذي مخلب من الطير، على المشهور من مذاهب العلماء". انتهى كلامه.

وقد روى أبو الأحوص عن أبيه مالك بن نضلة أن النبي ﷺ قال له: ((هل تنتج إبل قومك صحاحاً آذانها، فتعمد إلى موسى فتقطع آذانها، فتقول: هذه بحر وتشقها، أو تشق جلودها وتقول: هذه صرم، وتحرمها عليك وعلى أهلك؟ قال: نعم. قال: فإن ما آتاك الله لك حل، وساعد الله أشد من ساعدك، وموسى الله أحد من موساك)) [(١)].

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل:١١٦] " يقول "ابن كثير رحمه الله في تفسير (٢٠٢٢/٥)": "ثم نهى الله تعالى عن سلوك سبيل المشركين الذين حلّلوا وحرّموا بمجرد ما وضعوه، واصطلحوا عليه من الأسماء بآرائهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وغير ذلك محاكاة شرعاً لهم ابتدعوه في جاهليتهم، ويدخل في هذا

[(١)] رواه أحمد (١٥٨٨٨- ١٥٨٩١)، وصححه ابن حبان والحاكم، وقال ابن كثير: وهذا حديث جيد قوى الإسناد. وأقول رواه أحمد بإسنادين صحيحين على شرط مسلم.

كل مبتدع ابتدع بدعة ليس فيها مستند شرعي، أو حلّل شيئاً مما حرم الله، أو حرّم شيئاً مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه". انتهى كلامه.

وإذا كان النبي ﷺ يقول كما في حديث المسور بن مخرمة: ((وإنني لست أحرم حلالاً ولا أحل حراماً)) [رواه البخاري (٣١١٠) ومسلم (٢٤٤٩)]، فكيف يحل لغيره تحريم الحلال أو تحليل الحرام وقد قال الله عز وجل: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. [الشورى:٢١].

يقول "ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٣١٢٢/٧)": "أي هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، وتحليل أكل الميتة، والدم، والقمار، إلى نحو ذلك من الضلالات، والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والأقوال الفاسدة". انتهى كلامه.

وكيف بمن يضع المحاكم الوضعية تحت مسمى الحقوق المدنية لتحكم بغير شريعة الإسلام وتفصل في المنازعات والخلافات بغير حكم الشريعة، بل بالأنظمة والقوانين الوضعية، وغير ذلك من صور ونماذج تحكم غير شريعة رب العالمين واستحلال المحرمات.

ولو ذهبت أستقصي الأمثلة في الطيران والصحافة والإعلام والتعليم والرياضة لطال المقام، (ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق).

وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، وقال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨]، وقال الله جل جلاله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

يقول "ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٢/٩٦٠)": "يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة: أنه لا يؤمن أحد حتى يُحَكِّم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الإنقياد له باطناً وظاهراً؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي: إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة". انتهى كلامه.

وحول هذه الآية يقول ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

يا قوم ما أنتم على شيء إلى ... أن ترجعوا للوحي بالإذعان
وتحكموه في الجليل ودقه ... تحكيم تسليم مع الرضوان
قد أقسم الله العظيم بنفسه ... قسماً يبين حقيقة الإيمان
أن ليس يؤمن من يكون محكِّماً ... غير الرسول الواضح البرهان
بل ليس يؤمن غير من قد حكَّم الـ ... ـوحيين حسب فذاك ذو إيمان
هذا وما ذاك المحكِّم مؤمناً ... إن كان ذا حرج وضيق بطان
هذا وليس بمؤمن حتى يسلِّم ... للذي يقضي به الوحيان
يا قوم بالله العظيم نشدتكم ... وبحرمة الإيمان والقرآن
هل حدثتكم قط أنفسكم بذا ... فسلوا نفوسكم عن الإيمان

ويقول الله عز وجل: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[المائدة:٥٠]، فكل من حكم بغير حكم الله فقد حكم بحكم الجاهلية، كما قال الحسن البصري رحمه الله يقول "ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٣/١١٨٨)": "ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحْكَم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والإصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما

يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيزخان، الذي وضع لهم اليساق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعًا متبعًا، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ﷺ، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير، قال الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ أي: يبتغون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠] أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عَقل عن الله شرعه، وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء". انتهى كلامه.

فكيف وهذه الدويلات تتحاكم اليوم على مواثيق وأنظمة الأمم المتحدة والهيئات التابعة لها والمحاكم الجاهلية، والمؤسسات الأخرى كجامعة الدول العربية ومجلس التعاون الخليجي ومنظمة التعاون وغيرها من هيئات جاهلية، فيها من القوانين والأنظمة واللوائح والقرارات والأحكام ما يصادم ويعارض شريعة رب العالمين.

وقد فصل أبو محمد المقدسي فك الله أسره ذلك وأحال على المراجع ونقل النقولات التي تبين ذلك في كتاب (الكواشف الجلية)، وبين مدى مصادمة ذلك لشريعة رب العالمين.

وشريعة الله التي جاء بها النبي ﷺ شاملة كاملة وافية، ليست بحاجة إلى تكميلٍ من أحد، ولا استدراك، ولا قوانين من هيئات كافرة أنشأتها دول الكفر والصليب.

يقول ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين (١١٦/٣)": "وبها يتبين للعلم المنصف مقدار الشريعة وجلالتها وهيمنتها وسعتها وفضلها وشرفها على جميع الشرائع، وأن رسول الله ﷺ كما هو عام الرسالة على كل مكلف فرسالته عامة في كل شيء من الدين، أصوله

وفروعه، ودقيقه وجليله، فكما لا يخرج أحد عن رسالته فكذلك لا يخرج حكم تحتاج إليه الأمة عن بيانه له". انتهى كلامه.

ويقول الناظم رحمه الله:

شرط قبول السعي أن يجتمعا فيه ... إصابة وإخلاص معا
لله رب العرش لا سواه ... موافق الشرع الذي ارتضاه
وكل ما خالف للوحيين ... فإنه رد بغير مين
وكل ما فيه الخلاف نصبا ... فرده إليهما قد وجبا
فالدين إنما أتى بالنقل ليس ... بالأوهام وحدس العقل

وقد أمر الله سبحانه بالرجوع عند التنازع والاختلاف إلى الكتاب والسنة، فقال جل جلاله: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [سورة النساء:٥٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:١٠].

يقول "ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٢/٩٥٨)": "وهذا أمر من الله عز وجل، بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾، فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال ولهذا قال تعالى: ﴿إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ أي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر.

وَقَوْله ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ أي التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله والرجوع إليهما في فصل النزاع خير وأحسن تأويلا أي وأحسن عاقبة ومآلا". انتهى كلامه.

وقال الله جل جلاله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠].

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٢/٩٥٨-٩٥٩)": "هذا إنكار من الله عز وجل، على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله، وهو مع ذلك يريد التحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، كما ذكر في سبب نزول هذه الآية: أنها في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما، فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد. وذاك يقول: بيني وبينك كعب بن الأشرف. وقيل: في جماعة من المنافقين، ممن أظهروا الإسلام، أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية. وقيل غير ذلك، والآية أعم من ذلك كله؛ فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا". انتهى كلامه.

وقال ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين (٢/٩٢-٩٥)": "أجمعوا أن الرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاته".

وقال: "إنه جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه، فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان؛ ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه، ولا سيما التلازم بين هذين الأمرين فإنه من الطرفين، وكل منهما ينتفي بانتفاء الآخر، ثم أخبرهم أن هذا الرد خير لهم، وأن عاقبته أحسن عاقبة، ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكّم الطاغوت وتحاكم إليه، والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع؛ فطاغوت

كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله.

فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم [عدلوا] من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الأمة – وهم الصحابة ومن تبعهم – ولا قصدوا قصدهم، بل خالفوهم في الطريق والقصد معا.

ثم أخبر تعالى عن هؤلاء بأنهم إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول أعرضوا عن ذلك، ولم يستجيبوا للداعي، ورضوا بحكم غيره، ثم توعدهم بأنهم إذا أصابتهم مصيبة في عقولهم وأديانهم وبصائرهم وأبدانهم وأموالهم بسبب إعراضهم عما جاء به الرسول وتحكيم غيره والتحاكم إليه كما قال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٩] اعتذروا بأنهم إنما قصدوا الإحسان والتوفيق، أي بفعل ما يرضي الفريقين ويوفق بينهما، كما يفعله من يروم التوفيق بين ما جاء به الرسول ﷺ وبين ما خالفه، ويزعم أنه بذلك محسن قاصد الإصلاح والتوفيق.

والإيمان إنما يقتضي إلقاء الحرب بين ما جاء به الرسول وبين كل ما خالفه من طريقة وحقيقة وعقيدة وسياسة ورأي، فرخص الإيمان في هذا الحرب لا في التوفيق، وبالله التوفيق.

ثم أقسم سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن العباد حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل، ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجرده حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه، ولم يكتف منهم أيضا بذلك حتى يسلموا تسليما، وينقادوا انقيادا.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦] فأخبر سبحانه أنه ليس لمؤمن أن يختار بعد قضائه وقضاء رسوله، ومن تخير بعد ذلك فقد ضل ضلالا مبينا.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١] أي لا تقولوا حتى يقول، ولا تأمروا حتى يأمر، ولا تفتوا حتى يفتي، ولا تقطعوا أمرا حتى يكون هو الذي يحكم فيه ويمضيه.

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة، وروى العوفي عنه قال: نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه.

والقول الجامع في معنى الآية: لا تعجلوا بقول ولا فعل قبل أن يقول رسول الله ﷺ أو يفعل.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢] فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سبباً لحبوط أعمالهم، فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه؟ أليس هذا أولى أن يكون محبطا لأعمالهم.

[ينزع العلم بموت العلماء] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور:٦٢] فإذا جعل من لوازم الإيمان أنهم لا يذهبون مذهبا إذا كانوا معه إلا باستئذانه فأولى أن يكون من لوازمه أن لا يذهبوا إلى قول ولا مذهب علمي إلا بعد استئذانه، وإذنه يعرف بدلالة ما جاء به على أنه أذن فيه".

وقد قال رحمه الله في الكافية الشافية:

يا قوم تدرون العداوة بيننا ... من أجل ماذا في قديم زمان
إنا تحيزنا إلى القوم والنقل ... الصحيح مفسر القرآن
وكذا إلى العقل الصريح وفطرة ... الرحمن قبل تغير الإنسان
هي أربع متلازمات بعضها ... قد صدقت بعضاً على ميزان
والله ما اجتمعت لديكم هذه ... أبداً كما أقررتم بلسان
إذ قلتم العقل الصحيح يعارض ... المنقول من أثر ومن قرآن
فنقدم المعقول ثم نصرف ... المنقول بالتأويل ذي الألوان
فإذا عجزنا عنه ألفيناه لم ... نعبأ به قصداً إلى الإحسان
ولكم بذا سلف لهم تابعتم ... لما دعوا للأخذ بالقرآن
صدوا فلما أن أصيبوا أقسموا ... لمرادنا توفيق ذي الإحسان
ولقد أصيبوا في قلوبهم وفي ... تلك العقول بغاية النقصان
فأتوا بأقوال إذا حصلتها ... أسمعت ضحكة هازل مجان
هذا جزاء المعرضين عن الهدى ... متعوضين زخارف الهذيان
والقصد أنكم تحيزتم إلى الـ ... ـآراء وهي كثيرة الهذيان
فتلونت بكم فجئتم أنتم ... متلونين عجائب الألوان

وفي حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: ((أما بعد، فما بال رجال منكم يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله، فأيما شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن كان مائة شرط، فقضاء الله أحق وشرط الله أوثق)) [رواه البخاري (٢٥٦٣) ومسلم (١٥٠٤)].

قال ابن حجر في الفتح: "قال القرطبي: قوله: ((ليس في كتاب الله)) أي ليس مشروعاً في كتاب الله تأصيلاً ولا تفصيلاً، ومعنى هذا أن من الأحكام ما يؤخذ تفصيله من كتاب

الله كالوضوء، ومنها ما يؤخذ تأصيله دون تفصيله كالصلاة، ومنها ما أصّل أصله كدلالة الكتاب على أصلية السنة والإجماع، وكذلك القياس الصحيح، فكل ما يقتبس من هذه الأصول تفصيلاً فهو مأخوذ من كتاب الله تأصيلاً". أ.هـ.

وحول هذا المعنى حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: "لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله. قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب، وكانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله؟ فقال عبد الله: ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ؟ وهو في كتاب الله، فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته، فقال: لئن كنت قرأتيه فقد وجدتيه، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧]. قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه" [رواه البخاري (٤٨٨٦) ومسلم (٢١٢٥)].

فكيف بمن لا يبالي اليوم بكتاب ولا سنة ولا شرع، وينبذ ذلك وراءه ظهرياً، ويستورد الأنظمة والقوانين ويفرضها على الناس، وإذا قيل له اتبع ما أنزل الله، قال بلسان الحال والمقال: بل نتبع هذه التشريعات الدولية والقوانين العصرية وقرارات مجلس الأمن وبيننا وبينهم اتفاقات وعهود ومواثيق (وإن كانت ليست في كتاب الله)، وأصبح لسان حالهم ومقالهم الشرعية الدولية أحق، وقضاءها أوثق، ويحفظون أرقام قرارات مجلس الأمن أكثر من حفظهم لآيات الله وأحاديث رسوله.

وحيث أقول هذا على آل سعود؛ فغيرهم من الآلات والأسر والعوائل والدويلات من باب أولى، لأن أولئك لا يدعون ويزعمون تطبيق الشريعة كما يدعيها ويزعمها آل سعود، بل كل دويلة يحكمها دستور وضعي يقولون في مقدمة بأن الشريعة أحد مصادر التشريع.

ومن خلال تلك التشريعات المختلفة والدساتير الوضعية حميت الأضرحة التي تعبد من دون الله والأصنام بحجة التراث الإنساني والثقافي، ورخص لقنوات السحر الفضائية في بعضها لتمارس السحر والشعوذة والدجل بحجة الحرية الفكرية والإعلامية وحرية التعبير والرأي والرأي الآخر، ورخصوا لقنوات الأفلام الإباحية الحيوانية والزنا العلني في بعضها، حتى أن بعض البلدان يقال لا يسمح لمن عمره أقل من ثمانية عشر عاماً مشاهدة ذلك ويتم بث ذلك في أوقات متأخرة من الليل بترخيص الدولة وإذنها وتحت رقابتها وحمايتها، إلى آخر هذه الكفريات التي تتم بإذن القانون والدستور والدولة.

ويالله العجب، فمن الذي أحل الزنا ومشاهدته لأي إنسان كان ذكراً أو أنثى صغيراً أو كبيراً ليلاً أو نهاراً؟

وصدق الله عز وجل حيث قال: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٨].

فكم حللت هذه الدويلات من حرام معلوم بالاضطرار من دين المسلمين، وكم حرمت من حلال معلوم بالاضطرار من دين المسلمين، يقول ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين (١١٤/٣)": "ومحرم الحلال كمحلل الحرام". انتهى كلامه.

فحاربوا الجهاد في سبيل الله والدعوة على الإسلام بكل أنواعها وأساليبها، ومنعوا الصدقات وجمع الأموال للمسلمين المستضعفين في كل مكان، وعادوا سنة النبي ﷺ الظاهرة، ومنعوا المساجد أن يذكر فيها اسمه بالقوانين الوضعية والدساتير الكفرية، وقضوا على أهل الإسلام بالأقضية الجاهلية المبينة على تلك القوانين والدساتير، وطاردوا المصلين، حتى أن في بعض هذه الدويلات لا تصلي إلا ببطاقة وتصبح متهماً ومراقباً وتحت العين إذا صليت، ومنعوا الحجاب الشرعي بالقانون والنظام، ومن تتحجب من المسلمات تصبح متهمة ومراقبة وتحت النظر وتمنع من كثير من حقوقها لأنها محجبة، على العكس تماماً في

المتبرجة السافرة والعاهرة فهي (مواطنة صالحة فاضلة ومثال يحتذى زعموا). وهذا حال أكثر هذه الدويلات.

وفي بعضها أذن ورخص وفسح لشواطئ العراة يأتون إليها من كل البلدان، ويوفر فيها كل ما يحتاجونه من لذات ومتاع وأكل وشرب تحت عين ونظر وحماية هذه الدويلات وبالدستور والقانون، وتحت مسمى السياحة، حتى إنه في زمن (حسني مبارك المخلوع فرعون مصر) خصصت شواطئ للعراة خاصة بالسياح اليهود، ولا يسمح للعراة من مصر بالدخول إليها، يتم في تلك الشواطئ عموماً من الزنا وعمل قوم لوط والسحاق والشذوذ بأنواعه ما لم يعرفه قوم لوط، وبإمكان المطالع والمتابع أن يقرأ كتاب (عرايا إسرائيل فوق أرصفة العرب)، وأن يقرأ كتاب (زمن فيفي عبده)، ليتأكد من صحة ما أقول.

وكذلك الفنادق في بعض هذه الدويلات يسمح فيها ويرخص لبيع الخمور والمسكرات، وكذلك إيجاد المراقص والمسارح والمسابح والنساء البغايا بالدستور والقانون، وحماية الدويلة لذلك، وهذا مشهور معلوم في كثير من هذه الدويلات، وفي الفنادق والخاصة باللقاءات الرسمية والوفود للاجتماعات في القمم والمؤتمرات في بعض هذه الدويلات يتم عرض (ألبومات صور البغايا) على أولئك المسئولين، وعلى حسب الرغبة والطلب من ذلك الرئيس أو الأمير أو الوزير أو المدير إلى آخره من المسميات، بحيث هل يريد بكراً أم ثيباً (بيضاء أو سمراء أم سوداء، صغيرة أم كبيرة)، وهكذا تحت نظر وعين ورقابة وحماية هذه الدويلة وبالدستور والقانون، وهناك تقارير طبية لكل واحدة منهن وكشف طبي قبل أخذ العاهرة إلى جناحه أو شقته أو غرفته، ثم يخرجون بعد ذلك ليحاضروا ويلقوا الخطابات والبيانات التي تبث في القنوات الفضائية عن (القضية الفلسطينية والوضع في العراق والعلاقات الثنائية المشتركة والتنمية المستدامة والاستثمار في الإنسان وأن الشعوب تطلب منا المزيد... وهكذا).

وكما قال الشاعر:

دعني أسـائـل أمتي مـا خطبهـا عن سـر مـا لاقـت من الخـذلان

السر بعد من شريعة قـــــــادر والناس والحكـــــــــام ملتويان
هذي مناهجهم تشـــكل وصـــمة جلبت لنا من خـــــــارج الأديان

وأذكر هنا قصة خديوي مصر إسماعيل كما في كتاب (من أخلاق العلماء): "فلما وقعت الحرب بين مصر والحبشة وتوالت الهزائم على مصر لوقوع الخلاف بين قواد جيوشها ضاق صدر الخديوي لذلك، فركب يوماً مع شريف باشا وهو محرج، فأراد أن يفرج عن نفسه، فقال لشريف باشا: ماذا تصنع حينما تلمّ بك ملمة تريد أن تدفعها؟ فقال: يا أفندينا، إن الله عودني إذا حاق بي شيء من هذا أن ألجأ إلى صحيح البخاري يقرؤه لي علماء أطهار الأنفاس فيفرج الله عني (وهذا لا أصل له، بل هو بدعة محدثة واستدراج لفاعله، ولو لجأ إلى الله واتبع ما في كتابه وسنة رسول الله ﷺ ومنها ما في صحيح البخاري لكان أحرى أن يأتي الله له بالفرج)، قال: فكلم شيخ الأزهر وكان الشيخ العروسي، فجمع له من صلحاء العلماء جمعاً و أخذوا يتلون البخاري، والهزائم تتوالى، فذهب الخديوي إسماعيل إلى الأزهر ومعه شريف باشا وقال للعلماء محنقاً: إما أنكم لستم علماء، وإما أن ذلك ليس البخاري، فإن الله لم يدفع بكم ولا بتلاوتكم شيئا.. فوجم العلماء جميعا وسكتوا، إلا شيخا كان في آخر الصف قال له: منك يا إسماعيل، فإنا روينا عن النبي ﷺ أنه قال: ((لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطنّ الله عليكم شراركم فيدعو خياركم، فلا يستجاب لهم)) [1].

فزاد وجم المشايخ، وانصرف الخديوي ومعه شريف، ولم ينبسا بكلمة، وأخذ العلماء يلومون القائل ويؤنبونه، فبينما هم كذلك إذا بشريف باشا قد عاد يسأل: أين الشيخ القائل للخديوي ما قال؟ فقال الشيخ: أنا، فأخذه وقام، وانقلب العلماء بعد أن كانوا يلومون الشيخ يودعونه وداع من لا يأمل أن يرجع.

---

[1] الحديث الذي ذكره رواه الطبراني في الأوسط والبزار والدارقطني من حديث أبي هريرة وضعفه الدارقطني والهيثمي.

وسار شريف بالشيخ إلى أن دخلا على الخديوي في قصره، فإذا به قاعد في البهو، وأمامه كرسي أجلس الشيخ عليه، وقال له: أعد يا أستاذ ما قلته لي في الأزهر، فأعاد عليه الشيخ كلمته، وردد الحديث وشرحه، فقال له الخديوي: وماذا صنعنا حتى ينزل البلاء؟ قال له: يا أفندينا أليس المحاكم المختلطة فتحت بقانون يبيح الربا؟! أليس الزنا برخصة؟! أليس الخمر مباحاً؟ أليس أليس،... وعدد له منكرات تجرى بلا إنكار، وقال: كيف ننتظر النصر من السماء؟

فقال الخديوي: وماذا نصنع وقد عاشرنا الأجانب وهذه هي مدنيتهم؟ قال الشيخ: إذن فما ذنب البخاري؟ وما حيلة العلماء؟ ففكر الخديوي ملياً، وأطرق طويلاً ثم قال له: صدقت وأمر فرتبت له الرزنامة ثلاثون جنيهاً". انتهى كلامه.

وصدق الشاعر حين قال:

كيف نرجو من السجين معيناً ... وهو في القيد ينشد الإفراجا
سبل الغرب كلها جحر ضب ... وسبيل الإسلام كانت فجاجا

وأختم بكلام ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين عن التواضع لدين الله عز وجل فقال: التواضع للدين هو الإنقياد لما جاء به الرسول والاستسلام له والإذعان، وذلك بثلاثة أشياء:

الأول: أن لا يُعارض شيئا مما جاء به بشيء من المعارضات الأربعة السارية في العالم المسماة: بالمعقول والقياس والذوق والسياسة.

فالأول: للمنحرفين أهل الكبر من المتكلمين الذين عارضوا نصوص الوحي بمعقولاتهم الفاسدة وقالوا: إذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل وعزلنا النقل إما عزل تفويض وإما عزل تأويل.

والثاني: للمتكبرين من المنتسبين إلى الفقه، قالوا: إذا تعارض القياس والرأي والنصوص قدمنا القياس على النص ولم نلتفت إليه.

والثالث: للمتكبرين المنحرفين من المنتسبين إلى التصوف والزهد، فإذا تعارض عندهم الذوق والأمر قدموا الذوق والحال ولم يعبأوا بالأمر.

والرابع: للمتكبرين المنحرفين من الولاة والأمراء الجائرين إذا تعارضت عندهم الشريعة والسياسة قدموا السياسة ولم يلتفتوا إلى حكم الشريعة.

فهؤلاء الأربعة هم أهل الكبر، والتواضع: التخلص من ذلك كله.

الثاني: أن لا يتهم دليلا من أدلة الدين بحيث يظنه فاسد الدلالة أو ناقص الدلالة أو قاصرها أو أن غيره كان أولى منه، ومتى عرض له شيء من ذلك فليتهم فهمه وليعلم أن الآفة منه والبلية فيه كما قيل:

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الأذهان منه على قدر القرائح والفهوم

وهكذا الواقع في الواقع حقيقة: أنه ما اتهم أحد دليلاً للدين إلا وكان المتهم هو الفاسد الذهن المأفون في عقله وذهنه، فالآفة من الذهن العليل لا في نفس الدليل، وإذا رأيت من أدلة الدين ما يشكل عليك وينبو فهمك عنه فاعلم أنه لعظمته وشرفه استعصى عليك، وأن تحته كنزاً من كنوز العلم ولم تؤت مفتاحه بعد هذا في حق نفسك، وأما بالنسبة إلى غيرك: فاتهم آراء الرجال على نصوص الوحي، وليكن ردها أيسر شيء عليك للنصوص، فما لم تفعل ذلك فلست على شيء ولو.. ولو.. وهذا لا خلاف فيه بين العلماء.

قال الشافعي قدس الله روحه: أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله لم يحل له أن يدعها لقول أحد.

الثالث: أن لا يجد إلى خلاف النص سبيلا البتة، لا بباطنه ولا بلسانه ولا بفعله ولا بحاله، بل إذا أحس بشيء من الخلاف فهو كخلاف المقدم على الزنا وشرب الخمر وقتل النفس، بل هذا الخلاف أعظم عند الله من ذلك وهو داع إلى النفاق وهو الذي خافه الكبار والأئمة على نفوسهم.

واعلم أن المخالف للنص لقول متبوعه وشيخه ومقلده، أو لرأيه ومعقوله وذوقه وسياسته؛ إن كان عند الله معذوراً – ولا والله ما هو بمعذور –، فالمخالف لقوله لنصوص الوحي أولى بالعذر عند الله ورسوله وملائكته والمؤمنين من عباده.

فواعجباً! إذا اتسع بطلان المخالفين للنصوص لعذر من خالفها تقليداً، أو تأويلاً، أو لغير ذلك، فكيف ضاق عن عذر من خالف أقوالهم وأقوال شيوخهم لأجل موافقة النصوص؟ وكيف نصبوا له الحبائل، وبغوه الغوائل، ورموه بالعظائم، وجعلوه أسوأ حالاً من أرباب الجرائم، فرموه بدائهم وانسلوا منه لواذاً، وقذفوه بمصابهم، وجعلوا تعظيم المتبوعين ملاذاً لهم ومعاذاً! والله أعلم" انتهى كلامه.

إن هذه الدويلات التي قلت بكفرها قبل أكثر من عشرة أعوام قد صدق ما قلته فيها، ورحل بعضها، وثار الناس عليها، وظهر للقاصي والداني مدى الطغيان والكفر والإجرام والفساد التي هي عليه، وأجري حول ذلك من البرامج والتحقيقات والوثائق والحقائق ما لا يخفى، كدويلة تونس وحكم شين العابدين بن علي وأزلامه وزبانيته، وحسني مبارك وأزلامه وزبانيته، والقذافي، وهلم جرّا من الطواغيت الذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد، وأصبح كفر أولئك على ألسنة الشعوب لما رأوه من قتل للنساء والأطفال والشيوخ، واغتصاب للنساء والأطفال والكبار والصغار، وانتهاك للأعراض، وقصف للمساجد والمستشفيات والبيوت، واستعلاء في الأرض بغير الحق.

ثم إن أولئك الذين سقطوا ورحلوا هم من قال بأنهم علمانيون وليسوا بمسلمين، والعلمانية فصل للدين عن الحياة، ومن يفصل الدين عن الحياة حكمه في الإسلام الكفر والردة، إذ يقول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

ومن فصل الدين عن الحياة يجب أن يفصل عن الحياة، ومن نحى الإسلام عن الحياة يجب أن ينحى عن الحياة.

والكل يعلم حال (شين العابدين بن علي) وكيف حارب الإسلام والمسلمين وشعائر الإسلام الظاهرة المتواترة وكيف سعى لإيصال تونس إلى الإلحاد، والكل يعلم أيضاً حال فرعون مصر (حسني مبارك) وجمال وعلاء وسوزان وبقية الملأ المستكبرين وعمالتهم لدويلة يهود وحصارهم لغزة تلبيةً ليهود وأمريكا وغير ذلك مما لا يخفى على متابع.

وكما قال الشاعر في قصيدته (رسالة إل فرعون):

فرعونُ عقلك لم يزل مخدوعا ... وزمان حكمك لم يزل مقطوعا
ما زلتَ يا فرعونُ غِرَّاً تابعا ... وتظن نفسَك قائدا متبوعا
فرعون أنتَ الرمز فاسمُك لم يزل ... يجري بأفئدة الطغاة نقيعا
خضِّبْ يمينك بالدماء وقل لنا: ... إني أنفذ أمريَ المشروعا
اسرقْ غذاء الجائعين وقل لنا: ... إني أحارب في البلاد الجوعا
قطِّعْ رؤوس المصلحين فإنهم ... يبغون منك إلى الإله رجوعا
واركض وراءَ شبابِ"مصرَ"لأنهم ... رفعوا الجباهَ وحاربوا التطبيعا
هم يصعدون إلى السماءِ وأنتَ في ... أوحال وهمِك ما تزال وَضيعا
هم يلجؤون إلى الإله وأنت ... لا يرضيك إلا أن تسوق قطيعا
هم ينظرون بأَعيُنٍ مجلوَّةٍ ... فيرون فعلك في العباد شنيعا

عرفـــوا حـقـيقةَ سحرِ مَنْ جمَّعْتَهم ورأوا عصـــا موســـى تُخيف جموعا
ورأوا جباه الـــســـاحـــريـن تـعفَّرتْ ســجـدوا لـــربّ الـعالمين خشوعا
ورأوك تستـبـقـــي الـنـساء رهائناً وتُـديـر قـتـلاً فـي الرجـال فظيعا
لـــكَ كـــلَّ يـــومٍ قَـوْلـةٌ تُلغي بها ما قـــلـــتَ أمـسِ وتـحـســن الترقيعا
مـــا مـــصـــرُ يـا فـــرعونُ إلا حرَّةٌ تـأبـى إلـى غـيـر العَفافِ نـــزوعا
لـــكنّـــهـــا سُـــلِبَـتْ عباءةَ طُهرها وخـلـعْـتَ أنـتَ حـجـابـهـا لتضيعا
وأكـــلْـــتَ أصـنـاف الطعام ومـصرُ فـــي ضـنـكٍ شـديـد لا تنال ضريـعا
عـجـبـاً مـتـى تـبني لنفـسكَ منزلاً في الحقِّ تمـــــلأ مقلتيك دمـــوعا؟!
أتـــظـــنُّ هـــامـان الذي استنجدتَه مـــا زال يـُوقـد للـولاءِ شـموعا؟!
أتـــظـــنّه ما زال يبني صرحَه حتى تُـطـيـق إلـى الـسـمـاءِ طـلـوعـا؟!
أنـــســـيتَ قارونَ الذي زرع الهوى في قـــلبه حـتـى اسـتـطـال فروعا؟!
خُسِفَتْ به الأرضُ الـتـــي أبـــدى لها خيلاءه وغـــدا بـهـــا مـخدوعا
ضـــاعـت مفاتيح الخزائن واختفى قارونُ، لم يرَ فـــي الـعـبـاد شفيعا
ســـلْ عنه أرضـــك حين لم تترك له أثراً ولا للـصـوت مـنـه سـمـيـعا
أنسيتَ يا فرعون أنـــك غـــــارقٌ في اليَمِّ تعصر قـلـبـــكَ الـمـفجوعا
أنسيتَ رهو البحر حين ولـــجـته فرأيت نفسك في الخـضَـــمِّ صريعا
شرِّقْ وغرِّبْ كيف شـــئـــت فـإننا لا نجهل التـطـبـيـل والـتـلـمـيـعـا
أبشـــر فإن الفجر ســـوف يريق من كأس الظلام شرابك الـمـنـقوعـا
ولسوف تفتح صفحة من عزهـــا ولسوف يغدو رأسها مـــرفـــوعـــا
فرعونُ، لا يخـدعْـك وهمْـك إنني أبصـــرتُ طفلاً في حماكَ رضـــيعا

وكذلك القذافي وأولاده وأزلامه، وقد أفتى بكفره وردته كثير من العلماء في عدد من البلدان، بل حتى شيوخ آل سعود وهيئتهم المسماة (بهيئة كبار العلماء) قد أصدرت عدة بيانات في كفره لأسباب ودواع سياسية، فضغط السياسي على (الزر) لتصدر الفتوى كما

حصل حين اختلف فهد بن عبد العزيز الملك السابق مع معمر القذافي فأصدرت الهيئة فتوى بعنوان (البيان الشافي في كفر معمر القذافي)، ثم اصطلح الزعيمان وبعد أيام لا تتعدى الأسبوع جاء القذافي في زيارة واعتمر وطاف بالكعبة ودخل في جوفها ولم يتكلم أولئك الشيوخ، ولم يقولوا بأن الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة:٢٨]، وهذا قد كفرناه قبل أيام فكيف تدخلونه الحرم وجوف الكعبة!

ولم يزل الإعلام التابع لآل سعود يقدح ويجرح فيه، ولا يكفي كتابه الأخضر الذي يحكم به البلاد وجعله شريعة ومنهاجاً، ولا يخفى أيضاً إنكاره لكلمات من القرآن، وغير ذلك من خزعبلات وخرافات، وحرب للإسلام والمسلمين، وسجن للناس، وقتل، وتعذيب، وعمالة للكفار، وقد كفره شعبه وأهل بلده، وأصبح ذلك من القضايا المشهورة والمعلومة، ونهايته رآها العالم أجمع.

وكما قال الشاعر في قصيدته (يوم الحساب اليوم يا قذافي):

يوم الحساب اليوم يا قذافي ... فانعمْ به في نشوةِ استخفافِ
نلتَ المصير وكنت تهزأ ساخرًا ... في قمةٍ بنهايةِ الأسلافِ
وتقول جاء الدورُ.. فانتظروا.. ولم ... تعبأ بقولٍ نمَّ عن إنصافِ
لكن مضيت على طريقك عابثًا ... تستتبع الإسراف بالإسرافِ
وتقول: من أنتم؟! وتنسى أنهم ... نِعْمَ الرجالِ ذوو جواب شافِ
صبروا وبعض الصبر يطوي تحته ... نار انتظار مرّة الأوصافِ
وتفرقوا في الأرض لم تحفل بما ... عانوه من بادِ الأسى، أو خافِ
ومضت عقود في الظلام وليبيا ... في الأسرِ تنزف صفوة الأشرافِ
لم يخل بيت من بلاء مصيبةٍ ... عصفت به في فورة استنزاف
أو تخل نفس من نكالٍ سامها ... جلادها فيه النكال الصافي

لكن حسابات المصالح لم تزل ... تطفو وتظهر حنكة الأحلافِ
أترى سينسى الناس عهدًا لم يكن ... غيرَ السنين من البلاءِ عجافِ؟!
ومدمرٍ ما كان قط معمرًا ... إلا السجون.. تعجّ بالآلافِ!
متجبر في كل ما من شأنه ... قهرٌ يمارسه بلا استنكافِ
متفلسف لكن تنوء بجهله ... شمّ الجبالِ وتستجير فيافي
اليوم جاوبك الرجال لأنهم ... هم صفوة الأحرار يا قذافي
من راح في أنبوب صرف يتقي ... ذل المصير وسطوة السيّاف
فهو الأحقّ بوصف جرذٍ هاربٍ ... من شعبه في خسة الإخلافِ
وهو الجديرُ بأن يُساق لحتفه ... في موكبٍ لغدِ القصاصِ موافي
أنسيت في «بوسليم» من أسقيتهم ... كأس الردى، في غدرةِ الأجلافِ؟!
أو سقتهم للحتف ممن غادروا ... متغربين بسطوة الإرجافِ
أو نلت ممن قال حقًا مخلصا ... ليذوق سوط اللومِ والإعنافِ
أو رحت بالزحف الكذوب ملاحقًا ... من راح في صمتٍ وفي إعفافِ
يبني، فتهدم ما بناه تكلفًا ... وتذيق ليبيا حسرة الإتلافِ
حتى يفرّ مثقف ومؤهل ... وتظل تنعم بالثراء الضافي
ويقوم أهلك وحدهم في نعمةٍ ... مرموقةٍ موفورةِ الأطرافِ
والناس تغرق في الشقاء، ومن ينل ... حظًا كبيرًا نالَ حد كفافِ
لم تبنِ جيشًا للبلادِ معززًا ... يعلي مواطن حرةَ الأكنافِ
ويقيمُ مجدًا في البلاد وعزة ... وترصّ أكتاف إلى أكتافِ
لكن حشدتَ كتائبًا وجعلتها ... مسعورةً تجري بشرّ مطافِ
ليست لغيرك في الحياة حياتها ... أو موتها في رعشةِ استشرافِ
لم تعرف الشرف الرفيع ولم تعِش ... يومًا لغير القتل والإسفافِ
فاهنأ بهم من بعد ما أشبعتهم ... ذلًا وما استظرفت من إلحافِ

واغنم نهاية كل باغٍ غرّه ... زيف الجليس وخدعة الهتّافِ
وتزلُّفُ الأوغاد في غرب الخنا ... كي يغنموا مالًا من الإجحافِ
وخديعة العرّافِ حين جعلته ... حكمًا أتجهل خدعة العرّافِ؟!
هذا مصيرك قد نسجت خيوطه ... بيديك فاحصد حكمة الألطافِ
واترك سطورًا للذين نصحتهم ... بدمشق يومًا، في قِرى الأضيافِ
قل: لن يدوم الظلم لكن ينتهي ... في لحظةٍ ويذوق موت زؤافِ
ويعود للأرض السلامُ وتنتشي ... ألفافها في بهجة الألفافِ
وتطل شمس بالضياء نقيةً ... بالجوهر المتألق الشفافِ
لم تغشها سحب الظلام وإنما ... سحبٌ تمور برقة الأصدافِ
وتعود للشعب البلاد بأسرها ... مزهوّةً ريّانةَ الأعطافِ
اليوم يومٌ في الزمان مبجّل ... فاهنأ بيوم الحسم يا قذافي

وكذلك بشار الأسد ودويلته النصيرية والتي تفعل في المسلمين ما تفعله اليوم، تدمر المدن والقرى، وتهجر الناس، وتغتصب النساء، وتقطع الأطفال، وتعذب وتلقي البراميل المتفجرة على المسلمين، وتسجن عشرات الآلاف من المسلمين، وتأمر الناس بالسجود لصورة بشار الأسد، وتقول بأنه هو الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وقد كفرهم اليوم عموم المسلمين قبل علمائهم، لما يرونه من الكفر الصريح، والشرك الفاضح، وسب الصحابة ولعنهم، إلى آخره مما هو معلوم اليوم.

فهل يراد منا أن نقول بأن هذه دولة مسلمة أو حكومة إسلامية؟!

والنصيرية كفار باتفاق المسلمين، والناس تعلم هذا وتعتقده، والعلماء يقولون ذلك ويصرحون به، ودويلتهم هذه هي أحد الحكومات والدويلات التي نتهم من قبل المباحث وآل سعود بأنا نكفرها، ويا حبذا وهذه التهمة..

وقد سئل ابن تيمية عن حكم الدرزية والنصيرية في "الفتاوى الكبرى (٣/٥١٣)" فقال: "هؤلاء الدرزية والنصيرية كفار باتفاق المسلمين، لا يحل أكل ذبائحهم، ولا نكاح نسائهم، بل ولا يُقَرون بالجزية، فإنهم مرتدون عن دين الإسلام، ليسوا مسلمين، ولا يهود، ولا نصارى، لا يقرون بوجوب الصلوات الخمس، ولا وجوب صوم رمضان، ولا وجوب الحج، ولا تحريم ما حرم الله ورسوله من الميتة والخمر وغيرهما، وإن أظهروا الشهادتين مع هذه العقائد فهم كفار باتفاق المسلمين. فأما النصيرية فهم أتباع أبي شعيب محمد بن نصير، وكان من الغلاة الذين يقولون: إن عليًّا إله، وهم ينشدون: أشهد أن لا إله إلا حيدرة الأنزع البطين، ولا حجاب عليه إلا محمد الصادق الأمين، ولا طريق إليه إلاسلمان ذو القوة المتين". انتهى.

ثم ذكر الدرزية بعد ذلك، وليس هذا موضع ذكره.

وقد سئل أيضاً رحمه الله عن النصيرية في "الفتاوى الكبرى (٣/٥٠٣-٥١٢)" سؤالاً مطولاً وأجاب كذلك فقال: "هؤلاء القوم المسَمَّوْن بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد أعظم من ضرر الكفار المحاربين، مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه، ولا بأمر ولا نهي، ولا ثواب ولا عقاب، ولا جنة ولا نار، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ، ولا بملة من الملل السالفة،ولهم في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة، وكتب مصنفة، فإذا كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين، كما قتلوا مرة الحُجَّاج، وألقوهم في بئر زمزم، وأخذوا مرةً الحجر الأسود، وبقي عندهم مدة، وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى.

وصنف علماء المسلمين كتبًا في كشف أسرارهم، وهتك أستارهم، وبينوا فيها ما هم عليه من الكفر والزندقة والإلحاد الذي هم به أكفر من اليهود والنصارى ومن براهمة الهند الذين يعبدون الأصنام، ولهم ألقاب معروفة عند المسلمين تارة يسمون الملاحدة، وتارة يسمون

القرامطة، وتارة يسمون الباطنية، وتارة يسمون الإسماعيلية، وتارة يسمون النصيرية، وتارة يسمون الخرمية، وتارة يسمون المحمرة. وهذه الأسماء منها ما يعمهم ومنها ما يخص بعض أصنافهم، كما أن الإسلام والإيمان يعم المسلمين ولبعضهم اسم يخصه؛ إما لنسب وإما لمذهب وإما لبلد وإما لغير ذلك". أ.هـ.

وقال أيضاً في جواب سؤال عنهم في "الفتاوى الكبرى (٣/٥١٤)": "وهم مرتدون من أسوأ الناس ردة". انتهى كلامه.

وكذلك دويلة إيران الصفوية الاثنا عشرية فيها من الكلام السابق ومعاداة الإسلام وأهله، وإن تسمّوا بالجمهورية الإسلامية فهذا لا يغني شيئاً ولا يغير الحقيقة، وهم اليوم أكبر داعم لدويلة النصيرية في سوريا بالمال والرجال والسلاح، وكفرهم وشركهم وجحدهم لشرائع الإسلام ومعاداتهم لأصحاب النبي ﷺ وسبهم وشتمهم ولعنهم لا يخفى على عموم المسلمين اليوم قبل خاصتهم وأهل العلم منهم، وقد صنف المصنفون وأفتى المفتون بكفر هؤلاء.

وحتى المباحث وكبار الضباط حين يجلسون معنا في جلسات التحقيق يعلمون ذلك ويقولون بما هو مشهور لدى عموم المسلمين ويصرحون بالخطر الذي تمثله هذه الدولة الصفوية ولكن لا يظهرون ذلك إعلاميًا، فهل يصح أن نتهم المباحث (بأنهم يكفرون الدويلات الإسلامية ويصفونها بالطاغوتية وأنها تحارب الإسلام والمسلمين) ويترتب على ذلك حبسه ومحاكمته بتهمة التكفير... إلخ!؟

بالله فاستحيوا من الرحمن.

وأقول كما قال القحطاني رحمه الله في نونيته:

لا تعتقد دين الروافض إنهم ... أهل المحال وشيعة الشيطان
جعلوا الشهور على قياس حسابهم ... ولربما كملا لنا شهران
ولربما نقص الذي هو عندهم ... واف وأوفى صاحب النقصان

إن الروافض شر من وطئ الحصى ... من كل إنس ناطق أو جان
مدحوا النبي وخونوا أصحابه ... ورموهم بالظلم والعدوان
حبوا قرابته وسبوا صحبه ... جدلان عند الله منتقضان
فكأنما آل النبي وصحبه ... روح يضم جميعها جسدان
فئتان عقدهما شريعة أحمد ... بأبي وأمي ذانك الفئتان
فئتان سالكتان في سبل الهدى ... وهما بدين الله قائمتان

وقال أيضاً رحمه الله:

واحفظ لأهل البيت واجب حقهم ... واعرف علياً أيما عرفان
لا تنتقصه ولا تزد في قدره ... فعليه تصلى النار طائفتان
إحداهما لا ترتضيه خليفة ... وتنصه الأخرى إلهاً ثاني
والعن زنادقة الروافض إنهم ... أعناقهم غلت إلى الأذقان
جحدوا الشرائع والنبوة واقتدوا ... بفساد ملة صاحب الإيوان
لا تركنن إلى الروافض إنهم ... شتموا الصحابة دون ما برهان
لعنوا كما بغضوا صحابة أحمد ... ووادهم فرض على الإنسان

وكذلك دولة وصنيعة الأمريكان والصفويين في العراق، والذين جاؤوا على ظهور الدبابات الأمريكية حين وقع الغزو الصليبي للعراق مطلع ١٤٢٤هـ، ودويلة وصنيعة الأمريكان والحلف الأطلسي الصليبيين في أفغانستان، ودويلة وصنيعة الأمريكان ونصارى أثيوبيا في الصومال، وغيرها من الدويلات التي جاء بها الكفار والصليبيون وفرضوها بقوة الحديد والنار لتحكم الناس والمسلمين.

فهي دويلات وحكومات كافرة، ليست منا ولسنا منها، تأتمر بأمر الكفرة، وتنتهي بنهيهم، فعلام نتردد في القول بكفرهم والبراءة منهم والدعوة إلى مجاهدتهم ومقاتلتهم حتى يتحقق النصر عليهم؟!

وهذا هو الواقع اليوم، فلم يقر لهم قرار ولم يهدأ لهم بال، ولئن رأينا في هذا الزمان كرزايات وجلبيات وصنائع جاء بها الغرب الصليبي كأحجار الشطرنج لتوضع هنا وهناك وتكون لعبة في أيديهم يمتصون بها خيرات بلادنا ويذلون بها المسلمين ويستعبدون بها الشعوب، فإن بقية الدويلات التي لم نر ونحضر إتيان الغرب الصليبي بها قبل عقود من الزمان أيام تقسيم (سايكس بيكو) هي (كرزيات الأمس) (وجلبيات الأمس) (وصنائع الأمس).

وهذا هو حال جزيرة العرب – وسبق التفصيل حول ارتباطهم ومناصرتهم وطاعتهم لأمريكا وغيرها من الدول الصليبية –، وقس على ذلك في دويلة لبنان دويلة الطوائف، ودويلة فلسطين العميلة لليهود، ودويلة الأردن، والجزائر والمغرب، وموريتانيا، وهذه تركيا الدولة العلمانية الأتاتوركية التي حاربت الإسلام والمسلمين وكل ما يتصل به وسعت إلى علمنة المجتمع، وهي أحد أعضاء الحلف الأطلسي الصليبي، وشاركت أمريكا في حروبها المعاصرة في أفغانستان والعراق، وفتحت لها البراري والبحار والأجواء ولا زالت، وما قاعدة إنجرليك عن الأسماع ببعيد، وتفرض على الناس شريعة الكفر عبر القوانين الوضعية والدساتير الأرضية... إلخ.

وكما قال الشاعر في قصيدته (العشاء الأخير لإبليس الأول):

أنا ضد أمريكا إلى أن تنقضي ... هذي الحياة ويوضع الميزان
هي جذر دوح الموبقات وكل ... ما في الأرض من شر هو الأغصان
من غيرها زرع الطغاة بأرضنا ... وبمن سواها أثمر الطغيان
حبكت فصول المسرحية حبكة ... يعيا بها المتمرس الفنان
هذا يكر وذا يفر وذا بهذا ... يستجير ويبدأ الغليان

حتى إذا انقشع الدخان مضى لنا ... جرح وحل محله سرطان
وإذا ذئاب الغرب راعية لنا ... وإذا جميع رعاتنا خرفان
هي فتنة عصفت بكيدك كله ... فانفذ بجلدك أيها الشيطان
ماذا لديك؟ غواية؟ صنها ... فقد أغوى الغواية نفسها السلطان
قرنان ويلك عندنا ... عشرون شيطانا وفوق قرونهم تيجان
يا أيها الشيطان إنك لم تزل ... غراً وليس لمثلك الميدان
أنبيك أنا أمة ... تباع وتشترى ونصيبها الحرمان
أنبيك أنا أمة ... أسيادها خدم وخير
أسد ولكن يحدثون بثوبهم ... لو حركت أذنابها الفئران
متعففون وصبحهم ... سطو على قوت العباد
متدينون ودينهم بدنانهم ... ومسهدون وسكرهم سكران
عرب ولكن لو نزعت قشورهم ... لوجدت أن اللب أمريكان
تخصى لنا الأسماع منذ مجيئنا ... شرعا ويعمل للشفاه ختان
ونصير مقلوبين حتى لا ترى ... مقلوبة بعيوننا البلدان
والدرب متضح لنا فوراءنا ... متعقب وأمامنا سجان
لو قيل للحيوان كن بشراً هنا ... لبكى وأعلن رفضه الحيوان
كم باسمنا نشب النزاع ولم يكن ... رأي لنا بنشوبه أو شان
صحنا فلم يشفق علينا عقرب ... نحنا ولم يرفق بنا ثعبان
ومن المجير وقد جرت أقدارنا ... في أن يجور الأهل والجيران
قلنا ومطرقة العذاب تدقنا ... سيجيء دورك أيها السندان
حتى إذا ما سكرة راحت ... وجاءت فكرة وتثاءب النعسان
لكننا في الحالتين سفينة ... غرقت فقام يلومها الربان
أمن العدالة أن نشك ونشتكي ... أو أن نباع وجلدنا الأثمان

وانساب سيرك المعجزات قدم فم وفصاحة هذيان
يلقي بها الإعلام فوق رؤوسنا صحفا يقيء لعهرها الغثيان
فزبالة واستبدلت بزبالة أخرى ولم تستبدل الجرذان
وهنا مليك مغرم بتراثه يحثو الخمور وكأسه فنجان
وهناك ثوري يؤسس دولة في كرشه فتصفق الثيران
وهنا مليك ليس يملك نفسه فمه صدى وضميره دكان
ومفكر متخصص بعلوم فرك الخصيتين ففكره سيلان
وشواعر كيلا أسمي واحدا يتسترون وسترهم عريان
يزنون بالقبان أبياتا لهم فيميل من أوزاره القبان
في كفة تسبيلة ودراهم وبكفة تفعيلة وبيان
متفاعلة متفاعلن علانة متفاعلة متفاعلن علانة
وتقرقع الأوزان دون مبادىء ليست لها أوزان لممبادىء
فالحاكم المغتال طفل وادع والمودعون بسجنه غيلان
وابن الشوارع فارس في ساعة وبساعة هو غادر وجبان
هل ينثني الجزار عن جرم وهل ترتد عن أخلاقها الفرسان
كلا ولكن (الأنا) ورم وإن زادت فكل زيادة نقصان
يبدو التناقض عندها متناسقاً واللون في صفحاتها ألوان
هو فارس ما دام يفترس الورى فإذا قرضت فإنها قرصان
يا آية الله الجديد ومن لقى آياته الحشرات والديدان
آمنت أنك آية فبحدك اتحد الهوى وتفرق

فإذا تبين جميع ما مضى، فنقول هذا وأكثر، كفر بواح عندنا فيه من الله برهان.

وقد قال "ابن حجر في الفتح عند حديث (٧٠٥٥,٧٠٥٦) ": "قال الخطابي: معنى قوله بواحاً: يريد ظاهراً بادياً، من قولهم باح بالشيء يبوح به بوحاً، وبواحاً إذا أذاعه وأظهره". انتهى كلامه.

وقال أيضاً: "قوله: ((عندكم من الله فيه برهان)) أي نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل، ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم ما دام فعلهم يحتمل التأويل.

قال النووي: المراد بالكفر هنا المعصية، ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام؛ فإذا رأيتم ذلك فأنكروا عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم". انتهى.

وقال غيره: "المراد بالإثم هنا المعصية والكفر، فلا يعترض على السلطان إلا إذا وقع في الكفر الظاهر، والذي يظهر حمل رواية الكفر على ما إذا كانت المنازعة في الولاية فلا ينازعه بما يقدح في الولاية إلا إذا ارتكب الكفر، وحمل رواية المعصية على ما إذا كانت المنازعة فيما عدا الولاية، فإذا لم يقدح في الولاية نازعه في المعصية بأن ينكر عليه برفق ويتوصل إلى تثبيت الحق له بغير عنف، ومحل ذلك إذا كان قادرا والله أعلم".

ونقل ابن التين عن الداودي قال: "الذي عليه العلماء في أمراء الجور أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب، وإلا فالواجب الصبر.

وعن بعضهم: لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداء، فإن أحدث جورا بعد أن كان عدلا فاختلفوا في جواز الخروج عليه، والصحيح المنع إلا أن يكفر فيجب الخروج عليه". انتهى كلامه.

وقال "ابن حجر رحمه الله في فتح الباري عند حديث رقم (٧١٤٤) ": "قوله: ((إذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)): أي لا يجب ذلك، بل يحرم على من كان قادراً على الامتناع. – إلى أن قال –: وقد تقدم البحث في هذا الكلام على حديث عبادة في الأمر بالسمع

والطاعة إلا أن تروا كفراً بواحاً بما يغني عن إعادته، وهو في كتاب الفتن، وملخصه أن ينعزل بالكفر إجماعاً، فيجب على كل مسلم القيام في ذلك؛ فمن قوي على ذلك فله الثواب، ومن داهن فعليه الإثم، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض". انتهى كلامه.

وقال ابن حجر في فتح الباري عند حديث ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة الجاهلية)) [رواه البخاري (٧٠٥٣) ومسلم (١٨٤٩)]: "قال ابن بطال: في الحديث حجة في ترك الخروج على السلطان ولو جار".

قال ابن حجر: "وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، وحجتهم هذا الخبر وغيره ما يساعده، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح؛ فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها كما في الحديث الذي بعده – أي حديث عبادة بن الصامت ((إلا أن تروا كفراً بواحاً))". انتهى كلامه.

وإنه لا ينقضي العجب من شيوخ وأدعياء علم، كيف يقولون بالسمع والطاعة لأناس جاؤوا على ظهور الدبابات الصليبية وسطح المدمرات وحاملات الطائرات الأمريكية الصليبية وفي جوف الغواصات الأمريكية الصليبية، يأتمرون بأمر أمريكا وينتهون بنهيها، وينهبون خيرات البلدان وثرواتها، ويحكمون بأهوائهم ودساتيرهم الكفرية الوضعية، ولا يقيمون للشرع وزناً، بل هم أعداء شرع الله وأعداء الإسلام والمسلمين.

وإذا كان خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأصحاب النبي المهاجرون والأنصار قد أجمعوا على كفر وردة مسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي وسجاح ومانعي الزكاة، وهم يصلون ويصومون ويقولون الشهادة وتأولوا تأويلات باطلة وفاسدة وأرادوا أن تكون دويلات في جزيرة العرب لعشائر وقبائل، فقاتلوهم على قلب رجل واحد، فكيف بدويلات هذا الزمان التي جاء بها الغرب الصليبي قديماً وحديثاً على قاعدة (فرق تسد)!

وكما قال الشاعر:

مما يزهدني في أرض أندلـــــــــس ألـــقـــاب معتضد فيها ومـــعتمد
ألقـاب مملكـة في غير موضـــعهـا كالهرّ يحكي انتفاخاً صـولة الأسـد

يقول ابن تيمية في "الفتاوى الكبرى (١٨٠/٦)": "سنّ ﷺ الاجتماع على إمام واحد في الإمامة الكبرى وفي الجمعة والعيدين والاستسقاء وفي صلاة الخوف وغير ذلك، مع كون إمامين في صلاة الخوف أقرب إلى حصول الصلاة الأصلية لما في التفريق من خوف تفرق القلوب وتشتت الهمم". انتهى كلامه.

فأين الإمامة الكبرى في هذا الزمان وقد تفرقوا أيدي سبأ وتنازعوا واختلفوا وتقسموا إلى دويلات وجنسيات يحكمها أسر وعوائل، لكلٍ راية وعلم ودستور ونظام حكم وعملة، وهكذا إلى ما لا نهاية من الشتات والضياع، وكل دويلة بينها وبين جارتها من الصراع على الحدود والخلافات ما الله به عليم.

وفي عهد بني أمية عقد عبد الملك بن مروان الذي قال عنه الذهبي في (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) ترجمة (٤٩٨٦)": "أتى له العدالة وقد سفك الدماء وفعل الأفاعيل" أ.هـ، عقد لابنيه الوليد وسليمان بالعهد وكتب بالبيعة لهما إلى البلدة، وعامله يومئذ على المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي، فدعا الناس إلى البيعة فبايعوا، وأبى سعيد ابن المسيب أن يبايع لهما وقال: "لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار، فإن النبي ﷺ نهي عن بيعتين. فقيل ادخل واخرج من الباب الآخر، قال: والله لا يقتدي بي أحد من الناس. فضربه هشام ستين سوطًا وطاف به في تبان شعر وسجنوه... إلخ" [١].

---

[١] قال العراقي رحمه الله: أخرجه أبو نعيم في الحلية بإسناد صحيح.

فانظر إلى قوله: "لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فإن النبي نهى عن بيعتين"، وابن المسيب قال هذا لأنه لا يكون للمسلمين أكثر من إمام، وهذا هو المستقر والمعروف عند المسلمين.

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: ((إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما)) [رواه مسلم (١٨٥٣)] فأمة الإسلام إلهها واحد وكتابها واحد، ورسولها واحد، وقبلتها واحدة، ودولتها واحدة دولة الخلافة.

وفي حديث عمر الطويل في قصة سقيفة بني ساعدة واستخلاف أبي بكر رضى الله عنه لما قال قائل من الأنصار: "منا أمير ومنكم – أي المهاجرين – أمير" قال عمر: "فقلت: ابسط يدك أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثم يابعته الأنصار. قال عمر: وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمرنا أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإما تابعناهم على ما لا نرضى، وإما أن نخالفهم فيكون فساد، فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا". [رواه البخاري (٦٨٢٨)].

قال ابن الأثير رحمه الله في "جامع الأصول (٦٧/٣)": "ومعنى الحديث: أن البيعة حقها أن تقع صادرة عن المشورة والاتفاق، فإذا استبد رجلان دون الجماعة بمبايعة أحدهما للآخر فذاك تظاهر منهما بشق العصا واطراحُ الجماعة، فإن عقد لأحد فلا يكون المعقود له واحداً منهما وليكونا معزولين من الطائفة التي تتفق على تمييز الإمام منها؛ لأنه إن عُقد لواحد منهما وهما قد ارتكبا تلك الفعلة الشنيعة التي أحقدت الجماعة من التهاون بهم والاستغناء عن رأيهم لم يؤمن أن يُقتلا". انتهى كلامه.

وقال "ابن حجر رحمه الله في الفتح" عن هذا الحديث: "وفيه أن الخلافة لا تكون إلا في قريش، وفيه ألا يكون للمسلمين أكثر من إمام". انتهى كلامه.

فكيف بحالنا اليوم وقد فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩].

يقول "ابن كثير رحمه الله في تفسيره (١٣٩٨/٣)": "والظاهر أن الآية في كل من فارق دين الله وكان مخالفاً له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ أي فرقا كأهل الملل والنحل، وهي الأهواء والضلالات قد برأ رسوله مما هم فيه... – إلى أن قال – هذا هو الصراط المستقيم، وهو ما جاءت به الرسل من الله وحده لا شريك له، والتمسك بشريعة الرسول المتأخر، وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء، الرسل براء منها كما قال: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾". انتهى كلامه.

ويقول ابن تيمية رحمه الله في "اقتضاء الصراط المستقيم (٢١٣)": "وهذه المشابهة لليهود والنصارى وللأعاجم من الروم والفرس لما غلبت على ملوك المشرق هي وأمثالها مما خالفوا به هدي المسلمين ودخلوا فيما كرهه الله ورسوله؛ سُلط عليهم الترك الكافرون (أي التتار الذين اجتاحوا بلاد المسلمين في القرن السابع الهجري) الموعود بقتالهم حتى فعلوا في العباد والبلاد ما لم يجر في دولة الإسلام مثله". انتهى كلامه.

وصدق الشاعر حيث قال في قصيدته (متى يفيق النائمون):

يـا أيهـا المتنطعون..

كيف ارتضيتم أن ينام الذئب..

في وسط القطيع وتأمنونْ؟

بلد بعرض الكون يُعرض في المزاد..

وطغمة الجرذان..

في البلد الجريح يتاجرون..

أحياؤنا الموتى على الشاشات..

في صخب النهاية يسكرون..

من أجهض البلد العريق..

وكبل الأحلام في كل العيون..

يا أيها المتشرذمون..

سنخلص الموتى من الأحياء..

من سفه كل حاكم عابث مجنون..

والله إنا قادمون..

"ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا

بل أحياء عند ربهم يرزقون"

***

شهداؤنا في كل شبر..

في البلاد يزمجرونْ..

جاءوا صفوفًا يسألونْ..

يا أيها الأحياء ماذا تفعلونْ..

في كل يوم كالقطيع على المذابح تصلبونْ..

تتسربون عـلـى جنـاح الليل

كالفئران سرًّا للذئاب تهرولونْ..

وأمام أمريكا..

تُقام صلاتكم فتسبحونْ..

وتطوف أعينكم على الدولارِ..

فوق ربوعه الخضراء يبكي الساجدونْ..

صور على الشاشاتِ..

جرذان تصافح بعضها..

والناس من ألم الفجيعة يضحكونْ..

فـي صورتين تباع بلدان، وتسقط أمةٌ..

ورؤوسكم تحت النعالِ.. وتركعونْ..

في صورتين..

تُسلَّم القدس العريقة للذئاب..

ويسكر المتآمرون..

❊ ❊ ❊

شهداؤنا في كل شبر يصرخونْ..

القدس تسبح في الدماء وفوقها

الطاغوت يهدر في جنونْ..

القدس تسألكم أليس لعرضها

حق عليكم؟ أين فر الرافضون؟

وأين غاب البائعونْ؟

وأين راح.. الهاربونْ؟

الصامتون.. الغافلون.. الكاذبونْ..

صمتوا جميعًا..

والرصاص الآن يخترق العيونْ..

وإذا سألت سمعتَهم يتصايحونْ..

هذا الزمان زمانهم..

في كل شيء في الورى يتحكمونْ..

❊ ❊ ❊

لا تسرعوا في موكب البيع الرخيص فإنكم

في كل شيء خاسرونْ..

لن يترك الطوفان شيئًا كلكمْ

في اليم يومًا غارقون..

تجرون خلف الموتِ

والنخَّاس يجري خلفكم..

وغدًا بأسواق النخاسة تُعرضونْ..

لن يرحم التاريخ يومًا..

من يفرِّط أو يخونْ..

كهاننا يترنحونْ..

فوق الكراسي هائمونْ..

في نشوة السلطان والطغيانِ..

راحوا يسكرونْ..

وشعوبنا ارتاحت ونامتْ..

في غيابات السجونْ..

نام الجميع وكلهم يتثاءبونْ..

متى يفيق النائمونْ؟

متى يفيق النائمون؟

فكيف يليق بمن يحترم نفسه أن يقول بالسمع والطاعة (لكرزاي) في أفغانستان وأنه ولي أمر المسلمين هناك وتجب طاعته وتحرم معصيته ومن خرج عليه فقد فارق الجماعة ومات ميتة جاهلية وأنه يلقى الله ولا حجة له وأنه من الخوارج وشر قتلى تحت أديم السماء وكلاب النار.... إلى آخره، وهل هذا إلا تحريف الكلم عن مواضعه والكذب على الله وعلى رسوله ﷺ ووضع الأدلة في غير موضعها والإفتراء والبهتان، وهل هو إلا السخافة والسفاهة والجهالة والدجل أن يصبح صنيعة الأمريكان ولي أمر للمسلمين، وهل قال أحد من علماء المسلمين بأن مسيلمة الكذاب ولي أمر أهل اليمامة أو أن الأسود العنسي ولي أمر اليمن أو أن المرتد تصح له ولاية وإمارة على المسلمين، أم إن الإجماع منعقد على أن الكافر لا تصح ولايته ولا إمارته بل تجب مجاهدته ومقاتلته لمن قدر على ذلك؟!

وصدق ابن القيم رحمه الله حيث قال في الكافية الشاقية:

فاحمد إلهك أيها السنـــــي إذ عـافـاك من تحريف ذي بهتـان
والله مـا يرضـــى بهـذا خـائف من ربه أمسى على الإيـــــمان
هذا هو الإلحاد حقاً بل هــو التحـ ـــــريف محضاً أبرد الـــهذيان
أمثـال ذا التـأويـل أفســـد هـ ـــذه الأديان حين سرى إلى الأديان
والله لولا الله حافـــــــظ دينه لتهدمت منه قـــــوى الأركـــان

وإني لأظن أن بعض شيوخ آل سعود ومن ينتسبون لبعض السلفيات الحكومية الرسمية لو كانوا في عصر (فرعون) وحضروا نهايته لقالوا: "رحمه الله مات شهيداً ورزقه الله الخاتمة الطيبة"، فإذا قيل لهم كيف ذلك؟ قالوا: لأنه غريق، وقد قال النبي ﷺ (الغريق شهيد)، وقد قال النبي ﷺ: ((من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة)) إذن فرعون في الجنة.

وهذا لا يقوله مسلم يعرف إسلامه، وهذا دين غلاة المرجئة الجهمية، وهذا استدلال بأحاديث وآيات في غير موضعها ومكانها، فغرق فرعون هو عذاب من الله له كما قال

سبحانه: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾ [العنكبوت:٤٠]، إلى أن قال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٠]، ثم إن الله عز وجل قال بعد قوله ذلك: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس:٩١-٩٢]، والله أخبر بأن فرعون في النار يُعرض عليها غدواً وعشياً وأنه يوم القيامة يدخل أشد العذاب، ولا ينصر، وأنه متبوع باللعنة، وأنه من المقبوحين، كما جاء ذلك في القرآن في سورة القصص وغافر وغيرها.

وأما إيمانه وذكره للشهادة فلا تغني عنه شيئاً، لأنها عند رؤية بأس الله وقد قال الله جل جلاله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ۝ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر:٨٤-٨٥]. وغيرها من الآيات التي تؤكد هذا المعنى.

وصدق الله إذ يقول عن مثل هؤلاء المحرفين المبدلين: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

يقول "ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٢/٧٢٦)": "يخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله أن منهم فريقاً يحرفون الكلم عن مواضعه ويبدلون كلام الله ويزيلونه عن المراد به ليوهموا الجهلة أنه في كتاب الله كذلك، وينسبونه إلى الله وهو كذب على الله، وهم يعلمون في أنفسهم أنهم قد كذبوا وافتروا في ذلك كله". انتهى كلامه.

وقد عقد ابن القيم رحمه الله فصلاً في الكافية الشافية بعنوان (فصل في شبه المحرفين للنصوص باليهود وإرثهم التحريف منهم وبراءة أهل الإثبات مما رموهم به من هذه الشبة) فقال:

هـــذا وثـــم بـــلـــيـــة مـــستورة فـيـهـم ســأبــديــهــا لـكـــم ببيان

ورث المحرف من يهود وهم أولو التحريف والتبديل والكتمان
فأراد ميراث الثلاثة منهم فعصت عليه غاية العصيان
إذ كان لفظ النص محفوظاً فما التبديل والكتمان في الإمكان
فأراد تبديل المعاني إذ هي المقصود من تعبير كل لسان
فأتي إليها وهي بارزة من الألفاظ ظاهرة بلا كتمان
فنفى حقائقها وأعطى لفظها معنى سوى موضوعه الحقاني
فجنى على المعنى جناية جاحد وجنى على الألفاظ بالعدوان
يا مسلمين بحق ربكم اسمعوا قولي وعوه وعي ذي عرفان
ثم احكموا من بعد من هذا الذي أولى بهذا الشبه بالبرهان

ولو خرج فرعون وهامان وقارون في زماننا أو كان هؤلاء الشيوخ المرجئة في زمن فرعون وهامان وقارون لأصدروا فتاواهم بوجوب السمع والطاعة لفرعون وحرمة الخروج عليه والصبر وإن جلد ظهرك وأخذ مالك، ولحرموا على موسى وهارون نصح فرعون والذهاب إليه لإخراج الأسرى، ولحرموا أيضا اختفاء موسى هروبه من فرعون، إلى آخر هذه المهازل والحماقات.

ووالله إن بعض هذه الدويلات التي اتهمنا مباحث آل سعود بتكفيرها... إلى آخره، لهي أشد على الإسلام والمسلمين من دويلة يهود، وكفرها أشد من كفر اليهود والنصارى، وما فعلوه بالناس عموماً والمسلمين خصوصاً من قتل وتدمير وتشريد وانتهاك أعراض واغتصاب...، أعظم وأكبر مما فعلته دويلة يهود في كل تاريخها، ومثال على ذلك دويلة النصيرية المشركة من عهد حافظ الأسد إلى بشار الأسد، والكل يشاهد ويسمع ما يجري للناس في سوريا، وكذلك ما فعله معمر القذافي في ليبيا.

وها أنا أكتب ردي هذا وقد أعلنت فرنسا الصليبية حربها على (مالي) بمعاونة جميع الدويلات المحطية بها برا وجواً، وما نقموا منهم في شمال مالي إلا أنهم يؤمنون بالله العزيز

الحميد، وأنهم أقاموا شرع الله في الناس، وقضوا بالأقضية الشرعية وبالعدل، وكانوا مستقلين وليسوا تابعين للصليبيين، أحراراً وليسوا عبيداً، أخياراً وليسوا أشراراً، حفظوا أعراض الناس وأموالهم وممتلكاتهم، وما قتلوا المسلمين ولا عذبوا ولا دمروا البيوت ولا شردوا الناس ولا روعوهم، وأزالوا الأضرحة والأوثان، وهذا الذي نقموه منهم؛ الحكم بالإسلام وشريعته، ولذا وصفوهم بالإرهاب وغيره من الأوصاف.

وفي المقابل يشاهدون ما يفعله بشار الأسد الطاغية في سوريا منذ سنتين من جرائم وتدمير وإرهاب وفظائع وتعذيب ودك للمدن والقرى وهدم للمساجد وانتهاك للأعراض... إلى آخره مما هو معلوم للخاصة والعامة، ومع ذلك لم يهاجموه ولم يغزوه ولم يصفوه بالإرهاب، بل وصفوا الذي يدافع عن المسلمين هناك ويحميهم وينصرهم ويغيثهم ويقف في وجه الظلم والطغيان بالإرهاب.

وكما قال الشاعر:

حكامنا ضيعونا حينما فسقوا ... باعوا المآذن والقرآن والدينا
أعداؤنا من أضاعوا السيف من يدنا ... وأودعونا سجون الليل تطوينا

وهذا الذي يسمونه في أقصى المغرب بأمير المؤمنين – زعموا – والقرشي، يستمد النصارى ويفتح الأجواء لفرنسا الصليبية لتقصف المسلمين في (مالي)، وصدق الشاعر حيث يقول في قرشي (الأردن والمغرب) أتباع أبي جهل وأبي لهب وصناديد قريش وطواغيتها:

قريشيون لكنا بغير الله نعتصم ... ونستدني كلاب الأرض في المحراب تنتظم
فبئر النفط بدلنا أعاريبا مشرذمة ... وقبلته لها نسعى وما بسواه نلتزم
قريشيون لكنا بنا نسب يدنسنا ... مسيلمة جرى فينا ومن سبأ أتى
غدا الإسلام في يدنا براميلاً ندحرجها ... وظل البيت يلعننا لأنا أمة غنم
عبدنا الله لكنا نحب اللات والعزى ... وأصغينا لقول الله يعلو سمعنا الصم

حملنا الإثم والعدوان فوق البر والتقوى ... تواصينا بغير الحق ليس يضمنا رحم
وخاصمنا كتاب الله ألقيناه ظهرياً ... وأصبحنا وأمسينا مع الظلمات
ونذبح دونما ثمن ونفنى دونما أثرٍ ... ويلعننا تراب الأرض يحيا بيننا العدم
تبعثرنا على الأيام لا ندري لنا شرفاً ... تلاصقنا بوحل الأرض لا يعلو لنا
وشاهت كل باسمة تلوث طهرها يدنا ... وكأس عذابنا المنكود فوق الرأس
خرجنا من فجاج الأرض في حمأٍ به ... ودين الله في الأنحاء لا تسمو به رمم
وعدنا من غثاء السيل يأبى الكل ... فليس جفاننا المملوء بالأقذار يلتهم

وإذا كان الله عز وجل قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر:١١-١٣] فسمى هؤلاء الذين يعدون بالكلام ولا يوفون حقيقة بإخوان الكفار، حيث قال: ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ﴾؛ فكيف بمن كان معهم على المسلمين اعتقاداً وأقوالاً وأفعالاً، يفتح لهم البر والبحر والجو كما يجري الآن مع فرنسا، وهم يتسابقون في دعمها وإمدادها وإرسال الأموال والرجال لحرب المسلمين في مالي.

وصدق الشاعر إذ يقول عن صورة من صور حرب المسلمين في هذا الزمان في أرض البلقان وهي تشابه ما يجري بكثير من الحروب الصليبية المعاصرة في أكثر من مكان في الجراح والآلام والنتائج:

ناديكم وقد كثر النحيب ... ناديكم ولكن من يجيب
ناديكم وآهات الثكالى ... تحدثكم بما اقترف الصليب
سراييفو تقول لكم ثيابي ... ممزقة وجدراني ثقوب
محاربي تئن وقد تهاوى ... على أركانها القصف الرهيب

وأوردتي تُـقـطـع لا لأنـي جنيت ولا لأنـي لا أتـوب
ولكني رفعت شـعـار ديـنٍ يضيق بصدق مبدئه الـكـذوب
لنا في أرضـنـا نهر ومـاءٌ وروض في مرابعنا خـصـيب
لنا بيت وأطفـال ولـكـن محت آثار منزلنا الخـطـوب
بنات المسلمين هنا سبـايـا وشمس المكرمات هـنـا تغيب
تبيت كريمة ليلى وتصـحو وقد ألغى كـرامـتـهـا الـغريب
تخبئ وجهها يا ليت شـعري بماذا ينطق الـوجـه الـكئيب
يموت الطفل في أحضـان أم تهدهده وقـد جـف الـحـليب
بكت حزناً عليه بغير دمـع وأين الدمع والـظـمأ النصيب
سل الفجر الذي لم يبد فيـنا لماذا لا يغنّي الـعـنـدلـيـب
بني الإسـلام هذي حرب كـفر لها في كل ناحيـة لـهـيـب
يحركهـا اليهود مع النصـارى فقولوا لي متى يصـحـو اللبيب

نعم إنها حرب كفر يحركها اليهود مع النصارى، ويعينهم ويناصرهم المرتدون العرب والعجم، الذين يعيب علينا آل سعود والمباحث قولنا بأن كفرهم أغلظ من كفر الكافر الأصلي، وأوردوا في أوراق الدعاوى مسألة: (أن الكافر المرتد كفره أغلظ من كفر الكافر الأصلي) كأنا نحن من قال بها واخترعناها وابتدعناها، مع أنها مسألة مشهورة معلومة مستقرة عند أهل العلم بالإسلام قديماً وحديثا.

يقول ابن تيمية رحمه الله في "الفتاوى الكبرى (٣/٥٥٠)": "وقد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من أوجه متعددة، منها: أن المرتد يقتل بكل حال ولا يضرب عليه جزية ولا تعقد له ذمة، بخلاف الكافر الأصلي، ومنها: أن المرتد يقتل وإن كان عاجزاً عن القتال، بخلاف الكافر الأصلي الذي ليس هو من أهل القتال فإنه لا يقتل عند أكثر العلماء كأبي حنيفة ومالك وأحمد، ولهذا كان مذهب الجمهور أن المرتد يقتل

كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد، ومنها: أن المرتد لا يرث ولا يناكح ولا تؤكل ذبيحته، بخلاف الكافر الأصلي، إلى غير ذلك من الأحكام.

وإذا كانت الردة عن أصل الدين أعظم من الكفر بأصل الدين، فالردة عن شرائعه أعظم من خروج الخارج الأصلي عن شرائعه، ولهذا كان كل مؤمن يعرف أحوال التتار ويعلم أن المرتدين الذين فيهم من الفرس والعرب وغيرهم شر من الكفار الأصليين من الترك ونحوهم، وهم بعد أن تكلموا بالشهادتين مع تركهم لكثير من شرائع الدين خير من المرتدين من الفرس والعرب وغيرهم.

وبهذا يتبين أن من كان معهم ممن كان مسلم الأصل هو شر من الترك الذين كانوا كفاراً؛ فإن المسلم الأصلي إذا ارتد عن بعض شرائعه كان أسوأ حالاً ممن لم يدخل بعد في تلك الشرائع، مثل مانعي الزكاة وأمثالهم ممن قاتلهم الصديق، وإن كان المرتد عن بعض الشرائع متفقهاً أو متصوفاً أو تاجراً أو كاتباً أو غير ذلك؛ فهؤلاء شر من الترك الذين لم يدخلوا في تلك الشرائع وأصروا على الإسلام.

ولهذا يجد المسلمون من ضرر هؤلاء على الدين ما لا يجدونه من ضرر أولئك، وينقادون للإسلام وشرائعه وطاعة الله ورسوله أعظم من انقياء هؤلاء الذين ارتدوا عن بعض الدين ونافقوا في بعضه، وإن تظاهروا بالانتساب إلى العلم والدين.

وغاية ما يوجد من هؤلاء يكون ملحداً نصيرياً أو إسماعيلياً أو رافضياً، وخيارهم يكون جهمياً إتحادياً أو نحوه، فإنه لا ينضم إليهم طوعاً من المظهرين للإسلام إلا منافق أو زنديق أو فاسق فاجر، ومن أخرجوه معهم مكرهاً فإنه يبعث على نيته، ونحن علينا أن نقاتل العسكر جميعه؛ إذ لا يتميز المكره من غيره". انتهى كلامه.

ولا أدري ما هو الكفر البواح عند المباحث وعند شيوخ آل سعود الرسميين وغير الرسميين بعد كل هذه الحقائق والوثائق والأمور المشاهدة والمشهورة، ولكنه الإرجاء الغالي الذي يعجب الملوك ليفعلوا ما أرادوا وما شاؤوا، فهم عند هؤلاء كاملو الإيمان.

وكما قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية عن هذا المنهج المنحرف:

قالوا وإقرار العباد بأنه ... خلاقهم هو منتهى الإيمان
والناس في الإيمان شيء واحد ... كالمشط عند تماثل الأسنان
فاسأل أبا جهل وشيعته ومن ... والاهم من عابدي الأوثان
وسل اليهود وكل أقلف مشرك ... عبد المسيح مقبل الصلبان
واسأل ثمود وعاد بل سل قبلهم ... أعداء نوح أمة الطوفان
واسأل أبا الجن اللعين أتعرف ... الخلّاق أم أصبحت ذا نُكران
واسأل شرار الخلق أعني أمة ... لوطيةً هم ناكحو الذكران
واسأل كذاك إمام كل معطل ... فرعون مع قارون مع هامان
هل كان فيهم منكر للخالق الـ ... ـرب العظيم مكون الأكوان
فليبشروا ما فيهم من كافر ... هم عند جهم كاملو الأيمان

ثم إن الذي كتب أوراق هذه الدعاوى والتهم لو خص في كلامه دولته أو بعض الدول لكان خرج من ورطة أن هناك حكومات ودولًا يكفرها حتى شيوخ آل سعود، بل حتى المباحث حين جالسناهم في جلسات التحقيق كانوا يكفرون عدداً من الدول، ويذكرونها بما يذكره أكثر الناس مما اشتهر بينهم بكفرها وحربها للإسلام والمسلمين، بل إن بعض شيوخ آل سعود يصرح (بأن دولته الدولة الوحيدة التي تطبق الشريعة زعموا)، وهذا لو صدقناه للزم منه الحكم على بقية الدول بالكفر لأنها لا تحكم بشرع الله، فهل تحاكمونه على ذلك وتتهمونه بما تتهموننا به لنكون في الهواء سواء؟!

ثم إنه حتى في الملوك الذين لم يصلوا إلى مرحلة الكفر البواح وإنما جاروا وظلموا وقائع التاريخ وأحداثه تثبت أن جمع الأحاديث وأقوال العلماء في مسألة الخروج عليهم لا تنفع على الدوام وفي كل الأوقات ومع كل أحد، فسنة الله ماضية في الظالمين، وقد خرج الأمر عن عدد من الدول والممالك جزاء ما فعلوه أثناء ملكهم، وكثرت الفتن عليهم حين لم يقيموا دين الله واستهانوا بأمره، واستعبدوا الناس وأهانوهم، وعاملوهم كخدم، واستخدموا الدين لما يهوونه ويحبونه، ولم يخدموه ويقيموه على الوجه الذي أمر الله به ورسوله، وفسقوا في الأرض وأكثروا فيها الفساد، وأمروا بالمنكر ونهوا عن المعروف، وأكلوا الحرام وشربوه ولبسوه وسكنوه وركبوه، فأنى لمن كان هذا حاله أن يدوم له الأمر؟!

فالله ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب، وأخبر في كتابه عن مصير الأفراد والجماعات والدول والأمم إن أطاعوا وإن هم عصوه، وأخبر عن إهلاك القرون والقرى بالذنوب والظلم، وقص القصص وفصل الآيات، ونوع الطرائق تقريراً لهذا الأمر، فمن ذلك قول الله جل جلاله:

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف:١٠٠].

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ [طه:١٢٨].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [السجدة:٢٦].

وقال سبحانه: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ۝ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٤-٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾[مريم:٩٨].

وقال جلا جلاله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام:٦].

وقال سبحانه: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۝ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأحقاف:٢٥-٢٧].

وقال سبحانه: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٥-٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق:٨-٩].

وقال جل جلاله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء:١٦-١٧].

وقال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء:٥٨].

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه إن النبي ﷺ قال: ((إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته. ثم تلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢]" [رواه البخارى (٤٦٨٦) ومسلم (٢٥٨٣)].

وقال الله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ۝ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٦-١١٧].

والقرآن مليء بمثل هذا يصعب إحصاؤه واستقصاؤه في مثل هذا الموضع.

فما من مصيبة إلا بما كسبت أيدي الناس، وإذا لم يحكم الخلفاء أو الملوك أو الأئمة بكتاب الله وشرعه جعل الله البأس بين الناس والفتنة والقتال، وأكثر ما وقع في التاريخ من شرور وفتن وقتال خرج من بيوت الملوك الذين لم يحكموا بكتاب الله ولم يعرفوا من شرع الله إلا حديث ((اسمع وأطع وإن جلد ظهرك وأخذ مالك))، أو أحاديث الخوارج التي وظفوها شر توظيف واستخدموها شر استخدام ووضعوها في غير أهلها وأشهروها في وجه أهل الحق.

وكما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا الرسول ﷺ فقال: ((يا معشر المهاجرين، خمسٌ إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم

ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)) [١].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: ((ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، ولا فشت الفاحشة في قوم إلا أخذهم الله بالسنين، وما منع قوم الزكاة إلا منعهم الله القطر من السماء، وما جار قوم في حكم إلا كان البأس بينهم (أظنه قال: والقتل))) [٢].

وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما نقض قوم العهد قط إلا كان القتل بينهم، وما ظهرت فاحشة في قوم قط إلا سلط الله عز وجل عليهم الموت، ولا منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر)). [رواه الحاكم في المستدرك (٢٦٠٠) وصححه على شرط مسلم].

وهو كما قال، فهذه سنه الله التي لا تتبدل ولا تتغير، وقد قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر:٤٣].

وقد أخبر النبي ﷺ أن أول عروة تنقض من عرى الإسلام هي الحكم، وكان كما قال، وأخبر أن هلاك أمته من الأمراء السفهاء الغلمة وتعوذ بالله منهم، ومن يقرأ وقائع التاريخ وأحداثه قراءة منصف متجرد ويحللها تحليلاً علمياً وعملياً من جميع الجوانب يدرك لماذا وقعت كثير من الأحداث ولماذا خرج كثير من الصحابة والتابعين وأعلام الإسلام في القرن

---

[١] رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، وصححه الحاكم (٨٧٠١)، والبوصيري، وقال: حديث صالح العمل به. وإسناد الحاكم حسن وله طرق وشواهد.

[٢] رواه البيهقي موقوفاً بإسناد صحيح" وله حكم الرفع لأنه لا يقال من قبل الرأي وكما قال في ألفية الحديث:

وما أتى ومثله بالرأي لا يقال إذ عن سالف ما حُملا

الأول على يزيد بن معاوية وما تلا ذلك من أحداث عظام وكبار، وقد قال النبي ﷺ كما في حديث أبي أمامة رضي الله عنه: ((لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة)) [رواه أحمد (٢٢١٦٠) وصححه ابن حبان (٦٦٨٠) وإسناده جيد].

وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة: ((أعاذك الله من إمارة السفهاء))، قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: ((أمراء يكونون بعدي لا يقتدون بهديي ولا يستنون بسنتي، فمن يصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردوا عليّ حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردوا عليّ حوضي)) [رواه أحمد (١٤٤٤١،١٥٢٨٤) وصححه ابن حبان (١٧٢٠) وإسناده قوي على شرط مسلم].

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ أو دخل ونحن تسعة وبيننا وسادة من أَدَم، فقال: ((إنها ستكون بعدي أمراء يكذبون ويظلمون، فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد عليّ الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ويعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وهو وارد على الحوض)) [(١)].

وعن حذيفة رضي الله عن النبي ﷺ قال: ((إنها ستكون أمراء يكذبون ويظلمون، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولا يرد عليّ الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد عليّ الحوض)). [رواه أحمد (٢٣٢٦٠) وإسناده صحيح على شرط الشيخين].

[(١)] رواه أحمد (١٨١٢٦) والترمذي (٢٢٥٩) والنسائي (٤٢٠٧، ٤٢٠٨) وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وصححه ابن حبان (٢٨٢،٢٨٣،٢٨٥) وإسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((سيكون أمراء بعدي يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون)). [رواه أحمد (٤٣٦٣) وصححه ابن حبان (١٧٧) وإسناده قوي].

وزاد ابن حبان: ((فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن لا إيمان بعده)).

قال عطاء بن يسار: "فحين سمعت الحديث منه انطلقت به إلى عبد الله بن عمر فأخبرته، فقال: أنت سمعت ابن مسعود يقول هذا كالمدخل عليه في حديثه قال عطاء: فقلت: هو مريض، فما يمنعك أن تعوده؟ قال: فانطلق بنا إليه، فانطلق وانطلقت معه فسأله عن شكواه، ثم سأله عن الحديث، قال: فخرج ابن عمر وهو يقلب كفه وهو يقول: ما كان ابن أم عبد يكذب على رسول الله ﷺ".

وعن سعيد بن عمرو بن سعيد قال: كنت جالساً مع أبي هريرة في مسجد النبي ﷺ بالمدينة ومعنا مروان، قال أبو هريرة: سمعت الصادق المصدوق يقول: ((هلكة أمتي على يدي غلمة من قريش))، فقال مروان: لعنة الله عليهم غلمة. فقال أبو هريرة: "لو شئت أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلت"، فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا بالشام فإذا رآهم غلماناً أحداثاً قال لنا: عسى أن يكونوا منهم، قلنا: أنت أعلم. [رواه البخاري (٧٠٥٨)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يهلك الناس هذا الحي من قريش))، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: ((لو أن الناس اعتزلوهم)) [رواه البخاري (٣٦٠٤) ومسلم (٢٩١٧)].

ورواه ابن حبان (٦٦٧٧) بإسناد صحيح بلفظ: ((هلاك أمتي على يدي غلمان سفهاء من قريش)).

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح عند شرحه لباب قول النبي ﷺ: ((هلاك أمتي على يدي أغيلمة سفهاء)) بعد أن ذكر الحديث السابق (٧٠٥٨): "وقد يطلق الصبي والغليم بالتصغير على الضعيف العقل والتدبير والدين ولو كان محتلماً، وهو المراد هنا، فإن الخلفاء

من بني أمية لم يكن فيهم من استخلف وهو دون البلوغ، وكذلك من أمروه على الأعمال، إلا أن يكون المراد بالأغيلمة أولاد بعض من استخلف فوقع الفساد بسببهم فنسب إليهم، والأولى الحمل على أعم من ذلك". انتهى كلامه.

وقال أيضاً رحمه الله: "هلاك هذه الأمة المراد بالأمة هنا أهل ذلك العصر ومن قاربهم، لا جميع الأمة إلى يوم القيامة" – إلى أن قال – "قال ابن بطال: جاء المراد بالهلاك مبيناً في حديث آخر لأبي هريرة أخرجه علي بن معبد وابن أبي شيبة من وجه آخر عن أبي هريرة رفعه: ((أعوذ بالله من إمارة الصبيان. قالوا: وما إمارة الصبيان؟ قال: إن أطعتموهم هلكتم – أي: في دينكم –، وإن عصيتموهم أهلكوكم – أي: في دناكم – بإزهاق النفس، أو بإذهاب المال، أو بهما)).

وفي رواية ابن أبي شيبة: أن أبا هريرة كان يمشي في السوق ويقول: "اللهم لا تدركني سنة ستين ولا إمارة الصبيان" وفي هذا إشارة إلى أن الأغيلمة كان في سنة ستين، وهو كذلك، فإن يزيد بن معاوية استخلف فيها وبقي إلى سنة أربع وستين فمات، ثم ولي بعده معاوية ومات بعد أشهر.

وهذه الرواية – أي رواية: ((هلاك أمتي على يدي غلمة من قريش)) تخصص رواية أبي زرعة عن أبي هريرة الماضية في علامات النبوة بلفظ: ((يهلك الناس هذا الحي من قريش))، وأن المراد بعض قريش وهم الأحداث منهم لا كلهم، والمراد أنهم يهلكون الناس بسبب طلبهم الملك والقتال لأجله فتفسد أحوال الناس ويكثر الخبط بتوالي الفتن، وقد وقع الأمر كما أخبر ﷺ.

وأما قوله: ((لو أن الناس اعتزلوهم)) محذوف الجواب وتقديره: لكان أولى بهم، والمراد باعتزالهم أن لا يداخلوهم ولا يقاتلوا معهم ويفرّوا بدينهم من الفتن، ويحتمل أن يكون (لو) للتمني فلا يحتاج إلى تقدير جواب.

ويؤخذ من هذا الحديث استحباب هجران البلدة التي يقع فيها إظهار المعصية فإنها سبب وقوع الفتن التي ينشأ عنها عموم الهلاك، قال ابن وهب عن مالك: تهجر الأرض التي يصنع فيها المنكر جهاراً، وقد صنع ذلك جماعة من السلف. انتهى كلامه.

ويزيد بن معاوية استخلف وكان عمره خمسة وثلاثين عاماً، وكان من الصحابة من هو أولى وأسن وأعلم وأعقل منه (ابن عمر، وابن عمرو، وابن عباس، والحسين بن علي، وابن الزبير، وغيرهم)، فكان أول الغلمة السفهاء.

يقول ابن حجر رحمه الله عن الحديث السابق: "قوله: ((فإذا رآهم غلماناً أحداثاً)) هذا يقوي الاحتمال الماضي وأن المراد أولاد من استخلف منهم، وأما تردده في أيهم المراد بحديث أبي هريرة فمن جهة كون أبي هريرة لم يفصح بأسمائهم، والذي يظهر أن المذكورين من جملتهم وأن أولهم (يزيد) كما دل عليه قول أبي هريرة: "رأس الستين وإمارة الصبيان"، فإن يزيد كان غالباً ينزع الشيوخ من إمارة البلدان الكبار ويوليها الأصاغر". انتهى كلامه.

وقد كانت ولاية يزيد أول بدعة ابتدعت للتوريث للأبناء، وقد أنكرها الكثير وشبهوها بالهرقلية والكسروية، ولذا وقع ما وقع من أحداث في عهده كقتل الحسين بن علي رضي الله عنه، ثم توالت الأحداث الضخام ولم يمهل يزيد فمات بغتة بعد قتله لأهل المدينة مصداقاً لحديث: ((لا يكيد اهل المدينة أحد)) السابق ذكره، وكذلك مسرف بن عقبة الذي قاد جيشه إلى المدينة مات في طريقة إلى مكة بعد قتل أهل المدينة، وكل من شارك في قتل الحسين بن علي لم يمهلوا طويلاً وقتلوا، وسلط عليهم المختار بن عبيد الكذاب وتتبعهم جميعاً.

ثم لما قام بني مروان وخرجوا على ابن الزبير بعد استخلاف من غالب الأمصار، وأتى عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف الثقفي وكان الظلم والبطش والقتل لم تستقر الأمور لبني مروان وخرج عليهم فيها جماهير علماء التابعين، وهكذا من أحداث تاريخية كبرى وفتن ماجت كموج البحر حتى قال الشاعر:

شـــربنـا الغيظ حتى لو سُـــقينـا دمـــاء بـــني أمـيـــة مـــا رويـنـــا

إلى أن خرج بنو العباس عليهم وقتلوهم وطاردوهم وأبادوهم وأبادوا خضراءهم في وقائع مشهورة ليس هذا مكان عرضها فكتب التاريخ تحدث بذلك، وإنما أردت من هذه الإشارات التأكيد على أن أكثر الفتن منشأها من الملوك والأمراء، وأن الخروج عليهم بسبب تصرفاتهم وقع في خير العصور ومن أكابر وأفاضل التابعين، كما قال الشوكاني رحمه الله في "نيل الأوطار(٤/٧٥٩)": "وقد استدل القائلون بوجوب الخروج على الظلمة ومنابذتهم بالسيف ومكافحتهم بالقتال بعموميات من الكتاب والسنة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا شك ولا ريب أن الأحاديث التي ذكرها المصنف في هذا الباب (أي باب الصبر على جور الأئمة من المنتقي) وذكرناها أخص من تلك العمومات مطلقاً، وهي متواترة المعنى كما يعرف ذلك من له أنسة بعلم السنة، ولكنه لا ينبغي لمسلم أن يحط على من خرج من السلف الصالح من العترة – أي من أهل البيت كالحسين بن علي وزيد بن علي بن الحسين وغيرهم – على أئمة الجور، فإنهم فعلوا ذلك باجتهاد منهم، وهو أتقى لله وأطوع لسنة رسول الله ﷺ من جماعة ممن جاء بعدهم من أهل العلم، ولقد أفرط بعض أهل العلم كالكرامية ومن وافقهم في الجمود على أحاديث الباب، حتى حكموا بأن الحسين السبط رضي الله عنه وأرضاه باغٍ على الخمير السكير الهاتك لحرم الشريعة المطهرة يزيد بن معاوية، فيا لله العجب من مقالات تقشعر منها الجلود ويتصدع من سماعها كل جلمود". انتهى كلامه.

يقول ابن حجر رحمه الله في فتح الباري عند حديث محمد بن جبير بن مطعم: "أنه بلغ معاوية وهو عنده في وفد من قريش، أن عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه سيكون ملك من قحطان، فغضب معاوية، فقام خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فإنه بلغني أن رجالاً منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله، فأولئك جهالكم، فإياكم والأماني التي تضل أهلها، فإني سمعت رسول الله يقول: إن هذا الأمر في قريش لايعاديهم أحد إلا كبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدين". [رواه البخاري (٧١٣٩)].

قال: "قوله: "ملك من قحطان" لم أقف على حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في ذلك وهل هو مرفوع أو موقوف"، ثم ذكر حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه)) [رواه البخاري (٧١١٧) ومسلم (٢٩١٠)].

ثم قال: "فإن كان حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً موافقاً لحديث أبي هريرة فلا معنى لإنكاره أصلاً، وإن كان لم يرفعه وكان فيه قدر زائد يشعر بأن خروج القحطاني يكون في أوائل الإسلام، فمعاوية معذور في إنكار ذلك عليه... وقال ابن بطال: سبب إنكار معاوية أنه حمل حديث عبد الله بن عمرو على ظاهره، وقد يكون معناه أن قحطانياً يخرج في ناحية من النواحي فلا يعارض حديث معاوية، والمراد بالأمر في حديث معاوية الخلافة كذا قال، ونقل عن المهلب أنه يجوز أن يكون ملك يغلب على الناس من غير أن يكون خليفة، وإنما أنكر معاوية خشية أن يظن أحد أن الخلافة تجوز في غير قريش، فلما خطب بذلك دل على أن الحكم عندهم كذلك إذ لم ينقل أن أحدا منهم أنكر عليه.

قلت: ولا يلزم من عدم إنكارهم صحة إنكار معاوية ما ذكره عبد الله بن عمرو، فقد قال ابن التين الذي أنكره معاوية في حديثه ما يقويه لقوله: ((ما أقاموا الدين))، فربما كان فيهم من لا يقيمه فيتسلط القحطاني عليه وهو كلام مستقيم".

إلى أن قال: "قوله: "التي تضل أهلها" ومناسبة ذكر ذلك تحذير من يسمع من القحطانيين من التمسك بالخبر المذكور فتحدثه نفسه أن يكون هو القحطاني، وقد تكون له قوة وعشيرة فيطمع في الملك ويستند إلى هذا الحديث فيضل لمخالفته الحكم الشرعي في أن الأئمة من قريش – إلى أن قال: وهو المطلوب والمقصود من هذا النقل – "قوله: ((ما أقاموا الدين)) أي مدة إقامتهم أمور الدين، قيل يحتمل أن يكون مفهومه فإذا لم يقيموه لا يسمع لهم، وقيل يحتمل أن لا يقام عليهم، وإن كان لا يجوز إبقاؤهم على ذلك. ذكرهما ابن التين، ثم قال: وقد أجمعوا أنه أي الخليفة إذا دعا إلى كفر أو بدعة أنه يقام عليه، واختلفوا إذا غصب الأموال وسفك الدماء وانتهك هل يقام عليه أو لا". انتهى.

وما ادعاه من الإجماع على القيام فيما إذا دعا الخليفة إلى البدعة مردود، إلا إن حمل على بدعة تؤدي إلى صريح الكفر، وإلا فقد دعا المأمون والمعتصم والواثق إلى بدعة القول بخلق القرآن وعاقبوا العلماء من أجلها بالقتل والضرب والحبس وأنواع الإهانة ولم يقل أحد بوجوب الخروج عليهم بسبب ذلك، ودام الأمر بضع عشرة سنة حتى ولي المتوكل الخلافة فأبطل المحنة وأمر بإظهار السنة، وما نقله من الاحتمال في قوله: ((ما أقاموا الدين)) خلاف ما تدل عليه الأخبار الواردة في ذلك الدالة على العمل بمفهومه، أو أنهم إذا لم يقيموا الدين يخرج الأمر عنهم.

أقول: ويمكن أن يجاب عن مسألة عدم الخروج على ملوك بني العباس الثلاثة بمدى الإكراه الذي حصل، حتى إن عدداً من العلماء وافقهم على ذلك فقال الباطل وخاف على نفسه، فكيف يراد منه أن يقول بالخروج إذن لقتلوه فوراً هذا أولاً.

وثانيًا: أن الخروج يشترط لوجوبه القدرة، والعلماء كانوا في حال ضعف وعجز، وعليهم الرقابة، حتى إن الواثق لما أثار المحنة بعد أن هدأت حين كاد أحمد بن حنبل أن يتلف ويموت عام (٢٢٠) من شدة الضرب وكي لا يهيج الناس ولا تقوم العامة الهائجة خارج قصر المعتصم باضطراب لا يعرف كيف سبيل السيطرة عليه؛ أمر المعتصم بالإفراج عنه وهو يظن في نفسه أنه ميت لا محالة، فأفرج عنه عام (٢٢٠) وعافاه الله وشفاه وعاد للتحديث والفتيا وحضور صلاة الجمعة والجماعة إلى وفاة المعتصم عام (٢٢٧).

فلما ولي الواثق أثار المحنة مرة أخرى عام (٢٢٨) وأمر أن تدرس للصبيان في الكتاتيب، ضج الفقهاء والمحدثون لذلك وكادت أن تقع أمور وفتن واجتمع الناس عند أحمد وقصدوه وتكلموا في ذلك، فأمرهم أحمد بالصبر، فعلم الواثق بذلك فأرسل إلى أحمد بن حنبل: ألا يجتمعن إليك أحد، ولا تساكنّي بأرض ولا مدينة أنا فيها، فاذهب حيث شئت من أرض الله. فلزم الإمام أحمد بيته لا يخرج إلى صلاة ولا غيرها حتى هلك الواثق سنة (٢٣٢)، وولي المتوكل ورفعت المحنة بعد سنتين من ملكه أي سنة (٢٣٤).

وثالثًا: أنه وقع في عهود كثيرة وفي نواحي عدة ما هو أعظم من ذلك وأصرح من الكفر والشرك، وكان العلماء والصلحاء في حال من الضعف والعجز وقلة الأعوان ما لم يجعلهم يقولون بالخروج فضلاً عن أن يفعلوا، كما حصل مع دولة بني عبيد لأكثر من مائتي سنة، والتاريخ شاهد على ذلك، بل إن بعض العهود والأزمنة ضعف أهلها أن يقولوا ببعض الفروع أو المسائل التي ليست كمسألة الخروج على دولة قوية يخاف الإنسان على نفسه من بطشها.

كما قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية عن مسألة تفطير السماء:

وبسورة الشورى وفي مزمل ... سر عظيم شأنه ذو شان
في ذكر تفطير السماء فمن يرد ... علما به فهو القريب الداني
لم يسمح المتأخرون بنقله ... جبناً وضعفاً عنه في الإيمان
بل قاله المتقدمون فوارس الـ ... ـإسلام هم أمراء هذا الشان
ومحمد بن جرير الطبري في ... تفسيره حكيت به القولان

وكذلك قال رحمه الله:

والله لو قلنا الذي قال الصحا ... بة والألى من بعدهم بلسان
لرجمتمونا بالحجارة إن قدر ... تم بعد رجم الشتم والعدوان
والله قد كفرتم من قال بعض ... مقالهم يا أمة العدوان

وقال أيضاً رحمه الله مبيناً أن بعض الأئمة من العلماء عندما لم يقل بعض الأحاديث النبوية فليس كتماناً منهم، وإنما لأن عقول أهل زمانهم ضاقت بحمل دقائق الإيمان، فيقول:

والله ما قاله الأئمة غير كل ما ... قد قاله من غير ما كتمان
لكن لأن عقول أهل زمانهم ... ضاقت بحمل دقائق الإيمان
وغدت بصائرهم كخفاش أتى ... ضوء النهار فكف عن طيران

حتى إذا مـا الليـل جـاء ظلامـه أبصرته يسعى بكل مـكـــــان
وكذا عقولكم لو استشـــــــعرتم يا قوم كالحشرات والـــــفـــيران
أنست بإيحاش الظـــــــلام وما لها بمطالع الأنوار قـــط يـــدان

وعودة إلى كلام ابن حجر: "وقد ورد في حديث أبي بكر الصديق نظير ما وقع في حديث معاوية، ذكره محمد بن إسحاق في (الكتاب الكبير)، فذكر قصة سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر وفيها: فقال أبو بكر: وإن هذا الأمر في قريش ما أطاعوا الله واستقاموا على أمره.

وقد جاءت الأحاديث التي أشرت إليها على ثلاثة أنحاء:

الأول: وعيدهم باللعن إذا لم يحافظوا على المأمور به كما في الأحاديث التي ذكرتها في الباب الذي قبله، حيث قال: ((الأمراء من قريش ما فعلوا ثلاثا: ما حكموا فعدلوا... الحديث))، وفيه: ((فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله)) وليس في هذا ما يقتضي خروج الأمر عنهم.

الثاني: وعيدهم بأن يسلط عليهم من يبالغ في أذيتهم، فعند أحمد وأبي يعلى من حديث ابن مسعود رفعه: ((يا معشر قريش، إنكم أهل هذا الأمر ما لم تحدثوا، فإذا غيرتم بعث الله عليكم من يلحاكم كما يلحى القضيب))، ورجاله ثقات، إلا أنه من رواية عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عم أبيه عبد الله بن مسعود ولم يدركه، هذه رواية صالح بن كيسان عن عبيد الله، وخالفه حبيب بن أبي ثابت فرواه عن القاسم بن محمد بن عبد الرحمن عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي مسعود الأنصاري ولفظه: ((لا يزال هذا الأمر فيكم وأنتم ولاته)). [الحديث أخرجه أحمد].

وفي سماع عبيد الله من أبي مسعود نظر مبني على الخلاف في سنة وفاته، وله شاهد من مرسل عطاء بن يسار، أخرجه الشافعي والبيهقي من طريقه بسند صحيح إلى عطاء، ولفظه

قال لقريش: ((أنتم أولى الناس بهذا الأمر ما كنتم على الحق، إلا أن تعدلوا عنه فتلحون كما تلحى هذه الجريدة)) وليس في هذا أيضا تصريح بخروج الأمر عنه وإن كان فيه إشعار به.

الثالث: الإذن في القيام عليهم وقتالهم والإيذان بخروج الأمر عنهم، كما أخرجه الطيالسي والطبراني من حديث ثوبان رفعه: ((استقيموا لقريش ما استقاموا لكم، فإن لم يستقيموا فضعوا سيوفكم على عواتقكم فأبيدوا خضراءهم، فإن لم تفعلوا فكونوا زراعين أشقياء)) ورجاله ثقات، إلا أن فيه انقطاعا لأن راويه سالم بن أبي الجعد لم يسمع من ثوبان. وله شاهد في الطبراني من حديث النعمان بن بشير بمعناه.

وأخرج أحمد من حديث ذي مخبر بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الموحدة بعدهما راء، وهو ابن أخي النجاشي عن النبي ﷺ قال: ((كان هذا الأمر في حمير فنزعه الله منهم وصيره في قريش وسيعود إليهم)) وسنده جيد.

وأقول: هو في المسند هكذا: ((وسيعود إليهم)) قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: وكذا كان في كتاب أبي مقطع، وحيث حدثنا به تكلم به على الاستواء يعني: ((وسيعود إليهم)) وهو شاهد قوي لحديث القحطاني، فإن حمير يرجع نسبها إلى قحطان، وبه يقوى أن مفهوم حديث معاوية ما أقاموا الدين أنهم إذا لم يقيموا الدين خرج الأمر عنهم.

ويؤخذ من بقية الأحاديث أن خروجه عنهم إنما يقع بعد إيقاع ما هددوا به من اللعن أولا وهو الموجب للخذلان وفساد التدبير، وقد وقع ذلك في صدر الدولة العباسية، ثم التهديد بتسليط من يؤذيهم عليهم، ووجد ذلك في غلبة مواليهم بحيث صاروا معهم كالصبي المحجور عليه يقتنع بلذاته ويباشر الأمور غيره، ثم اشتد الخطب فغلب عليهم الديلم فضايقوهم في كل شيء حتى لم يبق للخليفة إلا الخطبة، واقتسم المتغلبون الممالك في جميع الأقاليم، ثم طرأ عليهم طائفة بعد طائفة حتى انتزع الأمر منهم في جميع الأقطار ولم يبق للخليفة إلا مجرد الاسم في بعض الأمصار" انتهى كلامه.

وقال ابن حجر رحمه الله أيضاً عند هذا الحديث (٣٥٠٠) في باب مناقب قريش: "وفي إنكار معاوية ذلك نظر، لأن الحديث الذي استدل به مقيد بإقامة الدين، فيحتمل أن يكون خروج القحطاني إذا لم تقم قريش أمر الدين، وقد وجد ذلك، فإن الخلافة لم تزل في قريش والناس في طاعتهم إلى أن استخفوا بأمر الدين فضعف أمرهم وتلاشى إلى أن لم يبق لهم من الخلافة سوى اسمها المجرد في بعض الأقطار دون أكثرها.

قال: وقول عبد الله بن عمرو ((يكون ملك من قحطان)) بين نعيم بن حماد في كتاب الفتن من وجه قوي عن عمرو بن عقبة بن أوس عن عبد الله بن عمرو أنه ذكر الخلفاء ثم قال: ((ورجل من قحطان)) وأخرجه بإسناد جيد، أيضا من حديث ابن عباس قال فيه: ((ورجل من قحطان كلهم صالح)) ثم ذكر حديث ذي مخبر الحبشي السابق" انتهى كلامه.

وصدق ابن القيم رحمه الله حيث قال في الكافية الشافية:

عـزلـوه في المـعـنى وولـوا غـيره كأبي الربيع خليفة السـلـطان
ذكروه فوق منابرٍ وبـسـكـةٍ رقـمـوا اسمـه في ظـاهـر الأثمـان
والأمر والنهي المطاع لغـيره ولمتهدٍ ضربت بـذا مـثـلان

والحاصل أن ثبوت الخلافة في قريش مقيد بإقامة الدين وأداء الأمانة والوفاء بالعهد والعدل في الحكم ورحمة المسلمين، فإذا فعلوا ذلك دام الأمر لهم، وإذا حادوا عنه نزعه الله منهم – كما هو الحال في هذا الزمان –، وإذا أرادوا إعادته فطريق ذلك ما جاء في حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((الأئمة من قريش إذا استرحموا رحموا، وإذا عاهدوا وفوا، وإذا حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)) [رواه أحمد (١٩٧٧٧) وإسناده قوي].

وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الأمراء من قريش، الأمراء من قريش، الأمراء من قريش، لي عليهم حق، ولهم عليكم حق ما فعلوا ثلاثاً: ما حكموا فعدلوا،

واسترحموا فرحموا، وعاهدوا فوفوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)) [رواه أحمد (١٩٨٠٥) وإسناده قوي].

فإذا كان هذا في قريش فكيف بغيرهم ممن لا يقيم دين الله، ولا يحكم بشريعة الإسلام، ولا يدفع عن الإسلام والمسلمين، ولا يعتني بالجهاد في سبيل الله، بل يحاربه تحت مسمى (حرب الإرهاب)، ولا يطبق الحدود، بل يهرب ويتحايل للخلاص من تطبيقها، ولا يأمر بالمعروف، بل يأمر بالمنكر ولا ينهى عن المنكر، بل ينكر المعروف، ولا ينصر المظلوم، ولا يقمع الكفر، والإسلام في وادٍ وهو في وادٍ آخر، والعبودية لأمريكا ودول الصليب ديدنه.

ولو تأمل العالم وطالب العلم شروط الإمامة ومتعلقاتها ونظر إلى واقع هذه الدويلات والأسر والعوائل التي تحكم؛ لرأى البون الشاسع، وأن هذه الدويلات يجب جهادها والخروج عليها بالكتاب والسنة والإجماع المعتبر، لا إجماع شيوخ الدويلات الذين لو خرج لهم فرعون لسمعوا له وأطاعوا وإن جلد ظهورهم وأخذ أموالهم وقال ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد وما علمت لكم من إله غيري وأنا ربكم الأعلى... إلى آخر طغيانه وجبروته.

يقول السفاريني رحمه الله في الدرة المضيئة في عقد أهل الفرقة المرضية: (الباب السادس: في ذكر الإمامة ومتعلقاتها):

ولا غنى لأمة الإسلام ... في كل عصر كان عن إمام
يذب عنها كل ذي جحود ... ويعتني بالغزو والحدود
وفعل معروف وترك نكر ... ونصر مظلوم وقمع كفر
وأخذ مال الفيء والخراج ... ونحوه والصرف في منهاج
ونصبه بالنص والإجماع ... وقهره فحل عن الخداع
وشرطه الإسلام والحرية ... عدالة سمع مع الدرية
وأن يكون من قريش عالماً ... مكلفاً ذا خبرة وحاكماً
وكن مطيعاً أمره فيما أمر ... ما لم يكن بمنكر فيحتذر

(تهمة السعي لمقاتلة المستأمنين والمعاهدين في جميع أنحاء العالم)

لقد تبين مما مضى أن مقصود المباحث وكاتب هذه الأوراق والتهم بالمعاهدين والمستأمنين من دخل إلى بلاد المسلمين بالطائرات والدبابات والمدمرات والبوارج وحاملات الطائرات وناقلات الجند والأسلحة الخفيفة والمتوسط والثقيلة، وفتحوا القواعد البرية والبحرية والجوية من الغزاة الصليبين المحتلين لجزيرة العرب وغيرها من بلاد المسلمين، وهذا هو الافتراء والكذب على الله وعلى رسوله وعلى الإسلام والمسلمين، وقلب الحقائق ووضع المصطلحات الشرعية المحترمة في غير موضعها.

وقد تقدم فيما مضى بيان احتلال أمريكا لبلاد المسلمين ووجوب جهادها وحربها وإخراجها، وأن الأمريكان المتواجدين في هذه القواعد العسكرية هم محاربون مقاتلون محتلون لبلادنا عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، وأن وصفهم بالمستأمنين والمعاهدين من البلاهة والحماقة التي لا تستاغ، وقد قرر الفقهاء أن العدو إذا نزل بلداً من بلاد المسلمين فإنه يجب على أهله قتالهم ودفعهم، فقال ابن قدامة رحمه الله في "المغني (٨/١٣)": "ويتعين الجهاد في ثلاثة مواضع – إلى أن قال – الثاني: إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم". انتهى كلامه.

وأمريكا نزلت جزيرة العرب واحتلتها فالواجب على المسلمين إخراجها، ثم هي احتلت أفغانستان والعراق من جزيرة العرب كما سبق إيضاحه وتفصيله، وقواعدها قواعد حربية، وجنودها حربيون محاربون وليسوا معاهدين ولا مستأمنين، وقد قال ابن القيم رحمه الله في "أحكام أهل الذمة (٢/٤٧٦)": "الكفار إما أهل حرب وإما أهل عهد؛ وأهل العهد ثلاثة أصناف: أهل ذمة، وأهل هدنة، وأهل أمان – ثم قال – وأما المستأمن فهو الذي يقدم بلاد المسلمين من غير استيطان لها، وهؤلاء أربعة أقسام: رسل، وتجار، ومستجيرون حتى يعرض عليهم الإسلام والقرآن، فإن شاؤوا دخلوا فيه، وإن شاؤوا رجعوا إلى بلادهم، وطالبوا حاجة من زيارة، أو غيرها". انتهى كلامه.

والأمريكان ليسوا بأهل ذمة وليس بينهم وبين المسلمين هدنة، وإنما بينهم وبين صنائعهم وعملائهم وكرزاياتهم اتفاقات وعهود سرية وخفية لا تلزم المسلمين ولا تعنيهم في شيء، والخونة ليسوا أمناء على بلدان المسلمين، وكما قيل: (عطاء من لا يملك لمن لا يستحق).

ثم إن المسلمين المجاهدين بقيادة الشيخ الإمام أسامة بن لادن رحمه الله ليس بينهم وبين أمريكا عهد، بل الحرب معلنة بين الطرفين، وأمريكا أعلنت أنها ستقاتل المسلمين المجاهدين في كل مكان من العالم وفعلت ذلك عملياً، حتى إنها تدخل البلدان بلا استئذان وتخترق الأجواء بطائراتها لقتل المسلمين فيها كما حصل في باكستان واليمن والصومال، وكذلك المسلمون المجاهدون يعاملونها بالمثل، والله عز وجل يقول: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ [النحل:١٢٦].

ثم إن عهود آل سعود لا تلزم الشيخ الإمام أسامة بن لادن رحمه الله ولا الشيخ أيمن الظواهري ولا بقية المسلمين المجاهدين في خارج حدود آل سعود، وهذا لو تنزلنا مع الخصم وقلنا بإسلام دويلة آل سعود وبصحة عهودها وعقودها فالشيخ أسامة بن لادن رحمه الله من عشرات السنين وهو خارج حدود آل سعود، وقد تبرؤوا منه وسحبوا ما يسمى بالجنسية عنه، وهو تبرأ منهم كذلك.

وقد قال ابن القيم رحمه الله في فوائد قصة أبي بصير رضي الله عنه في (زاد المعاد في هدى خير العباد): "ومنها: أن المعاهدين إذا عاهدوا الإمام فخرجت منهم طائفة، فحاربتهم وغنمت أموالهم، ولم يتحيزوا إلى الإمام، لم يجب على الإمام دفعهم عنهم ومنعهم منهم، وسواء دخلوا في عقد الإمام وعهده ودينه أو لم يدخلوا، والعهد الذي كان بين النبي ﷺ وبين المشركين لم يكن عهدا بين أبي بصير وأصحابه وبينهم، وعلى هذا فإذا كان بين بعض ملوك المسلمين وبعض أهل الذمة من النصارى وغيرهم عهد جاز لملك آخر من ملوك المسلمين أن يغزوهم ويغنم أموالهم إذا لم يكن بينه وبينهم عهد، كما أفتى به شيخ الإسلام في نصارى ملطية وسبيهم، مستدلا بقصة أبي بصير مع المشركين" انتهى كلامه.

فالشيخ أسامة بن لادن رحمه الله قد استقر في أفغانستان وأدار حربه مع أمريكا من بعيد عن آل سعود، وله بأبي بصير أسوة، وقد أقر النبي ﷺ أبا بصير بقوله: ((ويل أمه مسعر حربٍ لو كان له أحد)) [رواه البخاري (٢٧٣٤)].

قال ابن حجر في الفتح: "قال الخطابي: كأنه يصفه بالإقدام في الحرب والتسعير لنارها... وقوله: ((لو كان له أحد)) أي ينصره ويعاضده ويناصره، وفي رواية الأوزاعي: ((لو كان له رجال)) فلقنها أبو بصير، فانطلق، وفيه إشارة إليه بالفرار لئلا يرده إلى المشركين، ورمز إلى من بلغه ذلك من المسلمين أن يلحقوا به، قال جمهور العلماء من الشافعية وغيرهم: يجوز التعريض بذلك لا التصريح كما في هذه القصة، والله أعلم". انتهى كلامه.

ثم إنه حتى لو كان بينهم عهود وعقود صحيحة أليس حرب أمريكا لأفغانستان كافياً لنقضها وإبطالها، أم إن عهودهم مع آل سعود مؤبدة وغير قابلة للنقض، وهذا ما لا تقره الشريعة، فكيف إذا جمعنا مع ذلك غزو العراق ودعم اليهود وحرب الصومال وتمزيق المصاحف واعتقال المسلمين في سجن غوانتانامو وأبي غريب وما جرى فيهما من تعذيب وانتهاكات إلى آخره مما هو معلوم ومشهور لعموم الناس، وكيف وهم يطعنون في دين الإسلام ويسخرون من نبينا ﷺ، وقد قال الله جل جلاله: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۝ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:١٢-١٥].

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٤/١٦٣٠-١٦٣١)": "يقول تعالى إن نكث هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم على مدة معينة أيمانهم، أي: عهودهم ومواثيقهم ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ أي: عابوه وانتقصوه. ومن هاهنا أخذ قتل من سب الرسول، صلوات الله وسلامه

عليه، أو من طعن في دين الإسلام أو ذكره بتنقص - إلى أن قال - وهذا أيضا تهييج وتحضيض وإغراء على قتال المشركين الناكثين لأيمانهم، الذين هموا بإخراج الرسول من مكة... - إلى أن قال - وقيل: المراد نقضهم العهد وقتالهم مع حلفائهم بني بكر لخزاعة أحلاف رسول الله ﷺ، حتى سار إليهم رسول الله ﷺ عام الفتح، وكان ما كان، ولله الحمد". انتهى كلامه.

ونقض قريش للعهد بأنهم رفدوا بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً، يقول ابن هشام رحمه الله في "السيرة النبوية (٦٦٦-٦٦٧)": "قال ابن إسحاق: فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة، وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة، وكان في عقده وعهده، خرج عمرو بن سالم الخزاعي ثم أحد بني كعب، حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، وكان ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس، فقال:

يا رب إني ناشد محمدا ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتم ولداً وكنا والداً ... ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصراً أعتدا ... وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا ... إن سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا ... إن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا ... وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا ... وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا ... وقتلونا ركعا وسجدا

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: ((نصرت يا عمرو بن سالم))، ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان من السماء فقال: ((إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب))، ثم خرج بديل

بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة فأخبروه بما أصيب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم" انتهى كلامه.

فإذا كان المساعدة بالسلاح وبالرجال خفية وبالليل نقضاً للعهد والعقد، فكيف بما يجري في زماننا من دعم أمريكا لدويلة يهود في بلاد الشام بكل شيء، ألا تعدون ذلك نقضاً للعهود والمواثيق مع أمريكا، فكيف وآل سعود وبقية الآلات يساعدون أمريكا في حروبها على بلاد المسلمين – وقد سبق بيان ذلك بالتفصيل –، وإذا كان بنو قينقاع من يهود المدينة كان نقضهم للعهد من أجل امرأة مسلمة اعتدوا عليها وكشفوا ثيابها وجرى ما جرى وأجلاهم ﷺ، وكذلك بنو النضير من أجل مؤامراتهم لإلقاء صخرة على النبي ﷺ، وكذلك بنو قريظة حين مالؤوا الأحزاب ودعوا قريشاً لحرب رسول الله ﷺ قاتلهم بعد الأحزاب وقتل رجالهم وسبى ذراريهم ونسائهم وقسم أموالهم وكان ما كان في أحداث طويلة ومشهورة جاء بها القرآن وسنة النبي ﷺ وذكرها علماء السير وتكلم حولها المفسرون كما في سورة آل عمران والأحزاب والحشر وغيرها، وإذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أجلى يهود خيبر من أجل ابن عمر حين فدعت يداه ورجلاه – كما سبق بيانه –، فكيف بحال أمريكا اليوم وقد فعلت الأفاعيل وجيشت الجيوش وحزبت الأحزاب وسيرت الأساطيل، ألا تعدون ذلك كله نقضاً للعهود والمواثيق؟! ومتى تنقض العهود عند آل سعود، وما هي العهود والمواثيق المبرمة مع أمريكا، كل ذلك يجري بغير دليل ولا برهان ولا كتاب ولا سنة ولا إجماع، وإنما هو كما قال الشاعر:

تعدون قتلاً في الحرام عظيمة ... وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد ... وكفر به والله راء وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهله ... لئلا يرى لله في البيت ساجد

وأما نحن فليس بينا وبين أمريكا عهد ولا ميثاق، بل نحن حرب لها وهي حرب لنا، نقاتلها فوق كل أرض وتحت كل سماء، ولو لم يكن عندنا من الأدلة إلا المعاقبة بالمثل لكفانا،

فكيف وعندنا كتاب الله وسنة رسوله وسيرة خلفائه وأصحابه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨].

يقول "ابن كثير رحمه الله في تفسيره (١٦٠٠/٤)": "يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ قد عاهدتهم ﴿خِيَانَةً﴾ أي: نقضاً لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: عهدهم ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ أي: أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم وهم حرب لك، وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء أي: تستوي أنت وهم، في ذلك قال الراجز:

فاضرب وجوه الغدر الأعداء حتى يجيبوك إلى السواء" أ.هـ

وأمريكا عدو صائل على الإسلام والمسلمين يجب دفعه ولو بالأظفار والأسنان، ومن سماهم بالمعاهدين والمستأمنين هو من المجرمين الكاذبين الذين لا يستحون من الله ولا رسوله ولا من الناس.

وكما قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

موتوا بغيظكم فربي عالم بسرائر منكم وخبث جنان
فالله ناصر دينه وكتابه ورسوله بالعلم والسلطان
والحق ركن لا يقوم لهده أحد ولو جمعت له الثقلان

يقول ابن تيمية رحمه الله في "الفتاوى الكبرى (٥٥٤/٣)": "وإذا كانت السنة والإجماع متفقين على أن الصائل المسلم إذا لم يندفع صوله إلا بالقتل قتل وإن كان المال الذي يأخذه قيراطا من دينار. كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: ((من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون حرمه فهو شهيد)) فكيف بقتال هؤلاء الخارجين عن شرائع الإسلام المحاربين لله ورسوله الذين صولهم وبغيهم أقل ما فيهم.

فإن قتال المعتدين الصائلين ثابت بالسنة والإجماع، وهؤلاء معتدون صائلون على المسلمين في أنفسهم وأموالهم وحرمهم ودينهم، وكل من هذه يبيح قتال الصائل عليها، ومن قتل دونها فهو شهيد، فكيف بمن قاتل عليها كلها". انتهى كلامه.

وأخيراً:

كما قال الشاعر:

قالوا لنا أرضُنا أرض مباركةٌ ... فيها الهُدى والتُقى والوَحيُ والرُّسلُ
مالي أراها وبحر الزور يغرقها ... وأكبر الأمر في أرجائها دجل
لم يبرَحِ الدَّمُ في يومٍ مشانِقَها ... حتى المشانقُ قد ضاقت بِمَن قُتِلوا
يا لَعنَةَ الدَّم من يوماً يُطَهِّرها ... فالغدرُ في أهلها دِينٌ لَهُ مِللُ
في أي شيءٍ أمام الله قد عدلوا ... وكُلهم كاذِبٌ.. قالوا وما فعَلوا
هذا جبانٌ وهذا باعَ أُمتهُ ... وكلهم في حِمى الشيطان يبتهلُ
مِن يومِ أن مزَّقوا أحكام ملّتهم ... وثوبُنا الخِزي.. والبُهتان.. والزلَلُ
عَارٌ على الأرضِ كيف الزور ... كيف استوى عندها الكذاب والرَّجُلُ
يا وصمةَ العارِ هُزّي جِذعَ نخلتِنا ... يَسَّاقطُ القَهرُ والإرهاب والدَجَلُ
ما زالَ في القلبِ يَدمي جُرحُ قُرطبةٍ ... ومسجدٌ في كهوفِ الصمتِ يبتهلُ
فكم بكينا على أطلال قُرطبةٍ ... وَقُدسُنا لم تزل في العار تغتسلُ
في القُدسِ تبكي أمامَ الله مِئذَنةٌ ... ونهر دمعٍ على المحرابِ ينهمِلُ
وكعبةٌ تشتكي لله غربتها ... وتنزف الدمع في أعتاب من رحلوا
كانوا رِجالاً وكانوا للورى قبساً ... وجذوةً من ضمير الصدق تشتعِلُ
لم يبقَ شيءٌ لنا من بعدِ ما غربت ... شمس الرجال تساوى اللصُّ والبطلُ
لم يبقَ شيءٌ لنا من بعدِ ما سقطت ... كل القلاع تساوى السَّفحُ والجبلُ
في ساحة الملك أصنام مزركشة ... عصابة من رماد الصبح تكتحل

من أين تأتي لوجه الزور مَكْرُمةُ؟! وأنهرُ الملح.. هل ينمو بها الشجرُ؟!
القاتل الوغد...لا تحميه مسبحة حتى إذا قام وسط البيت يعتمرُ
في صفقة العمر دجال وسيدهُ وأمة في مزاد الموت تنتحرُ
يعقوب لا تبتئس.. فالذئب نعرفه من دم يوسف كل الأهل قد سكروا
أسماء تبكي.. أمام البيت في ألم وابن الزبير.. على الأعناق يحتضرُ
يا فارس الشعر.. قل للشعر معذرةً لن يسمع الشعر مَن بالوحي قد
وصح على القبر هذي أمة رحلتْ لم يبقَ من أهلها ذِكر ولا أثرُ

(تهمة انتهاج منهج الخوارج في الجهاد باعتقاده بعينية الخروج للقتال في مواطن الفتنة ودون اشتراط إذن ولي الأمر ورايته)

فأقول: في هذه التهمة عدة مغالطات وأكاذيب وتلبيسات، وذلك أن كاتب هذه التهم والدعاوي جاهل بالشرع والواقع ولا يحسن الصياغة والبيان، فمن ذلك:

- أنه سمى بلاد المسلمين التي احتلها الصليبيون بمساعدة دويلات العوائل والأسر في جزيرة العرب بمواطن الفتنة.

وهذا من السذاجة والحماقة وتسطيح الأمور؛ فالفتنة لفظ شرعي له تعريف ومعنى فقد قال حذيفة رضي الله عنه: "لا تضرك الفتنة ما عرفت دينك، إنما الفتنة إذا اشتبه عليك الحق والباطل". [رواه ابن أبي شيبة في مصنفه].

وقد ذكر أئمة اللغة معاني الفتنة وأنها تأتي بمعنى الاختبار والامتحان، وتأتي بمعنى العذاب، والشدة، والكفر، والشرك، وهكذا. ولكن المراد هنا من كاتب هذه الدعاوى والتهم هو التباس الأمور واختلاطها، وهذا معنى سياق كلامه وعبارته، وهو يقصد بذلك أفغانستان والعراق بعد احتلال أمريكا لها وما جرى فيها من جهاد وقتال للصليبين هناك، وهذا من التلبيس والتزوير وخدمة أعداء المسلمين، فأمريكا والحلف الأطلسي ومن شاركهم في حربهم واحتلالهم لبلاد المسلمين هم أعداء وكفار (يهود ونصارى صليبيون) غزوا بلاد المسلمين، فرايتهم راية الكفر واضحة لا لبس فيها ولا غبار عليها إلا لمن طمس الله بصيرته وأعمى بصره.

يقول ابن تيمية رحمه الله في "الفتاوى الكبرى (٥٦١/٣)": "فالفتن مثل الحروب التي تكون بين المسلمين وطوائف المسلمين، مع أن كل واحدة من الطائفتين ملتزمة لشرائع الإسلام، مثل ما كان أهل الجمل وصفين وإنما اقتتلوا لشبهٍ وأمورٍ عرضت" انتهى كلامه.

وقال ابن حجر رحمه الله في الفتح عند حديث سعيد بن جبير رحمه الله قال: "خرج علينا عبد الله بن عمر فرجونا أن يحدثنا حديثاً حسناً، قال فبادرنا إليه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، حدثنا عن القتال في الفتنة والله يقول: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ فقال: هل تدري ما الفتنة؟ ثكلتك أمك إنما كان محمد ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول في دينهم فتنة، وليس كقتالكم على الملك". [رواه البخاري (٧٠٩٥)].

وقوله هنا: "وليس كقتالكم على الملك"؛ أي في طلب الملك، يشير إلى ما وقع بين مروان ثم عبد الملك ابنه وبين ابن الزبير وما أشبه ذلك، وكان رأي ابن عمر ترك القتال في الفتنة ولو ظهر أن إحدى الطائفتين محقة والأخرى مبطلة، وقيل الفتنة مختصة بما إذا وقع القتال بسبب التغالب في طلب الملك، وأما إذا علمت الباغية فلا تسمى فتنة وتجب مقاتلتها حتى ترجع إلى الطاعة، وهذا قول الجمهور" انتهى كلامه.

فالبلدان التي يحتلها الكفار ليست مواطن فتنة، وليس هناك اختلاط والتباس في كفرهم وعدواتهم للإسلام والمسلمين، وهنا يأتي قول ابن عمر: "إنما كان محمد ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول في دينهم فتنة"، وكذلك هذه البلدان إنما يقاتل أهلها الصليبين المحتلين وكان الدخول في دينهم فتنة، وقد قال الله جل جلاله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة:١٩٣، وسورة الأنفال آية ٣٩] أي قاتلوهم حتى لا يفتن مسلم عن دينه.

فترك أمريكا والحلف الأطلسي وعدم قتالها وجهادها هو الفتنة بعينها، لأنهم حينئذ يفتنون المسلمين ويعذبونهم ويقتلونهم ويأسرونهم ويغتصبون نسائهم وأعراضهم وينشرون الكفر والفساد ويحاربون الإسلام وأهله، ويمكنون للكفر والشرك وأهله، وهم يسعدون كثيراً حين يسمعون هذا المصطلح من المباحث وشيوخ آل سعود، وقد ذكروا ذلك وصرحوا به، بل قاموا بتوزيع فتاوى وبيانات مشايخ آل سعود من أمثال المفتي والفوزان والمطلق والعبيكان عبر الطائرات الأمريكية المقاتلة في العراق كما عرف ذلك واشتهر.

- ومن تلبيساتهم ومغالطتهم أنهم قالوا بأنا نقول: "بعينية الخروج للقتال في مواطن الفتنة".

فقد تحرر أن البلد التي يحتلها الكفار الغزاة ليست بمواطن فتنة بل هي مواطن جهاد حتى يتم إخراج الكافر المحتل الغازي، أما تعين الجهاد والقتال حين الاحتلال فهي من المسائل المشهورة المعلومة عند علماء المسلمين عبر القرون قرناً فقرناً، وليست هي من أقوال الخوارج كما يدعي هذا المدعي الجاهل، فقد قال ابن قدامة رحمه الله في "المغني (٨/١٣)": "فصل: ويتعين الجهاد في ثلاثة مواضع:

أحدها: إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف وتعين عليه المقام لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأنفال:٤٥] وقوله: ﴿وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال:١٥-١٦].

الثاني: إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم.

الثالث: إذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير معه لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة:٣٨]، والتي بعدها، وقال النبي ﷺ: ((إذا استنفرتم فانفروا)) [(١)]. انتهى كلامه.

وقد ألف عدد من أهل العلم مؤلفات في هذه المسألة، ومنهم الشيخ عبد الله عزام رحمه الله ألف كتاباً سماه (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان)، وجمع فيها أقوال أهل العلم من فقهاء الأمصار والمذاهب، وبين تفصيل الفقهاء في ذلك، وأنه إذا لم يكف أهل البلد يتعين على من يليهم وهكذا حتى تتم الكفاية.

[(١)] الحديث الذي ذكره حديث ابن عباس رواه البخاري (١٨٣٤) ومسلم (١٣٥٣).

يقول ابن قدامة رحمه الله في "المغني (١٣/٦-٨)": "مسألة: "قال والجهاد فرض على الكفاية، إذا قام به قوم، سقط عن الباقين" معنى فرض الكفاية، الذي إن لم يقم به من يكفي، أثم الناس كلهم، وإن قام به من يكفي، سقط عن سائر الناس.

فالخطاب في ابتدائه يتناول الجميع، كفرض الأعيان، ثم يختلفان في أن فرض الكفاية يسقط بفعل بعض الناس له، وفرض الأعيان لا يسقط عن أحد بفعل غيره والجهاد من فروض الكفايات، في قول عامة أهل العلم.

وحكي عن سعيد بن المسيب، أنه من فروض الأعيان، لقول الله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة:٤١].

ثم قال: وقوله سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [البقرة:٢١٦].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من النفاق)).

ولنا قول الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٥] وهذا يدل على أن القاعدين غير آثمين مع جهاد غيرهم.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢]، ولأن رسول الله ﷺ كان يبعث السرايا، ويقيم هو وسائر أصحابه.

فأما الآية التي احتجوا بها، فقد قال ابن عباس: نسخها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة:١٢٢] [رواه الأثرم وأبو داود (٢٥٠٥)] (١).

ويحتمل أنه أراد حين استنفرهم النبي ﷺ إلى غزوة تبوك وكانت إجابتهم إلى ذلك واجبة عليهم، ولذلك هجر النبي ﷺ كعب بن مالك وأصحابه الذين خلفوا حتى تاب الله عليهم بعد ذلك.

وكذلك يجب على من استنفره الإمام لقول النبي ﷺ: ((إذا استنفرتم فانفروا)) [متفق عليه البخاري (١٨٣٤) ومسلم (١٣٥٣)].

ومعنى الكفاية في الجهاد أن ينهض للجهاد قوم يكفون في قتالهم، إما أن يكونوا جنداً لهم دواوين من أجل ذلك، أو يكونوا قد أعدوا أنفسهم له تبرعاً بحيث إذا قصدهم العدو حصلت المنعة بهم، ويكون في الثغور من يدفع العدو عنها، ويُبعَث في كل سنة جيش يغيرون على العدو في بلادهم" انتهى كلامه.

ونحن بحمد الله نقول بهذا التفصيل الذي ذكره ابن قدامة وغيره من فقهاء المسلمين المعتبرين – رحمهم الله –، ولم نأت بجديد، بل لم نقل في مسألة إلا ولنا فيها إمام بل أئمة، كما قال ابن الجوزي – رحمه الله – في مناقب الإمام أحمد (١٧٨) أنه قال: "إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام" انتهى.

بخلاف شيوخ آل سعود الذين ينشئون البيانات ويلزمون غيرهم بأقوالهم التي ليس لهم فيها إمام، بل هي أقوال ما أنزل الله بها من سلطان مخالفة للشرع أو الواقع أو كليهما، وانظر إليهم حين احتل الروس النصارى أيام الاتحاد السوفيتي أفغانستان كيف كانوا يتكلمون عن الجهاد هناك وكيف كانوا يثنون على المجاهدين وعلى الشيخ أسامة بن لادن – رحمه الله –

---

(١) وفي إسناده علي بن الحسين بن واقد وفيه مقال و هو صدوق وقد حسنه ابن حجر في الفتح.

وأنهم أبطال وقتلاهم شهداء إلى آخر ما هنالك، بل كانوا يخطبون على المنابر ويذكرون بطولاتهم وتضحياتهم وأنهم السد المنيع للأمة إلى آخره مما هو معلوم مشهور، فلما احتلها الأمريكان النصارى والحلف الأطلسي الصليبي أصبح إرهاباً وتطرفاً وغلواً، وأصبح المجاهدون خوارج وقتلاهم ليسوا شهداء، مع أن البلد هو البلد، والمسلمون هناك هم المسلمون، والشيخ أسامة بن لادن – رحمه الله – هو الشيخ أسامة بن لادن؛ لم يبدل ولم يغير ولم ينكص ولم يتراجع، بل هو يترقى في مراتب الإحسان، يزداد بصيرة وتجربة ومعرفة بالأعداء، ووضوحاً وصفاءً للمنهج، كل سنة هو فيها أفضل وأحسن من التي قبلها، قد استبانت له سبيل المجرمين، واتضحت له طريق المخالفين والمخذلين، فثبت على الحق حتى لقي الله نحسبه والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً ممن قال الله فيهم: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢٣].

فلماذا كان قتال الروس جهاداً ومشروعاً وبطولة وتضحيةً وواجباً، بينما قتال الأمريكان إرهاباً وتطرفاً وغلوّاً وحرماً؟!

وكما قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

فيقال مالفرقان بينهما وما ... البرهان فأتوا الآن بالفرقان
والله لو نشرت شيوخك كلهم ... لم يقدروا أبداً على الفرقان
أفبعد ذا الإنصاف ويحكم سوى ... محض العناد ونخوة الشيطان
وتحيُّزٍ منكم إليهم لا إلى ... القرآن والآثار والإيمان

فالروس والأمريكان قوتان عظيمتان كافرتان نصرانيتان غازيتان محتلتان صليبيتان غزت أفغانستان على التوالي، رحلت الأولى ونزلت الثانية، فما الذي أحل جهاد الأولى وحرم جهاد الثانية؟ وما الدليل على ذلك من الكتاب والسنة؟ فإن قلتم إذنُ ولي الأمر وعنَيتُم بذلك آل سعود، فنسألكم هل آل سعود إمامتهم عظمى على كل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؟ فإن قلتم لا، قلنا: صدقتم، وإن قلتم: نعم، قلنا: الواقع والناس والعرف

والحقيقة والعالم يكذبكم في ذلك، فآل سعود أسرة وعائلة مع بقية الأسر والعوائل التي تتقاسم جزيرة العرب وفق رسم بريطانيا وفرنسا المعروف (بسايكس بيكو)، فحكمهم لا يتعدى هذه الحدود المرسومة لهم، وهم قد تغلبوا عليها وحكموها بدعم بريطانيا ثم أمريكا، وليس دولتهم بدولة خلافة قامت بشورى المسلمين كما قال عمر ﷺ: "لا خلافة إلا عن مشورة" [رواه ابن أبي شيبة في مصنفه]. وبقية البلدان ليست تحت حكمها ولا تعنيها في شيء، وإن احتلها الكفار والمحتلون أيًا كانوا فالمهم هو حدودهم وعرشهم وكراسيهم.

وهذا يذكرني بالقذافي الذي كان يحارب ويطارد الإسلام والمسلمين خدمة لأعداء الله ورسوله والمؤمنين، وطغى وبغى واستكبر في الأرض، ولم تكن تعنيه بلاد المسلمين لا أفغانستان ولا غيرها، بل يسجن ويقتل من يجاهد ويسافر لنصرة المسلمين، ويعين الصليبيين على المسلمين، ويرسلون له الأسرى ليعذبهم وينتزع الاعترافات منهم كما هو معلوم ومشهور وموثق، فلما تحرك الحلف الأطلسي عليه صاح وقال بأنها حرب صليبية والكفار الصليبيون وهدد وأرعد وأبرق وتوعد بعمليات داخل أوروبا، وتكلم عن الأندلس واسترجاعها، واستخدم المصطلحات الشرعية كالجهاد وغيرها للدفاع عن عرشه وكرسيه ومصالحه الخاصة، أما قبل ذلك فلا جهاد ولا استشهاد.

وكذلك بقية العوائل والأسر لا يعنيها الإسلام والمسلمون وبلادهم في شيء، وحتى لو سلمنا أن هناك دولة مسلمة تحكم بقعة من الأرض في مكان فلا يلزم بقية المسلمين خارج حدودها الاستئذان للجهاد والقتال للكفار المحتلين لبلادهم، بل يلزم كل ناحية الدفاع عن بلادهم ومقاتلة العدو القريب منهم على تفصيل يذكره الفقهاء – رحمهم الله تعالى –.

فهذا أبو بصير عتبة بن أسيد الثقفي حليف بني زهرة بعد صلح الحديبية بين المسلمين والمشركين وما اشترطته قريش على النبي ﷺ "وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا" القصة. وفيها: "ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين فخرجا

به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا جيداً، فاستله الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه فضربه حتى برد، وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو، فقال النبي ﷺ حين رآه: ((لقد رأى هذا ذُعْراً))، فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قُتِلَ والله صاحبي وإني مقتول. فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم، فقال النبي ﷺ: ((ويل أمه، مسعر حرب لو كان له أحد))، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل، فحلق بأبي بصير، فكان لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم، فمن أتاه منهم فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم. [رواه البخاري (٢٧٣٤، ٤١٥٨)].

وقال ابن هشام – رحمه الله – في "السيرة النبوية (٦١٧-٦١٦)": "ما جرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح: قال ابن إسحاق فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية وكان ممن حبس بمكة، فلما قدم رسول الله ﷺ كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة والأخنس بن شريف بن عمرو بن وهب الثقفي إلى رسول الله ﷺ، وبعثنا رجلاً من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم، فقدما على رسول الله ﷺ بكتاب الأزهر والأخنس فقال رسول الله ﷺ: ((يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً فانطلق إلى قومك))، قال: يا رسول الله، أتردني إلى المشركين يفتنوني في ديني؟ قال: ((يا أبا بصير، انطلق فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً)).

فانطلق معهما حتى إذا كان بذي الحليفة جلس إلى جدار، وجلس معه صاحباه، فقال أبو بصير: أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر، فقال: نعم، قال: انظر إليه، قال: انظر إن شئت، قال: فاستله أبو بصير ثم علاه به حتى قتله، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسول الله

ﷺ وهو جالس في المسجد، فلما رآه رسول الله ﷺ طالعاً قال: ((إن هذا الرجل قد رأى فزعاً))، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال: ((ويحك مالك)) قال: قتل صاحبكم صاحبي، فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف حتى وقف على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، وفت ذمتك، وأدى الله عنك، أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني أن أُفتن فيه أو يعبث بي، قال: فقال رسول الله ﷺ: ((ويل أمخ مِحشَّ حرب لو كان معه رجال))، ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام، وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبي بصير: ((ويل أمِّه محشَّ حرب لو كان معه رجال))، فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً، وكانوا قد ضيقوا على قريش لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه، ولا تمر بهم عير إلا اقتطعوها، حتى كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ تسأل بأرحامها إلا آواهم، فلا حاجة لهم بهم، فآواهم رسول الله ﷺ فقدموا عليه المدينة". انتهى كلامه.

وفي الإصابة في تمييز الصحابة ترجمة رقم (٥٣٩٩): أن أبا بصير كان يصلي وكان يكثر أن يقول:

الحمد لله العلي الأكبر من ينصُرِ الله فسوف يُنصَرِ

فلما قدم عليهم أبو جندل كان هو يؤمهم قال: ولما كتب النبي ﷺ إلى أبي جندل وأبي بصير أن يقدما عليه ورد الكتاب وأبو بصير يموت، فمات وكتاب النبي ﷺ في يده، فدفنه أبو جندل مكانه وصلى عليه". انتهى.

وقد انضم إليهم غير السبعين من قريش رجال من جهينة وغفار حتى بلغوا ثلاثمائة رجل وكان أميرهم أبو بصير فقاتلوا من غير استئذان، ولم يقل أحد من علماء المسلمين بأنهم خوارج، بل قبل العلماء نبي الإسلام ﷺ الذي كان بينه وبين قريش تلك الشروط وذلك الصلح لم يقل ذلك، وهذه صورة من الصور التي يكون فيها الجهاد في سبيل الله من غير

استئذان، فعلام يشترط استئذان آل سعود في الجهاد في سبيل الله، وكيف نستأذنهم وهم أكبر مظاهر ومناصر ومساعد لاحتلال بلاد المسلمين في أفغانستان والعراق كما تم بيانه وإيضاحه وتفصيله.

وهل يقول عاقل لا يجوز قتال الصليبيين في أفغانستان إلا إذا استأذن من كرزاي، أو لا يجوز قتال الصليبيين في العراق إلا إذا استأذن من نوري المالكي أو الطالباني والبرزاني؟ وهل صنائع الصليبيين وكرزايات الأمس واليوم أولياء أمر للمسلمين حتى يُستأذنوا في الجهاد والقتال أم يجب جهادهم وقتالهم؟ وهل يقول عاقل بأنه على المسلم الذي في قندهار وكابل وخوست وبغداد والرمادي أن يكتب إلى الأسرة والعائلة السعودية ليستأذنها في الدفاع عن دينه وعرضه وماله وبلده؟ فإن أذنوا وإلا فهو من الخوارج، وهل هذا إلا الحماقة التي أعيت من يداويها.

يقول ابن قدامة – رحمه الله – في "المغني (١٣/١٦-١٧)": "فصلٌ: وأمرُ الجهاد موكول إلى الإمام واجتهاده، ويلزم الرعية طاعته فيما يراه من ذلك، وينبغي أن يبتدئ بترتيب قوم في أطراف البلاد يكفون من بإزائهم من المشركين، ويأمر بعمل حصونهم وحفر خنادقهم وجميع مصالحهم، ويؤمر في كل ناحية أميراً يقلده أمر الحروب وتدبير الجهاد، ويكون ممن له رأي وعقل ونجدة وبصر بالحرب ومكايدة العدو، ويكون فيه أمانة ورفق ونصح للمسلمين؛ وإنما يبدأ بذلك لأنه لا يأمن عليها من المشركين.

ويغزو كل قوم من يليهم إلا أن يكون في بعض الجهات من لا يفي به من يليه، فينقل إليهم قوماً آخرين. ويتقدم إلى من يؤمره أن لا يحمل المسلمين على مهلكة، ولا يأمرهم بدخول مطمورة يخاف أن يقتلوا تحتها... – إلى أن قال – فإن عُدم الإمام لم يؤخر الجهاد لأن مصلحته تفوت بتأخيره، وإن حصلت غنيمة قسمها أهلها على موجب الشرع.

قال القاضي: ويؤخر قسمة الإمام حتى يظهر إمام احتياطاً للفروج.

فإن بعث الإمام جيشاً وأمر عليهم أميراً فقتل أو مات فللجيش أن يؤمروا واحداً منهم، كما فعل أصحاب النبي ﷺ في جيش مؤتة لما قتل أمراؤهم الذين أمرهم النبي ﷺ أمروا خالد بن الوليد، فبلغ النبي ﷺ فرضي أمرهم وصوب رأيهم وسمى خالداً يومئذ: (سيف الله)". انتهى كلامه.

فانظر إلى هذه الصور التي ذكرها ابن قدامة – رحمه الله – في الجهاد من غير استئذان، وانظر كلامه عن الإمام الموكول إليه الجهاد والذي يحرص على الإسلام والمسلمين ويشفق عليهم، لا ككرزايات هذا الزمان الذين يجاهدون المسلمين بأموالهم وألسنتهم وأنفسهم ويقاتلون من يلونهم من المسلمين.

وصدق الشاعر إذ يقول:

واستبدَّ البغاث في ذروة النسر ... وقاد الأسود سرب النعام
عربدات مِن الطِّلي ورؤوس ... غارقات في سكرة الأحلام
وضلالٌ عن الهدى وضياعٌ ... وانحرافٌ عن دربه المتسامي
نام فيك الرعاة حتى استكانوا ... فهنيئاً لعُصبة النُّوَّامِ
وأقاموا على الفجور وذُلّوا ... يا لقومي من ضيعة الحُكَّام
أمَّة الذُّلِّ في ظلام الليالي ... ترشُفُ العارَ من كؤوس مُدام
قسمَّوها قُطعانَ ذلٍّ مهينٍ ... ورموا جمعَها بشرِّ سهام
فقطيع ميتران يحمي حماهُ ... وقطيعٌ يعتزُّ بالعمِّ سام
وقطيعٌ بات الرغيف هواه ... شارد اللبِّ حائر الأفهام
ليس يدري من أمره غير دنيا ... مُلِئتْ بالغناءِ والآثام
أمَّة الفسق والمهانة قومي ... وعلى الذلِّ والمهانةِ نامي

ومن الصور التي يتعين فيها الجهاد ولا استئذان في ذلك ما ذكره ابن قدامة -رحمه الله- في "المغني (١٣/٣٣-٣٤)": مسألة قال: "وواجبٌ على الناس إذا جاء العدو أن ينفروا المقل منهم والمكثر، ولا يخرجوا إلى العدو إلا بإذن الأمير إلا أن يفجأهم عدو غالب يخافون كَلَبه فلا يمكنهم أن يستأذنوه" قوله: "المقل منهم والمكثر" يعني به والله أعلم الغني والفقير أي مقل من المال ومكثر منه، ومعناه أن النفير يعم جميع الناس ممن كان من أهل القتال حين الحاجة إلى نفيرهم لمجيء العدو إليهم، ولا يجوز لأحد التخلف إلا من يحتاج إلى تخلفه لحفظ المكان والأهل والمال، ومن يمنعه الأمير من الخروج، أو من لا قدرة له على الخروج أو القتال؛ وذلك لقول الله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٤١]. وقول النبي ﷺ: ((إذا استنفرتم فانفروا)) [سبق تخريجه].

وقد ذم الله تعالى الذين أرادوا الرجوع إلى منازلهم يوم الأحزاب فقال تعالى: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب:١٣]، ولأنهم إذا جاء العدو صار الجهاد عليهم فرض عين، فوجب على الجميع، فلم يجز لأحد التخلف عنه، فإذا ثبت هذا فإنهم لا يخرجون إلا بإذن الأمير لأن أمر الحرب موكول إليه، وهو أعلم بكثرة العدو وقلتهم، ومكامن العدو وكيدهم، فينبغي أن يرجع إلى رأيه لأنه أحوط للمسلمين، إلا أن يتعذر استئذانه لمفاجأة عدوهم لهم، فلا يجب استئذانه لأن المصلحة تتعين في قتالهم والخروج إليه لتعين الفساد في تركهم؛ ولذلك لما أغار الكفار على لقاح النبي ﷺ فصادفهم سلمة بن الأكوع خارجاً من المدينة تبعهم فقاتلهم من غير إذن، فمدحه النبي ﷺ وقال: ((خير رجّالتنا سلمة بن الأكوع)) [١]. وأعطاه سهم فارس وراجل". انتهى كلامه.

---

[١] رواه مسلم (١٨٠٧).

وقال ابن مفلح -رحمه الله- في "الفروع (١٨٠/٦)": "نقل الميموني لو اختلفوا على رجلين لم يتعطل الغزو والحج، هذان بابان لا يدفعهما شيء أصلاً، وما يبالي من قسم الفيء أو من وليهما.

ونقل المروذي: يجب الجهاد بلا إمام إذا صاحوا النفير. وسأله أبو داود: بلاد غلب عليها رجل فنزل البلاد يغزي بأهلها، يغزو معهم؟ قال: نعم، قلت: يشتري من سبيه؟ قال: دع هذه المسألة، الغزو ليس مثل شراء السبي، الغزو دفع عن المسلمين لا يترك لشيء، فيتوجه من سبيه كمن غزا بلا إذن ومن حُضر بلده أو هو عدو، أو استنفره من له استنفار تعين عليه ولو لم يكن أهلاً لوجوبه". انتهى كلامه.

فهذه صور مختلفة يقع فيها الجهاد ويتعين في بعضها، ولم يقل أحد من علماء المسلمين المعتبرين بأن من يفعل ذلك من الخوارج أو ينتهج منهج الخوارج كما يقول هذا المدعي، فأهل الإسلام في أفغانستان وفي الشيشان وفي العراق والشام ومالي والصومال وباكستان وجزيرة العرب يجب ويتعين عليهم قتال الكفار الغزاة المحتلين لبلادهم، وأن يدفعوا ويدافعوا عن دينهم وأعراضهم وأموالهم وبلادهم.

يقول "ابن قدامة – رحمه الله – (١٣/١٥-١٦)": مسألة: قال "ويقاتل كل قوم من يليهم من العدو: الأصل في هذا قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة:١٢٣]، ولأن الأقرب أكثر ضرراً، وفي قتاله دفع ضرره عن المقابل له وعمن وراءه، والاشتغال بالبعيد عنه يمكنه من انتهاز الفرصة في المسلمين لاشتغالهم عنه.

قيل لأحمد: يحكون عن ابن المبارك أنه قيل له: تركت قتال العدو عندك وجئت إلى هاهنا، قال: هؤلاء أهل كتاب. فقال أبو عبد الله – أي أحمد بن حنبل – سبحان الله، ما أدري ما هذا القول يترك العدو عنده ويجيء إلى هاهنا أفيكون هذا أو يستقيم هذا، وقد قال الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة:١٢٣]، لو أن أهل خراسان كلهم عملوا على هذا لم يجاهد الترك أحد.

وهذا والله أعلم إنما فعله ابن المبارك لكونه متبرعاً بالجهاد، والكفاية حاصلة بغيره من أهل الديوان وأجناد المسلمين، والمتبرع له ترك الجهاد بالكلية، فكان له أن يجاهد حيث شاء ومع من شاء، إذا ثبت هذا فإن كان له عذر في البداية بالأبعد لكونه أخوف أو لمصلحة في البداية لقربه وإمكان الفرصة منه أو لكونه موضع حاجة". انتهى كلامه.

وعند هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:١٢٣] قال "ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره (١٧٢٧/٤)": "أمر تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولاً فأولاً، الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام، ولهذا بدأ رسول الله ﷺ بقتال المشركين في جزيرة العرب، فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن واليمامة وهجر وخيبر وحضرموت وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجاً شرع في قتال أهل الكتاب، فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب وأولى الناس بالعودة إلى الإسلام لكونهم أهل كتاب، فبلغ تبوك ثم رجع لأجل جهد الناس وجدب البلاد وضيق الحال، وكان ذلك سنة تسع من هجرته – عليه السلام –، ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجته حجة الوداع، ثم عاجلته المنية – صلوات الله وسلامه – عليه بعد الحجة بأحد وثمانين يوماً، فاختاره الله لما عنده.

وقام بالأمر بعده وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر رضي الله عنه، وقد مال الدين ميلة كاد أن ينجفل فيها، فثبته الله تعالى به، فوطد القواعد، وثبت الدعائم، ورد شارد الدين وهو راغم، ورد أهل الردة إلى الإسلام، وأخذ الزكاة ممن منعها من الطغام، وبين الحق لمن جهله، وأدى عن الرسول ما حمله، ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عبدة الصلبان، وإلى الفرس عبدة النيران، ففتح الله ببركة سفارته البلاد، وأرغم أنفس كسرى وقيصر ومن أطاعها من العباد، وأنفق كنوزها في سبيل الله كما أخبر بذلك رسول الله.

وكان تمام الأمر على يدي وصيه من بعده وولي عهده الفاروق الأواب شهيد المحراب أبي حفص عمر بن الخطاب، فأرغم الله به أنوف الكفرة الملحدين، وقمع الطغاة والمنافقين، واستولى على الممالك شرقاً وغرباً، وحملت إليه خزائن الأموال من سائر الأقاليم بعداً وقرباً، ففرقها على الوجه الشرعي والسبيل المرضي.

ثم لما مات شهيداً وقد عاش حميداً أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار على خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان شهيد الدار، فكُسِي الإسلام بحالة رياسته حلة سابغةً، وأُمدت في سائر الأقاليم على رقاب العباد حجة الله البالغة، وظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وعلت كلمة الله وظهر دينه، وبلغت الأمة الحنيفية من أعداء الله غاية مآربها، فكلما علوا أمة انتقلوا إلى من بعدهم ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة:١٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة:١٢٣] أي: وليجد الكفار منكم غلظة عليهم في قتالكم لهم، فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقاً لأخيه المؤمن غليظاً على عدوه الكافر، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤]، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:٢٩]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم:٩].

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: ((أنا الضحوك القتال)) يعني أنه ضحوك في وجوه وليه، قتال لهامة عدوه.

وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:١٢٣] أي: قاتلوا الكفار وتوكلوا على الله واعلموا أن الله معكم إن اتقيتموه وأطعتموه.

وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالى، لم يزالوا ظاهرين على عدوهم ولم تزل الفتوحات كثيرة ولم تزل الأعداء في سفال وخسار، ثم لما وقعت الفتن والأهواء والاختلافات بين الملوك طمع الأعداء في أطراف البلاد وقدموا إليها، فلم يمانعوا لشغل الملوك بعضهم ببعض، ثم تقدموا إلى حوزة الإسلام فأخذوا من الأطراف بلداناً كثيرة، ثم لم يزالوا حتى استحوذوا على كثير من بلاد المسلمين، ولله سبحانه الأمر من قبل ومن بعد.

فلما قام ملك من ملوك الإسلام وأطاع أوامر الله وتوكل على الله فتح الله عليه من البلاد واسترجع من الأعداء بحسبه وبقدر ما فيه من ولاية الله، والله المسؤول المأمول أن يمكن المسلمين من نواصي أعدائه الكافرين، وأن يعلي كلمتهم في سائر الأقاليم، إنه جواد كريم". انتهى كلامه.

وأما في زماننا نزلت أمريكا الصليبية وغيرها من الدول الصليبية الغربية، ومكنوا لدويلة يهود في قلب الشام، واحتلوا بلادنا بدعم العوائل والأسر التي نصبوها ووضعوها على بلاد المسلمين كأحجار الشطرنج على رقعة الشطرنج، يحركونها كيف شاؤوا ومتى شاؤوا، فكيف يتم الاستئذان في ا لجهاد ممن يجب جهاده وقتاله.

وكما قال الشاعر:

لجميع عبيد رؤوس العُرْب ... يُشرّفنا هذا الإعلانْ
سيقوم سيادةُ مرءِ القيس ... ترافقه زمرة فرسانْ
سيُيَمِّمُ شطرَ البيتِ الأسودِ ... يقرع أبواب الرومانْ
سيُعرّجُ مرءُ القيس على صنمٍ ... يطلب منه استئذانْ

سيعود إلينا مرءُ القيس ليحمل شرعةَ جوستنيانْ
سيعود إلينا مرءُ القيس يُعبّئُ جُعْبته الإيمانْ
بسلامٍ يقطع ثديَ الثَّكلى كي تنسى ألمَ التّمنانْ
بسلام ينشرُ كأس الخمر ويفتح حاناً للسكرانْ
بسلام يعزف للتلمود ليخنق ترتيل القرآنْ

وكما قال آخر:

وهنا مليك مُغرمٌ بتراثه يحسو الخمور وكأسه فنجان
وهناك ثوريٌّ يؤسس دولةً في كرشه فتصفق الثيران
وهنا مليكٌ ليس يملك نفسَه فمه صدىً وضميره دكّان

وقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: ((جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)) [1].

وهو كما قال، فانقلب الأمر في زماننا لدى هذه الدويلات والأسر والعوائل وأصبحوا وأمسوا يجاهدون ويقاتلون المسلمين بأموال المسلمين التي اغتصبوها وسرقوها، وبألسنتهم عبر الإعلام المسموع والمرئي والمقروء تحت مسميات مختلفة، تارة باسم الإرهاب والتطرف والتشدد والتمرد والغلو والخوارج، وتارة بالسب والشتم والقذف، وتارة بالكذب والافتراء والبهتان وهكذا، وبأنفسهم عبر سعيهم الحثيث بكل ما يستطيعون من جنود ومواقع ومعلومات وأخبار ونصح للمحتلين لبلاد المسلمين، يستقبلونهم استقبال الفاتحين، أذلة على الكافرين أعزة على المؤمنين، يبتغون العزة عند أمريكا، ويقولون إنها أهدى سبيلاً، فسجنوا المسلمين من أجلها، وضيقوا عليهم، ومنعوا مناصرة المسلمين في أي مكان، وحاربوا ذلك

[1] رواه أحمد (١٢٢٤٦) وأبو داود (٢٥٠٤) والنسائي (٣٠٩٦) والدارمي (٢٤٧٥) وصححه ابن حبان (٤٦٨٨) والحاكم (٢٤٤٩) صححه على شرط مسلم.

أشد المحاربة، فمن أنفق ماله في سبيل الله لدعم المسلمين وإغاثتهم يُسجن بتهمة دعم الإرهاب وغسيل الأموال، وهكذا كما قال الله عز وجل: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٧-٨].

وهذه السياسة يسمونها (تجفيف منابع الإرهاب) وصدق الله إذ يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٢-٣٣]، وحيث يقول: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف:٨-٩].

وكتموا أصوات الدعاة والمشايخ والعلماء الذين يقولون الحق ويصدعون به عبر القتل والأسر والتهديد والوعيد، بينما فتحوا الأبواب على مصاريعها لمن ينطق بالباطل، أو يلبس الحق بالباطل، أو يراوغ ويناور كما حدث في العقدين الماضيين.

وصدق الشاعر إذ يقول:

يسوسون الأمورَ بغير عقلٍ ... وينفذُ أمرهم ويقال ساسة
فأف من الحياة وأف منهم ... ومن عهدٍ رياسته خساسة

وصدق الآخر إذ يقول:

حكم الأُلى يحكمون الناس يضحكني ... وسوء فعلهم في الناس يبكيني
ما الذئب قد عاث بين الضأن أفتك ... هذي الولاةُ بهاتيكَ المساكين

إن الصنائع والعملاء للصليبيين المحتلين لبلاد المسلمين يجب جهادهم وقتالهم لا استئذانهم، فكرزاي والقذافي وبشار الأسد وزرداري وبقية الدمى والصنائع في بلاد المسلمين ليسوا بأولياء أمور للمسلمين، بل يقاتلون ويجاهدون كما قوتل مسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي وسجاح التميمية ومانعي الزكاة في حروب ردة جديدة حتى يتم النصر عليهم ويتم تطهير البلاد منهم، وكما فعل ابن هبيرة الفقيه المشهور -رحمه الله- حيث كاتبَ السلطان نور الدين محمود بن زنكي يستحثه على انتزاع مصر من العبيديين، فسير إليها أسد الدين شيركوه مرتين، وفي الثالثة خُطب بها للمستنجد، وجاء الخبر بذلك إلى بغداد سنة تسع وخمسين، وعمل أبو الفضائل بن تركان حاجب الوزير بن هبيرة قصيدة يهنئ بها الوزير بفتح مصر، ويذكر أن ذلك بسبب سعيه وبركة رأيه، وتكامل انتزاع مصر من بني عبيد وإقامة الخطبة لبني العباس بها بعد سبع سنين في خلافة المستضيء، فعظمت حرمة الدولة العباسية وقته وانتشرت إقامة الدعوة لها في البلاد.

يقول ابن تيمية – رحمه الله – في "الفتاوى الكبرى (٤٩٩/٣)": "وأظهروا في بلاد الشام والعراق شعار الرافضة كما كانوا قد أظهروها بأرض مصر، وقتلوا طوائف من علماء المسلمين وشيوخهم كما كان سلفهم قتلوا قبل ذلك بالمغرب طوائف، وأذنوا على المنابر (حي على خير العمل)، حتى جاء الترك السلاجقة الذين كانوا ملوك المسلمين فهزموهم وطردوهم إلى مصر، وكان من أواخرهم الشهيد نور الدين محمود الذي فتح أكثر الشام واستنقذه من أيدي النصارى ثم بعث عسكره إلى مصر لما استنجدوه على الإفرنج، وتكرر دخول العسكر إليها مع صلاح الدين الذي فتح مصر فأزال عنها دعوة العبيديين من القرامطة الباطنية، وأظهر فيها شرائع الإسلام حتى سكنها من حينئذ من أظهر بها دين الإسلام.

وكان في أثناء دولتهم يخاف الساكن بمصر أن يروي حديثاً عن رسول الله ﷺ فيقتل كما حكى ذلك إبراهيم بن سعد الحبَّال صاحب عبد الغني بن سعيد وامتنع من رواية الحديث خوفاً أن يقتلوه، وكانوا ينادون بين القصرين (من لعن وسب فله دينار وإردب)، وكان بالجامع الأزهر عدة مقاصير يلعن فيها الصحابة بل يتكلم بالكفر الصريح، وكان لهم مدرسة

بقرب المشهد الذي بنوه ونسبوه إلى الحسين وليس فيه الحسين ولا شيء منه باتفاق العلماء، وكانوا لا يدرّسون في مدارسهم علوم المسلمين بل المنطق والطبيعة والإلهي ونحو ذلك من مقالات الفلاسفة، وبنوا أرصاداً على الجبال وغير الجبال يرصدون فيها الكواكب يعبدونها ويسبحونها ويستزلون روحانياتها التي هي شياطين تتنزل على المشركين الكفار كشياطين الأصنام، ونحو ذلك.

– إلى أن قال – ولأجل ما كانوا عليه من الزندقة والبدعة بقيت البلاد المصرية مدة دولتهم نحو مائتي سنة قد انطفأ نور الإسلام والإيمان حتى قالت فيها العلماء: إنها كانت دار ردة ونفاق كدار مسيلمة الكذاب والقرامطة الخارجين بأرض العراق الذين كانوا سلفاً لهؤلاء، وردتهم من أعظم الكفر والردة، وهم أعظم كفراً وردةً من كفر أتباع مسيلمة الكذاب ونحوه من الكذابين، فإن أولئك لم يقولوا في الإلهية والربوبية والشرائع ما قاله أئمة هؤلاء". انتهى كلامه.

واليوم يحكم من هو مثل هؤلاء وأشد عدداً من الأقطار والأقاليم، وكذلك الدويلات العلمانية والليبرالية والإلحادية عدداً آخر من البلدان، ثم يعيب علينا هذا المدعي والمباحث أن نصدع بأمر الله فيها ونبين حكم الله ورسوله وشرعه فيهم، بل ويقول باستئذانها في جهاد أسيادها ويضع أقوال العلماء في السمع والطاعة لأئمة المسلمين لهؤلاء العملاء والصنائع والكرزايات والدمى، والذين هم أعداء الجهاد ومعطلة الشريعة الإلهية، أعزوا الكفر وأهله، وحاربوا الإسلام وأهله.

يقول ابن قدامة – رحمه الله – في "المغني (١٣/١٤–١٥)": "مسألة: قال "ويغزى مع كل بر وفاجر: يعني مع كل إمام. قال أبو عبد الله – أي أحمد بن حنبل – وسئل الرجل يقول: أنا لا أغزو ويأخذه ولد العباس إنما يوفر عليهم الفيء. فقال: سبحان الله، هؤلاء قوم سوء، هؤلاء القعدة مثبطون جهال. فقال: أرأيتم لو أن الناس كلهم قعدوا كما قعدتم من كان يغزو؟ أليس كان قد ذهب الإسلام ما كانت تصنع الروم؟

– إلى أن قال ابن قدامة – ولأن ترك الجهاد مع الفاجر يفضي إلى قطع الجهاد وظهور الكفار على المسلمين واستئصالهم وظهور كلمة الكفر وفيه فساد عظيم، قال الله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[البقرة:٢٥١].

فصل: قال أحمد: لا يعجبني أن يخرج مع الإمام أو القائد إذا عُرف بالهزيمة وتضييع المسلمين، وإنما يغزو مع من له شفقة وحيطة على المسلمين، فإن كان القائد يُعرَف بشرب الخمر والغلول يغزى معه، إنما ذلك في نفسه، ويروى عن النبي ﷺ: ((إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)). [رواه البخاري (٣٠٦٢) ومسلم (١١١)].

فصل: ولا يستصحب الأمير معه مخذلاً وهو الذي يثبط الناس عن الغزو ويزهدهم في الخروج إليه والقتال والجهاد، مثل أن يقول: الحر أو البرد شديد، والمشقة شديدة، ولا تؤمن هزيمة الجيش، وأشباه هذا، ولا مرجفاً وهو الذي يقول هلكت سرية المسلمين وما لهم مدد ولا طاقة لهم بالكفار، والكفار لهم قوة ومددٌ وصبر ولا يثبت لهم أح، ونحو هذا، ولا من يعين على المسلمين بالتجسس للكفار وإطلاعهم على عورات المسلمين ومكاتبتهم بأخبارهم ودلالتهم على عوراتهم أو إيواء جواسيسهم، ولا من يوقعُ العداوة بين المسلمين ويسعى بالفساد لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ۝ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة:٤٦-٤٧]، ولأن هؤلاء مضرة على المسلمين، فيلزمه منعهم، وإن خرج معه أحد هؤلاء لم يُسهم له ولم يرضخ وإن أظهر عون المسلمين لأنه يحتمل أن يكون أظهره نفاقاً، وقد ظهر دليله، فيكون مجرد مضرة، فلا يستحق مما غنموا شيئاً، وإن كان الأمير أحد هؤلاء لم يستحب الخروج معه لأنه إذا مُنع خروجه تبعاً فمتبوعاً أولى، ولأنه لا تؤمن المضرة على من صحبه". انتهى كلامه.

ونحن بحمد الله نقول بهذا الذي قاله ابن قدامة – رحمه الله – وغيره من الفقهاء والعلماء، وبهذا التفصيل مع كل إمام للمسلمين بر أو فاجر، أما الكفار والمرتدون والصنائع والعملاء والخونة وكرزايات الأمس واليوم فليسوا للمسلمين بأولياء ولا أئمة، بل يجري فيهم ما أجراه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأجمع عليه الصحابة من المهاجرين والأنصار على مسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي وسجاح التميمية ومانعي الزكاة.

بل إن كفر هؤلاء المرتدين الجدد أعظم وأكبر من كفر أولئك، وخطرهم على الإسلام والمسلمين أعظم وأكبر من خطر أولئك، ولو كان هؤلاء المرتدون الجدد في عصر أبي بكر الصديق والصحابة ﷺ ولديهم نفس الإمكانات والدعم الذي لديهم الآن لغزوا المدينة النبوية واعتقلوا الصحابة ووضعوا المبالغ المالية لاعتقال أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذي النورين وعلي بن أبي طالب وبقية العشرة المبشرين بالجنة وسادة الصحابة، ووصفوهم بالإرهاب، ولقصفوهم بالطائرات الأمريكية بالطيار وبدون طيار، وسجنوهم في (الحائر والطرفية وذهبان وأبها والدمام)، ولأرسلوا الصديق والفاروق إلى (غوانتانامو) ولقالوا عنهم مثل ما يقولونه عن أتباعهم اليوم الشيخ أسامة بن لادن – رحمه الله – والشيخ أيمن الظواهري والمسلمين المجاهدين في جميع ثغور المسلمين، لأن أولئك الأصحاب ﷺ كانوا من الديانة والصيانة والاستمساك بالكتاب والسنة والسير على سيرة النبي ﷺ وهديه وطريقه بما لا يتوافق وما يسمى بالمجتمع الدولي والأسرة الدولية وميثاق هيئة الأمم المتحدة وسواها.

يقول ابن تيمية – رحمه الله – في اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم "(٢٢٤-٢٢٥)": "وقد كان لعمر رضي الله عنه في هذا الباب من السياسات المحكمة ما هي مناسبة لسائر سيرته المرضية، فإنه رضي الله عنه هو الذي استحالت ذنوب الإسلام بيده غرباً، فلم يفر عبقري فرية حتى صدر الناس بعطن، فأعز الإسلام وأذل الكفر وأهله، وأقام شعائر الدين الحنيف، ومنع من كل أمر فيه تذرع إلى نقض عرى الإسلام مطيعاً في ذلك لله ورسوله، وقّافاً عند كتاب الله، متمثلاً لسنة رسول الله ﷺ، محتذياً حذو صاحبيه، مشاوراً في أموره للسابقين الأولين مثل عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن

عوف وأبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت ﷺ وغيرهم ممن له علم أو فقه أو رأي أو نصيحة للإسلام وأهله، حتى إن العمدة في الشروط على أهل الكتاب على شروطه، وحتى منع من استعمال كافر أو ائتمانه على أمر الأمة وإعزازه بعد أن أذله الله، حتى روي أنه حرّق الكتب العجمية وغيرها وهو الذي منع أهل البدع أن ينبغوا، وألزمهم ثوب الصغار حيث فعل بصبيغ بن عسيل التميمي ما فعل في قصته المشهورة.

وسيأتي عنه – إن شاء الله تعالى – في خصوص أعياد الكفار من النهي عن الدخول عليهم فيها، ومن النهي عن تعلم رطانة الأعاجم ما يُبين قوة شكيمته في النهي عن مشابهة الكفار والأعاجم، ثم ما كان عمر قد قرره من السنن والأحكام والحدود فعثمان رضي الله عنه أقر بما فعله عمر وجرى على سنته في ذلك، فقد علم موافقة عثمان لعمر في هذا الباب". انتهى كلامه.

وقال أيضا – رحمه الله –: "فاتفق عمر رضي الله عنه والمسلمون معه وسائر العلماء بعدهم ومن وفقه الله تعالى من ولاة الأمور على منعهم من أن يظهروا في دار الإسلام شيئاً مما يختصون به، مبالغة في أن لا يظهروا في دار الإسلام خصائص المشركين، فكيف إذا عملها المسلمون وأظهروها". انتهى كلامه.

وقال أيضاً – رحمه الله – "(٢٣٠،٢٣٣)": "فهذا عن الخلفاء الراشدين، وأما سائر الصحابة ﷺ فكثير".

– إلى أن قال – "وهذا الباب فيه كثرة عن الصحابة، وهذه القضايا التي ذكرناها بعضها في مظنة الاشتهار، وما علمنا أحداً خالف ما ذكرناه عن الصحابة ﷺ من كراهة التشبه بالكفار والأعاجم في الجملة، وإن كان بعض هذه المسائل المعينة فيها خلاف وتأويل – وليس هذا موضعه –، وهذا كما أنهم مجمعون على اتباع الكتاب والسنة وإن كان قد يختلف في بعض أعيان المسائل لتأويل فعلم اتفاقهم على كراهة التشبه بالكفار والأعاجم".

ثم قال: "الوجه الثالث في تقرير الإجماع: ما ذكره عامة علماء الإسلام من المتقدمين والأئمة المتبوعين وأصحابهم في تعديل النهي عن أشياء بمخالفة الكفار أو مخالفة النصارى أو مخالفة الأعاجم، وهو أكثر من أن يمكن استقصاؤه، وما من أحد له أدنى نظر في الفقه إلا وقد بلغه من ذلك طائفة، وهذا بعد التأمل والنظر يورث علماً ضرورياً باتفاق الأئمة على النهي عن موافقة الكفار والأعاجم والأمر بمخالفتهم". انتهى كلامه.

فالصحابة رضي الله عنهم قد خالفوا المجتمع الدولي في زمانهم والأسرة الدولية والدول العظمى كسرى وقيصر والفرس والروم، وقاتلوهم وغزوهم وأسقطوا دولهم، وكما في حديث جبير بن حية قال: بعث عمر الناس في أفناء الأمصار يقاتلون المشركين فأسلم الهرمزان فقال: إني مستشيرك في مغازيّ هذه. قال: نعم، مثلها ومثل من فيها من الناس من عدو المسلمين مثل طائر له رأس وله جناحان وله رجلان، فإن كسر أحد الجناحين نهضت الرجلان بجناح والرأس، فإن كسر الجناح الآخر نهضت الرجلان والرأس، وإن شدخ الرأس ذهبت الرجلان والجناحان والرأس، فالرأس كسرى والجناح قيصر والجناح الآخر فارس، فمر المسلمين فلينفروا إلى كسرى. قال جبير بن حية: فندبنا عمر واستعمل علينا النعمان بن مقرّن، حتى إذا كنا بأرض العدو وخرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفا، فقام ترجمانٌ فقال: ليكلمني رجل منكم. فقال المغيرة: سل عما شئت. قال: ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد نمص الجلد والنوى من الجوع ونلبس الوبر والشعر ونعبد الشجر والحجر، فبينما نحن كذلك إذ بعث رب السماوات ورب الأرضين تعالى ذكره وجلّت عظمته إلينا نبياً من أنفسنا، نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط ومن بقي منا ملك رقابكم. [رواه البخاري (٣١٥٩)].

قال ابن حجر – رحمه الله – في الفتح: "ووقع في رواية ابن أبي شيبة من طريق معقل بن يسار أن "عمر شاور الهرمزان في فارس وأصبهان وأذربيجان"، أي بأيها يبدأ، وهذا يُشعر بأن المراد أنه استشاره في جهات مخصوصة، والهرمزان كان من أهل تلك البلاد وكان أعلم

بأحوالها من غيره، وعلى هذا ففي قوله في حديث الباب "فالرأس كسرى والجناح قيصر والجناح الآخر فارس" نظرا لأن كسرى هو رأس أهل فارس، وأما قيصر صاحب الروم فلم يكن كسرى رأساً لهم، وقد وقع عند الطبري من طريق مبارك بن فضالة المذكورة قال: "فإن فارس اليوم رأس وجناحان"، وهذا موافق لرواية ابن أبي شيبة وهو أولى، لأن قيصر كان بالشام ثم ببلاد الشمال ولا تعلق لهم بالعراق وفارس والمشرق، ولو أراد أن يجعل كسرى رأس الملوك وهو ملك المشرق وقيصر ملك الروم دونه، ولذلك جعله جناحاً، كان المناسب أن يجعل الجناح الثاني ما يقابله من جهة اليمين كملوك الهند والصين مثلاً، لكن دلت الرواية الأخرى على أنه لم يرد إلا أهل بلاده التي هو عالم بها، وكأن الجيوش آن ذاك كانت بالبلاد الثلاثة وأكثرها وأعظمها بالبلدة التي فيها كسرى لأنه كان رأسهم، قوله: "فمر المسلمين فلينفروا إلى كسرى" وفي رواية مبارك أن الهرمزان قال: "فاقطع الجناحين يلن لك الرأس"، فأنكر عليه عمر فقال: "بل اقطع الرأس أولاً"، فيحتمل أنه لما أنكر عليه عاد فأشار عليه بالصواب".

قال ابن حجر: "وفيه ضرب المثل وجودة تصور الهرمزان، ولذلك استشاره عمر، وتشبيه لغائب المجوس بحاضر محسوس لتقريبه إلى الفهم، وفيه البداءة بقتال الأهم فالأهم". انتهى كلامه.

فهذا يوم من أيام عمر بن الخطاب وأصحاب النبي ﷺ -رضي الله عنهم أجمعين-، توحيد وجهاد وحكم وسياسة.

وكما قال الشاعر:

أين ربعيُّنا المفاوض عنا ... أين منا المغيرة الصنديدُ
أنذرا رستماً فلا البحر بحرٌ ... عندما أنذرا ولا البيد بيد

فكيف ببقية أيامهم وتاريخهم وجهادهم، وكما قال الشاعر:

ملكنا هذه الدنيا قرونا وأخضعها جدود خالدونا
وسطرنا صحائف من ضياء فما نسي الزمان ولا نسينا
حملناها سيوفا لامعات غداة الروع تأبى أن تلينا
إذا خرجت من الأغماد يوما رأيت الهول والفتح المبينا
وكنا حين يرمينا أناس نؤدبهم أباة قادرينا
وكنا حين يأخذنا ولي بطغيان ندوس له الجبينا
تفيض قلوبنا بالهدي بأسا فما نغضي عن الظلم الجفونا
وما فتئ الزمان يدور حتى مضى بالمجد قوم آخرونا
وأصبح لا يرى في الركب قومي وقد عاشوا أئمته سنينا
وآلمني وآلم كل حر سؤال الدهر: أين المسلمون؟
ترى هل يرجع الماضي؟ فإني أذوب لذلك الماضي حنينا
بنينا حقبة في الأرض ملكا يدعمه شباب طامحونا
شباب ذللوا سبل المعالي وما عرفوا سوى الإسلام دينا
تعهدهم فأنبتهم نباتا كريما طاب في الدنيا غصونا
هم وردوا الحياض مباركات فسالت عندهم ماء معينا
إذا شهدوا الوغى كانوا كماة يدكون المعاقل والحصونا
وإن جن المساء فلا تراهم من الإشفاق إلا ساجدينا
شباب لم تحطمه الليالي ولم يسلم إلى الخصم العرينا
ولم تشهدهم الأقداح يوما وقد ملؤوا نواديهم سجونا
وما عرفوا الأغاني مائعات ولكنَّ العلا صنعت لحونا
وقد دانوا بأعظمهم نضالا وعلما لا بأجزلهم عيونا
فيتحدون أخلاقا عذابا ويأتلفون مجتمعا رزينا
فما عرف الخلاعة في بنات ولا عرف التخنث في بنينا

ولم يتبجحوا في كل أمر خطير كي يقال مثقفونا
كذلك أخرج الإسلام قومي شبابا مخلصاً حراً أمينا
وعلّمه الكرامة كيف تبنى فيأبى أن يقيد أو يهونا
دعوني من آماني كاذبات فلم أجد المنى إلا ظنونا
وهاتوا لي من الإيمان نوراً وقووا بين جنبيّ اليقينا
أمد يدي فأنتزع الرواسي وأبني المجد مؤتلقاً مكينا

فلذا لو كان هؤلاء الصحابة في زماننا أو أن أمريكا الصليبية وصنائعها في بلادنا في زمانهم لقاتلوهم وأعلنوها حرباً عليهم تحت مسمى الإرهاب، ولأصدروا القرارات تلو القرارات من مجلس الأمن وهيئة الأمم ومجالس حقوق الإنسان، ولقالوا فيهم وعنهم ما يقولونه اليوم عن الشيخ الإمام أسامة بن لادن – رحمه الله – والشيخ أيمن الظواهري وبقية المشايخ والعلماء والدعاة وأمراء الجهاد والمجاهدين في ثغور المسلمين كافة، ولفعلوا معهم ما يفعلونه اليوم معنا حذو القذة بالقذة، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، كيف وهؤلاء الصنائع والعملاء والخونة الذين يراد منا أن نستأذنهم للجهاد قد حاربوا الإسلام والمسلمين مع الصليبيين أشد المحاربة كما سبق بيانه وإيضاحه.

وكما قال الشاعر:

يحاصرنا كالموت بليون كافر ففي الشرق هولاكو وفي الغرب

وكما قال الآخر:

هذا يُشرق إن الشرق كعبته وذا يغرّب إلا أنه الذنب
الزار والعار والأوتار تعرفهم والعزف والقصف والإدبار والهرب

هؤلاء الصنائع الذين كما قال الشاعر:

لو شكا كلبُ سائحٍ أجنبيٍّ لرأينا ما يصنع التهديد
واليتامى من أمتي والصبايا حظهن الإرهاب والتشريد
أين من أمتي عميرٌ وسعدٌ والمثنى وخالد وسعيد
أين من قادة الجيوش صلاحٌ أين من ساسة البلاد الرشيد
أين قطزٌ لما تهاوى تتارٌ عند أقدامه فعزّت بنود

فلما جاء أمير المجاهدين وحامل لواء المجددين للتوحيد والجهاد الشيخ الإمام أسامة بن لادن – رحمه الله – وسار على درب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث قال: "بل أقطع الرأس أولاً"، وحيث توجه إلى رأس الكفر (أمريكا) لشدخ رأسها ليذهب الرأس والجناحان والرجلان، وكما قال – رحمه الله –: "بأن أمريكا رأس الأخطبوط، وهذه الدويلات والصنائع أياديها وأذرعها، فإذا ضرب الرأس سقطت الأيادي والأذرع"، وهكذا كان وقريباً سيأتي الإعلان عن الوفاة الكاملة لإمبراطورية أمريكا كما مات الإتحاد السوفييتي، وستذهب هذه الإمبراطورية التي يعبدونها من دون الله، وسيأتي اليوم الذي يقال فيه هزمت أمريكا كما هزم الروس:

زمجر الخطب في الربى والوهاد هازئاً بالغزاة رغم العتاد
وانتهى صوته إلى كل فج وعلا رغم ملة الأوغاد
وسما صوته بكل فضاء أسمع الكون صرخة الآساد
فنداء التكبير جلجل في الكون وأضحى هتاف كل مناد
إنه النصر مشرقٌ يتجلى وبه الفجر صادقُ الميعاد
هُزم الروس حيث ذاقوا جحيما من لظانا لم يغن جيش الفساد
هُزموا والقلوب طارت شعاعاً منهم حين هبّ كل جواد
اخرجوا يا غزاة إن حمانا لحرامٌ على فلول الأعادي
اخرجوا إننا لكم حادث المحق منايا كَمَتْ على كلّ واد

اخرجوا إننا لكم قدر الله ... من الغيب مُرسَل بالشداد
قد سقيناكم الحمام كؤوساً ... مترعاتٍ في كل سرب ونادي
وأذقناكم المهانة والذل ... وكنا لكم حياة النكاد
جلّ ربي وقوة الحق أضحت ... آية زلزلت لأهل العناد
مائتا ألف دَراعٍ وكميّ ... لم يصونوا لدولة الجلاد
أين منهم مدافعٌ وصواريخ ... تهاوت أم أين واري الزناد
أين سراب طائرات توالت ... مُرعدات تصول بالأحقاد
أين كل المجنزرات لماذا ... لم تكن مانعاً من الاصطياد
حشدوا الجند والسلاح ... وهل كان بقاءٌ لأمّة الإفساد
لم يُخفنا الجيش العرمرم لما ... قد غزا الدار بالغلاظ الشداد
لهم القوة الغشوم سلاح ... بادت فليعلنوا للحداد
ولنا الحق يستحثّ خطانا ... واضحاً والهدى ودرب الرشاد
قل لروسيّة الشيوعية الحمراء ... بادت فليعلنوا الحداد
نكّسوا اليوم للرّؤوس وقولوا ... إننا للأذَلُّ بين العباد
قد أخذنا من حرب أفغان درساً ... ليس ينساه بعدُ أيّ مُعاد
فخذوا عبرةً جبابرة الأرض ... ولا تخدعوا بجيش النّفاد
نحن جند الإيمان عشنا وسرنا ... في طريق الإخاء الاتحاد
قد وجدنا ساح الجهاد حياة ... يوم خضنا لله درب الجهاد
أيها الحالمون بالنصر إن ... النصر يأتي بالبذل والإعداد
بصراع الأقران في ساحة ... الميدان في زحمة الردى والجلاد
ليس نيل المنى لمن ركب السهل ... واستلذ الرقاد بعد الرقاد
فالجهاد الجهاد يا أمة الحق ... إذا ما رمتم حياة السّداد
فيه العز عزّ كل ذليل ... وبه للأباة نيل المراد

وقريباً إن شاء الله ستعلن أمريكا الليبرالية السوداء الحداد كما أعلنت الروسية الشيوعية الحمراء حدادها، وستُنكس أعلامها في كل العالم، وما ذلك على الله بعزيز، وسيرحل الصنائع والعملاء والخونة إلى مزبلة التاريخ، وقد رأينا بعضهم قد رحل فعلاً ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [سورة الدخان: ٢٩].

يقول "ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره (٣١٦٧/٧)": "أي لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم، ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله فيها فقدتهم، فلهذا استحقوا ألا ينظروا ولا يؤخذوا لكفرهم وإجرامهم وعتوهم وعنادهم". انتهى كلامه.

وأما الشيخ الأمير أسامة بن لادن – رحمه الله – فقال بقتال الأمريكان وألا يُشَاوَر أحداً في ذلك لإدراكه بأنها رأس الكفر العالمي وطاغوت العصر وحامية الصنائع وناشرة الليبرالية السوداء، وقالها مدوية بأن بوش حمل الصليب، وأن كل من سار خلفه فهو مرتد كافر مثله وصدق والله وقالها: "أقسم بالله العظيم لن تحلم أمريكا ولا من يعيش في أمريكا بالأمن حتى نعيشه واقعاً في فلسطين، وحتى تخرج جميع الجيوش الكافرة من أرض محمد ﷺ والله أكبر والعزة للإسلام"، وبرّ في قسمه – رحمه الله – وكما قيل:

ومضـــيت وحدي في دروب عزيمتي ... إن المجـــــــاهد حين يصدق يعزم
ورأيـــــــت أعدائي صغارا، كلما ... واجَهتهـــــــم بيقين قلبي أحجموا
وغدوت أدعـــو من رجال عشيرتي ... من ســافروا خلف السراب ودمدموا
يا من رحلتـــــم في دروب، شوكها ... صعـــــــب المراس، ورملها متكوّم
هذي منابركـــــــم تزلزل نفسـها ... سأمـــــــــا وقد كفرتْ بما قرّرتموا
طيروا بأجنحة السيـــــاسة حيثما ... شئتـــم، وقـــولوا ما أردتم وارسموا
وقفوا أمام وسائل الإعـــــلام في ... سمـْت، لتـــؤخذ صـــورة وتبسموا
واستمطروا من هيئة الأمم التـــــي ... هرمـت بقـايا عطفهـا كي تغنموا
وترقبـــوا تأشـيـــرة لدخولكم ... فلربمـــا جـادوا بهـــا وتكرّموا

وابنوا لكم في كل أرض دولـــــــة الشعـــب والحكام فيها أنتمـــو
ودعـــــوا لنـــــا درب الجهاد فإنه درب الخلاص لنـــا وإن كابرتمـــوا
درب مضـــى فيه الرسول وصحبه نشـــروا بـــــه الحق المبين وعلّموا

وأيقظ الله بالشيخ أسامة بن لادن – رحمه الله – والمسلمين المجاهدين الذين معه وساروا على درب الحق والإيمان والأمة الإسلامية، وكان لسان حالهم ومقالهم لأمتهم كما قال القائل:

مـــزقـي الـقـيـد حطمي الأغلالا أمّـتـي فـالـرضـوخ أضحى محالا
دمّـري واقـــع الـضـلال أبيدي كـلّ وضـع أصـلـى الـعـبـاد نكالا
طـهّـري كـلّ مـركـز مـن قـذى الأصـنـام فالإثـم قد طغى استفحالا
حـرّري بـالـجـهـاد لا بـسـواه وطـنـنـا جـرّعـوه داءً عـضالا
وعـقـولاً بـالـزيـف فـي ظل غزو أخمـدوهـا وعـبّـؤوهـا ضـلالا
بالـجـهـاد المهيب دُكّي حصوناً لائـتـلاف زاد الـفـسـاد اشـتعالا
بـيـن كـفـرٍ مـدمـرٍ وحـثالاتٍ تـلاقـوا عـلـى فـنـانـا وصالا
كـــم دروس عـشـنا نُـلَقّن بالمر أسـاهـا فـمـا رعـيـنا المقالا
هـذه الـمـحـنـة الأليمة في الأفغان تـــروي وتـوضـح الأحـــوالا
عـن مـدى غـفـلـة الشعوب وعن إجرام من هاب أن يخوض الـنضالا
تـاركـاً للـدخـيـل أمـر بلادٍ تـتـلـظى وتـحـتـسـي الإذلالا
مذ أبوا أن يُـقـدّمـوا أي عـونٍ لـجـهـادٍ يُـشـرّف الأجـيـالا
وأفاضوا الأمـوال دون حـسـابٍ لـحـروبٍ هـم أشـعلوها افتعـالا
علّها تصرف الـعـواصف عنهم وتـقـيـهـم تـغـيّـظـاً فـعّـالا
سوف يقضي على ضلال خيانـاتٍ تـمـادوا فـي غـيّـها اسـتعجـالا

(تهمة تحريم الزواج ببنات البلد باعتبار أنهن غير مسلمات)

وأقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، وافتراء كبير، ولا والله ما قال أحد منا ذلك بدءًا بالشيخ أسامة بن لادن – رحمه الله – مروراً بالشيخ أيمن الظواهري وبقية المشايخ وطلبة العلم والمجاهدين عموماً، لا في كتاب ولا خطاب ولا شريط ولا غير ذلك، وكما قيل:

لي حيلة فيمن ينمُّ ... وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقول ... فحيلتي فيه قليلة

وكما قال آخر:

لي حيلة فيمن ينمُّ فإنني ... أطوي حديثي دونه وخطابي
لكنما الكذاب يخلق قوله ... ما حيلتي في المفتري الكذاب

وكما قال الثالث:

لا يكذب المرء إلا من مهانته ... أو فعله السوء أو من قلة الأدب
لبعضُ جيفة كلبٍ خيرُ رائحة ... من كذبة المرء في جدٍ وفي لعب

فكيف وكاتب هذه التهم والافتراءات هو جهاز امتهن الكذب في كل شيء واستحسنه وسوّغه فهو يكذب في صمته ونطقه وضحكه وبكائه كما قال الشاعر:

إياك من كذب الكذوب وإفكه ... فلربما مزج اليقين بشكه
ولربما كذب امرؤ بكلامه ... وبصمته وبكائه وبضحكه

وكيف والمباحث يقوم عملهم على الإفك والزور والبهتان والنميمة والغيبة واختلاق الوقائع والأحداث والإفساد في الأرض، يُحدّثون فيكذبون، ويعدون فيخلفون، ويؤتمنون فيخونون، ويعاهدون فيغدرون، ويخاصمون فيفجرون، وكما قال الشاعر في وصف هؤلاء:

قد ذقتهم وبلوتُ الحـــالَ عـنـــدهم ... فـمـا حصلتُ على صابٍ ولا عسل
لا يفعلون إذا قالوا فـقـد بَـعُـتـدت ... مـسـافـةُ الـخـلـف بين القول والعمل
أضـــحت مواعيد عرقوب لهم مثلاً ... ومـا مـواعـيـدهـم إلا عـلـى دخـل
أشكو المكان وأهـــلـيـــه وأمقـتهم ... إذ سـوء أفـعـالـهـم أوفى على القلل
ساءت سريرتهم حالت طريقتهـــــم ... زاغـت بـصـيـرتـهم عن أقوم السبل
عـلـمٌ بـلا عـمـلٍ حـكـمٌ بلا حِكَمِ ... ظـلـمٌ عـلـى عـجلٍ وعـدٌ على مهل
الإفك والزور والـــبـهـتـان عندهم ... والســـعي فـي الأرض بـالإفساد
الكذب مستحسنٌ والصدق عندهم ... مسـتـهـجـنٌ مـن صفات العاجز
أهنى الطعام لحوم الناس عندهـــــم ... والـنّـَمُّ فيـمـا لـديهـم شربة العسل
نـكـث الـعـود سجاياهم ودأبهـم ... خُـلـفُ الوعود وذا من أسوأ الثقل

وكيف وهم يكذبون على الله وعلى رسوله وعلى علماء المسلمين في هذه الأوراق التي لبسوا فيها، وكتموا، وبدلوا، وحرفوا، وأنكروا مسلّمات شرعية ووضعوا آيات وأحاديث في غير موضعها، وساقوا إجماعات ما سمع بها أحد من قبل، وأنكروا الواقع جملة وتفصيلا، أفلا يستسهلون الكذب علينا؟

ويجيزونه بهذه الكذبة الصلعاء التي يعرف كذبها كل مسلم عاقل عارف بنا، فهذا الشيخ أسامة بن لادن – رحمه الله – زوجاته كلهن من بنات جزيرة العرب، وكذلك بقية المسلمين المجاهدين أكثرهم زوجاتهم من بني قومهم، وهناك من تزوج من المسلمات من بقية بلدان المسلمين من الشام ومصر والمغرب وغيرها، فلا حدود جغرافية ولا جنسيات مصطنعة تحول بيننا وبين الزواج بالمسلمات من كل بلاد المسلمين، وحيثما حل المجاهدون في بلد لنصرة

أهلها والدفاع عنهم وعن أعراضهم وأموالهم تزوجوا من المسلمات في ذلك البلد كما حدث في الشيشان والبوسنة والهرسك وأفغانستان وباكستان وغيرها من البلدان.

فكيف يجرؤ كاتب هذه التهمة الصلعاء أن يقول بأنا نعتبر بنات البلد غير مسلمات، وأين وجدَ هذا، فليثبت كلامه وليبرهن عليه وليأت بالمرجع أو الكتاب أو الشريط أو الوثيقة أو البينة التي تدل على قوله هذا، وأتحداه أن يفعل، ولو فعل أتحداه أن يجد.

بل هم من هدم بيوت المسلمين، فكم رملوا من نساء ويتموا من أطفال، وحالوا بين الأسرى وبين الزواج من المسلمات في جزيرة العرب، وكم من قصص لسجناء لهم سنين يمنعون من زوجاتهم وزيارة أزواجهم في السجن، أو يحال بينهم وبين إتمام الزواج فلا يعطون الوكالة لإتمام العقود أو يسمحون بإتيان أهل الزوجة في زيارة يقابلون فيها الأسير ويتم العقد بحضور المأذون، بل يمنعون من ذلك، وأنا أحد هؤلاء الذين حيل بيني وبين زوجتي ومنعوني من الزواج بالأخرى بلا ذنب ولا سبب، وزوجتي السابقة والجديدة من بنات جزيرة العرب الأولى من زهران والأخرى من تميم، ولا أعرف أو أعلم أن أحداً قال هذا القول منا مطلقاً، ولم أجده إلا في هذه الأوراق، وهو من الظلم الذي حرمه الله ورسوله ﷺ، فقد قال أبو ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا)) [رواه مسلم (٢٥٧٧)].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: ((الظلم ظلمات يوم القيامة)) [١].

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)) [رواه مسلم (٢٥٧٨)] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ

---

[١] رواه البخاري (٢٤٤٧)، ورواه مسلم (٢٥٧٩) بلفظ: ((إن الظلم...)).

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨].

يقول "ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره (١١٣١/٣)": "أي كونوا قائمين بالحق لله عز وجل لا لأجل الناس والسمعة، وكونوا شهداء بالقسط أي بالعدل لا بالجور.

– إلى أن قال – أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كلّ أحد صديقاً كان أو عدوا..." انتهى كلامه.

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٣٥] وإطلاق مثل هذه التهم هو من الجور والظلم واتباع الهوى ومن الكذب والبهتان والافتراء، وكلها أمور محرمة، ومع ذلك لا يتورع المباحث وآل سعود عن مثل هذا، والله حسبنا عليهم ونعم الوكيل.

(تهمة الانتماء لقاعدة الجهاد والدعوة إليه والدفاع عنه والتنظير له وتمجيد قياداته...)

فأقول: أنا لا أنكر انتمائي للمسلمين المجاهدين سواء كانوا باسم (قاعدة الجهاد) أو بأي اسم آخر، المهم أن يكونوا على درب وطريق النبي ﷺ ودرب أصحابه من المهاجرين والأنصار، وقد قال جابر بن سمرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة)) [رواه مسلم (١٩٢٢)].

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة)) [رواه مسلم (١٩٢٣)].

وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة)) [رواه مسلم (١٠٣٧)].

وقال عقبة بن عامر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله، قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك))[رواه مسلم (١٩٢٤)].

وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس)). [رواه البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٠٣٧)].

وقال عمران بن حصين رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: ((لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال)) [١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه: ((لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله، لا يضرها من خالفها، تقاتل أعداء الله، كلما ذهبت حرب نشبت حرب قوم آخرين، حتى تأتيهم الساعة)) [٢].

وغيرها من الأحاديث النبوية التي تدل على هذا المعنى وهو القيام بأمر الله وبالحق والمقاتلة في سبيل الله.

ولم أجد هذه المعاني والصفات في طائفة كما أجدها في قاعدة الجهاد بقيادة الشيخ أسامة بن لادن – رحمه الله – ثم قيادة الشيخ أيمن الظواهري وبقية القواعد للجهاد في كل البلدان، فترى التوحيد الصافي والمنهج الواضح والقتال والجهاد في سبيل الله في أروع صوره وأنبل معانيه، وترى التضحيات وبذل المهج والأرواح للذود عن الدين والمقدسات والأعراض والحرمات، والدفاع عن المسلمين في جميع أقطار الأرض في أفغانستان وباكستان والعراق والشام وجزيرة العرب والصومال وسيناء والشيشان وبلاد المغرب الإسلامي وغيرها من البلدان التي تعرضت لحرب وعدوان، طاروا له جماعات ووحداناً ينصرون أهلها ويدافعون عنهم كما جرى في البوسنة والهرسك وكوسوفا وجزر الملوك في أندونيسيا.

---

[١] رواه أحمد (١٩٩٢٠) وأبو داود (٢٤٨٤) وإسناده صحيح على شرط مسلم.

[٢] رواه الطبراني في مسند الشاميين (١٥٦٣، ٢٤٩٦) وإسناده حسن.

وقد قال ابن العباس رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم جلوس فقال: ((ألا أحدثكم بخير الناس منزلة)) فقالوا: بلى يا رسول الله، قال: ((رجل ممسك برأس فرسه في سبيل الله حتى يموت أو يقتل)) [١].

وكما قال ابن حزم – رحمه الله –:

مناي من الدنيا علوم أبثها ... وأنشرها في كل باد وحاضر
دعاء إلى القرآن والسنن التي ... تناسى رجال ذكرها في المحاضر
وألزم أطراف الثغور مجاهدا ... إذا هيعة ثارت فأول نافر
لألقى حمامي مقبلا غير مدبر ... بسمر العوالي والرقاق البواتر
كفاحا مع الكفار في حومة الوغى ... وأكرم موت للفتى قتل كافر
فيا رب لا تجعل حمامي بغيرها ... ولا تجعلني من قطين المقابر

فعلام لا أحب هؤلاء ولم لا أدعو إليهم وأدافع عنهم، وما الضير في التنظير لهم والثناء عليهم والتمجيد لقياداتهم ولجهادهم وبطولاتهم، ولا والله ما أعلم طائفة أقوم بأمر الله منهم، ولا والله ما أعلم طائفة أرغم لأعداء الله منهم، ولا والله ما أعلم عملاً أرجى لي عند الله من حبّهم والدفاع والمحاماة عنهم، وأنا على ذلك بالأمس واليوم وغدا إن شاء الله، وإن سجنتموني وعذبتموني وقتلتموني.

يقول ابن قدامة – رحمه الله – في "المغني (١٣/١٠-١١)": "مسالة: قال أبو عبد الله – أي أحمد بن حنبل– لا أعلم شيئاً من العمل بعد الفرائض أفضل من الجهاد" روى هذه المسألة عن أحمد جماعة من أصحابه، قال الأثرم: قال أحمد: لا نعلم شيئاً من أبواب البر أفضل من السبيل. وقال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله وذكر له أمر الغزو فجعل يبكي

---

[١] رواه أحمد (٢١١٦) والنسائي (٢٥٦٩) والدارمي (٢٤٤٠) وصححه ابن حبان (٦٠٣،٦٠٤) وإسناده صحيح.

ويقول: ما من أعمال البر أفضل منه. وقال عنه غيره: ليس يعدل لقاء العدو شيء، ومباشرة القتال بنفسه أفضل الأعمال، والذين يقاتلون العدو هم الذين يدفعون عن الإسلام وعن حريمهم، فأي عمل أفضل منه، الناس آمنون وهم خائفون قد بذلوا مُهَجَ أنفسهم". انتهى كلامه.

وقال "ابن قدامة – رحمه الله – في المغني (١٢/١٣)": "ولأن الجهاد بذل المهجة والمال، ونفعه يعم المسلمين كلهم، صغيرهم وكبيرهم، قويهم وضعيفهم، ذكرهم وأنثاهم، وغيره لا يساويه في نفعه وخطره؛ فلا يساويه في فضله وأجره". انتهى كلامه.

وأقول ما قاله ابن القيم – رحمه الله – في الميمية:

أولئك أتباع النبي وحزبه ... ولولاهم ما كان في الأرض مسلم
ولولاهم كادت تميد بأهلها ... ولكن رواسيها وأوتادها هم
أولئك أصحابي فحيّ هلا بهم ... وحيّ هلا بالطيبين وأنعم
لكلّ امرئ منهم سلام يخصه ... يبلّغه الأدنى إليه وينعمُ
فيا محسناً بلّغ سلامي وقل لهم ... محبّكم يدعو لكم ويسلم
ويا لائمي في حبهم وولائهم ... تأمل هداك الله من هو ألومُ
بأي دليل أم بأية حجة ... ترى حبهم عاراً عليّ وتنقمُ

يقول جبير بن نضير إن سلمة بن نفيل أخبرهم أنه أتى النبي ﷺ فقال: إني أسْمْتُ الخيل وألقيت السلاح ووضعتِ الحرب أوزارها. قلت: لا قتال. فقال له النبي ﷺ: ((الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، يزيغ الله قلوب أقوام فيقاتلونهم ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله عز وجل وهم على ذلك، ألا إن عقر دار المؤمنين الشام، والخيل معقودة في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)) [رواه أحمد (١٦٩٦٥) بإسناد حسن، ورواه النسائي في الكبرى (٤٤٠١)].

عن سلمة بن نفيل الكندي قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ، فقال رجل: يا رسول الله، أذال الناس الخيل ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها. فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه فقال: ((كذبوا، الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منه حتى تقوم الساعة، أو حتى يأتي وعد الله، والخيل معقودة في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)) [إسناده حسن].

والشيخ الإمام أسامة بن لادن – رحمه الله – وقواعد الجهاد حين احتل الروس والأمريكان بلاد المسلمين في أفغانستان والشيشان والعراق كانوا من أهل هذه البلدان يقاتلون هؤلاء الكفار الغزاة، ويقولون لمن يقول لا قتال ولا جهاد "كذبوا الآن جاء القتال"، وهم أظهر الناس على عدوهم، وأنكاهم على أمريكا، وأكبر عدو تخافه أمريكا هم هؤلاء المؤمنون المقاتلون في سبيل الله، تحسب لهم مليون حساب، وتخشاهم أشد خشية، لم يضرهم الخذلان في كل السنين الماضية، ولا المخالفة، ولا الحملات الإعلامية، ولا الفتاوى من شيوخ الزور والبهتان، ولا المعاداة من كل الأطراف.

يقول ابن القيم – رحمه الله – في "مقدمة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٣٥-٣٦)": "وكفى بالعبد عمى وخذلاناً أن يرى عساكر الإيمان وجنود السنة والقرآن وقد لبسوا للحرب لامته، وأعدوا له عدته، وأخذوا مصافّهم، ووقفوا مواقفهم وقد حمي الوطيس، ودارت رحى الحرب، واشتد القتال، وتنادت الأقران: نزالِ نزالِ، وهو في الملجأ والمغارات والمدّخل مع الخوالف كمين.

وإذا ساعد القدرُ وعزم على الخروج قعد فوق التل مع الناظرين ينظر لمن الدائرة ليكون إليهم من المتحيزين، ثم يأتيهم وهو يقسم بالله جهد أيمانه: إني كنت معكم، وكنت أتمنى أن تكونوا أنتم الغالبين.

فحقيق بمن لنفسه عنده قدرٌ وقيمة أن لا يبيعها بأبخس الأثمان، وأن لا يعرضها غداً بين يدي الله ورسوله لمواقف الخزي الهوان، وأن يثبت قدمه في صفوف أهل العلم والإيمان، وأن

لا يتحيز إلى مقالة سوى ما جاء في السنة والقرآن، فكأن قد كشف الغطاء وانجلى الغبار وأبان عن وجوه أهل السنة ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس:٣٩]، وعن وجوه أهل البدعة ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس:٤٠-٤١]، ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦].

قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة.

فوالله لمفارقة أهل الأهواء والبدع في هذه الدار أسهل من مرافقتهم إذا قيل: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُم﴾ [الصافات:٢٢].

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعده الإمام أحمد رحمه الله تعالى: (أزواجهم) أشباههم ونظراؤهم.

وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير:٧] قالوا: فيجعل صاحب الحق مع نظيره في درجته، وصاحب الباطل مع نظيره في درجته. هنالك والله ﴿يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان:٢٧] إذا حصلت له حقيقة ما كان في هذه الدار عليه يقول: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩] انتهى كلامه.

وقال رحمه الله في الكافية الشافية:

يا مبغضا أهل الحديث وشاتما ... أبشر بعقد ولاية الشيطان
أو ما علمت بأنهم أنصار دي ... ـن الله والإيمان والقرآن
أو ما علمت بأن أنصار الرسو ... ل هم بلا شك ولا نكران
هل يبغض الأنصار عبد مؤمن ... أو مدرك لروائح الإيمان

شـهد الرسـول بذاك وهي شـهادة ... من أصدق الـثـقـلين بالـبـرهـان
أو ما علمت بأن خـزرج ديـنـه ... والأوس هـم أبـدا بـكـل زمـان
ما ذنبهم إذ خـالـفـوك لـقـوله ... مـا خـالـفـوه لأجـل قـول فلان
لو وافقوك وخالفوه كـنـت تشـ ... ـهد أنـهـم حـقـا أولـو الإيمان
لما تحيّزتم إلى الأشـيـاخ وانـ ... ـحـازوا إلـى الـمبعوث بالقرآن
نسبوا إليه دون كـل مـقـالـة ... أو حـالـة أو قـائـل ومـكـان
هذا انتساب أولي الـتـفرّق نسبةٌ ... مـن أربـع مـعـلـومـة الـتبيان
فلذا غضبتم حيـنـمـا انتسبوا إلى ... خـبـر الرسـول بـنسبة الإحسان
فوضعتم لهم مـن الألـقـاب مـا ... تـسـتـقـبـحون وذا من العدوان
هم يشهدونكم عـلـى بـطـلانـهـا ... أفـتـشـهـدونـهـم عـلى البطلان
ما ضرهم والله بـغـضـكـم لـهم ... إذ وافـقـوا حـقـا رضـا الرحمن
يا من يعاديـهـم لأجـل مـآكـل ... ومـنـاصـب ورياسة الإخوان
تهنيك هاتيك الـعـداوة كـم بـهـا ... مـن حـسـرة ومـذلـة وهـوان
ولسوف تجني غـبّـهـا والله عن ... قـرب وتـذكـر صدق ذي الإيمان
فإذا تقطعت الوسائـل وانـتـهـت ... تـلـك الـمـآكـل فـي سريع زمان
فهناك تقرع سـن ندمان على التـ ... ـفـريـط وقـت الـسير والإمكان
وهناك تعلم ما بضاعـتـك الـتي ... حـصـلـتـهـا فـي سـالف الأزمان
إلا الوبال عليك والحسـرات والـ ... ـخـسـران عـنـد الوضع في الميزان

وقد ذكرت فيما مضى ما يكفي من شرح حال المسلمين المجاهدين في كل الثغور، وأنهم كتيبة الإسلام وأحق الناس بوصف الطائفة المنصورة التي جاءت بها الأحاديث ما يكفي عن إعادته هنا.

وأما الشيخ الإمام أسامة بن لادن وتأليف كتاب (أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان) ثم نشره فما هكذا يرد على الكتب، فالكتاب يقع في ستمائة صفحة، وكاتب أوراق الدعوى والتهم ذكره في سطر وقال عن الشيخ بأنه من أهل الزيغ والضلال ووصفه بالإرهابي والهالك كما هي عادتهم في شيطنة الخصوم، وهذا هو قمة الإفلاس والكتاب قد نشرته في (١٤٢٤/٦/٦) أي منذ ما يقرب من عشر سنوات ولم يردوا عليه ويفندوا ما فيه بالطرق العلمية الصحيحة والمعتبرة، وإنما هو الصياح والشتام والسباب. وأقول:

ما كلام الأنام في الشمس إلا أنها الشمس ليس فيها كلام

وأقول أيضًا:

قلن تعرفن الفتى قلن نعم قد عرفناه وهل يخفى القمر

وأقول: إذا رأيت الرجل يحب أسامة بن لادن؛ فاعلم أنه صاحب سنة وجماعة.

وأقول: إذا رأيت الرجل يحب أسامة بن لادن؛ فاعلم أنه على الطريق.

وأقول: إذا رأيت الرجل يقع في أسامة بن لادن؛ فاعلم أنه مبتدع ضال.

وأقول: إن الله عز وجل أعز هذا الدين برجال منهم أبو بكر الصديق يوم الردة وأحمد بن حنبل يوم المحنة، وقد كان لأبي بكر الصديق أصحاب وأعوان، وأما أحمد بن حنبل فليس له أصحاب وأعوان، ثم بأسامة بن لادن يوم الذلة وقد طاردته الدنيا بجيوشها واستخباراتها وقواها العظمى، فحفظه الله سنين عددا، ثم اختار له الشهادة والموت بعزة وكرامة. وأكرم موت للفتى قتل كافر ليبقى حياً في النفوس أبد الدهر.

وكما قال الشاعر:

عـرفتُـك حـرًا طـوال الســـنين تبيع الحياة لـــــربٍ وديـــــــنْ
فـإن كنـت فـارقـتَ دار اختبـار فـأنـت شـــهيـد مع الخـالـدينْ
فـلا أنـت ممّـن طـواه الـزمـن ولا أنت ممّن يخـــــــــاف المحنْ
فقـد مزقتـك ســيـاط الطغـاة فما نال مـــنـــك عـذابُ البدنْ
مع الســـابقين اتخـذت المكـان ولـلاحـقـين رسمـت الـبـيـانْ
فمن ســـار وفق كتـاب الإلـه ســيلحقُ حتمـاً بأسمى مكـانْ
يقينـاً صـــدقـتَ فنِلـتَ الجزاء بجـنّـات عـدنٍ ثمـارَ الـوفـاءْ
هـنـاك خـلـودٌ مـع الخـالـديـن مع الـــسـابـقـيـن مع الأتقياء

وأقول: لو قيل لي: أتحب أن أسامة بن لادن مكانك؟

والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن أسامة بن لادن شيك بشوكة.

وأقول: أسامة بن لادن قرة عين الإسلام.

وأقول: أسامة بن لادن هو المحنة بيننا وبين شيوخ الضلالة والغواية.

هو المحنـة اليوم الـذي يبتلى بـه فيعتبر السُّـــنِّيُّ فينـا ويســتر
شـــجىً في حلوق الملحـدين وقرّة لأعين أهل النُّسْـــك عفّ مشـــمّرُ

وأقول: أسامة بن لادن سيف الله المسلول على أمريكا وصنائعها وأذنابها.

وأقول: إذا رأيت الرجل يغمز في أسامة بن لادن فاتهمه على الإسلام.

وأقول: أسامة بن لادن سيد الإسلام والمسلمين في هذا الزمان، وإمام المجاهدين بالنفس والمال والمقال والفعال والحجة والبيان والسيف والسنان.

وأقول: إذا رأيت الرجل يحب أسامة بن لادن ويذكر محاسنه وينشرها؛ فاعلم أن من وراء ذلك خيراً إن شاء الله.

وأقول عن أسامة بن لادن – رحمه الله – وقواعد الجهاد في سبيل الله في كل مكان:

قومٌ أقامهم الإله لحفظ هذا الـــــ ـــدين من ذوي بـدعـة شيـطـان
وأقـامهم حرســـاً من التبـديـل والتحريف والـتـتـمـيـم والـنقصان
بُزلٌ على الإســـلام بل حصـــنٌ له يأوي إليـه عســـاكـر الـفرقـان
فهم المحَـكُّ فَمَنْ يُرى متنقّصـــاً لهـم فـزنـديـقٌ خـبـيـث جَنَـانِ
إن تتهمـهُ فقبلَـكَ السـلف الألى كـانوا على الإيمـان والإحســـان
أيضـــاً اتهموا الخبيث على الهدى والـعـلـم والآثار والـقـرآن
وهو الحقيق بـذاك إذ عـادى روا ة الدين وهي عـــــداوة الديان

وأقول: إن الشيخ أسامة بن لادن – رحمه الله – أحق الناس بوصف التجديد لهذا الدين كما في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها)) [1].

وقد أحيا الله بالشيخ أسامة بن لادن – رحمه الله – الجهاد والتوحيد والولاء والبراء والعزة والكرامة والثبات وغيرها من المعاني، ولذا أسميته بالمجدد في عنوان الكتاب (مجدد الزمان)، ولم لا وهو كما قال الناظم:

ولـه المقـامـات الشـــهيرة في الورى قد قامها لله غيـــر جـبـــــان
نصـــر الإلـــهَ ودينـــه وكـتـــابه ورســـولـه بالســـيف والبرهـانِ

[1] رواه أبو داود (٤٢٩١) وصححه الحاكم (٨٦٧،٨٦٧١) والبيهقي والعراقي وابن حجر وإسناده صحيح.

وكما قال الشاعر:

أين الذي عنت الفرنج لبأسه ... ذلًا ومنها أدركت ثاراتُه
من في الجهاد صفاحُه ما أُغمدت ... بالنصر حتى أغمدت صفحاته
لذّ المتاعب في الجهاد ولم تكن ... مُذْ عاش قطّ لذاته لذاتُهُ
مسعودة غدواته محمودة ... روحاته ميمونة ضحواته
في نصرة الإسلام يسهر دائباً ... ليطول في روض الجنان سباته
لا تحسبوه مات شخص واحد ... فممات كل العالمين مماته
مَن لليتامى والأرامل راحمٌ ... متعطف مفضوخة صدقاتُهُ
وكعادة البيت المقدس يحزن الـ ... ـبيت الحرام عليه بل عرفاتُهُ
بكت الصوارم والصواهل إذ خلتْ ... من سلّها وركوبها غزواتُهُ

ولو يسر الله لي الخروج لأعدت طبع الكتاب وزدت عليه ضعفه، وهذا أقل وأيسر ما أقدمه من وفاء لهذا الإمام على رغم أنف كل عدو للجهاد والمجاهدين وعلى رغم أنف كل متهم على الإسلام والمسلمين من المباحث المارقين.

والكتاب موجود ومنشور ومشهور وهو أحب كتبي إلى قلبي، وأرجو أن أكون أسعدت به الشيخ أسامة بن لادن – رحمه الله – وأغظت به أعداءه، وكنت أتمنى أن يكون صدر بشكل أحسن مما هو عليه الآن والله المستعان.

وأقول للمباحث: إن القيود والكلبشات والزنازين الانفرادية والقهر والنهر والسباب والشتائم دليل عجز وإفلاس وهروب من الردود العلمية والشرعية، ولا تزيدنا إلا ثباتاً وقوة، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، ووالله لو تيسر لي لكتبت في الشيخ أيمن الظواهري كتاباً يستحقه، وكذلك في الشيخ أبي مصعب الزرقاوي، والشيخ أبي عمر

البغدادي، والقائد أبي حمزة المهاجر، وغيرهم من قادة المجاهدين في كل مكان، وإن حاكمتم وأرعدتم وأبرقتم.

وإن كان الكتابة في الشيخ أسامة بن لادن – رحمه الله – جريمة، فليشهد الثقلان أني مجرم، فقد عاش حميداً ومات شهيداً أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحداً.

وهو كما قال الشاعر:

لم تحن رأسك للطغاة ولم تدن يوماً لغير الواحد المعبود
ووقفت في صف الضعيف ولم تمل نحو القوي ورفده المرفود
لم ترض يوماً أن تباع بضاعةً للأجنبي وماله الممدود
وأبيت تركع للجبابرة الألى حكموا ولم يك حكمهم برشيد
ورفعت بالتوحيد رأسك عالياً قتل الألى قتلوك للتوحيد

وكما قال ابن القيم – رحمه الله – في الكافية الشافية:

لكن أرواح الذين استشهدوا في جوف طير أخضر ريّان
فلهم بذاك مزيّة في عيشهم ونعيمهم للرّوح والأبدان
بذلوا الجسوم لربّهم فأعاضهم أجسام تلك الطير بالإحسان
ولها قناديل إليها تنتهي مأوىً لها كمساكن الإنسان

وقد ذكرت في هذا الكتاب سيرة الشيخ وحياته وجهاده وتاريخه، ورددت على دعاوى الخصوم وأكاذيب الطغاة والشبهات التي قيلت فيه، وغير ذلك، فمن وجد مخالفة شرعية واحدة أو انحرافاً أو خطأ أو غير ذلك فليأت به وليرد عليه، وليخرج لنا قرنه وليكتب ما ينكره وحجته في ذلك، وله نصف سنة ليفعل ذلك، وإذا فعل كتبت جوابي عليه ويُعرض قوله وقولي على الناس، ليُعلم أي الفريقين أهدى سبيلا وأقوم قيلا.

وأنا على يقين أنكم لن تفعلوا، فليس لديكم إلا العي في الخطاب والنكوص على الأعقاب والعجز عن الجواب، ومن يفعل أو يريد أن يفعل يخاف ظهور العار وخزي أهل الجهل والصغار، ومن يحاكم على مثل هذا فسيبقى وصمة عار عليه وعلى أهله وذويه وسنحاكمه أمام الواحد القهار وعند الله تجتمع الخصوم.

وأما تأليف كتاب (وجوب استنقاذ المستضعفين من سجون الطواغيت والمرتدين) فهو كتاب فيه تصوير لشيء من واقع السجون في سوريا ومصر وغيرها من البلدان، وكذلك سجون آل سعود وما يجري فيها من تعذيب وانتهاكات وظلم وقهر للعباد وسحق لكرامة الناس ومنع لحقوقهم، وذكرت ذلك في عشرات الصفحات، وذكرت أساليب التعذيب المستخدمة والممنهجة التي تجري، وأحلت إلى المراجع والكتب والمصادر التي توثق ذلك، وبينت أن المسلمين يستضعفون في هذه السجون وأنه يجب إنقاذهم والسعي في فكاكهم وإظهار قضيتهم، وهذا أمر أصبح مشهوراً الآن بعد أن ثارت الشعوب على عدد من هؤلاء الطغاة كما جرى على معمر القذافي في ليبيا، حيث إن أبرز قضية ثار الشعب من أجلها هي السجون، والأمثلة كثيرة على أن واقع السجون فظيع ورهيب لا يحل السكوت عنه.

وقد كان من أبرز ما بعث الله موسى وهارون حين ذهبا إلى فرعون إلى إخراج بني إسرائيل وعدم تعذيبهم، وجاءت الأدلة الشرعية بوجوب نصرة المظلوم والسعي في فكاك العاني وهو الأسير، ففي حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً))، قيل: يا رسول الله، هذا أنصره مظلوماً، فكيف أنصره إذا كان ظالماً؟ قال: ((تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره)) [رواه البخاري (٦٩٥٢)].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أمرنا النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع – فذكر الحديث وفيه: ((ونصر المظلوم)). [رواه البخاري (١٢٣٩) ومسلم (٢٠٦٦)].

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((فكوا العاني وأجيبوا الداعي وعودوا المريض)) [رواه البخاري (٥١٧٤)].

ولكن المباحث وأولياء أمر المباحث (وزير الداخلية السابق نايف بن عبد العزيز، واللاحق محمد بن نايف) لا يريدون نصر المظلوم ولا الظالم، وهم يريدون أن تبقى أيديهم مطلقة يعذبون ويقهرون ويسجنون ويفعلون الأفاعيل بلا رقيب ولا حسيب، أما أن يُحجزوا ويُمنعوا من الظلم فهذا ما لا يهوونه ويشتهونه.

والسجن في الإسلام له أحكام وآداب وأخلاق يجب تطبيقها وعدم تجاوزها، والذي كتبته في الكتاب وعشته هذه السنين في سجن (الحائر الجائر) يبين أن الإسلام وشريعته في واد والواقع في واد آخر.

يقول ابن هبيرة – رحمه الله – عن السجن في زمانه: "فأما الحبس الذي هو الآن فإني لا أعرف أنه يجوز عند أحد من المسلمين، وذاك أنه يُجمع الجمع الكثير في موضع يضيق عنهم غير متمكنين من الوضوء والصلاة، ويتأذون بذلك بحرّه وبرده، فهذا كله محدث، ولقد حرصت مراراً على فكه فحال دونه ما قد اعتاده الناس منه، وأنا في إزالته حريص". انتهى.

وأقول: إن الممارسات والانتهاكات والأنظمة التي تجري علينا في هذه السجون لا تجوز عند أحد من المسلمين، وهي ظلم نهى الله عنه، وقهر للرجال وإرهاب وترويع واستخفاف بالناس، ولئن كان ابن هبيرة شكا بعض صور السجن في زمانه وقال ذلك فإنما يجري وزيادة في بعض البلدان.

وأما عندنا في هذه السجون الخمسة (الحائر، والدمام، والطرفية في بريدة، وذهبان في جدة، وعسير) فمختلف، أما الجماعي ففي عدد من الأجنحة تكون دورات المياه مكشوفة بحيث يتأذى من يدخل إلى الخلاء بسماع الناس لأصوات قضائه للحاجة ويتأذى من معه في الغرفة بسماع ذلك وبشم الروائح الكريهة التي تحول الغرفة إلى أمر لا يطاق، فكيف إذا

جُمعوا بأعداد كبيرة وانكسرت الحواجز وقالوا بلسان الحال والمقال (كلنا ذاك الرجل)، والكل يعلم أن الشريعة جاءت بالأمر بالبعد والإبعاد عند قضاء الحاجة وكان بالإمكان معالجة ذلك، وحتى إن الأسرى حين يقومون بتغطية الدورات بأكياس أو غيرها يدخل العسكر ويزيلونها.

وأما الانفرادي فزنزانته هي (غرفة النوم والمطبخ والمجلس والمقلط والحمام والصالة والمكتبة والمسجد والحوش... إلخ)، وأنا على هذا الحال منذ سجني - أي من تسع سنين - وأنا في الانفرادي وممنوع من الجماعي بأمر من وزير الداخلية الحالي (محمد بن نايف).

وأما الضرب، وأما السحب، وكسر العظام، وإسالة الدماء، وحلق الشعور، ونتف اللحى، وتقييد الناس في الأيدي والأرجل، وأحياناً خلف الظهر، ووصل اليدين بالرجلين حتى أوقات الصلوات؛ فحدث ولا حرج، وقد حصل لي كل ذلك حتى صليت في بعض الحالات بلا وضوء حتى لا يخرج وقت الصلاة، مع أني كلمتهم في ذلك وقلت (الصلاة، الصلاة)، فقالوا: ممنوع.

وأما تأخير المرضى عن العلاج والخروج إلى المستشفى فحدث ولا حرج في السنين الماضية، حتى تضاعف المرض لدى أناس بسبب الإهمال والتعسف من السجانين.

وأما بهذلة السجناء ومنعهم لحقوقهم فكذلك، فكم هدمت بيوت وطلقت زوجات بسبب السجن والسجّان، زيارة لا تكفي، واتصال لا يشفي، ومع كل الاعتراضات والشكاوى فلا سامع ولا مجيب.

وأما التعليق أثناء التحقيق والتسهير والتعذيب لانتزاع الاعترافات فمئات السجناء قد مروا بذلك وكلٌ له قصة وحكاية.

وأما إتعاب وإرهاق الأهالي والنساء والأطفال في السفر والسهر والنفقة والاستئجار وغير ذلك فأمر عظيم وكبير، ويا ليته على وقت يكفي مع المزور، ولكن يأتون من مسافات بعيدة من أجل ساعة زمان.

وأما الخلوة بالزوجات (الزيارة الخاصة) فثلاث ساعات كل شهر مع نكد ونغص قبلها، وبعدها في تفتيش قبيح وخبيث وسافل من قبل السجانات للنساء الزائرات، خلعن فيه الحشمة والحياء والمروءة والأدب.

وهناك أعداد من السجناء فقدوا عقولهم وأصبحوا في عداد المجانين بسبب التعذيب أو العزل الانفرادي أو السحر من قبل المحققين، وقصصهم مشهورة معلومة، وأهاليهم يعلمون ذلك.

فعلام لا يكتب مثلي عن السجن والسجان ويكشف كل هذه الفظائع ليُحاكم المجرمون الظالمون البعيدون عن شريعة رب العالمين التي أمرت بالإحسان إلى الأسرى ولو كانوا من اليهود والنصارى والمشركين، فكيف إذا كانوا من المسلمين والمجاهدين والعلماء والدعاة والخطباء؟!

يقول عروة بن الزبير – رحمه الله –: مر هشام بن حكيم بن حزام على أناس من الأنباط بالشام وقد أُقيموا في الشمس فقال: ما شأنهم؟ قالوا: حُبسوا في الجزية. فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن الله يُعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا)) [رواه مسلم (٢٦١٣)].

وعن هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: مر بالشام على أُناس وقد أُقيموا في الشمس وصُب على رؤوسهم الزيت، فقال: ما هذا؟ قيل: يُعذبون في الخراج، فقال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن الله يعذب الذين يعذبون في الدنيا)) [رواه مسلم (٢٦١٣)].

ولا يخفى على المتابع كم هو التعذيب الذي تمارسه الأنظمة والدول على الناس كما كان يجري في سجون معمر القذافي وحسني مبارك وزين العابدين بن علي وعلي عبد الله صالح، ولا زال جارياً في سجون بشار الأسد وغيره، والكتاب كتاب عام عن السجون في بلاد المسلمين وما يجري فيها، وما هو الواجب تجاه هذه القضية، وقد انكشف الغطاء وخرج المخبأ عن ظلم السجانين وبغيهم وعدوانهم على الناس.

وقد قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: ((صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)) [رواه مسلم (٢١٢٨)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قوماً في أيديهم مثل أذناب البقر، يغدون في غضب الله ويرحون في سخط الله)) [رواه مسلم (٢٨٥٧)].

وعنه أيضا رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن طالت بك مدة أوشكت أن ترى قوماً يغدون في سخط الله ويروحون في لعنته، في أيديهم مثل أذناب البقر))[رواه مسلم (٢٨٥٧)].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه ذكر أن رسول الله ﷺ قال: ((يكون في هذه الأمة في آخر الزمان رجال – أو قال: يخرج رجال من هذه الأمة في آخر الزمان معهم أسياط كأنها أذناب البقر، يغدون في سخط الله ويروحون في غضبه)) [رواه أحمد (٢٢١٥٠) وإسناده حسن].

وكم ضربونا بالعصي ولوحوا بها، وكم دخلوا علينا في ظلام الليالي وأواخر الليل وهم بألبستهم السوداء وبراقعهم يصيحون ويعربدون وكل ذلك باسم النظام، وكما قال الشاعر:

مال للجنود ذوي العصي ومالي ما كنت بالباغي ولا المحتال

ما بالهم هجموا علينا بغتةً ... متوثبين كهجمة الأغوال
قد كشروا عن نابهم وتقدّموا ... ببسالة للثأر من أمثالي
حملوا العصي غليظة كقلوبهم ... ومضوا كسيلٍ من مكان عال
لِمَ كل هذا الحشد من جندٍ ومن ... حرسٍ كأن اليومَ يومُ نزال
وإذا عجبتُ فإن أعجب ما أرى ... إضرام معركة بغير قتال
ضربٌ بلا هدفٍ ولا معنى ولا ... عقل سوى تنفيذ أمر الوالي
كم بيننا من ذي سقام يشتكي ... لكن لمن يشكو أذى الجهّال
كم بيننا شيخ ينوء بعمره ... يعدو الجهول عليه غير مبال
كم بيننا من يافع ومُرفّهٍ ... لم ينج من ضرب وسوط نكال

ووالله إن المباحث والطوارئ الذين في السجون هم أولى وأحق من تشمله هذه الأدلة والأحاديث النبوية، وأنهم أهل النار واللعنة الإلهية والغضب والسخط الإلهي في كل غدوة ورواحٍ يغدونه أو يروحونه، والكل رأى ما تسببوا به لكسر يد والدتي (عزّة بنت ناصر الزهراني)، وخرج ذلك في الإعلام واشتهر، وكذلك باشروا وكسروا أنف أخي (محمد بن أحمد آل شويل الزهراني) وبقي أسابيع والجبس على وجهه، وكادوا أن يكسروا يده، ولولا أن الله سلم لحصل لي من الكسور وسيلان الدماء الشيء العظيم، ولكن الإغماء الذي حدث لي صرفهم عني، وهذا كله هو الإرهاب الذي تمارسه وزارة الداخلية بأوامر وتعليمات وتوجيهات (وزير الداخلية السابق واللاحق الحالي)، وينفذ ذلك المباحث والطوارئ في السجون الخمسة على مدى سنين، وهذا لا يقرّه الله في كتابه ولا النبي ﷺ في سيرته وسنته ولا خلفائه الراشدون والإجماع على حرمته.

ومن وجد في كتابي هذا مخالفة شرعية أو انحرافاً أو خطأ فليكتبه ويذكر حجته على ذلك لأقوم بالرد عليه، ويعرض قولي وقوله على علماء الشرق والغرب، ليتبين أي الفريقين أهدى سبيلاً وأقوم قيلا.

وأنا في انتظار ذلك أكثر من عشر سنين ولم يأتني، فافعلوه الآن إن كنتم عادلين، وهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

قال ابن الجوزي – رحمه الله – في "مناقب الإمام أحمد (٣٩٧)": "قال أبو بكر المروزي: لما سُجن أحمد بن حنبل جاء السجان فقال له: يا أبا عبد الله، الحديث الذي روي في الظلمة وأعوانهم صحيح؟ قال: نعم. قال السجان: فأنا من أعوان الظلمة؟ قال أحمد: فأعوان الظلمة من يأخذ شعرك ويغسل ثوبك ويصلح طعامك ويبيع ويشتري منك، فأما أنت فمن أنفسهم". انتهى كلامه،

وحديث أعوان الظلمة سبق ذكره بألفاظ مختلفة والذي فيه: ((وأعانهم على ظلمهم...)) إلى آخره، فالإمام أحمد هنا يقول للسجان بأنك من الظالمين ولست من أعوانهم، وصدق في ذلك رحمه الله.

وكما قال الشاعر عن السجن والسجان:

فيه زبانية أُعِدّوا للأذى ... وتخصصوا في فنه الملعون
متبلدون عقولهم بأكفهم ... وأكفهم للشر ذات حنين
لا فرق بينهمو وبين سياطهم ... كلٌّ أداة في يدي مأفون
يتلقفون القادمين كأنهم ... عثروا على كنزٍ لديك ثمين
بالرجل بالكرباج باليد بالعصا ... وبكل أسلوبٍ خسيسٍ دونِ
لا يقدّرون مفكراً لو أنه ... في عقل تيمي وجوزي وابن خلدون
لا يعبئون بصالحٍ لو أنه ... في زهد عيسى أو تقى هارون
لا يرحمون الشيخ وهو محطمٌ ... والظهر منه تراه كالعرجون
لا يشفقون على المريض وطالما ... زادوا أذاه بقسوةٍ وجنون
كم عالمٍ ذي هيبة وعمامةٍ ... وطئوا عمامته بكل مُجون

لو لم تكن بيضاء ما عبثوا بها ... لكنها هانت هوان الدين
وكبير قومٍ زينته لحيةٌ ... أغرتهمو بالسبِّ والتلعين
قالوا له: انتفها بكل وقاحةٍ ... لم يعبؤوا بسنينه الستين
فإذا تقاعس أو أبى يا ويله ... مما يلاقي من أذى وفتون
أترى أولئك ينتمون لآدمٍ ... أم هم ملاعينٌ بنو ملعون؟
تالله أين الآدمية منهمو ... من مثل محمودٍ ومن ياسين
من جودة أو من دياب ومصطفى ... وحمادة وعطية وأمين
لا تحسبوهم مسلمين من اسمهم ... لا دين فيهم غير سبّ الدين
لا دين يردع لا ضمير محاسبٌ ... لا خوف شعبٍ لا حمى قانون

ولقد رأينا وسمعنا وقرأنا عن السب والاستهزاء والسخرية بالدين وأهله في كثير من السجون في بلاد المسلمين، ورأيناها وسمعناها من المباحث والطوارئ، وأما السب والشتم وألفاظ الشوارع والعبارات السوقية والجارحة فما سلم منها سجين إلا أن يشاء الله، وأما منع الكلام وقطع الصوت ونهر الرجال ومحاسبتهم ومعاقبتهم على سفاسف الأمور فبحر لا ساحل له، وكذلك وضع الحبال في الأفواه واللاصق على الفم والجريمة أنه تكلم مع جاره وسولف والسوالف في السجن حرام تهان من أجلها الكرامة وتؤخذ من أجلها أغراض السجين وربما يمنع من اتصاله وزيارته بأهله لأنه سولف مع جاره.

وكما قال الشاعر:

من أجل ضبط وريقة أو إبرة ... ولغير شيء طالما استاقوني
إن نمت توقظني السياط سريعة ... فالنوم ليس يباح للمسجون
وإذا تحدثنا لنذهب بالكرى ... حظروا الحديث عليّ كالأفيون
وإذا شغلنا بالقراءة وقتنا ... أخذوا جميع الكتب للتخزين
وإذا تلونا في المصاحف حرموا ... حمل المصاحف وهي خير قرين

وإذا تسلينا بصنع قلانسٍ كانت وقود النار والبنزين
وإذا تسلينا بصنع مسابحٍ جمعوا المسابح من نوى الزيتون

وقد مر علي أوقات بل أسابيع بلا مصحف وبلا كتب، وغالب السجناء يقيدون بثلاث مجلدات ويحرم الزيادة على ذلك، ويتعذرون بأعذار واهية وغير مقبولة ولها حلول لو أرادوا ولكنهم لا يريدون، وأما تهميش المضربين عن الطعام وعدم الاستجابة لمطالبهم المشروعة ومعالجة ما يشكون منه من ممارسات أو مظالم فقصة طويلة ومؤلمة، لأن الجوع بئس الضجيع، فكيف إذا قارن ذلك السجن والوحدة والغربة، وأما العنصرية في التعامل مع المسلمين ممن لا يحمل جنسية آل سعود فقصة أخرى يستحي منها كل مسلم، والمسلمون المأسورون في سجون آل سعود من اليمن والصومال ومصر وباكستان وأفغانستان عندهم من القصص والأخبار ما الله به عليم، فقد بالغوا في التسلط عليهم وانتهاك حقوقهم بكل وقاحة وحماقة حتى استعدوا عليهم الشعوب بسبب هذه الأساليب التي لا يرضاها الله ولا رسوله ولا المؤمنون ولا تحلها شريعة الإسلام، والله المستعان.

وقد ذكرت في الكتاب ما يبكي العيون وتقشعر منه الأبدان، فما الذي يغضب المباحث من ذلك، أم أنهم يظنون أن الناس كمزرعة دواجن مليئة بالدجاج الأبيض، يذبحون ما شاؤوا، وينتفون ريش من شاؤوا، ويسلخون جلد من شاؤوا، ويبقون في القفص من شاؤوا، ويقطعون رجل من شاؤوا، وهكذا إلى الأبد!

وهذا يقود إلى مسألة أخرى ذكروها، وهي أني حرضت المطلوبين على عدم تسليم أنفسهم إلى السلطات الأمنية:

فأقول: بعد وصف حال السجون وبعض ما يجري فيها من ظلم وعدوان وقهر وطغيان، وبعد تصويري واقع هذه الدويلات وعلاقتها بأمريكا وكفرها وردتها: نعم، فالمسلم مأمور أن يفر بدينه من الفتن.

وقد بوب البخاري أحد أبواب كتاب الإيمان (باب من الدين الفرار من الفتن) وأورد فيه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: ((يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن)) [رواه البخاري (١٩)].

وقد جمعت في ذلك رسالة ونشرتها بعنوان (قصص تاريخية للمطلوبين)، ولم يذكرها المباحث وكاتب هذه الدعاوى ولا أدري لماذا، وذكرت فيها كيف هرب واختفى الأنبياء والرسل والصحابة والتابعون والعلماء والصلحاء من طالبيهم، وبينت كيف تشابه الظلمة والطغاة عبر التاريخ في وضع العروض والإغراءات المالية لمن يدل على الأنبياء والرسل لاعتقالهم وسجنهم كما حصل في قوائم المطلوبين وأنا منهم، وأن مسألة الاستئسار للأعداء قد ذكرها الفقهاء والعلماء وطبقوها عملياً حين خافوا على أنفسهم وعلى دينهم، ومنهم: سعيد بن جبير، والشعبي، وسفيان الثوري، وأحمد بن حنبل، وعدت في مناقبهم وفضائلهم، فلماذا نستأسر ونستسلم في هذا الزمان لمن يضعنا في سجون هذا حالها وبعض ما يجري فيها، ولمن يقربنا قرابيناً للأمريكان، بل نختفي إن استطعنا أو نقاتل حتى الموت، فبطن الأرض خير من ظهرها حينئذ.

يقول "ابن قدامة رحمه الله في المغني(١٨٩-٣/١٨٨)": "وإذا خشي الأسر فالأولى له أن يقاتل حتى يقتل ولا يسلم نفسه للأسر، لأنه يفوز بالثواب والدرجة الرفيعة ويسلم من تحكم الكفار عليه بالتعذيب والاستخدام، وإن استأسر جاز لما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ بعث عشرة عيناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت، فنفرت إليهم هذيل بقريب من مائة رجل رام، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فدفد (أي مكاناً صلباً غليظاً)، فقالوا لهم: انزلوا فأعطونا أيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحداً، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر. فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً في سبعة معه، ونزل إليهم ثلاثة على العهد والميثاق منهم خبيب وزيد بن الدثِنَّة، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها. [رواه البخاري] فعاصم أخذ بالعزيمة وخبيب وزيد أخذ بالرخصة، وكلهم محمود غير مذموم ولا ملوم". انتهى كلامه.

والحديث عزاه ابن قدامة إلى الصحيحين وقال متفق عليه، وإنما هو في البخاري فقط (٣٠٤٥) أورده في كتاب الجهاد والسير (باب هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر ومن ركع ركعتين عند القتل)، وهو حديث طويل قال ابن حجر رحمة الله في الفتح عند هذا الحديث الذي كرره "البخاري (٤٠٨٦)": "وفي الحديث أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان ولا يمكن من نفسه ولو قتل أنفة من أنه يجري عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة، فإن أراد الأخذ بالرخصة له أن يستأمن.

قال الحسن البصري: لا بأس بذلك، وقال سفيان الثوري: أكره ذلك". انتهى كلامه.

وأورد هذا الحديث المجد ابن تيمية في المنتقى في كتاب الجهاد (باب من خشي الأسر فله أن يستأسر وله أن يقاتل حتى يقتل)، قال "الشوكاني في نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار (٥/٧٧)": "وقد استدل المصنف رحمه الله تعالى بهذا الحديث على أنه يجوز لمن يقدر على المدافعة ولا أمكنه الهرب أن يستأسر، وهكذا ترجم البخاري على هذا الحديث (باب هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر) أي هل يسلم نفسه للأسر أم لا، ووجه الاستدلال بذلك أنه لم ينقل أن النبي ﷺ أنكر ما وقع من الثلاثة المذكورين من الدخول تحت أسر الكفار، ولا أنكر ما وقع من السبعة المقتولين من الإصرار على الامتناع من الأسر، ولو كان ما وقع من إحدى الطائفتين غير جائز لأخبر ﷺ أصحابه بعدم جوازه وأنكره؛ فدل ترك الإنكار على أنه يجوز لمن لا طاقة له بعدوه أن يمتنع من الأسر وأن لا يستأسر". انتهى كلامه.

وهذا الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما سبط رسول الله ﷺ في آخر لحظاته يقول لقائد الجيش الذي لاقاه: "اختر مني إحدى ثلاث: إما أن ألحق بثغر من الثغور، وإما أن أرجع إلى المدينة، وإما أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية". فقبل منه ذلك وكتب فيه إلى عبيد الله بن زياد، فكتب إليه: لا أقبل منه حتى يضع يده في يدي، فامتنع الحسين فقاتلوه فقتل معه أصحابه وفيهم سبعة عشر شاباً من أهل بيته، ثم كان آخر ذلك

أن قتل الحسين وأبى أن يستأسر ومعه خمسة وأربعون نفساً من الفرسان ونحو مائة راجل، فاختار رضي الله عنه الموت بعزة وكرامة وألا يذل نفسه لعبيد الله بن زياد [١].

وكما قال عروة بن الزبير: "والله ما تدعون الرجل حتى يحمل السيف فيموت كريماً".

وقد ألف أهل العلم مؤلفات عن المتوارين - أي المختفين من طالبيهم -، وهذا الذي ذكرته وقررته ونقلته فأنا في ذلك متبع لا مبتدع، ولكن المباحث قوم لا يفقهون ولا يعلمون ولا يعقلون، وكما قال الحسن البصري رحمه الله عن الذين يبيعون دينهم بعرضٍ من الدنيا يسير: "والله لقد رأيناهم صوراً ولا عقول، وأجساماً ولا أحلام، فراش نار وذبان طمع يغدون بدرهمين ويروحون بدرهمين، يبيع أحدهم دينه بثمن العنز". [رواه أحمد (١٨٤٠٤)].

وإلا فأين هم من أحمد بن حنبل الذي يزعمون ويدعون زوراً وبهتاناً أن شيوخهم وعلمائهم على مذهب الإمام أحمد وهم على درب شيوخهم، ألم يختف من ملوك بني العباس؟!

يقول "ابن الجوزي في مناقب أحمد بن حنبل (٤٣٠)": "اختفى أحمد أيام الواثق عند إبراهيم بن هانئ. قال إبراهيم: اختفى عندي أحمد بن حنبل ثلاثة أيام. ثم قال: اطلب لي موضعاً حتى أحول إليه. قلت: لا آمن عليك يا أبا عبد الله. فقال: فإذا فعلت أفدتك وطلبت له موضعاً. فلما خرج قال لي: اختفى رسول الله ﷺ في الغار ثلاثة أيام ثم تحول، وليس ينبغي أن يتبع الرسول ﷺ في الرخاء ويترك في الشدة". انتهى كلامه. وذلك أنه يخاف على نفسه الفتنة والعذاب والسياط.

ومن العاقل الذي يقول بالتسليم للجلادين والجزارين والسجانين الذين لا يرقبون في مؤمن إلًا ولا ذمة؟!

---

[١] وانظر في ذلك "الإصابة في تمييز الصحابة ترجمة رقم (١٧٢٦)".

يقول أحمد بن حنبل رحمه الله: لست أبالي بالحبس، ما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلاً بالسيف، إنما أخاف فتنة السوط، وأخاف أن لا أصبر. فسمعه بعض أهل الحبس وهو يقول ذلك، فقال: لا عليك يا أبا عبد الله فما هو إلا سوطان ثم لا تدري أين يقع الباقي. فكأنه سري عنه.

وكثير من العلماء والدعاة وأهل العلم يقولون ذلك، لا يبالون بالحبس وإنما يخافون من التعذيب والتهديد والضغط الذي يواجهونه لكي يغيروا ويبدلوا ويخضعوا للطغاة والظلمة، مع أن السجن والعزلة التي فيه لو لم يصحبها تعذيب هي عذاب وكرب وشدة إلا لمن لطف الله به فآنس وحشته وشغله بالطاعات والعبادات والذكر والعلم، وإلا فالسجن جنات ونار.

يقول الشاعر وهو في قلب المعاناة في سجون سوريا:

السجن جنّاتٌ ونار ... وأنا المغامر والغمار
أنا والدجى والذكريات ... مريرة، والاصطبار
ومطامح تصلى السعير ... ولا يحرّقها السُّعار
طلع النهار على الدنا ... وعليَّ ما طلع النهار
ليل السجون يلفني ... وتضمني الهمم الكبار
والآه بعد الآه شعري ... والمصابرة الشعار
ولكل آه لسعةٌ ... ولظى وشوقٌ وانتظار
وأنا الكبير على أسى ... قلبي ويجهلني الصغار
روحي طليق في السماء ... والجسم يحكمه الإسار

وقد كتب الشيخ أبو محمد المقدسي كتاباً في هذه المسألة (الاستئسار للأعداء)، وكذلك الشيخ عبد العزيز الطويلعي – شافاه الله – له رسالة في ذلك بعنوان (المنية ولا الدنية)؛ وقلت شافاه الله لأنه سُحر في السجن من قبل المحققين، وعلى رأسهم رئيس التحقيقات

الضابط خالد الحميد، حتى أصبح في عداد المجانين، وهو صورة من الصور التى تعزز ما أقوله من عدم التسليم للجلادين والجزارين من المباحث والطوارئ.

ومع كل هذه البحوث والقصص والأدلة والوقائع ليس لدى المباحث إلا التهويل والصياح والقيود والكلبشات، فلا علم ولا هدى ولا كتاب منير.

وقد قال "ابن هشام في السيرة النبوية (١٧٣)": "وكان مما قيل من الشعر في الحبشة أن عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم حين أمنوا بأرض الحبشة وحمدوا جوار النجاشي وعبدوا الله لا يخافون على ذلك أحداً، وقد أحسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به قال:

يـــا راكـبـاً بـلغن عني مغلغلة ... مـن كـان يـرجـو بالغ الله والدين
كل امرئ من عباد الله مضطهـد ... ببطن مكة مقـهـور ومفـتـون
أنـا وجـدنـا بـلاد الله واسـعـة ... تـنـجـي من الذل والمخزاة والهون
فلا تقيموا على ذل الحيـاة وخزي ... في الممات وعيب غـيـر مأمون
إنا تـبـعـنـا رسـول الله واطرحوا ... قـول الـنـبـي وعـالـوا في الموازين
فـاجعل عـذابـك بالقوم الـذين بغوا ... وعـائـذ بـك أن يـعـلـوا فـيـطـغـوني

وهذا رسول الله ﷺ لم يسلم نفسه للكفرة بل اختفى وهاجر، وهذا نبي الله موسي حين قيل له إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين خرج منها خائفاً يترقب ويدعو بالنجاة، وقال في سورة الشعراء: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾، ثم أوصى الله إليه بعدما أرسله بأن يسري بقومه ليلاً، وهكذا، وقد ذكرت ذلك بالتفصيل في (قصص تاريخية للمطلوبين) ونقلت أقوال وكلام المفسرين والمؤرخين عن هذه القصص، ولم أنسج ذلك من خيالي وأوهامي بل جمعته من أمهات الكتب المعتبرة لدى المسلمين، ولكن أين المباحث وأين الكتب والعلم والتأصيل لديهم؟!

وقد ذكر صاحب كتاب (عمر المختار شهيد الإسلام واسد الصحراء) (٤٧): "وحينما أرسلت إليه إيطاليا بشروطها المزرية، قال: إني لا أرضى بهذه الشروط وأفضل الموت جوعاً وعطشاً ولا ألقي بنفسي وإخواني بين أيدي الإيطاليين يتصرفون فينا كيف شاؤوا". انتهى كلامه.

ولولا أن الله قدر لي ما قدر وحصل ما حصل ما سلمت نفسي للمباحث، وكنت على هذا أنهم لا يأخذوني إلا جثة هامدة، ولكن خانني من استلم المليون والدرع من وزارة الداخلية السابق، فاعتقلت والحمد لله على قضائه وقدره.

وها أنا في السجن الانفرادي منذ تسع سنين، واجهت الإرهاب والتعذيب، والقهر والإهانة، والضرب والسحب، والسب والشتم، وحيل بيني وبين زوجتي، ومنعت من حقوقي، حتى أصبحت لا أملك من الدنيا شيئاً بسبب التضييق الذي مارسه (محمد بن نايف وزير الداخلية الحالي) عليّ لكي أردد ما يريد وما يقول وما يشتهي هو وأبوه وأسرته، وكما قال الشاعر:

سنبذل روحنا في كل وقت ... لرفع الحق خفاقاً مبينا
فإن عشنا فقد عشنا لحق ... ندك به عروش المجرمينا
إلهي قد غدوت هنا سجينا ... لأني أنشد الإسلام دينا
وحولي إخوة بالحق نادوا ... أراهم بالقيود مكبلينا
طغاة الحكم بالتعذيب قاموا ... على رهط من الأبرار فينا
فطوراً حرقوا الأجساد منا ... وطوراً بالسياط معذبينا
وطوراً يقتلون البحر جهراً ... لينطق ما يروق الظالمينا
وقد لاقى الشهادة يا رفاقي ... رجال لا يهابون المنونا
فمهلاً يا طغاة الحكم مهلاً ... فطعم السوط أحلى ما لقينا
وما عابوا عليه سوى جراح ... تصيب الجسم دون الروح فينا

لقد نالت سياط الكفر يومًا بمكة من جسوم الصالحينا
فما ضر الصحابة ما أصيبوا به يوما بل ازدادوا يقينا
سمية لا تبالي حين تلقى عذاب الكفر يوماً أو تلينا
وتأبي أن تردد ما أرادوا فكانت في عداد الصالحينا
وإن متنا ففي جنات عدن لنلقى إخوة في السابقينا

ولله في ذلك حكمة يكفر سيئات أقوام ويرفع درجات آخرين، وتستبين سبيل المجرمين كما قال الله عز وجل: ﴿الم ۝ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت:١-٣] وغيرها من الآيات في الابتلاء والتمحيص.

ولذا عقد ابن القيم رحمه الله فصلاً في الكافية الشافية بعنوان: (فصل في ما أعد الله تعالى من الإحسان للمتمسكين بكتابه وسنة رسوله عند فساد الزمان) فقال:

هذا وللمتمسكين بسنة المختار عند فساد ذي الأزمان
أجر عظيم ليس يقدر قدره إلا الذي أعطاه للإنسان
فروى أبو داود في سنن له ورواه أيضاً أحمد الشيباني
أثراً تضمن أجر خمسين امرىء من صحب أحمد خيرة الرحمن

إلى أن قال:

فالحائز الخمسين أجراً لم يحزها في جميع شرائع الإيمان
هل حازها في بدرٍ أو أحدٍ أو الفتح المبين وبيعة الرضوان
بل حازها إذ كان قد عدم المعين وهم فقد كانوا أولي أعوان
والرب ليس يضيع ما يتحمل المتحملون لأجله من شان
فتحمل العبد الضعيف رضاه مع فيض العدو وقلة الأعوان

مما يدل على يقين صادق ومحبة وحقيقة العرفان
يكفيه ذلاً واغترابا قلة الأنصار بين عساكر الشيطان
في كل يوم فرقة تغزوه إن ترجع يوافيه الفريق الثاني
فسل الغريب المستضام عن الذي يلقاه بين عدىً بلا حسبان
هذا وقد بعد المدى وتطاول العهد الذي هو موجب الإحسان
ولذاك كان كقابض جمراً فسل أحشاءه عن حر ذي النيران
والله أعلم ما الذي في قلبه يكفيه علم الواحد المنان
في القلب أمر ليس يقدر قدره إلا الذي آتاه للإنسان
بر وتوحيد وصبر مع رضىً والشكر والتحكيم للقرآن
سبحان قاسم فضله بين العباد فذاك مولي الفضل والإحسان
فالفضل عند الله ليس بصورة الأعمال بل بحقائق الإيمان
وتفاضل الأعمال يتبع ما يقوم بقلب صاحبها من البرهان
حتى يكون العاملان كلاهما في رتبة تبدو لنا بعيان
هذا وبينهما كما بين السما والأرض في فضل وفي رجحان
ويكون بين ثواب ذا وثواب ذا رتب مضاعفة بلا حسبان
هذا عطاء الرب جل جلاله وبذاك تعرف حكمة الديان

وأما كتاب (الآيات والأحاديث الغزيرة على كفر قوات درع الجزيرة) ونشره فقد كان حين وقع الاحتلال الصليبي من أمريكا وبريطانيا للعراق مطلع عام (١٤٢٤) وشاركت دويلات الخليج في ذلك – كما سبق تفصيله – وشاركت حينها (بقوات درع الجزيرة) وتم الإعلان عن ذلك وخرجت التصريحات الرسمية من عدد من المسؤولين، فكتبت هذا الكتاب وذكرت الوثائق والتصريحات على هذه المشاركة وهذا الدعم للاحتلال لبلد من بلاد المسلمين، وهو كغيره من الكتب العلمية والشرعية التي يرد عليها بالطرق الشرعية والعلمية لا بالكلبشات والقيود والتهويل والإرهاب الذي يمارسه المباحث وأسيادهم، وللكتاب أكثر

من عشر سنين ولم يأتني أي رد علمي وشرعي من أي جهة أو شخص حتى أنظر فيه وفي حجته لكي أرد وأكتب جوابي، ويعرض على علماء الشرق والغرب من غير علماء السلاطين، لينظروا أي الفريقين أهدى سبيلاً وأقوم قيلا.

وأما كتاب (الباحث عن حكم قتل أفراد وضباط المباحث) وترويجه ونشره فهو كتاب علمي وشرعي، وهو أول كتبي التي نشرتها في يوم عيد الفطر من عام (١٤٢٣)، بمعنى أن له أكثر من عشر سنين على نشره، ولم يأتني أي رد علمي وشرعي عليه، لا من جهة ولا شخص حتى أنظر في حجته وبرهانه لكي أرد وأكتب جوابي، ويعرض على علماء الشرق والغرب من غير علماء السلاطين، لينظروا أي الفريقين أهدى سبيلاً وأقوم قيلا.

والكتاب جاء في سياق حرب عالمية صليبية على الإسلام تقودها أمريكا ويسير خلفها دول ودويلات، وبدأت المواجهات والاعتقالات من قبل أجهزة المباحث بمسمياتها المختلفة في عدد من البلدان، فكتبت الكتاب وصورت فيه هذه الأجهزة وطبيعة عملها ومهامها من خلال الوثائق والحقائق المعروفة عنها، ثم بينت حكم الشرع فيها من خلال عشرات الأدلة الشرعية، وذكرت حكم المداهمات للمنازل وترويع الناس والأهالي وغير ذلك مما يفعله هذا الجهاز البغيض لكل الناس، لأنه في الحقيقة (مباحث أمن العائلة أو الأسرة أو الطاغية).

ومن ينظر حال وواقع هذا الجهاز بمسمياته المختلفة (الأمن السياسي أو المباحث أو مباحث أمن الدولة أو البوليس السياسى... إلخ) يجد أن الشر كله مجتمع فيه من الظلم والطغيان والعدوان وانتهاك الحرمات والكذب والنميمة والغيبة والافتراء والبهتان والتزوير والتعذيب والإرهاب وإخافة الناس وترويعهم والتجسس والتحسس والإشاعات وإفساد حياة الناس... إلى آخره مما لا يخفى، وهو أبغض جهاز وقطاع لدى كل الشعوب والمجتمعات، وانتهاكاته لا تخفى على متابع. وكما قيل:

إن المباحث شــر من وطئ الحصــى ... من كـــل إنـــسٍ نـــاطقٍ أو جان

وكما قال الآخر:

أنتم عداة الشعب تلك حقيقة أنتم شرار كلكم ولئام

وهو قطاع وجهاز يجب إزالته، وقد ذكرت أن المسلم له أن يدافع عن نفسه وماله ودينه ولو قتل، ولا يستسلم لمن يفتنه في دينه ويقدمه قرباناً للأمريكان، ولكن المباحث يريدون أن يتلاعبوا بدين الله على أهوائهم ومزاجهم لكي تبقى أيديهم مطلقة ليعذبوا ويضربوا ويسجنوا ويفعلوا الأفاعيل، ويستدلوا بـ ((وإن جلد ظهرك وأخذ مالك))، وبـ (مسه بعذاب) بلا حدود ولا ضوابط ولا قضاء، بل كيف ما اشتهى فلان وعلان.

ولما ذكر أنس بن مالك رضي الله عنه عن قصة العرنيين للحجاج بن يوسف الثقفي أنكر عليه الحسن البصري رحمه الله، فندم أنس بن مالك لأن الحجاج طاغية سفاح سفاك للدماء، فإذا سمع مثل تلك القصة يستخدمها ضد خصومه ولا ينزلها منزلتها الصحيحة، وكذلك المباحث استغلال بعض الألفاظ التي جاءت في سياقات معينة وبضوابط شرعية ليعذبوا ويضربوا، فإذا قيل لهم في ذلك قالوا: عندنا فتاوى، بل إن ابن المنذر – وعجباً والله أن يعرف المباحث ابن المنذر، ولكنه الهوى والشيطان – يقولون إن ابن المنذر يقول: "إلا أن كل من يحفظ عنه من علماء الحديث كالمجمعين على استثناء السلطان، للآثار الواردة بالأمر بالصبر على جوره وترك القيام عليه".

ومع أن العبارة ليست صريحة في حكاية الإجماع، بل وهناك أقوال وآثار على خلاف ما قاله، منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: ((فلا تعطه مالك))، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: ((قاتله)). قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: ((فأنت شهيد)). قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: ((هو في النار)). [رواه مسلم (١٤٠)].

قال النووي رحمه الله: "معناه أنه يستحق ذلك، وقد يجازى، وقد يُعفى عنه، إلا أن يكون مستحلاً لذلك بغير تأويل، فإنه يكفر ولا يعفى عنه والله أعلم". انتهى كلامه.

وأصرح من ذلك ما "رواه مسلم (١٤١)": قال: لما كان بين عبد الله بن عمرو وعنبسة بن أبي سفيان ما كان تيسّرا للقتال، فركب خالد بن العاص إلى عبد الله بن عمرو فوعظه خالد، فقال له عبد الله بن عمرو: أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: ((من قتل دون ماله فهو شهيد)).

وعنبسة هذا أخو معاوية بن أبي سفيان كان عاملاً لمعاوية على مكة والطائف.

فقد روى الطبري: أن عاملاً لمعاوية أجرى عيناً من ماء ليسقي بها أرضاً، فدنا من حائط لآل عمرو بن العاص، فأرادوا أن يخرقه ليجري العين منه إلى الأرض، فأقبل عبد الله بن عمرو ومواليه بالسلاح وقالوا: والله لا تخرقون حائطنا حتى لا يبقى منا أحد، فذكر الحديث وهذه الأرض بالطائف.

فانظر، فعنبسة أمير ووالٍ لمعاوية ومع ذلك قال الصحابي والعالم عبد الله بن عمرو ما قال يقول النووي رحمه الله: "فيه جواز قتل من قصد أخذ المال بغير حق سواء كان المال قليلاً أو كثيراً، وهو قول الجمهور وشذ من أوجبه". انتهى كلامه.

ويقول ابن حجر رحمه الله في "الفتح عند حديث (٢٤٨٠)" وحكى ابن المنذر عن الشافعي قال: "من أريد ماله أو نفسه أو حريمه فله الاختيار أن يكلمه أو يستغيث، فإن منع أو امتنع لم يكن له قتاله وإلا فله أن يدفعه عن ذلك ولو أتى على نفسه، وليس عليه عقل ولا دية ولا كفارة، لكن ليس له عمد قتله. قال ابن المنذر: والذي عليه أهل العلم أن للرجل أن يدفع عما ذكر إذا أريد ظلماً بغير تفصيل". انتهى.

فكيف إذا كان الإنسان يراد على دينه، ويسام سوم العذاب، وقد يفقد عقله لدى المباحث كما حدث مع العشرات، وكيف إذا أريد عرضه وخشي الاغتصاب وفعل الفاحشة

كما وقع على أعداد من السجناء، وكما يقع باستمرار لدى بعض الدويلات، ينتهكون الأعراض ويسبون الله ورسوله والدين ويغتصبون النساء والرجال، هل يقول عاقل أو عالم بالتسليم هكذا مطلقاً، وهل يحل لعالم أن يأخذ كلام ابن المنذر السابق في استثناء السلطان ويضعه في كرزاي وبشار الأسد ومعمر القذافي وكرزايات الأمس واليوم؟!

وأنا كتبت عن المباحث بصفة عامة ولدى جميع الدويلات ومنها مباحث آل سعود، ولا زلت أقول: ردوا بعلم وانطقوا ببيان وكفى شيطنة لخصومكم.

وكما قال الشاعر:

قل للطغاة الحاكمين بأمرهم ... إمهال ربي ليس بالإهمال
إن كان يومكمو صحت أجواؤه ... فمآلكم - والله - شر مآل
سترون من غضب السماوات العلا ... حتماً، ويؤذن ظلمكم بزوال
وتزلزل الأرض التي دانت لكم ... يوماً، وما أعتاه من زلزال!
البغي في الدنيا قصير عمره ... وإن احتمى بالجند والأموال
يا جند فرعون الذين تميزوا ... ببذيء أقوال، وسوء فعال
لا تحسبوا التعذيب يخمد ... ما ازددت غير تمسك بحبالي
إن تجلدوا جسدي فحسبي أسوة ... إيذاء عمار وجلد بلال
ضرب الرجال وهم أسارى قيدهم ... من شيمة الأوغاد لا الأبطال
والليث ليس يعيبه إيذاؤه ... مادام في الأقفاص والأغلال
يا قادرين على الأذى لي هل لكم ... أن تستطيعوا ساعة إذلالي
الجسم قد يؤذى وليس بضائر ... نفساً تعز على أذى الأنذال

وأما كتاب (تحريض المجاهدين الأبطال على إحياء سنة الاغتيال) فكذلك كتاب علمي وشرعي في مسألة بارزة في كتاب الله عز وجل وفي سيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه من بعده،

ذكرت أدلتها وكلام أهل العلم حولها، وهي بحمد الله في الصحاح والسنن والمسانيد، وكل قارئ لسيرة النبي ﷺ يرى اغتيال كعب بن الأشرف اليهودي وأبي رافع اليهودي وأبي سفيان الهذلي والأسود العنسي الذي ادعى النبوة، وهكذا أئمة الكفر وكل من آذى الله ورسوله.

والكتاب له أكثر من عشر سنين، لم يأتني رد علمي وشرعي لا من جهة ولا شخص حتى أنظر حجته وأكتب جوابي، ويعرض على علماء الشرق والغرب من غير علماء السلاطين، ليُنظر أي الفريقين أهدى سبيلاً وأقوم قيلا.

وأما كتاب (نصوص الفقهاء حول أحكام الإغارة والتترس) فهو رسالة علمية وشرعية جمعت فيها أقوال الفقهاء من جميع المذاهب الفقهية في هذه المسألة، وذلك في سياق الحملة الصليبية التي انطلقت من جزيرة العرب على بلاد المسلمين –كما سبق تفصيل ذلك –، وقد جاء هذا بعد بداية الحملة الصليبية على العراق، وبعد العمليات التي وقعت في المستوطنات الصليبية المسماة بالمجمعات السكنية في شرق الرياض والتي يسكنها الجنود الأمريكان وأسرهم، وذكرت أن هؤلاء محاربون محتلون لبلادنا يغزون منها بلاد المسلمين، يجب قتالهم وجهادهم وإخراجهم، وذكرت نصوص الفقهاء في مثل هذه الحالات وذلك رداً على شيوخ الضلالة ووعاظ السلاطين الذين لا يفقهون واقعاً ولا شرعاً ويلبسون على الناس دينهم، وذكرت حديث الصعب بن جثامة رضي الله عنه قال: سئل النبي ﷺ عن أهل الدار يبيتون من المشركين فيصاب من نسائهم وذراريهم قال: ((هم منهم)). "رواه البخاري (٣٠١٢)" في كتاب الجهاد والسير (باب أهل الدار يبتيون فيصاب الولدان والذراري)، "رواه مسلم (١٧٤٥)" في كتاب الجهاد والسير (باب جواز قتل النساء والصبيان في البيات من غير تعمد) ورواه أيضاً بلفظ: أن النبي ﷺ قيل له: لو أن خيلاً أغارت من الليل فأصابت من أبناء المشركين. قال: ((هم من آبائهم)).

وأن هذا الحديث الصحيح المشهور أصل في هذا الباب وهو عمدة، يقول أحمد بن حنبل رحمه الله: "لا بأس بالبيات ولا أعلم أحداً كرهه".

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح: "قوله: ((هم منهم)) أي في الحكم تلك الحالة وليس المراد إباحة قتلهم بطريق القصد إليهم، بل المراد إذا لم يمكن الوصول إلى الآباء إلا بوطء الذرية فإذا أصيبوا لاختلاطهم بهم جاز قتلهم". انتهى كلامه.

وذكرت صوراً من تبييت العدو تؤدي إلى قتل النساء والصبيان تبعاً لا قصداً، شبيهة ببعض طرق وأساليب الجهاد المعاصرة مثل التحريق والتغريق ونصب المنجنيق والتدخين عليهم.

يقول "ابن قدامة رحمه الله في المغني (١٣/١٣٩-١٤١)": "فأما رميهم قبل أخذهم بالنار فإن أمكن أخذهم بدونها لم يجز رميهم بها لأنهم في معنى المقدور عليه، وأما عند العجز عنهم بغيرها فجائز في قول أكثر أهل العلم، وبه قال الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وروى سعيد بإسناده عن صفوان بن عمرو وجرير بن عثمان أن جنادة بن أبي أمية الأزدي وعبدالله بن قيس الفزاري وغيرهما من ولاة البحرين ومن بعدهم كانوا يرمون العدو من الروم وغيرهم بالنار، ويحزقونهم هؤلاء لهؤلاء وهؤلاء لهؤلاء. قال عبد الله بن قيس: لم يزل أمر المسلمين على ذلك.

فصل: وكذلك الحكم في فتح البثوق عليهم لتغريقهم إن قدر عليهم بغيره لم يجز إذا تضمن ذلك إتلاف النساء والصبيان والذرية الذين يحرم إتلافهم قصداً، وإن لم يقدر عليهم إلا به جاز كما يجوز البيات المتضمن لذلك، ويجوز نصب المنجنيق عليهم، وظاهر كلام أحمد جوازه مع الحاجة وعدمها لأن النبي ﷺ نصب المنجنيق على أهل الطائف، وممن رأى ذلك الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأصحاب الرأي.

قال ابن المنذر: جاء الحديث عن النبي ﷺ أنه نصب المنجنيق على أهل الطائف، وعن عمرو بن العاص أنه نصب المنجنيق على أهل الإسكندرية.

ولأن القتال به معتاد فأشبه الرمي بالسهام.

فصل: ويجوز تبييت الكفار وهو كبسهم ليلاً وقتلهم وهم غارون.

قال أحمد: لا بأس بالبيات، وهل غزو الروم إلا البيات. قال: ولا نعلم أحداً كره بيات العدو.

وقرأ عليه: سفيان عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس عن الصعب بن جثامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يسأل عن الديار من المشركين نبيتهم فنصيب من نسائهم وذراريهم؟ فقال: ((هم منهم)). فقال: إسناد جيد. (وتقدم أنه في الصحيحين).

فإن قيل: فقد نهى النبي ﷺ عن قتل النساء والذرية. قلنا: هذا محمول على التعمد لقتلهم.

قال أحمد: أما أن يتعمد قتلهم فلا. قال: وحديث الصعب بعد نهيه عن قتل النساء؛ لأن نهيه عن قتل النساء حين بعث إلى ابن أبي الحقيق، وعلى أن الجمع بينهما ممكن يحمل النهي على التعمد والإباحة ما عداه.

فصل: قال الأوزاعي: إذا كان في المطمورة - أي الحفيرة تحت الأرض المعروفة اليوم بالخندق - العدو فعلمت أنك تقدر عليهم بغير النار؛ فأحب إليّ أن يكف عن النار، وإن لم يمكن ذلك وأبوا أن يخرجوا؛ فلا أرى بأساً وإن كان معهم ذرية، قد كان المسلمون يقاتلون بها. ونحو ذلك قال سفيان وهشام ويدخن عليهم. وقال أحمد: أهل الشام أعلم بهذا.

فصل: وإن تترسوا في الحرب بنسائهم وصبيانهم جاز رميهم، ويقصد المقاتلة، لأن النبي ﷺ رماهم بالمنجنيق ومعهم النساء والصبيان، ولأن كف المسلمين عنهم يفضي إلى تعطيل الجهاد، لأنهم متى علموا ذلك تترسوا بهم عند خوفهم فينقطع الجهاد، وسواء كانت الحرب ملتحمة أوغير ملتحمة لأن النبي ﷺ لم يكن يتحين بالرمي حال التحام الحرب.

فصل: ولو وقفت امرأة في صف الكفار أو على حصنهم فشتمت المسلمين أو تكشفت لهم؛ جاز رميها قصداً لما روى سعيد: حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: لما حاصر الرسول ﷺ أهل الطائف أشرفت امرأة فكشفت عن قبلها، فقالت: ها دونكم فارموا، فرماها رجل من المسلمين فما أخطأ ذلك منها.

ويجوز النظر إلى فرجها للحاجة إلى رميها لأن ذلك من ضرورة رميها، وكذلك يجوز رميها إذا كانت تلتقط لهم السهام أو تسقيهم الماء أو تحرضهم على القتال؛ لأنها في حكم المقاتل، وهكذا الحكم في الصبي والشيخ وسائر من منع من قتله منهم". انتهى كلامه.

وهذا مثال واحد لنصوص الفقهاء والعلماء في هذه المسألة.

ثم إن أمريكا بطائرتها ودباباتها ومدمراتها تقصف أحياء المسلمين ومنازلهم ومدارسهم وأسواقهم وجسورهم وسدودهم ومحطات كهربائهم ومصانعهم إلى آخر ما هنالك، فلو لم يكن عندنا أي نص في التترس والتبييت والغارة؛ لكان المعاقبة بالمثل والعدوان بمثل ما اعتدوا علينا كافياً في تجويز الهجوم على منازلهم ومقراتهم وغير ذلك، فقد قتلوا نساء المسلمين وأطفالهم وشيوخهم وشبابهم في أفغانستان وباكستان والعراق وفلسطين واليمن والصومال وأخيراً في مالي، والله عز وجل يقول: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤]، ويقول سبحانه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ [النحل:١٢٦].

فَلِمَ يحل لأمريكا أن تقصف بالقنابل أحياءنا ومنازلنا ومساجدنا وجسورنا وطرقنا... إلخ، ويحرم على المسلمين أن يقصفوهم ويفجروهم ويبيتوهم في مجمعاتهم وقواعدهم... إلخ بما استطاعوا وبما يقدرون عليه بالسيارت التي يجهزونها لتلك المهام، أم إن الطائرات المفخخة والدبابات المفخخة والمدمرات المفخخة والأسلحة المفخخة حلال لهم لأنها متطورة وبالتكنولوجيا المتقدمة، وأما السيارات المفخخة التي تصنع بطرق بسيطة حرام علينا نحن المسلمين بفتاوى شيوخ السلاطين الملاعين؟! ألم يقل الله جل جلاله: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء:١٠٢].

وهل يحل لأمريكا وصنائعها أن يحتلوا ويقصفوا بلاد المسلمين كأفغانستان والعراق من جزيرة العرب، ويحرم على المسلمين المجاهدين أن يردوا على ذلك في جزيرة العرب؟!

ومن حيث انطلق العدوان أليس في الحروب يتم الرد على مصادر النيران لتتوقف، أم يراد منا أن نقاتل امريكا في كوكب المشتري والمريخ وعطارد وزحل وبلوتو والزهرة؟!

ألا يستحي من يفتح المجال لطائرات الـ(بي ٥٢) قاذفة القنابل للإنطلاق من مطارات أعدها الأمريكان في جزيرة العرب لتقصف المسلمين في تلك البلدان ثم يتحجج ويصرخ ويستصدر الفتاوى لتحرم الرد على ذلك العدوان، أليس الجزاء من جنس العمل، أليس البادي أظلم، ألا يستحي كاتب هذه التهم والدعاوى من هذه الأوراق التي كتبها ألا يوجد عندنا نسبة حق، أكل ما في هذه الكتب والبحوث شر مطلق ولا خير فيه؟!

وكما قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

الله أكبر كشرت عن نابها الـ ـــــحرب العوان وصيح الأقران
وتقابل الصنفان وانقسم الورى قسمين واتضحت لنا القسمان

وأما مقالة (برامج ما نريكم إلا ما يرى آل سعود وما يهديكم آل سعود إلا سبيل الرشاد) فأقول ما قلته مراراً: ردوا بعلم وانطقوا ببيان واكتبوا حجتكم وجوابكم لأكتب حجتي وجوابي، ليعرض على علماء الشرق والغرب من غير علماء السلاطين، لينظر أي الفريقين أهدى سبيلاً وأقوم قيلا.

وأما كاتب هذه الدعاوى وبرامجهم وقنواتهم العنصرية والتي تسير على نهج فرعون وسحرته كما قال الله عز وجل: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩] وكذب والله، وقد قال الله عنه: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود:٩٧]، وقال الله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه:٧٩]، وكذلك فراعنة هذا

الزمان وسحرتهم؛ كذبوا واستبدوا، وما أمرهم ولا حكمهم برشيد، وأضلوا الناس وما هدوا، واستغلوا الإعلام الذي يملكونه كما يقال تسعون في المائة من الإعلام العربي، وكل مسلم حتى الفاسق منهم يعلم مدى الانحطاط الأخلاقي والدعارة والرقص والغناء والفجور وضياع المروءة والحياء من قنوات آل سعود والملأ المستكبرين المرتبطين بهم، وكذلك يعلم مدى تسطيح عقول الناس وإشغالهم في سفاسف الأمور من كرة ومسابقات تافهة وبرامج ساقطة وتغييب لقضايا الأمة الإسلامية المهمة، ويعلم مدى حربها للإسلام وأهله وسيطرة العلمانيين والليبراليين والمنافقين لإعلامهم المرئي والمقروء والمسموع، وكلهم كما قيل:

هو مشهدٌ من قصةٍ حمراء في أرضٍ خصيبة
كتبت وقائعها على جدرٍ مضرّجةٍ رهيبة
قد شادها الطغيان أكفاناً لعزّتنا السليبة
مشت الكتيبة تنشر الأهوال في إثر الكتيبة
والناس في صمتٍ وقد عقدت لسانهم المصيبة
حتى صدى الهمسات غشاه الوهن
لا تنطقوا إن الجدار له أذن
وتخاذلوا والظالمون نعالهم فوق الجباه
كشياه جزار وهل تستنكر الذبح الشياه
لا تصغ يا ولدي إلى ما لفقوه ورددوه
من أنهم قاموا إلى الوطن الذليل فحرروه
لو كان حقاً ذاك ما جاروا عليه وكبلوه

ولما رموا بالحر في كهف العذاب ليقتلوه

ولما مشوا بالحق في وهج السلاح فأخرسوه

هذا الذي كتبوه مسموم المذاق

لم يبق مسموعاً سوى صوت النفاق

صوت الذين يقدسون الفرد من دون الإله

ويسبحون بحمده ويقدمون له الصلاة

هذا الإعلام الذي زوروا من خلاله الحقائق، وبدلوا دين الله، واسترهبوا به الناس، وخدعوا بسطاء العقول، ونشروا به الفساد والفواحش والمنكرات والإباحية والأفلام الغربية سعياً لتغريب المسلمين، حتى ما بقي عليهم إلا الأفلام الجنسية للعراة، ثم يقولون: (وفق الضوابط الشرعية، وتماشياً مع عقيدتنا السمحة، وبناءً على فتوى هيئة كذا وكذا)، وصدق الله: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٨].

وصدق الشاعر إذ يقول عن هذا الإعلام:

تروح بنا مصائبُنا وتغدو ... فما يُرعى لنا في الناس عَهْدُ

ويخطب (باقلٌ) في كل نادٍ ... فيا (سحبانُ) قولُك لا يُعَدُّ

تُعيرهمُ الصَّحافةُ مقلتيها ... فهم في عُرفها الركنُ الأَشَدُّ

لهم عَبْرَ الإذاعةِ ألفُ صوتٍ ... وفي التِّلفاز أذرعةٌ تُمَدُّ

على وطنيَّةِ التفكير قاموا ... وتحت غطائها قبضوا ومدُّوا

أقول لهم: ثقافتكم هباءٌ ... وليس لغيمكم برقٌ ورَعْدُ

لنا وطنيَّةٌ ليست نَشازاً ... فما تجفو الكتابَ ولا تَنِدُّ

لنا البيت الحرام لنا حراءٌ ... نعم ولنا تهامتُنا ونَجدُ

لنا أرض الجزيرة قام فيها ... من الإسلام دون البَغي سدُّ
لنا الأقصى لنا شام ومصرٌ ... لنا يَمَنٌ وبغدادٌ وسِنْدُ
لنا في المغرب العربي أهلٌ ... وأحبابٌ وفي كابولَ جُنْدُ
لنا الإسلام يجمع شمل قومي ... وإنْ ورمتْ أنوف من استبدُّوا
ولا وطنية لدعاة فكرٍ ... دخيلٍ من سوانا يُسْتَمَدُّ
إذا جُعلت روابطُنا تُراباً ... عليه حبال أمتنا تُشَدُّ
فلا تعجبْ إذا اضطربتْ خطانا ... وساومنا على الأمجادِ وَغْدُ
عروسٌ جُلِّلتْ بثياب حزنٍ ... وطاف بها على الشَّارين عَبْدُ
مراكبُها تُسيَّرُ في بحارٍ ... ولا هدفٌ على الشطآن يبدو
إذا لم يحكم الإسلامُ قومي ... فمهْدُك أيُّها المولودُ لحْدُ

وكما قال آخر عن صحافة هذه الدويلات ومفكريهم وشعرائهم:

وانسابَ "سيرك" المعجزاتِ، فها هنا ... قدمٌ فمٌ، وفصاحةٌ هذيانُ!
يلقي بها الإعلام فوق رؤوسنا ... صحفاً يقيءُ لعهرها الغيثانُ!
فزبالة واستبدلت بزبالةٍ ... أخرى، ولم تُستَبدل الجرذانُ!
ومُفكرٌ مُتخَصّصٌ بعلوم فرك ... الخصيتين، ففكرهُ سيلانُ!
وشواعرٌ، كي لا أسمي واحدا ... يتسترون، وسترهم عريانُ!
يزنون بالقبان أبياتاً لهم ... فيميل من أوزارِهِ القبانُ!
في كفةٍ تسبيلةٌ ودراهمٌ ... وبكفةٍ تفعيلة وبيانُ!
متفاعلن متفاعلن علانةٌ ... متفاعلن متفاعلن علانُ!
وتقرقع الأوزان دون مبادئ ... لمبادئٍ ليست لها أوزانُ!
فالحاكم المغتالُ طفلٌ وادِعٌ ... والمودعون بسجنهِ.. غيلانُ!
وابنُ الشوارعِ فارسٌ في ساعةٍ ... وبساعةٍ هو غادرٌ وجبانُ!

وأما شريط (جنسية آل سعود موضوعة تحت قدمي) فهو يبين مدى استعباد أسرة آل سعود لقبائل جزيرة العرب واستخفافها بهم، وأنها الأسرة الوحيدة في العالم التي تنسب الناس الذين تحكمهم إليها حين تقول (بأن جنسيتك سعودي)، وهذا ظلم وعدوان وكذب وبهتان، فلسنا منهم لا بالنسب ولا بالولاء، بل نحن أحرار بنو أحرار، ولسنا بالعبيد، وكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟!".

فنحن عرب في بلادنا وديارنا من قبل مجيء الإسلام، لنا نسب نعرفه ونحفظه، فجاء الإسلام ولم يلغ ذلك، بل سمانا بالمسلمين، فنحن مسلمون عرب.

ثم توالت العهود والعصور والممالك، ولم يأت في هذا التاريخ أجمع من نسبنا إلى نفسه وعائلته أو قبيلته وألزمنا وأجبرنا بذلك، كما هو الحاصل الآن من قبل عائلة آل سعود.

وقد ذكرت اسمي ونسبي، وبينت أني لم أجد فيه أحداً يسمى بسعود حتى تتم نسبتي إليه، وكذلك أكثر ومعظم إن لم يكن كل قبائل جزيرة العرب، فأنا من عائلة آل شويل، وهذه العائلة من بني حسن، وحسن من ذرية زهران، وزهران هو ابن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، والأزد من قحطان، وقحطان من نوح، ونوح من ذرية آدم، وآدم من تراب، فأنا حسني زهراني أزدي فحطاني، بينما آل سعود من المصاليخ من عنزة من عدنان، فعلام ننسب إليهم، وبأي دليل وبأي حجة وبرهان، وما الوجه في ذلك إلا التسلط والاستكبار والعنصرية، حتى قال قائلهم:

ارفع رأسك أنت سعودي الناس تنقص وأنت تزودي

وكذب والله وافترى، وعلى الناس بغى واجترى، وهل هذه إلا الجاهلية والعصبية والعنصرية والاستطالة على الناس بغير حق، ويجب أن يقال له: (اعضض ذكر أبيك) كما قال أبو عثمان النهدي رحمه الله عن أُبيٍّ أن رجلاً اعترى فأعضه أُبيٌّ بهنّ أبيه (أي قال له: عضّ ذكر أبيك)، فقالوا: ما كنت فحاشاً. قال: "إنا أمرنا بذلك". [رواه أحمد (٢١٢١٨) وإسناده حسن].

وعن أُبيّ بن كعب: أن رجلاً اعتزى بعزاء الجاهلية فأعضه ولم يكنه، فنظر القوم إليه، فقال للقوم: "إني قد أرى الذي في أنفسكم، إني لم أستطيع إلا أن أقول هذا، إن رسول الله ﷺ أمرنا: ((إذا سمعتم من يعتزي بعزاء الجاهلية فأعضوه ولا تكنوا)) [رواه أحمد (٢١٢٣٣) وهو حديث حسن]. أي من انتسب إلى آبائه على سبيل الافتخار وليس التعريف. فالانتساب ينقسم إلى: انتساب حسن ومحمود كالانتساب إلى المهاجرين والأنصار والإسلام وغيرها من الأسماء الشرعية، وانتساب مباح يقصد به التعريف فقط كالانتساب إلى القبائل والأمصار والقرى، وانتساب مكروه أو محرم كالانتساب إلى ما يفضي إلى بدعة أو معصية أخرى أو أمر جاهلي كالفخر على الآخرين والتطاول عليهم بذلك. ولذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "من اعتزى بالقبائل فأعضوه أو فأمصوه". [رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥-١٣)].

وقد قال الحارث الأشعري رضي الله عنه إن النبي ﷺ قال: ((ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثا جهنم))، قالوا: يا رسول الله، وإن صام وإن صلى؟ قال: ((وإن صام وإن صلى وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بأسمائهم بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله عز وجل)) (١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((لا تفتخروا بآبائكم الذين ماتوا في الجاهلية، فوالذي نفسي بيده لما يدهده الجعل خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية)) (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله عز وجل أذهب عنكم عُبيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي. أنتم بنو آدم وآدم من تراب. ليدعنّ

---

(١) رواه أحمد (١٧١٧٠)، والترمذي (٢٨٦٣)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٨٦٦)، وقال الترمذي: (حسن صحيح غريب)، وصححه ابن خزيمة (١٨٩٥)، وابن حبان (٦٢٠٠،) والحاكم صححه على شرط الشيخين (١٥٤٥)، وإنما إسناده صحيح فقط.

(٢) رواه أحمد (٢٧٣٩)، والطبراني في الأوسط (٢٥٩٩)، وفي الكبير (١١٨٦٢)، وصححه ابن حبان (٥٧٤٥)، وقال الهيثمي في المجمع: (ورجال أحمد رجال الصحيح) إسناده صحيح.

رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنّم، أو ليكوننّ أهون على الله من الجعلان التي تدفع بآنفها النتن)) [١].

قال في عون المعبود على سنن أبي داود: "قال العلامة الدميري في حياة الحيوان: الجعل كصرد ورطب، وجمعه جعلان بكسر الجيم والعين ساكنة، وهو يجمع الجعر اليابس ويدخره في بيته، وهو دويبة معروفة تعض البهائم في فروجها فتهرب، شديد السواد، في بطنه لون حمرة، يوجد كثيرا في مراح البقر والجواميس ومواضع الروث، ومن شأنه جمع النجاسة وادخارها، ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد وريح الطيب، فإذا أعيد إلى الروث عاش، ومن عادته أن يحرس النيام فمن قام لقضاء حاجته تبعه، وذلك من شهوته للغائط لأنه قوته". انتهى كلامه.

وقال أيضاً في عون المعبود: "قال الخطابي: العبية الكبر والنخوة وأصله من العب وهو الثقل، يقال عبية وعبية بضم العين وكسرها.

((مؤمن تقي وفاجر شقي)): قال الخطابي: معناه أن الناس رجلان: مؤمن تقي فهو الخير الفاضل وإن لم يكن حسيباً في قومه، وفاجر شقي فهو الدني وإن كان في أهله شريفاً رفيعاً". انتهى.

وقيل معناه: "أن المفتخر المتكبر إما مؤمن تقي؛ فإذن لا ينبغي له أن يتكبر على أحد، أو فاجر شقي؛ فهو ذليل عند الله، والذليل لا يستحق التكبر، فالتكبر منفي بكل حال". انتهى كلامه.

وقال المباركفوري رحمه الله في "تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي": ((الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب)) أي: فلا يليق بمن أصله التراب النخوة والتجبر، أو اذا كان الأصل

---

[١] رواه أحمد (٨٧٣٦)، وأبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥)، وقال: (حسن غريب) وإسناده حسن.

واحدا فالكل إخوة فلا وجه للتكبر؛ لأن بقية الأمور عارضة لا أصل لها حقيقة، نعم العاقبة للمتقين وهي مبهمة، فالخوف أولى للسالك من الاشتغال بهذه المسالك". انتهى كلامه.

وقال القاري في "مرقاة المفتاح شرح مشكاة المصابيح عند حديث (٤٨٩٩)": "والحاصل أنه ﷺ شبه المفتخرين بآبائهم الذين ماتوا في الجاهلية بالجعل، وآباءهم المفتخر بهم بالعذرة، ونفس افتخارهم بهم بالدهدهة بالأنف، والمعنى أن أحد الأمرين واقع البتة، إما الانتهاء عن الافتخار، أو كونهم أذل عند الله تعالى من الجعل الموصوف". انتهى كلامه.

وقد قال عقبة بن عامر رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ قال: ((إن أنسابكم هذه ليست بسباب على أحد، وإنما أنتم ولد آدم، طف الصاع لم تملؤه. ليس لأحد فضل على أحد إلا بالدين أو عمل صالح، حسب الرجل أن يكون فحاشاً بذيئاً بخيلاً جباناً)) [رواه أحمد (١٧٣١٣) وإسناده حسن].

قال ابن الأثير في النهاية: "أي: قريب بعضكم من بعض، يقال: هذا طف المكيال أي: ما قرب من ملئه، والمعنى: كلكم في الانتساب إلى أب واحد بمنزلة واحدة في النقص والتقاصر عن غاية التمام، شبههم في نقصانهم بالمكيل الذي لم يبلغ المكيال، ثم أَعْلَمَ أن التفاضل ليس بالنسب ولكن بالتقوى" أ.هـ.

ومن يلزم الناس بهذه الجنسية والنسبة الباطلة فهو مخالف لصريح الشرع الذي حرم الانتساب إلى غير الآباء، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ((من ادعى أباً في الإسلام غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام)) [(١)].

[(١)] رواه البخاري (٦٧٦٦) ومسلم (٦٣)، ورواه البخاري (٦٧٦٧) ومسلم (٦٣) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر)) [رواه البخاري (٦٧٦٨) ومسلم (٦٢)].

وقال ابن حجر رحمه الله في "الفتح": "قال ابن بطال: ليس معنى هذين الحديثين أن من اشتهر بالنسبة إلى غير أبيه أن يدخل في الوعيد كالمقداد بن الأسود، وإنما المراد به من تحول عن نسبته لأبيه إلى غير أبيه عالماً عامداً مختاراً، وكانوا في الجاهلية لا يستنكرون أن يتبنى الرجل ولد غيره ويصير الولد ينسب إلى الذي تبناه حتى نزل قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب:٥]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [الأحزاب:٤]، فنسب كل واحد إلى أبيه الحقيقي وترك الانتساب إلى من تبناه، لكن بقي بعضهم مشهوراً بمن تبناه فيذكر به لقصد التعريف لا لقصد النسب الحقيقي كالمقداد بن الأسود، وليس الأسود أباه وإنما كان تبناه، واسم أبيه الحقيقي عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البهراني، كان أبوه حليف كندة فقيل له الكندي، ثم حالف هو الأسود بن عبد يغوث الزهري فتبنى المقداد فقيل له ابن الأسود". انتهى كلامه. ملخصاً موضحاً قال: "وليس المراد بالكفر حقيقة الكفر الذي يخلد صحابها في النار، وبسط القول في ذلك" إلى أن قال ابن حجر: "وقال بعض الشراح: سبب إطلاق الكفر هنا أنه كذب على الله، كأنه يقول خلقني الله من ماء فلان وليس كذلك، لأنه إنما خلقه من غيره". انتهى كلامه.

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر بالله، ومن ادعى قومًا ليس له فيهم فليتبوأ مقعده من النار)). [رواه البخاري (٣٥٠٨) ومسلم (٦١)].

قال "ابن الأثير رحمه الله في جامع الأصول عند هذا الحديث برقم (٨٤٠١)": "الادعاء إلى غير الأب مع العلم به حرام، فمن اعتقد إباحته كفر لمخالفة الإجماع، ومن لم يعتقد إباحته فمعنى (كفر): وجهان، أحدهما: أنه أشبه فعله فعل الكفار، والثاني: أنه كافر لمنعمه". انتهى كلامه.

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: ((إن من أعظم الفرى أن يدعى الرجل لغير أبيه، أو يري عينيه ما لم تريا، أو يقول على رسول الله ما لم يقل)). [رواه البخاري (٣٥٠٩)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((أفرى الفرى من ادعى إلى غير أبيه، وأفرى الفرى من أرى عينيه في النوم ما لم ترَ، ومن غيّر تخوم الأرض)). [رواه أحمد (٥٩٩٨) وإسناده صحيح على شرط مسلم].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً)) [رواه مسلم (١٣٧٠)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)) [رواه أحمد (٣٠٣٧)، وصححه ابن حبان (٤١٨)، وإسناده قوي على شرط مسلم].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: يقول: ((من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله المتتابعة إلى يوم القيامة)) [رواه أبو داود (٥١١٥) وإسناده قوي].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من قدر سبعين عاماً أو مسيرة سبعين عاماً)) (١).

---

(١) رواه أحمد (٦٥٩٢) وقال الهثيمي في مجمع الزوائد (رجاله رجال الصحيح) انتهى. وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

وغير ذلك من الأحاديث التي تحرم على الإنسان الانتساب إلى غير نسبته الصحيحة.

فنحن نتعلم أنسابنا ونحفظها لمقاصد شرعية عظيمة، وليس للفخر والبغي والعدوان والاستطالة على الآخرين، يقول "ابن حجر رحمه الله في الفتح في كتاب المناقب" عند تعليقه على قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء:١] في أول باب منه: "والمراد بذكر هذه الآية الإشارة إلى الاحتياج إلى معرفة النسب أيضا، لأنه يعرف به ذوو الأرحام المأمور بصلتهم، وذكر ابن حزم في مقدمة كتاب النسب له فصلا في الرد على من زعم أن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر بأن في علم النسب ما هو فرض على كل أحد وما هو فرض على الكفاية وما هو مستحب، قال: فمن ذلك أن يعلم أن محمداً رسول الله ﷺ هو بن عبد الله الهاشمي، فمن زعم أنه لم يكن هاشمياً فهو كافر، وأن يعلم أن الخليفة من قريش، وأن يعرف من يلقاه بنسب في رحم محرمة ليجتنب تزويج ما يحرم عليه منهم، وأن يعرف من يتصل به ممن يرثه أو يجب عليه بره من صلة أو نفقة أو معاونة، وأن يعرف أمهات المؤمنين وأن نكاحهن حرام على المؤمنين، وأن يعرف الصحابة وأن حبهم مطلوب، وأن يعرف الأنصار ليحسن إليهم لثبوت الوصية بذلك، ولأن حبهم إيمان وبغضهم نفاق.

قال: ومن الفقهاء من يفرق في الجزية وفي الاسترقاق بين العرب والعجم، فحاجته إلى علم النسب آكد، وكذا من يفرق بين نصارى بني تغلب وغيرهم في الجزية وتضعيف الصدقة.

قال: وما فرض عمر رضي الله عنه الديوان إلا على القبائل، ولولا علم النسب ما تخلص له ذلك، وقد تبعه على ذلك عثمان وعلي وغيرهما.

وقال ابن عبد البر في أول كتابه النسب: ولعمري، لم ينصف من زعم أن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر". انتهى كلامه.

ثم قال ابن حجر: "والذي يظهر حمل ما ورد من ذمّه على التعمق فيه حتى يشتغل عما هو أهم منه، وحمل ما ورد في استحسانه على ما تقدم من الوجوه التي أوردها ابن حزم، ولا يخفى أن بعض ذلك لا يختص بعلم النسب والله المستعان". انتهى.

فعلام تدعي أسرة وعائلة نسبة الناس إليها، وتجعل كل تقسيمات النسب التي ذكرها النسابون عائدة إليها مما لم يفعله أحد قبلها، حتى من هو فوقها في النسب من القرشيين وغيرهم، أم كما قال الشاعر الجاهلي:

لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَمْسَى عَلَيْهَا ... وَنَبْطِشُ حَينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا
بُغَاةٌ ظَالِمِينَ وَمَا ظُلِمْنَا ... وَلَكِنَّا سَنَبْدَأُ ظَالِمِينَا
مَلأنَا البَرَّ حَتَّى ضاقَ عَنَّا ... وَنَحْنُ البَحْرُ نَمْلَؤُهُ سَفِينا
إذا بَلَغَ الرَّضِيعُ لَنَا فِطاماً ... تَخِرُّ لَهُ الجَبابِرُ ساجِدِينا

وكيف يصح نسبة هذه الشعوب والقبائل إلى أسرة واحدة صغيرة قد وجدوا قبل أن توجد، وعرفوا قبل أن تعرف، وذكروا قبل أن تذكر، يعرفون أنسابهم وآباءهم وإلى من يعودون ويرجعون من أنساب بعيدة وقريبة.

يقول مجاهد رحمه الله: "الشعوب النسب البعيد، والقبائل دون ذلك". أخرجه الطبري في تفسيره عند قوله: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات:١٣].

"وروى البخاري (٣٤٨٩)": عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "الشعوب القبائل العظام، والقبائل البطون".

وقال "ابن حجر رحمه الله في الفتح" عند هذا الأثر: "وقد قسمها الزبير بن بكار في (كتاب النسب) إلى شعب، ثم قبيلة، ثم عمارة (بكسر العين)، ثم بطن، ثم فخذ، ثم فصيلة، وزاد غيره قبل الشعب الجذم، وبعد الفصيلة العشيرة، ومنهم من زاد بعد العشيرة الأسرة، ثم

العترة، فمثال الجذم عدنان، ومثال الشعب مضر، ومثال القبيلة كنانة، ومثال العمارة قريش، وأمثلة ما دون ذلك لا تخفى.

ويقع في عباراتهم أشياء مرادفة لما تقدم، كقولهم: حي، وبيت، وعقيلة، وأرومة، وجرثومة، ورهط، وغير ذلك.

ورتبها محمد بن أسعد النسابة المعروف بالحراني جميعها، وأردفها فقال: جذم، ثم جمهور، ثم شعب، ثم قبيلة، ثم عمارة، ثم بطن، ثم فخذ، ثم عشيرة، ثم فصيلة، ثم رهط، ثم أسرة، ثم عترة، ثم ذرية.

وزاد غيره في أثنائها ثلاثة: وهي بيت، وحي، وجماع، فزادت على ما ذكر الزبير عشرة.

وقال أبو إسحاق الزجاج: القبائل للعرب كالأسباط لبني إسرائيل، ومعنى القبيلة الجماعة، ويقال لكل ما جمع على شيء واحد قبيلة أخذًا من قبائل الشجرة وهو غصونها، أو من قبائل الرأس وهو أعضاؤه، سميت بذلك لاجتماعها.

ويقال: المراد بالشعوب في الآية بطون العجم وبالقبائل بطون العرب". انتهى كلامه.

وقال "ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٣٢٧٧/٧)" عند تفسير سورة الحجرات آية (١٣): "وجعلهم شعوباً وهي أعم من القبائل، وبعد القبائل مراتب أخر كالفصائل والعشائر والعمائر والأفخاذ وغير ذلك، وقيل المراد بالشعوب بطون العجم وبالقبائل بطون العرب كما أن الأسباط بطون بني إسرائيل". انتهى كلامه.

فنحن قد عرفنا أنسابنا وتعلمنا ذلك، وذلك استجابة لوصية النبي ﷺ كما في حديث سعيد بن عمرو بن العاص قال: كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما فأتاه رجل فَمَتّ إليه

برحمٍ بعيده فقال: قال رسول الله ﷺ: ((اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم، فإنه لا قرب لرحم إذا قطعت وإن كانت قريبة، ولا بعد لها إذا وصلت وإن كانت بعيدة)) [١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم: محبة في الأهل مَثْرَاة في المال، مَنْسَأة في أثره)) [٢].

وعن العلاء بن خارجة قال: قال رسول الله ﷺ: ((تعلموا ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة للأهل ومنسأة للأجل)) [٣].

وعن عمر رضي الله عنه موقوفاً: "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم وتعرفون به ما يحل لكم مما حرم عليكم من النساء، ثم انتهوا". [رواه البخاري في الأدب المفرد (٧٢) وإسناده صحيح].

وقال "المباركفوري رحمه الله في تحفة الأحوذي" في كتاب البر والصلة (باب ما جاء في تعليم النسب) حديث رقم (١٩٧٩): ((تعلموا من أنسابكم)) "أي من أسماء آبائكم وأجدادكم وأعمامكم وأخوالكم وسائر أقاربكم ((ما)) أي قدر ما تصلون به أرحامكم، فيه دلالة على أن الصلة تتعلق بذوي الأرحام كلها لا بالوالدين فقط كما ذهب إليه البعض، والمعنى تعرفوا أقاربكم من ذوي الأرحام ليمكنكم صلة الرحم، وهي التقريب لديهم والشفقة عليهم والإحسان إليهم، فتعلم النسب مندوب". انتهى كلامه.

---

[١] رواه الطيالسي كما في المطالب العالية (٢٥١٩) وصححه ابن حجر وإسناده صحيح.

[٢] رواه أحمد (٨٨٦٨) والترمذي (١٩٧٩) واستغربه وصححه الحاكم (٧٣٧٥) وإسناده حسن.

[٣] رواه الطبراني في الكبير (٩٨/١٨) وقال المنذري في الترغيب والترهيب: (إسناده لا بأس به). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (رجاله موثوقون) وإسناده حسن.

وسبق أن ذكرت بأن زهران ترجع للأزد، وكما قال أنس بن مالك رضي الله عنه: "إن لم نكن من الأزد فلسنا من الناس" [١].

والأزد كما في "تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي": "أي أزد شنوءه في القاموس: أزد بن الغوث، وبالسين أفصح: أبو حي باليمن، ومن أولاده الأنصار كلهم".

وقال: "قال القاضي يريد بالأزد أزد شنوءة، وهو حي من اليمن، أولاد أزد بن الغوث بن ليث بن مالك بن كهلان بن سبأ".

وقال: "قوله: "فلسنا من الناس" أي الكاملين، وأنس كان أنصارياً، والأنصار كلهم من أولاد الأزد". انتهى كلامه.

وهم من ذرية قحطان، ونسبهم كالآتي: الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وإلى قحطان تنتهي أنساب أهل اليمن من حمير وكندة وهمدان وغيرهم، فقحطان جماع اليمن، وهل يرجع إلى إسماعيل أم لا فيه خلاف.

وقد بوب البخاري رحمه الله في صحيحه (باب نسبة اليمن إلى إسماعيل)، وذكر فيه حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق فقال: ((ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً، وأنا مع بني فلان)) لأحد الفريقين، فأمسكوا بأيديهم، فقال: ((مالهم)) قالوا: وكيف نرمي وأنت مع بني فلان، قال: ((ارموا وأنا معكم كلكم)). [رواه البخاري (٣٥٠٧)].

---

[١] رواه الترمذي (٣٩٣٨)" وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. انتهى. وإسناده صحيح موقوفاً عليه.

"قال ابن حجر رحمه الله في الفتح": "قوله: (باب نسبة اليمن إلى إسماعيل) أي ابن إبراهيم الخليل. ونسبة مضر وربيعة إلى إسماعيل متفق عليها، وأما اليمن فجماع نسبهم ينتهي إلى قحطان، واختلف في نسبه فالأكثر أنه ابن عابر بن شالخ بن أرفشخذ بن سام بن نوح، وقيل هو من ولد هود عليه السلام، وقيل ابن أخيه.

ويقال إن قحطان أول من تكلم بالعربية، وهو والد العرب المتعربة، وأما إسماعيل فهو والد العرب المستعربة، وأما العرب العاربة فكانوا قبل ذلك كعاد وثمود وطسم وجديس وعمليق وغيرهم.

وقيل: إن قحطان أول من قيل له أبيت اللعن وعم صباحا، وزعم الزبير بن بكار إلى أن قحطان من ذرية إسماعيل وأنه قحطان بن الهميسع بن تيم بن نبت بن إسماعيل عليه السلام، وهو ظاهر قول أبي هريرة المتقدم في قصة هاجر، حيث قال وهو يخاطب الأنصار: "فتلك أمكم يا بني ماء السماء"، هذا هو الذي يترجح في نقدي، وذلك أن عدد الآباء بين المشهورين من الصحابة وغيرهم وبين قحطان متقارب من عدد الآباء بين المشهورين من الصحابة وغيرهم وبين عدنان، فلو كان قحطان هو هودا أو ابن أخيه أو قريبا من عصره لكان في عداد عاشر جد لعدنان على المشهور أن بين عدنان وبين إسماعيل أربعة آباء أو خمسة، وأما على القول بأن بين عدنان وإسماعيل نحو أربعين أبا فذاك أبعد، وهو قول غريب عند الأكثر، مع أنه حكاه كثيرون وهو أرجح عند من يقول إن معد بن عدنان كان في عصر بختنصر، وقد وقع في ذلك اضطراب شديد واختلاف متفاوت حتى أعرض الأكثر عن سياق النسب بين عدنان وإسماعيل، وقد جمعت مما وقع لي من ذلك أكثر من عشرة أقوال، فقرأت في كتاب النسب لأبي رؤبة على محمد بن نصر فذكر فيه فصلا في نسب عدنان فقال: قالت طائفة هو ابن أد بن أدد بن زيد بن معد بن مقدم بن هميسع بن نبت بن قيدار بن إسماعيل، وقالت طائفة: ابن أدد بن هميسع بن نبت بن سلامان بن حمل بن نبت بن قيدار، وقالت طائفة: ابن أدد بن هميسع المقوم بن ناحور بن يسرح بن يشجب بن مالك بن أيمن بن نبت بن قيدار، وقالت طائفة هو ابن أد بن أدد بن الهميسع بن

يشجب بن سعد بن بريح بن نمير بن حميل بن منحيم بن لافث بن الصابوح بن كنانة بن العوام بن نابت بن قيدار، وقالت طائفة: بين عدنان وإسماعيل أربعون أبا قال: واستخرجوا ذلك من كتاب رخيا كاتب أرميا النبي، وكان رخيا قد حمل معد بن عدنان من جزيرة العرب ليالي بختنصر خوفا عليه من معرة الجيش فأثبت نسب معد بن عدنان في كتبه فهو معروف عند علماء أهل الكتاب.

قال: ووجدت طائفة من علماء العرب قد حفظت لمعد أربعين أبا بالعربية إلى إسماعيل، واحتجت في أسمائهم بأشعار من كان عالما بأمر الجاهلية كأمية بن أبي الصلت، قال: فقابلته بقول أهل الكتاب فوجدت العدد متفقا واللفظ مختلفا.

ثم ساق أسماء أربعين أبا بينهما.

وقد وجدت لغيره حكاية خلاف أزيد مما حكاه، فعند ابن إسحاق أنه عدنان بن أدد بن يشجب بن يعرب بن قندر، وعنه أيضا عدنان بن أد بن مقوم بن ناحور بن يبرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل، وعن إبراهيم بن المنذر هو عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن نابت بن إسماعيل، وحكاه مرة عن عبد الله بن عمران المدني فزاد فيه بين أدد والهميسع زيدا، وحكى أبو الفرج الأصبهاني عن دغفل النسابة أنه ساق بين عدنان وإسماعيل سبعة وثلاثين أبا، فذكرها وهي مغايرة للمذكور قبل.

وقال هشام بن الكلبي في (كتاب النسب) له ونقله ابن سعد عنه قال: أخبرت عن أبي ولم أسمع منه أنه ساق بين عدنان وإسماعيل أربعين أبا.

قلت: فذكرها وفيها مغايرة لما تقدم، قال هشام: وأخبرني رجل من أهل تدمر يكنى أبا يعقوب من مسلمي أهل الكتاب وعلمائهم أن رخيا كاتب أرمياء أثبت نسب معد بن عدنان والأسماء التي عنده نحو هذه الأسماء، والخلاف من قبل اللغة.

قال: وسمعت من يقول: إن معد بن عدنان كان على عهد عيسى بن مريم، كذا قال، وحكى الهمداني في الأنساب ما حكاه ابن الكلبي ثم ساق الأسماء سياقة أخرى بأكثر من هذا العدد باثنين، ثم قال: وهذا مما أنكره، ومما ينبغي أن يعقل ولا يذكر ولا يستعمل بمخالفتها لما هو المشهور بين الناس، كذا قال.

والذي ترجح في نظري أن الاعتماد على ما قاله ابن إسحاق أولى، وأولى منه ما أخرجه الحاكم والطبراني، من حديث أم سلمة قالت: عدنان هو ابن أد بن زيد بن بري بن أعراق الثرى، وأعراق الثرى هو إسماعيل، وهو موافق لما ذكرته آنفا عن إبراهيم بن المنذر عن عبد الله بن عمران، وهو موافق من يقول إن قحطان من ذرية إسماعيل لأنه والحالة هذه يتقارب عدد الآباء بين كل من قحطان وعدنان وبين إسماعيل، وعلى هذا فيكون معد بن عدنان كما قال بعضهم في عهد موسى عليه السلام لا في عهد عيسى عليه السلام، وهذا أولى لأن عدد الآباء بين نبينا وبين عدنان نحو العشرين، فيبعد مع كون المدة التي بين نبينا وبين عيسى عليه السلام كانت ستمائة سنة – كما سيأتي في صحيح البخاري – مع ما عرف من طول أعمارهم أن يكون معد في زمن عيسى.

وإنما رجح من رجح كون بين عدنان وإسماعيل العدد الكثير الذي تقدم مع الاضطراب فيه استبعادهم أن يكون بين معد وهو في عصر عيسى بن مريم وبين إسماعيل أربعة آباء أو خمسة مع طول المدة، وما فروا منه وقعوا في نظيره كما أشرت إليه، فالأقرب ما حررته وهو إن ثبت أن معد بن عدنان كان في زمن عيسى فالمعتمد أن يكون بينه وبين إسماعيل العدد الكثير من الآباء وإن كان في زمن موسى فالمعتمد أن بينهما العدد القليل، والله أعلم.

قوله: "منهم أسلم بن أفصى" بفتح الهمزة وسكون الفاء بعدها مهملة مقصورا، ووقع في رواية الجرجاني أفعى بعين مهملة بدل الصاد وهو تصحيف، وقوله ابن حارثة بن عمرو بن عامر أي ابن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، قال الرشاطي: الأزد جرثومة من جراثيم قحطان، وفيهم قبائل، فمنهم الأنصار وخزاعة وغسان وبارق وغامد والعتيك

وغيرهم، وهو الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وأراد المصنف أن نسب حارثة بن عمرو متصل باليمن، وقد خاطب النبي ﷺ بني أسلم بأنهم من بني إسماعيل كما في حديث سلمة بن الأكوع الذي في هذا الباب، فدل على أن اليمن من بني إسماعيل.

وفي هذا الاستدلال نظر، لأنه لا يلزم من كون بني أسلم من بني إسماعيل أن يكون جميع من ينسب إلى قحطان من بني إسماعيل، لاحتمال أن يكون وقع في أسلم ما وقع في إخوتهم خزاعة من الخلاف هل هم من بني قحطان أو من بني إسماعيل، وقد ذكر ابن عبد البر من طريق القعقاع بن أبي حدرد في حديث الباب أن النبي ﷺ مر بناس من أسلم وخزاعة وهم يتناضلون فقال: ((ارموا بني إسماعيل))، فعلى هذا فلعل من كان هناك من خزاعة كانوا أكثر فقال ذلك على سبيل التغليب.

وأجاب الهمداني النسابة عن ذلك بأن قوله لهم يا بني إسماعيل لا يدل على أنهم من ولد إسماعيل من جهة الآباء، بل يحتمل أن يكون ذلك لكونهم من بني إسماعيل من جهة الأمهات، لأن القحطانية والعدنانية قد اختلطوا بالمصاهرة، فالقحطانية من بني إسماعيل من جهة الأمهات، وقد تقدمت مباحث هذا الحديث في كتاب الجهاد، ومما استدل به على أن اليمن من ولد إسماعيل قول ابن المنذر بن عمرو بن حرام جد حسان بن ثابت:

ورثنا من البهلول عمرو بن عامر وحارثة الغطريف مجدا مؤثلا
مآثر من آل ابن بنت ابن مالك وبنت ابن إسماعيل ما إن تحولا

وهذا أيضا مما يمكن تأويله كما قال الهمداني، والله أعلم". انتهى كلامه.

وقال ابن حجر رحمه الله أيضاً عند حديث: ((تلك أمكم يا بني ماء السماء)) [رواه البخاري (٣٣٥٨) ومسلم (٢٣٧١)] في فتح الباري: "قوله: " قال أبو هريرة: تلك أمكم يا بني ماء السماء" كأنه خاطب بذلك العرب لكثرة ملازمتهم للفلوات التي بها مواقع القطر لأجل رعي دوابهم،

ففيه تمسك لمن زعم أن العرب كلهم من ولد إسماعيل، وقيل: أراد بماء السماء زمزم لأن الله أنبعها لهاجر فعاش ولدها بها فصاروا كأنهم أولادها.

قال ابن حبان في صحيحه: كل من كان من ولد إسماعيل يقال له ماء السماء، لأن إسماعيل ولد هاجر وقد ربي بماء زمزم وهي من ماء السماء.

وقيل: سموا بذلك لخلوص نسبهم وصفائه، فأشبه ماء السماء، وعلى هذا فلا متمسك فيه، وقيل: المراد بماء السماء عامر ولد عمرو بن عامر بن بقيا بن حارثة بن الغطريف وهو جد الأوس والخزرج، قالوا: إنما سمي بذلك لأنه كان إذا قحط الناس أقام لهم ماله مقام المطر، وهذا أيضا على القول بأن العرب كلها من ولد إسماعيل". انتهى كلامه.

فهذا مختصر في نسب القبائل العدنانية والقحطانية الموجودة في جزيرة العرب، وأنها ليست من آل سعود، وليس في أنسابها وآباءها وأجدادها أحد يسمى بسعود حتى يرجعوا إليه كلأزد مثلاً، أو قحطان أو قريش أو عدنان، فلو قيل عن رجل من تيم من قريش تيميّ لصح ذلك واستقام، وكذلك قرشي ومضري وعدناني وإسماعيلي وإبراهيمي ونوحي وآدمي، فكل ذلك صحيح انتساب إلى أحد الآباء والأجداد من قريب أو بعيد، وهو كما سبق انتساب إلى أسرة وفصيلة وعشيرة وقبيلة وجمهور وشعوب وجذم وهكذا، ولكن أن تأتي أسرة وعائلة ما عرفت إلا قبل قرنين من الزمان فيأتي أحد أحفادها قبل عقود لينسب الناس من جماهير العرب وشعوبهم وقبائلهم إلى أحد أجداده فهذا ما لم يفعله أحد قبله، وهو فعل محرم وقبيح وشنيع يجب إزالته وإلغاءه، وهو مخالف ومناقض للشرع واللغة والعرف والحقيقة.

وحين قلت (جنسية آل سعود موضوعة تحت قدمي) لأن النبي ﷺ قال في حجة الوداع في خطبته: ((ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع)) [رواه مسلم (١٢١٨)] من حديث جابر رضي الله عنه.

وهذه الجنسية والنسبة الكاذبة هي من أمر الجاهلية التي نضعها تحت أقدامنا ولا نعترف بها، وهذا هو حال الناس، ولكن هذه الأسرة والعائلة أكرهت الناس عليها بالحديد والنار، وربطت مصالحهم وأمور معاشهم وشوؤنهم بهذه الجنسية الغريبة والفريدة في العالم والله المستعان، وسيأتي اليوم التي تزول وتنسى، وتبقى وصمة عار على واضعها وفارضها على الناس.

وأما شريط (يا أهل الجنوب) فهو رسالة صوتية وجهتها لعشيرتي الأقربين كما قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] بينت فيها شيئاً من تاريخهم ومآثرهم وبطولاتهم، وذكرت ما جاء في فضل اليمن وأهله من أحاديث وأخبار وآثار، وأخبرتهم أني فرد منهم أحب أهل الإيمان والإسلام منهم، وأدافع عنهم ما استطعت إن ظلموا أو أُعتدي عليهم، ونفيت كذب ما يروجه وينشره إعلام آل سعود بأني أكفرهم، ومعاذ الله ما قلت هذا يوماً من الأيام لا في كتاب ولا خطاب ولا شريط، وأخبرتهم بالخطر الأمريكي الصليبي على بلادنا وذلك بعد غزو أمريكا للعراق من قلب جزيرة العرب وما فعلته الدويلات والأسر الغاصبة لبلادنا تجاه المسلمين في كل مكان، وذكرت مختصر ما في جوابي هذا على هذه الدعاوى والتهم، وحذرتهم من مؤامرة سحب السلاح منهم الذي تنتهجه هذه الدويلات لكي تسرح أمريكا وتمرح في بلادنا بلا منغصات ولا مخاطر.

والشريط موجود ومشهور ردوا عليه بعلم وانطقوا ببيان، واكتبوا جوابكم وحجتكم لأكتب جوابي وحجتي، ويعرض على علماء الشرق والغرب، ليعلم أي الفريقين أهدى سبيلا وأقوم قيلاً.

وأما شريط (نصيحة إلى العساكر) فهو كذلك رسالة صوتية وجهتها إلى عساكر هذه الدويلات، وبينت فيها حكمها وحكمهم، وأنهم يقاتلون في سبيل الطاغوت، وقد قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [النساء:٧٦]، وذكرت أدلة وأقوالاً علمية وشرعية مع واقع العسكرية المعاصرة، وهو مختصر لما

في كتاب (الباحث عن حكم قتل أفراد وضباط المباحث)، وكتاب (الآيات والأحاديث الغزيرة على كفر قوات درع الجزيرة)، وبينت أنهم يقاتلون المسلمين المجاهدين خدمة لأمريكا الصليبية وصنائعها في بلادنا.

وأقول أيضا: هو شريط موجود ومشهور ومنشور، ردوا عليه بعلم وانطقوا ببيان، واكتبوا جوابكم وحجتكم لأكتب جوابي وحجتي، ويعرض على علماء الشرق والغرب، ليعلم أي الفريقين أهدى سبيلاً وأقوم قيلا.

وأزيد: اعرضوا قتلانا وقتلاكم على الناس، ليعلم من أصحاب الوجوه المسفرة الضاحكة المستبشرة، ومن أصحاب الوجوه التي عليها غبرة ترهقها قترة، وقد قلتها للمباحث من بداية سجني وإلى الآن؛ أتحدى أن تعرضوا صور العسكر بعد القتل على الناس، ولم تفعلوا إلى الآن، بينما نحن نعرض صور قتلانا في كل مكان ولا نخاف أو نتردد، بينما أنتم أخذتم قتلانا في عدد من الحالات وهي على وضع جميل ومؤثر، فشوهتم جثثهم ومثلتم بها ثم عرضتموها في الإعلام لتنفروا منا وعنا.

وقد عُرِضَ عليّ صور عدد من الإخوة المسلمين المجاهدين الذين قتلوا في بعض المواجهات ومنها الزلفي، فقلت للمحققين: أتحداكم أن تعرضوها في الإعلام، ووالله لو فعلتم لأسلم من أجلها عشرات الآلآف، بل ربما مئات الآلاف، بل لا أبالغ إذا قلت الملايين، ولعاد إلى دينه والاستقامة على أمر الله من فسقة المسلمين الملايين. ولكنهم يأخذون صور العسكر الملونة والتي أخذت في وضع جميل قبل سنين من وفاته وقتله ويتم نشرها في الإعلام، بينما يشوهون صورنا أحياء وأمواتا، ويقولون عن قتلانا: "شر قتلى تحت أديم السماء، وكلاب النار"، بينما قتلاهم: "شهداء الواجب والوطن".

وأنا أقول هذا وأشرطة المسلمين المجاهدين لقتلاهم منشورة ومشهورة وموثقة في أفغانستان وباكستان والعراق والشيشان واليمن والصومال والشام وغيرها من ميادين الجهاد والقتال، لأنهم نحسبهم والله حسيبهم يقاتلون في سبيل الله، وهذا شأن المؤمنين، وأما عساكر

الدويلات والصنائع فهم طلاب رواتب ومعاشات يقاتلون في سبيل الطاغوت والشيطان، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، كحال جنود كرزاي وزرداري والمالكي وبقية الصنائع والدمى، يقاتلون تحت راية أمريكا الصليبية كما تم بيان وتفصيل ذلك سابقاً.

وأما البيان المكتوب والصوتي الذي بعنوان (الرد على سفر الحوالي) فهو دعوة علنية للمناظرة العلمية والشرعية بعنوان (طلب المناظرة مع سفر الحوالي)، وذلك في سياق أحداث ووقائع بعد الغزو الصليبي من جزيرة العرب، وبدعم الدويلات فيها لأمريكا لاحتلال أفغانستان ثم العراق، وكان لشيوخ السلاطين والحكومات وخصوصاً شيوخ آل سعود الدور المخزي والظالم والغادر للإسلام والمسلمين، فأمريكا قالت: (من لم يكن معنا فهو ضدنا)، فارتعب الطغاة والصنائع فارتموا في أحضانها وقالوا هم أيضا: (من لم يكن معنا فهو ضدنا)، فارتمى الشيوخ في أحضانهم وبدؤوا يرددون ما يريده منهم الطغاة والصنائع حتى قال قائلهم: (حتى السكوت لا يسمح به)، وجرى ما جرى في حينه..

وكان هناك بعض المشايخ والدعاة لهم بعض الوزن والاعتبار نظراً لمواقف طيبة وسابقة حسنة في بعض القضايا بعد غزو صدام للكويت ودخول القوات الأمريكية وكشف بعض المخططات مما أدى إلى اعتقالهم لسنوات أربع أو خمس على هذه المواقف، وكنا نحسن الظن بهم ونتوقع منهم الثبات على المبادئ ومواصلة السير على طريق الحق وعدم التبديل والمراوغة خصوصاً أنهم هم من كان يقول إذا غيرنا أو بدلنا فاغسلوا أيديكم منا، ويذكرون عبارات قاسية شديدة في ذلك في أشرطتهم ومجالسهم، فلما خرجوا من السجن استمر هذا الظن الحسن بهم لدى الكثير، ولا يدرى عن الخفايا والمتغيرات والنكوص على الأعقاب والمداهنة للظالمين من قبل هؤلاء، وبدأ الشعور شيئاً فشيئاً بوقوع اختلاف وتغير لدى هؤلاء، وكان يدور في الخفاء لدى كثير من أهل الاستقامة والصلاح تساؤلات وانتقادات ونقاشات، حتى وقعت غزوات نيويورك وواشنطن التي ميزت الصفوف وبينت المواقف ومحصت المؤمنين، فظهر هؤلاء على حقيقة أمرهم وجرى ما جرى حينها من ردود وسجالات علمية وشرعية يعرفها المتابعون لتلك المرحلة، وأراد هؤلاء فرض رأيهم ورؤيتهم واستثمار مالهم من حضور

في نفوس الناس لسابقتهم في مرحلة العقد الثاني من القرن الخامس عشر أي ما بين (١٤١١-١٤١٩) ولسجنهم لخمس سنوات في الحائر، فساروا عكس سيرهم القديم الذي كانوا يسيرونه ويطرحونه فحصلت البلبلة في أوساط الناس..

وكانت الغزوات على أمريكا من الضخامة بمكان لم يستوعبوه واستعجلوا في اتخاذ المواقف وإصدار البيانات، وكان ربما للغرور والعجب دوره في ذلك مع حظوظ النفس وعدم التجرد، حتى إنهم أصبحوا ينظرون بلسان الحال وربما المقال لمن يرد عليهم بطريقة (القافلة تسير والكلاب تنبح)، وأتتهم الردود من العلماء والدعاة وطلبة العلم من رفقاء الأمس وشركاء السجن، ومارسوا معهم ما مارسه شيوخ آل سعود معهم من بغي وظلم واستبداد، وكانوا أكبر من شق الصفوف وأحدث البلبلة، ولو صدقوا الله لكان خيراً لهم.

وقد كتب في ذلك مجلدات من الردود والسجالات العلمية، حتى يصح أن يقال لو أراد شخص أن يرد عليهم بكلامهم بالأمس لاستطاع، فيصبح (رد الشيخ فلان على نفسه)، ومع ذلك ينكرون ويتجاهلون، وقد حدثني الشيخ سليمان العلوان سلمه الله وأعلاه بأن سلمان العودة قال له: "أنا لا أريد أن أدخل السجن ثانية"، بمعنى لا تظن أني سأفعل فعلي بالأمس وأقف مواقفي تلك، ولو أبدى ذلك للناس وقال يا جماعة أنا لا أستطيع ولا أقدر والأمر فوق طاقتي وسكت ولزم بيته لأفلح وأنجح، ولكنه سار في درب معاكس تماما لما كان عليه بالأمس، ولو أخذنا بكلامه في بعض أشرطته لبصقنا في وجهه، لأنه هو من أمر بذلك.

وكذلك الحال بالنسبة لسفر الحوالي، فلما أُعلن عن اسمي في قائمة المطلوبين الستة والعشرين سعى هو وعدد من المشايخ والأساتذة للوصول إليّ لتسليمي لآل سعود ولمحمد بن نايف، وحركوا عدداً من الشباب لهذه المهمة، فطلبت المناظرة لبيان الحق ولكشف حقيقة هؤلاء الشيوخ وأنهم يستبدون برأيهم ويرفضون رؤيتهم ولو خالفتها الأدلة الشرعية والوقائع الحقيقية، وأنهم مداهنون، ويحتقرون العلماء وطلبة العلم الذين لا يأخذون برأيهم ولا يسلمون

لهم زمام الأمور ويعطونهم مقود القيادة، ولبيان أنهم يهربون من المناظرة العلمية والردود الشرعية، ولذا لم يردوا على الشيخ يوسف العييري حين رد على بياناتهم، ولا على الشيخ ناصر الفهد، ولا على غيرهم، بل سوقوا رؤيتهم واستغلوا إعلام آل سعود لذلك، فبغوا على إخوانهم وجاروا، ولما طلبت المناظرة هرب منها سفر الحوالي لا كتابة ولا صوتاً ولا صورة، ولم يرد، وإلى الآن تسع سنوات لم يفعل.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "الفتاوى الكبرى (٣٤٦/٦)": "بل هم يفرون من المناظرة والمحاجة بخطاب أو كتاب". انتهى كلامه.

وقال أيضاً في "الفتاوى الكبرى (٣٤٢/٦)": "وهم دائما يستعفون من المحاقة والمناظرة بلفظ أو خط، وقد قيل لهم مرات متعددة: من أنكر شيئا فليكتب ما ينكره بخطه، ويذكر حجته، ويكتب جوابه، ويعرض الأمران على علماء المشرق والمغرب، فأبلسوا وبهتوا، وطلب منهم غير مرة المخاطبة في المحاضرة والمحاقة والمناظرة فظهر منهم من العي في الخطاب والنكوص على الأعقاب والعجز عن الجواب ما قد اشتهر واستفاض بين أهل المدائن والأعراب، ومن قضاتهم الفضلاء من كتب اعتراضا على الفتيا الحموية وضمنه أنواعا من الكذب وأمورا لا تتعلق بكلام المعترض عليه، وقد كتبت جوابه في مجلدات، ومنهم من كتب شيئا ثم خبأه وطواه عن الأبصار وخاف من شره ظهور العار وخزي أهل الجهل والصغار، إذ مدار القوم على أحد أمرين: إما الكذب الصريح، وإما الاعتقاد القبيح، فهم لن يخلوا من كذب كذبه بعضهم وافتراه، وظن باطل خاب من تقلده وتلقاه، وهذه حال سائر المبطلين من المشركين وأهل الكتاب الكفار والمنافقين". انتهى كلامه.

وقال أيضاً رحمه الله في "الفتاوى الكبرى (٣٢٤/٦)": "فقلت: خذ هذه النسخة فهذا اعتقادي، فمن أنكر منه شيئاً فليكتب ما ينكره وحجته لأكتب جوابي". انتهى كلامه.

وما زال أهل العلم يتناظرون ويرد بعضهم علي بعض للوصول للحق وبيانه وجلائه، والأمثلة على ذلك كثيرة، فقد تناظر الصحابة يوم سقيفة بني ساعدة ثم أجمعوا على بيعة

أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين، وتناظر أبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما حين ارتدت العرب ثم شرح الله صدر عمر للذي شرح صدر أبي بكر وأجمع الصحابة بعد ذلك على قتال المرتدين، وقد بوب العلماء والمحدثون في كتبهم للمناظرة وساقوا فيها أمثلة مختلفة، فمن ذلك ما فعله الحاكم في مستدركه (١/١٥٠-١٥٢) حين عقد باباً بعنوان (مناظرة ابن عباس مع الحرورية)، وساق فيه ما جرى بين ابن عباس وبين الخوارج من حوار ونقاش وردود، وكانت مناظرة علمية شرعية في عصر الصحابة، وسقتها كاملة في موضع سابق من هذا الرد لكي يُعلم كيف تكون المناظرة وما آدابها وأخلاقها وما المقصود منها.

وقد قال القحطاني رحمه الله في نونيته:

أصل الجدال من السؤال وفرعه ... حسن الجواب بأحسن التبيان
لا تلتفت عند السؤال ولا تعد ... لفظ السؤال كلاهما عيبان
وإذا غلبت الخصم لا تهزأ به ... فالعجب يخمد جمرة الإحسان
فلربما انهزم المحارب عامداً ... ثم انثنى قسطا على الفرسان
واسكت إذا وقع الخصوم وقعقعوا ... فلربما ألقوك في بحران
ولربما ضحك الخصوم لدهشة ... فاثبت ولا تنكل عن البرهان
فإذا أطالوا في الكلام فقل لهم ... إن البلاغة لُجِّمت ببيان
لا تغضبن إذا سئلت ولا تصح ... فكلاهما خلقان مذمومان
وإذا انقلبت عن السؤال مجاوباً ... فكلاهما لا شك منقطعان
واحذر مناظرة بمجلس خيفة ... حتى تبدل خيفة بأمان
ناظر أديباً منصفاً لك عاقلاً ... وانصفه أنت بحسب ما تريان
ويكون بينكما حكيم حاكماً ... عدلاً إذا جئتاه تحتكمان

وهذا ما دعوت إليه سفر الحوالي، ولكنه هرب ولا زال هارباً من المناظرة إلى الآن، وهذا عجز ظاهر، وما دمت قد سجنت وأصبحت في أيدي أعدائي فلا أزال على طلبي للمناظرة

العلمية والشرعية، ولكن مكتوبة خطاً لأجيب خطاً، ويعرض على علماء المشرق والمغرب من غير علماء وشيوخ آل سعود.

وأقول كما قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

واجعل كتاب الله والسنن التي ... ثبتت سلاحك ثم صح بجنان
من ذا يبارز فليقدم نفسه ... أو من يسابق يبد في الميدان
واصدع بما قال الرسول ولا تخف ... من قلة الأنصار والأعوان
فالله ناصر دينه وكتابه ... والله كافٍ عبده بأمان
لا تخش من كيد العدو ومكرهم ... فقتالهم بالزور والبهتان
فجنود أتباع الرسول ملائك ... وجنودهم فعساكر الشيطان
شتان بين العسكرين فمن يكن ... متحيزا فلينظر الفئتان
واثبت وقاتل تحت رايات الهدى ... واصبر فنصر الله ربك دان
واذكر مقاتلهم لفرسان الهدى ... لله در مقاتل الفرسان
وادرأ بلفظ النص في نحر العدى ... وارجمهم بثواقب الشهبان
لا تخش كثرتهم فهم همج الورى ... وذبابه أتخاف من ذبان
واشغلهم عند الجدال ببعضهم ... بعضا فذاك الحزم للفرسان
وإذا هم حملوا عليك فلا تكن ... فزعاً لحملتهم ولا بجبان
واثبت ولا تحمل بلا جند فما ... هذا بمحمود لدى الشجعان
فإذا رأيت عصابة الإسلام قد ... وافت عساكرها مع السلطان
فهناك فاخترق الصفوف ولا تكن ... بالعاجز الواني ولا الفزعان
وتعر من ثوبين من يلبسهما ... يلقى الردى بمذمة وهوان
ثوب من الجهل المركب فوقه ... ثوب التعصب بئست الثوبان
وتحل بالإنصاف أفخر حلة ... زينت بها الأعطاف والكتفان

واجعل شعارك خشية الرحمن مع ... نصح الرسول فحبذا الأمران
وتمسكن بحبله وبوحيه ... وتوكلن حقيقة التكلان
واجعل لقلبك هجرتين ولا تنم ... فهما على كل امرئ فرضان
فالهجرة الأولى إلى الرحمن بالـ ... إخلاص في سر وفي إعلان
فالقصد وجه الله بالأقوال والـ ... أعمال والطاعات والشكران
فبذاك ينجو العبد من إشراكه ... ويصير حقاً عابد الرحمن
والهجرة الأخرى إلى المبعوث بالـ ... حق المبين وواضح البرهان
فيدور مع قول الرسول وفعله ... نفياً وإثباتاً بلا روغان
ويحكم الوحي المبين على الذي ... قال الشيوخ فعنده حكمان
لا يحكمان بباطل أبدا وكل ... العدل قد جاءت به الحكمان
وهما كتاب الله أعدل حاكم ... فيه الشفا وهداية الحيران
والحاكم الثاني كلام رسوله ... ما ثم غيرهما لذي إيمان
فإذا دعوك لغير حكمهما فلا ... سمعاً لداعي الكفر والعصيان
قل لا كرامة لا ولا نعما ولا ... طوعاً لمن يدعو إلى طغيان
وإذا دعيت إلى الرسول فقل لهم ... سمعاً وطوعاً لست ذا عصيان
وإذا تكاثرت الخصوم وصيحوا ... فاثبت فصيحتهم كمثل دخان
يرقى إلى الأوج الرفيع وبعده ... يهوي إلى قعر الحضيض الداني

وقد طلبت قبل سجني المناظرة المكتوبة أو المسموعة أو المرئية فلم يرد عليّ أحد، بل سعوا لاعتقالي بكل وسيلة، وأصبحوا كأنهم ضباط في المباحث، ولا أشك أنهم مشاركون في اعتقالي بصورة مباشرة أو غيرة مباشرة، أما الآن فأنا أشترط لذلك – مع أنه لن يحصل إلا أن يشاء الله – أن يكون مكتوباً فقط، وذلك أن التسجيل الصوتي أو المرئي يمكن تحريفه وقطعه والتصرف فيه والتلاعب بذلك عبر وسائل الإعلام المختلفة، وقد حاولوا معي ذلك مراراً، حتى أنهم في إحدى هذه المحاولات قالوا لي: تكلم بكل ما تريد واذكر ما تعتقده في

كل شيء، وكان ذلك بتوجيه من محمد بن نايف وزير الداخلية الحالي في عام (١٤٢٦)، فضحكت وقلت لهم: (على غيري)، فقالوا إنها فرصة وما شابه ذلك من كلام، فقلت: لو قلتُ ما شئتُ في أسامة بن لادن وقدحتُ بما شئتُ في نايف عبد العزيز لاستطعتم أن تجعلوا مدحي في أسامة بن لادن لنايف بن عبد العزيز، وأن تجعلوا قدحي في نايف بن عبد العزيز قدحاً في أسامة بن لادن بالقص واللزق والقطع والنسخ واللصق عبر التقنية الحديثة، لكني أشترط ثلاثة شروط، قالوا: وما هي؟

قلت: أولاً: حضور قنوات عالمية لا دخل لآل سعود فيها (كالجزيرة والبي بي سي والسي إن إن وغيرها).

وثانياً: أن يكون البث على الهواء مباشرة.

وثالثاً: أن يكون في مكان واسع بحضور الناس، ولا يقل ذلك عن ثلاثة آلاف شخص.

فقالوا لي: هذا مستحيل، فقلت لهم: وخروجي معكم مستحيل، فولوا مدبرين غاضبين.

وكان الذي عرض هذا وتكلم معي في هذا الشأن ثلاثة ضباط من المباحث، أحدهم رئيس التحقيقات الحالي سعد الشهري.

وكما قال الشاعر:

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحر

والذي تبين لي من خلال التجربة والمشاهدة والمتابعة أن شيوخ آل سعود أبعد ما يكونون عن المناظرة العلمية الشرعية، وليس لديهم إلا صكوك التبديع والتضليل والاستبداد في فرض رؤاهم وآرائهم، مستغلين في ذلك الإعلام المرتبط بآل سعود والنفخ الإعلامي لهم بأنهم كبار وأعضاء في هيئة كذا وكذا، حتى هرم في ذلك الكبير وشاب الصغير، وكما قال عبد الله بن

مسعود رضي الله عنه: "كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ويربو فيها الصغير ويتخذها الناس سنة، فإذا غيرت قالوا: غيرت السنة قالوا: ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن قال: إذا كثرت قراؤكم، وقلت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة" (١).

وقد عقد ابن القيم رحمه الله فصلاً في نهاية الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية بعنوان (فصل في رغبة قائلها إلى من يقف عليها من أهل العلم والإيمان أن يتجرد لله ويحكم عليها بما يوجبه الدليل والبرهان فإن رأى حقاً قبله وحمد لله عليه وإن رأى باطلاً عرف به وأرشد إليه)، ثم قال:

يا أيها القاري لها اجلس مجلس الـ ـحكم الأمين انتابه خصمان
واحكم هداك الله حكما يشهد الـ ـعقل الصريح به مع القرآن
واصبر ولا تعجل بتكفير الذي قد قالها جهلا بلا برهان
واحبس لسانك برهة عن كفره حتى تعارضها بلا عدوان
فإذا فعلت فعنده أمثالها فنَزَالِ آخر دعوة الفرسان
فالكفر ليس سوى العناد ورد ما جاء الرسول به لقول فلان
فانظر لعلك هكذا دون الذي قد قالها فتفوز بالخسران
فالحق شمس والعيون نواظر لا تختفي إلا على العميان

فأين التجرد لله، وأين الحكم بما يوجبه الدليل والبرهان من شيوخ وأشباه شيوخ يدخلون علينا في السجن تحت مسمى (لجنة المناصحة) لكي يلقوا علينا الدروس، فمن وافقهم قالوا له: أنت والتزموه واحتضنوه، ومن خالفهم وعارضهم ورد عليهم وأخذ وأعطى واستدل وبرهن

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٩٠٠٣) والدرامي (١٩١) والحاكم في المستدرك (٨٦٤٩) وسكت عنه، وقال الذهبي: (على شرط البخاري ومسلم) أ.هـ. وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

أو رفض رؤيتهم من الأساس ضللوه وبدعوه وكفروه، وهناك حالات يأمرون بعزله ونقله من الجماعي إلى الانفرادي عقوبة له وردعاً لأمثاله.

وهم يدخلون ويأخذون على الجلسة مبلغ (٥٠٠) خمسائة ريال، وقد قلت لهم إن عنوان لجنتكم (لجنة المناصحة) هو اتهام مسبق للناس، وقد أكرهتم كثيراً من الناس حين جعلتم صحة وسلامة المنهج عبر العرض على لجنة أعدتها وزارة الداخلية ومحمد بن نايف، وهذا يذكرني بما فعله الحجاج بن يوسف الثقفي حين كان يقول لمن خرج على بني أمية: أكفرت بخروجك، فإن قال نعم خلى سبيله، وإن قال: لا قتله، ولذا لما قال لسعيد بن جبير رحمه الله أكفرت بخروجك؟ قال: (لا)، قتله بعدما دار بينهما ما دار من حوار ونقاش ومناظرة.

ووالله لو قرأ الناس أخبار وروايات علماء السلف وحالهم مع الظلمة والجبابرة، ثم نظر إلى هؤلاء الذين يسمون بالشيوخ زوراً وبهتاناً لعلم الفرق بين الفريقين والمنهجين.

وصدق ابن القيم رحمه الله حين قال في أبيات له:

وليس لهم في العلم باع ولا التقى ولا الزهد والدنيا لديهم هي الهم
فوالله لو أن الصحابة شاهدوا أفاضلهم قالوا هم الصم والبكم

يدخلون علينا ليقبضوا ٥٠٠ ريال على الجلسة، يهشون ويبشون للمباحث ويأكلون مفطحاتهم ويطيبونهم ويبخرونهم، ثم يأتون إلى السجناء ليعطوهم دروساً في الصبر والحلم وسعة الصدر ويصطادون أموال المساكين.

وإذا كان ابن المبارك رحمه الله كما قال "الذهبي في ميزان الاعتدال (١/٢١٨-٢١٩)": "حدثنا الحمادان أن ابن المبارك كان يتجر، ويقول: لولا خمسة ما تجرت: السفيانان وفضيل وابن السماك وابن علية، فيصلهم، فقدم سنة، فقيل له: قد ولي ابن علية القضاء، فلم يأته ولم يصله، فركب ابن علية إليه فلم يرفع له عبد الله رأساً، فانصرف، فلما كان من غد كتب

إليه رقعة يقول: قد كنت منتظراً لبرك وجئتك فلم تكلمني، فما رأيت مني؟ فقال ابن المبارك: يأبى هذا الرجل إلا أن نقشر له العصا، ثم كتب إليه:

يا جاعل العلم له بازيا ... تصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها ... بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنوناً بها بعدما ... كنت دواء للمجانين
ودرسك للعلم بآثاره ... في ترك أبواب السلاطين
أين رواياتك فيما مضى ... عن ابن عون وابن سيرين
تقول أكرهت فماذا كذا ... زلَّ حمار العلم في الطين

فلما وقف على هذه الأبيات قام من مجلس القضاء فوطئ بساط الرشيد، وقال: الله الله، ارحم شيبتي، فإني لا أصبر على الخطأ. قال: لعل هذا المجنون أغرى عليك، ثم أعفاه فوجه إليه ابن المبارك بالصرة، وقيل: عن ابن المبارك كتب له الأبيات لما ولي صدقة البصرة". انتهى كلامه.

فكيف لو شهد ابن المبارك شيوخ المناصحة في هذا الزمان وهذه الظروف، وما الدور الذي يقومون به، وكيف لو شهد سفر الحوالي وهو يبحث عني لتسليمي للمباحث وقيامه بخدمة محمد بن نايف في اعتقال المجاهدين وتسليمهم للسجون في تلك المرحلة، وكيف لو شهد عنايتهم به حين دخل المستشفى حيث زاره سجانوه بالأمس أحمد بن عبد العزيز ومحمد بن نايف وذكروا ذلك في وسائل إعلامهم وصحفهم، وهذا لا يفعلونه إلا مع من رضوا عنه، وهم لا يرضون عن صاحب حق وصدع وقيام بأمر الله كما أمر الله ورسوله، بل يفعلون ذلك مع من داهن ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم:٩].

وإن كان سفر الحوالي وسلمان العودة وناصر العمر وبقية هؤلاء يعتبرون أنفسهم بشهاداتهم فعند المشايخ الذين خالفوهم وردوا عليهم مثل شهاداتهم، وإن كانوا يعتبرون أنفسهم بالمؤلفات فلدى غيرهم أكثر مما لديهم من مؤلفات، وإن كانوا يعتبرون أنفسهم

بالمواقف والسجن فلدى غيرهم أكثر مما لديهم من مواقف وسجنوا أكثر مما سجنوا وعذبوا وحوصروا وأهينوا، بينما هم سجنوا وما ضربوا ضربة كفّ كما أخبرني عدد من المشايخ في تلك المرحلة، وكانوا في سجن جماعي بينما ناصر الفهد وكاتب هذه السطور نحو عشر سنين وهم في الإنفرادي، وإن كان يعتبرون أنفسهم بالقدرة على الكلام والمحاضرة فلدى غيرهم أكثر مما لديهم ولكن حيل بينهم وبين ذلك، وإن كانوا يعتبرون أنفسهم بالتحليل وقراءة الأحداث ومواكبة العصر فلدى غيرهم أكثر مما لديهم، وإن كانوا يعتبرون أنفسهم بالسن فلدى غيرهم من هو في مثل سنهم وأكبر، وإن كان السن ليس بالمقياس فقد كانوا حين برزوا في مثل سن غيرهم حين برزوا بعدهم، فالشيب وطول اللحى ليس دليلاً ولا مقياساً للحق وأهله، فعلام يفخرون على غيرهم ويستطيلون على أهل العلم الذين خالفوهم ويجهلونهم ويصغرونهم!

وقد قلتها، ولا زلت أقولها: إن كل شخص فتح له إعلام وقنوات آل سعود في مرحلة ما بعد غزوات نيويورك وواشنطن وإلى الآن ليخرج فيها وينتقل بينها ليحلل ويقرأ ويحاضر ويفتي ويتكلم في الأحداث؛ هو متهم في دينه ولو كان لي قوس ورمح لغزوته.

ولقلت ما قاله القحطاني رحمه الله في نونيته:

فوحق جبار على العرش استوى ... من غير تمثيل كقول الجاني
ووحق من ختم الرسالة والهدى ... بمحمد فزها به الحرمان
لأقطعن بمعولي أعراضكم ... ما دام يصحب مهجتي جثماني
ولأهجونكم وأثلب حزبكم ... حتى تغيب جثتي أكفاني
ولأهتكن بمنطقي أستاركم ... حتى أبلغ قاصيا أو داني
ولأهجون صغيركم وكبيركم ... غيظا لمن قد سبني وهجاني
ولأنزلن بكم أليم صواعقي ... ولتحرقن كبودكم نيراني
ولأقطعن بسيف حقي زوركم ... وليخمدن شواظكم طوفاني

ولأقصـــدن الله في خـذلانـكـم ولـيـمـنـعـن جـمـيـعـكـم خـذلاني
ولأحملن على عتاة طغاتكم حمل الأســود على قطيع الضــان
ولأرمينكم بصـــخر محانقي حتى يهد عتوكم ســلطاني
ولأكبتنّ إلى البلاد بسـبكم فيســير ســير البزل بالركبان
ولأدحضـــن بحجتي شـبهاتكم حتى يغطي جهلكم عرفاني
ولأغضـــبن لقول ربي فيكم غضـــب النمور وجملة العقبان
ولأضـــربنكم بصـــارم مقولي ضـــربا يزعزع أنفس الشـــجعان
ولأســعطن من الفضــول أنوفكم ســعطا يعطس منه كل جبان
إني بحمد الله عند قتالكـــم لمحكم في الحرب ثبت جناني
وإذا ضـــربت فلا تخيب مضـــاربي وإذا طعنت فلا يروغ طعانـــي
وإذا حملت على الكتيبة منكم مزقتهـــا بلوامـــع البرهـــان
الشـــرع والقرآن أكبر عدتـــي فهما لقطع حجاجكم سيفان
ثقلا على أبدانكم ورؤوسكم فهما لكسر رؤوسكم حجران
إن أنتـــم سالمتـــم سولمتـــم وسلمتم من حيرة الخذلان
ولئن أبيتم واعتديتم في الهوى فنضالكم فـــي ذمتـــي وضمانـــي

وأخيراً: ما الضير في الرد على سفر الحوالي ومناظرته وبيان مخالفته للحق، أم إن كلامه وحي يوحى، لا ينطق عن الهوى، علمه شديد القوى!

هو رجل وأنا رجل مثله، وهو من بدأ والبادئ أظلم، وهو من طاردني وقال عني ما لم أقله فرددت عليه وذلك موثق ومشهور، فما كان فيه من مخالفة شرعية علمية فليبينها وليكشفها ويذكر حجته في ذلك، لأذكر جوابي وحجتي، ويعرض على علماء المشرق والمغرب من غير علماء السلاطين، لينظر أي الفريقين أهدى سبيلاً وأقوم قيلاً، فالحق أحق أن يتبع، أما الرجال وآراء الرجال والرضا بها فلا كان ذلك بمنة الرحمن.

أقول ما قاله ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

والله ما خوفي الذنوبَ فإنها لعلى طريقِ العفوِ والغفرانِ
لكنما أخشى انسلاخَ القلبِ من تحكيمِ هذا الوحي والقرآنِ
ورضا بآراءِ الرجالِ وخرصِهَا لا كان ذاك بمنَّةِ الرحمنِ
فبأي وجه ألتقي ربي إذا أعرضت عن ذا الوحي طول زمان
وعزلته عمّا أريد لأجله عزلا حقيقيا بلا كتمان
صرّحت أن يقيننا لا يستفاد به وليس لديه من إيقان
أوليته هجرا وتأويلا وتحـ ـريفا وتفويضا بلا برهان
وسعيت جهدي في عقوبة ممسك بعراه لا تقليد رأي فلان

أما ما ذكروه في أوراق التهم والدعاوى من كتب ومقالات ومجلات مثل مجلة (صوت الجهاد)، ومجلة (البتار)، وكتاب (التبيان في كفر من أعان الأمريكان)، وكتاب (انتقاض الاعتراض على تفجيرات الرياض)، وكتاب (التأصيل لمشروعية ما حصل لأمريكا من تدمير)، وكتاب (المختار في حكم الانتحار خوف إفشاء الأسرار)، ورسالة (البيان المطلق في الرد على الشيخ المطلق في تنقصه للشيخ العقلاء)، ورسالة (يا ليت قومي يعلمون)، وكتاب (مقالات بين منهجين)، ورسالة (اللهم عليك بالأمريكان رداً على من أفتى ضد العمليات)، ومقالة (كلمات حول تفجيرات الرياض)، وغيرها من مقالات، وما ذكروه من أسماء للعلماء والمشايخ كالشيخ حمود العقلاء الشعيبي، والشيخ أبو محمد المقدسي، والشيخ عمر بن محمود أبو عمر، والشيخ ناصر الفهد، والشيخ يوسف العييري، وتنقصهم لهم وقولهم بأنهم ليسوا بالمعتبرين، وقولهم عند ذكرهم لكتاب (التبيان في كفر من أعان الأمريكان) للشيخ ناصر الفهد: "هو كتاب عارٍ عن الحقيقة، خالٍ من أي برهان يعتد به، ملأه بالتدليس"..

فأقول: بل كلامكم يا مباحث ويا آل سعود عارٍ عن الحقيقة، خالٍ من أي برهان يعتد به، مملوء بالكذب والبهتان والتدليس والتلبيس، وكما قال ابن القيم رحمه الله في الكافية

الشافية في (فصل في ظهور الفرق بين الطائفتين وعدم التباسه إلا على من ليس بذي عينين):

والفرق بينكم وبين خصومكم ... من كل وجه ثابت ببيان
ما أنتم منهم ولا هم منكم ... شتان بين السعد والدبران
فإذا دعونا للقرآن دعوتم ... للرأي أين الرأي من قرآن
وإذا دعونا للحديث دعوتم ... أنتم إلى تقليد قول فلان
وكذا تلقينا نصوص نبينا ... بقبولها بالحق والإذعان
من غير تحريف ولا جحد ولا ... تفويض ذي جهل بلا عرفان
لكن بإعراض وتجهيل وتأ ... ويل تلقيتم مع النكران
أنكرتموها جهدكم فإذا أتى ... ما لا سبيل له إلى نكران
أعرضتم عنه ولم تستنبطوا ... منه هدى لحقائق الإيمان
فإذا ابتليتم مكرهين بسمعها ... فوضتموها لا على العرفان
لكن بجهل للذي سيقت له ... تفويض إعراض وجهل معاني
فإذا ابتليتم باحتجاج خصومكم ... أوليتموها دفع ذي صولان
فالجحد والإعراض والتأويل والت ... جهيل حظ النص عند الجاني
لكن لدينا حظه التسليم مع ... حسن القبول وفهم ذي الإحسان

فالاعتبار عندكم هو الموافقة لأهوائكم، والتطبيل لأقوالكم، والتسبيح بحمدكم، والشرعنة لتصرفاتكم، والإرتماء في أحضانكم – كما سبق بيان ذلك وتفصيله بما لا حاجة إلى إعادته –، وهؤلاء أهل علم وفضل لهم من المؤلفات والكتب ما يشهد على علمهم وسلامة نهجهم وطريقهم، وجميعهم يشتركون في نصرة التوحيد والجهاد في سبيل الله والصدع بأمر الله وقول الحق كما هو، وتحملوا في سبيل ذلك الشيء الكثير، ويشتركون جميعاً في معاداة أمريكا وصنائعها في بلاد المسلمين وعلى رأس هؤلاء الصنائع أسرة آل سعود؛ ولذا يشن عليهم

المباحث هذا الهراء ويصرخون هذا الصراخ ويجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، وقد قرأت مؤلفاتهم جميعاً؛ وأشهد بالله أنهم على هدى مستقيم ونهج قويم، وأنهم أهل سنة وجماعة وتوحيد وجهاد، ويشتركون جميعاً أنهم سجنهم الطغاة والصنائع فثبتوا وما بدلوا ولا حرفوا ولا داهنوا ولا رواغوا، أسأل الله لهم الثبات حتى يلقوا الله، وبعضهم قد لقي الله ثابتاً صابراً نحسبهم كذلك والله حسيبهم، كالشيخ حمود العقلا رحمه الله، والشيخ يوسف العييري تقبله الله عنده في الشهداء.

وكما قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية عن مثل هؤلاء المباحث وشيوخهم وأسيادهم:

عرضتم قول الرسول على الذي ... قد قاله الأشياخ عرض وزان
وجعلتم أقوالهم ميزان ما ... قد قاله والعول في الميزان
ووردتم سفل المياه ولم نكن ... نرضى بذاك الورد للظمآن
وأخذتم أنتم بنيات الطريق ونحـ ... ـن سرنا طرق ذي السلطان
وجعلتم ترس الكلام مجنّةً ... تبا لذاك الترس عند طعان
ورميتم أهل الحديث بأسهم ... عن قوس موتور الفؤاد جبان
فتترسوا بالوحي والسنن التي ... تتلوه نعم الترس للشجعان
هو ترسهم والله من عدوانكم ... والترس يوم البعث من نيران
أفتاركوه لفشركم ومحالكم ... لا كان ذاك بمنة الرحمن
ودعوتمونا للذي قلتم به ... قلنا معاذ الله من خذلان
فاشتد ذاك الحرب بين فريقنا ... وفريقكم وتفاقم الأمران
وتأصلت تلك العداوة بيننا ... من يوم أمر الله للشيطان
بسجوده فعصى وعارض أمره ... بقياسه وبعقله الخوان
أصلتم أصلا وأصل خصمكم ... أصلا فحين تقابل الأصلان

ظهر التباين فانتشـــت ما بيننا الـ ـــــحرب العوان وصـــيح بالأقران
أصـــلتم آراء الرجـال وخرصـــهـا من غير برهـان ولا ســـلطـان
هـذا وكـم رأي لهـم فـبرأي مـن نزن النصـــوص فأوضـــحوا ببيان
كـل لـه رأي ومـعـقـول لـه يـدعـو ويمـنـع أخـذ رأي فـلان
والخصـــم أصـــل محكم القرآن مع قـول الرســـول فـطـرة الـرحمـن
وبنى عـليـه فـاعـتـلى بـنيـانـه نحو الســـمـا أعظم بـذا البنيـان
وعلى شـــفـا جرف بنيتم أنتم فـأتـت ســـيول الوحي والإيمـان
قلعت أســـاس بنائكم فتهدمت تلـك الســـقوف وخر للأركـان
الله أكـبر لـو رأيـتـم ذلـك البـنيـ ـــــان حين علا كمثـل دخـان
تســـمو إليـه نواظر من تحتـه وهـو الوضـــيع ولو يرى بعيـان
فـاصـــبر لـه وهنـا ورد الطرف تلق ـــــاه قريبا في الحضـــيض الداني

وهذه الكتب التي ذكروها لا يرد عليها بمثل هذه الطريقة، بل هي كتب علمية شرعية في عشرات ومئات الصفحات، فاكتبوا جوابكم وحجتكم عليها بطريقة علمية شرعية صحيحة، لا بالصياح والصراخ والتضليل والتبديع بلا مستند ولا برهان، وقد ذكرت ذلك مراراً لبيان مدى العجز والإفلاس الذي عليه آل سعود وشيوخهم ومباحثهم، وستبقى هذه الكتب والبحوث منارات للسالكين وعلامات للسائرين ووثائق وحقائق للتاريخ عبر السنين، وأما آل سعود وشيوخهم ومباحثهم فسيذهبون إلى مزابل التاريخ متبوعين باللعنة ومقبوحين.

وهناك من الكتب والبحوث العلمية والشرعية الكثير الذي لم يذكروه في أوراق هذه التهم والدعاوى لكاتب هذه السطور ولغيره، ولا أدري لماذا مع أنها ذكرت في التحقيقات وضبطت في المضبوطات، مثل كتاب (الله أكبر خربت أمريكا)، وكتاب (العلاقات الدولية في الإسلام)، وكتاب (قصص تاريخية للمطلوبين)، وهذه جميعها لكاتب هذه السطور.

وأما الكتب التي لبقية المشايخ فهي كثيرة جداً ومهمة جداً منذ أحداث وغزوات نيويورك وواشنطن وما تلاها من أحداث عالمية كبرى، وفيها من العلم والحجج والبراهين والوثائق والحقائق ما لا يحبه ولا يهواه ولا يرغبه المباحث وآل سعود وشيوخهم.

وكما قال في الكافية الشافية:

وارحمتاه لكم غبنتم حظكم ... من كل معرفة ومن إيمان
ونسبتم للكفر أولى منكم ... بالله والإيمان والقرآن
هذي بضاعتكم فمن يستامها ... فقد ارتضى بالجهل والخسران

(تهمة التستر والإيواء التي وردت في أكثر من موضوع)

ذكروا في أوراقهم هذه مسألة التستر والإيواء ونقلوا ما صدر عن ما سموه (بمجلس هيئة كبار العلماء) زعموا في دورته التاسعة والخمسين التي انعقدت بتاريخ (١٤٢٤/٦/١١) وفيه: "ويحذر المجلس من التستر على هؤلاء أو إيوائهم، فإن هذا من كبائر الذنوب، وهو داخل في عموم قول النبي ﷺ: ((لعن الله من آوى محدثاً)) متفق عليه. وقد فسر العلماء (المحدث) في هذا الحديث بأنه من يأتي بفساد في الأرض، فإذا كان هذا الوعيد الشديد فيمن آواهم، فكيف بمن أعانهم أو أيد فعلهم". انتهى كلام هيئتهم.

وأقول:

يا معشر المتكبرين عدوتم ... عدوان أهل السبت في الحيتان
كفرتم أهل الشريعة والهدى ... وطعنتم بالبغي والعدوان
فلأنصرن الحق حتى أنني ... أسطو على ساداتكم بطعاني
الله صيرني عصا موسى لكم ... حتى تلقف إفككم ثعباني
بأدلة القرآن أبطل سحركم وبه ... أزلزل كل من لاقاني

فالحديث الذي ذكروه: ((لعن الله من آوى محدثا)) رواه مسلم فقط ولم يروه البخاري، فلذا قولهم: "متفق عليه" غير صحيح، فالحديث عن عامر بن واثلة قال: كنت عند علي بن أبي طالب فأتاه رجل، فقال: ما كان النبي ﷺ يسرّ إليك. قال: فغضبت. وقال: ما كان النبي ﷺ يسرّ إليّ شيئا يكتمه الناس، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع، قال: فقال: ما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: قال: ((لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض)). [رواه مسلم (١٩٧٨)].

وعن أبي الطفيل قال: قلنا لعلي بن أبي طالب أخبرنا بشيء أسرّه إليك رسول الله ﷺ، فقال: ما أسر إليّ شيئاً كتمه الناس، ولكني سمعته يقول: ((لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غير المنار)) [رواه مسلم (١٩٧٨)].

وعن أبي الطفيل قال: سئل عليٌّ أخصّكم رسول الله بشيء فقال: ما خصنا بشيء – أي بتحديث شيء – لم يعمّ به الناس إلا ما في قراب سيفي هذا. قال: فأخرج صحيفةً مكتوب فيها: ((لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من سرق منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من آوى محدثاً)). [رواه مسلم (١٩٧٨)].

وقال ابن الأثير رحمه الله في جامع الأصول عن هذا الحديث برقم (٨٤٥٤): "((آوى محدثاً)): المحدث الذي قد أذنب ذنباً وفعل أمراً منكراً. المعنى: من نصره ومنع منه وضمه إليه ليحميه". انتهى كلامه.

وفي بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني شرح ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (١٥٠/١٧): "محدثاً: بكسر الدال المهملة هو من يرتكب ما فيه فساد في الأرض كالقتل والزنا والسرقة ونحو ذلك، والمؤوي له المانع له من القصاص ونحوه". انتهى. ومثله أيضاً في نيل الأوطار (٣٤٨/٥).

وقولهم: "بأنه من يأتي بفساد في الأرض" هو صحيح، ولكن ما الفساد الذي يعنونه، هل يعنون ما عناه فرعون الذي قال كما قال الله عنه: ﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ﴾ [سورة غافرة:٢٦].

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٣٠٧٣/٧): "يخشى فرعون أن يضل موسى الناس ويغير رسومهم وعاداتهم، وهذا كما يقال في المثل (صار فرعون مذكراً) يعني واعظاً يشفق على الناس من موسى عليه السلام". انتهى كلامه.

وكما قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

فمن المصـــائـب أن فرعونيكم أضـــحى يكفر صـــاحب الإيمان
ويقول ذاك مبـدل للـدين ســـا ع بالفســـاد وذا من البهتـان

مع أن فرعون الطاغية هو رأس الفساد والمفسدين كما قال الله عنه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٤]، وكما قال جل جلاله عن فرعون وقومه: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٣-١٤]، وغيرها من الآيات التي تبين فساد فرعون وهامان وقارون وجنودهم.

ومع ذلك يرمون غيرهم بالفساد والإفساد في الأرض كما قال الله عنهم: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف:١٢٧].

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره (١٤٦٤/٣): "أي أتدعهم ليفسدوا في الأرض أي يفسدوا أهل رعيتك ويدعوهم إلى عبادة ربهم دونك.

يا لله العجب صار هؤلاء يشفقون من إفساد موسى وقومه! ألا إن فرعون وقومه هم المفسدون ولكن لا يشعرون". انتهى كلامه.

وكذلك اليوم يقولها فراعنة العصر وهاماناته وملأهم المستكبرون وجنودهم المحضرون عن أهل الإسلام والإيمان، فأصبح التوحيد وهدم الأصنام والأضرحة والمشاهد إفساداً وفساداً، والجهاد في سبيل الله وقتال الكفار الغزاة المحتلين لبلاد المسلمين إفساداً وفساداً، والاستمساك بحبل الله وشرعه وإقامة دينه في الأرض كذلك، وهكذا كفرعون وقومه حذو القذة بالقذة شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وصار الصنائع والعملاء والخونة وبائعو البلدان وعابدو الصلبان

وقاتلو أهل الإسلام من المصلحين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١-١٢].

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره (١٩٨/١): "قال ابن جرير: فأهل النفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه وتضييعهم فرائضه وشكهم في دينه الذي لا يقبل من أحد عمل إلا بالتصديق به، والإيقان بحقيقته، وكذبهم على المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب، ومظاهرتهم -أي معاونتهم- أهل التكذيب بالله وملائكته وكتبه ورسله على أولياء الله إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً، فذلك إفساد المنافقين في الأرض وهم يحسبون أنهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها.

قال ابن كثير بعد ما نقل كلام ابن جرير: وهذا الذي قاله حسن؛ فإن من الفساد في الأرض: اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء، كما في الآية ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال:٧٣]، فقطع الله الموالاة بين المؤمنين والكافرين كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤] ثم قال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]، فالمنافق لما كان ظاهره الإيمان اشتبه أمره على المؤمنين، فكأن الفساد من جهة المنافق حاصل؛ لأنه هو الذي غر المؤمنين بقوله الذي لا حقيقة له، ووالى الكافرين على المؤمنين، ولو أنه استمر على حالته الأولى لكان شره أخف، ولو أخلص العمل لله وتطابق قوله وعمله لأفلح وأنجح؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ أي: نريد أن نداري الفريقين من المؤمنين والكافرين، ونصطلح مع هؤلاء وهؤلاء، كما قال محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ أي: إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب. يقول الله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: ألا إن هذا الذي يعتمدونه ويزعمون أنه إصلاح هو عين الفساد، ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فسادا". انتهى كلامه.

فكيف بحال دويلات الأسر والعوائل في جزيرة العرب التي تؤوي أكبر مفسد في الأرض في هذا الزمان (أمريكا)، وتحميه وتنصره وتظاهره وتعطيه البر والجو والبحر وتدعمه بالمال والمقال والفعال، حتى إني أثناء كتابتي هذه نشرت صحيفة (نيويورك تايمز) الأمريكية تقريراً عن وجود قاعدة أمريكية في دويلة ما يسمى (بالمملكة العربية السعودية) للطائرات بدون طيار، وقد تم بيان وشرح هذا الأمر، فآل سعود يؤون أكبر مفسد في الأرض في هذا العصر أمريكا الكافرة ويتهمون غيرهم بالفساد، وآووا المفسدين وأفسدوا بلاد المسلمين بالموالاة والمناصرة والمظاهرة للصليبين، فلم يكفهم احتلال أمريكا الصليبية لجزيرة العرب حتى احتلوا أفغانستان والعراق من قلب العالم الإسلامي جزيرة محمدٍ ﷺ وكما قال الشاعر:

وكم من مسجدٍ جعلوه ديراً ... على محرابه رُسِمَ الصليبُ
دم الخنزير فيه لهم خلوفٌ ... وتحريق المصاحف فيه طيبُ

فهم أولى الناس مع بقية العوائل والأسر التي وضعها ورعاها الأمريكان بهذا الحديث ((لعن الله من آوى محدثاً))، وأي محدثٍ أعظم من أمريكا، وأي حدث أعظم من الكفر والشرك، وأي إحداث أعظم من إدخال الغزاة المحتلين إلى قلب بلاد المسلمين، وهل عرف التاريخ أن أحداً أدخل الصليبين إلى جزيرة العرب قبل آل سعود وبقية الآلات، وهم أولى الناس بحديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه)) [رواه البخاري (٦٨٨٢)].

يقول ابن تيمية رحمه الله في (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) (١٥٤-١٥٥): "أخبر ﷺ أن أبغض الناس إلى الله هؤلاء الثلاثة، وذلك لأن الفساد إما في الدين وإما في الدنيا، فأعظم فساد الدنيا قتل النفوس بغير الحق، ولهذا كان أكبر الكبائر بعد أعظم فساد الدين الذي هو الكفر.

وأما فساد الدين فنوعان: نوع يتعلق بالعمل، ونوع يتعلق بمحل العمل، فأما المتعلق بالعمل: فهو ابتغاء سنة الجاهلية.

وأما ما يتعلق بمحل العمل: فالإلحاد في الحرم؛ لأن أعظم محال العمل هو الحرم، وانتهاك حرمة المحل المكاني أعظم من انتهاك حرمة المحل الزماني، ولهذا حرم من تناول المباحات من الصيد والنبات في البلد الحرام مالم يحرم مثله في الشهر الحرام.

ولهذا كان الصحيح أن حرمة القتال في البلد الحرام باقية كما دلت عليه النصوص الصحيحة بخلاف الشهر الحرام، فلهذا – والله أعلم – ذكر ﷺ الإلحاد في الحرم وابتغاء سنة جاهلية.

والمقصود أن من هؤلاء الثلاثة من ابتغى في الإسلام سنة جاهلية، فسواء قيل: مبتغياً أو غير مبتغ، فإن الابتغاء هو الطلب والإرادة، فكل من أراد في الإسلام أن يعمل بشيء من سنن الجاهلية دخل في هذا الحديث: عادة كانوا عليها فإن السنة هي العادة وهي الطريق التي تتكرر لتتسع لأنواع الناس مما يعدونه عبادة أو لا يعدونه عبادة، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، وقال النبي ﷺ: ((لتتبعن سنن من كان قبلكم)). رواه البخاري (٧٣٢٠) ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري.

والاتباع هو الاقتفاء والاستنان، فمن عمل بشيء من سننهم فقد اتبع سنة جاهلية، وهذا نص عام يوجب تحريم متابعة كل شيء كان من سنن الجاهلية في أعيادهم وغير أعيادهم". انتهى كلامه.

وقال رحمه الله في نفس المصدر (١٥٧-١٥٨): "فإذا تبين ذلك، فالناس قبل مبعث الرسول ﷺ كانوا في حال جاهلية منسوبة إلى الجهل، فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل، وإنما يفعله جاهل، وكذلك كل ما يخالف ما جاءت به المرسلون من

يهودية ونصرانية فهي جاهلية، وتلك كانت الجاهلية العامة، فأما بعد مبعث الرسول ﷺ قد تكون في مصر دون مصر كما هي في دار الكفار، وقد تكون في شخص دون شخص كالرجل قبل أن يسلم فإنه في جاهلية وإن كان في دار الإسلام، فأما في زمان مطلق فلا جاهلية بعد مبعث محمد ﷺ، فإنه لا تزال من أمته طائفة على الحق إلى قيام الساعة، والجاهلية المقيدة قد تقوم في بعض ديار المسلمين وفي كثير من الأشخاص كما قال ﷺ: ((أربع في أمتي من أمر الجاهلية)) [رواه مسلم (٩٣٥)]، وقال لأبي ذر: ((إنك امرؤ فيك جاهلية)) [رواه البخاري (٣٠) ومسلم (١٦٦١)]، ونحو ذلك، فقوله في هذا الحديث: ((ومبتغ في الإسلام سنة جاهلية))، يندرج فيه كل جاهلية مطلقة أو مقيدة، يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو صابئة أو وثنية أو مركبة من ذلك، أو بعضه، أو منتزعة من بعض هذه الملل الجاهلية، فإنها جميعها مبتدعها ومنسوخها صارت جاهلية بمبعث محمد ﷺ، وإن كان لفظ الجاهلية لا يقال غالباً إلا على حال العرب التي كانوا عليها، فإن المعنى واحد". انتهى كلامه.

فهم من آوى الكفار الأمريكان وغيرهم، وتستروا عليهم، وحادّوا الله ورسوله وشاقوهما، وخالفوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما أجمع عليه المسلمون في حرمة إدخال الكفار الغزاة إلى بلاد المسلمين في أي مكان من الأرض، فكيف بجزيرة العرب ومهبط الوحي وأرض الحرمين، وساروا سيرة أهل الجاهلية واتبعوا سنتهم في التبعية للقوى العظمى في زمانهم حيث كانوا قبل الإسلام في ذل وصغار وفي ضلال مبين.

وكما قال الشاعر:

يا ربوع الجزيرة العفو قولي ... كم قضى بني قومك السمريُّ
كم كست رملك الحزين دماء ... كم تردى على ثراك شقيُّ
فرقت أهليك أحقاد جهل ... وعداء سعيرها موريُّ
فتنادوا للحرب ذا مضري ... في اصطدام الوغى وذا يمنيُّ
إحن مزقتهم حين ضلوا ... فطغى الظلم واستبد القويُّ

فـإذا بعضـــهم عبيـد لكســـرى وإذا الـبـعـض تابـع قـيصـــريُّ
في حمى الروم حـارث شـــامي في حمـى الـفـرس مـنـذر حـيريُّ
كم تســـاقى قوماهما كأس حتف كـي يـعـز المســـود الأجـنـبيُّ
هكـذا كـان شـــأنهم حضـــري مســـتضـــام وتائـه بـدويُّ
جـهـلـوا الحـق والجـهـالـة تـردي أمرهم مثـل وصـــفـهم جـهـليُّ
صـــور من الضـــلالات شـــتى إن حـكـم الضـــلال حـكـم زريُّ

وفي زماننا هذا حيث ابتغوا العزة عند الصليبين في معسكر أمريكا أو الاتحاد السوفيتي، فإذا البعض عبيد لأمريكا وإذا البعض تابع شيوعي، وصدق عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله"، وهذا حال العرب حين جاء الله بالإسلام سادوا الدنيا وقادوها ولم يكونوا عبيداً لشرق ولا لغرب، فلما جاء أمثال هؤلاء الصنائع ذلوا وهانوا واتبعوا سنة الجاهلية وأعادوا سيرتها الأولى.

وليس فقط في تبعيتهم لأولئك بل زادوا وأعادوا التبرج والسفور الذي سماه الله في القرآن بالجاهلية حيث يقول: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وآووا المتبرجات والسافرات، وجاؤوا بالأفلام والمجلات والأجهزة التي تدعو وتشجع على ذلك، بل لدى هذه الدويلات من المدن الإنتاجية الإعلامية التي فيها من المحرمات والجاهلية ما الله به عليم، فشرعوا لها القوانين وبنوا لها الأبنية ودعموها بالمال وحموها بالجنود.

فهم أولى يا (مجلس هيئة ما يسمى بكبار العلماء) بقول النبي ﷺ: ((لعن الله من أوى محدثاً))، وهم كما قلتم في تفسير المحدث: "بأنه يأتي بفساد في الأرض"، فأعظم فساد اليوم تقوم به هذه الدويلات والأسر والعوائل عبر إعلامهم الهابط والفاجر والعاهر، وإيوائهم للفاجرين والفاجرات، والعاهرين والعاهرات، والراقصين والراقصات، والداعرين والداعرات، والمخنثين والمخنثات، والساقطين والساقطات من الممثلين والممثلات، والمغنيين والمغنييات، والفنانين والفنانات، والطائرات والفنادق والشواطئ والشاليهات والمراقص وغيرها أصبحت

من الأمور المعلومة والمشهورة عند العامة والخاصة بقوانين وحماية وأموال هذه الدويلات والعوائل والأسر التي تأمر بالمنكر وتشيعه وتنشره وتحميه، وتنهى عن المعروف وتحاربه وتطارده وتضيق عليه.

وكما قال الشاعر:

أغامر بالكتابة عن وجودي ... عن الوطن المخدر بالوعود
عن العُرْب الألى بالدين كانوا ... وجوداً للفضيلة في الوجود
فعادوا بعد أن طرحوه أرضاً ... ركاماً من عفونات العهود
وبعد الفتح للدنيا تواروا ... خنافس تحت ميراج اليهود
وأذيالاً لشرق أو لغرب ... تذكرنا بأخلاق العبيد
وتسلب أرضنا ونقول عاشت ... عروبتنا الأبية في صعود
وفي أعناقنا للعلج غلٌّ ... ونشمخ رغم ذلك بالجدود
ونقطف من جنان الوهم شوكاً ... ونزعم أنه شوك الورود
ونهرب من حقيقتنا فراراً ... لتقليد الثعالب والقرود
هنالك في المراقص والملاهي ... بقية قصة الغزو الجديد
يبيع الجيل آخر ما لديه ... ليصبح نسخة من هوليود
ويفقد حاضراً وغداً وأمساً ... ويكفر بالطريف وبالتليد
وللبلهاء في المأساة قسط ... بأن وصموا التدين بالجمود
وأين الدين والأحكام تبني ... على قانون هرطيق عتيد
وأين الدين والتعليم ينحو ... مناحي للمروق وللجحود
وأين الدين والزكوات تجبى ... لتصرف غير مصرفها السديد
ملايين تعيش العمر كدحاً ... ليسعد متخمون بلا حدود
ثراء من مراباة وغش ... وكسب جاء من سلخ الجلود

ويسحق قومهم سغب وسقم وغايتهم مضاعفة الرصيد
أتاحوا للصليبيين باباً لإشعال الشرارة في الوقود
وأعطوا الحاقدين مجال إفك لتسميم البراعم والزنود
وعن حواء من هتكوا حماها كما زعموا لتحطيم القيود
تطالب بالحقوق وأي قاض سينصفهما سوى الدين الحميد
فهل في بيعها أطباق لحم بتعرية الروادف والنهود
بأسواق المراقص والملاهي ومأخور القمامة والصديد
أذلك ما أرادوه احتفاء بها وبدورها الفذ الفريد

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧]، ويقول جل جلاله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]، ولو ذهب الإنسان لجمع صور إيواء المفسدين والتستر عليهم ومنعهم وحمايتهم في هذه الدويلات لطال به المقال، مثل بنوك الربا ومحلات الغنا وآلاتها وأدواتها، ومحلات الدشوس والأطباق الفضائية، ومحلات الفيديو والأفلام الغربية والشرقية، التي فيها من الكفر والشرك والإباحية والخلاعة وشرب الخمور ما لا يخفى على أحد.

وكذلك إيواء المشركين وتمكينهم كالإسماعلية والرافضة، والتعامل معهم على الولاء للجنسية والوطن لا على الإسلام والشرع إلى آخره، وليس هذا مكان استقصاء ذلك وجمعه وإنما هي أمثلة ونماذج لأنه بالمثال يتضح المقال.

ومن آخر هذه الأمثلة والنماذج إيواء واستقبال رئيس دويلة تونس المسمى (بزين العابدين بن علي) وزوجته (ليلى الطرابلسي) والتستر عليهم، مع علم القاصي والداني بأنهم من المفسدين في الأرض الذين حاربوا الإسلام والمسلمين وحادوا الله ورسوله وشاقوا الله ورسوله، وطغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد، ونشروا فيها الإلحاد، وحرموا فيها الصلاة والحجاب

وشعائر الإسلام، ومكنوا للفاحشة والرذيلة والدعارة، حتى ثار عليهم الناس وأخرجوهم وفروا هاربين فلم يجدوا ملجأ وضاقت عليهم الأرض بما رحبت حتى استقبلهم آل سعود وآووهم وحموهم، وقالوا بأن أخلاق العرب تدعوهم لذلك وإجارة المستجير ونحو ذلك، كما صرح بذلك وزير خارجيتهم سعود الفيصل، وكذلك سعوا لإيواء حسني مبارك وزوجته وأولاده، وهم من أكابر المفسدين والمجرمين والمحاربين لله ولرسوله وللمؤمنين.

والأمثلة على إيواء هؤلاء لدى بقية الدويلات في جزيرة العرب كثيرة، ومع كل هذا لا يقول المباحث ولا هيئتهم المسماة بهيئة كبار العلماء عنهم ((لعن الله من آوى محدثاً))، بل يوجدون لآل سعود الأعذار والذرائع التي لا تنفق إلا على بهيمة، فإيواء كل هؤلاء المفسدين والكافرين والمجرمين والصليبيين والظالمين والفاسقين يغضون الطرف عنه ويقللون من شأنه، بينما حين يفر مسلم بدينه من الفتن ويهرب من السجن والسجان – الذي سبق شرح ما يجري فيه –، أو يخرج مهاجراً للجهاد في سبيل الله في ثغر من ثغور المسلمين، أو يختفي من الطالبين له بغير حق ليهريقوا دمه أو يسجنوه سنين وسنين، أو غير ذلك من الأسباب؛ يتهمون من آواه أو أعانه أو نقله أو أخفاه بالتستر والإيواء، ويسوقون هذا الحديث ((لعن الله من آوى محدثاً))، وفتوى (ما يسمى بهيئة كبار العلماء)، مع أن نصرة المؤمنين وإيوائهم والدفاع عنهم من الأمور المحمودة والممدوحة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن أعظم منقبة حازها الأنصار رضي الله عنهم هي إيوائهم ونصرتهم للنبي ﷺ وللمهاجرين من أصحابه، فقد قال الله عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨-٩]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٤/١٦١٤): "ذكر تعالى أصناف المؤمنين، وقسمهم إلى مهاجرين خرجوا من ديارهم وأموالهم وجاؤوا لنصر الله ورسوله وإقامة دينه وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك، وإلى أنصار وهم المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك، آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم وواسوهم في أموالهم ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم؛ فهؤلاء بعضهم أولياء بعض، أي كل أحد منهم أحق بالآخر من كل أحد، ولهذا آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار كل اثنين أخوان، فكانوا يتوارثون بذلك مقدماً على القرابة حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث. ثبت ذلك في صحيح البخاري عن ابن عباس". انتهى كلامه. [وحديث ابن عباس رواه البخاري (٤٥٨٠)].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٣-٧٤]. يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٤/١٦١٥-١٦١٧): "لما ذكر تعالى أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض قطع الموالاة بينهم وبين الكفار... قال: ومعنى قوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ أي إن تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت الفتنة في الناس، وهو التباس الأمر واختلاط المؤمن بالكافر، فيقع بين الناس فساد منتشر طويل عريض.

قال: لما ذكر تعالى حكم المؤمنين في الدنيا عطف بذكر مالهم في الآخرة، فأخبر عنهم بحقيقة الإيمان كما تقدم في أول السورة وأنه سيجازيهم بالمغفرة والصفح عن ذنوب إن كانت، وبالرزق الكريم وهو الحسن الطيب الشريف دائم مستمر أبداً لا ينقطع ولا ينقضي ولا يسأم ولا يمل لحسنه وتنوعه.

ثم ذكر أن الأتباع لهم في الدنيا على ما كانوا عليه من الإيمان والعمل الصالح، فهم معهم في الآخرة أي قول الله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٥]". انتهى كلامه.

وجاءت الأحاديث بنصر المسلم وتنفيس كربه وتيسير عسره وتراحم المؤمنين وتوادهم وتعاطفهم وغير ذلك، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة))[رواه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه)) [رواه مسلم (٢٥٦٤)].

ورواه الترمذي (١٩٢٧) بلفظ: ((المسلم أخو المسلم، لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله)).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله علي في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)) [رواه مسلم (٢٦٩٩)].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) [رواه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦)]. ولفظ البخاري: ((ترى المؤمنين)).

وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: ((المؤمنون كرجل واحد، إذا اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) [رواه مسلم (٢٥٨٦)].

وعن النعمان أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله)). [رواه مسلم (٢٥٨٦٩)].

وعن أبي موسي الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: قال: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعض – وشبك بين أصابعه –)) [رواه البخاري (٢٤٤٦) ومسلم (٢٥٨٥)].

وعن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: ((ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فلينهه فإنه له نصر، وإن كان مظلوماً فلينصره)) [رواه مسلم (٢٥٨٤)].

وغيرها من الأحاديث النبوية الصحيحة والمتواترة والمشهورة في مثل هذه المعاني.

وقد بوب البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب المظالم بقوله (باب نصر المظلوم)، وأورد فيه حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: أمرنا النبي ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع، فذكر مما أمرهم به: ((ونصر المظلوم)).

وحديث أبي موسي الأشعري السابق قال ابن حجر رحمه الله في الفتح (٢٤٤٥،٢٤٤٦): "قوله باب نصر المظلوم، هو فرض كفاية، وهو عام في المظلومين وكذلك في الناصرين، بناء على أن فرض الكفاية مخاطب به الجميع، وهو الراجح، ويتعين أحياناً على من له القدرة عليه وحده إذا لم يترتب على إنكاره مفسدة المنكر، فلو علم أو غلب على ظنه أنه لا يفيد سقط الوجوب وبقي أصل الاستحباب بالشرط المذكور، فلو تساوت المفسدتان تخير، وشرط الناصر أن يكون عالماً بكون الفعل ظلماً، ويقع النصر مع وقوع الظلم، وهو حينئذ حقيقة، وقد يقع قبل وقوعه كمن أنقذ إنساناً من يد إنسان طالبه بمال ظلماً وهدده إن لم يبذله، وقد يقع بعد وهو كثير". انتهى كلامه.

وقال أيضاً رحمه الله في كتاب المظالم (باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه): "قوله باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، بضم أوله، يقال أسلم فلان فلاناً إذا ألقاه إلى الهلكة ولم يحمه من عدوه، وهو عام في كل من أسلم لغيره، لكن غلب في الإلقاء إلى الهلكة قال:

قوله: ((لا يظلمه)) هو خبر بمعنى الأمر، فإن ظلم المسلم للمسلم حرام، وقوله: ((ولا يسلمه)) أي لا يتركه مع من يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه، وهذا أخص من ترك الظلم، وقد يكون ذلك واجباً وقد يكون مندوباً بحسب اختلاف الأحوال، وزاد الطبراني من طريق أخرى عن سالم: ((ولا يسلمه في مصيبة نزلت به)). انتهى كلامه.

ومع كل هذه الأدلة الشرعية الواضحة والصريحة يأبى المباحث وأسيادهم آل سعود من الناس إلا الظلم والخذلان والخيانة والتسليم والتعسير والإيقاع في الكرب، وأن يكونوا أعواناً على بعضهم البعض بالتجسس والتحسس والنميمية، وأما أخلاق العرب وشيمهم في الجوار والإجارة فهي على الهوى والمزاج للعائلة السعودية، أما بقية الناس من القبائل والعشائر والشعوب العربية إذا فعلوا ذلك وأجاروا المستجير ونصروا المظلوم وأعانوا المسلمين المجاهدين وآووهم وأخفوهم من أمريكا الصليبية وصنائعها وعملائها الخونة فلا مجال عند المباحث وأسيادهم آل سعود للأخلاق العربية ولا للشيم والقيم ولا للدواعي الإنسانية التي قالوها عن (شين العابدين بن علي) وغيره.

وأذكر هنا كيف أن آل سعود أرسلوا رئيس الاستخبارات حينها تركي الفيصل إلى أفغانستان للغرض ذاته، وقد ذكرت ذلك في كتاب (أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان) وكيف أن تركي الفيصل طرد شر طرده وردوا عليه بعبارات قاسية حول الجوار والإجارة تنسف كلامهم هذا في الدواعي الإنسانية والأخلاق العربية زعموا، بل هو الهوى والكبر والطغيان كما قال الله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الطور آية: ٣٢] وهم بفعلهم هذا يشابهون كفار قريش حين أرسلوا إلى النجاشي في الحبشة لإعادة المسلمين إليهم وتسلمهم لهم، وإن كان كفار قريش تصرفوا بدهاء وذكاء فإن آل سعود يتصرفون بكيد وغباء.

فعن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: "لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنّا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك

قريشاً ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين، وأن يهدوا النجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم، فجمعوا له أدماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك مع عبدالله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وعمرو بن العاص بن وائل السهمي وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدموا للنجاشي هداياه، ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم.

قالت: فخرجا فقدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار وعند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، ثم قالا لكل بطريق منهم: إنه قد صبا إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم لنردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فتشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا، ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم.

ثم إنهما قرّبا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهما ثم كلماه، فقالا له: أيها الملك، إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم، فقالت بطارقته حوله: صدقوا أيها الملك قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فليردَّاهم إلى بلادهم وقومهم. قالت: فغضب النجاشي ثم قال: لا هيم الله إذا لا أسلمهم إليهما – أي لا والله ما فعلت ذا –، ولا أُكَادُ قوماً جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم، فإن

كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كائن في ذلك ما هو كائن، فلما جاؤوه وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم؟

قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نحن نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. قالت: فعدد عليه أمور الإسلام..

فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال له النجاشي هل معك مما جاء به الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ. فقرأ عليه صدراً من (كهعيص) أي (سورة مريم)، قالت: فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم

حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسي ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً ولا أكاد.

قالت أم سلمة: فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لأنبئنه غداً عيبهم عنده، ثم أستأصل به خضراءهم. قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا. قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبدٌ. قالت: ثم غدا عليه الغد، فقال له: أيها الملك: إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأَرْسِلْ إليهم فاسألهم عما يقولون فيه. قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه، قالت: ولم ينزل بنا مثلها، فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذ سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله فيه ما قال الله وما جاء به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن، فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟

فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء نبينا: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت: فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً، ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - والسيوم الآمنون -، من سبكم غُرّم ثم من سبّكم غرّم ثم من سبّكم غرّم، فما أحب أن لي دبراً ذهباً وإني آذيت رجلاً منكم. - والدبر بلسان الحبشة: الجبل -، ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حيث رد عليّ ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه.

قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار... إلى آخر الحديث". [رواه أحمد (١٧٤٠) بإسناد جيد].

وكذلك (تركي الفيصل) خرج من عند الملا محمد عمر مقبوحاً إذ يتعامل هو ومن أرسله مع الناس كأنهم عبيد لدى عائلته وأسرته، فيجيزون ويحلون لأنفسهم إجارة وإيواء ونصرة من تحرم إجارته وإيواءه ونصرته بالكتاب والسنة والإجماع، ويحرمون ويمنعون ويجرمون إجارة

وإيواء ونصرة من تجب إجارته وإيواءه ونصرته بالكتاب والسنة والإجماع، فيطلب من الملا محمد عمر نصره الله والشيخ يونس خالص رحمه الله تسليم رجل عرفوه وخبروه ورأوا بذله وتضحيته وجهاده وبلائه في نصرتهم وإغاثتهم والدفاع عنهم، وأدركوا أن الطلب أمريكي صليبي، ولذا أصر الملا محمد عمر نصره الله على عدم إسلامه لهم، حتى لما دقت طبول الحرب على أفغانستان بعد غزوات نيويورك وواشنطن وطلبوا منه تسليم الشيخ بن لادن رحمه الله رفض وزهد في الحكم وغير ذلك من أجل مسلم وإخفار ذمته بذلك.

وهذا موقف عظيم جليل سيذكره التاريخ له، وهذه هي الشيم والقيم الحقيقية وهذه هي الأخلاق العربية الأصيلة التي عززها الإسلام، وهذه هي الدواعي الإنسانية، وسيشكر الله له صنيعه هذا، وها هو ومن معه من طلبة العلم المشهورين باسم (طالبان) يعودون بقوة، وحفظهم الله لأكثر من عقد من الزمان وهم في سجال وكر وفر مع أمريكا الصليبية والحلف الأطلسي الصليبي، وقريباً سيغادر الأمريكان والحلف الأطلسي وأتباعهم وصنائعهم في أفغانستان وباكستان وما حولها مدحورين ومهزومين، بخلاف صدام حسين وجيشه وجنوده، سقطوا خلال أسابيع وألقي القبض عليهم وأصبحوا نسياً منسياً، ورفع راية الجهاد في العراق أهل الإسلام والإيمان، وهذا دليل على حفظ الله لأوليائه ونصره لهم وعلى خزيه لأعدائه وإذلاله لهم.

وقد جمعت مادة علمية قبل اعتقالي للبدء في ما كنت أعلنت عنه في بعض الكتب من إصدار كتاب بعنوان (إتحاف البشر بذكر مناقب الملا محمد عمر)، ولكن حيل بيني وبين ذلك والله المستعان، ويا ليت أني أستطيع أن أخبره بذلك لإسعاده أسعده الله.

وأتذكر هنا في الجوار وأخلاق العرب في ذلك ما قالته عائشة رضي الله عنها، قالت: "لم أعقل أبويّ قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتنا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار، بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة، وهو سيد القارة، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو

بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي، فقال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج؛ إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جارٌ، فارجع فاعبد ربك. فرجع معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف كفار قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرج مثله ولا يُخرج؛ أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق؟! فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة.

(وفي رواية: فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة)، وآمنوا أبا بكر، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره، وليصل فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذنا بذلك ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا.

فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره، ثم بدأ لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فينقذف (أي يزدحم) عليه نساء المشركين وأبناءهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك (أي ننقض عهدك)، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع إليّ ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني قد أخفرت ذمتي في رجل عقدت له، فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله". إلى آخر الحديث في هجرة النبي ﷺ واختفائه من طلب قريش في الغار. [رواه البخاري (٣٩٠٥)].

قال ابن الأثير رحمه الله في جامع الأصول عند هذا الحديث برقم (٩٢٠٣): "فأنا لك جار: أي حام وناصر ومدافع". انتهى.

وقال ابن حجر في الفتح: "قوله: وأنا لك جار، أي مجير أمنع من يؤذيك.

قال: قوله وأرضى بجوار الله: أي أمانه وحمايته.

وفيه جواز الأخذ بالأشد في الدين وقوة يقين أبي بكر". انتهى كلامه.

وهنا أسأل الذي يقول بأن إيواءه وحمايته (لشين العابدين بن علي) رئيس دويلة تونس بناءً على أخلاق العرب والدواعي الإنسانية: أين إكساب المعدوم وصلة الأرحام وإقراء الأضياف والإعانة على نوائب الحق من (شين العابدين بن علي) الذي لا تخفى أخباره وسيرته السيئة؟!

ثم لماذا حلال على عائلة آل سعود أن تجير مثل هؤلاء الطغاة، وحرام على الناس أن يجيروا ويؤوا وينصروا إخوانهم وأبناءهم وأقاربهم وأصحابهم وأحبابهم من المسلمين الذين يثقون حق اليقين أنهم مظلومون ومطلوبون؛ لأنهم مجاهدون في سبيل الله، فروا بدينهم من أعدائهم الذين احتلوا بلاد المسلمين عبر أسلحتهم وطائراتهم، وكانت طبيعة وأسلوب المعركة مع هؤلاء الغزاة هي الكر والفر والاستنزاف الذي يتطلب الكمون وترصد الأعداء، وهذا كله يتطلب النصرة والإيواء من المسلمين..؟!

ثم إن الناس يعرفون إخوانهم وأصحابهم وأحبابهم وأقاربهم الذين آووهم ونصروهم وأجاروهم بأنهم من المسلمين والمؤمنين المجاهدين، وليسوا بالمفسدين في الأرض ولا بالمحدثين، أفلا يعرفون أخلاق العرب ولديهم الدواعي الإنسانية، أم إن أخلاق العرب حكراً على أسرة آل سعود ولا يعرف الدواعي الإنسانية إلا هم، وبقية الناس هم همج رعاع وفي إيجادهم لله حكمة؟!

وهل تظن هذه الأسرة وأقطابها أن الناس قد انسلخوا من الإسلام والعروبة حتى يقدموا أبناءهم وإخوانهم وأقاربهم وأصحابهم وأحبابهم للمباحث لكي يسجنوهم سنين عددا، أو يدلوا عليهم لكي يقتلوهم بددا، ألا يدرك المباحث أن أعراف الناس المعتبرة شرعاً إلى الآن تعتبر تسليم أمثال هؤلاء من العار والأمور العظيمة والكبيرة التي لا تغتفر، وهي خيانة عظمى تؤدي في أحيان إلى طرده من القبيلة والتبرؤ منه وفسخ نكاحه وهجائه بالقصائد إلى آخره مما هو معلوم!

وهؤلاء الذين آووهم ونصروهم وأخفوهم هم كما قال الشاعر على لسان أم أحدهم:

ما كان جرمك يا بني ولم تكن ... في الناس غير الطاهر المحمود
لو أنهم سألوا المكارم والتقى ... والبر عنك، لَكُنّ خير شهود
هل كان جرمك أن عزفت عن الخنا ... وعففت عن ورد لهم مورود
هل كان جرمك أن تعيش لفكرة ... لا للمجون ولا ابنة العنقود
تدعو لنهج الله نهج محمدٍ ... لا نهج فرعون، ولا نمرود
كم أرقتك هموم أمتك التي ... كسرت جحافلها أمام يهود
هام الشبيبة في سعاد، ولم تهم ... إلا بسعد تراثنا وسعيد
عشقوا ملاهيهم وعشقك مصحف ... تتلوه بالترتيل والتجويد
ما كنت تصحب غير أرباب التقى ... من صائمين وركع وسجود

وكما قال الشاعر الآخر عن انقلاب الموازين وتبدل المقاييس وانعكاس الأمور على لسان أب لصغيرته:

بلد يساق لسجنه ... من كان أهلاً للثواب
كي يرتقي أعلى المناصب ... من هم أهل العقاب
حكم البلاد طغاتها ... عاشوا بها عيش الذئاب

خدعوا البلاد وأهلها نعقوا كما نعق الغراب
قالوا انتصارات ومجد فارفعوا هذي الرقاب
وتحرروا من كل قيد واملؤوا كل الشعاب
كانت شعارات لهم لكنها كانت كالسراب
قد حوّلوا كل البلاد من العمار إلى الخراب
وإذا تحدث مصلح كأبيك سيق إلى الكلاب
السوط كان طعامه ودماؤه كانت شراب
ساقوا إلى الظلمات من وجدوا صغاراً أو شباب
حتى القعيد أتوا به متغضناً منه الإهاب
نهشت جسوم الطاهرين فكان للموت اقتراب
أبنيتي لا تسألي ماذا جنى حتى يصاب
ما كان يوماً سارقاً ما كان يوماً كالذئاب
ما كنا يسعى كي يفوز بمنصب أو بانقلاب
ما كان يوماً مثل قوم همهم جحر وغاب
كلا ولم يرد الرزايا لا الكؤوس ولا الشراب

هو مصلح... هو مصلح... هو مصلح

هذه الجريمة يا صغيرة عندهم سبب العقاب
فالسجن أصبح معقلاً للمصلحين بلا حساب

تهم متفرقة

أ- (الالتحاق بدورةٍ للغوص).

وجوابي: بأن دورة الغوص من الأمور المباحة والجائزة والمتاحة للناس في كثير من البلدان من العالم، يدخلها الناس للتأمل والتفكر والاكتشاف والمتعة والنزهة والصيد والرياضة، فما المانع من ذلك وما الضير في ذلك، وهل دورة الغوص جريمة في نظركم وحرام عندكم؟!

فإن كان الأمر كذلك، فلماذا تفتحون لها المراكز وتوجدون لها المعدات وتصرحون للناس بالغوص في البحار، فما أنا إلا واحد من هؤلاء الذين أخذوا هذه الدورة كغيري من الناس، ولم يثبت عليّ ارتكاب أمر حرام أو غير مشروع.

وما قالوه: "بأني اشتركت في إنشاء خلية إرهابية تهدف إلى القيام بأعمال إرهابية، واستئجار وكر إرهابي، والشروع في الاستعداد للقيام بأعمال إرهابية" فهذا كله وسواس خناس يوسوس به في صدور المباحث الذين يفسرون الأمور على أهوائهم ومزاجهم، وقد حاولوا أثناء التحقيق الضغط والتهديد وتكرار وإعادة السؤال حول القصد من دورة الغوص، فكان الجواب بأنها رياضة مشروعة، ومع ذلك حاولوا إجبارنا على القول "بأنا ننوي استهداف بوارج ومدمراتٍ أمريكية"، ولم يستطع إثبات ذلك.

وأقول: بعد نفيي لهذه التهمة عن نفسي بأن استهداف البوارج والمدمرات وحاملات الطائرات الصليبية الأمريكية شرف لا أدعيه وجهاد عظيم؛ إذ غزو البحر أفضل من غزو البر.

يقول ابن قدامة رحمه الله في المغني (١٣/١٢-١٣): "مسألة: قال: "وغزو البحر أفضل من غزو البر" وجملته أن الغزو في البحر مشروع وفضله كثير، قال أنس بن مالك: نام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك، قالت أم حرام: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال:

((ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاةً في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر، ملوكاً على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة)). [متفق عليه. البخاري (٢٨٠٠، ٢٧٢٩) ومسلم (١٩١٢)].

- ثم ذكر بعض الأحاديث ثم قال - ولأن البحر أعظم خطراً ومشقة، فإنه بين خطر العدو وخطر الغرق، ولا يتمكن من الفرار من أصحابه، فكان أفضل من غيره". انتهى كلامه.

وقد قال الله جل جلاله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة:٣٦]. يقو ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٤/١٦٥٧): "أي: كما يجتمعون لحربكم إذا حاربوكم فاجتمعوا أنتم أيضاً لهم إذا حاربتموهم، وقاتلوهم بنظير ما يفعلون". انتهى كلامه.

وجاءت الآيات والأحاديث المتكاثرة بقتال وجهاد المشركين والكفار من أهل الكتاب وغيرهم، وطلبهم وغزوهم في حصونهم ومعاقلهم، وهو جهاد الطلب، فكيف بجهاد الدفع عن بلاد المسلمين وأراضيهم وبحارهم التي يسرح ويمرح فيها الكفار اليوم، وهذه البوارج والمدمرات وحاملات الطائرات لم تأت إلى بحارنا لتوزيع الورود والهدايا والسمك، وإنما جاءت للسيطرة والهيمنة على بلاد المسلمين وخيراتهم، واحتلال بلدانهم، وقصف المسلمين في أفغانستان والعراق واليمن والصومال؛ فهي أهداف مشروعة للمسلمين ولا ينكر ذلك إلا من هو جاهل بدين الإسلام، أو عدو للإسلام والمسلمين.

وكون دويلات ما يسمى بالخليج الستة عقدت مع أمريكا العقود والعهود، ومنحتها البحار، وسمحت للأسطول الخامس الأمريكي الصليبي بفتح مقره وإدارته في دويلة البحرين؛ فهذا وحده كاف لإثبات الكفر والردة والخيانة للأمة ولجزيرة العرب ومن ثم البلدان الأخرى التي جرى احتلالها.

وهي عقود وعهود باطلة بالكتاب والسنة والإجماع، وكما قال ابن حزم في ملوك الأندلس: "والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا إليها، فنحن نراهم

يستمدون النصارى، فيمكنونهم من حرم المسلمين وأبنائهم ورجالهم، يحملونهم أسارى إلى بلادهم، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً، فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس". انتهى كلامه.

وأقول عن هذه الدويلات الست في زماننا هذا في القرن الخامس عشر الهجري: والله لو علمت هذه الأسر والعوائل أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا إليهم، فنحن نراهم استمدوا البريطانيين ثم الأمريكان النصارى فمكنوهم من بلاد المسلمين وأراضيهم وأجوائهم وبحارهم، وأعطوهم المساحات الشاسعة لإقامة القواعد البرية والبحرية والجوية، وفتحوا لهم البر والبحر والجو، وأمدوهم بالمال والرجال، ودلوهم على كل شيء في جزيرة العرب – وسبق شرح ذلك وتفصيله –.

ولا زلت أعجب من حرص المحققين عند سؤالهم لنا عن هذا الشأن ومحاولتهم المتكررة والمستميتة لانتزاع معلومة حول استهداف هذه البوارج والمدمرات وحاملات الطائرات للذهاب بها إلى أمريكا، وقد قالها لي كبار المحققين منهم اللواء محمد بن سعد البقمي رئيس التحقيقات السابق، وسعد الشهري اللواء الحالي القائم برئاسة التحقيقات "بأن أمريكا ركبتهم"، فكنت أقول لهم ساخراً "إذاً وجب الغسل"، وذلك لأن الحديث يقول: ((إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها، فقد وجب الغسل))، وبما أن أمريكا ركبتكم وجلست بين شعبكم الأربع ثم جهدتكم، فقد وجب الغسل منكم جميعاً.

وصدق الشاعر إذ يقول:

اقتلوني مزقوني أغرقوني في دمائي
لن تعيشوا فوق أرضي لن تطيروا في سمائي

والقصيدة كاملة موجودة في مطلع كتاب (أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان).

ب- (تهمة التدرب على الخيل).

وجوابي: بأن التدرب على الخيل من الأمور المحمودة الممدوحة في الإسلام، فقد قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إن رسول الله ﷺ قال: ((الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)). [رواه البخاري (٢٨٤٩) ومسلم (١٨٧١)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((البركة في نواصي الخيل))[رواه البخاري (٢٨٥١) ومسلم (١٨٧٤)].

وعن عروة البارقي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم)) (١).

وقد قال الله جل جلاله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقد بوب البخاري في كتاب الجهاد والسير باباً بعنوان (باب من احتبس فرساً في سبيل الله) وذكر هذه الآية (ومن رباط الخيل)، ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: ((من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقاً بوعده، فإن شبعه وريّه وروثه وبوله حسنات في ميزانه يوم القيامة)) [رواه البخاري (٢٨٥٣)].

والأحاديث الواردة في الخيل وفضل ارتباطها وركوبها وإعدادها والتدرب عليها كثيرة ومتواترة، فما الجرم في ذلك، وهل تحاكمون وتجرمون من يركب الخيول ويتدرب عليها

---

(١) رواه البخاري (٢٨٥٢) ومسلم (١٨٧٣)، وهذا الحديث أخرجه البخاري في (كتاب الجهاد والسير باب الجهاد ماض مع البر والفاجر).

ويتخذها، أم إن الخيول محصورة ومقصورة على الأسر والعوائل الستة وملأهم المستكبرين، وباقي الناس هم همج رعاع وفي إيجادهم لله حكمة!

ج- (تهمة الإلتحاق بصالة رياضية للتدريب البدني).

وجوابي: بأن الإلتحاق بصالة رياضية من الأمور المباحة في الأصل إذا سلمت من المنكرات والمحظورات، وقد تستحب أو تجب في بعض الحالات والأوقات والأشخاص إذا اقتضى الأمر ذلك، كالإعداد البدني للجهاد في سبيل الله، وهي تدخل في القوة التي أمر الله بها في قوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠].

وفي العدة التي أمر الله بإعدادها في قوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [التوبة:٤٦]، ومن القواعد الشرعية المعروفة والمشهورة بأن (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، والجهاد في سبيل الله لا يتم إلا بالإعداد البدني اللازم لذلك؛ فالتحاقي بصالة رياضية ليس بحرام ولا جريمة حتى أحاكم عليها وأجرم من أجلها.

د- (تهمة التدرب على تركيب السموم).

وجوابي: بأن هذا كذب ولا أساس له من الصحة، ولا دليل عليه وإثبات.

هـ - (تهمة التدرب على الرماية بالسلاح في عدد من المناطق).

وجوابي: بأن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي)) [رواه مسلم (١٩١٧)].

وبأن فُقِيماً اللخمي رحمه الله قال: قلت لعقبة بن عامر: تختلف بين هذين الغرضين وأنت شيخ كبير فيشق عليك، فقال عقبة: لولا كلام سمعته من رسول الله ﷺ لم أعانه، قال: قلت: وما ذاك؟ قال: سمعته يقول: ((من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى))[رواه مسلم (١٩١٩)].

وبأن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه)) [رواه مسلم (١٩١٨)].

وقد أورد مسلم هذه الأحاديث كما في تبويب النووي في كتاب الإمارة (باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه).

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً)) رواه البخاري (٢٨٩٩) في كتاب الجهاد والسير (باب التحريض على الرمي).

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح: "قال القرطبي: إنما فسر القوة بالرمي وإن كانت القوة تظهر بإعداد غيره من آلات الحرب؛ لكون الرمي أشد نكاية في العدو وأسهل مؤونة، لأنه قد يرمي رأس الكتيبة فيصاب فيهزم من خلفه". انتهى كلامه.

وقال الشوكاني رحمه الله عند تعليقه على حديثي عقبة بن عامر رضي الله عنه في الرمي في نيل الأوطار (٥/٢٦٨): "وكرر ذلك – أي قوله: ((ألا إن القوة الرمي)) – للترغيب في تعلمه وإعداد آلاته، وفيه دليل على مشروعية الاشتغال بتعلم آلات الجهاد والتمرن فيها والعناية في إعدادها، ليتمرن بذلك على الجهاد ويتدرب فيه ويروض أعضاء.

قوله: ((فليس منا)): قد تقدم الكلام على تأويل مثل هذه العبارة في مواضع، وفي ذلك إشعار بأن من أدرك نوعاً من أنواع القتال التي ينتفع بها في الجهاد في سبيل الله ثم تساهل

في ذلك حتى تركه كان آثماً إثماً شديداً، لأن ترك العناية بذلك يدل على ترك العناية بأمر الجهاد، وترك العناية بالجهاد يدل على ترك العناية بالدين لكونه سنامه وبه قام)) أ.هـ.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه الذي يحتسب في صنعته الخير، والذي يجهز به في سبيل الله، والذي يرمي به في سبيل الله)).

وقال: ((ارموا واركبوا، وأن ترموا خيرٌ لكم من أن تركبوا)).

وقال: ((كل شيء يلهو به ابن آدم فهو باطل، إلا ثلاثاً: رَمْيَه بقَوْسه، وتأديبه فرسَه، وملاعبته أهله فإنهن من الحق)). [رواه الخمسة أحمد (١٧٣٠٠) وأبو داود (٢٥١٣) والترمذي (١٦٣٧) والنسائي (٣٥٧٨) وابن ماجه (٢٨١١)] وفي رواية عند بعضهم: ((ومن علمه الله الرمي فتركه رغبة عنه فنعمة كفرها)). وهو حديث حسن بمجموع طرقه وشواهده.

قال الشوكاني رحمه الله عند تعليقه على هذا الحديث في كتاب الجهاد من منتقى الأخبار (باب الحث على الرمي) في نيل الأوطار (٥/٢٧٠): "فيه دليل على أن العمل في آلات الجهاد وإصلاحها وإعدادها كالجهاد في استحقاق فاعله الجنة ولكن بشرط، أن يكون ذلك لمحض التقرب إلى الله بإعانة المجاهدين، ولهذا قال: الذي يحتسب في صنعته الخير، وأما من يصنع ذلك لما يعطاه من الأجرة فهو من المشغولين بعمل الدنيا لا بعمل الآخرة، نعم يثاب مع صلاح النية كمن يعمل بالأجرة التي يستغني بها عن الناس أو يعول بها قرابته، ولهذا ثبت في الصحيح ((إن الرجل يؤجر حتى على اللقمة يضعها في فم امرأته)).

قوله: ((والذي يجهز به في سبيل الله)) أي الذي يعطي السهم مجاهداً يجاهد به في سبيل الله.

قوله: ((فإن ترموا خير لكم... إلخ)) فيه تصريح بأن الرمي أفضل من الركوب، ولعل ذلك لشدة نكايته في العدو في كل موطن يقوم فيه القتال، وفي جميع الأوقات، بخلاف الخيل

فإنها لا تقاتل إلا في المواطن التي يمكن فيها الجولان دون المواضع التي فيها صعوبة لا تتمكن الخيل من الجريان فيها وكذلك المعاقل والحصون)) انتهى كلامه.

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (١٦٠٣/٤): "قد ذهب أكثر العلماء إلى أن الرمي أفضل من ركوب الخيل، وذهب الإمام مالك إلى أن الركوب أفضل من الرمي وقول الجمهور أقوى للحديث". انتهى.

فالرماية والتدريب عليها من الأمور الممدوحة والمحمودة في شريعة الإسلام، أمر الله بها ورسوله ﷺ، وحثا عليها ورغبا فيها، فما العيب في ذلك، وما الجرم والإثم فيمن يرمي ويتعلم الرمي أخذاً بهذه الأوامر الشرعية واستجابةً لها.

وهل بقي شيء من الجهاد لم يحرمه المباحث وأسيادهم (نايف بن عبد العزيز وابنه محمد)، فالركوب على الخيل جريمة، والغوص في البحر مصيبة، والتدريب في الصالات الرياضية داهية، والرمي باليد والنبال والساكتون والخرازة والرشاش كبيرة الكبائر، بل والرؤيا في المنام والفكرة تدور في خلد الإنسان حول الجهاد في سبيل الله يحاسب عليها الإنسان بتهمة الإرهاب ويزج به في السجن لسنين بأحكام إدارية ما أنزل الله بها من سلطان تحت مسمى الاحتراز، وكم رأينا وسمعنا عن أناس حكمهم (محمد بن نايف) بأحكام إدارية لأمور من هذا القبيل.

وأما قولهم: (وحيازته خلال ذلك لسلاح رشاش نوع كلاشنكوف بدون ترخيص بقصد الإفساد والإخلال بالأمن المجرم والمعاقب عليه بموجب نظام الأسلحة والذخائر):

فجوابي: أني أكفر بنظامكم الطاغوتي عموماً ونظام الأسلحة الذخائر خصوصاً، إذ أنظمتكم هي قوانين وضعية ودساتير أرضية ما أنزل الله بها من سلطان، وقد قدمت ما

يكفي في شأن تحكيم الشريعة، وهذه الأنظمة معدة ومفصلة وفق مصلحة أسرة آل سعود وليس وفق شريعة الإسلام ومصالح الإسلام والمسلمين.

وأما قولهم: "بقصد الإفساد والإخلال بالأمن": فلم يثبت علينا بحمد الله أنا أفسدنا في الأرض أو أخللنا بأمن المسلمين، بل على العكس الذين أفسدوا في الأرض وأخلوا بأمن المسلمين هم أسرة آل سعود والمباحث، حيث مكنوا للكفار الصليبين وأحلوهم جزيرة العرب بدون ترخيص من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين، بل الكتاب والسنة والإجماع ضد ما قاموا به –كما سبق بيانه –، وشاركوا في احتلال بلدان المسلمين أفغانستان والعراق وغيرها –كما سبق إيضاحه –، فالرمي بالسلاح والإعداد في سبيل الله لمجاهدة أمريكا الصليبية هو من صميم الدين، وإن قتلتم وأسرتم وصحتم وعذبتم.

وما حالكم إلا كحال (دويلة يهود) حيث تحاكم وتحاسب وتسجن وتقتل كل من حاز وحمل وباع واشترى السلاح ورمى به من الناس في بلاد الشام، بل والله إن خطر دويلة آل سعود على الإسلام والمسلمين لا يقل عن خطر دويلة يهود ودويلة الصفويين والاثنا عشرية في إيران وملحقاتها إن لم تزد عليها، ولا يخفى ذلك إلا على من طمس الله بصره وبصيرته.

و- (تهمة الشروع في قتل أحد رجال الأمن بإحدى نقاط التفتيش).

وجوابي: بأن هذا غير صحيح، ولم يثبت شيء من هذا، وقد حاولوا أثناء التحقيق انتزاع هذا الأمر ولم يستطيعوا.

ز- (تهمة الشروع في اغتيال خالد الفيصل...).

وجوابي: بأن هذا غير صحيح، وقد نفيت ذلك أثناء التحقيق معي مراراً وتكراراً.

ح- (تهمة الاشتراك مع (عمر القحطاني رحمه الله وسعيد بن مفرح القحطاني) في الشروع في القيام بضرب طائرات في القاعدة الجوية في الرياض واستهداف مواكب رسمية داخل مطار القاعدة الجوية).

وجوابي: بأني لم أسمع بهذا من قبل ولا أعرف أحداً باسم (سعيد بن مفرح القحطاني)، فهي تهمة باطلة.

ط- (تهمة القيام بحيازة سلاح رشاش أخذه من (ظافر بن دليم القحطاني) لاستخدامه من قبل (سعيد بن مفرح القحطاني) في تنفيذ عملية اغتيال أحد المعاهدين... إلخ).

وجوابي: بأني ما سمعت بهذا الاسم من قبل ولا أعرف هؤلاء الأشخاص، والتهمة باطلة وغير صحيحة.

ي- (تهمة الخروج إلى اليمن... إلخ).

فجوابي: بأني ذهبت إلى اليمن لئلا يتم اعتقالي من آل سعود، وهذا أمر مشروع وطبيعي، فأنا لا أعترف بشرعية آل سعود، وقد ذكرت ما يكفي في بيان ذلك.

وأما قولهم: "بطريقة غير شرعية":

فجوابي: بأن حدود (سايكس بيكو) التي رسمها الفرنسيون والبريطانيون بأقلام الرصاص (المراسم) هي الأمر غير المشروع الذي يجب إزالته لتصبح بلاد المسلمين واحدة مفتوحة يتنقل فيها المسلم بلا عوائق ولا وثائق كما كان المسلمون على ذلك لقرون من الزمان.

وأما قولهم: "والمجرم والمعاقب عليه بموجب نظام أمن الحدود":

فجوابي: بأني أكفر بنظامكم جملة وتفصيلاً، وأتعبد الله بذلك، فهو حكم جاهلي وضعي ما أنزل الله به من سلطان، والحدود الجغرافية الحالية هي كذلك، يجب تحطيمها وإزالتها لتعود أمة واحدة لا يفرق بينها حدود وضعها الغازي المستخرب الذي يسمونه (المستعمر).

ك- (تهمة استعمال المحررات الرسمية المزورة... إلخ).

فجوابي: حصل ذلك لتجاوز عقبة الطلب والاعتقال الذي قام به آل سعود، وهذا أمر مشروع وطبيعي، وقد شرحت حال آل سعود وما قاموا به وحال سجونهم وحربهم للجهاد والمجاهدين بكل الطرق، فنحن في جهاد عالمي ضد رأس الكفر أمريكا، والحرب خدعة، وقد اختفى الأنبياء والرسل – صلوات الله وسلامه عليهم – من طالبيهم وأعدائهم، وخدعوهم وموهوا عليهم وَورّوا بأشياء تصرف نظر أعدائهم عنهم، وهجرة النبي ﷺ خير مثال على ذلك، وكذلك هجرة أصحابه إلى الحبشة، والقصص والأدلة على جواز الكذب في الحرب ومخادعة العدو التحايل عليه كثيرة جداً، وقد كان النبي ﷺ إذا أراد غزوة ورّى بغيرها، وكان يقول: ((الحرب خدعة)) [رواه أبو داود (٢٦٣٧) من حديث كعب بن مالك بإسناد صحيح].

وقد ذكر ابن هشام في السيرة النبوية قصة إسلام الحجاج بن عِلاط السلمي فقال (٦٣١-٦٣٣): "قال ابن إسحاق: ولما فتحت خيبر، كلم رسول الله ﷺ الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي، فقال: يا رسول الله، إن لي بمكة مالا عند صاحبتي أم شيبة بنت أبي طلحة – وكانت عنده، له منها معرض بن الحجاج ومال متفرق في تجار أهل مكة، فأذن لي يا رسول الله، فأذن له، قال: إنه لا بد لي يا رسول الله من أن أقول، قال: قل قال الحجاج: فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالاً من قريش يتسمعون الأخبار، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز، ريفا ومنعة ورجالا، فهم يتحسسون الأخبار،

ويسألون الركبان، فلما رأوني قالوا: الحجاج بن علاط – قال: ولم يكونوا علموا بإسلامي عنده والله الخبر – أخبرنا يا أبا محمد، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر، وهي بلد يهود وريف الحجاز.

قال: قلت: قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم، قال: فالتبطوا بجنبي ناقتي يقولون: إيه يا حجاج، قال: قلت: هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط، وأسر محمد أسرا، وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة، فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم.

قال: فقاموا وصاحوا بمكة، وقالوا: قد جاءكم الخبر، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم، فيقتل بين أظهركم. قال: قلت: أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي، فإني أريد أن أقدم خيبر، فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك. قال ابن هشام: ويقال: من فيء محمد.

قال ابن إسحاق: قال: فقاموا فجمعوا لي مالي كأحثّ جمع سمعت به. قال: وجئت صاحبتي فقلت: مالي، وقد كان لي عندها مال موضوع، لعلي ألحق بخيبر، فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التجار. قال: فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر، وجاءه عني، أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيام التجار، فقال: يا حجاج، ما هذا الخبر الذي جئت به؟ قال: فقلت: وهل عندك حفظ لما وضعت عندك؟ قال: نعم. قال: قلت: فاستأخر عني حتى ألقاك على خلاء، فإني في جمع مالي كما ترى، فانصرف عني حتى أفرغ.

قال: حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة، وأجمعت الخروج، لقيت العباس، فقلت: احفظ عليّ حديثي يا أبا الفضل، فإني أخشى الطلب ثلاثا، ثم قل ما شئت، قال: أفعل. قلت: فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروسا على بنت ملكهم، يعني صفية بنت حيي، ولقد افتتح خيبر، وانتثل ما فيها، وصارت له ولأصحابه. فقال: ما تقول يا حجاج؟

قال: قلت: إي والله، فاكتم عني، ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالي، فرقا من أن أغلب عليه، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك، فهو والله على ما تحب.

قال: حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له، وتخلق، وأخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى الكعبة، فطاف بها، فلما رأوه قالوا: يا أبا الفضل، هذا والله التجلد لحر المصيبة، قال: كلا، والله الذي حلفتم به، لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على بنت ملكهم، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه، قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مسلما، فأخذ ماله، فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه، فيكون معه، قالوا: يا لعباد الله انفلت عدو الله، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن. قال: ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك. انتهى [١].

وهناك مِن أشباه هذه القصص والتي ذكرتُها في كتاب (قصص تاريخية للمطلوبين) الشيء الكثير وفيها من خداع الأعداء والمكر بهم والتحايل عليهم وكذا حال المسلمين المجاهدين اليوم مع أمريكا وصنائعها لابد من ذلك وهو أمرٌ مشروعٌ محمودٌ ومن صميم دين الله حتى يأتي النصر.

وأما قولهم: "بقصد الإخلال بأمن البلاد والإفساد فيها": فهذا من الكذب والبهتان وقد قدمت ما يكفي عن حال المفسدين والفاسدين والمزورين والخائنين.

---

[١] وقد رواه أحمد (١٢٤٠٩) وعبد الرزاق في المصنف (٩٧٧١) مع اختلاف السياقات والألفاظ بإسناد صحيح على شرط الشيخين.

ك- (تهمة الخروج إلى أفغانستان للالتحاق بقاعدة الجهاد والقتال تحت رايته).

فجوابي: إن السفر إلى أفغانستان أو العراق أو اليمن أو الصومال أو الشيشان أو مالي أو الشام لنصرة المسلمين فيها والجهاد في سبيل الله والدفاع عن أعراض وأموال وبلاد ودين المسلمين هو من فروض الأعيان على المسلمين حتى تحصل الكفاية ويندحر العدو، ويجب على المسلمين نصرة إخوانهم بالنفس لمن يستطيع وبالمال على جميع القادرين من رجال ونساء، وبجميع أنواع النصرة الأخرى كالدعاء والقنوت والإيواء والإغاثة بالسكن والأكل والشرب واللباس والكتب الشرعية المرعية النقيّة والعلاج والمستلزمات الطبية إلى آخره، فهذا من الواجبات وليس من التهم، وخروجي لأفغانستان بعد غزوات نيويورك وواشنطن ودخول أمريكا الصليبية إليها هو مما أتقرّب به إلى الله، وإن كنتم تعدون ذلك جريمة؛ فليشهد الثقلان أني مجرم.

وأما قولكم: "للالتحاق بالقاعدة..."؛ فقد قدمت ما يكفي عن قاعدة الجهاد، وأنها طليعة الإسلام والمسلمين، وأنها أقوم بدين الإسلام من كثير من الأدعياء والحاقدين والحاسدين.

وأقول لكاتب هذه التهمة والدعوى: اخسأ فلن تعدو قدرك، وسيأتي اليوم الذي يلقنك فيه المسلمون المجاهدون الدروس ويزيلونك من الوجود لتصبح في مزبلة التاريخ.

ل- (تهمة الاشتراك في دفن أحد قادة قاعدة الجهاد (راكان الصخيان رحمه الله...).

فجوابي: أن راكان الصخيان رحمه الله وتقبله في الشهداء بعد مواجهة الفيحاء التي أصيب فيها إصابات بليغة، حيث كانت إصابته في أسفل البطن، وكانت إحدى الطلقات أصابته في الرئة، فلما نقله الإخوة إلى البيت الذي كنت فيه وسعوا لإسعافه بما يستطيعون مع إدراكهم أن إصابته قاتلة، وبعد مضي ساعات فاضت روحه - رحمه الله - واستراح من نصب الدنيا وأذاها، فقد كان يتألم ألماً شديداً أرجو أن يكون محا الله عنه بذلك ذنوبه وزاد حسناته ورفع له درجاته..

وما هي إلا لحظات حتى بدأ يتبسم، ومع مرور الوقت كانت البسمة تزداد، وكنا ندخل عليه في الغرفة المخصصة بأدوات العيادة التقليدية لننظر في ذلك التغير الجميل المستمر، فالبسمة تزداد إشراقاً وجمالاً ونوراً، حتى إن أكثر الحاضرين تمنوا أن يكونوا مكانه ونالهم ما ناله مع عدم إدراكهم لما وراء ستر الغيب من أفراح وتهاني وسرور ونعيم، فعن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يُفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: ((كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة)) [رواه النسائي (٢٠٥٣) وإسناده حسن].

وقرر الإخوة دفنه، فاستأذنت الأخ الأمير عبد العزيز المقرن - رحمه الله - في القيام بذلك، وذلك رغبة في الأجر وحرصاً على كسر النمط السائد عن المشايخ وطلبة العلم أنهم فقط يؤلفون ويحاضرون ويخطبون أما ممارسة الجهاد عملياً وخدمة المسلمين كما كان حال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فقليل فاعله، وهذا من الأخطاء المنتشرة؛ فالصحابة دائما يُذكر في تراجمهم ومناقبهم بأنهم (شهدوا غزوة كذا وكذا، أو شهد غزوة كذا وكذا وما تلاها، ما تخلف عن غزوة مع النبي ﷺ، أو شهد المغازي كلها)، وغيرها من عبارات، وأما في زماننا فالمناقب أصبحت (تخرج من الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية، والجامعة، والماجستير،

والدكتوراه، والبروفسور... إلى آخره) مما يشترك فيه أكثر الناس، وأكثره للدنيا والوظائف والمناصب..

فأَذِن لي بذلك، وقمت أنا وفيصل الدخيل، وفهد الدخيل، وعواد العواد، ونايف العوشن، وخالد السنان – رحمهم الله – بالذهاب به إلى خارج الرياض في مكان لا يعلمه إلا فيصل الدخيل وخالد السنان، حيث كنا مغمضي الأعين وذلك كإجراء أمني حتى لو تم اعتقال أحد منا فلا يدل على القبر لكي لا ينبشه (نباشو القبور) المباحث، و (إكرامُ الميت دفنه) وليس تسليمه للمباحث، ونحن دفنّا مسلماً من المسلمين وليس ذلك بجريمة، "وقد بعث ناس من كفار قريش إلى عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري حين حدِّثوا أنه قُتل ليؤتوا بشيء منه يعرف، وكان قد قتل رجلاً من عظمائهم يوم بدر، فبُعث على عاصم مثل الظلّة من الدبر، فحمته من رسولهم، فلم يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئاً". [رواه البخاري (٣٠٤٥)].

وقال ابن حجر – رحمه الله – في الفتح عند هذا الحديث الذي كرره البخاري برقم (٤٠٨٦): "وفي رواية ابن إسحاق عن عاصم بن عمر عن قتادة قال: كان عاصم بن ثابت أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً، فكان عمر يقول لما بلغه خبره: يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته". انتهى كلامه.

وكان يسمى (بحَمِيَّ الدّبر).

وعن عاصم بن عمر قال: كان عمر يقول: "يحفظُ الله المؤمن، كان عاصم بن ثابت بن الأقلح نذر أن لا يمس مشركاً ولا يمسه مشرك، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منهم في حياته". [رواه ابن أبي شيبة في مصنفه والبيهقي في دلائل النبوة].

وقد أتاني بعد اعتقالي رئيس التحقيقات الأسبق اللواء عائد الحازمي ومعه عدد من الضباط منهم اللواء محمد بن سعد البقمي رئيس التحقيقات السابق الذي خلف الحازمي،

واللواء سعد الشهري رئيس التحقيقات الحالي والذي خلف البقمي، وآخرون، وقد أحضروا صوراً لي وأنا أحفر قبر راكان رحمه الله وأيضاً وأنا أدفنه – كان الإخوة صوروها لتنشر فيما بعد –، وجعلوا يسألون عن القبر وأين هو، فلم يجدوا جواباً لأني لا أعرف مكان قبره.

وقد قلت للحازمي: "لو أعلم مكانه لأخبرتكم وذاك لأهداف سياسية"، قال: وما هي؟ قلت: "ليعلم الناس أنكم نباشو قبور"، فسكت ولم يفتحوا الموضوع معي مرة أخرى.

وأما قولهم: "بقصد تضليل الجهات الأمنية":

فجوابي: بأنه يجب تضليل الجهات المحاربة للإسلام والجهاد، وأن لا نسلمها أنفسنا أحياءً ولا أمواتاً، وهذا أخونا المسلم قُتل في سبيل الله – نحسبه كذلك – بأيدي المباحث والطوارئ فعلام نسلمه لهم، وما الجريمة في دفن المسلم، بل الجريمة هي تسليمه للمباحث ونحن قادرون على خلاف ذلك، أما إذا عجزنا لمطاردة أو مداهمة أو ما شابه ذلك فليأخذوا من قُتل منا جثة هامدة.

والتاريخ مليء بمثل ذلك في فتوحات المسلمين والمعارك التي هزموا فيها، ولذا يُشرع دفن القتلى في مصارعهم وذلك تخفيفاً على المسلمين من صعوبة حمل ونقل الأموات، وستراً وإكراماً لهم.

ولعل من الحِكم في عدم تغسيل شهيد المعركة وتكفينه والصلاة عليه وكذلك في دفنه في ثيابه هو التخفيف على المسلمين، فالمعارك والحروب ومقابلة الأعداء تحتاج لمثل هذا، بخلاف شهيد غير المعركة، والله أعلم.

فعمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل في غير معركة، ولذا قال عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما –: "إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه غُسل وكُفن وصُلي عليه وكان شهيداً يرحمه الله". [رواه مالك في الموطأ (١٣٩١) وابن أبي شيبة في المصنف (١١٠١٠،١١٠١١) بإسناد صحيح على شرط الشيخين].

وقال مالك عقبه: "إنه بلغه عن أهل العلم أنهم كانوا يقولون: الشهداء في سبيل الله لا يغسلون ولا يصلى على أحد منهم، وإنهم يدفنون في الثياب التي قتلوا فيها.

قال مالك: وتلك السنة فيمن قتل في المعترك فلم يدرك حتى مات.

قال مالك: وأما من حُمل منهم فعاش ما شاء الله بعد ذلك، فإنه يغسل ويصلى عليه كما عُمل بعمر بن الخطاب". انتهى كلامه.

ونحن عاملنا راكان الصيخان – رحمه الله – على أنه شهيد معركة، ولذا لم نغسله ولم نكفنه ولم نصل عليه ودفناه في ثيابه التي فاضت روحه فيها، لأنه لم يعش إلا ساعات.

وللفقهاء تفصيل في ذلك حول المدة والفيصل في هذا الشأن، قال ابن قدامة – رحمه الله – في المغني (٤٧٢/٣): "والصحيح: التحديد بطول الفصل أو الأكل، لأن الأكل لا يكون إلا من ذي حياة مستقرة، وطول الفصل يدل على ذلك، وقد ثبت اعتبارهما في كثير من المواضع، وأما الكلام والشرب وحالة الحرب فلا يصح التحديد بشيء منها". انتهى كلامه.

ودفناه في غير المكان الذي فاضت روحه فيه لأنه منزل مستأجر وليس بساحة معركة أو فضاء من الأرض، ولأنه لو تم اكتشاف المنزل أو أخليناه وغادرناه يمكن نبش القبر واستخراج جثمان الميت، بخلاف المكان الذي دفناه فيه فلم يعلموه حتى الآن، والحمد لله على حفظ عباده من أيادي العابثين بالأحياء والميتين.

م- (تهمة حيازة القنابل والمسدسات والرشاش والطلقات... إلخ، والتي تم إيداعها في منزل (أحمد بن عبد الله آل فضيل الغامدي).

فجوابي: بأني قد قمت بذلك وجعلتها في كراتين وأودعتها لدى أحمد الغامدي بدون علمه بمحتواها، فهو لا يدري عما بداخلها، وإنما أودعتها كأغراض شخصية... إلخ.

وأما قولهم: (بقصد الإفساد والاعتداء والإخلال بالأمن المجرّم والمعاقب عليه بموجب نظام الأسلحة والذخائر...):

فالجواب: بأنه لم يثبت علينا الإفساد ولا الاعتداء، بل كانت لأعداء الله الكفرة الصليبيين المحتلين لجزيرة العرب، والمفسد والمعتدي هو من سبق شرح فساده وإخلاله بأمن المسلمين في كل مكان أمريكا وصنائعها، وأما نظام الأسلحة والذخائر فأنا كافر به، وأبرأ إلى الله منه، ولا أعترف به، فهو حكم وضعي أرضي جاهلي.

وأما أحمد الغامدي فعلاقتي به علاقة عادية قبل إعلان اسمي في قائمة المطلوبين، ولم يتخللها أي شيء أو عمل، وقد انقطعت علاقتي به من قبل إعلاني في قائمة المطلوبين بمدة طويلة، ولا يربطني به رابط، ولم يكن يدري عن نشاطي أو ماذا أفعل وأقوم به.

ن- التهم المتعلقة بالأشخاص الواردة أسماؤهم في أوراق الدعوى:

- (علي بن أحمد بن علي آل طلحة الزهراني): فهذا أحد رجال قريتي، فهو من جماعتي ولكنه يسكن هو وأهله من قديم في الشرقية ثم في مكة، ولم أره منذ سنين، ولا يربطني به أي رابط أو عمل، وما ذُكر في أوراق الدعوى غير صحيح وهذا ما قلته في التحقيق والآن.

- (١. زايد بن محمد بن عبد الله الشهراني، ٢. ظافر بن دليم بن محمد آل عبود القحطاني، ٣. مشبب بن محمد بن علي آل عيد القحطاني، ٤. مشهور بن مشبب بن محمد بن عيفان القحطاني، ٥. سعيد بن مفرح بن علي بن سليمان القحطاني، ٦. منصور بن ثابت بن عبد الله آل مشعف القحطاني، ٧. محمد بن إبراهيم بن محمد بن صالح العلوي): هؤلاء جميعاً لا أعرفهم ولا تربطني بهم رابطة ولم تثبت علاقتي بهم، وقد ذكرت ذلك في التحقيق والآن.

- (١. علي بن محمد بن علي آل حمود، ٢. علي بن محمد بن حمد السنحاني القحطاني، ٣. فيصل بن جار النبي بن محمد العدواني الزهراني): فهؤلاء الثلاثة كانوا يسعون مع أطراف أخرى (سفر الحوالي ومحسن العواجي) لإقناعي بتسليم نفسي، وكانت علاقتي بهم تنحصر في هذا الشأن فقط، وأما ما ذكروه في أوراق الدعوى فهي أقوال أخذوها منهم بالإكراه، وقد قال ابن قدامة - رحمه الله - في المغني (٣٦٠/١٢): "ولا يصح الإقرار من المكره". انتهى.

وقال أيضاً في المغني (٣٥٢/١٠): "حد الإكراه لا يكون إلا بالوعيد، فإن الماضي في العقوبة لا يندفع بفعل ما أكره عليه ولا يخشى من وقوعه، وإنما أبيح له فعل المكره عليه دفعاً لما يتوعده به من العقوبة فيما بعد، وهو في الموضعين واحد". انتهى كلامه.

وقد قال عمر رضي الله عنه: "ليس الرجل أميناً على نفسه إذا أجعته أو ضربته أو أوثقته". [رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة في مصنفيهما].

وقد قال ابن قدامة - رحمه الله - في المغني (٣٥٣/١٠): "ومن شرط الإكراه ثلاثة أمور:

أحدها: أن يكون من قادر بسلطان أو تغلب كاللص ونحوه.

وحُكي عن الشعبي: إن أكرهه اللص لم يقع طلاقه وإن أكرهه السلطان وقع. قال ابن عبينة: لأن اللص يقتله.

وعموم ما ذكرناه في دليل الإكراه يتناول الجميع، والذين أكرهوا عماراً لم يكونوا لصوصاً، وقد قال النبي ﷺ لعمار: ((إن عادوا فعُدْ))، ولأنه إكراه فمنع وقوع الطلاق، كإكراه اللص.

الثاني: أن يغلب على ظنه نزول الوعيد به إن لم يجبه إلى ما طلبه.

الثالث: أن يكون مما يستضر به ضرراً كثيراً، كالقتل والضرب الشديد والقيد والحبس الطويل، فأما الشتم والسب فليس بإكراه... إلى آخره). انتهى كلامه.

وهؤلاء الإخوة واجهوا ما واجهوا وقالو ذلك تحت هذا الإكراه وليس عندهم دليل أو برهان وإنما الاعتراف الذي أخذوه منهم بصور التهديد والضرب والتسهير... إلى آخره وتواصلي وبقائي معهم وتنقلي كان لهذا الغرض وهو الحوار والإقناع للتسليم وأما غير ذلك فلا صحة له.

- (خاتم بن ضيف الله بن عوض الزهراني): فهو من رجال قبيلتي زهران، ومعرفتي به قديمة وأثناء الدراسة الجامعية، وأما أثناء الطلب فليس لي به علاقة أو صلة أو عمل أو ترتيب، وقد حاولوا في التحقيق إيجاد صلة وأنكرت ذلك ولم يستطيعوا إثباته، وإنما أكرهوا الأخ على أمور ليست بصحيحة وقد نفيتها.

- (بندر بن عبد الرحمن بن سالم الغامدي): علاقتي به علاقة عادية وليست تنظيمية وكنا نلتقي أثناء التدرب في الصالة الرياضة وركوب الخيل والغوص كغيرنا من الناس.

وأما قولهم: "إنشاء خلية تابعة للقاعدة... إلخ":

فهذا كله من محض خيال المباحث، وصاغوه في وكر المباحث - كما هي عادتهم في مثل هذه الأمور -، ولم تبدأ حينها المواجهات والعمليات بعد في جزيرة العرب، ولم يُفتح الفرع الخاص بقاعدة الجهاد إلا في منتصف عام (١٤٢٤هـ)، وكان بندر الغامدي حينها قد

اعتقل في اليمن وقد انقطعت علاقتي به من منتصف عام (١٤٢٣هـ) أي قبل الأحداث في جزيرة العرب، وكثير من الشباب حينها كانوا يتدربون إما للسفر لأفغانستان للجهاد في سبيل الله هناك أو الشيشان، ولم يبدأ العمل في جزيرة العرب إلا بعد احتلال العراق حينها بدأت المعركة مع أنه سبقها بعض المناوشات.

– (عبد الله بن محمد بن عبد الله كسلا القحطاني): عرفته عن طريق عمر القحطاني، وكان يعرفني باسم عبد الله القرني، ولم يكن يعلم عني شيئاً، ولا يعلم أنني فارس آل شويل، وليس بيني وبينه أي صلة تنظيمية أو عملية.

(خاتمة الرد)

أقول لمن يحاكمني ويقضي فيّ:

قد كتبت جوابي هذا في جوف زنزانتي الانفرادية من قلب سجن الحائر الظالم أهله، وقد عاهدت الله أن أقول الحق الذي أدين الله به لا أخاف في ذلك لومة لائم، ولو أدى ذلك إلى ذهاب نفسي وقتلي، وأن أصدع بأمر الله ولا أخشى أحداً إلا الله، ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه:٧٢].

وكما قال الشاعر:

أدافعُ عن دين عظيم وهبته ... عطاء مُقلٍّ مهجتي وحياتيا
وممتثل لله أسلم وجهه ... يقول أنا وحدي سأحمي دينيا
بظهري ببطني بالذراع بمقلتي ... بجنبي بعظم الصدر حتى التراقيا
تأخرت دهراً باللذائذ والمنى ... ومن حذر الدنيا وخوف العواديا
فلم أر يوماً كالتقدم لذَّةً ... ولم أر عيشاً كالتقدم هانيا
على ذروة التوحيد تخفق رايتي ... وتحت روابيها تصب دمائيا

فإن قضيت بقتلي فأرجو أن تكون شهادة، ووالله إنها أمنية قلتها مراراً للمحققين: "لو أني أعلم طريقة أستفزكم بها لقتلي لفعلت، فقالوا: لماذا؟ فقلت: لأجل إلهاب مشاعر المسلمين وإظهار الدين وإيقاظ النائمين، وفضح الظالمين وتعرية الزائفين، ونيل منزلة سيادة الشهداء عند رب العالمين، فقد أمر الغلام في قصة أصحاب الأخدود بقتل نفسه لأجل مصلحة ظهور الدين".

يقول ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى الكبرى (٣/٥٥٤): "ولهذا جوز الأئمة الأربعة أن ينغمس المسلم في صف الكفار وإن غلب على ظنه أنهم يقتلونه؛ إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين". انتهى كلامه.

ويقول ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

وشجاعة الفرسان نفس الزهد في ... نفس وذا محذور كل جبان
وشجاعة الحكام والعلماء زهـ ... ـد في الثناء من كل ذي بطلان
فإذا هما اجتمعا لقلب صادق ... شدت ركائبه إلى الرحمن
واقصد إلى الأقران لا أطرافها ... فالعز تحت مقاتل الأقران
واسمع نصيحة من له خبر بما ... عند الورى من كثرة الجولان
ما عندهم والله خير غير ما ... أخذوه عمن جاء بالقرآن
والكل بعد فبدعة أو فرية ... أو بحث تشكيك ورأي فلان
فاصدع بأمر الله لا تخش الورى ... في الله واخشاه تفز بأمان
واهجر ولو كل الورى في ذاته ... لا في هواك ونخوة الشيطان

غلام الأخدود زهد في نفسه فنال الشهادة وظهر الدين وآمن الناس، فعن صهيب رضي الله أن رسول الله ﷺ قال: ((كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه فشكى ذلك للراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم أيهما أفضل الساحر أم الراهب، فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي

الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي.

وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله – عز وجل –، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأُخذ فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل ما تفعل. فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه.

ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت. فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به إلى البحر، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت. فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال وما هو؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: بسم الله رب الغلام. ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني.

فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ووضع السهم في كبد القوس، ثم قال: بسم الله رب الغلام. ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع الغلام يده في صدغه في موضع السهم، فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام. فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس.

فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت، وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه احملوه، أو قيل اقتحموه، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمي اصبري فإنك على الحق)) [1].

وجزيرة العرب في هذا الزمن بحاجة إلى من يضحي بنفسه ويصبر ويثبت على دينه ولا يرجع ولا يتراجع، فالأمر قريب والموعد الصراط والحاكم الله، وهذا الذي أخذته على نفسي، وهو فضل الله عليّ ورحمته، وكما قال كعب بن مالك رضي الله عنه يوم الخندق:

لقد علم الأحزاب حين تألبوا ... علينا وراموا ديننا ما نوادع
يذودوننا عن ديننا ونذودهم ... عن الكفر والرحمن راء وسامع
إذا غايظونا في مقام أعاننا ... على غيظهم نصر من الله واسع
وذلك حفظ الله فينا وفضله ... علينا ومن لم يحفظ الله ضائع
هدانا لدين الحق واختاره لنا ... ولله دون الصانعين صنائع

وكما قال عامر بن الأكوع رضي الله عنه:

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

---

[1] رواه مسلم (٣٠٠٥) في كتاب الزهد والرقائق: (باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام).

إنا إذا قوم بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

ومن فضل الله عليّ أن يسر لي في هذا السجن أن حفظت (الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية) لابن القيم رحمه الله، وهي أطول قصيدة ومنظومة في منهج أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين من الفرق والأحزاب، وكان أول ما حفظت منها الفصل المتعلق (بعهود المتثبتين مع رب العالمين) والذي يقول فيه:

يا ناصر الإسلام والسنن التي جاءت عن المبعوث بالقرآن
يا من هو الحق المبين وقوله ولقاؤه ورسوله ببيان
اشرح لدينك صدر كل موحد شرحاً ينال به ذرى الإيمان
واجعله مؤتماً بوحيك لا بما قد قاله ذو الإفك والبهتان
وانصر به حزب الهدى واكبت به حزب الضلال وشيعة الشيطان
وانعش به من قصده إحياؤه واعصمه من كيد امرئ فتان
واضرب بحقك عنق أهل الزيغ والتبديل والتكذيب والطغيان
فوحق نعمتك التي أوليتني وجعلت قلبي واعي القرآن
وكتبت في قلبي متابعة الهدى فقرأت فيه أسطر الإيمان
ونشلتني من حب أصحاب الهوى بحبائل من محكم الفرقان
وجعلت شربي المنهل العذب الذي هو رأس ماء الوارد الظمآن
وعصمتني من شرب سفل الماء تحت نجاسة الآراء والأذهان
وحفظتني مما ابتليت به الألى حكموا عليك بشرعة البهتان
نبذوا كتابك من وراء ظهورهم وتمسكوا بزخارف الهذيان
وأريتني البدع المضلة كيف يلقيها مزخرفة إلى الإنسان
شيطانة فيظل ينقشها له نقش المشبه صورة بدهان

فيظنها المغرور حقا وهي في ... التحقيق مثل اللآلِ في القيعان
لأجاهدن عداك ما أبقيتني ... ولأجعلن قتالهم ديداني
ولأفضحنهم على رؤوس الملا ... ولأفرين أديمهم بلساني
ولأكشفن سرائر خفيت على ... ضعفاء خلقك منهم ببيان
ولأتبعنهم إلى حيث انتهوا ... حتى يقال أبعد عبّادان
ولأرجمنهم بأعلام الهدى ... رجم المريد بثاقب الشهبان
ولأقعدن لهم مراصد كيدهم ... ولأحصرنهم بكل مكان
ولأجعلن لحومهم ودماءهم ... في يوم نصرك أعظم القربان
ولأحملن عليهم بعساكر ... ليست تفر إذا التقى الزحفان
بعساكر الوحيين والفطرات ... بالمعقول والمنقول بالإحسان
حتى يبين لمن له عقل من الأولى ... بحكم العقل والبرهان
ولأنصحن الله ثم رسوله ... وكتابه وشرائع الإيمان
إن شاء ربي ذا يكون بحوله ... أو لم يشأ فالأمر للرحمن

وأنا بحمد الله على هذه العهود، وما ازددت بحمد الله إلا بصيرة مني اليوم، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثاً طويلاً، فكان فيما حدثنا به أن قال: ((يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس، فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا. قال: فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن. قال: فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه)). [رواه البخاري (٧١٣٢-١٨٨٢) ومسلم (٢٩٣٨)].

وعن أبي سعيد أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يخرج الدجال فيتوجه قِبَلَه رجل من المؤمنين، فتلقاه المسالح، مسالح الدجال، فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول أعمد إلى

هذا الذي خرج، قال: فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء. فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدا دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ، قال: فيأمر الدجال به فيشبح، فيقول: خذوه وشجوه، فيوسع ظهره وبطنه ضربا، قال: فيقول أو ما تؤمن بي؟ قال: فيقول أنت المسيح الكذاب، قال: فيؤمر به فيؤشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه، قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم، فيستوي قائما، قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، قال: ثم يقول: يا أيها الناس، إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس. قال: فيأخذه الدجال ليذبحه، فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسا فلا يستطيع إليه سبيلا. قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما ألقي في الجنة. فقال رسول الله ﷺ: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين)). [رواه مسلم (٢٩٣٨)].

وقد سافرت إلى أفغانستان طلباً للموت مظانه وابتغاءً للشهادة في سبيل الله، فقدر الله من الأقدار ما جعلني أعود إلى جزيرة العرب ثم يقع ما يقع من أحداث واحتلال للعراق وما تلاه، فابتغيت القتل والموت مظانه، وبذلت جهدي في خدمة المجاهدين في سبيله والدفاع عنهم بما أستطيع والعيش معهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من خير معاش الناس لهم رجل يمسك عنان فرسه في سبيل الله، يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار على متنه يبتغي القتل والموت مظانه، ورجل في غنيمة في رأس شعفة من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلا في خير)). [رواه مسلم (١٨٨٩)].

ثم قدر الله لي ألا تأتيني الشهادة مع إخوتي وأحبتي، وأن يمد في عمري إلى الآن، فكان اعتقالي كل هذه السنين التسع، فأن تأتيني الشهادة على أيديكم وبقضائكم فأرجو أن يكون ذلك أعظم أجراً، وقد وطنت نفسي على ذلك واستبسلت للموت، وآمل أن أكون ممن

هانت عليهم أنفسهم في ذات الله، وأن يسيل دمي ليروي كتبي؛ فتبقى حية داعية إلى الجهاد والاستشهاد.

وكما قال الشاعر:

وتـقُـولُ لي إنَّ الحَـيـاةَ لِـغـايَـةٍ ... أَسْمَى مِنَ التَّصْـفيقِ للطُّغْيـانِ
أَنْفاسُـكَ الحرَّى وَإِنْ هِيَ أُخمِدَتْ ... سَـتَظَـلُّ تَعْمُرُ أُفْقَهُمْ بِـدُخـانِ
وقُروحُ جِسْمِكَ وَهُوَ تَحْتَ سِياطِهِمْ ... قَسَـمـاتُ صُـبْحٍ يَتَّقِيـهِ الْجَـانِي
دَمْعُ السَّـجينِ هُنـاكَ في أَغْلالِـهِ ... وَدَمُ الشَّـهيـدِ هُنَـا سَـيَلْتَقِيـانِ
حَتَّى إذا مـا أُفْعِمَـتْ بِهِمـا الرُّبا ... لم يَـبْـقَ غَـيْرُ تَمَـرُّدِ الـفَـيَضـانِ
ومَنِ الْعَواصِـفِ مَـا يَكُونُ هُبُوبُهَا ... بَـعْـدَ الْهُـدوءِ وَرَاحَـةِ الـرُّبَّانِ
إِنَّ اْحْتِـدامَ النَّـارِ في جَوْفِ الثَّرى ... أَمْـرٌ يُـثـيرُ حَـفِـيـظَـةَ الْـبُرْكَـانِ
وتـتـابُعُ الـقَـطَراتِ يَـنْزِلُ بَـعْـدَهُ ... سَـيْـلٌ يَليـهِ تَـدَفُّقُ الطُّوفـانِ
فَـيَـمُـوجُ يـقـتـلِعُ الـطُّغـاةَ مُـزَمْجِراً ... أقْوى مِنَ الْجَبَرُوتِ وَالسُّـلْطـانِ
أَنا لَسـتُ أَدْري هَلْ سَـتُذْكَرُ قِصَّـتي ... أَمْ سَـوْفَ يَعْرُوها دُجَى النِّسْـيانِ؟
أَمْ أَنَّـني سَـأَكـونُ في تاريخِنـا ... مُـتـآمِـراً أَمْ هَـادِمَ الأَوْثانِ؟
كُـلُّ الَّـذي أَدْرِيـهِ أَنَّ تَجَـرُّعـي ... كَـأْسَ الْمَـذَلَّـةِ لَيْسَ في إِمْكـاني
لَـوْ لَمْ أَكُـنْ في ثَـوْرَتي مُـتَـطَـلِّبـاً ... غَـيْرَ الضِّـيـاءِ لأُمَّـتي لَـكَـفـاني
أَهْوَى الْحَيـاةَ كَـريمَـةً لا قَـيْـدَ لا ... إِرْهابَ لا اْسْـتِخْفافَ بِالإِنْسـانِ
فَإذا سَـقَطْتُ سَـقَطْتُ أَحْمِلُ عِزَّتي ... يَـغْـلـي دَمُ الأَحْـرارِ في شِـريانِي
حتى إذا انْتَصَـرَ الضِّـياءُ وَمُزِّقَتْ ... بَيَـدِ الْجُموعِ شَـريعـةُ الْقُرْصـانِ
فَـلَسَـوْفَ يَـذْكُرُني وَيُكْبِرُ هِمَّتي ... مَنْ كـانَ في بَلَـدي حَليفَ هَوانِ
وَإِلـى لِـقـاءٍ تَـحْـتَ ظِلِّ عَدالَةٍ ... قُـدْسِـيَّةِ الأَحْكـامِ والـمِـيـزانِ

وإن قضيتم بسجني المؤبد أو المؤقت؛ فسجني عبادة وانطلاقة كبرى مع العلم والحفظ للقرآن والسنة والآثار والنظم والشعر، والقراءة والسير في الأرض عبر قراءة تاريخ الأمم والشعوب والجماعات والأفراد، والتفكير في سنن الله في الكون، وأرجو مع ذلك أجر المجاهدين في سبيل الله في ثغور المسلمين كافة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: رجعنا من غزاة تبوك مع النبي ﷺ فقال: ((إن أقواماً خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا حبسهم العذر)) [رواه البخاري (٢٨٣٨)].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة، فقال: ((إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم. قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة؛ حبسهم العذر)). [رواه البخاري (٤٤٢٣)].

وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لقد تركتم بالمدينة رجالاً ما سرتم في مسير، ولا أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم وادياً، إلا كانوا معكم فيه. قالوا: يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟ قال: حبسهم العذر)) [(١)].

وعن جابر رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة، فقال رسول الله ﷺ: ((إن بالمدينة رجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم؛ حبسهم المرض)) [رواه مسلم (١٩١١)].

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح: "وفيه أن المرء يبلغ بنيته أجر العامل إذا منعه العذر عن العمل". انتهى كلامه.

[(١)] رواه أحمد (١٢٦٢٩،١٣٢٣٧) وأبو داود (٢٥٠٨) ولفظه: ((لقد تركتم بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً)) وإسناده صحيح على شرط مسلم.

وأنا يمنعني العذر من أن أكون مع إخوتي المسلمين المجاهدين في مسيرهم وإنفاقهم وقطعهم للأودية وصعودهم في الجبال وتحملهم الشدائد والأهوال وصبرهم ومصابرتهم ومرابطتهم، وأقول ما قاله الشاعر:

بجهادٍ معبّرٍ عن خلودي ... فخلودي من السماكين أعلى
فيه قوتي وفيه انطلاقي ... روّع العالمين قولاً وفعلاً
وسلوا الكفر إن جهلتم ففيهم ... من يجيد الجواب فرضاً ونفلاً
حين أصليتهم لظى نار حربٍ ... تركتهم ما بين جرحى وقتلى
لا لأرض تحكموا في ثراها ... أو لمالٍ تهوروا فيه كلا
هكذا مبدئي وهذا سلوكي ... مذ بباري الوجود علقت حبلا
لا أبالي طغيان كفرٍ جحودٍ ... وانخذال الجبان حين تولى
عن جهادي وعاش خلاً وفياً ... لعدوي يهاب في الحق بذلا
يا جهادي هيمان أن أتخلى عنك ... نهجاً فكم أرى لك فضلا
أنت روح الإسلام فيك بقاه ... شامخ بالخلود هيهات يبلى
لو صدقناك ما رأينا انتكاساً ... شانئاً جرع الملايين ذلا
يشرف العز والعدالة في الأرض ... إذا قدت جمعنا مستقلا
وإذا غبت واجهتنا خطوب ... كم بأخطار هولها اليوم نصلى
نحن في الساح لا نقر لطاغ ... أي حق يرومه مستغلا
نحن في الساح لا نفوض إلا ... قوة الله فهو بالحق أولى

وأقول ما قال الله لنبيه ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨]، فسأصبر نفسي مع المسلمين المجاهدين، وسأقف معهم ولن أخذلهم، ولن أطعن عليهم، ولن أطردهم ولن أقول لن يؤتيهم الله خيراً.

وأقول ما قاله نبي الله نوح كما قال الله عنه: ﴿وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ۝ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [هود:٢٩-٣١].
وكما قال الله عنه أيضاً: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: ١١٤-١١٥].

فإن كان مقامي على هذا وتمسكي به وعدم رجوعي عنه سيبقيني في السجن؛ فاعلموا أني أقول ما قال الله عن يوسف: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]. وأقول: (وإلا تصرف عني كيدهم أصبُ إليهم وأكن من الجاهلين).

وقد استجاب الله ليوسف حيث قال: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤].

وأقول ما قاله نبي الله نوح – عليه الصلاة والسلام – حيث قال الله عنه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [سورة يونس: ٧١].

وما قاله نبي الله هود – عليه الصلاة والسلام – حيث قال الله عنه: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤-٥٦].

وما قاله نبينا محمد ﷺ حيث قاله الله عنه: ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ۝ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٥-١٩٦].

وأعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الأمر لله من قبل ومن بعد، إن شاء وقدر أن أُقتل فسوف أُقتل لأن الله شاءه وقدره، وإن لم يشأ ذلك ولم يقدره فحتى لو حكمتم بقتلي فلن أُقتل لأن الله لم يشأ ذلك ولم يقدره، وإن شاء أن أسجن ويستمر سجني فسأسجن لأن الله شاء ذلك وقدره، وإن شاء أن أخرج من السجن فسأخرج لأن الله شاءه وقدره حتى لو حكمتم بسجني مدى الحياة، فعن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يوماً، فقال له رسول الله ﷺ: ((يا غلام إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف))[رواه أحمد (٢٦٦٩) والترمذي (٢٥١٦) وقال: (حسن صحيح) وإسناده قوي].

وأقول لمن يحاكمني ما قاله الشاعر:

هات القساوس والشيوخ جميعهم ... هات اليهود وبينهم حاخام
هات القوانين التي نزلت على ... موسى وعيسى والرسول إمام
واعقد محاكمتي علانية وقل ... هذا المواطن مفسد هدام
وأقم لدعواك الدليل ولن ترى ... بصحائفي يوماً عليّ قتام
الخير فيّ وفي الفؤاد محبّةٌ ... للمسلمين وللجميع سلام
والحق ديني والعدالة مذهبي ... وعقيدتي وشريعتي الإسلام
أيُّ انحراف في القيام بواجباتي ... مخلصاً ومن الضمير جمام
أيُّ انحراف والبطولات التي ... قمنا بها هي للشعوب مرام
كم كنت أسهرُ والنجوم تطوعاً ... أبني وأبني والكثير نيام

والله إفكٌ ما تقول وتدعي ... عني وهذي كلها أوهام
أنا لست منحرفاً ولست بخائن ... أبداً ولي بدل السهام وسام
أنا مقتد بمحمدٍ والمقتدون ... به خيار كلهم وكرام

وأقول أيضًا لمن يحاكمني:

بأني وجدت أعلاماً وأئمة ودعاة من أعلام وأئمة ودعاة المسلمين في تاريخنا الطويل قد سجنوا وقتلوا في قضايا وأمور فرعية واجتهادية وجزئية، فصبروا وثبتوا وما رجعوا عن حق علموه؛ فكيف لا أصبر ولا أثبت ولا أرجع وخلافي مع أعدائي في قضايا وأمور أصلية وقطعية وكلية من أصول وقطعيات وكليات شريعة الإسلام!

وإذا كان أهل الباطل والكفر والفجور والمعاصي صبروا على باطلهم كما قال الله تعالى: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٦]، وكما قال الله جل جلاله: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٢]. وكما نرى في الواقع كيف يصبر كثير من الكفار والفجار على السجون وآلامها مع كفرهم وانحرافهم، أفلا يليق بأهل الحق والإيمان أن يصبروا ويثبتوا وقد وعدهم الله الأجر الكبير والحسن والنصر في الدنيا والآخرة، كما جاء ذلك في آيات كثيرة وأحاديث صحيحة، وكما هي سنة الله التي لا تتبدل بأن الدعوات لا تهزم وإن طغى الطاغوت وبغى الباغون.

يقول الشاعر:

وظننت دعوتنا تموت بضربة ... خابت ظنونك فهي شر ظنون
بليت سياطك والعزائم لم تزل ... منا كحد الصارم المسنون
إنا لعمري إن صمتنا برهةً ... فالنار في البركان ذات كمون
تالله ما الطغيان يهزم دعوةً ... أبداً وفي التاريخ بر يميني

ضـــع في يديّ القيد ألهب أضـــلعي بالسـوط ضـع عنقي على السـكيني
لن تسـتطيع حصـار فكري سـاعة أو نـزع إيمـاني ونـور يـقـيـني
فـالنور في قلبي وقلبي في يـدي ربي وربي ناصـــري ومـعـيـني
ســأعيش معتصـــماً بحبل عقيدتي وأموت مبتســـماً ليحيـا ديني

وكما قال ابن القيم – رحمه الله – في الكافية الشافية:

هـذي ســبيلكم وتلـك ســبيلنـا والمـوعـد الـرحمـن بـعـد زمـان
وهنـاك يُعلم أي حزبينـا على الحق الصـــريح وفطرة الـديان
فـاصـــبر قليلاً إنمـا هي ســـاعـة فإذا أُصـــبت ففي رضـــا الرحمن
فـالقوم مثلـك يألمون ويصـــبرون وصـــبرهم في طـاعـة الشـــيطـان

وإني بحمد الله ماضٍ في طريقي حتى النصر أو الشهادة، وكما قال الله: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢]، وصابر صبر الكرام، وأعلم أن الفرج مع الصبر وأن مع العسر يسراً.

يقول ابن القيم – رحمه الله – في عدة الصابرين (٤٩): "قال بعض العقلاء: "من لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم"، أما اللئيم فإنه يصبر اضطراراً، فإنه يحوم حول ساحة الجزع فلا يراها تجدي عليه شيئاً فيصبر صبر الموثق للضرب، وأيضاً فالكريم يصبر في طاعة الرحمن واللئيم يصبر في طاعة الشيطان، فاللئام أصبر الناس في طاعة أهوائهم وشهواتهم وأقل الناس صبراً في طاعة ربهم، فيصبر على البذل في طاعة الشيطان أتم الصبر ولا يصبر على البذل في طاعة الله في يُسر شيء، ويصبر على تحمل المشاق لهوى نفسه في مرضاة عدوه ولا يصبر على أدنى المشاق في مرضاة ربه، ويصبر على ما يقال في عرضه في المعصية ولا يصبر على ما يقال في عرضه إذا أوذي في الله، بل يفر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خشية أن يُتكلم في عرضه في ذات الله، ويبذل عرضه في هوى نفسه ومرضاته صابراً على

ما يقال فيه، وكذلك يصبر على التبذل بنفسه وجاهه في هوى نفسه ومراده، ولا يصبر على التبذل لله في مرضاته وطاعته، فهو أصبر شيء على التبذل في طاعة الشيطان ومراد النفس وأعجز شيء عن الصبر على ذلك في الله؛ وهذا أعظم اللؤم، ولا يكون صاحبه كريماً عند الله، ولا يقوم مع أهل الكرم إذا نودي بهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ليعلم أهل الجمع من أولى بالكرم اليوم، أين المتقون". انتهى كلامه.

وليعلم من يحاكمني: بأني ما ندمت على حرف كتبته إلا أني كنت أتمنى أن يكون خرج بأفضل مما هو عليه الآن وكما قال الشاعر:

وكري على قمم الشـــوامخ عـالي ... والمـوت أطيـب لي مـن الأغـلال
حر نســيج مشـــاعري من عزةٍ ... قَعْسَـــاء والطهر المقـدس حـالي
فـالله ربي قـد أضـــاء بـنـوره ... عـمري وأوقـد بالســمو خيـالي
فمزجـت أنفـاســي بعطر كتـابـه ... ورويـت مــن آياتــه أوصـــالي
ووهبتــه روحي ولســـت بنـادم ... وجعلـت في مرضـــاتــه أعمـالي
فجنيـت أســرار الحيـاة نـديـةً ... وطفقـت أنثرهـا على الأجيـال
دربي لهيـب معـامع مســعورةٍ ... مشـــبـوبـة الآلام والآمـال
دربٌ يمـر الـلـيـثُ مـذعـوراً بـه ... وتـفـر مـنـه جـوارح الأدغـال
دربٌ يمـر الـلـيـثُ مـذعـوراً بـه ... وتـفـر مـنـه جـوارح الأدغـال
إني لأعرف أين أمضـــي والمـدى ... داج ومـكـر الـعـالمـين حـيـالي
وزوابع الإرهــاب تصـــفع جبهتي ... ونـزيـف أحـلامـي يـبـل رحـالي
لـكـن إيمـاني أجـلّ بخـالـقـي ... ولـذا أغـذ الســير غير مبـال
فـإذا هَـوَيْـتُ هـويْـتُ دون إرادة ... منّي هُـويّ النســر في الأجبـال

فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا، والموعد عند الله، وعند الله تجتمع الخصوم، وهناك نخاصمك في محكمة شعارها (لا ظلم اليوم)، وأما اليوم فلا استكانة للطغاة

والصنائع، ولا نكوص على الأعقاب، ولا التفات إلى الوراء، ولا انحناء للأعداء، وليعلم من يأتي بعدنا من أجيال أنه مات في هذا الشأن رجال وأبوا أن يعطوا الدنية في دينهم.

وأقول ما قاله الشاعر:

لا لا وربي إني لن أستكين
لن أستكين وفي الكنانة أنفس تهوى الردى
أبدا تثور على المظالم كاللظى لن تخمدا
كانت وما زالت ببذل الروح رمزًا للفدا
لن يستكين المؤمنون فلا ولن.. لن أستكين

لن أستكين لغير رب العالمين

لن أستكين وقلبي ظام للمنون
لا الخطب يجزعه كلا ولا محن السنين
أنا أعشق الهيجاء أهوى الثائرين المؤمنين
غار يكلل جبهتي أختال مرفوع الجبين

لن أستكين لغير رب العالمين

سأسير للحرب العوان لساحة الشرف المصون
سأثور أسخر من حِمام أو لظى جرح ثخين
لأعود من ساح الوغى يحدوني النصر المبين
إذ ذاك أصرخ من صميمي واثقًا كلي يقين

لن أستكين لغير رب العالمين

وما قاله آخر:

أنا لَـنْ أَلـينَ ولـن أخـون ولـن أغـادرَ ركـبـهـا
أنا لـن أهـادنَ مَـنْ بـغـوا يـومـاً عـلـى أبـرارهـا
سـأظـل ناراً يحـرقُ الأشـرار حـرّ لهـيـبـهـا
سـأظـل حـرباً تسـحـقُ الـفـجـار في أرجـائـهـا

وليعلم من يحاكمني:

بأن دمي سيسيل جمراً وبركاناً يحرقُ الطغاة والصنائع، ولهيباً يؤجج معاقل الضلال والانحلال والاحتلال، ونوراً يُشرق لأهل الهدى والإيمان.

وكما قال الشاعر:

أشـعلتُهـا من دمي جمرًا وبركـانا أججتهـا من شـرارِ القلـبِ نيرانا
صـحَّابةً يُفعمُ الإشـراقُ صـرختَها يلوحُ في قلبِهـا البسَّـامِ فتَّـانا
فلا لشـرقٍ ولا غربٍ نُطـأطئُهـا بلْ ترفضُ الجبهةُ الشـمَّاءُ إذعانا
إن البطولـةَ صـاغتهـا عزائمنـا فـجـرًا نـيرًا وتحـريـرًا وإيمـانًا
يؤجَّجُ النـارَ في أعمـاقِ إخوتنـا ويُزهِقُ البـاطـل المـدحورَ مُـذ كـانا
لا أمس يعرفنا الروادُ مُذ سـطعتْ أشـعـة الوحي في آفـاقِ دنيـانا
هـديُ الرسـولِ رسـولِ الله لقَّننا أن الهزيمةَ ليسـتْ من سـجايانا
فبُـورِكَ الـدمُ روَّى قُـرْبَ مُـعـترَكٍ أرواحنـا في لـظـاهُ من عـطـايانا
جُنْـدُ العقيـدةِ يمضـي ركْبُنا قُدُمًا فـلا يُخـلِّـفُ طـاغـوتًا وأوثانا
نُحـرِّرُ الأرض مـن أغـلالِ تجـزئـةٍ تُمـزِّقُ الـدارَ أقـطـارًا وأوطـانا
نُحرِّرُ الـفـكـرَ من أغـلالِ مـهـزلـةٍ وردَّةٍ مـا لهـا إلا سـرايانا
نُحكِّمُ الشـرعَ منهـاجًـا لأُمَّتنـا ونحمـلُ المِشـعـلَ الوقَّـادَ فُرقـانا
منهـاجُنا قلعـةٌ بالقلـبِ نحرسُـهـا وبالـدمـاءِ لهـا أغلى ضـحـايانا
تأبى عقيـدتُنـا.. تأبى شـريعتُنـا أنْ يُصـبحَ النـاسُ أذيالاً وقُطعـانا

وأخيراً:

أقول ما قاله ابن تيمية – رحمه الله –: "ما يصنع أعدائي بي، أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي، لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة".

وبما قاله أيضاً وهو في سجن القلعة: "لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير ونحو هذا".

وأقول: (إني في انطلاقة كبرى ومن أسروني هم الأسرى).

وكما قال ابن هشام: "وحدثني بعض أهل العلم: أنه قال – أي ابن عمر–: يا أبت، من الرجل الذي زجر القوم عنك يوم أسلمت وهم يقاتلونك – جزاه الله خيراً –؟ قال – عمر بن الخطاب –: يا بني، ذاك العاص بن وائل لا جزاه الله خيراً". انتهى.

وأنا أقول: لا جزاهم الله خيراً.

وأقول:

حقرت السجنَ والسّجانَ والتعذيب والعهرا
ولستُ أهابُ طاغيةً إذا ما شرّه اشترى
لأن رسالةَ الرحمن قد زدنا بها قدرا
أنا في السجن منطلقٌ وهم في غيهم أسرى
فلا يأسٌ ولا ألمٌ برغم المحنة الكبرى

وأبتهل إلى الله: (يا عدتي عند كربتي، ويا صاحبي عند شدتي، ويا ولي نعمتي، ويا إلهي وإله آبائي، أعني ولا تعن عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ، وامكر لي ولا تمكر عليّ، واهدني ويسّر الهدى لي، وانصرني على من بغى عليّ).

وأبتهل إلى الله بما ابتهل به ابن القيم – رحمه الله – في آخر فصل من الكافية الشافية الذي هو بعنوان (فصل في توجه أهل السنة إلى رب العالمين أن ينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين) فقال:

بحياة وجهك خير مسؤول به ... وبنور وجهك يا عظيم الشان
وبحق نعمتك التي أوليتها ... من غير ما عوض ولا أثمان
وبحق رحمتك التي وسعت جميع الـ ... ـخلق محسنهم كذاك الجاني
وبحق أسماء لك الحسنى معا ... نيها نعوت المدح للرحمن
وبحق حمدك وهو حمد واسع الـ ... أكوان بل أضعاف ذي الأكوان
وبأنك الله الإله الحق معـ ... ـبود الورى متقدس عن ثان
بل كل معبود سواك فباطل ... من دون عرشك للثرى التحتاني
وبك المعاذ ولا ملاذ سواك أنـ ... ـت غياث كل ملدد لهفان
من ذاك للمضطر يسمعه سوا ... ك يجيب دعوته مع العصيان
إنّا توجهنا إليك لحاجة ... ترضيك طالبها أحق معان
فاجعل قضاها بعض أنعمك التي ... سبغت علينا منك كل زمان
انصر كتابك والرسول ودينك الـ ... ـعالي الذي أنزلت بالبرهان
واخترته ديناً لنفسك واصطفيـ ... ـت مقيمه من أمة الإنسان
ورضيته ديناً لمن ترضاه من ... هذا الورى هو قيم الأديان
وأقر عين رسولك المبعوث بالـ ... ـدين الحنيف بنصره المتدان
وانصره بالنصر العزيز كمثل ما ... قد كنت تنصره بكل زمان

يا رب وانصـــر خير حزبينـا على حزب الضـلال وعسـكر الشـيطان
يا رب واجعل شـــر حزبينا فدى لخـيـارهـم ولـعســـكـر الـقـرآن
يا رب واجعل حزبك المنصـــور أهـ ـــل تراحـــم وتواصـــل وتـــدان
يا رب وارحمهم من البدع التي قـد أحـدثـت في الـدين كـل زمـان
يا رب جنبهم طرائقها التي تفضـــي بســـالكهـا إلى النيران
يا رب واهـدهم بنور الوحي كي يصـــلوا إليـك فيظفروا بجنـان
يا رب كـن لهـم ولـيـاً ناصـــراً واحـفـظـهـم مـن فـتـنـة الـفـتـان
وانصـــرهم يا رب بالحق الـذي أنـزلـتـه يا مـنـزل الـقـرآن
يا رب قـد عـادوا لأجلـك كـل هـذا الخلق إلا صـــادق الإيمـان
قـد فـارقوهم فيـك أحوج مـا هم دنيـا إليـهـم في رضـــا الـرحمن
ورضـــوا ولايتـك التي من نالها نال الأمـــان ونال كـــل أمـــاني
ورضـــوا بوحيك من ســـواه وما ار تضـــوا بســـواه من آراء ذي الهذيان
يا رب ثبتهم على الإيمـان واجـ ـعلهم هـــداة التائـــه الحيـــران
وانصـر على حزب النفاة عساكر الـ إثـبـات أهـل الحـق والـعـرفـان
وأقم لأهـل الســـنـة النبويـة الـ أنصـــار وانصـــرهم بكـل زمـان
واجـعـلـهـم لـلـمـتـقـين أئـمـة وارزقـهـم صـــبراً مـع الإيـقـان
تهـدي بأمرك لا بمـا قـد أحـدثوا ودعـوا إلـيـه الـنـاس بالـعـدوان
وأعـزهـم بالحـق وانصـــرهـم بـه نصـــراً عزيزاً أنـت ذو الســـلطان
واغفر ذنوبهم وأصـــلح شـــأنهم فـلأنـت أهـل الـعـفـو والـغـفـران
ولـك المحـامـد كلهـا حمـداً كمـا يرضـــيـك لا يفنى على الأزمـان
ملء الســـماوات العلى والأرض والـ ـــموجود بعد ومنتهـــى الإمكـــان
ممـا تشـــاء وراء ذلـك كـلـه حمـداً بـغـير نهـايـة بـزمـان

وعلى رسولك أفضل الصلوات والت ـــسليم منك وأكمـــل الرضـــوان
وعلى صـــحـابتـه جميعـاً والألى تبعوهم من بعـد بالإحســـان

انتهى[1].

[1] قال الشيخ فارس آل شويل -تقبله الله- في رسالته (مشاعر أسير تجاه أولاده): "وكذلك من أخرجني للمحكمة والمحاكمة هو كعنز السوء، فقد مكنني مما كان مستحيلاً بالنسبة لمن هو في مثل حالي ومكاني، فرددت عليهم في أكثر من أربعمائة صفحة وسميتها (الجواب المسدد لمن بدل دين الرسول محمد ﷺ عائلة آل سعود الضالة: خيانة شرع وخداع شعب وإذلال أمة)، فكم كنت أتمنى الرد على أكاذيبهم وافتراءاتهم ومزاعمهم ودعاويهم منذ سجني، ولكن لا حيلة؛ فلا أوراق ولا أقلام، والتفتيش في الطريق دخولاً وخروجاً، وبعد تسليمي للرد إلى محكمتهم الجاهلية سربه من موظفينهم إلى العالم، فالحمد لله الذي كاد لي".

الكتب

سلسلة

العلاقات الدولية في الإسلام

الحلقة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي خلق خلقه أطواراً، وصرفهم في أطوار التخليق كيف شاء عزة واقتداراً، وأرسل الرسل إلى المكلفين إعذاراً منه وإنذاراً، فأتم بهم على من اتبع سبيلهم نعمته السابغة، وأقام بهم على من خالف مناهجهم حجته البالغة، فنصب الدليل، وأنار السبيل، وأزاح العلل، وقطع المعاذير، وأقام الحجة، وأوضح المحجة، وقال: ﴿هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾، وهؤلاء رسلي ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فعمهم بالدعوة على ألسنة رسله حجة منه وعدلاً، وخص بالهداية من شاء منهم نعمة وفضلاً، فقيل: نعمة الهداية من سبقت له سابقة السعادة وتلقاها باليمين، وقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾، وردها من غلبت عليه الشقاوة ولم يرفع بها رأساً بين العالمين، فهذا فضله وعطاؤه ﴿وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾، ولا فضله بممنون، وهذا عدله وقضاؤه فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فسبحان من أفاض على عباده النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وأودع الكتاب الذي كتبه، إن رحمته تغلب غضبه، وتبارك من له في كل شيء على ربوبيته ووحدانيته وعلمه وحكمته أعدل شاهد، ولو لم يكن إلا أن فاضل بين عباده في مراتب الكمال حتى عدل الآلاف المؤلفة منهم بالرجل الواحد، ذلك ليعلم عباده أنه أنزل التوفيق منازله، ووضع الفضل مواضعه، وأنه ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء﴾ ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، أحمده والتوفيق للحمد من نعمه، وأشكره والشكر كفيل بالمزيد من فضله وكرمه وقسمه، وأستغفره وأتوب إليه من الذنوب التي توجب زوال نعمه وحلول نقمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كلمة قامت بها الأرض والسموات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة، ونصبت القبلة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وبها أمر الله سبحانه جميع العباد، فهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، ومفتاح عبوديته التي دعا الأمم على ألسن

رسله إليها، وهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وأساس الفرض والسنة، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه، وحجته على عباده، وأمينه على وحيه، أرسله رحمة للعالمين، وقدوة للعالمين، ومحجة للسالكين، وحجة على المعاندين، وحسرة على الكافرين، أرسله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وأنعم به على أهل الأرض نعمة لا يستطيعون لها شكوراً، فأمده بملائكته المقربين، وأيده بنصره وبالمؤمنين، وأنزل عليه كتابه المبين، الفارق بين الهدى والضلال والغي والرشاد والشك واليقين، فشرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، وأقسم بحياته في كتابه المبين، وقرن اسمه باسمه فإذا ذكر ذكر معه كما في الخطب والتشهد والتأذين، وافترض على العباد طاعته ومحبته والقيام بحقوقه، وسد الطرق كلها إليه وإلى جنته فلم يفتح لأحد إلا من طريقه، فهو الميزان الراجح الذي على أخلاقه وأقواله وأعماله توزن الأخلاق والأقوال والأعمال، والفرقان المبين الذي باتباعه يميز أهل الهدى من أهل الضلال، ولم يزل ﷺ مشمراً في ذات الله تعالى لا يرده عنه راد، صادعاً بأمره لا يصده عنه صاد، إلى أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق الجهاد، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألفت به القلوب بعد شتاتها، وامتلأت به الأرض نوراً وابتهاجاً، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فلما أكمل الله تعالى به الدين، وأتم به النعمة على عباده المؤمنين، استأثر به ونقله إلى الرفيق الأعلى، والمحل الأسنى، وقد ترك أمته على المحجة البيضاء، والطريق الواضحة الغراء، فصلى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله والصالحون من عباده عليه وآله كما وحد الله وعرف به ودعا إليه وسلم تسليما كثيراً.. أما بعد:

فيعجب طالب الحق في هذا العصر من الهزيمة الفكرية المعششة في نفوس كثيرٍ من المحسوبين على الفقه والدين؛ ويرى تلك الهزيمة في كتبهم ورسائلهم وأقوالهم حيث وصل الحال ببعضهم إلى إلغاء جهاد الطلب وقولهم بأن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم علاقة سِلم مُطلق، وكذلك انصياعهم للقانون الدولي وهيئة الأمم المتحدة -وغيرها من الشرائع

الطاغوتية- وقولهم بتعدد الأئمة[١] ورضوخهم لتقسيمات (سايكس بيكو) وغيرها من الأقوال التي غزت العالم الإسلامي بعد تدهور الخلافة العثمانية والتي اتجهت في نهاية عهدها إلى العلمنة بصورها المختلفة من تحكيم القوانين الوضعية وإزاحة الأحكام الشرعية ومنح السيادة للشعوب بدلاً من سيادة حكم الله تعالى ومعاملة الناس بناءً على المواطنة ونبذ الأخوة الإسلامية.

وخرجت أيضاً بعض الدعوات الخبيثة تحت شعار (سماحة الإسلام) وبدأت تنادي بالتسامح الديني ومقاربة الأديان وحوار الأديان وعُقد لذلك المؤتمرات والندوات وراجت المطبوعات لهذه الدعوات والتي يتولى كبرها بعض الرموز المحسوبة على الفقه والدين فوصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم من ذلٍّ وهزيمة، وتخلف وتشرذم وتشتت.

وسأحاول في هذه السلسلة أن أنبه إلى أهم المسائل التي تحتاج إلى إحياء وبعث في نفوس أمتنا معتمداً في ذلك على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بفهم الفقهاء المتقدمين من القرن الأول إلى القرن الثامن – إضافة إلى الشوكاني وبعض الصادعين بالحق من المتأخرين – مبتعداً عن فقهاء الهزيمة المعاصرين.

---

[١] يقول النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم (١٢/٢٢١ – ٢٢٢): "اتفق العلماء على أنه لا يجوز أن يعقد لخليفتين في عصر واحد، سواء اتسعت دار الإسلام أم لا".

المقصود بالعلاقات الدولية في الإسلام

حين بُعثَ النبي ﷺ وصدع بدعوته ووقفت قريشٌ في وجهه انقسم الخلق إلى مؤمن به وكافر، وكان لا بد من أرض يقيم فيها دين الله، فعرض نفسه على القبائل حتى تمَّ له الأمر مع الأنصار في المدينة النبوية – دار الهجرة –، وفرض الله تعالى على المؤمنين الهجرة من بين الكافرين فكانت نواة دولة الإسلام حين اجتمع المهاجرون والأنصار، وبقي فرض الهجرة إلى المدينة قائماً حتى فَتْحِ مكة، ثم بقيت فريضة الهجرة من بين ظهراني الكفار فعن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها)) رواه أحمد وأبو داود. وعن عبد الله بن السعدي أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تنقطع الهجرة ما قوتل العدو)) رواه أحمد والنسائي. وفي هذا دليل على أن الهجرة باقية ما بقيت المقاتلة للكفار وسنأتي على ذلك – بإذن الله –.

فتمايزت بذلك الدور وأصبح لكل دارٍ أحكامها التي تخصها بالنسبة لنا نحن المسلمين وقد ذكر ذلك فقهاء المسلمين تحت أبواب عدة وبمسميات مختلفة فذكرها بعضهم تحت أبواب الجهاد وبعضهم تحت أبواب السِّير والمغازي وبعضهم تحت أبواب السياسة الشرعية والخراج وبعضهم أفرد لها كتباً مستقلة والبعض الآخر تحدَّث عن قسمٍ منها في كتب منفردة.. وهكذا.. فتجد مثلاً الإمام محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله يعرض في كتابه (السيِّر) أبواب السيِّر في دار الحرب ويعقد كذلك أبواباً عن أحكام المرتدين والبغاة والخوارج، وهذا يدل على أن هناك أحكاماً تخصُّ علاقات دار الإسلام بدار الكفر وهناك أحكاماً داخل دار الإسلام تنتظم علاقة المسلمين – دولة الإسلام – بأهل الذمة، والمرتدين، والبغاة، والخوارج، وقطَّاع الطرق.. الخ.

قال السرخسي رحمه الله[١]: (اعلم أن السير جمع سيرة وبه سمي هذا الكتاب لأنه بين فيه سيرة المسلمين في المعاملة مع المشركين من أهل الحرب ومع أهل العهد منهم من المستأمنين وأهل الذمة ومع المرتدين الذين هم أخبث الكفار بالإنكار بعد الإقرار ومع أهل البغي الذين حالهم دون حال المشركين وإن كانوا جاهلين وفي التأويل مبطلين..).

وقال التهانوي رحمه الله[٢]: (السيرة: هي اسم من السيِّر ثم نقلت إلى الطريقة، ثم غلب في لسان الشرع على طريقة المسلمين في المعاملة مع الكافرين والباغين وغيرهما من المستأمنين والمرتدين وأهل الذمة.. وقد يُراد بها السُّنّة أو الطريقة في المعاملات، يُقال: سار أبو بكرٍ – بسيرة رسول الله ﷺ وسُمّيت المغازي سيراً، لأن أول أمورها السير إلى الغزو وأن المقصود بها في قولنا كتاب السِّير: سير الإمام ومعاملاته مع الغزاة والأنصار والكفار).

وقد عَرضَوا في ذلك حياةَ النبي ﷺ وجهادَهَ وحروبَه فتجدُ مثلاً هذه الألفاظ: غزوات، سرايا، بعوث، سفراء، دار الإسلام، دار الكفر، دار الهجرة، الصلح، العهد، أهل العهد، أهل الذمة، أهل الأمان، الجزية، الهجرة، الوفود، الرسائل إلى الملوك، الحرب، السِّلم، الردة، الأسرى، الغنائم، الأنفال... إلخ.

فدعوته ﷺ دعوة عالمية لابد أن تسود ولا بد أن تحكم، يقول تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ويقول تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ويقول: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.

---

[١] المبسوط (٢/١٠).

[٢] كشّاف اصطلاحات الفنون (١٧٠/٣ – ١٧١).

وعن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: ((أعطيتُ خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي: نُصرتُ بالرعبِ مَسيرةَ شهرٍ، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلّت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة)) متفق عليه.

فلا بد أن يحكمَ الإسلامُ حياةَ البشريةِ فلا يُترك فيه – أي الإسلام – كبير ولا صغير إلا وهو محل تطبيق، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ﴾ فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كله لله.

وانقسام الناس إلى فريقين سُنّة من سننِ الله القدرية في خلقه، فلا بد من وجود هذين الفريقين – المؤمنين والكفار – إلى أن تهبَّ الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين فلا يبقى إلا الكفار وحينها تقوم الساعة على شرار الخلق وذلك لتتحقق سُنة الابتلاء والاختبار، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾، وأخرج البخاري رحمه الله عن جابر بن عبد الله قال: "جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلاً، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: مَثَلُهُ كمثل رجل بنى داراً، وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أوّلوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد

ﷺ، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمد ﷺ فرَّق بين الناس"، وفي الحديث القدسي الذي أخرجه مسلمٌ عن عياض بن حمار المجاشعي؛ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: ((.. إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك.. وقاتل بمن أطاعك من عصاك..)).

الأدلة على تقسيم العالم إلى دارين

لم يختلف العلماء من السلف والخلف في تقسيم العالم إلى دارين دار إسلام، ودار كفر، وهذا التقسيم تقسيم أصيل مبنيٌ على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

فمن كتاب الله:

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِم﴾. قال ابن كثير رحمه الله[1]: (أي سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم).

وقال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ والإضافة – إضافة القرية والأرض إلى ضمير المتكلمين (نا) – (أرضنا، قريتنا) هي إضافة تملك، أي أرض الكافرين وقرية الكافرين وهذا يعني جريان أحكامهم عليها وتحكمهم فيها بالأمر والنهي والسلطان والنفوذ وهذه هي صفة دار الكفر كما سيأتي بإذن الله.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوَا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ وهذه الآيات الخاصة في

---

[1] تفسير القرآن العظيم (٤/٣٣٨).

الهجرة تدل على وجوب الهجرة كما سنفصل ذلك في المستقبل والهجرة إذا أطلقت في الكتاب والسنة فهي تعني الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام.

ويقول تعالى: ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ وغيرها من الآيات كثير.

وأما السنة:

فأخرج مسلم في صحيحه عن سليمان ابن بريدة، عن أبيه عن يزيد بن الحصيب الأسلمي قال: كان رسول الله إذا بعث أميراً على سرية أو جيش، أوصاه في خاصة نفسه، بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، وقال: ((اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال)، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم، إن فعلوا ذلك، فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم...)).

وفي رواية محمد بن الحسن الشيباني بلفظ: ((... وادعوهم إلى التحول إلى دار الإسلام...)).

وأخرج البخاري رحمه الله تحت (باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو) ومسلمٌ تحت (باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم)، عن عبد الله بن عمر قال: "نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو"، وعن عبد

الله بن عمر، عن رسول الله ﷺ: "أنه كان ينهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو".

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ: ((كلُ مسلمٍ على مسلمٍ محرم، أخوان نصيران، لا يقبل الله عز وجل من مُشركٍ بعدما أسلم عملاً أو يفارق المشركين إلى المسلمين)) رواه النسائي بإسناد حسن، وأحاديث الهجرة كلها تدل على تمايز الدارين كما مر في الأحاديث السابقة.

وأخرج البخاري عن عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله بن عباس أخبره أن عبد الرحمن بن عوف رجع إلى أهله وهو بمنى، في آخر حجة حجها عمر، فوجدني، فقال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، وإني أرى أن تمهل حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة والسلامة، وتخلص لأهل الفقه وأشراف الناس وذوي رأيهم، قال عمر: "لأقومنَّ في أول مقام أقومه بالمدينة"، وأخرج النسائي رحمه الله بإسناد صحيح عن جابر بن زيد قال: قال ابن عباس: "إن رسول الله، وأبا بكرٍ، وعمر كانوا من المهاجرين، لأنهم هجروا المشركين، وكان من الأنصار مهاجرون، لأن المدينة كانت دار شرك، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ ليلةَ العقبة".

وأخرج البخاري عن أبي هريرة في قصة هجرته قال: "لما قدِمتُ على النبي ﷺ قلت في الطريق:

يا ليلـةً من طولهـا وعَنَـائِهـا على أنهـا من دارةِ الكفر نَجَّـتِ

قال: وأبَق مني غلامٌ لي في الطريق، قال فلما قدمت على النبي ﷺ فبايعته، فبينا أنا عنده إذ طَلع الغلام، فقال لي رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة، هذا غلامك. فقلت: هو حُرٌّ لوجه الله، فأعتقته".

وعن سليمان بن بريدة أن عمر رضي الله عنه بعث سلمة بن قيس على جيشٍ فقال: "فإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم إلى ثلاث خصال: ادعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا فاختاروا دارهم فعليهم في أموالهم الزكاة.." [١].

ويدلُّ على ذلك ما في كتابِ الصُّلْحِ بين خالدِ بن الوليد وأَهلِ الْحِيرَةِ[٢]: "جعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام، فإن خرجوا إلى غير دار الهجرة ودار الإسلام فليس على المسلمين النفقة على عيالهم".

قال ابن تيمية رحمه الله ناقلاً كلام الهروي رحمه الله[٣]: (التوحيد الظاهر الجلي الذي نفى الشرك الأعظم وعليه نصبت القبلة وبه وجبت الذمة وبه حقنت الدماء والأموال وانفصلت دار الإسلام من دار الكفر وصحت به الملة للعامة) – قال ابن تيمية بعد ذلك – (أما التوحيد الأول الذي ذكره – أي الهروي – فهو التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب وبه بعث الله الأولين والآخرين من الرسل قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وقد أخبر الله تعالى عن كل من الرسل مثل نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم أنهم قالوا لقومهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ وهذا أول دعوة الرسل وآخرها، قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح المشهور: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني

---

[١] رواه أبو يوسف في الخراج (٢١٠).

[٢] رواه أبو يوسف في الخراج (١٥٥ – ١٥٦) وذكره أبو عبيد في كتاب الأموال (٩٨).

[٣] منهاج السنة النبوية (٣٤٣/٥ – ٣٤٧).

رسول الله، فإذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)) وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح أيضاً: ((من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة)) وقال: ((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)) والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه وتعليق النجاة والفلاح واقتضاء السعادة في الآخرة به).

فهذه النصوص تثبت أن هذا التقسيم – دار كفر ودار إسلام – ثابت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنقول عن الصحابة والتابعين ولا يخلو كتابٌ من كتبِ الفقه من هذا التقسيم وسترى ذلك فيما يأتي بإذن الله.

تعريف دار الإسلام ودار الكفر

الدَّارُ: الدال والواو والراء أصلٌ واحد يدلُّ على إِحْدَاقِ الشيءِ بالشيءِ مِنْ حَواليهِ يُقالُ: دَارَ يَدُورُ دَوَرَاناً والدارُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِلْعَرْصَةِ وَالْبِنَاءِ وَالْمَحَلَّةِ؛ فالمنزلُ المسكونُ تُسميه دَارَاً، اعتباراً بدورانها الذي لها بالحائط، وتُسمى البلدةُ دَاراً، وتُسمى الدنيا دَاراً والآخرة داراً باعتبارها مقراً لأهلها، وَكُلُّ مَوْضِعٍ حَلَّ بِهِ قَوْمٌ فَهُوَ دَارُهُمْ، والجمع: دِيَارٌ، ودُوْرٌ، وأَدْوُرٌ، ودِيَارَةٌ[١].

دار الإسلام: هي كلُّ بلدٍ أو بقعةٍ تعلوها أحكامُ الإسلام والغلبةُ والقوة والكلمةُ فيها للمسلمين وإن كان أكثر سكان هذه الدار من الكافرين.

ودار الكفر: هي كلُّ بلدٍ أو بقعةٍ تعلوها أحكامُ الكفر والغلبةُ والقوة والكلمةُ فيها للكافرين وإن كان أكثر سكان هذه الدار من المسلمين.

قال سليمان بن سحمان رحمه الله[٢]:

إذا ما تغلب كافر متغلب ... على دار إسلام وحل بها الوجل
وأجرى بها أحكام كفر علانيا ... وأظهرها فيها جهاراً بلا مهل
وأوهى بها أحكام شرع محمد ... ولم يظهر الإسلام فيها وينتحل
فذي دار كفر عند كل محقق ... كما قال أهل الدراية بالنحل
وما كل من فيها يقال بكفره ... فرب امرئ فيها على صالح العمل

---

[١] انظر معجم مقاييس اللغة (٣١١/٢)، ولسان العرب (٢٩٥/٤ -٣٠٠)، والقاموس المحيط (٢٢٩/٢ – ٢٣١)، والصحاح (٦٥٩/٢ -٦٦٠).

[٢] الموالاة والمعاداة (٥٢٢/٢) والشيخ سلمان بن سحمان هو أحد علماء نجد البارزين توفي سنة ١٣٤٩ هـ.

قال الكاساني رحمه الله[١]: (لا خلاف بين أصحابنا في أن دار الكفر تصير دار إسلام بظهور أحكام الإسلام فيها، واختلفوا في دار الإسلام، إنها بماذا تصير دار الكفر؟[٢] قال أبو حنيفة: إنها لا تصير دار الكفر إلا بثلاث شرائط، أحدها: ظهور أحكام الكفر فيها، والثاني: أن تكون متاخمة لدار الكفر، والثالث: أن لا يبقى فيها مسلم ولا ذمي آمنا بالأمان الأول، وهو أمان المسلمين. وقال أبو يوسف ومحمد – رحمهما الله: إنها تصير دار الكفر بظهور أحكام الكفر فيها).

وجاء في الفتاوى الهندية[٣]: (اعلم أن دار الحرب تصير دار الإسلام بشرط واحد، وهو إظهار حكم الإسلام فيها، قال محمد رحمه الله تعالى في الزيادات: إنما تصير دار الإسلام دار الحرب عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى بشروط ثلاثة أحدها: إجراء أحكام الكفار على سبيل الاشتهار وأن لا يحكم فيها بحكم الإسلام، والثاني: أن تكون متصلة بدار الحرب لا يتخلل بينهما بلد من بلاد الإسلام، والثالث: أن لا يبقى فيها مؤمن، ولا ذمي آمنا بأمانه الأول الذي كان ثابتا قبل استيلاء الكفار للمسلم بإسلامه وللذمي بعقد الذمة، وصورة المسألة على ثلاثة أوجه إما أن يغلب أهل الحرب على دار من دورنا أو ارتد أهل مصر وغلبوا وأجروا أحكام الكفر أو نقض أهل الذمة العهد، وتغلبوا على دارهم، ففي كل من هذه الصور لا تصير دار حرب إلا بثلاثة شروط، وقال أبو يوسف ومحمد – رحمهما الله تعالى – بشرط واحد لا غير، وهو إظهار أحكام الكفر، وهو القياس).

---

[١] بدائع الصنائع (١٣١/٧).

[٢] فالفقهاء إذًا أجمعوا على أن دار الكفر تصير دار إسلام بظهور أحكام الإسلام فيها، وإنما الخلاف حصل في دار الإسلام متى تصبح دار كفر، فجمهور الفقهاء على أنها تصير دار كفر بظهور أحكام الكفر فيها، وأبو حنيفة اشترط لذلك ثلاثة شروط كما سيتضح لك في ثنايا هذه الحلقة والتي تليها بإذن الله.

[٣] الفتاوى الهندية (٢٣٢/٢).

قال السرخسي رحمه الله[١]: (الحاصل أن عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى إنما تصير دارهم دار الحرب بثلاث شرائط: أحدها: أن تكون متاخمة أرض الترك ليس بينها وبين أرض الحرب دار للمسلمين، والثاني: أن لا يبقى فيها مسلم آمن بإيمانه، ولا ذمي آمن بأمانه، والثالث: أن يظهروا أحكام الشرك فيها، وعن أبي يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى إذا أظهروا أحكام الشرك فيها فقد صارت دارهم دار حرب؛ لأن البقعة إنما تنسب إلينا أو إليهم باعتبار القوة والغلبة، فكل موضع ظهر فيه حكم الشرك فالقوة في ذلك الموضع للمشركين فكانت دار حرب، وكل موضع كان الظاهر فيه حكم الإسلام فالقوة فيه للمسلمين).

ويقرر الكاساني رحمه الله حجة هذا القول بأن الأصل في تسمية الدار هو ظهور أحكام الإسلام أو أحكام الكفر فيقول[٢]: (وجه قولهما أن قولنا دار الإسلام ودار الكفر إضافة دار إلى الإسلام وإلى الكفر، وإنما تضاف الدار إلى الإسلام أو إلى الكفر لظهور الإسلام أو الكفر فيها، كما تسمى الجنة دار السلام، والنار دار البوار؛ لوجود السلامة في الجنة، والبوار في النار وظهور الإسلام والكفر بظهور أحكامهما، فإذا ظهر أحكام الكفر في دار فقد صارت دار كفر فصحت الإضافة، ولهذا صارت الدار دار الإسلام بظهور أحكام الإسلام فيها من غير شريطة أخرى، فكذا تصير دار الكفر بظهور أحكام الكفر فيها والله سبحانه وتعالى أعلم).

ولم يعتبر العلماء الشروط التي ذكرها أبو حنيفة كما ترى بل إن كبار أصحابه وتلامذته قد ردوا هذه الشروط كما سبق في كلام الكاساني والسرخسي رحمهم الله.

وقال السرخسي رحمه الله[٣]: (والدار تصير دار المسلمين بإجراء أحكام المسلمين).

---

[١] المبسوط (١١٤/١٠).

[٢] بدائع الصنائع (١٣١/٧).

[٣] شرح السير الكبير (٢١٩٧/٥).

وقال ابن القيم رحمه الله[١]: (قال الجمهور[٢] دار الإسلام هي التي نزلها المسلمون وجرت عليها أحكام الإسلام ومالم تجر عليه أحكام الإسلام لم يكن دار إسلام وإن لاصقها فهذه الطائف قريبة إلى مكة جداً ولم تصر دار إسلام بفتح مكة وكذلك الساحل..).

وقال ابن مفلح رحمه الله[٣]: (فصل في تحقيق دار الإسلام ودار الحرب فكلُّ دار غلب عليها أحكام المسلمين فدار الإسلام وإن غلب عليها أحكام الكفار فدار الكفر ولا دار لغيرهما..).

وقال القاضي أبو يعلى الحنبلي[٤]: (كلُّ دار كانت الغلبة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الإسلام فهي دار الكفر).

وقال المرداوي رحمه الله[٥]: (ودار الحرب: ما يغلب فيها حكم الكفر).

وقال الشوكاني رحمه الله[٦]: (الاعتبار – في الدار – بظهور الكلمة، فإن كانت الأوامر والنواهي في الدار لأهل الإسلام بحيث لا يستطيع من فيها من الكفار أن يتظاهر بكفره إلا لكونه مأذوناً له بذلك من أهل الإسلام فهذه دار إسلام، ولا يضر ظهور الخصال الكفرية

---

[١] أحكام أهل الذمة (١/٣٦٦).

[٢] حين يُقال الجمهور في التعريف فالقصد منه (المالكية والشافعية والحنابلة وكثير من الأحناف) لأن أبا حنيفة اشترط ثلاثة شروط لتحول دار الإسلام إلى دار كفر كما مر، وقد تبين مما مضى رد كبار أصحاب أبي حنيفة وتلامذته عليه كالقاضي أبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وبعدهم السرخسي والكاساني وغيرهم من الأحناف رحمهم الله أجمعين. فتنبه لذلك فهو مهم.

[٣] الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/١٩٠).

[٤] المعتمد في أصول الدين (٢٧٦).

[٥] الإنصاف (٤/١٢٢).

[٦] السيل الجرار (١/٥٧٦).

فيها لأنها لم تظهر بقوة الكفار، ولا بصولتهم كما هو مشاهد في أهل الذمة من اليهود والنصارى والمعاهدين الساكنين في المدائن الإسلامية، وإذا كان الأمر بالعكس، فالدار بالعكس).

وقال عبد الله أبو بطين[١]: (قالَ الأَصحاب: الدار داران؛ دار إسلامٍ ودار كفرٍ، فدارُ الإسلامِ: هَي التي تجري أحكام الإسلام فيها، وإن لم يكن أهلُها مسلمين، وغيرها دار كفرٍ).

وقال سيد قطب رحمه الله[٢]: (ينقسم العالم في نظر الإسلام وفي اعتبار المسلم إلى قسمين لا ثالث لهما:

الأول: دار إسلام، وتشمل كل بلد تطبق فيه أحكام الإسلام، وتحكمه شريعة الإسلام سواء كان أهله كلهم مسلمين، أو كان أهله مسلمين وذميين، أو كان أهله كلهم ذميين ولكن حكامه مسلمون يطبقون فيه أحكام الإسلام، ويحكمون بشريعة الإسلام.. فالمدار كله في اعتبارِ بلدٍ مَا دار إسلامٍ هو تطبيقه لأحكام الإسلام، وحكمه بشريعة الإسلام.

الثاني: دار حرب، وتشمل كل بلد لا تطبق فيه أحكام الإسلام، ولا يحكم بشريعة الإسلام، كائناً أهله ما كانوا، سواء قالوا: إنهم مسلمون، أو أنهم أهل كتاب أو أنهم كفار، فالمدار كله في اعتبارِ بلدٍ مَا دار حربٍ هو عدم تطبيقه لأحكام الإسلام، وعدم حكمه بشريعة الإسلام).

وقال رفاعي طه فك الله أسره[٣]: (دار الإسلام: هي الدار التي تقبل منهج الله عز وجل ديناً وسلوكاً وقانوناً وتشريعاً وسياسةً واقتصاداً، ويحكمها أئمة العدل لا الجور، وقد اختارتهم

---

[١] مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/٦٥٥).

[٢] في ظلال القرآن (٢/٨٧٤).

[٣] إماطة اللثام عن بعض أحكام ذروة سنام الإسلام (١٢١).

الأمة اختياراً صحيحاً بواسطة أهل الحل والعقد وهم الذين حازوا رضى الأمة من أهل العلم والرأي والصلاح وأصحاب الشوكة وغيرهم).

وقال أيضاً[١]: (إن الدور تأخذ حكم الأحكام التي تعلوها فإن علتها أحكام الكفار وصارت قوانينهم نافذة وهي التي تحكم البلاد والعباد صارت هذه البلاد دار حرب وكفر وإن كان أكثر أهلها من المسلمين ووجب على المسلمين استنقاذها ممن تغلَّب عليها من الكافرين وإن تسموا بأسماء المسلمين، وإن علت البلاد أحكام الإسلام وصارت قوانين الإسلام وتشريعاته نافذة وهي التي تحكم البلاد والعباد صارت هذه البلاد دار إسلام وإن كان أكثر أهلها من الكافرين ووجب على المسلمين حمايتها والدفاع عنها).

---

[١] إماطة اللثام عن بعض أحكام ذروة سنام الإسلام (١٢٨).

مناط الحكم على الدار

يمكن أن نخرج من خلال استقراء آراء العلماء السابقة في معنى دار الإسلام ودار الكفر بخلاصة جامعة في العلة التي بُني عليها تقسيم العالم إلى دارين فقد أصبح ظاهراً جلياً أن العلة هي ظهور الأحكام وغلبتها فإن كان الظهور والغلبة لأحكام الإسلام كانت البلاد دار إسلام وإن كان الظهور والغلبة لأحكام الكفر كانت البلاد دار كفر وحرب.

قال عبد القادر عبد العزيز فك الله أسره[1]: (مناط الحكم هو عِلّته، وسميت العلة مناطاً لأنها مكان نوطه أي تعليقه، وسميت عِلة لأنها أثرت في المحل كعِلّة المريض، فالعلة هي الوصف الذي عُلِّق عليه الحكم، فإذا وُجِدَ الوصف وُجِدَ الحكم وإلا فلا، وهذا هو معنى قول العلماء: "الحكم يدور مع عِلته وجوداً وعدماً").

وقد تضمنت أقوال العلماء ذِكر سببين للحكم على الدار:

الأول: (القوة والغلبة) كما قال أبو يوسف ومحمد بن الحسن: (لأن البقعة إنما تنسب إلينا أو إليهم باعتبار القوة والغلبة).

والسبب الثاني: (نوع الأحكام المطبقة فيها) كما ورد في كلام سائر من نقلنا عنهم وعند التحقيق فإن السببين يرجعان إلى شيء واحد هو مناط الحكم على الدار، ولا تناقض بين السببين؛ لأن الغلبة والأحكام قرينان، فلا يكون المتغلِّب متغلباً إلا إذا كان هو صاحب الأمر والنهي، فالأمر والنهي هما من أهم مظاهر الغلبة والسلطان، فالسلطان المسلم يطبق أحكام الإسلام وإلا لما كان مسلماً، والسلطان الكافر يطبق أحكام الكفر.

---

[1] الجامع في طلب العلم (٢/٦٤٢ – ٦٤٣) بتصرف.

وبهذا يكون مناط الحكم على الدار هو نوع الأحكام المطبقة فيها والتي تدل على من له الغلبة فيها، كما قال الصاحبان: (فكل موضع ظهر فيه حكم الشرك فالقوة في ذلك الموضع للمشركين فكانت دار حرب، وكل موضع كان الظاهر فيه حكم الإسلام فالقوة فيه للمسلمين).

ويلاحظ أن كون المناط: نوع الأحكام المطبقة في الدار، هو وصفٌ مناسب للتعليل، وذلك لأن الأحكام – لا الحاكم – هي التي تصبغ الدار بصبغتها، فأحكام الإسلام بما تأمر به وتنهى عنه تصبغ الدار بصبغة إسلامية، وأحكام الكفر بما تأمر به وتبيحه وبما تنهى عنه تصبغ الدار بصبغة الكفر من إباحة الردة والإلحاد وسب الدين والطعن فيه بلا رادع أو عقوبة، ومن إباحة الربا والزنا والخمر والتبرج والاختلاط، ومن عدم مؤاخذة تارك الصلاة والصيام والزكاة، ومن معاقبة من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر خاصة بيده، وشيوع هذا كله وغيره هو من صفات دار الكفر.

فالأحكام هي التي تصبغ الدار بصبغتها لا الحاكم الذي لو أراد شيئاً من ذلك فإنه لا يتمكن منه إلا بالأمر والنهي، وهذه هي الأحكام فهي إما أمر أو نهي أو إباحة، والحاكم ينفذ ذلك بشوكته.

ومن الأدلة على أن مناط الحكم على الدار: نوع الأحكام المعبرة عن أصحاب الغلبة فيها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ فكون المسلم المخاطب بالهجرة مستضعفاً في أرضٍ ما يدل على أن الغلبة فيها للكفار، ومثله قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾، فالإضافة في كلمة ﴿قَرْيَتِنَا﴾ هي إضافة نسبة وتملك، أي قرية الكافرين

المستكبرين، ويدل على تملكهم لها وغلبتهم عليها تهديدهم المؤمنين بالإخراج منها بما يعني أنهم أصحاب الأمر والنهي فيها، فدلَّ هذا على أن دار الكفر ما كانت الغلبة فيها للكفار وما كان الأمر والنهي فيها للكفار والأمر والنهي هما الأحكام وهما مظهر الغلبة والسلطان ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ ويقال فيها ما قيل في الآية السابقة فدل مجموع هذه الآيات على أن دار الكفر هي ما كانت الغلبة والأحكام فيها للكفار.

وقول رسول الله ﷺ - بعد فتح مكة -: ((لا هجرة بعد الفتح)) الحديث متفق عليه، وكانت الهجرة واجبة من مكة لأنها كانت دار كفر حتى الفتح، فصارت دار إسلام وسقط فرض الهجرة منها، والذي تغير بالفتح وتغيرت معه أحكام مكة هو تغير اليد الغالبة عليها من يد الكفار إلى يد المسلمين وما تبع ذلك من تغير الأحكام، فدلّ هذا على أن مناط الحكم على الدار هو اليد الغالبة عليها والأحكام تبع لها، فإن الكافر يحكم بأحكام الكفار والمسلم يحكم بأحكام الإسلام وإلا لكان كافراً.

وفي بيان هذا المناط قال ابن حزم رحمه الله[1]: (وقول رسول الله ﷺ: ((أنا بريء من كل مسلم أقام بين أظهر المشركين)) إنما عنى بذلك دار الحرب، وإلا فقد استعمل عليه السلام عماله على خيبر وهم كلهم يهود، وإذا كان أهل الذمة في مدائنهم لا يمازجهم غيرهم فلا يسمى الساكن فيهم لإمارة عليهم أو لتجارة بينهم كافراً ولا مسيئاً بل هو مسلم محسن، ودارهم دار إسلام لا دار شرك، لأن الدار إنما تنسب للغالب عليها والحاكم فيها والمالك لها).

---

[1] المحلى (١١/٢٠٠).

وقال حمد بن عتيق رحمه الله[١]: (وأما إذا كان الشرك فاشياً مثل دعاء الكعبة والمقام والحطيم، ودعاء الأنبياء والصالحين، وإفشاء توابع الشرك مثل الزنا والربا وأنواع الظلم ونبذ السنن وراء الظهر وفشو البدع والضلالات، وصار التحاكم إلى الأئمة الظلمة ونواب المشركين، وصارت الدعوة إلى غير القرآن والسنة، وصار هذا معلوماً في أي بلد كان، فلا يشك من له أدنى علم أن هذه البلاد محكوم عليها بأنها بلاد كفرٍ وشركٍ، لا سيما إذا كانوا معادين أهل التوحيد وساعين في إزالة دينهم وفي تخريب بلاد الإسلام، وإذا أردت إقامة الدليل على ذلك وجدت القرآن كله فيه، وقد أجمع عليه العلماء فهو معلومٌ بالضرورة عند كل عالم).

وقال عبد الله عزام رحمه الله[٢]: (دار الإسلام: هي الدار التي تطبق فيها الشريعة الإسلامية، الأرض التي تطبق فيها الشريعة الإسلامية تسمى دار الإسلام، وما سواها فليست بدار الإسلام هذا رأي الصاحبين – صاحبي أبي حنيفة – محمد بن الحسن الشيباني وأبي يوسف. وأما أبو حنيفة فقال: يشترط لكي تصبح الدار دار كفر وليست دار إسلام، ثلاثة شروط:

أولاً: أن لا تطبق الإسلام.

ثانيًا: أن لا يأمن فيها المسلم ولا الذمي على دينه ولا على عرضه ولا على ماله ولا على دمه.

ثالثًا: أن تكون ملاصقة لديار الكفر.

---

[١] مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/٧٤٢).

[٢] الهجرة والإعداد (٢٥-٢٦).

على كل حال الأرض كلها تقريباً الآن لا تستطيع أن تعدها دار إسلام، لأن دار الإسلام دار يطبق فيها الإسلام، تعتبر حامية للمسلمين، تعلن الجهاد في سبيل الله، تقاتل من أجل إنقاذ المسلمين في الأرض، هذه الدار التي تنطبق عليها شروط الدار الإسلامية في الفقه الإسلامي، دار يكون فيها إمام، أو أمير مبايع بيعة شرعية، يقيم الحدود، يشرع الجهاد، يقسم الغنائم، يحمي المسلمين، يجاهد لإنقاذ المسلمين في الأرض.

هذه هي الدولة الإسلامية، دولة تتبنى المسلمين في كل مكان في الأرض، إن هرب إليها واحد تتبناه، وتعطيه نفس حقوق أبنائها: جواز سفر، حق شراء الأراضي، حق العمل وما إلى ذلك، هذه هي دار الإسلام.

دار الإسلام التي توالي المسلمين، وتعادي من عادى المسلمين، فإذا حصل اضطهاد من قبل دولة كفر لمجموعة من المسلمين في داخلها يجب أن تقاطع تلك الدولة انتصاراً للمسلمين الذين في داخلها، تقطع العلاقات التجارية، العلاقات الدبلوماسية تقطع – إن كان بينهما – فهذه التي ينطبق عليها دار الإسلام بالمعنى التام الحقيقي.

أي بلد لا تطبق شريعة الله فهي ليست دار إسلام، الناس في داخلها منهم المسلمون ومنهم دون ذلك كانوا طرائق قدداً، لا نستطيع أن نكفر الناس الذين تحت حكم دولة لا تحكم بشريعة الله عز وجل، أما بمجرد أن تعلن أن شريعة الدولة أو قانون الدولة مأخوذ من القانون الفرنسي أو القانون الألماني، أو القانون السويسري، هذا.. بالإعلان يعني كفر الدولة، هذا الإعلان – النص الدستوري – يعني كفر الدولة.

طبعا في داخلها – أي الدولة الإسلامية – يجب أن ترى الشعائر الإسلامية محترمة، ويجب أن ترى المسلمين محترمين ليسوا مضطهدين والعلماء مقربين، وأهل الفسق مندحرين منخزين ليس لأحد منهم مكانة لا في وزارة، ولا في مجلس شورى ولا في منصب كبير في الدولة، هذه هي الدولة الإسلامية).

تنقيح مناط الحكم على الدار

قال أبو البقاء الفتوحي رحمه الله[١]: (التنقيح لغة: التخليص والتهذيب. يقال: نقحت العظم إذا استخرجت مخه. والمناط: مفعل من ناط نياطاً أي علق والمراد أن الحكم تعلق بذلك الوصف فمعنى تنقيح المناط: الاجتهاد في تحصيل المناط الذي ربط به الشارع الحكم، فيبقى من الأوصاف ما يصلح ويلغى ما لا يصلح).

قال الآمدي رحمه الله[٢]: (وأما تنقيح المناط فهو النظر والاجتهاد في تعيين ما دل النص على كونه علة تعيين بحذف ما لا مدخل له في الاعتبار مما اقترن به من الأوصاف).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله[٣]: (التنقيح في اللغة التهذيب والتصفية، فمعنى تنقيح المناط تهذيب العلة وتصفيتها بإلغاء مالا يصلح للتعليل واعتبار الصالح لها).

وقد أخطأ البعض في هذا المقام فظنوا أن إقامة كثير من المسلمين ببعض البلدان مع أمنهم وقدرتهم على إظهار شعائر دينهم كالأذان والصلاة والصوم وغيرها كافٍ في اعتبار البلد دار إسلام، حتى قال البعض: كيف تقولون إن البلد الفلاني دار كفر وفي عاصمته ما يزيد عن ألف مسجد؟ وهذا كله لا اعتبار له وقد بيّنا أن مناط الحكم على الدار هو اليد الغالبة عليه والأحكام الجارية فيه، وما عدا ذلك من الأوصاف فلا اعتبار له في الحكم على الدار.

---

[١] شرح الكوكب المنير (٥١٣).

[٢] الإحكام (٣/٣٣٦).

[٣] مذكرة أصول الفقه (٢٩٢).

ومن الأوصاف التي يجب إلغاؤها في هذا المقام تنقيحًا للمناط، ما يلي[١]:

- لا دخل لديانة أكثرية السكان في الحكم على الدار.

ودليله أن خيبر كان يسكنها اليهود ولما فتحها النبي ﷺ عام ٧ هـ أقرهم فيها ليقوموا على زراعتها أخرجه البخاري وبعث عليهم أميراً من الأنصار أخرجه البخاري، فكان معظم أهلها اليهود -حتى أجلاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته- ولم يمنع هذا من كون خيبر من دار الإسلام لكونها في قبضة المسلمين تجري فيها أحكامهم.

وفي هذا قال ابن حزم[٢]: (وقول رسول الله ﷺ: ((أنا بريء من كل مسلم أقام بين أظهر المشركين)) يبيّن ما قلناه، وأنه عليه السلام إنما عَنَى بذلك دار الحرب، وإلا فقد استعمل عليه السلام عماله على خيبر وهم كلهم يهود، وإذا كان أهل الذمة في مدائنهم لا يمازجهم غيرهم فلا يُسمى الساكن فيهم لإمارة عليهم أو لتجارة بينهم كافراً ولا مسيئاً، بل هو مسلم مُحسن ودارهم دار إسلام لا دار شرك، لأن الدار إنما تنسب للغالب عليها والحاكم فيها والمالك لها).

وقال أبو القاسم الرافعي الشافعي[٣]: (وليس من شرط دار الإسلام أن يكون فيها مسلمون بل يُكتفى كونها في يد الإمام وإسلامه).

- ولا دخل لظهور شعائر الإسلام أو الكفر في الحكم على الدار.

فقد كان رسول الله ﷺ يُظهر الدين بمكة ويدعو إليه ويجاهر المشركين بالعداوة والبراءة منهم ومما يعبدون من دون الله، وهذا قبل الهجرة من مكة، وكذلك كان بعض الصحابة

---

[١] انظر ذكر ذلك بتمامه في كتاب الجامع في طلب العلم (٢/٦٤٣ – ٦٤٥).

[٢] المحلى (١١/٢٠٠).

[٣] فتح العزيز شرح الوجيز (٨/١٤).

يُظهرون الصلاة وتلاوة القرآن، ولم تصبح مكة دار إسلام بهذا بل هاجر المسلمون منها إذ كانت الغلبة فيها للكفار، وهذا مما يبين خطأ الماوردي رحمه الله في قوله[١]: (إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام، فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يُترجى من دخول غيره في الإسلام).

ونقل الشوكاني هذا القول وانتقده فقال[٢]: (ولا يخفى ما في هذا الرأي من المصادمة لأحاديث الباب القاضية بتحريم الإقامة في دار الكفر).

جاء في مجموعة الحديث النجدية تعليقاً على ذلك[٣]: (هذا قول باطل لأن مجرد إظهار الرجل لدينه لا يجعل الدار دار إسلام والأحكام فيها غير إسلامية، فإن جميع بلاد أوروبة لا يعارض أحد فيها إذا أظهر دينه أو دعا إليه حتى في حال محاربتهم للمسلمين).

والعكس صحيح فإقامة بعض الكفار -كأهل الذمة- بدار الإسلام وإظهارهم شعائر دينهم لا يجعلها دار كفر، إذ إن ظهور شعائر الكفر ليس بشوكة الكفار بل بإذن المسلمين.

فلا دخل لإظهار الشعائر في الحكم على الدار، كما قال الشوكاني[٤]: (الاعتبار بظهور الكلمة، فإن كانت الأوامر والنَّواهي في الدار لأهل الإسلام بحيث لا يستطيع من فيها من الكفار أن يتظاهر بكفره إلا لكونه مأذوناً له بذلك من أهل الإسلام فهذه دار إسلام، ولا يضر ظهور الخِصال الكفرية فيها لأنها لم تظهر بقوة الكفار، ولا بِصَوْلتهم كما هو مشاهد

---

[١] فتح الباري (٢٢٩/٧).

[٢] نيل الأوطار (١٧٨/٨).

[٣] من شرح الأربعين النووية (١٣) ضمن مجموعة الحديث النجدية.

[٤] السيل الجرار (٥٧٥/٤).

في أهل الذمة من اليهود والنصارى والمعاهدين السَّاكنين في المدائن الإسلامية، وإذا كان الأمر بالعكس، فالدار بالعكس).

- ولا دخل لأَمْن فريق من السكان في الحكم على الدار.

فالكفار الذميون يأمنون في دار الإسلام ولا يُخل هذا بكونها دار إسلام، والمسلمون المهاجرون أمِنوا بالحبشة وكانت دار كفر، وأمِنَ المسلمون على أنفسهم بمكة مدة عهدهم مع النبي ﷺ (من صلح الحديبية حتى فتح مكة) حتى أدوا عمرة القضاء خلالها ولم يمنع هذا الأمن من كون مكة ظلت دار كفر حتى فَتْحِها، فقال رسول الله ﷺ: ((لا هجرة بعد الفتح)) ولم يقل لا هجرة بعد الصلح، فبيَّن أن المناط الذي غيَّر حكم الدار هو الغلبة لا مجرد الأمن.

هذا ما يتعلق بتنقيح المناط ومعرفة مناط الحكم على الدار.

ومنه تعلم أن البلاد التي أكثر أهلها من المسلمين ولكن يحكمها حكام مرتدون بأحكام الكفار بالقوانين الوضعية هي اليوم ديار كفر وإن كان أكثر أهلها مسلمين يمارسون شعائر دينهم كإقامة الجمع والجماعات وغيرها في أمان، فهي ديار كفر لأن الغلبة والأحكام فيها للكفار، أما إظهار المسلمين لشعائر دينهم فليس هذا راجعاً إلى شوكة المسلمين ولكن لأنه مأذون فيه من الحاكم الكافر، ولو أراد أن يبدل أمنهم خوفاً وفتنة بشوكته وجنوده لفعل كما هو واقع في كثير من البلاد اليوم باسم محاربة الإرهاب والتطرف الديني.

ولمزيد من التوضيح نذكر هذا التفصيل للأقسام الفرعية لدار الإسلام ودار الكفر:

الأقسام الفرعية لدار الكفر

الأقسام الفرعية لدار الكفر تنقسم دار الكفر إلى عدة أقسام بأكثر من اعتبار، والاسم الجامع لها هو دار الكفر أو دار الشرك أو دار الحرب وأقسامها هي[١]:

من جهة كون الكفر فيها قديمًا أو طارئًا، تنقسم إلى:

١ - **دار الكفر الأصلي**: وهي التي لم تكن دار إسلام في وقت من الأوقات مثل اليابان وشرق الصين وانجلترا وقارات أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية وأستراليا[٢].

٢ - **دار الكفر الطارئ**: وهي التي كانت دار إسلام في وقت من الأوقات ثم استولى عليها الكفار الأصليون مثل الأندلس (أسبانيا والبرتغال) وفلسطين ودول شرق أوربا التي كانت تحت حكم الدولة العثمانية مثل رومانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا واليونان وألبانيا.

٣ - **دار الردة**: وهي فرع من دار الكفر الطارئ، وهى التي كانت دار إسلام في وقتٍ ما ثم تغلّب عليها المرتدون وأجروا فيها أحكام الكفار، مثل الدول المسماة اليوم بالإسلامية ومنها الدول العربية.

---

[١] انظر الجامع في طلب العلم (٢/٦٤٥ – ٦٤٦).

[٢] تنبيه: الأمثلة التي تُذكر ليست للحصر.

وقد مرت معظم هذه الدول بمرحلة كونها دار كفر طارئ عندما استولى عليها المستعمر الصليبي وفرض عليها القوانين الوضعية ثم رحل عنها وحكمها من بعده المرتدون من أهل هذه البلاد وهناك بعض الفروق في الأحكام الفقهية بين دار الكفر ودار الردة[١].

ومن جهة علاقتها بدار الإسلام، تنقسم دار الكفر إلى:

١ - **دار الحرب**: وهى التي ليس بينها وبين دار الإسلام صلح أو هدنة، ولا يشترط قيام الحرب فعليا لصحة هذه التسمية، بل يكفي عدم وجود صلح كما ذكرنا، بما يعني أنه يجوز للمسلمين قتال أهل هذه الديار وقتما شاءوا، ومن هنا سميت دار حرب.

٢ - **دار العهد**: وهى التي بينها وبين دار الإسلام موادعة وصلح وهدنة، كما كانت مكة فيما بين صلح الحديبية وفتح مكة (٦ - ٨ هـ).

ولا تجوز موادعة الكفار على الصلح وترك الحرب إلا بالنظر إلى مصلحة المسلمين كأن يكون بهم ضعف لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ وذلك لأن الله فرض علينا قتال الكفار حتى يكون الدين كله لله، لم يفرض علينا مسالمتهم ومصالحتهم إلا عند حاجتنا لذلك، قال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ﴾[٢] ولا يجوز عقد الهدنة إلا من إمام المسلمين أو من يُنيبه، ونظراً لغياب هذا الإمام في زماننا هذا فلا اعتبار لأي معاهدات دولية يعقدها الحكام الكافرون لصدورها ممن ليست لهم ولاية شرعية على المسلمين، فوجودها كعدمها، إذ المعدوم حكماً كالمعدوم حقيقة.

---

[١] ذكر ذلك الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية (٧٣) وستأتي بإذن الله.

[٢] انظر المغني (٢٣٩/٩)، والسير الكبير (١٦٨٩/٥).

ومن جهة أمن المسلم على نفسه فيها، تنقسم دار الكفر إلى:

١ - **دار الأمن**: وهي التي يأمن المسلم فيها على نفسه، مثل الحبشة في صدر الإسلام لما هاجر إليها الصحابة فراراً من بطش كفار مكة.

٢ - **دار الفتنة**: وهي التي لا يأمن المسلم فيها على نفسه، مثل مكة في صدر الإسلام، ومثل معظم ديار الردة اليوم.

الأقسام الفرعية لدار الإسلام

ترد أحياناً مصطلحات خاصة بأقسام فرعية لدار الإسلام في كتب أهل العلم، مثل[١]:

١ - **دار البغي**: وهي ما إذا انفرد البغاة أو الخوارج ببلد في دار الإسلام واستقلوا بإجراء الأحكام فيها ويقابلها دار العدل وهى التي تحت حكم إمام المسلمين.

٢ - **دار الفسق**: وهي ما إذا شاع الفسق ببلد في دار الإسلام.

قال الشوكاني رحمه الله[٢]: (وقد ذهب جعفر بن مبشر وبعض الهادوية إلى وجوب الهجرة عن دار الفسق قياساً على دار الكفر، وهو قياس مع الفارق والحق عدم وجوبها من دار الفسق لأنها دار إسلام).

ولكن يستحب مغادرة البلدة التي تكثر فيها المعاصي كما في حديث الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عن النبي ﷺ قال: ((كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعةً وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء)).

٣ - **دار أهل الذمة**: وهي غير دار العهد والصلح فهذه من أقسام دار الكفر، أما دار أهل الذمة فهي دار إسلام كما كانت خيبر بعدما فتحها المسلمون في عهد النبي ﷺ.

---

[١] انظر الجامع في طلب العلم (٢/٦٤٦).

[٢] نيل الأوطار (٨/١٧٩).

وصِفة دار أهل الذمة هي كما قال محمد بن الحسن رحمه الله[١]: (وإن حاصر أمير العسكر أهل مدينة من مدائن العدو، فقال بعضهم نسلم، وقال بعضهم نصير ذمة ولا نبرح منازلنا، فإن كان المسلمون يقوون على أن يجعلوا معهم مِن المسلمين مَن يقوى على قتال من يحضر بهم من أهل الحرب ويحكم فيهم بحكم الإسلام، فعل ذلك الأمير).

قال الشارح السرخسي[٢]: (لأن إجراء أحكام المسلمين في دارهم ممكن، والدار تصير دار المسلمين بإجراء أحكام المسلمين، فيجعلها الإمام دار إسلام، ويجعل القوم أهل ذمة).

---

[١] السير الكبير (٥/٢١٩٦ - ٢١٩٧).

[٢] السير الكبير (٥/٢١٩٧).

مقصود ابن تيمية بالدار المركّبة

سئل ابن تيمية رحمه الله السؤال التالي: (مسألة: في بلد ماردين[١] هل هي بلد حرب أم بلد سلم؟ وهل يجب على المسلم المقيم بها الهجرة إلى بلاد الإسلام أم لا؟ وإذا وجبت عليه الهجرة ولم يهاجر وساعد أعداء المسلمين بنفسه أو ماله، هل يأثم في ذلك، وهل يأثم من رماه بالنفاق وسبه به أم لا؟.

فأجاب[٢]: الحمد لله، دماء المسلمين وأموالهم محرمة حيث كانوا في ماردين أو غيرها، وإعانة الخارجين عن شريعة دين الإسلام محرمة، سواء كانوا أهل ماردين أو غيرهم، والمقيم بها إن كان عاجزاً عن إقامة دينه وجبت الهجرة عليه، وإلا استحبت ولم تجب ومساعدتهم لعدو المسلمين بالأنفس والأموال، محرمة عليهم، ويجب عليهم الامتناع من ذلك بأي طريق أمكنهم من تغيب، أو تعريض، أو مصانعة، فإذا لم يمكن إلا بالهجرة تعينت، ولا يحل سبهم عموماً ورميهم بالنفاق، بل السب والرمي بالنفاق يقع على الصفات المذكورة في الكتاب والسنة، فيدخل فيها بعض أهل ماردين وغيرهم. وأما كونها دار حرب أو سلم فهي مركبة فيها المعنيان ليست بمنزلة دار السلم التي يجري عليها أحكام الإسلام، لكون جندها مسلمين، ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار، بل هي قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحقه ويقاتل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحقه).

قال عبد القادر عبد العزيز فك الله أسره[٣]: (والذي يتحصل من السؤال والجواب: أن ماردين استولى عليها الكفار (أعداء المسلمين)، وأنها لا تجري عليها أحكام الإسلام ولا جندها مسلمين، وأن سكانها خليط من المسلمين والكفار، فهذه دار حرب بلا ريب، ولا

---

[١] تقع ماردين اليوم جنوب شرق تركيا قرب حدودها مع سوريا.

[٢] الفتاوى الكبرى (٣/٥٣٣ – ٥٣٤).

[٣] الجامع في طلب العلم (٢/٦٤٩ – ٦٥١).

يشترط في دار الحرب أن يكون أهلها كفار كما قال شيخ الإسلام، فقد سبق بيان مناط الحكم على الدار وأنه لا عبرة بدين السكان.

وشيخ الإسلام محجوج في إحداثه قسماً ثالثا للديار بإجماع العلماء قبله على أن الديار نوعان لا ثلاثة.

ولهذا فقد اعترض علماء الدعوة النجدية على قوله بأنها قسم ثالث، فقالوا:[١] وأما البلد التي يُحكم عليها بأنها بلد كُفر، فقال ابن مُفلح[٢]: وكل دار غلب عليها أحكام المسلمين فدار إسلام وإن غلب عليها أحكام الكفر فدار كفر ولا دار غيرهما، وقال الشيخ تقي الدين – ابن تيمية – وسُئل عن ماردين هل هي دار حرب أو دار إسلام؟ قال: هي مركبة فيها المعنيان ليست بمنزلة دار الإسلام التي تجري فيها أحكام الإسلام لكون جنودها مسلمين ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار بل هي قسم ثالث يُعامل المسلم فيها بما يستحقه ويُعامل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحقه والأَوْلَى هو الذي ذكره القاضي والأصحاب).

فلم يوافقوا شيخ الإسلام في إحداثه لقسمٍ ثالث في الديار إذ اتفق العلماء قبله على أن الديار قسمان لا غير.

وقال الشيخ سليمان بن سحمان: إن ماردين التي أفتى فيها شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية لم تجر عليها أحكام الكفار وإنما استولى عليها الكفار استيلاءً ناقصاً، ولو صح هذا وظلت أحكام الإسلام جارية فيها فهي إما دار إسلام أو دار كفر بحسب سبب جريان أحكام الإسلام كما أسلفنا، ولكن فتوى ابن تيمية تبين أن أحكام الإسلام لم تكن جارية في ماردين خلافاً لما قال الشيخ سليمان بن سحمان[٣]:

---

[١] الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٣٥٣/٧).

[٢] الآداب الشرعية والمنح المرعية (١٩٠/١).

[٣] الموالاة والمعاداة (٥٢٢/٢).

ولم تجرِ للكفار أحكام دينهم على أهلها لكن بها الكفر قد حصل
وما كان فيها الجانبان على السوى فقال تقي الدين في ذلك المحل
يُعامل فيها المسلمون بحقهم وذا الكفر ما قد يستحق من العمل
فلا تُعط حكم الكفر من كل جانبٍ ولا الحكم بالإسلام في قول من عَدَل

والذي ننبه عليه هنا أن الديار قسمان لا ثلاثة، وأن الدار المركبة يمكن أن تكون وصفاً لحال السكان لا حكماً، ومعاملة كل إنسان بما يستحقه لا خلاف فيه والمسلم معصوم الدم والمال أينما كان، ولكن هذه المعاملة النوعية لا تجعل الدار قسماً ثالثاً

وابن تيمية نفسه نقل أن مصر كانت دار ردّة زمن استيلاء العُبَيْديين (المسمَّون بالفاطميين) عليها، بسبب كونهم زنادقة مرتدين[١]، مع أن أحكام الشريعة كانت جارية بمصر مدة ملكهم التي امتدت مائتين ونيف وثمانين سنة[٢]، ومع أن جمهور أهل مصر هم المسلمون، ولكن الدار صارت دار ردّة بسبب استيلاء العبيديين التام عليها ولم يؤثر في هذا إذنهم بالحكم بالشريعة.

قال ابن تيمية رحمه الله[٣]: (وتكرر دخول العسكر إليها مع صلاح الدين الذي فتح مصر، فأزال عنها دعوة العبيديين من القرامطة الباطنية وأظهر فيها شرائع الإسلام، حتى سكنها من حينئذ من أظهر بها دين الإسلام" – إلى قوله – "ولأجل ما كانوا عليه من الزندقة والبدعة بقيت البلاد المصرية مدة دولتهم نحو مائتي سنة قد انطفأ نور الإسلام والإيمان، حتى قالت فيها العلماء: إنها كانت دار ردّة ونفاق كدار مسيلمة الكذاب).

---

[١] مجموع الفتاوى (١٣/١٧٨).
[٢] البداية والنهاية (١٢/٢٦٧).
[٣] مجموع الفتاوى (٣٥/١٣٨ – ١٣٩).

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله[١]: (ولو ذهبنا نُعَدِّد من كفَّره العلماء مع ادعائه الإسلام وأفتوا بردته وقتله لطال الكلام، ولكن من آخر ما جرى قصة بني عبيد ملوك مصر وطائفتهم وهم يدّعون أنهم من أهل البيت، ويصلون الجمعة والجماعة ونصبوا القضاة والمفتين، أجمع العلماء على كفرهم وردتهم وقتالهم وأن بلادهم بلاد حرب يجب قتالهم ولو كانوا مكرهين مبغضين لهم).

وقوله: "ولو كانوا مكرهين مبغضين لهم" أي: ولو كان أهل مصر مبغضين لحكامهم العبيديين فهذا لا يمنع من أن بلادهم بلاد حرب.

فإذا كانت مصر دار ردّة وحرب زمن العبيديين مع نصبهم لقضاة الشريعة، فإن صورة ماردين المذكورة أسوأ من هذا إذ لم تجر عليها أحكام الإسلام، فهي دار حرب كما أسلفت إذا كانت على الصفة المتحصلة من الفتوى ولا يوجد في الديار ما يُسمى بالدار المركبة – إلا من جهة الوصف لا الحكم – والديار قسمان لا ثلاثة كما سبق بيانه، وكما نقله علماء نجد عن ابن مفلح – وهو من تلاميذ ابن تيمية – أن الديار إما دار إسلام أو دار كفر ولا دار غيرهما، هذا والله تعالى أعلم) أ. هـ.

---

[١] الرسائل الشخصية (٢٢٠).

الرد على شبهة خطيرة

شاع في فترة من الفترات المتأخرة شبهةٌ خطيرةٌ وقولٌ شنيعٌ لدى بعض الطوائف الغالية المنحرفة من المبتدعين الضالين الذين يحملون فكر ومنهج الخوارج قولهم: بتكفير الناس بالدار وبالذات دار الكفر الطارئ كبلاد المسلمين عموماً والتي كانت في قرون متعاقبةٍ مضت دار إسلام وليست دار كفر أصلي.

وهذا القول هو قول الغلاة من القدم، فقد ذكر أبو الحسن الأشعري رحمه الله هذا القول عن إحدى فرق الخوارج فقال[١]: (زعمت الأزارقة أن من أقام في دار الكفر فهو كافر، لا يسعه إلا الخروج).

قال عمر محمود أبو عمر[٢]: (حين نقول عن الديار هي ديار كفر وردة، فليس يعني هذا من قريب أو بعيد حكماً على أهلها، فلسنا نقول بقول بعض فرق الخوارج: إذا كفر الحاكم كفرت الرعية، نعوذ بالله من الضلال).

وللرد على القائلين بالتكفير بالدار أنقل كلام أبي محمد المقدسي رفع الله ذكره في رده على هذا الخطأ الفاحش في معرض ذكره لأخطاء التكفير وهو ممن كانت له صولات وجولات مع غلاة التكفير هؤلاء، فقال[٣]:

(من الأخطاء الشنيعة في التكفير؛ التكفير بناء على قاعدة (الأصل في الناس الكفر) لأن الدار دار كفر ومعاملتهم واستحلال دماءهم وأموالهم وأعراضهم بناء على هذه القاعدة، التي أصلوها تفريعاً على أن الدار دار كفر، وهذا أمر منتشر بين كثير من الغلاة، وقد تحمله

---

[١] مقالات الإسلاميين (١/٨٨).

[٢] الجهاد والاجتهاد تأملات في المنهج (٤٨).

[٣] الرسالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير (١٠٧ – ١٢٤) وقد تم نقل رده هنا بتصرف.

بعض الجهال عنهم دون أن يعرفوا أصله وتبعاته، ونحن ولله الحمد والمنةلم نقل بهذا التأصيل ولا تبنيناه في يوم من الأيام، بل كنا – ولازلنا – من أشد المنكرين له، حتى كفرني بعض غلاة المكفرة، لما خالفتهم فيه، وناظرتهم في إبطاله، ويومها لم أجد عندهم ما يحتجون به لتأصيلهم هذا، إلا عبارة مبتورة لشيخ الإسلام ابن تيمية اقتطعوها من فتوى له حول بلدة ماردين، وهي قوله فيها: (ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار) وقد حرفوها فجعلوها (دار الكفر التي أهلها كفار) فخرجوا من ذلك أن كل دار كفر – ولو كانت طارئة حادثة لا أصلية – فأهلها كلهم كفار، إلا من عرفوا تفاصيل معتقده[1].. وقد بينت لهم يومها أن هذه اللفظة – خصوصا في ماردين وأمثالها من دور الكفر الطارئة – ما هي إلا اصطلاح للفقهاء للدار التي غلب عليها الكفار وعلتها أحكامهم.. ولا دخل لقاطنيها بوصف الكفر إلا من ارتكب سبباً من أسباب التكفير.. وذكرت لهم بعض التفصيل الآتي، ولكنهم لم يرفعوا بذلك رأساً، وأصروا على التمسك بتلك العبارة..

فعجبت كيف يقلب الهوى الموازين ويجعل من يقر بعدم حجية قول الصحابي ولا يقبل قول غيره من أهل القرون الثلاثة المفضلة في فرع من الفروع، يحتج بقول مبتور مقتطع من كلام عالم في القرن السابع، وفي مسألة هي من أخطر أبواب الدين، عندما يظن أن ذلك القول يوافق هواه، أو يحقق رغبته وحاجته.!! مع أنهم يقرون بأن جميع الخلق بعد رسول الله ﷺ يحتج لكلامهم ولا يحتج به، ويحتاج إلى الدليل والبرهان وليس هو وحده بدليل ولا برهان..

وقد بين الله عز وجل بعض دوافع النفس وأهوائها، في الاندفاع نحو التكفير والتسرع فيه أحياناً، في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾؛ فقال: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾..

---

[1] سيأتي بإذن الله في الحلقة القادمة التفصيل حول سكان دار الكفر الطارئ.

وكذلك كانت رغبات أولئك الأغرار الذين كنت أناظر بعضهم، فقد كانوا يتحينون أسهل وأقرب فرصة لانتهاب أو سرقة ما يقع تحت أيديهم من أموال وممتلكات من حكموا عليهم بالكفر، حتى وإن كانوا من الدعاة والمجاهدين، أو من المسلمين المستضعفين، فأموالهم عندهم غنائم، وقد شاهدت من ذلك أمثلة، وفي آخر الأمر اقتتلوا هم فيما بينهم واختلفوا على بعض الأموال..!!

أسأل الله تعالى أن يهديهم سواء السبيل، وأن يجنب شباب المسلمين هذه الفتن المضلة.. إذ الجرأة على تكفير المسلمين وإباحة دماء الموحدين وأموالهم من غير موجب شرعي، لا تقدم عليه إلا النفوس المريضة التي لم تشم رائحة الورع والتقوى..

وقد قال النبي ﷺ في حجة الوداع: ((إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا))، وقال أيضاً فيما يرويه البخاري ومسلم: ((لا يحل دم امريء مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة))، وقال ﷺ: ((لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً)) رواه البخاري من حديث ابن عمر وفيه: وقال ابن عمر: "إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله"، وفي البخاري أيضا سأل ميمون بن سياه أنس بن مالك، قال: يا أبا حمزة، ما يحرم دم العبد وماله؟ فقال: "من شهد أن لا إله إلا الله، واستقبل قبلتنا، وصلى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا فهو المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم".

وتقدم ما ذكره القاضي عياض عن العلماء المحققين قولهم[1]: (إن استباحة دماء المصلين الموحدين، خطر، والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم

---

[1] في الشفا (٢/٢٧٧).

واحد)، ونقل عن القابسي قوله[١]: (ولا تهراق الدماء إلا بالأمر الواضح، وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء..) أ. هـ.

ولو انشغل هؤلاء في طلب العلم الشرعي وتقليب كتب العلماء ومطالعة الأصول والفروع، لعرفوا أن دون إباحة الدم والمال وإن صدر القول أو الفعل المكفر؛ مراحل وشروط وموانع قد تمنع من التكفير فضلاً عن الإباحة.. خصوصاً في أمثال من تسلطوا عليهم من المستضعفين أو الدعاة والمؤمنين غير الممتنعين بشوكة الطواغيت أو أنظمتهم وقوانينهم.. وأنه لا يلزم من الحكم على الفعل أو القول بالكفر، تكفير المعين ومن ثم فلا تترتب على الحكم آثاره التي يهوونها ويشتهونها ويبتغونها..

أضف إلى هذا أن جمهور العلماء، بل ذكر ابن المنذر إجماعهم؛ على أن مُلك المرتد لا يزول بمجرد ردته[٢] إذا كانت ردته غير مغلظة ولا كان ممتنعاً، فإنه يستتاب والحالة كذلك، وقد يرجع إلى الإسلام.

وكل من تأمل فتوى شيخ الإسلام التي اجتزؤوا منها حجتهم، وجدها من أولها إلى آخرها حجة عليهم، فقد سئل رحمه الله عن بلدة ماردين التي احتلها التتار وتغلبوا عليها وفيها أناس مسلمون..

فأجاب رحمه الله[٣]: (الحمد لله دماء المسلمين وأموالهم محرمة حيث كانوا في ماردين أو غيرها... والمقيم بها إن كان عاجزاً عن إقامة دينه وجبت الهجرة عليه، وإلا استحبت ولم تجب...) إلى قوله: (ولا يحل سبهم عموماً ورميهم بالنفاق، بل السب والرمي بالنفاق يقع

---

[١] الشفا (٢/٢٦٢).

[٢] انظر المغني (٩/٢٠).

[٣] مختصرًا من مجموع الفتاوى (٢٨/١٣٥).

على الصفات المذكورة في الكتاب والسنة فيدخل فيها بعض أهل ماردين وغيرهم[١] وأما كونها دار حرب أو سلم، فهي مركبة: فيها المعنيان، ليست بمنزلة دار السلم التي تجري عليها أحكام الإسلام لكون جندها مسلمين، ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار، بل هي قسم ثالث يعامل المسلم فيه بما يستحقه، ويقاتل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحقه).

فهو يقرر:

– أن دماء المسلمين وأموالهم، الأصل الأصيل فيها؛ هو الحرمة والعصمة حيث كانوا، ولا دخل للدار أو البلدة في ذلك، بل مناط تلك العصمة إظهار المرء للإسلام، لا إظهار الدار للإسلام.

– وأنه لا يحل رمي المسلمين بشيء من صفات النفاق ونحوها، لمجرد كون الدار قد صارت تحت غلبة الكفار، دون أن يحدث أولئك المسلمون أمراً

– وأن الدار التي سئل عنها وأمثالها، وإن كان ينطبق عليها وصف الفقهاء لدار الكفر لغلبة الكفار عليها، إلا أنها بالنسبة للحكم على أهلها مركبة.

فليست هي كدار الإسلام الأصلية التي يتميز فيها أهل الكتاب بالغيار – أي اللباس الذي يميزهم – ولا يقر المرتد فيها بحال.. فالأصل في كل من عدا أهل الكتاب من ساكنيها، أنه من المسلمين ولذلك أمر رسول الله ﷺ أن يسلم المرء في مثلها على من يعرف ومن لا يعرف[٢]، ولذلك نص الفقهاء واستدلوا كثيرا في فروع الفقه بمقولة: (الأصل في دار الإسلام الإسلام).

---

[١] أي أن مناط تلك الصفات ليس هو الدار، بل وجود تلك الصفات أو موجبها في الشخص نفسه في أي بلد كان.

[٢] حديث ((تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)) متفق عليه.

ولا هي أيضاً بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار ولم تكن يوماً دار إسلام ولا كان جمهور أهلها مسلمين، فهي إذن ليست دار كفر أصلية، بل قد كانت قبل تغلب الكفار عليها دار إسلام وجمهور أهلها من المسلمين، ولذلك لم ينط الحكم على أهلها ومعاملتهم تبعاً لشيء من تلك الاصطلاحات لعدم انضباطها، بل من أظهر الإسلام عصم ماله ودمه وعومل معاملة المسلمين، ومن خرج عن شريعة الإسلام عومل بما يستحقه.. فكلامه رحمه الله واضح لا لبس فيه.

ولكن الأمر كما ذكر رحمه الله في موضع غير هذا.. أن اجتماع الشهوة مع الشبهة يقوي الدافع إلى الشبهة ويورث فساد العلم والفهم، والقوم وجدوا في ذلك الفهم السقيم، ما يثبت شبهاتهم ويسوغ شهواتهم (الغنائمية) فتمسكوا بقوله: (ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار)؛ فجعلوا الكفر هو الأصل في أهل كل دار تدخل تحت اصطلاح دار الكفر ولو كان وصف الكفر فيها طارئا لغلبة الكفار على أحكامها، فكفروا أهلها كلهم ولو كان جمهورهم من المنتسبين للإسلام وتمسكوا بذلك وأصروا عليه.

هذا وقد كنت تتبعت قديما مصطلح دار الكفر ودار الإسلام وجمعت أقوال كثير من العلماء وتعريفهم للدار، ونظرت في أثر هذا الاصطلاح عندهم على قاطنيها، فلم أجد عند أحد من العلماء المحققين شيئاً من هذا الذي رامه هؤلاء، خصوصاً في دار الكفر الطارئة التي كان جمهور أهلها مسلمين.

نعم وجدت شيئا شبيها بمقالاتهم عند بعض طوائف الخوارج الضلال، فالأزارقة أصحاب نافع بن الأزرق قالوا: (إن من أقام في دار الكفر فهو كافر، لا يسعه إلا الخروج)، ومعلوم أنهم يرون أن دار مخالفيهم من المسلمين دار كفر.

والبيهسية والعوفية قالوا[١]: (إذا كفر الإمام كفرت الرعية الغائب منهم والشاهد) وهذا كله من سخفهم وجهلهم.

أما العلماء المحققين، فقد تدبرت أقوال كثير منهم، فلم أجد عندهم شيئاً من هذه الإطلاقات؛ ولا يعكر على إطلاقي هذا ما ورد في أحكام القرآن للجصاص وغيره، مما قد يظنه المتعجل شبيهاً بذلك، فليس هو من هذا الباب، وذلك لكونه ورد في أرض العدو التي يعنون بها دار الحرب أو الكفر الأصلية، وفي ظل وجود دار إسلام وجماعة المسلمين الذين يقدر المسلم على التحول إليهم ثم هو يفرط في ذلك ويبقى مكثراً لسواد أهل الشرك.

أما إطلاق تلك القاعدة وذلك الاصطلاح وإعماله مطلقاً في قاطني الدار التي طرأ عليها الكفر مع أن جمهور أهلها من المنتسبين للإسلام، دون اعتبار لاستضعاف المسلمين وعدم وجود دار إسلام يهاجر ويأوي إليها المسلم، ودون أن يتواطأ المسلم أو يعين على كفر، فهذا ما لم أجده بحال.

وأعجبني في خاتمة المطاف قول الشوكاني[٢]: (اعلم أن التعرض لذكر دار الإسلام ودار الكفر قليل الفائدة جداً – أي في الحكم على قاطنيها – لما قدمنا لك في الكلام على دار الحرب، وأن الكافر الحربي مباح الدم والمال على كل حال مالم يؤمّن من المسلمين، وأن مال المسلم ودمه معصومان بعصمة الإسلام في دار الحرب وغيرها).

فهذا الذي يهمنا من ذلك، وهو موافق لخلاصة كلام شيخ الإسلام في أهل ماردين وغيرهم.

والعلماء جميعهم على ذلك، فأنت تخرج من تتبع تعريفاتهم لدار الكفر ودار الإسلام، بأن هذه المسميات اصطلاح فقهي لا أثر له في الحكم على من أمكن معرفة دينه من قاطني

---

[١] انظر مقالات الإسلاميين (١/١٩٢، ١٩٤).

[٢] السيل الجرار (٤/٥٧٦).

الديار[١]، وأن من أظهر الإسلام ولم يأت بناقض من نواقضه الظاهرة معصوم الدم والمال حيث كان.

وتعريفاتهم وإن تفاوتت بعض التفاوت، فجمهورهم[٢] على أن هذا المصطلح يطلق تبعاً للأحكام والغلبة التي تعلو الدار، فإن كانت تعلو الدار أحكام الكفر أو أن الغلبة فيها للكفار فقد اصطلحوا على تسميتها دار كفر، وإن كان أكثر أهلها من المسلمين، وإن كانت الغلبة فيها والأحكام للمسلمين فهي دار إسلام وإن كان أكثر قاطنيها من الكفار، كما يكون الحال في البلاد التي يسكنها أهل الذمة ويحكمها المسلمون) – إلى أن قال بعد أن ذكر بعض التعريفات – (فأنت ترى من مطالعة ذلك أنهم اصطلحوا على هذا المصطلح كدلالة على نوع الغلبة والأحكام التي تعلوا الدار، وينبهون كما رأيت غالباً على أن المسلم معصوم الدم والمال حيث كان وأنه لا أثر لقاطني الديار، إسلام أكثرهم أو كفرهم في الحكم على الدار، كما وأنه لا أثر للحكم على الدار وحده في إسلامهم أو كفرهم.. خصوصاً إذا كانت دار كفر حادثة طارئة، لا أصلية... كما قال ابن سحمان:

وما كل من فيها يقال بكفره فرب امرئ فيها على صالح العمل

ولقد فتح النبي ﷺ خيبر عام ٧هـ، وكان أهلها كلهم يهود فأقرهم ﷺ فيها وصالحهم على زراعتها، فصارت بغلبة المسلمين وعلو أحكامهم عليها، دار إسلام، وجازت السكنى والإقامة فيها والاستيطان، فكان له ﷺ فيها عمال.

وفي المقابل لما ادعى الأسود العنسي النبوة في اليمن وارتد قوم من أهلها واتبعوه حتى غلب على صنعاء – وذلك في آخر أيام النبي ﷺ في الدنيا – فقتل الأسود واليها شهر بن

---

[١] سبق التنبيه على ذلك في تنقيح مناط الحكم على الدار.

[٢] تبين لك فيما سبق القصد من قول الجمهور في تعريف الدار مع بيان رد كبار أصحاب وتلامذة أبي حنيفة على الشروط التي ذكرها.

باذان الذي كان قد أقره النبي ﷺ عليها، وفر بعض عمال النبي ﷺ إلى المدينة لما استشرى أمر العنسي، وارتد خلق معه وعامله المسلمون هناك بالتقية[١] فلم يكفروا ببقائهم في دار الردة وعدم فرارهم، بل كان منهم فيروز الديلمي وأصحابه الذين ثبتوا واحتالوا حتى قتلوا الأسود العنسي وعادت الغلبة في اليمن للمسلمين.

فها هي صنعاء صارت دار كفر بغلبة المرتدين والكفار عليها بعد أن كانت دار إسلام أي أنها صارت دار ردة، وبقيت تحت غلبة الأسود الذي ادعى النبوة لمدة أربعة أشهر أو قريباً منها ولم يمنع ذلك من وجود مسلمين صالحين فيها، يأخذون بالتقية، ويعملون لإعادة الغلبة للمسلمين، حتى تمكنوا في آخر أمرهم من قتل الأسود وإعادة اليمن إلى حكم المسلمين، ولم ينكر النبي ﷺ ذلك،[٢] ولا قال أنهم كفروا ببقائهم في صنعاء وعدم فرارهم إذ صارت دار كفر بتغلب الكفار عليهم وهذا مع وجود دار الإسلام وجماعة المسلمين.

وأيضاً بعد ذلك لما سقطت مصر، بأيدي العبيديين الكفرة من بني عبيد القداح واستولوا عليها وتغلبوا على الحكم فيها صارت دار كفر وردة بعد أن كنت دار إسلام[٣] وجمهور

---

[١] انظر البداية والنهاية (٦/٣٠٨).

[٢] بل رُوي أنهم فعلوا ذلك عن أمر النبي ﷺ، فقد روى الطبري بإسناده عن الضحاك بن فيروز قال: (قدم علينا وَبَرُ بن يُحَنَّس بكتاب النبي ﷺ يأمرنا فيه بالقيام على ديننا والنهوض في الحرب والعمل في الأسْوَد: إما غيلة وإما مصادمة، وأن نبلّغ عنه من رأينا أن عنده نجدة ودينًا فعمِلنا في ذلك) انظر تاريخ الطبري (٢/٢٤٨) وغيره، وأورد ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (٦/٣١٠) أن النبي ﷺ وهو في مرض موته أتاه الخبر من السماء الليلة التي قتل فيها العنسي ليبشرنا فقال: (قُتل العنسي البارحة قتله رجلٌ مباركٌ من أهل بيت مباركين. قيل: ومَنْ؟ قال: "فيرز فيروز").

[٣] قال ابن تيمية رحمه الله: (ولأجل ما كانوا عليه من الزندقة والبدعة بقيت البلاد المصرية مدة دولتهم نحو مائتي سنة قد انطفأ نور الإسلام والإيمان، حتى قالت فيها العلماء: (إنها كانت دار ردة ونفاق كدار مسيلمة الكذاب) انظر مجموع الفتاوى (٣٥/١٣٩).

أهلها من المسلمين، فبقيت تحت حكم العبيديين نحو مائتي سنة أظهروا فيها رفضهم وكفرهم وزندقتهم، حتى ألّف ابن الجوزي كتابه (النصر على مصر) ومع ذلك لم يقل أحد من العلماء المحققين أن حكم الكفر هذا الذي أطلق على الدار وعلى المتغلبين عليها، قد شمل أهلها المستضعفين.

بل قد كان فيهم علماء وفقهاء وصالحون كثير، فمنهم من كان مستخفياً ولا يقدر على إظهار عقيدته في بني عبيد، بل ولا حتى التحديث بحديث رسول الله ﷺ مخافة أن يقتل كما حكى إبراهيم بن سعيد الحبال صاحب عبد الغني بن سعيد أنه امتنع من رواية الحديث خوفا أن يقتلوه[١].

ومع هذا فعموم المسلمين كانوا يضمرون بغض بني عبيد، والبراءة منهم، وربما أظهر ذلك بعضهم بطريقة لا يناله فيها بطشهم، كما ذكر السيوطي في مقدمة تاريخ الخلفاء عن ابن خلكان أنه قال في العبيديين[٢]: (وقد كانوا يدعون علم المغيبات، وأخبارهم في ذلك مشهورة، حتى إن العزيز صعد يوماً المنبر فرأى ورقة مكتوب فيها:

بالظلم والجور قد رضينا ... وليس بالكفر والحماقة
إن كنت أعطيت علم غيب ... بين لنا كاتب البطاقة

وكتبت إليه امرأة قُصة فيها: بالذي أعز اليهود بميشا، والنصارى بابن نسطور، وأذل المسلمين بك، إلا نظرت في أمري).

---

[١] مجموع الفتاوى (٣٥/٨٥).

[٢] تاريخ الخلفاء (١٣)، وكان ميشا اليهودي عاملًا بالشام، وابن نسطور النصراني بمصر.

فمَنْ مِنَ العلماء المحققين، لا من الفشارين المتهورين.. قال بتكفير هؤلاء لمجرد إقامتهم في دار الكفر ما داموالم يظهروا سبباً من أسباب الكفر؟؟ هذا مع وجود دارِ إسلامٍ يُهاجر إليها في ذلك الوقت، فكيف مع عدمها في زماننا؟؟

وقد كان العبيديون شراً على ملة الإسلام من التتر كما ذكر الذهبي، فمنهم من كان يظهر سب الأنبياء أما سب الصحابة فحدث ولا حرج فقد ذكر السيوطي عن أبي الحسن القابسي[١]: (أن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعباد أربعة آلاف رجل ليردوهم عن الترضي عن الصحابة فاختاروا الموت، قال: فيا حبذا لو كان رافضيا فقط، ولكنه زنديق).

فأنت ترى أنه كان في مصر آنذاك فقهاء، كما قدمنا أيضا في كلام أبي محمد القيرواني الكيزاني قوله: (إنما أقام من أقام من الفقهاء على المباينة لهم لئلا تخلوا للمسلمين حدودهم فيفتنوهم عن دينهم).

فكان منهم من يستخفي ومنهم من يظهر دينه فيقتل كما قال القاضي أبو بكر الباقلاني[٢]: (كان المهدي عبيد الله باطنياً خبيثاً حريصاً على إزالة ملة الإسلام، أعدم العلماء والفقهاء ليتمكن من إغواء الخلق).

وممن واجههم بكفرهم من العلماء الشهيد – نحسبه كذلك – أبو بكر النابلسي الذي أحضره المعز[٣]: (فقال له: بلغني عنك أنك قلت: لو أن معي عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة ورميت المصريين بسهم، فقال ما قلت هذا، فظن أنه رجع عن قوله، فقال: كيف

---

[١] تاريخ الخلفاء (١٣).

[٢] تاريخ الخلفاء (١٢).

[٣] البداية والنهاية (٢٨٤/١١) مختصرًا. وانظر سير أعلام النبلاء (١٤٨/١٦) وقد ذكرت قصته كاملة في كتاب قصص تاريخية للمطلوبين.

قلت؟ قال: قلت: ينبغي أن نرميكم بتسعة ثم نرميهم بالعاشر. قال: ولم؟ قال: (لأنكم غيرتم دين الأمة وقتلتم الصالحين وأطفأتم نور الإلهية، وادعيتم ما ليس لكم) فشَهَره ثم ضرَبه بالسياط ثم جاء بيهودي فأمره بسلخه فجعل يسلخه وهو يقرأ القرآن، قال اليهودي: فأخذتني رقة عليه، فلما بلغت تلقاء قلبه طعنته بالسكين فمات..).

والشاهد من هذا كله أن أحوال المسلمين تحت حكم المتغلبين الكفار في كل زمان تغلبوا فيه على بعض ديار الإسلام، كانت تتفاوت بين مستضعف مستخف أو آخذ بالتقية أو مجاهد قائم بدين الله تبارك وتعالى، ولم يكن العلماء يطلقون الكفر على أحد من هؤلاء ما داموا لم يتلبسوا بشيء من نواقض الإسلام وأسباب الكفر الظاهرة، وإنما كفروا من نصر الكفار أو المرتدين أو أظهر موالاتهم أو صار من أهل دولتهم وحكمهم الكفري، كما نقل ابن كثير رحمه الله عن القاضي الباقلاني قوله في العبيديين[1]: (إن مذهبهم الكفر المحض واعتقادهم الرفض وكذلك أهل دولته من أطاعه ونصره ووالاه قبحهم الله وإياه).

والأمثلة من جنس هذا في التاريخ كثيرة[2].

والشاهد منه أن الأصل في كل منتسب للإسلام أو مظهر لخصائصه؛ الإسلام، ما لم يظهر سبباً من أسباب الكفر، والأصل فيه أنه معصوم الدم والمال والعرض حيث كان.

وقد قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ فسماهم مؤمنين مع أنهم كانوا في مكة حين كانت دار كفر، ورغم أنهم كانوا مستخفين لا يعلمهم المؤمنون.

---

[1] البداية والنهاية (٢٨٤/١١).

[2] في الحلقة الثانية من هذه السلسة بإذن الله سنأتي على نماذج تاريخية كثيرة.

وقال سبحانه وتعالى في تفاصيل قتل المؤمن خطأ: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾. فسماه تبارك وتعالى مؤمناً، وجعل في قتله خطأ كفارة؛ مع أنه مقيم مع أعدائنا في دار الحرب، على قول طائفة من السلف والفقهاء والمفسرين كما في تفسير ابن جرير وغيره[١].

وقال الشوكاني رحمه الله[٢]: (وهذه مسألة المؤمن الذي يقتله المسلمون في بلاد الكفار الذين كان منهم ثم أسلم ولم يهاجر وهم يظنون أنه لم يسلم وأنه باق على دين قومه، فلا دية على قاتله، بل عليه تحرير رقبة مؤمنة، واختلفوا في وجه سقوط الدية، فقيل وجهه أن أولياء القتيل كفار لا حق لهم في الدية، وقيل وجهه أن هذا الذي آمن حرمته قليلة، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾).

وتأمل وصف الله لهم بالذين آمنوا مع أنهم لم يهاجروا من دار الكفر في ظل وجود دار إسلام كانت الهجرة واجبة إليها وقد ذكر الشوكاني بعد ذلك أن بعض أهل العلم أوجب ديته ولكن لبيت المال، ويستأنس لهذا القول، ولما نحن بصدده أيضا بما رواه أبو داود والترمذي من حديث جرير بن عبد الله قال: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى خثعم، فاعتصم ناس منهم بالسجود فأسرع فيهم القتل، قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ، فأمر لهم بنصف العقل، وقال: ((أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، قالوا: يا رسول الله لم؟ قال: لا ترايا (تراءى) ناراهما)). وقد أعلّ الحديث بالإرسال حيث لم يذكر جرير في رواية جماعة، لكن صححه بعض العلماء بمجموع طرقه.

---

[١] انظر روضة الطالبين (٩/٣٨١).

[٢] فتح القدير (١/٤٩٨).

وقد ذكر الخطابي وبعض أهل العلم[١]: أنه ﷺ إنما أمر لهم بنصف العقل بعد علمه بإسلامهم، لأنهم قد أعانوا على أنفسهم بمقامهم بين ظهراني الكفار، فكانوا كمن هلك بجناية نفسه وجناية غيره، فسقط بذلك حصة جنايته فلم يكن له إلا نصف العقل.

وهذا كله من الدلائل على أن مثل هذا لا يكفر رغم تقصيره في الهجرة، وعصيانه بالمقام بين ظهراني المشركين، وليس أظهر في الدلالة على ذلك تسمية رسول الله ﷺ له بالمسلم وعدم رفع هذه الصفة عنه، ولا يعكر على ذلك براءة النبي ﷺ منه وكون البراءة الكلية لا تكون إلا من الكافر لأن المراد بالبراءة هنا براءة الذمة من عقله كاملاً[٢]، كما قد فسر في الحديث نفسه، ومن ذلك أيضاً قصور حقه في النصرة لتقصيره في الهجرة، فهذه قرائن صارفة للبراءة المكفرة، إلى براءة من نوع ثان فسرتها السنة وذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

اللهم إلا أن يضم إلى إقامته في دار الكفر وتقصيره بالهجرة الواجبة إلى دار الإسلام؛ مظاهرته للمشركين ومحاربته للمسلمين، فحينئذ تكون البراءة منه براءة كلية مكفرة.

قال ابن حزم بعد أن ذكر الحديث أعلاه[٣]: (وهو عليه السلام لا يبرأ إلا من كافر قال تبارك وتعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾، ثم قال: (فصح بهذا أن من لحق بدار الكفر والحرب مختاراً محارباً لمن يليه من المسلمين فهو بهذا الفعل مرتد له أحكام المرتد كلها من وجوب القتل عليه متى قدر عليه، ومن إباحة ماله، وانفساخ نكاحه وغير ذلك لأن رسول الله ﷺ لم يبرأ من مسلم، وأما من فر إلى أرض الحرب لظلم خافه، ولم

---

[١] انظر عون المعبود (٢١٨/٧).

[٢] وفي رواية للبيهقي (١٢/٩ - ١٣) وغيره وفيها عنعنة الحجاج بن أرطأة: ((من أقام مع المشركين، فقد برئت منه الذمة)).

[٣] المحلى (١٣٨/١٣ – ١٣٩).

يحارب المسلمين، ولا أعان عليهم، ولم يجد في المسلمين من يجيره فهذا لا شيء عليه لأنه مضطر مكره).

وهو صريح في أن اللحوق بدار الكفر إنما يكون كفراً، إذا ما انضاف إليه محاربة المسلمين وإعانة الكفار ومظاهرتهم عليهم، فهو يتنزل على أنصار الشرك المحاربين للدين أو من ظاهر المشركين والكافرين على الموحدين لا على عموم المقيمين في دار الكفر.

ثم قال ابن حزم رحمه الله: (وقد ذكرنا أن الزهري محمد بن مسلم بن شهاب كان عازماً على أنه إن مات هشام بن عبد الملك لحق بأرض الروم لأن الوليد بن يزيد كان نذر دمه إن قدر عليه، وهو كان الوالي بعد هشام فمن كان هكذا فهو معذور وكذلك من سكن بأرض الهند والسند والصين والترك والسودان والروم من المسلمين، فإن كان لا يقدر على الخروج من هنالك لثقل ظهر أو لقلة مال أو لضعف جسم أو لامتناع طريق فهو معذور فإن كان هنالك محارباً للمسلمين معيناً للكفار بخدمة أو كتابة فهو كافر).

وإياك أن تفهم من قوله: "معيناً للكفار بخدمة أو كتابة فهو كافر"، التكفير بمجرد إعانة الكفار بمطلق الخدمة أو الكتابة، كما يطلقه بعض الغلاة، فقد رأيت كيف ربط ابن حزم هذه الإعانة بحرب المسلمين، فهذا هو الكفر، أعني حرب المسلمين ومظاهرة الكفار ونصرتهم عليهم في حربهم ولو بالكتابة ونحوها، لا مطلق خدمتهم والكتابة لهم، فهذا فيه تفصيل سيأتي بإذن الله.

وكذا الحديث المذكور في براءة النبي ﷺ ممن أقام بين ظهراني المشركين؛ فقد قيل في ظل وجود دار إسلام، بل قد قيل في وقت كانت الهجرة إلى النبي ﷺ واجبة قبل فتح مكة، ومع هذا لم يكفر أمثال هؤلاء بمجرد إقامتهم بين المشركين، وإن أثموا وعوقبوا بنقصان حرمتهم، وضعف وقصور ولايتهم فإذا ما عدمت دار الإسلام التي يهاجر المسلم إليها فإنه بإقامته

بدار الكفر معذور إذا ما اتقى الله واجتنب الشرك، وإعانة أهله على المسلمين، إذ لا سبيل إلى دار إسلام يهاجر إليها حتى يأثم بتقصيره في ذلك، فضلا عن أن يكفر!!.

فكيف إذا كانت إقامته في دار الكفر والحالة كذلك، لأجل نصرة دين الله وإظهار التوحيد ومقارعة الشرك والتنديد؟ لا شك أن مثل هذا المسلم محسن مأجور قائم بدين الله تبارك وتعالى.

وفي الحديث المتواتر المروي عن بضع عشر صحابياً بألفاظ متقاربة أن النبي ﷺ قال: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على أمر الله لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله))، ومثله الحديث الآخر: ((الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم)) وهو في صحيح البخاري.

فهذان الحديثان يدلان على وجود المسلمين الصادقين والمجاهدين إلى يوم القيامة، واستمرار وجودهم في كل الظروف، في ظل وجود دار الإسلام وفي حال عدمها.

وقريب من هذا المعنى حديث حذيفة المتفق عليه: "فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟" قال ﷺ: ((فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)). ففيه أنه لا أثر لغياب جماعة المسلمين أو إمامهم – وهذه مقومات دار الإسلام – ولا علاقة لذلك في إسلام المرء أو كفره، وإنما المناط الذي يتعلق ذلك به هو إظهاره لسبب من أسباب الكفر.

فهذا كله يدل على أن المسلم إذا كان في دار الكفر ولم يهاجر منها إلى دار الإسلام لعجز أو مانع منعه أو لتمكنه من إظهار دينه فيها، أو لقيامه بالجهاد ونصرة الدين فهو مسلم معصوم الدم والمال فمن باب أولى أن يبقى المسلم كذلك في حال عدم وجود دار إسلام يهاجر إليها أصلاً؛ فإن الله تبارك وتعالى لم ينط أحكام التكفير بأمور قاهرة لا كسب للعباد فيها وإنما أناطها سبحانه وتعالى بأسباب ظاهرة منضبطة تنحصر بقول أو فعل مكفر

من كسب المكلف ومالم يظهر المرء شيئاً من ذلك، فلا سبيل إلى تكفيره، بأمور خارجة عن إرادته ما دام عنده أصل الإسلام[١].

والخلاصة: أن مصطلح دار الكفر لا أثر له في الحكم على قاطني الدار، خصوصاً في وقت قد أمست الأرض كلها فيه دار كفر إما أصلية، أو طارئة لغلبة الكفار وأحكامهم على جميع البلاد ويتأكد ذلك إذا كانت الدار الموصوفة بهذا المصطلح دار كفر طارئ، أي أنها كانت قبل ذلك دار إسلام ولا زال جمهور أهلها ينتسبون للإسلام، وهذا أمر غفل أو تغافل عنه كثير من المتحمسين.

---

[١] يقول المقدسي فك الله أسره في الرسالة الثلاثينية (٩٠): (أسباب الكفر أو الردة هي: إما قول مكفر، أو فعل مكفر، أو اعتقاد أو شك مكفر.. وهذه أسباب الكفر عمومًا.

أما أسباب التكفير التي تعمل في أحكام الدنيا فتنحصر في: الفعل أو القول المكفر فقط، وقد حصرت الشريعة أسباب التكفير في الدنيا بذلك وحده.

لأن الاعتقاد والشك أسباب غير ظاهرة ولا منضبطة في أحكام الدنيا، لذلك لم يعلق به الشارع أحكام الدنيا أو يجعلها أسبابًا للتكفير فيها، وإنما جعل ذلك للذي يعلم السر وأخفى، فهي لأجل ذلك أسباب للكفر أخروية، لا علاقةلأحكام الدنيا بها.

ولذلك كان من أبطن الكفر ولم يظهره، بل أظهر شرائع الإسلام منافقًا يعامل في أحكام الدنيا معاملة المسلمين، أما في أحكام الآخرة فيحاسبه الله على ما أبطن من أسباب الكفر، فيكون مصيره الدرك الأسفل من النار.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الصارم المسلول (١٧٧ – ١٧٨): وبالجملة فمن قال أو فعل ما هو كفر، كفر بذلك وإن لم يقصد أن يكون كافرًا، إذ لا يقصد الكفر أحد إلا ما شاء الله).

ختامًا

في العدد القادم بإذن الله سنأتي على مسائل مهمة مبنية على قراءة وفهم هذه الحلقة، فاحرص على ذلك، والله أسأل أن يعيد أمتنا الإسلامية إلى عزها ومجدها. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحلقة الثانية

تغيّر صفة الدار

بعد عرض تعريف الدور وأنواعها في الحلقة الماضية والرد على بعض الشبه الخطيرة نأتي لعرض مسائل جديدة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بما مضى وأولها الحديث عن تغير صفة الدار من دار كفر إلى دار إسلام ومن دار إسلام إلى دار كفر.

فصفة الدار ليست من الصفات الثابتة واللازمة لها بل هي صفة عارضة تتغير بحسب تغير الأحكام التي تجري فيها واليد الغالبة عليها كما ذُكر ذلك في الحلقة الماضية في مناط الحكم على الدار وتنقيح ذلك المناط فكل بقعة أو ناحية إنما تُنسب إلى المسلمين أو إلى الكفار باعتبار ظهور الأحكام ولمن تكون القوة والغلبة، فالموضع الذي يظهر فيه حكم الكفر والقوة فيه والغلبة للكفار فذلك الموضع دارُ كفرٍ، والموضع الذي يظهر فيه حكم الإسلام والقوة فيه والغلبة للمسلمين فالموضع دار إسلام.

قال عبد القادر عبد العزيز فك الله أسره[١]: (صفة الدار ليست من الصفات اللازمة المؤبدة بل هي صفة عارضة قابلة للتغيّر بحسب اليد الغالبة عليها والأحكام الجارية فيها، فقد تكون الدار دار كفر في وقت ما ثم تصبح دار إسلام كما كانت مكة في أول الإسلام، وقد تكون دار إسلام ثم تصبح دار كفر كالأندلس وفلسطين).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيناً أن أوصاف الدار ليست لازمة بل هي عارضة[٢]: (كتب أبو الدرداء إلى سلمان الفارسي رضي الله عنهما يقول له: "هلم إلى الأرض المقدسة"، فكتب إليه سلمان: "إن الأرض لا تقدس أحداً، وإنما يقدس الرجل عمله" وهو كما قال سلمان الفارسي رضي الله عنه؛ فإن مكة -حرسها الله تعالى- أشرف البقاع، وقد كانت في غربة الإسلام دار كفر وحرب يحرم المقام بها، وحرم بعد الهجرة أن

---

[١] الجامع في طلب العلم (٢/٦٤٦ – ٦٤٧).

[٢] مجموع الفتاوى (٢٧/٤٥)، وكرر هذا في (١٨/٢٨٢ – ٢٨٤)، و (٢٧/١٤٣ – ١٤٤).

يرجع إليها المهاجرون فيقيموا بها، وقد كانت الشام في زمن موسى -عليه السلام- قبل خروجه ببني إسرائيل دار الصابئة المشركين الجبابرة الفاسقين، وفيها قال تعالى لبني إسرائيل: ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾.

فإن كون الأرض دار كفر أو دار إسلام أو إيمان أو دار سلم أو حرب أو دار طاعة أو معصية أو دار المؤمنين أو الفاسقين أوصاف عارضة، لا لازمة، فقد تنتقل من وصفٍ إلى وصفٍ كما ينتقل الرجل بنفسه من الكفر إلى الإيمان والعلم، وكذلك بالعكس).

وقال ابن تيمية رحمه الله[١]: (كثر ذكر طرسوس في كتب العلم والفقه المصنفة في ذلك الوقت لأنها كانت ثغر المسلمين حتى كان يقصدها أحمد بن حنبل والسري السقطي وغيرهما من العلماء والمشايخ للرباط وتوفي المأمون قريباً منها فعامة ما يوجد في كلام المتقدمين من فضل عسقلان، والإسكندرية، أو عكة، أو قزوين، أو غير ذلك، وما يوجد من أخبار الصالحين الذين بهذه الأمكنة ونحو ذلك، فهو لأجل كونها كانت ثغوراً، لا لأجل خاصية ذلك المكان، وكون البقعة ثغراً للمسلمين أو غير ثغر هو من الصفات العارضة لها اللازمة لها، بمنزلة كونها دار إسلام أو دار كفر، أو دار حرب، أو دار سلم، أو دار علم وإيمان، أو دار جهل ونفاق).

وقال ابن تيمية رحمه الله[٢]: (فأحوال البلاد كأحوال العباد فيكون الرجل تارة مسلمًا، وتارة كافرًا، وتارة مؤمنًا، وتارة منافقًا، وتارة برًا تقيًا، وتارة فاسقًا، وتارة فاجرًا شقيًا).

وقال ابن تيمية رحمه الله[٣]: (والثغر قد يكون مكاناً ثم يفتح المسلمون ما جاورهم فينتقل الثغر إلى حد بلاد المسلمين؛ ولهذا يكون المكان تارة ثغراً، وتارة ليس بثغر؛ كما

---

[١] مجموع الفتاوى (٢٧/ ٥٣).

[٢] مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٨٤).

[٣] مجموع الفتاوى (٢٧/٢٤٨ – ٢٤٩).

يكون تارة دار إسلام وبرٍّ، وتارة دار كفر وفسق؛ كما كانت مكة دار كفر وحرب، وكانت المدينة دار إيمان وهجرة ومكاناً للرباط، فلما فتحت مكة صارت دار إسلام، ولم تبق المدينة دار هجرة ورباط كما كانت قبل فتح مكة، بل قد قال ﷺ: ((لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا))، وصارت الثغور أطراف أرض الحجاز المجاورة لأرض الحرب؛ أرض الشام، وأرض العراق.

ثم لما فتح المسلمون الشام والعراق صارت الثغور بالشام سواحل البحر؛ كعسقلان، وعكة، وما جاور ذلك، وبالعراق عبادان ونحوها؛ ولهذا يكثر ذكر عسقلان، وعبادان في كلام المتقدمين؛ لكونهما كانا ثغرين، وكانت أيضاً طرطوس ثغراً لما كانت للمسلمين، ولما أخذها الكفار صار الثغر ما يجاور أرض العدو من البلاد الحلبية).

دار الكفر هل تصير دار إسلام؟

أجمع أهل العلم على أن دار الكفر تصير دار إسلام بظهور أحكام الإسلام فيها، قال الكاساني رحمه الله[١]: (لا خلاف بين أصحابنا في أن دار الكفر تصير دار إسلام بظهور أحكام الإسلام فيها)، وقال العيني رحمه الله[٢]: (لأن خيبر صارت دار الإسلام لظهور النبي ﷺ عليها وهذا لا خلاف فيه). فالأحناف كلهم متفقون مع الجمهور في هذه المسألة وإنما الخلاف أتى في مسألة ما تصير به دار الإسلام دار كفر كما سيأتي.

صورة المسألة على وجهين:

الوجه الأول: إسلام أهل الحرب وإقامتهم في دارهم بحيث لهم القوة والغلبة ويُظهرون أحكام الإسلام في بلدهم:

قال محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله[٣]: (ولو أن جنداً من المسلمين دخلوا دار الحرب وعليهم أمير من قبل الخليفة، فدخلوا دار الحرب، وخلفوا مدائن كثيرة من مدائن المشركين، فنزلوا على مدينة من مدائنهم فدعاهم المسلمون إلى الإسلام فأجابوهم إليه، فإن المسلمين يقبلون ذلك منهم إذا أسلموا، لأن القتال إنما شرع لقبول الإسلام، قال الله تعالى: ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ فإذا أسلموا يجب القبول منهم، ثم الأمير يدعهم في أرضهم، ويستعمل عليهم أميراً من المسلمين يحكم بحكم أهل الإسلام; لأن المدينة صارت دار الإسلام فلا بد من أمير بينهم يجري فيهم حكم المسلمين، فإن كان القوم إذا انصرف عنهم ذلك الجند من المسلمين لم يقدروا على أن يمتنعوا من أهل الحرب، وأبوا أن يتحولوا إلى دار الإسلام، فإن

---

[١] بدائع الصنائع (١٣١/٧).

[٢] عمدة القاري (٥٥/١٥).

[٣] شرح السير الكبير (٢١٩١/٥).

الأمير يدعهم وما اختاروا لأنفسهم؛ لأنهم أساءوا في الاختيار فيتركهم وسوء اختيارهم ولا يجبرون على التحويل لأنهم أحرار مسلمون في مدينة الإسلام فلا يجبرون على التحويل).

الوجه الثاني: أن يفتح المسلمون دار الكفر بحيث تكون لهم القوة والغلبة ويُجرون أحكام الإسلام فيها:

فلو فُتحت أرض العدو ولم يتمكن المسلمون من إجراء الأحكام فيها لا تصير دار إسلام بل تبقى كما كانت إذ لابد من جريان أحكام الإسلام وأن تكون القوة والغلبة فيها للمسلمين وذلك بانقطاع يد أهل الحرب عنها من كلِّ وجه.

قال السرخسي رحمه الله[١]: (لو فتح المسلمون أرضاً من أرض العدو حتى صارت في أيديهم وهرب أهلها عنها، صارت دار الإسلام بظهور أحكام الإسلام فيها).

قال السرخسي رحمه الله[٢]: (إن دار الإسلام اسم للموضع الذي يكون تحت يد المسلمين.. وهذه البقاع كانت في يد أهل الحرب، فلا تصير دار الإسلام إلا بانقطاع يد أهل الحرب عنها من كل وجه، وهذا لأن ما كان ثابتاً فإنه يبقى ببقاء بعض آثاره، ولا يرتفع إلا باعتراض معنى هو مثله أو فوقه).

وقال محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله[٣]: (وإذا كانت دار من دور أهل الحرب قد وادع المسلمون أهلها على أن يؤدوا إلى المسلمين شيئاً معلوماً في كل سنة، على ألا يجري عليهم المسلمون أحكامهم فهذه دار الحرب؛ لأن الدار إنما تصير دار الإسلام بإجراء حكم المسلمين فيها، وحكم المسلمين غير جار، فكانت هذه دار حرب).

---

[١] شرح السير الكبير (٣/١٠٠٤).

[٢] شرح السير الكبير (٤/١٢٥٣).

[٣] شرح السير الكبير (٥/٢١٦٥).

وقال أيضاً رحمه الله[١]: (فإن أبوا الإسلام فدعاهم المسلمون إلى إعطاء الجزية فأجابوا إلى ذلك وأبوا التحول من دارهم، وقالوا: أعطونا العهد على أن نكون في موضعنا لا نبرح، فإن كان المسلمون إذا أقاموا معهم يقوون على أهل الحرب، وكانوا ممتنعين منهم، فلا بأس بأن يجعلهم الأمير ذمة ويجعل عليهم أميراً من المسلمين يحكم بحكم المسلمين ويجعل مع الأمير من المسلمين من يقوى على المقام معهم في دارهم؛ لأن قبول الفُرقة واجب، قال الله تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ وهذه ذمة منهم؛ لأن الأمير يجري عليهم حكم المسلمين، وبإجراء الحكم عليهم يصيرون ذمة، ومدينتهم تصير مدينة الإسلام، فيقبل ذلك منهم.

وإن كان هذا الموضع لم يقو من ترك فيها من المسلمين على أهل الحرب، ولم يقدروا على أن يحكموا فيها بحكم الإسلام، لم يسع للمسلمين أن يجيبوهم إلى هذا ولكنهم يجعلونهم ذمة إذا خرجوا بعيالتهم إلى أرض الإسلام لأن دار الشرك إنما تصير دار الإسلام بإجراء حكم المسلمين فيها، وأهل الشرك إنما يصيرون أهل الذمة بإجراء حكم المسلمين عليهم، وقد عجز الأمير عن إجراء حكم المسلمين عليهم، فكانوا في هذه الحالة بمنزلة الموادعين للمسلمين.

وأهل الحرب متى طلبوا موادعتهم من المسلمين لم يجب على المسلمين موادعتهم، إلا أن يكون فيها خير للمسلمين ظاهراً، فكذلك هاهنا لا يجب قبول هذه الذمة منهم، بخلاف ما إذا أسلموا؛ لأن الإسلام يصح من غير قبول من الإمام، فإذا أسلموا صاروا مسلمين، فلا يتعرض لهم الأمير بعد الإسلام، ولكن يخلف فيهم رجلاً يجري فيهم حكم المسلمين، إن قدروا وإلا يتركهم على ذلك، وقد أسلم أهل نجران وأهل اليمامة وبينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قوم كثير من المشركين فتركهم على ذلك).

---

[١] شرح السير الكبير (٥/٢١٩١ – ٢١٩٢).

تطبيقات تاريخية من أقوال العلماء على تحول دار الكفر إلى دار إسلام

قال الشافعي رحمه الله[١]: (فإن قال قائل ما دل على أن الدار في هذا وغير الدار سواء قيل أسلم أبو سفيان بن حرب بمر[٢] وهي دار خزاعة وهي دار إسلام وامرأته هند بنت عتبة كافرة مقيمة بمكة وهي دار كفر ثم أسلمت هند في العدة فأقرهما رسول الله ﷺ على النكاح وأسلم أهل مكة وصارت مكة دار إسلام وأسلمت امرأة صفوان ابن أمية وامرأة عكرمة بن أبي جهل وهما مقيمان في دار الإسلام وهرب زوجاهما إلى ناحية البحرين وهي دار كفر ثم رجعا فأسلما وأزواجهما في العدة فأقرهم رسول الله ﷺ على النكاح الأول).

قال ابن القيم رحمه الله وهو يتحدث عن مكة وتحولها إلى دار إسلام بعد أن كانت دار حرب[٣]: (وأسلمت امرأة صفوان بن أمية وامرأة عكرمة بن أبي جهل بمكة وصارت دارهما دار الإسلام وظهر حكم رسول الله ﷺ بمكة وهرب عكرمة إلى اليمن وهي دار حرب وصفوان يريد اليمن وهي دار حرب ثم رجع صفوان إلى مكة وهي دار الإسلام).

---

[١] الأم (٧/٣٦٠).

[٢] فائدة: مر الظهران هو وادي مَر بينه وبين مكة ستة عشر ميلا، وقيل: ثمانية عشر، وقيل: أحد وعشرون حكاه ابن وضاح، وذكر السهيلي خلافًا في تسميته بمر، فقال: سمي مرًا؛ لأن في عروق الوادي من غير لون الأرض شبه الميم الممدود بعدها راء خلقت كذلك، ونقل عن ذر: سميت مرًا لمرارتها، ولا أدري ما صحة هذا، ونقل الحارثي عن الكندي أن مر اسم للقرية والظهران اسم للوادي. انظر مواهب الجليل (٣/ ١٣٨).

[٣] إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/٥٨٠).

وقال ابن القيم رحمه الله[١]: (وكانت دار الهجرة في زمن رسول الله هي دار الإسلام فلما أسلم أهل الأمصار صارت البلاد التي أسلم أهلها بلاد الإسلام).

وقال القرطبي رحمه الله وهو يتحدث عن ميقات أهل العراق وأن العراق كانت دار كفر على عهد رسول الله ثم تحولت دار إسلام[٢]: (واختلفوا في ميقات أهل العراق وفيمن وقته فروى أبو داود والترمذي عن ابن عباس أن النبي ﷺ وقَّت لأهل المشرق العقيق قال الترمذي هذا حديث حسن وروي أن عمر وقت لأهل العراق ذات عرق وفي كتاب أبي داود عن عائشة أن رسول الله ﷺ وقَّت لأهل العراق ذات عرق وهذا هو الصحيح ومن روى أن عمر وقته لأن العراق في وقته افتتحت فغفلة منه بل وقته رسول الله ﷺ كما وقت لأهل الشام الجحفة والشام كلها يومئذ دار كفر كما كانت العراق وغيرها يومئذ من البلدان[٣] ولم تفتح العراق ولا الشام إلا على عهد عمر وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل السير).

وقال ابن عبد البر رحمه الله وهو ينقل الخلاف أيضاً فيمن وقَّت ميقات أهل العراق[٤]: (بل رسول الله ﷺ هو الذي وقت لأهل العراق ذات عرق والعقيق كما وقت لأهل الشام الجحفة والشام كلها يومئذ دار كفر كما كانت العراق يومئذ دار كفر، فوقت المواقيت لأهل النواحي لأنه علم أنه سيفتح الله على أمته الشام والعراق وغيرهما من البلدان ولم تفتح الشام ولا العراق جميعاً إلا على عهد عمر وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل السير، وقد قال رسول

---

[١] أحكام أهل الذمة (١/٥).

[٢] جامع أحكام القرآن (٢/٣٦٧).

[٣] سياق كلامه رحمه الله يدل على أنها تحولت وصارت دار إسلام، وتجد هذا أيضًا في كلام القرطبي وغيره كما سيأتي.

[٤] التمهيد (١٥/١٤١).

الله ﷺ: ((منعت العراق دينارها ودرهمها ومنعت الشام إردبها ومديها وقفيزها)) بمعنى ستمنع، وقال ﷺ: ((ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار))، وقال ﷺ: ((زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها))).

وقال أيضًا رحمه الله[1]: (عن ابن عمر قال رأيت رسول الله ﷺ يشير إلى المشرق يقول: ((ها إن الفتنة هاهنا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان)) في هذا الحديث علم من أعلام نبوة رسول الله ﷺ لإخباره بالغيب عما يكون بعده، والفتنة هاهنا بمعنى الفتن لأن الواحدة هاهنا تقوم مقام الجميع في الذكر، لأن الألف واللام في الفتنة ليسا إشارة إلى معهود وإنما هما إشارة إلى الجنس، مثل قوله: الزانية والزاني والسارق والسارقة، فأخبر ﷺ عن إقبال الفتن من ناحية المشرق وكذلك أكثر الفتن من المشرق انبعثت وبها كانت نحو الجمل وصفين وقتل الحسين وغير ذلك مما كان بعد ذلك من الفتن بالعراق وخراسان إلى اليوم، وقد كانت الفتن في كل ناحية من نواحي الإسلام ولكنها بالمشرق أكثر أبداً.

ومثل هذا الحديث قوله ﷺ: ((إني أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر)) وقد يحتمل أن تكون الفتنة في هذا الحديث معناها الكفر، وكانت المشرق يومئذ دار كفر فأشار إليها).

وقال ابن حجر رحمه الله[2]: (باب الصلاة في الجبة الشامية هذه الترجمة معقودة لجواز الصلاة في ثياب الكفار ما لم يتحقق نجاستها، وإنما عبر بالشامية مراعاة للفظ الحديث وكانت الشام إذ ذاك دار كفر).

---

[1] التمهيد (١٢/١٧).

[2] فتح الباري (٤٧٣/١).

وقال ابن كثير رحمه الله وهو يتحدث عن الفتوحات الإسلامية ودخول البلدان في حوزة الإسلام ووصول دولة الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها[١]: (أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولاً فأولاً الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام، ولهذا بدأ رسول الله ﷺ بقتال المشركين في جزيرة العرب، فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن واليمامة وهجر وخيبر وحضرموت وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب، ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجا.

شرع في قتال أهل الكتاب فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام لأنهم أهل الكتاب، فبلغ تبوك ثم رجع لأجل جهد الناس وجدب البلاد وضيق الحال وذلك سنة تسع من هجرته عليه السلام، ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجة الوداع.

ثم عاجلته المنية صلوات الله وسلامه عليه بعد حجته بأحد وثمانين يوما فاختاره الله لما عنده، وقام بالأمر بعده وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقد مال الدين ميلة كاد أن ينجفل فثبته الله تعالى به، فوطد القواعد، وثبت الدعائم، ورد شارد الدين وهو راغم، ورد أهل الردة إلى الإسلام، وأخذ الزكاة ممن منعها من الطغام، وبين الحق لمن جهله، وأدى عن الرسول ما حمله.

ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عبدة الصلبان وإلى الفرس عبدة النيران، ففتح الله ببركة سفارته البلاد، وأرغم أنف كسرى وقيصر ومن أطاعهما من العباد، وأنفق كنوزهما في سبيل الله كما أخبر بذلك رسول الله.

وكان تمام الأمر على يدي وصيه من بعده وولي عهده الفاروق الأواب شهيد المحراب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله،عنه فأرغم الله أنوف الكفرة الملحدين، وقمع الطغاة

---

[١] تفسير القرآن العظيم (٢/٤٠٣).

المنافقين، واستولى على الممالك شرقاً وغرباً، وحملت إليه خزائن الأموال من سائر الأقاليم بعدا وقربا، ففرقها على الوجه الشرعي والسبيل المرضي.

ثم لما مات شهيداً وقد عاش حميداً أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار على خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه شهيد الدار، فكسى الإسلام رياسة حلة سابغة وامتدت الدعوة في سائر الأقاليم على رقاب العباد حجة الله البالغة، فظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وعلت كلمة الله وظهر دينه وبلغت الملة الحنيفية من أعداء الله غاية مآربها، وكلما علوا أمة انتقلوا إلى بعدهم ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار) – إلى قوله – (وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالى، لم يزالوا ظاهرين على عدوهم ولم تزل الفتوحات كثيرة ولم تزل الأعداء في سفال وخسار) [١].

[١] وسيأتي مزيد توضيح عند الحديث عن اتساع دار الإسلام وانحسارها بإذن الله.

دار الإسلام هل تصير دار كفر؟

تقدَّم آنفاً انعقاد الإجماع على أن دار الكفر تصير دار إسلام عندما يفتحها المسلمون ويُظهرون أحكام الإسلام فيها، أي أنها بمجرد جريان أحكام الإسلام تصير دار إسلام.

ولكن: الدار التي فتحها المسلمون في يوم من الأيام وصارت دار إسلام هل تتحول وتصير دار كفر؟.

صورة المسألة على أوجه:

الوجه الأول: إذا تغلّب الكفار على بلدة من بلاد الإسلام وسيطروا عليها وأجروا أحكامهم فيها.

كحال الأندلس بعد سيطرة الصليبين عليها وإجراء أحكامهم فيها والتي تحكمها الآن دولتان (أسبانيا، البرتغال) وكحال الأرض المباركة وسواحل الشام بعد سيطرة الفرنجة قديماً عليها وسيطرة يهود اليوم عليها.

الوجه الثاني: ارتداد أهل بلدة من بلاد المسلمين عن الإسلام وامتناعهم فيها وتغلبهم عليها وإجراء أحكامهم فيها.

كدار مسيلمة الكذاب والأسود العنسي.

الوجه الثالث: قيام طائفة ممتنعة محددة بالتغلب على مدينة أو قرية أو ناحية وإجراء أحكامهم فيها وقهر وإذلال المسلمين.

كحال أنظمة الكفر والردة اليوم في غالب الدول التي كانت بالأمس داراً للإسلام.

الوجه الرابع: نقض أهل الذمة لعهودهم وتغلبهم على البلد التي يسكنونها وإجراء أحكامهم فيها.

جاء في الفتاوى الهندية[١]: (وإذا نقض أهل الذمة العهد، وغلبوا على دارهم أو على دار من ديار المسلمين، وصارت الدار دار حرب بالاتفاق، ثم ظهر عليهم المسلمون وثبت الخيار فيهم للإمام، فإن شاء مَنَّ عليهم برقابهم وأراضيهم ونسائهم وذراريهم وأموالهم، ووضع على أراضيهم الخراج، وإن شاء وضع العشر، وهذا تسمية وفي الحقيقة خراج، ولهذا يصرف هذا العشر مصرف الخراج، وإن شاء جعل عليها العشر مضاعفا كما فعل عمر رضي الله عنه ببني تغلب وإن قتل الرجال وقسم النساء والذراري والأموال، وبقيت الأراضي بلا ملاك، فنقل إليها قوماً من المسلمين ليكونوا ردءا للمسلمين، وجعل الأراضي لهم ليؤدوا المؤنة عنها جاز ولكن يفعل برضا أولئك الذين يريد الإمام نقلهم إليها وإذا نقل إليها قوما من المسلمين، وصارت الأراضي مملوكة لهم جعل عليها العشر إن شاء، وإن شاء جعل عليها الخراج، ولو أن قوماً من المسلمين ارتدوا، وغلبوا على دارهم أو على دار من ديار المسلمين، وصارت دارهم دار حرب بالاتفاق، ثم ظهر عليهم المسلمون، فإنه لا يقبل من رجالهم إلا السيف أو الإسلام، فإن أبوا أن يسلموا قتلوا).

فجماهير الفقهاء وكبار أصحاب أبي حنيفة وتلامذته على أن دار الإسلام تصير دار كفرٍ بشرط واحد وهو: ظهور أحكام الكفر فيها، وذلك لا يتم إلا بقوة وغلبة الكافرين.

بينما يرى أبو حنيفة رحمه الله أن دار الإسلام تصير دار كفرٍ بشروط ثلاثة وهي:

١) ظهور أحكام الكفر فيها.

---

[١] الفتاوى الهندية (٢/٢٠٥).

٢) أن تكون متاخمة لدار الكفر.

٣) أن لا يبقى فيها مسلم ولا ذمي آمنا بالأمان الأول، وهو أمان المسلمين.

فلو ظهرت أحكام الكفر ولم تكن متاخمة لدار الكفر لم تصر دار كفر على قول أبي حنيفة لأنه لابد من اجتماع الشروط الثلاثة.

قال الكاساني رحمه الله[١]: (واختلفوا في دار الإسلام، إنها بماذا تصير دار الكفر؟ قال أبو حنيفة: إنها لا تصير دار الكفر إلا بثلاث شرائط، أحدها: ظهور أحكام الكفر فيها والثاني: أن تكون متاخمة لدار الكفر والثالث: أن لا يبقى فيها مسلم ولا ذمي آمنا بالأمان الأول، وهو أمان المسلمين).

وجاء في الفتاوى الهندية[٢]: (قال محمد رحمه الله تعالى في الزيادات: إنما تصير دار الإسلام دار الحرب عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى بشروط ثلاثة أحدها: إجراء أحكام الكفار على سبيل الاشتهار وأن لا يحكم فيها بحكم الإسلام، والثاني: أن تكون متصلة بدار الحرب لا يتخلل بينهما بلد من بلاد الإسلام، والثالث: أن لا يبقى فيها مؤمن، ولا ذمي آمنا بأمانه الأول الذي كان ثابتاً قبل استيلاء الكفار للمسلم بإسلامه وللذمي بعقد الذمة).

وقال السرخسي رحمه الله[٣]: (الحاصل أن عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى إنما تصير دارهم دار الحرب بثلاث شرائط: أحدها: أن تكون متاخمة أرض الترك ليس بينها وبين أرض

---

[١] بدائع الصنائع (١٣١/٧).

[٢] الفتاوى الهندية (٢٣٢/٢).

[٣] المبسوط (١١٤/١٠).

الحرب دار للمسلمين، والثاني: أن لا يبقى فيها مسلم آمن بإيمانه، ولا ذمي آمن بأمانه، والثالث: أن يظهروا أحكام الشرك فيها).

وقال الكاساني رحمه الله مبيناً مقصود أبي حنيفة[1]: (وجه قول أبي حنيفة رحمه الله أن المقصود من إضافة الدار إلى الإسلام والكفر ليس هو عين الإسلام والكفر، وإنما المقصود هو الأمن والخوف ومعناه أن الأمان إن كان للمسلمين فيها على الإطلاق، والخوف للكفرة على الإطلاق، فهي دار الإسلام، وإن كان الأمان فيها للكفرة على الإطلاق، والخوف للمسلمين على الإطلاق، فهي دار الكفر والأحكام مبنية على الأمان والخوف لا على الإسلام والكفر، فكان اعتبار الأمان والخوف أولى، فما لم تقع الحاجة للمسلمين إلى الاستئمان بقي الأمن الثابت فيها على الإطلاق، فلا تصير دار الكفر، وكذا الأمن الثابت على الإطلاق لا يزول إلا بالمتاخمة لدار الحرب، فتوقف صيرورتها دار الحرب على وجودهما مع أن إضافة الدار إلى الإسلام احتمل أن يكون لما قلتم، واحتمل أن يكون لما قلنا، وهو ثبوت الأمن فيها على الإطلاق للمسلمين وإنما يثبت للكفرة بعارض الذمة والاستئمان، فإن كانت الإضافة لما قلتم تصير دار الكفر بما قلتم، وإن كانت الإضافة لما قلنا لا تصير دار الكفر إلا بما قلنا، فلا تصير ما به دار الإسلام بيقين دار الكفر بالشك والاحتمال على الأصل المعهود أن الثابت بيقين لا يزول بالشك والاحتمال، بخلاف دار الكفر حيث تصير دار الإسلام، لظهور أحكام الإسلام فيها؛ لأن هناك الترجيح لجانب الإسلام لقوله عليه الصلاة والسلام: ((الإسلام يعلو ولا يعلى)) فزال الشك على أن الإضافة إن كانت باعتبار ظهور الأحكام، لكن لا تظهر أحكام الكفر إلا عند وجود هذين الشرطين -أعني المتاخمة وزوال الأمان الأول- لأنها لا تظهر إلا بالمنعة، ولا منعة إلا بهما والله سبحانه وتعالى أعلم وقياس هذا الاختلاف في أرض لأهل الإسلام ظهر عليها المشركون، وأظهروا فيها أحكام الكفر، أو كان أهلها أهل ذمة فنقضوا الذمة، وأظهروا أحكام الشرك، هل تصير دار

---

[1] بدائع الصنائع (١٣١/٧).

الحرب؟ فهو على ما ذكرنا من الاختلاف، فإذا صارت دار الحرب فحكمها إذا ظهرنا عليها، وحكم سائر دور الحرب سواء).

وقال السرخسي رحمه الله[١]: (لكن أبو حنيفة رحمه الله تعالى يعتبر تمام القهر والقوة؛ لأن هذه البلدة كانت من دار الإسلام محرزة للمسلمين فلا يبطل ذلك الإحراز إلا بتمام القهر من المشركين، وذلك باستجماع الشرائط الثلاث؛ لأنها إذا لم تكن متصلة بالشرك فأهلها مقهورون بإحاطة المسلمين بهم من كل جانب، فكذلك إن بقي فيها مسلم أو ذمي آمن فذلك دليل عدم تمام القهر منهم، وهو نظير ما لو أخذوا مال المسلم في دار الإسلام لا يملكونه قبل الإحراز بدارهم لعدم تمام القهر، ثم ما بقي شيء من آثار الأصل فالحكم له دون العارض كالمحلة إذا بقي فيها واحد من أصحاب الخطة فالحكم له دون السكان والمشترين.

وهذه الدار كانت دار إسلام في الأصل فإذا بقي فيها مسلم أو ذمي فقد بقي أثر من آثار الأصل فيبقى ذلك الحكم وهذا أصل لأبي حنيفة رحمه الله تعالى.. وكذلك حكم كل موضع معتبر بما حوله فإذا كان ما حول هذه البلدة كله دار إسلام لا يعطى لها حكم دار الحرب كما لو لم يظهر حكم الشرك فيها، وإنما استولى المرتدون عليها ساعة من نهار..).

بينما اعتبر كبار أصحاب وتلامذة أبي حنيفة ما عليه الجمهور ولم يعتبروا الشروط التي ذكرها أبو حنيفة كما سبق في الحلقة السابقة.

فقد قرر الكاساني رحمه الله حجة هذا القول بأن الأصل في تسمية الدار هو ظهور أحكام الإسلام أو أحكام الكفر فيقول[٢]: (وجه قولهما – أي محمد بن الحسن والقاضي يوسف – أن قولنا دار الإسلام ودار الكفر إضافة دار إلى الإسلام وإلى الكفر، وإنما تضاف

---

[١] المبسوط (١١٤/١٠).

[٢] بدائع الصنائع (١٣١/٧)

الدار إلى الإسلام أو إلى الكفر لظهور الإسلام أو الكفر فيها، كما تسمى الجنة دار السلام، والنار دار البوار؛ لوجود السلامة في الجنة، والبوار في النار وظهور الإسلام والكفر بظهور أحكامهما، فإذا ظهر أحكام الكفر في دار فقد صارت دار كفر فصحت الإضافة، ولهذا صارت الدار دار الإسلام بظهور أحكام الإسلام فيها من غير شريطة أخرى، فكذا تصير دار الكفر بظهور أحكام الكفر فيها).

قال رحمه الله[١]: (قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله إنها تصير دار الكفر بظهور أحكام الكفر فيها).

وقال السرخسي رحمه الله[٢]: (وعن أبي يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى إذا أظهروا أحكام الشرك فيها فقد صارت دارهم دار حرب، لأن البقعة إنما تنسب إلينا أو إليهم باعتبار القوة والغلبة، فكل موضع ظهر فيه حكم الشرك فالقوة في ذلك الموضع للمشركين فكانت دار حرب، وكل موضع كان الظاهر فيه حكم الإسلام فالقوة فيه للمسلمين).

وقال سليمان بن سحمان رحمه الله[٣]:

إذا ما تولى كافرُ متغلبٌ ... على دار إسلام وحلَّ بها الوجل
وأجرى بها أحكامَ كفرٍ علانيًا ... وأظهرها فيها جهارًا بلا مهل
وأوْهَى بها أحكام شرع محمدٍ ... ولم يَظهر الإسلام فيها ويُنتحل
فذي دار كفر عند كل محقق ... كما قاله أهل الدراية بالنِحَل
وما كل مَنْ فيها يُقال بكفره ... فرُبَّ امرئ فيهم على صالح العمل

---

(١) بدائع الصنائع (١٣١/٧).

(٢) المبسوط (١١٤/١٠).

(٣) الموالاة والمعاداة (٥٢٢/٢).

وقال عبد القادر عبد العزيز فك الله أسره[١]: (إذا تغلّب الكفار على دار إسلام وأجروا فيها أحكام الكفر فهذه تصير دار كفر لتحقق المناط فيها.. ويدخل في هذا بلاد المسلمين المحكومة بالقوانين الوضعية هي ديار كفر).

وواقعنا اليوم حتى على شروط أبي حنيفة هو أن ما كان بالأمس داراً للإسلام صار دار كفرٍ وحربٍ ولا حول ولا قوة إلا بالله فأحكام الكفر والشرك ظاهرة والقوة والغلبة فيها للكافرين والمرتدين والمتاخمة موجودة والمسلمون غير آمنين وليس هناك ذمة ولا ذميون.

ومن الأدلة على تحول دار الإسلام إلى دار كفر فتح القسطنطينية الذي يكون قريباً من خروج الدجال مع علمنا أنها فُتحت سنة ٨٥٧ هـ على يد محمد الفاتح الذي حوَّل اسمها إلى إسلام بول – مدينة الإسلام – ومسح الإمبراطورية الرومانية الشرقية وذلك أيام الدولة العثمانية وفتحه لها ليس هو الفتح الذي بشَّر به النبي ﷺ وإنما هو فتحٌ من الفتوح وهذا يدل على أنها صارت دار إسلام بعد أن كانت دار كفر ثم تصير دار كفرٍ ويتم فتحها في آخر الزمان فتصير دار إسلام وحين نقول إن فتح محمد الفاتح لها ليس هو الفتح المبشَّر به في الأحاديث النبوية لعدة أسباب **منها**:

أن فتحها الوارد في الحديث يكون بالتهليل والتكبير وذلك لم يحصل في فتح محمد الفاتح.

ومنها: أن فتحها الوارد في الحديث ورد فيه أنهم حال افتتاحهم وهو يقتسمون الغنائم يأتيهم الصريخ أن الدجال خلفكم في أهليكم وذلك كذب وهذا لم يحصل في فتح محمد الفاتح.

ومنها: أنهم يعلقون سيوفهم بالزيتون وذلك لم يحصل في فتح محمد الفاتح.

---

[١] الجامع في طلب العلم (٢/٦٤٧).

ومنها: أن فتحها المبشر به يكون قريباً جداً من خروج الدجال لعنه الله ومن نزول عيسى بن مريم عليه السلام وذلك لم يحصل في فتح محمد الفاتح.

ومنها: أن الذين يفتحونها عددهم سبعون ألفاً من بني إسحاق وإن كان النووي رحمه الله يرجح أنهم من بني إسماعيل وهذا لم يحدث في فتح محمد الفاتح.

وغير ذلك من الأسباب التي تجعلنا نقول بارتياح إن فتح محمد الفاتح للقسطنطينية هو فتح من الفتوح العظيمة ولكنه غير الفتح الوارد في الأحاديث النبوية.

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أو بدابق[1] فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصادفوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون: لا والله! لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبداً فيفتتحون قسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل فإذا جاءوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فأمَّهم فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته)).

وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟)) قالوا: نعم يا رسول الله! قال: ((لا تقوم الساعة

---

[1] موقعان بالشام يقعان بالقرب من مدينة حلب.

حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق[١] فإذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها)).

قال ثور: لا أعلمه إلا قال: ((الذي في البحر، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم فيدخلوها فيغنموا فبينما هم يقتسمون المغانم، إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون)).

وأخرج أحمد في مسنده عن أبي قبيل قال كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص وسئل أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية فدعا عبد الله بصندوق له حلق قال فأخرج منه كتاباً قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية فقال رسول الله ﷺ: ((مدينة هرقل تفتح أولا يعني قسطنطينية)).

وأخرج الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "فتح القسطنطينية مع قيام الساعة" قال الترمذي: القسطنطينية هي مدينة الروم تفتح عند خروج الدجال والقسطنطينية قد فتحت في زمان بعض أصحاب النبي ﷺ.

قال ابن كثير رحمه الله معقباً على كلام الترمذي[٢]: "هكذا قال إنها فُتحت في زمن الصحابة وفي هذا نظر فإن معاوية بعث إليها ابنه يزيد في جيش عظيم فيهم أبو أيوب

---

[١] قال النووي رحمه الله في المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٨/٤٣ - ٤٤): (قال القاضي: كذا في جميع أصول صحيح مسلم "من بني إسحاق" قال: قال بعضهم: المعروف المحفوظ "من بني إسماعيل" وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه لأنه إنما أراد العرب، وهذه المدينة هي القسطنطينية).

[٢] النهاية في الفتن والملاحم (١/٩٧).

الأنصاري ولكن لم يتفق أن فتحها وحاصرها مسلمة بن عبد الملك بن مروان في زمان دولتهم ولم تُفتح أيضاً ولكن صالحهم على بناء مسجد بها".

قال ابن تيمية رحمه الله[١]: "وكان المسلمون قد غزوا القسطنطينية غزوتين:

الأولى: في خلافة معاوية أمَّر فيها ابنه يزيد، وغزا معه أبو أيوب الأنصاري الذي نزل النبي ﷺ في داره لما قدم مهاجراً إلى المدينة، ومات أبو أيوب في تلك الغزوة ودفن إلى جانب القسطنطينية، وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: ((أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له)).

والغزوة الثانية: في خلافة عبد الملك بن مروان أمر ابنه مسلمة أو خلف الوليد ابنه وأرسل معه جيشاً عظيماً وحاصروها وأقاموا عليها مدة سنين، ثم صالحوهم على أن يدخلوها، وبنوا فيها مسجداً وذلك المسجد باق إلى اليوم".

قال الذهبي رحمه الله[٢]: (وقد كان في هذا القرن الفاضل – القرن الأول – خلق عظيم من أهل العلم وأئمة الاجتهاد وأبطال الجهاد في أقطار البلاد وسادةٌ عُبّاد أبدال أو أوتاد، ولعل في من تركناهم من هو أجل وأعلم، وكان الإسلام ظاهراً عالياً قد طبق الأرض، وافتتحت بلاد الترك وإقليم الأندلس بعد التسعين – في دولة بني أمية – في رتبة أعظم سلطانٍ يكون، وعَمَرَ إذ ذاك مسجد النبي ﷺ بأكمل زخرفة غرم عليه أموالاً عظيمة، وأنشأ جامع دمشق وغرم عليه أزيد من ستة آلاف ألف دينار وذلك بجاه العمل، وكان خراج الدنيا لا يكاد ينحصر كثرة، فقد كان عمر رتب الجزية على القبط في العام اثني عشر ألف ألف دينار، فما ظنك بجزية الروم وما ظنك بجزية الفرس.

---

[١] مجموع الفتاوى (١٨/٣٥٢).

[٢] تذكرة الحفاظ (١/٧٠).

ولقد كان الخليفة من بني أمية لو شاء أن يبعث بعوثه إلى أقصى الصين لفعل لكثرة الجيوش والأموال، فهذا سليمان لما ولي قد أغزى جيوشه في البر والبحر إلى مدينة القسطنطينية وحاصروها نحوا من عشرين شهراً ووقع للمسلمين غلاء وجوع لبعد الديار، ولكن بلغنا أنه كان في منزله العسكر عرمة حنطة كالجبل العالي ذخيرة للجند وغيظاً للروم، فلما استخلف عمر بن عبد العزيز أذن للجيش في الترحل عنها وصالح أهلها وخضعوا له رضي الله عنه).

وسواء أفتحت القسطنطينية في عهد الصحابة أم غيرهم فهي ستُفتح في آخر الزمان قرب خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، وهذا يعني تحولها من دار إسلام إلى دار كفر ثم تُفتح وتصير دار إسلام.

تطبيقات تاريخية من أقوال العلماء على تحول دار الإسلام إلى دار كفر

قال ابن تيمية رحمه الله[١]: (وتكرر دخول العسكر إليها مع صلاح الدين الذي فتح مصر، فأزال عنها دعوة العبيديين من القرامطة الباطنية وأظهر فيها شرائع الإسلام، حتى سكنها من حينئذ من أظهر بها دين الإسلام، وكان في أثناء دولتهم يخاف الساكن بمصر أن يروي حديثًا عن رسول الله ﷺ فيقتل، كما حكي ذلك إبراهيم بن سعد الحبال صاحب عبد الغني بن سعيد، وامتنع من رواية الحديث خوفًا أن يقتلوه، وكانوا ينادون بين القصرين: من لعن وسب، فله دينار وإردب، وكان بالجامع الأزهر عدة مقاصير يلعن فيها الصحابة، بل يتكلم فيها بالكفر الصريح، وكان لهم مدرسة بقرب المشهد الذي بنوه ونسبوه إلى الحسين وليس فيه الحسين، ولا شيء منه باتفاق العلماء، وكانوا لا يدرسون في مدرستهم علوم المسلمين، بل المنطق، والطبيعة، والإلهي، ونحو ذلك من مقالات الفلاسفة.

وبنوا أرصادًا على الجبال وغير الجبال، يرصدون فيها الكواكب، يعبدونها، ويسبحونها، ويستنزلون روحانياتها التي هي شياطين تتنزل على المشركين الكفار، كشياطين الأصنام، ونحو ذلك.

والمعز بن تميم بن معد أول من دخل القاهرة منهم في ذلك، فصنف كلامًا معروفًا عند أتباعه؛ وليس هذا المعز بن باديس، فإن ذاك كان مسلمًا من أهل السنة، وكان رجلاً من ملوك المغرب؛ وهذا بعد ذاك بمدة.

ولأجل ما كانوا عليه من الزندقة والبدعة بقيت البلاد المصرية مدة دولتهم نحو مائتي سنة قد انطفأ نور الإسلام والإيمان، حتى قالت فيها العلماء: إنها كانت دار ردة ونفاق، كدار مسيلمة الكذاب).

---

[١] مجموع الفتاوى (٣٥/١٣٨ - ١٣٩).

وقال ابن تيمية رحمه الله[١]: (وجرت فصول كثيرة إلى أن أخذت مصر من بني عبيد أخذها صلاح الدين يوسف بن سادي، وخطب بها لبني العباس، فمن حينئذ ظهر الإسلام بمصر بعد أن مكثت بأيدي المنافقين المرتدين عن دين الإسلام مائة سنة).

وقال ابن القيم رحمه الله[٢]: (خرج المهدي الملحد عبيد الله بن ميمون القداح، وكان جده يهودياً من بيت مجوسي، فانتسب بالكذب والزور إلى أهل البيت[٣]، وادعى أنه

---

[١] مجموع الفتاوى (١٣/ ١٧٨).

[٢] المنار المنيف (١/١٥٣ – ١٥٤).

[٣] قال ابن تيمية رحمه الله عن نسب الفاطميين في الفتاوى الكبرى (٣/٤٩٣ – ٤٩٥): وكذلك النسب قد عُلم أن جمهور الأمة تطعن في نسبهم، ويذكرون أنهم من أولاد المجوس أو اليهود، هذا مشهور من شهادة علماء الطوائف من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وأهل الحديث، وأهل الكلام، وعلماء النسب، والعامة، وغيرهم.

وهذا أمر قد ذكره عامة المصنفين لأخبار الناس وأيامهم، حتى بعض من قد يتوقف في أمرهم كابن الأثير الموصلي في تاريخه ونحوه، فإنه ذكر ما كتبه علماء المسلمين بخطوطهم في القدح في نسبهم، وأما جمهور المصنفين من المتقدمين والمتأخرين حتى القاضي ابن خلكان في تاريخه، فإنهم ذكروا بطلان نسبهم، وكذلك ابن الجوزي، وأبو شامة وغيرهم من أهل العلم بذلك، حتى صنف العلماء في كشف أسرارهم وهتك أستارهم، كما صنف القاضي أبو بكر الباقلاني كتابه المشهور في كشف أسرارهم وهتك أستارهم، وذكر أنهم من ذرية المجوس وذكر من مذاهبهم ما بين فيه أن مذاهبهم شر من مذاهب اليهود والنصارى، بل ومن مذاهب الغالية الذين يدعون إلهية علي أو نبوته، فهم أكفر من هؤلاء.

وكذلك ذكر القاضي أبو يعلى في كتابه (المعتمد) فصلا طويلا في شرح زندقتهم وكفرهم، وكذلك ذكر أبو حامد الغزالي في كتابه الذي سماه (فضائل المستظهرية وفضائح الباطنية)، قال: ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض.

وكذلك القاضي عبد الجبار بن أحمد وأمثاله من المعتزلة المتشيعة الذين لا يفضلون على علي غيره، بل يفسقون من قاتله ولم يتب من قتاله: يجعلون هؤلاء من أكابر المنافقين الزنادقة. فهذه مقالة المعتزلة في

حقهم، فكيف تكون مقالة أهل السنة والجماعة؟ والرافضة الإمامية – مع أنهم من أجهل الخلق، وأنهم ليس لهم عقل ولا نقل، ولا دين صحيح، ولا دنيا منصورة.

نعم يعلمون أن مقالة هؤلاء مقالة الزنادقة المنافقين، ويعلمون أن مقالة هؤلاء الباطنية شر من مقالة الغالية الذين يعتقدون إلهية علي رضي الله عنه.

وأما القدح في نسبهم فهو مأثور عن جماهير علماء الأمة من علماء الطوائف، وقد تولى الخلافة غيرهم طوائف، وكان في بعضهم من البدعة والعلم ما فيه، فلم يقدح الناس في نسب أحد من أولئك كما قدحوا في نسب هؤلاء، ولا نسبوهم إلى الزندقة والنفاق كما نسبوا هؤلاء.

وقد قام من ولد على طوائف: من ولد الحسن، وولد الحسين، كمحمد بن عبد الله بن حسن، وأخيه إبراهيم بن عبد الله بن حسن، وأمثالهما، ولم يطعن أحد لا من أعدائهم ولا من غير أعدائهم لا في نسبهم ولا في إسلامهم، وكذلك الداعي القائم بطبرستان وغيره من العلويين، وكذلك بنو حمود الذين تغلبوا بالأندلس مدة، وأمثال هؤلاء لم يقدح أحد في نسبهم ولا في إسلامهم.

وقد قتل جماعة من الطالبين للخلافة لا سيما في الدولة العباسية، وحبس طائفة موسى بن جعفر وغيره، ولم يقدح أعداؤهم في نسبهم ولا دينهم.

وسبب ذلك أن الأنساب المشهورة أمرها ظاهر متدارك مثل الشمس لا يقدر العدو أن يطفئه، وكذلك إسلام الرجل وصحة إيمانه بالله والرسول أمر لا يخفى، وصاحب النسب والدين لو أراد عدوه أن يبطل نسبه ودينه وله هذه الشهرة لم يمكنه ذلك، فإن هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، ولا يجوز أن تتفق على ذلك أقوال العلماء.

وهؤلاء – بنو عبيد القداح – ما زالت علماء الأمة المأمونون علماً وديناً يقدحون في نسبهم ودينهم، لا يذمونهم بالرفض والتشيع؛ فإن لهم في هذا شركاء كثيرين، بل يجعلونهم من القرامطة الباطنية الذين منهم الإسماعيلية والنصيرية، ومن جنسهم الخرمية المحمرة، وأمثالهم من الكفار المنافقين الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر.

ولا ريب أن اتباع هؤلاء باطل، وقد وصف العلماء أئمة هذا القول بأنهم الذين ابتدعوه ووضعوه، وذكروا ما بنوا عليه مذاهبهم، وأنهم أخذوا بعض قول المجوس وبعض قول الفلاسفة: فوضعوا لهم (السابق) و

المهدي الذي بشر به النبي ﷺ، وملك وتغلب واستفحل أمره إلى أن استولت ذريته الملاحدة المنافقون الذين كانوا أعظم الناس عداوة لله ولرسوله على بلاد المغرب ومصر والحجاز والشام، واشتدت غربة الإسلام ومحنته ومصيبته بهم، وكانوا يدعون الإلهية، ويدعون أن للشريعة باطناً يخالف ظاهرها، وهم ملوك القرامطة الباطنية أعداء الدين، فتستروا بالرفض والانتساب كذباً إلى أهل البيت، ودانوا بدين أهل الإلحاد وروجوه، ولم يزل أمرهم ظاهراً إلى أن أنقذ الله الأمة منهم ونصر الإسلام بصلاح الدين يوسف بن أيوب، فاستنقذ الملة الإسلامية منهم وأبادهم وعادت مصر دار إسلام بعد أن كانت دار نفاق وإلحاد في زمنهم).

وقال ابن كثير رحمه الله عند ذكره لأحداث سنة سبع وستين وخمسمائة[1]: (وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء وأكثرهم مالاً، وكانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرة وأخبثهم سريرة، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات، وكثر أهل الفساد، وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد، وكثر بأرض الشام النصرانية والدرزية والحشيشية،

(التالي) و (الأساس) و (الحجج) و(الدعاوى) وأمثال ذلك من المراتب، وترتيب الدعوة سبع درجات: آخرها (البلاغ الأكبر والناموس الأعظم) مما ليس هذا موضع تفصيل ذلك.

وإذا كان كذلك فمن شهد لهم بصحة نسب أو إيمان فأقل ما في شهادته أنه شاهد بلا علم، قاف ما ليس له به علم، وذلك حرام باتفاق الأمة، بل ما ظهر عنهم من الزندقة والنفاق، ومعاداة ما جاء به الرسول دليل على بطلان نسبهم الفاطمي؛ فإن من يكون من أقارب النبي القائمين بالخلافة في أمته لا تكون معاداته لدينه كمعاداة هؤلاء؛ فلم يعرف في بني هاشم، ولا ولد أبي طالب، ولا بني أمية من كان خليفة وهو معاد لدين الإسلام، فضلاً عن أن يكون معادياً كمعاداة هؤلاء، بل أولاد الملوك الذين لا دين لهم فيكون فيهم نوع حمية لدين آبائهم وأسلافهم، فمن كان من ولد سيد ولد آدم الذي بعثه الله بالهدى ودين الحق كيف يعادي دينه هذه المعاداة؛ ولهذا نجد جميع المأمونين على دين الإسلام باطنا وظاهرا معادين لهؤلاء، إلا من هو زنديق عدو الله ورسوله، أو جاهل لا يعرف ما بعث به رسوله، وهذا مما يدل على كفرهم وكذبهم في نسبهم).

[1] البداية والنهاية (١٢/ ٢٨٢ – ٢٨٣).

وتغلب الفرنج على سواحل الشام بكماله حتى أخذوا القدس ونابلس وعجلون والغور وبلاد غزة وعسقلان وكرك الشوبك وطبرية وبانياس وصور وعكا وصيدا وبيروت وصفد وطرابلس وإنطاكية وجميع ما والى ذلك إلى بلاد إياس وسيس، واستحوذوا على بلاد آمد والرها ورأس العين وبلاد شتى غير ذلك، وقتلوا من المسلمين خلقاً وأمماً لا يحصيهم إلا الله، وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان ما لا يحد ولا يوصف، وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها وصارت دار إسلام.

وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يحد ولا يوصف، وكادوا أن يتغلبوا على دمشق ولكن الله سلم، وحين زالت أيامهم وانتقض إبرامهم أعاد الله عز وجل هذه البلاد كلها إلى المسلمين بحوله وقوته وجوده ورحمته).

وقال محمد بن عبد الوهاب رحمه الله[1]: (ولو ذهبنا نُعَدِّد من كفَّره العلماء مع ادعائه الإسلام وأفتوا بردته وقتله لطال الكلام، ولكن من آخر ما جرى قصة بني عبيد ملوك مصر وطائفتهم وهم يدّعون أنهم من أهل البيت، ويصلون الجمعة والجماعة ونصبوا القضاة والمفتين، أجمع العلماء على كفرهم وردتهم وقتالهم وأن بلادهم بلاد حرب يجب قتالهم ولو كانوا مكرهين مبغضين لهم).

قال الذهبي رحمه الله[2]: (وما زال بلد صيدا دار إسلام إلى أن استولى عليه الفرنج في حدود الخمس مئة فدام بأيديهم دهرا إلى أن افتتحه السلطان الملك الأشرف صلاح الدين سنة تسعين وست مئة).

---

[1] الرسائل الشخصية (٢٢٠).

[2] سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٥٧).

وقال ابن نُجيم رحمه الله[١]: (وفي زماننا بعد فتنة التتار العامة صارت هذه الولايات التي غلبوا عليها وأجروا أحكامهم فيها، كخوارزم وما وراء النهر، وخراسان ونحوها، صارت دار حرب في الظاهر).

وقال ياقوت الحموي رحمه الله[٢]: (وجبلة أيضا قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية، قال أحمد بن يحيى بن جابر: لما فرغ عبادة بن الصامت من اللاذقية سنة وكان قد سيره إليها أبو عبيدة بن الجراح، ورد فيمن معه على مدينة تعرف ببلدة على فرسخين من جبلة، ففتحها عنوة ثم إنها خربت وجلا عنها أهلها، فأنشأ معاوية جبلة وكانت حصنا للروم جلوا عنها، ثم فتح المسلمين حمص وشحنها بالرجال، وبنى معاوية بجبلة حصناً خارجاً من الحصن الرومي القديم، وكان سكان الحصن القديم قوماً من الرهبان يتعبدون فيه على دينهم، فلم تزل جبلة بأيدي المسلمين على أحسن حال حتى قوي الروم وافتتحوا ثغور المسلمين... ولم تزل بأيديهم) - إلى أن قال - (فإن القاضي أبا محمد عبد الله بن منصور ابن الحسين التنوخي المعروف بابن ضليعة قاضي جبلة وثب عليها واستعان بالقاضي جلال الدين بن عمار صاحب طرابلس، فتقوى به على من بها من الروم فأخرجهم منها، ونادى بشعار المسلمين، وانتقل من كان بها من الروم إلى طرابلس فأحسن ابن عمار إليهم وصار إلى ابن ضليعة منها مال عظيم القدر وبقيت بأيدي المسلمين، ثم ملكها الفرنج من يد فخر الملك إلى أن استردها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، تسلمها بالأمان في تاسع عشر جمادى الآخرة وهي الآن بأيدي المسلمين والحمد لله رب العالمين).

وقال رحمه الله[٣]: (صور بضم أوله وسكون ثانيه وآخره راء... وهي مدينة مشهورة سكنها خلق من الزهاد والعلماء، وكان من أهلها جماعة من الأئمة، كانت من ثغور المسلمين

---

[١] البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٣/٢٣٠ - ٢٣١).

[٢] معجم البلدان (٢/١٠٥).

[٣] معجم البلدان (٣/٤٣٣).

وهي مشرفة على بحر الشام، داخلة في البحر مثل الكف على الساعد، يحيط بها البحر من جميع جوانبها إلا الرابع الذي منه شروع بابها، وهي حصينة جدا ركينة لا سبيل إليها إلا بالخذلان، افتتحها المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم تزل في أيديهم على أحسن حال، فنزل عليها الإفرنج وحاصروها وضايقوها حتى نفدت أزوادهم، وكان صاحب مصر الآمر قد أنفذ إليها أزواداً فعصفت الريح على الأسطول فردته إلى مصر فتعوقت عن الوصول إليها، فلما سلموها وصل بعد ذلك بدون العشرة أيام وقد فات الأمر وسلمها أهلها بالأمان وخرج منها المسلمون ولم يبق بها إلا صعلوك عاجز عن الحركة، وتسلمها الإفرنج وحصنوها وأحكموها وهي في أيديهم إلى الآن، والله المستعان المرجو لكل خير الفاعل لما يريد) [1].

وأخيراً ها هي الأندلس التي كانت داراً ومناراً للإسلام أصبحت داراً للكفر تسود فيها وتظهر أحكام الكفر النصرانية والقوة والغلبة فيها لدولتين نصرانيتين (أسبانيا، والبرتغال) ولا يخالفنا في ذلك أحد من المسلمين فضلاً عن عالمٍ من علمائهم، وقد رثاها أبو البقاء الرندي بقصيدته المشهورة بـ (رثاء الأندلس) يقول رحمه الله:

لِكُلِّ شَـــيءٍ إِذا مـا تَمّ نُقصـــانُ ... فَلا يُغَرَّ بِطيـبِ العَيشِ إِنســـانُ
هِيَ الأُمُورُ كَما شـــاهَـدتُها دُوَلٌ ... مَن سَـــرّهُ زَمَن ســـاءَتـهُ أَزمـانُ
وَهَـذِهِ الـدارُ لا تُبقي عَلى أَحَـدٍ ... وَلا يَـدُومُ عَلى حـالٍ لَهـا شـــانُ
يُمَزِّقُ الـدَهرُ حَتماً كُـلَّ ســـابِغَـةٍ ... إِذا نَبَت مَشـــرَفِيّات وَخرصـــانُ
وَيَنتَضـــي كُـلَّ سَـــيفٍ للفَنـاء وَلَو ... كـانَ ابنَ ذي يَزَن وَالغِمـد غمـدانُ
أَينَ الملوكُ ذَوي التيجـانِ مِن يَمَنٍ ... وَأَيـنَ مِـنـهُـم أَكـالِـيـلٌ وَتـيـجَـانُ
وَأَينَ مـا شـــادَهُ شَـــدّادُ في إِرَمٍ ... وَأَينَ ما سـاسَـه في الفُرسِ سـاسـانُ

---

[1] والأمثلة التاريخية كثيرة نكتفي بهذا القدر منها.

وَأَينَ ما حازَهُ قارونُ من ذَهَبٍ ... وَأَينَ عادٌ وَشدّادٌ وَقَحطانُ

أَتى عَلى الكُلِّ أَمرٌ لا مَرَدّ لَهُ ... حَتّى قَضوا فَكَأَنّ القَوم ما كانُوا

وَصارَ ما كانَ مِن مُلكٍ وَمِن مَلكٍ ... كَما حَكى عَن خَيالِ الطَيفِ وَسنانُ

دارَ الزَمانُ عَلى دارا وَقاتِلِهِ ... وَأَمَّ كِسرى فَما آواهُ إِيوانُ

كَأَنَّما الصَعبُ لَم يَسهُل لَهُ سببٌ ... يَوماً وَلا مَلَكَ الدُنيا سُلَيمانُ

فَجائِعُ الدُهرِ أَنواعٌ مُنَوَّعَةٌ ... وَلِلزَمانِ مَسرّاتٌ وَأَحزانُ

وَلِلحَوادِثِ سلوانٌ يسهلها ... وَما لِما حَلَّ بِالإِسلامِ سلوانُ

دهى الجَزيرَة أَمرٌ لا عَزاءَ لَهُ ... هَوَى لَهُ أُحُدٌ وَانهَدَّ ثَهلانُ

أَصابَها العينُ في الإِسلامِ فارتَزأَت ... حَتّى خَلَت مِنهُ أَقطارٌ وَبُلدانُ

فاسأل بَلَنسِيةً ما شَأنُ مرسِيَةٍ ... وَأَينَ شاطِبة أَم أَينَ جيّانُ

وَأَين قُرطُبة دارُ العُلُومِ فَكَم ... مِن عالِمٍ قَد سَما فِيها لَهُ شانُ

وَأَينَ حمص وَما تَحويهِ مِن نُزَهٍ ... وَنَهرُها العَذبُ فَيّاضٌ وَمَلآنُ

قَواعِد كُنَّ أَركانَ البِلادِ فَما ... عَسى البَقاءُ إِذا لَم تَبقَ أَركانُ

تَبكِي الحَنيفِيَّةُ البَيضاءُ مِن أَسَفٍ ... كَما بَكى لِفِراقِ الإِلفِ هَيمَانُ

حَيثُ المساجِدُ قَد صارَت كَنائِس ما ... فيهِنَّ إِلّا نَواقِيسٌ وصلبانُ

حَتّى المِحاريبُ تَبكي وَهيَ جامِدَةٌ ... حَتّى المَنابِرُ تَبكي وَهيَ عيدَانُ

كَم يَستَغيثُ بِنا المستَضعَفُونَ وَهُم ... قَتلى وَأَسرى فَما يَهتَزُّ إِنسانُ

ماذا التَقاطعُ في الإِسلامِ بَينَكُمُ ... وَأَنتُم يا عِبَادَ اللهِ إِخوَانُ

أَلا نُفوسٌ أَبيّاتٌ لَها هِمَمٌ ... أَما عَلى الخَيرِ أَنصارٌ وَأَعوانُ

يا مَن لِذلَّةِ قَوم بَعدَ عِزّتِهِم ... أَحالَ حالَهُم كفرٌ وَطُغيانُ

بِالأَمسِ كانُوا مُلُوكاً فِي مَنازِلِهِم ... وَاليَومَ هُم في بِلادِ الكُفرِ عُبدانُ

فَلَو تَراهُم حَيارى لا دَلِيلَ لَهُم ... عَلَيهِم من ثيابِ الذُلِّ أَلوانُ
وَلَو رَأَيت بُكاهُم عِندَ بَيعهمُ ... لَهالَكَ الأَمرُ وَاستَهوَتكَ أَحزانُ
يا رُبَّ أُمٍّ وَطِفلٍ حيلَ بينهُما ... كَما تُفَرَّقُ أَرواحٌ وَأَبدانُ
وَطفلَة مِثلَ حُسنِ الشَمسِ إِذ طلعت ... كَأَنَّما هيَ ياقُوتٌ وَمُرجانُ
يَقُودُها العِلجُ لِلمَكروهِ مُكرَهَةً ... وَالعَينُ باكِيَةٌ وَالقَلبُ حَيرانُ
لِمثلِ هَذا يذوبُ القَلبُ مِن كَمَدٍ ... إِن كانَ في القَلبِ إِسلامٌ وَإِيمانُ

الرد على من يقول بعدم تحول دار الإسلام إلى دار كفر

قال ابن حجر الهيتمي[١]: (ما حُكِم بأنه دار إسلام لا يصير بعد ذلك دار كفرٍ مطلقاً.. ويتعذر عَودُه دار كفر، وإن استولى عليه الكفار).

قال عبد القادر عبد العزيز فك الله أسره رداً على ذلك[٢]: (ذهب ابن حجر المكي الهيتمي إلى أن دار الإسلام لا تصير دار كفر وإن استولى عليها الكفار وأجروا فيها أحكامَهم، واستدل لذلك بحديث: ((الإسلام يعلو ولا يُعلى)) رواه الدارقطني بإسناد حسن عن عائذ بن عمرو مرفوعاً، ورواه البخاري معلقاً في كتاب الجنائز[٣] وقد ذهب إلى رأي ابن حجر هذا بعض المعاصرين، ولا يخفى بطلان هذا القول فإن الأدلة الخاصة على أن مناط الحكم على الدار هو الغلبة والأحكام – وقد ذكرناها في بيان المناط – هذه الأدلة الخاصة ترجح على الأدلة العامة كالتي استدل ابن حجر فقد أجمع العلماء على تقديم الدليل الخاص على العام، كتقديم قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ على قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوَءٍ﴾ لا يختلف العلماء في هذا ولو صح قول ابن حجر المكي لجاز القول بأن المسلم لا يكفر أبداً وإن قام به الكفر لأن ((الإسلام يَعلو ولا يُعلى)) وهذا خلاف النص والإجماع، وقد قال ﷺ: ((من بدل دينه فاقتلوه)) رواه البخاري.

---

[١] تحفة المحتاج لشرح المنهاج (٩/٢٦٨ – ٢٦٩).

[٢] الجامع في طلب العلم (٢/٦٤٦ – ٦٤٧).

[٣] انظر فتح الباري (٣/٢١٨ – ٢٢٠) وقد نقل قول ابن حجر المكي هذا صديق حسن خان في كتابه (العبرة فيما ورد في الغزو والشهادة والهجرة) (٢٤٠).

فهذا النص العام الذي استدل به ابن حجر لا ينبغي أن تعارض به النصوص الخاصة في كل مسألة، ولا ينبغي أن ترتب عليه مثل هذه الأحكام وقوله بأن دار الإسلام لا تنقلب دار كفر مع مصادمته للأدلة مخالف لقول جمهور الفقهاء.

وإذا افترضنا صحة قوله لوجب أن تكون أسبانيا النصرانية دار إسلام اليوم لأنها كانت دار إسلام من قبل (الأندلس) وهذا يعني أن يقبل طواعية بجريان أحكام الكفار فيها عليه، وأنه يحرم على المسلمين الهجرة من أسبانيا لأنه لا هجرة من دار الإسلام، وأنه يحرم على المسلمين غزو أسبانيا النصرانية لأنها دار إسلام، ولو هجم الكفار على أسبانيا لوجب على كل مسلم أن يهب ليدفع عن دار الإسلام في أسبانيا، إلى آخر لوازم قول ابن حجر، وهى لوازم لامناص منها، وفساد هذا القول ولوازمه يُغني عن إفساده).

إذا تغلب الكفار على دار الإسلام وبقيت أحكام الإسلام هي الجارية في الدار

وقع في التاريخ أن الكفار تغلبوا على دار الإسلام وأبقوا أحكام الإسلام جاريةً فيها وهذا يسمى الاستيلاء الناقص فهل تُسمى الدار حينئذٍ دار كفر أو إسلام؟.

قال عبد القادر عبد العزيز فك الله أسره[١]: (الاستيلاء الناقص: وهو ما إذا تغلَّب الكفار على دار إسلام ولكن بقيت أحكام الإسلام هي الجارية في الدار.

ومن أمثلة هذا: استيلاء التتار على الشام في أواخر القرن السابع الهجري، فالثابت تاريخياً أنهم أقروا القضاة على الحكم بالشريعة بين المسلمين مع تكفير العلماء للتتار لحكمهم فيما بينهم بقانون كبيرهم جنكيز خان (الياسق)؛ فالمنقول عن فقهاء ذلك العصر أن الدار لا تصير دار كفر بهذا مادامت أحكام الشريعة قائمة[٢].

والحق أنه إذا استولى الكفار على دار الإسلام وظلت أحكام الإسلام قائمة، فإنه يجب التفريق بين ما إذا كانت قائمة بسبب شوكة المسلمين أم بسبب إذن الكفار بذلك.

فإذا ظلت أحكام الإسلام جارية بسبب شوكة المسلمين فهي دار إسلام، وهى الصورة السابقة التي حدثت في بلاد الشام مع استيلاء التتار، ولا يحدث هذا إلا مداهنة من الكافر المتغلب حتى لا يستفز المسلمين إذا أبطل أحكام الإسلام، ولا يداهن الكافر إلا مع عدم قدرته على تمام الغلبة والاستيلاء، وكان هذا هو الوضع بالشام فقد كانت الحرب سجالاً

---

[١] الجامع في طلب العلم (٢/٦٤٧ - ٦٤٩).

[٢] انظر العبرة فيما جاء في الغزو والشهادة والهجرة (٢٣٢)، وكتاب وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي لمحمد ماهر حمادة.

بين التتار وبين أهل الشام ومصر[١] وحضر شيخ الإسلام ابن تيمية بعض هذه الحروب، ومع عدم تمام الغلبة ومع جريان أحكام الإسلام تبقى الدار دار إسلام، وإن كان السلطان كافراً، كما أن دار الإسلام تظل كما هي إذا ارتد حاكمها المسلم ولم يغير شيئاً من الأحكام، وفي كلا الحالين يجب على المسلمين قتال السلطان الكافر (المتغلب أو المرتد) لخلعه ونصب إمام مسلم، وقتاله فرض عين لأنه جهاد دفع.

أما إذا ظلت أحكام الإسلام جارية في الدار مع استيلاء الكفار لكونها مأذوناً بها من الكافر المتغلب لا بسبب شوكة المسلمين، فهي دار كفر، لأن لو أراد أن يبطلها لأبطلها، وهذه الصورة وقعت بالأندلس في بداية استيلاء الأسبان عليها كما ذكر محمد بن جعفر الكتاني في كتابه (نصيحة أهل الإسلام) قال[٢]:

(شروط معاهدة تسليم أهل الأندلس للأسبان: وانظر فإنهم لما ضيقوا على أهل الأندلس، وضَعُفَ أهل الأندلس عنهم بعد حروب كثيرة وحصار عظيم، طاع أهل الأندلس بالدخول تحت أيالتهم وحكمهم بشروط اشترطوها عليهم وهي نحو من خمسة وخمسين وقيل سبعة وستين، منها تأمين الصغير والكبير في النفس والأهل والمال، وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم، وإقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم عليهم أحد إلا بها، وأن تبقى المساجد كما كانت والأوقاف كذلك) – إلى أن قال – (فلما رأوا – دمّرهم الله – أن الأمر قد تم لهم وأن المسلمين قد دخلوا تحت عقد ذمتهم وأنهم تمكنوا منهم، بدأ غدرهم، وأخذوا في نقض تلك الشروط التي اشترطها عليهم المسلمون أول مرة شرطاً شرطا وفصلاً فصلا، إلى أن نقضوا جميعها وزالت حرمة المسلمين بالكلية وأدركهم الهوان العظيم والذلة الكثيرة) – إلى قوله – (ثم حملوا جميع المسلمين على التنصر والدخول في دينهم وترك شعائر الإسلام كلها بالمرة).

---

[١] ذكره ابن كثير في أول الجزء الرابع عشر من البداية والنهاية.

[٢] نصيحة أهل الإسلام (١٠٢ – ١٠٣).

فكانت أحكام الشريعة قائمة في أول الأمر بإذن الكافر وهذا لا يمنع من وصف الدار بأنها دار كفر، كما أن إذن الحاكم المسلم لأهل الذمة بممارسة شعائرهم أو بالتحاكم إلى قساوستهم في بعض الأمور لا يمنع من أن الدار دار إسلام قال صديق حسن خان رحمه الله[١]:

(فمتى علمنا يقيناً ضرورياً بالمشاهدة أو السماع تواتر أن الكفار استولوا على بلد من بلاد الإسلام التي تليهم وغلبوا عليها وقهروا أهلها بحيث لا يتم لهم إبراز كلمة الإسلام إلا بجوار من الكفار صارت دار حرب وإن أقيمت فيها الصلاة)، ومعنى كلامه أنه إذا استولى الكفار على بلد وقهروها فإن كان أهلها لا يُظهرون شرائع الإسلام إلا بجوار من الكفار – أي بإذن منهم – فهي دار حرب، وكرر هذا في قوله[٢]:

(وبما حررناه تبيّن لك أن عَدَن وما والاها إن ظهرت فيها الشهادتان والصلوات – ولو ظهرت فيها الخصال الكفرية – بغير جوار فهي دار إسلام، وإلا فدار حرب) وقوله هذا في مدينة عدن باليمن لما استولى عليها الإنجليز في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي).

وقال السرخسي رحمه الله[٣]: (فإن كان المسلمون تركوا فيها قوماً من المسلمين قووا على المشركين من أهل الحرب إذا أعانهم أهل الذمة فقال أهل المدينة نكون ذمة لكم وتخلفون قوماً نقاتل معهم فليس ينبغي للأمير أن يفعل هذا لوجهين:

أحدهما: أن في هذا تعريضاً للمسلمين على الهلاك إذ أهل الذمة كفار فلا يؤمن أن يغدروا بهم، ويقتلوهم.

---

[١] العبرة فيما جاء في الغزو والشهادة والهجرة (٢٣٦).

[٢] العبرة فيما جاء في الغزو والشهادة والهجرة (٢٣٧).

[٣] شرح السير الكبير (٢١٩٣/٥).

ولأن المسلمين إذا لم يقدروا على إجراء حكم المسلمين إلا برضاء أهل الذمة كان أهل الذمة هم الذين يجرون أحكام المسلمين، وأحكام المسلمين لا يجريها إلا المسلمون).

هل يصير العالم كله دار كفر؟

مرت في التاريخ فترات من الزمن كانت الأرض فيها كلها دار كفرٍ تعلوها أحكام الكفر والشرك والقوة فيها والغلبة للكافرين كالفترة التي كانت قبل بعثة النبي ﷺ فمكة كانت دار كفر والمدينة النبوية[١] قبل أن تصير دار هجرة وإسلام كانت دار كفر وبقية الأقطار الأخرى كانت بأيدي الكافرين (الروم وفارس..)، فقد أخرج أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته عن ربه: ((وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان)).

وفي الصحيحين عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير... وفيه: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام[٢]؟ قال: ((فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)).

---

[١] **فائدة:** لا دخل لقدسية المكان في الحكم على الدار، فهذه مكة أحب البقاع إلى الله خرج منها النبي ﷺ وهي دار كفر، وهذه الأرض المباركة كانت في عهد العمالقة دار كفر، وإنما نحكم على الدار بما يعلوها من أحكام كما تم تقريره سابقًا، وهذا يصلح أن يُوضع في تنقيح المناط والله أعلم.

[٢] وهذا يدل على انعدام الجماعة والإمام في بعض الأزمنة كما هو حالنا اليوم من انعدام الإمامة والخلافة والله المستعان.

قال ابن كثير رحمه الله[١]: (فكان الدين قد التبس على أهل الأرض كلهم حتى بعث الله محمداً ﷺ فهدى الخلائق وأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور وتركهم على المحجة البيضاء والشريعة الغراء).

وقال ابن كثير رحمه الله[٢]: (فبعثه الله سبحانه وتعالى - أي محمداً - وله الحمد والمنة على حين فترة من الرسل، وطموس من السبل، فقد اشتدت الحاجة إليه، وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، أي نزراً يسيراً مما بعث الله به عيسى بن مريم عليه السلام، ولهذا قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وذلك أن العرب كانوا قديماً متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه، واستبدلوا بالتوحيد شركاً، وباليقين شكاً، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله، وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها، فبعث الله محمداً ﷺ بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق فيه هدايتهم، والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم، والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ورضا الله عنهم، والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله تعالى، حاكمٌ فاصل لجميع الشبهات والشكوك، والريب في الأصول والفروع، وجمع له تعالى وله الحمد والمنة جميع المحاسن ممن كان قبله، وأعطاه ما لم يعط أحداً من الأولين ولا يعطيه أحداً من الآخرين، فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين).

---

[١] تفسير القرآن العظيم (٢/٣٧).

[٢] تفسير القرآن العظيم (٤/٣٦٤).

وقال ابن جرير رحمه الله[١]: (وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين يعني إن كانوا من قبل أن يمن الله عليهم بإرساله رسوله الذي هذه صفته لفي ضلال مبين، يقول في جهالة جهلاء وفي حيرة عن الهدى عمياء لا يعرفون حقاً ولا يبطلون باطلاً).

وقال ابن حبان رحمه الله[٢]: (فإن الله جل وعلا انتخب محمداً ﷺ لنفسه ولياً، وبعثه إلى خلقه نبياً، ليدعو الخلق من عبادة الأشياء إلى عبادته، ومن اتباع السبل إلى لزوم طاعته، حيث كان الخلق في جاهلية جهلاء، وعصبية مضلة عمياء، يهيمون في الفتن حيارى، ويخوضون في الأهواء سكارى، يترددون في بحار الضلالة، ويجولون في أودية الجهالة، شريفهم مغرور، ووضيعهم مقهور، فبعثه الله إلى خلقه رسولاً، وجعله إلى جنانه دليلاً، فبلغ ﷺ عنه رسالاته، وبين المراد عن آياته، وأمر بكسر الأصنام ودحض الأزلام حتى أسفر الحق عن محضه، وأبدى الليل عن صبحه، وانحط به أعلام الشقاق، وانهشم بيضة النفاق، وإن في لزوم سنته تمام السلامة وجماع الكرامة، لا تطفأ سرجها ولا تدحض حججها، من لزمها عُصم، ومن خالفها نَدم، إذ هي الحصن الحصين والركن الركين الذي بان فضله ومتن حبله، من تمسك به ساد، ومن رام خلافه باد، فالمتعلقون به أهل السعادة في الآجل والمغبوطون بين الأنام في العاجل).

---

[١] تفسير الطبري (١٦٣/٤).

[٢] صحيح ابن حبان (١٠٢/١).

هل يصير العالم كله دار إسلام؟

تدل الأحاديث النبوية على أن الأرض كلها ستصير دار إسلام وذلك في زمن عيسى بن مريم عليه السلام فهو سيحكم بشريعة الإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية بأن يسقطها عن أهل الكتاب والمجوس ولا يقبل منهم ومن كل الكافرين إلا الإسلام، وتَهلك في زمنه كل الملل إلا ملة الإسلام، ويسود الأمن في الأرض قاطبة، فحينها تصير الأرض كلها دار إسلام وفي حكم المسلمين، بل جاء في الحديث الطويل عند مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه أن الكافر إذا وجد ريح نفسه مات قال: ((بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدَّر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه – أي أنه يطلب الدجال – حتى يدركه بباب لد فيقتله)).

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: ((والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم بن مريم عليه السلام حكما مقسطا فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها)) ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد)).

وفي رواية أبي داود أن رسول الله ﷺ قال: ((ليس بيني وبينه – يعني عيسى – نبيٌ، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجلٌ مربوعٌ، إلى الحمرة والبياض، ينزلُ بين مَمصرتين، كأن

رأسه يقطرُ وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيَدُقُّ الصليب، ويقتلُ الخنزير، ويضع الجزية، ويُهلك الله في زمانه المللَ كلّها إلا الإسلامَ، وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل وتلعب الصبيان بالحيات، ويُهلِكُ المسيح الدجال، ثم يمكثُ في الأرض أربعين سنة ثم يُتوفَّى، ويُصلي عليه المسلمون)) [١].

قال ابن الأثير رحمه الله[٢]: (وضع الجزية هو إسقاطها عن أهل الكتاب، وإلزامهم بالإسلام، ولا يقبل منهم غيره، فذلك معنى وضعها).

قال النووي رحمه الله[٣]: (أما ((ليوشكن)): فهو بضم الياء وكسر الشين ومعناه ليقربن، وقوله: ((فيكم)) أي في هذه الأمة، وإن كان خطاباً لبعضها ممن لا يدرك نزوله، وقوله ﷺ: ((حكما)) أي ينزل حاكماً بهذه الشريعة، لا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة والمقسط العادل، يقال: أقسط يقسط إقساطاً فهو مقسط إذا عدل، والقسط بكسر القاف العدل، وقسط يقسط قسطا بفتح القاف فهو قاسط إذا جار، وقوله ﷺ: ((فيكسر الصليب)) معناه يكسره حقيقة ويبطل ما يزعمه النصارى من تعظيمه، وفيه دليل على تغيير المنكرات وآلات الباطل، وقتل الخنزير من هذا القبيل، وفيه دليل للمختار من مذهبنا ومذهب الجمهور أنا إذا وجدنا الخنزير في دار الكفر أو غيرها وتمكنا من قتله قتلناه، وإبطال قول من شذ من أصحابنا وغيرهم فقال: يترك إذا لم يكن فيه ضراوة، وأما قوله ﷺ: ((ويضع الجزية)) فالصواب في معناه أنه لا يقبلها، ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل منهم الجزية لم يكف عنه بها بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل، هكذا قاله الإمام أبو سليمان الخطابي وغيره من العلماء رحمهم الله تعالى، وحكى القاضي عياض

---

[١] انظر جامع الأصول في أحاديث الرسول (١٠/٣٢٨ - ٣٢٩) قال ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (٦/٤٩٣) بأن إسناد الحديث صحيح رواه أحمد وأبو داود.

[٢] جامع الأصول (١٠/ ٣٢٩).

[٣] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢/١٩٠).

رحمه الله عن بعض العلماء معنى هذا ثم قال: وقد يكون فيض المال هنا من وضع الجزية وهو ضربها على جميع الكفرة فإنه لا يقاتله أحد فتضع الحرب أوزارها، وانقياد جميع الناس له، إما بالإسلام وإما بإلقاء يد، فيضع عليه الجزية ويضربها، وهذا كلام القاضي وليس بمقبول، والصواب ما قدمناه وهو أنه لا يقبل منه إلا الإسلام، فعلى هذا قد يقال: هذا خلاف حكم الشرع اليوم، فإن الكتابي إذا بذل الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله ولا إكراهه على الإسلام؛ وجوابه: أن هذا الحكم ليس بمستمر إلى يوم القيامة، بل هو مقيد بما قبل عيسى عليه السلام، وقد أخبرنا النبيّ ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة بنسخه، وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ، بل نبينا ﷺ هو المبين للنسخ، فإن عيسى يحكم بشرعنا، فدل على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد ﷺ).

قال ابن تيمية[١]: (المسلمون يقولون إنه ينزل – أي ابن مريم – قبل يوم القيامة، فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ولا يبقى دين إلا دين الإسلام، ويؤمن به أهل الكتاب اليهود والنصارى كما قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾).

وقال أيضًا رحمه الله[٢]: (ثبت عندنا عن الصادق المصدوق رسول الله ﷺ أن المسيح عيسى بن مريم ينزل عندنا بالمنارة البيضاء في دمشق واضعاً كفيه على منكبي ملكين، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، ويقتل مسيح الضلالة الأعور الدجال الذي يتبعه اليهود، ويسلط المسلمون على اليهود حتى يقول الشجر والحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله، وينتقم الله للمسيح ابن مريم مسيح الهدى من اليهود ما آذوه وكذبوه لما بعث إليهم).

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح (٣٣٨/٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٦٢٩/٢٨).

وقال العيني رحمه الله[١]: (عيسى عليه السلام حين ينزل يقتل الخنزير مطلقاً، قلت يقتل الخنزير بعد قتل أهله كما أنه يكسر الصليب لأنه ينزل ويحمل الناس كلهم على الإسلام لتقرير شريعة نبينا ﷺ، فإذا جاز قتل أهل الكفر حينئذ سواء كانوا من أهل الذمة أو من أهل الحرب فقتل خنزيرهم وكسر صليبهم بطريق الأولى والأحق، ألاَ تَرى أنه يضع الجزية يعني يرفعها لأن الناس كلهم يسلمون، فمن لم يدخل في الإسلام يقتله، فلا يبقى وجه لأخذ الجزية لأن الجزية إنما تؤخذ في هذه الأيام لتصرف في مصالح المسلمين منها دفع أعدائهم، وفي زمن عيسى عليه الصلاة والسلام لا يبقى عدو للدين لأن الناس كلهم مسلمون، ويفيض المال بينهم فلا يحتاج أحد إلى شيء من الجزية لارتفاعها بذهاب أهلها).

وقال رحمه الله[٢]: (يكون كسر عيسى الصليب حين ينزل إشارة إلى كذبهم في دعواهم أنه قتل وصلب، وإلى بطلان دينهم، وأن الدين الحق هو الدين الذي هو عليه وهو دين الإسلام دين محمد، الذي هو نزل لإظهاره وإبطال بقية الأديان بقتل النصارى واليهود وكسر الأصنام وقتل الخنزير وغير ذلك).

ويشهد لذلك أيضاً ما أخرجه أحمد في مسنده بسند صحيح عن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر)).

وكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية.

---

[١] عمدة القارئ (١٢/٣٤).

[٢] عمدة القارئ (١٢/ ٣٥).

وأخرج أيضاً بسند حسن عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا دخلته كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل، إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها، وإما يذلهم فيدينون لها)).

الساعة تقوم والأرض لا يقال فيها الله.. الله

بعد نزول عيسى بن مريم عليه السلام وهلاك الدجال على يديه وبعد هلاك يأجوج ومأجوج وتطهير الأرض منهم ((يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرك، وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة)) أخرجه مسلم من حديث النواس بن سمعان الطويل.

أخرج مسلم في صحيحه (باب ذهاب الإيمان آخر الزمان): عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله، الله))، وفي رواية عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله، الله)).

ولأحمد في مسنده عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض لا إله إلا الله)) وسنده قوي[1].

ولمسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس)).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله يبعث ريحاً من اليمن، ألين من الحرير، فلا تدع أحداً في قلبه (قال أبو علقمة: مثقال حبة، وقال عبد العزيز: مثقال ذرة) من إيمان إلا قبضته)).

---

[1] انظر فتح الباري (١٣/ ٨٥).

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى)) فقلت: يا رسول الله! إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أن ذلك تاماً قال: ((إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحاً طيبة، فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم)).

وله أيضاً عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وجاءه رجل، فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به؟ تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا، فقال: سبحان الله! أو لا إله إلا الله، أو كلمة نحوهما لقد هممت أن لا أحدث أحداً شيئاً أبداً إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمراً عظيماً يحرق البيت، ويكون، ويكون، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: ((يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين (لا أدري: أربعين يوماً، أو أربعين شهراً، أو أربعين عاماً) فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحاً باردةً من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه، حتى تقبضه)) قال: سمعتها من رسول الله ﷺ. قال: ((فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دار رزقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا، قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال: فيصعق، ويصعق الناس، ثم يرسل الله – أو قال ينزل الله – مطراً كأنه الطل أو الظل – الشك من الراوي – فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس! هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسؤلون، قال ثم يقال: أخرجوا بعث النار فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف، تسعمائة وتسعة وتسعين، قال فذاك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم يكشف عن ساق)).

قال النووي رحمه الله[١]: (وهذه كلها وما في معناها على ظاهرها، وأما الحديث الآخر: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة)) فليس مخالف لهذه الأحاديث لأن معنى هذا أنهم لا يزالون على الحق حتى تقبضهم هذه الريح اللينة قرب القيامة وعند تظاهر أشراطها، فأطلق في هذا الحديث بقاءهم إلى قيام الساعة على أشراطها ودنوها المتناهي، والله أعلم).

وقال رحمه الله[٢]: (القيامة إنما تقوم على شرار الخلق كما جاء في الرواية الأخرى، وتأتي الريح من قبل اليمن فتقبض أرواح المؤمنين قرب الساعة، وقد تقدم قريباً في باب الريح التي تقبض أرواح المؤمنين بيان هذا.. قال القاضي عياض رحمه الله وفي رواية ابن أبي جعفر يقول: لا الله إلا الله. والله سبحانه وتعالى أعلم).

وقال ابن حجر رحمه الله[٣]: (والجمع بينه -أي حديث قيام الساعة على شرار الخلق- وبين حديث ((لا تزال طائفة)) حمل الغاية في حديث لا تزال طائفة على وقت هبوب الريح الطيبة التي تقبض روح كل مؤمن ومسلم فلا يبقى إلا الشرار فتهجم الساعة عليهم بغتة).

وقال رحمه الله[٤]: (وقد استشكلوا على ذلك حديث ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله)) فإن ظاهر الأول أنه لا يبقى أحد من المؤمنين فضلاً بالحق، وظاهر الثاني البقاء، ويمكن أن يكون المراد بقوله ((أمر الله)) هبوب تلك الريح فيكون الظهور قبل هبوبها، فبهذا الجمع يزول الإشكال بتوفيق الله تعالى، فأما بعد هبوبها فلا يبقى إلا

---

[١] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٣٢/٢).
[٢] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧٨/٢).
[٣] فتح الباري (١٩/١٣).
[٤] فتح الباري (٨٥/١٣).

الشرار وليس فيهم مؤمن فعليهم تقوم الساعة، وعلى هذا فآخر الآيات المؤذنة بقيام الساعة هبوب تلك الريح).

ويؤكد الجمع الذي ذكره النووي وابن حجر رحمهما الله حديث عبد الرحمن بن شماسة المهري عند مسلم قال: كنت عند مسلمة بن مخلد، وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص فقال عبد الله: ((لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق هم شر من أهل الجاهلية لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم)). فبينما هم على ذلك أقبل عقبة بن عامر فقال له مسلمة: يا عقبة! اسمع ما يقول عبد الله. فقال عقبة: هو أعلم، وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله، قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم، حتى تأتيهم الساعة، وهم على ذلك)). فقال عبد الله: أجل، ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك مسها مس الحرير فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس، عليهم تقوم الساعة.

في الحلقة القادمة

في الحلقة القادمة بإذن الله سيأتي الحديث عن اتساع دار الإسلام وانحسارها، وواقع بلاد المسلمين اليوم، وما حلَّ بها من ذلٍّ وهوان وتسلط للطواغيت والمرتدين بمساعدة من اليهود والصليبيين، وحكم استعادة دار الإسلام من أيدي الكافرين، وغير ذلك من المسائل المهمة والتي ينبني على فهمها مسائل مهمة جداً.

أسأل الله أن يغير حال أمتنا من الذل والهوان إلى العز والتمكين وأن يجعلها أمة تقود الأمم وما ذلك على الله بعزيز.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحلقة الثالثة

اعتذار وفائدة مهمة

بعد عرضنا لتحول دار الإسلام إلى دار كفر والعكس في الحلقة الماضية وغيرها من المسائل المهمة والتطبيقات التاريخية أحب أن أعتذر من القراء لتأخر بعض المسائل التي وُعدوا بها في هذه الحلقة أو التي قبلها، وذلك لحرصي على ترتيب المسائل بطريقة مناسبة مترابطة، وبإذن الله ستمر معنا تلك المسائل بأكملها.

كما أفيد القارئ الكريم إلى مسألة ذُكرت في الحلقة الماضية وهي فتح القسطنطينية، وأنَّ فتحها الذي حصل عام ٨٥٧هـ ليس هو الفتح المبَشر به في الحديث الوارد للأسباب التي ذكرت آنفاً والتي قال فيها أحمد شاكر رحمه الله[١]: (فتح القسطنطينية المبشر به في الحديث سيكون في مستقبل قريب أو بعيد، يعلمه الله عز وجل، وهو الفتح الصحيح لها، حين يعود المسلمون إلى دينهم الذي أعرضوا عنه، وأما فتح الترك الذي كان قبل عصرنا هذا، فإنه كان تمهيداً للفتح الأعظم، ثم هي قد خرجت بعد ذلك من أيدي المسلمين، منذ أعلنت حكومتهم هناك أنها حكومة غير إسلامية وغير دينية، وعاهدت الكفار أعداء الإسلام، وحكمت أمتها بأحكام القوانين الوثنية الكافرة، وسيعود الفتح الإسلامي لها، إن شاء الله كما بشَّر رسول الله).

ولأمر آخر وهو أن النبي ﷺ أثنى على من يفتحها كما في مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن بشر الخثعمي عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقول: ((لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش)) وقد كان محمد الفاتح الذي فتحها واقعاً في منكرات خطيرة شركية وغيرها، وهو من أوائل مدخلي القوانين، وإحلالها مكان الأحكام الشرعية، فمن غير اللائق بحديث رسول الله ﷺ أن تُنزله على شخص كهذا، فقد قال ناصر الفهد

---

[١] عمدة التفسير (١/٣٧٦ - ٣٧٧).

فك الله أسره[١]: (السلطان محمد الثاني (الفاتح) (ت ٨٨٦هـ)، وهو من أشهر سلاطين هذه الدولة، ومدة حكمه ٣١ سنة، فإنه بعد فتحه للقسطنطينية سنة ٨٥٧هـ، كشف موقع قبر (أبي أيوب الأنصاري) وبنى عليه ضريحاً، وبنى بجانبه مسجداً وزين المسجد بالرخام الأبيض وبنى على ضريح أبي أيوب قبة، فكانت عادة العثمانيين في تقليدهم للسلاطين أنهم كانوا يأتون في موكب حافل إلى هذا المسجد ثم يدخل السلطان الجديد إلى هذا الضريح ثم يتسلم سيف السلطان (عثمان الأول) من شيخ (الطريقة المولوية).

وهذا السلطان هو أول من وضع مبادئ (القانون المدني)، (وقانون العقوبات) فأبدل العقوبات البدنية الشرعية الواردة في الكتاب والسنة – أي السن بالسن والعين بالعين – وجعل عوضها الغرامات النقدية بكيفية واضحة أتمها السلطان سليمان القانوني.

كما أصدر قانوناً – عُمِل به بعده – وهو أن كل سلطان يلي السلطة يقتل كل إخوته!! حتى يسلم له العرش).

ولذا والله أعلم أن الفتح الإسلامي للقسطنطينية لم يقع بعد ولم تصر داراً للإسلام بفتح محمد الفاتح لها ومنه تعلم خطأ من انخدع بهذه الدولة ووصفها بأنّها آخر معقل من معاقل الإسلام والذي بهدمه ذهبت عزة المسلمين!!، والتاريخ الصادق يثبت خلاف ذلك كما سيأتي بعون الله.

---

[١] الدولة العثمانية وموقف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب منها (٥ – ٦).

مدخل لأصل العلاقة بين الدارين

استقر أمر الجهاد في الإسلام على مقاتلة الكافرين سواء بدأوا بقتالنا أم لم يبدأو، وجاءت آيات سورة التوبة ناسخة لما قبلها من آيات فأصبح القتال في سبيل الله لا يقتصر على مقاتلة من يقاتلنا، بل من أجل نشر الإسلام في كل مكان، وإزالة كل العقبات التي تحول دون ذلك، وإنقاذ البشرية من الكفر، وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وانعقد الإجماع على وجوب تَطَلُّب الكفار في عقر دارهم، وتخييرهم بين خصال ثلاث؛ الإسلام أو الجزية[١] أو القتال.

ويَذكرُ الفقهاء رحمهم الله أنه فرض كفائي على دولة الإسلام أن تغزو دار الكفر مرَّةً كل سنة؛ وذلك لبثِّ هيبة الإسلام والمسلمين، وإظهار القوة العسكرية الإسلامية، وقد سار على ذلك المسلمون في القرون المفضلة ففتحوا مشارق الأرض ومغاربها وأخضعوها لسلطان الإسلام، وإلا لو اقتصر المسلمون على مقاتلة من يقاتلنا لما وصل سلطان المسلمين إلى ما وصل إليه.

وقد بعث الله نبيه بالسيف كما في مسند الإمام أحمد عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم)).

وضرب الصحابة والتابعون أروع الأمثلة في التضحية والبذل، والعدل والوفاء، وامتثال أمر رسول الله ﷺ إذ قال كما في صحيح مسلم: ((اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين

---

[١] على خلاف في قبول الجزية من غير أهل الكتاب والمجوس، وسيأتي ذلك معنا عند الحديث عن أحكام الجزية بإذن الله.

فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال)، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم، إن فعلوا ذلك، فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم..))، فلم يقتلوا الأطفال والنساء اللاتي لم يقاتلن ولا من ورد الشرع بالنهي عن قصد قتله[١]، فكانوا يدعون إلى الله وإلى الدخول في دين الله، فإن أُستجيب لهم كانت تلك الناحية داراً للإسلام، وإن أبوا الدخول في الإسلام، طُلب منهم دفع الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، فإذا استجابوا كانت تلك الناحية داراً للإسلام بعلو أحكام الإسلام فيها، فإن أبوا قوتلوا حتى يكون الدين كله لله.

ويأتي للمسلمين حالات ربما يوادعون فيها الأعداء لمدة معينة فيما تعود مصلحته للمسلمين:

قال القرطبي رحمه الله[٢]: (فإذا كان المسلمون على عزة وقوة ومنعة، وجماعة عديدة، وشدة شديدة فلا صلح، كما قال:

فلا صـلح حتى تطعن الخيل بالقنا وتضـرب بالبيض الرقاق الجماجم

وإن كان للمسلمين مصلحة في الصلح، لنفع يجتلبونه، أو ضرر يدفعونه، فلا بأس أن يبتدئ المسلمون به إذا احتاجوا إليه وقد صالح رسول الله ﷺ أهل خيبر على شروط نقضوها فنقض صلحهم، وقد صالح الضمري وأكيدر دومة وأهل نجران، وقد هادن قريشاً لعشرة

---

[١] سيأتي في المستقبل بإذن الله الحديث عن الذين لا يجوز قتلهم في دار الكفر.

[٢] الجامع لأحكام القرآن (٨/٤٠).

أعوام حتى نقضوا عهده وما زالت الخلفاء والصحابة على هذه السبيل التي شرعناها سالكة، وبالوجوه التي شرحناها عاملة).

وقال صديق حسن خان رحمه الله[١]: (ذهب الجمهور إلى أنه - أي الصلح - لا يجوز أن يكون أكثر من عشر سنين، لأن الله سبحانه قد أمرنا بمقاتلة الكفار، فلا يجوز مصالحتهم بدون شيء من جزية أو نحوها، ولكنه لما وقع ذلك من النبي ﷺ كان دليلاً على الجواز إلى المدة التي وقع الصلح عليها، ولا تجوز الزيادة عليها، رجوعاً إلى الأصل وهو وجوب مقاتلة الكفار ومناجزتهم الحرب).

هذا هو أصل العلاقة بين دار الإسلام ودار الكفر الحرب وهي المرحلة النهائية في التشريع والتي نسخت ما قبلها.

كما قال ابن القيم رحمه الله[٢]: (ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم، فقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافَّة، وكان محرَّماً، ثم مأذوناً به، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأموراً به لجميع المشركين).

وسيأتي مزيد توضيح لذلك فيما يأتي بإذن الله.

ومع ذلك فقد ذهب قومٌ من المعاصرين المنهزمين في مطلع القرن الهجري الماضي والحالي إلى بدعة منكرة عظيمة مخالفة لكتاب الله سبحانه وتعالى ولسنة رسول الله ﷺ ولإجماع أئمة المسلمين، وهي قولهم أن الجهاد لم يُشرع إلا للدفاع فقط وليس هناك شيء اسمه جهاد

---

[١] الروضة الندية (٢/٤٧٩ - ٤٨٠) وستأتي مسألة الصلح مع الكفار في المستقبل بإذن الله تعالى.

[٢] زاد المعاد (٣/٧١ - ٧٢، ١٥٨)..

طلب[١]، وأن قتال الكافرين لا يكون إلا للدفاع فقط حين يعتدون علينا، وأما أن نغزوهم في عقر دارهم من أجل كفرهم، وإخضاعهم لسلطان المسلمين، وإعلاء كلمة الله على كلمتهم، فذلك عندهم يشوه صورة الإسلام والمسلمين كما يزعمون، وكان من أشهر مبتدعي هذا القول والناشرين له جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وتلامذتهم والمعجبين بهم إلى يومنا هذا، وقرَّر هؤلاء في مؤلفاتهم أن أصل العلاقة بين الدارين السلم، وأنه كما يزعمون يجب إجابتهم حين يطلبون السلام، ويقولون إن قولكم باستقرار الأمر على بداءة الكافرين بالقتال ونسخها لما سبق، أنكم بقولكم هذا تمنعون الدعوة، وتُكرهون الناس على الدخول في الإسلام. وكأن القتال والجهاد يتعارض مع الدعوة إلى الله والجدال بالتي هي أحسن، فهم لم يفقهوا أن الدعوة إلى الله، والجدال بالتي هي أحسن باقيتان، ولكن أضيف إليهما القتال لمن يأبى من المدعوين الدخول في الإسلام أو دفعه للجزية.

قال ابن تيمية رحمه الله[٢]: (فإذا وجب علينا جهاد الكفار بالسيف ابتداءً ودفعاً فلأن يجب علينا بيان الإسلام وإعلامه ابتداءً ودفعاً لمن يطعن فيه بطريق الأولى والأحرى، فإن وجوب هذا قبل وجوب ذاك ومنفعته قبل منفعته ومعلوم أنه يحتاج كل وقت إلى السيف، فكذلك هو محتاج إلى العلم والبيان وإظهاره بالعلم والبيان من جنس إظهاره بالسيف وهو ظهور مجمل علا به على كل دين).

---

[١] هذا القول الخبيث هو نص قانون الأمم المتحدة الملحدة الكافرة، فهي -أي الأمم المتحدة- تدعو إلى أن يعيش الناس عموماً على مختلف أديانهم من يهود ونصارى ومجوس وهندوس وبوذيين ووثنيين وشيوعيين وعلمانيين وغيرها من الأديان في وئام ومحبة وسلام!! وإذا وقع بينهم أي خلاف فمرجعهم إلى مجلس الأمن الكافر، وهذا يبين لنا مدى خطورة هذا القول وأن كُتَّاب العلاقات الدولية في هذا الزمن إلا مَن رحم الله هم دعاة هدم للإسلام والمسلمين وليسوا داعة لإعزاز الإسلام والمسلمين. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

[٢] الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (٢٣٩/١).

وقال أيضًا رحمه الله[١]: (فإن من الناس من يقول آيات المجادلة والمحاجة للكفار منسوخة بآية السيف لاعتقاد أن الأمر بالقتال المشروع ينافي المجادلة المشروعة، وهذا غلط؛ فإن النسخ إنما يكون إذا كان الحكم الناسخ مناقضاً للحكم المنسوخ كمناقضة الأمر باستقبال المسجد الحرام في الصلاة للأمر باستقبال بيت المقدس.. ومناقضة قوله لهم: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ عن القتال لقوله: ﴿قَاتِلُوهُمْ﴾، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾، فأمره لهم بالقتال ناسخ لأمره لهم بكف أيديهم عنهم، فأما قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾، وقوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾، فهذا لا يناقض الأمر بجهاد من أمر بجهاده منهم، ولكن الأمر بالقتال يناقض النهي عنه والاقتصار على المجادلة) – ثم ذكر رحمه الله وجوهاً في الجمع بين الأمر بالجدال والأمر بالقتال – قال في آخرها: (الوجه الخامس: هو أن يقال إن المنسوخ هو الاقتصار على الجدال).

وقال رحمه الله[٢]: (فكان النبي ﷺ في أول الأمر مأموراً أن يجاهد الكفار بلسانه لا بيده؛ فيدعوهم ويعظهم ويجادلهم بالتي هي أحسن ويجاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً، قال تعالى في سورة الفرقان – وهي مكية – ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرا﴾، وكان مأموراً بالكف عن قتالهم لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك، ثم لما هاجر إلى المدينة وصار له بها أعوان أذن له في الجهاد، ثم لما قووا كتب عليهم القتال ولم يكتب عليهم قتال من سالمهم؛ لأنهم لم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار، فلما فتح الله مكة وانقطع قتال قريش ووفدت إليه وفود العرب بالإسلام أمره الله تعالى بقتال الكفار كلهم إلا من كان له عهد مؤقت،

---

[١] الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (١/٢١٨ – ٢٢٢).

[٢] الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (١/٢٣٧).

وأمره بنبذ العهود المطلقة، فكان الذي رفعه ونسخه ترك القتال، وأما مجاهدة الكفار باللسان فما زال مشروعاً من أول الأمر إلى آخره).

وقال عبد الله عزام رحمه الله[١]: (لقد شرع القتال في الإسلام لنشر الدعوة الإسلامية، وإنقاذ البشرية من الكفر، ونقلهم من ظلمة الدنيا إلى نور الدنيا والآخرة، ولذا فإن القتال في هذا الدين الحنيف لإزالة العقبات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية أمام الدعوة الإسلامية، بل تستطيع أن تقول أن وظيفة الجهاد (القتال)؛ هو تحطيم الحواجز التي تقف دون نشر هذا الدين في ربوع العالمين، فإن قبل الناس هذا الدين فلا حاجة لإشهار سيف، ولا إراقة دماء، ولا إتلاف منشآت وأموال، لأن هذا الدين جاء للإصلاح والإعمار لا للإتلاف والدمار).

وقال عبد الرحمن الدوسري رحمه الله[٢]: (إن قتال الكفار على العموم واجب بالنصوص القطعية من وحي الله كتاب وسنة، وهذا القتال للهجوم[٣] لا للدفاع كما تَصوَّره بعض المنهزمين هزيمة عقلية باسم الدفاع عن تشويه سمعة الإسلام والذين اشتبهت عليهم معاني النصوص التي يفيد بعضها الخصوص، فأعمتهم هزيمتهم العقلية أو الهوى عن النظر في العمومات الصارفة الناسخة لما قبلها لكونها عامة ومتأخرة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، وقال: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُم﴾ وفي

---

[١] التجارة المنجية (٩٥).

[٢] الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة (١٧٢ - ١٧٣).

[٣] الصحيح أن يُقال قتال وجهاد البداءة والطلب، لأن هذه اللفظة -الهجوم- لم ترد في كلام المتقدمين وإنما هي من كلام المتأخرين مع الهجمة الشرسة من قبل المستشرقين وهم يعنون بذلك هجوم دولة على أخرى بغير حق.

الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله)). وغير ذلك من النصوص الواضحة التي لا نطيل بها المقام.

ولكن المهزومين وأصحاب الهوى يضربون صفحاً عن هذه النصوص القاطعة العامة الناسخة لما قبلها لتأخرها في النزول، ويتمسكون فقط بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا﴾، كما يأخذون التعليل بآية الإذن في الجهاد غافلين أو متغافلين أنَّ مشروعية القتال جاءت في القرآن على مراحل:

الأولى: الإذن المفيد للإباحة مقروناً بأسبابه كما في آيات سورة الحج ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

الثانية: تقييده بحالة الاعتداء كما آيات سورة البقرة: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ﴾.

الثالثة: تعميم وجوبه على الفور ابتداء كما في سورة براءة التي ورد فيها الإعلان من الله ورسوله بالبراءة من كل مشرك وكافر، ونقض عهودهم غير المؤجلة، وإمهالهم أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر ثم بعدها يُقاتلون ويُطاردون ويُحاصرون ويُلزمون كل مرصد حتى يتوبوا من الشرك ويقيموا الصلاة التي هي عمود الإسلام ويؤتوا الزكاة التي هي حقه المالي، وذلك

في الآية الخامسة السالفة الذكر التي قيَّد الله فيها تخلية سبيلهم بذلك والحديث الصحيح تضمنه أيضاً[١]).

[١] قال ابن تيمية رحمه الله في منهاج أهل السنة (٧٥/١): (فأمر بتخلية سبيلهم إذا تابوا من الشرك وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وكذلك قال لعلي لما بعثه إلى خيبر، وكذلك كان النبي ﷺ يسير في الكفار فيحقن دماءهم بالتوبة من الكفر).

أصل العلاقة بين دار الإسلام ودار الكفر الحرب

ترد كلمة الأصل في العلاقة بين دار الإسلام ودار الكفر بمعنى القاعدة المستمرة إذ كلمة الأصل عند الفقهاء والأصوليين تطلق بإطلاقات متعددة منها:

أ – الدليل وهذا هو ما تعارف عليه الفقهاء والأصوليون.

ب – القاعدة الكلية.

ت – المقيس عليه.

ث – الراجح.

ج – المستصحب.

ح – القاعدة المستمرة.

ومرادنا هنا هو الإطلاق الأخير وهو القاعدة المستمرة فقولنا: الأصل في علاقة دار الإسلام بدار الكفر هي الحرب يعني أن القاعدة المستمرة في العلاقة بين الدارين هي الحرب، أما السِّلم فلا يكون إلا بإسلام – أي بالدخول في الإسلام – أو عقد صلح أو ذمة أو أمان.

قال ابن القيم رحمه الله[1]: (فاستقر أمرُ الكفار معه بعد نزول براءة – التوبة – على ثلاثة أقسام: محاربينَ له، وأهلِ عهد، وأهلِ ذِمة، ثم آلت حالُ أهل العهد والصلح إلى

---

[1] زاد المعاد (٣/١٦٠).

الإسلام، فصاروا معه قسمين: محاربين، وأهل ذِمة، والمحاربون له خائفون منه، فصار أهلُ الأرض معه ثلاثة أقسام: مسلم مؤمِن به، ومسالم له آمن، وخائف محارب).

وستأتي الأدلة على ذلك وأقوال فقهاء المسلمين بإذن الله حتى نتبين من خلالها بطلان القول الفاسد الذي يقوله بعض دعاة الهزيمة حيث يقولون إن الأصل في العلاقة بين دار الإسلام ودار الكفر هو السِّلم.

يقول سيد قطب رحمه الله في معرض رده على أولئك المنهزمين[1]: (عليهم ألا يحملوا ضعفهم الحاضر على دين الله القوي المتين، وعليهم أن يتقوا الله في مسخ هذا الدين وإصابته بالهزال بحجة أنه دين السلم والسلام!

إنه دين السلم والسلام فعلاً، ولكن على أساس إنقاذ البشرية كلها من عبادة غير الله، وإدخال البشرية كافة في السلم كافة.. إنه منهج الله هذا الذي يراد البشر على الارتفاع إليه، والاستمتاع بخيره، وليس منهج عبد من العبيد، ولا مذهب مفكر من البشر حتى يخجل الداعون إليه من إعلان أن هدفهم الأخير هو تحطيم كل القوى التي تقف في سبيله لإطلاق الحرية للناس أفراداً في اختياره..

إنه حين تكون المذاهب التي يتبعها الناس مذاهب بشرية من صنع العبيد، وحين تكون الأنظمة والشرائع التي تصرف حياتهم من وضع العبيد أيضاً فإنه في هذه الحالة يصبح لكل مذهب ولكل نظام الحق في أن يعيش داخل حدوده آمنا، ما دام أنه لا يعتدي على حدود الآخرين، ويصبح من حق هذه المذاهب والأنظمة والأوضاع المختلفة أن تتعايش وألا يحاول أحدها إزالة الآخر!

---

[1] في ظلال القرآن تفسير سورة التوبة آية (٥).

فأما حين يكون هناك منهج إلهي وشريعة ربانية، ووضع العبودية فيه لله وحده وتكون إلى جانبه مناهج ومذاهب وأوضاع من صنع البشر العبودية فيها للعباد فإن الأمر يختلف من أساسه ويصبح من حق المنهج الإلهي أن يجتاز الحواجز البشرية، ويحرر البشر من العبودية للعباد، ويتركهم أحراراً في اختيار العقيدة التي يختارونها في ظل الدينونة لله وحده.

والمهزومون الذين يحاولون أن يلووا أعناق النصوص لياً ليخرجوا من الحرج الذي يتوهمونه في انطلاق الإسلام وراء حدوده الأولى ليحرر البشر في الأرض كلها من العبودية لغير الله ينسون هذه الحقيقة الكبرى؛ وهي أن هناك منهجاً ربانياً العبودية فيه لله وحده يواجه مناهج بشرية العبودية فيها للعبيد!!

إن للجهاد المطلق في هذا الدين مبرراته النابعة من ذات المنهج الإلهي، فليراجعها المهزومون الذين يحملون هزيمتهم وضعفهم على هذا الدين لعل الله أن يرزقهم القوة من عنده، وأن يجعل لهم الفرقان الذي وعد به عباده المتقين).

ويقول عبد القادر عبد العزيز فك الله أسره[1]: (ومن الأقوال الفاسدة للمعاصرين: القول بأن الأصل في علاقة دار الإسلام مع بلاد الكفار السِّلم، وأن الجهاد في الإسلام لا يشرع إلا للدفاع، وهذا القول فيه إنكار للمعلوم من الدين بالضرورة، وهذا القول الفاسد منبثق أيضاً من المنهج الانهزامي التلفيقي الذي أسسه رفاعة الطهطاوي ومحمد عبده، وأراد أصحاب هذا القول بيان أن الإسلام يتفق مع القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة – وهي شرائع طاغوتية – في تحريم الحرب الهجومية وتحريم الاستيلاء على أراضي الغير بالقوة فهل الإسلام يحرّم هذا؟ هل الإسلام حرَّم جهاد الطلب الذي يسمونه بالحرب الهجومية والله تعالى يقول: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾، ويقول عز وجل: ﴿وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاء

---

[1] الجامع في طلب العلم (٨٨٨/٢).

الْقَوْمِ﴾، وهل الإسلام يحرم الاستيلاء على أراضي الغير بالقوة والله يقول: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا﴾؟

وكيف صارت أرض العراق والشام ومصر بل أرض خراسان والأندلس من أملاك الدولة الإسلامية ذات يومٍ؟.

إن القائل بهذا القول الفاسد منكر للمعلوم من الدين بالضرورة؛ ألا ترى أن الأمم المتحدة هي التي منحت إسرائيل أرض فلسطين بقرار التقسيم في ١٩٤٧م، ثم بقرار الهدنة في ١٩٤٨م مكَّنت لإسرائيل من التهام المزيد من الأرض وكانت لا تملك من صحراء النقب شيئاً بقرار التقسيم؟ ثم التهمت إسرائيل المزيد من أرض فلسطين بالقوة في حرب عام ١٩٦٧م تحت سمع العالم وبصره.

إن القوانين الدولية لا تطبق إلا على الضعفاء، أما الأقوياء فلهم قوانين أخرى وهى قوانين فرض الأمر الواقع بالقوة كما فعل اليهود بفلسطين وكما فعل النصارى الصرب بالبوسنة، ولا يجدي مع هؤلاء الكفرة الأنجاس إلا القوة، وقد أخبرنا الله بذلك بأوجز بيان وأوضح عبارة فقال جل شأنه: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾).

ويقول سيد قطب رحمه الله وهو يُحلِّقُ مع آية ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ ويبين بعض الحِكَمِ من استمرار القتال بين المعسكرين؛ معسكر الكفر ومعسكر الإيمان وأنه هو القاعدة المستمرة قال[1]: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أي حتى تنتهي الحرب بين الإسلام وأعدائه المناوئين له فهي القاعدة الكلية الدائمة؛ ذلك أن ((الجهاد ماض إلى يوم القيامة)) كما يقول رسول الله ﷺ حتى تكون كلمة الله هي العليا.

---

[1] في ظلال القرآن سورة محمد آية (٤) بتصرف.

والله لا يكلف الذين آمنوا هذا الأمر ولا يفرض عليهم هذا الجهاد لأنه يستعين بهم – حاشاه – على الذين كفروا فهو سبحانه قادر على أن يقضي عليهم قضاء مباشراً، وإنما هو ابتلاء الله لعباده بعضهم ببعض، الإبتلاء الذي تقدر به منازلهم ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾.

إن هؤلاء الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، وأمثالهم في الأرض كلها في كل زمان من البغاة الطغاة المفسدين، الذين يظهرون في ثوب البطش والاستكبار، ويتراءون لأنفسهم وللضالين من أتباعهم قادرين أقوياء.

إن هؤلاء جميعاً حفنة من الخلق تعيش على ظهر هذه الهباءة الصغيرة المسماة بالأرض، بين هذه الكواكب والنجوم والمجموعات الفلكية والمجرات والعوالم التي لا يعلم عددها ولا مداها إلا الله في هذا الفضاء الذي تبدو فيه هذه المجرات والعوالم نقطاً متناثرة، تكاد تكون ضائعة، لا يمسكها ولا يجمعها ولا ينسقها إلا الله.

فلا يبلغ هؤلاء ومن وراءهم من الأتباع، بل لا يبلغ أهل هذه الأرض كلها، أن يكونوا نمالاً صغيرة لا بل إنهم لا يبلغون أن يكونوا هباءً تتقاذفه النسمات لا بل إنهم لا يبلغون شيئاً أصلاً حين يقفون أمام قوة الله.

إنما يتخذ الله المؤمنين – حين يأمرهم بضرب رقاب الكفار وشد وثاقهم بعد إثخانهم – إنما يتخذهم سبحانه شهداء ولو شاء لانتصر من الكافرين جهرة كما انتصر من بعضهم بالطوفان والصيحة والريح العقيم، بل لانتصر منهم من غير هذه الأسباب كلها، ولكنه إنما يريد لعباده المؤمنين الخير وهو يبتليهم، ويربيهم، ويصلحهم، وييسر لهم أسباب الحسنات الكبار.

يريد ليبتليهم، وفي هذا الابتلاء يستجيش في نفوس المؤمنين أكرم ما في النفس البشرية من طاقات واتجاهات فليس أكرم في النفس من أن يعز عليها الحق الذي تؤمن به، حتى

تجاهد في سبيله فتقتل وتقتل، ولا تسلم في هذا الحق الذي تعيش له وبه، ولا تستطيع الحياة بدونه، ولا تحب هذه الحياة في غير ظله.

ويريد ليربيهم، فيظل يخرج من نفوسهم كل هوى وكل رغبة في أعراض هذه الأرض الفانية مما يعز عليهم أن يتخلوا عنه، ويظل يقوي في نفوسهم كل ضعف ويكمل كل نقص، وينفي كل زغل ودخل، حتى تصبح رغائبهم كلها في كفة وفي الكفة الأخرى تلبية دعوة الله للجهاد، والتطلع إلى وجه الله ورضاه فترجح هذه وتشيل تلك ويعلم الله من هذه النفوس أنها خيرت فاختارت، وأنها تربت فعرفت، وأنها لا تندفع بلا وعي ولكنها تقدر وتختار.

ويريد ليصلحهم، ففي معاناة الجهاد في سبيل الله والتعرض للموت في كل جولة، ما يعود النفس الاستهانة بهذا الخطر المخوف، الذي يكلف الناس الكثير من نفوسهم وأخلاقهم وموازينهم وقيمهم ليتقوه، وهو هينٌ هين عند من يعتاد ملاقاته سواء سلم منه أو لاقاه والتوجه به لله في كل مرة يفعل في النفس في لحظات الخطر شيئاً يقربه للتصور فعل الكهرباء بالأجسام! وكأنه صياغة جديدة للقلوب والأرواح على صفاء ونقاء وصلاح.

ثم هي الأسباب الظاهرة لإصلاح الجماعة البشرية كلها، عن طريق قيادتها بأيدي المجاهدين الذين فرغت نفوسهم من كل أعراض الدنيا وكل زخارفها، وهانت عليهم الحياة وهم يخوضون غمار الموت في سبيل الله ولم يعد في قلوبهم ما يشغلهم عن الله والتطلع إلى رضاه.. وحين تكون القيادة في مثل هذه الأيدي تصلح الأرض كلها ويصلح العباد، ويصبح عزيزاً على هذه الأيدي أن تسلم في راية القيادة للكفر والضلال والفساد، وهي قد اشترتها بالدماء والأرواح، وكل عزيز وغال أرخصته لتتسلم هذه الراية لا لنفسها ولكن لله!).

الأدلة على أن أصل العلاقة بين الدارين الحرب

تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على أن الكفر والشرك مبيحٌ للقتل والقتال، فمتى ثبت كفر الرجل انتفت عنه عصمة الدم والمال، وجاز قتله، ولا يعصم دمه وماله إلا دخول في إسلام، أو عقد صلح أو ذمة أو أمان، وهذا أمر الله في كتابه وقول رسول الله ﷺ وفِعْلُه، وفَهْمُ الصحابة لمقتضى أمر الله ورسوله، وفهم من يعتد بقوله من علماء الأمة الثقات الأثبات سلفاً وخلفاً.

الدليل الأول: قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلهِ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه﴾.

قال الطبري رحمه الله[1]: (يعني حتى لا يكون شرك بالله وحتى لا يعبد دونه أحد وتضمحل عبادة الأوثان الآلهة والأنداد وتكون العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان).

وقال الجصَّاص رحمه الله[2]: (قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ يوجب فرض قتال الكفار حتى يتركوا الكفر، قال ابن عباس وقتادة ومجاهد والربيع بن أنس: "الفتنة ههنا الشرك"، وقيل: إنما سمي الكفر فتنة لأنه يؤدي إلى الهلاك كما يؤدي إليه الفتنة، وقيل: إن الفتنة هي الاختبار، والكفر عند الاختبار إظهار الفساد، وأما الدين فهو الانقياد لله بالطاعة، وأصله في اللغة ينقسم إلى معنيين: أحدهما: الانقياد. والآخر: العادة. والدين الشرعي هو الانقياد لله عز وجل والاستسلام له على وجه المداومة والعادة).

---

(١) تفسير الطبري (٢/١٩٤).

(٢) أحكام القرآن (١/٣٥٨).

وقال ابن العربي رحمه الله[١]: (أن سبب القتل هو الكفر بهذه الآية، لأنه تعالى قال ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ فجعل الغاية عدم الكفر نصاً، وأبان فيها أن سبب القتل المبيح للقتال الكفر وقد ضل أصحاب أبي حنيفة عن هذا، وزعموا أن سبب القتل المبيح للقتال هي الحرابة، وتعلقوا بقول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُم ﴾ وهذه الآية تقضي عليها التي بعدها؛ لأنه أمر أولاً بقتال من قاتل، ثم بين أن سبب قتاله وقتله كفره الباعث له على القتال، وأمر بقتاله مطلقاً من غير تخصيص بابتداء قتال منه. فإن قيل: لو كان المبيح للقتل هو الكفر لقتل كل كافر وأنت تترك منهم النساء والرهبان ومن تقدم ذكره معهم؛ فالجواب: أنا إنما تركناهم مع قيام المبيح بهم لأجل ما عارض الأمر من منفعة أو مصلحة: أما المنفعة فالاسترقاق فيمن يسترق، فيكون مالاً وخدماً، وهي الغنيمة التي أحلها الله تعالى لنا من بين الأمم، وأما المصلحة فإن في استبقاء الرهبان باعثاً على تخلي رجالهم عن القتال فيضعف حربهم ويقل حزبهم فينتشر الاستيلاء عليهم).

وقال أيضاً رحمه الله[٢]: (قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ إباحةٌ لقتالهم وقتلهم إلى غاية هي الإيمان..).

وقال القرطبي رحمه الله[٣]: (قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾ أمر بالقتال لكل مشرك في كل موضع، على من رآها ناسخة.

ومن رآها غير ناسخة قال: المعنى قاتلوا هؤلاء الذين قال الله فيهم: فإن قاتلوكم والأول أظهر، وهو أمر بقتال مطلق لا بشرط أن يبدأ الكفار.

---

[١] أحكام القرآن (١/١٥٥).

[٢] أحكام القرآن (١/١٥٦).

[٣] الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٥٣).

دليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ﴾، وقال عليه السلام: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)) فدَّلت الآية والحديث على أن سبب القتال هو الكفر لأنه قال: ﴿حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي كفر، فجعل الغاية عدم الكفر، وهذا ظاهر قال ابن عباس وقتادة والربيع والسدي وغيرهم: الفتنة هنا الشرك وما تابعه من أذى المؤمنين).

وقال الشوكاني رحمه الله[1]: (فيه الأمر بمقاتلة المشركين إلى غاية هي أن لا تكون فتنة وأن يكون الدين لله، وهو الدخول في الإسلام، والخروج عن سائر الأديان المخالفة له، فمن دخل في الإسلام وأقلع عن الشرك لم يحل قتاله... وعن ابن عباس في قوله: ﴿حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ يقول: شرك بالله، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ﴾ ويخلص التوحيد لله).

وقال سيد قطب رحمه الله[2]: (غاية القتال هي ضمانة ألا يفتن الناس عن دين الله، وألا يصرفوا عنه بالقوة أو ما يشبهها كقوة الوضع الذي يعيشون فيه بوجه عام، وتسلط عليهم فيه المغريات والمضللات والمفسدات وذلك بأن يعز دين الله ويقوى جانبه، ويهابه أعداؤه، فلا يجرؤوا على التعرض للناس بالأذى والفتنة، ولا يخشى أحد يريد الإيمان أن تصده عنه قوة أو أن تلحق به الأذى والفتنة..

والجماعة المسلمة مكلفة إذن أن تظل تقاتل حتى تقضي على هذه القوى المعتدية الظالمة، وحتى تصبح الغلبة لدين الله والمنعة ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَوا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾..

وإذا كان النص – عند نزوله – يواجه قوة المشركين في شبه الجزيرة، وهي التي كانت تفتن الناس، وتمنع أن يكون الدين لله، فإن النص عام الدلالة، مستمر التوجيه والجهاد ماض إلى يوم القيامة ففي كل يوم تقوم قوة ظالمة تصد الناس عن الدين، وتحول بينهم وبين سماع

---

[1] فتح القدير (١/١٩١).

[2] في ظلال القرآن سورة البقرة آية (١٩٢).

الدعوة إلى الله، والاستجابة لها عند الاقتناع، والاحتفاظ بها في أمان، والجماعة المسلمة مكلفة في كل حين أن تحطم هذه القوة الظالمة، وتطلق الناس أحراراً من قهرها، يستمعون ويختارون ويهتدون إلى الله.

وهذا التكرار في الحديث عن منع الفتنة، بعد تفظيعها واعتبارها أشد من القتل.. هذا التكرار يوحي بأهمية الأمر في اعتبار الإسلام، وينشئ مبدأً عظيماً يعني في حقيقته ميلاداً جديداً للإنسان على يد الإسلام.. ميلاداً تتقرر فيه قيمة الإنسان بقيمة عقيدته، وتوضع حياته في كفة وعقيدته في كفة، فترجح كفة العقيدة، كذلك يتقرر في هذا المبدأ من هم أعداء (الإنسان).. إنهم أولئك الذين يفتنون مؤمناً عن دينه، ويؤذون مسلماً بسبب إسلامه.. أولئك الذين يحرمون البشرية أكبر عنصر للخير ويحولون بينها وبين منهج الله.. وهؤلاء على الجماعة المسلمة أن تقاتلهم، وأن تقتلهم حيث وجدتهم ﴿حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ﴾.

وهذا المبدأ العظيم الذي سنه الإسلام في أوائل ما نزل من القرآن عن القتال ما يزال قائماً، وما تزال العقيدة تواجه من يعتدون عليها وعلى أهلها في شتى العصور.. وما يزال الأذى والفتنة تلم بالمؤمنين أفراداً وجماعاتٍ وشعوباً كاملة في بعض الأحيان.. وكل من يتعرض للفتنة في دينه والأذى في عقيدته في أية صورة من الصور، وفي أي شكل من الأشكال، مفروضٌ عليه أن يقاتل وأن يقتل، وأن يحقق المبدأ العظيم الذي سنه الإسلام، فكان ميلاداً جديداً للإنسان..).

الدليل الثاني: قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قال ابن العربي رحمه الله[١]: (قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ هذا اللفظ وإن كان مختصاً بكل كافر بالله، عابد للوثن في العرف، ولكنه عام في الحقيقة لكل من كفر بالله، أما أنه بحكم قوة اللفظ يرجع تناوله إلى مشركي العرب الذين كان العهد لهم وفي جنسهم، ويبقى الكلام فيمن كفر من أهل الكتاب غيرهم، فيقتلون بوجود علة القتل، وهي الإشراك فيهم، إلا أنه قد وقع البيان بالنص عليهم في هذه السورة، ويأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى).

وهو يعني بقوله "وقع البيان بالنص عليهم" قول الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

وقال القرطبي رحمه الله[٢]: (قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ عام في كل مشرك لكن السنة خصت منه ما تقدم بيانه في سورة البقرة من امرأة وراهب وصبي وغيرهم...

واعلم أن مطلق قوله ﴿اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ يقتضي جواز قتلهم بأي وجه كان، إلا أن الأخبار وردت بالنهي على المثلة، ومع هذا فيجوز أن يكون الصديق – حين قتل أهل الردة بالإحراق بالنار وبالحجارة وبالرمي من رءوس الجبال والتنكيس في الآبار تعلق بعموم الآية، وكذلك إحراق علي – قوما من أهل الردة يجوّز أن يكون ميلاً إلى هذا المذهب واعتماداً على عموم اللفظ والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ عام في كل موضع وخص أبو حنيفة – المسجد الحرام.

قوله تعالى: ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ المرصد الموضع الذي يرقب فيه العدو، يقال رصدت فلاناً أرصده أي رقبته، أي اقعدوا لهم في مواضع الغرة حيث يرصدون.

---

[١] أحكام القرآن (٢/٤٥٦).

[٢] الجامع لأحكام القرآن (٨/٧٢ – ٧٣).

قال عامر بن الطفيل:

ولقد علمت وما إخالك ناسيا أن المنية للفتى بالمرصد

وقال عدي:

أعاذل إن الجهل من لذة الفتى وإن المنايا للنفوس بمرصد)

وقال ابن كثير رحمه الله[١]: (حكى الإمام أبو جعفر - أي الطبري - الإجماع على أن الله قد أحل قتال أهل الشرك في الأشهر الحرم وغيرها من شهور السنة قال وكذلك أجمعوا على أن المشرك لو قلد عنقه أو ذراعيه بلحاء جميع أشجار الحرم لم يكن ذلك له أماناً من القتل إذا لم يكن تقدم له عقد ذمة من المسلمين أو أمان..) - إلى أن قال - (قد حكى ابن جرير الإجماع على أن المشرك يجوز قتله إذا لم يكن له أمان وإن أم البيت الحرام أو بيت المقدس وأن هذا الحكم منسوخ في حقهم والله أعلم).

وقال عبد الله عزام رحمه الله[٢]: (من أراد أن يعرف أحكام الجهاد النهائية في الإسلام فهي موجودة في سورة التوبة، ولذلك ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾، ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ هذه يسمونها آية السيف، نسخت آية السيف أكثر من مائة وعشرين آية نزلت قبلها في مكة والمدينة في الصفح الجميل وفي الإعراض الجميل وفي النقاش بالحكمة والموعظة الحسنة[٣]، آية السيف نسخت كل هذه أمامها).

---

[١] تفسير القرآن العظيم (٢/٥).

[٢] في ظلال سورة التوبة (٨١).

[٣] تقدم كلام ابن تيمية رحمه الله حول هذه المسألة في بداية هذه الحلقة فراجعه.

الدليل الثالث: قال جل جلاله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾.

قال الجصَّاص رحمه الله[1]: (قوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: الأمر بقتال سائر أصناف أهل الشرك إلا من اعتصم منهم بالذمة، وأداء الجزية على ما بينه في غير هذه الآية. والآخر: الأمر بأن نقاتلهم مجتمعين متعاضدين غير متفرقين. ولما احتمل الوجهين كان عليهما إذ ليسا متنافيين، فتضمن ذلك الأمر بالقتال لجميع المشركين، وأن يكونوا مجتمعين متعاضدين على القتال، وقوله: ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ يعني أن جماعتهم يرون ذلك فيكم، ويعتقدونه، ويحتمل: كما يقاتلونكم مجتمعين، وهذه الآية في معنى قوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ متضمنة لرفع العهود والذمم التي كانت بين النبي ﷺ وبين المشركين، وفيها زيادة معنى، وهو الأمر بأن نكون مجتمعين في حال قتالنا إياهم).

الدليل الرابع: قال عز وجل: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىَ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

قال القرطبي رحمه الله[2]: (فقال الله عز وجل: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ..﴾ الآية فأمر سبحانه وتعالى بمقاتلة جميع الكفار لإصفاقهم على هذا الوصف، وخص أهل الكتاب بالذكر إكراماً لكتابهم ولكونهم عالمين بالتوحيد والرسل والشرائع والملل وخصوصاً ذكر محمد ﷺ وملته وأمته، فلما أنكروه تأكدت عليهم الحجة وعظمت منهم الجريمة، فنبه على محلهم، ثم جعل للقتال غاية وهي إعطاء الجزية بدلا من القتل، وهو الصحيح، قال ابن العربي: سمعت أبا الوفاء علي بن

---

[1] أحكام القرآن (١٦٣/٣).

[2] الجامع لأحكام القرآن (١٠٩/٨ - ١١٠).

عقيل في مجلس النظر يتلوها ويحتج بها فقال: قاتلوا وذلك أمر بالعقوبة، ثم قال: الذين لا يؤمنون وذلك بيان للذنب وقوله ولا باليوم الآخر تأكيد للذنب في جانب الإعتقاد، ثم قال: ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله زيادة للذنب في مخالفة الأعمال، ثم قال: ولا يدينون دين الحق إشارة إلى تأكيد المعصية بالانحراف والمعاندة والأنفة عن الاستسلام، ثم قال: من الذين أوتوا الكتاب تأكيد للحجة لأنهم كانوا يجحدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، ثم قال: حتى يعطوا الجزية عن يد فبين الغاية التي تمتد وعين البدل الذي ترتفع به).

وقال ابن تيمية رحمه الله[1]: (نسخت هذه الآية ما كان قبلها، وأمر الله فيها بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يقروا بالجزية صغاراً ونقمةً لهم، وكذلك ذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن النبي لم يكن يقاتل من كف عن قتاله لقوله تعالى: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾، إلى أن نزلت براءة.

وجملة ذلك أنه لما نزلت براءة أمر أن يبتدئ جميع الكفار بالقتال وثنيهم وكتابيهم سواء كفوا عنه أو لم يكفوا، وأن ينبذ إليهم تلك العهود المطلقة التي كانت بينه وبينهم، وقيل له فيها: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بعد أن كان قد قيل له: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾.

ولهذا قال زيد بن أسلم: نسخت هذه الآية ما كان قبلها فأما قبل براءة وقبل بدر فقد كان مأموراً بالصبر على أذاهم والعفو عنهم، وأما بعد بدر وقبل براءة فقد كان يقاتل من يؤذيه ويمسك عمن سالمه كما فعل بابن الأشرف وغيره ممن كان يؤذيه، فبدر كانت أساس عز الدين وفتح مكة كانت كمال عز الدين، فكانوا قبل بدر يسمعون الأذى الظاهر ويؤمرون بالصبر عليه، وبعد بدر يؤذون في السر من جهة المنافقين وغيرهم فيؤمرون بالصبر عليه، وفي تبوك أمروا بالإغلاظ للكفار والمنافقين فلم يتمكن بعدها كافر ولا منافق من

---

[1] الصارم المسلول (٢/٢١٠ - ٢١١).

أذاهم في مجلس خاص ولا عام بل مات بغيظه لعلمه بأنه يقتل إذا تكلم، وقد كان بعد بدر لليهود استطالة وأذى للمسلمين إلى أن قتل كعب بن الأشرف).

وقال ابن كثير رحمه الله[1]: (قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ فهم في نفس الأمر لما كفروا بمحمد ﷺ لم يبق لهم إيمان صحيح بأحد الرسل ولا بما جاءوا به، وإنما يتبعون آراءهم وأهواءهم وآباءهم فيما هم فيه لا لأنه شرع الله ودينه؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين بما بأيديهم إيماناً صحيحاً لقادهم ذلك إلى الإيمان بمحمد ﷺ، لأن جميع الأنبياء بشروا به وأمروا باتباعه، فلما جاء كفروا به وهو أشرف الرسل عُلِم أنهم ليسوا متمسكين بشرع الأنبياء الأقدمين لأنه من الله بل لحظوظهم وأهوائهم، فلهذا لا ينفعهم إيمانهم ببقية الأنبياء وقد كفروا بسيدهم وأفضلهم وخاتمهم وأكملهم، ولهذا قال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾.

وهذه الآية الكريمة نزلت أول الأمر بقتال أهل الكتاب بعد ما تهدمت أمور المشركين ودخل الناس في دين الله أفواجاً).

الدليل الخامس: قال سبحانه: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾.

---

[1] تفسير القرآن العظيم (٢/٣٤٨).

قال الطبري رحمه الله[١]: (القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره فلا تضعفوا أيها المؤمنون بالله عن جهاد المشركين وتجبنوا عن قتالهم...

وقوله: ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ يقول لا تضعفوا عنهم وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم.

﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ يقول والله معكم بالنصر لكم عليهم..).

- إلى أن قال - (قال: ابن زيد في قوله: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ قال: هذا منسوخ، قال: نسخه القتال والجهاد، يقول: لا تضعف أنت وتدعوهم أنت إلى السلم وأنت الأعلى، قال: وهذا حين كانت العهود والهدنة فيما بينه وبين المشركين قبل أن يكون القتال، يقول: لا تهن فتضعف فيرى أنك تدعوه إلى السلم وأنت فوقه وأعز منه، ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ أنتم أعز منهم، ثم جاء القتال بعد فنسخ هذا أجمع، فأمره بجهادهم والغلظة عليهم).

وقال ابن كثير رحمه الله[٢]: (قال جل وعلا لعباده المؤمنين: ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ أي لا تضعفوا عن الأعداء، ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ أي المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عددكم وعدتكم، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ أي في حال علوكم على عدوكم، فأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين ورأى الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحة فله أن يفعل ذلك كما فعل رسول الله ﷺ حين صده كفار قريش عن مكة ودعوه إلى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين، فأجابهم ﷺ إلى ذلك، وقوله جلت عظمته: ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ فيه بشارة عظيمة بالنصر

---

[١] تفسير الطبري (٦٣/٢٦).

[٢] تفسير القرآن العظيم (١٨٢/٤).

والظفر على الأعداء، ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ أي ولن يحبطها ويبطلها ويسلبكم إياها، بل يوفيكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيئاً، والله أعلم).

وقال سيد قطب رحمه الله[1]: (فهذا هو الذي يحذر المؤمنين إياه، ويضع أمامهم مصير الكفار المشاقين للرسول، ليحذروا شبحه من بعيد!، وهذا التحذير يشي بوجود أفراد من المسلمين كانوا يستثقلون تكاليف الجهاد الطويل ومشقته الدائمة، وتهون عزائمهم دونه، ويرغبون في السلم والمهادنة ليستريحوا من مشقة الحروب، وربما كان بعضهم ذوي قرابة في المشركين ورحم، أو ذوي مصالح وأموال، وكان هذا يجنح بهم إلى السلم والمهادنة، فالنفس البشرية هيَ هي، والتربية الإسلامية تعالج هذا الوهن وهذه الخواطر الفطرية بوسائلها وقد نجحت نجاحاً خارقاً ولكن هذا لا ينفي أن تكون هناك رواسب في بعض النفوس، وبخاصة في ذلك الوقت المبكر من العهد المدني، وهذه الآية بعض العلاج لهذه الرواسب، فلننظر كيف كان القرآن يأخذ النفوس فنحن في حاجة إلى تحري خطوات القرآن في التربية والنفوس هي النفوس..

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُم﴾.. أنتم الأعلون فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم..

أنتم الأعلون اعتقاداً وتصوراً للحياة، وأنتم الأعلون ارتباطاً وصلةً بالعلي الأعلى، وأنتم الأعلون منهجاً وهدفاً وغايةً، وأنتم الأعلون شعوراً وخلقاً وسلوكاً..

ثم أنتم الأعلون قوةً ومكاناً ونصرةً، فمعكم القوة الكبرى ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾، فلستم وحدكم، إنكم في صحبة العلي الجبار القادر القهار، وهو لكم نصيرٌ حاضرٌ معكم يدافع عنكم، فما يكون أعداؤكم هؤلاء والله معكم؟

---

[1] في ظلال القرآن سورة محمد آية (٣٣).

وكل ما تبذلون، وكل ما تفعلون، وكل ما يصيبكم من تضحيات محسوب لكم، لا يضيع منه شيء عليكم ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ ولن يقطع منها شيئاً لا يصل إليكم أثره ونتيجته وجزاؤه فعلام يهن ويضعف ويدعو إلى السلم من يقررُ الله سبحانه له أنه الأعلى، وأنه معه، وأنه لن يفقد شيئاً من عمله فهو مُكَرمٌ منصورٌ مأجورٌ).

الدليل السادس: قال تعالى ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾.

قال الطبري رحمه الله[1]: (القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ يقول تعالى ذكره لفريق الإيمان به وبرسوله فإذا لقيتم الذين كفروا بالله ورسوله من أهل الحرب فاضربوا رقابهم..) – إلى أن قال – (وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا رقابهم، وافعلوا بأسراهم ما بيّنت لكم، حتى تضع الحرب آثامها وأثقال أهلها المشركين بالله بأن يتوبوا إلى الله من شركهم، فيؤمنوا به وبرسوله، ويطيعوه في أمره ونهيه، فذلك وضع الحرب أوزارها، وقيل: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ والمعنى: حتى تلقي الحرب أوزار أهلها، وقيل: معنى ذلك: حتى يضع المحارب أوزاره وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل).

وقال ابن كثير رحمه الله[2]: (يقول تعالى مرشداً للمؤمنين إلى ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ أي إذا واجهتموهم فاحصدوهم حصداً بالسيوف ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أي أهلكتموهم قتلاً ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ الأسارى الذين تأسرونهم، ثم أنتم بعد انقضاء الحرب وانفصال المعركة مخيرون في أمرهم، إن شئتم مننتم عليهم

---

[1] تفسير الطبري (٢٦/٤٠).

[2] تفسير القرآن العظيم (٤/١٧٤) مع تصرف يسير بحذف بعض الأسانيد.

فأطلقتم أساراهم مجاناً، وإن شئتم فاديتموهم بمال تأخذونه منهم وتشارطونهم عليه، والظاهر أن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر، فإن الله سبحانه وتعالى عاتب المؤمنين على الاستكثار من الأسارى يومئذ، ليأخذوا منهم الفداء والتقليل من القتل يومئذ فقال: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾..).

– إلى أن قال – (وقوله عز وجل: ﴿حَتَّىَ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ قال مجاهد: حتى ينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، وكأنه أخذه من قوله ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يقاتل آخرهم الدجال)).

وقال الإمام أحمد – وساق سنده رحمه الله – أن سلمة بن نفيل أخبرهم أنه أتى رسول الله ﷺ، فقال: إني سيبت الخيل وألقيت السلاح ووضعت الحرب أوزارها، وقلت: لا قتال، فقال له النبي ﷺ: ((الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يزيغ الله تعالى قلوب أقوام، فيقاتلونهم ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، ألا إن عقد دار المؤمنين بالشام والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)) وهكذا رواه النسائي.

وقال أبو القاسم البغوي: عن النواس بن سمعان – قال: لما فتح على رسول الله ﷺ فتح قالوا: يا رسول الله، سيبت الخيل، ووضعت السلاح، ووضعت الحرب أوزارها، قالوا: لا قتال. قال: ((كذبوا الآن جاء القتال، ولا يزال الله تعالى يرفع قلوب قوم يقاتلونهم فيرزقهم منهم حتى يأتي أمر الله، وهم على ذلك وعقر دار المسلمين بالشام))، وهذا يقوي القول بعدم النسخ كأنه شرع هذا الحكم في الحرب إلى أن لا يبقى حرب.

وقال قتادة: ﴿حَتَّىَ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ حتى لا يبقى شرك، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ ثم قال بعضهم: حتى تضع الحرب أوزارها

أي أوزار المحاربين وهم المشركون بأن يتوبوا إلى الله عز وجل، وقيل أوزار أهلها بأن يبذلوا الوسع في طاعة الله تعالى).

الدليل السابع: قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

قال الشافعي رحمه الله[1]: (قال الله عز وجل: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ قال: ففرض الله جهاد المشركين، ثم أبان من الذين نبدأ بجهادهم من المشركين، فأعلمهم أنهم الذين يلون المسلمين، وكان معقولاً في فرض الله جهادهم أن أولاهم بأن يجاهد أقربهم بالمسلمين داراً لأنهم إذا قووا على جهادهم وجهاد غيرهم كانوا على جهاد من قرب منهم أقوى، وكان من قرب أولى أن يجاهد من قربه من عورات المسلمين، وأن نكاية من قرب أكثر من نكاية من بعد، قال: فيجب على الخليفة إذا استوت حال العدو أو كانت بالمسلمين عليهم قوة أن يبدأ بأقرب العدو من أخذها المسلمين لأنهم الذين يلونهم، ولا يتناول من خلفهم من طريق المسلمين على عدو دونه حتى يحكم أمر العدو دونه بأن يسلموا، أو يعطوا الجزية إن كانوا أهل كتاب وأُحِبَ له إن لم يرد عدو وراءهم ولم يطل على المسلمين عدو أن يبدأ بأقربهم من المسلمين؛ لأنهم أولى باسم الذين يلون المسلمين، وإن كان كل يلي طائفة من المسلمين فلا أحب أن يبدأ بقتال طائفة تلي قوماً من المسلمين دون آخرين وإن كانت أقرب منهم من الأخرى إلى قوم غيرهم.

فإن اختلف حال العدو فكان بعضهم أنكى من بعض أو أخوف من بعض فليبدأ الإمام بالعدو الأخوف أو الأنكى ولا بأس أن يفعل، وإن كانت داره أبعد إن شاء الله تعالى حتى ما يخاف ممن بدأ به مما لا يخاف من غيره مثله وتكون هذه بمنزلة ضرورة؛ لأنه يجوز في الضرورة ما لا يجوز في غيرها، وقد بلغ النبي ﷺ عن الحرث بن أبي ضرار أنه يجمع له فأغار

---

[1] الأم (٤/١٦٨).

النبي ﷺ عليه وقربه عدو أقرب منه وبلغه أن خالد بن سفيان الهذلي يجمع له فأرسل ابن أنيس فقتله وقربه عدو أقرب.

وهذه منزلة لا يتباين فيها حال العدو كما وصفت، والواجب أن يكون أول ما يبدأ به سد أطراف المسلمين بالرجال، وإن قدر على الحصون والخنادق وكل أمر دفع العدو قبل انتياب العدو في ديارهم حتى لا يبقى للمسلمين طرف إلا وفيه من يقوم بحرب من يليه من المشركين، وإن قدر على أن يكون فيه أكثر فعل بولايتهم أهل الأمانة والعقل والنصيحة للمسلمين والعلم بالحرب والنجدة والأناة والرفق والإقدام في موضعه وقلة البطش والعجلة.

فإذا أحكم هذا في المسلمين وجب عليه أن يدخل المسلمين بلاد المشركين في الأوقات التي لا يغرر بالمسلمين فيها ويرجو أن ينال الظفر من العدو، فإن كانت بالمسلمين قوة لم أر أن يأتي عليه عام إلا وله جيش أو غارة في بلاد المشركين الذي يلون المسلمين من كل ناحية عامة، وإن كان يمكنه في السنة بلا تغرير بالمسلمين أحببت له أن لا يدع ذلك كلما أمكنه.

وأقل ما يجب عليه أن لا يأتي عليه عام إلا وله فيه غزو حتى لا يكون الجهاد معطلا في عام، إلا من عذر، وإذا غزا عاماً قابلاً غزا بلداً غيره، ولا يتابع الغزو على بلد ويعطل من بلاد المشركين غيره إلا أن يختلف حال أهل البلدان فيتابع الغزو على من يخاف نكايته أو من يرجو غلبة المسلمين على بلاده، فيكون تتابعه على ذلك، وعطل غيره بمعنى ليس في غيره مثله.

قال: وإنما قلت بما وصفت أن رسول الله ﷺ لم يخل من حين فرض عليه الجهاد من أن غزا بنفسه أو غيره في عام من غزوة أو غزوتين أو سرايا، وقد كان يأتي عليه الوقت لا يغزو فيه ولا يسري سرية، وقد يمكنه ولكنه يستجم ويجم له ويدعو ويظاهر الحجج على من دعاه).

وقال الطبري رحمه الله[١]: (القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، قاتلوا من وليكم من الكفار دون من بعد منهم، يقول لهم: ابدءوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم داراً دون الأبعد فالأبعد.

وكان الذين يلون المخاطبين بهذه الآية يومئذ الروم لأنهم كانوا سكان الشام يومئذ، والشام كانت أقرب إلى المدينة من العراق، فأما بعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد فإن الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الأعداء دون الأبعد منهم ما لم يضطر إليهم أهل ناحية أخرى من نواحي بلاد الإسلام، فإن اضطروا إليهم لزم عونهم ونصرهم لأن المسلمين يد على من سواهم، ولصحة كون ذلك تأول كل من تأول هذه الآية أن معناها إيجاب الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الأعداء).

– إلى قوله – (وأما قوله: ﴿غِلْظَةً﴾ فإن معناه وليجد هؤلاء الكفار الذين تقاتلونهم ﴿فِيكُمْ﴾ أي منكم شدة عليهم، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ يقول: وأيقنوا عند قتالكم إياهم أن الله معكم، وهو ناصركم عليهم، فإن اتقيتم الله وخفتموه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه فإن الله ناصر من اتقاه ومعينه).

وقال الجصَّاص رحمه الله[٢]: (خصَّ الأمر بالقتال للذين يلونهم من الكفار، وقال في أول السورة: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾، وقال في موضع آخر: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ فأوجب قتال جميع الكفار، ولكنه خص بالذكر الذين يلوننا من الكفار؛ إذ كان معلوماً أنه لا يمكننا قتال جميع الكفار في وقت واحد، وأن الممكن منه هو قتال طائفة فكان من قرب منهم، أولى بالقتال ممن بعد؛ لأن الاشتغال بقتال من بعد منهم مع ترك قتال من قرب لا يؤمن معه هجم من قرب على ذراري المسلمين ونسائهم وبلادهم إذا خلت من

---

[١] تفسير الطبري (٧١/١١).

[٢] أحكام القرآن (٢٣٥/٣).

المجاهدين، فلذلك أمر بقتال من قرب قبل قتال من بعد، وأيضاً لا يصح تكليف قتال الأبعد؛ إذ لا حد للأبعد يبتدأ منه القتال كما للأقرب، وأيضاً فغير ممكن الوصول إلى قتال الأبعد إلا بعد قتال من قرب وقهرهم وإذلالهم فهذه الوجوه كلها تقتضي تخصيص الأمر بقتال الأقرب).

وقال القرطبي رحمه الله[١]: (وذلك أن المقصود أولاً كان أهل مكة فتعينت البداءة بهم، فلما فتح الله مكة كان القتال لمن يلي ممن كان يؤذي حتى تعم الدعوة وتبلغ الكلمة جميع الآفاق ولا يبقى أحد من الكفرة، وذلك باق متماد إلى يوم القيامة، ممتد إلى غاية هي قوله عليه السلام: ((الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم))، وقيل غايته نزول عيسى بن مريم عليه السلام وهو موافق للحديث الذي قبله لأن نزوله من أشراط الساعة) [٢].

وقال ابن قدامة رحمه الله[٣]: (ويقاتل كل قوم من يليهم من العدو والأصل في هذا قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ ولأن الأقرب أكثر ضرراً، وفي قتاله دفع ضرره عن المقابل له، وعمن وراءه، والاشتغال بالبعيد عنه، يمكنه من انتهاز الفرصة في المسلمين؛ لاشتغالهم عنه، قيل لأحمد: يحكون عن ابن المبارك أنه قيل له: تركت قتال العدو عندك، وجئت إلى هاهنا؟ قال: هؤلاء أهل الكتاب، فقال أبو عبد الله: سبحان الله، ما أدري ما هذا القول، يترك العدو عنده، ويجيء إلى هاهنا، أفيكون هذا، أويستقيم هذا، وقد قال الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ لو أن أهل خراسان كلهم عملوا على هذا، لم يجاهد الترك أحد، وهذا والله أعلم إنما فعله ابن المبارك لكونه متبرعاً بالجهاد، والكفاية حاصلة بغيره من أهل الديوان وأجناد المسلمين، والمتبرع له ترك الجهاد

---

[١] جامع أحكام القرآن (٢/٣٥٠).

[٢] سبق الجمع بين هذين الحديثين في الحلقة الماضية ولله الحمد.

[٣] المغني (٩/١٦٦).

بالكلية، فكان له أن يجاهد حيث شاء، ومع من شاء؛ إذا ثبت هذا، فإن كان له عذر في البداية بالأبعد لكونه أخوف، أو لمصلحة في البداية به لقربه وإمكان الفرصة منه، أو لكون الأقرب مهادناً، أو يمنع من قتاله مانع، فلا بأس بالبداية بالأبعد، لكونه موضع حاجة).

وقال ابن كثير رحمه الله[1]: (أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولاً فأولاً، الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام، ولهذا بدأ رسول الله ﷺ بقتال المشركين في جزيرة العرب فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن واليمامة وهجر وخيبر وحضرموت وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجا شرع في قتال أهل الكتاب، فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام لأنهم أهل الكتاب، فبلغ تبوك ثم رجع لأجل جهد الناس وجدب البلاد وضيق الحال وذلك سنة تسع من هجرته عليه السلام، ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجة الوداع، ثم عاجلته المنية صلوات الله وسلامه عليه بعد حجته بأحد وثمانين يوما، فاختاره الله لما عنده.

وقام بالأمر بعده وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقد مال الدين ميلة كاد أن ينجفل فثبته الله تعالى به، فوطد القواعد وثبت الدعائم ورد شارد الدين وهو راغم، ورد أهل الردة إلى الإسلام، وأخذ الزكاة ممن منعها من الطغام، وبين الحق لمن جهله، وأدى عن الرسول ما حمله.

ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عبدة الصلبان وإلى الفرس عبدة النيران، ففتح الله ببركة سفارته البلاد، وأرغم أنف كسرى وقيصر ومن أطاعهما من العباد، وأنفق كنوزهما في سبيل الله كما أخبر بذلك رسول الله.

---

[1] تفسير القرآن العظيم (٢/٤٠٣).

وكان تمام الأمر على يدي وصيه من بعده وولي عهده الفاروق الأواب شهيد المحراب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأرغم الله أنوف الكفرة الملحدين، وقمع الطغاة المنافقين، واستولى على الممالك شرقاً وغرباً، وحملت إليه خزائن الأموال من سائر الأقاليم بعداً وقرباً، ففرقها على الوجه الشرعي والسبيل المرضي.

ثم لما مات شهيداً وقد عاش حميداً أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار على خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه شهيد الدار، فكسى الإسلام رياسة حلة سابغة، وامتدت في سائر الأقاليم على رقاب العباد حجة الله البالغة، فظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وعلت كلمة الله وظهر دينه، وبلغت الملة الحنيفية من أعداء الله غاية مآربها، وكلما علوا أمة انتقلوا إلى من بعدهم ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ أي وليجد الكفار منكم غلظة عليهم في قتالكم لهم فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقاً لأخيه المؤمن غليظاً على عدوه الكافر، كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَاتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: ((أنا الضحوك القتال)) يعني أنه ضحوك في وجه وليه قتّال لهامة عدوه، وقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي قاتلوا الكفار وتوكلوا على الله واعلموا أن الله معكم إذا اتقيتموه وأطعتمو.

وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالى لم يزالوا ظاهرين على عدوهم ولم تزل الفتوحات كثيرة ولم تزل الأعداء في سفال وخسار).

وقال سيد قطب رحمه الله[١]: (بعد ذلك ترد آية تضع خطة الحركة الجهادية ومداها كذلك وهما – الخطة والمدى – اللذان سار عليهما رسول الله ﷺ وخلفاؤه من بعده بصفة عامة، فلم تشذ عنها إلا حالات كانت لها مقتضيات واقعة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

فأما خطة الحركة الجهادية التي تشير إليها الآية في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ فقد سارت عليها الفتوح الإسلامية، تواجه من يلون دار الإسلام ويجاورونها، مرحلة فمرحلة فلما أسلمت الجزيرة العربية أو كادت ولم تبق إلا فلول منعزلة لا تؤلف قوة يخشى منها على دار الإسلام بعد فتح مكة كانت غزوة تبوك على أطراف بلاد الروم ثم كان انسياح الجيوش الإسلامية في بلاد الروم وفي بلاد فارس، فلم يتركوا وراءهم جيوبا، ووحدت الرقعة الإسلامية، ووصلت حدودها، فإذا هي كتلة ضخمة شاسعة الأرجاء، متماسكة الأطراف..

ثم لم يأتها الوهن فيما بعد إلا من تمزقها، وإقامة الحدود المصطنعة فيما بينها على أساس ملك البيوت، أو على أساس القوميات! وهي خطة عمل أعداء هذا الدين على التمكين لها جهد طاقتهم وما يزالون يعملون وستظل هذه الشعوب التي جعل منها الإسلام (أمة واحدة) في دار الإسلام المتصلة الحدود – وراء فواصل الأجناس واللغات والأنساب والألوان – ستظل ضعيفة مهيضة إلا أن تثوب إلى دينها، وإلى رايته الواحدة، وإلا أن تتبع خطى رسول الله ﷺ وتدرك أسرار القيادة الربانية التي كفلت لها النصر والعز والتمكين، ونقف مرة أخرى أمام قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

---

[١] في ظلال القرآن سورة التوبة آية (١٢٣) بتصرف.

فنجد أمراً بقتال الذين يلون المسلمين من الكفار لا يذكر فيه أن يكونوا معتدين على المسلمين ولا على ديارهم، وندرك أن هذا هو الأمر الأخير الذي يجعل الانطلاق بهذا الدين هو الأصل الذي ينبثق منه مبدأ الجهاد وليس هو مجرد الدفاع...

إلا أن الذين يكتبون اليوم عن العلاقات الدولية في الإسلام وعن أحكام الجهاد في الإسلام والذين يتصدون لتفسير الآيات المتضمنة لهذه الأحكام يتعاظمهم ويهولهم أن تكون هذه هي أحكام الإسلام، وأن يكون الله سبحانه قد أمر الذين آمنوا أن يقاتلوا الذين يلونهم من الكفار وأن يظلوا يقاتلون من يلونهم من الكفار كلما وجد هناك من يلونهم من الكفار، يتعاظمهم ويهولهم أن يكون الأمر الإلهي هكذا فيروحون يتلمسون القيود للنصوص المطلقة، ويجدون هذه القيود في النصوص المرحلية السابقة.

إننا نعرف لماذا يهولهم هذا الأمر ويتعاظمهم على هذا النحو، إنهم ينسون أن الجهاد في الإسلام جهاد في سبيل الله، جهاد لتقرير ألوهية الله في الأرض وطرد الطواغيت المغتصبة لسلطان الله، جهاد لتحرير الإنسان من العبودية لغير الله ومن فتنته بالقوة عن الدينونة لله وحده والانطلاق من العبودية للعباد حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، وأنه ليس جهاداً لتغليب مذهب بشري على مذهب بشري مثله إنما هو جهاد لتغليب منهج الله على مناهج العبيد، وليس جهاداً لتغليب سلطان قوم على سلطان قوم، إنما هو جهاد لتغليب سلطان الله على سلطان العبيد، وليس جهاداً لإقامة مملكة لعبد إنما هو جهاد لإقامة مملكة الله في الأرض.

ومن ثم ينبغي له أن ينطلق في الأرض كلها لتحرير الإنسان كله بلا تفرقة بين ما هو داخل في حدود الإسلام وبين ما هو خارج عنها، فكلها أرض يسكنها الإنسان، وكلها فيها طواغيت تُعبّد العباد للعباد.

وحين ينسون هذه الحقيقة يهولهم طبعاً أن ينطلق منهج ليكتسح كل المناهج، وأن تنطلق أمة لتخضع سائر الأمم، إنها في هذا الوضع لا تستساغ وهي فعلاً لا تستساغ لولا أن الأمر

ليس كذلك وليس له شبيه فيما بين أنظمة البشر اليوم من إمكان التعايش، إنها كلها اليوم أنظمة بشرية فليس لواحد منها أن يقول إنه هو وحده صاحب الحق في البقاء، وليس الحال كذلك في نظام إلهي يواجه أنظمة بشرية ليبطل هذه الأنظمة كلها ويدمرها كي يطلق البشر جميعاً من ذلة العبودية للعباد، ويرفع البشر جميعاً إلى كرامة العبودية لله وحده بلا شريك.

ثم إنه يهولهم الأمر ويتعاظمهم لأنهم يواجهون هجوماً صليبياً منظماً لئيماً ماكراً خبيثاً يقول لهم إن العقيدة الإسلامية قد انتشرت بالسيف وأن الجهاد كان لإكراه الآخرين على العقيدة الإسلامية وانتهاك حرمة حرية الاعتقاد، والمسألة على هذا الوضع لا تكون مستساغة لولا أن الأمر ليس كذلك على الإطلاق، إن الإسلام يقوم على قاعدة ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ ولكن لماذا ينطلق إذن بالسيف مجاهداً، ولماذا اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون؟

إنه لأمر آخر غير الإكراه على العقيدة كان هذا الجهاد، بل لأمر مناقض تماماً للإكراه على العقيدة، إنه لضمان حرية الاعتقاد كان هذا الجهاد؛ لأن الإسلام كإعلان عام لتحرير الإنسان في الأرض من العبودية للعباد، يواجه دائماً طواغيت في الأرض يخضعون العباد للعباد، ويواجه دائماً أنظمة تقوم على أساس دينونة العبيد للعبيد، تحرس هذه الأنظمة قوة الدولة أو قوة تنظيمية في صورة من الصور، وتحول دون الناس في داخلها ودون سماع الدعوة الإسلامية، كما تحول دونهم ودون اعتناق العقيدة إذا ارتضتها نفوسهم أو تفتنهم عنها بشتى الوسائل، وفي هذا يتمثل انتهاك حرية الاعتقاد بأقبح أشكاله.

ومن هنا ينطلق الإسلام بالسيف ليحطم هذه الأنظمة ويدمر هذه القوى التي تحميها، ثم ماذا؟

ثم يترك الناس بعد ذلك أحراراً حقاً في اختيار العقيدة التي يريدونها إن شاءوا دخلوا في الإسلام فكان لهم ما للمسلمين من حقوق وعليهم ما عليهم من واجبات وكانوا إخواناً في الدين للسابقين في الإسلام، وإن شاءوا بقوا على عقائدهم وأدوا الجزية إعلاناً عن

استسلامهم لانطلاق الدعوة الإسلامية بينهم بلا مقاومة، ومشاركة منهم في نفقات الدولة المسلمة التي تحميهم من اعتداء الذين لم يستسلموا بعد، وتكفل العاجز منهم والضعيف والمريض كالمسلمين سواء بسواء.

إن الإسلام لم يكره فرداً على تغيير عقيدته كما انطلقت الصليبية على مدار التاريخ تذبح وتقتل وتبيد شعوباً بأسرها كشعب الأندلس قديماً وشعب زنجبار حديثا لتكرههم على التنصر، وأحياناً لا تقبل منهم حتى التنصر فتبيدهم لمجرد أنهم مسلمون، وأحياناً لمجرد أنهم يدينون بمذهب نصراني مخالف لمذهب الكنيسة الرسمية، وقد ذهب مثلاً اثنا عشر ألفا من نصارى مصر ضحايا بصور بشعة إذ أحرقوا أحياء على نار المشاعل لمجرد مخالفتهم لجزئية اعتقادية عن كنيسة روما تتعلق بانبثاق الروح القدس من الأب فقط أو من الأب والابن معاً أو يتعلق بما إذا كان للمسيح طبيعة واحدة لاهوتية أو طبيعة لاهوتية ناسوتية إلى آخر هذه الجزيئات الاعتقادية الجانبية.

وأخيراً فإن صورة الانطلاق في الأرض لمواجهة من يلون المسلمين من الكفار تهول المهزومين روحياً في هذا الزمان وتتعاظمهم؛ لأنهم يبصرون بالواقع من حولهم وبتكاليف هذا الانطلاق فيهولهم الأمر، وهو يهول فعلاً، فهل هؤلاء الذين يحملون أسماء المسلمين وهم شعوب مغلوبة على أمرها، أو قليلة الحيلة عموماً، هل هؤلاء هم الذين سينطلقون في الأرض يواجهون أمم الأرض جميعاً بالقتال حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله؟

إنه لأمر لا يتصور عقلاً ولا يمكن أن يكون هذا هو أمر الله فعلاً، ولكن فات هؤلاء جميعاً أن يروا متى كان هذا الأمر وفي أي ظرف، لقد كان بعد أن قامت للإسلام دولة تحكم بحكم الله، دانت لها الجزيرة العربية ودخلت في هذا الدين ونظمت على أساسه، وقبل ذلك كله كانت هناك العصبة المسلمة التي باعت أنفسها لله بيعة صدق فنصرها الله يوماً بعد يوم وغزوة بعد غزوة ومرحلة بعد مرحلة، وأن الزمان قد استدار اليوم كهيئته يوم بعث الله محمدا ﷺ ليدعو الناس في جاهليتهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فجاهد

والقلة التي معه حتى قامت الدولة المسلمة في المدينة، وأن الأمر بالقتال مر بمراحل وأحكام مترقية حتى انتهى إلى تلك الصورة الأخيرة، وأن بين الناس اليوم وهذه الصورة أن يبدأوا من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول ثم يصلوا يوم أن يصلوا إلى هذه الصورة الأخيرة بإذن الله ويومئذ لن يكونوا هم هذا الغثاء الذي تتقاسمه المذاهب والمناهج والأهواء، والذي تتقاسمه الرايات القومية والجنسية والعنصرية، ولكنهم سيكونون العصبة المسلمة الواحدة التي ترفع راية لا إله إلا الله ولا ترفع معها راية أخرى ولا شعاراً ولا تتخذ لها مذهباً ولا منهجاً من صنع العبيد في الأرض، إنما تنطلق باسم الله وعلى بركة الله.

إن الناس لا يستطيعون أن يفقهوا أحكام هذا الدين وهم في مثل ما هم فيه من الهزال، إنه لن يفقه أحكام هذا الدين إلا الذين يجاهدون في حركة تستهدف تقرير ألوهية الله وحده في الأرض ومكافحة ألوهية الطواغيت، إن فقه هذا الدين لا يجوز أن يؤخذ عن القاعدين الذين يتعاملون مع الكتب والأوراق الباردة، إن فقه هذا الدين فقه حياة وحركة وانطلاق وحفظ ما في متون الكتب، والتعامل مع النصوص في غير حركة لا يؤهل لفقه هذا الدين ولم يكن مؤهلا له في يوم من الأيام.

وأخيرًا، فإن الظروف التي نزل فيها قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ تشير إلى أن أول المقصودين به كانوا هم الروم وهم أهل كتاب، ولكن لقد سبق في السورة تقرير كفرهم الاعتقادي والعملي بما في عقيدتهم من انحراف وبما في واقعهم من تحكيم شرائع العبيد، وهذه لفتة لا بد من الوقوف عندها لفقه منهج هذا الدين في الحركة تجاه أهل الكتاب المنحرفين عن كتابهم المحتكمين إلى شرائع من صنع رجال فيهم، وهي قاعدة تشمل كل أهل كتاب يتحاكمون راضين إلى شرائع من صنع الرجال وفيهم شريعة الله وكتابه في أي زمان وفي أي مكان.

ثم لقد أمر الله المسلمين أن يقاتلوا الذين يلونهم من الكفار وليجدوا فيهم غلظة، وعقب على هذا الأمر بقوله: ﴿إن الله يحب المتقين﴾ ولهذا التعقيب دلالته، فالتقوى هنا التقوى التي يحب الله أهلها، هي التقوى التي تنطلق في الأرض تقاتل من يلون المسلمين من الكفار، وتقاتلهم في غلظة أي بلا هوادة ولا تميع ولا تراجع حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله).

الدليل الثامن: ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله)).

الدليل التاسع: أخرج مسلم عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله)).

الدليل العاشر: أخرج البخاري عن أنس بن مالك – قال: قال رسول الله ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها، وصلوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله)).

الدليل الحادي عشر: أخرج البخاري عن حميد قال: سأل ميمون بن سياه أنس بن مالك – قال: يا أبا حمزة، ما يحرم دم العبد وماله؟ فقال: "من شهد أن لا إله إلا الله، واستقبل قبلتنا، وصلى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم، له ما للمسلم، وعليه ما على المسلم".

ففي هذه الأحاديث كما ترى أمر الله لنبيه محمد ﷺ أن يقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلا الله وأن محمداً رسول الله ويلتزموا أحكام الإسلام من صلاة وزكاة، واللام في كلمة الناس للجنس فيدخل فيها المشركون وأهل الكتاب – اليهود والنصارى – بأن يسلموا فإن

أبوا فيدفعوا الجزية، وقد وردت رواية عند أبي داود النسائي: ((أمرت أن أقاتل المشركين)) فعلة القتال كما ترى الشرك وليس المقاتلة.

قال الطيبي رحمه الله[١]: (هو من العام الذي خُصَّ منه البعض، لأن القصد الأولّي من هذا الأمر حصول المطلوب، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فإذا تخلّف منه أحد في بعض الصور لعارضٍ، فإنَّ ذلك لا يقدح في عمومه؛ ألا ترى أنَّ عبدة الأوثان إذا وقعت المهادنة معهم تسقط المقاتلة وتثبت العصمة، ويجوز أن يعبَّر بمجموع الشهادتين وفعل الصلاة والزكاة عن إعلاء كلمة الله تعالى وإذعان المخالفين، فيحصل ذلك في بعضهم بالقول والفعل، وفي بعضهم بإعطاء الجزية، وفي الآخرين بالمهادنة).

وقال ابن رشد رحمه الله[٢]: (وإنما يقاتل الكفار على الدين ليدخلوا من الكفر إلى الإسلام لا على الغلبة، قال رسول الله ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله))).

وقال ابن تيمية رحمه الله[٣]: (أخبر أنه أمر بقتالهم حتى يؤدوا هذه الواجبات وهذا مطابق لكتاب الله وقد تواتر عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة وأخرج منها أصحاب الصحيح عشرة أوجه ذكرها مسلم في صحيحه وأخرج منها البخاري غير وجه).

---

[١] فتح الباري (١/٧٧).

[٢] المقدمات (١/٣٦٩).

[٣] مجموع الفتاوى (٢٨/٤٧١).

وقال النووي رحمه الله[١]: (وفي استدلال أبي بكر واعتراض عمر رضي الله عنهما[٢] دليل على أنهما لم يحفظا عن رسول الله ﷺ ما رواه ابن عمر وأنس وأبو هريرة، وكأن هؤلاء الثلاثة سمعوا هذه الزيادات التي في رواياتهم في مجلس آخر، فإن عمر رضي الله عنه لو سمع ذلك لما خالف ولما كان احتج بالحديث، فإنه بهذه الزيادة حجة عليه، ولو سمع أبو بكر رضي الله عنه هذه الزيادة لاحتج بها ولما احتج بالقياس والعموم والله أعلم.

قوله: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله فمن قال لا اله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله)) قال الخطابي رحمه الله: معلوم أن المراد بهذا أهل الأوثان دون أهل الكتاب لأنهم يقولون لا إله إلا الله ثم يقاتلون ولا يرفع عنه السيف، قال: ومعنى ((وحسابه على الله)) أي فيما يستسرون به ويخفونه دون ما يخلون به في الظاهر من الأحكام الواجبة. قال: ففيه أن من أظهر الإسلام وأسر الكفر قبل إسلامه في الظاهر، وهذا قول أكثر العلماء، وذهب مالك إلى أن توبة الزنديق لا تقبل، ويحكى ذلك أيضا عن أحمد بن حنبل رضي الله عنهما. هذا كلام الخطابي.

وذكر القاضي عياض معنى هذا وزاد عليه وأوضحه، فقال: اختصاص عصمة المال والنفس بمن قال لا اله إلا الله تعبير عن الإجابة إلى الإيمان، وأن المراد بهذا مشركو العرب

---

[١] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/٢٠٦ - ٢٠٧).

[٢] يقصد بذلك ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله)) فقال أبو بكر: والله! لأقاتلنّ من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله! لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فوالله! ما هو إلا رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق.

وأهل الأوثان ومن لا يوحد، وهم كانوا أول من دعي إلى الإسلام وقوتل عليه، فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يُكتفى في عصمته بقوله لا إله إلا الله إذ كان يقولها في كفره وهي من اعتقاده، فلذلك جاء في الحديث الآخر: ((وأني رسول الله، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة)) هذا كلام القاضي.

قلت: ولا بد مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به رسول الله ﷺ كما جاء في الرواية الأخرى لأبي هريرة هي مذكورة في الكتاب ((حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به)) والله أعلم).

ونكتفي بهذا القدر من الأدلة والله أعلم.

مزيد من أقوال الفقهاء

قال بدر الدين بن جَمَاعَة رحمه الله[١]: (يجوز للمسلم أن يقتل من ظفر به من الكفار المحاربين سواء كان مقاتلاً أو غير مقاتل، وسواء كان مقبلاً أو مدبراً، لقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾.

وقال السرخسي رحمه الله[٢]: (فأما بيان المعاملة مع المشركين فنقول: الواجب دعاؤهم[٣] إلى الدين وقتال الممتنعين منهم من الإجابة، لأن صفة هذه الأمة في الكتب المنزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبها كانوا خير الأمم، قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الآية.

ورأس المعروف الإيمان بالله تعالى، فعلى كل مؤمن أن يكون آمرا به داعيا إليه، وأصل المنكر الشرك فهو أعظم ما يكون من الجهل والعناد لما فيه إنكار الحق من غير تأويل، فعلى كل مؤمن أن ينهى عنه بما يقدر عليه.

وقد كان رسول الله ﷺ مأمورا في الابتداء بالصفح والإعراض عن المشركين، قال الله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ﴾، ثم أمر بالدعاء إلى الدين بالوعظ والمجادلة بالأحسن فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، ثم أمر بالقتال إذا كانت البداية منهم فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ أي أذن لهم في الدفع، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ

---

[١] تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام (١٨٢).

[٢] المبسوط (١٠/٢ - ٣).

[٣] ستأتي مسألة الدعوة قبل القتال بحول الله وقوته في المستقبل.

فَاقْتُلُوهُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾، ثم أمر بالبداية بالقتال فقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، وقال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾.

وقال رسول الله ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله)).

فاستقر الأمر على فرضية الجهاد مع المشركين، وهو فرض قائم إلى قيام الساعة، قال النبي ﷺ: ((الجهاد ماض منذ بعثني الله تعالى إلى أن يقاتل آخر عصابة من أمتي الدجال))، وقال ﷺ: ((بعثت بالسيف بين يدي الساعة، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، والذل والصغار على من خالفني، ومن تشبه بقوم فهو منهم)) وتفسيره منقول عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى قال: بعث الله تعالى رسوله ﷺ بأربعة سيوف: سيف قاتل به بنفسه عبدة الأوثان، وسيف قاتل به أبو بكر رضي الله تعالى عنه أهل الردة قال الله تعالى: ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾، وسيف قاتل به عمر رضي الله تعالى عنه المجوس وأهل الكتاب قال الله تعالى ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ الآية، وسيف قاتل به علي رضي الله تعالى عنه المارقين والناكثين والقاسطين وهكذا روي عنه قال "أمرت بقتال المارقين والناكثين والقاسطين").

وقال ابن رشد رحمه الله في المقدمات[1]: (وجهاد بالسيف قتال المشركين على الدين، فكل من أتعب نفسه في ذات الله فقد جاهد في سبيله، إلا أن الجهاد إذا أطلق لا يقع إلا على مجاهدة الكفار بالسيف، وإنما يقاتل الكفار على الدين ليدخلوا من الكفر إلى الإسلام لا على الغلبة، فينبغي للمجاهد أن يعقد نيته أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا ابتغاء ثواب الله).

---

[1] نقلًا عن التاج والإكليل لمختصر خليل (٥٣٦/٤).

وقال الكمال بن الهمام رحمه الله[١]: (قوله: وقتال الكفار الذين لم يسلموا وهم من مشركي العرب أو لم يسلموا ولم يعطوا الجزية من غيرهم واجب وإن لم يبدءونا، لأن الأدلة الموجبة له لم تقيد الوجوب ببداءتهم، وهذا معنى قوله للعمومات لا عموم المكلفين، لأنه إنما يفيد الوجوب على كل واحد فقط، فالمراد إطلاق العمومات في بداءتهم وعدمها خلافاً لما نقل عن الثوري، والزمان الخاص كالأشهر الحرم وغيرها خلافا لعطاء.

ولقد استبعد ما نقل عن الثوري وتمسكه بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ فإنه لا يخفى عليه نسخه، وصريح قوله في الصحيحين وغيرهما: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)) الحديث يوجب أن نبدأهم بأدنى تأمل، وحاصر ﷺ الطائف لعشر بقين من ذي الحجة إلى آخر المحرم أو إلى شهر، وقد يستدل على نسخ الحرمة في الأشهر الحرم بقوله تعالى: ﴿اُقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ وهو بناء على التجوز بلفظ حيث في الزمان، ولا شك أنه كثر في الاستعمال).

وقال محمد البابرتي رحمه الله[٢]: (وقتال الكفار الذين امتنعوا عن الإسلام وأداء الجزية واجب وإن لم يبدءوا بالقتال للعمومات الواردة في ذلك، كقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ﴾ وغيرها، فإن قيل العمومات معارضة بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ فإنه يدل على أن قتال الكفار إنما يجب إذا بدءوا بالقتال أجيب بأنه منسوخ، وبيانه أن رسول الله ﷺ كان في الابتداء مأموراً بالصفح والإعراض عن المشركين بقوله: ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾، ﴿وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ﴾، ثم أمر بالدعاء إلى الدين بالموعظة والمجادلة بالأحسن بقوله تعالى: ﴿اُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّك بِالْحِكْمَةِ﴾ الآية، ثم أذن بالقتال إذا كانت البداءة منهم بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾، وبقوله: ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾، ثم أمر بالقتال ابتداء في بعض الأزمان بقوله

---

[١] فتح القدير (٥/٤٤١).

[٢] العناية شرح الهداية (٥/٤٤١).

تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ الآية، ثم أمر بالبداءة بالقتال مطلقا في الأزمان كلها وفي الأماكن بأسرها فقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ الآية، ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية).

وقال القرافي رحمه الله[١]: (السبب الأول وهو معتبر في أصل وجوبه ويتجه أن يكون إزالة منكر الكفر، فإنه أعظم المنكرات ومن علم منكراً وقدر على إزالته، وجب عليه إزالته ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ﴾ والفتنة هي الكفر).

ثم استدل القرافي لذلك بأن (ظواهر النصوص تقتضي ترتيب القتال على الكفر والشرك كقوله تعالى: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾، وقوله: ﴿قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ وقوله: ((قاتلوا من كفر بالله))، وترتيب الحكم على الوصف يدل على عِلّية ذلك الوصف لذلك الحكم وعدم عِلية غيره).

وقال ابن عبد البر رحمه الله[٢]: (يُقاتَل جميع أهل الكفر من أهل الكتاب وغيرهم، وسائر الكفار من العرب والعجم يقاتلون حتى يُسلِموا أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون... وكل من أبى من الدخول في الإسلام أو أبى إعطاء الجزية قوتل).

وقال القرطبي رحمه الله[٣]: (... فرضٌ أيضاً على الإمام إغزاءُ طائفة إلى العدو كلَّ سنة مرة، يَخرج معهم بنفسه أو يُخرج من يثق به ليدعوهم إلى الإسلام... ويَكُفَّ أذاهم

---

[١] نقلًا عن إماطة اللثام (٢٠ - ٢١).

[٢] نقلًا عن إماطة اللثام (٢١).

[٣] الجامع لأحكام القرآن (١٥٢/٨).

ويُظهرَ دين الله عليهم حتى يَدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يَدٍ... ويغزو بنفسه – أي المسلم – إن قدَر وإلاّ جهز غازياً).

وقال القرطبي رحمه الله[1]: (والمسلم إذا لقي الكافر ولا عهد له جاز له قتله؛ فإن قال لا إله إلا الله لم يجز قتله؛ لأنه قد اعتصم بعصام الإسلام المانع من دمه وماله وأهله فإن قتله بعد ذلك قتل به، وإنما سقط القتل عن هؤلاء لأجل أنهم كانوا في صدر الإسلام وتأولوا أنه قالها متعوذا وخوفا من السلاح وأن العاصم قولها مطمئنا، فأخبر النبي ﷺ أنه عاصم كيفما قالها، ولذلك قال لأسامة: ((أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا)) أخرجه مسلم. أي تنظر أصادق هو في قوله أم كاذب. وذلك لا يمكن، فلم يبق إلا أن يبين عنه لسانه، وفي هذا من الفقه باب عظيم وهو أن الأحكام تناط بالمظان والظواهر لا على القطع وإطلاع السرائر).

وقال الماوردي رحمه الله[2]: (ويجوز للمسلم أن يقتل من ظفر به من مقاتلة المشركين محارباً وغير محارب، واختلف في قتل شيوخهم ورهبانهم من سكان الصوامع والأديرة، فأحد القولين فيهم أنهم لا يقتلون حتى يقاتلوا لأنهم موادعون كالذراري، والثاني يقتلون وإن لم يقاتلوا لأنهم ربما أشاروا برأي هو أنكى للمسلمين من القتال، وقد قتل دريد بن الصمة في حرب هوازن وهو يوم حنين وقد جاوز مائة سنة من عمره ورسول الله ﷺ يراه فلم ينكر قتله، وكان يقول حيث قتل من الطويل:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى ... فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

فلما عصوني كنت منهم وقد أرى ... غوايتهم وأنني غير مهتد)

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (٥/٣٣٨).

(2) الأحكام السلطانية (٥٠ -٥١).

وقال التهانوي رحمه الله[١]: (أجمعوا على أنه إذا كان الكفار قارِّين في بلادهم ولم يَهجموا على دار الإسلام فعلى الإمام ألاّ يُخْلِيَ سنةً من السنين عن غزوة يغزوها بنفسه أو بسراياه حتى لا يكون الجهادُ معطلاً؛ لأن النبي ﷺ والخلفاء الراشدون لم يُهملوا الجهاد، فإذا قام به فئة من المسلمين بحيث يحصل بهم دفع شر الكفار وإعلاء كلمة الله سقَط عن الباقين، وحينئذ لا يجوز للعبد أن يخرج بغير إذن المولى ولا للمرأة بغير إذن الزوج ولا للمديون بغير إذن الدائن ولا للولد إذا منعه أحد أبويه لأن بغيرهم مَقْنَعاً فلا ضرورة إلى إبطال حقوق العباد، وإن لم يقم به أحد أثم جميع الناس إلاّ أولي الضرر منهم، وأجمعوا على أنه يجب على أهل كل قطر من الأرض أن يقاتلوا من يَلونهم من الكفار فإن عجَزوا ساعَدَهم الأقرب فالأقرب، وكذلك إن تهاونوا مع القدرة يجب القيام به إلى الأقرب فالأقرب إلى منتهى الأرض، وإلى الله المشتكى من صنيع سلاطين أهل الإسلام في زماننا حيث عطَّلوا الجهاد أبداً وإنما يقومون به دفاعاً فقط[٢] وقد قال أبو بكر الصديق رضي اللع عنه في أول خطبته: ((ما ترك قوم الجهاد إلاّ ذلوا)) وايم الله قد صدق).

وقال الشربيني الخطيب رحمه الله[٣]: (أما بَعْدَه – فللكفار حالان: أحدهما يكونون ببلادهم مستقرين بها غير قاصدين شيئاً من بلاد المسلمين ففرض كفاية كما دل عليه سير الخلفاء الراشدين وحكى القاضي عبد الوهاب فيه الإجماع.. ويحصل فرض الكفاية بأن يَشحن الإمام الثغور بمكافئين للكفار مع إحكام الحصون والخنادق وتقليد الأمراء أو بأن يدخل الإمام أو نائبه دار الكفر بالجيوش لقتالهم).

---

[١] أحكام القرآن (٢/٣٣٠).

[٢] في زماننا هذا تسلط علينا حكام مرتدون يسميهم علماء السلاطين بأئمة، فحاربوا المسلمين وعطلوا جهاد الدفع والطلب معًا لولا أن الله تداركنا برحمته وعادت راية الجهاد عالية خفاقة فله الحمد والمنّة.

[٣] مغني المحتاج (٤/٢٠٩ – ٢٢٠).

وقال ابن خلدون رحمه الله[١]: (والمِلة الإسلامية لَمَّا كان الجهاد فيها مشروعاً لعموم الدعوة وحَمْلِ الكافَّة على دين الإسلام طوعاً أو كرهاً اتُّخِذت فيها الخلافة والملك..، وأما ما سوى الملة الإسلامية فلم تكن دعوتهم عامة ولا الجهاد عندهم مشروعاً إلا في المدافعة فقط، فصار القائم بأمر الدين فيها لا يَعْنيه شيء من سياسة الملك... لِما قدَّمْناه لأنهم غير مكلفين بالتغلب على الأمم كما في الملة الإسلامية، وإنما هم مطالبون بإقامة دينهم في خاصتهم، ولذلك بقِيَ بنو إسرائيل من بعد موسى ويُوشَع صلوات الله عليهما نحوَ أربعِمائة سنة لا يَعتنون بشيء من أمر الملك إنما همُّهم إقامةُ دينهم فقط).

وقال ابن النحاس رحمه الله[٢]: (اعلم أن جهاد الكفار في بلادهم فرض كفاية باتفاق العلماء... وأقل الجهاد في كل سنة مرة، والزيادة أَفضل بلا خلاف، ولا يجوز إخلاء سنة من غزو، إلا لضرورة كضعف المسلمين[٣]، وكثرة العدو وخوف الاستئصال لو ابتدءوهم، أو لعذر كعزة الزاد، وقلة علف الدواب، ونحو ذلك، فإن لم تكن ضرورة ولا عذر لم يجز تأخير الغزو سنة، نص عليه الشافعي رحمه الله وأصحابه، وقال إمام الحرمين الجويني: المختار عندي مسلك الأصوليين، قالوا: الجهاد دعوة قهرية، ولذلك تجب إقامته حسب الإمكان، حتى لا يبقى في الأرض إلا مسلم أو مسالم، ولا يختص الجهاد بمرة في السنة، ولا يُعَطّل إذا أمْكَنَتْ الزيادة).

وقال ابن حجر رحمه الله شارحاً لحديث الصحيحين عن المقداد بن عمرو الكندي أنه قال لرسول الله ﷺ: أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا، فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله، أقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله ﷺ: ((لا تقتله)) فقال: يا رسول الله، إنه قطع إحدى يدي، ثم قال ذلك بعد ما قطعها؟

---

[١] المقدمة (١/٢٣٠ - ٢٣١).

[٢] مشارع الأشواق (١/٢٦ - ٢٧).

[٣] يصير واجب المسلمين عند ضَعْفهم الإعدادَ القتالي، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

فقال رسول الله ﷺ: ((لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال)) [١]: (قوله: ((وأنت بمنزلته قبل أن يقول)) قال الخطابي: معناه أن الكافر مباح الدم بحكم الدين قبل أن يسلم، فإذا أسلم صار مصان الدم كالمسلم، فإن قتله المسلم بعد ذلك صار دمه مباحاً بحق القصاص كالكافر بحق الدين وليس المراد إلحاقه في الكفر كما تقول الخوارج من تكفير المسلم بالكبيرة وحاصله اتحاد المنزلتين مع اختلاف المأخذ فالأول أنه مثلك في صون الدم والثاني أنك مثله في الهدر).

وقال الشوكاني رحمه الله[٢]: (غزو الكفار ومناجزة أهل الكفر وحملهم على الإسلام أو تسليم الجزية أو القتل معلوم من الضرورة الدينية، ولأجله بعث الله تعالى رسله، وأنزل كتبه، وما زال رسول الله ﷺ منذ بعثه الله إلى أن قبضه إليه جاعلاً لهذا الأمر من أعظم مقاصده، ومن أهم شؤونه، وأدلة الكتاب والسنة في هذا لا يتسع لها المقام ولا لبعضها، وما ورد في موادعتهم أو في تركهم إذا تركوا المقاتلة فذلك منسوخ باتفاق المسلمين بما ورد من إيجاب المقاتلة لهم على كل حال مع ظهور القدرة عليهم، والتمكن من حربهم، وقصدهم إلى ديارهم).

---

[١] فتح الباري (١٢/١٨٩).

[٢] السيل الجرار (٤/٥٨١ - ٥١٩).

ختامًا

ليعذرني القارئ على الإطالة والتوسع، وليعلم أن أبواب الجهاد مرَّت بحملة شرسة تستدعي منَّا الإطالة أحياناً لإعادة الجيل المسلم إلى ما كان عليه أسلافهم، عسى الله أن يرزقنا الثبات حتى الممات، وأن يغَّير حال أمتنا بالضعف قوة، وبالذلِّ عزة، وبالتفرق وحدة، اللهم آمين.

الآيات والأحاديث الغزيرة
على كفر قوات درع الجزيرة

(بحث في كل ممتنع نصر طواغيت الصليب والردة)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد الله ذي العز المجيد، والبطش الشديد، المبدأ والمعيد الفعال لما يريد، المنتقم ممن عصاه بالنار بعد الإنذار بها والوعيد، المكرم لم خافه واتقاه بدار لهم فيها من كل خير مزيد، فسبحان من قسّم خلقه قسمين، وجعلهم فريقين فمنهم شقي وسعيد ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

نحمده وهو أهل للحمد والثناء والتمجيد، ونشكره، ونعمه بالشكر تدوم وتزيد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا كفو ولا عدل ولا ضد ولا نديد، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الداعي إلى التوحيد، الساعي بالنصح للقريب والبعيد، المحذر للعصاة من نار تلظى بدوام الوقيد، المبشر للمؤمنين بدار لا ينفذ نعيمها ولا يبيد، صلى الله عليه وآله وأصحابه صلاة وسلاماً دائمين.

أما بعد...

فهذا بحث جديد في نازلة جديدة على كثير من المسلمين، وإن كانت في الأصل قديمة عند من نور الله بصائرهم من علماء وفقهاء الجهاد والمجاهدين، أقدمه في هذا الوقت إبراء للذمة ونصحاً للأمة، وإن كنت أعلم أنني تأخرت بعض الوقت، ولكن لظروف قاهرة وأحوال متعسرة تأخر هذا البحث، فكل ما كتبته من بحوث أبدأها في بيت وأختمها في بيت آخر وأرسلها من مكان آخر، فعسى أن يعذرني إخواني وأحبتي من أنصار دين الله.

وقبل الحديث عن هؤلاء لا بد أن تعلم كفر حكامهم وطواغيتهم الذين يسعون في نصرتهم وتثبيت عروشهم والسهر على حمايتهم، لأن حكم هؤلاء الأنصار والقوات والجيوش هو فرع عن الحكم على الطواغيت.

فحكام بلاد الإسلام في هذا العصر (المعترف بهم من الأمم المتحدة) كلهم طواغيت مرتدون كافرون خرجوا من الإسلام من جميع أبوابه، استبدلوا شرع الله سبحانه وتعالى بقوانين وضعية أملاها عليهم شياطينهم وأسيادهم من اليهود والنصارى، حاربوا أولياء الله ووالوا أعداء الله، أذلوا العباد ونهبوا الثروات ودنسوا الحرمات، ولم يبقَ أمام المسلمين الموحدين سوى الحديد والنار، سوى الجهاد في سبيل الله لإعادة الخلافة على منهاج النبوة.

ولسنا هنا بصدد سوق جميع الأدلة على كفر الحكام المستبدلين لشرع الله تعالى لكثرتها، وقد أفاض سلفنا الصالح ومشايخنا المجاهدون في بيان الأدلة الشرعية على كفر هؤلاء الحكام، فلم يدعوا لصاحب لبٍّ أي شك في كفر هؤلاء الطواغيت المرتدين، ولا يشك في كفرهم إلا صاحب هوى أو من أعمى قلبه عن نور الحق ولكنا سنذكر طرفاً من ذلك ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة.

فقد ذكر علماؤنا المحققون أن الحكومات الجاثمة على الحكم في بلاد المسلمين وحكامها اليوم لا يشك في كفرهم إلا من طمس الله على بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم، إذ أن كفرهم مُتلون متنوع من أبواب شتى[1]:

١ – فهم يكفرون من باب تشريعهم مع الله ما لم يأذن به الله، حيث نصت دساتيرهم المحلية ومواثيقهم الدولية سواء على المستوى المحلي أو على مستوى هيئة الأمم الملحدة أو الجامعة العربية ونحوها أن لهم الحق في التشريع المطلق هم ونُوّابهم أو هيئاتهم التشريعية وجمعياتهم العمومية، وهذا مقرر معروف من موادهم ونصوصهم القانونية والدستورية الكفرية لا يُجادل

---

[1] انظر رسالة (برآة الموحدين من عهود الطواغيت والمرتدين) (١٠.١٣) لأبي محمد فك الله أسره، وانظر كتاب (أقوال الأئمة والدعاة في بيان ردة من بدّل الشريعة من الحكام الطغاة) وهو كتاب جامع لأكثر من ٢٠٠ قول وفتوى في الحاكمّية.

فيه إلا جاهل لا يعرفه أو مُتجاهل لا يريد أن يعرفه، وقد قال تعالى: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

٢ – ويكفرون من باب طاعتهم للمشرّعين المحليين منهم والدوليين وغيرهم وإتباعهم لتشريعاتهم الكفرية، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]. وقال سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ..﴾ [محمد٢٥ – ٢٦] فهذا فيمن قال للكفار: سنطيعكم في بعض الأمر، فكيف بمن انبطح وسلم قياده لهم ولأوامرهم ومناهجهم وقوانينهم وتشريعاتهم وقال: سنُطيعكم في كثير من الأمر أو سنطيعكم في كلِّ الأمر، وأسلموا قيادهم لمشرّعيهم ولطواغيتهم وسلّموا لتشريعاتهم تسليماً؟؟.

٣ – ويكفرون من باب توليهم للكفار من النصارى والمشركين والمرتدين وحمايتهم ونصرتهم بالجيوش والسلاح والمال الاقتصاد، بل قد عقدوا معهم اتفاقيات ومعاهدات النصرة بالنفس والمال واللسان والسنان ضد المجاهدين المسلمين فتولّوهم تولياً حقيقياً، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: من الآية٥١].

٤ – ويكفرون من باب أخوَّتهم للكفار الشرقيين والغربيين وموادتهم ومحبتهم لهم؛ قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَه﴾ [المجادلة: من الآية٢٢]. وهذا ليس من التكفير ببواطن الأمور وأعمال القلوب، بل بالأعمال والأقوال الظاهرة الصريحة، إذ أنهم يفاخرون بهذه الأخوة والمودّة ويصرّحون بها ويظهرونها في كل محفل ووسائل إعلامهم طافحة بها.

٥ – ويكفرون من باب محاربة أولياء الله ومظاهرة المشركين ونصرتهم عليهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر:

[١١]. فتأمل كيف كفّر الله من وعد المشركين ولو وعداً كاذبا بنصرتهم على المسلمين، وجعله من إخوان المشركين، فكيف بمن عقد معهم اتفاقيّات النصرة والمظاهرة على الموحدين وظاهرهم عليهم فعلاً بالمعلومات الأمنية وبالمال والتدريب والسلاح وبالملاحقة والقتل أو الحبس والمحاكمة والتسليم؟

٦ - ويكفرون من باب الامتناع عن الشرائع، كالحكم بما أنزل الله، وتعطيل الفرائض، وتحريم الواجبات الشرعية كجهاد الكفار، واستحلال الحرام بالترخيص له وحمايته وحراسته والتواطؤ والاصطلاح عليه.. كمؤسسات وصروح الربا والفجور والخنا، وغير ذلك من المحرمات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٧].

٧ - ويكفرون من باب الاستهزاء بدين الله والترخيص للمستهزئين وحمايتهم وسن القوانين التشريعية التي ترخّص لهم وتسهل لهم ذلك، سواء عبر الصحافة أو الإذاعة المرئية منها والمسموعة أو غير ذلك، قال تعالى: ﴿... قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُون ۝ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ...﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦].

وغير ذلك من أبواب الكفر الصراح التي ولجوا فيها ودخلوها زرافات ووحداناً، وكل باب من هذه الأبواب عليه من أقوالهم وأفعالهم وتصريحاتهم وقوانينهم مئات بل ألوف الأدلة، أما الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على أنها أبواب مكفرة فهي أشهر من أن يجادل فيها المجادلون، وليس هذا محل بسطها، وإنما المقصود من ذلك الإشارة التي تكفي اللبيب، وتعلمه بأن هذه الحكومات طواغيت تُتَّبع وتُطاع من دون الله تعالى.

وإذا تقرر أن حكام بلاد المسلمين اليوم ليسوا حكاما مسلمين وليسوا ولاة أمور شرعيين؛ علم أن ولايتهم الجبرية على المسلمين باطلة ولا تصح بحال ولا يجوز أن يجعل لهم على

المسلمين سبيلا، ولا يحل لهم أن يسعوا بذمة المسلمين بين الأمم والدول، وإن فعلوا فذمتهم غير ذمة المسلمين وعهودهم غير ملزمة للمجاهدين.

فهم إضافة إلى كونهم حكام خونة لا همَّ لهم إلا مصالح عروشهم وكروشهم وقروشهم ولا يستأمنون على مصالح العباد والبلاد حتى ينابوا عن المسلمين ويسعون بذمتهم؛ فحقيقتهم أيضا أنهم حكام كفرة مشركون وطواغيت مشرعون يجب على كل مسلم أن يسعى في القيام عليهم وخلعهم عند القدرة على ذلك، ويجب عليه حال عجزه عنه أن يكفر بهم ويتبرأ من قوانينهم وشرائعهم ومعاهداتهم فهذا كله من لوازم التوحيد وواجبات ملة إبراهيم، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي منكم ومن أوثانكم ومناهجكم وتشريعاتكم الباطلة المخالفة لدين الإسلام.. فالبراءة التي تستلزمها ملة إبراهيم ليست محصورة في البراءة من المشركين، بل من ذلك أيضا البراءة من أديانهم وقوانينهم الكفرية ومعاهداتهم وتشريعاتهم الخبيثة التي تؤاخي بين المسلمين والكفار وتلغي الجهاد وتصف المجاهدين بالمجرمين والإرهابيين.. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون].

فنحن كما نكفر بهؤلاء الطواغيت ونتقرب إلى الله ونلتمس رضاه ببغضهم وعداوتهم وجهادهم، فكذلك نبرأ من أديانهم الشركية وقوانينهم الوضعية ومواثيقهم الباطلة المناقضة لشرائع الإسلام بتحريمها للجهاد ومؤاخاتها بل عمالتها ونزولها تحت ولاية الكفار المحاربين للإسلام والمسلمين؛ فهي طواغيت وشرائع مناقضة لشرع الله قائمة على مبادئ الأخوة بينهم، بل مستندة إلى علاقة الموالاة والعمالة والخيانة والتبعية التي تجمع الأقزام بأسيادهم.

والحق يقال أن هذه الدولة الخبيثة (دولة آل سعود) التي أفسدت على الناس دينهم لا تختلف عن غيرها من شقيقاتها وحبيباتها وأخواتها غير الشرعيات من الأنظمة العربية والخليجية الطاغوتية الأخرى والتي يهاجمها مشايخ آل سعود – أحياناً – لتحاكمها إلى القوانين الوضعية، ومن أراد أن يعرف حقيقة هذه الدولة الكافرة المرتدة فليقرأ كتاب (الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية) وكتاب (الخصائص الشرعية للجزيرة العربية) وكتاب (النظام السعودي في ميزان الإسلام) وغيرها من المراجع، ولا أظنه يخفى على أحد في هذه الأيام ما تفعله هذه الدولة من فتح أجواءها وأراضيها ومطاراتها وإرسال جيوشها وعساكرها ووضع القواعد العسكرية في مدنها لحرب المسلمين في كل مكان من أفغانستان إلى العراق... الخ.

ولا يماري في هذه الحقيقة إلا اثنين من الناس: إما جاهل بواقع هؤلاء الطغاة لا يعرف أنظمتهم وسياساتهم وواقع حكوماتهم فيهرف بما لا يعرف ويتكلّم فيما لا يعلم ضالاً عن جادة الحقّ مضلاً للنّاس، أو منافق خبيث من أولياء هذه الحكومات علفوه حتّى حرفوه، وأرضعوه حتّى أخضعوه وأشبعوه حتّى أسكتوه، فهو يدافع عنها ويواليها ويسبّح بحمدها ولا يزال لسانه ملوّثاً بذكر أفضالها ليل نهار.

والله لســـت بثـالـث لهمـا بلا إمّـا حمـاراً أو مـن الـثّـيران

أما الصنف الثاني فهم الهلكى المتساقطون وما أكثرهم في ظل هذه الدولة الخبيثة، فهؤلاء لا نُتعب أنفسنا معهم فإنه من يضلل الله فلن تجد له وليًّا مُرشداً، ومن يرد الله فتنتهُ لن تملك له من الله شيئاً.

وقد قال شيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب في أمثالهم ممن يدافعون عن الطواغيت ويرقّعون لهم ويلبّسون أمرهم على الناس: (وكذلك نكفّر من حسّن الشرك للناس، وأقام الشبهة الباطلة على إباحته) أهـ. [من الرّسائل الشخصية ص٦٠].

فكذلك من رقع لمشركي الطواغيت العصرية ودافع عن موالاتهم وطاعتهم المشرّعين الكفار وزيَّن ذلك وأقام الشبهة الباطلة للتهوين من أمره وتجويزه. [١]

[١] انظر الكواشف الجلية (١٤).

تعريف قوات درع الجزيرة

قوات درع الجزيرة قوة مشتركة لدول مجلس التعاون (السعودية والكويت والإمارات وقطر والبحرين وعمان) تشكلت عام ١٩٨٦م، وهي تتمركز في منطقة حفر الباطن شمالي شرقي السعودية وكان قوامها آنذاك نحو أربعة آلاف جندي.

ومجلس التعاون يدرس منذ سنوات إمكانية رفع عدد درع الجزيرة من خمسة آلاف إلى ٢٢ ألف رجل وتزويدها بأنظمة تسلح متطورة، وهي مزودة بمختلف أنواع الأسلحة البرية والجوية والبحرية.

ومع وجود هذه القوة إلا أنها لم يكن بوسعها الدخول في حرب الخليج الثانية ١٩٩٠م لما اجتاح النظام العراقي الكويت، بل مكنت هذه الدول للأمريكان من احتلال بلاد الحرمين ونشر قواعدهم العسكرية علانية وإن كانت موجودة (أي القواعد الأمريكية) من عام ١٣٦٤هـ ولكن على سبيل الخفاء، أما في السنوات الأخيرة فأصبحت السعودية وقطر بالذات بنتاجونات مصغرة للأمريكان.

وقد نشرت وسائل الإعلام المختلفة المحلية والخليجية والعربية والعالمية في يوم السبت ٧/ ١٤٢٣/١٢هـ الموافق ٨/ ٢/٢٠٠٣م ما أعلنته دولة الكويت العميلة أنها حصلت على موافقة شركائها في مجلس التعاون الخليجي على طلب نشر وحدات عسكرية داخل أراضيها، في إطار الاستعدادات لشن هجوم أمريكي على العراق.

ونسبت وكالة الأنباء الكويتية إلى وزير الدفاع الكويتي جابر المبارك الأحمد الصباح تقديره (للاستجابة الفورية والترحيب الذي حظي به الطلب الرسمي الذي تقدمت به دولة الكويت من قبل وزراء الدفاع والخارجية باستدعاء قوات درع الجزيرة إلى أرض الكويت)، وتقدم الوزير المذكور بهذا الطلب أثناء اجتماع عقده في جدة بالمملكة العربية السعودية وزراء الدفاع والخارجية في دول مجلس التعاون الخليجي.

وحديثنا في هذا البحث هو عن هذه القوات وغيرها من الجيوش والألوية التي تساند وتناصر وتعاون طواغيت الصليب الغربيين (أمريكا وبريطانيا وأوروبا) وطواغيت الردة الشرقيين (مجلس التعاون الخليجي وجامعة الدول العربية والحكومات المتسلطة على رقاب العباد) والطواغيت الكبرى العالمية (مجلس الأمن والأمم المتحدة والشرعية الدولية) وغيرها.

ولا بد أن تعلم أيها القارئ ما تقدمه دولة آل سعود على وجه الخصوص لهذه الطواغيت لتعلم على من تنزل الأحكام الواردة في هذا البحث.

فقد ذكرت الحركة الإسلامية للإصلاح في نشرتها عدد ٣٥٦ بتاريخ ٣ مارس ٢٠٠٢م ما يلي: (الواشنطن بوست تفضحهم ونحن في الحركة نؤكد يقينا أن القوات الأمريكية ستنطلق من المملكة:

أوردت الواشنطن بوست نقلا عن مصدر أمريكي كبير لم يقبل ذكر اسمه إن المملكة وأمريكا توصلا إلى اتفاق بشأن فتح القواعد السعودية للقوات الأمريكية وتوفير كافة الدعم اللوجستي للقوات الأمريكية في ضربها للعراق.

وحدد المسؤول الأمريكي تاريخا شبيها بالذي سبق أن أوردته الحركة عن الاتفاق وهو قبل ثلاث أسابيع تقريبا، وأكد أن الاتفاق في مرحلة التنفيذ الآن.

وحسب المسؤول الأمريكي فإن الاتفاق تضمن أن تكون قاعدة الأمير سلطان هي مركز القيادة لكل العمليات، وتفاصيل أخرى تجاوزت التعاون العسكري إلى التعهد بتغطية أي نقص في النفط بسبب توقف النفط العراقي.

وتضمن الاتفاق حسب الواشنطن بوست أن يبقى الأمر سرا حتى لا يحرج النظام السعودي دينيا.

ويأتي هذا التسريب من قبل مسؤولين -لم يذكروا أسمائهم- في سياق إقناع الرأي العام الأمريكي أن النظام السعودي حريص على تكفير ذنوبه في كون عدد كبير من أتباع القاعدة من المملكة، ولذلك تمضي الحكومة الأمريكية قدما في الصداقة معه.

وكانت الحركة قد أكدت في نشرة سابقة اعتمادا على مصدر سعودي شارك في المحادثات التفصيلية أن المملكة تعهدت بالتعاون الكامل في السماح للقوات الأمريكية الجوية بالانطلاق من قواعد في المملكة، والتعهد بدعم لوجستي كامل بل والسماح لقوات برية بالانتشار في الحدود الشمالية من المملكة.

ومقابل هذا التعاون الكامل من قبل المملكة فقد تعهد الأمريكان أن لا يستهدفوا النظام السعودي بعد أن ينتهوا من العراق، وهو ما اعتبره آل سعود إنجازا كبيرا في هذه المحادثات وكان همهم الأكبر في هذه الأزمة.

وأما التعهد الأمريكي بالتكتم على التعاون فقد علمت الحركة أن الوفد السعودي شرح للأمريكان خطورة انكشاف هذا التعاون وكونه سببا في انهيار شرعية النظام وتصنيفه ناقضا من نواقض الإسلام عند العلماء في المملكة، فتفهم الأمريكان هذه القضية وتعهدوا بالسرية التامة.

وحتى لا يكون هناك شك أو اعتقاد أننا نعتمد على تقارير عائمة فإننا في الحركة نؤكد مرة أخرى بشكل يقيني أن هذه القوات ستنطلق من المملكة.

ومن باب التفصيل علمت الحركة أن القوات الأمريكية في قاعدة الأمير سلطان تم زيادتها بشكل ملحوظ، كما حضرت قوات جوية وبرية كبيرة إلى تبوك وعرعر وحفر الباطن.

ووصلتنا تفاصيل القوات في تبوك: تقول إن ما بين ٢٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ عسكري أمريكي موجودون الآن في القاعدة الجوية في تبوك، وتم إبعاد العسكريين السعوديين عن المخابئ الأرضية للأفراد وللطائرات حيث فرغت بكاملها للأمريكان.

والظريف أن الأمريكان ملتزمون بالسرية حتى في حركتهم في تبوك حيث إن معظم تحركاتهم تتم في الليل.

ووصلت قاعدة تبوك عدة طائرات من نوع "جالاكسي C٥" العملاقة التي تبلغ حمولتها حوالي خمسة أضعاف "هيركوليز C١٣٠" وهي مليئة بالأفراد وقطع الغيار والمعدات.

وفي أحد الأيام الماضية وقبيل المغرب حصلت مشكلة تسببت في إحراج للأمريكان ولآل سعود، حيث هبطت طائرتان مقاتلتان من طراز "A١٠" المقاتلة وحصلت مشكلة لأحدهما تسببت في عدم قدرتها على دخول المخبأ مما أدى إلى بقائها على المدرج مكشوفة مدة طويلة.

وذكرت أيضاً في النشرة عدد ٣٥٩ بتاريخ ٢٤ مارس ٢٠٠٣م والتي هي بعنوان: (قائمة التسهيلات والمساعدات والتنازلات السعودية لأمريكا) الآتي:

(**القواعد القديمة**: السماح لهم باستخدام قواعدهم التي كانوا فيها وخاصة قاعدة الأمير سلطان وخميس مشيط والطائف.

وقد أكدت مصادر أمريكية من خلال صحيفة الواشنطن بوست أن كل النشاطات الجوية في الحرب تدار من قبل قاعدة الأمير سلطان التي يتوفر فيها المستوى الأفضل في العالم خارج الولايات المتحدة في الرصد الجوي والسيطرة على حركة الطائرات.

القواعد الجديدة: السماح لهم باستخدام قواعد جديدة من بينها قاعدة تبوك وعرعر، وقد تجاوز عدد طائرات النقل في تبوك مثلا خمسين طائرة، وكذلك تجاوز عدد الطائرات "الإف ١٥" الخمسين طائرة، وذكرت أعداد مماثلة في مطار عرعر، وبلغ عدد العسكريين الأمريكان وغيرهم في القاعدتين حدود عشرين ألفا.

وعلمت الحركة أن أهالي عرعر شهود عيان على انطلاق الصواريخ لدك مواقع في العراق.

الممرات الجوية: السماح للأمريكان باستخدام كل الممرات الجوية المطلوبة لعبور طائراتهم وصواريخهم سواء كانت الطائرات والصواريخ القادمة من البحر الأحمر أو من جنوب المملكة أو من أي منطقة أخرى.

الموانئ: تم تفريغ عدد من الموانئ السعودية لهم لإنزال معدات ومركبات ومواد أخرى من البحر، وقد بدأ هذا الأمر منذ عدة أشهر، وأقفلت بعض الموانئ على ساحل الخليج وخصصت للأمريكان بالكامل.

مشاركة طائرات الإمداد بالوقود: تم تكليف القوات السعودية الجوية المسؤولة عن الأواكس والدعم الجوي بتسهيل تزويد الطائرات الأمريكية بالبنزين من الجو.

ومع الأسف يباشر أجزاء كبيرة من هذه العملية أشخاص سعوديون سواء في الجو أو على الأرض.

حماية أمنية وحق سيادة: تم تفريغ جزء كبير من الشرطة العسكرية لحراسة مواقع وجود القوات الأمريكية في عرعر وتبوك وحفر الباطن والسماح للأمريكان بالمشاركة في إغلاق بعض المناطق لهم بالكامل وإقامة نقاط تفتيش خاصة بهم يصبح فيها ابن البلد دخيلا على المنطقة ويحق للأمريكي تفتيشه وتفتيش سيارته ومنعه من دخول مكان ما حتى لو كان مكان عمله.

قوات سعودية لدعم معنوي: تم إرسال وحدات من القوات السعودية للكويت ولحفر الباطن تحت غطاء الدفاع عن الكويت، بينما الهدف الحقيقي هو توفير دعم معنوي للقوات الأمريكية والتطبيق العملي لمبدأ القبول بشرعية الضربة العسكرية ضد العراق.

ملاحقة واعتقال من يزعجهم: تم تفريغ الجزء الأكبر من الجهاز الأمني لملاحقة المجموعات التي يمكن أن تسبب قلقا للقوات الأمريكية، وكذلك قامت وزارة الداخلية بمحاولة تهيئة الرأي العام لحملة أمنية شاملة ضد هذه المجموعات.

تعويض العالم عن النفط العراقي: تمت زيادة ضخ المملكة للنفط إلى كمية تقترب من عشر ملايين برميل يوميا للتعويض عن أي نقص في النفط العراقي، ومن ثم تخفيض أسعار النفط والاتفاق مع الأمريكان على أن يكون ذلك سببا في تخفيف آثار الحرب على الاقتصاد الأمريكي.

وزيادة في التذلل للأمريكان فقد خصص جزء من هذه الكمية بأسعار مخفضة للولايات المتحدة فقط.

تعويض الأردن: تعهدت المملكة بطلب من أمريكا بتزويد الأردن بكامل حاجته من النفط وبنفس السعر الذي كان يحصل عليه من العراق وبدأ تطبيق ذلك فعليا.

العلماء والمساجد: صدرت التوجيهات شفويا لكل إدارات المساجد في وزارة الأوقاف بمنع الدعاء على الأمريكان أو بوش أو بلير وعدم السماح لأي متحدث في المسجد إلا بإذن خاص من الوزارة.

ومن جهة أخرى تم التنسيق مع العلماء المتعاونين مع الدولة بإصدار التصريحات أو الفتاوى التي تعتبر ممارسات الدولة مشروعة، هذا فضلا عن البيانات والتصريحات التي تنصح بالالتفاف حول الدولة حتى من قبل ما يسمى بالمثقفين) أ. هـ.

الإجماع والآيات والأحاديث
الدالة على كفر قوات درع الجزيرة

الدليل الأول:

إجماع الصحابة -رضي الله عنهم-:

وقد قدمناه على غيره لأنه لا يكون إلا على دليل من الكتاب أو السنة، وحتى لا يظن أحد أن المسألة اجتهادية قد اختلف فيها أهل العلم.

من الأمور المشهورة المعلومة أن رسول الله ﷺ لم يقاتل المرتدين الممتنعين في حياته، وإنما قاتلهم الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاته ﷺ في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فعنهم رضي الله عنهم تؤخذ أحكام وتفاصيل هذه المسألة.

قال رسول الله ﷺ: ((فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)) [الحديث رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح].

فقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على كفر أتباع وأنصار كل من مسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي، وكذلك أجمعوا على كفر من امتنع عن أداء الزكاة وساروا فيهم سيرة واحدة، فقد غنموا أموالهم وسَبَوا نساءهم وشهدوا على قتلاهم بأنهم في النار، وهذا تكفير منهم لهم على التعيين.

قال ابن كثير رحمه الله[1]: (فصل؛ في تصدي الصديق لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة:

---

[1] البداية والنهاية (٦/٣١١).

لما توفى رسول الله ﷺ ارتدت أحياء كثيرة من الأعراب، ونجم النفاق بالمدينة، وانحاز إلى مسيلمة الكذاب بنو حنيفة وخلق كثير باليمامة، والتفت على طليحة الأسدي بنو أسد وطيء، وبشر كثير أيضا، وادعى النبوة أيضاً كما ادعاها مسيلمة الكذاب، وعظم الخطب واشتدت الحال، وأنفذ الصديق جيش أسامة، فقل الجند عند الصديق، فطمعت كثير من الأعراب في المدينة وراموا أن يهجموا عليها، فجعل الصديق على أنقاب المدينة حراساً يبيتون بالجيوش حولها، وجعلت وفود العرب تقدم المدينة يقرون بالصلاة ويمتنعون من أداء الزكاة، ومنهم من امتنع من دفعها إلى الصديق، وذكر أن منهم من احتج بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة ١٠٣]. قالوا: فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا.

وقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم ثم بعد ذلك يزكون، فامتنع الصديق من ذلك وأباه.

وقد روى الجماعة في كتبهم سوى ابن ماجة عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر: علام تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها))؟ فقال أبو بكر: والله لو منعوني عناقاً وفي رواية: عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة. قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أن الحق.

قلت -أي ابن كثير-: وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، وثبت في الصحيحين: ((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان))، وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريقين عن شبابة ابن سوار ثنا عيسى بن يزيد المديني حدثني صالح بن كيسان قال: لما كانت الردة قام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه... الخ).

وقال أيضاً[١]: (قال الحسن وقتادة وغيرهما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، قالوا: المراد بذلك أبو بكر الصديق وأصحابه في قتالهم المرتدين ومانعي الزكاة.

وقال محمد بن إسحاق: ارتدت العرب عند وفاة رسول الله ﷺ ما خلا أهل المسجدين مكة والمدينة، وارتدت أسد وغطفان وعليهم طليحة بن خويلد الأسدي الكاهن، وارتدت كندة ومن يليها وعليهم الأشعث بن قيس الكندي، وارتدت مذحج ومن يليها وعليهم الأسود بن كعب العنسي الكاهن، وارتدت ربيعة مع المعرور بن النعمان بن المنذر، وكانت حنيفة مقيمة على أمرها مع مسيلمة بن حبيب الكذاب، وارتدت سليم مع الفجأة واسمه أنس بن عبد يا ليل، وارتدت بنو تميم مع سجاح الكاهنة... الخ).

قال ابن كثير رحمه الله[٢]: (قال الثوري: عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: جاء وفد بُزَاخة من أسد وغطفان إلى أبي بكر يسألونه الصلح، فخيَّرهم بين الحرب المجْلِيَة والسلم المخْزِيَة، فقالوا: هذه المجْلِيَة قد عرفناها فما المخزية؟ قال: تُنْزَع منكم الحَلْقَة والكُرَاع، ونَغْنَم ما أصبنا منكم، وتَرُدُّون علينا ما أصبتم منا، وتَدُون قتلانا وتكون قتلاكم في النار، وتتركون أقواماً يتبعون أذناب الإبل حتى يُرِيَ الله خليفة رسوله والمهاجرين أمراً يعذرونكم به.

فعَرَض أبو بكر ما قال على القوم، فقام عمر فقال: قد رأيت رأيا وسنشير عليك، أما ما ذكرت من الحرب المجلية والسلم المخزية فَنِعْم ما ذكرت، وأما ما ذكرت أن نغنم ما أصبنا منكم وتردون ما أصبتم منا فنِعْم ما ذكرت، وأما ما ذكرت تدون قتلانا وتكون قتلاكم في النار، فإن قتلانا قاتلت فقُتِلت على أمر الله، أجورها على الله ليس لها ديات، قال: فتتابع القوم على ما قال عمر. أهـ. [رواه البرقاني على شرط البخاري]).

---

[١] البداية والنهاية (٦/٣١٢).

[٢] انظر البداية والنهاية (٦/٣١٩) ونيل الأوطار للشوكاني (٨/٢٢).

قال ابن كثير: (ورواه البخاري من حديث الثوري بسنده مختصرا). أهـ.

وذكره ابن حجر رحمه الله قال [١]: (قال الحميدي: اختصره البخاري فذكر طرفاً منه وهو قوله لهم: (يتبعون أذناب الإبل – إلى قوله – يعذرونكم به)، وأخرجه بطوله البرقاني بالإسناد الذي أخرج البخاري ذلك القدر منه).

وقال في شرحه[٢]: (و "المجلية": بضم الميم وسكون الجيم بعدها لام مكسورة ثم تحتانية من الجلاء بفتح الجيم وتخفيف اللام مع المد ومعناها: الخروج عن جميع المال، و "المخزية": بخاء معجمة وزاي بوزن التي قبلها: مأخوذة من الخزي، ومعناها: القرار على الذل والصغار، و "الحلقة": بفتح المهملة وسكون اللام بعدها قاف: السلاح، و "الكُرَاع" بضم الكاف على الصحيح وبتخفيف الراء: جميع الخيل.

وفائدة نزع ذلك منهم: أن لا يبقى لهم شوكة ليأمن الناس من جهتهم.

وقوله: "ونغنم ما أصبنا منكم": أي يستمر ذلك لنا غنيمة نقسمها على الفريضة الشرعية ولا نرد عليكم من ذلك شيئا، وقوله: "وتردون علينا ما أصبتم منا": أي ما انتهبتموه من عسكر المسلمين في حالة المحاربة، وقوله: "تدون": بفتح المثناة وتخفيف الدال المضمومة: أي تحملون إلينا دياتهم، وقوله: "قتلاكم في النار": أي لا ديات لهم في الدنيا لأنهم ماتوا على شركهم، فقتلوا بحق فلا دية لهم، وقوله: و "تتركون" بضم أوله، و "يتبعون أذناب الإبل": أي في رعايتها لأنهم إذا نزعت منهم آلة الحرب رجعوا أعرابا في البوادي لا عيش لهم إلا ما يعود عليهم من منافع إبلهم.

---

[١] فتح الباري (١٣/٢١٠).

[٢] فتح الباري (١٣/٢١٠ – ٢١١).

قال ابن بطال: كانوا ارتدوا ثم تابوا، فأوفدوا رسلهم إلى أبي بكر يعتذرون إليه فأحب أبو بكر أن لا يقضي بينهم إلا بعد المشاورة في أمرهم، فقال لهم: ارجعوا واتبعوا أذناب الإبل في الصحاري). انتهى.

وذلك حتى تظهر توبتهم وصلاحهم بحُسْن إسلامهم، والله أعلم.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله[1]: (قال أبو العباس أيضاً: في الكلام على كفر مانعي الزكاة والصحابة: لم يقولوا هل أنت مقر بوجوبها أو جاحد لها، وهذا لم يعهد عنه الخلفاء والصحابة، بل قال الصديق لعمر رضي الله عنهما: (والله لو منعوني عقالاً – أو عناقاً – كانوا يؤودنها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه)، فجعل المبيح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب.

وقد روي أن طوائف منهم كانوا يقرون بالوجوب لكن بخلوا بها، ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعهم سيرة واحدة وهي مقاتلتهم وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم، والشاهدة على قتلاهم بالنار وسموهم جميعهم أهل الردة.

وكان من أعظم فضائل الصديق رضي الله عنه عندهم أن ثبته الله على قتالهم ولم يتوقف كما يتوقف غيره، فناظرهم حتى رجعوا إلى قوله.

وأما قتال المقرين بنبوة مسيلمة، فهؤلاء لم يقع بينهم نزاع في قتالهم). انتهى.

فتأمل كلامه رحمه الله في تكفير المعين والشهادة عليه إذا قتل بالنار وسبي حريمه وأولاده عند منع الزكاة، فهذا الذي ينسب عنه أعداء الدين عدم تكفير المعين.

---

[1] انظر مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد (١٠ – ١١).

قال رحمه الله: بعد ذلك وكفر هؤلاء وإدخالهم في أهل الردة قد ثبت باتفاق الصحابة المستند إلى نصوص الكتاب والسنة). انتهى كلامه رحمه الله.

والشاهد من هذا كما قال عبد القادر بن عبد العزيز[١]: (هو قول أبي بكر للمرتدين التائبين: "وتكون قتلاكم في النار" وموافقة عمر وسائر الصحابة رضي الله عنهم له على ذلك، وهذا إجماع منهم على تكفير أنصار أئمة الردة وجنودهم على التعيين، إذ لا خلاف في أن القتلى أشخاص معينون، كما أنه لا خلاف بين أهل السنة في أنه لا يشهد لمعيَّن بالنار إلا المقطوع بكفره، أما المسلم مهما كان فاسقاً فاعتقاد أهل السنة – هو كما ذكره الطحاوي رحمه الله[٢]–: "ونرى الصلاة خلف كل بَرٍّ وفاجرٍ من أهل القبلة، وعلى من مات منهم، ولا نُنْزِلُ أحداً منهم جنةً ولا ناراً"، أما من مات كافراً فإنه يُشهد له بالنار وأنه من أهلها كما في قوله ﷺ: ((إن أبي وأباك في النار)). [الحديث رواه مسلم]، وكما في قوله ﷺ عن عمه أبي طالب: ((هو في ضَحْضاح من نار)). [الحديث رواه البخاري (٣٨٨٣)]. وقال ﷺ: ((حيثما مررت بقبر كافر فبشِّره بالنار)). [قال الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح] (٣)

فهذا نقل صحيح وإجماع صريح من الصحابة على تكفير أنصار أئمة الردة وجنودهم على التعيين دون تبين لتوفر الشروط وانتفاء الموانع في حقهم لما كانوا ممتنعين بالشوكة، وقد كانوا ألوفاً، فقد ذكر ابن تيمية أن أتباع مسيلمة كانوا نحو مائة ألف أو أكثر[٤].

---

[١] الجامع في طلب العلم (٢/٦٧٤ – ٦٧٥).

[٢] انظر شرح العقيدة الطحاوية (٤٢١ – ٤٢٦).

[٣] مجمع الزوائد (١/ ١١٨).

[٤] منهاج السنة النبوية (٧/ ٢١٧).

وقد نبهنا على القاعدة الشرعية: (أن تبين الشروط والموانع إنما يكون في المقدور عليه لا الممتنع)، وسنذكرها في هذا البحث بشيء من البسط ودليلها إجماع الصحابة المذكور هنا.

قال ابن تيمية رحمه الله[١]: (ولأن المرتد لو امتنع – بأن يلحق بدار الحرب، أو بأن يكون المرتدون ذوي شوكة يمتنعون بها عن حكم الإسلام – فإنه يُقتل قبل الاستتابة بلا تردد)، وقال أيضاً[٢]: (على أن الممتنع لا يُستتاب، وإنما يُستتاب المقدور عليه) أ. هـ.

والإجماع كما ذكر الشوكاني رحمه الله[٣]: (هو اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ بعد وفاته، في عصر من الأعصار، على أمرٍ من الأمور، والمراد بالاتفاق الاشتراك إما في الاعتقاد أو في القول أو في الفعل).

ويعرف الإجماع كما قال الخطيب البغدادي رحمه الله[٤]: (اعلم أن الإجماع يُعرف بقولٍ ، وبفعلٍ ، وبقولٍ وإقرار، وبفعل وإقرار. فأما القول: فهو أن يتفق قول الجميع على الحكم بأن يقولوا كلهم هذا حلال أو حرام، وأما الفعل: فهو أن يفعلوا كلهم الشيء، وأما القول والإقرار: فهو أن يقول بعضهم قولاً وينتشر في الباقي فيسكت عن مخالفته، وأما الفعل والإقرار: فهو أن يفعل بعضهم شيئا ويتصل بالباقين فيسكتوا عن إنكاره).

يقول عبد القادر عبد العزيز: (من هذا تعلم أن إجماع الصحابة في مسألتنا هذه – حكم أنصار الطواغيت – هو إجماع صحيح إذ أجمع عليه جميعهم، وأنه قد ثبت بالقول وبالفعل وبالإقرار، أما القول: فهو قول أبي بكر: "وتكون قتلاكم في النار" ووافقه عمر وتتابع القوم

---

[١] الصارم المسلول (٣٢٢).

[٢] الصارم المسلول (٣٢٥ – ٣٢٦).

[٣] إرشاد الفحول (٦٨) نقلًا عن الجامع في طلب العلم (٦٧٥/٢).

[٤] الفقيه والمتفقه (١٧٠/١) نقلًا عن الجامع في طلب العلم (٦٧٥/٢).

على قول عمر كما في حديث طارق بن شهاب، وأما الفعل: فهو أن الصحابة قاتلوهم جميعا على صفة واحدة وهي صفة قتال أهل الردة ولم يفرّقوا بين تابع ومتبوع، وأما الإقرار: فهو أنه لا يعرف مخالف أو مُنكِر من الصحابة فيما ذكرناه.

والخلاصة: أن إجماع الصحابة في هذه المسألة من أقوى الإجماعات صحة وثبوتاً) أ. هـ.

وقوات درع الجزيرة أو غيرها من القوات والجيوش والفرق والألوية التي تساند وتناصر الأمريكان والبريطانيين في حربهم ضد المسلمين داخلة في هذا الحكم الذي أجمع عليه صحابة رسول الله ﷺ بل إن مسألتنا هذه أوضح من الشمس في رابعة النهار فكل من ساند هؤلاء يعلم علم اليقين أنه يقاتل مع كفار أصليين تحت راية الصليب لتحطيم المسلمين ونهب خيراتهم وتمزيق شعوبهم.

ولا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الدليل الثاني:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ [النساء: ٧٦].

والطاغوت معناه كما قال ابن القيم رحمه الله[١]: (الطاغوت: كل ما تجاوز به العبدُ حدَّه من معبود أو متبوع أو مطاعٍ ، فطاغوت كل قومٍ من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا

---

[١] إعلام الموقعين (١/٥٠).

من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله[1]: (الطاغوت عام: فكُل ما عُبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مُطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت، والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة:

الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

الثاني: الحاكم الجائر المغيّر لأحكام الله تعالى، والدليل قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء: ٦٠].

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة ٤٤].

الرابع: الذي يَدّعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾ [الجن: ٢٦ – ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

---

[1] الأصول الثلاثة وانظر مجموعة التوحيد (٢٦٠).

الخامس: الذي يُعبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩]).

وقال الشيخ محمد حامد الفقي[١]: (الذي يستخلص من كلام السلف رضي الله عنهم: أن الطاغوت كل ما صَرَف العبد وصدّه عن عبادة الله وإخلاص الدين والطاعة لله ولرسوله، سواء في ذلك الشيطان من الجن والشيطان من الإنس والأشجار والأحجار وغيرها. ويدخل في ذلك بلا شك: الحكم بالقوانين الأجنبية عن الإسلام وشرائعه وغيرها من كل ما وضعه الإنسان ليحكم به في الدماء والفروج والأموال، وليُبطل بها شرائع الله من إقامة الحدود وتحريم الربا والزنا والخمر ونحو ذلك مما أخذت هذه القوانين تحللها وتحميها بنفوذها ومنفذيها، والقوانين نفسها طواغيت، وواضعوها ومروّجوها طواغيت، وأمثالها من كل كتاب وضعه العقل البشري ليصرف عن الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ إما قصداً أو عن غير قصد من واضعه، فهو طاغوت) أهـ.

وقال عبد القادر عبد العزيز[٢]: (فالقول الجامع في معنى الطاغوت بحسب الظاهر أنه كل ما يُعبد من دون الله، وأما على التفصيل فقد ورد في الكتاب والسنة النص على نوعين من الطواغيت: طاغوت العبادة وطاغوت الحكم.

أ - فطاغوت العبادة: ورد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧]، وهو كل ما عُبِدَ من دون الله من شيطان، أو إنسان حي أو ميت، أو حيوان، أو جماد من شجر أو حجر، أو كوكب من الكواكب، سواء عُبدَ بتقديم القرابين له أو بدعائه أو بالصلاة له من دون الله، أو بطاعته واتباعه فيما يخالف شرع الله.

---

[١] فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (٢٧٨).

[٢] الجامع في طلب العلم (٦٦٩/٢).

ويُقيَّد "ما عُبد من دون الله" بلفظ "وهو راضٍ بذلك" ليخرج منه مثل عيسى بن مريم عليه السلام أو غيره من الأنبياء والملائكة والصالحين فهؤلاء عُبدوا من دون الله وهم لا يرضون بذلك فلا يُسمى أحدٌ منهم طاغوتا.

قال ابن تيمية رحمه الله: (وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١] يعني أن الملائكة لم تأمرهم بذلك، وإنما أمرتهم بذلك الجن، ليكونوا عابدين للشياطين التي تتمثل لهم، كما يكون للأصنام شياطين، وكما تنزل الشياطين على بعض من يعبد الكواكب ويرصدها، حتى تنزل عليه صورة فتخاطبه، وهو شيطان من الشياطين. ولهذا قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦١ - ٦٣] وقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٠]) (١).

ب - وطاغوت الحكم: ورد في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠] وهو كل ما تُحوكِمَ إليه من دون الله من دستور وضعي أو قانون وضعي أو حاكم بغير ما أنزل الله سواء كان سلطاناً أو قاضياً أو غيرهما) أ. هـ.

فيتبين من كل هذا أن أمريكا طاغوت، ومجلس الأمن طاغوت، والأمم المتحدة طاغوت، والشرعية الدولية طاغوت، والحكومات المعاصرة -كما مر- طواغيت، ففي هذه الآية يبيّن سبحانه أن الذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت، وأنهم أولياء الشيطان؛ فمن قاتل تحت راية أمريكا فهو كافر، ومن قاتل تحت راية بريطانيا فهو كافر، ومن نقل جنودهم فهو كافر، ومن فتح المطارات لهم فهو كافر، ومن حماهم فهو كافر، ومن نقل الذخائر لهم على

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٣٥ – ١٣٦).

الشاحنات فهو كافر الخ، فمن قاتل معهم فهو معهم في هذه الأوصاف سواء كان بيده أو لسانه أو رأيه أو فتواه أو جريدته أو منصبه أو... الخ.

فقد قال رسول الله ﷺ: ((جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم))، وقال ﷺ: ((إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعه الخير، والرامي به، ومنبله)).

فدلت الآية أن من أعان هذا التحالف في حربهم على المسلمين بأي نوعٍ من أنواع الإعانة فهو من أولياء الشيطان الكافرين.

يقول عبد القادر عبد العزيز بعد ذكره لهذه الآية [١]: (فكل من قاتل دفاعا عن حاكم كافر أو دستور أو قانون كافر – كما يفعله أنصار الحكام المرتدين –، فقد قاتل في سبيل الطاغوت، وكل من قاتل في سبيل الطاغوت فهو كافر، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾، ويدخل في هذا: القتال بالقول أو الفعل كما نقلناه عن ابن تيمية.

و تأمل قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ فإنه مما يبين لك أن الطاغوت على الحقيقة هو الشيطان الداعي إلى كل كفر، وأن من يقاتل في سبيل الطاغوت فهو إنما يقاتل في سبيل الشيطان على الحقيقة، وهذا أيضا من باب توكيد كفرهم فإن أولياء الشيطان هم الكافرون كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

فهذا من أظهر الأدلة على كفر أنصار الحكام المرتدين بالقول كبعض علماء السوء والإعلاميين، وبالفعل كالجنود على اختلاف أصنافهم، أنهم يقاتلون في سبيل الطاغوت، ومن قاتل في سبيله فهو كافر، ولا يلزم للحكم بكفر كل منهم أن يباشر القتال فعلا، أو أن يقع قتال، بل كل من كان مُعَداً بواسطة هؤلاء الحكام للقتال دفاعا عنهم وعن أنظمة

---

[١] الجامع في طلب العلم (٦٧٨/٢).

حكمهم الكفرية – التي هي سبيل الطاغوت – فهو كافر. وإذا كان الله قد حكم بكفر من يتحاكم إلى الطاغوت فكيف بمن يقاتل من دونه وفي سبيله؟) أ. هـ.

أقول: إن دخول قوات درع الجزيرة أو غيرها ممن يقاتل اليوم مع أمريكا في هذه الآية هو من أوضح الواضحات التي لا يشك فيها إلا من أعمى الله بصره وأصم أذنيه وأزاغ قلبه.

فاللهم ثبتنا على الحق حتى نلقاك، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

الدليل الثالث:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

قال ابن جرير رحمه الله تعالى في هذه الآية [١]: (والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين جميعاً أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله، وأخبر أنه من اتخذهم نصيراً وحليفاً ووليّاً من دون الله ورسوله والمؤمنين فإنه منهم في التحزب على الله وعلى رسوله والمؤمنين وأن الله ورسوله منه بريئان).

وقال أيضاً [٢]: (وأما قوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: فإنه عنى بذلك أن بعض اليهود أنصار بعضهم على المؤمنين، ويد واحدة على جميعهم، وأن النصارى كذلك بعضهم أنصار بعض على من خالف دينهم وملتهم، معرفاً بذلك عباده المؤمنين أن من كان لهم أو لبعضهم

---

[١] تفسير ابن جرير (٦/٢٧٦).

[٢] تفسير ابن جرير (٦/٢٧٧).

ولياً فإنما هو وليهم على من خالف ملتهم ودينهم من المؤمنين، كما اليهود والنصارى لهم حرب، فقال تعالى ذكره للمؤمنين فكونوا أنتم أيضاً بعضكم أولياء بعض، ولليهودي والنصراني حرباً كما هم لكم حرب، وبعضهم لبعض أولياء، لأن من والاهم فقد أظهر لأهل الإيمان الحرب ومنهم البراءة وأبان قطع ولايتهم).

وقال أيضاً حول قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾: (يعني تعالى ذكره بقوله ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾: ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فإنه منهم، يقول: فإن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم؛ فإنه لا يتولى متول أحداً إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض، وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه).

إلى أن قال حول قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: (يعني تعالى ذكره بذلك أن الله لا يوفق من وضع الولاية موضعها فوالى اليهود والنصارى مع عداوتهم الله ورسوله والمؤمنين على المؤمنين وكان لهم ظهيراً ونصيراً؛ لأن من تولاهم فهو لله ولرسوله وللمؤمنين حرب).

وقال القرطبي رحمه الله [1]: (قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾ أي يعضدهم على المسلمين ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ بيّن تعالى أن حُكمه كحكمهم، وهو يمنع إثبات الميراث للمسلم من المرتد، وكان الذي تولاّهم ابن أُبَيّ، ثم هذا الحكم باق إلى يوم القيامة في قطع الموالاة، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾، وقال تعالى في آل عمران: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ وقد مضى القول فيه.

---

[1] تفسير القرطبي (٦/٢١٧).

وقيل: إن معنى ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي في النصرة. ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ شرط وجوابه، أي لأنه قد خالف الله تعالى ورسوله كما خالفوا، ووجبت معاداته كما وجبت معاداتهم، ووجبت له النار كما وجبت لهم، فصار منهم أي من أصحابهم).

وقال النسفي رحمه الله [١]: (ونزل نهياً عن موالاة أعداء الدين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة:٥١] أي لا تتخذوهم أولياء؛ تنصرونهم، وتستنصرونهم، وتؤاخونهم، وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين، ثم علل النهى بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ وكلهم أعداء المؤمنين، وفيه دليل على أن الكفر كله ملة واحدة، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ من جملتهم وحكمه حكمهم، وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لا يرشد الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفرة).

وقال الشوكاني رحمه الله [٢]: (قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي فإنه من جملتهم وفي عدادهم، وهو وعيد شديد فإن المعصية الموجبة للكفر هي التي قد بلغت إلى غاية ليس وراءها غاية).

وقال ابن حزم رحمه الله [٣]: (صح أن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين) أهـ.

---

[١] تفسير النسفي (٢٨٧/١).

[٢] فتح القدير (٥٠/٢)

[٣] المحلى (١٣٨/١١).

وقال ابن تيمية رحمه الله [١]: (قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾ فيوافقهم ويعينهم ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أهـ.

ويقول ابن القيم رحمه الله [٢]: (إنه سبحانه قد حكم، ولا أحسن من حكمه أن من تولى اليهود والنصارى فهو منهم ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نواقض الإسلام العشرة التي عددها [٣]: (الناقض الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾).

وقال: (إن الأدلة على كفر المسلم إذا أشرك بالله، أو صار مع المشركين على المسلمين، ولو لم يشرك أكثر من أن تحصر من كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم المعتمدين).

ويقول القاسمي رحمه الله [٤]: (﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي جملتهم، وحكمه حكمهم، وإن زعم أنه مخالف لهم في الدين، فهو بدلالة الحال منهم لدلالتها على كمال الموافقة).

وما فعلته هذه القوات (درع الجزيرة ودرع الصحراء) وغيرها من الجيوش والألوية من أكبر التولي لأعداء الله وهي مظاهرة صريحة لليهود والنصارى لاحتلال بلدان المسلمين ونهب خيراتهم وبتروله‍م وتمزيق شملهم، وكما قال ابن جرير: (فإن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين

---

[١] مجموع الفتاوى (٣٢٦/٢٥).

[٢] أحكام أهل الذمة (٦٧/١).

[٣] مجموعة التوحيد (٣٨)

[٤] تفسير القاسمي (٢٤٠/٦).

فهو من أهل دينهم وملتهم؛ فإنه لا يتولى متول أحداً إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض، وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه).

الدليل الرابع:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ۝ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة ٥٢ - ٥٦].

قال ابن كثير رحمه الله [١]: (قوله تعالى ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: شك وريب ونفاق، ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر، ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ أي يتأولون في مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك).

قال ابن تيمية رحمه الله [٢]: (فإنه ما ارتد عن الإسلام طائفة إلا أتى الله بقوم يحبهم يجاهدون عنه وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة.

---

[١] تفسير ابن كثير (٢/٦٩).

[٢] مجموع الفتاوى (١٨/٣٠٠)، و(٢٨/١٩٣).

يبين ذلك أنه ذكر هذا في سياق النهي عن موالاة الكفار فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ – إلى قوله – ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾.

فالمخاطبون بالنهي عن موالاة اليهود والنصارى هم المخاطبون بآية الردة، ومعلوم أن هذا يتناول جميع قرون الأمة.

وهو لما نهى عن موالاة الكفار وبين أن من تولاهم من المخاطبين فإنه منهم بين أن من تولاهم وارتد عن دين الإسلام لا يضر الإسلام شيئا، بل سيأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه فيتولون المؤمنين دون الكفار ويجاهدون في سبيل الله لا يخافون لومة لائم كما قال في أول الأمر ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

فهؤلاء الذين لم يدخلوا في الإسلام وأولئك الذين خرجوا منه بعد الدخول فيه لا يضرون الإسلام شيئا، بل يقيم الله من يؤمن بما جاء به رسوله وينصر دينه إلى قيام الساعة).

وقال ابن جرير رحمه الله [١]: (يقول المؤمنون تعجباً منهم ومن نفاقهم وكذبهم واجترائهم على الله في أيمانهم الكاذبة بالله أهؤلاء الذين أقسموا لنا بالله إنهم لمعنا وهم كاذبون في أيمانهم لنا).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حول حبوط العمل [٢]: (ولا تحبط الأعمال بغير الكفر، لأن من مات على الإيمان فإنه لابد من أن يدخل الجنة ويخرج من النار إن دخلها،

---

[١] تفسير ابن جرير (٦/٢٨١).

[٢] الصارم المسلول (٢/٢١٤) النسخة المحققة.

ولو حبط عمله كله لم يدخل الجنة قط، ولأن الأعمال إنما يحبطها ما ينافيها ولا ينافي الأعمال مطلقاً إلا الكفر وهذا معروف من أصول أهل السنة).

وقال ابن القيم رحمه الله [١]: (وقطع الموالاة بين اليهود والنصارى وبين المؤمنين، وأخبر أنه من تولاهم فإنه منهم، في حكمه المبين فقال تعالى وهو أصدق القائلين سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وأخبر عن حال متوليهم بما في قلبه من المرض المؤدي إلى فساد العقل والدين فقال: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

ثم أخبر عن حبوط أعمال متوليهم ليكون المؤمن لذلك من الحذرين، فقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾).

وقال الشوكاني رحمه الله [٢]: (﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ هذا شروع في بيان أحكام المرتدين بعد بيان أن موالاة الكافرين من المسلم كفر، وذلك نوع من أنواع الردة).

يقول عبد القادر عبد العزيز بعد ذكره لهذه الآيات [٣]: (هناك عدة مسائل ينبغي التنبيه عليها في مسألة موالاة المسلم للكافر، وهي:

---

[١] أحكام أهل الذمة (١/٢٣٣ – ٢٣٤).

[٢] فتح القدير (٢/٥١).

[٣] الجامع في طلب العلم (٢/٦٨٣٦٨٥).

أ – إن هذه الآيات في النهي عن موالاة الكفار عموما، ليست في النهي عن موالاة اليهود والنصارى دون غيرهم من الكفار، وذلك لأن لفظ (اليهود والنصارى) هو لقب، ومفهوم مخالفة اللقب لا حجة فيه عند جمهور العلماء [١]، فالنهي عن الموالاة يصدق على اليهود والنصارى وعلى غيرهم من الكفار كما دلت عليه الآيات الأخرى كقوله تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء﴾ [الممتحنة: ١].

ولهذا قال أبو بكر بن العربي في تفسيره لآية المائدة هذه [٢]: "إن الآية تفيد نفي اتخاذ الأولياء من الكفار جميعاً".

فيدخل في هذا: النهي عن موالاة الحكام المرتدين فإنهم من جملة الكافرين، فإن تسميته مرتداً لا تمنع من أنه كافر كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٦]، ونحوها من الآيات.

بل قد قال ابن تيمية رحمه الله [٣]: "وكُفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي".

ب – وقد أفادت آيات سورة المائدة موضع الاستدلال بأن من تولى الكفار فقد كَفَر، وقد تأكد كفره بعدة مؤكدات من نفس الآيات ومن غيرها، ومن ذلك:

١ – قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة ٥١] وأكّد أنه منهم بحرف التوكيد (إنَّ).

---

[١] نظر (إرشاد الفحول) للشوكاني (١٦٦ و١٦٩).

[٢] أحكام القرآن (٢/٦٣٠).

[٣] مجموع الفتاوى (٢٨/٤٧٨)، وله مثله في (٢٨/٥٣٤)، و(٣٥/١٥٨ – ١٥٩).

٢ – وقوله تعالى: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٣]، وحبوط العمل والخسران بسبب الكفر.

٣ – وقوله تعالى: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ [المائدة: ٥٤] فإنها خطاب لنفس المخاطبين بالنهي عن موالاة الكافرين كما قال ابن تيمية والشوكاني فيما نقلته عنهما آنفا: إن الموالاة نوع من الردة.

٤ – وقوله تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال ابن جرير الطبري في تفسيرها (١): "ومعنى ذلك: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء، يعني بذلك فقد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر".

فائدة في وجوب رد المتشابه إلى المحكم:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

قال ابن كثير في تفسيرها (٢): "يُخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هُنَّ أم الكتاب: أي بَيِّنات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في

---

(١) تفسير الطبري (٦/٣١٣).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٣٤٤).

الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رَدّ ما اشتبه إلى الواضح منه وحَكَّم مُحْكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى، ومن عَكَس انعكس" أ. هـ.

والمحكم واضح الدلالة في مسألة حكم من تولى الكافرين هو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، فهذا نص صريح في كفره، فيجب رَدّ المتشابه في نفس المسألة إلى هذا النص المحكم، والمتشابه خفي الدلالة هنا: النصوص الدالة على نفي الإيمان عمن يتولى الكافرين، فإن نفي الإيمان يحتمل نفي أصله فيكون فاعله كافراً، ويحتمل نفي كماله الواجب فيكون فاعله فاسقا، ويتم تعيين المراد من نفي الإيمان بالقرائن ومنها رَدّ المتشابه إلى المحكم في موضوعه.

وعليه فإن كل نص ورد فيه نفي الإيمان عمن تولى الكافرين فالمراد نفي أصله، أي أنه كافر بدلالة النص المحكم في نفس المسألة ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

ومن النصوص المشتملة على نفي الإيمان في موضوع الموالاة قوله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا – إلى قوله – وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة ٨٠ – ٨١]، وقوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ونحوها من الآيات.

ج- وقد أفادت آيات سورة المائدة موضع الاستدلال أن هذا الحكم بالكفر عام، يجري على كل مسلم تولى الكافرين، وذلك لأن الآية المشتملة على هذا الحكم هي من صيغ العموم، لأنها مُصدَّرة بـ (مَنْ) الشرطية، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، وقال ابن تيمية رحمه الله [١]: "ولفظ (مَنْ) أبلغ صيغ العموم، لاسيما إذا كانت شرطاً أو استفهاماً".

---

[١] مجموع الفتاوى (٨٢/١٥)، وله مثله في (٣٤٦/٢٤).

وبهذا تعلم أن هذا الحكم جارٍ على أنصار الحاكم المرتد، الذين ينصرونه بالقول والفعل فهذه موالاة للكافرين بلا ريب، وأنهم داخلون في هذا النص العام، فهم كفار لا محالة)أ.هـ.

إذاً يتبين لك أيها القارئ بوضوح كفر هذه القوات والجيوش والألوية التي تسارع في هؤلاء الكفار وتقول تخشى أن تصيبها دائرة فقد حكم الله عليها بالردة وحبوط الأعمال والخسارة، وبين أن جند الله الذين يتولون الله ورسوله والذين آمنوا أنهم حزب الله الغالبون، وغيرهم حزب الشيطان المغلوبون.

وفيما يأتي من أدلة مزيد بيان والله المستعان..

الدليل الخامس:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

وهذه الآية في سياق الآيات السابقة تبين وتؤكد كفر من تولى الذين اتخذوا ديننا هزواً ولعباً، ولا أظنه يخفى على أحد أن اليهود والنصارى وعلى رأسهم أمريكا وبريطانيا قد اتخذوا ديننا لهواً ولعباً، وكذلك هذه الأنظمة المرتدة التي تسخر من الدين وأهله علانية وتسب الله ورسوله وتحارب شعائره وأولياءه وتحكم بغير ما أنزل الله –كما بينا ذلك في مقدمة البحث– ، فمن تولى هؤلاء فليس بمؤمن كما قال الله في آخر الآية، فأهل الإيمان لا يصدر منهم هذا الفعل.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله [١]: (فتأمل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فإن هذا الحرف وهو (إن) الشرطية تقتضي نفي شرطها إذا انتفى جوابها، ومعناه أن من اتخذهم أولياء فليس بمؤمن).

الدليل السادس:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال ابن جرير رحمه الله تعالى [٢]: (ومعنى ذلك لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهوراً وأنصاراً توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء، يعني فقد برئ من الله، وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر، إلا أن تتقوا منهم تقاة: إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلم بفعل).

قال ابن كثير رحمه الله [٣]: (وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أي من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته، كما قال البخاري: عن أبي الدرداء أنه قال: إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم.

---

[١] الدرر السنية (٨/٢٨٨).

[٢] تفسير ابن جرير (٣/٢٢٨).

[٣] تفسير ابن كثير (١/٣٥٨)

وقال الثوري قال ابن عباس: ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان).

وقال القرطبي رحمه الله [١]: (قال معاذ بن جبل ومجاهد: كانت التقية في جدة الإسلام قبل قوة المسلمين، فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام أن يتقوا من عدوهم.

قال ابن عباس: هو أن يتكلم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ولا يقتل ولا يأتي مأثماً.

قال الحسن: التقية جائزة للإنسان إلى يوم القيامة، ولا تقية في القتل).

الدليل السابع:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيما ۝ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ [النساء: ١٣٩].

قال ابن جرير رحمه الله [٢]: (يقول الله لنبيه يا محمد، (بشر المنافقين) الذين يتخذون أهل الكفر بي والإلحاد في ديني أولياء؛ يعني أنصاراً وأخلاء من دون المؤمنين؛ يعني المؤمنين، (أيبتغون عندهم العزة)، يقول أيطلبون عندهم المنعة والقوة باتخاذهم إياهم أولياء من دون أهل الإيمان بي؟. (فإن العزة لله جميعا)، يقول: فإن الذين اتخذوهم من الكافرين أولياء ابتغاء العزة عندهم هم الأذلاء الأقلاء، فهلا اتخذوا الأولياء من المؤمنين فيلتمسوا العزة والمنعة والنصرة من عند الله الذي له العزة والمنعة الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء فيعزهم ويمنعهم).

---

[١] تفسير القرطبي (٤/٥٧).

[٢] تفسير ابن جرير (٣/٣٢٩).

ويقول البيضاوي رحمه الله [١]: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي اتخاذهم أولياء، ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي من ولايته في شيء يصح أن يسمى ولاية، فإن موالاة المتعاديين لا يجتمعان).

ويقول الشوكاني رحمه الله [٢]: (قوله ﴿لا يَتَّخِذ﴾ فيه النهي عن موالاة الكفار لسبب من الأسباب... وقوله ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في محل الحال أي متجاوزين المؤمنين إلى الكافرين استقلالا أو اشتراكا... ومعنى قوله: ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي من ولايته في شيء من الأشياء، بل هو منسلخ عنه بكل حال).

الدليل الثامن:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى [٣]: (فإذا كان وعد المشركين في السر بالدخول معهم ونصرتهم والخروج معهم إن جلوا نفاقا وكفرا وإن كان كذبا، فكيف بمن أظهر لهم ذلك صادقا، وقدم عليهم، ودخل في طاعتهم، ودعا إليها، ونصرهم وانقاد لهم، وصار من جملتهم وأعانهم بالمال والرأي؟ هذا مع أن المنافقين لم يفعلوا

---

[١] الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك ص٥٦، وانظر ص٣٩.

[٢] فتح القدير (٣٣١/١) وانظر رسالة أوثق عرى الإيمان ص٢٨، والدلائل ص٣٢ كلاهما للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب.

[٣] الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك ص٥٢، ولنظر الدرر السنية (١٣٨/٨).

ذلك إلا خوفا من الدوائر كما قال تعالى ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ [المائدة: آية ٥٢]).

الدليل التاسع:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝ تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ۝ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٨١].

يقول ابن تيمية رحمه الله عن هذه الآية [١]: (فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف (لو) التي تقتضي مع انتفاء الشرط انتفاء المشروط، فقال: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء: ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه، ومثله قوله تعالى: ﴿لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُم﴾ فإنه أخبر في تلك الآيات أن متوليهم لا يكون مؤمنا، وأخبر هنا أن متوليهم هو منهم، فالقرآن يصدق بعضه بعضاً).

قال العلامة حمد بن عتيق رحمه الله حول هذه الآية وغيرها من الآيات [٢]: (فأما معاداة الكفار والمشركين، فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك، وأكد إيجابه، وحرم موالاتهم

---

[١] مجموع الفتاوى (١٧/٧).

[٢] سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك.

وشدد فيها، حتى إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده... قال تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ۝ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

قال شيخ الإسلام: "فبين سبحانه أن الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه ملتزم بعدم ولايتهم، فثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان؛ لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم".

قلت: رتب الله تعالى على موالاة الكافرين سخطه والخلود في العذاب، وأخبر أن ولايتهم لا تحصل إلا ممن ليس بمؤمن، وأما أهل الإيمان بالله وكتابه ورسوله فإنهم لا يوالونهم بل يعادونهم، كما أخبر الله عن إبراهيم والذين معه من المرسلين قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَن يَاتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾. فنهى سبحانه وتعالى المؤمنين أن يوالوا اليهود والنصارى، وذكر أن من تولاهم فهو منهم أي: من تولى اليهود فهو يهودي، ومن تولى النصارى فهو نصراني.

وقد روى ابن أبي حاتم عن محمد بن سيرين قال: قال عبد الله بن عتبة ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر، قال فظننا يريد هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ وكذلك من تولى المشرك فهو مشرك، ومن تولى الأعاجم فهو أعجمي، فلا فرق بين من تولى أهل الكتابين وغيرهم من الكفار..

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُوا اللهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فنهى سبحانه المؤمنين عن موالاة أهل الكتابين وغيرهم من الكفار، وبين أن موالاتهم تنافي الإيمان.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَاتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ فنهى سبحانه وتعالى المؤمن عن موالاة أبيه وأخيه – اللذين هما أقرب الناس إليه – إذا كان دينهما غير الإيمان وبين أن الذي يتولى أباه وأخاه إذا كانا كافرين فهو ظالم، فكيف بمن تولى الكافرين الذين هم أعداء له ولآبائه ولدينه أفلا يكون هذا ظالم! بلى والله إنه لمن أظلم الظالمين.

ثم بين تعالى أن هذه الثمانية لا تكون عذرا في موالاة الكافرين، فليس لأحد أن يواليهم خوفا على أبيه أو أخيه أ وبلاده أو ماله أو مشحته بعشيرته أو مخافته على زوجاته، فإن الله قد سد على الخلق باب الأعذار بأن هذا ليس بعذر. أهـ. بتصرف واختصار.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله [1]: (فذكر تعالى أن موالاة الكفار منافية للإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه، ثم أخبر أن سبب ذلك كون كثير منهم فاسقين، ولم يفرق بين من خاف الدائرة ولم يخف، وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين قبل ردتهم كثير منهم فاسقون، فجر ذلك إلى موالاة الكفار والردة عن الإسلام، نعوذ بالله من ذلك).

الدليل العاشر:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

---

[1] الدرر السنية (١٢٩/٨).

قال ابن كثير رحمه الله [١]: (ومعنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ أي: إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس؛ وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر).

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ [٢]: (وما جاء في القرآن من النهي والتغليظ الشديد في موالاتهم وتوليهم، دليل على أن أصل الأصول لا استقامة له ولا ثبات له إلا بمقاطعة أعداء الله وحربهم وجهادهم والبراءة منهم، والتقرب إلى الله بمقتهم وعيبهم، وقد قال تعالى لما عقد الموالاة بين المؤمنين وأخبر أن الكافرين بعضهم أولياء بعض قال: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: من الآية٧٣]، وهل الفتنة إلا الشرك، والفساد الكبير هو انتشار عقد التوحيد والإسلام وقطع ما أحكمه القرآن من الأحكام والنظام؟).

الدليل الحادي عشر:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء ١٤٤].

قال الطبري رحمه الله [٣]: (يقول لهم جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا توالوا الكفار فتوازروهم من دون أهل ملتكم ودينكم من المؤمنين فتكونوا كمن أوجب له النار من المنافقين).

---

[١] تفسير ابن كثير (١/٣٤٤).

[٢] الدرر السنية (٨/٣٢٤-٣٢٦).

[٣] تفسير الطبري (٥/٣٣٧).

الدليل الثاني عشر:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝ بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩-١٥٠].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله [١]: (يعني بذلك تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله في وعد الله ووعيده وأمره ونهيه، ﴿إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني الذين جحدوا نبوة نبيكم محمد ﷺ من اليهود والنصارى فيما يأمرونكم به وفيما ينهونكم عنه، فتقبلوا رأيهم في ذلك، وتنتصحوهم فيما تزعمون أنهم لكم فيه ناصحون، ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ يقول: يحملوكم على الردة بعد الإيمان، والكفر بالله وآياته وبرسوله بعد الإسلام، ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ يقول: فترجعوا عن إيمانكم ودينكم الذي هداكم الله له، ﴿خَاسِرِينَ﴾ يعني هالكين قد خسرتم أنفسكم وضللتم عن دينكم، وذهبت دنياكم وآخرتكم، ينهي بذلك أهل الإيمان بالله أن يطيعوا أهل الكفر في آرائهم وينتصحوهم في أديانهم).

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله [٢]: (أخبر تعالى أن المؤمنين إن أطاعوا الكفار فلا بد أن يردوهم على أعقابهم عن الإسلام، فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر، وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة، ولم يرخص في موافقتهم وطاعتهم خوفا منهم.

وهذا هو الواقع، فإنهم لا يقتنعون ممن وافقهم إلا بشهادة أنهم على حق وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين وقطع اليد عنهم).

---

[١] تفسير الطبري (٤/١٢٢ - ١٢٣).

[٢] الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك ص٣٣.

الدليل الثالث عشر:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥، ٢٦].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله [١]: (أخبر تعالى أن سبب ما جرى عليهم من الردة وتسويل الشيطان والإملاء لهم هو قولهم للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر، فإذا كان من وعد المشركين الكارهين لما نزل الله بطاعتهم في بعض الأمر كافرا وإن لم يفعل ما وعدهم به، فكيف بمن وافق المشركين وأظهر أنهم على هدى).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [٢]: (قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ فهذا النوع من الموالاة كان سبباً في ردة أولئك القوم).

يقول ابن حزم رحمه الله [٣]: (فجعلهم مرتدين كفارا بعد علمهم الحق، وبعد أن تبين لهم الهدى بقولهم للكفار ما قالوا فقط، وأخبرنا تعالى أنه يعرف إسرارهم).

---

[١] الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك ص٥٠، ٥١. وانظر الدرر السنية (١٣٦/٨).

[٢] مجموع الفتاوى (١٩٣/٢٨).

[٣] الفصل (٢٦٢/٣).

ويقول القاسمي رحمه الله [١]: (﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من ارتدادهم، ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي لسبب أنهم ﴿قَالُوا﴾ أي المنافقون ﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ أي لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله ﷺ ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أي بعض أموركم، أو ما تأمرون به... كما أوضح ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ [الحشر: ١١]).

فتلك الآيات الكريمات قد قررت أن بعضا من الطاعة لأولئك الكفار هي ردة عن دين الإسلام، كموافقتهم في عداوة الرسول ﷺ، أو المظاهرة على محمد ﷺ كما جاء مفصلا في كتب التفسير[٢].

الدليل الرابع عشر:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

قال ابن كثير رحمه الله [٣]: (إن اليهود لما علموا أن جبريل عليه السلام هو الذي ينزل بالوحي إلى النبي ﷺ، قالوا: إن جبريل ينزل بالعذاب والنقمة فإنه عدوّ لنا. فأنزل الله هذه الآية والتي قبلها يبين أن من عادى رسولاً من رسله فقد عادى رسله كلهم من الملائكة ومن

---

[١] تفسير القاسمي ٥٦/١٥.

[٢] انظر زاد المسير لابن الجوزي (٤٠٩/٧)، وفتح القدير للشوكاني (٣٩/٥).

[٣] تفسير ابن كثير (١٣١/١- ١٣٣).

الناس كما قال تعالى ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج ٧٥]، ومن عادى رُسُل الله فقد عادى الله وكان من الكافرين ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾).

وهذه القوات وغيرها من الجيوش والألوية هي التي مكنت لأعداء الله وهي التي تحارب دين الله وتذل عباد الله وهي من أكبر الصادين عن سبيل الله.

يقول عبد القادر عبد العزيز [١]: (فأي عداوة لله ولرسوله ولدينه أعظم من هجر أحكام شريعته واستبدال قوانين كافرة بها؟ وأي عداوة لله ولرسوله ولدينه أعظم من السخرية بشعائر الدين كاللحية والحجاب وغيرهما كما تطفح به وسائل إعلام هؤلاء الطواغيت؟ وأي عداوة لله ولرسوله ولدينه أعظم من معاداة أولياء الله المتمسكين بدينهم وسجنهم وتعذيبهم وقتلهم ومحاربتهم في أرزاقهم؟ وأي عداوة لله ولرسوله ولدينه أعظم من نصرة أنظمة الحكم العلمانية الكافرة بالقول والفعل، والقتال في سبيل بقائها ودوامها، والقتال دفاعاً عن أئمة الكفر الذين يحكمون بهذه الأنظمة؟ أليس هذا هو ما يفعله الحكام المرتدون وأنصارهم وجنودهم؟ وأليست أفعالهم هذه هي صريح المعاداة لله ولرسوله ولدينه؟ ومن كان عدواً لله ولرسوله ولدينه فهو كافر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾).

إلى أن قال: (فكيف بمن بدل شريعة النبي ﷺ جملة واستهزأ بدينه وسخر من أهله؟ وكيف بمن أعانه على ذلك ونصره ودافع عنه؟. قال تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا﴾ [الآية ٣٣ بسورة المائدة]. وقد نزلت هذه الآيات في المرتدين في حادثة العُرنيين وفسَّر الجمهور المحاربة في هذه الآية بالذي يقطع الطريق على الناس مسلماً كان أو كافراً [٢]، فإذا كان من يقطع الطريق على مسلم لأجل سرقة وغيرها قد سُمِّي محاربا لله ولرسوله، فكيف بمن يقطع الطريق على دين الله ورسوله بإماتة أحكام شريعته؟ وكيف بمن يسعى في إعلاء شرائع الكفر في الأرض وتحكيمها في دماء المسلمين

---

[١] الجامع في طلب العلم (٢/٦٧٨٦٧٩).

[٢] انظر فتح الباري (٨/٢٧٤)، و(١٢/١٠٩ - ١١٠)، وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/٨٥).

وأعراضهم وأموالهم؟ وكيف بمن يعينه وينصره على ذلك؟. فأي عداوة لله ولرسوله ولدينه أشد من هذا؟. ولكن الأمر كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج ٤٦]. ومن كان عدواً لله ولرسوله ولدينه كهؤلاء الحكام وجنودهم فهو كافر).

الدليل الخامس عشر:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ... الآية﴾ [المجادلة: آية ٢٢].

(أخبر تعالى أنك لا تجد من يؤمن بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب، وأن هذا مناف للإيمان مضاد له، لا يجتمع هو والإيمان إلا كما يجتمع الماء والنار) [١].

وقال ابن كثير رحمه الله [٢]: (وقيل في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر، ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ في الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن، ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾ في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ، ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ في عمر قتل قريباً له يومئذ أيضاً، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ فالله أعلم.

---

[١] تفسير البيضاوي (١/١٥٥).

[٢] تفسير ابن كثير (٤/٣٣٠ - ٣٣١).

قلت: ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين في أسارى بدر، فأشار الصديق بأن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين، وهم بنو العم والعشيرة، ولعل الله تعالى أن يهديهم، وقال عمر: لا أرى ما رأى يا رسول الله، هل تمكنني من فلان – قريب لعمر– فأقتله، وتمكن علياً من عقيل، وتمكن فلاناً من فلان، ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا موادة للمشركين.. –القصة بكمالها– وقال ابن عباس: وأيدهم بروح منه أي قواهم)، إلى قوله: (وفي قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ سر بديع، وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه).

الدليل السادس عشر:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ [الممتحنة: ١ - ٤].

قال ابن كثير رحمه الله [١]: (كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة قال الإمام أحمد... أن عبيد الله بن أبي رافع أخبره أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال: "انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن

---

[١] تفسير ابن كثير (٤/٣٤٥ - ٣٤٩).

بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها" فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا: أخرجي الكتاب. قالت: ما معي كتاب. قلنا: لتخرجن الكتاب، أو لتلقين الثياب. قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: ((يا حاطب ما هذا؟))، قال: لا تعجل علي، إني كنت أمرأً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: ((إنه صدقكم)) فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: ((إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)). وهكذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجة من غير وجه عن سفيان بن عيينة به.

وزاد البخاري في كتاب المغازي: فأنزل الله السورة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، إلى قوله: "يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾... ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ﴾ أي تبرأنا منكم، ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي بدينكم وطريقكم، ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً﴾ يعني وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا ما دمتم على كفركم، فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضكم، ﴿حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ أي إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله [1]: (أي أخطأ الصراط المستقيم، فأخبر تعالى أن من تولى أعداء الله وإن كانوا أقرباء وأصدقاء فقد

---

[1] الدرر السنية (٨/١٢١).

ضل سواء السبيل، أي أخطأ الصراط المستقيم، وخرج عنه إلى الضلال، فأين هذا ممن يدعي أنه على الصراط المستقيم لم يخرج عنه، فإن هذا تكذيب لله، ومن كذب الله فهو كافر، واستحلال لما حرم الله من ولاية الكفار، ومن استحل محرماً فهو كافر).

قال الشيخ ناصر الفهد وفقه الله [١]: (هذه القصة تدل على أن الأصل في مظاهرة الكفار ومناصرتهم هو الردة والخروج عن الإسلام من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: قول عمر: "دعني أضرب هذا المنافق"، وفي رواية: "فقد كفر"، وفي رواية: بعد أن قال الرسول ﷺ: ((أوليس قد شهد بدراً؟)). قال عمر: بلى، ولكنه نكث وظاهر أعداءك عليك. فهذا يدل على أن المتقرر عند عمر رضي الله عنه أن مظاهرة الكفار: كفر وردة.

الوجه الثاني: إقرار الرسول ﷺ لما فهمه عمر وإنما ذكر عذر حاطب.

الوجه الثالث: أن حاطباً قال: ما فعلت ذلك كفراً، ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام. وهذا يدل على أنه قد تقرّر لديه أيضاً أن مظاهرة الكفار كفر وردة ورضا بالكفر.

فإذا كان هذا قد يظن في مثل صورة عمل حاطب رضي الله عنه مع أنه قد خرج غازياً مع الرسول ﷺ بنفسه وماله مناصراً له ومظاهراً له على أعدائه المشركين، ولم يظاهر الكفار ولم ينصرهم بنفس ولا مال، ولكن احتمل عمله هذا فقيل فيه ما قيل، فكيف بمن ظاهر الكفار فعلاً وظاهرهم وأعانهم على المسلمين، لا شك أنه أولى بالأحكام المذكورة في هذا الحديث).

---

[١] التبيان في كفر من أعان الأمريكان (١/٦٠٦).

الدليل السابع عشر:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٣ - ٢٤].

قال ابن كثير رحمه الله [١]: (وروي الحافظ البيهقي من حديث عبد الله بن شوذب قال: جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح ينعت له الآلهة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر الجراح قصده ابنه أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله فيه هذه الآية.

وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: ((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)).

الدليل الثامن عشر:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء: ٩٧].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله [٢]: (قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ

---

[١] تفسير ابن كثير (٢/٣٤٣ - ٣٤٤).

[٢] مجموعة التوحيد (٢٣٦).

قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ أي في أي فريق كنتم، أفي المسلمين أم في فريق المشركين؟، فاعترفوا عن كونهم ليسوا في فريق المسلمين بالاستضعاف، فلم تعذرهم الملائكة، وقالوا لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾، ولا يشك عاقل أن البلدان الذين خرجوا عن المسلمين وصاروا مع المشركين، وفي فريقهم وجماعتهم هذا مع أن الآية نزلت في أناس من أهل مكة أسلموا واحتبسوا عن الهجرة، فلما خرج المشركون إلى بدر أكرهوهم على الخروج معهم فخرجوا خائفين، فقتلهم المسلمون يوم بدر، فلما علموا بقتلهم تأسفوا، وقالوا قتلنا إخواننا، فأنزل الله فيهم هذه الآية، فكيف بأهل البلدان الذين كانوا على الإسلام فخلعوا ربقته من أعناقهم، وأظهروا لأهل الشرك الموافقة على دينهم، ودخولا في طاعتهم، وآووهم ونصروهم وخذلوا أهل التوحيد، واتبعوا غير سبيلهم وخطؤهم وظهر فيهم سبهم وشتمهم وعيبهم والاستهزاء بهم وتسفيه رأيهم في ثباتهم على التوحيد والصبر عليه وعلى الجهاد فيه، وعاونهم على أهل التوحيد طوعاً لا كرهاً واختياراً لا اضطراراً، فهؤلاء أولى بالكفر والنار من الذين تركوا الهجرة شحاً بالوطن وخوفاً من الكفار وخرجوا في جيشهم مكرهين خائفين).

الدليل التاسع عشر:

من السنة: روى البخاري في صحيحه عن محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود قال: (قطع على أهل المدينة بعث فاكتتبت فيه، فلقيت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته، فنهاني عن ذلك أشد النهي، وقال: أخبرني ابن عباس: أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سوادهم على عهد رسول الله ﷺ، يأتي السهم يرمي به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب عنقه فيقتل، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾.

الدليل العشرون:

من السنة: وهو إجراء النبي ﷺ حكم الكفار في أخذ الفداء من الأسرى على عمّه العباس بن عبد المطلب لما خرج مع الكفار يوم بدر.

والحديث أصله بالبخاري، وفيه عن أنس رضي الله عنه أن رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ فقالوا: ائذن لنا فلنترك لابن اختنا عباس فداءَه، قال ﷺ: ((والله لا تذرون منه درهماً)) [حديث ٤٠١٨ بكتاب المغازي]. وقول الأنصار: (ابن اختنا عباس) لأن جدته أم أبيه عبد المطلب كانت منهم أي من أهل يثرب.

قال ابن حجر رحمه الله [١]: (قوله: (إن رجالاً من الأنصار) أي ممن شهد بدراً، لأن العباس كان أُسِرَ ببدر كما سيأتي، وكان المشركون أخرجوه معهم إلى بدر، فأخرج ابن إسحاق من حديث ابن عباس: "أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: ((قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم قد أُخرِجوا كرهاً، فمن لقي أحداً منهم فلا يقتله...))". إلى قوله: "وأخرج ابن إسحاق من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: ((يا عباس، اِفْدِ نفسك وابن أخويك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن عمرو فإنك ذو مال))، قال: إني كنت مُسلماً ولكن القوم استكرهوني، قال ﷺ: ((الله أعلم بما تقول إن كنت ما تقول حقاً إن الله يجزيك، ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا))".

يقول عبد القادر عبد العزيز وفقه الله بعد ذكره لهذا النص [٢]: (وقد دل الحديث على أن النبي ﷺ قد أجرى أحكام الكفار في أخذ الفداء من الأسرى على العباس واعتبره كافراً

---

[١] فتح الباري (٣٢٢/٧).

[٢] الجامع في طلب العلم (٦٨٦٦٨٧/٢).

عيناً في الحكم الظاهر، لما خرج في صفوف الكفار لقتال المسلمين، ولم يعتبر دعواه الإكراه مانعة من إجراء حكم الكفار عليه.

وهذا الحديث وما دل عليه من حكم هو نص في محل النزاع ودليل لقولنا إن أنصار الحكام المرتدين كفار على التعيين في الحكم الظاهر، وقد نقلنا إجماع الصحابة على هذا الحكم في الدليل الأول).

واستدل شيخ الإسلام ابن تيمية بحديث العباس هذا على الحكم بكفر كل من خرج إلى القتال مع الكفار ولو كان مؤمنا مُكرهاً في الحقيقة، فقال [١]: (وقد يقاتلون وفيهم مؤمن يكتم إيمانه يشهد القتال معهم ولا يمكنه الهجرة، وهو مُكره على القتال، ويبعث يوم القيامة على نيته، كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: ((يغزو جيشٌ هذا البيت، فبينما هم ببيداء من الأرض إذ خُسِفَ بهم، فقيل: يا رسول الله، وفيهم المكره، قال: يبعثون على نياتهم))، وهذا في ظاهر الأمر وإن قُتِل وحُكِمَ عليه بما يُحكم على الكفار فالله يبعثه على نيته، كما أن المنافقين منا يُحكم لهم في الظاهر بحكم الإسلام ويُبعثون على نياتهم. والجزاء يوم القيامة على ما في القلوب لا على مجرد الظواهر، ولهذا رُوِيَ أن العباس قال: يا رسول الله كنتُ مكرهاً، قال: ((أما ظاهرك فكان علينا وأما سريرتك فإلى الله)).

وتعقيباً على قول شيخ الإسلام "وهو مُكره على القتال" أهـ، ينبغي التنبيه على أن الإكراه – وإن كان متصور الوقوع – إلا أنه لا يُسَوّغ قتل المسلمين أو قتالهم.

فقد قال ابن تيمية رحمه الله – عن المكرَه على القتال في صف الكفار – [٢]: (فلا ريب أن هذا يجب عليه إذا أكرِه على الحضور أن لا يُقاتِل وإن قتله المسلمون، كما لو أكرهه الكفار على حضور صفهم ليقاتِل المسلمين، وكما لو أكره رجلٌ رجلاً على قتْل مسلم

---

[١] مجموع الفتاوى (١٩/ ٢٢٤– ٢٢٥)، وله مثله في منهاج السنة (٥/١٢١– ١٢٢).

[٢] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٣٩).

معصوم، فإنه لا يجوز له قتله باتفاق المسلمين وإن أكرهه بالقتل، فإنه ليس حفظ نفسه بقتل ذلك المعصوم أولى من العكس).

وقال القرطبي رحمه الله [١]: (أجمع العلماء على أن من أكرِه على قتل غيره أنه لا يجوز له الإقدام على قتله ولا انتهاك حرمته بجَلْدٍ أو غيره، ويصبر على البلاء الذي نزل به، ولا يحل له أن يفدي نفسه بغيره، ويسأل الله العافية في الدنيا والآخرة).

فالخلاصة: أن كل من قاتل في صف الكفار أو نصرهم بالقول والفعل – لأن هذه النصرة قتال حكماً – فهو محكوم بكفره على التعيين، وهذا هو حكم أنصار الحكام المرتدين.

إلى هنا نكتفي بهذا القدر من الأدلة، وطالب الحق يكفيه من ذلك كله ولو دليلاً واحداً، أما المفتون المعرض عن دين ربه فلو جئته بملء الدنيا أدلة ما رفع بها رأساً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً﴾ [الكهف: ٥٧] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

---

[١] تفسير القرطبي (١٠/ ١٨٣).

قواعد شرعية هامة

القاعدة الأولى [١]:

(أن تبين الموانع إنما يجب في المقدور عليه، ولا يجب في الممتنع أو المحارب)، وبعبارة أخرى: (أن الفرد في الطائفة الممتنعة عن القدرة له حكم رؤوس الطائفة).

واعلم بعد هذا أن تبين هذه الموانع إنما يجب في حق المقدور عليه دون الممتنع.. والامتناع يرد على معنيين:

الأول: امتناع عن العمل بالشريعة جزئياً أو كلياً.

الثاني: امتناع عن القدرة، أي قدرة المسلمين أن يوقفوه ويحاسبوه ويحاكموه لشرع الله.

ولا تلازم بين النوعين، فقد يكون الممتنع عن العمل بالشريعة مقدوراً عليه في دار الإسلام، كمن امتنع عن الزكاة وهو فرد مقدور عليه في دار الإسلام.

وقد يجتمعان، فيمتنع الممتنع عن الشريعة بدار كفر أو بشوكة وطائفة وقانون وسلطان دولة، بحيث لا يتمكن المسلمون من إنزاله على حكم الله تعالى وإقامة حد الله عليه.

والممتنع عن القدرة، قد يكون محارباً باليد، وقد يكون محارباً باللسان فقط [٢].

وقد نص العلماء على أن الممتنع عن القدرة لا تجب استتابته، فمن باب أولى المحارب الذي داهم ديار المسلمين واحتلها وتسلط على مقاليد الحكم فيها.

---

[١] انظر الرسالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير (٦٦).

[٢] انظر الصارم المسلول (٣٨٨).

ويراد بالاستتابة معنيان أيضًا:

الأول: طلب التوبة ممن حكم عليه بالردة.

الثاني: تبين الشروط والموانع قبل الحكم عليه بالردة. وهذا هو الذي نريد التنبيه عليه هنا.

فالممتنع عن شرائع الإسلام والممتنع عن النزول على حكم الله، والمحارب للمسلمين الخارج عن قدرتهم وحكمهم، سواء امتنع بدولة الكفر أو بقوانينها أو بجيوشها ومحاكمها، هذا قد جمع بين نوعي الامتناع، فلا يجب تبين الشروط والموانع في حقه قبل التكفير والقتال؛ إذ هو لم يسلم نفسه للمسلمين، ولا سلم بشرعهم وحكمهم حتى ينظر له في ذلك، فلا يقال قي حق من كانوا كذلك أنهم لم تقم عليهم الحجة، كما يهذر به بعض من يهرف بما لا يعرف، خصوصاً إذا كانوا محاربين مقاتلين لنا في الدين، وقد تسلطوا على ديار الإسلام وامتنعوا بشوكتهم عن شرائعه، وأقاموا وفرضوا شرائع الكفر والطاغوت.

يقول محمد بن الحسن الشيباني: (ولو أن قوماً من أهل الحرب الذين لم يبلغهم الإسلام ولا الدعوة أتوا المسلمين في دارهم، يقاتلهم (المسلمون) بغير دعوة ليدفعوا عن أنفسهم، فقتلوا منهم وسبوا وأخذوا أموالهم فهذا جائز...) أهـ. [من السير الكبير]، وما بين المعكوفين زيادة أثبتها السرخسي في شرحه، ثم قال:

(لأن المسلم لو شهر سيفه على مسلم حل للمشهور عليه سيفه قتله للدفع عن نفسه، فها هنا أولى، والمعنى في ذلك أنهم لو اشتغلوا بالدعوة إلى الإسلام فربما يأتي السبي والقتل على حرم المسلمين وأموالهم وأنفسهم فلا يجب الدعاء) أهـ.

ويقول ابن القيم [١]: (ومنها أن المسلمين يدعون الكفار قبل قتالهم إلى الإسلام هذا واجب إن كانت الدعوة لم تبلغهم، ومستحب إن بلغتهم الدعوة، هذا إذا كان المسلمون هم القاصدين للكفار، فأما إذا قصدهم الكفار في ديارهم فلهم أن يقاتلوهم بغير دعوة لأنهم يدفعونهم عن أنفسهم وحريمهم).

فهذا من تفريق العلماء بين جهاد الطلب وجهاد الدفع.. وقد فرق شيخ الإسلام أيضاً في مواضع عديدة [٢] من كتبه بين المرتد ردة مغلظة وهو الذي يضيف إلى ردته الامتناع أو المحاربة والقتل أو القتال فيقتل بلا استتابة، وبين المرتد ردة مجردة فيقتل إلا أن يتوب.

وقال أيضا: (المرتد لو امتنع بأن يلحق بدار الحرب، أو بأن يكون المرتدون ذوي شوكة يمتنعون بها عن حكم الإسلام، فإنه يقتل قبل الاستتابة بلا تردد) أهـ.

وقال أيضاً [٣]: (على أن الممتنع لا يستتاب وإنما يستتاب المقدور عليه) أهـ.

يقول عبد القادر عبد العزيز في كتاب الجامع في طلب العلم [٤]: (الامتناع يرد في الشرع على معنيين:

أحدهما: الامتناع عما وجب فعله من شرائع الإسلام، كترك الصلاة والزكاة ونحو ذلك، وهذا الامتناع عن الشرع هو الذي تردد ذكره كثيراً في كلام شيخ الإسلام: "أيما طائفة امتنعت عن شريعة من شرائع الإسلام..."، والممتنع عن الشرع قد يكون كافراً أو فاسقا بحسب ما امتنع عنه.

---

[١] أحكام أهل الذمة (٥/١).

[٢] انظر على سبيل المثال الفتاوى (٥٩/٢٠).

[٣] الصارم (٣٢٥ - ٣٢٦).

[٤] الجامع في طلب العلم (٢/ ٦٨٦٦٨٧) بتصرف يسير.

والآخر: الامتناع عن القدرة، قال ابن تيمية [١]: (ومعنى القدرة عليهم: إمكان الحد عليهم لثبوته بالبينة أو بالإقرار وكونهم في قبضة المسلمين)، ولعل صحة العبارة: (إمكان إقامة الحد).

وقال أيضاً [٢]: (وهذا كله إذا قُدِرَ عليهم، فأما إذا طلبهم السلطان أو نوابه لإقامة الحد بلا عدوان فامتنعوا عليه، فإنه يجب على المسلمين قتالهم باتفاق العلماء حتى يقدر عليهم كلهم).

وقال أيضاً [٣]: (العقوبات التي جاءت بها الشريعة لمن عصى الله ورسوله نوعان:

أحدهما: عقوبة المقدور عليه من الواحد والعدد كما تقدم.

والثاني: عقاب الطائفة الممتنعة كالتي لايُقدر عليها إلا بقتال).

والامتناع عن القدرة يتأتى بأمرين: باللحوق بدار الحرب حيث لا سلطان للمسلمين، أو بالامتناع بطائفة وشوكة أي بأعوان وسلاح، وذكر ابن تيمية كيفية الامتناع عن القدرة في قوله [٤]: (ولأن المرتد لو امتنع – بأن يلحق بدار الحرب، أو بأن يكون المرتدون ذوي شوكة يمتنعون بها عن حكم الإسلام – فإنه يُقتل قبل الاستتابة بلا تردد).

---

[١] الصارم المسلول (٥٠٧)

[٢] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣١٧)

[٣] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٤٩).

[٤] الصارم المسلول (٣٢٢).

وأنبه هنا على عدة أمور:

١ – أن الممتنع عن الشرع: قد يكون فرداً كتارك الصلاة، أو طائفة كمانعي الزكاة.

٢ – وأن الممتنع عن القدرة: قد يكون فرداً كعبد الله بن سعد بن أبي السرح الذي ارتد في حياة النبي ﷺ وامتنع باللحاق بمكة قبل فتحها وكانت دار حرب، وقد يكون الممتنع عن القدرة طائفة كالمحاربين قطاع الطريق وكالمرتدين الممتنعين.

٣ – أنه لا تلازم بين الامتناع عن الشرع والامتناع بتعليقي عن القدرة، فليس كل ممتنع عن الشرع ممتنعاً عن القدرة: كالفرد تارك الصلاة المقدور عليه، وكالطائفة المقدور عليها كبقايا بني حنيفة الذين استتابهم عبد الله بن مسعود من الردة بالكوفة، وقد ذكرت حديثهم في التنبيه الهام المذكور على العقيدة الطحاوية، وأصل حديثهم بصحيح البخاري بأول كتاب الكفالة وكان عدد هؤلاء الذين استتابهم ابن مسعود مائة وسبعين رجلا كما نقله ابن حجر عن ابن أبي شيبة [١].

٤ – أما الممتنع عن القدرة فلابد أن يكون ممتنعاً عن الشرع، لأنه لا يوصف بالامتناع عن القدرة إلا إذا كان قد وجب عليه حق لله تعالى أو حق للعباد فطولب به فامتنع عن القدرة، أو امتنع عن القدرة قبل المطالبة وبعد وجوب الحق عليه حتى لا يؤاخذ به.

بعد بيان أنواع الامتناع في الشريعة، نقول:

إن الفرد له حكم الطائفة في الممتنعين عن القدرة والذين لا يكونون إلا ممتنعين عن الشرع أيضا، وحكم الطائفة هو حكم رءوسها وأئمتها، وعلى هذا فإذا كان رأس الطائفة مرتداً كمسيلمة وطليحة، سُمِّيت طائفته بالمرتدين، وحُكم على كل فرد منهم بالردة، وإذا كان رأس الطائفة باغيا سُمِّيت طائفته بالبغاة، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى

---

[١] فتح الباري (٤/ ٤٧٠).

الْأُخْرَى﴾ [الحجرات: ٩]، وقال ﷺ: ((تقتل عماراً الفئة الباغية)) ويُسمى كل فرد في هذه الفئة باغيا. [وحديث عمار متفق عليه، ولفظه لمسلم، ورواه البخاري بلفظٍ مقارب، حديث ٤٤٧].

وهكذا القول في غيرهم من الممتنعين كالخوارج والمحاربين قطّاع الطرق يسمي كل منهم خارجيا أو محارباً على الترتيب.

وهذا الحكم الذي ذكرناه وهو أن الفرد له حكم الطائفة في الممتنعين عن القدرة، دلّ عليه الكتاب والسنة والإجماع.

أ - أما الكتاب:

فالدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨]، وقوله تعالى: ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٦]، وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١].

والآيات تبين أن الأتباع ﴿جُنُودَهُمَا﴾ لهم حكم المتبوعين ﴿فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾، فقد سوّى الله تعالى بينهم في الإثم ﴿كَانُوا خَاطِئِينَ﴾، وفي الوعيد ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾، وفي العقوبة الدنيوية ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾، وفي العقوبة الأخروية ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ﴾، ووصفهم الله جميعا بأنهم ﴿أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾، ولم يفرق بين تابع ومتبوع، ولم يصف الأتباع إلا بأنهم جنود المتبوع، وإنما استحقوا حكم المتبوع لمشاركتهم له في إجرامه وإفساده، إذ لم يكن المتبوع ليتمكن من الإجرام إلا بجنوده الذين يطيعونه وينفذون إرادته، وهكذا جنود الطاغية في كل زمان ومكان.

فإن قيل: إنه لا حجة في هذه الآيات على تكفير جنود الحكام المرتدين – وفيهم من يُظهر الإسلام – لأن جنود فرعون كانوا كفاراً أصليين [١]:

فالجواب: أن النص على كفر جنود الحكام المرتدين مستفاد من الأدلة السابقة من الكتاب والسنة والإجماع ولا يؤثر في هذا الحكم إظهار بعضهم للإسلام، لأنه لا يحكم لشخص بالإسلام الحكمي بإظهاره لعلامات الإسلام إلا إذا لم يقترن ذلك بناقض من نواقض الإسلام، وهنا اقترن ظهور علامات الإسلام من بعضهم بناقض وهو نصرة الكفار على كفرهم وعلى المسلمين.

أما الآيات المذكورة هنا؛ فوجه الاستدلال بها على كفر جنود المرتدين هو من جهة دلالة هذه الآيات على التسوية بين التابع والمتبوع من كل الوجوه، ولم يجعل الله تعالى سبب هذه التسوية مشابهة معتقد التابع لمعتقد المتبوع، بل لم تُشِر الآيات أدنى إشارة إلى معتقد الأتباع، وإنما جعل الله مناط هذه التسوية هو مجرد المتابعة في الفعل لا الموافقة في الاعتقاد، ولم يصفهم الله في جميع هذه الآيات إلا بأنهم جنود فرعون.

وحَصْر التكفير في الكفر بالاعتقاد فقط هو مذهب المرجئة، وعلى الصحيح فإن الكفر يقع بالقول والفعل والاعتقاد، وجنود الحكام المرتدين الذين ينصرونهم بالقول والفعل إنما كفروا بالقول والفعل دون النظر في معتقدهم.

والصحابة رضي الله عنهم عندما سموا أتباع أئمة الردة بالمرتدين وحكموا بكفرهم إنما حكموا عليهم بمجرد إتباعهم لأئمة الردة ونصرتهم لهم بالقول والفعل والقتال معهم، لا لأنهم اختبروا معتقدهم، فإن هذا لم يقع ولم يثبت من جهة النقل، وقد سبق أن ذكرت قول ابن

---

[١] في هذا الجواب رد على من استنكر علينا الاستدلال بها في بحث (الباحث عن حكم قتل أفراد وضباط المباحث).

تيمية إن أتباع مسيلمة كانوا نحو مائة ألف أو أكثر [١] فكيف يتأتى تبين معتقد هذا العدد مع امتناعهم عن القدرة؟ فضلا عن غيرهم من أتباع طليحة وسجاح والعنسي وغيرهم. ولو توقف الحكم عليهم على تبين معتقدهم لأفضى هذا إلى إبطال الجهاد.

وبهذا تعلم أن كفر أنصار المرتدين هو من جهة القول والفعل لا من جهة الاعتقاد.

بل قد ذكر ابن جرير الطبري رحمه الله ما يبين أن بعض أتباع مسيلمة كان يُقر بكذبه، فقال [٢]: (كتب إلي السري قال: حدثنا شعيب عن سيف عن خُلَيد بن ذفرة النمري عن عمير بن طلحة النمري عن أبيه، أنه جاء اليمامة فقال: أين مسيلمة؟ قالوا: مَهْ رسول الله! فقال: لا، حتى أراه، فلما جاءه، قال: أنت مسيلمة؟ قال: نعم، قال: من يأتيك؟، قال: رحمن، قال: أفي نور أو في ظُلمة؟ فقال: في ظُلمه، فقال: أشهد أنك كذاب وأن محمداً صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مُضر، فقُتِل معه يوم عقرباء) وفي رواية: (قال: كذّاب ربيعة أحب إليّ من كذاب مُضَر) أهـ.

والحاصل:

أن الصحابة لم يتبينوا معتقد أنصار أئمة الردة، ولم يكن هذا ممكناً للمنعة القائمة، وإنما حكموا بردتهم بسبب النصرة والمعاونة وهذا يوجب التسوية بينهم وبين أئمتهم ورءوسهم في الأحكام كما سوّى الله بين فرعون وجُنده.

ب- وأما السنة:

فالدليل على أن الفرد له حكم الطائفة في الممتنعين هو إجراء النبي ﷺ حكم الكفار على عمِّه العباس لما خرج مع جيش المشركين للقتال يوم بدر، رغم دعواه الإسلام والإكراه،

---

[١] منهاج السنة (٢١٧/٧).

[٢] تاريخ الطبري (٢٧٧/٢).

وأنه قد توجب الحكم عليه بمجرد فعله لا بالنظر في معتقده. فدل على أن الفرد له حكم الطائفة. وقد ذكرنا حديثه من قبل.

ج- وأما الإجماع:

فدليله إجماع الصحابة - المذكور في الدليل الأول - على تكفير أنصار أئمة الردة في عهد أبي بكر رضي الله عنه. ولم يفرقوا في ذلك بين تابع ومتبوع.

ومن هذا تعلم أنه في الممتنعين يجري على الفرد حكم الطائفة الذي هو حكم رؤوسها، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]. فأنصار الحكام المرتدين الحاكمين بغير شريعة الإسلام في زماننا هذا هم مرتدون حكمهم حكم أئمتهم، وهذا الحكم يجري على الأنصار على التعيين أي أن كل منهم كافر بعينه، ودليل تكفيرهم على التعيين حكم النبي ﷺ على عمه العباس على التعيين، وإجماع الصحابة على تكفير من مات من أنصار المرتدين (وقتلاكم في النار) ولا شك في أن القتلى معيَّنون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تقرير هذه القاعدة [١]: (والطائفة إذا انتصر بعضها ببعض حتى صاروا ممتنعين فهم مشتركون في الثواب والعقاب - إلى قوله - فأعوان الطائفة الممتنعة وأنصارها منها فيما لهم وعليهم - إلى قوله - لأن الطائفة الواحدة الممتنع بعضها ببعض كالشخص الواحد) أ. هـ.

---

[١] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣١١ - ٣١٢).

القاعدة الثانية:

أن شروط التكفير وموانعه وأسبابه لا تثبت وتعتبر إلا بدليل شرعي معتبر، أو بمعنى آخر: (المانعية والشرطية وكذلك السببية لابد لإثباتها واعتبارها دليل شرعي)، فالموانع والشروط والأسباب كل ذلك من الأحكام الشرعية الوضعية التي وضعتها الشريعة بتوقيف [١].

فكل من ادعى شرطا أو مانعا أو سببا من غير دليل شرعي فهو ممن يفتري على الله الكذب ويقول على الله بغير علم، فلا يجوز ابتداع أسباب أو شروط أو موانع للتكفير ما أنزل الله بها من سلطان، ومن فعل ذلك فهو داخل تحت عموم قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾، وقوله سبحانه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فليحذر المسلم من ذلك وليعلم أن "أكثر الأصوليين منعوا القياس في الشروط والأسباب والموانع" [٢].

١ - **فليس من موانع التكفير** إذاً أن يكون المرتد سعودياً [٣] أو من جزيرة العرب أو عربياً، إلا إن ادعينا العصمة لشخص ما غير نبينا محمد ﷺ أو لشعب ما، ومن ادعى ذلك فقد كفر.

---

[١] قد نبهت على هذه القاعدة في جواب على سؤال حول حماية السفارة الأمريكية بجنود ملتحين، وقد نُشر في المنتديات الحوارية على الشبكة الإلكترونية بشيء من الاختصار.

[٢] انظر مذكرة أصول الفقه للشنقيطي (٢٨٢)، وإرشاد الفحول (٣٧٥).

[٣] مما ندعو الشباب إليه دائمًا البعد عن لفظة "سعودي" لدلالتها على التبعية المقيتة لأسرة آل سعود، واستبدالها بأهل الجزيرة.

بل إن التاريخ يثبت أن كثيراً من أهل جزيرة العرب بعد وفاة نبينا محمد ﷺ قد ارتدوا عن دين الله، بل وكان مع مسيلمة الكذاب أكثر من مئة ألف -كما ذكر ذلك شيخ الإسلام بن تيمية وقد ذكرنا ذلك في الدليل الأول-.

وكذلك ارتد عدد كبير من أتباع الأسود العنسي، وكذلك الذين امتنعوا عن أداء الزكاة حكم عليهم الصحابة بالكفر وقاتلوهم جميعاً.

وقد سُئل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: قتال مانعي الزكاة هل هو ردة؟ فأجاب [(١)]: "الصحيح أنه ردّة لأن الصدّيق لم يفرق بينهم ولا الصحابة ولا من بعدهم".

وهذه القصص لا تخفى على أحد حتى عامة الناس فضلاً عن طلبة العلم منهم والله المستعان.

٢ - **وليس من موانع التكفير** كون المرتد من أهل العلم!! أو أنه عضو في الهيئة الفلانية!! أو من أهل اللحى!!! أو من الجماعة الإسلامية الفلانية أو كونه يحمل ماجستير!! أو دكتوراه!! في الشريعة أو نحو ذلك مما يتوهمه البعض؛ فدين الله يمضي على الجميع ولا يختص بطبقة دون طبقة أو شخص دون شخص أو قطر دون قطر، فقد قال الله عز وجل عن أحد كبار العلماء ممن قيل أنه يعلم اسم الله الأعظم: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦]. وقال تعالى في حق خيرة خلقه وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ... الآيات﴾ [الأنعام: ٨٨ - ٨٩].

---

(١) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (٦/٢٠٢).

وهذا عبد الله بن سعد بن أبي السرح الذي كان من كتبة الوحي، وكان يكتب للنبي ﷺ ثم ارتد على عقبيه، فأمر رسول الله ﷺ بقتله ولو وجدوه متعلقا بأستار الكعبة.. ثم إنه تاب ورجع إلى الإسلام عام الفتح أحضره عثمان بن عفان – وكان أخاه من الرضاعة – إلى النبي ﷺ فبايعه.. وقصته برواياتها المختلفة بسطها وتكلم على فوائدها شيخ الإسلام في (الصارم المسلول)، والشاهد منها: أن كونه من كتبة الوحي عند النبي ﷺ لم يمنع من كفره وردته لما أتى بسببها.

وهذا سعد بن عبادة رضي الله عنه عندما قال على رجل يظهر الإسلام لسعد بن معاذ رضي الله عنه: (لا تقتله، ولا تستطيع أن تقتله) قال أسيد بن حضير رضي الله عنه: (إنك منافق تجادل عن المنافقين) وأقره النبي ﷺ على هذه الكلمة كما جاء ذلك في الصحيحين.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لحاطب بن أبي بلتعه رضي الله عنه: (دعني أضرب عنق هذا المنافق) وفي رواية: (فقد كفر). فقال رسول الله ﷺ: ((إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)).

مع أن باب التأويلات والمبررات مفتوحة على مصراعيها لسعد بن عبادة ولحاطب ولغيرهم رضي الله عنهم إذا كانت كما يريد مشايخ ومرجئة العصر الحاضر، فهم أحد المؤسسين للدولة الإسلامية في المدينة..

أ – فلماذا لم يقل الصحابة رضي الله عنهم كيف يسب أسيد بن حضير عالماً من علماء الصحابة ومجاهداً كبيراً فلحوم العلماء مسمومة وعادة منتقصيهم معلومة؟.

ب – ولماذا لم يقل الصحابة رضي الله عنهم أن ما فعله سعد بن عبادة رضي الله عنه يتضمن مصلحة كبيرة عظيمة ويدفع مفسدة كبيرة.. كيف هذا؟

ج – ولماذا لم يقل الصحابة رضي الله عنهم بأن هذا الرجل الذي دافع عنه رئيس لقبيلة فهو يدافع عنه دفعاً لتهييج قبيلته ضد الإسلام والمسلمين ودولة الإسلام ويحافظ على الدعوة ويؤلف قلوب القبيلة على الدولة الإسلامية؟.

د – ولماذا لم يقل الصحابة رضي الله عنهم أن هذا الرجل كان ظاهرة الإسلام يصلي ويصوم ويجاهد مع المسلمين فحاله يلتبس على المسلمين؟.

هـ – ولماذا لم يقل الصحابة رضي الله عنهم أن سعد بن عبادة وإن كان أخطأ إلا أن له جبالاً من الفضائل وهذه زلة عالم ولا يصح هذا القول ضد عالم له فضائل لمجرد زلة واحدة لم تتكرر ولا يصح تتبع زلات وسقطات العلماء؟.

و – ولماذا لم يقل الصحابة رضي الله عنهم لعل سعد بن عبادة وإن كان أخطأ إلا أنه متأول والتأويل يمنع من التوصيف الشرعي للفعل والعقوبة؟.

ي – ولماذا لم يقل الصحابة رضي الله عنهم يجب على أسيد بن حضير ألا يتسرع هكذا ويلتمس له ألف عذر قبل أن يرمي مجاهداً كبيراً قامت دولة الإسلام على تضحياته بمثل هذا الوصف الشنيع؟.

لم يقولوا كل هذا.. لم؟ لأنهم لم يتعلموا نظريات المصالح الظاهرة الجزئية السطحية، ولم تنقلب مرآة بصيرتهم وتسود حتى يرى الحق باطلاً، والباطل حقاً، والبدعة سنة، والسنة بدعة، والتوحيد شركا، والشرك توحيدا، والفساد مصلحة، والمصلحة فسادا.. بل إنهم يعلمون أن التوحيد أصفى من العسل المصفى وأرق من الماء الزلال وأنقى من اللبن في الضروع، وإن قطرة من الموالاة وشائبة من مدح الطاغوت لعلها لمصلحة الدعوة تكدر صفوه وتذهب بنقائه.

وأما مانع اللحية – كما يقول البعض – فليعلموا أن الناس قديماً لم يكونوا يحلقوا لحاهم إلا النزر اليسير الشاذين، وكذلك كان أئمة الكفر يشتهرون بوفرة اللحط، فلم تكن عائقا للحكم عليهم بالكفر – كما يريد البعض في عصر العجائب هذا –، فلا تغركم ما تفعله دولة آل سعود، فأجلهم قد اقترب والانتقام منهم قد حان، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون!

وهذا دليل آخر، ولكن ليس في مسألة التكفير:

سلمان وبلال وصهيب رضي الله عنهم لما قالوا لأبي سفيان: (ألم تأخذ سيوف الله من عدو الله مأخذها)، قال أبو بكر الصديق: (أتقولون هذا لسيد قريش؟!) فقال له رسول الله ﷺ: ((إن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك)).

فماذا يقول المشايخ وطلبة العلم لو قلنا للداعية الكبير والمشهور: إنك منافق تجادل عن الطواغيت؟! أو قلنا للعالم الكبير: لأن كنت أغضبت المجاهدين المؤمنين أولياء الله بمدحك للطاغوت لقد أغضبت ربك؟!

الجواب: لو قلنا ذلك (وقد قلناه) لهاجت علينا الدنيا، وسارعت مدارس التخذيل والتعويق والتثبيط عن الجهاد – التي حذفت عمداً ومع سبق الإصرار والترصد شريعة السيف والجلاد من ملة الملاحم – برفع السيوف الحادة لتقطيع رقابنا. [١]

---

[١] **تنبيه:** يجب أن يفرق في هذا الباب بين ما كان كفراً صراحاً مخرجاً من الملة، وبين ما ليس بكفر من الاجتهاد الخاطئ الذي يؤجر صاحبه على اجتهاده، أو العثرات التي قد يقع بها بعض أهل العلم أو طلبته، فلا ينبغي أن يساء الأدب معهم لأجلها أو يتطاول عليهم بسببها أو يزهد بعلمهم أو ينفر الشباب عن كتبهم بها.. خصوصاً إن كانوا من أنصار الدين القائمين به المتبرئين من الطواغيت والمرتدين، ففي صحيح البخاري (كتاب مناقب الأنصار) باب قول النبي ﷺ: ((اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن

٣- **وليس من موانع التكفير** في سبب معين من أسباب الكفر كون من سيكفرون به كثر، فدين الله لا يحابي أحداً، وقد قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾.

وفي الحديث الذي يرويه أبو داود وابن ماجه عن ثوبان مرفوعاً: ((... ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان)) وأخرج الحاكم وصححه عن أبي هريرة قال: تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً﴾، قال: ((ليخرجن منه أفواجاً كما دخلوا فيه أفواجاً)) ويروى موقوفا على أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -كما مر- أن أتباع مسيلمة الكذاب نحو مائة ألف أو أكثر.

٤ - **وليس من موانع التكفير** الخوف مما يهدد به بعضهم من قطع راتب أو الطرد من الوظيفة أو مصادرة بعض حظوظ دنياهم أو منعهم من بعض قشورها، فهذا ليس بمانع من موانع التكفير ولا يعذر به من دفعه ذلك إلى الكفر برب العالمين، وتول المشركين

مسيئهم)) وذكر فيه أحاديث منها حديث أنس في وصية رسول الله ﷺ بالأنصار وفيه قوله: ((أوصيكم بالأنصار...)) إلى قوله: ((فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم)).

فأنصار الدين الذين هم من أهل الطائفة القائمة بدين الله الذين يفنون أعمارهم ويبذلون مهجهم في نصرة دين الله وتوحيده لهم نصيب من هذه الوصية النبوية في كل زمان.

فلتحفظ وصيته ﷺ فيهم، وحذار من تسليط السفهاء وتطاول الرعاع عليهم، فإن في ذلك إقرار أعين أعداء الله وأعداء هذه الدعوة المباركة، ولا يقدم على مثل هذا عاقل أو فقيه. (انظر الرسالة الثلاثينية لأبي محمد المقدسي فك الله أسره).

ومظاهرتهم على المسلمين، ونصرة قوانين المشركين، بل هو من تزيين الشياطين وإمدادهم لأوليائهم بالغي، وأزّهم إلى الكفر أزًّا، إذ التخويف بمثل هذه الأمور ليس من الإكراه في شيء وقد قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ۝ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ... الآيات﴾ [المائدة:٥١ – ٥٤].

ففي هذه الآيات بيان ردة من دفعتهم الخشية المجردة إلى تولي الكفار، والتصريح بأنهم قد حبطت أعمالهم، وهذا لا يكون إلا بالكفر.. فلم يعذر الله في اقتراف الكفر (كتولي المشركين أو قوانينهم)، بالخشية المجردة، ولم يجعل ذلك مانعاً من موانع التكفير، ولم يجعله من الإكراه كما يظن كثير من الجهَّال.

يقول الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله – حين ذكر أحوال الناس المظهرين لموافقة الكفار فذكر فيهم من يوافقهم في الظاهر مع دعوى مخالفته لهم في الباطن وهو ليس في سلطانهم –، قال [١]: (وإنما حمله على ذلك إما طمع في رئاسة أو مال أو مشحّة بوطن أو عيال أو خوف مما يحدث في المال، فإنه في هذه الحالة يكون مرتداً ولا ينفعه كراهته لهم في الباطن، وهو ممن قال الله فيهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، وأخبر انه لم يحملهم على الكفر الجهل، ولا بغض (الحق)، أو محبة الباطل، وإنما هو أن لهم حظاً من حظوظ الدنيا آثروه على الدين...).

---

[١] سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك (٦٢).

قال: (وهذا معنى كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وأما ما يعتقده كثير من الناس عذراً فإنه من تزيين الشيطان وتسويله، فذلك أن بعضهم إذا خوفهم أولياء الشيطان خوفاً لا حقيقة له، ظن انه يجوز له إظهار الموافقة للمشركين والانقياد لهم). أهـ.

ثم ذكر كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية في صفة الإكراه على كلمة الكفر، وأنه لا يكون إلا بالضرب والتعذيب والقتل، لا بمجرد الكلام ولا بالتخويف بالحيلولة دونه ودون زوجته أو ماله أو أهله.

وقد نقل السيوطي عن القاضي عياض قال [١]: (سئل أبو محمد القيرواني الكيزاني من علماء المالكية عمن أكرهه بنو عبيد – يعني حكام مصر – على الدخول في دعوتهم، أو يقتل؟

قال: يختار القتل، ولا يعذر أحد في هذا الأمر، كان أول دخولهم قبل أن يعرف أمرهم، وأما بعد فقد وجب الفرار فلا يعذر أحد بالخوف بعد إقامته، لأن المقام في موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع لا يجوز، وإنما أقام من أقام من الفقهاء على المباينة لهم، لئلا تخلو للمسلمين حدودهم، فيفتنوهم عن دينهم) أهـ.

ويصدق هذا ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء:٩٧]. فإنها نزلت في أناس كانوا قد أسلموا ولكنهم قصروا في الهجرة، فبقوا في مكة بين المرتدين مشحّة أن يتركوا المساكن والأزواج والأموال والأوطان، فلما كان يوم بدر، أخرجهم المشركون في صفوفهم، فكان المسلمون إذا رموا بسهم وقع في بعضهم، فقالوا: قتلنا إخواننا، فأنزل الله تعالى هذه الآيات من سورة النساء.

---

[١] مقدمة تاريخ الخلفاء (١٣).

فلم يعذرهم تعالى بدعواهم الإستضعاف وإخراج المشركين لهم في الصف كرهاً، لأنهم قصروا أول مرة في الهجرة والخروج من بينهم حين كانوا في سعة حال القدرة عليه، وإنما عذركما في الآية التي بعدها المستضعفين حقاً الذين لا يتمكنون من الهجرة ولا يستطيعونها إما لحبسهم وقيدهم وإستضعافهم الحقيقي، أو لأنهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيل الهجرة، كالنساء والولدان ونحوهم.

فدل هذا كله على أن المكثر لسواد الكفار والمشركين المظهر موافقتهم ونصرتهم على المسلمين لا يعذر بمجرد دعواه الخوف على الأموال والمشحة (بالتقاعد) والمساكن ونحوها من متاع الدنيا وقشورها.

فكيف بمن أظهر نصرة الشرك نفسه وحمى وحرس قوانين الكفر وخرج مختاراً لنصرتها ونصرة أهلها على الموحدين؟! ثم تعذر بأمثال تلك الأعذار.. لا شك أن هؤلاء أولى بذلك وأولى.

٥ - **ولذلك فليس من موانع التكفير** أيضاً كون المرتدين وأنصارهم يتعذرون بالاستضعاف وأنهم لا حيلة لهم مع حكامهم، فالاستضعاف لو كان موجوداً معتبراً في حقهم فإنه لا يسوغ لهم نصرة الشرك والكفر أو نصرة أهله على المسلمين، إذ لا أحد يجبرهم على ذلك، ولا على تولي الوظائف التي فيها جنس ذلك، بل هم يستميتون في الحصول عليها، ويلتمسون الشفاعات والوساطات لنيلها والوصول إليها.

وأعجب من ذلك ما سمعته من بعض من طمس الله على بصائرهم وأعماهم عن نور الوحي، يعتذرون للحكام المعطلين لشرع الله المشرعين لقوانين الكفر المحكمين لها والممتنعين بها، بأنهم مستضعفون عند أمريكا ولا يستطيعون تحكيم الشرع بسبب ذلك! وكنت أسألهم: فمن ذا الذي يجبرهم على البقاء في الحكم والتشبث بكرسيه بالنواجذ وأصابع الأيدي والأرجل، كيف وقد وصل أكثرهم إلى هذه الكراسي على ظهور الدبابات الأمريكية، وبكل

ما يقدرون عليه من وسائل القتل والغدر والخسة، فمنهم من قتل والده، ومنه من نفاه، ومنهم من أباد قرى ومدن كاملة من أجل ذلك! ثم يقول أولئك العميان أنهم مستضعفون لأمريكا.. بل فليسموا الأشياء بأسمائها الحقيقية وليقولوا: هم أذنابها وإخوانها وأحبابها.

وعلى كل حال، فالمستضعف – عموماً – لا يحل له اقتراف قول أو فعل مكفر، وإنما يرخص له فقط في مداراة الكفار والتقية، وهي ترك الإنكار عليهم باليد واللسان، مع بقاء كراهيتهم وإنكار باطلهم في القلب، وترك إظهار عداوتهم مع بقاء أصلها بالقلب، دون أن يتابعهم على كفر أو يرضى به، كما في الحديث: ((إلا من رضي وتابع)).

فالله لم يعذر المتابعين للكفار على كفرهم وشركهم بحجة الاستضعاف، كما هو بين واضح في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ النَّارِ ۝ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ [غافر:٤٧ – ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَامُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ:٣١ – ٣٣] ونحوها من الآيات.

فتأمل تخاصمهم بعد فوات الأوان وإسرارهم الندامة لما رأوا العذاب، وقولهم لساداتهم الذين قادوهم إلى الهلاك: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَامُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً...﴾.

فالاستضعاف ليس عذراً في مثل هذا، وإنما يعذر المستضعف باستضعافه، في ارتكاب بعض المحرمات؛ أو التقصير في بعض الواجبات، كترك الهجرة إلى المسلمين والتقصير في نصرتهم ونحو ذلك مما يعجز عنه في استضعافه، ما لم يرتكب مكفراً صريحا باختياره إذ الاستضعاف شيء غير الإكراه الذي تقدمت صورته والذي يمنع من تكفير من ارتكب شيئا من أسباب الكفر الظاهرة، وقلبه مطمئن بالإيمان.

ولذلك وصف الله المستضعفين من المؤمنين بأنهم يسعون جاهدين ويدعون الله مخلصين أن يخرجهم من بين الكفار، ولا يطمئنون لواقع الاستضعاف، أو يتخذونه ذريعة وعذراً لبيع الدين بالدنيا – كما هو حال من يتعذر به اليوم من المفتونين –، فقال تعالى: ﴿... وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً﴾ [النساء:٧٥].

٦ – **وليس من موانع التكفير** كون المرتدين وأنصارهم أو غيرهم من الكفار يعتقدون أنهم مؤمنون أو أنهم على حق فيما يرتكبونه من المكفرات، فقد وصف الله تعالى كثيراً من الكفار بذلك، ولم يجعل ذلك مانعاً من تكفيرهم، فقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ [الكهف:١٠٣ – ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:٣٠].

وهكذا شأن أكثر الكفار في كل زمان، ففرعون طاغوت مصر كان يقول لقومه: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩]، وقال تعالى عن غيره: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١]. وهكذا الكفار في كل زمان، وحتى اليهود والنصارى يعتقدون أنهم مهتدون وأنهم هم المؤمنون وأصحاب الجنة الفائزون، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة:١٨]، وقال سبحانه:

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة:١١١] وهكذا سائر الكفار.. ومعلوم أن ذلك ليس بنافعهم عند الله ولا وهو بمانع من تكفيرهم في الدنيا.

وعلى كل حال، فتقييد التكفير بالاعتقاد هو مذهب غلاة المرجئة الذين يرون الإيمان اعتقاد القلب وحده فقط ومن ثم فلا يكون الكفر في مذهبهم إلا بالاعتقاد، أضف إلى هذا أن الاعتقاد أمر مغيب في القلب غير ظاهر ولا يمكن ضبطه ما دام كذلك، ولذلك لم يعتبره الشارع كمانع من موانع التكفير في أحكام الدنيا إذ من المقرر أن تعريف المانع هو: (أنه وصف وجودي ظاهر منضبط يمنع ثبوت الحكم) فما لم يكن كذلك، فليس بمانع من موانع التكفير ولا دخل لنا به في أحكام الدنيا.

٧ - **وليس من موانع التكفير** كون من كفر بسبب من أسباب الكفر أو ناقض من نواقض الإسلام يلتزم بعض شرائع الإسلام كالصلاة أو الإقرار بالشهادتين أو نحوهما، فهذا لا يمنع من تكفيره لأنه لم يكفر من جهة الامتناع عن شيء من الشرائع المذكورة، وإنما كفر بسبب آخر غير ذلك.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه أن للمشركين أعمالاً، وأن بعضهم عنده من شعب الإيمان أشياء لم تنفِ عنه الشرك كما قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦].

وبين في موضع آخر أن الشرك محبط لجميع تلك الأعمال، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

ومعلوم أن الإنسان يدخل الإسلام بالإقرار بالشهادتين ثم لا يستمر إسلامه ولا تدوم عصمته إلا بالمحافظة على مجموع شعب هي أصل الإيمان، بينما يحبط ذلك كله بسبب واحد من أسباب الكفر.

ومن الأدلة الواضحة على أن هذا الأمر ليس من الأعذار المقبولة عند الله تعالى ولا هو من موانع التكفير: قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥ - ٦٦].

فإنها نزلت في شأن أناس كانوا من المصلين المقرين بالشهادتين قد خرجوا مع النبي ﷺ مجاهدين في غزوة هي من أشهر وأعسر غزوات المسلمين، ثم لما قالوا ما قالوا من أسباب الكفر وهو الاستهزاء بالنبي وأصحابه من حملة القرآن؛ كفرهم الله بهذا السبب، ولم يمنع من تكفيرهم إقراراهم بالشهادتين ولا الصلاة ولا الجهاد ولا غيره من شعب الإيمان التي كانت عندهم.

وعلى هذا؛ فلو نطق المرتد الذي كفر بسبب نصرته للشرك والمشركين للشهادتين حال قتاله، لم يعصم ذلك دمه ولم يمنع من قتله، لأنه لم يكفر بالامتناع عن الإقرار بها كي يقاتل عليها، وحتى يكون حكمه حكم من قتله أسامة بن زيد لما قالها، بل هو يقولها ويقر بها ليل نهار، وربما كان من المصلين، فليس هذا سبب كفره الذي قوتل عليه، وإنما سبب كفره الذي قوتل عليه هو تولي ونصرة القوانين وأهلها على الموحدين، فلا يصير مسلماً حتى ينخلع ويبرأ من هذا السبب ويتوب منه، فبذلك يرجع إلى الإسلام، إذ هذا هو الباب الذي خرج منه، فمنه يرجع ما دام مقراً بسائر الأبواب.

وهذا أمر واضح معلوم من سيرة الصحابة مع المرتدين بعد وفاة النبي ﷺ، فإنهم كانوا أصنافاً: قوم ارتدوا عن الدين بالكلية، وقوم ارتدوا عن بعضه، فقالوا: نصلي ولا نزكي، وقوم ارتدوا عن إخلاص الدين الذي جاء به محمد ﷺ، فآمنوا مع محمد بقوم من النبيين الكذابين كمسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي وغيرهما.. فجاهدهم الصديق رضي الله عنه وسار فيهم سيرته في المرتدين، فمن كان منهم يصلي ويقر بالشهادتين وارتد بمنع الزكاة قاتله حتى أداها، ومن كانت ردته بالإيمان بمسيلمة، قاتله على البراءة من مسيلمة والكفر بنبوته.. وهكذا.

ولما أشكل ذلك بادي الرأي على الفاروق وسأله: (كيف تقاتل الناس وقد قال النبي ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله... الحديث)) قال له أبو بكر: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة...)، فهذا يوضح أن ممن قاتلهم أبو بكر في حروب الردة من كان يصلي ويشهد الشهادتين، وإنما ارتد من أبواب أخرى فقوتل عليها.

٨ - **وليس من موانع التكفير** كون من ارتكب سبباً من أسباب الكفر الواضح المستبين مضللاً بتلبيس الأحبار والرهبان أو السادة والحكام أو غيرهم، فمانع الجهل يعتبر في الأمور الخفية والمشكلة التي تحتاج إلى تعريف وبيان، فلا بد قبل التكفير فيها من إقامة الحجة، لكن هذا لا يجب في أمور هي أظهر من الشمس في رابعة النهار، كهدم أصل التوحيد أو مقارفة ما يناقضه من الكفر البواح والشرك الصراح الذي لا يخفى على صبيان المسلمين، بل إن اليهود والنصارى يعرفون أنه مناقض لما جاء به محمد ﷺ.

وحديث عدي بن حاتم واضح وصريح في عدم إعذار اليهود والنصارى بإضلال أحبارهم ورهبانهم لهم في صرف التشريع الذي هو عبادة إلى غير الله تعالى، مع أنهم لم يكونوا يعرفون أن الطاعة في ذلك عبادة - كما صرح بذلك عدي -، وكفر اليهود والنصارى أكثره كفر تقليد ولذلك قال تعالى فيهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ.... الآيات﴾.

عقد الإمام محمد بن عبد الوهاب لذلك باباً مستقلا في كتاب التوحيد فقال رحمه الله تعالى: (باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله. وقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: لكم قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟ وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك! لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك).

وعن عدي بن حاتم: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة٣١]، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. قال: ((أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟)) فقلت: بلى. قال: ((تلك عبادتهم)). [رواه أحمد والترمذي وحسنه].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [١]: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكون على وجهين، أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله، فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل؛ فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركا، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركا مثل هؤلاء.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحليل الحلال وتحريم الحرام ثابتا لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب كما ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: ((إنما الطاعة في المعروف))، وقال: ((على المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية))).

وقال أيضاً [٢]: (وقد قال عدى بن حاتم للنبي ﷺ: "ما عبدوهم". قال: ((أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم، فكانت تلك عبادتهم إياهم)). قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَاذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى:٢١]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ۝ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً ۝ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ [الفرقان:٢٧ - ٢٩] فالرسول وجبت طاعته لأنه من يطع الرسول فقد أطاع الله، فالحلال ما حلله،

---

[١] مجموع الفتاوى (٧/ ٧٠).

[٢] مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧).

والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، ومن سوى الرسول من العلماء والمشايخ والأمراء والملوك إنما تجب طاعتهم إذا كانت طاعتهم طاعة الله، وهم إذا أمر الله ورسوله بطاعتهم فطاعتهم داخلة في طاعة الرسول، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء:٥٩]. فلم يقل: وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولي الأمر منكم، بل جعل طاعة أولي الأمر داخلة في طاعة الرسول، وطاعة الرسول طاعة لله، وأعاد الفعل في طاعة الرسول دون طاعة أولى الأمر؛ فإنه من يطع الرسول فقد أطاع الله).

وقال أيضاً [١]: (وفي حديث عدي بن حاتم – وهو حديث حسن طويل رواه أحمد والترمذي وغيرهما – وكان قد قدم على النبي ﷺ وهو نصراني، فسمعه يقرأ هذه الآية، قال: "فقلت له: إنا لسنا نعبدهم". قال: ((أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟)) قال: "فقلت: "بلى". قال: ((فتلك عبادتهم)). وكذلك قال أبو البختري: "أما إنهم لم يصلوا لهم، ولو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم، ولكن أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه، وحرامه حلاله، فأطاعوهم، فكانت تلك الربوبية"، وقال الربيع بن أنس: "قلت لأبي العالية: كيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل؟ قال: كانت الربوبية أنهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به ونهوا عنه، فقالوا: لن نسبق أحبارنا بشيء فما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقولهم. فاستنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم"، فقد بين النبي أن عبادتهم إياهم كانت في تحليل الحرام وتحريم الحلال، لا أنهم صلوا لهم وصاموا لهم ودعوهم من دون الله، فهذه عبادة للرجال، وتلك عبادة للأموال، وقد بينها النبي وقد ذكر الله أن ذلك شرك بقوله: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾).

وقال أيضاً [٢]: (والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه، أو حرم الحلال المجمع عليه، أو بدل الشرع المجمع عليه؛ كان كافرا مرتدا باتفاق الفقهاء).

---

[١] مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٦٦).

[٢] مجموع الفتاوى (٣/ ٢٦٧).

وقال أيضاً رحمه الله [١]: (وكل ما نُهي عنه فهو زيغ وانحراف عن الإستقامة ووضع للشيء في غير موضعه، فهو ظلم، ولهذا جمع بينهما سبحانه في قوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ فهذه الآية في سورة الأعراف المشتملة على أصول الدين والإعتصام بالكتاب وذم الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وتحريم الطيبات، أو خالفوا ما شرعه الله من أمور دينهم كإبليس ومخالفي الرسل من قوم نوح إلى قوم فرعون، والذين بدلوا الكتاب من أهل الكتاب، فاشتملت السورة على ذم من أتى بدين باطل ككفار العرب، ومن خالف الدين الحق كله كالكفار بالأنبياء، أو بعضه ككفار أهل الكتاب، وقد جمع سبحانه في هذه السورة وفي الأنعام وفي غيرهما ذنوب المشركين في نوعين، أحدهما: أمر بما لم يأمر به كالشرك، ونهي عما لم ينهَ الله عنه كتحريم الطيبات، فالأول شرع من الدين ما لم يأذن به الله، والثاني تحريم لما لم يحرمه الله.

وكذلك في الحديث الصحيح حديث عياض بن حمار، عن النبي عن الله تعالى: ((إني خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين، فحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا)).

ولهذا كان ابتداع العبادات الباطلة من الشرك ونحوه هو الغالب على النصارى ومن ضاهاهم من منحرفة المتعبدة والمتصوفة، وابتداع التحريمات الباطلة هو الغالب على اليهود ومن ضاهاهم من منحرفة المتفقهة، بل أصل دين اليهود فيه آصار وأغلال من التحريمات ولهذا قال لهم المسيح: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾.

كما أن الشرك بالله ظلم عظيم، فإن الإشراك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل، دع جليله وهو شرك في العبادة والتأله وشرك في الطاعة والانقياد وشرك في الإيمان والقبول،

---

[١] مجموع الفتاوى (١/ ٩٧- ٩٨).

فالغالية من النصارى والرافضة وضلال الصوفية والفقراء والعامة يشركون بدعاء غير الله تارة، وبنوع من عبادته أخرى، وبهما جميعا تارة، ومن أشرك هذا الشرك؛ أشرك في الطاعة..

كثير من المتفقهة وأجناد الملوك وأتباع القضاة والعامة المتبعة لهؤلاء يشركون شرك الطاعة، وقد قال النبي ﷺ لعدي بن حاتم لما قرأ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ فقال: "يا رسول الله، ما عبدوهم!" فقال "ما عبدوهم، ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم"، فتجد أحد المنحرفين يجعل الواجب ما أوجبه متبوعه، والحرام ما حرمه، والحلال ما حلله، والدين ما شرعه، إما دينا، وإما دنيا، وإما دنيا ودينا).

وكذلك كفر أكثر الكفار، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة:١٠٤].

وفي الحديث الذي يرويه البخاري في صحيحه يقول النبي ﷺ في عذاب القبر: ((وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه... الحديث)).

هذا وقد بين الله في كتابه أن الضعفاء والمقلدين يتبرؤون يوم القيامة من ساداتهم الذين كانوا سببا في إضلالهم، وأن ذلك ليس بعذر لهم ينجيهم، ولا هو بمانع من موانع التكفير، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ [إبراهيم:٢١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً ۝ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً ۝ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا ۝ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا ۝ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾ [الأحزاب:٦٤ – ٦٨]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

هذا وقد ذكر العلامة ابن القيم في كتابه (طريق الهجرتين) في سياق ذكره لمراتب المكلفين "الطبقة السابعة عشر" وهم: (طبقة المقلدين وجهال الكفرة وأتباعهم وحميرهم الذين معهم تبعا لهم يقولون: إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على أسوة بهم...).

قال: (وقد اتفقت الأمة على أن هذه الطبقة كفار وإن كانوا جهالا مقلدين لرؤسائهم وأئمتهم، إلا ما يحكى عن بعض أهل البدع أنه لم يحكم لهؤلاء بالنار، وجعلهم بمنزلة من لم تبلغه الدعوة، وهذا مذهب لم يقل به أحد من أئمة المسلمين لا الصحابة ولا التابعين ولا من بعدهم، وإنما يعرف عن بعض أهل الكلام المحدث في الإسلام، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: ((إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة)) [أخرجه مسلم في كتاب الإيمان حديث (١٧٨)]، وهذا المقلد ليس بمسلم، وهو عاقل مكلف، والعاقل المكلف، لا يخرج عن الإسلام أو الكفر...)

إلى قوله: (والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، والإيمان بالله وبرسوله واتباعه فيما جاء به، فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم، وإن لم يكن كافرا معاندا فهو كافر جاهل. فغاية هذه الطبقة أنهم كفار جهال غير معاندين وعدم عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفارا...).

ثم ساق الآيات التي تذكر عذاب المقلدين المتابعين غيرهم على الكفر، وأن التابع والمتبوع في النار جميعا، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ النَّارِ ۝ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ [غافر:٤٧ – ٤٨].

ثم قال: (فهذا إخبار من الله وتحذير بأن المتبوعين والتابعين، اشتركوا في العذاب ولم يغن عنهم تقليدهم شيئا، وأصرح من هذا قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا﴾ [البقرة:١٦٦ – ١٦٧]) أهـ.

٩ - وليس من موانع التكفير باتفاق أهل العلم؛ قول الكفر على سبيل الهزل واللعب واللهو والمزاح، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ﴾ [التوبة:٦٥ - ٦٦]. فلم يعذرهم الله تعالى بهذا العذر، مع أنهم كانوا خارجين في غزوة العسرة للقتال مع النبي ﷺ، وقالوا تلك الكلمات على سبيل الهزل وشغل الوقت في السفر، "حديث الركب نقطع به الطريق" كما جاء في أسباب النزول.

يقول أبو بكر ابن العربي رحمه الله [١]: (الهزل بالكفر كفر، لا خلاف فيه بين الأمة، فإن التحقيق أخو العلم والحق، والهزل أخو الجهل والباطل) أهـ.

ويقول ابن الجوزي رحمه الله [٢]: (الجد واللعب في إظهار كلمة الكفر سواء) أهـ.

ويقول النووي رحمه الله [٣]: (والأفعال الموجبة للكفر، هي التي تصدر عن عمد واستهزاء بالدين صريح) أهـ.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عند قوله تعالى: ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [٤]: (لم يقل الله تعالى قد كذبتم في قولكم ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ فلم يكذبهم في هذا العذر كما كذبهم في سائر ما أظهروه من العذر الذي يوجب براءتهم من الكفر لو كانوا صادقين، بل بين أنهم كفروا بعد إيمانهم بهذا الخوض واللعب) أهـ.

---

[١] أحكام القرآن (٢/٩٦٤)، وانظر القرطبي (٨/ ١٩٧).

[٢] زاد المسير (٣/ ٤٦٥).

[٣] روضة الطالبين (١٠/ ٦٤).

[٤] الصارم المسلول (٥١٧).

أي أنه كفرهم سبحانه وتعالى رغم عذرهم المذكور الذي أدلوا به، ولم يكذبهم بوجوده سبحانه، بل أنكر اعتباره، فدل على عدم اعتبار هذا العذر من موانع التكفير.

وقال ابن القيم في إعلام الموقعين بعد كلام له تقدم في اشتراط القصد لصحة الأحكام، قال بعد أن ذكر خبر الذي قال لما وجد راحلته، بعد أن أضلها: ((اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح)) [١]: (ولم يكفر بذلك وإن أتى بصريح الكفر، لكونه لم يرده، والمكره على كلمة الكفر أتى بصريح كلمته ولم يكفر لعدم ارادته، بخلاف المستهزئ والهازل، فإنه يلزمه الطلاق والكفر، وإن كان هازلاً لأنه قاصد للتكلم باللفظ، وهزله لا يكون عذراً له بخلاف المكره والمخطئ والناسي فإنه معذور مأمور بما يقوله أو مأذون له فيه، والهازل غير مأذون له في الهزل بكلمة الكفر والعقود، فهو متكلم باللفظ مريد له، ولم يصرفه عن معناه إكراه ولا خطأ ولا نسيان ولا جهل، والهزل لم يجعله الله ورسوله عذراً صارفاً، بل صاحبه أحق بالعقوبة، ألا ترى أن الله تعالى عذر المكره في تكلمه بكلمة الكفر إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان، ولم يعذر الهازل بل قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُم﴾ أهـ.

ويقول ابن نجيم الحنفي رحمه الله [٢]: (إن من تكلم بكلمة الكفر هازلاً، أو لاعباً كفر عند الكل، ولا اعتبار باعتقاده) أهـ.

١٠ - وليس من موانع التكفير المعتبرة؛ كون المكفِرين لا يقدرون على ترتيب آثار الكفر على من كفروه، كإقامة حد الردة أو تغير الحاكم الكافر ونحوه، فهذه شبه يطنطن بها مرجئة العصر، كما طنطن بها بعض كبار مرجئة العصر، وقد تعلق بذلك وقلدهم به

---

[١] إعلام الموقعين (٣/٧٦).

[٢] البحر الرايق شرح كنز الدقائق (٥/١٣٤).

سفهاؤهم وجهالهم، وهي من سفسطتهم وجدالهم بالباطل، إذ لو التزموا ذلك لأبطلوا به جميع الأحكام الشرعية:

– إذ يلزمهم ما دمنا عاجزين عن إقامة حد الزنا، على من ثبت عليه الزنا بالبينة أو الاعتراف أو نحوه أنه ليس بزانٍ، وليبحث له عن أخرى!

– وما دمنا عاجزين عن إقامة حد القتل على القاتل فإنه ليس بقاتل، ومن ثم فلا دية عليه ولا كفارة ولا توبة!

– وما دمنا عاجزين عن إقامة حد القطع على السارق فلا يحل لنا أن نسميه سارقاً، إذ ما الفائدة من ذلك –كما يقولون –؟! فلنسمه إذن أميناً ولنسلطه على أموال الناس!

– وما دمنا غير قادرين على تغيير المنكرات الظاهرة، فلا يحل لنا أن نعرّف بها أو نحذر منها أو نسميها منكراً، وما لم تكن منكراً فهي حتماً معروف... وهكذا.

وفي هذا من الباطل ما يلزم منه فتح أبواب الفساد والإلحاد، وتسويغه وتهوينه على العباد.

والحق والصواب في هذا هو ما أمرنا الله تعالى به في محكم كتابه بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، وقال تعالى عن شعيب: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ...﴾. ومنه وضع الفقهاء قاعدتهم الفقهية المعروفة في أن (الميسور لا يسقط بالمعسور).

فإذا عجز المسلمون في وقت من الأوقات عن الخروج على الحاكم الكافر وتغييره، فلا يعني هذا أن يتركوا تكفيره، بل هذا حكم شرعي يستطيعونه فيجب عليهم أن يتقوا الله فيه، وفي غيره مما هو من آثار تكفير الحكام ويستطيعونه، فيجتنبوا نصرته وتوليه والتحاكم إلى أحكامه الكفرية، ولا يولونه أمر دينهم، ولا يجعلون له عليهم سبيلا ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، ولا يدخلوا في بيعته أو يقاتلوا تحت رايته، أو يعينوه على باطله أو يظاهروه على مسلم... إلى غير ذلك مما يملكون فعله ويقدرون عليه.

وأيضاً فإن معرفة كفر الحاكم، مدعاة إلى العمل الجاد والإعداد الذي يمكن في يوم من الأيام من تغييره، بخلاف من كان الحاكم عنده مسلماً، فإنه لن يرفع بذلك رأساً، ولن يفكر يوماً ما بالإعداد الجاد لتغييره -كما هو واقع مرجئة العصر في هذا الزمان-، فاختلاف الحكم على الحاكم عند كل فريق هو الفرقان والميزان الذي يزن سلوك كل فريق ويميز توجهه وصبغته، ما بين موحد كافر بالطاغوت معادٍ له، أو مجتنب على أقل الأحوال، وما بين مبايع له مناصر، أو مجادل عن باطله مهون من كفرياته.

وواقعنا وواقع خصوم هذه الدعوة أكبر شاهد على هذا، فليتدبر المنصف أحوال الموحدين وسلوكهم ودعوتهم ومنهاجهم في واقع اليوم، ثم لينظر في واقع الخوالف الذين ناموا في أحضان الطواغيت ورضعوا من ألبانهم، وسلطوا ألسنتهم وأقلامهم على كل من خرج عليهم أو نازعهم، بلسانه أو سنانه.

١١ - **وليس من موانع التكفير** المعتبرة؛ سوء تربية المقترف للكفر -كما زعمه بعض من يقتدي بهم ويشار إليه بالبنان في موانع تكفير ساب الرب أو الدين أو الرسول، فإن أكثر الكفار والمشركين قد كفروا ونشأوا في الشرك لسوء التربية والتنشئة كما اخبر بذلك الصادق المصدوق فقال ﷺ: ((يولد المولود على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو يشركانه)) [رواه مسلم وغيره]. فلم يمنع ذلك من تكفيرهم.

١٢ - **وليس من موانع التكفير** أيضاً، اقتراف شيء من أسباب الكفر الظاهرة الصريحة، بحجة الاستحسان أو الاستصلاح أو ما يسمونه بمصلحة الدعوة! فليس ثم مصلحة معتبرة في الشرك أو الكفر، لأنه أعظم ذنب عصى الله به في الوجود، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وقد سئل النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم؛ أي الذنب أعظم؟ فقال: ((أن تجعل لله ندا وهو خلقك)). فهو أعظم المفاسد في الوجود على الإطلاق، ولذلك كان محبطا لسائر الأعمال قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وكل مصلحة مزعومة أو مدعاة في الشرك أو الكفر فهي مصلحة باطلة ملغاة شرعا، لم يجعل الشارع لها اعتبارا.

نعم قد يكون في الشرك مصالح دنيوية وشهوانية لبعض الناس، يغطونها بمصلحة الدين، والدين منها براء..

فالله قد بعث كافة رسله وأنزل جميع كتبه – كما هو معلوم – لإبطال الشرك وهدم الكفر، ومن ثم إخلاص العبادة لله وحده، وهو سبحانه طيب لا يقبل إلا طيبا، والمقاصد الشرعية المطهرة، لا يجوز شرعا أن يتوصل إلى تحقيقها إلا بوسائل شرعية مطهرة صحيحة، تماما كما لا تزال النجاسة ويتطهر منها بنجاسة أخرى، وكما لا يستنجى من البول بالبول، فلسنا ميكافيليين [١] تبرر الغاية عندنا الوسيلة حتى نختار ما نشتهي من وسائل، بل قد سد الله جميع الطرق، ولم يبق لنا إلا طريقا واحدا موصلا إليه وإلى جنته ومرضاته ونصرة دينه وتحقيق سعادة الدارين؛ ألا وهو الطريق الشرعي التي بعث بها رسوله ﷺ، وهذا من أهم معاني شهادة أن محمدا رسول الله.

وقد بين الله ضلال سعي من يستصلحون الكفر، وخسارة من يستحسنون صنعته، فقال: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾ [الكهف:١٠٣ - ١٠٥].

ورحم الله السلف الذين كانوا يسمون مثل هذه الاستصلاحات التي يلصقها أهلها بالدين: "خديعة إبليس"، يطلقون ذلك على من داهن الأمراء وتقرب إليهم في أزمنة الخلافة والفتوحات.

---

[١] نسبة إلى نقولا ميكافيلي صاحب كتاب الأمير الذي أودع فيه خلاصة تجاربهبين الأمراء ودون فيه نصائحه التي تضمن لهم حفظ عروشهم، وأشهرها (الغاية تبرر الوسيلة).

كما قال سفيان الثوري رحمه الله لبعض من يناصحه: (إياك والأمراء أن تدنو منهم أو تخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك ويقال لك لتشفع عن مظلوم أو ترد مظلمه، فإن ذلك خديعة إبليس، وإنما اتخذها فجار القراء سلما...) أهـ [١]

فتأمل إبطاله استصلاح واستحسان بعض الفقهاء الدخول على الأمراء والدنو منهم بحجة تخفيف الظلم ودرء الفساد! ويسمي ذلك "خديعة إبليس"، وفي أي وقت يقول ذلك؟ في أوائل خلافة بني العباس – قبل المعتصم وقبل المأمون ونحوهم ممن أظهروا بدعهم وامتحنوا الناس – وكانت عزة الخلافة وهيبتها قائمة، وفتوحات المسلمين وجحافلهم تدك حصون الكفر شرقاً وغرباً..

فكيف به رحمه الله لو رأى خوالف زماننا الذين لم يتقربوا إلى الطواغيت والمرتدين وحسب، بل دخلوا في دينهم وأقسموا على احترام دساتيرهم الشركية وشاركوا في تشريع قوانينهم الكفرية وصاروا لهم جندا محضرين وأنصارا مخلصين؟! ثم لا يستحيون من أن يلصقوا ذلك الكفر البواح والشرك الصراح كله بالدين، فيقولون: "هي مصلحة الدعوة ونصرة الدين"! بل هي مصلحة القروش والكروش..

ورحم الله سفيان إذ يقول: (إني لألقى الرجل أبغضه، فيقول لي: كيف أصبحت؟ فيلين له قلبي، فكيف بمن أكل ثريدهم، ووطيء بساطهم؟) أهـ [٢].

---

[١] انظر رسالة (القول النفيس في التحذير من خديعة إبليس) لأبي محمد المقدسي فك الله أسره.

[٢] تذكرة الموضوعات (٢٥).

أقوال بعض العلماء

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن عسكر التتار وحكم جهادهم فأجاب[١]:

(فهؤلاء القوم المسؤول عنهم عسكرهم مشتمل على قوم كفار من النصارى والمشركين، وعلى قوم منتسبين إلى الإسلام وهم جمهور العسكر ينطقون بالشهادتين إذا طُلبت منهم، ويعظمون الرسول، وليس فيهم من يُصلي إلا قليل جداً، وصوم رمضان أكثر فيهم من الصلاة، والمسلم عندهم أعظم من غيره، وللصالحين من المسلمين عندهم قدر، وعندهم من الإسلام بعضه، وهم متفاوتون فيه، لكن الذي عليه عامتهم والذي يُقاتلون متضمن لترك كثير من شرائع الإسلام أو أكثرها فإنهم أولاً يوجبون الإسلام ولا يُقاتلون من تركه، بل من قاتل على دولة المغول عظموه وتركوه وإن كان كافراً عدواً لله ورسوله، وكل من خرج عن دولة المغول أو عليها استحلوا قتاله وإن كان من خيار المسلمين.

فلا يُجاهدون الكفار ولا يُلزمون أهل الكتاب بالجزية والصغار، ولا ينهون أحداً من عسكرهم أن يعبد ما شاء من شمس أو قمر أو غير ذلك، بل الظاهر من سيرتهم أن المسلم عندهم بمنزلة العدل أو الرجل الصالح، والكافر عندهم بمنزلة الفاسق في المسلمين!

وكذلك عامتهم لا يحرمون دماء المسلمين وأموالهم إلا أن ينهاهم عنها سلطانهم؛ أي لا يلتزمون تركها، وإذا نهاهم عنها أو عن غيرها أطاعوه لكونه سلطاناً لا بمجرد الدين، وعامتهم لا يلتزمون الواجبات، ولا يلتزمون الحكم بينهم بحكم الله، بل يحكمون بأوضاع لهم توافق الإسلام تارةً وتخالف أخرى!

---

[١] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٣٠).

وقتال هذا الضرب واجب بإجماع المسلمين، وما يشك في ذلك من عرف دين الإسلام وعرف حقيقة أمرهم، فإن هذا السلم الذي هم عليه ودين الإسلام لا يجتمعان أبداً). أ هـ.

وقال أيضاً رحمه الله [١]: (كل من قفز إليهم - يعني إلى التتار - من أمراء العسكر وغير الأمراء فحكمه حكمهم، وفيهم من الردة عن شرائع الإسلام بقدر ما ارتد عنه من شرائع الإسلام، وإذا كان السلف قد سموا مانعي الزكاة مرتدين مع كونهم يصومون ويصلون ولم يكونوا يقاتلون جماعة المسلمين، فكيف بمن صار مع أعداء الله ورسوله قاتلاً للمسلمين؟).

وقال رحمه الله [٢]: (من حالف شخصاً على أن يوالي من والاه ويُعادي من عاداه كان من جنس التتر المجاهدين في سبيل الشيطان، ومثل هذا ليس من المجاهدين في سبيل الله تعالى، ولا من جند المسلمين، ولا يجوز أن يكون هؤلاء من عسكر المسلمين، بل هؤلاء من عسكر الشيطان). أ هـ.

قال أبو محمد المقدسي فك الله أسره [٣]: (تنبيه: إلى أن قاعدة "الأصل في جيوش الطواغيت وأنصارهم الكفر" لا غبار عليها؛ فإن القاعدة عندنا أن الأصل فيهم الكفر حتى يظهر لنا خلاف ذلك، إذ أن هذا التأصيل قائم على النص ودلالة الظاهر لا على مجرد التبعية للدار، فإن الظاهر في جيوش الطواغيت وشرطتهم ومخابراتهم وأمنهم أنهم من أولياء الشرك وأهله المشركين.

---

[١] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٣٠).

[٢] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٠).

[٣] الرسالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير (١٢٧ – ١٣٠).

فهم العين الساهرة على القانون الوضعي الكفري، الذين يحفظونه ويثبتونه وينفذونه بشوكتهم وقوتهم.

وهم أيضا الحماة والأوتاد المثبتين لعروش الطواغيت والذين يمتنع بهم الطواغيت عن التزام شرائع الإسلام وتحكيمها.

وهم شوكته وأنصاره الذين يعينونه وينصرونه على تحكيم شرائع الكفر وإباحة المحرمات من ردة وربا، وخمر وخنا، وغير ذلك.

وهم الذين يدفعون في نحر كل من خرج من عباد الله منكرا كفر الطواغيت وشركهم، ساعيا لتحكيم شرع الله ونصرة دينه المعطل الممتهن.

فهذه حقيقة وظيفتهم ومنصبهم وعملهم؛ يتلخص في سببين من أسباب الكفر صريحين وهما:

- نصرة الشرك، بتولي القانون والتشريع الكفري الطاغوتي [١].

- ونصرة أهله وتوليهم ومظاهرتهم على الموحدين.

والنصوص الدالة على أن هذان سببان من أسباب الكفر البواح ظاهرة متضافرة، وقد فصلناها في غير هذا المقام، وليس مقصودنا هاهنا تفصيل هذا، وإنما التنبيه إلى الأصل المذكور، فقد أصل الله سبحانه وتعالى لنا في أنصار الكفار وأوليائهم عموما، أصلا محكما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، فالأصل في كل من أظهر تولي الكفار ونصرتهم أو قاتل في سبيل

---

[١] وقد نصت قوانينهم نفسها على أن طبيعة وظيفة هذه الأجهزة ومهمتها الرئيسة؛ حفظ القوانين وتنفذيها ومولاة أهلها.

الطاغوت أو كان في عدوته وحدّه وأظهر نصرته باللسان أو السنان؛ أنه من جملة الذين كفروا.. ولذلك كان حال النبي ﷺ وسيرته مع الكفار المحاربين وفي أنصارهم وأوليائهم وأحلافهم الذين ينصرونهم على المسلمين؛ على هذا الأصل.

انظر على سبيل المثال معاملته ﷺ للعباس معاملة الكفار رغم دعواه الإسلام لما أسر في صفوف المشركين يوم بدر، وانظر مثل هذا أيضا ما رواه مسلم في كتاب النذور (١٠٠٨) من المختصر من حديث عمران بن حصين في قصة الرجل من بني عقيل حلفاء ثقيف، لما أسره المسلمون بجريرة حلفائه لما نقضت ثقيف عهدها مع النبي ﷺ، ولم يطلقه النبي ﷺ رغم ادعائه الإسلام بل عامله معاملة الكفار فغنم ناقته وفداه برجلين من المسلمين.

وعليه كانت سيرة أصحابه ﷺ من بعده في كل ذوي منعة وشوكة يخرجون عن شريعة الله تبارك وتعالى، انظر سيرتهم في خلافة أبي بكر في أنصار مسيلمة الكذاب ونحوهم من المرتدين كأنصار طليحة الأسدي، فقد كفروهم جميعا، وساروا فيهم سيرة واحدة ولم يخالف في ذلك أحد من الصحابة، ولذلك أطلق العلماء المحققين القول بإباحة دم ومال المحاربين وأنصارهم وجعلوا حكم الردء فيهم حكم المباشر منهم [١]...

---

[١] انظر المغني (٨/ ٢٩٧) وتأمل تعليله لاستواء الردء بالمباشر في أحكام المحاربة؛ بكون الحرابة مبنية على حصول المنعة والمعاضدة والمناصرة، فلا يتمكن المباشر من فعله إلا بقوة الردء... وقد دلت القواعد الشرعية على أن كل فرد في الممتنعين له حكم الطائفة، وأن الردء له حكم المباشر في القتال قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وإذا كان المحاربون الحرامية جماعة، فالواحد منهم باشر القتل بنفسه، والباقون له أعوان وردء له، فقد قيل: إنه يقتل المباشر فقط، والجمهور على أن الجميع يقتلون ولو كانوا مائة، وأن الردء والمباشر سواء، وهذا هو المأثور عن الخلفاء الراشدين. فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل ربيئة المحاربين. والربيئة هو الناظر الذي يجلس على مكان عال ينظر منه لهم من يجيء، ولأن المباشر إنما يمكن من قتله بقوة الردء ومعونته، والطائفة إذا انتصر بعضها ببعض حتى صاروا ممتنعين فهم مشتركون في الثواب والعقاب كالمجاهدين، فإن النبي ﷺ قال: ((المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم

وهم يد على من سواهم ويرد متسريهم على قاعدتهم)). يعني: أن جيش المسلمين إذا تسرت منه سرية فغنمت مالاً، فإن الجيش يشاركها فيما غنمت لأنها بظهره وقوته تمكنت لكن تنفل عنه نفلاً، فإن النبي ﷺ كان ينفل السرية إذا كانوا في بدايتهم الربع بعد الخمس، وكذلك لو غنم الجيش غنيمة شاركته السرية، لأنها في مصلحة الجيش، كما قسم النبي ﷺ لطلحة والزبير يوم بدر، لأنه كان قد بعثهما في مصلحة الجيش. فأعوان الطائفة الممتنعة وأنصارها منها، فيما لهم وعليهم وهكذا المقتتلون على باطل لا تأويل فيه، مثل المقتتلين على عصبية، ودعوى جاهلية كقيس ويمن ونحوهما، هما ظالمتان. كما قال النبي ﷺ: ((إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قيل: يا رسول الله: هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه أراد قتل صاحبه)) أخرجاه في الصحيحين. وتضمن كل طائفة ما أتلفته الأخرى من نفس ومال، وإن لم يعرف عين القاتل، لأن الطائفة الواحدة المتمنع بعضها ببعض كالشخص الواحد).

قال عبد القادر عبد العزيز وفقه الله: ((تنبيه) على الفرق بين المنفرد والمقدور عليه، فالواحد من جنود المرتدين إذا ابتعد عن معسكره أو مقر عمله فإن هذا لا يُصَيِّره مقدوراً عليه، وإنما يُسمى هذا بالمنفرد وهو الشاذ، كما في حديث الرجل الذي قتل نفسه لما أثخنته الجراح وفيه أنه كان ((لا يدع من المشركين شاذّة ولا فاذّة إلا اتبعها فضربها بسيفه)) (حديث ٤٢٠٧ بالبخاري). والشاذ هو المنفرد عن جماعة، والفاذ هو المنفرد الذي لم يكن في جماعة قبلاً.

فالجندي الذي ابتعد عن معسكره هو منفرد شاذ وهو مع هذا مازال ممتنعاً عن القدرة، لأن طائفته يمكنها نجدته وإغاثته وتتعقب من يتعرض له وتنتصر له بعقاب من تعرَّض له، ومادام ممتنعا فإنه يُحكم عليه بدون تبين الشروط والموانع، أما المقدور عليه فقد سبق بيان أنه من كان في قبضة المسلمين ويمكن للسلطان أو نوابه أن يطلبوه لإقامة الحد أو العقوبة عليه فلا يمتنع منهم. انظر مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣١٧)، والصارم المسلول (٥٠٧). فوجود جنود المرتدين بين المسلمين ومخالطتهم لهم خارج معسكراتهم في بعض الأحيان لا يصيِّرهم مقدوراً عليهم.

وفي المغني (كتاب الجهاد) [١]: (فصل؛ من أسر فادعى أنه كان مسلما، لم يقبل قوله إلا ببينة، لأنه يدعي أمرا الظاهر خلافه...) أهـ. وذكر فيه قصة سهل بن بيضاء في غزوة بدر.

فتأمل كيف جعل الأصل فيمن أظهر الانحياز لجيش الكفار حتى أسر في صفهم: الكفر، بحيث لا تقبل الدعوى بخلافه – كما في قصة أسر العباس أيضا – حتى تقوم بينة تغير هذا الأصل الظاهر.

ولأجل ذلك كان الأصل عندنا في كل من انتسب إلى هذه الأجهزة والوظائف التي حقيقتها: نصرة الشرك وأهله؛ الكفر. فنحكم على كل واحد منهم بالكفر ونجري عليه أحكام الكفر بما أظهروه من أسباب الكفر، ما لم يتبين لنا خلاف ذلك من قيام مانع معتبر من موانع التكفير في حق المنتسب للإسلام منهم فنستثنيه... وقد قدمنا أن تبين الموانع في حق الممتنعين المحاربين، غير واجب لامتناعهم ومحاربتهم، لكن إن ظهر لنا شيء من ذلك في حق بعضهم لم نكفره، وما لم يظهر ذلك فالأصل الظاهر عندنا منهم هو الكفر، وحقيقة أمر باطنهم إلى الله تبارك وتعالى، وليس إلينا، وقد أمرنا بالأخذ بالظاهر، ولم نؤمر أن نشق عن صدور الناس ولا عن بطونهم، ولأن أصل هذه الوظائف وظاهرها ما قد عرفت فنحن نعاملهم ونؤصل لهم على هذا الظاهر حتى يظهر لنا خلافه، بخلاف غير ذلك من الوظائف والأعمال التي ليس أصل طبيعتها وحقيقتها نصرة الشرك أو أهله؛ ولذلك فلا نقول أن الأصل في الأطباء مثلا الكفر، حتى يتبين لنا خلاف ذلك، ولا أن الأصل في المدرسين الكفر، أو أن الأصل في تولي وظائف الدولة الكافرة كلها الكفر... كلا، فهذه الوظائف ليست حقيقة جميعها وطبيعتها نصرة الشرك وأهله، نعم قد يوجد فيمن يتولى هذه الوظائف من هو من أنصار الشرك وأهله ولكن هذا ليس مختصا بحقيقة الوظيفة وماهيتها، كما قد يوجد من هو من أنصار الشرك وأهله من غير الموظفين...

---

[١] المغني (٨/٢٦١).

والخلاصة: أن هذا التأصيل إذا كان في وظيفة أو عمل حقيقته أنه سبب من أسباب الكفر الظاهرة، كنصرة الشرك وأهله، أو التشريع وفقا لنصوص الدستور الكفري، ونحو ذلك من المكفرات الصريحة الظاهرة، فلا حرج فيه عندنا، ومعناه: إجراء حكم الظاهر على أصحاب هذه الوظيفة، وإرجاء ما بطن من الأحكام إلى الله تبارك وتعالى.

وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في (بيان إلى الأمة المصرية خاصة وإلى الأمة العربية والإسلامية عامة) في بيان حكم التعاون مع الإنجليز والفرنسيين أثناء عدوانهم على المسلمين[1]: (أما التعاون مع الإنجليز، بأي نوع من أنواع التعاون، قلّ أو كثر، فهو الردّة الجامحة، والكفر الصّراح، لا يقبل فيه اعتذار، ولا ينفع معه تأول، ولا ينجي من حكمه عصبية حمقاء، ولا سياسة خرقاء، ولا مجاملة هي النفاق، سواء أكان ذلك من أفراد أو حكومات أو زعماء، كلهم في الكفر والردة سواء، إلا من جهل وأخطأ، ثم استدرك أمره فتاب وأخذ سبيل المؤمنين، فأولئك عسى الله أن يتوب عليهم، إن أخلصوا لله، لا للسياسة ولا للناس.

وأظنني قد استطعت الإبانة عن حكم قتال الإنجليز وعن حكم التعاون معهم بأي لون من ألوان التعاون أو المعاملة، حتى يستطيع أن يفقهه كل مسلم يقرأ العربية، من أي طبقات الناس كان، وفي أي بقعة من الأرض يكون.

وأظن أن كل قارئ لا يشك الآن في أنه من البديهي الذي لا يحتاج إلى بيان أو دليل: أن شأن الفرنسيين في هذا المعنى شأن الإنجليز، بالنسبة لكل مسلم على وجه الأرض، فإن عداء الفرنسيين للمسلمين، وعصبيتهم الجامحة في العمل على محو الإسلام، وعلى حرب الإسلام، أضعاف عصبية الإنجليز وعدائهم، بل هم حمقى في العصبية والعداء، وهم يقتلون إخواننا المسلمين في كل بلد إسلامي لهم فيه حكم أو نفوذ، ويرتكبون من الجرائم والفظائع

---

[1] كلمة حق (١٢٦ - ١٣٧).

ما تصغر معه جرائم الإنجليز ووحشيتهم وتتضاءل، فهم والإنجليز في الحكم سواء، دماؤهم وأموالهم حلال في كل مكان، ولا يجوز لمسلم في أي بقعة من بقاع الأرض أن يتعاون معهم بأي نوع من أنواع التعاون، وإن التعاون معهم حكمه حكم التعاون مع الإنجليز: الردة والخروج من الإسلام جملة، أيا كان لون المتعاون معهم أو نوعه أو جنسه.

وما كنت يوما بالأحمق ولا بالغر، فأظن أن الحكومات في البلاد الإسلامية ستستجيب لحكم الإسلام فتقطع العلاقات السياسية أو الثقافية أو الاقتصادية مع الإنجليز أو مع الفرنسيين، ولكني أراني أبصر المسلمين بمواقع أقدامهم، وبما أمرهم الله به، وبما أعدّ لهم من ذل في الدنيا وعذاب في الآخرة إذا أعطوا مقاد أنفسهم وعقولهم لأعداء الله.

وأريد أن أعرفهم حكم الله في هذا التعاون مع أعدائهم الذين استذلوا وحاربوهم في دينهم وفي بلادهم، وأريد أن أعرفهم عواقب هذه الردة التي يتمرغ في حمأتها كل من أصر على التعاون مع الأعداء.

ألا فليعلم كل مسلم في أي بقعة من بقاع الأرض: أنه إذ تعاون مع أعداء الإسلام مستعبدي المسلمين، من الإنجليز والفرنسيين وأحلافهم وأشباههم، بأي نوع من أنواع التعاون، أو سالمهم فلم يحاربهم بما استطاع، فضلاً عن أن ينصرهم بالقول أو العمل على إخوانهم في الدين، إنه إن فعل شيئاً من ذلك ثم صلى فصلاته باطلة، أو تطهر بوضوء أو غسل أو تيمم فطهوره باطل، أو صام فرضاً أو نفلاً فصومه باطل، أو حج فحجه باطل، أو أدى زكاة مفروضة، أو أخرج صدقة تطوعاً فزكاته باطلة مردودة عليه، أو تعبد لربه بأي عبادة فعبادته باطلة مردودة عليه، ليس له في شيء من ذلك أجر بل عليه فيه الإثم والوزر.

ألا فليعلم كل مسلم: أنه إذا ركب هذا المركب الدنيء حبط عمله من كل عبادة تعبد بها لربه قبل أن يرتكس في حمأة هذه الردة التي رضي لنفسه، ومعاذ الله أن يرضى بها

مسلم حقيق بهذا الوصف العظيم يؤمن بالله وبرسوله. ذلك بأن الإيمان شرط في صحة كل عبادة وفي قبولها، كما هو بديهي معلوم من الدين بالضرورة، لا يخالف فيه أحد من المسلمين.

وذلك بأن الله سبحانه يقول: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: من الآية٥].

وذلك بأن الله سبحانه يقول: ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: من الآية٢١٧].

وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ۝ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾.

وذلك بأن الله سبحانه يقول: ﴿أَنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۝ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُم ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ۝ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ

كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۝ فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٢٥ - ٣٥].

ألا فليعلم كل مسلم وكل مسلمة: أن هؤلاء الذين يخرجون على دينهم ويناصرون أعداءهم، من تزوج منهم فزواجه باطل بطلاناً أصلياً، لا يلحقه تصحيح، ولا يترتب عليه أي أثر من آثار النكاح من ثبوت نسب وميراث وغير ذلك، وأن من كان منهم متزوجاً بطل زواجه كذلك، وأن من تاب منهم ورجع إلى ربه وإلى دينه وحارب عدوه ونصر أمته، لم تكن المرأة التي تزوجها حال الردة ولم تكن المرأة التي ارتدت وهي في عقد نكاحه زوجاً له، ولا هي في عصمته، وأنه يجب عليه بعد التوبة أن يستأنف زواجه بها فيعقد عليها عقداً صحيحاً شرعياً، كما هو بديهي واضح.

ألا فليحتط النساء المسلمات، في أي بقعة من بقاع الأرض، ليتوثقن قبل الزواج من أن الذين يتقدمون لنكاحهن ليسوا من هذه الفئة المنبوذة الخارجة عن الدين، حيطةً لأنفسهن ولأعراضهن، أن يعاشرن رجالاً يظنونهن أزواجاً وليسوا بأزواج، بأن زواجهم باطل في دين الله.

ألا فليعلم النساء المسلمات، اللائي ابتلاهن الله بأزواج ارتكسوا في حمأة هذه الردة، أنه قد بطل نكاحهن، وصرن محرمات على هؤلاء الرجال ليسوا لهن بأزواج، حتى يتوبوا توبة صحيحة عملية ثم يتزوجوهن زواجاً جديداً صحيحاً.

ألا فليعلم النساء المسلمات: أن من رضيت منهن بالزواج من رجل هذه حالة وهي تعلم حاله، أو رضيت بالبقاء مع زوج تعرف فيه هذه الردة فإن حكمها وحكمه في الردة سواء.

ومعاذ الله أن ترضى النساء المسلمات لأنفسهن ولأعراضهن ولأنساب أولادهن ولدينهن شيئاً من هذا.

ألا إن الأمر جد ليس بالهزل، وما يغني فيه قانون يصدر بعقوبة المتعاونين مع الأعدا، فما أكثر الحيل للخروج من نصوص القوانين، وما أكثر الطرق لتبرئة المجرمين بالشبهة المصطنعة، وباللحن في الحجة، ولكن الأمة مسؤولة عن إقامة دينها، والعمل على نصرته في كل وقت وحين، والأفراد مسؤولون بين يدي الله يوم القيامة عما تجترحه أيديهم، وعما تنطوي عليه قلوبهم.

فلينظر كل امرئ لنفسه، وليكن سياجاً لدينه من عبث العابثين وخيانة الخائنين، وكل مسلم إنما هو على ثغر من ثغور الإسلام، فليحذر أن يؤتى الإسلام من قبله، وإنما النصر من عند الله، ولينصرن الله من ينصره).

الخاتمة

في ختام هذا البحث نؤكد على أنه يجب على المسلمين التفقه في هذه المسائل ونشر علمها بينهم وهي مسألة (حكم أنصار طواغيت الصليب وأنصار الحكام المرتدين)، ففي نشرها خير عظيم بإذن الله تعالى، وفي نشرها تعجيل بزوال الصليبين والحكام المرتدين، وضعف شوكتهم وذهاب ريحهم.

ونؤكد على العلماء الصادقين وطلبة العلم الغيورين أن يبينوا ولا يكتموا، وأن يجهروا ولا يسروا، فالأمة تنتظرهم.

ونحن نقول لهم بصوت عال: ها أنتم هؤلاء بينتم حكم الكفار الأصليين وسميتموه (بالعدو الخارجي)، وسكتم عن حكم الكفار المرتدين، بل في كثير من الأحيان كتمتوه، وإن تكلمتم فكلامكم عائم وليس فيه تنزيل على واقع هؤلاء الطواغيت المرتدين، وبالذات دولة آل سعود، بل وقد دعا بعضكم إلى التوحد ضد العدو الخارجي والوقوف صفاً واحداً مع العدو المرتد (الداخلي).

ونذكر هؤلاء بقول ابن القيم رحمه الله [1]: (وأي دينٍ، وأي خيرٍ، فيمن يرى محارم الله تنتهك، وحدوده تضاع، ودينه يترك، وسنة رسول الله ﷺ يرغب عنها، وهو بارد القلب، ساكت اللسان، شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق؟!، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين؟، وخيارهم المتحزن المتلمظ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل، وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه، وهؤلاء – مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم – قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون،

---

[1] إعلام الموقعين (٢/١٢١).

وهو موت القلوب؛ فإنه القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل).

وبقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله في سكوت علماء زمانه عن فتنة ترققها فتنة اليوم [١]: (وأكثرهم يرى السكوت عن كشف اللبس في هذه المسألة، التي اغتر بها الجاهلون، وضل بها الأكثرون، وطريقة الكتاب والسنة وعلماء الأمة تخالف ما استحله هذا الصنف من السكوت، والإعراض في هذه الفتنة العظيمة، وإعمال ألسنتهم في الاعتراض على من غار لله ولكتابه ولدينه.

فليكن منك يا أخي طريقة شرعية، وسيرة مرضية، في رد ما ورد من الشبه، وكشف اللبس، والتحذير من فتنة العساكر، والنصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وهذا لا يحصل مع السكوت، وتسليك الحال على أي حال، فاغتنم الفرصة، وأكثر من القول في ذلك، واغتنم أيام حياتك، فعسى الله أن يحشرنا وإياك في زمرة عساكر السنة والقرآن، والسابقين الأولين، من أهل الصدق والإيمان).

يا معشر العلماء هبوا هبة ... قد طال نومكمو إلى ذا الآن
يا معشر العلماء قوموا قومة ... لله تعلي كلمة الإيمان
يا معشر العلماء عزمة صادق ... متجرّد لله غير جبان
يا معشر العلماء إن سكوتكم ... من حجّة الجهال كل زمان
يا معشر العلماء لا تتخاذلوا ... وتعاونوا في الحق لا العدوان
وتعاقدوا وتعاهدوا أن تنصروا ... متعاضدين شريعة الرحمن
فالله ينصر من يقوم بنصره ... والله يخذل ناصر الشيطان [٢]

---

[١] الدرر السنية (٨/ ٣٧٢).

[٢] من قصيدة (الدر المنظوم في نصرة النبي المعصوم ﷺ) للحسني الجزائري.

﴿أَلَمْ يَانِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦].

أسأل الله تعالى أن يهيئ للأمة علماء ربانيين عاملين مخلصين مجاهدين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحث
عن حكم قتل أفراد وضباط المباحث

نعال السلطان

يا ناصـــر القـانون والطـغيـان ... يا حـاميًـا للشـرك والعصـيـان
يا أيهـا الجنـدي يا سـلم العـدا ... يا حرب طـاغـوت عـلى الإيمـان
يا أيـهـا الشـرطي اسمع قـولـتي ... إن كنـت ترجو الفوز والإحسـان
يا أيهـا السـجـان عنـد طغـاتهم ... يا حـارسًـا لشـريعـة الطغيـان
يا من تشـد القيد في زنـد الهدى ... وتريد نصـر شـريعة القرصـان
يا أيـهـا الأمـن الـوقـائـي الـذي ... يحمي الطغـاة وينصـر الأوثان
يا مـن تـعين مخـابرات طـغـاتهم ... يا مـاكـرًا في إخـوة الإيمـان
يا أيها الجاسـوس جاسـوس الألى ... رفضـوا شـريعـة ربنـا الرحمن
يا من تروم حمـايـة الـدين الـذي ... هـو لا أشـك زبالـة الأذهـان
يا أمن دسـتور الطغـاة وإفكهم ... يا خـاذلًا لشـريـعـة الـقـرآن
أفٍ لـكـم أفٍ لـكـم أفٍ لـكـم ... أفٍ لـكـم حـتى يـكـل لسـان
إني لأبغضـكم وأبغض حكمكم ... بغضًـا أنال بـه رضـا الرحمن
فـالحـب والبغض الصـراح بـديننـا ... لا شـك من أوثق عرى الإيمـان
هـل تعلمن حقيقـة العمـل الـذي ... أفـنـيـت عـمـرك فـيـه والأبـدان
مـا أنـت يا جـاسـوس إلا جزمـةً ... لا بـل نعـالًا عنـد ذي السـلطـان
إن ذاب ذاك النعل يومًا أو قضـى ... اسـتـبـدلـوه هـنـا بـنـعـل ثاني
لو كنـت يا هـذا لبيبلًا عـاقلًا ... مـا بعـت دينـك أرخص الأثمـان
أتـبـيـع ديـن الـرب في عـلـيـائـه ... بـنـخـالـة الأفـكـار والأذهـان
أتبيع تشـريع الإلـه وحكـمـه ... بـزبالـة الـطـاغـوت والصـلـبـان
إن كنـت يا هـذا تصـلي فـارعوي ... إن الصـلاة صـيـانـة الإنسـان
أما صـلاتك فالتجسـس شـأنها ... وصـلًا لطـاغوت حقير الشـان

إني رأيتك في المساجد خاشعًا ... لكن لرصد كتائب الإيمان
فاعلم بأن صلاة مثلك لم تكن ... لتنال رضوانًا من الرحمن
إلا بتوحيد تحقق ركنه ... فتفارق الطاغوت والأوثان
إن كنت في شك بهذا يا فتى ... فاقرأ كلام إلهنا الرحمن
في ذكر من نصبوا بأعمال الهدى ... لكنهم آلوا إلى النيران [١]
هذا دليل والأدلة كثرة ... منها حديث رسولنا العدنان
في ذكر أهل النار ممن لم ير ... فاحذر هديت فإنهم صنفان
المائلات من النساء تبرجًا ... والحاملين السوط صنف ثاني
والله ما حملوا سياط الظلم لا ... إلا لضرب كتائب الإيمان
هذا الحديث حديث صدق ما به ... ضعف ولا شك ولا نكران [٢]
إن كنت يا جاسوس ترجو جنة ... وتخاف أن تصلى لظى النيران
فابرأ من الطاغوت وابغض أهله ... واكفر بشرع الزور والبهتان
لا بد من تحقيق هذا أولًا ... قبل الصلاة وتلكم الأركان
لا يقبل الديان أعمالًا لنا ... إلا بتوحيد عظيم الشان
ولذاك يوم الحشر يوم ندامة ... عند الطغاة كذاك والأعوان
عند الإله هناك يلعن بعضهم ... بعضًا ويبرأ واحد من ثاني
وتعض يا جاسوس إصبع نادم ... وتود عودة سابق الأزمان
لتفارق الطاغوت تحقيقًا لما ... قد ضاع منك لصحة الإيمان
فاسعى لذاك الآن قبل فواته ... واكفر بشرع الكفر والطغيان
والحق بجند الحق وانصر أهله ... واسعى لرفعة راية الإيمان

---

(١) الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية ٢ - ٤]

(٢) الحديث رواه مسلم في صحيحه.

واعلم بأن الحق سيلٌ عارم ... لا يوقفن مياهه الثقلان
فارفق بنفسك أن تحاول صده ... لا تجرفنك ثورة الطوفان
إن تجرفن معارضًا لمياهه ... يلقيك بين زبالة الأزمان
فالحق شمس والضلالة ظلمة ... والشمس لا تحجب من الذبان
من قام في وجه الشريعة والهدى ... يخلد مهانًا في لظى النيران [1]

[1] القصيدة للعالم الأسير في سجون الأردن أبي محمد المقدسي فك الله أسره.

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب الأرباب، ومجري السحاب، ومنزل الكتاب، وسريع الحساب، وهازم الأحزاب، القائل في كتابه عمن طغى وتجبر: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ۝ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ۝ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ۝ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٢ - ٤٦]، والقائل عن أولئك المسارعين في الكفر: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ۗ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٦ - ١٧٨]، والقائل لمن زاد في كفره وتولى الكافرين وحالفهم واتخذهم شركاء: ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر: ٣٩ - ٤٠]، والقائل عمن ينفق الملايين والمليارات في الصد عن سبيل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦ - ٣٧]، فله الحمد على خفضه ورفعه، وله الحمد على إعطائه ومنعه، وله الحمد على ضره ونفعه، وله الحمد على قبضه وبسطه.

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي بشرنا كما في صحيح مسلم بقوله: ((إن الله زوى لي الأرض؛ فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها))، وبقوله كما جاء في مسند الإمام أحمد: ((ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل؛ عزًا يعز الله به الإسلام، وذلًا يذل به الكفر))، وبقوله كما في المسند أيضًا: ((تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبريًا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة))، ثم سكت، والقائل كما في صحيح مسلم: ((تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله))؛ أي: يجعله الله مقهورًا مغلوبًا، فاللهم صلِ على من بشرنا بفتح القسطنطينية وبفتح روما، مما يعني دخول أوربا في دين الإسلام، وما ذلك على الله بعزيز.

ورحم الله جعفر الصادق إذ يقول: "عجبت لمن خاف؛ كيف لا يفزع إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، فإني سمعت الله يقول بعقبها: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران:١٧٤].

وعجبت لمن اغتم؛ كيف لا يفزع إلى قوله سبحانه: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فإني سمعت الله يقول بعقبها: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

وعجبت لمن مُكر به؛ كيف لا يفزع إلى قوله سبحانه: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤]، فإني سمعت الله يقول بعقبها: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ [غافر: ٤٥].

وعجبت لمن أراد الدنيا وزينتها؛ كيف لا يفزع إلى قوله: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]، فإني سمعت الله يقول بعقبها: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٤٠].

ثم أما بعد:

فها هو قد مضى قريب من عام على صدور الطبعة الأولى لهذا الكتاب الذي أحدث تغييرًا كبيرًا لدى كثير من طلبة العلم وشباب الإسلام، في قضية هي من أخطر القضايا المعاصرة، ثم تلا ذلك أحداث كبيرة أدت إلى تغيرات كبرى في العالم الإسلامي وكذلك العالم الغربي، وكان من نعم المسلمين أن الجهاد بشمسه الحارقة الكاشفة: أسقط كثيرًا من العقبات والحواجز، وكشف كثيرًا من الحقائق التي كانت مغطاة لدى كثير من الناس؛ فأزال الصبغة الشرعية عن أنظمة الكفر والردة في عالمنا الإسلامي، وأزاح الهيئات الرسمية للفتاوى الملحقة بالقصور الملكية والجمهورية والرئاسية، كما أنه - أي الجهاد - بين للناس في العالم (كل العالم) حقيقة الديمقراطية وحقوق الإنسان و(الرأي والرأي الآخر) لدى الغرب، وكشف عن صليبيتهم بوجهها الكالح القبيح، وما كان لكل هذا أن يحدث لولا ذروة سنام الإسلام؛ فتمايزت الصفوف، ومحص الله المؤمنين، وميز الخبيث من الطيب.

وقد كان صدور هذا الكتاب بعد أحداث الشفا في مدينة الرياض في رمضان من عام ١٤٢٣ هـ، وقد ذكرت تلك الحادثة في الطبعة الأولى، ولكن لكثرة الأحداث المتتالية في جزيرة العرب وغيرها من بلدان المسلمين؛ رأيت أن أخرج الكتاب في حلة جديدة، مع إضافات مهمة، وإزالة لبعض الاستطرادات أو القصص التي من المناسب حذفها.

ومن المهم التنبيه إلى أن هذا الكتاب ليس خاصًا بعساكر آل سعود وجندهم فقط، بل من أدرك ما فيه وفهمه: يستطيع أن يحكم على جنود كرزاي في أفغانستان، وجنود أحمد قادروف في الشيشان، وجنود وشرطة مجلس الحكم الانتقالي في العراق، وجنود سلطة ياسر عرفات وقريع في فلسطين، وهكذا.

لنا في الشرق أوطانٌ ولكن ... تضيقُ بنا كما ضاقت لحودُ
تنازع أهلها فلكل حزب ... حمىً، ولكل مملكة عميد
نقيم بها على ذل وفقر ... ونظمأ لا يسوغ لنا الورود
أكاذيب السياسة بيّناتٌ ... تكيد بها الحكومة ما تكيد
وعود كلها كذب وزورٌ ... فكم وإلامَ تخدعنا الوعود؟
إذا ما الملك شِيد على خداع ... فلا يبقى الخداع ولا يشيد
ومن لم يتخذ ملكًا صحيحًا ... فلا تغني الممالك والحدود
وقالوا: أمة نهضت تداعي ... بحق كاد طالبه يبيد
تفرق أهلها ومضى بنوها ... وفي أرواحهم عزم عتيد
أرى الأمل الذي نحيا عليه ... أضاء من الصباح له عمود
خذوا بنفوسكم طرق المعالي ... فدهركم عصامي عتيد
وجرح الشرق يضمده بنوه ... وهل يتلاءم الجرح القصيد؟
نيام أُغرقوا في النوم حتى ... أُشيع بأنهم شعب بليد
أرى الحرية [1] اختضبت دماءً ... وقد خفضت لطالبها بنود
وأقسم أن عاشقها زعيم ... بخطبتها ولو قُطع الوريد
رخيص كل ما بذلوه فيها ... ولا تغلو النفوس ولا النقود

---

[1] الحرية: المقصود بها التحرر من قيود طوا غيت الشرق والغرب، والتشريعات الكافرة التي لم يأذن بها الله، والتحرر من الحدود الجغرا فية التي مزقت المسلمين، إلخ.

إذا جُعلت لها الأرواح مهرًا فإن لمجدها كتب الخلود
يسوم المجد طالبه بغال ولا يطغى به الزمن الزهيد
إذا سُهل النزول إلى حضيض يشق إذًا إلى القمم الصعود

كتبه: أبو جند الأزدي
يوم الاثنين، الموافق ١٠/ ٨/ ١٤٤٢ هـ
صرف الله عنه أسماع وأبصار الطواغيت وجندهم، آمين.

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

على الله توكلت، وهو حسبي ونعم الوكيل

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلّ مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

في صبيحة هذا اليوم الرمضاني تأملت حال الشباب المجاهد مع طواغيت الحكم في الجزيرة العربية ومع جندهم وأعوانهم من المباحث العامة وقوات الطوارئ والشرطة؛ فوجدت أن المسألة واضحة بينة لمن بصره الله وهداه إلى منهج التوحيد الحق، ولكنها مشكلة عويصة عند كثيرين، "ولعل مما زاد الطين بلة، والخرق اتساعاً، والانحراف انحرافاً: هذه الهجمة الإرجائية الضخمة الواسعة الانتشار، والمدعومة بإمكانيات وقدرات الأنظمة الطاغية الجاثمة على صدر الأمة، التي يُروج لها ولدعاتها في كل مكان من العالم، وتُقدم لهم كل التسهيلات المادية والمعنوية؛ لأن الطواغيت الظالمين هم المستفيدون بالدرجة الأولى من هذه الدعوة الخبيثة الباطلة؛ يكفيهم منها أنها تصبغ عليهم وعلى أنظمتهم المهترئة العميلة الشرعية – مهما ظهر منهم من أعمال منافية لأصل الإيمان – التي يجب أن تُطاع من قبل الشعوب الضالة، وأن لا يُعصى أمرها في شيء!!

هذه الهجمة الإرجائية الضخمة التي صورت للناس أن الإيمان يكفي فيه التصديق، أو ما وقر في القلب وإن لم يصدقه العمل، وأحسنهم حالاً الذي اشترط له الإقرار باللسان، ومن أضاف منهم العمل فهو للكمال؛ فوجوده وعدمه لا يؤثر على الإيمان وجوداً أو انتفاء، وبالتالي فالناس عندهم كلهم مؤمنون ومن أهل الجنة وإن لم يأتوا بشيء من الأعمال أو الطاعات، ومهما أتوا من الأعمال المكفرة المتفق على خروج صاحبها من الملة!!

لا تزال إلى الساعة كثير من الجماعات والجامعات التي تدرس الإيمان على أنه التصديق الجازم فقط، فمن أتى بالتصديق الجازم فهو مؤمن ومن أهل الجنة، وإن لم يأت بشيء من الأعمال والطاعات، ومهما كان ظاهره يدل على التمرد على أحكام وقيود الشريعة!!

فراج هذا المذهب الضال الخبيث على كثير من الناس، فاستهوته أنفسهم الأمارة بالسوء، ولامس بشاشة رغباتهم ونزواتهم وضعفهم، وحبهم للكسل وترك العمل، وأوجد لهم المبررات والمسوغات الشرعية – بزعمهم – لما هم فيه من تقصير وتفلت من أحكام وقيود الشريعة!!

والشر لم يقتصر على جانب ترك العمل وحسب، بل تعداه إلى اختلاط الأنساب وضياع الحقوق والواجبات؛ فكم من فتاة مسلمة موحدة تُزوج من رجل كافر مرتد، وتنجب منه الأطفال، تحت ستار وغطاء أن العمل لا يدخل في الإيمان، ولا يُعتبر شرطاً لصحته، وبالتالي لا حرج لو تزوجت من ذلك الخبيث المرتد، أو بقيت تحت ذمته وولايته!!" [١].

فرأيت أنه من الواجب علي أن أقدم هذا البحث المتواضع في هذا الوقت؛ لأهميته للشباب حتى يقدموا دون وجل أو تردد في مواجهة هذا العدو الصائل المجمع على دفعه بين علماء السلف، ولقلة الكاتبين في هذا الموضوع؛ إما لأسباب أمنية أو سياسية، أو للقمع الفكري الذي يمارسه شيوخ آل سعود، وإليك هذه القصة التي تبين مدى العقلية التي يتعامل بها هؤلاء الشيوخ العجز مع مخالفيهم؛ فقد ذكر أبو قتادة الفلسطيني -فك الله أسره- في مقالاته القصة التالية [٢]:

"ألف بعض الشباب الموحد كتاباً سماه: (الكواشف الجليّة في كفر الدولة السعودية)، -يقصد به الشيخ أبو محمد المقدسي حفظه الله وقد ألفه في عام ١٤١٠هـ وعمره في ذاك الوقت ٣٢ سنة تقريباً والله أعلم-، وبجهود بعض الشباب المجاهد دخل هذا الكتاب أرض الجزيرة، وتداوله الناس، وحاول بعض الأذكياء أن يقدمه هدية لبعض الشّيوخ - شيخ عِلم لا شيخ عشيرة - ليطّلع عليه، ويفيد منه، وإذا كان له بعض الملاحظات لينتفع كاتبه بها فليذكرها، قال الراوي:

دخلت على الشيخ في مجلسه، وناولته الكتاب، نظر الشيخ إلى طرّته (عنوانه)، انتفض الشيخ، أرغى وأزبد، شتم وقذف، غضب غضبة لم تعهد منه، ثم ركض إلى التلفون قائلاً: الآن سأتصل بوزارة الداخلية، وأخبر الوزير بهذا الكتاب ليقضي عليه..

---

[١] انظر كتاب أعمال تخرج صاحبها من الملة (٦ - ٧).

[٢] مقالات بين منهجين، المقال رقم (٩) بتصرف يسير.

قام الحضور وهدؤوا الشيخ، وخففوا من غضبه، ومارسوا كل أصناف المهدئات حتى سكن غضب الشيخ..

جلس الشيخ على المقعد الوثير ثم توجه إلى الحضور قائلاً: من كان منكم يعرف مؤلف الكتاب فليخبره أني أحكم عليه أنه كافر بالله العظيم، قولوا له: إنك بتأليف هذا الكتاب كفرت بالله العظيم..

قال الراوي: وجِم الحضور لهول المفاجأة، ودارت بهم رؤوسهم، لكن ردهم لرشدهم شاب جريء، هذا الشاب توجه لشيخ العلم، وعلَمَ الدنيا سائلاً: شيخنا هل قرأت الكتاب من قبل؟ رد الشيخ قائلاً: لا، لم أقرأه، ولا أريد قراءته!!! وانتهت الحكاية المرسلة.

نعم إنها سلفية، ولكنها سلفية زادت إلى أركان الإيمان ركناً جديداً، هو الإيمان بكل سلفي حتى ولو كان كافراً، حتى لو كان هذا السلفي هو آل سعود، لأن آل سعود من أصحاب: (العقيدة الصحيحة)، وتستطيع أن تنطقها: العكيدة الصحيحة.أ.هـ.

أو للتربية السقيمة التي تربى عليها الكثير منا حتى أصبح الشخص يكفر كل الأنظمة إلا آل سعود، وكل الجيوش إلا جيوش آل سعود، فتسأله: ما حكم مباحث باكستان الذين يطاردون الشباب المجاهد هناك؟ فيجيبك بكل سهولة أنهم كفار!! ثم تسأله عن حكم برويز مشرف؟ فيجيبك أيضا بكل سهولة بأنه كافر!!

فلما تسأله عن آل سعود ومباحث آل سعود الذين يقومون بنفس المهمة التي يقوم بها أولئك؛ فلا وألف لا!

وما ذلك إلا لبعد الشباب عن منهج الحق (الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة) واتباعهم للإسلام المسعود أو ما أسميه بـ(سعودة الإسلام) [١] المنتشر باسم السلفية المزعومة!!

كتبه للمجاهدين
أبو جندل الأزدي
١٢/ ٩/ ١٤٢٣هـ

---

[١] من الأزمات الفكرية والعقدية التي تعيشها كثير من الجماعات العاملة للإسلام في هذا الزمان: عقدة التفريق بين العدو الخارجي، والعدو الداخلي! فالعدو الخارجي يجب جهاده بكل ما يملكون من أسباب القوة ويلقى عند القوم كل حماس.. بينما العدو الداخلي – مهما اشتد كفره وعداؤه للأمة – لا يجوز جهاده ولا حتى مجرد التفكير بمقاومته ورده عن عدوانه وإجرامه!

فهم لا يستطيعون أن يستسيغوا وجود سوري يقاتل سورياً آخر، أو مصري يُقاتل مصرياً، أو فلسطيني يُقاتل فلسطينياً آخر، أو سعودي يقاتل سعوديا آخر مع إنكارنا لهذه التسمية الدالة على التبعية والاستعباد.. وإن كان هذا الآخر أكفر من اليهود والنصارى، وشره على البلاد والعباد أشد وأغلظ من شر اليهود والنصارى..؟!!

وهذه مشكلة ضخمة ـ لها مساس بالعقيدة والتوحيد لا بد من تجاوزها وحلها أولاً، إن أردنا لهذه الأمة أن تنهض من كبوتها وتستأنف حياتها الإسلامية من جديد، وأن تُسترد الحقوق المغتصبة لأهلها وأصحابها الحقيقيين.

وهي مشكلة كذلك تدل على أن كثيراً من العاملين لهذا الدين في هذا العصر لم يعرفوا بعد حقيقة وطبيعة هذا الدين العظيم، فضلاً عن أن يرتفعوا إلى مستوى متطلبات النهوض بتبعاته وواجباته العامة!

حقيقة عمل المباحث وأنصار الطواغيت

قبل أن نتكلم عن الحكم على هذا القطاع بالذات؛ نود التوصيف لحالهم، ولماذا وضعوا وفي خدمة من يقدمون كل هذه التضحيات، يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى [١]: "ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

١- أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع؛ بالقرائن والإمارات والعلامات حتى يحيط بها علمًا.

٢- والنوع الثاني فهم الوا جب في الوا قع؛ وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه، أو على لسان رسوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر". ا.هـ.

إذًا "قبل أن نبين حكم الشرع في هذه الجيوش، وحكم القائمين عليها من الطواغيت، وفيمن يلتحق بها من الجند والعسكر؛ لا بد أولًا من توصيفها وبيان حالها ومهامها وغاياتها التي صنعت وأسست لأجلها، (وهذا هو الفهم الأول الذي ذكره ابن القيم؛ وهو فهم الواقع).

فأقول: لم يخرج المستعمر الصليبي من بلَد المسلمين إلا بعد أن أوجد الحكام والأنظمة التي يرضى عنها وتحقق له مصالحه وأهدافه في المنطقة [٢]، وأي حاكم يأتي فيما بعد لا بد

---

[١] إعلام الموقعين؛ (١/ ٨٧-٨٨).

[٢] حكام المسلمين اليوم في العالم الإسلامي هم قد خرجوا من دين الله إلى الكفر والردة!!
فهم كفرة لأنهم لا يحكمون بما أنزل الله.. ولأنهم قد عطلوا العمل بالحدود والأحكام الشرعية!
وهم كفرة لأنهم يحتكمون إلى شرائع الكفر الطاغوتية من دون شرع الله!
وهم كفرة لأنهم هم أنفسهم يشرعون التشريع المضاهي لشرع الله تعالى. وينسبون لأنفسهم كثيرًا من خصائص وصفات الإلهية!! =

من مراعاته لمدى رضى أمريكا ودول الغرب عليه الغرب عليه، فإن حظي على الموافقة منهم وعلى رضاهم عنه فقد اجتاز المرحلة الأصعب نحو الوصول إلى سدة الحكم واعتلاء العرش، وناله من القوم كل دعم مادي وسياسي وإعلامي!!

ورضا أمريكا ودول الغرب الصليبي على أي حاكم مشروط بعدة شروط:

أولها: أن يتعهد لهم أن يقف بحزم وقوة ضد أي توجه أو عمل إسلامي راشد يستهدف استئناف حياة إسلامية على مستوى القطر أو الأمة، وأن يحيل بين الشعوب المقهورة وبين هدفهم هذا، وبأي طريقة من الطرق!!

ثانيًا: أن يضمن مصالحهم الاستعمارية في المنطقة، ويعمل على حمايتها وحراستها، وإن كان ذلك تحت عناوين براقة مستساغة للشعوب المقهورة؛ كشركات الاستثمار، والحاجة

= وهم كفرة لأنهم حللوا الحرام وحرموا الحلال. وما أكثر ذلك لو أردت أن تحصيه عنهم!

وهم كفرة لأنهم يحاربون الله ورسوله والمؤمنين وبأساليب مختلفة ومتنوعة، منها ما يكون بالترغيب ومنها ما يكون بالترهيب!

وهم كفرة لأنهم يصدون الناس عن دين الله تعالى، وعن التوحيد الخالص ويمكرون بالليل والنهار من أجل أن يتحقق لهم ذلك!!

وهم كفرة لأنهم يكرهون ما أنزل الله من الدين والتوحيد والجهاد!!

وهم كفرة لأنهم يسخرون من دين الله ومن أوليائه.. وما أكثر ذلك منهم!

وهم كفرة لأنهم يباركون الشرك الأكبر ويقرونه ولا يغيرونه، ولا يسمحون بتغييره!!

وهم كفرة لأنهم داخلون حتى العظم في موالاة أعداء الأمة من اليهود والنصارى وفي خدمتهم وخدمة مصالحهم والذود عنهم!

فهم لأجل هذه الأوجه وغيرها كفار مرتدون لا يشك في كفرهم إلا كل أعمى البصر والبصيرة.. أعشى الليل والنهار!

إلى الخبرات والطاقات الأجنبية، أو المصالح المشتركة، أو ضرورة التنقيب عن البترول، وغير ذلك من الإطلاقات التي تمرر مثل هذه المصالح الأجنبية في المنطقة!!

ثالثًا: أن يعترف بدولة إسرائيل، وبضرورة السلام مع المغتصبين المحتلين الصهاينة، السلام الذي يعطي أصحاب الحقوق الفتات والعظام المجردة عن لحومها وعظامها مما اغتصب ونهب منهم؛ لذلك نجد جميع حكام العرب وغيرهم يصرحون على الملأ بأن السلام مع الصهاينة المحتلين خيار استراتيجي لا محيد لهم عنه، مهما حادت عنه دولة إسرائيل واختارت الحرب والقتل والقتال، وارتكبت من المجازر بحق الشعب الفلسطيني المسلم!!

فهو خيار استراتيجي لهم؛ لأنه لا بقاء لعروشهم ومصالحهم الذاتية الشخصية إلا بالموافقة على هذا الخيار! هؤلاء الحكام لو كانوا من دعاة السلام بحق لسالموا شعوبهم أولًا، ولأخرجوا شباب الأمة الأحرار من سجونهم الظالمة التي تكتظ بالآلاف من الشباب المسلم!!

رابعًا: أن ينهج الطريق الديمقراطي دين الغرب؛ لما تحقق لهم الديمقراطية في المنطقة من مآرب ومصالح عديدة، لكن إذا جاءت هذه الديمقرا طية معارضة للنقاط الثلاثة الآنفة الذكر أو لشيء منها؛ فهم يسمحون له أن يتحول إلى ديكتاتوري، وإلى وحش كاسر ضد شعبه وأمته، ولا حرج عليه في ذلك البتة!! [١]

هذه أهم الشروط التي يجب على الحاكم أن يوافق عليها؛ لكي ترضى عنه أمريكا ودول الغرب، ولكي يحظى على موافقتهم وتأييدهم!

ولما كان الأمر كذلك؛ فإن طواغيت الحكم منذ سقوط الخلافة العثمانية وإلى يومنا هذا يعملون بكل همة ونشاط على تشكيل المؤسسات الحكومية التي تعينهم على تنفيذ تلك السياسات والمصالح المشار إليها آنفًا، ومن أهم هذه المؤسسات التي عنيت باهتمامهم:

---

[١] كما حصل ويحصل في بلاد الحرمين والجزائر، وتونس، ومصر، وتركيا وغيرها من الأمصار.

المؤسسة العسكرية؛ حيث عملوا جاهدين ومنذ زمن على تطهيرها من العناصر النظيفة المؤمنة، وعلى تشكيل الجيوش التي تعينهم على السير في تلك السياسة المرسومة لهم من قبل أعداء الأمة من دون موا جهة أي عقبة أو مشكلات!

الجيوش [١] التي تسهر على أمن وسلامة الطاغوت الحاكم، وأمن وسلامة سياساته الجائرة الداخلية والخارجية!! الجيوش التي لا تعرف غاية ولا همًا سوى خدمة الطاغوت، وخدمة مآربه وأهوائه وقوانينه!!

لذا نجد أن العناصر الفاعلة لهذه الجيوش منتقاة انتقاء غريبًا جدًا، وفق معايير ومواصفات عديدة، منها: أن تكون هذه العناصر غير متدينة، ليس عليها سمات التدين والالتزام، ولم يعرف عنها التدين من قبل!!

ومنها: أن تكون غير أخلاقية ومن ذوي الاهتمامات الوضيعة التافهة؛ لا هم لهم إلا كيف يشبعوا غرائزهم ونزواتهم، وبأي طريقة كانت! ولا حديث لهم إلا ما يدور حول البطن والفرج والشهوات!!

ومنها: أن تكون هذه العناصر من ذوي الولاء المطلق، والطاعة العمياء للحاكم والفئة الحاكمة المتنفذة، ينفذون الأوامر مهما كانت جائرة، أو تصب في غير صالح الأمة، ومن دون أدنى تلكؤ أو تردد!!

ينفذون الأوامر ولو كان مفادها سحق الشعوب وقتلها وإذلالها وسجنها؛ فمرضاة الطاغوت عندهم أغلى وأسمى من الشعوب ومن الأمة برمتها!!

---

[١] التوصيف هنا للجيوش والمباحث أو الاستخبارات، أو مباحث أمن الدولة، أو الأمن الوقائي، أو الأمن السياسي، أو ما شئت من أسماء هي داخلة في الوصف من باب الأولوية.

ومنها: أن لا يعرف عنهم أنهم من ذوي الثقافات الواسعة التي تعرفهم على خفايا وحقيقة وغايات هذه الأنظمة الطاغية الحاكمة؛ فكلما كان الضابط أو العسكري جاهلًا بدينه وعقيدته، وبالسياسة الدولية وبما يدور حوله، وما يحاك من مؤامرات ضد الأمة: كلما كان أكثر قربًا من الطواغيت، وأسرع في الارتقاء إلى الرتب العالية!!

ومنها: أن لا يعرف عنهم انتماؤهم لأي تجمع أو حزب لم يحظ بالرضا التام من النظام أو الطاغوت الحاكم.

ومنها: أن لا يعرف عنهم أنهم من ذوي الرجولة والحمية والغيرة، أو أنهم من ذوي الهمم والاهتمامات العالية، التي قد تحملهم يومًا من الأيام على الذود عن حرمات الأمة ومقدساتها والغضب لأجلها، وعلى العصيان والتمرد على الطاعة، والخروج عن السياسة العامة التي رسمت لهم ولحكامهم!

وأي ضابط أو عسكري يعرف عنه شيء خلاف ما تقدم؛ فإنه يعرض للمساءلة والمحاسبة، وإلى عقوبة تتراوح بين الطرد أو السجن أو الإعدام، بحسب درجة المخالفة ونوعها، وهذا أمر معروف للجميع لا خفاء فيه، ولظهوره لا يحتاج منا إلى استدلال أو برهان!

هذه أهم المقاييس والموازين المعتبرة عند القوم التي على أساسها يتم اختيار أو قبول الأفراد في جيوشهم أو رفضهم!!

صفاتهم العامة:

بعد أن عرفنا طريقة القوم في انتقاء عناصر الجيش وبخاصة العناصر القيادية المؤثرة منها كالضباط وغيرهم؛ لا بد من أن نتعرف على أبرز صفات هذه الجيوش، التي تتكون من تلك الفئة من الناس المنتقاة حسب الموازيين والمعايير التي وضعها وأرادها الطاغوت لهم.

فأقول: هذه الجيوش لا تحكم بما أنزل الله وإنما تحكم بشرائع الكفر والطغيان، كما أنها لا تلتزم بصوم ولا صلاة ولاحج، وإن وجد منهم بعض الأفراد من يؤدي هذه الفرائض: فهو يؤديها بطريقة فردية، وربما بعدها قد يخضع للمراقبة والمتابعة والمساءلة.

يكثر في هذه الجيوش من يشتم الله والدين والاستهزاء والطعن بالنبي محمد ﷺ من دون أن ينكر عليهم أحد، بينما لو تجرأ منهم من تكلم بكلمة نابية أو اعتراض على الطاغوت الحاكم أو من هو دونه رتبة من الفئة المتنفذة الحاكمة؛ فإنه يسجن ويضرب ضربًا شديدًا، وربما في بعض الجيوش يكون ذلك مبررًا لقتله وإعدامه!! لا يعظمون شعائر الله ولا يعرفون لها الوقار ولا الاحترام، بل هي مهانة ومزدراة، وفي كثير من البلدان تحولت فيها المساجد إلى متاحف أثرية تستقبل السائحين العراة [١]!! يبكون الأقصى الأسير مسرى النبي ﷺ بدموع التماسيح، وبنفس الوقت هم أنفسهم ينتهكون حرمات بيوت الله تعالى لأتفه الأسباب، ولا يتورعون لأدنى سبب أن يدخلوا المساجد بأحذيتهم النجسة ليروعوا من فيها من المصلين الآمنين [٢]! هذه الجيوش: فيها الكافر الأصلي كالنصارى وغيرهم، وكثير من الكفرة المرتدين

---

[١] هذه الصفات الآنفة الذكر؛ تتفاوت الجيوش المعاصرة فيما بينها من حيث الاتصاف بها، فليسوا كلهم سواء في هذه الصفات وبنفس الدرجة، لكن إن عدمت صفة في جيش من الجيوش توفرت فيه الأخرى، فكل جيش له ما يميزه من شارات الطغيان والكفر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

[٢] على سبيل المثال لا الحصر: ما قام به الجيش المغوار السوري من تدمير لمساجد مدينة حماة، التي يزيد تعدادها عن المائة مسجد، بعضها لها امتداد تاريخي حتى العهد الأموي، في مجزرة حماة المشهورة،

والزنادقة الملحدين، والكثير الكثير من الفسقة المجرمين، لا يفرقون بين مؤمن وكافر أو مرتد، فكلهم يستوون في الولاء للحاكم ولأنظمة الجيوش الطاغية! بل الكافر المجرم في نظرهم مقدم ومفضل على المؤمن التقي، ولا مجال للمقارنة بينهما!!

يعقد الولاء والبراء في شخص الحاكم؛ فيوالون من يواليه، ويعادون من يعاديه، ويقاتلون ويسالمون فيه وعليه!!

إن أمرهم أطاعوه، وإن كان أمره فيه كفر ومعصية لله تعالى، وإن نهاهم انتهوا وإن كان في نهيه نهي عن طاعة وعبادة لله تعالى.

وإن أمرهم بقتل وسجن العباد: امتثلوا لأمره؛ لأنه صاحب الأمر والنهي الذي يجب أن - يطاع لذاته، بغض النظر: هل هؤلاء الناس يستحقون القتل والسجن أم لا!!

عسكر هذه الجيوش كالوحوش الضارية على من يقترب بسوء من سياج الطاغوت الحاكم ومن حكمه ونظامه، بينما ترا هم على أعداء الأمة الخارجيين رحماء؛ كلهم وداعة ولطف ورحمة ولكن بجبن وذلة وخسة!!

على الشعوب المقهورة كالأسود، بينما في الحروب مع أعداء الأمة، وعلى الجبهات كالنعاج والأرانب!

أين هذه الجيوش من قضايا الأمة المصيرية؟! أين هي من قضية فلسطين المسلمة؟!!

ها هم الصهاينة اليهود في كل يوم يقومون بمجازر ضد أهالينا وأبنائنا في فلسطين، ينتهكون الحرمات، ويدنسون المقدسات، ويعتدون على المسجد الأقصى، ويفعلون كل ما

والتي ذبحوا فيها بآلتهم العسكرية في ليلة واحدة: ما يزيد عن عشرين ألف مسلم بينهم كثير من الأطفال والنساء، لا ذنب لهم سوى أنهم يقولون: ربنا الله!!

يحلو لهم ويريدون، وما تملي عليهم وساوسهم الشيطانية المدونة في برتوكولاتهم وكتبهم الصهيونية، ومن دون أن يحسبوا لهذه الجيوش أدنى حساب!!

فما هي ردة فعل هذه الجيوش المغوارة؟! فإنها محصورة بنستنكر ونشجب، ونأسف، نحن لا نريد الحرب، نحن خيارنا هو خيار العقلاء وهو السلام! السلام مع المغتصبين الصهاينة خيار استراتيجي لا محيد عنه، قضية فلسطين لا يمكن أن تحسم عن طريق القوة أو الحروب، وغير ذلك من الإطلاقات الجبانة والذليلة والعميلة!!

بل بعض هذه الجيوش؛ كالجيش المصري، والجيش الأردني، وغيرها من الجيوش: قد أقامت علاقات ديبلوماسية على مستوى السفراء، وسلامًا صريحًا مع دولة الصهاينة اليهود، وقبل أن تسترد الحقوق لأهلها وأصحابها، أو يأخذ الحق طريقه إلى معاقبة الصهاينة المجرمين سفاكي دماء الأبرياء!

وإذا كان الأمر كما وصفنا؛ فإنه يحق لنا ولغيرنا أن يسأل: لمن أعدت هذه الجيوش الجرارة؟! ومن أجل من ولماذا تشترى هذه الأسلحة الفتاكة من مقدرات الأمة بمليارات الدولارات؛ لتكدس في مخازنها إلى أن تتعفن وتنتهي فعاليتها؟! من المعني والمراد إرهابه من هذه الجيوش الجرارة؟؟!!

الجواب واضح لكل ذي لب وفهم: هذه الجيوش لم تعد من أجل أعداء الأمة، وإنما من أجل قهر الشعوب وإذلالها، من أجل إبادة أي حركة تمرد أو عصيان على سياسة الطواغيت الحاكمين!!

فهي عصاة الطاغوت الغليظة؛ يؤدب بها من يشاء ممن يخرج عن طاعته وعبادته أو سياسته وطريقته!! ولا نبتعد كثيرًا عن الصواب لو قلنا إن هذه الجيوش أعدت لحماية وحراسة دولة اليهود؛ فهم يعملون على مدار الساعة موظفين ككلاب حراسة أوفياء، يحرسون حدود دولة إسرائيل من أي هجوم أو عمل فدائي يقوم به المجاهدونالأحرار!

والويل كل الويل لهذه الجيوش الجبانة لو استطاع مجاهد أن يتسلل من بينهم إلى دولة الصهاينة اليهود؛ حيث ترى جميع القوى العميلة الخائنة تستنفر بكل قواها كالكلاب المسعورة، يتوعدون ويهددون من كان سببًا في هذه الخروقات الإرهابية؛ ليؤكدوا من جديد للصهاينة المغتصبين أننا لا نزال نعمل بوفاء وإخلاص على ثغور دولتكم ككلاب حراسة وصيد على أكمل ما يكون العمل وتكون الحراسة!!

هذا بما يخص فلسطين، أما ما يخص موقف هذه الجيوش من بقية قضايا الأمة؛ كقضية المسلمين في البوسنة والهرسك، وقضية كشمير، وقضية المسلمين في الفلبين، وقضية أفغانستان، وقضية الشيشان وما يعانيه أهل هذا البلد المسلم من ظلم وجبروت وكفر المجرمين الروس! فإذا أردت أن تتحدث عن المواقف المخزية لهذه الجيوش نحو هذه القضايا الهامة وغيرها؛ فحدث ولا حرج؛ فما يجري للمسلمين في تلك الديار لا يعنيهم في شيء، ولا يهمهم من قريب ولا من بعيد، بل كثير من الأنظمة العربية وجيوشها تقف في صف الدول الطاغية الكافرة المعتدية ضد الشعوب المسلمة المضطهدة والمحاربة!!

هذا كله يجعلنا نجزم أن هذه الجيوش لم تعد لخدمة الأمة في شيء، ولا من أجل الدفاع عن الشعوب المقهورة المحرومة، ولا من أجل رسالة أو هدف عظيم، وإنما هي صنعت فقط كما تقدم من أجل حماية الطواغيت ومكاسبهم الشخصية، وحراسة مصالح اليهود والغرب الصليبي في المنطقة [١]". ا.هـ.

وعمل المباحث المهين يتميز بالخسة الزائدة عن كل ما مضى؛ بكونه يختص عمله بالصالحين من البشر من الدعاة والمجاهدين العاملين لنصرة دين الله؛ فيقوم هؤلاء الأذناب بمطاردتهم واعتقالهم وسجنهم وتعذيبهم والتحقيق معهم، وكل واحد منكم أيها القراء يملك

---

[١] انظر رسالة مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة (٢-٨).

قصة عنهم، وقد ذكرت في كتاب: (وجوب استنقاذ المستضعفين من سجون الطواغيت والمرتدين) ٧٢ صفحة، عما يجري في هذه السجون، فراجعه في محله[١].

---

[١] واقرأ أيضًا الكتب التالية:

١- خمس دقائق وحسب (لهبة الدباغ).

٢- البوابة السوداء (لأحمد رائف).

٣- أيام من حياتي (لزينب الغزالي).

٤- الكتاب الأسود (لأيمن الظواهري).

٥- (محمد سليم حماد) ١١ عاً ما في سجون تدمر.

الإجماع والآيات والأحاديث الدالة على كفر أنصار الطواغيت

بعد عرضنا للواقع؛ نأتي إلى الفهم الثاني الذي ذكره ابن القيم رحمه الله؛ وهو فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر، وقد رأيت ترتيب ذلك كما أوردته في بحث (الآيات والأحاديث الغزيرة على كفر قوات درع الجزيرة) مع بعض التعديلات والإضافات المناسبة لهذا البحث.

الدليل الأول:

إجماع الصحابة رضي الله عنهم، وقد قدمناه على غيره؛ لأنه لا يكون إلا على دليل من الكتاب أو السنة، وحتى لا يظن أحد أن المسألة اجتهادية قد اختلف فيها أهل العلم.

من الأمور المشهورة المعلومة: أن رسول الله ﷺ لم يقاتل المرتدين الممتنعين في حياته، وإنما قاتلهم الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاته ﷺ في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ فعنهم رضي الله عنهم تؤخذ أحكام وتفاصيل هذه المسألة، قال رسول الله ﷺ: ((فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار)) الحديث رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

فقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على كفر أتباع وأنصار كل من مسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي، وكذلك أجمعوا على كفر من امتنع عن أداء الزكاة وساروا فيهم سيرة واحدة؛ فقد غنموا أموالهم وسبوا نساءهم وشهدوا على قتلاهم بأنهم في النار، وهذا تكفير منهم لهم على التعيين، قال ابن كثير رحمه الله [1]:

---

[1] البداية والنهاية (٦/ ٣١١).

(فصل في تصدي الصديق لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة)

لما توفي رسول الله ﷺ؛ ارتدت أحياء كثيرة من الأعراب، ونجم النفاق بالمدينة، وانحاز إلى مسيلمة الكذاب بنو حنيفة وخلق كثير باليمامة، والتفت على طليحة الأسدي بنو أسد وطيء، وبشر كثير أيضا، وادعى النبوة أيضًا كما ادعاها مسيلمة الكذاب، وعظم الخطب واشتدت الحال، وأنفذ الصديق جيش أسامة، فقل الجند عند الصديق، فطمعت كثير من الأعراب في المدينة، وراموا أن يهجموا عليها، فجعل الصديق على أنقاب المدينة حراسًا يبيتون بالجيوش حولها، وجعلت وفود العرب تقدم المدينة يقرون بالصلاة ويمتنعون من أداء الزكاة، ومنهم من امتنع من دفعها إلى الصديق، وذكر أن منهم من احتج بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، قالوا: فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا، وقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة، ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم، ثم بعد ذلك يزكون، فامتنع الصديق من ذلك وأباه..

وقد روى الجماعة في كتبهم سوى ابن ماجه عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر: علام تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها))؟ فقال أبو بكر: والله لو منعوني عناقًا، وفي رواية: عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق.

قلت (أي ابن كثير): وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]. وثبت في الصحيحين: ((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان))، وقد

روى الحافظ ابن عساكر من طريقين عن شبابة ابن سوار ثنا عيسى بن يزيد المديني حدثني صالح بن كيسان قال: لما كانت الردة؛ قام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه..إلخ.

وقال أيضًا [١]: "قال الحسن وقتادة وغيرهما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، قالوا: المراد بذلك أبو بكر الصديق وأصحابه في قتالهم المرتدين، ومانعي الزكاة، وقال محمد بن إسحاق: ارتدت العرب عند وفاة رسول الله ﷺ ما خلا أهل المسجدين مكة والمدينة، وارتدت أسد وغطفان وعليهم طليحة بن خويلد الأسدي الكاهن، وارتدت كندة ومن يليها وعليهم الأشعث بن قيس الكندي، وارتدت مذحج ومن يليها وعليهم الأسود بن كعب العنسي الكاهن، وارتدت ربيعة مع المعرور بن النعمان بن المنذر وكانت حنيفة مقيمة على أمرها مع مسيلمة بن حبيب الكذاب، وارتدت سليم مع الفجأة واسمه أنس بن عبد يا ليل، وارتدت بنو تميم مع سجاح الكاهنة.. إلخ".

قال ابن كثير رحمه الله [٢]: "قال الثوري: عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: "جاء وفد بُزاخة من أسد وغطفان إلى أبي بكر يسألونه الصلح، فخيرهم بين الحرب المجلية والسلم المخزية، فقالوا: هذه المجلية قد عرفناها فما المخزية؟ قال: تنزع منكم الحَلَقة والكُراع، ونغنم ما أصبنا منكم، وتردون علينا ما أصبتم منا، وتدون قتلانا، وتكون قتلاكم في النار، وتتركون أقوامًا يتبعون أذناب الإبل حتى يري الله خليفة رسوله والمهاجرين أمرًا يعذرونكم به" فعرض أبو بكر ما قال على القوم، فقام عمر فقال: قد رأيت رأيًا وسنشير عليك؛ أما ما ذكرت من الحرب المجلية والسلم المخزية؛ فنعم ما ذكرت، وأما ما ذكرت أن نغنم ما أصبنا منكم وتردون ما أصبتم منا؛ فنعم ما ذكرت، وأما ما ذكرت تدون قتلانا وتكون قتلاكم في

---

[١] البداية والنهاية (٦/ ٣١٢).

[٢] انظر البداية والنهاية (٦/ ٣١٩)، ونيل الأوطار للشوكاني؛ (٨/ ٢٢).

النار؛ فإن قتلانا قاتلت فقتلت على أمر الله؛ أجورها على الله ليس لها ديات" قال: فتتابع القوم على ما قال عمر. ا.هـ. رواه البرقاني على شرط البخاري.

قال ابن كثير: ورواه البخاري من حديث الثوري بسنده مختصرا. ا.هـ.

وذكره ابن حجر قال [١]: "قال الحميدي: اختصره البخاري فذكر طرفًا منه؛ وهو قوله لهم: "يتبعون أذناب الإبل إلى قوله: يعذرونكم به" وأخرجه بطوله البرقاني بالإسناد الذي أخرج البخاري ذلك القدر منه".

وقال في شرحه [٢]: و"المجلية" بضم الميم وسكون الجيم بعدها لام مكسورة ثم تحتانية: من الجلاء بفتح الجيم وتخفيف اللام مع المد، ومعناها: الخروج عن جميع المال.

و"المخزية" بخاء معجمة وزاي بوزن التي قبلها: مأخوذة من الخزي، ومعناها: القرار على الذل والصغار.

و"الحلقة" بفتح المهملة وسكون اللام بعدها قاف: السلاح.

و"الكُراع" بضم الكاف على الصحيح وبتخفيف الراء: جميع الخيل.

وفائدة نزع ذلك منهم: أن لا يبقى لهم شوكة ليأمن الناس من جهتهم.

وقوله: "ونغنم ما أصبنا منكم" أي يستمر ذلك لنا غنيمة نقسمها على الفريضة الشرعية ولا نرد عليكم من ذلك شيئا.

---

[١] فتح الباري (١٣/ ٢١٠).

[٢] فتح الباري (١٣/ ٢١٠-٢١١).

وقوله: "وتردون علينا ما أصبتم منا" أي ما انتهبتموه من عسكر المسلمين في حالة المحاربة.

وقوله: "تدون" بفتح المثناة وتخفيف الدال المضمومة: أي تحملون إلينا دياتهم.

وقوله: "قتلاكم في النار" أي لا ديات لهم في الدنيا؛ لأنهم ماتوا على شركهم، فقتلوا بحق فلا دية لهم.

وقوله: و"تتركون" بضم أوله، و"يتبعون أذناب الإبل" أي في رعايتها؛ لأنهم إذا نزعت منهم آلة الحرب رجعوا أعرابًا في البوادي، لا عيش لهم إلا ما يعود عليهم من منافع إبلهم.

قال ابن بطال: كانوا ارتدوا ثم تابوا، فأوفدوا رسلهم إلى أبي بكر يعتذرون إليه، فأحب أبو بكر أن لا يقضي بينهم إلا بعد المشاورة في أمرهم، فقال لهم: ارجعوا واتبعوا أذناب الإبل في الصحاري، انتهى.

وذلك حتى تظهر توبتهم وصلاحهم بحسن إسلامهم والله أعلم.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله [1]: "قال أبو العباس أيضًا: في الكلام على كفر مانعي الزكاة والصحابة لم يقولوا: هل أنت مقر بوجوبها أو جاحد لها، وهذا لم يعهد عنه الخلفاء والصحابة، بل قال الصديق لعمر رضي الله عنهما: "والله لو منعوني عقالًا أو عناقًا كانوا يؤودنها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه"، فجعل المبيح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب، وقد روي أن طوائف منهم كانوا يقرون بالوجوب لكن بخلوا بها، ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعهم سيرة واحدة؛ وهي مقاتلتهم وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم، والشهادة على قتلاهم بالنار، وسموهم جميعهم أهل الردة، وكان من أعظم فضائل الصديق

---

[1] انظر مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد (١٠-١١).

رضي الله عنه عندهم أن ثبته الله على قتالهم، ولم يتوقف كما يتوقف غيره، فناظرهم حتى رجعوا إلى قوله، وأما قتال المقرين بنبوة مسيلمة؛ فهؤلاء لم يقع بينهم نزاع في قتالهم". انتهى.

فتأمل كلامه رحمه الله في تكفير المعين والشهادة عليه إذا قتل بالنار، وسبي حريمه وأولاده عند منع الزكاة، فهذا الذي ينسب عنه أعداء الدين عدم تكفير المعين.

قال رحمه الله بعد ذلك: "وكفر هؤلاء وإدخالهم في أهل الردة قد ثبت باتفاق الصحابة المستند إلى نصوص الكتاب والسنة". انتهى كلامه.

والشاهد من هذا كما قال عبد القادر بن عبد العزيز [١]: "هو قول أبي بكر للمرتدين التائبين: "وتكون قتلاكم في النار"، وموافقة عمر وسائر الصحابة رضي الله عنهم له على ذلك، وهذا إجماع منهم على تكفير أنصار أئمة الردة وجنودهم على التعيين؛ إذ لا خلاف في أن القتلى أشخاص معينون، كما أنه لا خلاف بين أهل السنة في أنه لا يشهد لمعين بالنار إلا المقطوع بكفره، أما المسلم مهما كان فاسقًا فاعتقاد أهل السنة – هو كما ذكره الطحاوي رحمه الله [٢]: "ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم، ولا ننزل أحدًا منهم جنة ولا نارًا" أما من مات كافرًا فإنه يشهد له بالنار وأنه من أهلها، كما في قوله ﷺ: ((إن أبي وأباك في النار)) [الحديث رواه مسلم]، وكما في قوله ﷺ عن عمه أبي طالب: ((هو في ضحضاح من نار)) [الحديث رواه البخاري (٣٨٨٣)]. وقال ﷺ: ((حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار)) قال الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح[٣].

---

[١] الجامع في طلب العلم (٢/ ٦٧٤-٦٧٥).

[٢] انظر شرح العقيدة الطحاوية (٤٢١-٤٢٦).

[٣] مجمع الزوائد (١/ ١١٨).

فهذا نقل صحيح وإجماع صريح من الصحابة على تكفير أنصار أئمة الردة وجنودهم على التعيين دون تبين؛ لتوفر الشروط وانتفاء الموانع في حقهم، لما كانوا ممتنعين بالشوكة، وقد كانوا ألوفًا، فقد ذكر ابن تيمية أن أتباع مسيلمة كانوا نحو مائة ألف أو أكثر[١].

وقد نبهنا على القاعدة الشرعية: (أن تبين الشروط والموانع إنما يكون في المقدور عليه لا الممتنع)، وسنذكرها في هذا البحث بشيء من البسط، ودليلها إجماع الصحابة المذكور هنا، قال ابن تيمية رحمه الله [٢]: "ولأن المرتد لو امتنع – بأن يلحق بدار الحرب، أو بأن يكون المرتدون ذوي شوكة يمتنعون بها عن حكم الإسلام –؛ فإنه يقتل قبل الاستتابة بلا تردد"، وقال أيضًا [٣]: "على أن الممتنع لا يستتاب، وإنما يستتاب المقدور عليه". ا.هـ.

والإجماع كما ذكر الشوكاني رحمه الله [٤]: "هو اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ، بعد وفاته، في عصر من الأعصار، على أمر من الأمور، والمراد بالاتفاق: الاشتراك إما في الاعتقاد أو في القول أو في الفعل".

ويعرف الإجماع كما قال الخطيب البغدادي رحمه الله [٥]: (اعلم أن الإجماع يعرف بقول، وبفعل، وبقول وإقرار، وبفعل وإقرار. فأما القول: فهو أن يتفق قول الجميع على الحكم بأن يقولوا كلهم: هذا حلال أو حرام، وأما الفعل: فهو أن يفعلوا كلهم الشيء، وأما القول والإقرار: فهو أن يقول بعضهم قولًا وينتشر في الباقي فيسكت عن مخالفته، وأما الفعل والإقرار: فهو أن يفعل بعضهم شيئًا ويتصل بالباقين فيسكتوا عن إنكاره".

---

[١] منهاج السنة النبوية (٧/ ٢١٧).

[٢] الصارم المسلول (٣٢٢).

[٣] الصارم المسلول (٣٢٥-٣٢٦).

[٤] إرشاد الفحول (٦٨)، نقلًا عن الجامع في طلب العلم (٢/ ٦٧٥).

[٥] الفقيه والمتفقه (١/١٧٠)، نقلًا عن الجامع في طلب العلم (٢/ ٦٧٥).

يقول عبد القادر عبد العزيز: "من هذا تعلم أن إجماع الصحابة في مسألتنا هذه حكم أنصار الطواغيت هو إجماع صحيح إذ أجمع عليه جميعهم، وأنه قد ثبت بالقول وبالفعل وبالإقرار، أما القول: فهو قول أبي بكر: "وتكون قتلاكم في النار"، ووافقه عمر وتتابع القوم على قول عمر كما في حديث طارق بن شهاب، وأما الفعل: فهو أن الصحابة قاتلوهم جميعًا على صفة واحدة؛ وهي صفة قتال أهل الردة ولم يفرقوا بين تابع ومتبوع، وأماالإقرار: فهو أنه لا يعرف مخالف أو منكر من الصحابة فيماذكرناه.

والخلاصة: أن إجماع الصحابة في هذه المسألة من أقوى الإجماعات صحة وثبوتًا". ا.هـ.

والمباحث أو الاستخبارات، أو مباحث أمن الدولة، أو الأمن الوقائي، أو الأمن السياسي، أو ما شئت من أسماء، أو غيرها من القوات والجيوش والفرق والألوية، التي تساند وتناصر الحكومات المرتدة، وتثبت عروشها، وتجعل الولاء والبراء في شخص الحاكم، وتنفذ المخطط الأمريكي والبريطاني في حربهم ضد المسلمين: داخلة في هذا الحكم الذي أجمع عليه صحابة رسول الله ﷺ، بل إن مسألتنا هذه أوضح من الشمس في رابعة النهار؛ فكل من ساند هؤلاء يعلم علم اليقين: أنه يقاتل المسلمين والمجاهدين مع كفار أصليين تحت راية الصليب؛ لتحطيم المسلمين، ونهب خيراتهم، وتمزيق شعوبهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الدليل الثاني:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

والطاغوت معناه كما قال ابن القيم رحمه الله [١]: "الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده؛ من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم: من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها: رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته".

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله [٢]: "الطاغوت عام: فكل ما عبد من دون الله، ورضي بالعبادة، من معبود أو متبوع أو مطاع، في غير طاعة الله ورسوله؛ فهو طاغوت، والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة:

الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

الرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ

---

[١] إعلام الموقعين (١/ ٥٠).

[٢] الأصول الثلاثة، وانظر مجموعة التوحيد (٢٦٠).

رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦ – ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

الخامس: الذي يُعبد من دون الله وهو راض بالعبادة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩]".

وقال الشيخ حامد الفقي [١]: "الذي يستخلص من كلام السلف رضي الله عنهم: أن الطاغوت كل ما صرف العبد وصده عن عبادة اللهو إخلاص الدين والطاعة لله ولرسوله، سواء في ذلك الشيطان من الجن والشيطان من الإنس، والأشجار والأحجار وغيرها، ويدخل في ذلك بلا شك: الحكم بالقوانين الأجنبية عن الإسلام وشرائعه، وغيرها من كل ما وضعه الإنسان؛ ليحكم به في الدماء والفروج والأموال، وليبطل بها شرائع الله؛ من إقامة الحدود وتحريم الربا والزنا والخمر، ونحوذلك مما أخذت هذه القوانين تحللها وتحميها بنفوذها ومنفذيها، والقوانين نفسها طواغيت، وواضعوها ومروجوها طواغيت، وأمثالها من كل كتاب وضعه العقل البشري ليصرف عن الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ، إما قصدًا أو عن غير قصد من واضعه؛ فهو طاغوت". ا.هـ.

وقال عبد القادر عبد العزيز[٢]: "فالقول الجامع في معنى الطاغوت بحسب الظاهر: أنه كل ما يعبد من دون الله، وأما على التفصيل؛ فقد ورد في الكتاب والسنة النص على نوعين من الطواغيت: طاغوت العبادة وطاغوت الحكم.

أ. فطاغوت العبادة؛ ورد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر:١٧]، وهوكلماُ عبمد من دون الله؛ من شيطان، أو إنسان حي أو ميت، أو حيوان، أو

---

[١] فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (٢٧٨).

[٢] الجامع في طلب العلم (٢/ ٦٦٩).

جماد من شجر أو حجر، أو كوكب من الكواكب، سواء عبد بتقديم القرابين له أو بدعائه أو بالصلاة له من دون الله، أو بطاعته واتباعه فيما يخالف شرع الله.

ويقيد "ما عُبد من دون الله" بلفظ: "وهو راض بذلك"؛ ليخرج منه مثل عيسى بن مريم عليه السلام أو غيره من الأنبياء والملائكة والصالحين؛ فهؤلاء عُبدوا من دون الله وهم لا يرضون بذلك؛ فلا يسمى أحد منهم طاغوتًا.

قال ابن تيمية رحمه الله [١]: وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١]، يعني أن الملاكة لم تأمرهم بذلك، وإنما أمرتهم بذلك الجن؛ ليكونوا عابدين للشياطين التي تتمثل لهم، كما يكون للأصنام شياطين، وكما تتنزل الشياطين على بعض من يعبد الكواكب ويرصدها، حتى تتنزل عليه صورة فتخاطبه، وهو شيطان من الشياطين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٠ - ٦٢].

وقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

ب. وطاغوت الحكم؛ ورد في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠]، وهو كل ما تحوكمم إليه من دون الله؛ من دستور وضعي أو قانون وضعي أو حاكم بغير ما أنزل الله، سواء كان سلطانًا أو قاضيًا أو غيرهما". ا.هـ.

---

[١] مجموع الفتاوى (٤/ ١٣٥-١٣٦).

فيتبين من كل هذا: أن أمريكا طاغوت، ومجلس الأمن طاغوت، والأمم المتحدة طاغوت، والشرعية الدولية طاغوت، والحكومات المعاصرة طواغيت؛ ففي هذه الآية يبين سبحانه أن الذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت وأنهم أولياء الشيطان؛ فمن قاتل تحت راية أمريكا فهو كافر، ومن قاتل تحت راية بريطانيا فهو كافر، ومن أعطاهم المعلومات الاستخبارية عن المجاهدين فهو كافر، ومن نقل جنودهم فهو كافر، ومن فتح المطارات لهم فهو كافر، ومن حماهم فهو كافر، ومن نقل الذخائر لهم على الشاحنات فهو كافر إلخ، فمن قاتل معهم فهو معهم في هذه الأوصاف، سواء كان بيده أو لسانه أو رأيه أو فتواه أو جريدته أو منصبه أو إلخ؛ فقد قال رسول الله ﷺ: ((جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم))، وقال ﷺ: ((إن الله ليدخل بالسهم الوا حد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعه الخير، والرامي به، ومنبله)).

دلت الآية أن من أعان هؤلاء الطوا غيت في حربهم على المسلمين بأي نوع من أنواع الإعانة؛ فهو من أولياء الشيطان الكافرين.

يقول عبد القادر عبد العزيز بعد ذكره لهذه الآية [1]: "فكل من قاتل دفاعًا عن حاكم كافر أو دستور أو قانون كافر، كما يفعله أنصار الحكام المرتدين؛ فقد قاتل في سبيل الطاغوت، وكل من قاتل في سبيل الطاغوت فهو كافر؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦].

ويدخل في هذا: القتال بالقول أو الفعل كما نقلناه عن ابن تيمية.

وتأمل قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ [النساء: ٧٦]؛ فإنه مما يبين لك أن الطاغوت على الحقيقة هو الشيطان الداعي إلى كل كفر، وأن من يقاتل في سبيل الطاغوت فهو إنما يقاتل في سبيل الشيطان على الحقيقة، وهذا أيضًا من باب توكيد كفرهم؛ فإن أولياء الشيطان

---

[1] الجامع في طلب العلم (٢/ ٦٧٨).

هم الكافرون، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

فهذا من أظهر الأدلة على كفر أنصار الحكام المرتدين: بالقول كبعض علماء السوء والإعلاميين، وبالفعل كالجنود على اختلاف أصنافهم، أنهم يقاتلون في سبيل الطاغوت، ومن قاتل في سبيله فهو كافر، ولا يلزم للحكم بكفر كل منهم أن يباشر القتال فعلًا، أو أن يقع قتال، بل كل من كان مُعدًا بواسطة هؤلاء الحكام للقتال دفاعًا عنهم وعن أنظمة حكمهم الكفرية التي هي سبيل الطاغوت؛ فهو كافر، وإذا كان الله قد حكم بكفر من يتحاكم إلى الطاغوت، فكيف بمن يقاتل من دونه وفي سبيله؟". ا.هـ.

أقول: إن دخول المباحث أو الاستخبارات، أو مباحث أمن الدولة، أو الأمن الوقائي، أو الأمن السياسي، أو قوات الطوارئ الخاصة، أو ما شئت من أسماء، ممن يقاتل اليوم مع طواغيت الشرق والغرب في حملتهم ضد الإسلام تحت شعار (مكافحة الإرهاب) في هذه الآية: هو من أوضح الواضحات، التي لا يشك فيها إلا من أعمى الله بصره، وأصم أذنيه، وأزاغ قلبه، فاللهم ثبتنا على الحق حتى نلقاك، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب.

الدليل الثالث:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

قال ابن جرير تعالى في هذه الآية [١]: "والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين جميعًا أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصارًا وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله، وأخبر أنه من اتخذهم نصيرًا وحليفًا ووليًا من دون الله ورسوله والمؤمنين؛ فإنه منهم في التحزب على الله وعلى رسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريئان".

وقال أيضًا [٢]: "وأما قوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾؛ فإنه عنى بذلك أن بعض اليهود أنصار بعضهم على المؤمنين، ويد واحدة على جميعهم، وأن النصارى كذلك بعضهم أنصار بعض على من خالف دينهم وملتهم، معرفًا بذلك عباده المؤمنين أن من كان لهم أو لبعضهم وليًا؛ فإنما هو وليهم على من خالف ملتهم ودينهم من المؤمنين، كما اليهود والنصارى لهم حرب، فقال تعالى ذكره للمؤمنين: فكونوا أنتم أيضًا بعضكم أولياء بعض، ولليهودي والنصراني حربًا كما هم لكم حرب، وبعضهم لبعض أولياء؛ لأن من والاهم فقد أظهر لأهل الإيمان الحرب ومنهم البراءة وأبان قطع ولايتهم".

وقال أيضًا حول قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾: ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فإنه منهم، يقول: فإن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم؛ فإنه لا يتولى متول أحدًا إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض، وإذا رضيه ورضي دينه؛ فقد عادى ما خالفه وسخطه، وصار حكمه حكمه".

إلى أن قال حول قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: "يعني تعالى ذكره بذلك: أن الله لا يوفق من وضع الولاية في غير موضعها؛ فوالى اليهود والنصارى مع

---

[١] تفسير ابن جرير (٦/ ٢٧٦).

[٢] تفسير ابن جرير (٦/ ٢٧٧).

عداوتهم الله ورسوله والمؤمنين على المؤمنين، وكان لهم ظهيرًا ونصيرا؛ لأن من تولاهم فهو لله ولرسوله وللمؤمنين حرب".

وقال القرطبي رحمه الله [١]: "قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ أي يعضدهم على المسلمين، ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ بين تعالى أن حكمه كحكمهم، وهو يمنع إثبات الميراث للمسلم من المرتد، وكان الذي تولاهم ابن أُبي، ثم هذا الحكم باق إلى يوم القيامة في قطع الموالاة، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، وقال تعالى في آل عمران: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]، وقد مضى القول فيه.

وقيل: إن معنى ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي في النصرة، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾: شرط وجوابه؛ أي لأنه قد خالف الله تعالى ورسوله كما خالفوا، ووجبت معاداته كما وجبت معاداتهم، ووجبت لهم النار كما وجبت لهم، فصار منهم أي صاحبهم".

وقال النسفي رحمه الله [٢]: "ونزل نهيًا عن موالاة أعداء الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾؛ أي: لا تتخذوهم أولياء؛ تنصرونهم وتستنصرونهم، وتؤاخونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين، ثم علل النهي بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ وكلهم أعداء المؤمنين، وفيه دليل على أن الكفر كله ملة واحدة ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ من جملتهم وحكمه حكمهم، وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لا يرشد الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفرة".

---

[١] تفسير القرطبي (٦/ ٢١٧).

[٢] تفسير النسفي (١/ ٢٨٧).

وقال الشوكاني رحمه الله [١]: "قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي فإنه من جملتهم وفي عدادهم، وهو وعيد شديد؛ فإن المعصية الموجبة للكفر هي التي قد بلغت إلى غاية ليس وراءها غاية".

وقال ابن حزم رحمه الله [٢]: "صح أن قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين". ا.هـ.

وقال ابن تيمية رحمه الله [٣]: "قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ فيوافقهم ويعينهم ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾". ا.هـ.

وقال ابن القيم رحمه الله [٤]: "إنه سبحانه قد حكم، ولا أحسن من حكمه: أن من تولى اليهود والنصارى فهو منهم: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن: كان لهم حكمهم".

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نواقض الإسلام العشرة التي عددها [٥]: "الناقض الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾".

---

[١] فتح القدير (٢/ ٥٠).

[٢] المحلى (١١/ ١٣٨).

[٣] مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣٢٦).

[٤] أحكام أهل الذمة (١/ ٦٧).

[٥] مجموعة التوحيد (٣٨).

وقال: "إن الأدلة على كفر المسلم إذا أشرك بالله، أو صار مع المشركين على المسلمين، ولو لم يشرك: أكثر من أن تحصر، من كلام الله وكلام رسوله، وكلام أهل العلم المعتمدين".

ويقول القاسمي رحمه الله [١]: "﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي في جملتهم، وحكمه حكمهم، وإن زعم أنه مخالف لهم في الدين؛ فهو بدلالة الحال منهم لدلالتها على كمال الموافقة".

وما فعله أفراد وضباط المباحث أو الاستخبارات، أو مباحث أمن الدولة، أو الأمن الوقائي، أو الأمن السياسي، أو ما شئت من أسماء، وغيرها من الجيوش والألوية: من أكبر التولي لأعداء الله، وهي مظاهرة صريحة لليهود والنصارى لاحتلال بلدان المسلمين، ونهب خيراتهم وبتروله‍م، وتمزيق شملهم، وكما قال ابن جرير: "فإن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين: فهو من أهل دينهم وملتهم؛ فإنه لا يتولى متول أحدًا إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض، وإذا رضيه ورضي دينه؛ فقد عادى ما خالفه وسخطه، وصار حكمه حكمه".

الدليل الرابع:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ۝ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ إِنَّمَا

---

[١] تفسير القاسمي (٦/ ٢٤٠).

وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٢ – ٥٦].

قال ابن كثير رحمه الله [١]: "قوله تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شك وريب ونفاق، ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي: يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر، ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ أي: يتأولون في مودتهم وموالاتهم: أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين، فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارى؛ فينفعهم ذلك".

قال ابن تيمية رحمه الله [٢]: "فإنه ما ارتد عن الإسلام طائفة إلا أتى الله بقوم يحبهم يجاهدون عنه وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة.

يبين ذلك أنه ذكر هذا في سياق النهي عن موالاة الكفار فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ – إلى قوله –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، فالمخاطبون بالنهي عن موالاة اليهود والنصارى هم المخاطبون بآية الردة، ومعلوم أن هذا يتناول جميع قرون الأمة، وهو لما نهى عن موالاة الكفار وبين أن من تولاهم من المخاطبين: فإنه منهم؛ بين أن من تولاهم وارتد عن دين الإسلام لا يضر الإسلام شيئًا، بل سيأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه؛ فيتولون المؤمنين دون الكفار، ويجاهدون

---

[١] تفسير ابن كثير (٢/ ٦٩).

[٢] مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٠٠)، (٢٨/ ١٩٣).

في سبيل الله لا يخافون لومة لائم، كما قال في أول الأمر: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

فهؤلاء الذين لم يدخلوا في الإسلام، وأولئك الذين خرجوا منه بعد الدخول فيه: لا يضرون الإسلام شيئًا، بل يقيم الله من يؤمن بما جاء به رسوله وينصر دينه إلى قيام الساعة".

وقال ابن جرير رحمه الله [١]: "يقول المؤمنون تعجبًا منهم ومن نفاقهم، وكذبهم واجترائهم على الله في أيمانهم الكاذبة بالله: أهؤلاء الذين أقسموا لنا بالله إنهم لمعنا وهم كاذبون في أيمانهم لنا؟!".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حول حبوط العمل [٢]: "ولا تحبط الأعمال بغير الكفر؛ لأن من مات على الإيمان فإنه لا بد من أن يدخل الجنة ويخرج من النار إن دخلها، ولو حبط عمله كله لم يدخل الجنة قط، ولأن الأعمال إنما يحبطها ما ينافيها، ولا ينافي الأعمال مطلقًا إلا الكفر، وهذا معروف من أصول أهل السنة".

وقال ابن القيم رحمه الله [٣]: "وقطع الموالاة بين اليهود والنصارى وبين المؤمنين، وأخبر أنه من تولاهم فإنه منهم، في حكمه المبين؛ فقال تعالى وهو أصدق القائلين سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

---

[١] تفسير ابن جرير (٦/ ٢٨١).

[٢] الصارم المسلول (٢/ ٢١٤) النسخة المحققة.

[٣] أحكام أهل الذمة (١/ ٢٣٣-٢٣٤).

وأخبر عن حال متوليهم بما في قلبه من المرض المؤدي إلى فساد العقل والدين؛ فقال: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾.

ثم أخبر عن حبوط أعمال متوليهم ليكون المؤمن لذلك من الحذرين فقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾".

وقال الشوكاني رحمه الله [١]: "﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ هذا شروع في بيان أحكام المرتدين بعد بيان أن موالاة الكافرين من المسلم كفر، وذلك نوع من أنواع الردة".

يقول عبد القادر عبد العزيز بعد ذكره لهذه الآيات [٢]: "هناك عدة مسائل ينبغي التنبيه عليها في مسألة موالاة المسلم للكافر، وهي:

أ. إن هذه الآيات في النهي عن موالاة الكفار عمومًا ليست في النهي عن موالاة اليهود والنصارى دون غيرهم من الكفار؛ وذلك لأن لفظ (اليهود والنصارى) هو لقب، ومفهوم مخالفة اللقب لا حجة فيه عند جمهور العلماء [٣]؛ فالنهي عن الموالاة يصدق على اليهود والنصارى وعلى غيرهم من الكفار كما دلت عليه الآيات الأخرى كقوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١]، ولهذا قال أبو بكر بن العربي في تفسيره

---

[١] فتح القدير (٢/ ٥١).

[٢] الجامع في طلب العلم (٢/ ٦٨٣-٦٨٥).

[٣] انظر (إرشاد الفحول) للشوكاني (١٦٦ و ١٦٩).

لآية المائدة هذه [١]: "إن الآية تفيد نفي اتخاذ الأولياء من الكفار جميعًا" فيدخل في هذا: النهي عن موالاة الحكام المرتدين فإنهم من جملة الكافرين، فإن تسميته مرتدًا لا تمنع من أنه كافر كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧] وقال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٦] ونحوها من الآيات، بل قد قال ابن تيمية [٢]:وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي".

ب- وقد أفادت آيات سورة المائدة موضع الاستدلال بأن من تولى الكفار فقد كفر، وقد تأكد كفره بعدة مؤكدات من نفس الآيات ومن غيرها، ومن ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، وأكد أنه منهم بحرف التوكيد (إن).

٢- وقوله تعالى: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾، وحبوط العمل والخسران بسبب الكفر.

٣- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾، فإنها خطاب لنفس المخاطبين بالنهي عن موالاة الكافرين، كما قال ابن تيمية والشوكاني فيما نقلته عنهما آنفًا: إن الموالاة نوع من الردة.

٤- وقوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران:٢٨].

قال ابن جرير الطبري في تفسيرها [٣]: "ومعنى ذلك: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهرًا وأنصارًا، توالونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم

---

[١] أحكام القرآن (٢/ ٦٣٠).

[٢] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٧٨)، وله مثله في (٢٨/ ٥٣٤)، و(٣٥/ ١٥٨-١٥٩).

[٣] تفسير الطبري (٦/ ٣١٣).

على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء، يعني بذلك فقد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر".

فائدة في وجوب رد المتشابه إلى المحكم:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، قال ابن كثير في تفسيرها [١]: "يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب: أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكَّم محكمه على متشابه عنده فقد اهتدى، ومن عكس انعكس". ا.هـ.

والمحكم واضح الدلالة في مسألة حكم من تولى الكافرين؛ وهو قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ فهذا نص صريح في كفره، فيجب رد المتشابه في نفس المسألة إلى هذا النص المحكم، والمتشابه خفي الدلالة هنا: النصوص الدالة على نفي الإيمان عمن يتولى الكافرين، فإن نفي الإيمان يحتمل نفي أصله فيكون فاعله كافرًا، ويحتمل نفي كماله الواجب فيكون فاعله فاسقًا، ويتم تعيين المراد من نفي الإيمان بالقرائن ومنها رد المتشابه إلى المحكم في موضوعه.

وعليه فإن كل نص ورد فيه نفي الإيمان عمن تولى الكافرين، فالمراد نفي أصله؛ أي أنه كافر بدلالة النص المحكم في نفس المسألة ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ ومن النصوص المشتملة على نفي الإيمان في موضوع الموالاة قوله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ۝ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ

---

[١] تفسير ابن كثير (١/ ٣٤٤).

وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٨٠ - ٨١]، وقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ونحوها من الآيات.

ج- وقد أفادت آيات سورة المائدة موضع الاستدلال أن هذا الحكم بالكفر عام، يجري على كل مسلم تولى الكافرين؛ وذلك لأن الآية المشتملة على هذا الحكم هي من صيغ العموم، لأنها مصدرة بـ (مَن) الشرطية، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، وقال ابن تيمية رحمه الله [١]: "ولفظ (مَن) أبلغ صيغ العموم، لا سيما إذا كانت شرطًا أو استفهامًا".

وبهذا تعلم أن هذا الحكم جار على أنصار الحاكم المرتد، الذين ينصرونه بالقول والفعل؛ فهذه موالاة للكافرين بلا ريب، وأنهم داخلون في هذا النص العام، فهم كفار لا محالة".ا.هـ.

إذًا يتبين لك أيها القارئ بوضوح كفر أفراد وضباط المباحث أو الاستخبارات، أو مباحث أمن الدولة، أو الأمن الوقائي، أو الأمن السياسي، أو ما شئت من أسماء هذه القوات والجيوش والألوية، التي تسارع في هؤلاء الكفار وتقول: تخشى أن تصيبها دائرة؛ فقد حكم الله عليها بالردة وحبوط الأعمال والخسارة، وبين أن جند الله الذين يتولون الله ورسوله والذين آمنوا: أنهم حزب الله الغالبون، وغيرهم حزب الشيطان المغلوبون، وفيما يأتي من أدلة مزيد بيان، والله المستعان.

---

[١] مجموع الفتاوى (١٥/ ٨٢)، وله مثله في (٢٤/ ٣٤٦).

الدليل الخامس:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[المائدة: ٥٧].

وهذه الآية في سياق الآيات السابقة؛ تبين وتؤكد كفر من تولى الذين اتخذوا ديننا هزوًا ولعبًا، ولا أظنه يخفى على أحد أن اليهود والنصارى، وعلى رأسهم أمريكا وبريطانيا: قد اتخذوا ديننا لهوًا ولعبًا، وكذلك هذه الأنظمة المرتدة التي تسخر من الدين وأهله علانية، وتسب الله ورسوله، وتحارب شعائره وأولياءه، وتحكم بغير ما أنزل الله؛ فمن تولى هؤلاء فليس بمؤمن كما قال الله في آخر الآية، فأهل الإيمان لا يصدر منهم هذا الفعل.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله [١]: "فتأمل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ فإن هذا الحرف – وهو (إن) الشرطية – تقتضي نفي شرطها إذا انتفى جوابها، ومعناه: أن مَن اتخذهم أولياء فليس بمؤمن".

الدليل السادس:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨].

---

[١] الدرر السنية (٨/ ٢٨٨).

قال ابن جرير تعالى رحمه الله [١]: "ومعنى ذلك لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهورًا وأنصارًا؛ توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم؛ فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء، يعني فقد برئ من الله، وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر، إلا أن تتقوا منهم تقاة: إلا أن تكونوا في سلطانهم؛ فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلم بفعل".

قال ابن كثير رحمه الله [٢]: "وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أي من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم؛ فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته، كما قال البخاري: عن أبي الدرداء أنه قال: إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم. وقال الثوري: قال ابن عباس: ليس التقية بالعمل، إنما التقية باللسان".

وقال القرطبي رحمه الله [٣]: "قال معاذ بن جبل ومجاهد: كانت التقية في جدة الإسلام قبل قوة المسلمين، فأما اليوم؛ فقد أعز الله الإسلام أن يتقوا من عدوهم.

قال ابن عباس: هو أن يتكلم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ولا يقتل ولا يأتي مأثمًا.

قال الحسن: التقية جائزة للإنسان إلى يوم القيامة، ولا تقية في القتل".

---

[١] تفسير ابن جرير (٣/ ٢٢٨).

[٢] تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٨).

[٣] تفسير القرطبي (٤/ ٥٧).

الدليل السابع:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨ - ١٣٩].

قال ابن جرير رحمه الله [١]: "يقول الله لنبيه: يا محمد؛ ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ﴾ الذين يتخذون أهل الكفر بي والإلحاد في ديني أولياء؛ يعني أنصارًا وأخلاء من دون المؤمنين؛ يعني المؤمنين، ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ يقول: أيطلبون عندهم المنعة والقوة باتخاذهم إياهم أولياء من دون أهل الإيمان بي؟ ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يقول: فإن الذين اتخذوهم من الكافرين أولياء ابتغاء العزة عندهم: هم الأذلاء الأقلاء، فهلا اتخذوا الأولياء من المؤمنين فيلتمسوا العزة والمنعة والنصرة من عند الله، الذي له العزة والمنعة الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء فيعزهم ويمنعهم؟!".

ويقول البيضاوي رحمه الله [٢]: "﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي اتخاذهم أولياء؛ ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي من ولايته في شيء يصح أن يسمى ولاية؛ فإن موا لاة المتعاديين لا يجتمعان".

ويقول الشوكاني رحمه الله [٣]: "قوله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ﴾ فيه النهي عن موالاة الكفار لسبب من الأسباب، وقوله: ﴿مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في محل الحال؛ أي متجاوزين المؤمنين إلى

---

[١] تفسير ابن جرير (٣/ ٣٢٩).

[٢] الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك (٥٦)، وانظر (٣٩).

[٣] فتح القدير (١/ ٣٣١)، وانظر: رسالة أوثق عرى الإيمان (٢٨)، والدلائل (٣٢)، كلاهما للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب.

الكافرين استقلالًا أو اشتراكًا، ومعنى قوله: ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي من ولايته في شيء من الأشياء، بل هو منسلخ عنه بكل حال".

الدليل الثامن:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى [١]: "فإذا كان وعد المشركين في السر بالدخول معهم ونصرتهم والخروج معهم إن جلوا نفاقًا وكفرًا وإن كان كذبًا؛ فكيف بمن أظهر لهم ذلك صادقًا، وقدم عليهم، ودخل في طاعتهم، ودعا إليها، ونصرهم وانقاد لهم، وصار من جملتهم، وأعانهم بالمال والرأي؟ هذا مع أن المنافقين لم يفعلوا ذلك إلا خوفًا من الدوائر، كما قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾".

---

[١] الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك (٥٢)، وانظر: الدرر السنية (٨/١٣٨).

الدليل التاسع:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ۝ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٨١].

يقول ابن تيمية رحمه الله عن هذه الآية [١]: "فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف (لو) التي تقتضي مع انتفاء الشرط انتفاء المشروط، فقال: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء: ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه، ومثله قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ فإنه أخبر في تلك الآيات أن متوليهم لا يكون مؤمنًا، وأخبر هنا أن متوليهم هو منهم، فالقرآن يصدق بعضه بعضا".

قال العلامة حمد بن عتيق رحمه الله حول هذه الآية وغيرها من الآيات [٢]: "فأما معاداة الكفار والمشركين؛ فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك، وأكد إيجابه وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده".

---

[١] مجموع الفتاوى (٧/ ١٧).

[٢] سبيل النجاة والفكاك من موا لاة المرتدين وأهل الإشراك.

قال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ۝ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾. قال شيخ الإسلام: "فبين سبحانه أن الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه ملتزم بعدم ولايتهم؛ فثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان؛ لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم".

قلت: رتب الله تعالى على موالاة الكافرين سخطه والخلود في العذاب، وأخبر أن ولايتهم لا تحصل إلا ممن ليس بمؤمن، وأما أهل الإيمان بالله وكتابه ورسوله فإنهم لا يوالونهم بل يعادونهم، كما أخبر الله عن إبراهيم والذين معه من المرسلين؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ فنهى سبحانه وتعالى المؤمنين أن يوالوا اليهود والنصارى، وذكر أن من تولاهم فهو منهم أي: من تولى اليهود فهو يهودي، ومن تولى النصارى فهو نصراني.

وقد روى ابن أبي حاتم عن محمد بن سيرين قال: قال عبد الله بن عتبة: ليتق أحدكم أن يكون يهوديًا أو نصرانيًا وهو لا يشعر، قال: فظننا يريد هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، وكذلك من تولى المشرك فهو مشرك، ومن تولى الأعاجم فهو أعجمي، فلا فرق بين من تولى أهل الكتابين وغيرهم من الكفار، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، فنهى سبحانه المؤمنين عن موالاة أهل الكتابين وغيرهم من الكفار، وبين أن موالاتهم تنافي الإيمان، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ

إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٣ - ٢٤]، فنهى سبحانه وتعالى المؤمن عن موالاة أبيه وأخيه اللذين هما أقرب الناس إليه إذا كان دينهما غير الإيمان، وبين أن الذي يتولى أباه وأخاه إذا كانا كافرين فهو ظالم، فكيف بمن تولى الكافرين الذين هم أعداء له ولآبائه ولدينه؟! أفلا يكون هذا ظالمًا؟! بلى والله إنه لمن أظلم الظالمين، ثم بين تعالى أن هذه الثمانية لا تكون عذرًا في موالاة الكافرين، فليس لأحد أن يواليهم خوفًا على أبيه أو أخيه أو بلاده أو ماله، أو مشحته بعشيرته، أو مخافته على زوجاته، فإن الله قد سد على الخلق باب الأعذار بأن هذا ليس بعذر". ا.هـ. بتصرف واختصار.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله [١]: "فذكر تعالى أن موالاة الكفار منافية للإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه، ثم أخبر أن سبب ذلك كون كثير منهم فاسقين، ولم يفرق بين من خاف الدائرة ولم يخف، وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين قبل ردتهم كثير منهم فاسقون، فجر ذلك إلى موالاة الكفار والردة عن الإسلام، نعوذ بالله من ذلك".

الدليل العاشر:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

قال ابن كثير رحمه الله [٢]: "ومعنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ أي: إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين، وإلا وقعت فتنة في الناس؛ وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين، فيقع بين الناس فساد منتشر".

---

[١] الدرر السنية (٨/ ١٢٩).

[٢] تفسير ابن كثير (٢/ ٣٣١).

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ [١]: "وما جاء في القرآن من النهي والتغليظ الشديد في موالاتهم وتوليهم، دليل على أن أصل الأصول لا استقامة له ولا ثبات له إلا بمقاطعة أعداء الله وحربهم وجهادهم والبراءة منهم، والتقرب إلى الله بمقتهم وعيبهم، وقد قال تعالى لما عقد الموالاة بين المؤمنين وأخبر أن الكافرين بعضهم أولياء بعض قال: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ وهل الفتنة إلا الشرك، والفساد الكبير هو انتشار عقد التوحيد والإسلام وقطع ما أحكمه القرآن من الأحكام والنظام؟".

الدليل الحادي عشر:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤].

قال الطبري رحمه الله [٢]: "يقول لهم جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا توالوا الكفار فتوازروهم من دون أهل ملتكم ودينكم من المؤمنين فتكونوا كمن أوجب له النار من المنافقين".

الدليل الثاني عشر:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩ – ١٥٠].

---

[١] الدرر السنية (٨/ ٣٢٤-٣٢٦).

[٢] تفسير الطبري (٥/ ٣٣٧).

قال ابن جرير الطبري رحمه الله [١]: "يعني بذلك تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله في وعد الله ووعيده وأمره ونهيه، ﴿إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني الذين جحدوا نبوة نبيكم محمد ﷺ من اليهود والنصارى فيما يأمرونكم به وفيما ينهونكم عنه، فتقبلوا رأيهم في ذلك، وتنتصحوهم فيما تزعمون أنهم لكم فيه ناصحون، ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ يقول: يحملوكم على الردة بعد الإيمان، والكفر بالله وآياته وبرسوله بعد الإسلام، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ يقول: فترجعوا عن إيمانكم ودينكم الذي هداكم الله له، (خاسرين) يعني هالكين؛ قد خسرتم أنفسكم وضللتم عن دينكم، وذهبت دنياكم وآخرتكم، ينهى بذلك أهل الإيمان بالله أن يطيعوا أهل الكفر في آرائهم وينتصحوهم في أديانهم".

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله [٢]: "أخبر تعالى أن المؤمنين إن أطاعوا الكفار فلا بد أن يردوهم على أعقابهم عن الإسلام، فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر، وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة، ولم يرخص في موافقتهم وطاعتهم خوفًا منهم، وهذا هو الواقع؛ فإنهم لا يقتنعون ممن وافقهم إلا بشهادة أنهم على حق، وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين، وقطع اليد عنهم".

الدليل الثالث عشر:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥ - ٢٦].

---

[١] تفسير الطبري (٤/ ١٢٢-١٢٣).

[٢] الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك (٢٣).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله [١]: "أخبر تعالى أن سبب ما جرى عليهم من الردة وتسويل الشيطان والإملاء لهم: هو قولهم للذين كرهوا ما نزل الله، سنطيعكم في بعض الأمر فإذا كان من وعد المشركين الكارهين لما نزل الله بطاعتهم في بعض الأمر كافرًا، وإن لم يفعل ما وعدهم به، فكيف بمن وافق المشركين وأظهر أنهم على هدى؟!".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [٢]: "قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ فهذا النوع من الموالاة كان سببًا في ردة أولئك القوم".

يقول ابن حزم رحمه الله [٣]: "فجعلهم مرتدين كفارًا بعد علمهم الحق، وبعد أن تبين لهم الهدى بقولهم للكفار ما قالوا فقط، وأخبرنا تعالى أنه يعرف إسرارهم".

ويقول القاسمي رحمه الله [٤]: "﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من ارتدادهم، ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي لسبب أنهم ﴿قَالُوا﴾ أي المنافقون، ﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ أي لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله ﷺ: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أي بعض أموركم، أو ما تأمرون به، كما أوضح ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١]".

---

[١] الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك (٥٠-٥١)، وانظر: الدرر السنية (٨/ ١٣٦).

[٢] مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٩٣).

[٣] الفصل (٣/ ٢٦٢).

[٤] تفسير القاسمي (١٥/ ٥٦).

فتلك الآيات الكريمات قد قررت أن بعضًا من الطاعة لأولئك الكفار هي ردة عن دين الإسلام، كموافقتهم في عداوة الرسول ﷺ، أو المظاهرة على محمد ﷺ كما جاء مفصلًا في كتب التفسير [١].

الدليل الرابع عشر:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

قال ابن كثير رحمه الله [٢]: إن اليهود لما علموا أن جبريل عليه السلام هو الذي ينزل بالوحي إلى النبي ﷺ، قالوا: إن جبريل ينزل بالعذاب والنقمة فإنه عدو لنا. فأنزل الله هذه الآية والتي قبلها يبين أن من عادى رسولًا من رسله فقد عادى رسله كلهم من الملائكة ومن الناس، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، ومن عادى رُسُل الله؛ فقد عادى الله وكان من الكافرين ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾.

وأفراد وضباط المباحث أو الاستخبارات، أو مباحث أمن الدولة، أو الأمن الوقائي، أو الأمن السياسي، أو ما شئت من أسماء، وهذه القوات وغيرها من الجيوش والألوية؛ هي التي مكنت لأعداء الله، وهي التي تحارب دين الله، وتذل عباد الله، وهي من أكبر الصادين عن سبيل الله؛ يقول عبد القادر عبد العزيز [٣]: "فأي عداوة لله ولرسوله ولدينه أعظم من هجر أحكام شريعته واستبدال قوانين كافرة بها؟ وأي عداوة لله ولرسوله ولدينه أعظم من السخرية بشعائر الدين؛ كاللحية والحجاب وغيرهما، كما تطفح به وسائل إعلام هؤلاء الطواغيت؟

---

[١] انظر زاد المسير لابن الجوزي (٧/ ٤٠٩)، وفتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٩).

[٢] تفسير ابن كثير (١/ ١٣١-١٣٣).

[٣] الجامع في طلب العلم (٢/ ٦٧٨-٦٧٩).

وأي عداوة لله ولرسوله ولدينه أعظم من معاداة أولياء الله المتمسكين بدينهم وسجنهم وتعذيبهم وقتلهم ومحاربتهم في أرزاقهم؟ وأي عداوة لله ولرسوله ولدينه أعظم من نصرة أنظمة الحكم العلمانية الكافرة بالقول والفعل، والقتال في سبيل بقائها ودوامها، والقتال دفاعًا عن أئمة الكفر الذين يحكمون بهذه الأنظمة؟ أليس هذا هو ما يفعله الحكام المرتدون وأنصارهم وجنودهم؟ وأليست أفعالهم هذه هي صريح المعاداة لله ولرسوله ولدينه؟ ومن كان عدوًا لله ولرسوله ولدينه فهو كافر، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾".

إلى أن قال: "فكيف بمن بدل شريعة النبي ﷺ جملة، واستهزأ بدينه، وسخر من أهله؟! وكيف بمن أعانه على ذلك ونصره ودافع عنه؟! قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا﴾ [المائدة: ٣٣]، وقد نزلت هذه الآيات في المرتدين في حادثة العرنيين، وفسر الجمهور المحاربة في هذه الآية بالذي يقطع الطريق على الناس مسلمًا كان أو كافرًا [١]، فإذا كان من يقطع الطريق على مسلم لأجل سرقة وغيرها قد سُمي محارًبا لله ولرسوله، فكيف بمن يقطع الطريق على دين الله ورسوله بإماتة أحكام شريعته؟ وكيف بمن يسعى في إعلاء شرائع الكفر في الأرض وتحكيمها في دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم؟ وكيف بمن يعينه وينصره على ذلك؟ فأي عداوة لله ولرسوله ولدينه أشد من هذا؟ ولكن الأمر كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، ومن كان عدوًا لله ولرسوله ولدينه كهؤلاء الحكام وجنودهم؛ فهو كافر".

الدليل الخامس عشر:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ

---

[١] انظر فتح الباري (٨/ ٢٧٤)، و(١٢/ ١٠٩-١١٠)، وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ٨٥).

الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال البيضاوي رحمه الله [١]: "أخبر تعالى أنك لا تجد من يؤمن بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب، وأن هذا مناف للإيمان مضاد له، لا يجتمع هو والإيمان إلا كما يجتمع الماء والنار".

وقال ابن كثير [٢]: "وقيل في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ نزلت في أبي عبيدة؛ قتل أباه يوم بدر، ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ في الصديق؛ هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن، ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾ في مصعب بن عمير؛ قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ، ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ في عمر قتل قريبًا له يومئذ أيضًا، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث؛ قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ، فالله أعلم.

قلت: ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله ﷺ المسلمين في أسارى بدر، فأشار الصديق بأن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين، وهم بنو العم والعشيرة، ولعل الله تعالى أن يهديهم، وقال عمر: لا أرى ما رأى يا رسول الله، هل تمكنني من فلان – قريب لعمر – فأقتله، وتمكن عليًا من عقيل، وتمكن فلانًا من فلان، ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا موادة للمشركين؟.. القصة بكمالها. وقال ابن عباس: وأيدهم بروح منه: أي قواهم. – إلى قوله – "وفي قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ سر بديع؛ وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى: عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه".

---

[١] تفسير البيضاوي (١/ ١٥٥).

[٢] تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٠-٣٣١).

الدليل السادس عشر:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ١ - ٤].

قال ابن كثير رحمه الله [١]: "كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة: قصة حاطب بن أبي بلتعة؛ قال الإمام أحمد... إن عبيد الله بن أبي رافع أخبره أنه سمع عليًا رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال: ((انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها)) فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا: أخرجي الكتاب. قالت: ما معي كتاب. قلنا: لتخرجن تفسير الكتاب، أو لتلقين الثياب. قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: ((يا حاطب، ما هذا؟))، قال: لا تعجل علي، إني كنت امرأً ملصقًا في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي،

---

[١] ابن كثير (٤/ ٣٤٥-٣٤٩).

وما فعلت ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: ((إنه صدقكم))، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: ((إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟)) وهكذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من غير وجه عن سفيان بن عيينة به، وزاد البخاري في كتاب المغازي: فأنزل الله السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ – إلى قوله –: "يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ﴾ أي تبرأنا منكم ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي بدينكم وطريقتكم، ﴿وبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾ يعني وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا ما دمتم على كفركم؛ فنحن أبدًا نتبرأ منكم ونبغضكم ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ أي إلى أن توحدوا الله؛ فتعبدوه وحده لا شريك له، وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد".

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله [1]: "أي أخطأ الصراط المستقيم، فأخبر تعالى أن من تولى أعداء الله وإن كانوا أقرباء وأصدقاء فقد ضل سواء السبيل، أي أخطأ الصراط المستقيم، وخرج عنه إلى الضلال، فأين هذا ممن يدعي أنه على الصراط المستقيم لم يخرج عنه، فإن هذا تكذيب لله، ومن كذب الله فهو كافر، واستحلال لما حرم الله من ولاية الكفار، ومن استحل محرمًا فهو كافر".

قال الشيخ ناصر الفهد فك الله أسره [2]: "هذه القصة تدل على أن الأصل في مظاهرة الكفار ومناصرتهم هو الردة والخروج عن الإسلام من ثلاثة وجوه:

---

[1] الدرر السنية (٨/ ١٢١).

[2] التبيان في كفر من أعان الأمريكان (٦٠-٦١).

الوجه الأول: قول عمر: دعني أضرب هذا المنافق، وفي رواية: فقد كفر، وفي رواية: بعد أن قال الرسول ﷺ: ((أوَ ليس قد شهد بدرًا؟)). قال عمر: بلى ولكنه نكث وظاهر أعداءك عليك. فهذا يدل على أن المتقرر عند عمر أن مظاهرة الكفار: كفر وردة.

الوجه الثاني: إقرار الرسول ﷺ لما فهمه عمر، وإنما ذكر عذر حاطب.

الوجه الثالث: أن حاطبًا قال: ما فعلت ذلك كفرًا، ولا ارتدادًا عن ديني، ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام. وهذا يدل على أنه قد تقرر لديه أيضًا أن مظاهرة الكفار (كفر وردة ورضا بالكفر).

فإذا كان هذا قد يظن في مثل صورة عمل حاطب مع أنه قد خرج غازيًا مع الرسول ﷺ بنفسه وماله مناصرًا له ومظاهرًا له على أعدائه المشركين، ولم يظاهر الكفار ولم ينصرهم بنفس ولا مال، ولكن احتمل عمله هذا فقيل فيه ما قيل، فكيف بمن ظاهر الكفار فعلًا وظاهرهم وأعانهم على المسلمين؟! لا شك أنه أولى بالأحكام المذكورة في هذا الحديث".

الدليل السابع عشر:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٣ - ٢٤].

قال ابن كثير رحمه الله [١]: "وروي الحافظ البيهقي من حديث عبد الله بن شوذب قال: جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح ينعت له الآلهة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر الجراح قصده ابنه أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله فيه هذه الآية.

وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: ((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين))".

الدليل الثامن عشر:

من كتاب الله تعالى، قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله [٢]: "أي: في أي فريق كنتم؛ أفي المسلمين أم في فريق المشركين؟ فاعترفوا عن كونهم ليسوا في فريق المسلمين بالاستضعاف، فلم تعذرهم الملائكة، وقالوا لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ولا يشك عاقل أن البلدان الذين خرجوا عن المسلمين وصاروا مع المشركين، وفي فريقهم وجماعتهم، هذا مع أن الآية نزلت في أناس من أهل مكة أسلموا واحتبسوا عن الهجرة، فلما خرج المشركون إلى بدر أكرهوهم على الخروج معهم فخرجوا خائفين، فقتلهم المسلمون يوم بدر، فلما علموا بقتلهم تأسفوا، وقالوا: قتلنا إخواننا، فأنزل الله فيهم هذه الآية، فكيف بأهل البلدان الذين كانوا على الإسلام فخلعوا ربقته من أعناقهم، وأظهروا لأهل الشرك الموافقة على دينهم، ودخولًا في طاعتهم، وآووهم

---

[١] تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٣-٣٤٤).

[٢] مجموعة التوحيد (٢٣٦).

ونصروهم، وخذلوا أهل التوحيد، واتبعوا غير سبيلهم، وخطؤوهم وظهر فيهم سبهم وشتمهم وعيبهم والاستهزاء بهم وتسفيه رأيهم في ثباتهم على التوحيد والصبر عليه وعلى الجهاد فيه، وعاونهم على أهل التوحيد طوعًا لا كرهًا واختيارًا لا اضطرارًا؟!! فهؤلاء أولى بالكفر والنار من الذين تركوا الهجرة؛ شحًا بالوطن، وخوفًا من الكفار، وخرجوا في جيشهم مكرهين خائفين".

الدليل التاسع عشر:

من السنة، روى البخاري في صحيحه عن محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود قال: قطع على أهل المدينة بعث فاكتتبت فيه، فلقيت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته، فنهاني عن ذلك أشد النهي، وقال: أخبرني ابن عباس: أن ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سوادهم على عهد رسول الله ﷺ يأتي السهم يرمي به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب عنقه فيقتل، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾.

الدليل العشرون:

من السنة، وهو إجراء النبي ﷺ حكم الكفار في أخذ الفداء من الأسرى على عمه العباس بن عبد المطلب لما خرج مع الكفار يوم بدر.

والحديث أصله بالبخاري، وفيه عن أنس أن رجالًا من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ فقالوا: ائذن لنا فلنترك لابن اختنا عباس فداءه، قال ﷺ: ((والله لا تذرون منه درهمًا)) [حديث ٤٠١٨ بكتاب المغازي].

وقول الأنصار: "ابن اختنا عباس"؛ لأن جدته أم أبيه عبد المطلب كانت منهم أي من أهل يثرب.

قال ابن حجر رحمه الله [١]: "قوله: "إن رجالًا من الأنصار"؛ أي ممن شهد بدرًا، لأن العباس كان أُسر ببدر كما سيأتي، وكان المشركون أخرجوه معهم إلى بدر، فأخرج ابن إسحاق من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: ((قد عرفت أن رجالًا من بني هاشم قد أُخرجوا كرهًا، فمن لقي أحدًا منهم فلا يقتله)) - إلى قوله -: وأخرج ابن إسحاق من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: ((يا عباس، افدِ مد نفسك وابن أخويك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن عمرو؛ فإنك ذو مال))، قال: إني كنت مسلمًا ولكن القوم استكرهوني، قال ﷺ: ((الله أعلم بما تقول، إن كنت ما تقول حقًّا إن الله يجزيك، ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا))".

يقول عبد القادر عبد العزيز وفقه الله بعد ذكره لهذا النص [٢]: "وقد دل الحديث على أن النبي ﷺ قد أجرى أحكام الكفار في أخذ الفداء من الأسرى على العباس، واعتبره كافرًا عينًا في الحكم الظاهر، لما خرج في صفوف الكفار لقتال المسلمين، ولم يعتبر دعواه الإكراه مانعة من إجراء حكم الكفار عليه.

وهذا الحديث وما دل عليه من حكم هو نص في محل النزاع، ودليل لقولنا إن أنصار الحكام المرتدين كفار على التعيين في الحكم الظاهر، وقد نقلنا إجماع الصحابة على هذا الحكم في الدليل الأول.

واستدل شيخ الإسلام ابن تيمية بحديث العباس هذا على الحكم بكفر كل من خرج إلى القتال مع الكفار ولو كان مؤمنًا مكرهًا في الحقيقة، فقال [٣]: "وقد يقاتلون وفيهم مؤمن يكتم إيمانه يشهد القتال معهم ولا يمكنه الهجرة، وهو مكره على القتال، ويبعث يوم القيامة على نيته، كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: ((يغزو جيش هذا البيت، فبينما

---

[١] فتح الباري (٧/ ٣٢٢).

[٢] الجامع في طلب العلم (٢/ ٦٨٦-٦٨٧).

[٣] مجموع الفتاوى (١٩/ ٢٢٤-٢٢٥)، وله مثله في منهاج السنة (٥/ ١٢١-١٢٢).

هم ببيداء من الأرض إذ خُسف بهم))، فقيل: يا رسول الله، وفيهم المكره، قال: ((يبعثون على نياتهم))، وهذا في ظاهر الأمر وإن قُتل وحُكم عليه بما يُحكم على الكفار فالله يبعثه على نيته،كما أن المنافقين منا يحكم لهم في الظاهر بحكم الإسلام ويبعثون على نياتهم، والجزاء يوم القيامة على ما في القلوب لا على مجرد الظواهر، ولهذا رُوي أن العباس قال: يا رسول الله، كنت مكرهًا، قال: ((أما ظاهرك فكان علينا، وأما سريرتك فإلى الله))".

وتعقيبًا على قول شيخ الإسلام: "وهو مُكره على القتال"؛ ينبغي التنبيه على أن الإكراه وإن كان متصور الوقوع إلا أنه لا يسوغ قتل المسلمين أو قتالهم، فقد قال ابن تيمية رحمه الله عن المكره على القتال في صف الكفار [١]: "فلا ريب أن هذا يجب عليه إذا أكرِه على الحضور أن لا يقاتل وإن قتله المسلمون، كما لو أكرهه الكفار على حضور صفهم ليقاتل المسلمين، وكما لو أكره رجل رجلًا على قتل مسلم معصوم، فإنه لا يجوز له قتله باتفاق المسلمين وإن أكرهه بالقتل، فإنه ليس حفظ نفسه بقتل ذلك المعصوم أولى من العكس".

وقال القرطبي رحمه الله [٢]: "أجمع العلماء على أن من أكرِه على قتل غيره أنه لا يجوز له الإقدام على قتله ولا انتهاك حرمته بجلد أو غيره، ويصبر على البلاء الذي نزل به، ولا يحل له أن يفدي نفسه بغيره، ويسأل الله العافية في الدنيا والآخرة".

وأخيرًا:

إذا كان الله كفَّر من استهزأ بالمجاهدين في أعظم غزوة وهي تبوك؛ قال ابن عمر رضي الله عنهما: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء؛ - أي أصحاب

---

[١] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٣٩).

[٢] تفسير القرطبي (١٠/ ١٨٣).

محمد ﷺ -: أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن.

قال عبد الله بن عمر: فأنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله؛ إنما كنا نخوض ونلعب! ورسول الله ﷺ يقول: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦].

وفي رواية عن قتادة قالوا: أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها؟ هيهات هيهات! فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فقال نبي الله ﷺ: احبسوا عليّ هؤلاء الركب، فأتاهم فقال: قلتم كذا، قلتم كذا، قالوا: يا نبي الله؛ إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله تبارك وتعالى فيها ما تسمعون.

وفي قوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ [التوبة: ٦٦]. ذُكر أنه عُني بالطائفة في هذا الموضع رجل واحد. عن ابن اسحاق قال: كان الذي عني فيما بلغني مخشن بن حمير الأشجعي حليف بني سلمة، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع.

وعن معمر قال: قال بعضهم: كان رجل منهم لم يمالئهم في الحديث، فيسير مجانبًا لهم، فترلت الآية فسمي طائفة، وهو واحد [١].

قال القرطبي رحمه الله في التفسير: "قيل: كانوا ثلاثة نفر، هزئ اثنان وضحك واحد، فالمعفو عنه هو الذي ضحك ولم يتكلم. قال خليفة بن خياط في تاريخه: اسمه (مخاشن بن حمير)، وقيل: إنه كان مسلمًا إلا أنه سمع المنافقين فضحك لهم ولم ينكر عليهم. وكان يقول: اللهم إني أسمع آيةً أنا أُعنى بها، تقشعر الجلود وتجب منها القلوب، اللهم فاجعل وفاتي قتلًا

---

[١] انظر: جامع البيان للطبري (٦/ ١٧٢-١٧٤).

في سبيلك، لا يقول أحد: أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت. فأصيب يوم اليمامة، فما أحد من المسلمين إلا وجد غيره". ا.هـ.

وقال ابن تيمية رحمه الله [١]: "قوله تعالى: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، فقد أمره أن يقول لهم قد كفرتم بعد إيمانكم. وقول من يقول عن مثل هذه الآيات أنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولًا بقلوبهم: لا يصح؛ لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر، فلا يقال: قد كفرتم بعد إيمانكم، فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر، وإن أريد أنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان، فهم لم يظهروا للناس إلا لخواصهم وهم مع خواصهم ما زالوا هكذا، بل لما نافقوا وحذروا أن تنزل سورة تبين ما في قلوبهم من النفاق وتكلموا بالاستهزاء، صاروا كافرين بعد إيمانهم، ولا يدل اللفظ على أنهم ما زالوا منافقين". ا.هـ.

وقال أيضًا: "وهذا نص في أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر، فثبت أنه حيثما وجد ذلك كان صاحبه منافقًا، سواء كان منافقًا قبل هذا القول أو حدث له النفاق بهذا القول". ا.هـ.

أقول: إذا كان الله كفَّر هؤلاء وهم في غزوة وما قالوا ذلك إلا لهوًا ولعبًا، فكيف بمن يطارد المجاهدين ويسجنهم ويحقق معهم ويعذبهم بأنواع العذاب؛ من تسهير إلى تجويع إلى تعطيش إلى ضرب إلى تهديد بانتهاك العرض إلى غير ذلك من فنون التعذيب المعاصرة، والتي ألف فيها المؤلفات الكثيرة؟!! أفلا يكون ذلك كله كفرا؟

بلى والله، ولا نبالي بأحد كائنًا من كان، وليتحرك شيوخ آل سعود، وليفتوا وليدافعوا وليلبسوا؛ فإن النصر قادم بحول الله وقوته.

---

[١] مجموع الفتاوى (٧/ ٢٧٢).

إلى هنا نكتفي بهذا القدر من الأدلة، وطالب الحق يكفيه من ذلك كله ولو دليل واحد، أما المفتون المعرض عن دين ربه: فلو جئته بملء الدنيا أدلة لما رفع بها رأسًا؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

أقوال بعض العلماء في أنصار الطواغيت

١- **سئل شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله عن عسكر التتار، وحكم جهادهم فأجاب [١]: "فهؤلاء القوم المسؤول عنهم عسكرهم مشتمل على قوم كفار من النصارى والمشركين، وعلى قوم منتسبين إلى الإسلام، وهم جمهور العسكر، ينطقون بالشهادتين إذا طُلبت منهم، ويعظمون الرسول، وليس فيهم من يُصلي إلا قليل جدًا، وصوم رمضان أكثر فيهم من الصلاة، والمسلم عندهم أعظم من غيره، وللصالحين من المسلمين عندهم قدر، وعندهم من الإسلام بعضه، وهم متفاوتون فيه، لكن الذي عليه عامتهم والذي يُقاتلون متضمن لترك كثير من شرائع الإسلام أو أكثرها؛ فإنهم أولًا يوجبون الإسلام ولا يُقاتلون من تركه، بل من قاتل على دولة المغول عظموه وتركوه وإن كان كافرًا عدوًا لله ورسوله، وكل من خرج عن دولة المغول أو عليها استحلوا قتاله وإن كان من خيار المسلمين.

فلا يُجاهدون الكفار ولا يُلزمون أهل الكتاب بالجزية والصغار، ولا ينهون أحدًا من عسكرهم أن يعبد ما شاء من شمس أو قمر أو غير ذلك، بل الظاهر من سيرتهم أن المسلم عندهم بمنزلة العدل أو الرجل الصالح، والكافر عندهم بمنزلة الفاسق في المسلمين!

وكذلك عامتهم لا يحرمون دماء المسلمين وأموالهم إلا أن ينهاهم عنها سلطانهم؛ أي لا يلتزمون تركها، وإذا نهاهم عنها أو عن غيرها أطاعوه لكونه سلطانًا لا بمجرد الدين، وعامتهم لا يلتزمون الواجبات، ولا يلتزمون الحكم بينهم بحكم الله، بل يحكمون بأوضاع لهم توافق الإسلام تارةً وتخالف أخرى!

وقتال هذا الضرب واجب بإجماع المسلمين، وما يشك في ذلك من عرف دين الإسلام وعرف حقيقة أمرهم، فإن هذا السلم الذي هم عليه ودين الإسلام لا يجتمعان أبدًا". ا.هـ.

---

[١] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٣٠).

قال الشيخ أبو بصير عبد المنعم مصطفى حليمة حفظه الله بعد كلام ابن تيمية هذا [١]: "من يقارن أوصاف جند التتار الآنفة الذكر التي ذكرها عنهم شيخ الإسلام، وبين أوصاف جند وجيوش العرب وغيرها من جيوش الأمة في هذا الزمان: يجد أن جند التتار فيهم من خصال الخير ما ليس في جند وعسكر العرب؛ فجند التتار يعظمون الرسول ﷺ، والمسلم عندهم أعظم من غيره، وللصالحين عندهم قدر، وهذا بخلاف ما عليه كثير من جيوش العرب في هذا الزمان، إن لم يكن كلها!!

ومع ذلك لصفاتهم الأخرى الآنفة الذكر يقول عنهم شيخ الإسلام: إن قتالهم واجب بإجماع المسلمين، وإن هذا السلم الذي هم عليه ودين الإسلام لا يجتمعان أبدًا.

وهذا الحكم يلحق بكل من اتصف بصفاتهم أو فعل فعلهم ولا بد، ولحوقه بجيوش الأمة في هذا الزمان من باب أولى؛ لاتصافهم بصفات هي أغلظ وأشد من صفات جند وعسكر التتار الآنفة الذكر، وقد تقدم ذكرها!!".

ويقول أيضًا رحمه الله [٢]: "كل من قفز إليهم - يعني إلى التتار - من أمراء العسكر وغير الأمراء؛ فحكمه حكمهم، وفيهم من الردة عن شرائع الإسلام بقدر ما ارتد عنه من شرائع الإسلام، وإذا كان السلف قد سموا مانعي الزكاة مرتدين مع كونهم يصومون ويصلون ولم يكونوا يقاتلون جماعة المسلمين، فكيف بمن صار مع أعداء الله ورسوله قاتلًا للمسلمين؟".

وقال أيضًا رحمه الله: "فكل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة يجب جهادها، حتى يكون الدين كله لله، باتفاق العلماء.

---

[١] انظر كتاب: مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة (٩).

[٢] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٣٠).

عن ديلم الحميري قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله: إنا بأرض نعالج بها عملًا شديدًا، وإنا نتخذ شرابًا من القمح نتقوى به على أعمالنا، وعلى برد بلادنا، فقال: هل يُسكر؟ قلت: نعم. قال: فاجتنبوه. قلت: إن الناس غير تاركيه، قال: فاقتلوهم.

وقال: وأيما طائفة انتسبت إلى الإسلام، وامتنعت عن بعض شرائعه الظاهرة المتواترة فإنه يجب جهادها باتفاق المسلمين حتى يكون الدين كله لله، كما قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه وسائر الصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة.

فثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، أنه يُقاتل من خرج عن شريعة الإسلام وإن تكلم بالشهادتين، فأيما طائفة امتنعت من بعض الصلوات المفروضات، أو الصيام أو الحج، أو عن التزام تحريم الدماء والأموال والخمر والميسر، أو عن نكاح ذات المحارم أو عن التزام جهاد الكفار، أو ضرب الجزية على أهل الكتاب، وغير ذلك من واجبات الدين ومحرماته – التي لا عذر لأحد في جحودها وتركها – التي يكفر الجاحد لوجوبها، فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء". ا.هـ.

قال الشيخ أبو بصير [1]: "إذا كان قتال الطائفة الممتنعة عن أداء واجب من واجبات الدين الظاهرة واجب بأدلة الكتاب والسنة، وإجماع علماء الأمة، فإن قتال هذه الجيوش المحاربة لله ولرسوله وللمؤمنين، والتي لا تلتزم بشيء من واجبات وأركان هذا الدين، إضافة إلى خصال الكفر الأخرى التي تتصف بها والمشار إليها آنفًا، لا شك أنه أولى وأوجب من قتال الفئة التي تمتنع عن أداء آحاد الواجبات الدينية.

---

[1] انظر كتاب: مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة (١١-١٢).

فإن قتال المرتد أو الفئة المرتدة المارقة من الدين المحاربة لله ولرسوله وللمؤمنين أوجب بكثير من قتال الفئة الباغية التي تمتنع عن أداء بعض واجبات الدين، بل هو أوكد من قتال وجهاد الكافر الأصلي". ا.هـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [١]: من حالف شخصًا على أن يوالي من والاه ويُعادي من عاداه: كان من جنس التتر المجاهدين في سبيل الشيطان، ومثل هذا ليس من المجاهدين في سبيل الله تعالى، ولا من جند المسلمين، ولا يجوز أن يكون هؤلاء من عسكر المسلمين، بل هؤلاء من عسكر الشيطان". ا.هـ.

قال الشيخ أبو بصير وفقه الله [٢]: أليس هكذا حال جيوش الأمة في هذا الزمان؛ حيث توالي وتعادي في شخص الطاغوت الحاكم، يوالون من والاه، ويُعادون من عاداه، بغض النظر هل يستحق شرعًا تلك الموالاة أو المعاداة!!

تنتهك حرمات الأمة، ويُعتدى على مقدساتها، وتُقتل الأطفال والنساء، ويُشتم الله ورسوله، فكل هذا وغيره لا يستدعي موقفًا من هذه الجيوش ولا من حكامها، ولكن لو تجرأ أحد أو أي جهة على النيل من جناب الطاغوت الحاكم بعبارة انتقاص أو طعن؛ فإن هذه الجيوش ومعها جميع مؤسسات الحكومة تعلن براءها وعداءها لتلك الجهة، وتسحب سفيرها من تلك الدولة أو الجهة، وربما تحركت الجيوش واستنفرت واستعدت للقتال!!

فهذه الجيوش عندما ترضى لنفسها مثل هذه العبودية للطاغوت فهي تخرج مباشرة من كونها جيوش إسلامية تجاهد في سبيل الله، إلى كونها جيوش كفرية باطلة تجاهد في سبيل الشيطان كما يقول شيخ الإسلام". ا.هـ.

---

[١] مجموع الفتاوى ٢٠/٢٨.

[٢] انظر كتاب: مسائل هامة في بيان حال جيوش الأمة (١٠).

٢- قال أبو محمد المقدسي فك الله أسره [١]: "تنبيه: إلى أن قاعدة (الأصل في جيوش الطواغيت وأنصارهم الكفر) لا غبار عليها؛ فإن القاعدة عندنا (أن الأصل فيهم الكفر) حتى يظهر لنا خلاف ذلك، إذ إن هذا التأصيل قائم على النص ودلالة الظاهر لا على مجرد التبعية للدار، فإن الظاهر في جيوش الطواغيت وشرطتهم ومخابراتهم وأمنهم أنهم من أولياء الشرك وأهله المشركين.

- فهم العين الساهرة على القانون الوضعي الكفري، الذين يحفظونه ويثبتونه وينفذونه بشوكتهم وقوتهم.

- وهم أيضًا الحماة والأوتاد المثبتين لعروش الطواغيت، والذين يمتنع بهم الطواغيت عن التزام شرائع الإسلام وتحكيمها.

- وهم شوكته وأنصاره، الذين يعينونه وينصرونه على تحكيم شرائع الكفر وإباحة المحرمات؛ من ردة وربا، وخمر وخنا، وغير ذلك.

- وهم الذين يدفعون في نحر كل من خرج من عباد الله منكرًا كفر الطواغيت وشركهم، ساعيًا لتحكيم شرع الله ونصرة دينه المعطل الممتهن.

فهذه حقيقة وظيفتهم ومنصبهم وعملهم؛ يتلخص في سببين من أسباب الكفر صريحين وهما:

- نصرة الشرك (بتولي القانون والتشريع الكفري الطاغوتي) [٢].

---

[١] الرسالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير (١٢٧-١٣٠).

[٢] وقد نصت قوانينهم نفسها على أن طبيعة وظيفة هذه الأجهزة ومهمتها الرئيسة؛ حفظ القوانين وتنفيذها وموالاة أهلها.

- ونصرة أهله وتوليهم ومظاهرتهم على الموحدين.

والنصوص الدالة على أن هذان سببان من أسباب الكفر البواح ظاهرة متضافرة، وقد فصلناها في غير هذا المقام، وليس مقصودنا ها هنا تفصيل هذا، وإنما التنبيه إلى الأصل المذكور.

فقد أصل الله سبحانه وتعالى لنا في أنصار الكفار وأوليائهم عمومًا: أصلًا محكمًا في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] فالأصل في كل من أظهر تولي الكفار ونصرتهم، أو قاتل في سبيل الطاغوت، أو كان في عدوته وحده، وأظهر نصرته باللسان أو السنان: أنه من جملة الذين كفروا.

ولذلك كان حال النبي ﷺ وسيرته مع الكفار المحاربين وفي أنصارهم وأوليائهم وأحلافهم الذين ينصرونهم على المسلمين؛ على هذا الأصل.

انظر على سبيل المثال معاملته ﷺ للعباس معاملة الكفار رغم دعواه الإسلام لما أسر في صفوف المشركين يوم بدر، وانظر مثل هذا أيضًا ما رواه مسلم في كتاب النذور (١٠٠٨) من المختصر من حديث عمران بن حصين في قصة الرجل من بني عقيل حلفاء ثقيف، لما أسره المسلمون بجريرة حلفائه لما نقضت ثقيف عهدها مع النبي ﷺ، ولم يطلقه النبي ﷺ رغم ادعائه الإسلام بل عامله معاملة الكفار، فغنم ناقته وفداه برجلين من المسلمين.

وعليه كانت سيرة أصحابه ﷺ من بعده في كل ذوي منعة وشوكة يخرجون عن شريعة الله تبارك وتعالى.

انظر سيرتهم في خلافة أبي بكر في أنصار مسيلمة الكذاب ونحوهم من المرتدين كأنصار طليحة الأسدي؛ فقد كفروهم جميعًا وساروا فيهم سيرة واحدة، ولم يخالف في ذلك أحد من الصحابة.

ولذلك أطلق العلماء المحققين القول بإباحة دم ومال المحاربين وأنصارهم وجعلوا حكم الردء فيهم حكم المباشر منهم [١].

---

[١] انظر المغني (٨/٢٩٧) وتأمل تعليله لاستواء الردء بالمباشر في أحكام المحاربة؛ بكون الحرابة مبنية على حصول المنعة والمعاضدة والمناصرة، فلا يتمكن المباشر من فعله إلا بقوة الردء... وقد دلت القواعد الشرعية على أن كل فرد في الممتنعين له حكم الطائفة، وأن الردء له حكم المباشر في القتال؛ قال شيخ الإسلام: "وإذا كان المحاربون الحرامية جماعة؛ فالواحد منهم باشر القتل بنفسه، والباقون له أعوان وردء له، فقد قيل: إنه يقتل المباشر فقط، والجمهور على أن الجميع يقتلون، ولو كانوا مائة، وأن الردء والمباشر سواء، وهذا هو المأثور عن الخلفاء الراشدين؛ فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل ربيئة المحاربين، والربيئة هو الناظر الذي يجلس على مكان عال، ينظر منه لهم من يجيء، ولأن المباشر إنما يمكن من قتله بقوة الردء ومعونته، والطائفة إذا انتصر بعضها ببعض حتى صاروا ممتنعين فهم مشتركون في الثواب والعقاب كالمجاهدين؛ فإن النبي ﷺ قال: ((المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم ويرد متسريهم على قاعدتهم"، يعني: أن جيش المسلمين إذا تسرت منه سرية فغنمت مالًا؛ فإن الجيش يشاركها فيما غنمت لأنها بظهره وقوته تمكنت لكن تنفل عنه نفلًا، فإن النبي ﷺ كان ينفل السرية إذا كانوا في بدايتهم الربع بعد الخمس، وكذلك لو غنم الجيش غنيمة شاركته السرية؛ لأنها في مصلحة الجيش، كما قسم النبي ﷺ لطلحة والزبير يوم بدر؛ لأنه كان قد بعثهما في مصلحة الجيش، فأعوان الطائفة الممتنعة وأنصارها منها، فيما لهم وعليهم، وهكذا المقتتلون على باطل لا تأويل فيه، مثل المقتتلين على عصبية، ودعوى جاهلية؛ كقيس ويمن ونحوهما، هما ظالمتان، كما قال النبي ﷺ: ((إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار))، قيل: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: ((إنه أراد قتل صاحبه)). أخرجاه في الصحيحين، وتضمن كل طائفة ما أتلفته الأخرى من نفس ومال، وإن لم يعرف عين القاتل؛ لأن الطائفة الواحدة المتمنع بعضها ببعض كالشخص الواحد.

قال عبد القادر عبد العزيز وفقه الله: (تنبيه: (على الفرق بين المنفرد والمقدور عليه، فالواحد من جنود المرتدين إذا ابتعد عن معسكره أو مقر عمله؛ فإن هذا لا يُصيره مقدورًا عليه، وإنما يسمى هذا بالمنفرد

وفي المغني (كتاب الجهاد) (فصل من أسر فادعى أنه كان مسلمًا: لم يقبل قوله إلا ببينة؛ لأنه يدعي أمرًا الظاهر خلافه). ا.هـ، وذكر فيه قصة سهل بن بيضاء في غزوة بدر [١].

فتأمل كيف جعل الأصل فيمن أظهر الانحياز لجيش الكفار حتى أسر في صفهم: الكفر؛ بحيث لا تقبل الدعوى بخلافه -كما في قصة أسر العباس أيضًا - حتى تقوم بينة تغير هذا الأصل الظاهر.

ولأجل ذلك كان الأصل عندنا في كل من انتسب إلى هذه الأجهزة والوظائف - التي حقيقتها نصرة الشرك وأهله -: الكفر؛ فنحكم على كل واحد منهم بالكفر ونجري عليه أحكام الكفر بما أظهروه من أسباب الكفر، ما لم يتبين لنا خلاف ذلك من قيام مانع معتبر من موانع التكفير في حق المنتسب للإسلام منهم فنستثنيه، وقد قدمنا أن تبين الموانع في حق الممتنعين المحاربين، غير واجب لامتناعهم ومحاربتهم، لكن إن ظهر لنا شيء من ذلك في حق بعضهم لم نكفره، وما لم يظهر ذلك فالأصل الظاهر عندنا منهم هو الكفر، وحقيقة أمر باطنهم إلى الله تبارك وتعالى، وليس إلينا، وقد أمرنا بالأخذ بالظاهر، ولم نؤمر أن نشق عن صدور الناس ولا عن بطونهم، ولأن أصل هذه الوظائف وظاهرها ما قد عرفت فنحن

وهو الشاذ، كما في حديث الرجل الذي قتل نفسه لما أثخنته الجراح، وفيه أنه كان (لا يدع من المشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها فضربها بسيفه). (حديث ٤٢٠٧ بالبخاري)، والشاذ: هو المنفرد عن جماعة، والفاذ هو المنفرد الذي لم يكن في جماعة قبلًا؛ فالجندي الذي ابتعد عن معسكره هو منفرد شاذ، وهو مع هذا ما زال ممتنعًا عن القدرة؛ لأن طائفته يمكنها نجدته وإغاثته وتتعقب من يتعرض له وتنتصر له بعقاب من تعرض له، وما دام ممتنعًا فإنه - يحكم عليه بدون تبين الشروط والموانع، أما المقدور عليه؛ فقد سبق بيان أنه من كان في قبضة المسلمين ويمكن للسلطان أو نوابه أن يطلبوه لإقامة الحد أو العقوبة عليه؛ فلا يمتنع منهم. انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣١٧)، والصارم المسلول (٥٠٧)؛ فوجود جنود المرتدين بين المسلمين ومخالطتهم لهم خارج معسكرا تهم في بعض الأحيان: لا يصيرهم مقدورًا عليهم.

[١] ٨/٢٦١.

نعاملهم ونؤصل لهم على هذا الظاهر حتى يظهر لنا خلافه، بخلاف غير ذلك من الوظائف والأعمال التي ليس أصل طبيعتها وحقيقتها نصرة الشرك أو أهله؛ ولذلك فلا نقول أن الأصل في الأطباء مثلًا الكفر، حتى يتبين لنا خلاف ذلك، ولا أن الأصل في المدرسين الكفر، أو أن الأصل في تولي وظائف الدولة الكافرة كلها الكفر، كلا فهذه الوظائف كما سيأتي لنا فيها تفصيل، وليست حقيقة جميعها وطبيعتها نصرة الشرك وأهله، نعم قد يوجد فيمن يتولى هذه الوظائف من هو من أنصار الشرك وأهله ولكن هذا ليس مختصًا بحقيقة الوظيفة وماهيتها، كما قد يوجد من هو من أنصار الشرك وأهله من غير الموظفين.

والخلاصة: أن هذا التأصيل إذا كان في وظيفة أو عمل حقيقته أنه سبب من أسباب الكفر الظاهرة؛ كنصرة الشرك وأهله، أو التشريع وفقًا لنصوص الدستور الكفري، ونحو ذلك من المكفرات الصريحة الظاهرة، فلا حرج فيه عندنا، ومعناه: إجراء حكم الظاهر على أصحاب هذه الوظيفة، وإرجاء ما بطن من الأحكام إلى الله تبارك وتعالى.

٣- وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في (بيان إلى الأمة المصرية خاصة، وإلى الأمة العربية والإسلامية عامة) [١] في بيان حكم التعاون مع الإنجليز والفرنسيين أثناء عدوانهم على المسلمين، وتأمل تعاون الأنظمة المعاصرة وجيوشها ورجال أمن كراسيها مع عدو المسلمين الأكبر أمريكا:

"أما التعاون مع الإنجليز بأي نوع من أنواع التعاون، قل أو كثر؛ فهو الردة الجامحة، والكفر الصراح، لا يقبل فيه اعتذار، ولا ينفع معه تأول، ولا ينجي من حكمه عصبية حمقاء، ولا سياسة خرقاء، ولا مجاملة هي النفاق، سواء أكان ذلك من أفراد أو حكومات أو زعماء، كلهم في الكفر والردة سواء، إلا من جهل وأخطأ، ثم استدرك أمره فتاب وأخذ سبيل المؤمنين، فأولئك عسى الله أن يتوب عليهم، إن أخلصوا لله، لا للسياسة ولا للناس.

---

[١] كلمة حق (١٢٦-١٣٧).

وأظنني قد استطعت الإبانة عن حكم قتال الإنجليز وعن حكم التعاون معهم بأي لون من ألوان التعاون أو المعاملة، حتى يستطيع أن يفقهه كل مسلم يقرأ العربية، من أي طبقات الناس كان، وفي أي بقعة من الأرض يكون.

وأظن أن كل قارئ لا يشك الآن في أنه من البديهي الذي لا يحتاج إلى بيان أو دليل: أن شأن الفرنسيين في هذا المعنى شأن الإنجليز، بالنسبة لكل مسلم على وجه الأرض؛ فإن عداء الفرنسيين للمسلمين، وعصبيتهم الجامحة في العمل على محو الإسلام، وعلى حرب الإسلام: أضعاف عصبية الإنجليز وعدائهم، بل هم حمقى في العصبية والعداء، وهم يقتلون إخواننا المسلمين في كل بلد إسلامي لهم فيه حكم أو نفوذ، ويرتكبون من الجرائم والفظائع ما تصغر معه جرائم الإنجليز ووحشيتهم وتتضاءل، فهم والإنجليز في الحكم سواء، دماؤهم وأموالهم حلال في كل مكان، ولا يجوز لمسلم في أي بقعة من بقاع الأرض أن يتعاون معهم بأي نوع من أنواع التعاون، وإن التعاون معهم حكمه حكم التعاون مع الإنجليز: الردة والخروج من الإسلام جملة، أيًا كان لون المتعاون معهم أو نوعه أو جنسه.

وما كنت يومًا بالأحمق ولا بالغر؛ فأظن أن الحكومات في البلاد الإسلامية ستستجيب لحكم الإسلام فتقطع العلاقات السياسية أو الثقافية أو الاقتصادية مع الإنجليز أو مع الفرنسيين.

ولكني أراني أبصر المسلمين بمواقع أقدامهم، وبما أمرهم الله به، وبما أعد لهم من ذل في الدنيا وعذاب في الآخرة إذا أعطوا مقاد أنفسهم وعقولهم لأعداء الله.

وأريد أن أعرفهم حكم الله في هذا التعاون مع أعدائهم، الذين استذلوا وحاربوهم في دينهم وفي بلادهم، وأريد أن أعرفهم عواقب هذه الردة التي يتمرغ في حمأتها كل من أصر على التعاون مع الأعداء.

ألا فليعلم كل مسلم في أي بقعة من بقاع الأرض: أنه إذ تعاون مع أعداء الإسلام مستعبدي المسلمين، من الإنجليز والفرنسيين وأحلافهم وأشباههم، بأي نوع من أنواع التعاون، أو سالمهم فلم يحاربهم بما استطاع، فضلًا عن أن ينصرهم بالقول أو العمل على إخوانهم في الدين؛ إنه إن فعل شيئًا من ذلك ثم صلى فصلاته باطلة، أو تطهر بوضوء أو غسل أو تيمم فطهوره باطل، أو صام فرضًا أو نفلًا فصومه باطل، أو حج فحجه باطل، أو أدى زكاة مفروضة، أو أخرج صدقة تطوعًا فزكاته باطلة مردودة عليه، أو تعبد لربه بأي عبادة فعبادته باطلة مردودة عليه، ليس له في شيء من ذلك أجر بل عليه فيه الإثم والوزر.

ألا فليعلم كل مسلم: أنه إذا ركب هذا المركب الدنيء حبط عمله من كل عبادة تعبد بها لربه قبل أن يرتكس في حمأة هذه الردة التي رضي لنفسه، ومعاذ الله أن يرضى بها مسلم حقيق بهذا الوصف العظيم يؤمن بالله وبرسوله؛ ذلك بأن الإيمان شرط في صحة كل عبادة، وفي قبولها، كما هو بديهي معلوم من الدين بالضرورة، لا يخالف فيه أحد من المسلمين.

وذلك بأن الله سبحانه يقول: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

وذلك بأن الله سبحانه يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ۝ وَيَقُولُ الَّذِينَ

آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥١ - ٥٣].

وذلك بأن الله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۝ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ۝ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۝ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٢٥ - ٣٥].

ألا فليعلم كل مسلم وكل مسلمة: أن هؤلاء الذين يخرجون على دينهم ويناصرون أعداءهم، من تزوج منهم فزواجه باطل بطلانًا أصليًا، لا يلحقه تصحيح، ولا يترتب عليه أي أثر من آثار النكاح، من ثبوت نسب وميراث وغير ذلك، وأن من كان منهم متزوجًا بطل زواجه كذلك، وأن من تاب منهم ورجع إلى ربه وإلى دينه، وحارب عدوه ونصر أمته، لم تكن المرأة التي تزوجها حال الردة ولم تكن المرأة التي ارتدت وهي في عقد نكاحه زوجًا له، ولا هي في عصمته، وأنه يجب عليه بعد التوبة أن يستأنف زواجه بها فيعقد عليها عقدًا صحيحًا شرعيًا، كما هو بدهي واضح.

ألا فليحتط النساء المسلمات، في أي بقعة من بقاع الأرض، ليتوثقن قبل الزواج من أن الذين يتقدمون لنكاحهن ليسوا من هذه الفئة المنبوذة الخارجة عن الدين، حيطةً لأنفسهن

ولأعراضهن، أن يعاشرن رجالًا يظنونهم أزواجًا وليسوا بأزواج، بأن زواجهم باطل في دين الله.

ألا فليعلم النساء المسلمات، اللائي ابتلاهن الله بأزواج ارتكسوا في حمأة هذه الردة، أنه قد بطل نكاحهن، وصرن محرمات على هؤلاء الرجال ليسوا لهن بأزواج، حتى يتوبوا توبة صحيحة عملية ثم يتزوجوهن زواجًا جديدًا صحيحًا.

ألا فليعلم النساء المسلمات: أن من رضيت منهن بالزواج من رجل هذه حالة وهي تعلم حاله، أو رضيت بالبقاء مع زوج تعرف فيه هذه الردة؛ فإن حكمها وحكمه في الردة سواء.

ومعاذ الله أن ترضى النساء المسلمات لأنفسهن ولأعراضهن ولأنساب أولادهن ولدينهن شيئًا من هذا.

ألا إن الأمر جد ليس بالهزل، وما يغني فيه قانون يصدر بعقوبة المتعاونين مع الأعداء، فما أكثر الحيل للخروج من نصوص القوانين، وما أكثر الطرق لتبرئة المجرمين: بالشبهة المصطنعة، وباللحن في الحجة.

ولكن الأمة مسؤولة عن إقامة دينها، والعمل على نصرته في كل وقت وحين، والأفراد مسؤولون بين يدي الله يوم القيامة عما تجترحه أيديهم، وعما تنطوي عليه قلوبهم.

فلينظر كل امرئ لنفسه، وليكن سياجًا لدينه من عبث العابثين وخيانةالخائنين، وكل مسلم إنما هو على ثغر من ثغور الإسلام، فليحذر أن يؤتى الإسلام من قبله، وإنما النصر من عند الله، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠]".

٤- **وقال الشيخ أبو بصير** عبد المنعم مصطفى حليمة حفظه الله [١]: اعلم أن من يتجسس على عورات المسلمين، وأحوالهم الخاصة - وبخاصة منهم المجاهدين! - لينقلها إلى أعدائهم من الكفرة المجرمين؛ سواء كان كفرهم كفرًا أصليًا أم كان كفر ردة، فهو كافر مثلهم، وموال لهم الموالاة الكبرى التي تخرجه من دائرة الإسلام، يُقتل كفرًا ولا بد.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٨ - ٩].

ومن خداعهم للمؤمنين أن يتظاهروا بالإسلام، وأن يقولوا عن أنفسهم بأنهم مؤمنون، ثم هم يتجسسون عليهم لصالح أعدائهم من الطواغيت وغيرهم من الكافرين المجرمين.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات:١٢].

والتجسس من حيث دوافعه نوعان: نوع خاص يكون الدافع عليه الفضول وحب الاطلاع على عورات الآخرين، ليتلذذ الجاسوس - في مجالسه الخاصة والعامة - بالخوض في الحديث عن أعراض الناس وعوراتهم، ويتباهى بأنه يملك الدليل والبينة على صدق دعواه وقوله؛ لذا جاء عقب النهي عن التجسس النهي عن الغيبة؛ لأن الغيبة نتيجة حتمية للتجسس، فكل من تجسس لا بد له من أن يقع في غيبة الآخرين.

ونوع عام يكون دافعه نقل المعلومات ورفع التقارير إلى الطواغيت الظالمين وغيرهم من الكفرة والمشركين، وهذا من الموالاة، وهو أشد أنواع التجسس جرمًا، وهو من الكفر الأكبر الذي يخرج صاحبه من الملة ولا بد.

---

[١] أعمال تخرج صاحبها من الملة (١١٢-١١٥)، بتصرف يسير.

والنهي عن التجسس الوارد في الآية يشمل النوعين: الخاص والعام، والعام أولى بالنهي من الخاص، فتنبه لذلك.

وفي الحديث؛ فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: ((إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا، وكونوا إخوانا)). [البخاري].

وقال ﷺ: ((من أكل بمسلم أكلةً فإن الله يُطعمه مثلها من جهنم، ومن كُسِي ثوبًا برجل مسلم فإن الله عز وجل يكسوه من جهنم، ومن قام برجل مسلم مقام رياء وسمعة فإن الله يقوم مقام رياء وسمعة يوم القيامة)) رواه أبو داود.

فيه تحذير وترهيب لأولئك الذين يكتبون التقارير عن المسلمين الموحدين ليرفعوها إلى الطواغيت الظالمين، ويشون عليهم، وعلى أماكنهم، وتحركاتهم: مقابل مبلغ زهيد – يتقوتون به أو يلبسون – يرميه الطاغوت إليهم على كل تقرير يكتبونه عن المسلمين، وما أكثر أصحاب النفوس الضعيفة هؤلاء في بلادنا، الذين باعوا دينهم وآخرتهم بدنيا غيرهم!!

وقال ﷺ: ((من استمع إلى حديث قوم وهم يفرون منه، صُب في أذنيه الآنك)) [أخرجه البخاري في الأدب المفرد]، والآنك هو الرصاص الأبيض المذاب، وهذا فيمن يستمع على وجه الفضول والتطفل، فكيف بمن يستمع على وجه التجسس لصالح أعداء المسلمين من الكافرين والمشركين؟!!

وقال ﷺ: ((يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه؛ لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته))[رواه أبو داود].

قلت: من تتبع عورات المسلمين وتجسس عليهم لصالح الطوا غيت الكافرين: هو أولى بالنفاق، وانتفاء الإيمان من قلبه؛ فالتجسس على عورات المسلمين وخصوصياتهم لصالح

أعدائهم من المشركين المجرمين: لا يمكن أن يمتهنها إلا كل منافق خسيس عريق في النفاق والخداع!

وقال ﷺ: ((من حمى مؤمنًا من منافق بعث الله ملكًا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلمًا بشيء يُريد شَينَه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال)) [رواه أبو داود].

هذا فيمن يرمي مسلمًا بشيء يريد شينه به، فكيف بمن يرمي مسلمًا بشيء يريد به قتله أو سجنه في سجون الطواغيت الظالمين؟!

وعن سلمة بن الأكوع قال: أُتي النبي ﷺ بعين من المشركين وهو في سفر فجلس عند أصحابه، ثم انسل، فقال ﷺ: ((اطلبوه فاقتلوه)) قال: فسبقتهم إليه فقتلته، وأخذت سلبه، فنفلني إياه. [متفق عليه].

وكذلك فقد أمر النبي ﷺ بقتل المرأة التي حملت كتاب حاطب إلى كفار قريش عام الفتح، ومن دون أن تُستتاب؛ كما في الحديث عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم فتح مكة، أمَّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر، وامرأتين [رواه النسائي]، من هاتين المرأتين هذه المرأة التي حملت رسالة حاطب إلى كفار قريش، واسمها سارة.

قال الإمام سحنون: إذا كاتب المسلم أهل الحرب قُتل ولم يُستتب، وماله لورثته.

وفي المستخرجة قال ابن القاسم في الجاسوس: "يُقتل ولا تُعرف لهذا توبة، هو كالزنديق[(١)]".

---

(١) بواسطة كتاب أقضية الرسول ﷺ، لمحمد بن فَرج، ص١٩١.

وقال ابن تيمية رحمه الله [١]: "ذهب مالك وطائفة من أصحاب أحمد إلى جواز قتل الجاسوس". ا.هـ.

قلت: "وقتله يكون على الكفر والارتداد، وليس على شيء آخر، والله تعالى أعلم".ا.هـ.

[١] مجموع الفتاوى ٢٨/ ١٠٩

قاعدتان شرعيتان عظيمتان

القاعدة الأولى [١]: (أن تبين الموانع إنما يجب في المقدور عليه، ولا يجب في الممتنع أو المحارب)، وبعبارة أخرى: (أن الفرد في الطائفة الممتنعة عن القدرة: له حكم رؤوس الطائفة).

واعلم بعد هذا أن تبين هذه الموا نع إنما يجب في حق المقدور عليه دون الممتنع، والامتناع يرد على معنيين:

الأول: امتناع عن العمل بالشريعة جزئيًا أو كليًا.

الثاني: امتناع عن القدرة، أي قدرة المسلمين أن يوقفوه ويحاسبوه ويحاكموه لشرع الله.

ولا تلازم بين النوعين؛ فقد يكون الممتنع عن العمل بالشريعة، مقدورًا عليه في دار الإسلام؛ كمن امتنع عن الزكاة وهو فرد مقدور عليه في دار الإسلام.

وقد يجتمعان؛ فيمتنع الممتنع عن الشريعة بدار كفر أو بشوكة وطائفة وقانون وسلطان دولة، بحيث لا يتمكن المسلمون من إنزاله على حكم الله تعالى وإقامة حد الله عليه.

والممتنع عن القدرة: قد يكون محاربًا باليد، وقد يكون محاربًا باللسان فقط [٢]، وقد نص العلماء على أن الممتنع عن القدرة: لا تجب استتابته، فمن باب أولى: المحارب الذي داهم ديار المسلمين واحتلها وتسلط على مقاليد الحكم فيها.

ويراد بالاستتابة معنيان أيضًا:

---

[١] انظر: الرسالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير (٦٦).

[٢] انظر الصارم المسلول ٣٨٨.

الأول: طلب التوبة ممن حكم عليه بالردة.

الثاني: تبين الشروط والموانع قبل الحكم عليه بالردة، وهذا هو الذي نريد التنبيه عليه هنا؛ فالممتنع عن شرائع الإسلام، والممتنع عن النزول على حكم الله، والمحارب للمسلمين الخارج عن قدرتهم وحكمهم، سواء امتنع بدولة الكفر أو بقوانينها أو بجيوشها ومحاكمها: هذا قد جمع بين نوعي الامتناع؛ فلا يجب تبين الشروط والموانع في حقه قبل التكفير والقتال؛ إذ هو لم يسلم نفسه للمسلمين، ولا سلم بشرعهم وحكمهم حتى ينظر له في ذلك، فلا يقال في حق من كانوا كذلك: إنهم لم تقم عليهم الحجة، كما يهذر به بعض من يهرف بما لا يعرف، خصوصًا إذا كانوا محاربين مقاتلين لنا في الدين، وقد تسلطوا على ديار الإسلام وامتنعوا بشوكتهم عن شرائعه، وأقاموا وفرضوا شرائع الكفر والطاغوت.

يقول محمد بن الحسن الشيباني: "ولو أن قومًا من أهل الحرب الذين لم يبلغهم الإسلام ولا الدعوة أتوا المسلمين في دارهم، يقاتلهم (المسلمون) بغير دعوة ليدفعوا عن أنفسهم، فقتلوا منهم وسبوا وأخذوا أموا لهم فهذا جائز...".ا.هـ.

من السير الكبير، وما بين المعكوفين زيادة أثبتها السرخسي في شرحه، ثم قال: "لأن المسلم لو شهر سيفه على مسلم حل للمشهور عليه سيفه قتله للدفع عن نفسه، فها هنا أولى، والمعنى في ذلك: أنهم لو اشتغلوا بالدعوة إلى الإسلام فربما يأتي السبي والقتل على حرم المسلمين وأموالهم وأنفسهم فلا يجب الدعاء". ا.هـ.

ويقول ابن القيم [1]: "ومنها أن المسلمين يدعون الكفار – قبل قتالهم – إلى الإسلام هذا واجب إن كانت الدعوة لم تبلغهم، ومستحب إن بلغتهم الدعوة، هذا إذا كان المسلمون

---

[1] أحكام أهل الذمة (١/٥).

هم القاصدين للكفار، فأما إذا قصدهم الكفار في ديارهم؛ فلهم أن يقاتلوهم بغير دعوة؛ لأنهم يدفعونهم عن أنفسهم وحريمهم".

فهذا من تفريق العلماء بين جهاد الطلب وجهاد الدفع، وقد فرق شيخ الإسلام أيضًا في مواضع عديدة من كتبه [١] بين المرتد ردة مغلظة – وهو الذي يضيف إلى ردته الامتناع أو المحاربة والقتل أو القتال–؛ فيقتل بلا استتابة، وبين المرتد ردة مجردة؛ فيقتل إلا أن يتوب. وقال أيضًا: "المرتد لو امتنع بأن يلحق بدار الحرب، أو بأن يكون المرتدون ذوي شوكة يمتنعون بها عن حكم الإسلَم؛ فإنه يقتل قبل الاستتابة بلا تردد" ا.هـ، وقال أيضًا [٢]: "على أن الممتنع لا يستتاب وإنما يستتاب المقدور عليه" ا.هـ.

يقول عبد القادر عبد العزيز في كتاب الجامع في طلب العلم [٣]: "الامتناع يرد في الشرع على معنيين؛ أحدهما: الامتناع عما وجب فعله من شرائع الإسلام؛ كترك الصلاة والزكاة ونحو ذلك، وهذا الامتناع عن الشرع هو الذي تردد ذكره كثيرًا في كلام شيخ الإسلام: "أيما طائفة امتنعت عن شريعة من شرائع الإسلام"، والممتنع عن الشرع قد يكون كافرًا أو فاسقًا بحسب ما امتنع عنه.

والآخر: الامتناع عن القدرة؛ قال ابن تيمية [٤]: "ومعنى القدرة عليهم: إمكان الحد عليهم لثبوته بالبينة أو بالإقرار، وكونهم في قبضة المسلمين"، ولعل صحة العبارة: "إمكان إقامة الحد".

---

[١] انظر على سبيل المثال: الفتاوى (٢٠/٥٩).

[٢] الصارم (٣٢٥-٣٢٦).

[٣] الجامع في طلب العلم (٢/٦٨٦-٦٨٧) بتصرف يسير.

[٤] الصارم المسلول (٥٠٧).

وقال أيضًا [١]: "وهذا كله إذا قُدر عليهم، فأما إذا طلبهم السلطان أو نوابه لإقامة الحد بلا عدوان فامتنعوا عليه: فإنه يجب على المسلمين قتالهم باتفاق العلماء حتى يقدر عليهم كلهم".

وقال أيضًا [٢]: "العقوبات التي جاءت بها الشريعة لمن عصى الله ورسوله نوعان؛ أحدهما: عقوبة المقدور عليه من الواحد والعدد كما تقدم، والثاني: عقاب الطائفة الممتنعة كالتي لا يقدر عليها إلا بقتال".

والامتناع عن القدرة يتأتى بأمرين: باللحوق بدار الحرب حيث لا سلطان للمسلمين، أو بالامتناع بطائفة وشوكة أي بأعوان وسلاح، وذكر ابن تيمية كيفية الامتناع عن القدرة بقوله [٣]: "ولأن المرتد لو امتنع بأن يلحق بدار الحرب، أو بأن يكون المرتدون ذوي شوكة يمتنعون بها عن حكم الإسلام؛ فإنه يقتل قبل الاستتابة بلا تردد".

وأنبه هنا على عدة أمور:

١- أن الممتنع عن الشرع: قد يكون فردًا كتارك الصلاة، أو طائفة كمانعي الزكاة.

٢- وأن الممتنع عن القدرة: قد يكون فردًا كعبد الله بن سعد بن أبي السرح الذي ارتد في حياة النبي ﷺ، وامتنع باللحاق بمكة قبل فتحها وكانت دار حرب، وقد يكون الممتنع عن القدرة طائفة كالمحاربين قطاع الطريق وكالمرتدين الممتنعين.

٣- أنه لا تلازم بين الامتناع عن الشرع والامتناع بتعليقي عن القدرة، فليس كل ممتنع عن الشرع ممتنعًا عن القدرة: كالفرد تارك الصلاة المقدور عليه، وكالطائفة المقدور عليها

---

[١] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣١٧).

[٢] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٤٩).

[٣] الصارم المسلول (٣٢٢).

كبقايا بني حنيفة الذين استتابهم عبد الله بن مسعود من الردة بالكوفة، وقد ذكرت حديثهم في التنبيه الهام المذكور على العقيدة الطحاوية، وأصل حديثهم بصحيح البخاري بأول كتاب الكفالة، وكان عدد هؤلاء الذين استتابهم ابن مسعود: مائة وسبعين رجلًا، كما نقله ابن حجر عن ابن أبي شيبة [١].

٤- أما الممتنع عن القدرة؛ فلا بد أن يكون ممتنعًا عن الشرع؛ لأنه لا يوصف بالامتناع عن القدرة إلا إذا كان قد وجب عليه حق لله تعالى أو حق للعباد فطولب به فامتنع عن القدرة، أو امتنع عن القدرة قبل المطالبة وبعد وجوب الحق عليه حتى لا يؤاخذ به.

بعد بيان أنواع الامتناع في الشريعة، نقول: إن الفرد له حكم الطائفة في الممتنعين عن القدرة، والذين لا يكونون إلا ممتنعين عن الشرع أيضًا، وحكم الطائفة هو حكم رؤوسها وأئمتها، وعلى هذا فإذا كان رأس الطائفة مرتدًا كمسيلمة وطليحة: سُميت طائفته بالمرتدين، وحُكم على كل فرد منهم بالردة، وإذا كان رأس الطائفة باغيًا: سُميت طائفته بالبغاة، كما قال تعالى: ﴿فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ﴾ [الحجرات:٩] وقال ﷺ: ((تقتل عمارًا الفئة الباغية))، ويسمى كل فرد في هذه الفئة باغيًا، وحديث عمار متفق عليه ولفظه لمسلم ورواه البخاري بلفظ مقارب (حديث ٤٤٧). وهكذا القول في غيرهم من الممتنعين؛ كالخوارج والمحاربين قطاع الطرق: يسمي كل منهم خارجيًا أو محاربًا على الترتيب.

وهذا الحكم الذي ذكرناه - وهو أن الفرد له حكم الطائفة في الممتنعين عن القدرة -: دل عليه الكتاب والسنة والإجماع.

أ- أما الكتاب:

فالدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨] وقوله تعالى: ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٦]، وقوله تعالى:

---

[١] فتح الباري (٤/ ٤٧٠).

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١].

والآيات تبين أن الأتباع (جنودهما) لهم حكم المتبوعين (فرعون وهامان)؛ فقد سوى الله تعالى بينهم في الإثم (كانوا خاطئين)، وفي الوعيد (ما كانوا يحذرون)، وفي العقوبة الدنيوية (فنبذناهم في اليم)، وفي العقوبة الأخروية (ويوم القيامة لا يُنصرون)، ووصفهم الله جميعًا بأنهم (أئمة يدعون إلى النار)، ولم يفرق بين تابع ومتبوع، ولم يصف الأتباع إلا بأنهم جنود المتبوع، وإنما استحقوا حكم المتبوع لمشاركتهم له في إجرامه وإفساده، إذ لم يكن المتبوع ليتمكن من الإجرام إلا بجنوده الذين يطيعونه وينفذون إرادته، وهكذا جنود الطاغية في كل زمان ومكان.

فإن قيل: إنه لا حجة في هذه الآيات على تكفير جنود الحكام المرتدين – وفيهم من يظهر الإسلام –؛ لأن جنود فرعون كانوا كفارًا أصليين.

فالجواب: أن النص على كفر جنود الحكام المرتدين مستفاد من الأدلة السابقة من الكتاب والسنة والإجماع، ولا يؤثر في هذا الحكم إظهار بعضهم للإسلام؛ لأنه لا يحكم لشخص بالإسلام الحكمي بإظهاره لعلامات الإسلام إلا إذا لم يقترن ذلك بناقض من نواقض الإسلام، وهنا اقترن ظهور علامات الإسلام من بعضهم بناقض؛ وهو نصرة الكفار على كفرهم وعلى المسلمين.

أما الآيات المذكورة هنا فوجه الاستدلال بها على كفر جنود المرتدين هو من جهة دلالة هذه الآيات على التسوية بين التابع والمتبوع من كل الوجوه، ولم يجعل الله تعالى سبب هذه التسوية مشابهة معتقد التابع لمعتقد المتبوع، بل لم تشر الآيات أدنى إشارة إلى معتقد الأتباع، وإنما جعل الله مناط هذه التسوية هو مجرد المتابعة في الفعل لا الموافقة في الاعتقاد، ولم يصفهم الله في جميع هذه الآيات إلا بأنهم جنود فرعون، وحصر التكفير في الكفر بالاعتقاد

فقط هو مذهب المرجئة، وعلى الصحيح فإن الكفر يقع بالقول والفعل والاعتقاد، وجنود الحكام المرتدين الذين ينصرونهم بالقول والفعل إنما كفروا بالقول والفعل دون النظر في معتقدهم.

والصحابة رضي الله عنهم عندما سموا أتباع أئمة الردة بالمرتدين، وحكموا بكفرهم: إنما حكموا عليهم بمجرد اتباعهم لأئمة الردة ونصرتهم لهم بالقول والفعل والقتال معهم، لا لأنهم اختبروا معتقدهم، فإن هذا لم يقع ولم يثبت من جهة النقل، وقد سبق أن ذكرت قول ابن تيمية إن أتباع مسيلمة كانوا نحو مائة ألف أو أكثر [١]، فكيف يتأتى تبين معتقد هذا العدد مع امتناعهم عن القدرة؟ فضلًا عن غيرهم من أتباع طليحة وسجاح والعنسي وغيرهم، ولو توقف الحكم عليهم على تبين معتقدهم لأفضى هذا إلى إبطال الجهاد، وبهذا تعلم أن كفر أنصار المرتدين هو من جهة القول والفعل لا من جهة الاعتقاد.

بل قد ذكر ابن جرير الطبري رحمه الله ما يبين أن بعض أتباع مسيلمة كان يقر بكذبه، فقال [٢]: "كتب إلى السري قال: حدثنا شعيب عن سيف عن خليد بن ذفرة النمري عن عمير بن طلحة النمري عن أبيه، أنه جاء اليمامة فقال: أين مسيلمة؟ قالوا: مه رسول الله! فقال: لا، حتى أراه، فلما جاءه، قال: أنت مسيلمة؟ قال: نعم، قال: من يأتيك؟ قال: رحمن، قال: أفي نور أو في ظلمة؟ فقال: في ظلمة، فقال: أشهد أنك كذاب وأن محمدًا صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر، فقُتمل معه يوم عقرباء". وفي رواية: "قال: كذاب ربيعة أحب إلي من كذاب مُضَر". ا.هـ.

---

[١] منهاج السنة (٧/ ٢١٧).

[٢] تاريخ الطبري (٢/ ٢٧٧).

والحاصل: أن الصحابة لم يتبينوا معتقد أنصار أئمة الردة، ولم يكن هذا ممكنًا للمنعة القائمة، وإنما حكموا بردتهم بسبب النصرة والمعاونة، وهذا يوجب التسوية بينهم وبين أئمتهم ورؤوسهم في الأحكام، كما سوى الله بين فرعون وجنده.

ب- وأما السنة:

فالدليل على أن الفرد له حكم الطائفة في الممتنعين: هو إجراء النبي ﷺ حكم الكفار على عمه العباس لما خرج مع جيش المشركين للقتال يوم بدر، رغم دعواه الإسلام والإكراه، وأنه قد توجب الحكم عليه بمجرد فعله لا بالنظر في معتقده، فدل على أن الفرد له حكم الطائفة، وقد ذكرنا حديثه من قبل.

ج- وأما الإجماع:

فدليله: إجماع الصحابة المذكور في الدليل الأول على تكفير أنصار أئمة الردة في عهد أبي بكر، ولم يفرقوا في ذلك بين تابع ومتبوع.

ومن هذا تعلم أنه في الممتنعين يجري على الفرد حكم الطائفة الذي هو حكم رؤوسها، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]، فأنصار الحكام المرتدين الحاكمين بغير شريعة الإسلام في زماننا هذا: هم مرتدون حكمهم حكم أئمتهم، وهذا الحكم يجري على الأنصار على التعيين؛ أي أن كل منهم كافر بعينه، ودليل تكفيرهم على التعيين: حكم النبي ﷺ على عمه العباس على التعيين، وإجماع الصحابة على تكفير من مات من أنصار المرتدين: "وقتلاكم في النار"، ولا شك في أن القتلى معينون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير هذه القاعدة [١]: "والطائفة إذا انتصر بعضها ببعض حتى صاروا ممتنعين؛ فهم مشتركون في الثواب والعقاب. - إلى قوله - فأعوان الطائفة

---

[١] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣١١-٣١٢).

الممتنعة وأنصارها منها فيما لهم وعليهم. - إلى قوله - لأن الطائفة الواحدة الممتنع بعضها ببعض كالشخص الواحد". ا.هـ.

القاعدة الثانية: أن شروط التكفير وموانعه وأسبابه لا تثبت وتعتبر إلا بدليل شرعي معتبر، أو بمعنى آخر: (المانعية والشرطية وكذلك السببية لابد لإثباتها واعتبارها دليل شرعي).

فالموانع والشروط والأسباب كل ذلك من الأحكام الشرعية الوضعية التي وضعتها الشريعة بتوقيف، فكل من ادعى شرطًا أو مانعًا أو سببًا من غير دليل شرعي؛ فهو ممن يفتري على الله الكذب، ويقول على الله بغير علم؛ فلا يجوز ابتداع أسباب أو شروط أو موانع للتكفير ما أنزل الله بها من سلطان، ومن فعل ذلك فهو داخل تحت عموم قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، وقوله سبحانه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة:٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥]، فليحذر المسلم من ذلك، وليعلم أن (أكثر الأصوليين منعوا القياس في الشروط والأسباب والموانع) [١].

١- **فليس من موانع التكفير** إذًا أن يكون المرتد سعوديًا [٢] أو من جزيرة العرب أو عربيًا، إلا إن ادعينا العصمة لشخص ما غير نبينا محمد ﷺ أو لشعب ما، ومن ادعى ذلك فقد كفر، بل إن التاريخ يثبت أن كثيرًا من أهل جزيرة العرب بعد وفاة نبينا محمد ﷺ قد ارتدوا عن دين الله، بل وكان مع مسيلمة الكذاب أكثر من مئة ألف كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد ذكرنا ذلك في الدليل الأول.

---

[١] انظر: مذكرة أصول الفقه للشنقيطي (٢٨٢)، وإرشاد الفحول (٣٧٥).

[٢] مما ندعو الشباب إليه دائمًا: البعد عن لفظة سعودي؛ لدلالتها على التبعية المقيتة لأسرة آل سعود واستبدال النسبة للبلد أو القبيلة أو المدينة أو أهل الجزيرة بها.

وكذلك ارتد عدد كبير من أتباع الأسود العنسي، وكذلك الذين امتنعوا عن أداء الزكاة حكم عليهم الصحابة: بالكفر وقاتلوهم جميعًا، وقد سئل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: قتال مانعي الزكاة هل هو ردة؟ فأجاب [١]: "الصحيح أنه ردة؛ لأن الصديق لم يفرق بينهم ولا الصحابة ولا من بعدهم".

وهذه القصص لا تخفى على أحد حتى عامة الناس فضلًا عن طلبة العلم منهم والله المستعان.

٢- **وليس من موانع التكفير** كون المرتد من أهل العلم! أو أنه عضو في الهيئة الفلانية! أو من أهل اللحى!! أو من الجماعة الإسلامية الفلانية!! أو كونه يحمل ماجستير! أو دكتوراه في الشريعة!! أو نحو ذلك مما يتوهمه البعض؛ فدين الله يمضي على الجميع، ولا يختص بطبقة دون طبقة، أو شخص دون شخص، أو قطر دون قطر؛ فقد قال الله عز وجل عن أحد كبار العلماء ممن قيل أنه يعلم اسم الله الأعظم: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧].

وقال تعالى في حق خيرة خلقه وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٨ - ٨٩]، وهذا عبد الله بن سعد بن أبي السرح الذي كان من كتبة الوحي، وكان يكتب للنبي ﷺ ثم ارتد على عقبيه، فأمر رسول الله ﷺ بقتله ولو وجدوه متعلقا

---

[١] فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (٦/ ٢٠٢).

بأستار الكعبة، ثم إنه تاب ورجع إلى الإسلام عام الفتح أحضره عثمان بن عفان – وكان أخاه من الرضاعة – إلى النبي ﷺ فبايعه، وقصته برواياتها المختلفة بسطها وتكلم على فوائدها شيخ الإسلام في الصارم المسلول، والشاهد منها أن كونه من كتبة الوحي عند النبي ﷺ لم يمنع من كفره وردته لما أتى بسببها.

وهذا سعد بن عبادة رضي الله عنه عندما قال على رجل يظهر الإسلام لسعد بن معاذ: لا تقتله ولا تستطيع أن تقتله، قال أسيد بن حضير: إنك منافق تجادل عن المنافقين، وأقره النبي ﷺ على هذه الكلمة كما جاء ذلك في الصحيحين.

وهذا عمر بن الخطاب يقول عن حاطب بن أبي بلتعة: دعني أضرب عنق هذا المنافق، وفي رواية: فقد كفر، فقال رسول الله ﷺ: ((إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟)).

مع أن باب التأويلات والمبررات مفتوحة على مصراعيها لسعد بن عبادة ولحاطب ولغيرهم رضي الله عنهم، إذا كانت كما يريد مشايخ ومرجئة العصر الحاضر؛ فهم أحد المؤسسين للدولة الإسلامية في المدينة:

أ. فلماذا لم يقل الصحابة رضي الله عنهم كيف يسب أسيد بن حضير عالما من علماء الصحابة ومجاهدًا كبيرًا؛ فلحوم العلماء مسمومة وعادة منتقصيهم معلومة؟

ب. ولماذا لم يقل الصحابة رضي الله عنهم إن ما فعله سعد بن عبادة يتضمن مصلحة كبيرة عظيمة ويدفع مفسدة كبيرة، كيف هذا؟

ج. ولماذا لم يقل الصحابة رضي الله عنهم بأن هذا الرجل الذي دافع عنه رئيس لقبيلة؛ فهو يدافع عنه دفعًا لتهييج قبيلته ضد الإسلام والمسلمين ودولة الإسلام، ويحافظ على الدعوة، ويؤلف قلوب القبيلة على الدولة الإسلامية؟

د. **ولماذا لم يقل الصحابة** رضي الله عنهم إن هذا الرجل كان ظاهره الإسلام يصلي ويصوم ويجاهد مع المسلمين فحاله يلتبس على المسلمين؟

هـ. **ولماذا لم يقل الصحابة** رضي الله عنهم إن سعد بن عبادة وإن كان أخطأ إلا أن له جبالًا من الفضائل، وهذه زلة عالم، ولا يصح هذا القول ضد عالم له فضائل لمجرد زلة واحدة لم تتكرر، ولا يصح تتبع زلات وسقطات العلماء؟

و. **ولماذا لم يقل الصحابة** رضي الله عنهم لعل سعد بن عبادة وإن كان أخطأ إلا أنه متأول، والتأويل يمنع من التوصيف الشرعي للفعل والعقوبة؟

ز. **ولماذا لم يقل الصحابة** رضي الله عنهم يجب على أسيد بن حضير ألا يتسرع هكذا ويلتمس له ألف عذر قبل أن يرمي مجاهِدا كبيرًا قامت دولة الإسلام على تضحياته بمثل هذا الوصف الشنيع؟

لم يقولوا كل هذا لم؟ لأنهم لم يتعلموا نظريات المصالح الظاهرة الجزئية السطحية، ولم تنقلب مرآة بصيرتهم وتسود حتى يرى الحق باطلًا، والباطل حقًا، والبدعة سنة، والسنة بدعة، والتوحيد شركًا، والشرك توحيدًا، والفساد مصلحةً، والمصلحة فسادًا، بل إنهم يعلمون أن التوحيد أصفى من العسل المصفى، وأرق من الماء الزلال، وأنقى من اللبن في الضروع، وأن قطرة من الموالاة وشائبة من مدح الطاغوت لعلها لمصلحة الدعوة تكدر صفوه وتذهب بنقائه.

وأما مانع اللحية كما يقول البعض؛ فليعلموا أن الناس قديمًا لم يكونوا يحلقوا لحاهم إلا الترر اليسير الشاذين، وكذلك كان أئمة الكفر يشتهرون بوفرة اللحى، فلم تكن عائقًا للحكم عليهم بالكفر كما يريد البعض في عصر العجائب هذا، فلا تغركم ما تفعله دولة آل سعود؛

فأجلهم قد اقترب، والانتقام منهم قد حان، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون!!

وهذا دليل آخر، ولكن ليس في مسألة التكفير:

سلمان وبلال وصهيب رضي الله عنهم لما قالوا لأبي سفيان: "ألم تأخذ سيوف الله من عدو الله مأخذها؟"، قال أبو بكر الصديق: "أتقولون هذا لسيد قريش؟؟!"، فقال له رسول الله ﷺ: ((إن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك))، فماذا يقول المشايخ وطلبة العلم لو قلنا للداعية الكبير والمشهور: إنك منافق تجادل عن الطواغيت، أو قلنا للعالم الكبير: لئن كنت أغضبت المجاهدين المؤمنين أولياء الله بمدحك للطاغوت لقد أغضبت ربك؟؟!!

الجواب لو قلنا ذلك (وقد قلناه): لهاجت علينا الدنيا، وسارعت مدارس التخذيل والتعويق والتثبيط عن الجهاد – التي حذفت عمدًا ومع سبق الإصرار والترصد: شريعة السيف والجلاد من ملة الملاحم –: برفع السيوف الحادة لتقطيع رقابنا [١].

---

[١] تنبيه: يجب أن يفرق في هذا الباب بين ما كان كفرًا صراحًا مخرجًا من الملة، وبين ما ليس بكفر من الاجتهاد الخاطئ الذي يؤجر صاحبه على اجتهاده أو العثرات التي قد يقع بها بعض أهل العلم أو طلبته؛ فلا ينبغي أن يساء الأدب معهم لأجلها أو يتطاول عليهم بسببها أو يزهد بعلمهم أو ينفر الشباب عن كتبهم.. خصوصًا إن كانوا من أنصار الدين القائمين به المتبرئين من الطواغيت والمرتدين..
ففي صحيح البخاري (كتاب مناقب الأنصار) باب قول النبي ﷺ: ((اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم)) وذكر فيه أحاديث منها حديث أنس في وصية رسول الله ﷺ بالأنصار وفيه قوله: ((أوصيكم بالأنصار..)) إلى قوله: ((فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم..)).
فأنصار الدين الذين هم من أهل الطائفة القائمة بدين الله الذين يفنون أعمارهم ويبذلون مهجهم في نصرة دين الله وتوحيده لهم نصيب من هذه الوصية النبوية في كل زمان..

٣- **وليس من موانع التكفير** في سبب معين من أسباب الكفر كون من سيكفرون به كثر؛ فدين الله لا يحابي أحدًا، وقد قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم: ٨]، وفي الحديث الذي يرويه أبو داود وابن ماجه عن ثوبان مرفوعًا: ((... ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان))، وأخرج الحاكم وصححه عن أبي هريرة قال: تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ قال: ((ليخرجن منه أفواجًا كما دخلوا فيه أفواجًا))، ويروى موقوفًا على أبي هريرة.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية كما مر أن أتباع مسيلمة الكذاب نحو مائة ألف أو أكثر.

٤- **وليس من موانع التكفير** الخوف مما يهدد به بعضهم؛ من قطع راتب، أو الطرد من الوظيفة، أو مصادرة بعض حظوظ دنياهم أو منعهم من بعض قشورها؛ فهذا ليس بمانع من موانع التكفير، ولا يعذر به من دفعه ذلك إلى الكفر برب العالمين، وتولي المشركين ومظاهرتهم على المسلمين، ونصرة قوانين المشركين، بل هو من تزيين الشياطين وإمدادهم لأوليائهم بالغي، وأزهم إلى الكفر أزا؛ إذ التخويف بمثل هذه الأمور ليس من الإكراه في شيء، وقد قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ

فلتحفظ وصيته ﷺ فيهم وحذار من تسليط السفهاء وتطاول الرعاع عليهم، فإن في ذلك إقرار أعين أعداء الله وأعداء هذه الدعوة المباركة.. ولا يقدم على مثل هذا عاقل أو فقيه.. (انظر الرسالة الثلاثينية لأبي محمد المقدسي فك الله أسره).

أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥١ - ٥٦].

ففي هذه الآيات بيان ردة من دفعتهم الخشية المجردة إلى تولي الكفار، والتصريح بأنهم قد حبطت أعمالهم، وهذا لا يكون إلا بالكفر، فلم يعذر الله في اقتراف الكفر (كتولي المشركين أو قوانينهم)، بالخشية المجردة، ولم يجعل ذلك مانعًا من موانع التكفير، ولم يجعله من الإكراه كما يظن كثير من الجهال.

يقول الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله حين ذكر أحوال الناس المظهرين لموافقة الكفار، فذكر فيهم من يوافقهم في الظاهر مع دعوى مخالفته لهم في الباطن وهو ليس في سلطانهم، قال [١]: "وإنما حمله على ذلك إما طمع في رئاسة أو مال أو مشحة بوطن أو عيال أو خوف مما يحدث في المال؛ فإنه في هذه الحالة يكون مرتدًا ولا ينفعه كراهته لهم في الباطن.

وهو ممن قال الله فيهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: ١٠٧] وأخبر أنه لم يحملهم على الكفر الجهل، ولا بغض (الحق)، أو محبة الباطل، وإنما هو أن لهم حظًا من حظوظ الدنيا آثروه على الدين.

قال: وهذا معنى كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

---

[١] سبيل النجاة والفكاك، من موالاة المرتدين وأهل الإشراك (٦٢).

وأما ما يعتقده كثير من الناس عذرًا؛ فإنه من تزيين الشيطان وتسويله؛ فذلك أن بعضهم إذا خوفهم أولياء الشيطان خوفًا لا حقيقة له: ظن أنه يجوز له إظهار الموافقة للمشركين والانقياد لهم". ا.هـ.

ثم ذكر كلامًا لشيخ الإسلام ابن تيمية في صفة الإكراه على كلمة الكفر، وأنه لا يكون إلا بالضرب والتعذيب والقتل، لا بمجرد الكلام ولا بالتخويف بالحيلولة دونه ودون زوجته أو ماله أو أهله.

وقد نقل السيوطي عن القاضي عياض قال [١]: "سئل أبو محمد القيرواني الكيزاني من علماء المالكية عمن أكرهه بنو عبيد يعني (حكام) مصر على الدخول في دعوتهم، أو يقتل؟ قال: يختار القتل، ولا يعذر أحد في هذا الأمر، كان أول دخولهم قبل أن يعرف أمرهم، وأما بعد فقد وجب الفرار فلا يعذر أحد بالخوف بعد إقامته، لأن المقام في موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع لا يجوز، وإنما أقام من أقام من الفقهاء على المباينة لهم؛ لئلا تخلو للمسلمين حدودهم، فيفتنوهم عن دينهم". ا.هـ.

ويصدق هذا ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]؛ فإنها نزلت في أناس كانوا قد أسلموا ولكنهم قصروا في الهجرة، فبقوا في مكة بين المرتدين مشحة أن يتركوا المساكن والأزواج والأموال والأوطان، فلما كان يوم بدر: أخرجهم المشركون في صفوفهم؛ فكان المسلمون إذا رموا بسهم وقع في بعضهم، فقالوا: قتلنا إخواننا، فأنزل الله تعالى هذه الآيات من سورة النساء، فلم يعذرهم تعالى بدعواهم الاستضعاف وإخراج المشركين لهم في الصف كرهًا؛ لأنهم قصروا أول مرة في الهجرة والخروج من بينهم حين كانوا في سعة حال القدرة عليه، وإنما عذر – كما في الآية التي بعدها – المستضعفين حقًا الذين لا يتمكنون من الهجرة ولا يستطيعونها؛

---

[١] مقدمة تاريخ الخلفاء (١٣).

إما لحبسهم وقيدهم واستضعافهم الحقيقي، أو لأنهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيل الهجرة؛ كالنساء والولدان ونحوهم.

فدل هذا كله على أن المكثر لسواد الكفار والمشركين، المظهر موافقتهم ونصرتهم على المسلمين: لا يعذر بمجرد دعواه الخوف على الأموال والمشحة (بالتقاعد) والمساكن ونحوها من متاع الدنيا وقشورها، فكيف بمن أظهر نصرة الشرك نفسه، وحمى وحرس قوانين الكفر، وخرج مختارًا لنصرتها ونصرة أهلها على الموحدين، ثم تعذر بأمثال تلك الأعذار؟!! لا شك أن هؤلاء أولى بذلك وأولى.

٥- **ولذلك فليس من موانع التكفير** أيضًا كون المرتدين وأنصارهم يتعذرون بالاستضعاف وأنهم لا حيلة لهم مع حكامهم؛ فالاستضعاف لو كان موجودًا معتبرًا في حقهم فإنه لا يسوغ لهم نصرة الشرك والكفر أو نصرة أهله على المسلمين؛ إذ لا أحد يجبرهم على ذلك، ولا على تولي الوظائف التي فيها جنس ذلك، بل هم يستميتون في الحصول عليها، ويلتمسون الشفاعات والوساطات لنيلها والوصول إليها.

وأعجب من ذلك ما سمعته من بعض من طمس الله على بصائرهم وأعماهم عن نور الوحي؛ يعتذرون للحكام المعطلين لشرع الله المشرعين لقوانين الكفر المحكمين لها والممتنعين بها، بأنهم مستضعفون عند أمريكا ولا يستطيعون تحكيم الشرع بسبب ذلك!!

وكنت أسألهم: فمن ذا الذي يجبرهم على البقاء في الحكم والتشبث بكرسيه بالنواجذ وأصابع الأيدي والأرجل؟! كيف وقد وصل أكثرهم إلى هذه الكراسي على ظهور الدبابات الأمريكية، وبكل ما يقدرون عليه من وسائل القتل والغدر والخسة؛ فمنهم من قتل والده، ومنه من نفاه، ومنهم من أباد قرى ومدن كاملة من أجل ذلك؟!

ثم يقول أولئك العميان: إنهم مستضعفون لأمريكا! بل فليسموا الأشياء بأسمائها الحقيقية وليقولوا: هم أذنابها وإخوانها وأحباؤها، وعلى كل حال؛ فالمستضعف عمومًا لا يحل له

اقتراف قول أو فعل مكفر، وإنما يرخص له فقط في مداراة الكفار والتقية، وهي ترك الإنكار عليهم باليد واللسان، مع بقاء كراهيتهم وإنكار باطلهم في القلب، وترك إظهار عداوتهم مع بقاء أصلها بالقلب، دون أن يتابعهم على كفر أو يرضى به، كما في الحديث: ((إلا من رضي وتابع))، فالله لم يعذر المتابعين للكفار على كفرهم وشركهم بحجة الاستضعاف، كما هو بين واضح في آيات كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ۝ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٧ - ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣١ - ٣٣]، ونحوها من الآيات.

فتأمل تخاصمهم بعد فوات الأوان وإسرارهم الندامة لما رأوا العذاب، وقولهم لساداتهم الذين قادوهم إلى الهلاك: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾ فالاستضعاف ليس عذرًا في مثل هذا، وإنما يعذر المستضعف باستضعافه، في ارتكاب بعض المحرمات، أو التقصير في بعض الواجبات؛ كترك الهجرة إلى المسلمين والتقصير في نصرتهم، ونحو ذلك مما يعجز عنه في استضعافه، ما لم يرتكب مكفرًا صريحًا باختياره؛ إذ الاستضعاف شيء غير الإكراه والذي يمنع من تكفير من ارتكب شيئًا من أسباب الكفر الظاهرة، وقلبه مطمئن بالإيمان؛ ولذلك وصف الله المستضعفين من المؤمنين بأنهم يسعون جاهدين ويدعون الله مخلصين أن يخرجهم من بين الكفار، ولا يطمئنون لواقع الاستضعاف، أو يتخذونه ذريعة وعذرًا لبيع الدين بالدنيا كما هو حال من يتعذر به اليوم من المفتونين؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

٦- **وليس من موانع التكفير** كون المرتدين وأنصارهم أو غيرهم من الكفار يعتقدون أنهم مؤمنون أو أنهم على حق فيما يرتكبونه من المكفرات؛ فقد وصف الله تعالى كثيرًا من الكفار بذلك، ولم يجعل ذلك مانعًا من تكفيرهم؛ فقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

وهكذا شأن أكثر الكفار في كل زمان، وحتى اليهود والنصارى يعتقدون أنهم مهتدون وأنهم هم المؤمنون وأصحاب الجنة الفائزون، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]، وهكذا سائر الكفار.

ومعلوم أن ذلك ليس بنافعهم عند الله ولا وهو بمانع من تكفيرهم في الدنيا.

وعلى كل حال، فتقييد التكفير بالاعتقاد: هو مذهب غلاة المرجئة الذين يرون الإيمان اعتقاد القلب وحده فقط، ومن ثم فلا يكون الكفر في مذهبهم إلا بالاعتقاد، أضف إلى هذا أن الاعتقاد أمر مغيب في القلب غير ظاهر، ولا يمكن ضبطه ما دام كذلك؛ ولذلك لم يعتبره الشارع كمانع من موانع التكفير في أحكام الدنيا، إذ من المقرر أن تعريف المانع هو: (أنه وصف وجودي ظاهر منضبط يمنع ثبوت الحكم)، فما لم يكن كذلك؛ فليس بمانع من موانع التكفير، ولا دخل لنا به في أحكام الدنيا.

٧- **وليس من موانع التكفير** كون من كفر بسبب من أسباب الكفر أو ناقض من نواقض الإسلام يلتزم بعض شرائع الإسلام كالصلاة أو الإقرار بالشهادتين أو نحوهما؛ فهذا لا يمنع من تكفيره؛ لأنه لم يكفر من جهة الامتناع عن شيء من الشرائع المذكورة، وإنما كفر بسبب آخر غير ذلك، وقد ذكر الله تعالى في كتابه أن للمشركين أعمالًا، وأن بعضهم عنده من شعب الإيمان أشياء لم تن مف عنه الشرك، كما قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، وبين في موضع آخر أن الشرك محبط لجميع تلك الأعمال، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، ومعلوم أن الإنسان يدخل الإسلام بالإقرار بالشهادتين، ثم لا يستمر إسلامه ولا تدوم عصمته إلا بالمحافظة على مجموع شعب هي أصل الإيمان، بينما يحبط ذلك كله بسبب واحد من أسباب الكفر.

ومن الأدلة الواضحة على أن هذا الأمر ليس من الأعذار المقبولة عند الله تعالى، ولا هو من موانع التكفير: قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦]؛ فإنها نزلت في شأن أناس كانوا من المصلين المقرين بالشهادتين، قد خرجوا مع النبي ﷺ مجاهدين في غزوة هي من أشهر وأعسر غزوات المسلمين، ثم لما قالوا ما قالوا من أسباب الكفر - وهو الاستهزاء بالنبي وأصحابه من حملة القرآن -؛ كفرهم الله بهذا السبب، ولم يمنع من تكفيرهم إقراراهم بالشهادتين ولا الصلاة ولا الجهاد ولا غيره من شعب الإيمان التي كانت عندهم.

وعلى هذا فلو نطق المرتد الذي كفر بسبب نصرته للشرك والمشركين للشهادتين حال قتاله: لم يعصم ذلك دمه ولم يمنع من قتله؛ لأنه لم يكفر بالامتناع عن الإقرار بها كي يقاتل عليها، وحتى يكون حكمه حكم من قتله أسامة بن زيد لما قالها، بل هو يقولها ويقر بها ليل نهار، وربما كان من المصلين، فليس هذا سبب كفره الذي قوتل عليه، وإنما سبب كفره الذي قوتل عليه: هو تولي ونصرة القوانين وأهلها على الموحدين، فلا يصير مسلمًا حتى ينخلع

ويبرأ من هذا السبب ويتوب منه، فبذلك يرجع إلى الإسلام، إذ هذا هو الباب الذي خرج منه، فمنه يرجع ما دام مقرًا بسائر الأبواب.

وهذا أمر واضح معلوم من سيرة الصحابة مع المرتدين بعد وفاة النبي ﷺ؛ فإنهم كانوا أصنافًا؛ (قوم ارتدوا عن الدين بالكلية، وقوم ارتدوا عن بعضه، فقالوا: نصلي ولا نزكي، وقوم ارتدوا عن إخلاص الدين الذي جاء به محمد ﷺ، فآمنوا مع محمد بقوم من النبيين الكذابين كمسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي وغيرهما)، فجاهدهم الصديق رضي الله عنه وسار فيهم سيرته في المرتدين، فمن كان منهم يصلي ويقر بالشهادتين، وارتد بمنع الزكاة: قاتله حتى أداها، ومن كانت ردته بالإيمان بمسيلمة: قاتله على البراءة من مسيلمة والكفر بنبوته، وهكذا، ولما أشكل ذلك بادي الرأي على الفاروق وسأله: كيف تقاتل الناس وقد قال النبي ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله... الحديث))؟ قال له أبو بكر: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة". فهذا يوضح أن ممن قاتلهم أبو بكر في حروب الردة من كان يصلي ويشهد الشهادتين، وإنما ارتد من أبواب أخرى؛ فقوتل عليها.

٨- **وليس من موانع التكفير** كون من ارتكب سببًا من أسباب الكفر الواضح المستبين مضللًا بتلبيس الأحبار والرهبان أو السادة والحكام أو غيرهم؛ فمانع الجهل يعتبر في الأمور الخفية والمشكلة التي تحتاج إلى تعريف وبيان، فلا بد قبل التكفير فيها من إقامة الحجة، لكن هذا لا يجب في أمور هي أظهر من الشمس في رابعة النهار؛ كهدم أصل التوحيد، أو مقارفة ما يناقضه من الكفر البواح والشرك الصراح، الذي لا يخفى على صبيان المسلمين، بل إن اليهود والنصارى يعرفون أنه مناقض لما جاء به محمد ﷺ، وحديث عدي بن حاتم واضح وصريح في عدم إعذار اليهود والنصارى بإضلال أحبارهم ورهبانهم لهم: في صرف التشريع الذي هو عبادة إلى غير الله تعالى، مع أنهم لم يكونوا يعرفون أن الطاعة في ذلك عبادة كما صرح بذلك عدي، وكفر اليهود والنصارى أكثره كفر تقليد؛ ولذلك قال تعالى فيهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] الآيات.

عقد الإمام محمد بن عبد الوهاب لذلك بابًا مستقلًا في كتاب التوحيد، فقال رحمه الله تعالى: باب من أطاع العلماء والأمراء، في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله؛ فقد اتخذهم أربابًا من دون الله، وقال ابن عباس: يوشك أن تترل عليكم حجارة من السماء، أقول لكم: قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟ وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك؛ لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] فقلت له: إنا لسنا نعبدهم، قال: ((أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟))، فقلت: بلى، قال: ((تلك عبادتهم)) [رواه أحمد والترمذي وحسنه].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [(١)]: "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا؛ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله؛ يكون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، اتباعًا لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل؛ فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركًا، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين، واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله: مشركًا مثل هؤلاء.

[(١)] مجموع الفتاوى (٧/ ٧٠).

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحليل الحلال وتحريم الحرام ثابتًا، لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص؛ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: ((إنما الطاعة في المعروف))، وقال: ((على المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية)).

وقال أيضًا [١]: "وقد قال عدي بن حاتم للنبي ﷺ: ما عبدوهم، قال: ((أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم؛ فكانت تلك عبادتهم إياهم))، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧ – ٢٩]، فالرسول وجبت طاعته لأنه من يطع الرسول فقد أطاع الله؛ فالحلال ما حلله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، ومن سوى الرسول من العلماء والمشايخ والأمراء والملوك إنما تجب طاعتهم إذا كانت طاعتهم طاعة الله، وهم إذا أمر الله ورسوله بطاعتهم فطاعتهم داخلة في طاعة الرسول، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فلم يقل: وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولي الأمر منكم، بل جعل طاعة أولي الأمر داخلة في طاعة الرسول، وطاعة الرسول طاعة لله، وأعاد الفعل في طاعة الرسول دون طاعة أولى الأمر؛ فإنه من يطع الرسول فقد أطاع الله".

وقال أيضًا [٢]: "وفي حديث عدى بن حاتم؛ وهو حديث حسن طويل رواه أحمد والترمذي وغيرهما: وكان قد قدم على النبي ﷺ وهو نصراني، فسمعه يقرأ هذه الآية، قال: فقلت له: إنا لسنا نعبدهم، قال: ((أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟))، قال: فقلت: بلى، قال: ((فتلك عبادتهم))، وكذلك قال أبو البختري: أما إنهم

---

[١] مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧)

[٢] مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٦٦).

لم يصلوا لهم ولو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم، ولكن أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه وحرامه حلاله فأطاعوهم؛ فكانت تلك الربوبية.

وقال الربيع بن أنس: قلت لأبي العالية: كيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل؟ قال: كانت الربوبية أنهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به ونهوا عنه، فقالوا: لن نسبق أحبارنا بشيء؛ فما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقولهم، فاستنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، فقد بين النبي أن عبادتهم إياهم كانت في تحليل الحرام وتحريم الحلال، لا أنهم صلوا لهم وصاموا لهم ودعوهم من دون الله؛ فهذه عبادة للرجال، وتلك عبادة للأموال، وقد بينها النبي، وقد ذكر الله أن ذلك شرك بقوله: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾".

وقال أيضًا [١]: "والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه، أو حرم الحلال المجمع عليه، أو بدل الشرع المجمع عليه: كان كافرًا مرتدًا باتفاق الفقهاء".

وقال أيضًا رحمه الله [٢]: "وكل ما نُهي عنه فهو زيغ وانحراف عن الاستقامة، ووضع للشيء في غير موضعه، فهو ظلم؛ ولهذا جمع بينهما سبحانه في قوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩] فهذه الآية في سورة الأعراف المشتملة على أصول الدين والإعتصام بالكتاب، وذم الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله؛ كالشرك وتحريم الطيبات أو خالفوا ما شرعه الله من أمور دينهم؛ كإبليس ومخالفي الرسل من قوم نوح إلى قوم فرعون، والذين بدلوا الكتاب من أهل الكتاب، فاشتملت السورة على ذم من أتى بدين باطل؛ ككفار العرب، ومن خالف الدين الحق كله؛ كالكفار بالأنبياء، أو بعضه ككفار أهل الكتاب، وقد جمع سبحانه في هذه السورة وفي الأنعام وفي غيرهما ذنوب المشركين في نوعين، أحدهما: أمر بما لم يأمر به كالشرك، ونهى

---

[١] مجموع الفتاوى (٣/ ٢٦٧).

[٢] مجموع الفتاوى (١/ ٩٧-٩٨).

عما لم ينه الله عنه؛ كتحريم الطيبات؛ فالأول: شرع من الدين ما لم يأذن به الله، والثاني: تحريم لما لم يحرمه الله.

وكذلك في الحديث الصحيح، حديث عياض بن حمار عن النبي عن الله تعالى: ((إني خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين، فحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا)). ولهذا كان ابتداع العبادات الباطلة من الشرك ونحوه: هو الغالب على النصارى ومن ضاهاهم من منحرفة المتعبدة والمتصوفة، وابتداع التحريمات الباطلة: هو الغالب على اليهود ومن ضاهاهم من منحرفة المتفقهة، بل أصل دين اليهود فيه آصار وأغلال من التحريمات؛ ولهذا قال لهم المسيح: ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم. كما أن الشرك بالله ظلم عظيم؛ فإن الإشراك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل دع جليله وهو شرك في العبادة والتأله، وشرك في الطاعة والانقياد، وشرك في الإيمان والقبول، فالغالية من النصارى والرافضة وضُلال الصوفية والفقراء والعامة: يشركون بدعاء غير الله تارة، وبنوع من عبادته أخرى، وبهما جميعًا تارة، ومن أشرك هذا الشرك: أشرك في الطاعة.

وكثير من المتفقهة وأجناد الملوك وأتباع القضاة، والعامة المتبعة لهؤلاء يشركون شرك الطاعة، وقد قال النبي ﷺ لعدي بن حاتم لما قرأ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾، فقال: يا رسول الله؛ ما عبدوهم، فقال: ((ما عبدوهم، ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم))، فتجد أحد المنحرفين يجعل الواجب ما أوجبه متبوعه، والحرام ما حرمه، والحلال ما حلله، والدين ما شرعه، إما دينًا وإما دنيا".

وكذلك كفر أكثر الكفار، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]، وفي الحديث الذي يرويه البخاري في صحيحه يقول النبي ﷺ في عذاب القبر: ((وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه... الحديث)).

هذا وقد بين الله في كتابه أن الضعفاء والمقلدين يتبرؤون يوم القيامة من ساداتهم الذين كانوا سببًا في إضلالهم، وأن ذلك ليس بعذر لهم ينجيهم، ولا هو بمانع من موانع التكفير؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ۝ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ۝ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤ - ٦٨]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

هذا وقد ذكر العلامة ابن القيم في كتابه (طريق الهجرتين) في سياق ذكره لمراتب المكلفين (الطبقة السابعة عشر)؛ وهم: (طبقة المقلدين وجهال الكفرة وأتباعهم وحميرهم الذين معهم تبعًا لهم يقولون: إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على أسوة بهم....).

قال: "وقد اتفقت الأمة على أن هذه الطبقة كفار وإن كانوا جهالًا مقلدين لرؤسائهم وأئمتهم، إلا ما يحكى عن بعض أهل البدع أنه لم يحكم لهؤلاء بالنار، وجعلهم بمترلة من لم تبلغه الدعوة، وهذا مذهب لم يقل به أحد من أئمة المسلمين لا الصحابة ولا التابعين ولا من بعدهم، وإنما يعرف عن بعض أهل الكلام المحدث في الإسلام، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: ((إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة)) أخرجه مسلم في (كتاب الإيمان) حديث (١٧٨)، وهذا المقلد ليس بمسلم، وهو عاقل مكلف، والعاقل المكلف، لا يخرج عن الإسلام أو الكفر..." إلى قوله: "والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، والإيمان بالله وبرسوله واتباعه فيما جاء به، فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم، وإن لم يكن كافرا معاندا فهو كافر جاهل.

فغاية هذه الطبقة أنهم كفار جهال غير معاندين، وعدم عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفارًا...".

ثم ساق الآيات التي تذكر عذاب المقلدين المتابعين غيرهم على الكفر، وأن التابع والمتبوع في النار جميعًا، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ۝ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٧-٤٨].

ثم قال: "فهذا إخبار من الله وتحذير بأن المتبوعين والتابعين، اشتركوا في العذاب ولم يغن عنهم تقليدهم شيئًا، وأصرح من هذا قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ [البقرة: ١٦٦ - ١٦٧]". ا.هـ.

٩- وليس من موانع التكفير - باتفاق أهل العلم -: قول الكفر على سبيل الهزل واللعب واللهو والمزاح، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦]، فلم يعذرهم الله تعالى بهذا العذر، مع أنهم كانوا خارجين في غزوة العسرة للقتال مع النبي ﷺ، وقالوا تلك الكلمات على سبيل الهزل وشغل الوقت في السفر، (حديث الركب نقطع به الطريق) كما جاء في أسباب النزول.

يقول أبو بكر بن العربي رحمه الله [١]: "الهزل بالكفر كفر، لا خلاف فيه بين الأمة، فإن التحقيق أخو العلم والحق، والهزل أخو الجهل والباطل". ا.هـ.

---

[١] أحكام القرآن (٢/ ٩٦٤)، وانظر: القرطبي (٨/ ١٩٧).

ويقول ابن الجوزي رحمه الله [١]: "الجد واللعب في إظهار كلمة الكفر سواء". ا.هـ.

ويقول النووي رحمه الله [٢]: "والأفعال الموجبة للكفر، هي التي تصدر عن عمد واستهزاء بالدين صريح". ا.هـ.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عند قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [٣]: "لم يقل الله تعالى قد كذبتم في قولكم: (إنما كنا نخوض ونلعب)، فلم يكذبهم في هذا العذر كما كذبهم في سائر ما أظهروه من العذر الذي يوجب براءتهم من الكفر لو كانوا صادقين، بل بين أنهم كفروا بعد إيمانهم بهذا الخوض واللعب". ا.هـ.

أي أنه كفرهم سبحانه وتعالى رغم عذرهم المذكور الذي أدلوا به، ولم يكذبهم بوجوده سبحانه، بل أنكر اعتباره، فدل على عدم اعتبار هذا العذر من موانع التكفير.

وقال ابن القيم في إعلام الموقعين بعد كلام له تقدم في اشتراط القصد لصحة الأحكام، قال بعد أن ذكر خبر الذي قال لما وجد راحلته، بعد أن أضلها [٤]: ((اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح)): "ولم يكفر بذلك وإن أتى بصريح الكفر، لكونه لم يرده، والمكره على كلمة الكفر أتى بصريح كلمته ولم يكفر لعدم إرادته، بخلاف المستهزئ والهازل، فإنه يلزمه الطلاق والكفر، وإن كان هازلًا لأنه قاصد للتكلم باللفظ، وهزله لا يكون عذرًا له بخلاف المكره والمخطئ والناسي؛ فإنه معذور مأمور بما يقوله أو مأذون له فيه، والهازل غير مأذون له في الهزل بكلمة الكفر والعقود، فهو متكلم باللفظ مريد له، ولم يصرفه عن معناه إكراه ولا خطأ ولا نسيان ولا جهل، والهزل لم يجعله الله ورسوله عذرًا صارفًا، بل

---

[١] زاد المسير (٣/ ٤٦٥).

[٢] روضة الطالبين (١٠/ ٦٤).

[٣] الصارم المسلول (٥١٧).

[٤] إعلام الموقعين (٣/ ٧٦).

صاحبه أحق بالعقوبة، ألا ترى أن الله تعالى عذر المكره في تكلمه بكلمة الكفر إذا كان قلبه مطمئنًا بالإيمان، ولم يعذر الهازل بل قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾".ا.هـ.

ويقول ابن نجيم الحنفي رحمه الله [1]: "إن من تكلم بكلمة الكفر هازلًا، أو لاعبًا كفر عند الكل، ولا اعتبار باعتقاده". ا.هـ.

١٠- **وليس من موانع التكفير** المعتبرة كون المكفرين لا يقدرون على ترتيب آثار الكفر على من كفروه؛ كإقامة حد الردة أو تغير الحاكم الكافر ونحوه؛ فهذه شبه يطنطن بها مرجئة العصر، (كما طنطن بها بعض كبار مرجئة العصر)، وقد تعلق بذلك وقلدهم به سفهاؤهم وجهالهم، وهي من سفسطتهم وجدالهم بالباطل، إذ لو التزموا ذلك لأبطلوا به جميع الأحكام الشرعية؛ إذ يلزمهم ما دمنا عاجزين عن إقامة حد الزنا، على من ثبت عليه الزنا بالبينة أو الاعتراف أو نحوه أنه ليس بزان، وليبحث له عن أخرى!! وما دمنا عاجزين عن إقامة حد القتل على القاتل فإنه ليس بقاتل، ومن ثم فلا دية عليه ولا كفارة ولا توبة!! وما دمنا عاجزين عن إقامة حد القطع على السارق فلت يحل لنا أن نسميه سارقًا، إذ ما الفائدة من ذلك كما يقولون؟! فلنسمه إذن أمينًا ولنسلطه على أموال الناس!! وما دمنا غير قادرين على تغيير المنكرات الظاهرة، فلا يحل لنا أن نعرف بها أو نحذر منها أو نسميها منكرًا، وما لم تكن منكرًا فهي حتمًا معروف، وهكذا...

وفي هذا من الباطل ما يلزم منه فتح أبواب الفساد والإلحاد، وتسويغه وتهوينه على العباد.

---

[1] البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٥/ ١٣٤).

والحق والصواب في هذا هو ما أمرنا الله تعالى به في محكم كتابه بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال تعالى عن شعيب: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨].

ومنه وضع الفقهاء قاعدتهم الفقهية المعروفة في أن (الميسور لا يسقط بالمعسور)؛ فإذا عجز المسلمون في وقت من الأوقات عن الخروج على الحاكم الكافر وتغييره: فلا يعني هذا أن يتركوا تكفيره، بل هذا حكم شرعي يستطيعونه فيجب عليهم أن يتقوا الله فيه وفي غيره مما هو من آثار تكفير الحكام ويستطيعونه؛ فيجتنبوا نصرته وتوليه والتحاكم إلى أحكامه الكفرية، ولا يولونه أمر دينهم، ولا يجعلون له عليهم سبيلًا، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، ولا يدخلوا في بيعته، أو يقاتلوا تحت رايته، أو يعينوه على باطله، أو يظاهروه على مسلم، إلى غير ذلك مما يملكون فعله ويقدرون عليه، وأيضًا فإن معرفة كفر الحاكم: مدعاة إلى العمل الجاد والإعداد الذي يمكن في يوم من الأيام من تغييره، بخلاف من كان الحاكم عنده مسلمًا؛ فإنه لن يرفع بذلك رأسًا، ولن يفكر يومًا ما بالإعداد الجاد لتغييره، كما هو واقع مرجئة العصر في هذا الزمان؛ فاختلاف الحكم على الحاكم عند كل فريق: هو الفرقان والميزان الذي يزن سلوك كل فريق، ويميز توجهه وصبغته، ما بين موحد كافر بالطاغوت معاد له، أو مجتنب على أقل الأحوال، وما بين مبايع له مناصر، أو مجادل عن باطله مهون من كفرياته.

وواقعنا وواقع خصوم هذه الدعوة أكبر شاهد على هذا، فليتدبر المنصف أحوال الموحدين وسلوكهم ودعوتهم ومنهاجهم في واقع اليوم، ثم لينظر في واقع الخوالف الذين ناموا في أحضان الطواغيت ورضعوا من ألبانهم، وسلطوا ألسنتهم وأقلامهم على كل من خرج عليهم أو نازعهم بلسانه أو سنانه.

١١- **وليس من موانع التكفير** المعتبرة سوء تربية المقترف للكفر، كما زعمه بعض من يقتدى بهم ويشار إليه بالبنان في موانع تكفير ساب الرب أو الدين أو الرسول؛ فإن أكثر الكفار والمشركين قد كفروا ونشؤوا في الشرك لسوء التربية والتنشئة، كما أخبر بذلك

الصادق المصدوق؛ فقال ﷺ: ((يولد المولود على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو يشركانه)) [رواه مسلم وغيره]، فلم يمنع ذلك من تكفيرهم.

١٢- وليس من موانع التكفير أيضًا اقتراف شيء من أسباب الكفر الظاهرة الصريحة، بحجة الاستحسان أو الاستصلاح أو ما يسمونه بمصلحة الدعوة!! فليس ثم مصلحة معتبرة في الشرك أو الكفر؛ لأنه أعظم ذنب عُصِي الله به في الوجود؛ ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقد سئل النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: أي الذنب أعظم؟ فقال: ((أن تجعل لله ندًا وهو خلقك))، فهو أعظم المفاسد في الوجود على الإطلاق؛ ولذلك كان محبطًا لسائر الأعمال؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الزمر: ٦٥]، وكل مصلحة مزعومة أو مدعاة في الشرك أو الكفر؛ فهي مصلحة باطلة ملغاة شرعًا، لم يجعل الشارع لها اعتبارًا، نعم قد يكون في الشرك مصالح دنيوية وشهوانية لبعض الناس، يغطونها بمصلحة الدين، والدين منها براء.

فالله قد بعث كافة رسله وأنزل جميع كتبه كما هو معلوم؛ لإبطال الشرك وهدم الكفر، ومن ثم إخلاص العبادة لله وحده، وهو سبحانه طيب لا يقبل إلا طيبًا، والمقاصد الشرعية المطهرة: لا يجوز شرعا أن يتوصل إلى تحقيقها إلا بوسائل شرعية مطهرة صحيحة، تمامًا كما لا تزال النجاسة ويتطهر منها بنجاسة أخرى، وكما لا يستنجى من البول بالبول، فلسنا ميكافيليين [١] تبرر الغاية عندنا الوسيلة، حتى نختار ما نشتهي من وسائل، بل قد سد الله جميع الطرق، ولم يبق لنا إلا طريق واحد موصل إليه وإلى جنته ومرضاته ونصرة دينه وتحقيق

---

[١] نسبة إلى نقولا ميكافيلي صاحب كتاب الأمير، الذي أودع فيه خلاصة تجاربه بين الأمراء، ودون فيه نصائحه التي تضمن لهم حفظ عروشهم، وأشهرها: (الغاية تبرر الوسيلة).

سعادة الدارين؛ ألا وهو الطريق الشرعي التي بعث بها رسوله ﷺ، وهذا من أهم معاني شهادة أن محمدًا رسول الله.

وقد بين الله ضلال سعي من يستصلحون الكفر، وخسارة من يستحسنون صنعته، فقال: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٥].

ورحم الله السلف الذين كانوا يسمون مثل هذه الاستصلاحات التي يلصقها أهلها بالدين: (خديعة إبليس)، يطلقون ذلك على من داهن الأمراء وتقرب إليهم في أزمنة الخلافة والفتوحات، كما قال سفيان الثوري لبعض من يناصحه: "إياك والأمراء أن تدنو منهم أو تخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك ويقال لك لتشفع عن مظلوم أو ترد مظلمة؛ فإن ذلك خديعة إبليس، وإنما اتخذها فجار القراء سلمًا" [١]. ا.هـ.

فتأمل إبطاله استصلاح واستحسان بعض الفقهاء الدخول على الأمراء والدنو منهم بحجة تخفيف الظلم ودرء الفساد!! ويسمي ذلك (خديعة إبليس)، وفي أي وقت يقول ذلك؟ في أوائل خلافة بني العباس قبل المعتصم وقبل المأمون، ونحوهم ممن أظهروا بدعهم وامتحنوا الناس، وكانت عزة الخلافة وهيبتها قائمة، وفتوحات المسلمين وجحافلهم تدك حصون الكفر شرقًا وغربًا! فكيف به رحمه الله لو رأى خوالف زماننا الذين لم يتقربوا إلى الطواغيت والمرتدين وحسب، بل دخلوا في دينهم، وأقسموا على احترام دساتيرهم الشركية، وشاركوا في تشريع قوانينهم الكفرية، وصاروا لهم جندًا محضرين وأنصارًا مخلصين؟!!

ثم لا يستحيون من أن يلصقوا ذلك الكفر البواح والشرك الصراح كله بالدين؛ فيقولون: هي مصلحة الدعوة ونصرة الدين!! بل هي مصلحة القروش والكروش، ورحم الله سفيان إذ

---

[١] انظر: رسالة القول النفيس في التحذير من خديعة إبليس لأبي محمد المقدسي فك الله أسره.

يقول: "إني لألقى الرجل أبغضه، فيقول لي: كيف أصبحت؟ فيلين له قلبي، فكيف بمن أكل ثريدهم، ووطئ بساطهم؟؟؟" [١]. ا.هـ.

[١] تذكرة الموضوعات (٢٥).

مسألة مداهمة المنازل من قبل أنصار الطواغيت

إن مسألتنا هذه تسمى في الفقه الإسلامي بالعدو الصائل، وهي مسألة مجمع عليها بين أهل العلم من سلف الأمة، حتى لو كان المداهم للمنزل من المسلمين بل من خيارهم؛ فإنه يقتل ولا يتردد في ذلك، يقول الشيخ عبد الله عزام رحمه الله [١]: إن كل دين نزل من عند الله جاء للحفاظ على الضرورات الخمس: الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال؛ ولذا فيجب المحافظة على هذه الضرورات بأي وسيلة، ومن هنا شرع الإسلام دفع الصائل [٢]، والصائل: هو الذي يسطو على غيره قهرًا؛ يريد نفسه أو ماله أو عرضه.

الصائل على العرض: ولو كان مسلمًا؛ إذا صال على العرض: وجب دفعه باتفاق الفقهاء ولو أدى إلى قتله، ولذا فقد نص الفقهاء على أنه لا يجوز للمرأة أن تستسلم للأسر ولو قتلت إذا خافت على عرضها.

أما الصائل على المال أو النفس؛ فيجب دفعه عند جمهور العلماء، ويتفق مع الرأي الراجح في مذهبي مالك والشافعي ولو أدى إلى قتل الصائل المسلم؛ ففي الحديث الصحيح: ((من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد)) [٣]، قال الجصاص بعد هذا الحديث [٤]: "لا نعلم خلافًا أن رجلًا لو شهر سيفًا على رجل ليقتله بغير حق: أن على المسلمين قتله".

---

[١] انظر: رسالة الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان (٦).

[٢] جامع الأحكام (١٥٠/٨).

[٣] حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي، وانظر حاشية ابن عابدين (٣٨٣/٥)، والزيعلي (١١٠/٦)، ومواهب الجليل (٣٢٣/٦)، تحفة المحتاج (١٢٤/٤)، الإقناع (٢٠٩/٤)، والروضة البهية (٣٧١/٢)، والبحر الزخار (٢٦٨/٦).

[٤] أحكام القرآن للجصاص (٢٤٠٢/١).

وفي هذه الحالة -الصيال- إذا قتل الصائل فهو في النار ولو كان مسلمًا، وإذا قتل العادل فهو شهيد، هذا حكم الصائل المسلم، فكيف إذا صال الكفار على أرض المسلمين؛ حيث يتعرض الدين والعرض والنفس والمال للذهاب والزوال؟ ألا يجب في هذه الحالة على المسلمين دفع الصائل الكافر والدولة الكافرة؟!". ا.هـ.

ويقول ابن تيمية رحمه الله [١]: "فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا: لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه".

وقد أهدر النبي ﷺ عين الناظر من ثقب باب البيت إذا فقأها صاحب الدار، وأمر الرجل الذي يصلي فأراد أحد أن يجتاز بين يديه أن يدفعه، فإن أبى فليقاتله، وهي مسألة أهون من مسألتنا بكثير، فكيف بمن يعتدي على بيوت المسلمين، وينتهك حرماتها، ويروع أهاليها، ويكشف عوراتها، ويفجع أطفالها بفقد آبائها؟!! أليس أحق بالمقاتلة من هؤلاء؟!!

يقول الشيخ الجربوع في معرض رده على جريدة الجزيرة التي قالت عن فتوى الشيخ حمود بن عقلا الشعيبي رحمه الله [٢]: "وللشعيبي فتاوى خطيرة تناقلها تلاميذه وأتباعه؛ كفتوى بجواز قتل رجال الأمن وقتالهم عن المداهمة أو القبض؛ مبررًا ذلك بأنه من باب دفع الصائل والدفاع عن النفس، وكان الشعيبي قد أفتى بها بعض تلاميذه المقربين منه عام ١٤١٥ هـ، واليوم يتناقل أتباع الشعيبي الفتوى نفسها...".

قال الشيخ عبد العزيز: "أولًا: أثبتي العرش أيتها الجريرة، ثم انقشي يا ناقضة غزلها أنكاثًا من بعد قوة.

ثانيًا: إن الإسلام هو الذي أفتى بذلك، ولم يفتِ بذلك الشيخ رحمه الله تعالى؛ فلو سأل سائل وقال: ما حكم الإسلام في رجل يقتحم علي داري وأنا في مأمن (نائم بين نسائي)،

---

[١] الفتاوى الكبرى (٦٠٨/٤).

[٢] وهو منشور في الشبكة العنكبوتية في المنتديات الحوارية.

وإذا بالبيت يداهم علي وعلى عرضي، ويكشف ستر نسائي، ويهتك في بلد يدعي أصحابها تطبيق الإسلام، يقومون بأفعال استنكرها أبو جهل عندما قيل له: لماذا لا نتسور على محمد ﷺ بيته؟! فقال أبو جهل: لا والله لا أفعل؛ فتتحدث العرب عني أني أورع بنات محمد ﷺ؟!!

الجواب: لا شك في جواز قتله.

قال النووي رحمه الله تعالى في المجموع في حال أقل من هذه الحال: "قال الرسول ﷺ: ((إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس، فأراد أحد أن يجتاز بين يديه: فليدفعه، فإن أبى فليقاتله؛ فإنما هو شيطان)) [رواه البخاري ومسلم]، قال أصحابنا: "ويستحب للمصلي دفع من أراد المرور لحديث أبي سعيد المذكور"، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحدًا يمر بين يديه، فإن أبى فليقاتله؛ فإن معه القرين))[رواه مسلم]. ويدفعه دفع الصائل بالأسهل ثم الأسهل، ويزيد بحسب الحاجة وإن أدى إلى قتله؛ فإن مات منه: فلا ضمان فيه كالصائل".

فهنا جواز قتل المار بين يدي المصلي، فما بالكم بمن داهم البيوت في الظلام الدامس على المؤمنين غير رجال الحسبة؛ فإنهم يداهمونها على الطواغيت الذين لا حرمة لهم ولا لمنازلهم؛ إذ أنها منازل أعدت لحرب الله ورسوله والصد عن سبيله فلها حكم الحرابة؟!! ناهيك أن المداهم هنا هو الصالح، والمدهوم هو المفسد الفاجر، بينما الصورة الماضية على النقيض؛ فالمداهم هو الفاجر العربيد، والمدهوم هو العالم الصالح والمؤمن العابد.

ويقول الشوكاني رحمه الله تعالى في النيل: "باب دفع الصائل وإن أدى إلى قتله، وأن المصول عليه يقتل شهيدًا؛ فعن أبي هريرة قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله؛ أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: ((فلا تعطه مالك))، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: ((قاتله))، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: ((فأنت شهيد))، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: ((هو في النار)) رواه مسلم وأحمد، وفي لفظه: يا رسول الله، أرأيت إن عدا على مالي؟ قال: ((أنشد الله))،

قال: فإن أبوا علي قال: ((أنشد الله))، قال: فإن أبوا علي؟ قال: ((قاتل، فإن قُتلت ففي الجنة، وإن قتل ففي النار)): فيه من الفقه أنه يدفع بالأسهل فالأسهل".

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((من قتل دون ماله فهو شهيد)) [متفق عليه]، وفي لفظ: ((من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد)) [رواه أبو داود والنسائي والترمذي وصححه]، وعن سعيد بن زيد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((من قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد)) [رواه أبو داود والترمذي وصححه].

قال الشوكاني بعد أن ذكر المسألة الفقهية التي دلت عليها الأحاديث المذكورة آنفًا وهي: (جواز قتل من صال عليك يريد مالك)؛ قال رحمه الله تعالى: "كما تدل الأحاديث المذكورة على جواز المقاتلة لمن أراد أخذ المال: تدل على جواز المقاتلة لمن أراد إراقة الدم والفتنة في الدين والأهل، وحكى ابن المنذر عن الشافعي أنه قال: من أريد ماله أو نفسه أو حريمه فله المقاتلة، وليس عليه عقل ولا دية ولا كفارة، قال ابن المنذر: والذي عليه أهل العلم أن للرجل أن يدفع عما ذكر إذا أريد ظلمًا بغير تفصيل... - إلى أن قال -... وأحاديث الباب مصرحة بأن المقتول دون ماله ونفسه وأهله ودينه: شهيد، ومقاتله إذا قتل في النار؛ لأن الأول محق والثاني مبطل". ا.هـ.

ولا بد أن تعلم أن الصائل اليوم "ليس مجرد باغ أو قاطع طرق، أو فئة محدودة؛ إنه نظام عالمي جديد، إنها هجمة اليهود المحتلين لبلاد الشام في فلسطين وما حولها، والساعين لاحتلال كامل العالم العربي والإسلامي، من خلال برامج التطبيع الاقتصادي والثقافي والاجتماعي، بل والأمني والعسكري في كامل المنطقة.

إنها هجمة أمريكا وبريطانيا وفرنسا وحلفائهم في حلف الناتو، مع روسيا في وسط آسيا: على كافة بلاد الإسلام، ولا سيما في عقر دارهم، ومكان مقدساتهم وثرواتهم النفطية وغيرها.

إنها هجمة الحكومات المرتدة، وأجهزة أمنها وجيوشها وشرطتها، ومخبريها وسجانيها وجلاديها، وأجهزة إعلامها الكافرة: على أنفس المسلمين وأعراضهم وأموالهم، حكومات موالية للأعداء نائبة لهم في حكمنا بشرائع الكفر.

إنها هجمة المنافقين الضالين المضلين، الذين يكفون أيدي الناس وقلوبهم وعقولهم عن جهاد هذا الصائل، ويفتون بقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس.

فمتى يكون دفع الصائل فرض عين إن لم يكن في مثل ما نحن فيه؟!!

وكما قال الشاعر:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

إننا نؤمن ونعلن بكل صراحة مستعينين بالله: أن حكم الجهاد اليوم فرض عين على كل مسلم، جهاد اليهود والصليبيين حيث وجدوا في بلادنا أو بلادهم، مدنيين وعسكريين محتلين، واقتصاديين مبشرين، ودعاة كفر ودعارة وضلالة: بالسيف والسلاح، وإن حكم قتال وجهاد الحكام المرتدين، الموالين لهم، المدافعين عنهم، الحامين لقواعدهم ووجودهم: فرض عين وحده، وتبعًا لجهاد اليهود والنصارى: بالسيف والسلاح، وإن حكم مواجهة باطل المنافقين وحججهم بالحجة الحقة والكتاب والسنة وأدلة الدين واجب أيضًا، ولا سيما على العلماء والدعاة المجاهدين، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

هذا في عامة ديار أهل الإسلام، فما حكم هذا في بلاد المقدسات، الجزيرة واليمن والشام، بلاد الحرمين وقدس المسلمين، بلاد الجزيرة التي أمر رسول الله ﷺ أن يخرج منها كل مشرك ولا يجتمع فيها دينان؟! لا شك أنه أوجب وآكد من باقي الديار، وهو واجب مؤكد في كل ديار الإسلام؛ فهناك قبلتهم ومسجد نبيهم ومسراه، وهناك بيت مالهم، ومحط

ثرواتهم، ومنبع أرزاقهم؛ وهو النفط والغاز والثروات التي رزقها الله أهل الإسلام، وجعلها في أكناف بيته، ومسجد حبيبه ومسجد مسراه عليه الصلاة والسلام، وهي عقر دار الإسلام ومحل مقدساتهم"[1]. ا.هـ.

فهل يعي هذا شباب الإسلام، وينفضون الغبار من على عيونهم، ويتحركون ويتحررون؟!! ولا مانع من أن تموت منا ثلة وتحيا بعدهم أمة، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وإنما يجاهد المؤمن في الله جهاده؛ إن أخفق فإفادة، أو أوذي فإرادة، أو نفي فريادة، أو سجن فعبادة، أو عاش فقيادة، أو مات فشهادة، فله الحسنى وزيادة.

---

[1] مسؤولية أهل اليمن (١٧).

وصايا للمجاهدين

١ - التفريق بين جمال الأفكار المجردة وبين صورتها الواقعية والعملية:

حين يتحدث الناس عن الجهاد في سبيل الله تعالى؛ فهذه كلمة جميلة وجميلة جدًا - الجهاد في سبيل الله تعالى - ولكن واقع الجهاد ليس جميلًا كله في كل أحداثه؛ فالجهاد ليس هو هذه الخطب الرنانة، وليس هو تلك الكلمات الجميلة، وليس كله غنائم وسبايا، وليس كله نصر مؤزر، وليس كله خطب نارية؛ بل فيه موت الحبيب، وفيه جرح الصديق، وفيه تطاير الأشلاء وفقد المال، وفقد المعين، وبمعنى آخر: فيه جانب من المشقة، بل المشقة العظيمة، ثم فيه اختلاط الجنود، وحصول الخصومات بين الناس؛ فهذا ضرب هذا، وهذا خاصم هذا، وهذا شط على هذا؛ فهو حركة بشرية، وفيه أخطاء واجتهادات، وتأويلات بعضها يستساغ وبعضها ليس كذلك، فهناك حد فاصل بين جمال الفكرة وسموها وبين واقعيتها.

لو أخذنا تصور الناس وخيالهم لمواقع الدولة الإسلامية: لوجدنا أنها أقرب ما تكون في أذهانهم إلى عالم الأحلام، عالم مليء بالصور الجميلة، والفراشات الطائرة، والألوان الزاهية، والسماء تنزل غيثها على الدوام، والضرع مليء في كل حين، والأعداء يخافون جانبنا لما يعلمون من نزول الملائكة معنا في القتال؛ فهم يتصورون دولة الإسلام التي لا فقير فيها، ولا مريض فيها، وكل من طلب شيئًا فهو بين يديه، ولكن لو نظرنا لدولة النبي ﷺ: لماوجدنا هذه الجنة، بل لوجدنا أن معاناة الصحابة رضي الله عنهم في دولة الإسلام في المدينة أشد من معاناتهم وهم في مكة.

فهل حصل للصحابة رضي الله عنهم في مكة ما حصل لهم في غزوة الخندق؟ ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ

بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠ - ١١] في دولة الإسلام: زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وابتلاء كالزلزال بل هو الزلزال نفسه.

قارن بين هذه الصورة وبين الصورة التي يحاول رسمها مشايخ هذا الزمان لدولة الإسلام؛ فهم يعدون الناس بالدولة التي لا خوف فيها ولا مشقة: بيت لكل إنسان، طعام لكل بطن، والناس يدخلون في الإسلام لمجرد رؤيتهم لنا ولدولتنا، وعلى هذا فالناس يأتون إلينا (إلى جماعتنا)؛ لأن في أذهانهم أننا الحزب الذي سيؤمن لهم من النعيم الدنيوي أكثر مما تؤمنه الأحزاب الأخرى!!

لكن لو قلت لكم: إن ثلاثة من الخلفاء الراشدين ماتوا قتلًا، وعلى يد أناس لم يحتاجوا لكثير من التخطيط لقتلهم:

- فعمر بن الخطاب رضي الله عنه: قتله عدو الله أبو لؤلؤة المجوسي وهو قائم في صلاة الفجر، بين يدي شيوخ المسلمين وعلمائهم وقادتهم ورؤسائهم.

- عثمان بن عفان رضي الله عنه: انطلق الهوجاء وسيطروا على المدينة، حتى دخلوا على الخليفة الصائم رضي الله عنه وذبحوه في بيته (في وسط المدينة بين الناس).

- علي بن أبي طالب رضي الله عنه: في وسط المسجد وهو قائم يدعو الناس إلى صلاة الفجر، وبين طائفة: يأتيه ابن ملجم الخارجي، فيضرب هامته بالسيف بتصرف فردي وباتفاق مع آخرين على قتل معاوية وابن العاص، وهذا عصر الخلافة الراشدة، وما أدراك ما بعده!

ولذلك علينا أن نقول: إن الذين يتصورون عالم الإسلام العملي (حركة المرء المسلمة في الحياة): هو عالم لا يمت إلى عالم البشر، وهو خارج عن حركة الحياة برمتها: هؤلاء واهمون، ويعيشون تهويمات وخيالات، فبمجرد اصطدامهم بالصورة الحقيقية لهذه الحياة ستجدهم ينقلبون على أنفسهم، يعلنون اعتزالهم وعدم قدرتهم على تحمل هذه الحياة.

إن العيش مع الكتب وبين الكتب، ومع الأفكار والقلم والورقة: ليس هو الإسلام؛ إنما الإسلام هو حركة الحياة، حركة البشر(الإنسان) بما فيه من صواب وخطأ؛ فالصواب يقوّى ويدعّم، والخطأ يقوّم ويصلح، فعالم الإسلام العملي فيه الصواب وفيه الظلم، فيه الصدق وفيه الكذب، وكلٌ له مقامه في الإسلام.

الإسلام يعترف بوجود الخطأ كونًا، ولا يلغيه في الخلق والوجود؛ ولذلك أنزل الله تعالى الحدود، وأنزل العقوبات، وأنزل الأحكام، والخطاب الرباني في ذلك كله للمجتمع المسلم الموحد المجاهد، وليس هو خطاب لغير المسلمين.

على الرغم أن عصر الفتنة بين علي رضي الله عنه وخصومه (عائشة ومعاوية رضي الله عنهما) هو عصر نُكل فيه أصحابه إلى الله تعالى، ولا نقول فيه إلا ما جاءنا عن رسول الله ﷺ من أحكامه؛ كقوله ﷺ لعمار: ((تقتلك الفئة الباغية)) وغيره من الأحاديث، لكن لو حاولنا استطلاع ورؤية الواقع عن قرب (وهو عصر مبكر وقريب من القرون الخيرية بل هو منها) لرأينا هولًا، ولرأينا من الأمور التي تشيب لهولها الأطفال، انظر:

١ – الخوارج (أربعة آلاف رجل مقاتل؛ قرروا قتال علي رضي الله عنه، وثلاثة آلاف في الكوفة؛ قرروا عدم قتاله ولا القتال معه)؛ طلب منهم علي رضي الله عنه أن (نمضي إلى قتال عدونا وعدوكم معاوية)، لكنهم يرفضون حتى يعلن اعترافه بالكفر والتوبة عنه، فيقيم لهم علي رضي الله عنه ملحمة في النهروان بعد قتلهم عبد الله بن خباب بن الأرت وزوجته الحامل، فقتلهم ولم ينجُ منهم سوى (٤٠٠) رجل جريح.

٢ – معركة الجمل في الخريبة قرب البصرة [حسب رواية عمر بن شبة]؛ وهي معركة بين مسلمين، بل بين القبائل نفسها (مضر ضد مضر، وربيعة ضد ربيعة، ويمن ضد يمن): إخوان في الدين والمنهج والنسب، وقُتل فيه طلحة والزبير (المبشرين بالجنة).

٣ – معركة صفين بين علي ومعاوية رضي الله عنهما؛ معركة حصل فيها مجزرة، مع أن بعض الناس حرضوا على الصلح وقالوا: "من لثغور الشام بعد أهل الشام؟ من لثغور العراق بعد هلاك أهل العراق؟ من للذراري والنساء؟ ألا تذكرون الأرحام؟"، وبعيدًا عن ضعف الروايات التي ذكرت الهول في القتلى، لكن بلا شك أن القتل كان عظيمًا.

٤ – ردة بعض النصارى بعد إسلامهم حتى قالوا: والله لديننا الذي خرجنا منه خير من دين هؤلاء الذين هم عليه؛ ما ينهاهم دينهم عن سفك الدماء وإخافة السبيل وأخذ الأموال. [الطبري]، وقاتلهم علي على الردة.

ثم بعد ذلك كله عام الجماعة، ثم حرب عبد الله بن الزبير، ثم، ثم..

فهذا جانب من حركة الإنسان (أي الإنسان)؛ لا ينبغي أن يُنسى أو توضع عليه الأيدي؛ لنُفهم الناس أن حياة المسلم كلها قيام ليل، وصيام نهار، وعفو متكرر، وعطاء متكرر، وخير دائم، حتى اصطبغت صورة الولي في خيال الإنسان المسلم على هيئة الغاز المثالي، أي الذي لا وجود له [١].

الولي هو إنسان، إنسان، بشر.

المجاهد هو إنسان، إنسان، بشر.

أما تصوير صورة الإسلام العملي، وعالم الإسلام والمسلمين على صورة أفلام الكرتون أو عالم الجن والملائكة؛ فهي صورة تهين الإسلام أكثر مما ترفعه!

---

[١] انظر (المتهاجرون) أي من مات من الصحابة والتابعين وهو مهاجر لصاحبه حتى مات في المعارف لابن قتيبة ص٥٥٠.

إننا نقول هذا لأولئك القوم الذين يعطلون عظائم الأمور ويقفونها؛ لمجرد بعض الأمور الصغيرة، فحساسيتهم أمام الأخطاء تجعلهم يضعون العصبة على عيونهم؛ لحجبها عن رؤية الخير والنعمة والفضل الإلهي.

إن الجهاد في سبيل الله تعالى حركة بشرية، وحركة من أجل السلطان والملك، ففيه تتداخل كل انفعالات الإنسان، ومن دعا للسيف أو حرض على السيف فلا ينتظر أن يناقشه الناس ويحاربوه بالخطب الرنانة والورق الصقيل، بل عليه أن يحضر نفسه ليذوق حر السيف، هذه هي سنة الله تعالى.

وللذكر فإن الخلفاء الثلاثة (الشهداء) ما ماتوا بيد الكفار، بل ماتوا بيد مسلمين (فسقة، مبتدعين)؛ فأبو لؤلؤة الفارسي ليس من أهل الشرك (ومحاولة إثبات مجوسيته دونها خرط القتاد وإن نسب إليها)، وأبو ملجم من الخوارج (ولم يكفر أوائلهم، إنما الخلاف فيمن أتى بعدهم)، والثائرون على عثمان (بعض قادتهم صار من قادة جيش علي).

ولذلك من وضع رجله ويده في هذا السبيل سبيل إعادة سلطان الله تعالى إلى الأرض بالجهاد في سبيل الله تعالى، ووقف نفسه للتحريض ضد الطواغيت، وإزالة عروشهم، ودك طغيانهم؛ فهذا رجل نهايته معلومة، وإن لم يحضر نفسه لذلك؛ فهو رجل مستريح (أي لا عقل له)؛ فهذا طريق نهايته: إما بَرْد العدل أو حرّ السيف.

نعم؛ يسعك أن تنشئ مجلة أو نشرية لتكوّن حزبًا معارضًا، وحزبًا ترقيعيًا تطلب الإصلاح، وتنتظر الفرج بإخراج المساجين، أو موت ملك ليأتي غيره فربما يكون خيرًا منه؛ فحينئذ أمرك سهل وهين؛ فأنت رجل سياسة وكلمة، وملفك عندهم لا يعدو أن تكون معارضًا محترمًا؛ أي تحترم حدود المعارضة السياسية.

أما وقد قلت: الجهاد والقتال؛ فما عليك إلا أن ترتقب، فلست أنت بخير من أسلافك الأخيار، ولست أنت بخير من أقرانك؛ فليس عبد الله عزام عنك ببعيد، وليس الشيخ عمر

عبد الرحمن عنك ببعيد، وليس الشيخ أبو طلال القاسمي عنك ببعيد، وليس الشيخ أنور شعبان عنك ببعيد، وليس أبو عبد الله أحمد عنك ببعيد، وليس.. القائمة طويلة يا عبد الله، ويكفيك هذا.

فهذا أمر تشيب له الولدان، وليس له إلا الرجال؛ ففكر كثيرًا قبل أن تخوض، وإياك أن تقول: لقد ورطوني؛ فما ورطك أحد، فنحن لم نضمن لك حصول الوزارة والمنصب، ولم نضمن لك ملائكة تجاهد معك لا يخطئون، ولم نضمن لك مسدسًا ينزل من السماء يعرف المؤمن من الكافر، والسني من البدعي، ولم نضمن لك نبيًا قائدًا يوحى إليه؛ فقد نقول لك اليوم قولًا ونرجع عنه غدًا، ونقول لك هذا ما رأينا، وماشهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين، فإن أردت (الغاز المثالي)؛ فاصعد القمر، فإن أعجزك فالكثير من الناس قد سلكوا سبيل السلامة وجلسوا كالعصافير مع أبنائهم في أعشاشهم، يأكلون ويشربون ويرقبون الحياة من وراء زجاج بيوتهم، هذا في وقت المدافع، فإذا سكنت سيخرجون علينا بمواعظهم العظيمة ليقولوا لنا: لقد قلنا، وقد توقعنا، وقد أنذرنا، وقد، وقد.. ألسنة طويلة نسأل الله تعالى قصها.

﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ [الأحزاب:١٩]..

إن الكثير من المقعدين يتقنون نقد لاعبي كرة القدم، ولكنهم أصحاب أصوات عالية في قيادة المعركة على كرسي النظارة، وهم شهد الله يعرقون ويتصببون عرقًا وتبح أصواتهم، لكنهم يلعبون كرة القدم بأيديهم [١]. ا.هـ.

---

[١] انظر مقالات بين منهجين المقال رقم ٨٣.

٢- (أن حكم قتال المرتدين أشد من حكم قتال الكفار الأصليين:

قال الغزالي رحمه الله [١]: (والقول الوجيز فيه أنه يسلك بهم (أي الزنادقة الباطنية) مسلك المرتدين في النظر في الدم والمال والنكاح ونفوذ الأقضية وقضاء العبادات، أما الأرواح: فلا يسلك بهم مسلك الكافر الأصلي؛ إذ يتخير الإمام في الكافر الأصلي بين أربع خصال: بين المن والفداء والاسترقاق والقتل، ولا يتخير في حق المرتد، بل لا سبيل إلى استرقاقهم، ولا إلى قبول الجزية منهم، ولا إلى المن والمفداء، وإنما الواجب قتلهم وتطهير وجه الأرض منهم، هذا حكم الذي يُحكم بكفرهم من الباطنية، وليس يختص جواز قتلهم ولا وجوبه بحالة قتالهم، بل نغتالهم ونسفك دماءهم، فإنهم مهما اشتغلوا بالقتال جاز قتلهم). ا.هـ.

فالمرتد أحكامه في القتال: أشد من الكافر الأصلي، وكذلك لا يجوز مصالحة ومهادنة وأمان المرتدين، ويجوز مصالحة ومهادنة وموادعة الكفار الأصليين.

قال الشافعي رحمه الله [٢]: (إذا ضعف المسلمون عن قتال المشركين، أو طائفة منهم لبعد دارهم، أو كثرة عدوهم أو خلة بالمسلمين (أي اضطراب أمور المسلمين)، أو بمن يليهم منهم؛ جاز لهم الكف عنهم، ومهادنتهم على غير شيء يأخدونه من المشركين، وإن أعطاهم المشركون شيئًا قل أو كثر: كان لهم أخذه).

وجاء في (السير الكبير) وشرحه للشيباني بشرح السرخسي رحمه الله [٣]: (وإن لم يكن بالمسلمين قوة عليهم فلا بأس بالموادعة؛ لأن الموادعة خير للمسلمين في هذا الحال، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]).

---

[١] فضائح الباطنية ٩٥.

[٢] الأم ١٨٦/٤

[٣] ١٧٨٩/٥

وقال ابن قدامة رحمه الله [١]: (وتجوز مهادنتهم على غير مال؛ لأن النبي ﷺ هادنهم يوم الحديبية على غير مال يأخذه منهم؛ فإنها إذا جازت على غير مال: فعلى مال أولى).

هذا في أحكام الكفار الأصليين؛ فإنه يجوز للإمام وللمسلمين موادعتهم ومصالحتهم، وبسط أحكام الموادعة وموجباتها مفصلة في كتب الأئمة، ويجب الوفاء لهم بهذا، ولا يجوز الغدر ولا الخيانة إلا أن ينقضوا العهد والمواثيق، أما المرتدون؛ فلا يجوز موادعتهم ولا مصالحتهم.

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله [٢]: (إن أخذ الجزية وعقد الذمة مشروع في حق جميع الكفار إلا مشركي العرب والمرتدين؛ فإنه لا يقبل منهم الجزية، كما لم يشرع فيهم الاسترقاق).

قال الكاساني عند شرحه لما تقدم [٣]: (فإنه لا يقبل من المرتد إلا الإسلام أو السيف؛ لقول الله تعالى: ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦] قيل: إن الآية نزلت في أهل الردة من بني حنيفة، ولأن العقد في حق المرتد لا يقع وسيلة إلى الإسلام؛ لأن الظاهر أنه لا ينتقل عن دين الإسلام بعدما عرف محاسنه وشرائعه المحمودة في العقول: إلا لسوء اختيار وشؤم طبع، فيقع اليأس عن فلاحه، فلا يكون عقد ذمة).

---

[١] المغني ١٠/٥١٩

[٢] في تحفة الفقهاء وهو متن كتاب بدائع الصنائع للكساني ٣/٢٠٧.

[٣] بدائع الصنائع ٧/١١١.

قال القرطبي [١]: (قال الأوزاعي: تؤخذ الجزية من كل عابد وثن أو نار أو جاحد أو مكذب، وكذلك مذهب مالك؛ فإنه رأى أن الجزية تؤخذ من جميع أجناس الشرك والجحد عربيًا، أوعجميًا، تغلبيًا أو قرشيًا، كائنًا من كان، إلا المرتد).

قال ابن تيمية [٢]: (وقد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعددة، منها: أن المرتد يقتل بكل حال، ولا يضرب عليه جزية، ولا تعقد له ذمة، بخلاف الكافر الأصلي، ومنها: أن المرتد يقتل وإن كان عاجزًا عن القتال، بخلاف الكافر الأصلي الذي ليس هو من أهل القتال؛ فإنه لا يقتل عند أكثر العلماء كأبي حنيفة ومالك وأحمد، ومنها: أن المرتد لا يرث ولا يناكح ولا تؤكل ذبيحته، بخلاف الكافر الأصلي، إلى غير ذلك من الأحكام). ا.هـ.

وعلى هذا، فأحكام قتال المرتدين أشد من أحكام قتال الكفار الأصليين.

ولما علمنا أن حكام بلادنا مرتدون؛ فلا يجوز مصالحة أحد منهم أو مسالمته أو مهادنته تحت دعوى المصلحة، أي أنه لا يجوز لجماعات الجهاد أن تداهن أحدًا من هؤلاء المرتدين أو تسالمه أو تتعاون معه في قتالها لطائفة الكفر في بلدها؛ فلا يجوز لجماعة الجهاد في الجزائر أن تسالم المرتد الحسن الثاني حاكم المغرب من أجل تحقيق مصلحة الجهاد في الجزائر، ولا يجوز لجماعة الجهاد في ليبيا أن تسالم المرتد حسني مبارك من أجل تحقيق مصالح موهومة للجهاد في ليبيا، ولو زعمت جماعات الجهاد وجود مصلحة ما؛ فهي مصلحة ملغية لا قيمة لها، وهي تفسد الكثير من المصالح المعتبرة التي أمر الشارع بإقامتها، فكيف ستصنع جماعة الجهاد في الجزائر مع إخوانهم المجاهدين في ليبيا أو المغرب إن صالحوا حكام هذين البلدين؟!!

---

[١] الجامع لأحكام القرآن ٨/١١٠.

[٢] مجموع الفتاوى ٢٨/٥٣٢.

ولو أن جماعة الجهاد في ليبيا هي كذلك صالحت حاكم الجزائر فكيف سيكون الحال عندئذ؟!!

فإذا وقع هذا وقعت الخصومة بين المجاهدين أنفسهم، خاصة أن كل جماعة ترى في حاكم بلدها من الطغيان ما لا يراه الآخر، فأي مصلحة تزعمها أي جماعة هي مصلحة ملغاة، لا يعتبرها الشرع.

أما مصالحة ومهادنة الكفار الأصليين، وعقد عقود الأمان معهم؛ فإن الشارع الحكيم قد أجازه في بعض الظروف كما هو مبسوط في كتب الفقه، وعلى المسلمين ألا يتركوا مصلحة الجهاد خوفًا من إشاعات السوء والفتنة التي نشرها الملاحدة في بلادنا، أي خوف القول بالعمالة؛ فإن العقل المسلم صار أسير الدعاية التي يطلقها اليساريون والقوميون الكفرة، بحجة أن أي عمل يعمله المسلم مع الكافر الأصلي هو عمالة وأجر، حتى لو استوردت السلاح منهم، أو عاملتهم بما يوجبه الشارع الكريم، وصار مجرد الجلوس مع رجل ما يعد تهمة وسبة في جبين الرجل، مع أن هؤلاء الملاعين من أصحاب هذه الدعايات هم أولى الناس بالدخول في تهمة العمالة والأجرة، نعم لا يجوز لآحاد المسلمين أن يتكلم أو يعقد باسم الأمة، بل لا يقوم بهذا إلا أهل الشأن الذين يدرسون الأمر بعناية، وسائقهم في ذلك مصلحة المسلمين والإسلام وليس مصالحهم الذاتية، وكذلك لا يقوم بهذا إلا من كان خبيرًا بمسالك الحياة قادرًا على تحديد الأمور تحديدًا شرعيًا بضوابطه التي أمر الله تعالى، مع بقاء البغض والبراءة من الشرك وأهله على جميع أصنافه وصوره وإعلان ذلك وعدم إخفائه.

إذا فهمنا هذا؛ فإن جماعات التوحيد والجهاد تعيش في هذا الزمان حالة خاصة، وهي من أقسى الحالات التي مرت على المسلمين؛ فإن هذه الجماعات تقد في الصخر وتحفر فيه، فإنها تنطلق من قواعد غير أمينة لتجاهد أعداء الله تعالى من المرتدين.

كان المسلمون الأوائل يخرجون للجهاد، وقد حضروا أنفسهم وجهزوا أمورهم وهم في أرضهم وبلدهم آمنون، أما اليوم، فانظر إلى واقع الجماعات المجاهدة؛ فإنها جاءت إلى واقع مقفل لا منفذ لهم فيه، وقد ترقت الدول العلمانية الكافرة اليوم في الحالة الأمنية الرقي الشديد ما لم يكن بمثل هذه الصورة المتينة في أي يوم من الأيام، وليس للجماعات المجاهدة أرض ينطلقون منها، ومع ذلك فهم يواصلون الطريق بكل آلامها وجروحها؛ فلو أصابتهم مصيبة في لقاء ومعركة من المعارك فليس لهم أرض يفيئون إليها، ولا فئة ينحازون إليها، فيا الله ما أعظم هذا النوع من الجهاد وما أشقه!!

نعم إن جهاد المرتدين اليوم جهاد شاق وفيه من البلاء والعنت ما الله به عليم، والرجل المجاهد ملاحق من بيت إلى بيت، وأهله تحت سطوة الطاغوت وقوته، أي أنه مكشوف نصفه، بل أغلبه، فهذا جهاد خاص، ولذلك له أجر خاص كما أخبرنا النبي ﷺ أن أجر المتمسك بدينه في مثل هذه الأزمان له أجر خمسين من الأوائل؛ لأن المجاهدين اليوم لا يجدون على الحق أعوانًا، وكان الأوائل يجدون على الحق أعوانًا.

انظر اليوم كم يعاني الأخ من أجل أن يصل إلى أرض الجهاد، وكم يبذل من الجهود والتفكير، وكم يلاقي من العذاب والمشقة من أجل أن يصل إلى أرض ليجاهد فيها، وتفكر في هذه القيود الأمنية التي يخترقها الشباب المسلم الموحد حتى يطبق فريضة وعبادة القتال في سبيل الله تعالى ضد المرتدين!

هل مر على المسلمين مثل هذه الحالة من قبل؟!

الجواب: لا.

انظر اجتماع العالم أجمع -كفارًا ومرتدين- من أجل تطويق الجهاد والمجاهدين، وهم لا ظهر يحميهم ولا دولة ترعاهم، ولا إعلام يوصل صوتهم، فهل مر على المسلمين على مدار التاريخ مثل هذه الحالة؟!

الجواب: لا.

٢ - وأما السبب الثاني فهو موافقة الأمر القدري للأمر الشرعي المتقدم:

وأعني أنه لما جعل الشارع الحكيم سبحانه وتعالى حكم المرتد أشد من حكم الكافر الأصلي؛ إنما هو لأن المرتد في نفسه وحاله يستحق هذا الحكم وهو ملائم له، وقد أشار الكاساني في كلامه المتقدم إلى هذا المعنى؛ وهو أن المرتد لم يقع منه هذا الكفر إلا بسبب انحطاط نفسه، وخبثها وعظيم شرها؛ فإن من أسلم وعرف حقيقة هذا الدين وعظمته وأثره على النفوس والحياة، ثم انقلب عنه بغضًا وكرهًا لما أنزل الله تعالى، فإن هذا الشخص يستحق هذا الحكم في حقه، وهو أنه لا يستحق هذه الحياة، فليس له أن ينعم بخيراتها ولا يأكل من ثمارها.

ولما كان بغض المرتدين لهذا الدين، وكذلك بغضهم لأهله شديدًا؛ كان قتالهم للمسلمين شديدًا، بخلاف الكفار الأصليين؛ فإن الكثير منهم لا يعرف لماذا يقاتل ولا علامَ يقاتل، بل هو يساق إلى الحرب سوقًا، ولذلك بعد أن تضع الحرب أوزارها؛ فإن كثيرًا منهم يدخل في دين الله تعالى، وهذا حال الدول والممالك والأقطار التي فتحها المسلمون الأوائل رحمهم الله تعالى، فإن تلك البلاد دخل أصحابها في دين الله تعالى أفواجا.

وقد أشار الشيخ أبو الحسن الندوي في كتاب له (ردة ولا أبا بكر لها) إلى حقيقة نفسية هؤلاء المرتدين، وأنها أعتى نفسية مرت على وجه التاريخ، بل هي اقتبست معالمها من نفسية الشيطان؛ ذلك أنه لما رأى نفسه قد حكم الله تعالى عليه الخلود في جهنم؛ فإنه طلب من الله تعالى أن يمهله إلى نهاية الدنيا حتى يفتن كثيرًا من الناس فيذهب بهم معه إلى جهنم، فإنه نقم على الناس طهرهم وعفافهم وإيمانهم، وكذا المرتد فإنه ينقم على الناس إسلامهم، وأذكر أنه الشيخ أبا الحسن قد ذكر في كتابه نفسية هذا المرتد، وحلل هذا النوع من الإنسان، وأنه يرى نفسه قد ضعف أمام الشهوة، إما شهوة المال أو شهوة المنصب أو شهوة النساء؛ فيرى نفسه حقيرًا ذليلًا، وهو يرى أمامه شابًا مسلمًا قد ترفع عن هذه الشهوات، وضربها بحذائه،

واستمسك بدينه، فينقم عليه هذه الفضيلة، ويستصغر نفسه أمامه، فبدل أن يؤوب إلى رشده ويهتدي إلى رحمة الله، فإنه لنفسه الخبيثة يحقد على هذا الشاب؛ لأنه يذكره بضعفه وعجزه، فيكون له كالمرآة، ولذلك عندما تسمع أو تقرأ هذه القصص الحقيقية من تعذيب المرتدين للمسلمين؛ فإنها لهولها تكاد تدخل في عالم الخيال والخرافات، لأن هذا النوع من البشر ليس له مثيل في الظلم والكفر والعدوان.

إذًا فقتال هذا النوع من البشر قتال خاص في شدته وهوله وعظمته، وهو يقاتل إلى آخر رمق وإلى آخر نفس، وإني لأعجب من أصحاب النظر الصوفي الجديد حين يأملون الهداية لهؤلاء المرتدين، إن هؤلاء القوم جد واهمون ولا يعرفون حقيقة حكامهم [١].

---

[١] يقول سيد قطب رحمه الله: (إن تكاليف الخروج من العبودية للطاغوت والدينونة لله وحده – مهما عظمت وشقت – أقل وأهون من تكاليف العبودية للطواغيت؛ إن تكاليف العبودية للطواغيت فاحشة مهما لاح فيها من السلامة والأمن والطمأنينة على الحياة والمقام والرزق! إنها تكاليف بطيئة طويلة مديدة، تكاليف في إنسانية الإنسان ذاته؛ فهذه الإنسانية لا توجد والإنسان عبد للإنسان! وأي عبودية شر من خضوع الإنسان لما يشرعه له إنسان؟ وأي عبودية شر من تعلق قلب إنسان بإرادة إنسان آخر به، ورضاه أو غضبه عليه؟! وأي عبودية شر من أن يكون للإنسان خطام أو لجام يقوده منه كيف شاء إنسان؟!

على أن الأمر لا يقف عند حد هذه المعاني الرفيعة؛ إنه يهبط ويهبط حتى يكلف الناس في حكم الطاغوت أموالهم التي لا يحميها شرع ولا يحوطها سياج، كما يكلفهم أولادهم إذ ينشئهم الطاغوت كما شاء على ما شاء من التصورات والأفكار والمفهومات والأخلاق والتقاليد والعادات فوق ما يتحكم في أرواحهم، فيذبحهم على مذبح هواه، ويقيم من جماجمهم وأشلائهم أعلام المجد لذاته والجاه! ثم يكلفهم أعراضهم في النهاية؛ حتى لا يملك أب أن يمنع فتاته من الدعارة التي يريدها بها الطاغوت، سواء في صورة الغصب المباشر – كما يقع على نطاق واسع على مدار التاريخ – أو في صورة تنشئتهن على تصورات ومفاهيم تجعلهن نهبًا مباحًا للشهوات تحت أي شعار، وتمهد لهن الدعارة والفجور تحت أي

ها نحن أمام تجربة معاصرة في فلسطين: المقارنة بين اليهود وعرفات، في مظاهرة واحدة لأهل مسجد في غزة حاول الناس أن يخرجوا في مظاهرة فقتل منهم أكثر من (١٥) شخصًا، وهذا لم يحدث قط في أي مظاهرة في تاريخ اليهود اللعين في فلسطين، فأيهما أشد كفرًا وغلظة على المسلمين؟!

ولعل البعض سمعوا عن ذلك الرجل الجزائري حين قبض عليه المجاهدون وهو في صف الطاغوت، فوضعوا المسدس على رقبته وطلبوا منه أن ينطق بالشهادتين فأبى ذلك واستكبر، فأي نوع من البشر هؤلاء القوم؟!!

كان القدماء يضربون المثل ببطش التتار، ولكن هل بطش التتار يعادل دموية صدام حسين؟! وهل ظلم الكافرين في كل تاريخهم مع المسلمين يعادل كفر وظلم القذافي؟ وهل خبث اليهود يعادل خبث الملك حسين؟ وهل تعذيب النازيين يعادل تعذيب سجون مصر؟ وهل حكم النصارى في لبنان يعادل حكم النصيريين في سوريا؟

وهل مر في تاريخ الإنسانية قط نظام يعادل نظام آل سعود؛ ليس هناك ثم وثيقة بين الحاكم والمحكوم، فالحاكم يملك كل شيء والناس عبيده وخدمه؟!!

أي عراقة في الإجرام والكفر تسري في دماء هؤلاء القوم؟!! كفر ما بعده كفر، وإجرام ما بعده إجرام.

ستار، والذي يتصور أن ينجو بماله وعرضه وحياته وحياة أبنائه وبناته في حكم الطاغوت من دون الله، إنما يعيش في وهم، أو يفقد الإحساس بالواقع!

إن عبادة الطواغيت عظيمة التكاليف في النفس والعرض والمال، ومهما تكن تكاليف العبودية لله؛ فهي أربح وأقوم حتى بميزان هذه الحياة، فضلًا عن وزنها في ميزان الله). ا.هـ.

فوالله إن رجلًا من المسلمين يفكر لحظة في احتمال وجود الخير في هؤلاء: إنه رجل مخبول، وإن رجلًا يفكر بطريقة أخرى غير السيف يعالج بها هؤلاء القوم: إنه رجل مخبول.

إن هؤلاء الحكام وطوائفهم لا ينفع معهم إلا الهرس حتى النهاية) [1].ا.هـ.

٣- أن المسلم المجاهد عليه أن يسعى إلى عدم تسليم نفسه والدعوة إلى ظاهرة الاختفاء:

بل والتحرك لفك العاني(الأسير)، ونصرة المظلوم، وردع الظالم؛ فالمتمعن لقصص الأنبياء في القرآن الكريم يجد للأنبياء عليهم السلام قضية محورية يلتقون حولها جميعًا، ويدعون الناس إليها؛ ألا وهي كلمة التوحيد، ثم إننا نرى كذلك أن النبي كان يأتي ويحمل قضية أو قضايا مهمة مع التوحيد، وكانت تشكل هذه القضية الأخرى امتحانًا لموضوع الاستجابة لألوهية الله على عباده؛ فلوط كان مع دعوته للتوحيد داعيًا إلى التخلص من الرذائل الخلقية المعروفة؛ مثل إتيان الذكران، والتبارز بالضراط في المجالس، وهي التي قال فيها الرب سبحانه وتعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، فهذه القضايا التشريعية تشكل الامتحان لمدى الاستجابة لكلمة التوحيد، ولقضية تأليه رب العالمين.

وقد حدثنا القرآن الكريم كثيرًا عن موسى، وتكررت أحاديث القرآن عن هذا النبي العظيم، وهو من أولي العزم من الرسل، وكانت قضية التوحيد هي مدار دعوته، وحمل معها قضايا مهمة أخرى، ومن أهم هذه القضايا التي نازع موسى الأرباب الباطلة بها هي إخراج بني إسرائيل من حكم الطاغية: قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٣ - ١٠٥].

---

[1] انظر: مقالات بين منهجين المقال رقم ٩١.

وقال تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ [طه: ٤٣ - ٤٧].

ثم حكى الله تعالى هذه القضية في سورة الشعراء آمرًا موسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[الشعراء: ١٦ - ١٧].

فهذه قضية حكاها القرآن الكريم في ثلاثة مواطن؛ قضية إخراج بني إسرائيل المعذبين من حكم فرعون الطاغية، وهي كذلك ههنا في هذا العصر، قضية مهمة، عظيمة القدر؛ قضية إخراج المساجين والأسرى والمعتقلين من سجون أهل الكفر والشرك، ومن سجون المرتدين(١).

والسجن هو إحدى صور العذاب التي يمارسها الطغاة ضد الموحدين، قال تعالى على لسان فرعون: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وهاهنا نكتة بديعة على الأنبياء، وهم أعظم الناس قدرًا وأرفعهم منزلة وأوثق الناس بربهم؛ هذا الفعل هو الهروب والتخفي، فموسى خرج من مصر في أول الأمر ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١]، ثم خرج ببني إسرائيل على وهدة من عيون فرعون وقومه، وكذلك خروج محمد

(١) وقد من الله علي بكتابة مؤلف في ذلك وهو كتاب: (وجوب استنقاذ المستضعفين من سجون الطواغيت والمرتدين)، فراجعه فإنه مهم.

ﷺ من مكة متخفيًا خوفًا من قريش وبطشها، ولم يعتبر هذا الصنيع قادحًا في حق هؤلاء الأنبياء، أو بخادش رجولتهم وعصمتهم وعظمتهم..

وأقول هذا الكلام تنبيهًا على ما سمعت أن بعض المشايخ أنه لما عرض عليه الهرب، وقد حضر جند الطاغوت للقبض عليه في منزله أنه أنِف هذا الفعل، واعتبره خادشًا لكرامته ومكانته، وقال: أنا فلان المشار إليه بالبنان ووووو لست لصًا حتى أهرب، ولعله كذلك أنف وترفع أن يتدلى بحبل من منزله ليخرج من الشباك حتى لا يقبض عليه جند الطاغوت، وهذه النفسية هي مصيبة ولا شك؛ فهي تدل على أن قادة العمل الإسلامي إلا من رحم الله هم أبعد الناس عن نفسية الرجل المقاتل، أو نفسية الرجل الواعي لطبيعة الصراع بين الحق والباطل.

فالسجن أحد أساليب الطغاة في ردع الدعاة والمصلحين، والسجون الآن تعج بكثرة الموحدين فيها، وقد تبجح الكفر الآن وعربد بما لم يكن له مثيل بيوم من الأيام، فما هو السبيل الشرعي والكوني لردع هؤلاء المجرمين عن غيهم؟! وما هو الطريق الشرعي والكوني لإخراج هؤلاء المساجين من معاقل الطغاة؟ إنه ولا شك الجهاد في سبيل الله تعالى.

وفك العاني واجب شرعي على المسلمين حيث وقع؛ لقوله ﷺ: ((فكوا العاني، وأطعموا الجائع، وعودوا المريض)) [رواه البخاري عن أبي موسى]. قال ابن حجر [١]: قال ابن البطال: فكاك الأسير واجب على الكفاية وبه قال الجمهور. ا.هـ.

ويقول عمر بن الخطاب: (لئن أستنقذ رجلًا من أيدي الكافرين أحب إلي من جزيرة العرب).

---

[١] فتح الباري (١٩٣/٦).

وروي أن الحجاج بن يوسف الثقفي غضب على واليه في السند غضبًا شديدًا، وذلك بسبب امرأة أسرت من المسلمين وأدخلت إلى بلاد السند، فجهز الجيوش المتواصلة، وأنفق بيوت الأموال حتى استنقذ المرأة وردها إلى أهلها ومدينته [١].

وفك العاني المسلم هو صورة من صورة الولاء بين المسلم وأخيه المسلم.

وليعلم أن ما يعانيه المسلم السجين هو شيء يفوق الوصف والخيال، حتى أنهم قديمًا كانوا يعدون السجين كأنه منفي من الأرض، وأنه خارج الحياة.

يقول الشاعر:

إذا جاءنا السجن يومًا لحاجة عجبنا وقلنا: جاء هذا من الدنيا؟

والحضارة الشيطانية المعاصرة ابتكرت من الأساليب الوحشية لتعذيب خصومها شيئًا يفوق الخيال، وليس سجين اليوم هو مجرد رجل محبوس في جب فقط، مع أن مجرد هذا الحبس هو عذاب شديد، ولكنهم يمارسون على هذا السجين ألوان العذاب وصنوف القهر ما الله به عليم.

فإذا علمنا هذا؛ تبين لنا الواجب الشرعي الملقى على عاتق الأمة في تخليص هؤلاء الأسارى.

جاء في (القوانين) لابن جزي رحمه الله [٢]: (يجب استنقاذهم (أي الأسارى) من يد الكفار بالقتال؛ فإن عجز المسلمون عنه وجب عليهم الفداء بالمال).

---

[١] عن الموالاة والمعاداة (١/٣٢٧).

[٢] (ص١٧٢).

قال ابن تيمية في الرسالة الماتعة المسماة بـ (الرسالة القبرصية)، يدعو فيها صاحب قبرص إلى الإحسان إلى أسارى المسلمين عنده، ويبين سعيه الجاد في استخلاص أسارى المسلمين بل وأسارى أهل الذمة يوم ذاك، قال: وقد عرفت النصارى كلهم أني لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرى، وأطلقهم قازان. فسمح بإطلاق المسلمين، ثم بين بعدها طلبه في إطلاق أسارى أهل الذمة.

هذه النصوص وغيرها تبين مدى الواجب الملقى على المسلمين في إطلاق أسارى المعتقلين والمساجين من سجون المشركين والمرتدين، ولقد بلغ عدد الموحدين الذين نقم منهم الطاغوت طهرهم وعفافهم وإيمانهم بالله تعالى الأعداد الكبيرة؛ ففي مصر لوحدها عدد المساجين من الجماعات المسلمة في سجون الطاغوت المصري أكثر من خمسين ألف سجين، علاوة على أولئك الشباب الذين ما يكاد الواحد منهم يخرج حتى تدركه (شرطة) الشرك وتعيده مرة أخرى.

وها هنا نقطة مهمة: وهي أن المسلم المجاهد عليه أن يسعى إلى عدم تسليم نفسه إلى هؤلاء المشركين الملاعين في بلادنا، بل عليه أن يسعى جهده أن يفر منهم، وإلا فليقاتل حتى يقتل، ووالله قد سعدت وفرحت أشد الفرح لهذه السابقة العظيمة التي للشباب المجاهد في جدة ومكة والرياض والذي أبى أن يسلم نفسه لزوار الفجر المشركين من المباحث اللعينة، بل قاومهم حتى سقط شهيدًا إن شاء الله إذا قتل، عزيزًا بطلًا إذا أسر..

ووالله إن قتال هؤلاء المرتدين أحب وأفضل من قتال اليهود؛ لأنه لم يقع لليهود علينا سلطة، ولم يكن لهم علينا سبيل، إلا بحبل هؤلاء المرتدين الزنادقة [1]، وهذه السابقة التي

---

[1] يرى البعض من باب السياسة الشرعية أن لا يكون هؤلاء الجند هدفًا دائمًا للمجاهدين إلا في حالة الدفاع عن النفس، وأن يكون العمل كله موجهًا إلى رؤوس الكفر وأئمة الطغيان أصحاب القرار؛ مثل: الرؤساء وكبار الوزراء وما شابه ذلك، والقصد معلوم؛ فدول الردة هذه بقاؤها مرتبط بإلههم أمريكا، فمتى سقطت سقطوا، فلذا توجه الجهود على إمام الكفر الكبير، ويأتي دور هؤلاء، وهو خلاف ليس

وقعت في عدم الرضوخ لتسليم الشباب المسلم أنفسهم للطاغوت هي بشرى خير، وهي أن هؤلاء الشباب أتقنوا المسألة، وقد مضت إن شاء الله تعالى تلك الأيام التي كان الشباب المسلم المجاهد في الجزيرة العربية يسلم نفسه إلى المباحث طوعًا واختيارًا، ولعل الأهوال التي كان يراها المعتقلون من المسلمين في مبنى الرويس أو الحاير هو الذي رد الفكرة إلى رؤوسهم: أن الموت أفضل بدرجات من أن يساق المسلم كالذبيحة إلى مسلخه.

وقد كان هؤلاء الزنادقة المرتدون يدخلون الشباب المعتقل وهم يتهازجون أهازيج الفرح وكأنهم في عرس (عليهم من الله اللعائن)، لكنها إن شاء الله بعد اليوم لن تكون زيارة الفجر رحلة سهلة لهم، هذا أملنا وفي الله رجاؤنا، وإن تكرار هذه العملية سيجعل الذين يفكرون بالراتب الجيد في العمل مع المباحث محسوبًا عليهم: أن روحه ستكون ثمنًا لهذا الراتب؛ فها هو الدم قد سال، ومسيل الدم علامة الفرج، وفيه بشرى الإفاقة إن شاء الله [١].

فليتنبه شباب الجهاد إلى هذه الحقائق، وحتى لا يخرج البحث عن المقصود نكتفي بما تقدم، سائلين الله العون والفتح والنصر.

في أصل المشروعية، وإنما في التكتيك العسكري، وبمن نبدأ أولًا، ولا ينكر على من قاتلهم واستهدفهم، ولكن من عُرف من الجنود أو من ذوي الرتب الصغيرة بشدة عدائه للإسلام والمسلمين، وبأذاه الشديد للمسلمين: فيُقصد بعينه ويُزال؛ لتزول معه فتنته للعباد، ولا يتشفع له كونه جنديًا أو من ذوي الرتب الصغيرة، فكم من صاحب رتبة صغيرة اشتدت فتنته على العباد أكثر من أسياده وزعمائه الكبار!

[١] انظر مقالات بين منهجين المقال رقم (٤٩)، واقرأ أيضًا رسالة (المنية ولا الدنية)، ورسالة (لا تحزن إن الله معنا)؛ ففيها تفصيل فقهي وفوائد أخرى حول هذه المسألة.

خلاصة وخاتمة البحث

بعد هذه الجولة السريعة مع مسألة هي في أمس الحاجة أن تبحث من قبل طلبة العلم المجاهدين، الذين لايخافون في الله لومة لائم؛ فيصدعون بالحق في زمن الانبطاح، ويرفعون الرؤوس في زمن الخضوع، ويتراصون الصفوف في زمن التفرق، وقد توصلت في هذا البحث إلى الآتي:

أولًا: أن هذه الأقسام المباحث أو الاستخبارات، أو مباحث أمن الدولة، أو الأمن الوقائي، أو الأمن السياسي، أو ما شئت من أسماء، هي أقسام كافرة مرتدة لا شرعية لها، يجب جهادها وقتالها.

ثانيًا: أن تبين الموانع إنما يكون في المقدور عليه، وأما المحارب وغير المقدور عليه فليس كذلك.

ثالثًا: أن قتال المباحث حتى لو فرضنا جدلًا أنهم مسلمون؛ هو من باب دفع العدو الصائل، وأن قتيل المباحث إلى النار، وقتيل المجاهدين من الشهداء.

رابعًا: أن شبهات القوم ردها سهل لمن هداه الله ووفقه، ولكنه زمن الغربة لدين الله وأهله.

خامسًا: أنه يجب على المجاهدين التفريق بين جمال الأفكار المجردة وبين صورتها الواقعية والعملية.

سادسًا: أن حكم قتال المرتدين أشد من حكم قتال الكفار الأصليين.

سابعًا: أن المسلم المجاهد عليه أن يسعى إلى عدم تسليم نفسه والدعوة إلى ظاهرة الاختفاء.

وقبل الأخير: أوجه هذه الدعوة لمن يعمل في ما سبق ذكره:

إلى أولئك الذين هان عليهم دينهم، وسهل عليهم التجسس على المسلمين لصالح الطواغيت باسم الدين، متذرعين بفتاوى بعض المضللين المشبوهين ممن ظاهرهم العلم، مقابل مبلغ زهيد يعطونه على كل تقرير يكتبونه إلى مخابرات الطواغيت: لا يحسب هؤلاء أنهم على خير، أو أنهم على شيء، وليتذكروا أن لهم يومًا سيسألون فيه عما يفعلون، وينتصف الله تعالى منهم لعباده المظلومين، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: ((من أعان ظالماً بباطل ليدحض بباطله حقاً؛ فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله)) [أخرجه الطبراني].

فكيف بمن يعين الطواغيت الظالمين على اعتقال المسلمين الموحدين وقتلهم، وانتهاك حرماتهم؟!

فكم من تقرير ظالم كتبه مخبر حقير أدى إلى اعتقال عشرات من الشباب المسلم الموحد – لعشرات السنين – في أقبية وزنازين الطواغيت، إن لم يكن سببًا في قتلهم وإعدامهم!

وفي صحيح مسلم وغيره: ((المؤمن من أمنه المسلمون على أنفسهم وأموالهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)).

فالذي لا يأمنه المسلمون على أنفسهم، ولا يسلمون من شر يده ولسانه؛ فهو بنص الحديث ليس من المؤمنين ولا المسلمين.

فاتق الله يا عبد الله، واحذر أن تكون ممن يتجسسون لصالح الطواغيت الظالمين، أو يجادلون عنهم، أو يُقاتلون دونهم؛ فتهلك وتخسر دنياك وآخرتك.

وأخيرًا نقولها صريحة واضحة بينة:

إننا لا نكفر مسلمًا بذنب غير مكفر ما لم يستحله، ولا نكفر الناس كلهم بالعموم كما يرمينا بذلك أعداؤنا من الطواغيت، ويبهتنا به خصومنا من جماعات الإرجاء، وإنما نكفر من هدم التوحيد، أو أعان على هدمه، أو أتى بشيء من نواقضه، أو عادى أهله؛ نصرة لأعدائه من أهل الشرك والتنديد، ومظاهرة لهم على الموحدين.

وكل ما تكلمنا به في هذه الأوراق وغيرها إنما هو في كفر أعداء التوحيد وعساكر الشرك والتنديد الذين مرقوا من الدين، وحاربوا أهله، ونصروا الدستور الشركي، والقانون الوضعي، وكفر هؤلاء أوضح عندنا من الشمس في رابعة النهار بالأدلة الشرعية، وليس بالهوى أو التقليد أو الاستحسان.

فنقول لخصومنا: اتقوا الله ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٤٢]، بيننا وبينكم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، لا نقبل حكمًا غير ذلك، إيتونا منه بدليل وبرهان ينقض ما قلناه، وستجدوننا إن شاء الله تعالى أسعد الناس به وأول من يرجع إليه: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

أما الشقشقات الفارغة والسفسطات الجوفاء والاتهامات الباطلة، التي لا يسندها دليل وبرهان شرعي، ولا تنبني على الكتاب والسنة؛ فإنها مردودة على صاحبها، ومن لم يقبل بالدليل الشرعي ويذعن له وينقاد؛ فلا خير فيه، ولا ينفع فيه تقصير أو تطويل الكلام.

قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية].

ورحم الله ابن القيم إذ يقول في نونيته عن الكتاب والسنة:

مـن لم يـكـن يـكـفـيـه ذان	فلا كفاه الله شـر حوادث الأزمان
مـن لم يـكـن يشـفـيـه ذان	فلا شـفـاه الله في قلب ولا أبدان
مـن لم يـكـن يـغـنـيـه ذان	رماه رب العرش بالإقلال والحرمان
إن الكلام مع الكبـار وليس مع	تلـك الأراذل سـفـلـة الحيوان

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

تحريض المجاهدين الأبطال
على إحياء سنة الاغتيال

إلى خادم الصلبان والأصنام

ثكلتك أمك يا أبا الإجرام ... يا هادم الحرمين والإسلام
ثكلتك أمك في قريب عاجل ... يا خادم الصلبان والأصنام
فهد ولكن في الحروب نعامة ... مذعورة من ثورة الأنعام
لو كانت امرأة لصانت أرضها ... أو عرضها بأظافر ولثام
لا لوم يا عربيد أنت منافق ... بل عابد الكفار والظلام
بل أنت قسيس الكنيسة كاهن ... قد ألبسوك صليبهم كوسام
بل أنت ماسوني مرتد هنا ... ومع اليهود فأنت كالحاخام
يا أيها العلماء: لا تصمتوا ... أو ترهبوا من سطوة الحكام
فالرزق يأتي من إله رازق ... والعمر مرجعه إلى العلام
توبوا وذودوا واستعيدوا ... عزّنا بالعلم والإيمان والإقدام
قوموا لأمريكا ودكوا أنفها ... بل مرّغوها في لظى ورغام
قوموا لفهد بالسيوف فإنه ... باع البلاد بقبلة وغرام
باع البلاد لكل ذئب كافر ... فاسق أو قائد للئام

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

أما بعد:

فإن أحسن الكلام كلام، الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فبعد أن يسر الله كتابة بحث (الباحث عن حكم قتل أفراد وضباط المباحث) في شهر رمضان وتم نشره في مطلع شهر شوال من عام ١٤٢٣هـ، انتشر انتشارًا سريعًا، وراج رواجًا طيبًا لم أكن أتوقعه، خصوصًا أنه من الممنوعات، أي لم يتم نشره إلا عبر الشبكة العنكبوتية عبر موقع منبر التوحيد والجهاد، ومع ذلك فقد قام بتحميله إلى الآن أكثر من (٥٢٠٠)، وزاره واطلع عليه وسمع عنه عشرات الألوف، وهذا كله في أقل من شهرين ونصف، فالحمد لله أولًا وآخرًا، فله الفضل والمنة، ولذا رأيت أن أشرع في بحث جديد يناسب الوقت والمرحلة

الراهنة والتي تعج بالأحداث الضخمة والتغيرات الكبيرة والسريعة في العالم بأسره وفي بلاد المسلمين على وجه الخصوص، وهو بعنوان (تحريض [١] المجاهدين الأبطال على إحياء سنة الاغتيال)، أتحدث فيه عن تعريف الاغتيالات ومشروعيتها وأسبابها وطرقها وفوائدها والمطلوب لكوادرها، وبعض القصص والعمليات التي تم تنفيذها في العقدين الأخيرين، ثم أختم بوصايا متنوعة للمجاهدين مهمة في المرحلة الراهنة لكي يعرفوا الطريق من غير لبس ولا دخن بل بوضوح تام والله المستعان.

ومع أهمية الجهاد في سبيل الله والاغتيال لأئمة الكفر إلا أنه قد حورب في هذا الزمن أشد المحاربة، وأهمله علماء العصر إلا من رحم الله [٢]، بالرغم من أهميته القصوى وخطورته

---

[١] انطلاقًا من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ سورة الأنفال آية (٦٥)، وقول الله: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٢] قال سيد قطب رحمه الله في الظلال (١٧٣٥): "إن فقه هذا الدين لا ينبثق إلا في أرض الحركة، ولا يؤخذ عن فقيه قاعد حيث تجب الحركة، والذين يعكفون على الكتب والأوراق في هذا الزمان لكي يستنبطوا منها أحكاما فقهية "يجددون" بها الفقه الإسلامي أو "يطورونه" وهم بعيدون عن الحركة التي تستهدف تحرير الناس من العبودية للعباد، وردهم إلى العبودية لله وحده بتحكيم شريعة الله وحدها وطرد شرائع الطواغيت.. هؤلاء لا يفقهون طبيعة هذا الدين، ومن ثم لا يحسنون صياغة فقه هذا الدين".

وقال موضحًا الغاية من الجهاد في رسالته هذا الدين (ص ١٥) أنها: "تعبيد الناس لله وحده وإخراجهم من العبودية للعباد وإزالة الطواغيت كلها من الأرض وإخلاء العالم من الفساد".

وقد فقه هذا الدين سلف الأمة وخيرها، وتمثلوه حتى أصبح هيئة راسخة في نفوسهم، ووصفًا لازمًا، ففاضوا على العالم وعيًا وعلمًا بالرسالة.

قال الطبري: "أرسل سعد بن أبي وقاص ربعي بن عامر قِبَل القادسية إلى رستم قائد جيش فارس بناء على طلبه، فقال: ما جاء بكم؟ قال: الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه. فمن قبل منا ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبدًا

العظمى على مستقبل هذا الدين، وتجاهلوه بالرغم من علمهم بأنه السبيل الوحيد لعودة ورفع صرح الإسلام من جديد، وآثر كل مسلم ما يهوى من أفكاره وفلسفاته على خير طريق رسمه الله سبحانه وتعالى لعزة العباد.

والذي لا شك فيه هو أن طواغيت هذه الأرض لن تزول إلا بقوة السيف، ولذلك يقول ﷺ: ((بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم)) (١).

ويقول ابن رجب رحمه الله: (قوله ﷺ: ((بعثت بالسيف)) يعني أن الله بعثه داعياً بالسيف إلى توحيد الله بعد دعائه بالحجة، فمن لم يتسجب إلى التوحيد بالقرآن والحجة والبيان دعي بالسيف.

ويخاطب ﷺ طواغيت مكة وهو بها: ((استمعوا يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح)) فأخذ القوم كلمته حتى ما فيهم رجل إلا وكأنما على رأسه الطير واقع، وحتى أن أشدهم عليه ليلقاه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انطلق يا أبا القاسم راشدًا فوالله ما كنت جهولاً، ورسول الله ﷺ يقول: ((لقد جئتكم بالذبح)) وقد رسم الطريق القويم الذي لا جدال فيه ولا مداهنة مع أئمة الكفر وقادة الضلال وهو في قلب مكة (٢).

حتى نفضي إلى موعود الله! قال: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي". تاريخ الأمم والملوك: (١/ ٢٢٧١).

(١) أخرجه الإمام أحمد عن ابن عمر.

(٢) انظر الفريضة الغائبة للمهندس محمد عبد السلام فرج – رحمه الله – الذي كان له الدور البارز في الإعداد لقتل الهالك عميل الصهاينة أنور اليهود، وقد نال ما كان يتمناه وأكرمه المولى عز وجل بالشهادة

ولا بد أن تعلم أيها المجاهد أن عقيدة الجهاد في دين الله تعالى قد واجهت من قبل الكفر وأزلامه الهجوم إثر الهجوم، وقد علم أن الكفر بكل صوره لا يمكن زلزلة أركانه وإزالته من مكانه إلا بالقتال، وأنه لا يمكن لدولة من الدول أن ترسخ أركانها وتثبت وجودها إلا بعد دماء وأشلاء، فلا يوجد دولة على ظهر الأرض اليوم وغدًا وبالأمس ذات استقلال ومنعة إلا بعد حروب وحروب، وقتال يأخذ من فلذات أكبادها ودم شبابها ما تشيب له العثانين.

وعلى الناظر أن لا يغتر بما يسمى بالديمقراطية في العالم الغربي؛ إذ حين يرى بعضهم سهولة ويسر تناوب الأحزاب على السلطة وتخلي الحكام عن كراسيهم يظن أنه بإمكان المسلمين أن يصلوا إلى الحكم عن هذا الطريق، وهذا خطأ جسيم إذ أن هذه الأنظمة لم تستقر على الحال إلا بعد حروب طاحنة بين حملة هذه الفكرة (الديمقراطية) وبين خصومهم، وما من دولة تشكلت (وهي مستقلة) إلا بعد حروب مع خصومها.

فأمريكا زعيمة العالم الديمقراطي الحر الجامعة تحت رايتها ولايات عدة لم توجد على هذا الشكل من العقيدة السياسية والوجود الجغرافي الممتد إلا بعد حروب أهلية طاحنة بين الشمال والجنوب، حروب أكلت الأخضر واليابس، حتى تم غلبة أحد الفريقين على الآخر فاتفق المنتصرون على هذا الشكل من النظام السياسي وهذه الصورة من الحياة.

وكذلك أوروبا وما اشتملت عليه من دول وحكومات، فإن هذه الحكومات لم تتشكل على هذا النسق إلا بعد حروب داخل القارة وخارجها، قدم فيها كل فريق الغالي والنفيس حتى خلصت إلى أحد الفريقين فاتفق المنتصرون على هذا الشكل من الأنظمة وهذه الصورة من الحياة.

في سبيله، فقد تم إعدامه في قضية اغتيال الهالك السادات مع خالد الإسلامبولي وإخوانه الكرام – رحمة الله عليهم جميعاً – نحسبهم شهداء ولا نزكي على الله أحدا.

ولو سألنا أنفسنا: لماذا يحق للغرب أن ينشر عقيدته عن طريق القوة والسلاح كما تصنع أمريكا وأوربا ولا يحق لخصومه ذلك؟.

هؤلاء الذين يريدون نشر الأفكار ثم يريدون لهذه الأفكار أن تكون في سدة الحكم والسلطان ثم لا يسيرون في ركاب حملة السلاح والمقاتلين هؤلاء أشبه بالفلاسفة السفسطائيين؛ حيث تضيع صرخاتهم هباء.

مناهج التغيير في فكر الانحطاط:

إذا كان أهل الإسلام قد اتفقوا على إزالة طاغوت مرتد، فما هي الطريقة التي يمكن لهم فيها أن يزيلوا هذا الطاغوت عن كرسيه؟.

الذين يطرحون منهج تربية الناس على الإسلام حتى يكثر عدد الإسلاميين فيتم التغلغل والسريان من غير تعليمهم فن القتال والحرب، بل جل همهم أن يكونوا حملة أسفار أو أذكياء سياسة أو صوام نهار وقوام ليل وحفظة قرآن وحديث (وهؤلاء مراتبهم تمتد بين طرفي النقيض من صوفي إلى سلفي وبينهما إخواني)، فهل يعجز الطاغوت أن يوجد في ركابه مائة رجل بيدهم السلاح والقوة فيميلون على زوامل العلوم فيبقرونها، وعلى أذكياء فن الممكن فيفسدون فنونهم، وعلى العباد فيقطعون مسابحهم ويخربون مساجدهم؟.

إنه لا يوجد عاقل على وجه الأرض تحرر من أوهام الخرافة وجبرية المبتدعة وغنوصية الصوفية يطرح طريقًا لإزالتهم غير طريقة الجهاد.

لكننا ما زلنا نشم رذائل فكر الانحطاط الذي ولج إلى أمتنا بعد خير القرون تحت أسماء براقة، فإن لمشايخنا رأيًا آخر في التغير نسوق بعضه:

١ - الشيخ السلفي أبو بكر الجزائري وطريقته الجنائزية:

للشيخ طريقة جديدة تستحق أن تدخل تحت باب الاكتشافات الحديثة، يقول عن طريقته البديعة:

إن أفضل طريقة لإصلاح حكامنا هو أن نجمع أعدادًا غفيرة من المطالبين بضرورة الإصلاح، ثم نشد رحالنا متوجهين إلى قصر ولي الأمر، فنحط رحالنا وننيخ ركائبنا أمام بيته عفوًا قصره، ثم نبدأ بالنشيج والبكاء فإذا خرج علينا ولي الأمر بطلعته البهية ووجهه الوضاء المشرق وسألنا عن سبب بكائنا قلنا له: والله لن نبارح عتبة قصرك حتى تزيل المنكرات وتحكم بشريعة القرآن.. لا شك أن ولي الأمر قلبه رؤوف رحيم، بل هو رجل لا يرضى لشعبه الوفي أن يبكي (قال الشيخ باللفظ: هو قلب الحاكم حجر؟)، النتيجة أن الحاكم العادل سيرضخ لمطالبنا ويستجيب لبكائنا وحينها سيحكم بالقرآن.

٢ – أما نظرية البعض الآخر من مشايخنا ومفكرينا فهي طريقة توصف باسم "صندوق العجائب"، وصندوق العجائب هذا اكتشفه الناس مؤخرًا، تقول نظرية الصندوق:

يحكى أن حاكمًا يختلف عن جميع رؤساء العصابات، فهو رجل يحترم نفسه لكن العلة فيمن حوله، فقد زورت عليه حاشيته أن جميع الشعب يريده ويحبه ولا يرضى بديلًا عنه، ومن دلائل صدقه أنه في كل فترة زمنية يعلن للناس أنه على استعداد ليتخلى عن الكرسي إذا أراد شعبه ذلك، وحتى يعرف رأي الناس صنع صندوقًا ليضع الناس فيه آراءهم.

تقول الحكاية: إن الرواة اختلفوا في النتيجة، فبعضهم يجزم أن الصندوق كان عجيبًا إذ أنه يستطيع أن يقلب جميع الحروف على الورق إلى كلمة واحدة فقط "نعم للرئيس"، وبعض الرواة لم نستطع سماع روايته لأنه كان في السجن.

٣ – أما النظرية الثالثة فتقول: إن واقعنا خير واقع فليس في الإمكان أبدع مما كان، أي (بَلا تغيير بَلا همّ، أو ارضى بمتعوسك أحسن ما يجيك أتعس منّه).

وهذه النظرية الثالثة عندما حللها البعض وجد لها دليلاً في الكتاب الأخضر للقذافي، لكننا عجبنا كيف تم تهريبها إلى المشايخ السعوديين [١]، فمازال الأمر سرًا لا نعرف كنهه[٢]، حتى أن أحدهم أي من شيوخ السعودية (أتباع الحكومة) لما ناقشته استدل بمثل عامي يقول: (يد ما تقواها صافحها وادع عليه بالكسر)، ولعلهم يؤلفون لنا مستقبلًا أشباهًا ونظائر جديدة في القواعد الفقهية الحديثة عند شيوخ وعلماء الجزيرة!!!!.

كتبه للمجاهدين
أبو جندل الأزدي
٢١/ ١٢/ ١٤٢٣هـ

---

[١] ولكنها هربت مع تحريف لفظها إلى (ارضى بمقرودك أحسن ما يجيك أقرد منه)!!!!.

[٢] انظر الجهاد والاجتهاد تأملات في المنهج (٥٩ - ٦١).

تعريف الاغتيالات

الاغتيال: هو عملية قتل مفاجئ تنفذ ضد هدف معين معاد بغرض كف أذاه عن المسلمين، أو بغرض ردع غيره من المجرمين.

والاغتيالات هي أعمال عسكرية الوسيلة، إلا أنها أمنية في جوهرها، وهي من أعمال المخابرات (المجموعات الخاصة)، ولابد من توفر التنظيم الدقيق فيها، وتوفر عناصر ذات إمكانيات معينة يشكلون جهازًا خاصًا لا علاقة له بالأمور الأخرى التنظيمية لضمان عدم كشفهم [١].

والاغتيالات تابعة لقسم التنفيذ، ولا يزيد عدد أفرادها عن سبعة أشخاص، ولا يعرفهم بأشخاصهم إلا المسؤول الأمني العام للمجاهدين والقائد العام، وجهاز الاغتيالات تابع مباشرة إلى القائد العسكري، ولا يزيد عدد أفراده عن اثنين في كل منطقة رئيسية، ويكون تابعًا لمسئول المنطقة الرئيسي مباشرة، هذا إذا كان للمجاهدين قوة ونفوذ، أما في مثل حالنا الآن فالأمر أوسع مما ذكر، فللشباب أن يعملوا ولكن مع التنبه لكل ما سيأتي في ثنايا البحث.

وعمل جهاز الاغتيالات هو اغتيال العناصر المؤثرة والمؤذية في دول الردة من أئمة الكفر وغيرهم من الكفار الأصليين كما سيأتي تفصيله في ثنايا البحث.

---

[١] انظر موسوعة الجهاد الكبرى (١/ ٥١٠، ٥٠٤) وقد نشرت عبر الشبكة العنكبوتية في عدة منتديات، وقد قمنا بفضل الله بوضعها في اسطوانات (طريق العزة) في اسطوانة رقم ٣ والتي تم نشرها في جزيرة العرب، والموسوعة تجدها في قسم الجهاد. فاحرص على هذه الاسطوانات ففيها خير عظيم جدًا، وهي أخطر اسطوانات تنتشر في العصر الحاضر سواء بكتبها أو مرئياتها أو صوتياتها، فاللهم لك الحمد.

مشروعية الاغتيالات

المتأمل في سيرة النبي ﷺ وصحابته من بعده يجد الوضوح التام لأحكام الجهاد والقتال وما يدخل تحتها من فروع فقهية، وسنكشف في هذا البحث جانبا من ذلك وهو اغتيال أئمة الكفر الذين يحاربون ويؤذون الله ورسوله، وسنعرض النصوص التي تناولت اغتيال بعض هؤلاء ونأخذ منها بعض الأحكام الفقهية التي استنبطها علماء السلف في كتبهم الفقهية العظيمة، والتي هجرها غالب طلبة العلم اليوم إلا من رحم الله وقليل ما هم، ومسألة الاغتيالات من المسائل التي لم يختلف على جوازها أحد من سلف الأمة.

الأدلة من الكتاب والسنة:

الدليل الأول: قول الله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [١]. ففي هذه الآية إشارة إلى ذلك.

قال القرطبي رحمه االله [٢]: (﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ أي اقعدوا لهم في موضع الغرة حيث يُرصدون وهذا دليل على جواز اغتيالهم قبل الدعوة). أهـ.

وقول القرطبي "قبل الدعوة" أي لمن بلغته الدعوة من قبل، وهذه الآية ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ فيها دليل على مشروعية الرصد والاستطلاع والتجسس على العدو [٣].

---

[١] سورة التوبة، الآية ٥.

[٢] تفسير القرطبي (٩/٧٣).

[٣] انظر العمدة في إعداد العدة (٣٥٤).

قال ابن العربي رحمه الله [١]: (المسألة السابعة: قوله: ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ قال علماؤنا: في هذا دليل على جواز اغتيالهم قبل الدعوة) أ. هـ.

وقال ابن كثير رحمه الله [٢]: (وقوله: ﴿وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ أي لا تكتفوا بمجرد وجدانكم لهم، بل اقصدوهم بالحصار في معاقلهم وحصونهم والرصد في طرقهم ومسالكهم حتى تضيقوا عليهم الواسع وتضطروهم إلى القتل أو الإسلام) أ. هـ

---

[١] أحكام القرآن (٢/٩٠٢).

[٢] تفسير القرآن العظيم (٢/٣٤٩).

يقول الشيخ المجاهد الذي ظلم حيًا وميتًا عبد الله عزام رحمه الله [١] في تفسيره لسورة التوبة [١]: (واقعدوا لهم كل مرصد كمائن، وهذا جواز اغتيال الكافر قبل إنذاره ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ هذا دليل على جواز الاغتيال فالاغتيالات فرض.. مفهوم؟ فرض) أ. هـ.

---

[١] في يوم الجمعة بتاريخ ٢٦ ربيع الثاني / ١٤١٠هـ الموافق ١٤/ ١٩٨٩/١١ م انطلق الشيخ رحمه الله إلى مسجد سبع الليل في مدينة بيشاور لإلقاء خطبة الجمعة، فمرت السيارة التي كان يستقلها من فوق لغم بوزن ٢٠ كغم من متفجرات (تي. إن. تي) كان قد زرعه الحاقدون المجرمون، وقد نتج عن هذا الانفجار استشهاد شهيد الأمة الإسلامية بإذن الله الدكتور عبد الله عزام ومعه زهرتين من فلذات كبده (محمد نجله الأكبر وإبراهيم).

وقد كانت هناك أسباب كثيرة لدى أعداء الله لاغتيال إمام المجاهدين ونضع أهمها:

أولًا: لكونه صاحب مدرسة جهادية عملية: لقد قدم الشهيد إلى ساحة الجهاد الأفغاني سنة ١٩٨٢م، وبدأ يحرض المؤمنين على القتال، ويستنهض همم الشباب للقدوم إلى ساحات النزال، ويوقظ إحساس العلماء أن أفيقوا من رقادكم، فإن دين الله عز وجل لا يمكن أن يقوم على وجه الأرض ولا تصبح له شوكة إلا بالجهاد في سبيل الله، وصدرت أول فتوى من شيخ المجاهدين بشأن حكم الجهاد في فلسطين وأفغانستان أو أي شبر من أرض المسلمين ديس من قبل الكفار أنه فرض عين على كل مسلم بالمال والنفس ولا عذر بالتخلف إلا لأصحاب الأعذار.

ولقد ارتجفت أوصال الكثيرين من أصحاب النفوذ من هذا الصوت الذي انطلق في أرجاء المعمورة، وخاصة أن هذا العالم طبق ما يقول على نفسه فامتشق سلاحه وطرح الدنيا على عاتقيه، وإنك لتقف متعجبًا وأنت تراه يتسلق قمم جبال أفغانستان بين الثلوج يشق الطريق ويمهدها لإعادة تلك المنارة المفقودة (الخلافة الراشدة)، ولهذا حرص أعداء الله على التخلص منه بأي طريقة كانت، وفي هذا يقول أحد قادة الجهاد الأفغاني: (إن شيخنا الكريم كان من الشخصيات التي إذا سمع باسمها أعداء هذه الأمة يثير فيهم القلق والاضطراب، وإن أعداءنا كانوا يعرفون الشيخ أكثر مما نعرفه وإن الشيخ كان عدوًا لدودًا للشيوعية والصهيونية والجبابرة).

ثانيًا: أن الشيخ كان ترسًا للجهاد في أفغانستان: لم يعهد أعداء هذه الأمة أن يروا عالما من هذا الطراز يحمل السلاح ويقاتل الكفرة والملاحدة من أجل إقامة دين الله في الأرض في هذا القرن مثلما عهدوه في شيخنا وحبيبنا الغالي، كان الإمام عزام ترسًا للجهاد يجاهد في سبيل الله بقلمه وسنانه، وكان صوت الحق الناطق باسم الجهاد في العالم، فأراد أعداء الجهاد أن يسكتوا هذا الصوت بعد أن انتصر الجهاد في أفغانستان على الدب الروسي وأجبره على العودة إلى قمقمه، وبعد أن قلم المجاهدون أظافره، بدأت المؤامرة بترتيب بين الشرق والغرب أن لا يكون الإسلام هو البديل بعد خروج الروس، فجاءت المؤامرات يتلو بعضها بعضًا، وكان الشيخ رحمه الله كلما تعرض الجهاد إلى سهم يوجه إليه أو شبهة تثار حوله من قبل أعداء الله ينبري للرد عليها بكل ما أوتي من حجة وبيان، ولهذا السبب أيضًا ضاق به الشرق والغرب ذرعًا وعجزوا عن مواجهته وجهًا لوجه لا في ساحة ميدان الجهاد ولا عبر البيان والكلام.

ثالثًا: بسبب فكرته عن تصدير الجهاد الى خارج أفغانستان: كان الشيخ رحمه الله يعمل على تصدير الجهاد من أفغانستان إلى بقاع الأرض التي ديست بأرجل الكفار، ولقد أصبح العالم خائفًا من الجهاد ويحسب للجهاد في أفغانستان ألف حساب، خاصة أن الجهاد قد امتد حتى وصل إلى معظم المناطق التي تعرضت للغزو من قبل أعداء الله، ولهذا حرص أعداء الله على التخلص من هذه الشخصية الجهادية التي بدأت تصدر الجهاد إلى المناطق المحتلة من العالم الإسلامي وإلى المستضعفين في الأرض، ولا بد من قتل رموز الجهاد.

رابعًا: لأن الشيخ حوّل الجهاد الأفغاني إلى جهاد إسلامي عالمي: لقد كان الشيخ رحمه الله ينشد وحدة الأمة الإسلامية تحت علم الجهاد، ويعمل من أجل ذلك، وقد عمل حتى آخر لحظة من حياته من أجل جمع كلمة المجاهدين، وطالما ردد كثيرًا: إن موت جميع أولادي أحبّ إلي من أن يختلف قادة الجهاد.

وقد استصرخ الشهيد ضمائر الأمة الإسلامية في شتى أنحاء العالم، فحث التجار في البلاد العربية والإسلامية أن يقدموا أموالهم في سبيل الله، وصرخ صرخته المدوية في البلاد العربية والإسلامية للعلماء أن ينفروا إلى أرض الجهاد، وأن يساهم كل مسلم بقدراته ونفسه وعلمه بهذا الجهاد المبارك.

فكان لهذا النداء صداه، فوفد إلى الجهاد مجموعات من الشباب من كافة الأقطار، والتقت هذه الجموع وانصهرت كلها في بوتقة العقيدة، وعلى أساسها تجاهد في سبيل الله، وإذا بالأمة الإسلامية المترامية

الدليل الثاني: قصة مقتل كعب بن الأشرف [٢]:

عن جابر بن عبد الله: قال ﷺ: ((من لكعب بن الأشرف فإنه آذى الله ورسوله)). فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: ((نعم)). قال: فأذن لي أن أقول شيئا. قال ﷺ: ((قل)).

فأتاه محمد بن مسلمة، فقال من هذا الرجل (يقصد النبي ﷺ) قد سألنا صدقة وقد عنانا، وإني قد أتيتك أستسلفك. قال: وأيضاً والله لتملُّنه قال: إنا قد اتبعناه فلا نحبُّ أن ندعَهُ حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقًا أو وسقين، فقال كعب: نعم، ارهنوني، قالوا: أي شيء تريد؟ قال: ارهنوني نساءكم. قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: ارهنوني أبناءكم. قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين، هذا عار علينا. ولكننا نرهنك اللأمة (أي السلاح). قال: نعم. وواعده أن يأتيه، فجاءه ليلًا ومعه أبو نائلة، وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟! فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة، وقال غير عمرو: فقالت: أسمع صوته كأنه يقطر -وفي بعض الروايات- إني لأسمع صوتًا كأنه صوت دم، قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دعي إلى طعنة بليل لأجاب.

الأطراف المقطعة الأوصال في أنحاء المعمورة تتجمع من جديد في جسم متكامل؛ ولهذا حرص أعداء الأمة على اغتيال الشيخ والتخلص منه، ولدول الردة دور كبير في ذلك.

رحم الله الإمام عبد الله عزام صانع أمجاد الإسلام في القرن العشرين.

[١] تفسيره هذا موجود كاملًا في اسطوانة طريق العزة رقم ١ مقروءا، وفي طريق العزة رقم ٣ مسموعا.

[٢] كانت ليلة اغتياله ليلة ١٤ من شهر ربيع الأول سنة ٣ هـ، وقد شيع النبي ﷺ أبطال هذه المهمة إلى بقيع الغرقدثم وجههم قائلًا: انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم. ثم رجع إلى بيته وطفق يصلي ويناجي ربه.

ويدخل محمد بن مسلمة ومعه رجلين سماهم عمرو قال: (أبو عبس بن حبر وعباد بن بشر)، قال عمرو: فقال محمد بن مسلمة: إذا جاء فسوف أمد يدي إلى رأسه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه (وتلك هي طريقة للتمكن من قتله حيث أنه كان ضخم الجثة قوي البنية)، فلما نزل نزل وهو متوشح، قالوا: نجد منك ريح الطيب. قال: نعم، تحتي فلانة أعطر نساء العرب. قال: أفتأذن لي أن أشم منه؟ قال: نعم، فشم. ثم قال: أتأذن لي أن أعود؟ قال: فاستمكن منه. ثم قال: دونكم فقتلوه. [متفق عليه]

وقد جاء اليهود إلى النبي ﷺ بعد مقتل كعب بن الأشرف، فقالوا: يا محمد، قد طرق -أي قتل- صاحبنا الليلة، وهو سيد من سادتنا، قتل غيلة بلا جرم ولا حدث علمناه. قال ﷺ: ((إنه لو فر كما فر غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل، ولكنه آذانا وهجانا بالشعر، ولم يفعل هذا أحد منكم إلا كان للسيف)) [(١)].

فكعب بن الأشرف كان يحرض المشركين على المسلمين، وكان يهجو النبي ﷺ بشعره، وتشبب (تغزل) بنساء المسلمين.

قال ابن حجر رحمه الله [(٢)]: (وفي مرسل عكرمة: فأصبحت يهود مذعورين، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: قتل سيدنا غيلة، فذكرهم النبي ﷺ صنيعه وما كان يحرض عليه ويؤذي المسلمين. زاد سعد: فخافوا فلم ينطقوا. إلى أن قال ابن حجر: وفيه جواز قتل المشرك بغير دعوة إذا كانت الدعوة العامة قد بلغته، وفيه جواز الكلام الذي يحتاج إليه في الحرب ولو لم يقصد قائله إلى حقيقته).

[(١)] رواه البخاري (٣٠٣١)، ومسلم (١٨٠١). وانظره مطولًا في سيرة ابن هشام (٣/٨٤ – ٧٤)، وانظر فتح الباري (٧/٣٩٢).

[(٢)] فتح الباري (٧/٣٩٣).

وقد أخرج البخاري هذا الحديث في كتاب الجهاد (باب الكذب في الحرب) و(باب الفَتْك بأهل الحرب).

قال النووي رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث [١]: (وكان كعب قد نقض عهد النبي ﷺ، ولم يؤمنه محمد بن مسلمة ورفقته، ولكنه استأنس بهم فتمكنوا منه من غير عهد ولا أمان، وأما ترجمة البخاري على هذا الحديث بباب الفتك في الحرب فليس معناه الحرب، بل الفتك هو القتل على غرة وغفلة، والغيلة نحوه، وقد استدل بهذا الحديث بعضهم على جواز اغتيال من بلغته الدعوة من الكفار وتبييته من غير دعاء إلى الإسلام) أ. هـ.

وقد قال النووي رحمه الله أيضا [٢]: (قال – القاضي عياض –: ولا يحل لأحد أن يقول إن قتله كان غدرًا، وقد قال ذلك إنسان في مجلس علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأمر به فضرب عنقه).

قلت: فمن وصف اغتيال الكافرين المحاربين لله ورسوله ﷺ بأنه غدر ونحو ذلك، أو أن الإسلام يحرم ذلك؛ فهو ضال مكذب بالكتاب والسنة [٣].

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله بعد ذكره لحديث كعب هذا حول لفظة ((آذى الله ورسوله)) [٤]: (الأذى اسم لقليل الشر وخفيف المكروه، بخلاف الضرر، فلذلك أطلق على القول لأنه لا يضر المؤذي حقيقة.

---

[١] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/١٦١).

[٢] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/١٦٠).

[٣] انظر العمدة في إعداد العدة (٣٥٤).

[٤] الصارم المسلول (٧٤ – ٧٥).

وأيضًا فإنه جعل مطلق أذى الله تعالى ورسوله موجبًا لقتل رجل معاهد، ومعلوم أن سب الله وسب رسوله أذى لله ولرسوله، وإذا رُتب الوصف على الحكم بحرف الفاء دل على أن ذلك الوصف علة لذلك الحكم، لاسيما إذا كان مناسبًا، وذلك يدل على أن أذى الله ورسوله علة لندب المسلمين إلى قتل من يفعل ذلك من المعاهدين، وهذا دليل ظاهر على انتقاض عهده بأذى الله ورسوله، والسب من أذى الله ورسوله باتفاق المسلمين بل هو أخص أنواع الأذى) أ. هـ.

الدليل الثالث: قصة مقتل ابن أبي الحقيق أبي رافع اليهودي [١]:

وهو يهودي من خيبر، وهو تاجر الحجاز، كان قد ذهب إلى مكة وأَغْرى قريشًا بالنبي ﷺ حتى حزبّوا الأحزاب، وكانت غزوة الأحزاب هو موقد نارها.

روى البخاري عن البراء بن عارب قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار، فأمّر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجار [٢]، قال ابن إسحاق رحمه الله [٣]: (حدثني الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك قال: مما صنع الله لرسوله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار الأوس والخزرج كانا يتصاولان معه تصاول الفحلين، لا يصنع أحدهما شيئًا إلا صنع الآخر مثله، يقولون: لا يعدُّون ذلك فضلًا علينا في الإسلام وعند رسول الله ﷺ، فلما قتل الأوس كعب بن الأشرف تذكرت الخزرج رجلًا هو في العداوة لرسول الله ﷺ مثله، فتذاكروا ابن أبي الحقيق بخيبر، فأستاذنوا رسول الله ﷺ في قتله فأذن لهم... إلخ القصة).

---

[١] كان مبعث سرية عبد الله بن عتيك في ذي القعدة أو ذي الحجة سنة ٥ هـ.

[٢] البخاري الحديث رقم (٤٠٣٩).

[٣] سيرة ابن هشام (٢/٢٧٤ - ٢٧٥).

وكان ذلك بعد فراغ الرسول ﷺ من أمر الخندق وشأن بني قريظة، فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر وهم: عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان عبد الله بن أنيس وأبو قتادة الحارث بن ربقي وخزاعي بن أسود من أسلم وهو حليف بني سلمة، فخرجوا وأمر عليهم الرسول ﷺ عبد الله بن عتيك، وخرج هؤلاء النفر نحو خيبر إذ كان هناك حصن أبي رافع، فلما دنو منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم، قال عبد الله بن عتيك لأصحابه: اجلسوا مكانكم فإني منطلق ومتلطف للبواب، لعلي أن أدخل.

فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته، وقد دخل الناس فهتف به البواب: يا عبد الله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب. قال عبد الله بن عتيك: فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب، ثم علق الأغاليق على وتد. قال: فقمت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب، وكان أبو رافع يُسمر عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه فجعلت كلما فتحت بابًا أغلقت على من داخل، قلت: عن القوم لو نذروا بي لم يخلصوا إلي حتى أقتله، فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت، قلت: أبا رافع. قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش، فما أغنيت شيئًا، وصاح فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه، فقلت: وما هذا الصوت يا أبا رافع؟ قال: لأمك الويل إن رجلًا في البيت ضربني قبل بالسيف، قال: فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله. ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب بابًا بابًا، حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب، فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته؟ فلما صاح الديك صاح الناعي على السور فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز. فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء فقد قتل الله أبا رافع. فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال: ابسط رجلك، فبسطت رجلي فمسحها فكأنما لم أشتكها.

هذا عند البخاري، أما عند ابن إسحاق: فجميع الخمسة دخلوا على أبي رافع واشتركوا في قتله، وأن الذي تحامل عليه بالسيف حتى قتله هو عبد الله بن أنيس، وفيه أنهم لما قتلوه ليلًا وانكسرت ساق عبد الله بن عتيك، حملوه وأتوا منهرا من عيونهم فدخلوا فيه وأوقد اليهود النيران واشتدوا في كل وجه [١]، حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم وإنهم حين رجعوا احتملوا عبد الله بن عتيك حتى قدموا على الرسول ﷺ [٢].

قال ابن حجر رحمه الله [٣]: (وفي هذا الحديث من الفوائد: جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصر، وقَتْل من أعان على رسول الله ﷺ بيده أو ماله أو لسانه، وجواز التجسيس على أهل الحرب وتطلب غرتهم، والأخذ بالشدة في محاربة المشركين، وجواز إبهام القول للمصلحة، وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين).

يقول الشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله عند ذكره لمراتب العبودية في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [٤] قال: (ثم إن إعداد القوة حسب المستطاع من واجبات الدين ولوازم إقامته، فالعابد الصحيح لله لا يَعْتَوِرُه التسويف في هذا فضلًا عن تركه أو التساهل فيه، وأيضًا فالعابد لله المصمم على الجهاد في ذاته يكون منفذًا للغيلة في أئمة الكفر من دعاة الإلحاد والإباحية وكل طاعن في وحي الله أو مسخر قلمه أو دعايته ضد الدين الحنيف، لأن هذا مؤذٍ لله ورسوله ﷺ لا يجوز للمسلمين في بقاع الأرض من خصوص وعموم أن يَدَعوه على قيد الحياة، لأنه أضر من ابن الحقيق وغيره ممن ندب رسول الله ﷺ إلى اغتيالهم، فترك اغتيال ورثتهم في هذا الزمان تعطيل لوصية المصطفى ﷺ، وإخلال فظيع بعبودية الله، وسماح صارخ شنيع للمعاول الهدامة في دين الله، ولا يفسر صدوره إلا من عدم

---

[١] كما تفعل دوريات المرتدين والكافرين اليوم بعد كل عملية للمجاهدين!!!!.

[٢] انظر سيرة ابن هشام (٢/٢٧٤ - ٢٧٥).

[٣] فتح الباري (٧/٣٤٥)، وأخرجه البخاري في كتاب الجهاد (باب قتل النائم المشرك).

[٤] صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم (١/٢٦٨).

الغيرة لدين الله والغضب لوجهه الكريم، وذلك نقص عظيم في حب الله ورسوله وتعظيمهما لا يصدر من محقق لعبودية الله بمعناها الصحيح المطلوب). أ هـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [١]: (فهذه الأحاديث كلها تدل على أن من كان يسب النبي ﷺ ويؤذيه من الكفار، فإنه كان يقصد قتله ويحض عليه لأجل ذلك).

الدليل الرابع: قصة مقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي [٢]:

وكان قد جمع الجموع لغزو النبي ﷺ في المدينة، وتمام الحديث كما أخرجه أحمد وغيره عن عبد الله بن أُنَيْس قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: ((إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان الهذلي يجمع لي الناس ليغزوني، فائته فاقتله)). وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: ((مَن لسفيان الهذلي يهجوني ويشتمني ويؤذيني)) قال: قلت: يا رسول الله، انعته لي حتى أعرفه. قال: ((إذا رأيته وجدت له قشعريرة)). قال: فخرجت متوشحاً سيفي حتى وقعت عليه وهو بعرنة مع ظعن يرتاد لهن منزلا، وحين كان وقت العصر فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله ﷺ من القشعريرة، فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة، فصليت وأنا أومئ برأسي الركوع والسجود، فلما انتهيت إليه قال: من الرجل؟ قلت: رجل سمع بك وبجمعك لهذا الرجل، فجاءك في ذلك. قال: أجل أنا في ذلك. قال: فمشيت معه شيئاً، حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف حتى قتلته، ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه. وفي لفظ: قال عبد الله: فجلست معه حتى إذا مد الناس وناموا اغتلته فقتلته وأخذت رأسه.

---

[١] انظر الصارم المسلول (١٥٣) وقد ذكر هذا الكلام بعد عرضه لعدة نصوص تبين قتل الساب والمؤذي لرسول الله ﷺ.

[٢] كان مبعث سرية عبد الله بن أنيس في محرم سنة ٤ هـ وظل عبد الله بن أنيس غائبًا عن المدينة ١٨ ليلة.

فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني قال: ((أفلح الوجه)). قلت: قتلته يا رسول الله. قال: ((صدقت)). ثم قام معي رسول الله ﷺ فدخل بي بيته، فأعطاني عصاً، فقال: ((أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس، آية بيني وبينك يوم القيامة، إن أقل الناس المتخصرون يومئذٍ)). قال: فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضُمت معه في كفنه ثم دفنا جميعاً [١].

الدليل الخامس: قصة اليهودية:

ما رواه الشعبي عن علي: أن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فخنقها رجل حتى ماتت، فأطلَّ (أي: أهدر ولم يجعل فيه دية) رسول الله ﷺ دمها [٢].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (وهذا الحديث جيد، وقد رأى الشعبي علياً وروى عنه، وحتى لو كان فيه إرسال فإن الشعبي عند أهل العلم صحيح المراسيل لا يعرفون له مرسلاً إلا صحيحاً، وهو من أعلم الناس بحديث علي وبثقات أصحابه، والحديث له شاهد من حديث ابن عباس، فالقصة إما أن تكون واحدة أو يكون المعنى واحدًا، وقد عمل به عوام أهل العلم وجاء ما يوافقه عن أصحاب النبي ﷺ، ومثل هذا المرسل لم يتردد الفقهاء في الاحتجاج به.

وهذا الحديث نص في جواز قتل المرأة إذا شتمت النبي ﷺ، ودليل على قتل الرجل الذمي وقتل المسلم والمسلمة إذا سبَّا بطريق الأولى؛ لأن هذه المرأة كانت موادعة مهادنة،

---

[١] ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٢٠٣)، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه، وفيه راوٍ لم يُسمَ وهو ابن عبد الله بن أنيس، وبقية رجاله ثقات.

[٢] رواه أبو داود وغيره.

لأن النبي ﷺ لما قدم المدينة وادع جميع اليهود والذين كانوا بها موادعة مطلقة ولم يضرب عليهم الجزية) [١] اهـ.

ويقول أيضا [٢]: (أن نشد النبي ﷺ الناس في أمرها ثم إبطال دمها دليل على أنها كانت معصومة، وأن دمها كان قد انعقد سبب ضمانه، وكان مضمونًا لو لم يبطله النبي ﷺ، لأنها لو كانت حربية لم ينشد الناس فيها ولم يحتج أن يبطل دمها ويهدره، لأن الإبطال والإهدار لا يكون إلا لدم قد انعقد له سبب الضمان، ألا ترى أنه لما رأى امرأة مقتولة في بعض مغازيه أنكر قتلها ونهى عن قتل النساء ولم يبطله ولم يهدره، فإنه إذا كان في نفسه باطلًا هدرًا، والمسلمون يعلمون أن دم الحربية غير مضمون، بل هو هدر لم يكن لإبطاله وإهداره وجه، وهذا ولله الحمد ظاهر.

الدليل السادس: قصة عين المشركين:

حديث سلمة بن الأكوع قال: (أتى النبي ﷺ عين من المشركين (أي: جاسوس أو مخابرات للكفار المحاربين لدين الله والمسلمين) فجلس عند أصحابه يتحدث ثم انتقل. فقال النبي ﷺ: ((اطلبوه واقتلوه)). قال سلمة: فقتلته فنفله رسول الله ﷺ سلبه) [٣].

فهذا قد قتله الصحابي وأخذ سلبه لا في معركة ولا حرب، بل كما في رواية عند غير البخاري: أنه لحقه وأناخ ناقته فقتله ثم جاء بها يقودها.

---

[١] انظر الصارم المسلول (٦١ - ٦٢).

[٢] الصارم المسلول (٦٧).

[٣] فتح الباري (١٦٨/٦) باب (الحربي إذا دخل دار الإسلام بغير أمان).

الدليل السابع: قصة العصماء بنت مروان [١]:

ما روي عن ابن عباس قال: هجت امرأة من خطمة النبي ﷺ فقال: ((من لي بها؟)) فقال رجل من قومها: أنا يا رسول الله. فنهض فقتلها، فأخبر النبي ﷺ فقال: ((لا ينتطح فيها عنزان)).

وقد ذكر بعض أصحاب المغازي وغيرهم قصتها مبسوطة، قال الواقدي: حدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه، أن عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد كانت تحت يزيد بن حصن الخطمي، وكانت تؤذي النبي ﷺ وتعيب الإسلام وتحرض على النبي ﷺ، وقالت:

فباست بني مالك والنبيت ... وعوف وباست بني الخزرج
أطعتم أتاوى من غيركم ... فلا من مراد ولا مذحج
ترجونه بعد قتل الرؤوس ... كما ترتجى مرق المنضج

وقال عمير بن عدي الخطمي حين بلغه قولها وتحريضها: اللهم إن لك علي نذرًا لئن رددت رسول الله ﷺ إلى المدينة لأقتلنها. ورسول الله ﷺ ببدر فلما رجع رسول الله ﷺ من بدر جاء عمير بن عدي في جوف الليل حتى دخل عليها في بيتها وحولها نفر من ولدها نيام منهم من ترضعه في صدرها، فحسها بيده فوجد الصبي ترضعه فنحاه عنها، ثم وضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها [٢]، ثم خرج حتى صلى الصبح مع النبي ﷺ، فلما انصرف النبي ﷺ نظر إلى عمير فقال: ((أقتلت بنت مروان؟)) قال: نعم، بأبي أنت يا

---

[١] أورد القصة كاملة شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (الصارم المسلول على شاتم الرسول) (٩٥-٩٨) وانظرها أيضًا في كتاب (إمتاع الأسماع) للمقريزي (١/١٠١-١٠٢).

[٢] قال عبد الله بن الحارث عن أبيه: وكان قتلها بخمس ليال بقين من رمضان مرجع النبي ﷺ من بدر. انظر الصارم المسلول (٩٦).

رسول الله. وخشي عمير أن يكون أفتات على رسول الله ﷺ بقتلها فقال: هل علي في ذلك شيء يا رسول الله؟ قال: ((لا ينتطح فيها عنزان)). فإن أول ما سُمعت هذه الكلمة من رسول الله ﷺ. قال عمير: فالتفت النبي ﷺ إلى من حوله فقال: ((إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب، فانظروا إلى عمير بن عدي)) فقال عمر بن الخطاب: انظروا إلى هذا الأعمى الذي تسرى في طاعة الله، فقال: لا تقل الأعمى ولكنه البصير.

فلما رجع عمير من عند رسول الله ﷺ وجد بنيها في جماعة يدفنونها، فأقبلوا إليه حين رأوه مقبلًا من المدينة، فقالوا: يا عمير أنت قتلتها؟ فقال: نعم، فكيدوني جميعًا ثم لا تنظرون، والذي نفسي بيده لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم.

فيومئذ ظهر الإسلام في بني خطمة، وكان منهم رجال يتخفون بالإسلام خوفًا من قومهم، فقال حسان بن ثابت يمدح عمير بن عدي.

قال الواقدي: أنشدنا عبد الله بن الحارث:

بني وائل وبني واقف ... وخطمة دون بني الخزرج
متى ما ادعت أختكم ويحها ... بعولتها والمنايا تجي
فهزت فتى ماجدًا عرقه ... كريم المداخل والمخرج
فضرجها من نجيع الدما ... قبيل الصباح ولم تخرج
فأورده الله برد الجنان ... جذلان في نعمة الموج

وروى هذه القصة أخصر من هذا أبو أحمد العسكري، ثم قال: كانت هذه المرأة تهجو النبي ﷺ وتؤذيه.

وذكر هذه القصة مختصرة محمد بن سعد في الطبقات [١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد سياقه للقصة: (وإنما خص النبي ﷺ العنز لأن العنز تشام العنز ثم تفارقها، وليس كنطاح الكباش وغيرها).

وقال أبو عبيد رحمه الله في الأموال [٢]: (وكذلك كانت قصة عصماء اليهودية إنما قتلت لشتمها النبي ﷺ، وهذه المرأة ليست هي التي قتلها سيدها الأعمى ولا اليهودية التي قتلت، لأن هذه المرأة من بني أمية بن زيد أحد بطون الأنصار، ولها زوج من بني خطمة، ولهذا والله أعلم نسبت في حديث ابن عباس إلى بني خطمة، والقاتل لها غير زوجها، وكان لها بنون كبار وصغار، نعم كان القاتل من قبيلة زوجها كما في الحديث).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [٣]: (وإنما سقنا القصة من رواية أهل المغازي مع ما في الواقدي من ضعف لشهرة هذه القصة عندهم، مع أنه لا يختلف اثنان أن الوقدي من أعلم الناس بتفاصيل أمور المغازي وأخبرهم بأحوالها، وقد كان الشافعي وأحمد وغيرهما يستفيدون علم ذلك من كتبه، نعم هذا الباب يدخله خلط الروايات بعضها ببعض حتى يظهر أنه سمع مجموع القصة من شيوخه وإنما سمع من كل واحد بعضها، ولم يميزه ويدخله أخذ ذلك من الحديث المرسل والمقطوع، وربما حدس الراوي بعض الأمور لقرائن استفادها من عدة جهات، ويكثر من ذلك إكثارًا ينسب لأجله إلى المجازفة في الرواية وعدم الضبط، فلم يمكن الاحتجاج بما يتفرد به، فأما الاستشهاد بحديثه والاعتضاد به فمما لا يمكن المنازعة فيه، لا سيما قصة تامة يخبر فيها باسم القاتل والمقتول وصورة الحال، فإن الرجل وأمثاله

---

[١] انظر القصة كاملة في كتاب (الصارم المسلول على شاتم الرسول) (٩٥-٩٨).

[٢] الصارم المسلول (٩٧).

[٣] نفس المرجع والصفحة السابقة.

أفضل ممن ارتفعوا في مثل هذا في كذب ووضع، على أنا لم نثبت قتل الساب بمجرد هذا الحديث [١] وإنما ذكرناه للتقوية والتوكيد، وهذا مما يحصل ممن هو دون الواقدي) أ. هـ

وقال أيضا رحمه الله [٢]: (وقد كان أصحابه إذا رأوا من يؤذيه أرادوا قتله، لعلمهم بأنه يستحق القتل، فيعفو هو عنه ﷺ ويبين لهم أن عفوه أصلح، مع إقراره لهم على جواز قتله، ولو قتله قاتل قبل عفو النبي ﷺ لم يعرض له النبي ﷺ لعلمه بأنه قد انتصر لله ورسوله، بل يحمده على ذلك ويثني عليه، كما قتل عمر رضي الله عنه الرجل الذي لم يرض بحكمه، وكما قتل رجل بنت مروان، وآخرُ اليهوديةَ السابةَ، فإذا تعذر عفوه بموته ﷺ بقي حقًا محضًا لله ولرسوله وللمؤمنين؛ لم يعف عنه مستحقه، فيجب إقامته).

الدليل الثامن: قصة أبي عفك اليهودي:

وقد ذكرها أهل المغازي والسير، قال الواقدي: حدثنا شعبة بن محمد عن عمارة بن غزية، وحدثناه أبو مصعب إسماعيل بن مصعب بن إسماعيل بن زيد بن ثابت عن أشياخه قالا: إن شيخًا من بني عمرو بن عوف يقال له أبو عفك، وكان شيخًا كبيرًا قد بلغ عشرين ومائة سنة حين قدم النبي ﷺ المدينة، كان يحرض على عداوة النبي ﷺ ولم يدخل في الإسلام، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر ظفره الله بما ظفره، فحسده وبغى، فقال وذكر قصيدة تتضمن هجو النبي ﷺ وذم من اتبعه، أعظم ما فيها قوله:

فيسلبهم أمرهم راكب حرامًا حلالًا لشتى معا

---

[١] وكذلك هنا في الاغتيال لم نكتفِ بمجرد هذا الحديث،بل ذكرنا أحاديث هي في أصح الكتب المصنفة بعد القرآن.

[٢] الصارم المسلول (٢٣٥).

قال سالم بن عمير: علي نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه، فأمهل فطلب له غرة حتى كانت ليلة صائفة، فنام أبو عفك بالفناء في الصيف في بني عمرو بن عوف، فأقبل سالم بن عمير فوضع السيف على كبده حتى خش في الفراش، وصاح عدو الله، فثاب إليه أناس ممن هم على قوله، فأدخلوه منزله وقبروه، وقالوا: من قتله؟ والله لو نعلم من قتله لقتلناه.

وبه ذكر محمد بن سعد أنه كان يهوديًا، وقد ذكرنا أن يهود المدينة كلهم كانوا قد عاهدوا ثم إنه لما هجا وأظهر الذم قتل.

قال الواقدي عن ابن رقش: قتل أبو عفك في شوال على رأس عشرين شهرا

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد ذكره لهذه القصة [١]: (وهذا قديم قبل قتل ابن الأشرف، وهذا فيه دلالة واضحة على أن المعاهد إذا أظهر السب ينقض عهده ويقتل غيلة، لكن هو في رواية أهل المغازي، وهو يصلح أن يكون مؤيدًا مؤكدًا بلا تردد) أ. هـ.

الدليل التاسع: قصة مقتل الأسود العنسي:

قال ابن كثير رحمه الله عن الأسود العنسي [٢]: (اشتد ملكه واستغلظ أمره وارتد خلق من أهل اليمن، وعامله المسلمون بالتقية، وكان خليفته على مذحج عمرو بن معدي كرب، وأسند أمر الجند إلى قيس بن عبد يغوث، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز الديلمي وداذويه، وتزوج بامرأة شهر بن باذام وهي ابنة عم فيروز الديلمي واسمها زاذ، وكانت امرأة حسناء جميلة، وهي مع ذلك مؤمنة بالله ورسوله محمد ﷺ ومن الصالحات، قال سيف بن عمر

---

[١] الصارم المسلول (١٠٤-١٠٥).

[٢] البداية والنهاية لابن كثير (٦/٣٠٧-٣١٠).

التميمي: وبعث رسول الله ﷺ كتابه حين بلغه خبر الأسود العنسي مع رجل يقال له وبر بن يحنس الديلمي، يأمر المسلمين الذين هناك بمقاتلة الأسود العنسي ومصاولته.

وفي تاريخ الأمم والملوك [١]: (روى الطبري بإسناده عن الضحاك بن فيروز قال: (قَدِمَ علينا وَبَرُ بن يُحَنَّس بكتاب النبي ﷺ يأمرنا فيه بالقيام على ديننا والنهوض في الحرب والعمل في الأسْوَد: إما غِيَلة وإما مصادمة، وأن نبلغ عنه من رأينا أن عنده نجدة ودينًا، فعملنا في ذلك) أ. هـ

قال ابن كثير تكملة للقصة السابقة: وقام معاذ بن جبل بهذا الكتاب أتم القيام، وكان قد تزوج امرأة من السكون يقال لها رملة، فحزبت عليه السكون لصبره فيهم، وقاموا معه في ذلك وبلغوا هذا الكتاب إلى عمال النبي ﷺ ومن قدروا عليه من الناس، واتفق اجتماعهم بقيس بن عبد يغوث أمير الجند، وكان قد غضب على الأسود واستخف به وهم بقتله، وكذلك كان أمر فيروز الديلمي قد ضعف عنده أيضًا، وكذا داذويه، فلما أعلم وبر بن نحيس قيس بن عبد يغوث وهو قيس بن مكشوح كان كأنما نزلوا عليه من السماء ووافقهم على على الفتك بالأسود، وتوافق المسلمون على ذلك وتعاقدوا عليه، فلما أيقن ذلك في الباطن اطلع شيطان الأسود للأسود على شيء من ذلك، فدعا قيس بن مشكوح، فقال له: ياقيس، ما يقول هذا؟ قال: يقول: عمدت إلى قيس فأكرمته، حتى إذا دخل منك كل مدخل وصار في العز مثلك مال ميل عدوك، وحاول ملكك، وأضمر على الغدر، إنه يقول: يا أسود يا أسود، يا سوآه يا سوآه، فطف به وخذ من قيس أعلاه، وإلا سلبك وقطف قلبك. فقال له قيس: -وحلف له فكذب-: وذي الخمار، لأنت أعظم في نفسي وأجل في نفسي من أن أحدث بك نفسي. فقال له الأسود: ما إخالك تكذب الملك، فقد صدق الملك وعرف الآن أنك تائب عما اطلع عليه منك.

---

[١] تاريخ الطبري (٢/٢٤٨).

ثم خرج قيس من بين يديه فجاء إلى أصحابه فيروز وداذويه وأخبرهم بما قال له ورد عليه، فقالوا: إنا كلنا على حذر، فما الرأي؟ فبينما هم يشتورون إذ جاءهم رسوله فأحضرهم بين يديه، فقال: ألم أشرفكم على قومكم؟ قالوا: بلى. قال: فماذا يبلغني عنكم؟ فقالوا: أقلنا مرتنا هذه. فقال: لا يبلغني عنكم فأقيلكم. قال: فخرجنا من عنده ولم نكد وهو في ارتياب من أمرنا ونحن على خطر، فبينما نحن في ذلك إذ جاءتنا كتب من عامر بن شهر أمير همدان وذي ظليم وذي كلاع وغيرهم من أمراء اليمن يبذلون لنا الطاعة والنصر على مخالفة الأسود، وذلك حين جاءهم كتاب رسول الله ﷺ يحثهم على مصاولة الأسود العنسي، فكتبنا إليهم ألا يحدثوا شيئًا حتى نبرم الأمر.

قال قيس: فدخلت على امرأته ازاذ، فقلت: يا ابنة عمي، قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك، قتل زوجك وطأطأ في قومك القتل وفضح النساء، فهل عندك ممالأة عليه؟ قالت: على أي أمر؟ قلت: إخراجه. قالت: أو قتله؟ قلت: أو قتله. قالت: نعم، والله ما خلق الله شخصًا هو أبغض إلي منه، فما يقوم لله علي حق، ولا ينتهي له عن حرمة، فإذا عزمتم أخبروني أعلمكم بما في هذا الأمر.

فأخرج فإذا فيروز وداوذيه ينتظراني يريدون أن يناهضوه، فما استقر اجتماعه بهما حتى بعث إليه الأسود، فدخل في عشرة من قومه، فقال: ألم أخبرك بالحق وتخبرني بالكذابة؟ إنه يقال: يا سوآه، يا سوآه، إن لم تقطع من قيس يده يقطع رقبتك العليا، حتى ظن قيس أنه قاتله، فقال: إنه ليس من الحق أن أهلك وأنت رسول الله، فقتلي أحب إلي من موتات أموتها كل يوم. فرق له وأمره بالانصراف.

فخرج إلى أصحابه، فقال: اعملوا عملكم. فبينما هم وقوف بالباب يشتورون إذ خرج الأسود عليهم وقد جمع له مائة ما بين بقرة وبعير، فقام وخط وأقيمت من ورائه، وقام دونها، فنحرها غير محبسة ولا معلقة، ما يقتحم الخط منها شيء، فجالت إلى أن زهقت أرواحها، قال قيس: فما رأيت أمرًا كان أفظع منه ولا يومًا كان أوحش منه، ثم قال الأسود: أحق ما

بلغني عنك يا فيروز لقد هممت أن أنحرك فألحقك بهذه البهيمة، وأبدى له الحربة، فقال له فيروز: اخترتنا لصهرك، وفضلتنا على الأبناء، فلو لم تكن نبيًا ما بعنا نصيبنا منك بشيء، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر الآخرة والدنيا، فلا تقبل علينا أمثال ما يبلغك، فأنا بحيث تحب. فرضي عنه وأمره بقسم لحوم تلك الأنعام، ففرقها فيروز في أهل صنعاء، ثم أسرع اللحاق به، فإذا رجل يحرضه على فيروز ويسعى إليه فيه، واستمع له فيروز فإذا الأسود يقول: أنا قاتله غدًا وأصحابه، فاغد علي به، ثم التفت فإذا فيروز، فقال: مه. فأخبره فيروز بما صنع من قسم ذلك اللحم، فدخل الأسود داره، ورجع فيروز إلى أصحابه فأعلمهم بما سمع وبما قال وقيل له، فاجتمع رأيهم على أن عادوا المرأة في أمره.

فدخل أحدهم وهو فيروز إليها، فقالت: إنه ليس من الدار بيت إلا والحرس محيطون به غير هذا البيت، فإن ظهره إلى مكان كذا وكذا من الطريق، فإذا أمسيتم فانقبوا عليه من دون الحرس، وليس من دون قتله شيء، وإني سأضع في البيت سراجًا وسلاحًا. فلما خرج من عندها تلقاه الأسود فقال له: ما أدخلك على أهلي؟ ووجأ رأسه، وكان الأسود شديدًا، فصاحت المرأة فأدهشته عنه، ولولا ذلك لقتله، وقالت: ابن عمي جاءني زائرًا، فقال: اسكتي لا أبا لك، قد وهبته لك.

فخرج على أصحابه، فقال: النجاء النجاء، وأخبرهم الخبر، فحاروا ماذا يصنعون، فبعثت المرأة تقول لهم: لا تنثنوا عما كنتم عازمين عليه. فدخل عليها فيروز الديلمي فاستثبت منها الخبر، ودخلوا إلى ذلك البيت فنقبوا داخله بطائن ليهون عليهم النقب من خارج، ثم جلس عندها جهرة كالزائر، فدخل الأسود فقال: وما هذا؟ فقالت: إنه أخي من الرضاعة وهو ابن عمي، فنهره وأخرجه، فرجع إلى أصحابه، فلما كان الليل نقبوا ذلك البيت فدخلوا فوجدوا فيه سراجًا تحت جفنة، فتقدم إليه فيروز الديلمي، والأسود نائم على فراش من حرير قد غرق رأسه في جسده وهو سكران يغط، والمرأة جالسة عنده، فلما قام فيروز على الباب أجلسه شيطانه وتكلم على لسانه -وهو مع ذلك يغط-، فقال: مالي وما لك يا فيروز؟ فخشي إن رجع يهلك وتهلك المرأة، فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل، فأخذ رأسه فدق

عنقه ووضع ركبتيه في ظهره حتى قتله، ثم قام ليخرج إلى أصحابه ليخبرهم، فأخذت المرأة بذيله، وقالت: أين تذهب عن حرمتك؟ فظنت أنها لم تقتله، فقال: أخرج لأعلمهم بقتله. فدخلوا عليه ليحتزوا رأسه، فحركه شيطانه فاضطرب، فلم يضبطوا أمره حتى جلس اثنان على ظهره، وأخذت المرأة بشعره، وجعل يبربر بلسانه، فاحتز بلسانه فاحتز الآخر رقبته، فخار كأشد خوار ثور سمع قط، فابتدر الحرس إلى المقصورة، فقالوا: ما هذا، ما هذا؟ فقالت المرأة: النبي يوحى إليه، فرجعوا.

وجلس قيس وداذويه وفيروز يأتمرون كيف يُعلمون أشياعهم، فاتفقوا على أنه إذا كان الصباح ينادون بشعارهم الذي بينهم وبين المسلمين، فلما كان الصباح قام أحدهم وهو قيس على سور الحصن فنادى بشعارهم، فاجتمع المسلمون والكافرون حول الحصن، فنادى قيس ويقال: وبر بن يحنش، الأذان: أشهد أن محمدًا رسول الله، وأن عبهلة كذاب. وألقى إليهم رأسه، فانهزم أصحابه، وتبعهم الناس يأخذونهم ويرصدونهم في كل طريق يأسرونهم، وظهر الإسلام وأهله، وتراجع نواب رسول نواب رسول الله ﷺ إلى أعمالهم، وتنازع أولئك الثلاثة في الإمارة، ثم اتفقوا على معاذ بن جبل، يصلي بالناس.

وكتبوا بالخبر إلى رسول الله ﷺ، وقد أطلعه الله على الخبر من ليلته، كما قال سيف بن عمر التميمي عن أبي القاسم الشنوي عن العلاء بن زيد عن ابن عمر: أتى الخبر إلى النبي ﷺ من السماء الليلة التي قتل فيها العنسي ليبشرنا، فقال: ((قتل العنسي البارحة، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين))، قيل: ومن؟ قال: ((فيروز فيروز)).

قال ابن كثير: وقد قيل إن مدة ملكه منذ ظهر إلى أن قتل ثلاثة أشهر، ويقال أربع أشهر، فالله أعلم) أ. هـ

وبوب البخاري لقصته بكتاب المغازي من صحيحه وفيه قال: (قال عبيد الله بن عبد الله: سألت عبد الله بن عباس عن رؤيا رسول الله ﷺ التي ذَكَرَ، فقال ابن عباس: ذُكِرَ لي أن رسول الله ﷺ قال: ((بينا أنا نائم أُرِيتُ أنه وُضعَ في يديَّ سِواران من ذهب، فقطعتُهما

وكرهتهما، فأُذِنَ لي فنفختُهما فطارا، فأوّلتهما كذابين يخرجان))، فقال عبيد الله: أحدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن والآخر مسيلمة الكذاب) [١].

وقال ابن تيمية رحمه الله [٢]: (ثم خرج فيروز الديلمي على الأسود العنسي فقتله، وجاء الخبر إلى رسول ﷺ بقتله وهو في مرض موته، فخرج فأخبر أصحابه بذلك وقال: ((قُتِلَ الأسود العنسي الليلة، قتله رجلٌ صالح من قوم صالحين)) وقصته مشهورة). أ. هـ

وقد ذكر الطبري رحمه الله [٣]: (أن فيروز ومن معه احتالوا على الأسود وأظهروا متابعته حتى تمكنوا من قتله غِيلة، وقد أثنى النبي ﷺ على فيروز، وقد قيل أن خبرهم بلغ النبي ﷺ بالوحي ليلة وفاته). أ. هـ.

الدليل العاشر: المعاقبة بالمثل [٤]:

يقول الله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ۝ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن

---

[١] فتح الباري (٨/٩٣).

[٢] الجواب الصحيح فيمن بدل دين المسيح (١/١٠٩).

[٣] تاريخ الطبري (٢/٢٤٨).

[٤] هناك أدلة أخرى كثيرة تبين مشروعية الاغتيالات ولكنا اكتفينا بهذا القدر، وطالب الحق يكفيه من ذلك كله ولو دليلاً واحداً، أما المفتون المعرض عن دين ربه فلو جئته بملء الدنيا أدلة ما رفع بها رأساً. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً﴾ سورة الكهف آية (٥٧).

سَبِيلٍ ۝ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾.

وهذه الآيات عامة في كل شيء، وأسباب نزولها لا يخصصها، لأن القاعدة الشرعية تقول: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)، فيجوز أن يعامل المسلمون عدوهم بالمثل في كل شيء ارتكبوه ضد المسلمين، فإذا اغتالوا مجاهدينا [١] اغتلناهم، وإذا مثلوا بالمسلمين جاز لنا التمثيل بهم، وإذا قصدوا النساء والصبيان بالقتل فإن للمسلمين أن يعاقبوا بالمثل ويقصدوا نساءهم وصبيانهم بالقتل لعموم هذه الآيات.

قال ابن القيم رحمه الله [٢]: (قوله: ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾، وقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ يقتضي جواز ذلك، أي العقوبة بالمثل في الأنفس والأعراض والأموال، وقد صرح الفقهاء بجواز إحراق زروع الكفار وقطع أشجارهم إذا كانوا يفعلون ذلك بنا، وهذا عين المسألة، وقد أقر الله سبحانه الصحابة على قطع نخل اليهود لما فيه من خزيهم، وهذا يدل على أنه سبحانه يحب خزي الجاني الظالم ويشرعه.

---

[١] كما قامت أمريكا وعملائها بعملية الاغتيال التي نفذت ضد ستة من المجاهدين في اليمن على رأسهم المجاهد أبو علي الحارثي، تمت بناء على توجيهات الرئيس الأمريكي جورج بوش للمخابرات المركزية سي آي إيه في شهر رمضان فيما يتعلق بمحاربة ما يسميه بالإرهاب، وقد تناقلت صحف العالم أجمع توجيه بوش لاغتيال المجاهدين، وكذلك ما تفعله دولة يهود مع مجاهدي فلسطين وروسيا مع مجاهدي الشيشان كما صنعت مع القائد خطاب إلخ القائمة، ونحن نوجه شباب المسلمين لاغتيال اليهود والنصارى والمرتدين معاقبة بالمثل ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٢] إعلام الموقعين (٣٢٨/١).

وإذا جاز تحريق متاع الغال بكونه تعدى على المسلمين في خيانتهم في شيء من الغنيمة، فلأن يحرقوا ماله إذا حرق مال المسلم المعصوم أولى وأحرى، وإذا كانت المالية في حق الله الذي مسامحته به أكثر من استيفائه فلأن تشرع في حق العبد الشحيح أولى وأحرى، ولأن الله سبحانه شرع القصاص زجرًا للنفوس عن العدوان، وكان من الممكن أن يوجب الدية استدراكًا لظلامة المجني عليه بالمال، ولكن ما شرعه أكمل وأصلح للعباد وأشفى لغيظ المجني عليه وأحفظ للنفوس والأطراف، وإلا فمن كان في نفسه من الآخر من قتله أو قطع طرفه قتله أو قطع طرفه وأعطى ديته، والحكمة والرحمة والمصلحة تأبى ذلك، وهذا بعينه موجود في العدوان على المال) أ. هـ

إذًا لا بد أن نعلم أنه إذا جاز الاقتصاص من المسلم بمثل ما فعل، فلأن يجوز معاملة الكافر الحربي بمثل معاملته للمسلمين من باب أولى، وإذا كانت أمريكا -بسبب صدام كما تزعم هي، وإلا فالأمر أوسع وأكبر من زعمها- قتلت ولا زالت أكثر من مليون وسبعمائة واثنين وثلاثين ألف في خلال حصارها للعراق، وقتلت الآلاف المؤلفة في أفغانستان بسبب القيادات الجهادية هناك، ووو؛ فلماذا نحن يحرم علينا قتلهم وقصفهم واستهدافهم واغتيالهم حتى نصل لمثل العدد الذي أصابوه منا، فنقتل منهم بسبب بوش وبلير وشارون كما قتلوا منا بسبب فلان وفلان؛ إذًا لا بد أن نستوي في البضاعة، فكما يقتلون يُقتلون، وكما يغتالون يُغتالون. والله أعلم.

أسباب الاغتيالات

للاغتيالات في العصر الحاضر أسباب ودوافع كثيرة، نذكر بعضًا منها، وهذا عند المجاهدين، أما الاغتيالات عند غير هؤلاء فهي بالعشرات [١]:

١- الزندقة وسب الله ورسوله وشتمهما وأذيتهما [٢]:

---

[١] للتمثيل على ذلك: ما يحدث من المرتزقة الذين يغتالون الشخص دون دوافع تذكر إلا الحرص على المال، مثل ما تفعله بعض العصابات المعاصرة، وما يحدث أيضًا ممن يثأر لنفسه، أو من أجل قطعة أرض اختلف هو وآخر عليها، أو لمرض كجنون وعته، أو للانتقام من الزوج، أو العكس عند الخلافات الزوجية، إلى غير ذلك من الاغتيالات المعاصرة والتي كتب فيها الكتب الكثيرة مما ليس هو في مجال بحثنا.

[٢] وكذلك أئمة الردة من حكام ووزراء وجنرالات وضباط، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾، وكذلك أنصارهم مع مراعاة جانب السياسة الشرعية في ذلك أي بالنسبة للأنصار بأن تقطف الرؤوس قبل الذيول، وأن يبدأ بالكبار قبل الصغار، وقد بينا ذلك في كتاب (الباحث عن حكم قتل أفراد وضباط المباحث).

فلا تغرك الكثرة، ولا يهولنك كثرة المرجفين، فالحق واضح ناصع.

وقد ذكر ابن تيمية أن أتباع مسيلمة كانوا نحو مائة ألف أو أكثر (منهاج السنة النبوية) (٧/ ٢١٧)، ومع ذلك أجمع الصحابة على قتالهم.

وقد ذكرنا في كتاب (الباحث عن حكم قتل أفراد وضباط المباحث) أن تبين الشروط والموانع إنما يكون في المقدور عليه لا الممتنع، ودليله إجماع الصحابة كما سقناه هناك.

قال ابن تيمية رحمه الله: (ولأن المرتد لو امتنع بأن يلحق بدار الحرب أو بأن يكون المرتدون ذوي شوكة يمتنعون بها عن حكم الإسلام فإنه يُقتل قبل الاستتابة بلا تردد) (الصارم المسلول) (٣٢٢)، وقال أيضًا: (على أن الممتنع لا يُستتاب وإنما يُستتاب المقدور عليه) (الصارم المسلول) (٣٢٥ - ٣٢٦).

ويكون ذلك (أي الاغتيال) لآحاد المسلمين، وقد قدمنا قبل قليل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند الدليل الخامس، وهو ما رواه الشعبي عن علي أن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فخنقها رجل حتى ماتت، فأطلَّ (أي: أهدر ولم يجعل فيه دية) رسول الله ﷺ دمها [١].

حيث قال [٢]: (هذا الحديث نص في جواز قتل المرأة إذا شتمت النبي ﷺ، ودليل على قتل الرجل الذمي وقتل المسلم والمسلمة إذا سبَّا بطريق الأولى؛ لأن هذه المرأة كانت موادعة

وسُئل ابن تيمية عمن يتعمد قتل المسلم بسبب دينه وهو يدعي الإسلام – كما يفعله الحكام المرتدون وأنصارهم وجنودهم الذين يقتلون المسلمين بسبب دينهم ويستحلون قتلهم بقوانين كافرة ما أنزل الله بها من سلطان – فأجاب رحمه الله: (أما إذا قتله على دين الإسلام مثل ما يقاتل النصراني المسلمين على دينهم فهذا كافر شر من الكافر المعاهد، فإن هذا كافر محارب بمنزلة الكفار الذين يقاتلون النبي ﷺ وأصحابه، وهؤلاء مخلدون في جهنم كتخليد غيرهم من الكفار) (مجموع الفتاوى) (٣٤/ ١٣٦ – ١٣٧).

قلت: ووجه كفر الحكام المرتدين وجنودهم في هذه المسألة: هو الاستحلال المكفِّر، والاستحلال هنا هو اعتبارهم قتل المسلمين المتدينين والمجاهدين أمراً مشروعاً مستباحاً، بل واجبًا عليهم بموجب قوانينهم الوضعية التي تعاقب بالقتل من أراد قلب نظام الحكم، ولو كان هذا القلب هو في حقيقته جهاد في سبيل الله؛ فمن استحل دم المسلم بغير حق بهذه القوانين الكافرة فقد كفر، لأن استحلاله هذا هو تكذيب بالنصوص المتواترة الدالة على حرمة دماء المسلمين.

وقال ابن تيمية: (والإنسان متى حَلّل الحرام المجْمع عليه أو حرَّم الحلال المجمع عليه أو بدَّل الشرع المجمع عليه كان كافراً مرتداً باتفاق الفقهاء). (مجموع الفتاوى) (٣/ ٢٦٧) انظر الجامع في طلب العلم (٢/ ٦٨٩ – ٦٩٠).

[١] رواه أبو داود وغيره.

[٢] الصارم المسلول (٦١).

مهادنة، لأن النبي ﷺ لما قدم المدينة وادع جميع اليهود والذين كانوا بها موادعة مطلقة ولم يضرب عليهم الجزية) اهـ.

ومعلوم أن المرأة الكافرة معصومة عند المسلمين من القتل بالأنوثة وإن لم تكن ذمية أو مُعاهدة، لأن رسول الله ﷺ نهى عن قتل النساء في المعارك ما لم يكنَّ محاربات مقاتلات، فعُلم أن السابة لله أو لدينه أو لرسوله ﷺ أو الطاعنة في شيء من ذلك حكمها حكم المقاتلة المحاربة لدين الله تعالى.

فيقتل إن لم يقتله الإمام أو عدم الإمام القوام على أهل الإسلام الحاكم بما أنزل الرحمن أو كان الحكم لأئمة الكفر (الذين هم بحاجة أصلًا إلى اغتيال) الذين لا يهمهم حكم الله أو شتم الرحمن.

ففي هذا الحديث أن ذلك الرجل قتل تلك المرأة بنفسه دون أن يرجع إلى النبي ﷺ، وأن النبي لما سمع بذلك لم ينكر عليه قتل تلك المرأة ولم يأمر بديتها، ولا قال: هذا افتئات على الإمام وحقه، ولا جعله منكراً أو بدّع فاعله، بل أقرّه وأهدر دمها.

وقد ذكر شيخ الإسلام في أدلة أخرى ما يدل على هذه المسألة، وعلل ذلك بقوله: (وذلك لأن من وجب قتله لمعنىً يكيد به الدين ويفسده ليس بمنزلة من قتل لأجل معصية من زنىً ونحوه). اهـ.

وفيه التفريق بين إقامة الحدود على العصاة في سائر الذنوب وبين حد من يطعن في رب العالمين أو دين أو نبي جميع المسلمين، فقتل الساب لله أو لدينه إن كان حداً من الحدود فإنه كقتل الحربي الذي يحارب المسلمين والذي يتحتم قتله (يجوز قتله لكل أحد).

قال ابن العربي رحمه الله [١]: وأمرهم بقتلهم حيث وجدوهم وأينما ثقفوهم، وفي هذا دليل على أن الزنديق يقتل ولا يستتاب لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ أ.هـ.

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله [٢]: (ويدل على جواز قتل الزنديق المنافق من غير استتابة ما خرجاه في الصحيحين عن علي في قصة حاطب بن أبي بلتعة، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: ((إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)) فدل على أن ضرب عنق هذا المنافق من غير استتابة مشروع، إذ لم ينكر النبي ﷺ على عمر استحلال ضرب عنق المنافق، ولكن أجاب بأن هذ ليس بمنافق ولكنه من أهل بدر المغفور لهم، فإذا ظهر النفاق الذي لا ريب أن نفاق فهو مباح الدم) أ. هـ.

قال شيخ الإسلام في الموضع نفسه: (ثم أكثر ما في قتل الساب دون إذن الإمام أنه افتئات على الإمام، والإمام له أن يعفو عمن أقام حداً واجباً دونه). أهـ.

وإنما يكون ذلك افتئاتاً عند وجود الإمام القوام على أهل الإسلام، الحاكم بشريعة الرحمن، فإن لم يوجد مثل هذا الإمام وكان الحاكم من أئمة الكفر الذين يُعبِّدون الناس لتشريعهم الوضعي الكفري؛ فليس في ذلك افتئات على حق مسلم، نعم فيه افتئات على حق الطاغوت الكفري الباطل الذي شرَّعه له الأرباب المتفرقون في دساتيرهم الوضعية؛ فحبَّذا بمثل هذا الافتئات، وحيَّ هلاَ به.. لأنه تطبيقٌ عمليٌّ للبراءة منهم والكفر بقوانينهم، فأنْعِمْ به وأكرِم من افتئات [٣].

---

[١] أحكام القرآن (١/ ٤٦٩) عند تفسير قول الله: ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً﴾ سورة النساء آية (٨٩).

[٢] الصارم المسلول (٣٥٠-٣٥١).

[٣] انظر الصار المسلول على شاتم الرب أو الدين أو الرسول (٥).

فائدة من المصدر السابق: وكما أن دم الطاعن في دين الله أو ساب الله أو الرسول ﷺ مباح وحكمه حكم دم المحارب للمسلمين رجلاً كان أو امرأة ومهما كان دينه وملّته؛ فكذلك حكم ماله فهو لمن قتله من المسلمين. قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي يرويه البخاري في صحيحه: ((من قتل قتيلاً فله سلبه)) ومن قتل قتيلاً: أي من الكفار المحاربين. والسلب: كل ما يكون مع الكافر حين قتله من دابة أو لباس أو حلية أو سلاح أو مال.

ولا يقال: إن هذا خاص في حال القتال بالمعركة، لأن اللفظ عام، فيجوز ذلك إن قتله في معركة أو قتله صبراً أو غيلةً، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وقد رد ابن حزم رحمه الله تعالى في محلاه وأبطل شبه من موَّه حول هذا العموم. انظر المحلى (٧/ ٣٣٦) في المسألة رقم (٩٥٥) فليراجعها من شاء.

ويؤيد ذلك ما رواه البخاري في صحيحه من حديث سلمة بن الأكوع قال: (أتى النبي ﷺ عين من المشركين (أي: جاسوس أو مخابرات للكفار المحاربين لدين الله والمسلمين) فجلس عند أصحابه يتحدث ثم انتقل. فقال النبي ﷺ: ((اطلبوه واقتلوه)). قال سلمة: فقتلته، فنفله رسول الله ﷺ سلبه).

فهذا قد قتله الصحابي وأخذ سلبه لا في معركة ولا حرب، بل كما في رواية عند غير البخاري: أنه لحقه وأناخ ناقته فقتله ثم جاء بها يقودها.

واعلم أن هذا من أطيب الرزق؛ لأنه المغنم الذي أحلّه الله لهذه الأمة من بين سائر الأمم، ورسولنا ﷺ لم يكن حداداً ولا نجاراً، بل كان غالب كسبه ورزقه من هذا كما في الحديث: ((وجُعل رزقي تحت ظل رمحي)). فهو إذن من أطيب الكسب وأكمله لأنه كسبُ نبينا ﷺ.

واعلم أن عموم الحديث الأول يقتضي أيضاً إطلاق ذلك الحكم وإن عُدم الإمام المسلم.

ويدل عليه أيضاً فعل أبي بصير حين كان يغير على قوافل قريش وعِيرهم، إذ لم يكن دخل بعد في تبعيّة الدولة المسلمة رسمياً آنذاك، ولم يقدر على ذلك بسبب الشرط الذي كان في العهد الذي جرى بين النبي ﷺ وكفار قريش، بدليل أن قريشاً لم تطالب النبي ﷺ بدية الرجل العامري الذي قتله أبو بصير ولا بضمان ما كان يسلبه من قوافلهم وعِيرهم، فقد كانوا آنذاك بالنسبة للنبي ﷺ كفاراً معاهدين لكنهم بالنسبة لأبي بصير كفاراً محاربين؛ إذ هو لا زال مطلوباً لهم ولو قدروا عليه لأسروه أو قتلوه.

ونحن نقول لكل معترض علينا: أين الإمام الذي يقيم شرع الله، ويطبق حدوده، ويوالي المؤمنين ويعادي الكافرين، ويقيم الجهاد، ويفرض الجزية على الكافرين؟ فإن كنتم ترونه فهد بن عبد الإنجليز (أبو رغال) [١]؛ فأقول لكم بملء فمي: كل شروط الإمامة من

وخبره في البخاري مختصراً ضمن قصة صلح الحديبية، تجدها في كتاب الشروط باب (الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب..) [٥/ ٣٢٩].

وفي قصته هذه رضي الله عنه فائدة مهمة أخرى، وهي: أن هناك ضابطاً مهماً يجب مراعاته في مثل هذه الأعمال، وهو أن لا يترتب عليها ضرر على غيره من المسلمين، فما كان يفعله أبو بصير لم يكن يُنسب إلى النبي ﷺ وأصحابه، ولا أضر بالجماعة المسلمة؛ لذلك يجب مراعاة ميزان المصالح والمفاسد الشرعية، واختيار التوقيت والطريقة المناسبة، والاستعانة بالسرية والخدعة ونحوها مما هو مشروع مع الكفار المحاربين، فالموحِّد في زماننا بضاعة ثمينة نادرة نفيسة لا ينبغي إهدارها مقابل دم خنزير واحد، فليحرص على ما فيه أعظم وأطول نكاية في العدو. وفي سيرة المصطفى ﷺ أعظم زاد في هذا الباب.

[١] لعل أشهر شخص في تاريخ العرب يضرب به المثل في خيانته للأمة هو (أبو رغال) الذي سارع لتقديم خدماته لجيش أبرهة الحبشي الذي غزا جزيرة العرب وتوجه بجيشه إلى الكعبة المشرفة لهدمها ليصرف العرب عن أقدس مقدساتهم، فلما عجز العرب عن مواجهة جيشه وعلموا أنهم لا طاقة لهم به قاطعوه، فانبرى (أبو رغال) يقدم له خدماته، فكان دليله إلى البيت الحرام، وقد هزم الله عز وجل أبرهة وجيشه وحمى بيته المحرم، ومات أبو رغال في تلك الغزوة فكان جزاؤه أن اتخذ العرب قبره مرجماً، فلا يمر على قبره عربي إلا رجمه بالحجارة لخيانته أمته ووقوفه مع عدوها وعدو دينها، وصار العرب يضربون به المثل في الخيانة حتى قال الشاعر الأموي جرير يهجو الفرزدق:

إذا جاء الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال

وتكرر مثل هذا المشهد التاريخي سنة ٦٥٦ هجرية عندما غزت الجيوش المغولية الأمة الإسلامية، فانبرى الوزير ابن العلقمي وصدر الدين الطوسي يقدمان خدماتهما ومشورتهما لملك المغول (هولاكو) الذي قتل الخليفة ورجال الدولة ودمر عاصمة الخلافة وقتل ٨٠٠ألف وقيل ألف ألف وقيل ألفي ألف كما ذكر ذلك ابن كثير وابن الأثير رحمهما الله، في أبشع حادثة عرفها التاريخ البشري، ليصبح ابن العلقمي وصدر الدين الطوسي رمزين للخيانة والعمالة للعدو الخارجي. =

العقل إلى الإسلام إلى سلامة الحواس إلى القرشية إلخ كلها غير متوفرة، فماذا تنقمون علينا إلا أن جاهدنا وأردنا إعادة تعبيد العباد لرب العباد؟!

والأيام بيننا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

= يقول ابن الأثير عند ذكره لأحداث ٦٥٦هـ في كتابه الكامل للتاريخ وهو ممن عاصر وعايش تلك الأحداث: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّا﴾.. وها هو المشهد يتكرر بتكرار النكبات والهزائم، فلا يظهر على هذه الأمة عدو خارجي إلا ظهر فيها من يشايعه ويقدم إليه خدماته ويبرر جرائمه ويدافع عن سياساته ويبشر بفكره ويدله على عوراتها أو نقاط ضعفها، كما فعل أبو رغال وابن العلقمي وصدر الدين الطوسي من قبل، وقد كان الأول فقيرًا والثاني وزيرًا والثالث فقيهًا، إلا أنهم جميعًا كانوا من نمط واحد ومن طابور واحد.

وما حدث للأمة في أزمة الخليج الثانية هو مشهد من هذه المشاهد، فجاءنا أبو رغال جديد فأباح جزيرة العرب المخصوصة بعشرات النصوص الشرعية للصليبين والصهاينة، والمصيبة أن ذلك تم تحت غطاء شرعي!!!

إذاً أبو رغال هذه المرة صار ملكًا تحت يده شيوخ يصبغون على أعماله الغطاء الشرعي.

ملاحظة: سبب اشتهار هذه التسمية هو ذكر الشيخ القائد المجاهد أسامة بن لادن لها (في شريطه المدمرة كول) نصره الله هو وإخوانه آمين آمين.

٢- المحارب [١] من الكفار الأصليين، وكذلك المعاهد الذي نقض عهده سواء بأن نكث أيمانه، أو بأن طعن في ديننا، أو سب الله ورسوله، وكذلك الذمي [٢].

---

[١] قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في الصارم المسلول (٣٨٥): (المحاربة نوعان: محاربة باليد ومحاربة باللسان، والمحاربة باللسان في باب الدين قد تكون أنكى من المحاربة باليد... ولذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام يقتل من كان يحاربه باللسان مع استبقائه بعض من حاربه باليد، خصوصًا محاربة الرسول ﷺ بعد موته، فإنها إنما تمكن باللسان، وكذلك الإفساد قد يكون باليد وقد يكون باللسان، وما يفسده اللسان من الأديان أضعاف ما تفسده اليد، كما أن ما يصلحه اللسان من الأديان أضعاف ما تصلحه اليد، فثبت أن محاربة الله ورسوله باللسان أشد، والسعي في الأرض لفساد الدين باللسان أوكد، فهذا الساب لله ولرسوله أولى باسم المحارب المفسد من قاطع الطريق) أ. هـ..

[٢] قال ابن القيم رحمه الله: (الكفار إما أهل حرب وإما أهل عهد.

وأهل العهد ثلاثة أصناف: أهل ذمة، وأهل هدنة، وأهل أمان.

وقد عقد الفقهاء لكل صنف باباً فقالوا: باب الهدنة، باب الأمان، باب عقد الذمة.

ولفظ (الذمة والعهد) يتناول هؤلاء كلهم في الأصل، وكذلك لفظ (الصلح).

إلى أن قال: ولكن صار في اصطلاح كثير من الفقهاء (أهل الذمة) عبارة عمن يؤدي الجزية، وهؤلاء لهم ذمة مؤبدة، وهؤلاء قد عاهدوا المسلمين على أن يجري عليهم حكم الله ورسوله، إذ هم مقيمون في الدار التي يجري فيها حكم الله ورسوله، بخلاف أهل الهدنة فإنهم صالحوا المسلمين على أن يكونوا في دارهم سواء كان الصلح على مال أو غير مال، لا تجري عليهم أحكام الإسلام كما تجري على أهل الذمة، لكن عليهم الكف عن محاربة المسلمين وهؤلاء يسمون أهل العهد وأهل الصلح وأهل الهدنة.

وأما المستأمن: فهو الذي يَقْدُم بلاد المسلمين من غير استيطان لها، وهؤلاء أربعة أقسام: رُسُل، وتجار، ومستجيرون حتى يُعرض عليهم الإسلام والقرآن فإن شاؤوا دخلوا فيه، وإن شاؤوا رجعوا إلى بلادهم وطالبوا حاجة من زيارة أو غيرها. =

ولو تأملنا قليلًا لعلمنا أن الذميين لا وجود لهم في العصر الحاضر، وأهل العهد كذلك لا وجود لهم، إلا عند علماء السلاطين الضالين الذين رضوا بالحكام المرتدين أولياء أمور لهم، فضلوا وأضلوا كثيرًا عن سواء السبيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبيان ذلك: أن عهود آل سعود مع أمريكا وكذلك بقية دول الخليج وكل الدول العربية والدول المسماة زورًا وبهتانًا بالإسلامية وغيرها.. أقول: إن عهود هؤلاء ومواثيقهم لا تعني عند المسلم شيئًا، ولا يجوز له أن ينصاع لها أو يحترمها أو يقر بها مختاراً:

إني نبذت إليهم العهد الذي قد أوثقوه خيانة وجفاء

ويدل على ذلك أيضا بوضوح الحديث الذي رواه الامام أحمد والنسائي وأبوداود: ((المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم)).

فهؤلاء الطواغيت ليسوا من المسلمين[1]، لا من خواصهم ولا من أدناهم، ولا قلامة ظفر، بل هم من جملة من يتولونهم من الكفار الحربيين كما أخبر تعالى في قوله: ﴿وَمَنْ

= وحكم هؤلاء ألا يجاهدوا ولا يُقتلوا ولا تؤخذ منهم الجزية، وأن يُعرض على المستجير منهم الإسلام والقرآن فإن دخل فيه فذاك، وإن أحب اللحاق بمأمنه ألحق به، ولم يعرض له قبل وصوله إليه، فإذا وصل مأمنه عاد حربيا كما كان). (أحكام أهل الذمة) لابن القيم (٢/ ٤٧٥ - ٤٧٦).

[1] ذكر علماؤنا المحققون أن الحكومات الجاثمة على الحكم في بلاد المسلمين وحكامها اليوم لا يشك في كفرهم إلا من طمس الله على بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم؛ إذ أن كفرهم مُتلون متنوع من أبواب شتى:

فهم يكفرون من باب تشريعهم مع الله ما لم يأذن به الله؛ حيث نصت دساتيرهم المحلية ومواثيقهم الدولية سواء على المستوى المحلي أو على مستوى هيئة الأمم الملحدة أو الجامعة العربية ونحوها أن لهم الحق في التشريع المطلق هم ونُوّابهم أو هيئاتهم التشريعية وجمعياتهم العمومية، وهذا مقرر معروف من

موادهم ونصوصهم القانونية والدستورية الكفرية لا يُجادل فيه إلا جاهل لا يعرفه، أو مُتجاهل لا يريد أن يعرفه، وقد قال تعالى: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (يوسف: ٣٩).

ويكفرون من باب طاعتهم للمشرّعين -المحليين منهم والدوليين وغيرهم- واتباعهم لتشريعاتهم الكفرية. قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ (الشورى: ٢١). وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ (محمد٢٥ - ٢٦). فهذا فيمن قال للكفار: سنطيعكم في بعض الأمر، فكيف بمن انبطح وسلم قياده لهم ولأوامرهم ومناهجهم وقوانينهم وتشريعاتهم، وقال: سنُطيعكم في كثير من الأمر أو سنطيعكم في كلِّ الأمر، وأسلموا قيادهم لمشرّعيهم ولطواغيتهم وسلّموا لتشريعاتهم تسليماً؟؟.

ويكفرون من باب توليهم للكفار من النصارى والمشركين والمرتدين وحمايتهم ونصرتهم بالجيوش والسلاح والمال والاقتصاد، بل قد عقدوا معهم اتفاقيات ومعاهدات النصرة بالنفس والمال واللسان والسنان ضد المجاهدين المسلمين، فتولّوهم تولياً حقيقياً وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (المائدة: من الآية٥١).

ويكفرون من باب أخوّتهم للكفار الشرقيين والغربيين وموادتهم ومحبتهم لهم قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (المجادلة: من الآية٢٢).

وهذا ليس من التكفير ببواطن الأمور وأعمال القلوب، بل بالأعمال والأقوال الظاهرة الصريحة؛ إذ أنهم يفاخرون بهذه الأخوة والمودّة ويصرّحون بها ويظهرونها في كل محفل، ووسائل إعلامهم طافحة بها.

ويكفرون من باب محاربة أولياء الله ومظاهرة المشركين ونصرتهم عليهم. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الحشر: ١١).

فتأمل كيف كفّر الله من وعد المشركين ولو وعدًا كاذبًا بنصرتهم على المسلمين، وجعله من إخوان المشركين؛ فكيف بمن عقد معهم اتفاقيّات النصرة والمظاهرة على الموحدين وظاهرهم عليهم فعلاً بالمعلومات الأمنية وبالمال والتدريب والسلاح وبالملاحقة والقتل أو الحبس والمحاكمة والتسليم؟؟

ويكفرون من باب الامتناع عن الشرائع كالحكم بما أنزل الله وتعطيل الفرائض وتحريم الواجبات الشرعية، كجهاد الكفار، واستحلال الحرام بالترخيص له وحمايته وحراسته والتواطؤ والاصطلاح عليه.. كمؤسسات وصروح الربا والفجور والخنا وغير ذلك من المحرمات. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾. (التوبة: ٣٧).

ويكفرون من باب الاستهزاء بدين الله والترخيص للمستهزئين وحمايتهم وسن القوانين التشريعية التي ترخّص لهم وتسهل لهم ذلك، سواء عبر الصحافة أو الإذاعة المرئية منها والمسموعة أو غير ذلك. قال تعالى: ﴿... قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ...﴾ (التوبة: ٦٥ - ٦٦).

وغير ذلك من أبواب الكفر الصراح التي ولجوا فيها ودخلوها زرافات ووحداناً، وكل باب من هذه الأبواب عليه من أقوالهم وأفعالهم وتصريحاتهم وقوانينهم مئات بل ألوف الأدلة، أما الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على أنها أبواب مكفرة فهي أشهر من أن يجادل فيها المجادلون، وليس هذا محل بسطها، وإنما المقصود من ذلك الإشارة التي تكفي اللبيب وتعلمه بأن هذه الحكومات طواغيت تُتَّبع وتُطاع من دون الله تعالى.

وإذا تقرر أن حكام بلاد المسلمين اليوم ليسوا حكامًا مسلمين، وليسوا ولاة أمور شرعيين: علم أن ولايتهم الجبرية على المسلمين باطلة، ولا تصح بحال ولا يجوز أن يجعل لهم على المسلمين سبيلا، ولا يحل لهم أن يسعوا بذمة المسلمين بين الأمم والدول، وإن فعلوا فذمتهم غير ذمة المسلمين وعهودهم غير ملزمة للمجاهدين.. فهم إضافة إلى كونهم حكام خونة لا همَّ لهم إلا مصالح عروشهم وكروشهم وقروشهم ولا يستأمنون على مصالح العباد والبلاد حتى ينابوا عن المسلمين ويسعون بذمتهم، فحقيقتهم أيضا أنهم حكام كفرة مشركون، وطواغيت مشرعون، يجب على كل مسلم أن يسعى في القيام عليهم وخلعهم عند القدرة على ذلك، ويجب عليه حال عجزه عنه أن يكفر بهم ويتبرأ من قوانينهم وشرائعهم ومعاهداتهم، فهذا كله من لوازم التوحيد وواجبات ملة إبراهيم. قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا

يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ فإنه منهم وليس من المسلمين!! وعليه فلا تلزمنا عهودهم ومواثيقهم ولا أمانهم للكفار.

قال ابن قدامة رحمه الله [١]: (ولا يصح أمان كافر وإن كان ذميًا، لأن النبي ﷺ قال: ((ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم))، فجعل الذمة للمسلمين، فلا تحصل لغيرهم، ولأنه متهم على الإسلام وأهله فأشبه الحربي) أهـ.

وتأمل أن هذا في الكافر الذمي غير الحربي، فهو في الحربي أولى، وقد علمت أن هؤلاء الطواغيت الحاكمين لبلاد المسلمين كفار محاربون ممتنعون بشوكة عن الشريعة وعن تحكيمها وقد قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء: ١٤١].

وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾. فقوله تعالى: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي منكم ومن أوثانكم ومناهجكم وتشريعاتكم الباطلة المخالفة لدين الإسلام.

فالبراءة التي تستلزمها ملة إبراهيم ليست محصورة في البراءة من المشركين، بل من ذلك أيضا البراءة من أديانهم وقوانينهم الكفريه ومعاهداتهم وتشريعاتهم الخبيثة التي تؤاخي بين المسلمين والكفار وتلغي الجهاد وتصف المجاهدين بالمجرمين والإرهابيين. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (سورة الكافرون).

فنحن كما نكفر بهؤلاء الطواغيت ونتقرب إلى الله ونلتمس رضاه ببغضهم وعداوتهم وجهادهم؛ فكذلك نبرأ من أديانهم الشركية وقوانينهم الوضعية ومواثيقهم الباطلة المناقضة لشرائع الإسلام؛ بتحريمها للجهاد، ومؤاخاتها بل عمالتها ونزولها تحت ولاية الكفار المحاربين للإسلام والمسلمين، فهي طواغيت وشرائع مناقضة لشرع الله قائمة على مبادىء الأخوة بينهم، بل مستندة إلى علاقة الموالاة والعمالة والخيانة والتبعية التي تجمع الأقزام بأسيادهم. انظر رسالة (برآة الموحدين من عهود الطواغيت والمرتدين) (١٠ - ١٤).

[١] المغني (٣٩٨/٨).

فالحاكم الكافر ليس له سبيل على المسلمين والموحدين، ولا يجوز أن يعطى الولاية عليهم، وإذا ما تولاها ولاية جبرية لا يصيّر ذلك قراراته وأوامره واتفاقاته ومعاهداته شرعية ملزمة للمسلمين، ولا يقول بخلاف ذلك عالم بدين الإسلام.

ومن لوازم الكفر بالطاغوت البراءة من تشريعاته واتفاقاته ومعاهداته، وليس لكافر أن يلزم المسلمين بعهوده ومواثيقه، ولو كان ذلك لازمًا للزمت المجاهدين عهود كرزاي مع أوليائه الكفار، وللزمت المسلمين في روسيا عهود ومواثيق الشيوعيين مع أعداء المسلمين، وللزمت المسلمين عهود ومواثيق ومعاهدات المحتلين من المستعمرين لبلادهم أيام الاستعمار الغربي، وكل أحد يعلم أن المجاهدين لم يكونوا يلتزموها، كما أن المسلمين اليوم في فلسطين لا تلزمهم عهود اليهود الحاكمين الجبريين لهم.

وكذلك الشأن في عهود ومواثيق وقوانين الحكام المرتدين المحاربين للدين التي أقرتها مجالسهم وبرلماناتهم الشركية، فإنها لا تلزم المسلمين الكافرين بهم وببرلماناتهم وقوانينهم الكفرية، بل إن الحاكم المسلم الذي يحكم بما أنزل الله والذي له الولاية على المسلمين لا يلزم باتفاقاته ومعاهداته من كان ليس تحت ولايته السياسية من المسلمين، فكيف بالحكام الكفرة واتفاقاتهم؟؟

ويدل على هذا دلالة صريحة ما رواه البخاري في كتاب الشروط من صحيحه في باب (الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب)، ومحل الشاهد منه قصة أبي بصير رضي الله عنه وما فعله لما رده رسول الله ﷺ مع رسولي قريش للشرط الذي شرطته عليه قريش في صلح الحديبية، فقتل أبو بصير أحد الرجلين ثم أتى سيف البحر فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم.

ووجه الدلالة منه: أن أبا بصير لم يلتزم بالعهد الذي كان بين النبي ﷺ، ولا لزمه أمان النبي لهم ولرسلهم، ولو لزمه شيء من ذلك لطالبت قريش النبي ﷺ بدية الرجل العامري

الذي قتله أبو بصير، ولغرمته ما كان يأخذ من تجاراتهم وقوافلهم بعد ذلك، ولكنهم لم يفعلوا شيئًا من ذلك لأن أبا بصير لم يكن داخلًا تحت ولاية الرسول السياسية حين عقد العهد مع قريش.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله [١]: (وفي قصة أبي بصير من الفوائد جواز قتل المشرك المعتدي غيلة، ولا يعد ما وقع من أبي بصير غدرًا لأنه لم يكن في جملة من دخل في المعاقدة التي بين النبي ﷺ وبين قريش، لأنه إذ ذاك كان محبوسا بمكة...).

قال: (فيه أن من فعل مثل فعل أبي بصير لم يكن عليه قود ولا دية).

(واستنبط منه بعض المتأخرين أن بعض ملوك المسلمين مثلًا لو هادن بعض ملوك الشرك فغزاهم ملك آخر من المسلمين فقتلهم وغنم أموالهم جاز له ذلك، لأن عهد الذي هادنهم لم يتناول من لم يهادنهم..) أهـ.

وهذا الذي قاله ذكره ابن القيم رحمه الله عن شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال في الفوائد الفقهية لصلح الحديبية [٢]: (ومنها: أن المعاهدين إذا عاهدوا الإمام فخرجت منهم طائفة فحاربتهم وغنمت أموالهم ولم يتحيزوا إلى الإمام؛ لم يجب على الإمام دفعهم عنهم ومنعهم منهم، وسواءً دخلوا في عقد الإمام وعهده ودينه أو لم يدخلوا.

والعهد الذي كان بين النبي ﷺ وبين المشركين لم يكن عهداً بين أبي بصير وأصحابه وبينهم.

وعلى هذا فإذا كان بين بعض ملوك المسلمين وبعض أهل الذمة من النصارى وغيرهم عهد، جاز لملك آخر من ملوك المسلمين أن يغزوهم ويغنم أموالهم إذا لم يكن بينه وبينهم

---

[١] فتح الباري (٥/٣٥١).

[٢] زاد المعاد (٣/٣٠٩).

عهد، كما أفتى به شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية قدس الله روحه في نصارى ملطية وسبيهم مستدلاً بقصة أبي بصير مع المشركين) أهـ.

وقال ابن قدامة رحمه الله [١]: (إنما أمناهم ممن هو في دار الإسلام الذين هم في قبضة الإمام، فأما من هو في دارهم ومن ليس في قبضته فلا يمنع منه، ولهذا لما قتل أبو بصير الرجل الذي جاء لرده لم ينكره النبي ﷺ ولم يضمنه، ولما انفرد هو وأبو جندل وأصحابهما عن النبي ﷺ في صلح الحديبية فقطعوا الطريق عليهم وقتلوا من قتلوا منهم وأخذوا المال لم ينكر ذلك النبي ﷺ ولم يأمرهم برد ما أخذوه ولا غرامة ما أتلفوه). أهـ.

فالمسلمون المقيمون تحت ولاية الطواغيت السياسية القهرية ودولهم الكافرة، ومن باب أولى المجاهدون المطاردون دومًا والمحاربون من قبل الطواغيت وأوليائهم الأمريكان؛ ليس بينهم وبين هؤلاء الطواغيت ولاية، بل الحرب قائمة بينهم ومعلنة من قبل الطواغيت عليهم، ولذلك فلا تلزمهم عهود هؤلاء الطواغيت ولا مواثيقهم ما دامت ولايتهم كفرية قهرية غير شرعية ولا اختيارية، وما داموا لا يأمنون فيها على أنفسهم وأموالهم ودمائهم ودينهم، فهم أنفسهم غير مؤمّنين من قبل الطواغيت وأوليائهم، ومن ثم فكيف يؤمّنون أعداءهم بأمان أعداء لهم؟

بل هم عرضة لانتهاك حرمة بيوتهم من قبل الطواغيت وأنصارهم، ونهبها، وترويع من فيها، واعتقالهم وزجهم في السجون، أو تلفيق التهم لهم، وإعدامهم، أو تسليمهم للصليبيين في أي ساعة من ليل أو نهار.

وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ قول فصل في ذلك..

---

[١] المغني (٨/٤٦٤).

أما ولايتهم الدينية: فمن نواقض الإسلام أن يدخل المسلم مختارًا تحت ولاية الكافر الدينية، قال تعالى: ﴿لايَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وعليه فمن البديهيات أن كل من أعلن براءته من سلطة الطواغيت وولايتهم السياسية والدينية وعاداهم فصار في عدوة غير عدوتهم وشاقهم فصار في شق غير شقهم؛ أن يكون بريئًا من مواثيقهم وعهودهم وقوانينهم، كحال المجاهدين الكافرين بالطاغوت في كل مكان الذين برؤوا من الطواغيت وبرئ الطواغيت منهم، وأعلنوا الحرب عليهم، وظاهروا الكفار عليهم وعلى كل موحد سلك طريق الجهاد الذي سموه بالإرهاب تبعًا لتسمية إخوانهم الذين كفروا من اليهود والنصارى.

ومن ثم فقد ظهر وبوضوح: أن من التخبط الواضح والتلبيس البين والجهل المفضوح دعوى أن الصليبيين الأمريكان معاهدين، وأن ما يقوم به المجاهدون من جهادهم وحلفائهم غدر وخيانة للعهود، وأن حشد وحشر أحاديث الوعيد على من قتل معاهدًا لمنع جهادهم أو لتحريم التصدي لهم في أي بقعة من بقاع الأرض كما يفعل رهبان السلاطين هو في الحقيقة من الكذب على دين الله والتلبيس على عباد الله [١].

---

[١] انظر رسالة (برآة الموحدين من عهود الطواغيت والمرتدين) ففيها خير عظيم ورد لكل ناعق في هذا الزمن والله المستعان.

وتتميمًا للفائدة نقول للشباب المجاهد: ربما تفلسف منافقون أو جهال للزعم بأن هؤلاء مستأمنون، وهذا مردود من ثلاثة وجوه شرعية نذكرها تأكيدا لما مضى:

١ – لا يعتبر الكافر الحربي مؤمناً في دار الإسلام إلا بأمرين كما قال العلماء: إيمان أو أمان.

٢ – الإيمان وهو بدخوله في دين الإسلام وبذلك يحرم دمه وماله إلا بحقه وحسابه على الله.

٣ – أمان: وهو نوعان:

أ – دائم لأهل الذمة المقيمين

ب – مؤقت للتجار والعابرين وذلك مقابل شرطين:

أ – حاكم مسلم شرعي يحكم بشرع الله المطهر طاعته واجبة وأمانه محترم.
ب – مال يدفعه الكافر كالجزية والعشور لبيت مال المسلمين مقابل هذا الأمان.

فأين هذا من حالنا يا علماء السلاطين وديدان القراء؟!! أين الحاكم المسلم المطبق لشرع الله حتى نحترم معاهداته وأمانه؟! ابحثوا عنه في قوانين الكفر الحاكمة وصالات القمار ومواخير الدعارة فهناك ستجدون الحكام الذين تجادلون عنهم في الحياة الدنيا.

وأين الجزية ومن يدفعها؟ ألا ترون وأهل الإسلام صاروا عبيداً وصارت أموالهم سلباً ونهباً، وجزية يجبيها اليهود والنصارى بفضل الحكام المرتدين صباح مساء، فهذا الكلام باطل وهو مردود على صاحبه.

ثم إن رسول الله ﷺ حرم جزيرة العرب على المشركين، ولا يصح ما أحله المرتدون منها للنصارى والمشركين، فكافة أشكال تواجد اليهود والنصارى هي هدف حربي مشروع للمشركين قتلاً وغنيمة والله المستعان، هذا جهاد هجومي، وأما الجهاد الدفاعي فهو دفع من جاء من قوات الحكومة الأمن أو الشرطة أو غير ذلك جهاد دفع صائل اللزوم، مع استمرار دعوتهم وإعلان عدم قصدهم ليعود من فيه الخير إلى رشده، ويُعذَر المجاهدون أمام عموم المسلمين في قتال من أبى إلا الدفاع عن مصالح اليهود والنصارى والحكومات المرتدة في الجزيرة. انظر رسالة (مسؤولية أهل اليمن) (٢٥).

مواصفات عناصر فريق الاغتيال

إن الحرب المعاصرة مع الكفار سواء كان الكافر أصلًيا في كفره أو مرتدًا تختلف عن الحروب في أزمان مضت، حيث أن العدو تسلط على رقاب المسلمين بالردة المنظمة التي ينشرها عملاء اليهود والنصارى في بلاد المسلمين، وإزالة هؤلاء تحتاج إلى تكاتف الجهود وتكثيف العمليات الجهادية ضد مصالح الكفر والكافرين في كل مكان، وتكاليف ذلك كثيرة وصعبة وشاقة، ولكن لابد منها، ولا بد من توفر صفات معينة فيمن يريد أن يكون من المجاهدين الموهوبين.

وللفائدة فهذا النوع من الحروب يسمى في علوم الاستراتيجية الحديثة بحروب الجيل الرابع، أو الحرب غير المتوازية "بالياء" تمييزًا لها عن الحرب غير المتوازنة "بالنون"، ويقصد بالحرب غير المتوازية أن يستخدم الخصم وسائل وأساليب يستحيل على المدافع عن نفسه أن يستخدمها أو يتعرف عليها أو يتفاداها.

وقد أشار إلى هذا النوع من المواجهة تقرير استراتيجي شامل سلم للرئيس الأمريكي كلينتون قبل مغادرته البيت الأبيض، قال التقرير إن أمريكا قد هيمنت على العالم ولم يعد هناك من يستطيع أن يجابهها عسكريًا ولا اقتصاديًا ولا سياسيًا ولا استخباراتيًا، وإن الخصم الوحيد الذي يمكن أن يؤذي أمريكا هو من يستخدم أساليب الحرب غير المتوازية، واعتبر التقرير من يستخدم هذا النوع من المواجهة خطرًا هائلًا على أمريكا إلى درجة أنه يمكن أن يتسبب في خلخلة داخلية في أمريكا إن لم تحسن التعامل معه، وتنبأ التقرير بأن تبدأ علامات هزيمة أمريكية إن نجح خصم أمريكا في امتصاص الرد الأمريكي على هجوم من قبله وتمكن من توجيه أكثر من ضربة لأمريكا [١].

---

[١] انظر نشرة الإصلاح رقم (٣١٧).

أهم الصفات اللازم توفرها في المجاهد الذي سينفذ عملية الاغتيال:

١- وضوح العقيدة والمنهج؛ فيعلم الأخ لماذا يقاتل ومن يقاتل وكيف ومتى.

٢- اللياقة البدنية والقتالية الفردية العالية (جري، جبال، تسلق، قيادة سيارة، دراجة نارية).

٣- إتقان التعامل مع عملية الخطف والاغتيال.

٤- الذكاء وحضور البديهة.

٥- الحس الأمني.

٦- النفسية الإرهابية.

٧- الشجاعة وهدوء وبرود الأعصاب.

٨- الفتوى الشرعية وهذا يدخل في رقم (١) وأفردناه لأهميته [١].

ولتدريب عناصر الفريق:

١- يتم اختيارهم من العناصر صعبة الانكشاف، ومن الشخصيات الاجتماعية ذات الحركة الدؤوبة والبعيدة عن شك الأنظمة المرتدة العميل، ثم إعدادهم ببرنامج مخصص لهذا الهدف.

---

[١] هذا المعلومات تجدها كاملة في موسوعة الجهاد الكبرى مع بعض الإضافات مني أنا العبد الفقير.

٢- تدريبهم على القتال القريب في أندية أو قاعات سرية باستمرار، بشرط أن لا يزيد عدد الخلية التدريبية الواحدة (الفريق أو المجموعة (الثبات) [١]) عن ثلاثة أشخاص.

وبرنامج تدريب هؤلاء هو تدريبهم من ناحية أمنية، ويزاد على ذلك التعمق في عمل الشراك الخداعية والتفجير عن بعد والتدريب على القتل بشكل عملي، وذلك بخطف أناس محكوم عليهم بالكفر وإجراء عملية القتل من قبل أفراد مجموعة الاغتيال، والإكثار من التدريب على الرماية على المسدسات وطرق الرمي عليها، والمهارة في استعمال السكين والسموم، وبرنامج للتدريب الرياضي وقوة التحمل مع شرح تفصيلي لمناطق الضعف في

---

[١] يقول سيد رحمه الله في ظلاله (٢/ ٧٠٤ - ٧٠٥) عند قوله تعالى: ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً﴾: (وإن الإنسان ليعجب وهو يراجع القرآن الكريم فيجد هذا الكتاب يرسم للمسلمين بصفة عامة طبعا الخطة العامة للمعركة وهي ما يعرف باسم (استراتيجية المعركة)، ففي الآية الأخرى يقول للذين آمنوا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾، وفي هذه الآية يقول للمؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً﴾ وهي تبين ناحية من الخطة التنفيذية أو ما يسمى (التاكتيك).

وفي سورة الأنفال جوانب كذلك في الآيات: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ وهكذا نجد الكتاب لا يعلم المسلمين العبادات والشعائر فحسب، ولا يعلمهم الآداب والأخلاق فحسب كما يتصور الناس الدين ذلك التصور المسكين! إنما هو يأخذ حياتهم كلها جملة ويعرض لكل ما تتعرض له حياة الناس من ملابسات واقعية.

وها هو كتاب الله يرسم للمسلمين جانبًا من الخطة للمعركة المناسبة لموقفهم حينذاك ولوجودهم بين العداوات الكثيرة في الخارج وحلفائهم من المنافقين واليهود في الداخل!!.

﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً﴾: (ثبات) جمع ثبة أي مجموعة، والمقصود لا تخرجوا للجهاد فرادى، ولكن اخرجوا مجموعات صغيرة أو الجيش كله حسب طبيعة المعركة) أ. هـ باختصار.

جسم الإنسان، ولا بد لفريق الاغتيال أن يتدرب على أساليب القتل عمليًا سواءً كان القتل بالمسدس أو البندقية أو السكين أو الفأس أو الخنق أو بالسم.

٣- تخصيص برنامج مطالعة في المكتبة الأمنية والجاسوسية لصقل حسهم الأمني وتطويره، مع الحذر من التضخيم المتعمد من اليهود والنصارى لأجهزتهم ونشرهم لها بين الناس عن طريق أفلام هوليود وغيره حتى ارهبوا الناس من CIA أو FBI أو الموساد، وقد فضحهم الله بضربات المجاهدين المتتالية في تنزانيا وكينيا وعدن ونيويورك وواشنطن ومومباسا إلخ.

٤- متابعة أخبار العمليات الحقيقية التي تجري هنا وهناك لإثارتهم من جهة، ولتوسيع الأفق والمدارك من جهة أخرى.

٥- دراسة (الأماكن، المدينة، العاملين فيها) وإتقان مداخلها ومخارجها ووسائل النقل فيها.

٦- تدريبهم على أسلحة الخطف والاغتيال، والتي ستأتي بنوع من التفصيل.

٧- يتم تدريب الجدد بحضور عمليات بصفة مراقبين أو حماية ثم يتحول فيما بعد للتنفيذ.

أفضل حالات الاغتيال

١- إذا كان الهدف وحيدًا ليس معه حماية بعيدًا عن مرافقيه.

٢- إذا كان الهدف بعيدًا عن منزله أو مكتبه والحماية ضعيفة.

٣- إذا كان الهدف يسير على قدميه في الشوارع.

٤- عند خروج الهدف أو دخوله من أحد المباني أو السيارة، حيث هذه تكون من النقاط الضعيفة بالنسبة لرجال الحماية وبالذات إذا كانت طريقة الاغتيال عن بعد.

٥- إذا كان حس الهدف الأمني ضعيفًا ولا يميز بين التحركات العادية وغير العادية.

٦- إذا كان الهدف يعلن عن تحركاته، مثلًا: زيارة مكان، إلقاء محاضرة، حضور مؤتمر.

٧- إذا كان الهدف له عادة ونظام معين في السفر أو سلوك طريق معينة في الوصول إلى مكان محدد.

٨- إذا كان الهدف لا يتقيد بالنظام الأمني لمجموعة الحماية.

٩- إذا كان الهدف يقوم بفتح بريده بنفسه أو يفتح الأبواب بنفسه للضيوف.

١٠- إذا كان الهدف أثناء تنقله وسفره يستعمل نفس الأماكن مثل الفندق وشركة الطيران والجناح الذي ينزل فيه.

١١- إذا كان الهدف يقابل الأشخاص دون موعد مسبق.

١٢- إذا كان الهدف يستقبل الزوار في جناحه الخاص وليس في قاعة مخصصة لذلك.

١٣- إذا كان الهدف يتنقل ليلًا... إلخ.

خصائص ومراحل عملية الاغتيال [١]

خصائص عملية الاغتيال:

١- المفاجأة.

٢- الردع.

٣- السرعة والهدوء في التنفيذ.

٤- السرية في إعداد الخطة واختيار الأشخاص والتدريب والتنفيذ.

مراحل عملية الاغتيال:

أ - خطة الاغتيال:

١- تحديد الهدف.

٢- إجراء استطلاع كاف له (معاينة، مراقبة، تفتيش سري... إلخ)، والاستطلاع أهم فقرات خطة الاغتيال إذ به تحدد طريقة القتل والانسحاب ولوازم العملية... إلخ.

٣- تحديد طريقة القتل.

٤- التنفيذ.

٥- عملية الانسحاب.

---

[١] انظر موسوعة الجهاد الكبرى (١/ ٥١١ - ٥١٢).

٦- عملية الاستطلاع وتشكل: حركته، مواعيده الثابتة والمتحركة، محل السكن، طريق مسيره، أفكاره، نفسيته، نقاط ضعفه الثابتة والمتحركة، ومراقبته مراقبة جيدة، فمثلًا معظم هذه الشخصيات لها عشيقات أو على صلات مخزية أو يترددون على أمكنة لا يريدون أن يراهم أحد من العموم وخط سيرهم بذلك يكون بأدنى حراسة (نقطة ضعف) وهكذا.

وعملية المراقبة هي فن قائم بذاته، ويجب الاقتراب من الهدف بل إقامة علاقة معه إن أمكن، ويجب اشتراك المنفذ في الاستطلاع ولو في مراحله الأخيرة.

ب - عملية التنفيذ:

وعملية التنفيذ تتم بعدة طرق وأساليب نذكرها هنا على سبيل الاختصار والإجمال، وستأتي مفصلة في المبحث القادم:

أولًا: الاغتيال عن بعد: بالقنص الكاتم، أو بنسف قنبلة موقوتة أو لا سلكية التفجير.

ثانيًا: الاغتيال الفردي المباشر: حيث يقوم المنفذ بإعدام الهدف وبرفقته فرد أو اثنان للحماية.

ثالثًا: الاغتيال بمجموعة: بنصب كمين لسيارة الهدف أو مهاجمة بيته أو مقر عمله.

وآمن هذه الطرق هي الطريقة الأولى ثم الثانية لأنهما أقل خسارة من الثالثة، والله تعالى أعلم.

وعمومًا فعمليات الاغتيال تحتاج إلى منفذ ذي مواصفات خاصة، وأن يكون مجاهدًا موهوبًا، وبعد تنفيذ عدد من الاغتيالات الناجحة يكون المنفذ مختصًا محترفًا وذلك بعد قيامه بثلاث عمليات اغتيال وعملية خطف (متخصص درجة أولى يمكن إسناد قيادة بعض الخلايا له).

أمنيات عملية الاغتيالات [١]

١- الفتوى الشرعية باغتيال الشخص المطلوب موضحًا فيها بالأدلة الشرعية.

وسنذكر بعض النماذج المقترحة للاغتيال على الترتيب الأولوي فيما سيأتي، ومثل هذا البحث سيريح الكثير من الشباب المجاهد في مثل هذه المسألة بإذن الله.

٢- مجاهد مسؤول أمني يدرس المهمة بكاملها ثم يضع الخطة، ويمكن الزيادة والنقصان على حسب الحال.

٣- اختيار الأشخاص المنفذين كل على حسب المهمة التي سيقوم بها، ولا بد أن تكون إمكاناته الشخصية تؤهله للقيام بجزء خاص به من المهمة مع مراعاة ما يلي:

أ. كل مجاهد لا يعلم عن مهمة أخيه شيئًا إلا إذا كانا مجاهدين يعملان معاً.

ب. تحديد نوع الساتر [٢] لكل جزء من المهمة.

---

[١] موسوعة الجهاد الكبرى (١/ ٥١٥ - ٥١٧).

[٢] **الساتر هو**: عبارة عن المظهر الخارجي الذي يتخذه الأفراد أو الجماعات لإخفاء حقيقة العمل السري ولإخفاء نشاطهم عن العدو المضاد. (القصة العلنية التي تخفي وراءها حقيقة العمل السري).

شروط الساتر:

١ - إخفاء حقيقة وجود الهدف (المكان) الذي يكون فيه العمل السري، مثلًا يكون الساتر مطعمًا كي تتم فيه المقابلات السرية لرئيس الشبكة (المجموعة) مع بقية المجاهدين أو أي مقابلة سرية، فلا بد أن تكون الحقيقة التي أنشأ من أجلها الطعم مخفية تماما.

٢ - إخفاء حقيقة وجود الأفراد داخل الهدف، فالذي يعمل استعلامات يمارس هذا العمل أو عامل في مقهى بكل مستلزمات المهنة التي يتستر خلفها.

٣ – إخفاء حقيقة الاتصالات السرية بين الأفراد داخل الهدف الساتر، قد ينشأ ولا يعرف الهدف منه إلا الشخص المسئول عن العمل السري ومن يساعده فقط.

٤ – يرضي فضول الناس ولا يثير تساؤلاتهم عن أشياء غريبة، أي يكون مطابقًا للحالة الاقتصادية والاجتماعية والمهنية لأهل المنطقة، وهذا أهم شيء في الساتر، لذلك يكون أفراد الساتر من نفس أهل البلد والمنطقة التي فيها يقام الساتر، وأن يكونوا بعيدين عن أي شبهة أو مخالفة، وذلك قبل تجنيدهم وبعد تجهيزهم عند إنشاء الساتر.

٥ – يقنع (ينطلي على) أجهزة الأمن المضاد.

٦ – يتناسب مع الموقع الذي اختير له، فنعمل ساتر عيادة طبيب في مكان فيه عيادات أو يصلح وجود عيادة فيه أو إنشاء مكتبه بجانب المؤسسات التعليمية وليس في سوق خضرة أو سوق حدادة.

٧ – يتناسب مع طبيعة المهمة السرية ولا يتناقض معها، مثلًا نريد أن نعرف الثروة الحيوانية ننشئ مثلًا جمعية الرفق بالحيوان أو مستشفى بيطري أو مركز أبحاث على الحيوانات وهكذا.

٨ – أن يمارس الساتر فعلًا، فإذا كان مكتب استيراد أو بيوت للاستئجار أو محل تجاري لا بد أن يمارس هذا العمل بكل مواصفاته.

٩ – أن يوفر الساتر دخلًا ماديًا يغطي نفقات العمل السري، وبهذا يحل مشكلة نفقاته، ويجعل وجوده مقنعًا، ولا بد أن يكون الربح في مستوى الساتر، وكذلك الإعلان عن الخسارة لأنها تلفت الأنظار.

١٠ – يجب توفر المستندات المؤيدة للساتر الدائم (هوية شخصية، هوية عمل) إلخ.

١١ – أن يزاول الساتر عمله قبل بدء العمل السري بفترة لا تقل عن سنة، حتى يقنع ويخدع الأمن المضاد أو الطرف المضاد.

أنواع السواتر:

١ – ساتر مؤقت: وهو ساتر موجود في مكان معين أو هدف لفترة محدودة هي فترة القيام بالعمل السري، مثل مراقبة شخص في مكان أو معاينة مكان.

٢ – ساتر دائم: وهو ساتر التواجد المستمر في البلد أو المنطقة لفترة معينة (طالب، تاجر، مدرس)، وهنا يجب تواجد المستند لهذا (جواز، هوية، إقامة).

ج- تحديد المجاهدين المنفذين للساتر أيًا كان نوعه.

د- وضع طرق الاتصال، وتحديد صناديق البريد الرئيسية والبديلة والطارئة، والتدرب على أجهزة الاتصال التي سوف تستعمل.

وهنا ننبه إلى أنه يجب على المجاهدين استخدام وسائل الاتصال الحديثة مثل البريد الإلكتروني والماسنجر والبالتوك، والحذر من الهواتف النقالة.

٤- تحديد ميزانية العملية منذ استلام الفتوى الشرعية.

٥- تحديد طريق تمويل المهمة وتشمل:

أ. عملية تنفيذ السواتر.

ب. عملية تنفيذ كل جزء من المهمة.

٦- تحديد الأشخاص الذين سيقومون بعملية التمويل سواء داخل البلاد التي سيتم تنفيذ العملية بها أو خارجها، وبالذات عملية إنشاء السواتر.

---

٣ - الساتر المطّعم الخداع: ويهدف إلى تضليل الأمن المضاد واستهلاك قدراته وصرفه عن منطقة الهدف الرئيسية أو الحقيقية.

راجع موسوعة الجهاد الكبرى (١/ ١٤٣ - ١٤٨) ففيها تفصيل حول مراحل بناء الساتر واحتياجات الساتر وملاحظات حول الساتر وما يتعلق به، وإنما نقلت هنا ما يبين معنى الساتر إذا مر في ثنايا البحث، وليعلم المجاهدين أن الأهداف المتاحة في جزيرة العرب بالذات لا تعد ولا تحصى، وهي سهلة لا تحتاج في كثير من الأحيان إلى كل هذه المتطلبات، ولكن أحببنا التوجيه حتى يكون العمل كبيرًا ومستمرًا، وحتى نحافظ على الشباب ما أمكننا ذلك، والله الحافظ.

٧- أفضل طرق التمويل أن المسؤول عن جزء من عملية الاغتيال يكون معه تمويله فقط (نقدًا)، وهو يمول من يجنده للعمل معه.

٨- تحديد مدة الإعداد لكل جزء من مهمة الاغتيال على أن يكون هناك مجال للزيادة والنقصان.

٩- تحديد وقت البدء في عملية الإعداد.

١٠- استلام انتهاء إعداد كل جزء من المهمة.

١١- تحديد البدء في التنفيذ وتحديد مدة زمن التنفيذ فيما إذا كان كمينًا وحسب طريقة التنفيذ.

١٢- التدريب على التنفيذ بشكل جيد.

١٣- وضع احتمال أن العملية قد تلغى.

١٤- وضع الأسباب التي قد تؤدي إلى إلغاء العملية.

١٥- تحديد طرق الوصول للمنفذين.

١٦- تحديد طرق الانسحاب الرئيسية والبديلة والاحتياطية.

١٧- تحديد الوسيلة المستعملة في الانسحاب الرئيسية والبديلة.

١٨- استلام انتهاء تنفيذ عملية الاغتيال بالنجاح أو الفشل.

١٩- دراسة وتحليل ونقد وتوصيات لعملية تنفيذ المهمة بكاملها.

٢٠- رفع تقرير عن تنفيذ المهمة مع الدراسة والتحليل والنقد ورفع التوصيات.

٢١- كل مجاهد مسؤول يرفع تقرير عن جزء المهمة التي كلف بها.

٢٢- المجاهد المسؤول عن العملية كلها يناقش مع كل مجاهد دراسة وتحليل ونقد إذا كانت الظروف تسمح بذلك

أجزاء مهمة الاغتيال [١]

ج١ – الشخص الممول أو الجهة الممولة، ولا بد أن تكون ثقة مأمونة، ولا تعرف عن الهدف المطلوب شيئًا، وتسلم ميزانية العملية كلها للمجاهد المسؤول عن العملية، ولا تكون مقسمة على مراحل بل تكون كلها بيد مسؤول العملية خوفًا من حصول طارئ يعطل عملية التمويل، ومسؤول العملية لا يعرف من هي الجهة الممولة.

ج٢ – معاينة [٢] أماكن إنشاء السواتر وهي تتم قبل عملية إنشاء الساتر.

ج٣ – تنفيذ السواتر المطلوبة للعملية كلها.

ج٤ – معاينة أماكن تنفيذ العملية، وتشمل المعاينة مكان اغتيال الشخص أو الأشخاص، وتحديد المسافة للقناص (إذا كان الاغتيال قنصًا)، وتحديد مكان وضع السلاح والذخيرة والمناظير قبل الاستعمال، وتحديد مكان وضعها بعد الاستعمال، وإذا كان الاغتيال بالهاون فيجب أخذ الزوايا واستخراج إحداثيات الرمي ومعاينة مكان الراصد ومعاينة مكان وضع الهاون ومكان إخفاء ذخيرته، والذي يقوم بهذا العمل شخصان أحدهما الراصد والثاني الرامي، ولا يعرفان بعضهما ولا يوجد معهما عند التنفيذ أحد غيرهما، ويتم تدريب الرامي

---

[١] موسوعة الجهاد الكبرى (١/ ٥١٧ – ٥٢٠).

[٢] المعاينة هي: تعريف شخص بمكان ما لا يعرفه عن طريق الرسم أو الوصف أو الاثنين معًا، ويعتبر مصدر من مصادر المعلومات وأسلوب من أساليب جمع وتدقيق المعلومات القادمة إلى القيادة من مصادر أخرى (استخبارات، عملاء، أسرى، خرائط... إلخ)، وهي مجموعة التدابير المتخذة لجمع المعلومات الدقيقة عن العدو وتحركاته بغية مساعدة القيادة على اتخاذ قرار سليم بناء على معلومات دقيقة وعدم التعرض للمفاجئات.

انظر الموسوعة (١/ ١٤٩ – ٢٥٨) ففيها تفصيل موسع مع تطبيق عملي مع نماذج وملاحق لا يستغني عنها من أراد أن يكون مجاهدًا موهوبًا.

والراصد بعد جمع كل المعلومات في تحديد المسافة والزوايا والإحداثيات في مكان مشابه، وفي الموعد المحدد ينقلان إلى مكان التنفيذ، والرامي لا يعرف الراصد فقط يتم الاتصال بينهما بعد تحديد الزمن والمدة والموجه، ولا بد من تدريب الرامي والراصد على الوصول للمكان والخروج منه وتنفيذ العملية والطرق التي يسلكانها وكل الأعمال التي سيقومان بها بعد تنفيذ العملية، وتحديد كل شيء لهما بدقة، والتدريب يشمل كل شيء منذ بداية نقلهم إلى مكان التنفيذ إلى إخراجهم من البلد التي تمت فيها العملية، كل هذا لا بد من التدريب عليه.

ج٥ – جمع المعلومات عن الهدف المطلوب والتأكد منها.

ج٦ – مراقبة الهدف المطلوب سواء كان فردًا أو تجمعًا.

ج٧ – إعداد موقع الرماية سواء للقناص، مثل فتح مساحة صغيرة أو صنع موقع أسمنتي مع قاعدة حديدية وصغيرة لركبة الهاون ينزل بها إذا لم يمكن نقل قاعدته.

ج٨ – مجموعة نقل السلاح مع ذخيرته سواء قناصة أو هاون، وهؤلاء لا بد من تحديد مكان وضع السلاح لهم ويحدد لهم بعلامات واضحة، أو يكون هناك شخص آخر يقوم بالاستلام ووضع السلاح مكانه، وفي هذه الحالة لا بد من تحديد الوقت بدقة حتى لا يلتقي أحدهما بالآخر، وإذا كان السلاح سوف يشترى أو يسرق فلا بد من شخص آخر يقوم بهذا العمل، والذي يوجه عملية الشراء المسؤول عن هذا الجزء من العملية.

ج٩ – المجاهد الذي يؤمن أجهزة الاتصال ويحدد شفرة الاتصال لكل أجزاء المهمة ويربط مسؤول العملية كلها بمن دونه.

ج١٠ – مجموعة المساعدة في التغطية والإخفاء، وهذه المجموعة كل فرد منها يكلف بمهمة، ومن مهام هذه المجموعة:

أ – نقل الرامي والراصد خارج نطاق مكان التنفيذ باثنين كيلومتر خلال ثلاث دقائق من التنفيذ، وخمسة كيلومتر بعد ثمانية دقائق من التنفيذ، وفي أقرب مكتب سفريات لمغادرة المحافظة بعشر دقائق، وإذا كان المطار قريبًا يكونوا في صالة المغادرة خلال ربع ساعة، وإذا قبض على أحدهم يكون المسؤول الأول عن العملية والمسؤول عن المهمة الجزئية خارج البلد خلال ربع ساعة، والأفضل أن يكون المسؤول عن العملية كلها والمسؤول عن الراصد في بلد مجاور.

ب – إخفاء السلاح وإزالة الآثار بقدر الإمكان.

ج – إعداد المكان التام والمغطى والمعد لمدة شهر لإخفاء الرامي والراصد، بحيث لا يبعد المكان المعد عن مكان التنفيذ للوصول إليه أكثر من خمس دقائق.

د – الاستعداد لترحيل أي مجاهد قد ينكشف أمره إلى مكان آخر.

هـ – مجموعة إثبات الوجود، أي تثبت وجود الرامي والراصد في مكان آخر بعيدًا عن مكان العملية.

و – تأمين أدوات تغيير الملامح والملابس وإعداد وثائق السفر والجوازات وإعداد البطاقات الشخصية بالملامح الجديدة حتى يتجاوز نقاط التفتيش إذا وضعت نقاط حراسة، ولا بد أن يكون في بيانات البطاقة أنه من أهل المنطقة وليس غريبًا عنها، وإعداد النقود اللازمة، ويفضل أن يكون للمنفذ شكل وبعد التنفيذ شكلًا آخر، ولا بد من الانتباه إلى أن يتلف بطاقة الشكل الذي انتهى منه ويبقى معه بطاقة الشكل الجديد.

ز – إعداد أخصائي جراحي في التجميل لتغيير شكل المنفذ أو المسؤول الأول عن العملية كي يغادر البلد بشكله الجديد بعد إعداد البطاقة والجواز بشكله الجديد [١].

ج١١ – مجموعة لفت أنظار رجال الأمن للهدف المعادي، وهذه المجموعة تقوم بعمل يثير ويشغل رجال أمن الهدف المعادي، ولا بد من مراعاة الدقة في الموعد بين هذه المجموعة ومجموعة تنفيذ عملية الاغتيال، وإذا كانت عملية الاغتيال بالهاون فأنسب شيء عمله هو أصوات عالية مثل أصوات السيارات أو المحركات أو استعمال أبواق السيارات بحيث تعطي على صوت القذيفة عند نزولها أو عند صوت الإطلاق من القناصة إذا لم يكن لها كاتم صوت.

والاغتيال بالهاون أفضل الأهداف له تجمعات رؤساء الدول أو ضرب مقرات اجتماعات الحكومة، مثل مباني الحكومة والمخابرات والأركان وبيوت الرئاسة، وإذا كان الهدف المطلوب شخص رئيس دولة مثلًا فأفضل الأماكن لاغتياله عندما يتواجد في المكان الصيفي له، أو عندما يزور المعسكرات، أو أثناء حضور المهرجانات العامة، أو حضور العمليات العسكرية، أو عند إلقاء خطاب، ففي هذه الحالة يمكن استغلال أصوات الحشود والآليات للتغطية، وإذا كان هنالك عرض جوي يمكن استغلال صوت الطائرات.

ج١٢ – مجموعة التجنيد والخرق، ومهمتها تجنيد من تحتاجهم المهمة، وأهم عملها أن تجند رجلًا من مجموعة المرافقة للهدف المعادي، أو أن تزرع عميلًا داخل فريق الحماية والمرافقة، وهذه العملية تكون مكلفة ماديًا.

---

[١] ما يجوز في الجهاد لا يجوز في غيره من المواطن، وما يجوز للمجاهد المقاتل لا يجوز لغيره القاعد.. وهذه مسألة بينة واضحة تضافرت عليها أدلة الكتاب والسنة، وهي تحتاج إلى بحث مستقل لعل أحد طلبة العلم يقوم بهذا..!.

ولا بد لها من جمع معلومات عن كل شيء عن الشخص الذي يقع عليه الاختيار لتجنيده، قد تصل مرحلة جمع المعلومات لخمس سنين وربما أكثر، واختيار نقطة الضعف فيه أو السيطرة عليه بطريقة من الطرق.

ج١٣ – مجموعة التدريب على الأجهزة والأدوات المستخدمة في الاغتيال، مثل المسدس مع الكاتم، أو أجهزة التفجير عن بعد، أو إحدى أدوات القتل الموجودة والآليات المختلفة.

ج١٤ – الإخلاص لله وحسن التوكل عليه والإعداد نهاية المستطاع.

ج١٥ – إن ما كتبناه صواب يحتمل الخطأ من وجهة نظرنا، وقد يكون خطأ يحتمل الصواب من وجهة نظر الآخرين، فنأمل إضافة الصواب الذي عندهم إلى الصواب الموجود في هذا الفصل وجزاهم الله خيرا [١].

[١] راجع الموسوعة (١/ ٥١٧ – ٥٢٠).

أساليب وطرق الاغتيالات [١]

الطريقة الأولى: جهاز التفجير عن بعد لا سلكيًا (الريموت كنترول):

يعتبر هذا الجهاز من أصلح عمليات الاغتيال وأكثرها ضماناً من الناحية الأمنية للأفراد والجماعة. المسؤولة والمخططة المواد المستخدمة:

١ - جهاز إرسال لاسلكي.

٢ - جهاز ارتباط بجهاز اللاسلكي لإعطاء رقم أمان الموجة: وقد يركب هذا الجهاز بين البطاريات والجهاز وقد يكون مفصولاً مستقلاً، ولكن يوصل بواسطة وصلة بجوار الهوائي اللاسلكي.

٣ - صندوق التفجير (جهاز الاستقبال).

ويراعى في تنفيذ مثل هذه العمليات ما يلي:

١ - أن يكون جهاز اللاسلكي مع المجاهد الأول المسؤول أو أمير المجموعة، ولا أحد يعرف برقم الموجة غيره حتى يتم التفجير خشية وجود منافق ولا يعطى لأحد مهما كانت الظروف.

٢ - يتم تفقد جهاز اللاسلكي جيداً قبل الاستعمال وتجربته.

---

[١] الاغتيالات إما أن تكون صامتة أو علنية.

٣ – يتم تفقد جهاز الاستقبال وتجربته بواسطة لمبة صغيرة بدلاً من الصاعق، لأن بعض الأجهزة قد توصل التيار بدون المراسل، وبعضها يكون في جو التفجير نفس موجة الإرسال، فيؤدي هذا إلى ضياع مجموعة التفجير والخطأ الأول هو الأخير في مثل هذه الحالات.

٤ – التأكد من صلاحية أسلاك الكهرباء المستخدمة في صندوق والحشوة المراد تفجيرها.

٥ – عند عملية زرع الحشوة يجب تمويه مكان الزرع جيداً وكذلك الأسلاك المرتبطة بالصندوق والحشوة، مع العلم أن صندوق التفجير يكون في مكان بعيد عن الحشوة، حتى إذا أردنا الاستفادة منه مرة أخرى أمكن ذلك، وإذا لم يمكن الاستفادة منه ويتعذر ذلك فالأفضل وضعه مع الحشوة حتى لا يعلم طريقة الاغتيال والأجهزة المستخدمة في ذلك، وداخل المدن توضع في مكان واحد مع العبوة لتسهيل التمديد ولا تحتاج أكثر من مكان.

٦ – يجب إظهار السلك الخاص باستقبال الموجة من الهوائي مع مراعاة عملية التمويه، وإذا كانت قريبة تدفن العبوة مع الصندوق.

٧ – عند عملية التفجير يجب الأخذ بعين الاعتبار أن لا يكون هناك حواجز بين جهاز الاستقبال وجهاز الإرسال، وخاصة الجبال والمباني الكبيرة والكثيفة.

٨ – لا يعمل جهاز الاستقبال إلا إذا استقبل الرقمين المعد عليهما:

أ – رقم الموجة.

ب – رقم الارتباط أو أمان الموجة.

٩ – وفائدة هذا الرقم حتى لا يتم التفجير بالخطأ خاصة في وقت غير مناسب أو أثناء الزرع، ويأتي هذا الخطأ عندما تقوم أجهزة إرسال أخرى حكومية أو محطات الرادو ببث موجات مشابهة [١].

١٠ – إذا كان الهدف متحركاً مثل سيارة يجب قياس زمن السبق حسب المسافة وهي زمن وصول الموجة إلى جهاز الاستقبال، ولا بد من حسابه بدقة بعد معرفة المسافة والتدريب على ذلك، فهي تختلف من مسافة إلى أخرى حتى لو كان الهدف ثابتاً، ويستمر الضغط حتى يتم التفجير.

١١ – يكون مفتاح الصندوق على وضع (OFF) عند زرع الحشوة ولا يفتح إلا بعد فحصه على لمبة ثم وضع أسلاك الصاعق في آخر مرحلة لمغادرة مكان التفجير.

١٢ – أيضاً جهاز الإرسال لا تنسه مفتوحاً، فلا يفتح إلا بعد مغادرة الأشخاص مكان التفجير أو انتظار الفريسة.

١٣ – افحص اللمبة التي تريد أن تستعملها وتأكد أنها غير محروقة.

١٤ – قد يحتاج منك الموقف الضغط على الزر للتفجير أكثر من ثانيتين أو ثلاث ثوان، فأبق إصبعك حتى تصل الشاحنة إلى المستقبل.

---

[١] الأماكن الحساسة في كثير من الدول والشخصيات القيادية الهامة في تنقلاتها تستخدم جهازًا حديثًا يقوم ببث جميع ترددات الموجة اللاسلكية عبر دائرة كاملة، بحيث أن أية سيارة مفخخة معدة للتفجير عن بعد توضع في الطرق أو تتحرك في مجال هذه الترددات تنفجر تلقائياً فورًا عند دخولها مجال ترددات الجهاز.. وبذلك تحبط العملية.

١٥ – يمكن في بعض الحالات تشريك صندوق التفجير حتى نتخلص من خبير المتفجرات أو أي أشخاص في منطقة العدو، وأيضاً تتخلص من الجهاز نفسه فلا يستفيد منه العدو.

١٦ – يفحص جهاز الاستقبال على الفولتميتر حتى يعرف كم فولت يرسل مع مراقبة الأسلاك المستخدمة والصواعق ومقاومتها حتى لا تفشل المهمة، ومع الحذر أن جهاز الإرسال يمكن أن يؤثر على الفولتميتر إذا كان قريباً منه.

التحضيرات الأمنية التي تسبق عملية التفجير والتي تليها:

١ – اختيار أشخاص لهم خبرة في المراقبة والاستطلاع لتحديد السقطات الأمنية للعدو وإذا ما كان هناك وقت معين يتحرك به هذا من ناحية الزمن، أما من ناحية المكان إذا كان هناك معين يتردد عليه أم لا.

٢ – اختيار مكان مناسب للحشوة بحيث يكون من الأمكنة التي يجب أن يمر بها الخصم، مثل التقاطعات أو مداخل البنايات والشوارع، ويفضل أن يكون في مكان يجبر الخصم على تخفيف السرعة إذا كان يركب في سيارة، وهذا يختلف من عملية لأخرى.

٣ – إذا لم يكن هناك مكان مناسب ممكن أن تضع أشياء تجبر العدو على تخفيف السرعة، بشرط أن تكون هذه الأشياء غير ملفتة للنظر.

٤ – وضع صورة واضحة بالاحتمالات التي تسبق العملية لو اكتشفت وطريقة التصرف، ووضع صورة واضحة بالاحتمالات التي تتبع العملية لو نجحت وما هي الإجراءات المثلى لاستغلال هذا الفوز.

٥ – مراقبة الهدف من مركز انطلاقه يعطى نجاحاً أفضل بإذن الله تعالى.

٦ – ليس شرطاً أن يعقب التفجير انسحاب، ففي بعض الحالات يمكن الاستيلاء على هذا الخصم حياً أو ميتاً لنيل مكاسب أخرى قد تعطي فوائد أكبر.

٧ – التفريق بين الأجهزة الموجودة حسب نوعية المهمة، فبعضها قوة الإرسال فيها تصل إلى ٢٠ كيلومتر وبعضها ٧ كيلومتر وبعضها لا يتجاوز كيلومتر واحد.

٨ – دراسة عمليات اغتيال تمت سابقاً بنفس الطريقة للاستفادة منها، فمثلاً اغتيال إمام المجاهدين الشيخ عبد الله عزام رحمه الله تعالى كانت السقطة الأمنية فيها معرفة الزمان والمكان، فكان الزمان صلاة الجمعة والمكان مسجد سبع الليل الذي يخطب فيه الشيخ خطبة الجمعة، وقد وضعت الحشوة في أول المدخل الإجباري للمسجد بعد أن فشلت العملية الأولى في وضع الحشوة تحت المنبر.

٩ – لفتح الدائرة يُعَيَن شخصاً واحداً وبقية المجموعة تكون بعيدة عنه إذا حصل أي خطأ، فتكون الضحية شخصاً واحداً فقط.

١٠ – الاستطلاع التام للهدف ومكان وضع الحشوة.

١١ – إيجاد الساتر المناسب لأفراد الاستطلاع والمعاينة.

١٢ – التمويه التام لمكان وضع الحشوة، وهو يعتمد على ذكاء المنفذ وكمية المعلومات التي عنده عن الهدف ومكان التنفيذ.

١٣ – تقسيم العملية إلى أجزاء كل شخص مسؤول عن جزء لا يعلم الآخر عنه شيئاً، والذي ينسق ذلك المجاهد المسؤول عن العملية.

١٤ – استلام التمويل للعملية دفعة واحدة حتى لا تتوقف العملية لأي سبب من الأسباب.

١٥ – التدريب على العملية ومراقبة الأفراد أثناء التدريب.

١٦ – يمنع اتصال الأفراد بأحد إلا بعد انتهاء العملية، ويحدد لكل شخص الجهة التي يذهب إليها ويعيش فيها مع تأمين كل مستلزماته لمدة سنة، وذلك إذا كانت الشخصية مهمة وهذا حسب العملية.

١٧ – الإعداد لترحيل الفريق بكامله خارج البلاد وحسب الخطورة إذا اكتشف أحد أفراد التنفيذ ولو كان احتمال كشفه ضئيلاً، لأنه إذا اشتد البحث سوف يتوصل إليه ثم إلى الرأس المدبرة والمنفذة [١].

الطريقة الثانية: الرسائل والرسائل الملغومة (المفخخة):

سنتحدث هنا عن الأسلوب الثاني من أساليب الاغتيال وهو الرسائل الملغومة وأنواعها، إلا أننا نود قبل ذلك أن نتحدث عن نوعين من الرسائل القاتلة، وهما الجرثومية والرسائل الكيماوية، ولكن هذين النوعين من الرسائل غير مستعملين لأنهما محظورين دولياً [٢]:

---

[١] في الموسوعة الكبرى يوجد صور توضيحية لم نتمكن من إرفاقها لكبر حجمها مما منعنا من إرسالها عبر البريد الالكتروني فراجعها هناك.

[٢] المجاهد لا ينظر في التحليل والتحريم إلا إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولذا فهو يرفض ويحارب تشريعات الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن وكل منظمة كفرية ومن بينها الجامعة النكدة (العربية) ومجلس التعاون إلخ، بل من تحاكم إليها أو رضي بها أو دعا إليها فقد تحاكم إلى الطاغوت، فحرب الرسائل إذًا حرب مشروعة لا غبار عليها، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط.

الرسائل البيولوجية:

وسيلة قاتلة شديدة الخطورة يحرم استخدامها دوليًا على اعتبار أنها جزء من الحرب البيولوجية التي يشكل اللجوء إليها جريمة من جرائم الحرب.

وهذه الرسالة عبارة عن رسالة عادية مطلية ببعض أنواع الجراثيم التي تتحمل الجفاف لفترة زمنية وتحافظ على قدرتها على التكاثر رغم الجفاف، ويحتوي الغرام الواحد على (١٠ إلى ١٢ ألف) جرثومة من هذا النوع، ويكفي طلي الرسالة بجزء من ألف من الغرام لضمان وصول ٥ جراثيم قاتلة إلى جسم الإنسان عن طريق الفم أو الخدوش وإصابته بمرض معد يؤدي إلى وفاته فوراً أو بعد فترة [١].

---

[١] وطريقة الرسائل المسمومة هذه قد استخدمها الروس مع المجاهدين حين قتل المجاهد خطاب رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، لذلك يجب اتخاذ الإجراءات التالية:

أ – المحافظة على سرية صناديق البريد إذا كان هناك صناديق وتقسيمها إلى صناديق هامة جداً وهامة وعامة.

ب – فتح سجل يومي للبريد الوارد مع ذكر التاريخ والمصدر والبلد القادمة منه ونوعية وموضوع المادة.

ج – عدم فتح الطرود والرسائل في مكان يكثر فيه تواجد المجاهدين أو في المكاتب.

د – يكلف شخص مختص ومزود بالإجراءات والأدوات اللازمة بفتح الطرود والرسائل.

هـ – يتم اختيار مكان أمين ومعزول لفتح الرسائل كما سيأتي.

ويتم تصوير الرسائل القادمة من مصادر مجهولة أو غريبة أو مشكوك فيها وتقدم نسخ من الأصل لمن يهمه الأمر.

ز– بالنسبة للرسائل الملغومة يتم حرقها في مكان منعزل دون محاولة فتحها حتى من قبل المختصين، نظرًا لخطورة عملية الفتح، وفي حالة الرغبة بدراسة ماهية المشعل الموجود في الرسالة يتم التقاط صورة شعاعية للرسالة ثم تجري الدراسة على الصورة. =

لم تستخدم الدول والقوى المتحاربة حتى الآن الرسالة البيولوجية خوفاً من المضاعفات التي يمكن أن تنجم عن ذلك أو لجوء الخصم إلى الانتقام بالوسيلة ذاتها ضد مدن كاملة، ولا يمكن كشف هذا النوع من الرسائل إلا بعد حدوث الإصابات المرضية وإجراء الفحوصات المخبرية والتجارب على الحيوانات الثديية، ولكن من الممكن درء خطر الرسائل البيولوجية وذلك بتعريضها لحرارة عالية جداً تؤدي إلى قتل الجراثيم.

الرسائل الكيماوية:

وسيلة قاتلة شديدة الخطورة يحرم استخدامها دولياً على اعتبارها جزء من وسائط الحرب الكيماوية التي يشكل اللجوء إليها جريمة من جرائم الحرب.

وهذه الرسالة عبارة عن رسالة عادية مطلية ببعض مركبات الخردل (بيتروجين الخردل، فسفور الخردل)، أو أحد السموم القوية، أو بعض غازات الأعصاب مثل غاز (ف١) ذي التركيب السري.

ويكمن خطر مثل هذه الرسائل في إمكانية انتقال السموم إلى الإنسان عن طريق الفم أو الجلد أو الخدوش، وتؤدي إلى وفاته فوراً أو بعد فترة زمنية.

لم تستخدم الدول والقوى المتحاربة حتى الآن الرسالة الكيماوية خوفاً من المضاعفات التي تنجم عن ذلك، أو لجوء الخصم إلى الانتقام بالوسيلة ذاتها ضد مدن كاملة، ولا يمكن كشف هذا النوع من الرسائل إلا بعد حدوث التسمم وإجراء البحوث المخبرية.

= وهذا على حسب وضع المجاهدين، وحسب نوع الحرب المستخدمة، وهل هم في دولة مسلمة تحميهم مثل ما كانت طالبان نصرهم الله، أو أن حربهم حرب عصابات.

الرسائل الملغومة:

أما الرسائل الملغومة فهي إحدى الوسائل المستخدمة للاغتيال [١] والإرهاب وبث الذعر في الحرب السرية، وتتألف من رسالة عادية فيها كمية من المتفجرات وصاعق ووسيلة للاشتعال تسبب انفجار الصاعق والمتفجرات عند فتح الرسالة، وللرسالة الملغومة نوعان مختلفان باختلاف طريقة الإشعال وهما:

أ – الرسالة الملغومة المزودة بمشعل.

ب – الرسالة الملغومة الضوئية.

الرسالة الملغومة المزودة بمشعل:

كانت هذه الرسالة في بداية استخدامها عبارة عن كمية صغيرة من المتفجرات المطعمة بمشعل (ميكانيكي أو كيماوي) مزود بصاعق توضع داخل مجلة ملفوفة بشكل اسطواني، (كما تُلَف المجلات العادية لإرسالها بالبريد)، وكان إعداد هذه الرسالة يتطلب لصق المشعل والمتفجرات على العجلة، ولف المجلة وربطها من الخارج بخيط أو بورق لاصق، ثم سحب مسمار أمان المشعل اعتماداً على أن الضغط الناجم عن جدران الرسالة الملغومة كافٍ لمنع سير حركة المشعل، وكان قطع الرباط يؤدي إلى انفتاح المجلة الملغومة وبدء سير حركة المشعل الذي يفجر الصاعق والحشوة.

إلا أن أحجام المشاعل القديمة ووزنها وإمكانية رؤيتها في حالة النظر من أحد جانبي الاسطوانة واحتمال بدء سير الحركة عند تناقص الضغط على المشعل لأي سبب من

---

[١] في تاريخ ١٩/ ٨/ ١٩٧٢ استلم مدير محطة الموساد في السفارة الإسرائيلية في لندن الدكتور شاشورى رسالة مفخخة انفجرت به فقتلته.

الأسباب جعلت هذه الطريقة غير عملية دائماً، ولم يتم التخلص من كل هذه السلبيات بشكل كامل حتى بعد ابتكار مشاعل أصغر حجماً وأقل وزناً، واستخدام البطاريات الكهربائية الصغيرة المزودة بقاطع تيار يضمن فتح الدارة عندما تكون المجلة ملفوفة ويؤدي إلى إغلاقها عند فك المجلة وزوال الضغط.

وبقيت معضلة حجم البطاريات والصاعق عقبة أمام استخدام الوسيلة الكهربائية في الرسائل الملغومة رغم اتساع استخدام هذه الوسيلة في الطرود البريدية الملغومة بشكل عام (انظر الفخ والطرد البريدي الملغوم).

ومع تطور صناعة البطاريات والصواعق الكهربائية في نهاية الأربعينيات وظهور بطاريات مسطحة صغيرة (قطرها ٢ سم وسماكتها أقل من ملم) وصواعق كهربائية مسطحة وصغيرة، أصبح بالإمكان وضع البطاريات والصواعق داخل الرسائل دون أن يبدل ذلك من شكل الرسالة الخارجي، خاصة إذا كانت الرسالة مؤلفة من عدة أوراق وموضوعة في مغلف سميك.

ويتألف جهاز التفجير في الرسائل الملغومة الحديثة من بطاريات زئبقية مسطحة رقيقة جداً، وأسلاك كهربائية شعرية مسطحة، وصاعق مسطح رقيق، وحشوة مسطحة لينة على شكل أوراق زنة ١٠ إلى ٣٠ غراماً من المتفجرات شديدة الانفجار التي لا تتأثر بالرطوبة أو الحرارة وليس لها رائحة خاصة، ويكون طرفا السلكين المتصلين بالبطاريات مجردين من غلافهما ومبتعدين عن بعضهما، ويشكلان القاطع الذي يمنع إغلاق الدارة، ويكون أحدهما مربوطاً بالرسالة من عدة اتجاهات بخيوط مرنة بحيث يؤدي سحب الرسالة من أي اتجاه إلى اقترابه من السلك الآخر وملامسته، الأمر الذي ينجم عنه إغلاق الدارة الكهربائية وانفجار الصاعق والحشوة، ويمكن الاستعاضة عن السلكين الناقلين بواسطة خطين غليظين مرسومين بالفحم على الرسالة والغلاف، بحيث يتلامسان عند سحب الرسالة ويؤديان إلى وصل التيار.

ونظراً لحساسية مواد الصاعق للصدمة وحتى لا ينفجر أثناء نقل الرسائل أو فرزها تكون المواد الصاعقة في غلاف صلب يقيها من الصدمة والحرارة اللتين قد تتعرض لهما الرسالة، ويمكن كشف بطارية التفجير في الرسائل الملغومة باللمس إذا كان عدد أوراق الرسائل غير كاف، كما يمكن في هذه الحالة كشفهما بالنظر إذا كان الغلاف والأوراق شفافة، وذلك بالنظر إلى الشمس من خلال الرسالة أو وضع الرسالة بين الفاحص ومصدر ضوئي قوي (مع الانتباه إلى عدم تقريب الرسالة من المصدر الضوئي حتى لا تؤدي حرارة المصباح إلى تفجيرها).

أما إذا كانت الرسالة سميكة وغير شفافة فالوسيلة الوحيدة هي جهاز الكشف الكهربائي المغناطيسي الذي تزود به مكاتب البريد المركزية، ويتم الكشف بتمرير الرسائل أمام الجهاز الذي يصدر صفيراً حاداً عند وجود مادة معدنية (بطارية وأسلاك) داخل الرسالة.

بعد أن تطورت صناعة المشاعل الكيماوية وإمكانية صنع مشعل كيماوي بلاستيكي صغير يشتعل كعود الثقاب عند سحب الرسالة المربوطة بخيوط مرنة من الحرير والنايلون، وإمكانية استخدام الصاعق ذي الغلاف البلاستيكي، تفقدان جهاز الكشف الكهربائي المغناطيسي فاعليته بسبب عدم وجود أجسام معدنية في جهاز التفجير، وترفضان استخدام أجهزة التنظير بالإشاعة السينية (كالأجهزة المستخدمة في الطب)، لكشف الرسائل الملغومة، أو استخدام الكلاب البوليسية المدربة على تمييز رائحة التفجير وكشفه.

وهناك ثلاث حالات يمكن أن تصل فيها الرسائل الملغومة إلى الطرف المطلوب اغتياله رغم فحصها بجهاز الكشف الكهربائي المغناطيسي في مركز البريد وهذه الحالات هي:

١ – استخدام المشاعل الكيماوية غير القابلة للكشف.

٢ – تسريب بعض الرسائل الملغومة إلى صناديق بريد المؤسسات والأفراد مباشرة بعد ختم طوابعها بخاتم بريد مزيف.

٣ – مرور كمية محدودة جداً من الرسائل الملغومة رغم فحصها بأجهزة الكشف الكهربائية المغناطيسية بسبب الخطأ أو عدم دقة التعيير خاصة وإن صغرت البطاريات ودقت الأسلاك (وأحياناً عدم وجودها كما ذكرنا) تجعل الكشف بحاجة لجهاز شديد الحساسية ومعير بشكلٍ دقيق.

ولتجنب الأخطار التي تنجم في مثل هذه الحالات تزود مكاتب المؤسسة المعرضة للخطر بأجهزة كهربائية مغناطيسية تكون (المصفاة الثانية) للرسائل بعد (المصفاة الأولى) المتمثلة بجهاز الكشف الموجود في البريد المركزي، ويمكن الاستعاضة عن (المصفاة الثانية) بكاشف ألغام عادية بعد تعييرها بشكل يكشف القطع المعدنية الصغيرة.

وفي الحالات التي يتعذر فيها وجود كاشفة ألغام أو جهاز خاص في المؤسسات يجري فرز الرسائل المشبوهة التي يكون وزنها أو سماكتها أكثر من اللازم، أو ذات الرائحة الغريبة، أو التي تحتوي أجساماً تتحرك، ثم يتم فتحها في غرفة منعزلة بدون سقف (لتخفيف الضغط الناجم عن الانفجار)، ومزودة بطاولة معدنية وجدار حاجز (معدني أو حجري أو اسمنتي) ذي كوة مجهزة بزجاج واق لا يخترقه الرصاص، ويقوم العنصر المختص بفتح الرسائل داخل الغرفة وفق التسلسل التالي:

١ – يقطع طرف الغلاف بملقط مثبت على الطاولة المعدنية.

٢ – يقص طرف المغلف بشفرة حادة بحيث لا يتجاوز القص مليمتراً واحداً.

٣ – يفتح شفتي المغلف المقصوصتين بحذر بالمقدار الذي يسمح له بلقط الرسالة بملقط معدني مربوط بحبل متحاشياً تحريك الرسالة أو سحبها أثناء اللقط.

٤ – يختفي وراء الجدار ثم يسحب حبل الملقط المعدني وهو يراقب عبر الكوة حتى تخرج الرسالة من المغلف.

ولضمان الحد الأقصى من الوقاية خلال عملية قص ظرف المغلف أو لقط الرسالة قبل سحبها يرتدي العنصر المختص خلال هذه العملية سترة واقية من الرصاص والشظايا وقناعاً فولاذياً يغطي الوجه والرقبة ونظارات من الزجاج الواقي وواقية للأذنين مشابهة للواقية التي يرتديها جنود المدفعية لحماية الأذن الداخلية من تأثيرات الضغط الناجم عن الانفجار.

الرسالة الملغومة الضوئية:

هي رسالة ملغومة مزودة بعبوة وصاعق، ولكنها غير مزودة بمشعل، ويتم الاشتعال فيها بواسطة كمية من الغاز أو المواد الكيماوية الصلبة الموجودة داخل الرسالة، والتي تشتعل بمجرد ملامسة أوكسجين الهواء، وتفجر بالتالي الصاعق والعبوة، وتكون المادة الغازية أو الصلبة المشعلة موجودة داخل مغلف صغير مفرغ من الهواء، يتمزق عند فتح الرسالة وسحبها، الأمر الذي يؤدي إلى التفاعل مع الهواء والاشتعال.

ويمكن كشف الرسالة المزودة بمادة مشعلة غازية بملاحظة انتفاخها بشكل غير مألوف في الرسائل العادية، كما يمكن كشفها وكشف الرسالة المزودة بمادة مشعلة صلبة بواسطة جهاز التنظير بالأشعة السينية الذي تظهر فيه المادة المشعلة (الغازية أو الصلبة) بشكل قاتم، ومن الجدير بالذكر أن الرسائل التي يشك بأنها مجهزة بمادة مشعلة من هذا النوع لا تفتح مطلقًا لأن الفتح في حد ذاته قد يثير الاشتعال.

الطريقة الثالثة: تفخيخ السيارات:

تفخيخ السيارة [١] لا يحتاج إلى خبرة عالية أو وقت طويل، فقط يحتاج إلى شخص لديه خبرة عامة في كهرباء السيارات، ويمكن أن تفخخ السيارة عبر مفتاح التشغيل "السويتش" وفتح الباب ودعسة الفرامل وكابح الفرامل الخلفية وعلى الغيار الخلفي ودعسة البنزين وعلى ضوء الفيوز والضوء العادي والضوء العالي ودعسة المنبه وعلى الغماز اليمين واليسار والجلوس على الكرسي، وجميع هذه الأشكال تعتمد على:

أ – وصول التيار الكهربائي للعبوة عبر تشغيل أي قطعة من القطع المذكور أعلاه.

ب – الضغط أو الفتح أو القطع أو الشد.

لذلك من أفضل الأوقات التي ينبغي على المجاهد استغلالها عندما يترك الشخص المستهدف السيارة في الطرقات العامة أو أمام أبواب العمارات والمنازل لأنها (نعش طائر).

فيستطيع المجاهد القيام بعملية تشريك السيارة في أي حالة من الحالات التالية:

أ – عندما تترك طوال الليل في طريق عام أو أمام بناية.

ب – عندما تترك في موقف خاص للسيارات يوجد حارس في مدخله.

ج – عندما تترك في المواقف العامة والتي يوجد بها عامل يتقاضى ضريبة.

---

[١] هناك أسلوب آخر يعتمد على تفخيخ سيارة ووضعها في مكان ما قريب من الهدف المراد تفجيره واغتياله، سواء كان بناية مكتب أو سيارة مسؤول أو مرور موكب إلخ، لكن مع التوصية في الاعتماد بعد الله في عملية تفجير السيارات على مجموعتين، مجموعة تقوم بإعداد السيارة المتفجرة ووضعها في مكان الانفجار، ومجموعة أُخرى مهمتها فقط التفجير وليس لها أي علاقة بالمجموعة الأولى.

د – عندما تترك في مرآب خاص تحت المنزل أو مرآب خاص مغلق [١].

تنبيهات أمنية للمجاهدين في بعض ميادين القتال مثل فلسطين:

١ – السيارات المستأجرة يوجد لها نسخ إضافية من المفاتيح تبقى لدى مكتب الإيجار، فإذا كان هذا المكتب أو أشخاص فيه يعملون مع جهاز الاستخبارات مثل (الموساد) فإنهم لن يقدموا لهم المفاتيح الإضافية للسيارة فقط، بل سيقدمون لهم صورة عن جواز السفر وعنوان الإقامة لتتم ملاحقة المجاهد بناء على أخطائه فيجب الحذر والانتباه.

٢ – المفاتيح الخاصة لمنزل المجاهد أو سيارته لا تعطى لأحد خوفًا وحذرًا من أن يقوم مترصدون بأخذ نسخ منها.

٣ – يجب التقيد والالتزام عند وضع السيارة ليلاً في (الكراج) بإجراءات الأمن التالية:

أ – أن يكون للسيارة جهاز إنذار.

ب – وضع علامات مميزة للأبواب والغطائين الأمامي والخلفي.

ج – التأكد من إغلاق الأبواب وتأمينها.

٤ – الإجراءات الأمنية للسيارة صباحًا:

أ – التأكد من أنه لم يحدث أي تغيير على الإشارات التي تركت ليلًا في السيارة.

---

[١] لذلك يجب على المجاهد الذي يحس أنه عرضة للاغتيال عدم ترك السيارة في هذه الحالات، أما في الحالة الأخيرة "د" فيجب إغلاق الباب من الداخل بمتراس بحيث لا يكون له قفل يفتح من الخارج، ففتح الأقفال ليس صعبًا على المحترفين، والمجاهد الذي يتقن فن فتح الأقفال يعرف هذا جيدًا.

ب – في حالة اكتشاف تغيير يكون هناك مجال للشك بأن السيارة فخخت، ولذلك يمنع الدخول والجلوس فيها أو تشغيلها وإنما يتم فحصها بواسطة خبير.

ج – فحص جسم السيارة من الأسفل خوفا من أن تكون المتفجرات غرست أسفلها.

د – يجب القيام يوميا بفحص أمني للسيارة الفرامل المصابيح الروديتر خزان البنزين العجلات.

٥ – عند ترك السيارة لبعض الوقت في الطريق أو مكان عام يراعى بقاء شخص فيها، وإن تعذر يعمل بالإجراءات السابقة بشكل هادئ وطبيعي وغير ملحوظ.

الطريقة الرابعة: تفجير السيارة عن بعد:

تفجير السيارة عن بعد تقنية حديثة لا تحتاج إلى تعقيدات ووقت زمني، وإجراءات العملية تتم بمجملها في عدة ثوانٍ فقط، يقوم فيها شخص بوضع عبوة لاصقة أسفل السيارة، وهذه العبوة تلتصق بجسم السيارة بمجرد وضعها، وفي داخل العبوة جهاز استقبال يعمل وفق تردد محدد [١].. وعلى بعد خمسين متراً أو مائة متر في مساحة مفتوحة أمام رؤية البصر يقف الأشخاص أو الشخص الذي سيفجر العبوة، ومن خلال جهاز إرسال في يده يرسل التردد المحدد لجهاز الاستقبال فور أن يكون الهدف جاهزاً للتفجير، وبضغطة من الإصبع ينتهي كل شيء، ويختفي القتلة بسيارة معدة سابقًا عن مسرح الجريمة مستفيدين من حالة الهلع التي يسببها الانفجار.

---

[١] كما مر في الطريقة الأولى بالتفصيل فلسنا بحاجة إلى إعادته هنا، فتنبه.

تنبيه للمجاهدين المطلوبين والذين يخشون من الاغتيال، وخصوصًا في فلسطين من قبل الموساد:

إن أي مجاهد يحس بداخله أنه مطلوب للمخابرات مثل (الموساد) أو الـ (CIA) ويضطر أن يترك سيارته لبضع الوقت من أجل قضاء حاجياته؛ يجب عليه قبل ركوب السيارة التقيد بهذه الإجراءات:

أ – التوجه بشكل طبيعي إلى السيارة، والتوقف قبل الوصول إليها بعدة أمتار.

ب – إلقاء نظرة دائرية سريعة على الأجسام الثابتة والأشخاص المتحركة في محيط المنطقة.

ج – الاقتراب من الأشخاص المتحركين وإلقاء نظرة عليهم من الريبة والشك.

د – الانسحاب من المنطقة والاختفاء في مكان يسمح بمراقبة الأشخاص المتحركين من دون أن يروه.

هـ – عند الاشتباه بردود أفعال الأشخاص المتحركين يجب فورًا حفظ الوصف التشخيصي لهم وتعمد مراقبتهم مراقبة علنية ومكشوفة، لتوصيفهم أكثر وفضحهم أكثر.

وعندما لا يوجد أشخاص متحركون ويكون الوضع طبيعياً يتم فحص جسم السيارة من الأسفل للتأكد من عدم وجود مواد لاصقة، ويجبذ القيام بعمليات فحص السيارة من الأسفل عن طريق امرأة أو شخص غير خطير ولكن بشكل لا يلفت الانتباه.

الطريقة الخامسة: القنص:

القناص هو المقاتل المختار بعناية والذي مر بتدريبات مكثفة وشاملة في أساليب القنص والمهارات الميدانية.

ولا بد للذي سيقوم بقنص أئمة الكفر أن يكون صاحب سجل يعكس مهارة أساسية في الرماية.

ولا بد أيضًا من توفر هذه الصفات:

١ – الذكاء، بحيث يقدر الوقت المناسب للقتل على حسب الفرصة السانحة والتي تبعد عنه وعن موقعه الشك.

٢ – السكون وعدم الانفعال وهدوء الأعصاب، ولا يكون متسرعًا أو شديد الغضب بحيث يفقده ذلك هدفه.

٣ – المهارة الميدانية [١].

هناك طرق عدة للاغتيال بهذا الأسلوب أو غيره، مثل رماية الهدف من سيارة أو دراجة نارية إلخ، وتجد المعلومات حول هذه الأساليب في الموسوعة مفصلة (٢/ ٧٠٥ – ٧٤٦).

الطريقة السادسة: كتم الأنفاس [٢]:

إن هذه الطريقة صعبة على مستوى الفهم والتطبيق، وإن كانت تشبه عملية الخنق في قطع الهواء عن القصبات الهوائية إلا أنها تختلف عن الأخيرة في التعرض إلى العنق وبالتالي إلى الحلقوم.

---

[١] للمزيد من التفاصيل حول القنص راجع موسوعة الجهاد الكبرى (٢/ ٦٥٤ – ٦٩١).

[٢] انظر موسوعة الجهاد الكبرى (٢/ ٩ – ١٠) ففيها طرق أخرى في الدورات العملية في دورة كيف تقتل.

إذا هي طريقة الاختناق عن طريق سد منافذ الهواء خاصة من الفم والأنف، وهذا يمكن تحقيقه عن طريق وضع اليد وتثبيتها فوق أنف وفم الشخص المستهدف حتى يموت، أو إلصاق وجهه في الأرض، أو صبغ وجهه بمادة لاصقة تمنعه من التنفس بصفة عامة بنفي الهواء عن الخصم (نلاحظ أن احتقانًا شديدًا وعنيفًا يضغط على القصيبات فلا تنفخ فتسبب اختناقًا، وكذلك الأوزان الثقيلة والضربات الحادة على القفص الصدري تعمل نفس العمل في إغلاق القصيبات... إلخ).

ومن أساليب هذه الطريقة أيضًا: ربط الخصم بحبل، والأولى أن يكون حديدي، ويكون الحبل فوق صدره بحيث يمر فوق رئتيه، ثم يتم شد الحبل حتى تنغلق القصيبات الهوائية، ولا تستطيع الانفتاح لتقبل الهواء، فيموت الشخص المستهدف خنقًا. وهذه تشبه مسكة الثعبان الضخم الكبير وطريقته في قتل فريسته قبل أكلها وهذا الثعبان هو (البواء).

ومن الطرق الذكية والسهلة أيضًا: استغلال لعبة التراشق بالحلوى (وهذه عند الغربيين معروفة جدًا)، فبدل الحلوى تضع مادة سريعة الالتصاق وتكون هي لزجة على ورق ثم تقذف بها في وجه الخصم على نحو اللعبة المذكورة (يمكن افتعال اللعبة بين شريكين ثم يقحم الخصم عن طريق الخطأ مثلًا)، فتنسد عيناه وأنفه وفمه وأذناه فيختنق وينقطع عنه الهواء دون أن ينتبه المارة وهم يضحكون على المشهد الذي ألفوه من قبل.

ومن الأساليب أيضًا: وضع الخصم في كيس من البلاستيك المقوى أو على الأقل لف رأسه بهذا البلاستيك، وهذه الطريقة وإن كانت تستلزم أكثر من منفذ واحد إلا أنها لا تبقي الأثر لأجهزة أمن العدو المضاد وتظهر وكأنها عملية انتحارية.

والغرق كذلك أسلوب من هذه الأساليب: ويتم ذلك بمجرد ربط يدي الخصم خلف ظهره ثم دفعه داخل مسبح خاص به أو أقرب ممر مائي، وذلك أن الكثير من المنتحرين اليوم يقومون بنفس هذه الطريقة ويربطون أيديهم حتى لا تصدر منهم أي محاولة عفوية للنجاة، وهذه الطريقة بدورها تكون مضللة لأجهزة أمن العدو المضاد، وكذلك مع ملاحظة

أن الوثاق يجب أن يكون متينًا وليس قطعة من القماش حتى نتجنب إفلات الخصم ومحاولته للنجاة.

الطريقة السابعة: الضرب بالقدوم [١]:

القدوم يعمل عمل الفأس والمعول في نفس الوقت، وهو يصنع بالشكل والحجم المراد به، وله عدة استعمالات مثل الحفر والتسلق وجر الأشياء، وخاصة جثة الميت للتخلص منها، وكثيرًا ما استعملت في الحرب العالمية الأولى عند الاقتحام في خنادق العدو.

وأفضل مكان للضرب منطقة ما بين الأذن والعين، ويمكن أيضًا أن يصل إلى القلب من خلال العظام الفوقية للصدر بمجرد ضربة واحدة، وله ضربة أقوى وأعمق من السكين فتصل إلى القلب حتمًا أشد وأسهل من الأمام.

وهذا النوع سلاح ممتاز في القتال القريب الذي يكون استعمال السلاح الناري فيه أمر غير مرغوب فيه.

الطريقة الثامنة: تفخيخ الغرف:

يعتمد أسلوب تفخيخ الغرف على وضع عبوة لشخص في غرفة نومه إما تحت السرير أو قريباً من جهاز الهاتف أو قريباً من الباب، ويتم تفجيرها بالضغط أو بالتحكم عن بعد أو بالضغط على زر الإنارة، ويكثر هذا الأسلوب في الفنادق [٢].

---

[١] انظر الصدر السابق (٢/ ١٢).

[٢] لا بد أن يعلم المجاهد الذي يريد نشر قضايا الجهاد إعلاميًا أن كثيرًا من الصحفيين ومراسلي شبكات التلفزيون ووكالات الأنباء يعملون جواسيس تحت ساتر الصحافة، وبعضهم يحمل الجنسية

الطريقة التاسعة: اقتحام المنزل.

الطريقة العاشرة: السم.

الطريقة الحادية عشر: إسقاط الطائرات [١].

الطريقة الثانية عشر: ضرب المواكب [٢].

المزدوجة، لذلك يجب منع دخولهم أي غرفة خاصة أو منزل قيادي أو مكتب هام، ويجب أخذهم إلى أمكنة غير هامة ومتغيرة؛ حتى لا يستفيدوا من معرفة العناوين الخاصة.

فكثيراً ما يقوم فريق تلفزيوني بتصوير الشوارع المؤدية إلى مكان اللقاء الصحفي ومدخله والتفاصيل الصغيرة التي يمكنهم تصويرها، ولا يمكن أن يكون هذا العمل له علاقة بمهمة صحافة بقدر ما هي مهمة جاسوسية، وتستخدم الصور في تدريب الوحدات الخاصة للموساد على طريقة اقتحام المكان المحدد عندما يقررون التنفيذ.

وهذه إشارة إنذار بضرورة تغيير أي مكتب يلاحظ أن الصحفيين قد صوروه وأخذوا تفاصيله وإعادة ترتيب العمل في ظروف أكثر سرية قبل فوات الأوان.

تنبيه:

١ - يجب على كل مجاهد ينزل اضطراريًا في أحد هذه الفنادق أن يتخذ إجراءات أمنية سرية وغير مرئية في داخل غرفته قبل مغادرتها للتأكد من عدم دخول غرباء في فترة غيابه والعبث في حاجياته أو زرع جسم فيها، وتتم هذه الإجراءات فور انتهاء عامل النظافة من ترتيب وتنظيف الغرفة.

٢ - اكتشاف هل هناك مراقبة علنية عند مغادرته الفندق وهل هناك متابعة له.

[١] مثل ما حدث لرئس باكستان عام ١٩٨٨م ضياء الحق، ومثل ما حدث مؤخرًا لرئيس سلاح الجو الباكستاني، وكذلك للوزير الصناعة الأفغاني، ونائب وزير الداخلية الروسي... إلخ، وإن كانت أسباب الاغتيال متنوعة.

[٢] في ٢٦/ ١١/٢٠٠١م ذكرت وكالات الأنباء أن رئيس الأركان الإسرائيلي موفاز نجا من محاولة اغتيال، حيث انفجرت عبوتين لدى مرور موكبه بعد ظهر الأحد جنوب مدينة الخليل، وأعلن ناطق

لم أذكر شرح أو تفصيل حول هذه الطرق لظروف خاصة حالت دون الكتابة ولشهرتها، ولكن ليعلم الجميع أن طرق الاغتيالات كثيرة جدًا، فلتتفتق أذهاننا لاكتشاف طرق جديدة لننكي ونثخن في أعداء الله، وإن شاء ربي سأكون أول العاملين بما أقول، وأدعو إليه.

وأسأل الله أن يحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا ونعوذ عظمته أن نغتال من تحتنا.

عسكري إسرائيلي أن الهجوم وقع عند قيام الجنرال موفاز بجولة تفقدية في منطقة تقع في جنوب مدينة الخليل مع عدد من قادة الجيش، وقال التلفزيون الإسرائيلي إنه تم إخلاء موفاز بطائرة مروحية بعد اكتشاف عبوات مزروعة على جانب الطريق الذي كان من المقرر أن يمر منه، وقامت في حينه قوات كبيرة من الجيش الصهيوني بحملة تمشيط واسعة في المنطقة.

وقال شهود عيان إن انفجارًا كبيرًا سمع لدى مرور موكبه العسكري، وأضاف التلفزيون أن إحدى العبوتين انفجرت لدى مرور سيارة الجيب التي كانت تتقدم الموكب، مشيرًا إلى أن رئيس هيئة الأركان لم يصب، وكذلك الضباط الذين كانوا يرافقونه، وقال التلفزيون نقلًا عن ضباط انه من المحتمل أن يكون الفلسطينيون الذين نفذوا الهجوم يستهدفون مباشرة رئيس هيئة الأركان.

الأهداف التي يجب اغتيالها

الشخصيات التي يجب أن يباشر إلى اغتيالها فهي حسب الأهمية على الشكل التالي والله أعلم:

١- كافة الدبلوماسيين والسفراء والعسكريين من اليهود والنصارىٰ والمشركين في جزيرة العرب:

كل جزيرة العرب بالنسبة لمجاهدي جزيرة العرب (اليمن وعمان والسعودية والكويت وقطر والإمارات والبحرين) لورود النصوص الشرعية الآمرة بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب [١]، وهي حسب أهميتها على التسلسل التالي ويشمل هذا الجنسيات المحاربة أهمها على الترتيب التالي:

أولاً: الأمريكان.

ثانياً: الإنجليز.

ثالثاً: الفرنسيين.

رابعاً: باقي دول حلف الناتو.

خامساً: باقي أشكال تواجد النصارى.

سادساً: الهنود الهندوس والبوذيين.

---

[١] راجع بحث (الخصائص الشرعية للجزيرة العربية) ففيه كشف للأنظمة العميلة المرتدة المتواجدة في جزيرة العرب والتي مكنت لهؤلاء اليهود والنصارى وغيرهم من الاستقرار في جزيرة العرب.

سابعاً: الروس.

وهذه الجنسيات هي التي تتولى بإدراة اليهود ومشاركتهم حرب أهل الإسلام وسفك دمائهم وانتهاك أعراضهم وسلب أموالهم، وهذا مشهود معروف في كل أنحاء العالم لكل ذي سمع أو بصر.

وأما أهم أشكال تواجدهم فعلى الشكل التالي:

أ – مراكز التبشير والتنصير والتأثير الثقافي من الجامعات والمراكز الثقافية والتأثير الحضاري الغربي.

ب – التواجد الاقتصادي: شركات وخبراء نهب الثروات ثم مندوبي وموظفي شركات بيع منتوجات الغرب الأجانب.

ج – التواجد الديبلوماسي: سفارات وقنصليات وبعثات أجنبية ديبلوماسية مختلفة.

د – المستشارين الأمنيين وفروع استخبارات صليبية معاونة للحكومات المرتدة.

هـ – القواعد العسكرية الأجنبية ولا سيما التابعة لحلف الناتو وأفرادها وعوائلهم المقيمين معهم في الجزيرة.

و – السياح والمسافرون والعابرون من بلادنا لشؤون شتى.

٢– أئمة الردة والكفر من المرتدين:

– المتواجدين في جزيرة العرب مثل رؤساء الدول ووزراء الداخلية ووزراء الخارجية ووزراء الدفاع، وغيرهم ممن يروج الكفر ويحميه ويدافع عنه.

– وبقية أئمة الردة في الدول العربية والدول المسماة زورًا وبهتانًا بالإسلامية مثل أبو رغال وإخوانه الأربعة المتنفذين، وبرويز اللامشرف، وكرزاي، وحسني مبارك، وياسر عرفات إلخ القائمة.

وكذلك من يسب الله ورسوله ويشتمهما ويؤذيهما مثل بعض الإعلاميين والصحفيين ممن ثبت عليه مثل ذلك، إما بالبينة أو الإقرار أو الشهود كما هو معروف، ويدخل مع هؤلاء الضباط والأفراد الذين عرفت عداوتهم لله ورسوله والمؤمنين وزاد شرهم، وقد بينت ذلك في كتاب (الباحث عن حكم قتل ضباط وأفراد المباحث).

٣- أصحاب المناصب الحساسة في دول الكفر الأصلي المحاربة لنا:

كرئيس الدولة، ثم وزير الدفاع، ثم الخارجية، ثم رئيس الاستخبارات والأمن القومي، والجنرالات الكبيرة.

والدول على الترتيب التالي:

أولاً: أمريكا.

ثانياً: بريطانيا وبينهما إسرائيل والتسمية الصحيحة لهم (يهود).

ثالثاً: فرنسا.

رابعاً: ألمانيا

خامساً: أستراليا.

سادساً: كندا.

سابعاً: باقي دول حلف الناتو.

ثامناً: روسيا.

تاسعاً: الهند.

وهكذا..

وللتمثيل: أمريكا مثلًا: اغتيال الرئيس (بوش)، ووزير الدفاع (رامسفيلد)، ووزير الخارجية (باول)، والجنرال (تومي فرانكس)، ومدير الاستخبارات (تينت). والمسألة ليست للحصر وإنما للتقريب والتوضيح إلخ.

فوائد الاغتيالات

للاغتيالات فوائد جمة تظهر للباحث المنصف من أول نظرة على مثل هذا البحث، وهي مهمة جدًا في هذا الزمن، ومن قرأ القصص القديمة والحديثة في هذا الباب تبين له جوانب مختلفة من هذه الفوائد، إذ بعض عمليات الاغتيال كفيلة بتغيير مجرى تاريخ بأكمله، وسأذكر بعض هذه الفوائد على سبيل السرعة والاختصار:

١ - إحياء فريضة غائبة وسنة ميتة.

والأحاديث والآثار في هذا الباب معروفة لدى القارئ، كما في حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم أن النبي ﷺ قال: ((من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيئا [١]...)) إلخ.

٢ - الانتصار لله جل وعلا ولرسوله ﷺ -كما مر معنا في الأحاديث السابقة -.

منها قول النبي ﷺ لعمير بن عدي: ((إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا إلى عمير بن عدي)).

٣ - تطهير الأرض من إظهار سب الله ورسوله ﷺ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [٢]: (تطهير الأرض من إظهار سب الله ورسوله ﷺ واجب حسب الإمكان، لأنه من تمام ظهور دين الله وعلو كلمة الله وكون الدين كله

---

[١] فتح الباري (١٣/ ٣٧٣).

[٢] الصارم المسلول (٢٩٨ - ٢٩٩).

لله، فحيث ما ظهر سبه ولم يُنتقم ممن فعل ذلك لم يكن الدين ظاهرًا ولا كلمة الله عالية). أ. هـ.

٤ - إرهاب أعداء الله.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾.

وكما قال ابن حجر رحمه الله [١]: (وفي مرسل عكرمة: فأصبحت يهود مذعورين فأتوا النبي ﷺ فقالوا: قتل سيدنا غيلة، فذكرهم النبي ﷺ صنيعه وما كان يحرض عليه ويؤذي المسلمين. زاد سعد: فخافوا فلم ينطقوا) أ. هـ

فالاغتيالات من أعظم أنواع الإرهاب لأعداء الله، بحيث أنهم يحسون أن الموت يرقبهم في كل مكان ويتربص بهم في كل طريق، فيعيشون في هم وقلق وخوف إذا ركب طائرة خشي من سقوطها، وإن أبحر في باخرة خشي من تدميرها، وإن استقل سيارة خاف من تفجيرها...إلخ.

٥ - شفاء صدور قوم مؤمنين.

كما قال الله عز وجل: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾.

٦ - ذهاب غيظ القلوب.

كما قال الله عز وجل: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾.

٧ - رفع راية الإسلام.

---

[١] فتح الباري (٧/ ٣٩٣).

كما مر في حديث عمير بن عدي بعد مقتل العصماء بنت مروان حين رجع عمير من عند رسول الله ﷺ وجد بنيها في جماعة يدفنونها، فأقبلوا إليه حين رأوه مقبلًا من المدينة، فقالوا: يا عمير، أنت قتلتها؟ فقال: نعم؛ فكيدوني جميعًا ثم لاتنظرون، والذي نفسي بيده لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم. فيومئذ ظهر الإسلام في بني خطمة، وكان منهم رجال يتخفون بالإسلام خوفًا من قومهم.

٨ - الانتصار للمؤمنين المستضعفين من الرجال والنساء والولدان.

كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً﴾.

وأترك بقية الفوائد لك أيها القارئ فاستخرج منها ما شئت ودع منها ما شئت، وما استخرجت أحب إلي مما تركت، والله أعلم.

قصص لعمليات اغتيال معاصرة

إن القارئ للتاريخ والمتابع للأحداث يجد أن عمليات الاغتيالات يستخدمها الجميع على اختلاف أديانهم ومشاربهم، وهي قديمة جدًا، فهؤلاء اليهود قتلة الأنبياء استخدموها ضد أنبياء الله، وما قصة زكريا الذي نشر نشرًا ولا يحيى الذي ذبح ذبحًا علينا بخافية، وأيضًا محاولة اليهود في المدينة لاغتيال نبي الله ﷺ، وغيرها من القصص والتي ذكرنا طرفًا منها في مشروعية الاغتيالات؛ إلا دليلًا على أن الاغتيالات وسيلة حربية يستخدمها كل طرف لنصرة مبدئه وما يدين به، والمتأمل في واقعنا المعاصر يجد أنه مليء بالاغتيالات، ولكن أغلبها ينحو ويتجه اتجاهات غير إسلامية، بل إما قومية أو وطنية أو بين أديان كفرية مختلفة أو اقتصادية أو سياسية إلخ، وقد استخدمها الكافرين ضدنا نحن المسلمين كثيرًا، وفلسطين اليوم أكبر شاهد على ما أقول؛ فاليهود يتفننون في قتل المجاهدين ومع ذلك إذا قام أحد أبطال المسلمين لاغتيال إمام من أئمة الكفر ضجت وصاحت وسائل الإعلام الكافرة واستنكر شيوخ وعلماء السلاطين وشجبوا ونددوا كما هي عادتهم، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ونحن في هذا الموضع سنذكر بعض القصص المعاصرة التي نفذها مجاهدون يبتغون ما عند الله، وأما العمليات التي نُفذت ضد المجاهدين فقد ذكرنا بعضها عرضًا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

عمليات نجحت:

١ - في أربعين ثانية يتم اغتيال أنور السادات:

في كل عام من شهر أكتوبر يأمر أنور السادات بإقامة عرض عسكري كبير إحياء لذكرى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م، وقد أقيم ذلك العرض حسب ما أعد له في عام ١٩٨١م وحدثت المفاجأة التي أذهلت العالم حيث اغتيل أنور السادات بشكل لم يسبق له مثيل،

فقد قام بالتخطيط لعملية الاغتيال بدقة متناهية المهندس محمد عبد السلام فرج مؤلف كتاب (الفريضة الغائبة) رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، ونفذها أربعة أبطال هم (خالد الإسلامبولي وعطا طايل وعبد الحميد عبد السلام وحسين عباس)، وقد استغرقت عملية الاغتيال مدة لا تزيد عن دقيقة واحدة راح ضحيتها أنور السادات ومعه ٧ ممن كانوا قريبين منه في منصة العرض، واعتبر هذا الاغتيال أسرع اغتيال في التاريخ المعاصر ولكن كيف تم ذلك الاغتيال؟

كيف تم اغتيال أنور السادات!!

في ٦ من أكتوبر من عام ١٩٨١م استعدت مصر بأكملها لإحياء يوم النصر بإقامة العرض العسكري السنوي الذي يشارك فيه رئيس الجمهورية وقادته والقوى العسكرية الفاعلة، وفي بداية الحفل جلس الطاغية إمام الكفر أنور السادات بالزي العسكري المصمم على الطريقة الهتلرية، حيث كان أنور السادات في بداية شبابه متأثرًا بهتلر في طريقة لبسه وحركاته العسكرية، ويقال بأن زوجته جيهان السادات حاولت جاهدة إقناعه بلبس القميص الواقي للرصاص تحت بدلته العسكرية كما كان يفعل في كل سنه ولكنه رفض ذلك.

جلس أنور السادات على منصة العرض مزهوًا بمشاهدة قواته وهي تمر أمامه بالعربات المدرعة والآليات المختلفة، وقبل اغتياله بحوالي نصف دقيقة مرت في سماء العرض تشكيلة من الطائرات العسكرية كانت تقوم بحركات استعراضية جميلة دفعت كل من كان جالسًا على مقاعد المتفرجين بما فيهم أنور السادات وقادته وحرسه الخاص إلى رفع أبصارهم إلى السماء لمشاهدة ذلك العرض الرائع.

وفي هذه اللحظة توقفت إحدى عربات المدفعية أمام المنصة وعلى بعد حوالي ٢٠ مترًا، ونزل منها البطل خالد الإسلامبولي حيث لم يفطن به أحد ممن كانوا بالمنصة التي بها أنور السادات سوى أنور السادات الذي اعتقد أن خالد إسلامبولي المقبل ناحيته كان قادمًا للسلام عليه، ولكن خالد – رحمه الله – قام بإلقاء قنبلة يدوية انفجرت أثناء ارتطامها بحائط

المنصة، تلتها قنبلة أخرى ألقاها البطل عطا طايل، ثم تلتها قنبلة ثالثة أخرى ألقاها خالد الإسلامبولي لم تنفجر، ثم ألقيت القنبلة الرابعة من البطل عبد الحميد عبد السلام انفجرت في وسط الجالسين، فكان من تأثير الانفجار المدوي الذي أحدثته القنابل اليدوية الثلاث أن انقلبت الكراسي بمن كان عليها وسقط جميع من كان في منصة الرئاسة تحت كراسيهم لهول صوت الانفجارات المتعاقبة.

وأصيب بعض الحضور مما حدا بأنور السادات القيام على قدميه مفجوعًا من هذا الهجوم الصاعق، وكانت آخر كلمة تلفظ بها هي (خونة [1]) قبل أن تلتقطه الرصاصات المنطلقة من الرشاش المنصوب على العربة المدرعة التي كان يقف فوقها البطل حسين عباس، فبمجرد أن رآه أطلق عليه زخات من ذلك الرشاش فسقط أنور السادات يتخبط في دمه.. وأجهز عليه خالد الإسلامبولي الذي كان قد وصل إلى المنصة برشاشه.

كما قام بقتل عدد من مساعدي أنور السادات وضيوفه هو ورفيقه، ويقال أن العملية لم تستغرق سوى ٤٠ ثانية فقط.

٢ - اغتيال أحمد شاه مسعود:

في يوم ٧/ ١١/٢٠٠١م الموافق ١٨/ ٦/١٤٢٢هـ قام مجاهدان بالتظاهر وتقديم نفسيهما لأحمد شاه مسعود على أنهما صحفيان، وهما البطل قاسم بقولي (٢٨ عامًا) وكريم سو زاني (٣٤ عامًا)، وهما ينحدران من أصل مغربي وكانا يعيشان في بلجيكا، وقد رتبوا مقابلة صحفية مع الطاغية أحمد شاه مسعود، فتم لهم ذلك، وأخذوا ميعادًا لذلك اللقاء في مقر إقامته بالقرب من الحدود الطاجيكية.

---

[1] بل هو الخائن الذي باع العباد والبلاد لليهود والنصارى، واتفاقية كامب ديفيد أكبر دليل على ذلك.

وقد ذكرت مصادر عدة أن عملية اغتيال مسعود كانت بالغة التعقيد، احتاجت لشهور من التخطيط، فقام أحدهما بالتصوير من كاميرة الفيديو والتي كانت مفخخة، والآخر أجرى الحوار، وفي أثناء ذلك تمت العملية كما كان يتمنى منفذها، فقتل أحد المجاهدين بسبب انفجار الكاميرا، في حين قتل أحد حراس مسعود المنفذ الآخر أثناء محاولته الفرار كما ذاع واشتهر، ولا يعلم أحد التفاصيل الدقيقة لهذه العملية لأن من قام بها قتل في نفس اللحظة التي قتل فيها أحمد شاه مسعود، وقد أصيب الهالك في حاجبيه وفي أصابع يده اليسرى وساقيه ووجهه ورأسه حيث تعرض لحروق إثر الحريق الذي تبع الانفجار وجرح بجروح بالغة.

وكان الغموض قد اكتنف مصير أحمد شاه مسعود في الأيام الأولى من اغتياله، وترددت أنباء من أكثر من مصدر تفيد بأن مسعود قد توفي فور وقوع الحادث، بينما المقربين منه لهول الصدمة حاولوا نفي الخبر حتى يرتبوا أمورهم وذلك لمكانته في نفوس تحالف الشمال إذ كانوا يسمونه أسد بنشير، وهو الذي كان ينظر له على أنه العقبة العسكرية الأساسية أمام سيطرة طالبان الكاملة على أفغانستان.

حتى أن العميل كرزاي تحدث عنه خلال المراسم قائلًا: "لو كان مسعود حيًا هذه الأيام لكانت الأمور أيسر لنا مما هي عليه الآن".

والصحيح أن أحمد شاه قتل في نفس اللحظة التي حصل فيها الانفجار والله أعلم.

عمليات لم تتم لحكمة أرادها الله عز وجل [١]:

١- عملية اغتيال الملك محمد ظاهر شاه:

في عام ١٩٩٠م تعرض ظاهر شاه في منفاه في إيطاليا لمحاولة اغتيال على يد أحد المجاهدين، وهو المجاهد أبو عبد الله البرتغالي، وقد أرسل من قبل بعض قيادات الجهاد لتنفيذ مهمة الاغتيال، وكان قد تقمص دور مراسل صحفي لإجراء حديث مع الملك، وعند جلوسه مع ظاهر شاه أخرج الخنجر القندهاري وطعن الملك، فأصيب الملك في صدره ولم ينقذه من الموت سوى صندوق سيجاره الخشبي وجيب سترته الثقيلة، مما منع الخنجر من الدخول والغور في صدره، والله له بالمرصاد.

٢- عملية اغتيال حسني مبارك:

في أديس أبابا في تاريخ ٢٦ يونيو حزيران ١٩٩٥م قبل افتتاح القمة الأفريقية الـ٣١ قام أحد عشر مجاهدًا بمحاولة اعتراض موكب إمام الكفر والردة حسني مبارك قتله الله، ولكن الله أراد أمرًا آخر، فلم تتم العملية إلا أنها أربكت عدو الله وجعلته يتذكر مقتل من سبقه يوم كان معه مختبئًا تحت الكراسي فارًا بنفسه من أبطال الإسلام محمد عبد السلام فرج وخالد إسلامبولي ورفاقهما رحمهم الله وأسكنهم فسيح جناته.

وقال بعض المجاهدين: إن تعطل سيارتين (بيك أب) كانتا مختبأتين في الأحراش المطلة على الطريق وراء فشل العملية لأنهما كانتا جاهزتين للاعتراض وتفجير الموكب، والله أعلم.

---

[١] هناك عمليتان أيضًا مذكورة في وصايا للمجاهدين، الوصية الأولى، وهي محاولة اغتيال بيل كلينتون وبنازير بوتو.

حتى أن مجلس الأمن الدولي الكافر في حين العملية فرض حظرًا جويًا على السودان في عام ١٩٩٦ بسبب وجود قيادات الجهاد في ذلك الوقت في السودان.

وكنت أتمنى أني عثرت على (كتاب فرسان تحت راية النبي) كاملًا من غير التشويه الذي صنعته جريدة الشرق الأوسط لكي أنقل منه كثيرًا من العمليات الجهادية لاغتيال رموز وأئمة الكفر، ولكن الحمد لله على ما يسر، وعسى الله أن يرزقنا الكتاب كاملًا.

٣- عملية اغتيال كرزاي وفهيم وجل آغا في أفغانستان [١]:

أحبط العدو في كابل مساء الاثنين ٢٠/ ٥/١٤٢٣هـ الماضي عملية استشهادية بعد القبض على اثنين من المجاهدين، أحدهما أفغاني والآخر باكستاني، كانا يستقلان السيارة المعدة للعملية قبيل تنفيذ العملية التي تستهدف كرزاي، وقد أعد المجاهدون العملية الاستشهادية ووضعوا في السيارة أكثر من ٢٥٠ كيلو من المتفجرات كافية بإذن الله تعالى لتمزيق جسد ذلك الخبيث وقتل كل حرسه من الصليبيين، وقد أراد المجاهدون شيئاً وأراد الله شيئاً آخر، والله يفعل ما يريد.

وأثناء نقل السيارة من مكان إلى مكان داخل العاصمة استعداداً للعملية اصطدمت بسيارة أخرى مما أثار الشبهات حول سائقها، وتم القبض على اثنين من المجاهدين وفر الآخرون، ولكن ليعلم كرزاي ووزراءه أنهم لن يكونوا في مأمن، وأن يد المجاهدين ستطولهم كما طالت كثيراً من الخبثاء من قبله، وأن حرسه من الصليبيين لن يردوا الموت عنه الذي سيأتيه قريباً بإذن الله تعالى على أيدي المجاهدين.

---

[١] هذه العمليات أخذت من أخبار مركز الدراسات بتاريخ ٦/ ٢/١٤٢٣هـ، وتاريخ ٥/ ٦/١٤٢٣هـ، وتاريخ ٣/ ٧/١٤٢٣هـ..

الأمريكان قلقون على حياة دميتهم كرزاي..

فبعد نقل حمايته من عناصر وزارة الدفاع إلى وزارة الخارجية الأمريكية وتخصيص أفضل رجال الأمن لديهم لحمايته، بدأ الأمريكان بتأمين كرزاي ومن معه من المنافقين عبر بناء أنفاق وكهوف ليختبئ فيها كرزاي في العاصمة التي تعج بجنود القوات الدولية، فكل هؤلاء لم يستطيعوا توفير الأمن للحكومة العميلة حتى احتاج الدمية ومن معه لسراديب وأنفاق يختبئ بها خشية تعرضه لمحاولات اغتيال أو هجوم من قبل المجاهدين، وسوف يتم بناء السراديب من قصره إلى أماكن مجاورة ليتمكن من الهرب إذا ما وقع هجوم من المجاهدين على العاصمة، وقد بدأت وحدة ٩٦٧ الهندسية الأمريكية حسب مجلة التايمز بالانتقال إلى كابل للبدء بمشروع المخابئ لرئيس بلدية كابل في العاصمة الآمنة!!

والتاريخ يعود اليوم على العملاء، بعد مرور سنوات طويلة فقد قام الروس من قبل ببناء مخابئ سرية وسراديب وأنفاق تحت الأرض لعملائهم كحفيظ الله أمين ونور محمد تراقي، ولكن مع مرور الأيام لم تصمد تلك المخابئ أمام إصرار المجاهدين حتى أصبحت تلك الكهوف والمخابئ قبوراً للعملاء، ونحن نراقب مشروع المخابئ السرية بسرور حيث يبني الصليبيون قبور عملائهم بأيديهم، وسوف يدفنون بها قريباً بإذن الله تعالى.

كما أفلت الخائن وزير الدفاع محمد فهيم من كمين أعده المجاهدون له يوم الاثنين الماضي ٢٥/ ١ في طريق خروجه من مطار جلال آباد إلى مقر حاجي قدير الحاكم الإداري للمدينة، وقد كانت العبوة الناسفة مزروعة له في طريقه، وقد فجرها المجاهدون عن بعد ولكن بسبب فارق التوقيت لبضعة ثواني فقد أصاب الانفجار السيارات التي خلفه وأصابت الموجة الانفجارية سيارته ولكن لم تلحق أضراراً كبيرة بها، وقد قتل على إثر الانفجار ٥ من حرس الخائن و٢ من معاونيه الذين جاؤوا معه، كما قتل ٣ من القادة الميدانيين التابعين لحجي زمان وحاجي قدير الذين جاؤوا لاستقبال الخائن، وقد جرح ما يقرب من عشرين ممن كانوا بالموكب، وقد ثار الرعب في نفوس الجميع، وبدلاً من تفتيش مكان الحادث عمل حماة

جلال آباد على إخلاء الجرحى والقتلى وأغلقوا الطريق المؤدي إلى مكان الحادث وغادروا المكان لعدة ساعات.

ونحن نقول لهذا الخائن ومن لف لفه: إنك لن تفلت أبداً من عقاب المجاهدين، وسيكون مصيرك بإذن الله تعالى مصير سيدك المرتد مسعود، وكما رزق الله الخائن الأكبر مسعود شباباً فدوا بأرواحهم ومزقوا أشلاءه، فسوف ترى أيها الخائن من شباب الإسلام نفس مصير سيدك بإذن الله تعالى أنت وكل من سار سيرك، وإن غداً لناظره لقريب.

وبعد نجاة كرزاي من تلك العملية حدثت محاولة أخرى لاغتياله في قندهار، زادت من تفاقم أزمة الثقة بينه وبين العديد من قيادات حكومته العميلة، ففي يوم ٢٧ جمادى الآخرة الموافق سبتمر من عام ٢٠٠٢م تعرض كرزاي لمحاولة اغتيال نجا منها بأعجوبة، نفذها رجل غيور من أهل قندهار كان قد تمكن من التجند في صفوف قوات جل آغا حاكم قندهار قبل فترة وجيزة، وأصيب فيها جل آغا إصابة بالغة أدت إلى إحداث حالة من الرعب في صفوف عملاء أمريكا ورجال الحكومة العميلة ونزعت بقايا الثقة بينهم.

وتفيد مصادر المركز أن كرزاي عبر لبعض خواصه عن استيائه من بعض الجهات وعدم ثقته فيهم، وأن كثيرين منهم يفكرون حاليًا في البحث عن طواقم جديدة أجنبية لحراستهم، والامتناع عن الانفتاح على الجماهير ومخالطة العامة خوفًا من الغضب الشعبي الكامن.

وصايا للمجاهدين

١- نماذج مجاهدة في زمن الاستضعاف؛ فاقتدوا بها [١]:

كثيرون هم المسلمون الذين يتحسرون على أيام مجد الأمة الإسلامية وغياب أبطال السلف الصالح، لكن القليل من يعلم أنه عاصر أبطالًا من الطراز الرفيع لا يقلون رفعة وإقدامًا عن الأولين لا يختلفون عنهم ربما إلا في أن السابقين وجدوا عونًا وسندًا كبيرًا، بينما لم يكن الشأن دومًا كذلك بالنسبة لأبطالنا اليوم.

ويمكن القول بأن الأمة الإسلامية عرفت خلال العقدين الأخيرين العديد من النماذج التي تحتذى والتي يجدر بجميع أبناء الحركة الإسلامية أن يكتشفوها ويسيروا على خطاها حتى ينتصر المسلمون نصرًا مبينًا بإذن الله تعالى.

ربما كان نجاح غزوة نيويورك بالشكل الباهر الذي حدث إيذانًا للعالم أجمع بوجود مجاهدين في هذا الزمان يذكرون بالرعيل الأول؛ فهم شباب في مقتبل العمر وعلى درجة عالية من الاحترافية يستطيعون قيادة الطائرات والمناورة بها على أحسن وجه، يتسمون بقدر كبير من الانضباط، ينفذون على إثره المخطط المرسوم بكل دقة، وفي ذات الوقت هم مستعدون للتضحية بأنفسهم في سبيل الله لاسترجاع كرامة الأمة الإسلامية.

على كل حال لقد اعترف العدو قبل الصديق أن المجاهدين اليوم على علم كبير بالتكنولوجيا الحديثة، فهم يستعملون وسائل الاتصالات الأكثر تطورًا كالهواتف عبر الأقمار الصناعية، ويستعملون الإنترنت بطريقة مشفرة بما فيها استعمال آخر التقنيات في هذا المجال

---

[١] أصل هذه الوصية مقال بعنوان: (ثعالب الإسلام) في مجلة الأنصار، العدد الخامس، لأبي عبيد القرشي وفقه الله

كـ Steganography، إلى غير ذلك من تقنيات متطورة تدمر تلك الصورة الكاريكاتورية النمطية التي حاولت الدعاية المعادية الساقطة إلصاقها بالمجاهدين.

لن أتطرق هنا إلى أبطال الظل الذين يخططون وينظمون ويرجع لهم الفضل بعد الله تعالى في إذكاء جذوة الجهاد وإبقاء سيره منتظمًا وأهدافه مركزة، لكنني سأتطرق إلى أبطال ميدانيين جسدوا العديد من معاني التضحية والفداء، من بين هذه النماذج الفذة التي شدت انتباهي في العقد الأخير وأسوقها على سبيل المثال لا الحصر لأنها تشير إلى النوعية الجديدة التي تجاهد في سبيل الله، بطل أسطوري غني عن التعريف، وهو المهندس **يحيى عياش**، وآخر أشعث أغبر مدفوع من سجلات البطولة الإسلامية لا يكاد يعترف بفضله أحد، لكنه كذلك مجاهد من النوعية الفذة وهو **رمزي يوسف**.

من خلال استقراء سريع، يتبين أن هناك اختلافات ذاتية وموضوعية بين كل من هؤلاء الأبطال، لكن هناك في نظري سمات تجمع بين كل هذه الشخصيات البطولية، وهي: الجرأة، والابتكار، والإتقان، واتخاذ كل التدابير الأمنية الممكنة.

هكذا كان شأن المهندس يحيى عياش الذي يعتبر بحق مهندس العمليات الاستشهادية في فلسطين المحتلة، فقد شكل الشهيد رحمه الله انعطافًا نوعيًا في أداء عناصر كتائب القسام المجاهدة، فنوعية العمليات التي ابتكرها وأتقنها لم تعرف من قبل داخل الكيان الصهيوني سواء فيما يخص السيارات المفخخة أو الحقائب والأجساد المتفجرة، إذ يعود السبق فيها كلها إلى يحيى عياش الذي عرف كيف يستغل خلفيته في العلوم الفيزيائية على أحسن وجه.

وقد زاد من إغاظة الصهاينة الحس الأمني الحاد للمهندس، وقدرته بالتالي على الهرب والتخفي رغم كونه المطلوب رقم واحد بالنسبة لسلطات الاحتلال الصهيوني بتقدمها المذهل وقدراتها على الملاحقة والاختراقات والوصول لكل الأهداف، وهكذا استمر المهندس يصول ويجول ضد الصهاينة طيلة ثلاث سنين في ظل أقسى الظروف خطورة، وفي ظل متابعة رهيبة

ساهم فيها آلاف من عناصر الأمن وأفراد الشاباك ووحدات الاستخبارات الخاصة ووحدات النخبة من الجيش الصهيوني وقوات حرس الحدود والشرطة الصهيونية التي لم يعد لها شغل شاغل سوى المشاركة في المطاردة الواسعة للمطلوب رقم واحد.. كل هذا جعل من يحيى عياش أسطورة.

ورغم استشهاده رحمه الله بعدما غدر به أحد أقاربه وسلم هاتفه النقال للمخابرات الصهيونية التي فخخته، لم ينته كابوس الصهاينة المرعب طالما أن التقنية التي وضعها المهندس والإرادة الاستشهادية موجودة، وهي الآثار التي ما زلنا نعيش على إيقاعاتها المدوية إلى اليوم.

ولئن اختلف الباكستاني رمزي يوسف (اسمه الحركي) واسمه الحقيقي (عبد الباسط كريم) مع المهندس عياش في أنه كان يعمل غالبًا لوحده بينما المهندس كان يعمل لتنظيم قوي هو كتائب عز الدين القسام، فإنهما يشتركان في عدة صفات، فرمزي يوسف كذلك قوي الشخصية، وعملي، وله كذلك خلفية أكاديمية في علوم الكيمياء لكن من معهد بريطاني الشيء الذي أهله لدوره الجهادي فيما بعد، كان التحاق رمزي يوسف بمخيمات تدريب المجاهدين في أفغانستان في أواخر الثمانينيات معلمًا فاصلًا في حياته، إذ عرف جيدًا أي وجهة سيأخذ مستقبله، ونظرًا لجعبته الأكاديمية استطاع رمزي يوسف أن يتقدم الصفوف ويصير بدوره مدربًا في المعسكرات، وكان مع ذلك يقتنص الفرص لإكمال دراسته في معهده البريطاني.

وبعد سقوط كابل وما تبعه من فتن ساهمت أمريكا في إشعالها بشكل وفير، قرر رمزي الذهاب إلى رأس الكفر أمريكا والقيام بعملية جبارة تخر بها أمريكا على ركبتيها، وبدأ التحضير لعملية تهديم مركز التجارة العالمي، وفي صبيحة يوم٢٦ فبراير ١٩٩٣م انفجرت شاحنة مفخخة داخل مركز التجارة العالمي بنيويورك، زعزعت العملية إحدى بنايات مركز التجارة العالمي ذي المائة وعشرة طوابق والتي تعتبر رمز الغنى والقوة لدى أمريكا، ودمرت أسطورة سلامة الأمريكيين من الهجمات في بلادهم.

كانت الحصيلة ٦ قتلى و١٠٤٢جريح، وهو أكبر عدد عالجته المستشفيات دفعة واحدة منذ قيام الحرب الأهلية الأمريكية وقبل غزوة نيويورك، وقد أرسل جهاز الإطفاء لمدينة نيويورك ٧٥٠ سيارة إطفاء لمركز التجارة العالمي لبثت هناك أكثر من شهر مما يبين حجم الخسائر.

ومع ذلك لم تكن الخسائر في حجم طموحات رمزي يوسف، إذ كانت العملية مصممة لتدمير المركز عن آخره مع حصيلة تناهز ربع مليون ضحية، وذلك لمعاقبة أمريكا على تدخلاتها الدموية المتكررة في الشؤون الإسلامية.

لم يكن الخلل من جهة تصميم القنبلة، فقد كان رمزي يوسف يؤمن بالإتقان، كانت القنبلة التي صممها لتفجير مركز التجارة العالمي فريدة من نوعها لدرجة أن الـ (اف. بي. آي) لم يجد لها سوى مثيل واحد بعد دراسة سجل (٧٣٠٠٠) انفجار حدث في أمريكا منذ ١٩٢٥م، وقد وصل الـ (اف. بي. آي) إلى نتيجة أن هذه القنبلة أكبر قنبلة وزنًا وتدميرًا استعملت داخل الولايات المتحدة الأمريكية في تاريخها.

وفعلًا عوض عن أن تنفجر القنبلة التي صممها بسرعة ٣٠٠٠ قدم في الثانية كما هي عادة القنابل الشديدة التفجير، انفجرت قنبلة رمزي يوسف ١٥٠٠٠ قدم في الثانية، وهي شدة كان يمكن لمركز التجارة العالمي أن يخر بها من السقف لو وضعت الشاحنة المفخخة في مكان آخر تحت أحد الأعمدة، وحتى في المكان التي وضعت فيه الشاحنة كان من الممكن أن تقتل الآلاف لو انفجرت قبيل المساء عند خروج العاملين.

لم يكد يصل المساء حتى كان رمزي يوسف يستقل طائرة في اتجاه باكستان، ولولا الأخطاء الأمنية التي ارتكبها بعض المساعدين في العملية لما عرفت أمريكا إلى اليوم من المسؤول وراءها، ومع ذلك ورغم معرفة الـ (اف. بي. آي) بتورطه بعد مرور شهرين على العملية لم يستطع عملاء هذا الجهاز أن يحصلوا سوى على فتات من المعلومات عن شخصه،

كان رمزي يوسف كثير الاحتياط وقد قضى عملاء الـ (اف. بي. آي) مئات الساعات داخل الطائرات المتوجهة إلى باكستان دون جدوى.

لم تردع المتابعة الأمريكية والدولية رمزي يوسف لكي يقيل ويستقيل، إذ ما لبث أن خطط لعمليات جريئة لم يسبق لها مثيل في الجرأة والوتيرة، فخلال هذه الفترة حاول رمزي اغتيال بنازير بوتو، وتفجير السفارة الصهيونية في بانكوك ١١مارس ١٩٩٤م، واغتيال بيل كلينتون في مانيلا ١٢نوفمبر ١٩٩٤م، كما أنه خطط لتفجير ١١ طائرة أمريكية في نفس الوقت كان سيتسبب في قتل مئات من الأمريكيين وإفلاس شركات الطيران الأمريكي دون شك.

لم تنجح غالبية هذه العمليات بسبب ارتباك الأفراد الجدد الذين كان عليهم التنفيذ، فمثلًا كانت الشاحنة التي هيئها لتفجير السفارة الصهيونية على أتم الجاهزية، لكن السائق التايلندي المسلم الذي يفترض أن يوقفها بجانب السفارة ارتبك وعمل حادثة سير هرب على إثرها وترك الشاحنة.

وكذلك كان مخطط تفجير الطائرات الأمريكية متقنًا من الناحية التقنية التي كان رمزي مكلفًا بها، فقد قضى رمزي يوسف الساعات الطوال في تحويل مادة النيتروغليسيرين الشديدة التفجير إلى سائل مستقر، وقد استعمل لهذا الغرض الأسيد السولفوري والأسيد النتري والأسيتون والأسيد الفضي وخصوصا النيتروبينزين، وهكذا توصل بعد عمل دؤوب إلى ابتكار قنبلة محمولة وشديدة التدمير لا يمكن كشفها إطلاقًا بمساعدة الأشعة إكس، وقد كانت بطاريات ٩ فولت هي المادة الحديدية الوحيدة التي يمكن كشفها بالأشعة إكس، ولذلك جعلها يوسف داخل حذائه مما جعل كشفها صعبًا للغاية (إن لم يكن مستحيلًا)، وقد عمل تجربة ناجحة على متن الخطوط الجوية اليابانية في ديسمبر ١٩٩٤م مما يبين فعالية وإتقان مخططه.

وإلى جانب هذه الجرأة والاحترافية كانت الاحتياطات الأمنية جزءًا لا يتجزأ من حياة هذا البطل، فقد قام رمزي يوسف فقط خلال إقامته بالفلبين بتزوير ١٢ ورقة ثبوتية بهويات وأسماء مختلفة وبصور يتغير فيها منظره بشكل جذري، وقد حاولت الشرطة الفلبينية إلقاء القبض على يوسف لكنها لم تفلح في ذلك رغم التجنيد الكامل لعناصرها وتوزيع صوره في كل الأماكن العامة.

ولم يردعه هذا الأمر كذلك عن إيقاف العمل، بل ساهم رمزي في يوسف في تحويل جماعة أبي سياف الفلبينية من مجموعة من الهواة إلى منظمة قتالية محترفة، فقد قضى معهم أسابيع عديدة درب خلالها عشرين من أنجب رجالهم على صناعة المتفجرات بشكل فعال.

وقدر الله أن حدث خطأ في تصنيع إحدى العبوات وهو أمر يحدث كثيرًا لشدة حساسية المواد الكيماوية [١]، لكن هذا الحادث جذب أنظار الشرطة الفلبينية لمقر إقامة رمزي يوسف بمانيلا، فاضطر هذا الأخير للفرار وترك حاسوبه المحمول في شقته المؤجرة، وسلمت الشرطة الفلبينية لتوها هذا الحاسوب لد (اف. بي. آي)، إلا أن خبراء الاستخبارات الأمريكية لم يتمكنوا من الحصول على المعلومات المخزنة فيه إلا بعد مرور وقت ثمين وتعاون أكبر خبير كمبيوتر لدى شركة مايكروسوفت، مما يبين درجة الاحتياط التي كان عليها رمزي يوسف.

لقد كان رمزي يوسف حسب ما صرح به القاضي كيفين دافي أخطر إرهابي عرفه العالم منذ السبعينيات، ولم يوازه شخص آخر في وتيرة العمليات التي قام بها سوى كارلوس، ولم يسقط في الأسر إلا بعد خيانة أحد معارفه لكن بعد أن أفرغ وسعه في الوصول إلى الأهداف التي سطرها.

إني لأتخيل فرحته في أسره (فك الله أسره) وهو بنجاح غزوة نيويورك وإكمال إخوانه لما قدر له وخطط.

---

[١] انظر دورة المتفجرات والإلكترونيات بجزئيها على اسطوانة (طريق العزة) رقم ٣.

لم يتمكن أبطال اليوم دائمًا من القيام بعمليات متسلسلة، ولذلك عرف عقد التسعينات أبطالًا قادوا عملية بارعة واحدة، لذلك لم يبقوا في الذاكرة ولم يسمع بهم الكثير.

وهكذا كان الشأن مثلًا بالنسبة للبطل **أمير خانزي** الذي قام بهجوم جريء ضد وكالة الاستخبارات الأمريكية (سي. آي. ايه) سنة ١٩٩٤م قتل فيه ثلاثة من عملاء الوكالة وأصاب بضعة آخرين أمام المقر العام للوكالة في لانغلي بولاية فرجينيا الأمريكية، وهو المقر الذي يعد أكثر الأماكن حماية في العالم.

ثم ما لبث أمير خانزي أن هرب من هناك بعد العملية بكل هدوء وسافر إلى باكستان حيث استطاع الإفلات من عدة كمائن أقامتها المخابرات الأمريكية ضده، وذلك بالتنكر وأخذ أشكال مختلفة بضع سنين، إلى أن وقع في قبضة المخابرات الباكستانية بعد ذلك إثر محاولاتهم المضنية والمكثفة.

من العبر الساطعة التي تستخلص من قصص هؤلاء الشجعان وغيرهم: أنهم مضوا إلى قتال أعتى الأعداء قوة وعددًا في عقر دارهم في معركة غير متوازية دون خوف ولا وجل، كما يتبين أنهم لم يفرطوا في جانب السنن الكونية وأعدوا لكل عملية عدتها.

من أهم العبر المستنتجة كذلك: أن الاحتياطيات الأمنية لا بد أن تحظى بالعناية الفائقة، لذا كان لزامًا على العاملين لدين الله أن يأخذوا كل الأمنيات الممكنة في مجالات اليومية من اتصال وتجمع وسفر إلخ، وبطبيعة الحال في عملهم الحركي لا فرارًا من قدر الله ولكن سعيًا لعمل دؤوب مستمر ناجع كما يحب الله سبحانه وتعالى، وهو الذي كتب الإتقان في كل شيء.

قد يكون لبعض ضعاف النفوس رأي آخر ويعتبرون أن بعض الأعمال الجهادية لم تحقق مكاسب تذكر، ناسين أن كسر جدار الخوف وتجريء المسلمين على عدوهم هو لوحده مكسب كبير يدفع أبناء الأمة للاتجاه الصحيح.

إن العنجهية الأمريكية ومعها الهمجية الصهيونية وبطش الأنظمة العميلة، وفي مقابلها تراكم الخبرة الجهادية، كلها عوامل مكنت من ظهور جيل مجاهد جديد يتوفر على سمات بطولية لم يسبق له مثيل منذ زمن طويل.

لم ينفع ضد هذه الثلة المجاهدة سطوة أمريكا واستراتيجية العولمة الأمنية التي تتبعها وما يرافقها من إجراءات قمعية، وذلك لأن هؤلاء الأبطال باختصار فضلوا بعد التوكل على الله والأخذ بالسنن الكونية أن يكونوا ثعالب على أن يكونوا خرفانا.

٢- العلم بطرق المنافقين والمرجفين في التنفير من الحق قديمًا وحديثًا.

كثيرة هي المرات التي يتخلف الناس فيها عن الحق بسبب الهوى وشدة تكاليف الثبات على الطريق، ولكن قليل هي الحالات التي يعترف فيها هذا المتخلف بهذا السبب، فإن المتخلفين لا بد لهم من ستر هذا الهوى وهذا الضعف بصور من التبريرات التي يحاولون بها إقناع الناس أن تخلفهم له من الأسباب المقنعة والموضوعية، فأول ما يفعلونه أنهم يذهبون إلى الحق لشتمه وتزوير حقيقته، أو لتعظيم بعض الجوانب السلبية على الحقيقة الظاهرة.

والقرآن الكريم كشف لنا هذه الأساليب خير كشف، وعراها لنا لنكون على بصيرة ونور من هذه المكائد النفسية، وليعلمنا أن محاولاتهم هذه مكشوفة غير مستورة، وأنها وإن تقنعت بقناع حاجب، فهو في الحقيقة قناع زائف يشف ما تحته، ويبين ما وراءه لمن تمعن فيه ولم تغره الصور الظاهرة.

في قوله تعالى عن المنافقين في أول سورة نقرؤها فيها ذكرهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ﴾. هذه الآية عظيمة في كشف النفاق والمنافقين، وطريقتهم في التنفير من الحق، وهي كلما سمعتها أو قرأتها تمثل لي أولئك القوم الذين مروا على مدار التاريخ الإسلامي وإلى يومنا هذا في ادعاء الفهم الثاقب، والعقل السديد، والإدراك العظيم للقضايا التي تطرح أو تعالج، وهم مع هذه الدعوى ينبزون المجاهدين بضيق الأفق، وقلة المعرفة، وسذاجة الفهم، وبسبب هذا ينفرون عن الحق بسبب سهولته، ويتعاظمون نفاقًا عن الحق بسبب أنه حق عملي له تأثيره على الواقع.

في التاريخ وجد الفلاسفة الذين يحللون الخبر ولا يصنعونه، ويدرسون التاريخ وهم خارج حركته، ولهذا قلما ما نجد فيلسوفًا استطاع أن يكون قائدًا عسكريًا، أو إداريًا ناجحًا أو سياسيًا خبيرًا، حتى صار في عرف الدارسين قولهم: الفيلسوف لا يصلح للسياسة، وكذا لا

يصلح للقيادة فنشأت ثنائية الفيلسوف والقائد، والفيلسوف والإداري، والفيلسوف والسياسي.

والسبب كما هو واضح أن الفيلسوف يعيش أوهام عقله، ويحلق بأجنحة الفكر فوق السحاب، ولا يتقن السير على طريقة البشر فوق الأرض.

هذه ثنائية توجد في عالم البشر والناس، وكم شكا القادة العسكريون وكذا السياسيون من أوهام الفلاسفة والمفكرين.

في العالم الإسلامي تاريخًا وحاضرًا:

القرآن سماهم منافقين، وقال لهم: ﴿آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿النَّاسُ﴾، هو الإيمان على صورة واحدة وحقيقة واحدة يعيها الناس جميعًا بفطرهم على حقيقة واحدة دون تفاوت في أصلها، يا قوم آمنوا كما آمن الناس، فهذا هو الذي أرتضيه منكم، وهذا هو أمري لكم، فلا تغالوا، ولا تتقعروا، ولا تتعمقوا تعمقًا ممقوتًا، آمنوا كما آمن بلال، وكما آمن ياسر، وكما آمن البدوي والحضري، فإن سألتم ما الإيمان وما تعريفه وما حده، قال لكم ابتداء: هو شيء تعرفونه في أنفسكم فلماذا تسترونه، وهو شيء يلفح قلوبكم بحرارته فلماذا لا تعترفون به؟.

وأنت أمام هذا تتذكر أمر الله تعالى لليهود: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾، فالمؤمن لا يتقعر، ولا يداري ليستر الحقيقة، ولا ينشغل بالحد عن المحدود، أي باللفظ عن الحقيقة، ولا بالاسم عن المسمى، بل هو يفهم من القول أن يتحرك ليذبح بقرة، أما كون لفظ الذبح له معنى خاص ووقع خاص وله شواهد في لغة الشعراء، فهذا لا يفكر فيه ابتداء، بل يستقر في قلبه إرادة الحركة لتحقيق الفعل: أن يذبح بقرة.

هكذا يتلقى المؤمن أمر الله تعالى، يتلقاه ليعمل به، فإذا عمل به شعر بحلاوة الإيمان في قلبه، وازداد ألق العلم في نفسه، وفتح الله عليه المعارف التي تؤيد صلته بالله تعالى.

أما اليهود، من أهل السفسطة والجهالة، فكان وقع الأمر عليهم على صورة أخرى: هذا أمر جميل، لكن لا بد أن نوقعه على طريقة لا تتلاءم مع ما يفهمه (الناس)، فالساذجون هم فقط من يفهم البقرة أنها البقرة، فهل كل بقرة تصلح لأن تقدم لتنفيذ أمر الله، فتعالوا إذن نسأل عن البقرة؟.

كان شأن اليهود يوم ذاك أنهم يعيشون وبين يديهم نبي يوحى إليه، فصاروا يراوغون ويحاورون حول صفة البقرة، لكن لنتخيل أمر أولئك اليهود في زمن لا يوجد فيه نبي.

قيل لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾، فماذا سيقول أصحاب السفسطة (أو السفهاء كما سماهم القرآن)؟

قطعًا سيجلسون أمام هذا الأمر محرفين ومؤولين لحقيقته لصرفه عن كونه دافعًا لهم للعمل والامتثال كلما ابتعد ولكن المرء عن الحقيقة الأولى التي تستقر في ذهنه لا بد أن يزداد رهقًا وتعبًا، فلما زاد اليهود في السؤال ازداد ضيق الأمر عليهم ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾.

قيل لهم: ﴿قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾، قالوا: أنؤمن كما آمن السفهاء.

هي كما ترى أخي في الله تقع على معنيين:

الأول: أنهم رفضوا إتباع الحق بسبب أن أهل الضعف والفقر والمسكنة قد سبقوهم إليه، فأنفت نفوسهم الخبيثة أن يساووا بينها وبين أولئك القوم الذين أكرمهم الله تعالى بنور الإيمان وبرد اليقين، فرفضوا الإيمان وتنكبوا عنه، وقد صدر منهم ما يدل على كبرهم هذا، وذلك أنهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يجعل لهم يومًا خاصًا، أو مجلسًا منفردًا يحدثهم فيه عن الإسلام والإيمان، فلما هم ومال لهذا القول طمعًا في هدايتهم قال الله تعالى له: ﴿وَاصْبِرْ

نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ۝ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

وهكذا سلب الله من الناس القدرة على أن يجعلوا للحق قيمة من عند أنفسهم، بل الحق قوته تكمن في نفسه لأنه من الله تعالى ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، فالحق لا تزداد قوته بإقبالكم، ولا تضعف قوته بإدباركم، الحق تكمن القوة فيه بسبب أنه من الله تعالى، وأنتم الذين تنتفعون به وليس هو الذي ينتفع بكم.

الثاني: أنهم استكثروا على أنفسهم أن يفهموا الحقيقة على صورتها الأولى دون تأويل يبطل حقيقته، فراحوا يشتمون الفهم الأول والذي يعيه الناس جميعًا بحجة أنه فهم ساذج، وطريقة لا تليق بعقولهم العظيمة كما يزعمون، فلما انشغلوا بالتأويل المتعمق والتقعر الفاسد فاتهم نور الإيمان الذي لا يستقر في القلب ولا يشعر به إلا بعد الإقرار والتصديق، وحينئذ بدأ الشيطان يأخذهم إلى شبهات العقول فأفسد عليهم عقولهم.

فالمعنى الأول يدخل فيه أهل المناصب والأموال ممن يأنفون عن الحق بسبب اتباع عوام الناس له فهم أهل الشهوة، والمعنى الثاني يدخل فيه أهل السفسطة ودعاة التعمق والتفكر فهم أهل الشبهة، وهم داخلون في التقرير الأول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

هكذا هي القضية: قضية أقوام أعيتهم الأعمال، وأرهقهم الاتباع، فراحوا يزعمون العلو في الدنيا مادة ومعنى.

ولكن ليتذكر أولئك أن عامة أهل الجنة هم الفقراء، وليتذكر أولئك أن عقول غيرهم أكبر من عقولهم، ولكن لا يصنع التاريخ إلا العاملون، فاللهم اجعلنا منهم.

كم هو عظيم هذا الإسلام، وكم هو يحتاج لرجال عظماء يرفعوا شأنه في هذه الدنيا!.

حينما يستقر في نفس رجل مؤمن أن عليه أن يبذل نفسه وروحه في سبيل هذا الدين، فإن عليه واجب النظر الصحيح والتفكير الصائب أن سنن الله تعالى لا تحابي أحدًا ولا تختلف بسبب نفسيته الجميلة ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾، فالسنن الإلهية حاكمة على البشر جميعًا، مؤمنهم وكافرهم.

وما أعظم ابن تيمية رحمه الله تعالى حين قال: (إن الله لينصر الدولة الكافرة العادلة ويديمها ويهزم الدولة المسلمة الظالمة ويزيلها)، وهذا من تمام فقه الرجل، فإن العدل هو قوام الملك، وبهذا نعلم أن السنن ستعمل عملها بإجراء الله تعالى لها رغم أنف البشر جميعًا.

قال تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَالَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَالَمُونَ كَمَا تَالَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ﴾، فالمسلم يألم ويقع عليه ما يقع على الناس من جريان السنن الإلهية ولا تتخلف عنه بحجة أن نيته طيبة ومقصده حسن وغايته جليلة، وهذا داخل في شروط العمل الصالح (أي متابعة السنة وعدم معارضتها)، فإن من شروط العمل الصالح أن يكون موافقا لسنة النبي ﷺ التشريعية، وما السنن التشريعية إلا موافقة للسنن الإلهية الكونية، فما من سنة أتى بها رسول الله ﷺ إلا وهي تعالج سنن هذه الحياة وتحقق للمرء إرادته الصالحة ونيته الطيبة، فبهذا يحقق الوعد الإلهي لتحقيق المصالح في الدنيا وتحصيل الأجر الأخروي يوم القيامة، فهو سعيد في دنياه وسعيد في أخراه، ولكن لا يظنن أحد أن سعادة الدنيا تتم بتحقيق كثرة المال والعرض والمنصب، فهذه ليست بشيء في إرادة الرجل المسلم، فإن إرادته معلقة بنيل الشهادة، وهكذا يتقلب المرء في سنة الله بمتابعة سنة النبي ﷺ [١].

---

[١] انظر الجهاد والاجتهاد تأملات في المنهج (٢١٠).

٣- العلم بأن الجهاد هو بداية الأمر وهو نهايته وهو منهج الله تعالىٰ في ابتلاء الناس، لتكتَشِف الأمة حقيقتها.

لقد كانت صور الصحابة تتنوع وتختلف في قدراتهم ونماذجهم، ولكن كان هناك شيء واحد يجمعهم جميعاً بلا استثناء، ورابط يحوزهم بلا شذوذ، هذا الرابط هو الجهاد في سبيل الله تعالى.

بل إننا نرى أن أغلب مسائل العلم التي علمها رسول الله ﷺ سواء كانت في التجارة أو بقية الأحكام إنما تعلمها الصحابة رضي الله عنهم وهم في حال الجهاد في سبيل الله تعالى.

وأنا لا أستطيع أن أُكثر الأمثلة، أو أستوعب بعضها في ذكر النماذج التي تشهد لهذه القاعدة، أو لهاتين القاعدتين، لكني أدعو طلبة العلم وغيرهم إلى فتح وقراءة صحيح البخاري مثلاً (وهو أفضل نموذج لما أقول)، ويقرؤونه بتمعن وتدبر، ويحاول كل واحد أن يجمع سبب الحديث الوارد، بمعنى أن يذكر الزمن الذي قيل فيه الحديث، وأين قيل، وسوف يرى أن أغلب مسائل الفقه في عموم الحياة كانت تقال في الجهاد في سبيل الله تعالى، وهاك بعض الأمثلة:

أ – قوله ﷺ لجابر رضي الله عنه في ترغيبه أن يتزوج البكر: ((هلّا بكراً تلاعبك وتلاعبها))، قالها ﷺ خلال قفلة من غزوة.

ب – فقه التيمم من الجنابة، أُخذ من حادثة في غزوة.

ج – حكم زواج المتعة، كان كله في الغزو من تحليل وتحريم مؤبد.

د – جواز شركة الأبدان، أُخذ من حديث يتعلق بجواز الشّكة بين المجاهدين في الغنيمة.

والأمثلة أكثر من أن تحصى، وهي تدل دلالة واضحة أن عمل الأمة التي ينبغي أن تعمل به وكل عمل آخر هو تبع له الجهاد في سبيل الله تعالى.

ولما كان عمل الأمة بمجموعها إلا من استثناه الشارع الحكيم سبحانه وتعالى هو الجهاد في سبيل الله، فكان المقدم فيها هو أتقنهم لهذا العمل، وأكثرهم قدرة على خوض غماره، فكان المقدم هو المجاهد في سبيل الله تعالى، وهكذا كان حال قادة الأمة من خلفاء وأمراء، فلا يوجد خليفة في تاريخنا الطويل إلا وكان مقاتلاً مجاهداً، وفي أعلى مرتبة من مراتب هذا العمل العظيم.

هارون الرشيد، هذه الشخصية العظيمة، والتي ملأها الكذابون أخباراً مزيفة عن بذخه ولهوه وقصفه، لو علموا حقيقته، لخجلوا من أنفسهم أشد الخجل، ولكنهم في الحقيقة لا يخجلون..

هارون الرشيد كان يغزو عاماً ويحج عاماً، وكان ينام على حصان جهاده حتى تقوست رجلاه من كثرة ركوبه عليه، ومات وهو في غزوة (الصائف) جهة المشرق، وهو يجاهد في سبيل الله تعالى.

لو قال قائل: لكنه كان كثير المال، عنده الجواهر بالأطنان، والذهب بالأرطال، والمال لا يُعد بين يديه.

قلنا له: صدقت، وهكذا كانت الأمة، غنية مثله، فلم يكن غنياً وأمته لا تجد لقمة الخبز، كما هو حال الظلمة والمتكبرين، ثم قلنا لهم كذلك، هذا كله من فضل الله ثم بالجهاد في سبيل الله، حيث أورثه الله تعالى بالجهاد ديار الظالمين، لقوله ﷺ: ((جعل رزقي تحت ظل رمحي)).

نقول هذا الكلام رداً على من يحاول أن يبحث عن القيادة الصحيحة الحقة للتجمعات الإسلامية، وكذا التنظيمات والتكتلات، فلن نستطيع شئنا أو أبينا أن نفرز قيادة حقيقية إلا في الظرف الصحيح لهذا الإفراز، هذا الظرف هو الجهاد في سبيل الله..

حين يبرز قائد تلتقي حوله الجماعة في ظروف الشدائد والأهوال، والمصابَرة والمكابَدة، وهي ظروف قاسية، تكشف المعادن على حقيقتها، حينئذ يكون معدن القائد خالٍ من الشوائب والكدر، فهو قائد حقيقي يستحق هذا المنصب، بل المنصب يتشرف به ويفخر.

لكن في زمن الدعة والخمول، وفي زمن المهانة والرذيلة، وظروف الخسة والعار، يأتي لنا شيخ معمم جلّ ما يملك هو إتقانه صنع الكلمة الحماسية، أو المنمقة، فيأسرُ ألباب السامعين، فيسارع الغثاء إلى تسييده وتأميره، فهل هذا هو الطريق الحقيقي في اكتشاف القيادة الصائبة؟

أو حين يطلع علينا رجل ملك البريق الدعائي، سواء بقدرته على إنشاء مجلة أو نشرة أو جريدة، واستطاع أن يشرف بها على الناس، فيعرفونه كاتبًا مرموقًا، أو سياسيًا خبيرًا، فهل هذا هو الطريق الصائب للقيادة الحقيقية؟.

هذه أمثلة وعليك أن تقيس عليها، لتعلم أن القيادة الحقيقية إنما تُعلم بالجهاد في سبيل الله تعالى، في زمن الصعاب والشدائد.

عرض القرآن الكريم لنا نموذجًا رائعًا لاستخلاص الشهد من بين ركام الأخلاط، وكان هذا العرض والتصوير مثلًا حياً وحقيقياً في تعليم الأمة كيف يخلص هذا الخلوص، وكيف تتميز الصفوف، وكيف تعرف مقادير الرجال، وهذا الحدث التاريخي كما عرضه القرآن العظيم فيه الرد الجلي الواضح على الطرق المبتدعة في إعداد الكوادر، أو صنع الكفاءات، إذ أن الكثير من أصحاب الأفكار الهجينة المعاصرة يطرحون طريقة بدعية أو

طرقًا بدعية في الأمة، وهم في دعواتهم هذه التي سيتبين لنا أمرها وحقيقتها، إنما هم يفرغون الشباب المسلم من الطاقات الإبداعية الحقيقية.

يحاول أصحاب التربية المزعومة أن يوجدوا الأدلة على طريقتهم في صنع الأمة، ورجال الأمة، وتراهم يصرخون في كل وادٍ أن الأمة والشباب المسلم بحاجة إلى تربية وإعداد قبل أن يوضع في معترك البلاء والامتحان، ولعل أبرز أدلة هذا التيار البدعي هو احتجاجهم بحادث طالوت عليه السلام، وها نحن نعرض هذا الحادث كما صوره القرآن ليتبين بجلاء أبلج أن هذا الحدث عليهم لا لهم، وهو في الحقيقة عمدة من عُمد حركات الجهاد، ودليل من أدلتها أن حركة الجهاد هي التي تربي الأمة وتُبرز القيادات، وتعرفنا بمقادير الرجال.

في سورة البقرة حديث مطول عن بني إسرائيل، وكان من كلام الله تعالى في هذه السورة عن بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام (البقرة من آية ٢٤٦ – ٢٥٢): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وفي الآية كما نرى أن الذين طلبوا الملك هم (الملأ)، والملأ في القرآن وصف لا ترتاح له النفس، فبمجرد ذكر الملأ وإطلاق هذه الصفة على قوم تتوجس خيفة، وترتقب أوصاف شؤم وقبح (راجع كلمة الملأ في القرآن الكريم)، وليس من عادة الملأ أن يطلبوا خيراً، وإن طلبوه فهو لأمر خبّئ في أنفسهم، وأنا هنا لا أدري لماذا فرق الملأ بين النبي والملك المقاتل..

وسنة الله جارية في الأنبياء سواء كانوا من بني إسرائيل أو من غيرهم أن النبي في أتباعه هو الحاكم والقائد والقاضي، وكان هذا الأمر في بني إسرائيل أوضح وأجلى، والحديث النبوي يشهد لذلك لقوله ﷺ: ((كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء))، فهل هذا الطلب المشروط في الملأ مقدمة لنعرف أن الذين طلبوه هم "ملأ"، لا يخرجون عن هذا الوصف وإن تزينوا بغيره؟

هذا أمر يحتاج إلى بحث ونظر، وإن كان هذا هو الذي تطمئن إليه النفس في هذا الوقت، بل إن هذه السرعة في كشف حقيقتهم في ختام الآية تنبئك عن هذا الذي قلناه، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

ثم جاءت الآيات تكشف لنا هذا الإجمال وكيف تم فرض القتال وكيف سار الحدث واستقر على حاله ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾.

هذا الكلام الرباني يؤكد لنا أن الابتلاء كان للملأ، الملأ الممتلئ مالاً.. الملأ طلبوا ملكاً.

ولما كان الله عليماً بالظالمين، فهو قد علم سبحانه أن هؤلاء القوم يطلبون ملكاً فقط، لا ملكاً مقاتلاً، وعُمْدة الحق لديهم في إقرار الملك وقبوله هو أن يكون ممن له سعة من المال، ولو حاولنا تصور النفسية الحقيقية للملأ، ومحاولاتهم الزائفة والذكية في ستر مبرر القتال لاتضح لنا الشيء الكثير:

فهم طلبوا أولاً: ﴿مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ولما حاججهم النبي وذكرهم بعورات نفوسهم ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾، فكان جوابهم على قوله هذا مؤكداً لما قال: وهو أن ما علمْت من أنفسنا حبه والشغف به هو سبب طلبنا للقتال ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ إنه حديث الملأ، وهو حديث لكشف الملأ، وهذه المقدمة تدلك على ما سيأتي وراءها من أحداث تكشف الملأ على حقيقتهم.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ هذه الآية تحمل في طياتها معنى تخلف الملأ، وفيها إشارة إلى أن الملأ قد سقط في أيديهم، فمنهم من لحق بالركب فسار جندياً، ومنهم من تخلف ليبقى تحت وصف الملأ، فحيث ذهبت حقيقتهم عن الموقع الفصل ذهب وصفهم، فمن فُصل به فخرج معهم سار تحت وصف جديد هو (الجنود)..

فصل طالوت (بالجنود)، وطالوت عين ملكاً بقرار لا دخل للجنود ولا للملأ فيه، بل ببعث إلهي ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً﴾ مبرر البعث ﴿بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾، القوة والأمانة.

جاء امتحان تشريعي لا دخل للبشر فيه وهو قول طالوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ فهذا أمر تشريعي من وضع إلهي، وليس استحسانًا بشريًا لشروط يضعها أصحاب التصفية المزعومة، والتربية المدّعاة، فكيف يجوز للناس أن يشترطوا شروطًا للجهاد ما أنزل بها من سلطان؟ وما هي الأدلة على هذه الشروط البدعية؟

فهذا شيخ يريد من الأمة أن لا تجاهد حتى يصبح قيام الليل ديدنها بلا تخلف أحد منها، وهذا شيخ لا يُجيز الجهاد للأمة حتى تحفظ الأربعين النووية، وهذا شيخ يشترط للجهاد أن تصبح الأمة منظِّرة في السياسة وفهم الألاعيب الدولية، وهذا شيخ يوجب على الأمة قبل الجهاد أن تنبذ المذهبية وإلا سيكون جهادها في سبيل المذاهب الأربعة، وهذا.. وهذا.. شروط ما أنزل الله بها من سلطان.

ثم هنا نقطة يدور البحث عليها، وهي:

هل طالوت عليه السلام اشترط شروطًا قبل إعلان الجهاد؟ أم أن شروطه على جنوده كانت بعد الفصل بالجنود؟

وهذه نقطة مهمة، لأن الحدث يدلنا على أن ابتلاء القائد لمعرفة حقيقة جنوده واختبارهم في قدراتهم، وفي مدى تحملهم للصعاب والأثقال كانت في مسيرة الجهاد، ومن خلال حركته مع جنوده، لا كما يريد مشايخنا في هذا الزمان، وهو أن يمتحنهم وهم على فُرشِهم الوثيرة، فشتان بين إخلاص ونقاء حقيقي يخرج من وسط الملمات والمحن، وبين إخلاص مزيف يخرج

من امتحانات الولاء للقيادة، وابتلاءات تسليم الرأس كالببغاء دون وعي وإدراك فتصبغ عليه القيادة لباس القرب والنجاح.

إن معرفة طالوت لحقيقة جنوده كانت من خلال مسيرته وحركته للجهاد في سبيل الله تعالى، وهذا الذي نقوله وندعوا الناس إليه بفضل الله تعالى ورحمته، ونحمد الله تعالى أن عافانا من أمراض الآخرين وتصوراتهم العليلة.

ثم خلص من خلص إلى المواجهة ضد جالوت وجنوده بعد محنة النهر والشرب منه، ثم محنة الكثرة والقوة المادية، ولم يذكر لنا القرآن الكريم أن محنة الكثرة العددية أسقطت بعض القوم، بل إن الوصف المدحي لهم كان قبل ابتلائهم برؤية كثرة عدوهم، حيث قال الله تعالى بعد حادثة النهر: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، فوصف الإيمان هنا وصف مدحي، لكن الإيمان مراتب متفاوتة وليست على درجة واحدة.

قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ حصل المقدور الإلهي بنصر المؤمنين، ووقع الوعد الإلهي ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

ومن حدث المعركة، ومن وسط ملماتها، ومن حركة الجهاد عرف الناس داود عليه السلام، ونحن المسلمين نعتقد أن النبوة اختيار واصطفاء، وقد عاب السلف رحمهم الله على الإمام ابن حبان البستي صاحب الصحيح، حين قال: "إنما النبوة العلم والعمل"، حيث لمحوا فيها إلغاء الاختيار والاصطفاء الإلهي، ولكننا نجزم أن الإمام ابن حبان لم يرد هذا، وأنا أقدم هذا حتى لا يخرج علينا زاعم بأن معنى ما نقول هو إلغاء الاختيار، ولكنا عرفنا من خلال الآيات أن داود عليه السلام برز بعد ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ فجمع الله تعالى لداود ما تفرق قبل الحدث بين النبوة والملك ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

نعم، عندما قتل الجندي داود الكافر جالوت كانت مقدمة الاختيار.. (قتل) فاجتباه الله تعالى، فهل عقل مشايخنا هذا: قتل، قتل، قتل...؟

فليت مشايخنا يعيدون لنا تفسير وتجليَة كلمة (قتل).

قال ﷺ: ((لا يجتمع كافر وقاتله في النار)) [رواه مسلم].

ومن أجل أن تفهم أمة محمد ﷺ كلمة "قتل"، وأنها منهج رباني سليم سديد، أتبَع الله سبحانه وتعالى الحدث كلمات عظيمة جليلة شريفة: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾.

فلو لم يقتل داود جالوت لبقي جالوت وجنوده يصولون ويجولون، ويُهلكون حرث الناس ونسلهم، ولكن لما منّ الله تعالى على الأمة بتعليمها قتل الطواغيت، كان عليهم أن يشكروه، لأنه سبحانه وتعالى ذو فضل على العالمين، كما قال سبحانه في خاتمة الآية: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

نعم، ولكن الله ذو فضل على العالمين، فمنهم من يشكر فضله ويرضاه، ومنهم من يرفضه ويأباه، ويذهب يتخبط في الظلمات باحثاً عن كلمة أخرى غير قوله: (فهزموهم)، (وقتل).

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

هذه القصة التاريخية ومن حديث القرآن الشيق عنها كشفت لنا أن الجهاد هو بداية الأمر وهو نهايته، وهو منهج الله تعالى في ابتلاء الناس، لتكتشف الأمة حقيقتها.

وفي النهاية نخلص إلى النتائج التالية:

١ – الملأ يناورون، والجهاد يكشف حقيقتهم، وليس بغير الجهاد تُكشف حقيقة الملأ، الملأ الممتلئ فلسفةً ومناورة، والملأ الممتلئ تبجحًا وتيهًا.

٢ – طالوت يعرف حقيقة جنوده خلال مسيرته وحركته للجهاد في سبيل الله تعالى، وليس بعيداً عن أرض المعركة والحركة ونحوها.

٣ – الإيمان لا يتنافى مع بعض ما يعتري النفس من خوف ووجل، وليس هذا الخوف والوجل مبرراً لترك إعلان الجهاد في سبيل الله تعالى.

٤ – قيادة داود عليه السلام برزت من وسط المعركة، ومن خلالها، وبعد برهان حقيقي أنه من عنده القدرة على إصابة الرأس – جالوت – فهو يستحق أن يكون الرأس.

٥ – إن العلم الشرعي شرط من شروط القيادة الجهادية، لأن الجهاد حركة مضبوطة بضوابط الشرع وأوامر الإله جل في علاه.

٦ – إن شعيرة الجهاد فضل إلهي، ومنّة ربانية، ويجب على الأمة أن تقبل فضل الله ومنته، ومن أعرض عنها فهو الخاسر المغبون.

إن من أشد القضايا معاناة لدى الحركة الإسلامية هي عدم وجود القائد المناسب، والرمز الصحيح للتيار والحركة، وعلى الرغم من وجود المدة الزمنية المناسبة لإفرازه إلا أن الخطوات ما زالت متعثرة وفاشلة، ونحن نرى الشباب المسلم من أشد الناس احترامًا لمسئوليه وقيادته، ما دام بعيدًا عن القيادة، غير مختلط بها، حتى إذا عايشها وخالطها اهتزت لديه الثقة، وسقط الاحترام، وبدأت صيحاته تتعالى في بيان أخطاء مشايخه وقيادته، وهذا يؤكد أن إفراز القيادة بالطرق التي اتبعتها هذه الحركات هي طرق فاسدة وخاطئة.

ومن أجل الحفاظ على صورة الشيخ المحترم، والقائد المقبول يحاول بعضهم إحياء الطريقة الصوفية في التعامل مع الشيوخ، لكنها تكون مغلفة بغلاف العملية أو السلفية، أو التبريرات

الإدارية التي اشتقت من نظم جاهلية لا تمت إلى الإسلام بصلة، فالمحاولات المتكررة في إضفاء صفة القداسة على القيادة لم تعد تدوم طويلًا أمام اختبارات القرب والتعامل بين القواعد والقادة، ومن صمد منهم أمام هذه الضغوط القسرية من القادة، بغض الطرف عن النظر إلى أنوار الشيوخ والقادة فإنه سيخرج صورة شوهاء من رجل باع عقله وإرادته لمثل هؤلاء القوم، وحينئذ فإن الحركة تصبح مجموعة من الأبواق التي تسير وراء ناعق واحد فقط، هذه الصورة هي أقرب ما نرى في الواقع من تركيبة الجماعات الإسلامية [١].

[١] الجهاد والاجتهاد تأملات في المنهج (١٠٠-١٠٥).

٤ - التفريق بين العلماء الربانيين وعلماء السلاطين الذين صنعوا على عيون الطواغيت.

سدنة الحكام المرتدين وكهنتهم [١]، أصحاب العمائم النخرة، والوجوه القبيحة، والفتاوى المدفوعة الثمن، مثلهم ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾.

---

[١] (أعوان الحكام: من العلماء الرسميين والصحافيين والإعلاميين والكتاب والمفكرين وغيرهم من الموظفين الرسميين الذين يتلقون رواتبهم في مقابل نصرة الباطل وتزيينه ومعاداة أهل الباطل وتشويههم. وهذه الفئة هي أعلى الفئات صوتاً في الموالاة للحكام العملاء والقوات الصليبية الغازية لديار الإسلام، أو أهل الذمة كما يفترون. لكنهم -للأسف- هربوا من سؤال في غاية الخطورة والحرج: من يدفع الجزية لمن؟

وهذه الفئة بأخلاطها المختلفة اتبعت أسلوباً من التلفيق العقائدي بين العقائد المنحرفة التي نبذها أئمة الإسلام سلفاً وخلفاً؛ أهل السنة والجماعة. **فهذه الفئة جمعت بين:**

١- عقيدة الإرجاء في أفضح صورها -بلا حياء- في إسباغ الشرعية على أسوأ صور الانحلال والتبعية والفساد والنهب الذي تمثله الأنظمة الحاكمة المرتدة الخارجة على الشريعة.

٢- بالإضافة إلى تبنيها لمنهج الخوارج في تكفير وتفسيق وتبديع واستباحة دماء وحرمات المجاهدين العاملين للإسلام.

فمفتي الديار المصرية وهو الموظف الرسمي في الحكومة المصرية الذي يتلقى راتبه منها ليؤدي عمله الذي استأجروه عليه؛ وهو إسباغ الشرعية على النظام العلماني الباطش بالمسلمين الموالي لليهود، في صورة تتفوق في غلوها على أشد عتاة غلاة المرجئة الأوائل، هو نفسه الذي أفتى المحكمة العسكرية العلمانية بإعدام المجاهدين الخمسة أبطال الإسلام في مصر -محمد عبد السلام فرج وعبد الحميد عبد السلام وخالد الإسلامبولي وحسين عباس وعطا طايل- الذين قتلوا أنور السادات، الذي وقع أربع اتفاقيات مع إسرائيل تعهد فيها بالاعتراف بدولة إسرائيل واستيلائها على فلسطين، وعدم الاعتداء عليها أو

مساندة أية دولة تعتدي إسرائيل عليها، بل ونزع سلاح سيناء ضماناً لأمن إسرائيل، إلى غير ذلك من الاتفاقات السرية.

وأشهر هذه الاتفاقات هي اتفاقية السلام مع إسرائيل في عام ١٩٧٩ التي نصت على إنهاء الحرب بين مصر وإسرائيل إلى الأبد، ومنعت مصر من مساعدة أية دولة تتعرض لعدوان إسرائيل، بل ودعت إلى التطبيع مع إسرائيل في كل المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية، **ثم أصدر الأزهر فتوى يبارك فيها هذه الاتفاقية، ويقرر فيها أنها تتفق مع الشريعة!!.**

ونوع آخر من المفتين يدعون إلى طاعة أولياء الأمور، وفي نفس الوقت يعتبرون المجاهدين دعاة فتنة، وهم قد أجازوا الاستعانة بالأمريكان، وباعتبار جيوشهم الجرارة التي سدت الأفق وأساطيلهم الجبارة التي ضاق عنها البحر والتي بلغت مئات الألوف من الجنود الغزاة من المستأمنين!! ولا ندري من الذي يؤمن من؟؟

وصدرت منهم فتاوى جماعية بجواز الاستعانة بالقوات الأمريكية لمواجهة النظام البعثي العراقي بدعوى الضرورة، بل وأسبغوا الشرعية على وجود جحافل الكفار الغازية لأقدس بقاع المسلمين، وقد مر على وجود هذه القوات حتى الآن قرابة اثني عشر عاماً بعد انسحاب العراق واستسلامه، قتلت فيها تلك القوات –بالحصار– قرابة مليون ونصف مليون طفل في العراق دون أن ينطق هؤلاء الموظفون بكلمة واحدة في هذا الشأن.

والأمر ليس أمر استعانة بقوات الكفار ضد قوات صدام البعثية، بل الأمر أمر احتلال لمنابع النفط في جزيرة العرب. فلم يكن هناك ضرورة لإحضار الأمريكان، فإن جيوش الدول العربية والإسلامية كان فيها الكفاية والغنى لحماية الكويت أو تحريرها.

ولكن هؤلاء الحكام لا إرادة لهم، بل هم صنيعة المخططات البريطانية التي رسمت لهم حدودهم، ونصبتهم على عروشهم، ثم ورث الأمريكان النفوذ البريطاني، وأصبح لهم الأمر والنهي على كل حكام الجزيرة العربية وسائر العالم العربي.

إذن فقد جاء السادة ليدافعوا عن ممتلكاتهم، وليس لهؤلاء الشيوخ والملوك شأن بأمن الجزيرة العربية أو الدفاع عنها.

والآن وبعد أن استسلم العراق وفرض الحظر الجوي على نصف أراضيه واستقل الشمال الكردي عن حكومة بغداد وفرضت لجان التفتيش عليه وألزم بدفع التعويضات، بعد كل هذا لا يزال الوجود العسكري الصليبي على جزيرة العرب في ازدياد، بل إنهم يعدون لحملة جديدة على العراق ينتظر لها أن تقتل مئات الآلاف من المسلمين، حتى يستولوا على نفط العراق.

ثم سيتحولون بعد ذلك إلى -كما صرحوا في الكونجرس- إلى السعودية لتقسيمها، ثم إلى مصر وهي الجائزة الكبرى على حد تعبيرهم.

إذن المسألة ليست مسألة استعانة بل المسألة مسألة احتلال وسلب ونهب وسيطرة وقهر من الصليبيين على المسلمين في أقدس أراضيهم؛ جزيرة العرب. وهؤلاء الحكام ما هم إلا طلاء باهت على جدار الوجود الأمريكي، ثم يأتي —بعد ذلك- علماء السلطان ليوقعوا على الفتاوى المحولة لهم من المقام السامي، التي تبيح هذا الاستيلاء وهذا النهب وهذا التسلط الصليبي بل وهذا السفك لدماء المسلمين في العراق.

ثم يفتي المفتي العام للسعودية -أيضاً- بجواز الصلح مع إسرائيل لأن الذي عقده معهم هو ولي أمر المسلمين (ياسر عرفات).

وبعض المنتسبين إلى الدعوة في الكويت صرخوا بعد قتل المجاهدين للأمريكان في فيلكا، وانتفضوا غاضبين للتعدي على الصليبيين الذين وصفوهم بأهل الذمة، ونسوا أن أهل الذمة يعيشون تحت ظل سلطان المسلمين، ويدفعون لهم الجزية، وتجري عليهم أحكام الإسلام، بينما هؤلاء المشايخ وأمرائهم يعيشون تحت قهر الصليبيين وفي سلطانهم، ويلجؤون إلى حمايتهم ويدفعون لهم الأموال الباهظة طوعاً وكرهاً حتى يرضوا عنهم، ولا يستطيعون أن يخالفوا إرادتهم قيد أنملة.

فمن في ذمة من؟ ومن يدفع الجزية لمن؟ ومن في قهر من؟

ونسوا أيضاً أن الكويت من جزيرة العرب ولا يجوز بقاء اليهود والنصارى فيها أصلاً.

وكل هؤلاء -الذين يقطعون الطريق إلى الله- يأمرون الناس بطاعة أولئك الخارجين على الشريعة في ترك الجهاد الواجب، **فارتكبوا بذلك عدة مصائب:**

أ- أعانوا على استمرار استيلاء الكفار على بلاد الإسلام.

ب- ثبطوا الناس عن الجهاد العيني المفروض عليهم.

ج- أضفوا الشرعية على الحكومات الباطلة الخارجة على الشريعة.

د- سبوا المجاهدين وافتروا عليهم.

ومن الحيل التي يسوقها هؤلاء دعواهم أن الجهاد حق وواجب، وأنه طريق الخلاص ولكن ليس الآن وقته، فالمرحلة الآن مرحلة الإعداد، والمرحلة الآن مرحلة التفرغ للدعوة، إلى آخر هذه الدعاوى.

ويجادلون عن هذه الشبهة جدالاً شديداً، ولكنهم يتهربون من السؤال المحرج الخطير:

لماذا بعد كل هذه العقود من المذلة لم تعدوا شيئاً؟ ومتى سينتهي هذا الإعداد؟

ولا جواب عندهم لأن الإعداد عندهم لا نهاية لمدته. قال الله تعالى: ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة﴾ [التوبة ٤٦].

وليتهم حتى أصلحوا عقائد الناس، وبينوا لهم عقيدة التوحيد الصافية كما أنزلت على النبي ﷺ، وكما نقلها السلف الصالح، ولكنهم -وللأسف- يبدون بعضها ويخفون كثيراً منها.

فجل كلامهم في التوحيد ينصب على العامة والضعفاء، أما خروج الحكام الطواغيت عن الإسلام وموالاتهم لليهود والنصارى فلا يتطرقون إليه.

ومن العجب أن بلاد الإسلام واقعة تحت النفوذ الأجنبي منذ عقود، وليس الوجود العسكري الاحتلالي الصليبي الحالي نتيجة مفاجأة أو انقلاب طارئ في السياسة الدولية، بل هو ثمرة سياسة مستمرة من التبعية للغرب تمتد لما يزيد عن مائة عام، ومع ذلك لم نسمع من هؤلاء عن هذه المصيبة شيئاً إلا نادراً وبإشارات عابرة وبعيدة.

وتارة يشغبون بقولهم إن المجاهدين لا يقدرون المصالح والمفاسد، وأن ما جلبوه من المفاسد أكثر مما حققوه من المصالح، ولكنهم لا يجيبون على السؤال المحرج: حسناً، وما هو الأسلوب الجهادي الذي تقترحونه والذي يحقق المصالح ويتجنب المفاسد؟

والجواب عندهم هو: ترك الجهاد.

وإذا سألتهم: لو فرضنا أن المجاهدين لم يقوموا بواجبهم، وانضموا إلى صفكم؛ صف القاعدين التاركين للجهاد تحت شتى المبررات، فهل كان أعداء الأمة سيتوقفون عن عدوانهم؟ وهل كان الفساد والإفساد سينحسر؟ وهل كان اليهود سيرحلون عن فلسطين؟ وهل كانت إسرائيل ستكف عن مخططها لتهويد فلسطين وهدم المسجد الأقصى والسعي لإقامة إسرائيل الكبرى؟ وهل كان العلمانيون سيكفون عن

يحاول بعض السذج من المنتسبين للعلم والدين أن يستخدم بعض الأحاديث والآثار السلفية، في التنفير من الاقتراب من السلاطين وذلك بإنزالها على الواقع المعاصر، وهذا خطأ قبيح فج، فإن الواقعتين بينهما من الاختلاف ما لا يمكن حمل الواحدة على الأخرى، فالسلاطين الذين تكلم الأئمة الأوائل عنهم، وحذروا من الاقتراب منهم، هم أولًا وقبل كل شيء مسلمون، خلطوا عملًا صالحًا وآخر غير ذلك، لكنهم كانوا على الدوام بيضة الإسلام وحماته، ودرعه الذي دفعت به عوائد الحياة ومحن الزمن، وطوارق الأعداء، وكانوا على الدوام خاضعين لأحكام الملة، وقواعد الشريعة، ولم يألوا جهدًا في إصابة الحق وتحريه.

فأين حكامنا من هؤلاء؟!.

زيغهم وتضليلهم؟ وهل كان مروجو الفاحشة سيتوبون ويتعففون؟ وهل كان الطواغيت الحاكمون سيتركون كراسيهم ويفتحون أبواب السجون ويكفون جلاديهم عن تعذيب شعوبهم؟ وهل وهل وهل؟ ثم يضيفون إلى هذه الشبهات مزيداً من السحب والحجب، فيخاطبون الشباب بقولهم: لماذا لا تنشغلون بطلب العلم؟ لماذا لا تنشغلون بمحاورة الكفار ومجادلتهم؟ لماذا لا تنشغلون بإنشاء المدارس ورعاية الأيتام ومداواة المرضى؟ لماذا لا تنشغلون بالدعوة إلى العقيدة الصحيحة؟

وليتهم صدقوا في دعوتهم لتصحيح العقيدة. وحقيقة دعوتهم هي: لماذا لاتنشغلون عن الجهاد؟؟

إنه مرض فقدان المناعة العقائدي الفكري، فلنحذره أشد الحذر، فإن عاقبته الضياع والخسران والذل والاستسلام.

وحاصل دعوتهم تثبيط المجاهدين عن الجهاد، وإخلاء الميدان من الشباب المجاهد حتى يأمن الغزاة المعتدين من أية مقاومة أو تدافع، ولذلك فإن أعداء الإسلام ينظرون إليهم في رضا ويشيرون على حكوماتهم بإفساح المجال لهم) أ.هـ نقلا عن كتاب (الولاء والبراء عقيدة منقولة وواقع مفقود)(٢٣-٢٦).

حكام هذا الزمن خرجوا من الإسلام من جميع أبوابه؛ فهم معرضون عن دين الله، رادون لأحكامه، مستهزئون بالدين وشرائعه وأهله، موالون لكل ملة سوى ملة الإسلام.. فأي عمى هذا الذي أطبق على أعين الناس حتى جعلهم لا يكتشفون ردة حكامهم؟

فهل نستطيع أن نقول أن امتناع جمع من (السدنة) المنتسبين للعلم والفقه من تكفير هؤلاء الحكام بسبب شبه علمية؟.

إن الشبه العلمية التي يستحق أن تختلف حولها الأنظار والعقول، هي تلك الشبه الخفية الدقيقة، أما تلك التي يصطدم بما الأعشى، بل الأعمى لعظمها وكبرها، فلا تستحق أن تسمى شبهًا.

إن السبب الحقيقي لموقف هؤلاء (السدنة) في الحقيقة شهوات النفوس، إنها شهوة المال والمنصب، وخوف ذهاب الاسم من سلم الوظائف الحكومية.. نعم إنها تنافس البلوغ لتحقيق الشهوات.

نستطيع أن نقول إن الطاغوت المعاصر قد استطاع بسط ألوهيته الباطلة على الأرض بعدة عمد وأركان، ومن هذه الأركان: صك الورق النقدي، ووثائق إثبات الشخصية، ومنها: وثيقة السفر (جواز السفر)، والشهادات الدراسية.

هذه أهم مقومات الطاغوت المعاصر، وبها استطاع أن يفرض سلطانه على الناس ويربط مجرى الحياة به ومن خلاله، فهو يستطيع أن يمنع ويعطي، وبإرادة واحدة منه يجعل الورقة المهينة التي لا قيمة لها ولا وزن ورقة نقد تحنى لها الرقاب وتذل لها النفوس وتكتسب قدرة خارقة لتحصيل المال والطعام والمسكن والملبس ورغد الحياة، وبها يصبح ربًا مزيفًا، يمن على هذا ويمنع هذا.

ومثلها كذلك وثائق إثبات الشخصية، فمن خلالها يستطيع أن ينفي الإنسان من الحياة، ويجعله أثرًا بعد عين لا وجود له، ومن خلالها يستطيع أن يثبت نسبك لتلك البلد أو يسلبها

منك، وبها تستطيع أن تتنقل بين البلاد، ومثلها الشهادة المدرسية (ولشرح هذه الأركان مواطن أخرى).

وفي سابقة غريبة لم تعهد في أمة من الأمم السابقة ربط الطاغوت المعاصر به حق اللقب العلمي، فهو يستطيع أن يجعل فلانًا عالما، صيته يملأ الدنيا وعالم الناس، أو يغيبه في ظلمات الحياة، لا حس له ولا خبر..

فأنت أخي المسلم لو سئلت عن أسماء علماء بلد ما فإنه سيتبادر إلى ذهنك فورًا تلك الأسماء اللامعة ببريق تزيين إعلام الطاغوت لها، فهذا عالم من تلك البلد تعرفه أنت لأن الطاغوت أرادك أن تعرفه، فهو الذي جعله عضوًا في هيئة كبار العلماء، وهو الذي أطلق عليه لقب مفتي البلد، وهو الذي جعله وزيرًا للأوقاف، وهو الذي جعله قاضي القضاة، وهو الذي عينه إمامًا للمسلمين، وهو.. وهو.. إنه صناعة الطاغوت.

كان على الدوام شيخ الأزهر في مصر يتم انتخابه من قبل هيئة علماء تجتمع وتتداول فيما بينها عن أحق الناس بلقب شيخ الأزهر، ليوسد هذا المنصب العلمي إليه، أما الآن فشيخ الأزهر يعين من قبل الطاغوت، فبجرة قلم، وبنفخة طاغوتية غير مباركة يصبح المسخ الصغير شيخًا للأزهر، تصدر عنه الفتاوى العلمية، والأبحاث الفقهية المميزة، ويتدافع ركب الجهل من الناس ليستقوا من معين علمه الذي لا ينضب، وكل ذلك لم يقع إلا لأن الطاغوت سلّك له طريق اللقب العلمي.

ولأن الطاغوت لن يقبل من أتباعه إلا الخضوع والإذعان، والتأليه له، ولن يدخل في حاشيته إلا كل ساحر يزين له ملكه، ويدفع عنه عاديات الزمن، (وهذا شرط صحة لا تنازل عنه)، فإن اللقب العلمي سيكون قاصرًا على من تتحقق فيه هذه الشروط، فصار الناس لا يرون عالما إلا وهو سائر في ركب الطاغوت، ورجل من رجالاته، وسقطت من أعين الشباب المسلم قيمة العلم والعلماء، فصار جل هم الشباب شتم العلماء والتنفير منهم.

والحق أن هؤلاء كل من دخل في ركب الطاغوت لا يستحق أن ينسب إلى العلم، وأهل العلم على الحقيقة هم من قاموا بحق العلم عليهم، وتبرؤوا من الآلهة الباطلة، وعضوا على الحق وإن كان مرًا.

وهؤلاء للأسف الشديد لا يعرفون إلا من قبل من فتش عنهم، وبحث عنهم أشد البحث، وهم كثر بفضل الله تعالى، ولكن الطاغوت المعاصر سترهم عن أعين الناس، وغيبهم عن لقب العلم واسمه، فالواجب على الشباب المسلم، أن يقتصر في طلبه للعلم، وفي سؤاله عن أمور دينه على هؤلاء العلماء الصادقين، المغيبين عن حياة البشر.

لقد جمع كل طاغوت حوله مجموعة من السدنة الفقهاء، يستخدمهم في تمرير كفره، وتزيين حكمه، ويستغرب المرء حين يرى أن الجمع هو الجمع، والسدنة هم السدنة.

وهكذا فإن كل طاغوت له حاشية وسدنة من المنتسبين إلى العلم، يتخذهم كما يتخذ أحذيته، ويجمعهم في مؤتمر سنوي، حيث يقدم لهم، بعض الاحترام والتقدير، ويبارك جمعهم الخبيث بخطبة عصماء، يزينها ببعض الآيات والأحاديث، وبشيء من التعالم الغث يشرح لعلمائنا الأفاضل بعض أصول الدعوة الإسلامية، وطرق نشر الإسلام وتحسينه للناس، فيحضهم على الحكمة في الدعوة إلى الله ويرغبهم في مسايرة ركب الحضارة، ويشرح لهم ما فتح الشيطان عليه، وهم خشب مسندة، يبتسمون كالبلهاء ويهزون رؤوسهم، ويطلقون بين الفينة والأخرى عبارات الإعجاب، أو يشتد بهم الوجد فيصفقون طربًا وتيهًا، وكأنهم أمام الخليفة الراشد أو مهدي آخر الزمان.

ولكن الطاغوت لا ينسى أن يشير بعصى التهديد كما أشار من قبل، بجزرة الترغيب، لأن هذا من أصول تربية القرود.

اقرأ هذا النموذج: "إن مما يشغل بالنا وبال كل مسلم غيور على إسلامه، حريص على صفائه وإيمانه، هو ما بدأ ينتشر في بعض الأوساط من انحراف عن مبادئ ديننا الحنيف،

منحرفين بذلك عن الطريق القويم الذي لاعوج فيه... وإن إدراكنا العميق ووعينا الكامل بخطر الغزو الفكري الهادف إلى المس بقيمنا الروحية، وكياننا الأخلاقي القائم على مبادئ الإسلام، وتعاليمه الرشيدة، ليزيد من شعورنا بعبء المسئولية الملقاة على عاتقنا كأمير المؤمنين، وحامي حمى الملة والدين، في هذا البلد الأمين". ا. هـ.

هذا جزء من رسالة الحسن الثاني إلى المؤتمر السابع لرابطة علماء المغرب.

وفي خطاب له بمناسبة تأسيس المجلس العلمي الأعلى، والمجالس العلمية الإقليمية يحذرهم من التدخل في السياسة قائلًا: "ليست دروسًا للسياسة، حينما أقول السياسة، أقول السياسة اليومية... إياكم والدخول فيما لا يعنيكم، فيما إذا ارتفع سعر الوقود أو سعر الدخان" ا. هـ.

وفي خطاب آخر له أمام جمع السدنة: "لا نغلق أندية، ولا نغلق مسابح، ولا نرجع إلى الوراء أبدًا، أنا أتكلم فيما يخص العبادات، المعاملات، والسيرات لا تهمكم، لا تهمكم السيرة في الأزقة، والعربدة في الطريق، وغير الحشمة في الطريق". ا. هـ.

هذا الكلام يقال أمام السدنة، فلا يوجد قائم لله بحجة يثبت للشباب أن فيهم من يستحق أن يسمى عالما.

وإذا تكلمنا عنهم قالوا عنا: (هؤلاء قوم لا يحترمون العلماء، أو شباب متهور).

نعم نحن لا نحترم السدنة، بل نتقرب إلى الله بكشفهم.

روى الإمام أحمد بسند حسن عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: ((ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه)). فقد أمر النبي ﷺ بتقدير العلماء واحترامهم، وعدم منعهم حقهم من التوقير، والستر ودفع الأذى عنهم، وكان علماء المسلمين على الدوام حماة الدين، وحفظة نصوصه ومفاهيمه، دفع الله بهم المحاولات المتكررة لتزوير

معالمه، وطمس هديه، وهؤلاء العلماء لم يدخروا وسعًا في القيام بحق الله عليهم، وحق العلم كذلك.

وحتى لا نبتعد كثيرًا في إصدار العمومات التي ما عادت تشفي غليلًا، ولا تطب عليلًا، فإنا سنسير معك أخي في الله في اكتشاف معالم الهدى الحقة، وصفات العلم والعالم في كلام الله تعالى وفي سنة رسول الله ﷺ، وفي كلام السلف الصالح، لأن أدعياء العلم قد كثروا، وتغيرت موازين الناس في الحكم والقضاء، وصار إطلاق لفظ العالم ألعوبة لا ضابط له، وكذلك سلب صفة العالم من أهله ومستحقيه.

وقبل أن نبين صفة أهل العلم والعلماء فإنا سنمر على مزالق أهل الجهل وموازينهم في هذا الباب، وهي مزالق قلما خلا منها فئة من الناس إلا من رحم الله تعالى، فمن أشهر هذه الموازين الخاطئة في تقييم الناس والحكم عليهم بالعلم والفقه:

أولًا: إن مما طم وعم أن أغلب الناس إلا من رحم الله تعالى لم يعد يميز بين الخطيب المفوه، صاحب الصوت الجهوري، وبين العالم، ولأن الناس على الأغلب لا يترددون إلى مساجدنا إلا يوم الجمعة، وأيام الدعوة إلى الندوات التي تسمى بالندوات الفكرية، ولأنهم كذلك ما عادت تشغلهم أحكام الدين وشرائعه بمقدار انشغالهم بسماع التحليلات السياسية، أو الأخبار والحكايات، وصار فرحهم يشتد، وغبطتهم تظهر بمقدار ما يرون ويسمعون من صوت عال، أو شتم لفلان وعلان، وهذا جر على الناس خراب أمزجتهم ورداءة أحكامهم على الأشياء والأفعال، فأعرض الناس عن الدراسات الهادئة، والأبحاث العلمية، والتقريرات الشرعية، وأقبلوا على هؤلاء القوم الذين يتقنون فن الصخب الهادر، والأصوات المرتفعة، وأعرضوا عمن يحملهم على العمل ويحضهم على الشريعة، ويبين أحكام الدين والفقه.

وعلى هذا صار أهل المنابر قسمان:

١ – أصحاب الطحن بلا طحين، والكلام الكثير بلا علم ولا فقه، بل هو بدل أن يدفع الناس إلى الكتاب والسنة، وبدل أن يزين خطبته بالعلم الحق الكتاب والسنة صار جريدة جديدة تسمى (جريدة المنبر)، فقبل أن يصعد المنبر يختار هذا الخطيب لنفسه خبرًا صحفيًا ويعلق عليه، وتروج تجارته، وتنفق بضاعته حين تنزل بالمسلمين نازلة، أو يكتشف مؤامرة وهمية سربت إليه، فحينئذ هذا أسبوع الفرح لأنه وجد لنفسه مادة دسمة لخطبته، وبها يستطيع أن يشد الآذان إليه، ومنها ينطلق إلى عالم النجومية والشهرة، هؤلاء على الجملة من أكثر الناس حذرًا في إطلاق الأحكام الشرعية المحددة، بل كلامهم دائمًا في العمومات، التي لا يستطيع الناس بها أن يلزموهم بموقف يؤخذ عليهم، فهؤلاء القوم هم أهل العلم عند بعضهم.

٢ – لما رأى بعض طلبة العلم فساد أمزجة الناس بسبب القسم الأول من الخطباء، ثم إعراض الناس عن الفقه والعلم، ورأوا أن الحديث في المنابر صار على صورة جريدة أسبوعية، هالهم هذا الأمر ودفعهم إلى موقف مضاد، ومختلف مع الأول في كل شيء، هذا الموقف هو: عدم الكلام إلا فيما يخص الفرد المسلم، أي: فيما يجهل من أحكام الدين والفقه العامة، فهو يأبى أن يتحدث إلا في بر الوالدين، وآداب الزيارة الشرعية، أو أحكام العقيقة وبدعة صوم النصف من شعبان، وقد يتقدم قليلًا فيحدث الناس عن الأوائل وفتوحات الآباء، وزمن العزة، وهكذا.

ولم يعد المسلم العادي إلا ألعوبة بين هذا وهذا، وعامة الخطباء يتجنبون البحث والكلام في الأحكام الشرعية التي تلزم المسلم بموقف محدد من أحداث معاصرة عم بلاؤها الصغير والكبير، وربي عليها المسلمون حتى صارت جزءًا من حياتهم، فمن القليل النادر أن تجد الخطيب الذي يقدم للناس الأحكام الشرعية التي تلزمهم بموقف محدد من نوازل الحياة العامة، أو التي تدفعهم إلى حركة شرعية منضبطة.

فأين الحديث عن حكم المبدلين لشرع الله؟ وأين الحديث عن وجوب جهادهم قبل جهاد الكفار الأصليين؟ وأين الحديث عن عدم جواز الدخول في وظائف طائفة الردة كالدخول في البرلمانات أو الشرطة؟.

نعم يوجد ممن ملأ الدنيا جعجعة بوجوب تحكيم الإسلام، أنه هو الحل، نعم يوجد الآلاف من هؤلاء، لكنا كنا نتمنى ألا يتكلم هؤلاء المخادعون لأنهم تحدثوا عن وجوب تحكيم الشريعة، وصرخوا بملء أفواههم بذلك أمام الناس، لكنهم دخلوا في وزارات الحكم بغير ما أنزل الله من باب آخر، وقالوا للناس عن وجوب الشورى وتحدثوا عنها حتى بحت أصواتهم، لكنهم صاروا عمدًا في المجالس الشركية، فاهتزت هذه المفاهيم في أذهان الناس وعقولهم، وإلا فكيف نستطيع أن نقنع المسلم العامي أن الحكم بغير ما أنزل الله وأن استبدال شريعة الرحمن بشريعة كفرية هو كفر بالله العظيم، وموالاة أهلها كفر وردة، وهم يرون الذين يتحدثون أمام الناس ويثيرون عواطفهم لتأييدهم هم الذين يظهرون في التلفزيون ويتحدثون أمام هؤلاء الحكام وبطانتهم بالأدب والتوقير، ويقولون لهم: نحن معكم في كل كلمة قلتموها.

على المنابر تعريض وقدح وذم، وفي الخلف تأييد ونصر وموالاة.

هذه الصور وأمثالها أسقطت من حس الناس قيمة هؤلاء الخطباء، واهتزت الثقة بهم، مع أن الطامة الكبرى وهي الأهم: ضياع مفاهيم الإسلام وأحكامه الواضحة من أذهان الناس وعقولهم.

لكن علينا أن لا ننسى أن قومًا من الخطباء ما زالوا يعيشون خارج واقعهم ويفكرون بالمعارك الفائتة، ويتصورون أنفسهم في زمن محنة خلق القرآن، أو في زمن الخصومة بين الأشاعرة والحنابلة، فهذا خطيب من خطباء المسجد المكي وقت أزمة الخليج حين سلط الله حبيب الكويت على أهل الكويت، وجاءت قوات الصليب لترد قوات المرتدين، وانقسم الناس بطريقة غثائية إلى مواقف ما أنزل الله بها من سلطان، وكان أهل الشام على الجملة،

وخاصة غثاء أهل الأردن وفلسطين، قد شايعوا صدام وحلموا به أنه المنقذ وشبهوه بصلاح الدين، ودارت بهم سماديرهم حتى رأوا صورته في القمر، وصارت المساجد بخطبائها موقد فتنة، ومصدر شر، وكان في الجهة المقابلة لهم أهل الخليج والجزيرة، حين حلفوا برأس بوش تأليهًا له وتقديسًا، وأعلن الشيخ الإمام أبو بكر الجزائري قائلا: "جزى الله أمريكا خيرا"، وصار الأمريكي والإنجليزي الكافر أحب إليهم من بني جلدتهم المسلم في تلك الفتنة العمياء، يقوم خطيب المسجد المكي ليفسر للناس واقع المعركة فيقول: "ماذا ينقم علينا أهل الشام، أينقمون علينا أننا أهل توحيد؟ وأننا أصحاب العقيدة الصحيحة؟". ا. هـ.

فأهل الشام ومعهم أهل العراق في ذهن الخطيب الإمام، هم أهل البدع، لأنهم صوفية أشاعرة، وأهل الجزيرة موحدون حنابلة، ولذلك لم يقم صدام بغزو الكويت ولا التحضير لغزو الجزيرة إلا للقضاء على المذهب الوهابي!! ونشر الطرق الصوفية والعقيدة الأشعرية!

ثانيًا: وإن من الموازين الخاطئة في مدح البعض، وإطلاق اسم العلماء وصفة العلم عليهم، ظن الجاهل أنه بمقدار تفرغ المرء عن أخبار الحياة، وبعده عن أحداثها، وتوحده، وعزلته، وانشغاله ببطون الكتب يعيش معها وبها؛ يكون العالم عالما حقًا، وإمامًا يقتدى به، فالمرء يأخذه العجب حين يرى أحدهم يسوق عن شيخه، أو إمامه أو محبوبه، على جهة المدح والتعظيم أن شيخنا بفضل الله تعالى بعيد كل البعد عن الدنيا!!، فهو رضي الله عنه لا يجد الوقت لسماع أخبار الحياة!، ولم تدخل الجريدة يومًا بيته، بل هو حفظه الله ورعاه لا يقتني جهاز مذياع، بل جل وقته في طلب العلم، وفي تعليم طلبة العلم!!!!.

ثم يأخذه العجب ويشتد به الوجد فيسوق لك الأخبار تلو الأخبار في إعراض شيخه عن معرفة ما يدور حوله، فشيخنا حفظه الله تعالى إذا حاول بعضهم أن يذكر شيئًا من أمور السياسة، وأخبار السياسيين، تجهم، وتغير وجهه، وتكلم معه بكلام بليغ، وذكر هذا (الآبق) أن طالب العلم عليه أن يصرف كل وقته للعلم، فهو يستشهد دوما بمقولة السلف: (إذا أعطى الرجل كل وقته للعلم، أعطاه العلم بعضه).

وهكذا تدور هذه الكلمات على ألسنتهم، ويظنون أنهم بهذا قدموا صورة جميلة عن شيخهم، وهم في الحقيقة لم يزيدوا سوى أن عرفوا الناس: أن شيخهم هذا هو من أجهل خلق الله، وأن شيخهم هذا يجب أن يحجر عليه فلا يسأل، ولا يستفتى، لأن من شرط المفتي أن يكون بصيرًا بحال أهل زمنه، عالما بمداخل الحياة وسبلها، وإلا فما هو هذا العلم الذي أنزله الله على رسوله ﷺ؟ ولم جاء العلم؟. أجاء العلم ليكون حبيس السراديب؟. أم ليتمتع به بعضهم في خلواته؟.

ومن غرائب هؤلاء الشيوخ وعجائبهم وكذلك من غرائب تلامذتهم أنهم إذا سئلوا عن الأمور العظيمة في الحياة لم يتورعوا أبدًا عن الخوض فيها بألسنتهم الطويلة، وتكلموا فيها وهم لا يدرون شيئًا، وخاضوا فيها وهم من أبعد الناس عنها فهما ومعرفة.

على ضوء هذا التفكير المنحط، وهذا السلوك الجاهل، ظهرت في عالم المسلمين ثنائيات لم تكن معروفة لدى الأوائل، وقد حاول بعضهم بشيء من التعالم الغث أن يجعل هذا من وضع الاختصاص المعاصر الذي لا بد منه، مع أن هذا الاختصاص إذا وقع فقد كل طرف ما حمل من خصوصيات.

هذه الثنائيات هي:

أولاً: التفريق بين السياسي والفقيه: فالسياسي عند الناس هو البصير بأمور الحياة، القادر على تفسير أحداثها، وهو من يستشار ويسأل عن تفسير الكونيات والوقائع، وهو كذلك من له حق قيادة الحياة ورعاية شؤونها، وهذا من خلال ما أعطي من قدرات سياسية، وأما الفقيه فهو حبيس الكتاب ولا يسأل إلا فيما يخص الغيب، فالسياسي له عالم الشهادة، والفقيه له عالم الغيب، وهذه ثنائية باطلة لم تكن معروفة لدى الأوائل، بل إن كلمة الفقه لا تقع إلا إذا اجتمع أمران:

١ - إدراك الحياة على ما هي عليه، ومعرفة أحداثها، وهذا من أعظم الفقه، فإن الله تعالى قال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت]، فالعالم هو من فسر الأمور على طريقة سننية لها تمام الوضوح في عالم الشهادة، ولا تغيب عنه الآخرة، فهو الجامع بينهما.

وإن من طامات مشايخنا في كلامهم على وقائع حياتنا أنهم يعتمدون على مبدأ الكشف الصوفي، ولا ينسون أن يفتح الله عليهم بالفهم في تفسير الأحداث، وهذا كله باطل من القول وزورا، فإن معرفة المرء للحدث لا تقع على وجهها الصحيح إلا إذا درسه دراسة عقلية سننية، ونظر إليه كما هو في عالم الشهادة، فحينئذ ينطلق إلى الأمر الآخر وهو:

٢ - معرفة حكم الله في هذه الواقعة، أي يأتي بعد ذلك الحكم الشرعي، ولا يمكن لأحد أن يطلق حكمًا شرعيًا صحيحًا إلا إذا فهم الواقع فهمًا صحيحًا، فالخلق أولًا، ثم الشرع، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

وبعد أن يدرك تطابق الخلق والأمر لا بد أن تصدر منه كلمات التسبيح والتعظيم والتقديس، فيزداد يقينًا بحكمة الخالق، وتترسخ مبادئه في حكمة الشريعة.

حينئذ تخرج منه ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

فلو أننا قلنا إن السياسي هو من أدرك الأمر الأول فقط (عالم الشهادة) وغاب عنه الأمر الثاني (معرفة حكم الله فيه) فإن هذا لن يكون سياسيًا مسلمًا، وستنطلق رؤاه في التعامل مع الأمور على مبدأ المنفعة التي ليس لها ضابط سوى النظر إلى الفردية الذاتية، أو الشهوة التي يعود مآلها إلى فساد الحياة، وإذا قلنا إن الفقيه هو من أدرك الحكم الشرعي دون معرفته بوقائع الحياة على ما هي عليه فسيكون علمه هذا حبيس ذهنه وعقله، وليس له من أمر الحياة شيء، حينئذ سيقتصر دوره على الوعظ الكنسي الذي يحتاجه الناس يومًا في الأسبوع لتخرج منهم زفرات الضيق ارتقابًا بانتهاء غثائية الشيخ.

وعلى هذا؛ فإن الفقيه لن يكون فقيهًا في ديننا ولا يسمى فقيهًا وعالما إلا إذا كان سياسيًا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ووقع على النفوس، وعلى الشباب المسلم أن يسقط من حسه ومن احترامه من يقول: إن من السياسة ترك السياسة، لأنه حين يكون كذلك -أي: حين لا يكون سياسيًا- لن يكون فقيهًا، بل يكون شيخ جهل وتجهيل، وعلى مثل هؤلاء الشيوخ الجهلة يعتمد الطاغوت في إمرار باطله على الناس، وفي إصباغ الشرعية على نفسه، فشيوخنا كمخدرات البيوت، يلقون على أنفسهم الحجاب، ويرفع حجابهم عندما يبدأ مسرح الدجل أمام الطاغوت، ليقرأ عليهم نصوص الحكمة ليدلل لهم على أنه الوفي للإسلام وأهله، وإلا ففسروا لنا ماذا نسمى هذا القطيع البهيمي الذي يتحلق حول الطاغوت وقد زين الرؤوس بعمائم خربة، ولم ينس أن يطلق شعرات الخديعة على لحيته (ولعله نسي أن يحلقها في ذلك اليوم لاضطرابه)، ثم يخرج من عنده وهو يمدح ويثني ويقسم الأيمان المغلظة على أن حاكمنا هو ولي الأمر الشرعي الذي يجب طاعته.

أهكذا يصنع الفقه بأهله؟.

أم هكذا يكون العلماء؟.

أم أن الفقيه كل الفقه هو عمر بن الخطاب حين يقول: (لست بالخب ولا الخب يخدعني)، وكذلك صاحبه حذيفة حين يقول: (كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألون عن الخير وكنت أساله عن الشر مخافة أن يدركني).

من هو الفقيه والعالم في ديننا؟. أهذه النماذج الجاهلة التي تعيش في عصرنا أم أولئك الذين سادوا الدنيا وحكموا الوجود؟.

إن هؤلاء الجهلة الذين لا يدرون عن الحياة وما يدور فيها، ولا يسمعون تصريحات قادتهم أمام الأعداء، ولا يعرفون شيئًا عما يقال عن حركة دولهم وإلى أين تسير، هؤلاء من العار على أهل ديننا بمكان، وإنه مما يخجل منه أن يكونوا هم العلماء، ولو رضينا أن نطلق عليهم

وصف العلم والفقه لكان هذا شتمًا وقذفًا لديننا، لأننا علمنا الناس أن عالم هذا الدين، وفقيه هذه الشريعة جاهل بالحياة، غبي بالزمن، ومن أجل ذلك لأن نشتم هؤلاء القوم ونخرجهم من زمرة العلماء، خير وألف خير من أن نصبغ في أذهان الناس صورة قذرة عن الفقيه المسلم.

ثانيًا: التفريق بين المقاتل والفقيه: كنت أعجب زمنًا طويلًا، لماذا يلبس هؤلاء الشيوخ هذا الزي الكهنوتي، طربوش على الرأس (ثقيل نوعا ما)، طيلسان (رداء فضفاض)، له أكمام تتسع لقطة أبي هريرة رضي الله عنه كما يزعمون، لكني أدركت الآن شيئًا من سر هذا اللباس المقرف، ولعل من أسباب ذلك أن ينطبع في أذهان الناس وقبل ذلك في أذهان أصحاب هذا اللباس أنهم لا يصلحون لشيء سوى الكلام.

فدور مشايخنا محصور فقط في الكلمة، ومن المستهجن الغريب أن يكون الشيخ قائدًا عسكريًا، أو مقاتلًا شديدًا، فهذا محمد الغزالي يعلن بكل صراحة غريبة: أنه لا يطيق رؤية دم دجاجة وهي تذبح، لكنه قطعًا يفرح هو وإخوانه المشايخ في رؤية الدجاج على مائدة الطعام.

هذه الصورة المنكوسة للشيوخ جعلت الشباب يتساءلون: لماذا خلا تاريخنا من العلماء المقاتلين؟

وشبابنا على الجملة يحترمون شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى لأنهم رأوا فيه صورة العالم الفقيه المقاتل، وظنوا أنه لا يوجد له مثال وشبيه، وهذا خطأ فإن من القليل النادر أن تجد عالما من علمائنا الأوائل إلا وهو مقاتل من الدرجة الأولى، بل إن بعضهم كان في مرتبة القيادة العسكرية، مثل أسد بن الفرات، وإن الكثير من أئمة الحديث قد صنفوا كتبهم، وعقدوا مجالس التحديث في الأربطة القتالية، على ثغور المسلمين.

ومثل هذه الثنائيات الباطلة، التفريق بين الإداري والفقيه، والقائد والفقيه، وغير ذلك مما أعطت صورة غثائية عن الفقيه المسلم [١].

[١] الجهاد والاجتهاد تأملات في المنهج (١٦٠-١٦٦).

٥ - الحذر من ثقافة المنهزمين.

﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾ (١).

أن تخرج علينا الجهات الأمنية في مصر تارة وفي المغرب وفي الأردن واليمن والكويت وغيرها في كل آونة بتنظيمات من نسج خيالهم أو مبالغ فيها يتم إلقاء القبض على أفرادها بين الآونة والأخرى تحت مسميات تنظيم القاعدة الكويتي أو الأردني أو اليمني أو الأفغان العرب أو غير ذلك من المسميات، فهذا أمر نفهم جيدًا دوافعه الانهزامية والانبطاحية الارتمائية تحت أقدام أسياد هذه الأنظمة من الأمريكان؛ فهذه الأنظمة تعيش وتقتات على زبالة موائد أمريكا، وتحرص في كل مناسبة على خطب ودها ورضاها ولو كان الثمن هو بذل ما تبقى من ماء وجوههم، وسحق وقتل وسجن خيرة أبنائنا تحت تهم ومسميات يخترعها جلادوها بين الآونة والأخرى يسترضون بها أسيادهم.

لكن الأمر الذي لم أكن أقدر على فهمه واستيعابه قديمًا هذا الانبطاح السافر والاندحار الباهر والانهزام الظاهر الذي يعاني منه كثير من المنتسبين للدعوة والعلم في بلادنا!!

إن ما يقوم به إخواننا المجاهدون من الأعمال الجهادية الماحقة الفاضحة لكثير ممن أمضوا عقودا يسعون في تدجين شباب الإسلام وتخنيث دينهم؛ يتعرض اليوم من هؤلاء المنهزمين لحملة شرسة شعواء لتشويهه وإلغاء شرعيته وجعله منكرًا من الفعل وزورا..

إن هؤلاء المنهزمين الذين اعتلوا منابر الإعلام والدعوة والخطابة والتدريس يشنون غاراتهم التخذيلية والتشويهية بعد كل عملية جهادية على المجاهدين، ويشنعون باسم التعقل والحكمة على الشباب المسلم الذي تذوق طعم العزة في الجهاد والاستشهاد بعد عقود من الذلة في القعود..

---

(١) مقال لأبي محمد المقدسي فك الله أسره بعنوان (المنهزمون).

فتارة يشهرون عليهم سيف أهل السنة والجماعة على أهل البدع من الخوارج الخارجين على ولاة الأمر!! وتارة يلوحون لهم بدرة عمر على أهل الغلو!! فإن لم يفلحوا بهذا ولا ذاك استعانوا عليهم بولاة أمورهم ودعوا إلى محاكمتهم وتوقيفهم عند حدودهم!! فهم عندهم مشوهون للإسلام مدمرون لآمال الأمة ومنجزاتها!!

إنهم يمارسون أبشع صور الإرهاب الفكري، بل يمارسون ما كان يقتات عليه الرهبان في العصور الوسطى من صكوك الغفران؛ فيوزعون استمارات السلفية والعقلانية والنضوج ووو على كل من سار في ركاب دعوتهم الانهزامية، ويسلبونها من كل مجاهد، ويدمغونه بالجمود والانغلاق والمثالية والتعجل والفوضى ونحو ذلك من قاموس إرهاب المنهزمين.

عندما كنا شباباً أغراراً كان لي شيخ أعجبت به إعجابًا شديدًا، وكانت له ملاحظات وانتقادات كثيرة على منهج الإخوان، سألته يوما عن القائد المجاهد مروان حديد رحمه الله، فأخذ في مدحه والثناء عليه وقص لي صورًا من جهاده وصموده في وجه النصيرين في الشام وعن ثباته في الاعتقال رغم التعذيب الشديد الذي تعرض له، فسألته هل كان من الإخوان؟

فقال بلهجة انتقادية: كان؛ ثم فُصِل وصار يُحذَّر منه بحجة أنه فوضوي!! وسيدمر منجزات الدعوة أو شيئًا نحو ذلك!!

فقلت: وماذا يعنون بذلك؟

فقال منتقدًا: يعنون أنه يحب الجهاد ويتحمس له ويشجع الشباب عليه!!

ثم دارت بنا السنون وفرقت بيننا الأيام، ففوجئت وفجعت بشيخي العزيز بعد انتشار قاعدة جماعته وتوسعها وازدياد أثقالها وتملكها للمؤسسات والمجلات يردد ويصف المجاهدين اليوم بما كان ينتقد على الإخوان وصفهم به بالأمس!!

رويدًا أيها الشيخ الجليل لقد كنت معجبًا بك أيما إعجاب؛ فحطمت آمالي وقوضت إعجابي!!

جاء في حديث المصطفى ﷺ: ((لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك)).

وإننا لنعاين ونرى حقيقة فترة كثير من المشايخ والجماعات والتيارات اليوم؛ إخلادًا إلى الأرض، ونكوصًا عن المنهج، وارتدادًا عن الثوابت والأصول تحت غطاء التجديد والمراجعة والإصلاح والانفتاح.!!

ربما بسبب ضغط الواقع المعاصر وإعلامه وضجيجه، وربما بسبب العجز عن متابعة الطريق..

﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾.

كثير من الجماعات الإسلامية ورؤوس الصحوة كما يسمونهم قد مارسوا دورًا في خداع الشباب حين كانوا يجمعونهم حولهم أو يسعون في تنظيمهم في جماعاتهم من خلال إلهاب مشاعرهم بخطبهم الرنانة حول الجهاد وكتاباتهم الطنانة المملوءة بالحماس الأجوف!! فلما كثر الأتباع وقال لهم الشباب هيا إلى العزة التي جمعتمونا من أجلها، حي على الجهاد الذي حببتمونا به؛ تورط أولئك المشايخ واضطرت طائفة منهم تحت ضغط الشباب وحماسه إما إلى توجيههم للجهاد بعيدا عن الأوطان؛ لا حرج في الشيشان أو في أفغانستان أو في البوسنة أو في أي مكان؛ المهم أن ينأى الشباب بجهاده عن الوطن حيث استقرار أولئك المشايخ ومصالحهم ومصالح دعواتهم المزعومة..

فلما ذهب الشباب إلى تلكم الجبهات القتالية وذاقوا طعم العزة في الجهاد وزالت عن أعينهم الغشاوات التي ساهم في تكثيفها دعاة الفتنة وعلماء الضلالة في بلادنا؛ رجعوا إلى

بلادهم بغير الوجه الذي ذهبوا به، وأمسوا يواجهون شيوخهم بتساؤلات ضاق بها الشيوخ ذرعا..

لماذا جهاد الروس مشروع وجهاد الأمريكان غدر ونقض للعهود؟

لماذا الجهاد في الشيشان وأفغانستان مستحب والجهاد في عربستان مبغوض ومنبوذ يحذر منه ومن أهله؟؟

لماذا لماذا ولماذا؟؟؟

أسئلة لم يستطع أن يجيب عليها أولئك الشيوخ بأجوبة مقنعه.. أليس منكم يا مشايخ الصحوة من درسنا ردة الحكام الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله..؟ وأصلتم لنا ذلك تأصيلًا شرعيًا..؟؟

فلما طالبناكم بالعلاج الشرعي الناجع لذلك والذي أمر به المصطفى إذا ما رأينا من الولاة الكفر البواح؛ وقفتم في وجوهنا وسلقتمونا بألسنة حداد وتهم شداد، بل لجأتم إلى شن الغارة علينا بعد أن كنتم ترعوننا من قبل، واتهمتمونا بالفوضوية والتهور والتعجل والعمل على تدمير مكتسبات الصحوة وإرجاع العمل الإسلامي مئات بل ملايين الأميال إلى الوراء!!

ومع أن مكتسبات بعض هؤلاء المشايخ وتلكم الجماعات بلغت في بعض الأوقات مبلغًا هدد الأنظمة ورؤوسها العفنة، ولما نزلت الأمة وشبابها إلى الشوارع وتجمد الدم في عروق أعداء الله من الخوف؛ جمد أولئك المشايخ النخوة في نفوس الشباب، وأطفؤوا لهيب العزة وحرارتها وجذوة الجهاد وشعلتها، وسمعناهم بعد ذلك يفاخرون ويتغنون بأنهم نجحوا في ترشيد الأمة وحفظ مكتسباتها وتهدئة الشباب وضبطهم وتوجيههم إلى صناديق الاقتراع والانتخابات حفاظًا على الوحدة الوطنية وحقنا للدماء!! فسحقًا سحقا..

﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾.

كيف يكون أهل الزيغ كالرافضة أجرأ وأقنص للفرص من أهل السنة؟

أي مكتسبات تلك التي نميع الثوابت ونتنازل عن الأصول وننحرف عن الجادة ونخنث الشباب بحجة المحافظة عليها؟؟

وكم دفعنا من قبل خلال العقود التي مضت في ظل حكم الطواغيت من الدماء وكم بذلنا من الأعمار والأرواح في السجون وفي ساحات التعذيب وعلى أعواد المشانق وكان كثير من ذلك بلا مقابل؟

أفلا يجوز أن نمنح الجهاد بعضًا من ذلك نستأصل به رؤوس الشرك الطاغوتية العفنة؟؟

أسئلة أمسى شباب الأمة يرددها ولم يكن يعرفها أو تخطر بباله من قبل..

كل ذلك فيما أعتقد من بركات المدافعة وبشائر الغزوات الفاضحة التي قطعت المفازات وقربت واختصرت المسافات على هذا الجيل، فوصل كثير منهم في أيام معدودات إلى البصيرة والجادة التي مكثنا نتلمسها ونتحسسها سابحين عكس تيار جارف من شبهات وتخبطات كثير من المشايخ عقدين من الزمان.. لقد أزالت تلكم الغزوات الفاضحة الغشاوة الكثيفة عن العيون وصار الناس فعلًا فسطاطين.

وكما أنها فضحت وعرّت رهبانًا ومشايخ وأناسًا لا زال بعضهم إلى اليوم يتخبطون في ركاب الظالمين، ويلوثون دعواتهم في أوحال مستنقعاتهم، ويشاركون في مؤسساتهم ومعاقلهم الوثنية، ويسهر بعضهم يسودون وجوههم وصحائفهم لجعل الطواغيت الخائنين ولاة أمور شرعيين وأئمة للمسلمين يجب السمع والطاعة لهم ولا يجوز الخروج عليهم بحال!!..

فقد أظهرت لنا كذلك أنصارًا جددًا وجنودًا مغمورين رفع الله ذكرهم وصاروا بنصرتهم لهذا الدين وبمبادرتهم إلى نصر ما خذله أولئك الرهبان في مقدمة الصفوف، سيسحبون

البساط من تحت أقدام أولئك المخذلين شاؤوا أم أبوا، وسيثق بهم الشباب ويلتفون حول أمثالهم عاجلًا أم آجلًا.. فالمبادرة أمست للعاملين المجاهدين الصادقين الواضحين في نصرتهم للدين، فليتقدموا إذن الصفوف فهذا دورهم!! ولتقبع تلك الرمم المهترئة المنهزمة في مزبلة التاريخ فقد انتهى دورها!!

﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾.

كتب بعض الشباب الجدد ينفث بعضًا من هذه الهموم التي أشرت اليها تحت عنوان: (نموذج للسلفية الأمريكية الخليجية المزعومة..!)

فقال: (تحدث المفكر مالك بن نبي في كتابه شروط النهضة عن أحد مركبات النقص التي أصابت الحركة الإصلاحية بالجزائر آنذاك، وهو أن علماء الحركة ودعاتها نزلوا إلى أوحال السياسة والمعارك الانتخابية والتي كان يسميها بمعارك الأوثان! فوقعوا بالوحل حتى تلطخت ثيابهم البيضاء وصار هدفهم الإصلاحي ملطخاً بالأوحال وساقطاً لا قيمة له!

نحن الآن أمام نموذج جديد من أشكال السقوط لبعض فئات الحركة الإسلامية، بيد أن هذا السقوط المريع يتميز عن سابقيه بأنه أكثر انحداراً وانصباباً إلى القاع الذي يقبع في أسفله مستنقع آسن..!

والسبب لأن أخطاء الحركات الإسلامية السابقة لا ترقي ولا تصل إلى ما وصلت إليه الآن، لأن ما يحدث الآن على يدها هو انسلاخ بالكامل، وتمزيق للهوية، وبيع مبادئ، وتزييف ثوابت شرعية، وتمييع دين!

والحق أقول لكم بأن الخطر الذي نشأ في جسد الأمة من هذه الحركات وسريانه بالمسلمين ربما ينافس خطر اليهود والنصارى على الإسلام الحقيقي والمجاهدين الذين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله، لأن شر تلك الملل والطوائف واضح للعيان ويمكنهم مواجهته لأنه مكشوف خطره، ظاهرة سوءته، بيد أن مثل تلك الحركات التي تلبس زي الإسلام وتتقمص

قميصه، وهي في نفس الوقت تفرّغ الإسلام من محتواه الحقيقي وتصرف الشعوب عن الهدف الأول والحقيقي للإسلام وهو أن ﴿ويَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾.

وبذلك تكون هذه الحركات قد نجحت بما عجز عنه الكفار وخدمتهم أيما خدمة، فلقد استطاعوا وبحنكة شرعية وبمنهج الاتباع (المزعوم!) أن يخلقوا للمسلمين نموذجاً فريداً للإسلام الأمريكي السلفي! ذلك الإسلام الذي يحصر أسماء الله وصفاته في الإثبات اللغوي، ولكنه يلغيها من قاموس التحاكم..!

ذلك المنهج الذي يفرغ حتى المساجد من دورها الحقيقي الذي يخرّج ويعدُ كتائب الحق ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾، وتحويلها عبر إثبات الوطنية لولي الأمر إلى دورٍ للعبادة لكنها تختلف عن باقي دور العبادة بأنها لا يرفع فيها الصليب ولا تدق فيها الأجراس..!

ذلك المنهج الذي ينحر على عتبات السلاطين مفهوم الولاء والبراء الحقيقي..!

ذلك المنهج الذي تلوى من خلالهِ الأدلة الشرعية بما يتلاءم مع المصلحة الشرعية التي ترضي ولي الأمر وتبقى له كرسيه المزوق..!

وأما آيات الجهاد الصريحة الواضحة البينة القطعية الدلالة، وأما عن آيات إقامة دولة الله الحقيقية في الأرض.. فليس لها محل عند أرباب هذا المنهج سوي في المد والإدغام والإشمام.. وتغنوا بالقرآن فمن لم يتغن به فليس منا..!

هل تصدقون يا معاشر السادة بأنه قبل ثلاثة أشهر أصدر وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في إحدى الدول الخليجية (الدولة السعودية والوزير هو صالح آل الشيخ) قراراً يمنع بموجبه خطباء وأئمة المساجد من الدعاء على اليهود والنصارى! لكنما الاستهجان ليس هنا، وإنما بمسارعة إحدى الجماعات التي ترتدي ثوب السلفية بإصدار بيان رسمي موقع منها تتبنى فيه هذا القرار وتتبرع بتحويله إلى فتوى أيضا..! بحجة أنه يجوز من باب السياسة

الشرعية التي يراها ولي أمر المسلمين!! أنها تحقق مصلحة الإسلام والمسلمين أن يطلب من الدعاة والخطباء التوقف عن الدعاء على فئات معينة من الكفار لما بينهم وبين المسلمين من عهود ومواثيق ومصالح تتعطل بلعنهم..

الرائق في الأمر حقاً أن الرئيس الأمريكي لم يصدر بياناً مماثلاً لخطبائهم ودعاتهم من السدنة والقساوسة، ولكنه تجاوز قضية الدعاء التي ربما تضر بالمصالح الأمريكية مع الدول التي ترتبط معهم بمواثيق وعلاقة وصداقة مزعومة، وتعامل بالمصلحة الشرعية الخاصة به مباشرة، فأصدر تشريعاً في الأسبوع الفائت يجبر الإدارة الأمريكية قاطبة على الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل!

فكم هو رائق حقاً أن تراعي تلك الجماعات التي شوهت اسم السلفية مصالح ولاة أمورنا الشرعية المزعومة في الوقت الذي يكون فيه جورج بوش سلفيًا في معتقده أكثر منهم!

ولكن إن كان الحديث يقول إذا لم تستح فاصنع ما شئت فإن واقع الحال يقول أيضًا: إذا انسلخت من دينك وزيفت ثوابته فتعر إذن أين ما شئت..!

النموذج السلفي الأمريكي لم يقف عند هذا فحسب، بل إن أكبر الجمعيات السلفية بالخليج أصدرت بياناً مقتضباً بعد أحداث سبتمبر التليدة وقالت فيه بالنص: إننا نقف في خندق واحد مع الولايات المتحدة ضد الإرهاب..!

إذن نحن نجد أنفسنا ملزمين بأن نسمي الأمور بمسمياتها الشرعية، فما نراه هو انسلاخ من الثوابت الشرعية كما أسلفنا وليس مجرد أخطاء يمكننا تجاوزها، ولأن الاختلاف الآن قد صار جذرياً حيث أن المنهج السلفي الحق لا يلتقي مع العبث السلفي الأمريكي، اللهم سوى بالثوب واللحية!

ولكن هل تريدون أوضح من هذا..!؟

حسناً يقول الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ هذه الآية القطعية الدلالة يتعامل معها أصحاب المنهج السلفي الحق بوضوح شديد، بينما أهل العبث ومهرجو السلفية صاروا يسمون الجهاد كما تسميه أمريكا (بالعنف والإرهاب)!

ربما يقفز علينا أحدهم ويصيح.. أتحدثنا عن القتال ونحن لا نملك أسبابه؟

فأقول لست الآن في مناقشة شرعية لمن بذلوا الأسباب فخذلتموهم، ولكننا لا نطلب منكم سوى أن تبقوا لكم شيئاً من مفهوم الولاء والبراء الحقيقي..!

لكن العجز والسقوط يا أيها الإخوة لم يقف عند تطويع وتحوير مفهوم الولاء والبراء ليلائم متطلبات المصلحة الشخصية السياسية لولي الأمر المزعوم، لكن هؤلاء العابثين قد ارتقى بهم الحال فوصلوا إلى أحط أنواع الخيانة الشرعية في ديننا الإسلامي، فعلى قدر ما تجد أصحاب المنهج السلفي الحق يبذلون جهدهم ووسعهم في إعلاء راية الله في الأرض ويبذلون حتى أرواحهم وكل غال ونفيس، تجد هؤلاء على النقيض تماماً، فهم يبذلون وسعهم وجهدهم في تأصيل شرعية مذلتنا وضياع كرامتنا أمام الأعداء، بل وجعل أي طريق لاسترداد عزتنا بالجهاد هو من الأمور التي تضر بمصلحة ولي الأمر السياسية..!

فعجباً أن يقول الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه في الحديث المتفق: ((ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا))، فيأتي هؤلاء العلّامات، والسماحات، وأصحاب الفضيلة.. ليؤصلوا لكل القوم الذين تركوا الجهاد فذلوا، بل صاروا قطعاناً من الخراف.. ويؤصلوا لهم مشروعية هذا الذُل..! وشرعية فقدان الكرامة، وما دامت العزة والكرامة سوف تضر بالمصلحة السياسية لولي الأمر، فديننا الإسلامي (بزعمهم) يحثنا إذن على أن نكون أحط وأحقر الشعوب قاطبة على هذه الكرة الأرضية..!

قبل أيام فقط.. تحدث وزير خارجية الكويت الشيخ صباح الأحمد وقال مخاطباً الشعب الكويتي: نحن مهددون بالكيماوي، ولا بد أن يصيبنا (طشار) فنحن في قلب الحدث.. وغطى تصريحه صدر الصفحات الأولى لكل الصحف الكويتية الخمس، فهبطت البورصة، وعلت بعض الأسعار، وارتج شعبنا المسكين وصار حديثهم وما يزال عما سيفعلونه في حال اقتراب ساعة الصفر للضربة الأمريكية على العراق..

وفي هذه اللحظات الحرجة تخيلوا معي أن تصدر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عندنا بياناً رسمياً لخطبائها وأئمتها بعدم الخوض في مسألة الضربة الأمريكية للعراق..! وأشار البيان إلى عدم التطرق إلى أي قضية سياسية من على المنابر البتة، ومن يخالف ذلك سوف يحال للتحقيق!

ولكن ستزال الدهشة إن عرفتم أن الوزير الحالي للوزارة هو أحد السلفيين البرلمانيين والذي يتميز بحس وطني فريد، فهو يرفع شعار السلفية.. لكن الوطنية فوق كل شيء..!

هل رأيتم كيف غدت المساجد في ظل السلفية الجديدة؟ وكيف انحصر دورها في أداء الصلوات الخمس فقط، ألستم معي في أننا أمام تأصيل جديد للعلمانية..!؟ إنها العلمانية السلفية!

ألا ترون أن شيخ الإسلام الخاص لهذه الفئة السلفية المزعومة هو الإمام العلامة أنور السادات..!؟ وهم على آثاره مقتدون..! فلا سياسة بالدين ولا دين بالسياسة..! معاشر النبلاء..

في السابق قال المفكر مالك بن نبي أن الدعاة بدخولهم إلى المعارك الانتخابية قد دخلوا إلى معارك الأوثان، لكن واقع الحال يقول أن بعض دعاة هذا العصر لم يقتصر تقهقرهم ونكوصهم عن المنهج الحق بدخولهم إلى تلك المعارك الوثنية فحسب، ولكنهم تجاوزوا القنطرة وشبوا عن الطوق فصاروا هم دعاة الأوثان وحماة الوثنية..!) أهـ.

هل كنا نحلم قبل عشر سنين أن نسمع مثل هذا الكلام من دهاقنة الدعوة هناك، فضلًا عن أن نسمعه من شاب كويتي حديث السن؟؟

وهل كنا نحلم أن نرى بعد ملحمة التحرير – التي صبغت الخطاب الكويتي كله بالعرفان للأمريكان !!– من الشباب الكويتي من يقوم بما قام به البطلان المجاهدان في جزيرة فيلكا..!!

عند هذه السطور وقبل أن أختم هذه الكلمات، جاءتني مكالمة من أحبة أفاضل من الجزيرة يتكلمون بذات الشجون ويستبشرون بعين البشائر التي أستبشر بها، ويذكرون لي توجه الشباب المنقطع النظير إلى هذا المنهاج، حتى إن بعضهم ليتعلق بأهدابه وكتاباته قبل أن يلتحي ويلتزم بظواهر الدين وسمت المتدينين الشيء الذي أثار عجب الناس!!

شباب صغار لم يدرسوا في المعاهد الشرعية ولا أطالوا الجلوس في المجالس العلمية تبصروا بالطريق وصاروا من أنصار التوحيد والجهاد في أيام قلائل معدودات!! بينما دهاقنة الدعوة والتنظير ما زالوا يرسفون في قيود المصالح المزعومة والمفاسد المظنونة التي قتلوا بها الحمية وخنثوا بها الدين!!

إن ذلك كله وغيره من بركات الغزوة المباركة في نيويورك وواشنطن ونحوها من الأعمال الجهادية الفاضحة، إنها بركات المدافعة والجهاد والقتال الذي إذا ما ذكر؛ رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت..

أيها المنهزمون لن تفلحوا في تحريف ديننا وإلغاء ثوابته..

ففي ديننا سورة كاملة اسمها سورة القتال [١].

---

[١] يقول سيد قطب رحمه الله حول هذه السورة في ظلاله (٦/٣٢٨٠):

(إنها معركة مستمرة من بدء السورة إلى ختامها، يظللها جو القتال وتتسم بطابعه في كل فقراتها. =

يقول الرب تبارك وتعالى فيها:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ۝ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾ [سورة القتال:٢١]

فماذا تراكم فاعلون بسورة كاملة من سور القران؟؟

وأنى وكيف لكم أن تغيروا محكمًا؟ أو تمحوا من أذهاننا علمًا وجبلًا وطودًا راسيًا هذا شأنه؟؟

= وجرس الفاصلة إيقاعها منذ البدء كأنه القذائف الثقيلة: (أعمالهم. بالهم. أمثالهم. أهوائهم. أمعائهم...).

وحتى حين تخف فإنها تشبه تلويح السيوف في الهواء: (أوزارها. أمثالها. أقفالها...).

وهناك شدة في الصور كالشدة في جرس الألفاظ المعبرة عنها فالقتال أو القتل يقول عنه: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب﴾.. والتقتيل والأسر يصوره بشدة: ﴿حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق...﴾ والدعاء على الكافرين يجيء في لفظ قاس: ﴿فتعسا لهم وأضل أعملهم﴾.. وهلاك الغابرين يرسم في صورة مدوية ظلًا ولفظًا: ﴿دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها﴾.. وصورة العذاب في النار تجيء في هذا المشهد: ﴿وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم﴾.. وحالة الجبن والفزع عند المنافقين تجيء في مشهد كذلك عنيف: ﴿ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت!﴾.. حتى تحذير المؤمنين من التولي يجيء في تهديد نهائي حاسم: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾..

وهكذا يتناسق الموضوع والصور والظلال والإيقاع في سورة القتال).

نعم، لقد فضحت هذه الأحداث العظام أناسًا، وأحيت ورفعت آخرين، وآذنت بفتح صفحة جديدة من تاريخ أمة الإسلام؛ فمن شاء فليلحق بالقافلة، ومن شاء فليقعد مع القاعدين..

﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾.

نصوص الفقهاء
حول أحكام الإغارة والتترس

إضاءة

قال فضيلة الشيخ العلامة المحقق البحاثة/ بكر أبو زيد في كتابه (من خصائص الجزيرة العربية، ص ٣٥-٣٦) بعدما ساق الأحاديث التي تنص على وجوب إخراج المشركين من جزيرة العرب، قال:

(فهذه الأحاديث في الصحاح نصٌ على أن الأصل شرعًا منع أي كافر -مهما كان دينه وصفته- من الاستيطان والقرار في جزيرة العرب، وأن هذا الحكم من آخر ما عهده النبي ﷺ إلى أمته؛ وبناءً عليه: فليس لكافر دخول جزيرة العرب للاستيطان بها، وليس للإمام عقد الذمة لكافر، بشرط الإقامة لكافر بها، فإن عقده فهو باطل!، وليس للكافر المرور والإقامة المؤقتة بها إلا لعدة ليالٍ لمصلحة، كاستيفاء دين وبيع بضاعة ونحوهما. -إلى أن قال-: ولأنه لا يجوز إقرار ساكن وهو على الكفر، فإن وُجِد بها كفار فلا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف). أهـ. فتأمل..!

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد الله ذي العز المجيد، والبطش الشديد، المبدئ والمعيد، الفعال لما يريد، المنتقم ممن عصاه بالنار بعد الإنذار بها والوعيد، المكرم لم خافه واتقاه بدار لهم فيها من كل خير مزيد، فسبحان من قسّم خلقه قسمين، وجعلهم فريقين فمنهم شقي وسعيد ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

نحمده وهو أهل للحمد والثناء والتمجيد، ونشكره، ونعمه بالشكر تدوم وتزيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا كفو ولا عدل ولا ضد ولا نديد، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى التوحيد، الساعي بالنصح للقريب والبعيد، المحذر للعصاة من نار تلظى بدوام الوقيد، المبشر للمؤمنين بدار لا ينفذ نعيمها ولا يبيد، صلى الله عليه وآله وأصحابه صلاة وسلاماً دائمين.

أما بعد..

فمن نعم الله عز وجل على المجاهدين (الطائفة المنصورة) أن فقهاء المسلمين على مر القرون (١٣قرناً) يؤيدون ما يقومون به من أعمال جهادية، وقد نصوا على ذلك في كتبهم الفقهية العظيمة وبينوا ذلك بالتفصيل، مما يدفع المجاهدين الغرباء في هذا الزمن على المضي قدماً في ضرب الكافرين واستهدافهم بالقتل والأسر والتفجير والإغارة وما شابه ذلك من غير تردد ولا وجل، وقد جمعت في هذه الأوراق نصوصًا كثيرة لفقهاء المسلمين حول مسألة الإغارة والتترس لكي تزول الحجب عما يقوم به علماء السلاطين وخطباء الزور من تشويه لعمل المجاهدين وقولهم بأنه محرم بإجماع المسلمين وأن دين الإسلام لا يقره، ولن أشغل نفسي بالرد على بعض الجهات لأن ضربات المجاهدين وشمس الجهاد حارقة تكشف الحقائق وتبين المؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب، وعالم السلطان من العالم الرباني.

وعلى المجاهدين أن يعلموا أن محق الكافرين لن يأتي إلا بعد تمحيص المؤمنين كما قال الله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾، وليعلموا أيضاً أن الحق ليس بالكثرة كما قال الله: ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾، وكما قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وقول الله: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

وليعلموا أن سحرة فرعون كانوا بالآلاف كما ذكر ذلك أهل التفسير، ومع ذلك لم يصدوا موسى ﷺ عن مبدئه ودعوته وعقيدته، بل واجههم جميعاً، وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يأتي بعضهم ومعه الرجل وبعضهم ومعه الرجلان والبعض يأتي ومعه الرهط وبعضهم وليس معه أحد..

فامضوا على بركة الله، ولا تلتفتوا إلى الوراء، واعلموا أن أعمال التفجيرات والكمائن هي من الأعمال المشروعة سواء في دار الكفر الأصلي كأمريكا وبريطانيا وروسيا، أو في دار كفر الردة كالسعودية والمغرب وباكستان والأردن وفلسطين و.. و.. و.. إلخ، ومن فرق بين ذلك فهو إما من الجاهلين أو من علماء السلاطين الذين قد وقفوا وجهاً لوجه للجهاد في كل الأرض.

بل إن البدآة بالعدو القريب مقدم على العدو البعيد، لكن السياسة الشرعية التي ارتآها أمراء الجهاد أن يبدؤوا بالعدو الصليبي على غيره مع أن الحكام المرتدين قد قامت بهم جميع الأوصاف المغلظة، كالردة والمحاربة والقرب، على النقيض مما يقابلها من الأوصاف المخففة وهي الكفر الأصلي والمسالمة أحياناً والبعد.

قال ابن قدامة رحمه الله [١]: (مسألة: (ويقاتل كل قوم من يليهم من العدو): والأصل في هذا قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾، ولأن الأقرب

---

[١] المغني مع الشرح الكبير (١٠/ ٣٧٣.١٧٢).

أكثر ضررًا، وفي قتاله دفع ضرره عن المقابِل له وعمن ورائه، والاشتغال بالبعيد عنه يُمَكِّنه من انتهاز الفرصة في المسلمين لاشتغالهم عنه – إلى أن قال – إذا ثبت هذا فإن كان له عذر في البداية بالأبعد لكونه أخوف أو المصلحة في البداية به لقربه وإمكان الفرصة منه، أو لكون الأقرب مهادنًا أو يمنع من قتاله مانع؛ فلا بأس بالبداية بالأبعد لكونه موضع حاجة) أهـ.

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية المذكورة: (أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولًا فأولًا، الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام، ولهذا بدأ رسول الله ﷺ بقتال المشركين في جزيرة العرب، فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن واليمامة وهجر وخيبر وحضر موت وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب، ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجا؛ شرع في قتال أهل الكتاب، فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب.

– إلى أن قال –: وقام بالأمر بعده وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقد مال الدين مَيْلة كاد أن ينجفل فثبته الله تعالى به فوطد القواعد وثبت الدعائم، ورد شارد الدين وهو راغم، ورد أهل الردة إلى الإسلام، وأخذ الزكاة ممن منعها من الطعام، وبين الحق لمن جهله، وأدى عن رسول الله ما حمله، ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عَبَدَة الصلبان، وإلى الفرس عَبَدَة النيران، ففتح الله ببركة سفارته البلاد، وأرغم أنف كسرى وقيصر ومن أطاعهما من العِبَاد، وأنفق كنوزهما في سبيل الله كما أخبر بذلك رسول الله.

وكان تمام الأمر على يدي وصيه من بعده، وولى عهده الفاروق الأواب، شهيد المحراب، أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأرغم الله به أنوف الكفرة الملحدين، وقمع الطغاة والمنافقين، واستولى على الممالك شرقًا وغربًا.

– إلى أن قال –: وكلما علوا أمة انتقلوا إلى من بعدهم ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار امتثالًا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾) أهـ.

فالأهداف المشروعة أمامكم كثيرة جدًا، وقد ذكرنا طرفاً منها في كتاب (تحريض المجاهدين الأبطال على إحياء سنة الاغتيال) المنشور في منبر التوحيد والجهاد على الشبكة العنكبوتية، وقد سررنا والله كثيراً بأعمالكم الرائعة في المجمعات السكنية للأمريكان في مدينة الرياض، وكذلك الضربات الرائعة المباركة في الشيشان وفي المغرب، وسجدنا لله شكراً وكبرنا، فالله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً.

ومع أن المجاهدين في ضرباتهم المتتالية إنما استهدفوا العدو الصليبي في مراكزه التجارية وقواعده العسكرية ومجمعاته السكنية ومنشآته الاستخباراتية، ويحاولون جاهدين في الوقت الحالي عدم المواجهة مع العدو المرتد إلا في حال المدافعة، مع كل هذا لا زال كثير من المشايخ ليس لهم هم إلا استنكار أعمال المجاهدين وتحريمها وتجريمها والدفاع عن الصليبين ووصفهم بالمعاهدين والمستأمنين، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

أيها المجاهدون الأبطال.. سيروا على بركة الله، استعينوا بالله ولا تعجزوا، اقضوا حوائجكم بالكتمان، احفظوا الله يحفظكم، خططوا واجمعوا المعلومات ووفروا الأسلحة والذخائر والمتفجرات، ارهبوا أعداء الله، اقعدوا لهم بكل مرصد، اقتلوهم حيث وجدتموهم، وخذوهم واحصروهم، فجروهم، زلزلوهم، اغتالوهم، لا تدعوهم يهنؤوا بنوم ولا أكل ولا شرب ولا عرش ولا قرش، واستخدموا كل الوسائل والتكتيكات العسكرية المشروعة، اضربوا واهربوا، فروا وكروا، تنكروا عن أعدائكم واختفوا عن أنظارهم، واعلموا أن من يحرس الكافرين ويسهر على حمايتهم أنه منهم كافر مرتد حلال الدم والمال كما بينا ذلك في كتاب (الآيات والأحاديث الغزيرة على كفر قوات درع الجزيرة)، واعلموا أن عهود الطواغيت والمرتدين وأمانهم لا يلزمكم من ذلك شيء، واقرؤوا في ذلك رسالة (برآة الموحدين من عهود الطواغيت والمرتدين) لأبي محمد المقدسي فك الله أسره، ولا تنسوا أذكار الصباح والمساء تحصنوا بها

فهي حصن حصين بإذن الله، واعلموا أن الحرب خدعة، وأنا نُصرنا بالرعب مسيرة شهر، وأن النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً.

أسأل الله أن ينصركم، وأن يحفظكم من بين أيديكم ومن خلفكم وعن أيمانكم وعن شمائلكم ومن فوقكم، وأعوذ بعظمته أن تغتالوا من تحت أرجلكم. آمين.

كتبه أبو جندل الأزدي
يوم الأحد، بتاريخ ١٧ ربيع أول من عام ١٤٢٤ هـ

نصوص وأقوال الفقهاء حول أحكام الإغارة والترس

١- قال الشافعي رحمه الله [١]: (وللمسلمين أن يشنوا عليهم الغارة ليلًا ونهارا، فإن أصابوا من النساء والولدان أحدًا لم يكن فيه عقل ولا قود ولا كفارة، فإن قال قائل: ما دل على هذا؟

قيل: أخبرنا سفيان عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن الصعب بن جثامة الليثي أن رسول الله ﷺ سئل عن أهل الدار من المشركين يبيتون فيصاب من نسائهم وأبنائهم، فقال رسول الله ﷺ: ((هم منهم)). وربما قال سفيان في الحديث: ((هم من آبائهم)).

فإن قال: فهل أغار على قوم ببلد غارين ليلًا أو نهارًا؟

قيل: نعم، أخبرنا عمر بن حبيب عن عبد الله بن عون أن نافعًا مولى ابن عمر كتب إليه يخبره أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أخبره أن رسول الله ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون في نعمهم بالمريسيع، فقتل المقاتلة وسبى الذرية.

قال الشافعي رحمه الله تعالى: وفي أمر رسول الله ﷺ أصحابه بقتل ابن أبي الحقيق غارًا دلالة على أن الغار يقتل، وكذلك أمر بقتل كعب بن الأشرف فقتل غارًا.

فإن قال قائل: فقد قال أنس: كان النبي ﷺ إذا نزل بقوم ليلًا لم يغر حتى يصبح..

قيل له: إذا كان موجودًا في سنته أنه أمر بما وصفنا من قتل الغارين وأغار على الغارين ولم ينه في حديث الصعب عن البيات؛ دل ذلك على أن حديث مخالف لهذه الأحاديث، ولكنه قد يترك الغارة ليلًا لأن يعرف الرجل من يقاتل، أو أن لا يقتل الناس بعضهم بعضًا

---

[١] الأم (٤/٢٣٩).

وهم يظنون أنهم من المشركين، فلا يقتلون بين الحصن ولا في الآكام حيث لا يبصرون من قبلهم، لا على معنى أنه حرم ذلك). أ. هـ.

٢- وقال السرخسي رحمه الله [١]: (وقد روينا أن النبي ﷺ نصب المنجنيق على الطائف، وأمر أسامة بن يزيد رضي الله عنه بأن يحرق، وحرق حصن عوف بن مالك.

وكذلك إن تترسوا بأطفال المسلمين فلا بأس بالرمي إليهم وإن كان الرامي يعلم أنه يصيب المسلم، وعلى قول الحسن رضي الله عنه لا يحل له ذلك وهو قول الشافعي لما بينا أن التحرز عن قتل المسلم فرض وترك الرمي إليهم جائز.

ولكنا نقول القتال معهم فرض، وإذا تركنا ذلك لما فعلوا أدى إلى سد باب القتال معهم، ولأنه يتضرر المسلمون بذلك، فإنهم يمتنعون من الرمي لما أنهم تترسوا بأطفال المسلمين فيجترؤن بذلك على المسلمين، وربما يصيبون منهم إذا تمكنوا من الدنو من المسلمين والضرر مدفوع، إلا أن على المسلم الرامي أن يقصد به الحربي، لأنه لو قدر على التمييز بين الحربي والمسلم فعلًا كان ذلك مستحقًا عليه، فإذا عجز عن ذلك كان عليه أن يميز بقصده لأنه وسع مثله، ولا كفارة عليه ولا دية فيما أصاب مسلمًا منهم، لأنه إصابة بفعل مباح مع العلم بحقيقة الحال، والمباح مطلقًا لا يوجب عليه كفارة ولا دية، والشافعي يوجب ذلك ويقول هذا قتل خطأ لأنه يقصد بالرمي الكافر فيصيب المسلم، وهذا هو صورة الخطأ.

ولكنا نقول: إذا كان عالما بحقيقة حال من يصيبه عند الرمي لم يكن فعله خطأ، بل كان مباحًا مطلقًا).

---

[١] المبسوط (١٠/٦٥).

٣ - وقال الكاساني رحمه الله [١]: (ولا بأس بالإغارة والبيات عليهم؛ ولا بأس (بقطع) أشجارهم المثمرة وغير المثمرة، وإفساد زروعهم لقوله تبارك وتعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾، أذن سبحانه وتعالى (بقطع) النخيل في صدر الآية الشريفة ونبه في آخرها أن ذلك يكون كبتًا وغيظًا للعدو بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾، ولا بأس بإحراق حصونهم بالنار وإغراقها بالماء وتخريبها وهدمها عليهم ونصب المنجنيق عليها لقوله تبارك وتعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، ولأن كل ذلك من باب القتال لما فيه من قهر العدو وكبتهم وغيظهم، ولأن حرمة الأموال لحرمة أربابها، ولا حرمة لأنفسهم حتى يقتلون فكيف لأموالهم، ولا بأس برميهم بالنبال وإن علموا أن فيهم مسلمين من الأسارى والتجار لما فيه من الضرورة؛ إذ حصون الكفرة قلما تخلو من مسلم أسير أو تاجر).

٤ - وقال المرغيناني رحمه الله [٢]: (ولا بأس برميهم، وإن كان فيهم مسلم أسير أو تاجر، لأن في الرمي دفع الضرر العام بالذب عن بيضة الإسلام، وقتل الأسير والتاجر ضرر خاص، ولأنه قلما يخلو حصن من مسلم، فلو امتنع باعتباره لانسد بابه، وإن تترسوا بصبيان المسلمين أو بالأسارى لم يكفوا عن رميهم لما بينا، ويقصدون بالرمي الكفار لأنه إن تعذر التمييز فعلًا فلقد أمكن قصدًا، والطاعة بحسب الطاقة، وما أصابوه منهم لا دية عليهم ولا كفارة، لأن الجهاد فرض والغرامات لا تقرن بالفروض..).

---

[١] بدائع الصنائع (٧/١٠٠).

[٢] الهداية شرح البداية (٢/١٣٧).

٥ - وقال الكاساني رحمه الله أيضاً [١]: (وكذا إذا تترسوا بأطفال المسلمين فلا بأس بالرمي إليهم لضرورة إقامة الفرض، لكنهم يقصدون الكفار دون الأطفال، فإن رموهم فأصاب مسلمًا فلا دية ولا كفارة.

وقال الحسن بن زياد رحمه الله: تجب الدية والكفارة، وهو أحد قولي الشافعي رحمه الله.

وجه قول الحسن: أن دم المسلم معصوم فكان ينبغي أن يمنع من الرمي، إلا أنه لم يمنع لضرورة إقامة الفرض، فيتقدر بقدر الضرورة، والضرورة في رفع المؤاخذة لا في نفي الضمان، كتناول مال الغير حالة المخمصة، أنه رخص له التناول لكن يجب عليه الضمان لما ذكرنا، كذلك ها هنا.

ولنا أنه كما مست الضرورة إلى دفع المؤاخذة لإقامة فرض القتال، مست الضرورة إلى نفي الضمان أيضًا، لأن وجوب الضمان يمنع من إقامة الفرض، لأنهم يمتنعون منه خوفًا من لزوم الضمان، وإيجاب ما يمنع من إقامة الواجب متناقض، وفرض القتال لم يسقط، دل أن الضمان ساقط بخلاف حالة المخمصة، لأن وجوب الضمان هناك لا يمنع من التناول، لأنه لو لم يتناول لهلك، وكذا حصل له مثل ما يجب عليه فلا يمنع من التناول فلا يؤدي إلى التناقض).

٦ - وللجصاص رحمه الله كلام طويل، سنذكره بكامله لترى الفرق الواضح بين علماء السلف وبين مهرجي العصر الحاضر من شيوخ آل سعود وغيرهم من أصحاب الوجوه النخرة والأقلام المأجورة، يقول رحمه الله [٢]: (باب: رمي حصون المشركين وفيهم أطفال المسلمين وأسراهم. قال أبو حنيفة وأبو يوسف وزفر ومحمد والثوري: لا بأس برمي حصون المشركين، وإن كان فيها أسارى وأطفال من المسلمين، ولا بأس بأن يحرقوا الحصون ويقصدوا به

---

[١] بدائع الصنائع (١٠١/٧).

[٢] أحكام القرآن (٢٧٣/٥).

المشركين، وكذلك إن تترس الكفار بأطفال المسلمين رمي المشركون، وإن أصابوا أحدًا من المسلمين في ذلك فلا دية ولا كفارة.

وقال الثوري: فيه الكفارة ولا دية فيه، وقال مالك: لا تحرق سفينة الكفار إذا كان فيها أسارى من المسلمين، لقوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ إنما صرف النبي ﷺ عنهم لما كان فيهم من المسلمين، ولو تزيل الكفار عن المسلمين لعذب الكفار.

وقال الأوزاعي: إذا تترس الكفار بأطفال المسلمين لم يرموا، لقوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ...﴾ الآية، قال: ولا يحرق المركب فيه أسارى المسلمين، ويرمى الحصن بالمنجنيق وإن كان فيه أسارى مسلمون، فإن أصاب أحدًا من المسلمين فهو خطأ، وإن جاؤوا يتترسون بهم رمي وقصد العدو، وهو قول الليث بن سعد.

وقال الشافعي: لا بأس بأن يرمى الحصن وفيه أسارى أو أطفال، ومن أصيب فلا شيء فيه، ولو تترسوا ففيه قولان: أحدهما: يرمون، والآخر: لا يرمون إلا أن يكونوا ملتحمين، فيضرب المشرك ويتوقى المسلم جهده، فإن أصاب في هذه الحال مسلمًا فإن علمه مسلمًا فالدية مع الرقبة، وإن لم يعلمه مسلمًا فالرقبة وحدها.

قال أبو بكر: نقل أهل السير أن النبي ﷺ حاصر أهل الطائف ورماهم بالمنجنيق مع نهيه ﷺ عن قتل النساء والولدان، وقد علم ﷺ أنه قد يصيبهم وهو لا يجوز تعمد بالقتل، فدل على أن كون المسلمين فيما بين أهل الحرب لا يمنع رميهم إذ كان القصد فيه المشركين دونهم.

وروى الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن الصعب بن جثامة قال: سئل النبي ﷺ عن أهل الديار من المشركين يبيتون، فيصاب من ذراريهم ونسائهم، فقال: ((هم منهم))، وبعث النبي ﷺ أسامة بن زيد، فقال: ((أغر على هؤلاء يا بني صباحًا وحرق)).

وكان يأمر السرايا بأن ينتظروا بمن يغزونهم فإن أذنوا للصلاة أمسكوا عنهم، وإن لم يسمعوا أذانًا أغاروا.

وعلى ذلك مضى الخلفاء الراشدون، ومعلوم أن من أغار على هؤلاء لا يخلو من أن يصيب من ذراريهم ونسائهم المحظور قتلهم، فكذلك إذا كان فيهم مسلمون وجب أن لا يمنع ذلك من شن الغارة عليهم ورميهم بالنشاب وغيره وإن خيف عليه إصابة المسلم.

فإن قيل: إنما جاء ذلك لأن ذراري المشركين منهم كما قال النبي ﷺ في حديث الصعب بن جثامة.

قيل له: لا يجوز أن يكون مراده ﷺ في ذراريهم أنهم منهم في الكفر، لأن الصغار لا يجوز أن يكونوا كفارًا في الحقيقة ولا يستحقون القتل لفعل آبائهم في باب سقوط الدية والكفارة.

وأما احتجاج من يحتج بقوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ...﴾ الآية، في منع رمي الكفار لأجل من فيهم من المسلمين؛ فإن الآية لا دلالة فيها على موضع الخلاف، وذلك لأن أكثر ما فيها أن الله كف المسلمين عنهم لأنه كان فيهم قوم مسلمون لم يأمن أصحاب النبي ﷺ لو دخلوا مكة بالسيف أن يصيبوهم، وذلك إنما تدل إباحة ترك رميهم والإقدام عليهم، فلا دلالة على حظر الإقدام عليهم مع العلم بأن فيهم مسلمين، لأنه جائز أن يبيح الكف عنهم لأجل المسلمين، وجائز أيضًا إباحة الإقدام على وجه التخيير، فإذًا لا دلالة فيها على حظر الإقدام.

فإن قيل: في فحوى الآية ما يدل على الحظر، وهو قوله: ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فلولا الحظر ما أصابتهم معرة من قتلهم بإصابتهم إياهم.

قيل له: قد اختلف أهل التأويل في معنى المعرة ها هنا، فروي عن ابن إسحاق أنه غرم الدية، وقال غيره الكفارة، وقال غيرهما الغم باتفاق قتل المسلم على يده، لأن المؤمن يغم

لذلك وإن لم يقصده، وقال آخرون العيب، وحكي عن بعضهم أنه قال المعرة الإثم، وهذا باطل لأنه تعالى قد أخبر أن ذلك لو وقع كان بغير علم منا، لقوله تعالى: ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ولا مأثم عليه فيما لم يعلمه ولم يضع الله عليه دليلا، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، فعلمنا أنه لم يرد المأثم، ويحتمل أن يكون ذلك كان الموطأ في أهل مكة لحرمة الحرم، ألا ترى أن المستحق للقتل إذ لجأ إليها لم يقتل عندنا، وكذلك الكافر الحربي إذا لجأ إلى الحرم لم يقتل، وإنما يقتل من انتهك حرمة الحرم بالجناية فيه، فمنع المسلمين من الإقدام عليهم خصوصية لحرمة الحرم.

ويحتمل أن يريد ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات قد علم أنهم سيكونون من أولاد هؤلاء الكفار إذ لم يقتلوا فمنعنا قتلهم لما في معلومه من حدوث أولادهم مسلمين، وإذا كان في علم الله أنه إذا أبقاهم كان لهم أولاد مسلمون أبقاهم ولم يأمر بقتلهم، وقوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ على هذا التأويل، لو كان هؤلاء المؤمنون الذين في أصلابهم قد ولدوهم وزايلوهم لقد كان أمر بقتلهم.

وإذا ثبت ما ذكرنا من جواز الإقدام على الكفار مع العلم بكون المسلمين بين أظهرهم؛ وجب جواز مثله إذا ترسوا بالمسلمين؛ لأن القصد في الحالين رمي المشركين دونهم، ومن أصيب منهم فلا دية فيه ولا كفارة، كما أن من أصيب برمي حصون الكفار من المسلمين الذين في الحصن لم يكن فيه دية ولا كفارة ولا أنه قد أبيح لنا الرمي مع العلم بكون المسلمين في تلك الجهة، فصاروا في الحكم بمنزلة من أبيح قتله، فلا يجب شيء. وليست المعرة المذكورة دية ولا كفارة، إذ لا دلالة عليه من لفظه ولا من غيره، والأظهر منه ما يصيبه من الغم والحرج باتفاق قتل المؤمن على يده على ما جرت به العادة ممن يتفق على يده ذلك، وقول من تأوله على العيب محتمل أيضًا لأن الإنسان قد يعاب في العادة باتفاق قتل الخطأ على يده) أ. هـ.

٧- **وقال النووي** رحمه الله [١]: (التاسعة: يجوز للإمام محاصرة الكفار في بلادهم والحصون والقلاع وتشديد الأمر عليهم بالمنع من الدخول والخروج، وإن كان فيهم النساء والصبيان واحتمل أن يصيبهم، ويجوز التحريق بإضرام النار ورمي النفط إليهم، والتغريق بإرسال الماء، وبيتهم وهم غافلون، ولو تترسوا بالنساء والصبيان نظر إن دعت ضرورة إلى الرمي والضرب بأن كان ذلك في حال التحام القتال ولو تركوا لغلبوا المسلمين؛ جاز الرمي والضرب، وإن لم تكن ضرورة بأن كانوا يدفعون بهم عن أنفسهم واحتمل الحال تركهم فطريقان: أصحهما على قولين:

أحدهما: يجوز رميهم كما يجوز نصب المنجنيق على القلعة وإن كان يصيبهم، ولئلا يتخذوا ذلك ذريعة إلى تعطيل الجهاد.

والثاني: المنع، وهذا أصح عند القفال.

ومال إلى ترجيح الأول مائلون.

والطريق الثاني: القطع بالجواز ورد المنع إلى الكراهة، وقيل: في الكراهة على هذا قولان، ولو تترسوا بهم في القلعة، فقيل: هذه الصورة أولى بالجواز، لئلا يتخذ ذلك حيلة إلى استبقاء القلاع لهم، وفي ذلك فساد عظيم، وقيل: قولان، وإن عجزنا عن القلعة إلا به.

قلت (القائل النووي): الراجح في الصورتين الجواز، والله أعلم.

ولو كان في البلدة أو القلعة مسلم أو أسير أو تاجر أو مستأمن أو طائفة من هؤلاء، فهل يجوز قصد أهلها بالنار والمنجنيق وما في معناهما؟

---

[١] روضة الطالبين (١٠/٢٤٥).

فيه طرق، المذهب: أنه إن لم يكن ضرورة، كره ولا يحرم على الأظهر، لئلا يعطلوا الجهاد بحبس مسلم فيهم، وإن كانت ضرورة كخوف ضررهم أو لم يحصل فتح القلعة إلا به جاز قطعًا.

والطريق الثاني: لا اعتبار بالضرورة، بل إن كان ما يرمى به يهلك المسلم لم يجز، وإلا فقولان.

والثالث، وبه أجاب صاحب الشامل: إن كان عدد المسلمين الذين فيهم مثل المشركين لم يجز رميهم، وإن كان أقل جاز؛ لأن الغالب أنه لا يصيب المسلمين.

والمذهب: الجواز، وإن علم أنه يصيب مسلمًا، وهو نصه في المختصر...، فإن هلك منهم هالك فقد رزق الشهادة، قاله أبو إسحاق).

٨ - **وقال النووي** رحمه الله [١]: (يجوز حصار الكفار في البلاد والقِلاع وإرسال الماء عليهم، ورميهم بنار، ومنجنيق وتبييتهم في غفلة).

ويقول صاحب مغني المحتاج تعليقاً على كلام الإمام النووي في نفس المصدر: (وما في معنى ذلك من هدم بيوتهم، وقطع الماء عنهم وإلقاء حيات، أو عقارب عليهم، ولو كان فيهم نساء وصبيان، لقوله تعالى: ﴿وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ﴾، وفي الصحيحين أنه ﷺ حاصر الطائف، وروى البيهقي أنه نصب المنجنيق، وقيس به ما في معناه مما يعُم الهلاك به..

ثم يقول: وظاهر كلامهم أنه يجوز إتلافهم بما ذُكر، وإن قدرنا عليهم بدونه).

---

[١] المنهاج وفي شرح مغني المحتاج (٧٢/٩).

٩- وقال القرطبي رحمه الله [١]: (وقد جوز أبو حنيفة وأصحابه والثوري الرمي في حصون المشركين وإن كان فيهم أسارى من المسلمين وأطفالهم.

ولو تترس كافر بولد مسلم رمي المشرك، وإن أصيب أحد من المسلمين فلا دية فيه ولا كفارة.

ثم قال القرطبي: قد يجوز قتل التُّرْس، ولا يكون فيه اختلاف إن شاء الله، وذلك إذا كانت المصلحة ضرورية كلية قطعية، فمعنى كونها ضرورية: أنها لا يحصل الوصول إلى الكفار إلا بقتل الترس، ومعنى أنها كلية: أنها قاطعة لكل الأمة، حتى يحصل من قتل الترس مصلحة كل المسلمين، فإن لم يفعل قتل الكفار الترس واستولوا على كل الأمة، ومعنى كونها قطعية: أن تلك المصلحة حاصلة من قتل الترس قطعًا.

قال علماؤنا: وهذه المصلحة بهذه القيود لا ينبغي أن يختلف في اعتبارها، لأن الفرض أن الترس مقتول قطعًا، فإما بأيدي العدو فتحصل المفسدة العظيمة التي هي استيلاء العدو على كل المسلمين، وإما بأيدي المسلمين فيهلك العدو وينجو المسلمون أجمعون.

ولا يتأتى لعاقل أن يقول: لا يقتل الترس في هذه الصورة بوجه، لأنه يلزم منه ذهاب الترس والإسلام والمسلمين، لكن لما كانت هذه المصلحة غير خالية من المفسدة، نفرت منها نفس من لم يمعن النظر فيها، فإن تلك المفسدة بالنسبة إلى ما يحصل منها عدم أو كالعدم. والله أعلم. أهـ.

١٠- وقال ابن قدامة رحمه الله [٢]: (مسألة: قال وإذا حورب العدو لم يحرقوا بالنار. أما العدو إذا قدر عليه فلا يجوز تحريقه بالنار بغير خلاف نعلمه، وقد كان أبو بكر رضي

---

[١] تفسير القرطبي (١٦/٢٨٢-٢٨٨).

[٢] المغني (٩/٢٣٠).

الله عنه يأمر بتحريق أهل الردة بالنار، وفعل ذلك خالد بن الوليد بأمره، فأما اليوم فلا أعلم فيه بين الناس خلافا.

وقد روى حمزة الأسلمي أن رسول الله ﷺ أمره على سرية، قال: فخرجت فيها، فقال: إن أخذتم فلانًا فأحرقوه بالنار، فوليت، فناداني فرجعت، فقال: إن أخذتم فلانًا فاقتلوه ولا تحرقوه فإنه لا يعذب بالنار إلا رب النار. رواه أبو داود وسعيد وروى أحاديث سواه في هذا المعنى.

وروى البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحو حديث حمزة، فأما رميهم قبل أخذهم بالنار فإن أمكن أخذهم بدونها لم يجز رميهم بها، لأنهم في معنى المقدور عليه، وأما عند العجز عنهم بغيرها فجائز في قول أكثر أهل العلم، وبه قال الثوري والأوزاعي والشافعي.

وروى سعيد بإسناده عن صفوان بن عمرو وجرير بن عثمان أن جنادة بن أمية الأزدي وعبد الله بن قيس الفزاري وغيرهما من ولاة البحرين، ومن بعدهم كانوا يرمون العدو من الروم وغيرهم بالنار، يحرقونهم هؤلاء لهؤلاء وهؤلاء لهؤلاء، قال عبد الله بن قيس: لم يزل أمر المسلمين على ذلك.

فصل: وكذلك الحكم في فتح البثوق عليهم ليغرقهم إن قدر عليهم بغيره لم يجز إذا تضمن ذلك إتلاف النساء والذرية الذين يحرم إتلافهم قصدًا، وإن لم يقدر عليهم إلا به جاز كما يجوز البيات المتضمن لذلك، ويجوز نصب المنجنيق عليهم، وظاهر كلام أحمد جوازه مع الحاجة وعدمها، لأن النبي ﷺ نصب المنجنيق على أهل الطائف، وممن رأى ذلك الثوري والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي، قال ابن المنذر: جاء الحديث عن النبي ﷺ أنه نصب المنجنيق على أهل الطائف، وعن عمرو بن العاص أنه نصب المنجنيق على أهل الإسكندرية، ولأن القتال به معتاد فأشبه الرمي بالسهام.

فصل: ويجوز تبييت الكفار وهو كبسهم ليلًا وقتلهم وهم غارون.

قال أحمد: لا بأس بالبيات، وهل غزو الروم إلا البيات. قال: ولا نعلم أحداً كره بيات العدو.

وقرأ عليه سفيان عن الزهري عن عبد الله عن ابن عباس عن الصعب بن جثامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يسأل عن الديار من المشركين، نبيتهم فنصيب من نسائهم وذراريهم؟ فقال: ((هم منهم)). فقال إسناد جيد.

فإن قيل: فقد نهى النبي ﷺ عن قتل النساء والذرية.

قلنا: هذا محمول على التعمد لقتلهم.

قال أحمد: أما أن يتعمد قتلهم فلا، قال: وحديث الصعب بعد نهيه عن قتل النساء لأن نهيه عن قتل النساء حين بعث إلى ابن أبي الحقيق، وعلى أن الجمع بينها ممكن، يحمل النهي على التعمد والإباحة على ما عداه.

فصل: قال الأوزاعي: إذا كان في المطمورة العدو فعلمت أنك تقدر عليهم بغير النار فأحب إلي أن يكف عن النار، وإن لم يمكن ذلك وأبوا أن يخرجوا فلا أرى بأسًا، وإن كان معهم ذرية قد كان المسلمون يقاتلون بها. ونحو ذلك قال سفيان وهشام ويدخن عليهم.

قال أحمد: أهل الشام أعلم بهذا.

فصل: وإن تترسوا في الحرب بنسائهم وصبيانهم جاز رميهم، ويقصد المقاتلة؛ لأن النبي ﷺ رماهم بالمنجنيق ومعهم النساء والصبيان، ولأن كف المسلمين عنهم يفضي إلى تعطيل الجهاد، لأنهم متى علموا ذلك تترسوا بهم عند خوفهم فينقطع الجهاد، وسواء كانت الحرب ملتحمة أو غير ملتحمة؛ لأن النبي ﷺ لم يكن يتحين بالرمي حال التحام الحرب.

فصل: ولو وقفت امرأة في صف الكفار أو على حصنهم فشتمت المسلمين أو تكشفت لهم جاز رميها قصدًا، لما روى سعيد: حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: لما حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف أشرفت امرأة فكشفت عن قبلها، فقال: ((ها دونكم فارموها))، فرماها رجل من المسلمين فما أخطأ ذلك منها.

ويجوز النظر إلى فرجها للحاجة إلى رميها، لأن ذلك من ضرورة رميها، وكذلك يجوز رميها إذا كانت تلتقط لهم السهام أو تسقيهم الماء أو تحرضهم على القتال، لأنها في حكم المقاتل، وهكذا الحكم في الصبي والشيخ وسائر من منع من قتله منهم.

فصل: وإن تترسوا بمسلم ولم تدع حاجة إلى رميهم لكون الحرب غير قائمة، أو لإمكان القدرة عليهم بدونه، أو للأمن من شرهم؛ لم يجز رميهم، فإن رماهم فأصاب مسلمًا فعليه ضمانه، وإن دعت الحاجة إلى رميهم للخوف على المسلمين جاز رميهم؛ لأنها حال ضرورة، ويقصد الكفار، وإن لم يخف على المسلمين لكن لم يقدر عليهم إلا بالرمي، فقال الأوزاعي والليث لا يجوز رميهم، لقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ...﴾ الآية [الفتح]، قال الليث: ترك فتح حصن يقدر على فتحه أفضل من قتل مسلم بغير حق.

وقال الأوزاعي: كيف يرمون من لا يرونه؟ إنما يرمون أطفال المسلمين.

وقال القاضي والشافعي: يجوز رميهم إذا كانت الحرب قائمة، لأن تركه يفضي إلى تعطيل الجهاد، فعلى هذا إن قتل مسلمًا فعليه الكفارة، وفي الدية على عاقلته روايتان:

إحداهما: يجب، لأنه قتل مؤمنًا خطأ، فيدخل في عموم قوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ [النساء].

والثانية: لا دية له؛ لأنه قتل في دار الحرب برمي مباح، فيدخل في عموم قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء] ولم يذكر دية.

وقال أبو حنيفة: لا دية له ولا كفارة فيه لأنه رمي أبيح مع العلم بحقيقة الحال فلم يوجب شيئا كرمي من أبيح دمه) أ. هـ.

١١- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [١]: (فالله تعالى أهلك الجيش الذي أراد أن ينتهك حرماته وفيهم المكره وغير المكره، مع قدرته تعالى على التمييز بينهم مع أنه يبعثهم على نياتهم، فكيف يجب على المؤمنين المجاهدين أن يميزوا بين المكره وغيره وهم لا يعلمون ذلك، بل لو ادعى مدع أنه خرج مكرهًا لم ينفعه ذلك بمجرد دعواه، كما روى أن العباس بن عبد المطلب: قال للنبي ﷺ لما أسره المسلمون يوم بدر: يا رسول الله، إني كنت مكرهًا، فقال: ((أما ظاهرك فكان علينا وأما سريرتك فإلى الله)).

بل لو كان فيهم قوم صالحون من خيار الناس ولم يمكن قتالهم إلا بقتل هؤلاء لقتلوا أيضًا، فإن الأئمة متفقون على أن الكفار لو تترسوا بمسلمين وخيف على المسلمين إذا لم يقاتلوا؛ فإنه يجوز أن نرميهم ونقصد الكفار، ولو لم نخف على المسلمين جاز رمي أولئك المسلمين أيضًا في أحد قولي العلماء).

١٢- وقال ابن تيمية رحمه الله [٢]: (وقد اتفق العلماء على أن جيش الكفار إذا تترسوا بمن عندهم من أسرى المسلمين وخيف على المسلمين الضرر إذا لم يقاتلوا فإنهم يقاتلون وإن أفضى ذلك إلى قتل المسلمين الذين تترسوا بهم).

١٣- وقال عبد القادر عبد العزيز بارك الله فيه كلاماً رائعاً حول هذه المسألة، وفصل تفصيلاً واسعاً في معرض رده على شبهة القائلين باشتراط التميز بين المسلمين

---

[١] مجموع الفتاوى (٢٨/٥٣٨/٥٣٩/٥٣٧).

[٢] مجموع الفتاوى (٢٨/٥٤٦) و (٢٠/٥٢).

والكافرين في الدور في القتال، ننقله بتمامه لأهميته قال [١]: (ولا يشترط لوجوب قتالهم تميز المسلمين المجاهدين في دار منفصلة عن دار الحاكم المرتد وطائفته كما يدعيه البعض، ويكفيك في إبطال هذا الشرط ما نقلته عن ابن تيمية آنفًا من الإجماع على وجوب قتال العدو إذا حل ببلد المسلمين، فأين الدار المستقلة هنا؟، بل إن هذا هو أحد مواضع تَعَيَّن الجهاد كما ذكرته...

ولم يرد دليل شرعي بهذا الشرط، وكل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، ولم يشر أحد من أهل العلم إليه، غاية ما ذكره ابن قدامة في هذا أنه إذا اقترب العدو من بلد جاز لأهله الرجوع إلى حصن يتحصنون به.

أما أمر الحاكم الكافر المرتد ففيه نص واضح جلي، وهو حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: ((وألا ننازع الأمر أهله قال إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان)). [متفق عليه]، ولم يشترط ﷺ في هذا الحديث – ولا في غيره – تميزًا ولا مفاصلة، ولا نبه أحد من أهل العلم على هذا كما نقلته عن القاضي عياض وابن حجر في شرح هذا الحديث.

فإن قال الذي اشترط هذا الشرط (تميز الدارين): إنه يجب عقلًا لا شرعًا؛ فنقول له: العقل لا يوجب شيئًا كما ذكرنا في أصول الإعتصام بالكتاب والسنة.

وإن قال: إنه أمر اجتهادي؛ فنقول له: إذا وصلنا إلى الاجتهاد فالأمر متروك لأهل الخبرة الحربية لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

أما من الناحية الشرعية فنحن نقول: إنه لا يشترط لوجوب الخروج على الحاكم إلا القدرة من عدد وعدة، وهذه أيضًا يحدد القدر المطلوب منها أهل الخبرة الحربية، ومن غَرّر

---

[١] العمدة في إعداد العدة (٣٣٣-٣٤١).

بنفسه وخرج للجهاد بمفرده جاز له ذلك وهو مأجور إن شاء الله تعالى، إلا إذا كان يتبع طائفة مجاهدة فلا يخرج إلا بإذن الأمير.

أما دليل جواز خروجه منفردًا فهو قول الله تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤].

وقال ابن حزم [١]: (ويُغْزى أهل الكفر مع كل فاسق من الأمراء وغير فاسق ومع المتغلِّب والمحارب كما يُغْزَى مع الإمام، ويغزوهم المرء وحده إن قدر أيضا).

قلت: وجهاد هؤلاء الطواغيت فرض عين، فللمرء أن يفعله وحده إن أراد، خاصة إذا أمكنته الفرصة من أحد هؤلاء، ولا يجب عليه التصدي لجمع عظيم من الكافرين، بل يجوز له الفرار للتفاوت العددي، فإن ثبت وكان له غرض في الشهادة جاز له ذلك وهو حسن، قال تعالى: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، أما الواجب فهو قتالهم في جماعة، إذ المطلوب إظهار الدين ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وهذا لا يتأتى بالقتال منفرداً، ومن كان يتبع جماعة مجاهدة فلا يقاتل إلا بإذن أميره، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢].

وقد خرج جماعة من المسلمين على الحكام المرتدين في حياة النبي ﷺ ومن بعده، دون تميز في الديار أو مفاصلة، فلما خرج الأسود العنسي المتنبي الكذاب وغلب على اليمن واستولى عليها احتال عليه فَيْروز الديلمي – وكان من أنصاره في الظاهر – حتى قتله، وذلك في حياة النبي ﷺ [٢]، ولم ينكر ذلك النبي ﷺ ولا أحد من الصحابة، وما قال أحد كيف يقتل فيروز هذا الأسود قبل أن ينحاز إلى أرض مستقلة؟ كذلك خرج يزيد بن الوليد وطائفة

---

[١] المحلى (٢٩٩/٧).

[٢] البداية والنهاية لابن كثير (٣١٠/٣٠٧/٦).

معه على الخليفة الوليد بن يزيد لما اتهم بالانحلال في الدين حتى قتلوه، دون تميز في الديار [١]. ونقتصر على هذين المثلين اختصارًا.

وأصحاب هذه الشبهة يستدلون بأن النبي ﷺ لم يَشْرَع في القتال إلا بعد الهجرة، حيث أصبح للمسلمين دار مستقلة بالمدينة تميزوا فيها عن عدوهم، وهذا القول ليس بحجة إذ ليس فيه حصر، بمعنى أنه لم يرد نص شرعي يمنع القتال إلا في مثل هذه الحالة، وهذا واضح.

ثم إن هذا الزمان كان زمان تشريع، أما الآن ومنذ وفاة النبي ﷺ فقد اكتملت الشريعة وأحكامها ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وقد انعقد الإجماع على أنه إذا نزل العدو الكافر ببلد تعين على أهله قتالهم – أي صار دفع الكافرين فرض عين على المسلمين بهذه البلدة –، فهاهم المسلمون وعدوهم في دار واحدة، وقد فقد المسلمون استقلالية دارهم بالغزو، ومع ذلك يجب عليهم القتال عَيْناً إجماعًا [٢].

إن الخروج على الحاكم المرتد هو أمر منوط بالقدرة، ويختلف من بلد إلى بلد، ويتكلم فيه أهل الخبرة من الناحية التنفيذية، وإذا علم الله سبحانه حسن النية من طائفة مجاهدة فسيهديهم وييسر لهم ما فيه مرضاته، قال تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾[الفتح: ١٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾[يونس: ٩].

أما القاعدون عن هذا الجهاد المتعين فلم يكتفوا بالقعود، بل هم يثبطون غيرهم ويخذلونهم بهذه الشبهات التي هي عقوبة قدرية لهم على قعودهم وتخلفهم، كما قال تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٧]، فلما تخلفوا طَبَع الله على

---

[١] البداية والنهاية لابن كثير (١٠/٦/-١١).

[٢] الاختيارات الفقهية لابن تيمية (٣٠٩).

قلوبهم بعدم الفقه، فأخذوا يُنَقِّبون عن الشبهات ليبرروا تخلفهم وليثبطوا غيرهم فيحملوا أوزارهم مع أوزارهم.

وهكذا سيئة تولِّد سيئة، قال تعالى: ﴿إِلا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ إِلا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٩-٤٠].

إن هذا القول باشتراط تميز الدارين لوجوب الجهاد هو قول فاسد، وهو يفضي إلى تعطيل الجهاد خاصة جهاد الدفع.

قلت: كذلك فإن هذا القول باشتراط تميز الدارين معناه الاستسلام للأمر الواقع والسكوت عن هؤلاء الطواغيت الحاكمين لبلاد المسلمين، ومعناه إسقاط فريضة الجهاد المتعين على أعيان المسلمين بهذه البلاد، وهذا القول يفضي إلى استئصال الإسلام بالكلية من هذه البلاد في زمن يسير.

نعوذ بالله من ذلك – ولكنه غير مستبعد –، فكم من بلاد قامت بها ممالك إسلامية عظيمة ثم هي اليوم ديار كفر، صار فيها الإسلام أثرًا بعد عين، كالأندلس والتركستان وبخارى وسمرقند والبلقان وغيرها.

وكم من بلاد أَسْقَط فيها أشياع هؤلاء المخذلين الجهاد بشبهاتهم الشيطانية، كما حدث في الهند وكانت مملكة إسلامية فاحتلها الإنجليز، وأسقط علماء السوء الجهاد بحجة أن الإنجليز هم أولو الأمر الواجب طاعتهم لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [1]، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

---

[1] نقل هذه الشبهات محمد رشيد رضا في تفسيره المنار.

وهذا مثال لما رُوِي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه مما يهدم الدين: (جدال المنافق بالقرآن).

ومن كان من العلماء يصد المسلمين عن الجهاد بهذه الشبهات ممالأة ونصرة للحاكم الكافر فهذا العالِم لا شك في كفره، هو مرتد خارج من ملة الإسلام، وحكمه حكم سيده الحاكم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

ويشترط آخرون تميز الطائفة الكافرة عمن يخالطها من المسلمين، وهذا واقع، فالطائفة المناصرة للحاكم الكافر عادة ما تكون متميزة بلباس معين ولها معسكرات محددة وأماكن معلومة، وهذا لا يخفى على أحد، وأما إذا خالطهم مسلمون، فإما أن يكونوا ليسوا من الطائفة الكافرة أصلًا وخالطوهم حال القتال، وإما أن يكونوا من الطائفة ولهم حكم الإسلام في الباطن (كالمكره ومن يكتم إيمانه ليتجسس عليهم)، وهؤلاء جميعًا لا يخلو حالهم من أحد أمرين:

الأول: أن يكونوا غير متميزين عن أهل الكفر في الظاهر، فهذا لا يمنع من قتالهم على كل حال كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قال: (ومن أخرجوه معهم مكرهًا فإنه يبعث على نيته ونحن علينا أن نقاتل العسكر جميعه، إذ لا يتميز المكره من غيره. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: ((يَغْزُو هذا البيتَ جيشٌ من الناس فبينما هم ببيداء من الأرض إذا خُسِفَ بهم. فقيل: يا رسول الله: إن فيهم المكره، فقال: يُبعثون على نياتهم)).

– إلى أن قال – وفي لفظ البخاري عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: ((يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم. قالت: قلت: يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم)).

- إلى أن قال - فالله تعالى أَهلَكَ الجيش الذي أراد أن ينتهك حرماته - المكره فيهم وغير المكره مع قدرته على التمييزِ بينهم، مع أنه يبعثهم على نياتهم، فكيف يجب على المؤمنين المجاهدين أن يميزوا بين المكره وغيره وهم لا يعلمون ذلك؟!

بل لو ادعى مُدع أنه خرج مُكرهًا، لم ينفعه ذلك بمجرد دعواه، كما روى: إن العباس بن عبد المطلب قال للنبي ﷺ لما أسَرَه المسلمون يوم بدر: يا رسول الله! إني كنت مكرهًا. فقال: ((أما ظاهرك فكان علينا، وأما سريرتك فإلى الله)) [١].

وقال رحمه الله في موضع آخر: (ونحن لا نعلم المكره، ولا نقدر على التمييز، فإذا قتلناهم بأمر الله كنا في ذلك مأجورين ومعذورين، وكانوا هم على نياتهم، فمن كان مكرهًا لا يستطيع الامتناع فإنه يُحشر على نيته يوم القيامة، فإذا قتل لأجل قيام الدين لم يكن ذلك بأعظم من قَتْلِ من يُقْتَل من عسكر المسلمين) [٢].

قلت: هذه الشروط لا تتوفر في الغالبية العظمى من أعوان هؤلاء الحكام، وذكرت أيضًا أن الإكراه لا يكون عذرًا مبيحًا لقتل المسلم بإجماع العلماء بلا مخالف، فكيف بمن يتتبع المسلمين ويقتلهم لنصرة الكافر؟.

الحال الثاني: أن يكون المسلمون في صف العدو متميزين ظاهرًا، معلومين لجند الإسلام فهذه هي مسألة التترس، قال ابن تيمية رحمهم الله: (بل لو كان فيهم قوم صالحون من خيار الناس ولم يمكن قتالهم إلا بقتل هؤلاء لقتلوا أيضًا، فإن الأئمة متفقون على أن الكفار لو تترسوا بمسلمين وخيف على مسلمين إذا لم يقاتلوا؛ فإنه يجوز أن نرميهم ونقصد الكفار، ولو لم نخف على المسلمين؛ جاز رمي أولئك المسلمين أيضًا في أحد قولي العلماء.

---

[١] مجموع الفتاوى (٢٨/٥٣٥-٥٣٧).

[٢] مجموع الفتاوى (٢٨/٥٤٧).

ومن قتل لأجل الجهاد الذي أمر الله به ورسوله – وهو في الباطن مظلوم – كان شهيدًا، وبُعِث على نيته، ولم يكن قَتْلُه أعظم فسادًا من قَتْلِ من يُقْتَل من المؤمنين المجاهدين.

وإذا كان الجهاد واجبًا وإن قُتِلَ من المسلمين ما شاء الله، فَقَتْلُ من يُقْتَل في صفهم من المسلمين لحاجة الجهاد ليس أعظم من هذا، بل قد أمر النبي ﷺ المكره في قتال الفتنة بكسر سيفه، وليس له أن يُقَاتِل وإن قُتِل) [1].

والذين يقولون بشرط تميز الطائفة الكافرة عن المسلمين لهم شبهة، حيث يستدلون بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥]، ومعناها: أي ولولا أن هناك رجال مؤمنين ونساء مؤمنات بمكة من المستضعفين، لا تعلمونهم أيها المسلمون، وإذا قاتلتم أهل مكة يوم الحديبية لكان من الممكن أن تقتلوا بعض هؤلاء المؤمنين وتصيبكم من هذا معرة (أي عيب وإثم)، ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ أي تَمَيَّز وانفصل المؤمنون عن الكفار لعذب الله الكفار بالقتل وغيره؛ فاستدل البعض بهذه الآية على أن مخالطة المؤمنين للكافرين مانعة من قتال الكافرين وعُذْر في ترك قتال الكافرين، لما ينتج عنه من قتل بعض المؤمنين المخالطين.

وكما لا يخفى، فهذا القول يفضي إلى تعطيل الجهاد بنوعيه (قتال الطلب وقتال الدفع)، فما من بلد الآن إلا به مسلمون مخالطون للكفار بنسب مختلفة، يوجد مسلمون بالصين والهند وروسيا وأمريكا وغيرها وكلها ديار كفر، أفيمنع هذا من جهادهم عند الاستطاعة؟

---

[1] مجموع الفتاوى (٢٨/٥٣٧-٥٣٨) وكرر مثله في (٢٨/٥٤٦-٥٤٧)، وانظر مسألة التترس في (المغني والشرح الكبير ١٠/٥٠٥) و(المجموع شرح المهذب ١٩/٢٩٧).

والجواب عن هذه الشبهة من وجهين:

الأول: أن المنع من القتال يوم الحديبية كان منعًا قدريًا، ولا يجوز الاحتجاج بالقدر، وبيان ذلك أن النبي ﷺ قصد مكة معتمرًا، فعزم أهل مكة على منعه من دخولها، فعزم على قتالهم إن هم منعوه بعد مشاورة مع الصحابة، كما رواه البخاري: قال أبو بكر: يا رسول الله، خرجت عامدًا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه. قال: ((امضوا على اسم الله)) [١]، فمضى رسول الله ﷺ على هذا العزم إلى أن توقفت ناقته عن المسير، فقال بعض الصحابة: خلأت القصواء، فقال النبي ﷺ: ((ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل، ثم قال: والذي نفسي بيده لا يسألوني خُطَّة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها)) [٢]، أي منعها عن المسير إلى مكة الذي حبس الفيل وأبرهة عن مكة سبحانه وتعالى.

فهذا منع قدري، فعلم النبي ﷺ أن الله لم يأذن في هذا، فعزم النبي ﷺ على قبول الصلح، وشَع فيه، ثم بلغه مقتل سفيره إلى أهل مكة وهو عثمان رضي الله عنه، فعندها عزم على القتال مرة أخرى وأخذ البيعة من أصحابه وهي بيعة الرضوان على ألا يفروا أو على الموت [٣]، ثم أُطْلِق عثمان وشاء الله تعالى أن يمضي الصلح. كل هذا والآية المستدل بها بل والسورة كلها (سورة الفتح) لم تكن قد نزلت بعد، وإنما نزلت عند الانصراف من الحديبية.

وكما ترى أن النبي ﷺ عزم على القتال مرتين، الأولى عندما مضى فحُبِسَت ناقته والثانية عندما أخذ البيعة، ومع عزمه على القتال في المرتين كان ﷺ يعلم بوجود مؤمنين مستضعفين في مكة وكان يعلم بعضهم عَيْناً وكان يدعو لهم بالنجاة [٤]، فلم يمنعه وجود المستضعفين

---

[١] حديث ٤١٧٨ و ٤١٧٩.

[٢] حديث: ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

[٣] على اختلاف، انظر فتح الباري (١١٧/٦).

[٤] رواه البخاري: ٤٥٩٨.

من العزم على القتال، بل القتال واجب لاستنقاذهم، لقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ...﴾ [النساء: ٧٥]، ولكن الله لم يأذن في القتال قدرًا لا شرعًا، إذ لو مُنِع شرعًا (بالوحي) لما مضى ولما أخذ البيعة، وهذا المنع القدري لحكمة يعلمها الله تعالى منها وجود المستضعفين بمكة ومنها أن الصلح ترتب عليه نفع عظيم إذ أَمِن الناس فدخل في الإسلام أضعاف من دخله قبل، كما في الآية: ﴿لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الفتح: ٢٥] (١)، حتى سمى الله تعالى هذا الصلح فتحًا.

كل هذا في بيان أن منع القتال يوم الحديبية كان منعًا قدريًا، وفي إبطال الاحتجاج بالقدر.

قال ابن تيمية رحمه الله: (وليس في القدر حجة لابن آدم ولا عذر، بل القدر يُؤْمن به ولا يُحْتَج به، والمحتج بالقدر فاسد العقل والدين، متناقض، فإن القدر إن كان حجة وعذرًا، لزم أن لا يُلام أحد، ولا يعاقب ولا يُقتص منه، وحينئذ فهذا المحتج بالقدر يلزمه – إذا ظُلِم في نفسه وماله وعرضه وحرمته – أن لا ينتصر من الظالم، ولا يغضب عليه، ويذمه، وهذا أمر ممتنع في الطبيعة، لا يمكن أحدًا أن يفعله، فهو ممتنع طبعًا محرم شرعًا.

ولو كان القدر حجة وعذرًا: لم يكن إبليس ملومًا ولا معاقبًا، ولا فرعون وقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الكفار، ولا كان جهاد الكفار جائزًا، ولا إقامة الحدود جائزًا، ولا قطع السارق، ولا جلد الزاني ولا رجمه، ولا قتل القاتل ولا عقوبة مُعْتَدٍ بوجه من الوجه.

– إلى أن قال رحمه الله – فمن احتج بالقدر على ترك المأمور، وجزع من حصول ما يكرهه من المقدور فقد عكس الإيمان، وصار من حزب الملحدين المنافقين، وهذا حال المحتجين بالقدر) (٢).

---

(١) انظر فتح الباري (٣٤٨/٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٢٣/٢-٣٢٦).

الوجه الثاني: الخصوصية، وهي أن هذا المنع من القتال لاختلاط المؤمنين بالكفار في مكة كان خاصًا بقصة الحديبية دون غيرها، ولا يستدل به على ما شابهها.

وهذا القول بالخصوصية إن شاء الله تعالى هو الصواب، والله تعالى أعلم، ودليل ذلك: أن الله سبحانه منع رسوله ﷺ من غزو مكة يوم الحديبية (سنة ٦هـ) منعًا قدريًا، ثم أَذِنَ له في غزوها بعد ذلك بسنتين يوم فتح مكة (سنة٨ هـ) إذنًا شرعيًا، والبلد هو البلد (مكة)، والمستضعفون لم يزل بعضهم بمكة كابن عباس رضي الله عنهما وغيره [١].

وروى البخاري عن أبي هريرة قال: لما فتح الله على رسوله ﷺ مكة، قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، فإنها لا تحل لأحد كان قبلي، وإنها أحلت لي ساعة من نهار، وإنها لن تحل لأحد من بعدي)) [٢].

وبهذا تعلم أن المنع يوم الحديبية كان خاصًا لأن نفس البلد أحل بعد ذلك، والبلد هو البلد، والمستضعفون لم يزل بعضهم بها.

ومما يدل على الخصوصية أيضًا أن هناك مواقف خالط فيها المؤمنون الكافرين والعصاة، ووقع القتل أو العذاب بالجميع، ولم يَحُل دون ذلك منع قدري من الله تعالى كما حدث يوم الحديبية، فدل هذا على خصوصية النص بقصة الحديبية، ولا مانع من أن يحدث مثله قدرًا، أما شرعًا فليس بحجة.

ومن المواقف التي حدثت فيها المخالطة ولم يمنع القتل أو العذاب قدرًا ما يلي:

---

[١] رواه البخاري ٤٥٨٧.

[٢] الحديث (٢٤٣٤).

– ما رواه أبو داود والترمذي عن جرير بن عبد الله قال: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى خَثْعَم، فاعتصم ناس منهم بالسجود، فأسرع فيهم القتل، قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ، فأمر لهم بنصف العقل وقال: ((أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، لا تراءى نارهما)).

– ومنها حديث البيداء المذكور في كلام ابن تيمية السابق، فهذا الجيش أهلكه الله تعالى مع أن فيهم المكره ومن ليس منهم.

– ومنها ما رواه البخاري عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا أنزَلَ الله بقوم عذابًا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم)) (١).

– ومنها ما رواه البخاري عن أم المؤمنين زينب بنت جحش قال: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال النبي ﷺ: ((نعم، إذا كثر الخبث)) (٢).

– ومنها ما رواه ابن حبان في صحيحه عن عائشة مرفوعًا: ((إن الله إذا أنزل سطوته بأهل نقمته وفيهم الصالحون، قُبِضُوا معهم ثم بُعِثُوا على نياتهم وأعمالهم)).

وهذه الأحاديث كلها في معنى حديث البيداء.

قلت: والقول بالخصوصية ليس معناه أن المؤمن المخالط للكافرين لا حرمة له أو أنه مهدر الدم، لا بل هو معصوم بإيمانه أينما كان، وإنما القول بالخصوصية معناه أن هذه المخالطة ليست بمانعة من قتال الكافرين وإن تيقن أن بينهم مسلمين سيقتلون ضمنًا، وذلك إذا اقتضت المصلحة الشرعية ذلك.

---

(١) حديث ٧١٠٨.

(٢) حديث ٧٠٥٩.

وهذا هو ما استقر عليه قول جمهور الفقهاء [١]، ويجب أن يشاع هذا العلم في المسلمين كي يحذروا من مخالطة الكافرين.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ أورد القرطبي: أن مالكًا رحمه الله لا يرى رمي المشركين إذا علم أن بينهم مسلمين مستدلًا بهذه الآية، وقال: إن أبا حنيفة أجاز ذلك.

ثم قال القرطبي: (قد يجوز قتل التُّرس، ولا يكون فيه اختلاف إن شاء الله وذلك إذا كانت المصلحة ضرورية كلية قطعية، فمعنى كونها ضرورية: أنها لا يحصل الوصول إلى الكفار إلا بقتل الترس، ومعنى أنها كلية: أنها قاطعة لكل الأمة، حتى يحصل من قتل الترس مصلحة كل المسلمين، فإن لم يفعل قَتَلَ الكفارُ الترسَ واستولوا على كل الأمة، ومعنى كونها قطعية: أن تلك المصلحة حاصلة من قَتْل الترس قطعًا. قال علماؤنا: وهذه المصلحة بهذه القيود لا ينبغي أن يُخْتَلَف في اعتبارها، لأن الفرض أن الترس مقتول قطعًا، فإما بأيدي العدو فتحصل المفسدة العظيمة التي هي استيلاء العدو على كل المسلمين، وإما بأيدي المسلمين فيهلك العدو وينجو المسلمون أجمعون، ولا يتأتى لعاقل أن يقول: لا يُقتل الترس في هذه الصورة بوجه، لأنه يلزم منه ذهاب الترس والإسلام والمسلمين، لكن لما كانت هذه المصلحة غير خالية من المفسدة، نَفَرَت منها نفس من لم يُمْعِن النظر فيها، فإن تلك المفسدة بالنسبة إلى ما يحصل منها عدم أو كالعدم. والله أعلم) [٢].

قلت: وهذا كلام يشفي العليل ويروي الغليل، فإنه لا خلاف بين الأمة في وجوب حفظ الضروريات الخمس وهي الدين والنفس والنسل (النسب) والعقل والمال، ولا خلاف في أن حفظ الدين مقدم على حفظ النفس، ولهذا شُرِع الجهاد لحفظ الدين مع أن فيه

---

[١] انظر المغني والشرح الكبير (١٠/٥٠٥) و(المجموع شرح المهذب ١٩/٢٩٧).

[٢] تفسير القرطبي (١٦/٢٨٢-٢٨٨).

ذَهَاب الأنفس والأموال، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعداً عَلَيْهِ حَقاً فِي التَّوْرَاة وَالإِنْجِيل وَالْقُرْآن﴾ [التوبة: ١١١]، وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ولا شك أن الضرر النازل بالمسلمين من تسلط الحكام المرتدين عليهم وما في ذلك من الفتنة العظيمة، هذا الضرر يفوق أضعافًا مضاعفة قتل بعض المسلمين المكرهين في صف العدو أو المخالطين له عن غير قصد حال القتال، إن كثيرًا من بلدان المسلمين تسير في طريق الردة الشاملة من جراء هؤلاء، فأي فتنة أعظم من هذا، هذه فتنة تفوق ما يصيب المسلمين بالجهاد من قتل أو سجن أو تعذيب أو تشريد، قال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، وقال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنْ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

فيجب دفع المفسدة العظمى (فتنة الكفر والردة) بتحمل المفسدة الأخف (وهو ما يترتب على الجهاد من قتل وغيره)، وهذا هو المقرر في القواعد الفقهية الخاصة بدفع الضرر، كقاعدة: (الضرورات تبيح المحظورات)، وقاعدة: (يُتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام)، وقاعدة: (الضرر الأشد يُزال بالضرر الأخف)، وقاعدة: (إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمهما ضررا)، وقاعدة: (يُختار أهون الشرين) وغيرها [١].

وقال ابن تيمية رحمه الله: (وذلك أن الله تعالى أباح من قتل النفوس ما يُحتاج إليه في صلاح الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنْ الْقَتْلِ﴾ أي أن القتل وإن كان فيه شر وفساد؛ ففي فتنة الكفار من الشر والفساد ما هو أكبر منه) [٢].

---

[١] انظر القواعد الفقهية للزرقا (قاعدة ٢٠ و٢٥ – ٢٨).

[٢] مجموع الفتاوى (٣٥٥/٢٨).

ألا ترون إلى ما يجري للمسلمين في كثير من البلدان؟ تستباح دماؤهم وأموالهم بأحكام الكفر، مع إشاعة الفجور والفواحش، والتجهيل المعتمد بالدين، والاستهزاء بالإسلام وأهله، ليشب النشء على صلة باهتة بدينه، أي فتنة أعظم من هذا، وماذا بقي للمسلمين؟

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. أ. هـ[1]

[1] النقل من كتاب العمدة في إعداد العدة لعبد القادر عبد العزيز.

ملحق

لما وقعت عملية التفجير في الرياض عام ١٤١٦هـ والخبر عام ١٤١٧هـ استنكرها كما هي العادة شيوخ آل سعود (هيئة كبار العملاء) وأصدروا البيانات، فتصدى لهم في ذاك الزمن أسد التوحيد العالم الأسير أبو محمد عاصم المقدسي فك الله أسره، قال وفقه الله في رده على بيان الهيئة حول تفجير الرياض:

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله..

بالأمس (١٤ محرم ١٤١٧ هـ. الموافق ٣١ مايو ١٩٩٦م) نُفذ حكم الإعدام بإخواننا الموحدين الأربعة:

أبي عاصم عبد العزيز بن فهد بن ناصر المعثم.

رياض بن سليمان بن إسحاق الهاجري.

خالد بن أحمد بن إبراهيم السعيد.

مصلح بن علي الشمراني.

نسأل الله تعالى أن يرحمهم رحمة واسعة، وأن يكتبهم في زمرة الشهداء، ويُسكنهم فسيح جناته.

ولقد شاء الله سبحانه أن يتزامن إعدامهم مع إعدام الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر للرهبان الفرنسيين، ليفضح الله هذه الحكومات وسدنتها من علماء السوء، حيث ظهر التباين الواضح والصريح تجاه الفئتين، فثارت ثائرة الحكومات وسدنتها لمقتل أولئك

الرهبان وانطلقت أبواقهم تنعاهم وتذم قاتِلهم، ولا عجب عندنا من هذا، فالقوم قد خرجوا من الدين أفواجاً ومن أبواب شتى، كما لم نعجب إذ لم يسلم من المشاركة في ذلك التطبيل والتزمير كثير من المنتسبين إلى الحركة الإسلامية ممن لم يشموا رائحة التوحيد، ولا ذاقوا طعم عُراه الوثقى.. أولئك المنحرفين عن ملة إبراهيم الذين لا يُفرقون بين الوطنية والدين.

ولم نعجب من استدلالهم ببعض النصوص التي تنهى عن قتل الزمنى والشيوخ وأصحاب الصوامع، فالجهل يُزري بأصحابه ويُوردهم شتى الموارد، فهلّا جلس أولئك الرهبان في صوامعهم في بلادهم إن أرادوا الأمن والسلامة؟؟. بدلاً من أن يأتوا إلى بلاد المسلمين ليصدوا المسلمين عن دينهم ويدعوهم إلى عبادة الصلبان، وأين؟ في أرضٍ يُذبح فيها الإسلام والمسلمون ليل نهار، وهم يعرفون حق المعرفة أن لا أمن ولا أمان لهم ولا للحكومة التي آوتهم بعد أن أعلنت هي وبلادهم (فرنسا) الحرب على الإسلام وأهله، ثم ومع ذلك يبقون يمارسون تنفيرهم وصدهم للمسلمين عن الإسلام، ودعوتهم إلى عبادة الصليب والأوثان.

فعلى نفسها جنت براقش!!!

فليبكِ عليهمُ الباكون، ولينتحب المنتحبون، وليلطموا وجوههم، وليشقوا جيوبهم، وليُولْوِلوا كما تُولول النساء، وليصدروا فتاواهم الساقطة المتهافتة.

أما إخواننا الموحدون في الجزيرة فلا بواكيَ له، بل على العكس لقد شن علماء السوء ورهبان الحكومات عليهم غارتهم، وتناوشوا أعراضهم ودينهم، مثل الكلاب تدور باللحمان.

ووالله ما فعلوه غضبةً لدين الله، ولكن غضبةً لأولياء نعمتهم من آل سعود، فدين الله تُنتهك محارمه ليل نهار ولا من يحرك ساكناً منهم.. وأول المنتهكين له أربابهم من آل سعود لعنة الله عليهم وعلى من شايعهم وناصرهم وظاهرهم وسوّغ الدخول في دينهم الكفري، فوالله الذي لا إله إلا هو لقد أفسدوا الدين، وثلموا أركانه، وذبحوه باسم الشريعة والدين.

باسم الشريعة سوّدوا وجه الشريعة مشرق القسمات

ووالله ما نال آل سعود من دين الله، ولا فعلوا فيه من التلبيس والتدليس والإضلال عشر معشار ما فعله هؤلاء الكهنة والرهبان والحاخامات، إذ لبسوا الحق بالباطل، ورقعوا لأربابهم من أئمة الكفر؛ فجعلوهم أولاً ولاة أمور المسلمين وأئمة الدين [١]، ثم صيروا الخارج عليهم الكافر بشركهم من (الخوارج والتكفيريين).

فأشفوا بذلك صدور كل عدوٍ لله والدين، وسوغوا لهم ذبح أنصار الدين وأولياء الله الموحدين، وأمسى جائزاً (لفهد) وغيره من الطواغيت ذبح خلاصة إخواننا من أهل التوحيد باسم الدين، في الوقت الذي يحرم على إخواننا ذبح عُباد الصليب من الأمريكان المحاربين للإسلام والمسلمين في كل مكان، أو الرهبان الداعين لعبادة الصلبان المنفرين عن دين الإسلام في بلاد المسلمين، ويُوقع كبار سحرتهم ورهبانهم وكهانهم على شرعية قتل الموحدين بالكفار مع أن النبي ﷺ قد قال: ((المسلمون تتكافؤ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ولا يُقتل مؤمن بكافر)) [٢].

---

[١] لذلك يدفع آل سعود عن هؤلاء العلماء (العملاء) كما يدفعون عن أنفسهم وحكوماتهم، لأنهم من أعظم أركان تثبيت عروشهم.

وتأمل تركيزهم في كلامهم على الإخوة الأربعة بأنهم كانوا يُكفّرون الدولة والعلماء الذين يؤيدونها.

ولا ننسى هنا أن نذكر أن الأمة لم تعدم طلبة حق وعلماء فضلاء يُبلِّغون رسالات ربهم ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله، لكن أكثر هؤلاء إما في السجون أو مكبلون مستضعفون. نسأل الله تعالى أن يفك أسرهم، وأن يجعل لنا ولهم من لدنه ولياً، ويجعل لنا من لدنه نصيراً.

[٢] رواه البخاري وغيره.

وقد استدل بذلك جمهور العلماء على أن المسلم لا يُقتل بالكافر، ولو كان مستأمناً أو ذمياً، انظر المهذب (٢/ ١٨٥)، والمغني (٩/ ٣٤١) وغيره من كتب الفقه، فكيف إذا كان حربياً كهؤلاء الأمريكان، فالعبرة ليست في حربهم للطواغيت وحكوماتهم فهم لهم أحباب وأرباب، بل العبرة في حربهم للإسلام والمسلمين، فتنبّه لهذا ولا تكن من الغافلين!!.

وقضاة آل سعود وعلماؤهم يقولون.. بل يُقتل المؤمن الموحد بالكافر.

فتباً لكم ولشـــرككم تباً لكم وجه تبـاً لكـم حـتى يكـلَّ لســـاني

إن دماء إخواننا هؤلاء وغيرهم من الموحدين الذين عُذبوا وقُتلوا ظلماً لن تذهب هباءً بإذن الله، لكنها ستبقى لعنةً على حكم آل سعود ورهبانهم.

إن قتل إخواننا اليوم وبتوقيعٍ وإقرارٍ من هؤلاء الرهبان هي والله بداية الطريق إذ ينجلي الغبار، وأول جولات المعركة إذ ينقشع الضباب، إنها بإذن الله بداية النهاية لحكم هؤلاء الطواغيت، فالناس كلهم يموتون، ومن لم يمت بالسيف مات بغيره، لكن شتان بين موتةٍ وموتة، شتان بين موت الجبناء، وبين موتةٍ تُحيي أمة، وتشعل جذوة الجهاد والاستشهاد، وتحشد الجموع وتشحذ الهمم، وتدك عروش الظالمين، وتُعري وتكشف زيف وجهل المتعالمين من الكهان والرهبان.

فنمْ أبا عاصم قرير العين أنت وإخوانك، أَربحَ الله بيعكم، فإنّا إن شاء الله على دربكم سائرون، لن نبدل، ولن نقيل، ولن نستقيل، ولن نتنكب طريقكم، طريق الجهاد والاستشهاد ولن يردنا عنه لا السجون ولا الجلاد ولا المنون، فوالله ما زادنا السجن إلا صلابةً ويقيناً، وما زادنا قتل إخواننا إلا ثباتاً وتصميماً.

وإن كان أعداء الله يظنون أنهم بذلك قادرون على أن يطفئوا نور الله، ويُوهنوا دعوته فإنهم والله لواهمون، فالله متم نوره ولو كره الكافرون.

وإننا وإخواننا في بقاع الأرض قد رضينا بهذه الطريق، واخترناها على علمٍ بتكاليفها، فبعنا الأنفس والأرواح لبارئها، ونسأله تعالى أن يُربح بيعنا وينصرنا على من عادنا، فإن كان للباطل جولة ينتفش فيها كالزبد، فإن للحق جولات وجولات، وإنها والله لبداية الطريق، ولتعلمن نبأه بعد حين.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾. اللهم اجعلنا وإخواننا منهم، وصلّ اللهم وسلم على إمام المجاهدين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أبو محمد المقدسي

سجن سواقة - الأردن.

وقال نصره الله في رده على بيان الهيئة حول تفجير الخبر:

زلّ حمار العلم في الطين!

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد:

فلقد قرأت في جريدة الرأي الأردنية بتاريخ ١٦ صفر ١٤١٧هـ الموافق ٢/ ٧/١٩٩٦م خبراً بعنوان: (هيئة كبار العلماء بالسعودية تشجب حادث التفجير)، وجاء في الخبر:

(شجبت هيئة مجلس كبار العلماء في المملكة العربية السعودية في بيان نقلته صحف المملكة أمس حادث التفجير في الخبر، وقال البيان الذي صدر عن جلسة استثنائية عقدت يوم السبت في مدينة الطائف برئاسة مفتي السعودية الشيخ عبد العزيز بن باز: (أن المجلس بعد النظر والدراسة والتأمل قرر بالإجماع... أن هذا التفجير عمل إجرامي محرم شرعاً بإجماع المسلمين).

وأضاف: (في هذا التفجير هتك حرمات الإسلام المعلومة منه بالضرورة وهتك لحرمة الأنفس المعصومة وهتك لحرمة الأموال وهتك لحرمة الأمن والاستقرار وحياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم وغدوهم ورواحهم) [١].

---

[١] وأقول: وفسقهم وفجورهم وعهرهم وخمرهم وكفرهم.. إذ لا يخفى حال من قتلوا في ذلك التفجير، فقد نشرت الرأي في ٢٩/ ٦/١٩٩٦م تحت عنوان (الجنود الأمريكيون يحاولون نسيان انفجار السعودية) الظهران السعودية – رويتر (... وعلى بعد أقل من ٥٠٠ متر من البناية المدمرة في مجمع الخبر راح الجنود أمريكيون من الرجال والنساء يلعبون الورق ويرقصون ويشربون الجعة الخالية من الكحول في موقف للسيارات تم تحويله إلى قاعة ضخمة للترفيه، وقال السارجنت ديفيد جريجوروف وهو يراقب ثلاثة أزواج من الجنود يتمايلون على حلبة الرقص: أن حفلات الموسيقى الشعبية الأمريكية مساء كل

وتابع البيان قائلاً: (ما أبشع وأعظم جريمة من تجرأ على حرمات الله وظلم عباده وأخاف المسلمين والمقيمين بينهم، فويل له ثم ويل له من عذاب الله ونقمته، ومن دعوة تحيط به، نسأل الله أن يكشف ستره وأن يفضح أمره) أهـ.

فأقول: قد فضح الله أمركم وكشف ستركم يا علماء الضلالة، ووالله لقد جاء علينا يوم كنا نكف ألسنتنا عن الخوض فيكم، ونربأ بأنفسنا عن الانشغال بكم، خوفاً من تهميش صراعنا والانحراف عن نهج دعوتنا، وكنا نكتفي بتحذير الشباب من ضلالاتكم حتى كفَّرنا من كفّرنا لتركنا الخوض في تكفيركم، وقد كنا نأمل أن تراجعوا أو تغيرّوا أو تبدلوا أو تتوبوا أو تستحيوا، ونعرض عنكم متمثلين بحديث النبي ﷺ: ((دعهم يتحدث الناس محمداً يقتل أصحابه)).

ولكنكم يا للأسف.. لم تزدادوا إلا عماية وطغياناً وانحرافاً عن الحق وانسلاخاً عن التوحيد، وانحيازاً إلى الطواغيت والى الشرك والتنديد.

وإذا كان أسلافكم وشيوخكم الذين كان عبد العزيز (أخو نوره) و (أبو فهد) يستغفلهم ويضحك عليهم، فيجدون من يرقع لهم، لدهاء الخبيث وإحكامه التلبيس والتدليس؛ فحكم أولاده الذين تتولونهم وتبايعونهم اليوم وأمرهم لا يخفى على أحد، فكفرهم وموالاتهم لأعداء الدين وطواغيت الكفر الشرقيين والغربيين ومحاربتهم للموحدين، ظاهر بين لا يخفى حتى على العميان، ومع هذا فما زلتم تسمون الطاغوت إمام المسلمين، وتعدونه وغيره من الطواغيت ولاة أمور شرعيين، وتعدون المنازع لهم، الكافر بشركهم من الخوارج والبغاة والتكفيريين.

خميس تحظى بإقبال شديد من الجنود في العادة، وسوف يبدؤون في التوافد وسيعود كل شيء إلى طبيعته) أهـ.

فصدق فيكم ما ذكره رسول الله ﷺ من كلام النبوة الأولى: ((إذا لم تستح فاصنع ما شئت)).

وها أنتم كل يوم تزدادون جرأة على دين الله وأوليائه، وتمعنون في الترقيع لأعداء الدين وتسويغ باطلهم والتلبيس على المسلمين، فتقولون في هذا البيان: (إن هذه التفجير عمل إجرامي محرم شرعاً بإجماع المسلمين) أهـ. (زل حمار العلم في الطين).. فأي إجماع هذا الذي تتحدثون عنه، وأي مسلمين تقصدون.!

إننا وإخواننا الموحدين ممن يقفون في وجه الطواغيت في كل بقاع الأرض نخرق إجماعكم المدّعى هذا، فإما أنكم لا تعدوننا من المسلمين!! أو أنكم لستم بصادقين في دعوى الإجماع هذه.

ورحم الله إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل الذي تنتسبون إلى مذهبه – زوراً – إذ يقول: (من ادعى الإجماع فقد كذب؛ ما يدريه لعل الناس اختلفوا)، فليس إجماعكم هذا المزعوم بشيء؛ لأنه إجماع كلينتون وشيراك وفهد وأسد وحسن وحسين وحسني وغيرهم من طواغيت الكفر ومن شايعهم من علماء الفتنة وسدنة الشرك والقانون.

أما قولكم: (ما أبشع وأعظم جريمة من تجرأ على حرمات الله وظلم عباده وأخاف المسلمين).

فلا أظنه يخفى على أحد يا عميان القلوب أن أولى من ينطبق عليه مثل هذا الكلام هو طاغوتكم فهد وإخوانه من طواغيت الشرك الذين لم يتركوا حرمة من حرمات الله إلا انتهكوها، ولم يبقوا حقاً لعباد الله إلا وظلموهم إياه، وروعوا المسلمين وأمّنوا المشركين وأقروا أعين الكافرين، وبيان كفرهم وباطلهم وجرائمهم لا يسعه مثل هذه الورقات.

لقد صدّقتم يا علماء السوء من قبل على قتل جهيمان وطائفة من إخوانه، وها هي فتاويكم التي قُتلوا بها إلى اليوم محفوظة شاهدة على جريمتكم، ومع هذا فقد قيل يومها:

الأمر ملتبس والحادث حصلت فيه فتنة عظيمة، وحمل السلاح في الحرم فتنة وبلبلة وقتل أبرياء... و... و... إلخ، فوجدتم من يرقع لباطلكم، ورقع لكم المرقعون..

ثم سوغتم لطاغوتكم (ولي الأمر أو الخمر) فهد لبس الصليب، فقيل الأمر ملتبس، وهذه (ميدالية) وشعار وليس هو بصليب صريح.. ورقع لكم المرقعون..

ثم أفتيتم لإمامكم بإدخال الأمريكان واستقرارهم بالجزيرة، وأفتيتم بجواز الاستعانة بهم ضد صدام حسين مع أنكم لم تكونوا تكفرونه أو تكفرون جيشه!! بل كنتم تطبلون له وتزمرون لما كان يقاتل رافضة إيران، ثم ذهبتم مذهب الخوارج فكفرتموه لاحتلال الكويت والقتل والقتال [١]، وجوزتم لأجل ذلك الاستعانة بالكفار على قتاله.. وها هم يستقرون ببركات فتاويكم في ديار المسلمين.

فقيل: الأمر فيه مفاسد ومصالح، وصدام طاغوت مجرم ما كان ليتوقف عند حدود الكويت، وغير ذلك.. فرقع لكم المرقعون.!!

وها أنتم تخلعون جلباب الحياء وتعلنوها صراحة فتقررون جواز قتل المسلم الموحد، بالكافر المشرك النصراني، فتفتون بقتل أربعة من خيار الموحدين بعد حادث تفجير العليا بالرياض، مع أن النبي ﷺ قد قال: ((لا يقتل مسلم بكافر)) [رواه البخاري من حديث علي بن أبي طالب].

فبهت المرقعون، وقال من عنده بقية حياء منهم: (شي يترقع، وشي ما يترقع).

---

[١] فهذا الذي احتجوا به لتكفيره من القتل والقتال والاحتلال معلوم عند أهل السنة والجماعة أنه لا يصل إلى الكفر إلا بالاستحلال، ونحن لم نكفره من أجل ذلك فالرجل عندنا مجرم كافر خارج من دين الله قبل ذلك من أبواب شتى ليس هذا مجال تفصيلها.

ثم ها أنتم تزعمون (إجماع المسلمين) على حرمة مثل هذا العمل وأنه من أعظم الجرائم، وتنسون جرائم طواغيتكم المتفرقين.

لكن نقولها بصراحة: إن هذا كله غير مستغرب عندنا، نعم قد يستغربه غيرنا ممن لم يكن عنده بصيرة فيكم قبل اليوم، فيتعجب ويفاجأ بمثل هذه المواقف، أما الموحد الذي استنار قلبه بنور الوحي، واستبان سبيل المجرمين، وعرف حكم الله في طاغوتكم (إمامكم) ثم يراكم مع هذا تعطونه صفقة أيديكم وثمرة أفئدتكم فتبايعونه وتقررون بأنه إمام للمسلمين.. مع أنه من الطواغيت الذين أمرنا الله أول ما أمرنا أن نكفر بهم!!

فمن عرف هذا وتبصر به لم يعجب ولم يفجأ بما هو دونه أو بما هو متفرع عنه.. فبيضوا.. وفرّخوا.. وأفتوا بما بدا لكم من باطل وزور..

خلا لك الجو فبيضي واصفري ونقري ما شئت أن تنقري

ولكن ليكن في علمكم بعد أن تكشفت عوراتكم أن الأمة ستلعنكم إن لم تتوبوا.. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ۝ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَـ-ئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة].

فتوبوا وأصلحوا وبينوا الحق للخلق، وإلا فمهما لمعكم الطواغيت ومهما زينوا فتاويكم التي تنصر باطلهم ومهما وضعوا لكم من ألقاب وأنشؤوا لكم من هيئات؛ فمصيركم إن لم تتوبوا وتصلحوا وتبينوا، مصير من قال الله تعالى فيه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف].

يا معشـــر العلمـاء إن ســـكوتكم ... مـن حـجـة الجـهـال كـل زمـان
يا معشـــر العلمـاء هبوا هبـة ... قـد طـال نـومـكـم إلى ذا الآن
يا معشـــر العلمـاء قوموا قومـة ... لله تـعـلـي كـلـمـة الإيمـان
يا معشـــر العلماء عزمة صـــادق ... مـتـجـرد لله غـير جـبـان
فـالله ينصـــر من يقوم بنصـــره ... والله يخذل ناصـــر الشـــيطان [1]

وكتب أبو محمد المقدسي
الأردن - سجن سواقة
١٦صفر ١٤١٧هجرية

[1] أبيات من قصيدة الدر المنظوم في نصرة النبي المعصوم، لعبد الرحمن بن محمد بن حجر الحسني الجزائري.

الخاتمة

أيها القارئ، ها قد قرأت كلام فقهاء المسلمين واطلعت على استدلالاتهم، ولم آتِ بجديد من جعبتي، أو أستخدم الألفاظ الفضفاضة المنفرة كما يفعل علماء السوء وخطباء الزور، ولم أشغل نفسي بالرد على الشيخ الفلاني والعالم الفلاني، وإنما عرضت لك أقوال من اتفقت الأمة على صدقهم وعزتهم وفقههم وعلمهم؛ فلا يرتاب أحد من المجاهدين في مشروعية ما حصل في الرياض أو الدار البيضاء أو الشيشان أو فلسطين أو غيرها، وليحذروا من عدوهم الذي ربما يستخدم طرقاً عدة لتشويه صورتهم والتنفير منهم، بل ربما يتقصد المسلمين في أسواقهم الخاصة أو مجمعاتهم الإسلامية لضربهم ثم ينسب ذلك للمجاهدين، كما فعلت دولة آل سعود في سوق المحمل بمدينة جدة.

ونحن نقول كما قال المشايخ الذين كتبوا بياناً يدافعون فيه عن التسعة عشر: (أن هؤلاء المجاهدين أتقى لله، وأورع من أن يقتلوا مسلماً، أو يفسدوا بيوت أو منشئات المسلمين، أو يروعوهم، أو يعتدوا على حرماتهم، أو أموالهم، أو أعراضهم.. كيف ذلك، وهم ما بذلوا أرواحهم إلا دفاعاً عن المسلمين ضد الأعداء الصليبيين، ومحاولة إلصاق هذه التهم بهم من أخس الأعمال، والله المستعان).

نسأل الله سبحانه أن يحفظ المجاهدين في سبيله، وأن يخذل من خذلهم، وأن يهتك ستر من هتك سترهم، وأن يجزي من حفظ حرمتهم ودافع عنهم خير الجزاء، وأن يهيء لهم الوقت والمكان المناسب لسحق أعداء الله الشرقيين منهم والغربيين، وأن يقر أعيننا بنصر الإسلام والمسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وجوب استنقاذ المستضعفين من سجون الطواغيت والمرتدين

أتُسبىٰ المسلمات بكل ثغرٍ وعيش المسلمين إذاً يطيبُ؟
أما للهِ والإسلام حقٌّ يُدافع عنه شبانٌ وشيبُ؟
فقل لذوي البصائر حيث كانوا أجيبوا اللهَ وَيْحَكمُ أجيبوا

إهــداء

إلى العالم المجاهد الأسير عمر عبد الرحمن في سجون أمريكا

والعالم المجاهد الأسير أبي محمد المقدسي في سجون الأردن

والعالم المجاهد الأسير أبي قتادة الفلسطيني في سجون بريطانيا

والعالم المجاهد الأسير رفاعي طه في سجون مصر

والعلماء المجاهدين الأسرى علي الخضير وناصر الفهد، وأحمد الخالدي، ووليد السناني في سجون آل سعود

والسفير المجاهد عبد السلام ضعيف في سجون أمريكا

والبطل المجاهد أبي هاجر العراقي في سجون أمريكا

والبطل المجاهد رمزي يوسف في سجون أمريكا

والبطل المجاهد أزمراي في سجون أمريكا

إلى المجاهدين والمسلمين المأسورين في غوانتانامو وأمريكا وبريطانيا وأوربا وإسرائيل

إليهم في سجون آل سعود ومصر وسوريا والأردن وفلسطين وباكستان والجزائر

وتونس والمغرب وفي كل مكان ممن نعرفهم أو نجهلهم

أهدي هذا الكتاب لعلي أن أكون قدمت بعض حقوقهم علينا كمسلمين

نسأل الله أن يعجل بفكاك أسرهم. آمين. آمين.

أخي أنت حر بتلك القيود

أخي أنت حرٌ وراء السدود ... أخي أنت حرٌ بتلك القيود
إذا كنت بالله مستعصما ... فماذا يضيرك كيد العبيد
أخي ستبيد جيوش الظلام ... ويشرق في الكون فجر جديد
فأطلق لروحك إشراقها ... ترى الفجر يرمقنا من بعيد
أخي قد أصابك سهم ذليل ... وغدرًا رماك ذراعٌ كليل
ستُبترُ يومًا فصبر جميل ... ولم يَدْمَ بعدُ عرينُ الأسود
أخي قد سرت من يديك الدماء ... أبت أن تُشلّ بقيد الإماء
سترفعُ قُربانها للسماء ... مخضبة بدماء الخلود
أخي هل تُراك سئمت الكفاح ... وألقيت عن كاهليك السلاح
فمن للضحايا يواسي الجراح ... ويرفع راياتها من جديد
أخي هل سمعت أنين التراب ... تدُكّ حَصاه جيوشُ الخراب
تُمَزقُ أحشاءه بالحراب ... وتصفعهُ وهو صلب عنيد
أخي إنني اليوم صلب المراس ... أدُك صخور الجبال الرواس
غدًا سأشيح بفأس الخلاص ... رؤوس الأفاعي إلى أن تبيد
أخي إن ذرفت عليّ الدموع ... وبلّلت قبري بها في خشوع
فأوقد لهم من رفاتي الشموع ... وسيروا بها نحو مجد تليد
أخي إن نمُتْ نلقَ أحبابنا ... فروْضاتُ ربي أعدت لنا
وأطيارُها رفرفت حولنا ... فطوبى لنا في ديار الخلود
أخي إنني ما سئمت الكفاح ... ولا أنا ألقيت عني السلاح
وإن طوقتني جيوشُ الظلام ... فإني على ثقة بالصباح
وإني على ثقة من طريقي ... إلى الله رب السنا والشروق

فإن عافني السَّوقُ أو عَقّنِي ... فإني أمين لعهدي الوثيق
أخي أخذوك على إثرنا ... وفوج على إثر فجرٍ جديد
فإن أنا مُتّ فإني شهيد ... وأنت ستمضي بنصر مجيد
قد اختارنا الله في دعوته ... وإنا سنمضي على سُنته
فمنا الذين قضوا نحبهم ... ومنا الحفيظ على ذِمته
أخي فامض لا تلتفت للوراء ... طريقك قد خضبته الدماء
ولا تلتفت ههنا أو هناك ... ولا تتطلع لغير السماء
فلسنا بطير مهيض الجناح ... ولن نستذل ولن نستباح
وإني لأسمع صوت الدماء ... قويًا ينادي الكفاحَ الكفاح
سأثأرُ لكن لربٍ ودين ... وأمضي على سنتي في يقين
فإما إلى النصر فوق الأنام ... وإما إلى الله في الخالدين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضّل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

أما بعد:

فإن أحسن الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النّار.

فمما لا شك فيه أن أمم الكفر لم تجتمع على أمة محمد ﷺ مثل ما اجتمعت عليه في مثل هذا الزمن (القرن الأخير)، فقد تداعت الأمم الكافرة على المسلمين كما تتداعى الأكلة على قصعتها، ما بين عدو صليبي (الكافر الأصلي)، وعدو عميل (الكافر المرتد)، فاخترعوا من الوسائل والطرق الشيء الكثير لتقييد الأمة الإسلامية وتطويقها، ومن خرج عن هذه القيود من العاملين لدين الله والمجاهدين تربصوا بهم الدوائر، وحاكوا لهم المؤامرات، ومكروا بهم ليثبتوهم أو يقتلوهم أو يخرجوهم، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

وفي عالمنا العربي والإسلامي تعيش أمتنا تحت ضروب العسف والقهر والقمع وامتهان الإنسان، وإغراقه في بحر من اليأس بتكرار الأنظمة لرسالتها اليومية أنها جاءت لتبقى، ومدى الحياة، ولا تتعدى حركة الإصلاح والبناء الدعاية التي تتولاها الآلة الإعلامية التي لا تفتر عن التعظيم والتبجيل للإنجازات العملاقة وهي في حقيقتها أبسط حقوق الفرد!! ومحصلة إنجازات الأنظمة لا تتعدى في معظم الأحيان أن تكون كلاماً ساكتاً كما يقول التعبير السوداني الشائع، وتتفق هذه الأنظمة جميعاً في إقصاء شريعة الله عن الحكم وعن العدل في الحكم بها، إلا أنها تختلف في درجة فرعونيتها وتسلطها على الأمة.

ونحن إذ نكتب مثل هذا الكتاب ونبين بعض الواقع الذي نعيشه في السجن الصغير وإن كنا نسكن في سجن كبير اسمه العالم الإسلامي، لا نريد استجداء الدموع ولا استرحام القلوب ولا التسلية بقراءة وعرض القصص والآهات، ولكنا نريد به تحريض المؤمنين على طلب ثأر دينهم وثأر إخوانهم وثأرهم من الطواغيت والمرتدين وجنودهم ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً﴾، ونريد به كشف الكفر والخسة والنذالة التي يتعامل بها الطواغيت والمرتدون وأعوانهم مع شباب الإسلام وجنود الإيمان، ونريد به استنصار كل من في قلبه ذرة إيمان لينضم إلى معسكر الإيمان ضد معسكر الشيطان، ونريد به معرفة الحكم الشرعي في مثل هذه القضية العظيمة والتي غفل عنها غالب طلبة العلم والخطباء والتجار والله المستعان.

ويأتي هذا الكتاب والمنطقة العربية الإسلامية تمر بمنعطفات خطيرة يغفل عنها كثير من المسلمين بسبب التضليل الإعلامي الذي تمارسه القنوات الفضائية ووسائل الإعلام الأخرى المقروءة والمسموعة، وتكميم الأفواه الصادقة التي تريد نشر الحق والخير، وستصعَّد حملة الاعتقالات في كل جزيرة العرب والعراق والشام ومصر لكي تمر اتفاقية (بوش بلير) كما سماها إمام المجاهدين أسامة بن لادن نصره الله، ولكي تنفذ خارطة الطريق التي تريد وأد كل نفس لمقاومة يهود المسماة (إسرائيل)، وتريد لدولة يهود الكبرى أن تقوم.

يقول أبو عبيد القرشي وفقه الله [١]: "يمكن القول أن احتلال العراق من قبل العدو الصليبي أحدث تغييرا في الميزان الاستراتيجي للمنطقة العربية والإسلامية ولمناطق أخرى من العالم كأوروبا ووسط آسيا.

وهذه بعض الآثار المترتبة:

المنطقة العربية الإسلامية:

١ – التهديد الصريح الذي وجهه الأمريكيون لسوريا بالالتزام التام بما يملون عليها وإلا ستواجه عواقب وخيمة.

وللعلم فإن سوريا قامت بكثير من الخطوات للتقرب من أمريكا خلال العقود الماضية كتصفية الوجود الفلسطيني في لبنان، والإجهاز على الحركة الإسلامية في سوريا، والمساهمة في حرب الخليج الثانية ضد العراق، وأخيرا المشاركة في الحملة الصليبية ضد المجاهدين بحماسة منقطعة النظير، إضافة إلى أن الحدود السورية مع الكيان الصهيوني لم تشهد توترا قط منذ أزيد من ثلاثين سنة.

وإذا كانت القيادات السورية قد دأبت في الماضي على إطلاق تصريحات قومية رمانة، أو استضافة مكاتب للمجاهدين الفلسطينيين فإن ذلك يدخل في نطاق ذر الرماد على العيون، كل هذا لم يشفع لسوريا أمام أمريكا، ليس كرها في النظام السوري الذي قَدَّمَ مرارا خيانات جليلة للأسياد، وإنما كرها في الشعب السوري المسلم، الذي شكل عبر التاريخ حجرة عثرة أمام الغزاة.

---

[١] كتاب الأنصار العدد الثالث (٢٥ – ٢٨).

ومن الواضح أن الحملة الصليبية ستعرج على سوريا عاجلا أو آجلا، لأن ذلك هو السبيل الوحيد لإزاحة إرادة المقاومة ضد الكيان الصهيوني لفترة طويلة، بعد أن تكون الشعوب العربية الأساسية في المنطقة قد استنزفت تماما.

٢ – التهديد الصريح الذي وجهه الأمريكيون لإيران بأن تنصرف عن الشؤون العراقية.

لقد باتت إيران في وضع استراتيجي لا تحسد عليه بعد أن خنقها التطويق من حدودها الغربية (مع العراق)، وحدودها الشرقية (التواجد الأمريكي في أفغانستان – باكستان)، والشمالية (الحالفات الأمريكية في بحر قزوين)، والجنوبية (القواعد الأمريكية في الخليج العربي)، إضافة إلى أن أوضاعها الداخلية غير مستقرة نظرا للخلافات العميقة بين الإصلاحيين والمحافظين، مما جعل مراكز القرار الإيرانية متعددة ومتنافرة ومتوزعة الولاءات ما بين خامنئي ورفسنجاني وخاتمي.

وإذا كانت إيران تملك (إلى حد ما) ورقة شيعة العراق لتحريكها في الوقت المناسب، إلا أن أمريكا باحتلالها العراق حصلت على أوراق جديدة تمكنها من تهديد الحكم الإيراني في الصميم، كالسعي لفرض مرجعية جديدة للشيعة في النجف تنافس مرجعية قم وتكون مناوئة للحكم الإيراني، وتشجيع المعارضة الإيرانية (الإصلاحيون، القوميات الإيرانية المضطهدة إلخ)، إضافة إلى التحكم في أسعار النفط عبر الضخ المتزايد للنفط العراقي مما سيكون له بالغ الأثر على القدرات الاقتصادية الإيرانية.

٣ – مطالبة تركيا بالاعتذار على تخلفها عن الحملة الصليبية حينما وجه نائب وزير الدفاع الأمريكي ولفيتز انتقادات حادة لتركيا خلال مقابلة تلفزيونية الثلاثاء ٦ – ٥ – ٢٠٠٣ مع شبكة "سي إن إن" الأمريكية.

ومعلوم أن أداء النظام التركي خلال الغزو الصليبي للعراق صعَّب الأمور كثيرا على الغزاة الأمريكيين، مما وتر العلاقة بين الطرفين، ولذلك فإن النظام التركي دعا في مقابل التصريحات

اللاذعة للإدارة الأمريكية إلى استرجاع قاعدة إنجرليك التركية الاستراتيجية من يد الأمريكيين، وهو ما لا يحبذه الأمريكيون إطلاقا.

٤ – القرار الأمريكي بنقل القواعد العسكرية من السعودية إلى قطر، والذي لم يأت نتيجة لسوء العلاقات بين البلدين بقدر ما جاء ليكرس مخططا أمريكيا هدفه مساعدة الأمراء السعوديين المفضلين على تجاوز مشاكل خلافة الملك فهد، وترتيب الوضع السعودي الداخلي وفق الأوامر الأمريكية.

فخطة علمنة أرض الحرمين كانت في لمساتها الأخيرة، والحملة الإفسادية الشاملة التي أراد لها مخططوها استحداث تغييرات جذرية في المنظومة الفكرية والثقافية والتعليمة، لاجتثات القيم الإسلامية وتعويضها بالقيم الأمريكية (أو على الأقل قيم أخرى هجينة)، كانت ستنطلق مع انتهاء غزو العراق واحتلال أراضيه.

وبالفعل ظهرت بوادر هذه الحملة الإفسادية سريعا في أداء الوسائل الإعلامية السعودية، التي شنت حملة إعلامية مركزة لتمهيد الجو للفساد المقبل، وسحب أشكال التعاطف الإسلامي الفطري رضوخا لاستحقاقات ما بعد احتلال العراق، واستغلالا لجو الإحباط الشعبي الذي ساد في الجزيرة بعد احتلال العراق.

لكن يبدو أن الهجوم الضخم الذي شهدته الرياض مؤخرا جاء ليبين – حسب بعض المراقبين – أن المس بالثوابت الإسلامية في أرض الحرمين لن يمر مرور الكرام، وأن ثمن ذلك سيكون بالتأكيد باهظا.

٥ – تنصيب (البهائي) محمود عباس أبو مازن على رأس الحكومة الفلسطينية تمهيدا للهجوم على الحركات المجاهدة في فلسطين ونزع أسلحتها بالقوة بأيدي فلسطينية ومصرية، حتى ينتهي الجيش الصهيوني من هذا الصراع الذي استنزف قدراته، ويستعد لأداء مهماته التوسعية المستقبلية بعد أن تولت أمريكا بنفسها توطئة المنطقة للصهاينة.

٦ – العداء الشعبي العربي لأمريكا زاد بمعدلات صاروخية بعد الإذلال المريع الذي يعيشه المسلمون القابعون تحت الاحتلال الصليبي في العراق، ولا شك أن هذا العداء سيتمخض عن ازدياد العمل الجهادي في المنطقة العربية والإسلامية، ما دام قد تبين للجميع أن المعادلة بين أمريكا والإسلام هي معادلة صفرية، لا يمكن لأحدهما البقاء دون فناء الآخر.

وخلاصة الوضع الاستراتيجي الجديد أنه ليس تماما في مصلحة الولايات المتحدة نظرا لأن المعامِلات المجهولة في المعادلة كثيرة، فلا أحد يعرف كيف ستتحرك إيران بعد فترة الترقب الحذر التي تعيشها الآن، ولا أحد يعلم كيف يمكن للعلاقات السيئة مع تركيا أن تتطور، ولا كيف سيتصرف النظام السوري الذي خالف أصلا كل التوقعات بمساندته للنظام العراقي قبل وخلال الحرب.

إن التحالف السوري – الإيراني قائم منذ زمن، لكن إذا حصل تجاوز للخطوط الحمراء التركية من طرف الأكراد، فإن تركيا ستنحاز أكثر للتحالف السوري – الإيراني، مما يعني أن الاستعمار الأمريكي للعراق قد يواجه امتحانا صعبا يجعل مكوثه طويلا ضربا من المستحيلات. وقد بدأت المخاوف تجاه هذا الاحتمال تنهمر من مراكز الدراسات الغربية.

بموازاة ذلك فإن الغضب العربي والإسلامي قنبلة موقوتة، ولذلك فإن أمريكا تحاول استباق الزمن عبر علمنة أرض الحرمين، وتُخَطِّط بالليل والنهار للقضاء على المجاهدين في كل مكان، لعلها تتمكن من تكبيل المارد الإسلامي... ولكن هيهات".

كتبه العبد الفقير إلى الله
أبو جندل الأزدي
١٨/ ٤/ ١٤٢٤ هـ

تعريفات مهمة للبحث

أولاً: تعريف الأسرى [١]:

١ - الْأَسْرَى: جَمْعُ أَسِيرٍ، وَيُجْمَعُ أَيْضًا عَلَى أُسَارَى وَأَسَارَى.

وَالْأَسِيرُ لُغَةً: مَاخُوذٌ مِنْ الْإِسَارِ، وَهُوَ الْقَيْدُ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَشُدُّونَهُ بِالْقَيْدِ.

فَسُمِّيَ كُلُّ أَخِيذٍ أَسِيرًا وَإِنْ لَمْ يُشَدَّ بِهِ. وَكُلُّ مَحْبُوسٍ فِي قَيْدٍ أَوْ سِجْنٍ أَسِيرٌ.

قَالَ مُجَاهِدٌ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ الْأَسِيرُ: الْمَسْجُونُ.

٢ - وَفِي الِاصْطِلَاحِ: عَرَّفَ الْمَاوَرْدِيُّ الْأَسْرَى بِأَنَّهُمْ: الرِّجَالُ الْمُقَاتِلُونَ مِنْ الْكُفَّارِ، إذَا ظَفِرَ الْمُسْلِمُونَ بِهِمْ أَحْيَاءً.

وَهُوَ تَعْرِيفٌ أَغْلَبِيٌّ، لِاخْتِصَاصِهِ بِأَسْرَى الْحَرْبِيِّينَ عِنْدَ الْقِتَالِ، لِأَنَّهُ بِتَتَبُّعِ اسْتِعْمَالَاتِ الْفُقَهَاءِ لِهَذَا اللَّفْظِ يَتَبَيَّنُ أَنَّهُمْ يُطْلِقُونَهُ عَلَى كُلِّ مَنْ يُظْفَرُ بِهِمْ مِنْ الْمُقَاتِلِينَ وَمَنْ فِي حُكْمِهِمْ، وَيُؤْخَذُونَ أَثْنَاءَ الْحَرْبِ أَوْ فِي نِهَايَتِهَا، أَوْ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ فِعْلِيَّةٍ، مَا دَامَ الْعَدَاءُ قَائِمًا وَالْحَرْبُ مُحْتَمَلَةٌ.

مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ تَيْمِيَّةَ: أَوْجَبَتْ الشَّرِيعَةُ قِتَالَ الْكُفَّارِ، وَلَمْ تُوجِبْ قَتْلَ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ، بَلْ إذَا أُسِرَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ فِي الْقِتَالِ أَوْ غَيْرِ الْقِتَالِ، مِثْلُ أَنْ تُلْقِيَهُ السَّفِينَةُ إلَيْنَا، أَوْ يَضِلَّ الطَّرِيقَ، أَوْ يُؤْخَذَ بِحِيلَةٍ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ بِهِ الْإِمَامُ الْأَصْلَحَ.

---

[١] انظر لهذه التعريفات في الموسوعة الفقهية المرتبة على الحروف.

وَفِي الْمُغْنِي: هُوَ لِمَنْ أَخَذَهُ، وَقِيلَ: يَكُونُ فَيْئًا.

وَيُطْلِقُ الْفُقَهَاءُ لَفْظَ الْأَسِيرِ أَيْضًا عَلَى: مَنْ يَظْفَرُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ الْحَرْبِيِّينَ إذَا دَخَلُوا دَارَ الْإِسْلَامِ بِغَيْرِ أَمَانٍ، وَعَلَى مَنْ يَظْفَرُونَ بِهِ مِنْ الْمُرْتَدِّينَ عِنْدَ مُقَاتَلَتِهِمْ لَنَا.

يَقُولُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: وَمَنْ أُسِرَ مِنْهُمْ أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ.

كَمَا يُطْلِقُونَ لَفْظَ الْأَسِيرِ عَلَى: الْمُسْلِمِ الَّذِي ظَفِرَ بِهِ الْعَدُوُّ.

يَقُولُ ابْنُ رُشْدٍ: وَجَبَ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَفُكَّ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ...

وَيَقُولُ: وَإِذَا كَانَ الْحِصْنُ فِيهِ أُسَارَى مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطْفَالٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ... إلَخْ.

الأَلْفَاظُ ذَاتُ الصِّلَةِ:

أ - الرَّهِينَةُ: وَاحِدَةُ الرَّهَائِنِ وَهِيَ كُلُّ مَا اُحْتُبِسَ بِشَيْءٍ، وَالْأَسِيرُ وَالرَّهِينَةُ كِلَاهُمَا مُحْتَبَسٌ، إلَّا أَنَّ الْأَسِيرَ يَتَعَيَّنُ أَنْ يَكُونَ إنْسَانًا، وَاحْتِبَاسُهُ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُقَابِلَ حَقٍّ.

ب - الْحَبْسُ: ضِدُّ التَّخْلِيَةِ، وَالْمَحْبُوسُ: الْمُمْسَكُ عَنْ التَّوَجُّهِ حَيْثُ يَشَاءُ، فَالْحَبْسُ أَعَمُّ مِنْ الْأَسْرِ.

والْحَبْسُ فِي اللُّغَةِ: الْمَنْعُ وَالْإِمْسَاكُ، مَصْدَرُ حَبَسَ. وَيُطْلَقُ عَلَى الْمَوْضِعِ، وَجَمْعُهُ حُبُوسٌ (بِضَمِّ الْحَاءِ).

وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَحْبُوسٌ وَحَبِيسٌ، وَلِلْجَمَاعَةِ: مَحْبُوسُونَ وَحُبُسٌ (بِضَمَّتَيْنِ)، وَلِلْمَرْأَةِ: حَبِيسَةٌ: وَلِلْجَمْعِ: حَبَائِسُ، وَلِمَنْ يَقَعُ مِنْهُ الْحَبْسُ: حَابِسٌ.

أَمَّا فِي الِاصْطِلَاحِ فَالْحَبْسُ هُوَ: تَعْوِيقُ الشَّخْصِ وَمَنْعُهُ مِنْ التَّصَرُّفِ بِنَفْسِهِ وَالْخُرُوجِ إِلَى أَشْغَالِهِ وَمُهِمَّاتِهِ الدِّينِيَّةِ، وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ.

وَلَيْسَ مِنْ لَوَازِمِهِ الْجَعْلُ فِي بُنْيَانٍ خَاصٍّ مُعَدٍّ لِذَلِكَ، بَلْ الرَّبْطُ بِالشَّجَرَةِ حَبْسٌ، وَالْجَعْلُ فِي الْبَيْتِ أَوْ الْمَسْجِدِ حَبْسٌ.

وَبِمَعْنَى الْحَبْسِ السَّجْنُ بِفَتْحِ السِّينِ مَصْدَرُ سَجَنَ.

أَمَّا بِكَسْرِ السِّينِ فَهُوَ مَكَانُ الْحَبْسِ، وَالْجَمْعُ سُجُونٌ.

وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ قُرِئَ بِفَتْحِ السِّينِ عَلَى الْمَصْدَرِ، وَبِكَسْرِهَا عَلَى الْمَكَانِ، وَالْأَشْهَرُ الْكَسْرُ.

وَبِمَعْنَى الْحَبْسِ أَيْضًا الِاعْتِقَالُ.

يُقَالُ اعْتَقَلْت الرَّجُلَ حَبَسْته، وَاعْتَقَلَ لِسَانَهُ إِذَا حُبِسَ وَمُنِعَ مِنْ الْكَلَامِ.

ثانيًا: تعريف الفداء:

١ - الْفِدَاءُ: بِكَسْرِ الْفَاءِ وَالْمَدِّ، وَبِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ مَعَ الْقَصْرِ - فِي اللُّغَةِ: فَكَاكُ الْأَسِيرِ، يُقَالُ: فَدَاهُ يَفْدِيهِ، وَفَادَى الْأَسِيرَ: اسْتَنْقَذَهُ مِنْ الْأَسْرِ، وَفَدَتْ وَافْتَدَتْ وَفَادَتْ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا مِنْ زَوْجِهَا: بَذَلَتْ لَهُ مَالًا لِيُطَلِّقَهَا، وَقَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ نَقْلًا عَنْ الْوَزِيرِ بْنِ الْمَعَرِّيِّ: يُقَالُ: فَدَى: إِذَا أَعْطَى مَالًا وَأَخَذَ رَجُلًا، وَأَفْدَى: إِذَا أَعْطَى رَجُلًا وَأَخَذَ مَالًا، وَفَادَى: إِذَا أَعْطَى رَجُلًا وَأَخَذَ رَجُلًا، وَالْفِدَاءُ وَالْفِدْيَةُ وَالْفَدَى كُلُّهُ بِمَعْنًى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْفِدْيَةُ اسْمٌ لِلْمَالِ الَّذِي يُفْتَدَى بِهِ الْأَسِيرُ، وَنَحْوُهُ. وَلَا يَخْرُجُ الْمَعْنَى الِاصْطِلَاحِيُّ عَنْ الْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ.

الأَلْفَاظُ ذَاتُ الصِّلَةِ:

أ - الْفَكَاكُ: - بِالْفَتْحِ وَقَدْ يُكْسَرُ - مِنْ فَكَكْت الشَّيْءَ فَانْفَكَّ. وَفَكَّ الشَّيْءَ: خَلَّصَهُ، يُقَالُ: فَكَّ الرَّهْنَ يَفُكُّهُ فَكًّا، وَالْأَسِيرَ: خَلَّصَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَطْلَقْته فَقَدْ فَكَكْته. وَبَيْنَ الْفِدَاءِ وَالْفَكَاكِ عُمُومٌ وَخُصُوصٌ وَجْهِيٌّ.

ب - الِافْتِدَاءُ لُغَةً: الِاسْتِنْقَاذُ بِعِوَضٍ، كَالْفِدَاءِ، وَاسْمُ ذَلِكَ الْعِوَضِ الْفِدْيَةُ أَوْ الْفِدَاءُ وَهُوَ عِوَضُ الْأَسِيرِ.

وَمُفَادَاةُ الْأَسْرَى: أَنْ تَدْفَعَ رَجُلًا وَتَأْخُذَ رَجُلًا، وَالْفِدَاءُ: فِكَاكُ الْأَسِيرِ. وَيُطْلَقُ الِافْتِدَاءُ فِي الِاصْطِلَاحِ عَلَى مَا يَشْمَلُ الْمَعْنَى اللُّغَوِيَّ وَهُوَ: الِاسْتِنْقَاذُ بِعِوَضٍ، وَعَلَى مَا يَكُونُ جَبْرًا لِخَطَأٍ، أَوْ مَحْوًا لِإِثْمٍ أَوْ تَقْصِيرٍ.

قصص وآهات من سجون الطواغيت والمرتدين

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى [١]: "ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

١ – أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والإمارات والعلامات حتى يحيط به علماً.

٢ – والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع ثم يطبق أحدهما على الآخر" أ. هـ.

وهذه القصص التي سنذكرها من سجون الدول المرتدة وغيرها [٢] تبين النوع الأول وهو (فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والإمارات والعلامات حتى

---

[١] إعلام الموقعين (١/ ٨٧ – ٨٨).

[٢] لعل البعض يعتب علينا عدم ذكر بعض قصص إخواننا الأسرى في غوانتانامو، ونحن نقول إن إخواننا هناك قد كُتبت حولهم عدة بحوث وأُلقيت عشرات الخطب والمحاضرات وأُنشئت لهم عدة مواقع على الشبكة العنكبوتية إلى غير ذلك، أما سجون الدول العربية المرتدة فلم يذكرها إلا القليل، وما يجري فيها أشد مما يواجهه إخواننا في كوبا، ولكن كثيرا من الناس يتحرك لقضايا الكفر الأصلي ولا يعمل ذلك عند كفر الردة وذلك بسبب الخلل العقدي (عقدة التفريق بين العدو الخارجي والعدو الداخلي)، مع أن كفر الردة أعظم وأغلظ من الكفر الأصلي بالإجماع.
قال ابن تيمية رحمه الله: (وقد استقرّت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعددة منها: أن المرتد يقتل بكل حال، ولا يضرب عليه جزية، ولا تعقد له ذمة، بخلاف الكافر الأصلي، ومنها أن المرتد يقتل وإن كان عاجزاً عن القتال، بخلاف الكافر الأصلي). مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٣٤).
وقال أيضاً: (وكفر الردّة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٧).

يحيط به علماً)، ثم نذكر بعد ذلك النوع الثاني من أنواع الفهم وهو (فهم الواجب في الواقع وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع ثم يطبق أحدهما على الآخر).

وسنبدأ بذكر دولة آل سعود المرتدة التي يتشدق مشايخها بذكر محامدها، ويسبحون بحمد آل سعود صباح مساء، ويدعون دائماً في كل محفل وعلى كل منبر للالتفاف حولهم ويسمونها (بدولة التوحيد)!!!.

ولعلنا قبل الدخول في القصص نسرد أنواع ووسائل التعذيب المختلفة التي تستخدم ضد المعتقلين من التيارات الإسلامية وهي كالآتي في الغالب، وإلا فالطواغيت يخترعون كل يوم نوعاً جديداً، ولكن نحن نقول لهم أين المفر غداً سنقتلكم غدا:

١) اعتقال الوالد والأقارب لإكراه المتهم على الاعتراف.

٢) اعتقال الأقارب مع هدم المنازل واقتحام المساجد.

٣) التهديد بانتهاك أعراض الزوجات والأقارب.

٤) الضرب.

٥) الحرق بالسجائر.

٦) الاعتداء الجنسي.

٧) الصدمات الكهربائية.

٨) نتف شعر اللحية.

٩) تعليق المعتقلين.

١٠) الإرغام على الاستماع لصراخ المعذبين الآخرين.

١١) الحبس الانفرادي لفترات طويلة.

١٢) التهديد بالقتل.

١٣) التهديد بالسجن لأمد غير محدود.

١٤) عصب العينين.

١٥) التجريد من الملابس.

١٦) القيد بالسلال لفترات طويلة.

١٧) الوقوف لفترات طويلة في أوضاع شاذة ساعات طويلة متصلة مع مد الذراعين والرجلين في أحيان كثيرة ويضرب المعتقل إذا تحرك.

١٨) الاحتجاز في زنزانات قذرة تحتوي على البراز وغيره من القاذورات ومملؤة بالحشرات.

١٩) المنع من الذهاب لدورة المياه.

٢٠) القتل الجماعي.

٢١) الاغتيال في الشارع.

٢٢) اختفاء المعتقل.

٢٣) الشنق.

أ - قصص من سجون آل سعود:

١- ذكرت الحركة الإسلامية للإصلاح في نشرتها رقم ٣١ بتاريخ ١٤ أكتوبر ١٩٩٦م التالي: (جريمة كبرى في سجون آل سعود) في تطور غريب وخطير، قد يترتب عليه آثار وخيمة جداً، اخترق النظام السعودي حاجزا لم يخترقه من قبل، وتجاوز فيه كل حدود الدين والأخلاق والأعراف والقيم، وقرر فيه المجازفة بالتبعات التي تترتب عليه.

لقد أقدمت فرق التعذيب في جهاز المباحث المكلفة من قبل وزير الداخلية، والموجهة من قبل المستشارين المستوردين لوزارة الداخلية، بتجاوز الحاجز الأخلاقي الذي ترددت في تجاوزه مرارا، واقترفت تلك الفرق الجريمة الكبرى التي لا يمكن أن يتصور أبناء الجزيرة حصولها في أنفسهم وأبنائهم وإخوانهم بالطريقة التي نفذتها تلك الفرق الوضيعة.

لقد ثبت لدى الحركة من مصادر مطلعة داخل الجهاز الأمني أن فرق التعذيب اقترفت الجرم الأثيم، المتمثل في هتك أعراض عدد كبير من المعتقلين وتكرار الاعتداء الجنسي عليهم، في محاولة لسحق شخصياتهم والقضاء على نفسياتهم العالية.

لقد أفادت المعلومات القادمة من داخل السجون أن الذين طالهم الاعتقال بسبب ماضيهم الجهادي يتعرضون لسلسلة من الضغوط تنتهي بتلك النهاية المشينة والعياذ بالله، حيث يطلب من كل من له علاقة بذلك التيار بالإقرار (كرها) بأنه يؤمن بتكفير الحكام والمجتمع والعلماء، وإذا لم يوافق عُذب تعذيبا شديدا بشتى أنواع التعذيب النفسي والجسدي، فإن أصر على الرفض، يهدد بالاعتداء الجنسي ويحاط نفسيا بظروف وأوضاع يعيش فيها هذا التهديد القذر، فإذا أصر على الرفض فحينئذ لا تتورع الكلاب البشرية عن تنفيذ ذلك التهديد وارتكاب الجريمة القذرة ولربما تم تصويره في هذا الوضع المشين إمعانا في إهانته وابتزازه إلى أقصى حد ممكن.

ولقد علمت الحركة أن هذه الجريمة الحقيرة التي تحصل في قلب جزيرة العرب وعلى يد زبانية (دولة التوحيد)!!!، إنما تأتي تنفيذا للبرنامج الذي اقترحه مستشاروا وزارة الداخلية القادمون من شمال أفريقيا، والذين نجحوا في إقناع وزير الداخلية بفعالية هذا الأسلوب في تحقيق الجزء الهام من تجفيف المنابع، من خلال تحطيم شخصية أولئك الشباب والقضاء على معنوياتهم ونفسياتهم.

نعم لربما حصل شيء من التهديد بالاعتداء في الماضي لمن يعتقد أنهم ممن ليس لهم ظهر يحميهم، بل ربما استغل المحققون صلاحياتهم في حالات فردية شاذة ونادرة دون علم رؤسائهم، لكن لم يخطر ببال أحد من أن تتحول هذه الممارسات إلى عمل روتيني بعلم وتوجيه وإقرار الرؤساء الكبار وعلى رأسهم وزير الداخلية شخصياً.

نعم لم يتردد آل سعود عن استخدام أي نوع من أنواع التعذيب القديم والجديد، النفسي والجسدي، لكن لم يكن هذا الأسلوب الأخير إلى عهد قريب من ممارساتهم ولا سياستهم، ولم يكن تجنبهم لهذا الأسلوب بدافع العفة وحسن الخلق، بل كان لأنهم أكثر إدراكا في الماضي لمصلحة الحكم وسلامة العرش، فلقد كانوا يعلمون أن أبناء الجزيرة العربية بالإمكان أن يتحملوا الاعتقال والتعذيب النفسي والجسدي، بل ربما يتأثرون حقيقة وتتغير قناعاتهم ببعض الأساليب النفسية الخاصة التي يتقنها آل سعود، لكنهم لا يمكن بحال أن يتصوروا أنفسهم أو أقاربهم أو أي عزيز عليهم وقد هُتكَ عرضه بتلك الطريقة المقززة.

إن خطورة هذه الممارسات من قبل النظام لا تقع على من وقع ضحية لها فحسب، بل إن أثرها الحقيقي على المجتمع كله، الذي سرعان ما ينتشر فيه خبر هذا الاعتداء، لأنه ليس اعتداء على (فرد) و (شخصية) فلان، بل هو اعتداء على عائلة (فلان) وقبيلة (فلان) وفصيلته وطائفته ومنطقته وقريته، وإذا لم تتحرك البواعث الدينية تحركت هنا البواعث العصبية والقبلية.

وهذا يعني أن العلاقة بين الفرد ورجال الأمن تنقلب تماما، فحين يستسلم الفرد المطلوب لرجال الأمن الذين يحضرون لاعتقاله بسهولة، اعتقادا منه أن التعذيب فيما دون الاعتداء الجنسي، هو معاناة في سبيل الله، ودفعا لفتنة أكبر في مواجهة شاملة مع النظام، فإن هذا الفرد ليس مستعدا للاستئسار والاستسلام إذا كان الاعتداء الجنسي وما يصاحبه من تصوير وابتزاز واردا في مخيلته بعد هذا الاعتقال، حتى لو أدى صدامه مع قوات الأمن إلى قتال، بل حتى لو أدى إلى قتله.

وفي الحقيقة فإن هذا هو الذي أخرج ظاهرة عدم الاستسلام في البلاد التي تحولت فيها المواجهات مع الأنظمة إلى مواجهات شاملة، وقتال مستمر، فلقد كانت بداية ذلك هي تلك الاعتداءات الجنسية إما للفرد نفسه أو لأفراد من عائلته، ولا غرابة فالعربي الأبي بإمكانه أن يتصور نفسه وقد ضُرب وُحرِّق ونشر بالمناشير، لكنه لا يتصور نفسه وقد تعرض لاعتداء جنسي بتلك الطريقة المشينة.

المعلومات الواردة من وزارة الداخلية تدل على أن نايف قد أخذ بكل التوجيهات التي قدمها خبراء الوزارة المستوردون، بل إن هذه المعلومات تقول أن نايف أعطاهم دورا شبه مباشر في تنفيذ ومتابعة تنفيذ تلك البرامج، بدءاً بقوائم الفصل والتسفير والإيقاف، وانتهاء بسياسة الاعتداء الجنسي على المعتقلين بهدف تحطيم شخصياتهم.

إن هذا يدل على أن نايف وإخوانه متهورون في تقييم الأوضاع وتقدير قوتهم وإمساكهم بزمام الأمور، فلقد تصاعدت أساليب النظام خلال السنتين الماضيتين بسرعة عجيبة من مجرد الاعتقال إلى التعذيب العنيف إلى القتل ثم أخيرا إلى الاعتداء الجنسي والتصوير.

ولا يوجد أبدا ما يمنع حسب عقلية نايف أن تعمم التجربة وتطبق على كل المعتقلين حتى يمكن استخراج ما يمكن استخراجه منهم، وإطلاق سراحهم بعد أن يتم ابتزازهم بالكامل.

إن الحكام يعتقدون أن رد الفعل الذي يردعهم عن المضي قدما في ذلك ليس له قيمة إلا أن يكون ثورة شعبية عارمة تقضي عليهم، ولا يفهمون أن مجموعة الأحداث التي حصلت وخاصة انفجاري الرياض والخبر هي بمثابة مقدمات لردود فعل عنيفة تجاه النظام، وها قد حصل الآن من قبل النظام ما يشجع على تحويل الأحداث إلى منعطف خطير لا نظن أن آل سعود ينوءون بحمله [١].

إن تحمل نايف مسؤولية هذه الجريمة لا يعني أبدا إعفاء إخوته من المتنفذين، فكل صاحب قرار في سياسة هذه الدولة مسؤول عن هذه الجريمة القذرة، ويتحمل تبعاتها مثلما تحملها نايف، ويستحق ما يترتب على ذلك في الحاضر والمستقبل، ولا ولن يعفيه كونه خارج وزارة الداخلية.

وإذا كان نايف لا يقيم وزنا للعرض ولا للشرف ولا للغيرة كما فعل في حياته الشخصية، فإن هذا سيندرج بعد هذه الجريمة على أخوته وسيكونون جميعا متهمين بما اتُّهم به نايف.

بل إن المسؤولية تتجاوز المتنفذين من آل سعود إلى أولئك الذين يضفون عليهم وعلى أعمالهم الشرعية وصفات التوحيد، ويمعنون في تزكية هذا النظام وحرصه على الدين والدعوة وخدمة الإسلام وأنه قد حُقِقَ على يديه (من النعم ما لا يحصيه إلا الله).

فهؤلاء لا نعتبرهم مقصرون فحسب في إنكار المنكر الصريح والمعلن، والذي يستحقون به ما جاء في سورة البقرة من وعيد للمتخلف عن البيان، بل إنهم في الحقيقة – ونقولها بكل قناعة وعلم ومعرفة – شريكون في الجريمة، نعم شريكون فيها وسيحاسبون عليها يوم القيامة كما لو كانوا قد مارسوها بأنفسهم، فإنهم من أقوى الأركان التي يتكئ عليها النظام في استقراره، وأقوالهم ومواقفهم من أقوى الحجج التي يحتج بها النظام في ممارساته، بل إن جريمتهم

---

[١] لاحظ أن هذا الكلام بعد أحداث الرياض والخبر القديمة في عام ١٤١٦هـ و١٤١٧هـ وانظر ماذا فعل شباب جزيرة العرب من أحداث غيَّرت مجرى التاريخ ولا زالوا يمضون قُدما إلى الأمام.

أعظم كونهم لبسوا لباس العلم وتحملوا مسؤولية الفتيا، فلم يتورعوا بعد ذلك عن الكذب على الله وعلى رسوله والحيدة عن الحق الذي استأمنهم الله عليه.

والمصيبة أنهم يعلمون كل ذلك من خلال معرفتهم بسيرة علماء السلف من أمثال الإمام مالك والإمام أحمد وابن تيمية وغيرهم، يعلمون أنهم ليسوا مجرد أعوان للظلمة بل هم الظلمة أنفسهم، يعلمون هذا كله، ويعلمون أن إثم وجرم ومآل العالم الذي يدافع عن الظالم ويزكيه أعظم من جرم وإثم ومآل الظالم نفسه، ولا ندري حقيقة لماذا يصر بعض الساذجين على الفزعة إليهم والشكوى عندهم وهم يرون تزكيتهم للكفر والشرك والظلم والفسوق والعصيان، بل وتنافسهم وتحايلهم في الحصول على مخرج وتفسير لكل جريمة للنظام مهما عظمت، بطريقة لا يمكن أن تخطر ببال أساطين النظام نفسه.

وإذا كان الناس قد انبهروا بنصوص ومتون محفوظة، فقد وصف القرآن الحفاظ من علماء بني إسرائيل الذين لا يعملون بعلمهم (كالحمار يحمل أسفارا)، بل إن كثيرا من علماء المستشرقين أعداء الإسلام لم يقصروا في حفظ النصوص والمتون والقيام عليها وخدمتها وتصنيفها وترتيبها رغم عداءهم للإسلام وحربهم له.

إننا نقولها مرة أخرى، أن العلماء الرسميين شريكون في هذه الجريمة القذرة، ونشهد أمام الله ثم أمام الناس أن الحجة قد قامت عليهم علما بالشرع وعلما بالواقع.

أما أولئك الشباب من دعاة الإسلام سواء من التيارات الجهادية أو غيرها، فليعلموا أنهم إذا استأسروا واستسلموا للاعتقال فإنهم جميعا معرضون لأن تقع عليهم تلك الجريمة القذرة بتفاصيلها المشينة، وإذا كانت هذه الممارسة تقع الآن على شباب الجهاد فإنها حتما ستتجاوزهم قريبا إلى غيرهم من المعتقلين بعد نجاح التجربة ومحدودية رد الفعل كما يظن النظام.

ومعنى ذلك أن يعيد الجميع النظر في المصلحة من الاستسلام والاستئسار للاعتقال مادام ينتهي عاجلا أو آجلا بتلك النتيجة المهينة.

بل إننا ننصح الشباب المطلوب والمعرض للاعتقال في أي لحظة أن يبادر بالخروج من هذه البلاد الظالمة إلى أرض الله الواسعة، والبحث عن ملاذ أمن يحمي فيه دينه ونفسه وعرضه وشرفه.

وبالمناسبة فإن هؤلاء الذين تعرضوا للاعتداء لم يكونوا متهمين بالمشاركة بأي عمل (تخريبي) أو صلات بجماعات (إرهابية) بل كانت جريمتهم (العظمى) هي مجرد مشاركتهم بالجهاد في أفغانستان في يوم من الأيام، ولم يشفع لهم كونهم استقروا في البلاد وعادوا إلى معايشهم وقطعوا علاقاتهم بأفغانستان منذ سقوط الشيوعية هناك، وإنما الهدف من تنفيذ هذه الجريمة هو مسخ شخصياتهم وإطفاء روح الجهاد فيهم إلى الأبد، كبديل عن تصفيتهم الجسدية التي لا يريد النظام حاليا تحمل تبعاتها، وفي نفس الوقت الاحتفاظ بالتسجيلات ضدهم والوثائق التي تدينهم – كذبا وبهتانا وزورا – بالانحراف العقدي والفكري والاضطراب النفسي وتبني مذهب الخوارج والتكفير حتى تكون أداة فعالة في ابتزازهم بل حتى وتجنيدهم.

إن استخدام هذه الأساليب مع هؤلاء الشباب الذين لم يعملوا شيئا سوى أنهم استغلوا الفرصة في تنفيذ الشعيرة العظيمة حين سهلت الدولة نفسها الظروف لذلك، دليل على أن النظام عنده كامل الاستعداد لتعميم التجربة على الشباب من التيارات الأخرى. وقد تجددت لدينا معلومات عن عزم النظام على بداية حملة جديدة تستهدف تلك التيارات، حتى تستأصل الدعوة استئصالا كاملا، وتمسخ شخصيات الدعاة وتنتهي مشكلة آل سعود مع (الإسلام)، ويدوم حكمهم إلى يوم القيامة!!!.

إن الشعب كله بكل فئاته وشرائحه مطالب أن يساهم في إيقاف هذه الجريمة، التي وإن كانت تنفذ خلف الأسوار وتحت ظروف غاية في السرية والكتمان، إلا أن آثارها قطعا

ستكون ملء السمع والبصر، وسيكون الشعب كله ضحية تلك الآثار السيئة، إذا لم يساهم في استدراك الأمر والأخذ على يد الظالم.

أما المنظمات والمؤسسات التي تدافع عن حقوق الإنسان فإنها مطالبة الآن أن تضيف اسم المملكة العربية السعودية إلى قائمة الدول التي تستخدم الاعتداء والابتزاز الجنسي بشكل منتظم. والمطلوب من هذه المنظمات أن تصعّد هذه القضية حتى تساهم بما تستطيع في إيقاف هذه الجريمة.

وأخيرًا فإننا نطالب كل العقلاء ممن يهمهم هذا الأمر من داخل البلد وخارجه، بسرعة التدخل كل بطريقته الخاصة لإيقاف هذه الجريمة التي يترتب عليها من الآثار ما يضر الجميع.

٢- تسليم الدولة السعودية المجاهدين الليبيين لمعمر القذافي [١].

ما علمه القاصي والداني، وسمع به العدو والصديقُ من قيام من تنعت نفسها بدولة الإسلام، وتحتكر لقب دولة التوحيد!! بتسليم ثلة من خيار شباب المسلمين المعروف بطهره، والتزامه بدينه، وغيرته على حرماته وشعائره، إلى طاغية ليبيا معمر القذافي المعروف بحقده على الإسلام وأهله، واستهزائه بآيات الله، وتحريفها، وإنكاره للسنة المطهرة، وغيرها، مما هو شائع ذائع، ومعلوم لدى الخاصة والعامة.

ولم تقتصر الحكومة السعودية الخبيثة التي تحرص في كل مناسبة أن تتقمص ثوب الإسلام، وتظهر بمظهر حامي حماه، وداعي حقوق أهله، والقائم على حل قضاياهم، ومشكلاتهم، لم تقتصر على ما ذكر فحسب، بل تعدته إلى ما هو أخبث وأشنع وأقذع إذ قامت بتسليم

---

[١] انظر (الأسرى بين تنكيل الطغيان وقوة الإيمان).

النساء الطاهرات العفيفات زوجات هؤلاء الشباب المسلم، بل قد وصلت دناءتها وحقارتها إلى ترويع الأطفال الأبرياء وتسليمهم كذلك إلى الطاغوت معمر القذافي وزبانيته المجرمين.

فتأمل هذا الحقد الدفين والعداء المبين، الذي يكنه طواغيت آل سعود لأهل الإسلام، وقارنه بتدخل طاغوتهم الأرعن وشيطانهم الأكبر لإطلاق سراح السجينتين البريطانيتين الكافرتين لتنكشف لك سوءاتهم ويتبدى عورهم وينفضح تدجيلهم.

فصار دم المسلم وعرضه أهون عند هؤلاء ممن لا وزن لهم في دين الله، فلعل ذلك من مبادئ التوحيد التي يعلمها طواغيت آل سعود للعالم أجمع!!

وفضائحهم ومجاريهم ما تزال مستمرة ولا ينقضي منها العجب، ألم يكن القذافي بالأمس عند هؤلاء مرتداً عن دين الإسلام وخارجا عن ملة التوحيد؟ فما الذي قلب الموازين وبدل الحال فصيره أخا وقائدا وصديقا حميما يجب على طواغيت آل سعود مآزرته ومناصرته في حربه للإسلام وأهله [1]؟ قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.

إن الحرب الخفية الحاقدة التي يقوم بها طواغيت آل سعود وأساليبهم الخسيسة التي ينتهجونها في حرب الإسلام والمسلمين صارت أمرا ظاهرا لا يحتاج تقريره أو إثباته إلى براهين أكثر مما يشاهده كل صادق متجرد ناء عن الأهواء.

---

[1] من عجائب هذا الزمن أن مشايخ آل سعود أصدروا فتوى بعنوان (البيان الشافي في كفر معمر القذافي) لما اختلف أسيادهم وأربابهم مع طاغوت ليبيا، ومن العجيب أيضاً أن هذا الطاغوت (القذافي) اصطلح مع آل سعود في نفس الأسبوع فجاء إلى بلاد الحرمين وأدخله آل سعود إلى جوف الكعبة ولم ينطق هؤلاء الشيوخ العُجز بكلمة واحدة، فأصبح الدين ألعوبة بأيدي آل سعود يحركون المشايخ كيف شاؤوا فيفتون لهم بما يريدون وفي الوقت الذي يعجبهم، وزاد شيوخ آل سعود سبباً جديداً من أسباب التكفير ألا وهو (سب آل سعود)!!.

وليس يصـــح في الأذهـان شـــيءٌ إذا احـتـاج الـنـهـار إلى دلـيـل

فهؤلاء الطواغيت الذين أسرتهم شهواتهم، وقيدتهم أهواءهم، واستعبدهم أسيادهم من اليهود والنصارى وأعمت أبصاره صورة الحكم بصائرهم، كم من زهرات شباب ذبلت في سجونهم؟ وكم من طفل بريء أدمعوا عينيه الصافيتين وأدموا قلبه الصغير لوعة على فراق أبيه وحزنا على فقدان حنانه وحنوه؟ وكم من أسرة هادئة هانئة في عيشتها روعوها؟ وكم من امرأة طاهرة عفيفة فجعوها وفرقوا بينها وبين زوجها، بل وصل الأمر بهؤلاء الطغاة غلاظ الأكباد قساة القلوب بل أمواتها إلى أن يحولوا بين العروسين في عرسهما [1].

إن هؤلاء الطغاة لا خلاق لهم من دين ولا خلق، بل هم عراة عن المروءة والنخوة والشرف التي قد توجد في بعض بني البشر.

وكم من سجون بنوها بأموال المسلمين التي غصبوها منهم وتركوهم يتضورون جوعا ويعانون حاجة وعوزا ويقاسون بؤسا وشقاء؟ وكم من منابر أسروها وكمموا أفواه دعاتها الصادقين ورجالاتها النابهين الصادعين بالحق؟ وحتى مساجد الله لم تسلم من أسرهم فكم من مسجد لله عطلوه ومنعوا أن يذكر فيه اسمه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ

---

[1] وها هي القصة تتكرر بسجن الأخوات المغربيات في مدينة الرسول ﷺ مع علماء ومجاهدين، ففرقوا بينهن وبين أزواجهن وأولادهن، والمسلمون والعلماء والشيوخ لا يتحركون ولا يتكلمون، وهذا رسول الله ﷺ يقول: ((من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة)) أخرجه أحمد (٥/ ٤١٣) والترمذي (١٥٦٦). وهذا في السبايا فكيف بالتفريق بين المسلمة وأولادها، وأمها، وأبيها، وزوجها! اللهم إنا نبرأ إليك من فعل هؤلاء الطواغيت الكافرين، ومن علماء السلاطين علماء الزور والبهتان الخائنين، اللهم فرّق بين هؤلاء الطواغيت وأهليهم وأولادهم في الدنيا قبل الآخرة، اللهم متعنا بالانتقام منهم يا رب العالمين.

اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. الآية.

ولو نظرنا إلى السبب الحقيقي والدافع الذي يهيج الطواغيت على شباب الإسلام واضطهادهم لوجدناه عين السبب الذي يدفع الكفار دوما وعلى امتداد التاريخ لأسر أهل الدين الحق، ألا وهو العداء المستحكم بين عقيدتين ومنهجين، فالكفار لا يطيقون أن يروا عقيدة أو منهجا آخر غير عقيدتهم ومنهجهم، بل هم لا يرضون ممن سار على سبيل الله وتمسك بالدين الحق إلا بردته عن دينه ولا يفتئون أن يستخدموا ما لديهم وما بين أيديهم من أساليب لتحصيل هذا الغرض، ولأجل الوصول إليه، قال الله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾، وقال تعالى: ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ الآيات.

ثم هم يظهرون عداءهم للمسلمين بحسب أحوالهم وظروفهم، فتجدهم تارة يأسرون المسلمين لمجرد إسلامهم، ولمجرد نطقهم بالشهادتين، وتارة يأسرونهم إذا صدعوا بالحق الذي يدينون به، وتارة يتركونهم يقولون ما يشاءون وإذا ما بدؤوا بمواجهتهم بالسيف والسنان أو الإعداد له بذلوا كل ما في وسعهم للقضاء عليهم واستئصال شأفتهم، وتخليتهم لهم حينا من الوقت وإفساح المجال لهم لا يعني رضاهم عنهم، وقناعتهم بما عندهم بل إن ما يكيدونه في الخفاء أعظم وأخبث مما يبدونه في العراء، وإنما هو تحين للفرصة وتشويش وتشويه لدى العامة حتى تستحكم الخطة وتتصل الحلقة ثم هم بعد ذلك يأسرون ويقتلون ويشردون بلا هوادة ﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلّاً وَلا ذِمَّةً﴾ الآية.

وأسر الموحدين، وقهرهم في أقبية الزنازين، ومطاردتهم، والكيد لهم إن دل على شيء فإنما يدل على أن هؤلاء الأسرى إنما يسلكون طريق الحق الذي أمر الله ورسوله ﷺ باتباعه،

وهذا مما يزيد المؤمنين يقينا فهنيئا لمن كان سائرا على درب الرسول ﷺ، وسحقا لمن كان مقتفيا آثار كفار قريش متبعا لسنة أبي جهل وأبي لهب وغيرهم من أئمة الكفر في حربهم لأولياء الله الموحدين، ألا فلينتظر هؤلاء الطغاة المحاربين لأولياء الله حربا من الله ورسوله ((من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب)) [رواه البخاري].

وإن وقوع هؤلاء الموحدين في الأسر سوف يجعل إخوانهم المجاهدين يجعلون من كلمة (أسر) طريقا لخلاصهم، وبابا للإثخان في الطغاة الكافرين إلى أن يشفي الله صدور المؤمنين، فالألف: إرهاب وإثخان والسين: سيف مسلط، والراء رصاص ورهبة ورعب يدب في قلوب الطغاة وأوصالهم.

وإن مما يدمي القلب ويقطع الأوصال أسر المسلمات الطاهرات العفيفات في سجون آل سعود وتسليمهن لطاغية ليبيا القذافي وزبانيته الطغاة الغلاظ الأجلاف، إن الحديث عن أسرهن وتسليمهن هو حديث الحزن الذي لا ينقطع، الأسى الذي لا ينصرم، وهل بملك القلب حزنه وأساه أن يبوح به إن علم بمأساتهن؟ وهل تملك العين دمعها أن ينسكب حسرة ولوعة عليهن؟ وهل يملك البدن رجفته إن رأى حالهن، والجلد قشعريرته إن سمع أخبارهن كيف بامرأة سمعتها الطهر والعفة، ودثارها الحياء والورع، وفيها ضعف النساء وانكسارهن، يتعمد الطغاة أصحاب القلوب المتجبرة والنفوس الكاسرة من أن يأخذوها عنوة وقهرا، وإذلالا وقسرا، فيسوقها إلى محل الأسر كما ساقوا من قبلها الرجال.

أتُسبى المسلمات بكل ثغرٍ ... وعيش المسلمين إذاً يطيبُ؟
أما للهِ والإسلام حقٌّ ... يُدافع عنه شبانٌ وشيبُ؟
فقل لذوي البصائر حيث كانوا ... أجيبوا اللهَ وَيْحَكُمُ أجيبوا

ثم هي على ضعفها وانكسارها لا تنجوا من بطشهم وقسوتهم وجبروتهم، فإن هذه الأمور غدت طعامهم وشرابهم ﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلّاً وَلا ذِمَّةً﴾ فهم لا يتورعون عن ضربها

وإسقاط جنينها الذي لم تكتمل حياته فيخرج مكرها لا يصيب له في الحياة، ولا يكفون عن شتمها وخدش حيائها وإهانة أنوثتها، بل قد يتعدى الأمر إلى ما يعجز القلم عن تسطيره ويستحي من ذكره، ولندع الأمر إلى ساحات الخيالات يحتدم فيها الفكر، ويكفيه أن يتصور وقوع نساء طاهرات في أيدي طغاة جفاه عتاة، ولا حول وقوة إلا بالله.

كيف القرار وكيف يهدأ مسلم ... والمسلمات مع العدو المعتدي
القائلات إذا خشين فضيحة ... جهد المقالة ليتنا لم نولد

ويا ترى لأي سبب من الأسباب سجنوا هؤلاء النسوة الشريفات إلا لأنهن قلن ربنا الله، والتزمن بدينهن ورضين بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا.

وقد تكون جريرة إحداهن وذنبها أنها زوجة أو أخت أو بنت لرجل موحد أبى أن يعطي الدنية في دينه واستعلى بإيمانه أمام طغيان الطغاة وتجبرهم ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

فمن لإنقاذ هؤلاء النسوة العفيفات وغيرهن من قيود الطغاة وهن يصرخن صباح مساء، وقد عبثت بهن الأيدي النجسة، والنفوس الخبيثة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً﴾. الآية

يقول سيد قطب رحمه الله [1]: "وكيف تقعدون عن القتال في سبيل الله واستنقاذ هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان؟ هؤلاء الذين ترسم صورهم في مشهد مثير لحمية المسلم، وكرامة المؤمن، ولعاطفة الرحمة الإنسانية على الإطلاق هؤلاء الذين يعانون أشد المحنة والفتنة لأنهم يعانون المحنة في عقيدتهم، والفتنة في دينهم، والمحنة في العقيدة أشد من المحنة في

[1] انظر في ظلال القرآن (٢/ ٧٠٨).

المال والأرض والعرض لأنها محنة في أخص خصائص الوجود الإنساني، الذي تتبعه كرامة النفس والعرض وحق المال والأرض" أ. هـ.

رب وامعتصماه انطلقت ملء أفواه الصبايا اليتم
لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم

٣ - عملية فرار المجاهدين من سجن الرويس أظهرت عفن آل سعود إلى السطح:

في حوار مع الشيخ أبي الليث القاسمي أحد الفارين من سجن الرويس أجرته معه مجلة الفجر:

كل أنواع التعذيب التي قامت بها محاكم التفتيش في الأندلس ضد المسلمين، رأيتها في السجون السعودية أو سمعت من فعل فيه مثلها عند الساعة الثامنة من صباح الرابع والعشرين من شهر رمضان الماضي تلقى النظام السعودي ضربة قاسية وصفعة قوية هزت وبشدة أسطورته الأمنية، إذ تمكن ثلاثة من أبناء الجماعة الإسلامية المقاتلة من الفرار من سجن الطاغوت بمدينة جدة والمعروف باسم (سجن الرويس) بعدما كان يُضرب به المثل في إجراءاته وتدابيره الأمنية ورغم كل ما اتبعته السلطات الأمنية السعودية من جهود أمنية مكثفة للقبض على هؤلاء الإخوة بعد فرارهم إلا أنهم تمكنوا بفضل الله من مغادرة الأراضي السعودية، والوصول إلى بر الأمان وبعد وصولهم إلى مكان آمن التقى مندوب (الفجر) بهؤلاء الإخوة وهم الشيخ (أبو الليث القاسمي) والأخ (بشير عبد الكريم) والأخ (أبو محمد الزاوي).

كان هذا اللقاء الذي أجرته (الفجر) مع الشيخ (أبي الليث القاسمي) وتحدث فيه عن ظروف السجن وما يلاقيه الموحدون على أيدي زبانية آل سعود وكيفية هروبهم وفيما يلي نص الحديث:

س: كيف تمكنتم من الهروب برغم الإجراءات الأمنية المشددة في سجن الرويس؟.

ج: الحمد لله كما أمر والصلاة والسلام على خير البشر. ابتداء في عقيدة المسلم أن الله عز وجل يأمره بأن لا يعجز عن فعل المأمور، والله أمرنا بأن لا نعطي الدنية في الدين، وأن لا نمكن الكافرين من رقاب المسلمين، قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾، فمن منطلق هذا الأمر الرباني اجتهد الإخوة في سجن (الرويس) بمدينة جدة في محاولة البحث عن طريقة للهروب والخروج من ربقة الطاغوت، فكانت لنا عدة محاولات للهروب منذ الأيام الأولى، حيث فشلت محاولتان، ثم كانت المحاولة الثالثة وهي التي قام بها الأخ (بشير) منفرداً وتمكن حتى من الخروج من السجن بينما في المحاولتين الأولى والثانية لم نستطع أن نخرج من السجن، حيث قمنا برسم الخرائط ولكن نظراً لإصابته بكسر في رجله لم يستطع مواصلة الهروب وانكشف أمره.

س: كيف تم هذا الهروب؟.

ج: كان الأخ (بشير) في زنزانة انفرادية، وفي هذه الزنزانة ممر في بدايته باب، فاستغل (بشير) فرصة دخول عربة الأكل حيث تفتح لها الأبواب، فعندما فتح له باب الزنزانة وكان باب ممر الزنازين مفتوحاً أيضاً فاستطاع الأخ (بشير) أن يفلت من العسكري وعريف السجن، ووجد نفسه في بهو السجن فركض مسافة ٣٠٠ متر إلى أن وصل إلى طرف السجن بالقرب من غرف التحقيق، واستطاع أن يعتلي السور بدون مساعدة علما بان ارتفاعه يصل إلى ثلاثة أمتار، إلى أن وجد نفسه على حافة السور فقفز بعدها إلى الخارج، والسور من الخارج ارتفاعه ما بين ٦ إلى ٧ أمتار، فعندما قفز سقط على رجله فانكسرت وكان حراس السجن يلاحقونه فامسكوا به بعد أن ابتعد عن السجن مسافة ٣٠٠ – ٤٠٠ متر.

س: وبالنسبة لعملية هروبكم الأخيرة؟.

ج: كنا كثيراً ما نبحث عن وسائل للهروب، حتى تحصلنا على عدة أشياء تسهل لنا طرقاً عديدة للهروب وحقيقة يظهر للناظر من بعد أن هناك تحصينات ولكنها هشة.

س: ما هي هذه الأشياء التي تحصلتم عليها؟.

ج: بعض الأشياء مثل مفاتيح قيود الأيدي والأرجل، تحصلنا عليها بطرق خاصة، وكانت هناك أفكار كثيرة للهروب لكن غالباً ما يكون هروباً فردياً، ونحن كنا مقررين أن يكون الهروب بأكبر عدد ممكن من الأفراد فأهملنا هذه الخطة وجعلناها احتياطية إذا فشلت الخطة الأخرى أما عن كيفية الهروب، فالمكان الذي كنا محتجزين فيه، كان عبارة عن عنبر فيه ثماني غرف يفتح بعضها على بعض، في إحدى زوايا العنبر توجد ست حمامات، ونوافذ هذه الحمامات تطل على ممر يفتح على ساحة التشميس المغطاة بسياج من الحديد فعندما تحصلنا على مناشير حديدية كانت الفكرة أن نخرج من إحدى شفاطات الهواء التي تكون في الحمامات، بحيث يكون الأخ في الممر الذي لا يفتح إلا في أوقات التشميس حيث يخرج المساجين، بحيث يخرج الأخ من الشفاطة وينزل في الممر وبعد ذلك يكون بينه وبين ساحة التشميس باب واحد، وهذا الباب كان مقفلاً بقفل فتمكنا – ولله الحمد – من مخادعة الحرس وأفسدنا هذا القفل فصار هذا الباب مشرعاً..

وبعد أيام أعطينا المناشير للأخ (بشير) وصار يخرج من الشفاطة ثم يعيدها كما هي، فيكون في الممر ثم يخرج من الباب فيكون في ساحة التشميس، بعد ذلك يوجد باب يدخلك على ممر يلف على الغرف، فباشر الأخ (بشير) في قص الباب، ثم دخل هذا الممر فصار خلف الغرف، وصعد على أحد مكيفات الغرف وأصبح على السطح ولم يفصله عن الخارج سوى السياج الحديدي، فقص مربعاً بقياس خروج شخص واحد، وتمت هذه العملية خلال

ثلاثة إلى أربعة أسابيع بسبب الظروف والحراسة التي كانت تعيق أحياناً سير العمل، فكنا نتخير الفرص ونخادع الحرس..

وحدثت لنا عمليات كثيرة من قبل العسكر كدنا أن نكشف فيها لكن الله كان يصرفهم فأصبحنا ننتظر ونترقب يوم الهروب وحددنا يوم الأربعاء ٢٤ رمضان الماضي، واخترنا هذا الموعد بالذات لأن العشر الأواخر من شهر رمضان تعتبر إجازة رسمية لكل القطاعات العاملة في السعودية، ويوم الأربعاء عادة يكون دوام العمل إلى الظهر فقط، والخميس والجمعة عطلة نهاية الأسبوع، فاخترنا هذا الوقت لهدوء الوضع فيه تماماً وكذلك مع فترة الصباح حيث يكون الناس نياماً فالحمد لله كانت الأمور مرتبة ترتيباً جيداً، حيث كان الأخ (أبو محمد الزاوي) في المقدمة فخرج من فتحة الشفاطة ثم لحقته أنا ثم لحقنا الأخ (بشير) حتى وصلنا إلى حافة السور الخارجي وقفزنا من ارتفاع ستة إلى سبعة أمتار على الأرض.

س: أين ذهبتم بعد ذلك؟.

ج: الحمد لله.. نظراً لبقائنا مدة طويلة في أرض الجزيرة لدينا نوع من المعرفة بطرق البلاد، فأخذنا طريقاً بعيداً عن الحركة الدائبة إلى أن وصلنا (مكة)، ومع ذلك يقدّر الله عز وجل أن نلتقي في الطريق بأحد حراس السجن وكان يعرفنا، فرأينا الدهشة في وجهه لاستغرابه وجودنا في ذلك المكان، وكان هذا في الطريق بين (جدة) و (مكة)، ووصلنا (مكة) ولله الحمد وبعد ذلك سهل الله علينا أمر المأوى.

وكنا في (مكة) و (جدة) نسمع ونرى زبانية الطاغوت يبحثون عنا حتى أن مدير السجن رآه أحد الإخوة في الحرم المكي وهو يبحث عنا وقد بدا وجهه شاحباً.

س: يعني ذلك أنكم دخلتم الحرم المكي؟.

ج: نعم الحمد لله.. وصلينا فيه.

الخروج من الجزيرة..

س: متى وكيف استطعتم الخروج من أرض الجزيرة؟ برغم كل الإجراءات الأمنية التي اتخذت بعد هروبكم حيث وُزعت صوركم على المنافذ الحدودية والبوابات ووصل الأمر إلى توزيعها على شرطة الحرمين؟.

ج: وأكثر من هذا أنهم صاروا يوزعونها حتى على المدنيين، بل تمت اعتقالات في أوساط من أفرج عنهم ممن كانوا معنا في سجن (الرويس) قبل هروبنا، اعتقاداً منهم أننا قد نذهب إلى هؤلاء الإخوة، وبقينا في أرض الجزيرة بعد هروبنا من السجن ما يقارب الشهر، والحمد لله كنا نصول ونجول في أرض الجزيرة، ومرة اكتشف الأخ (أبو محمد الزاوي) ولكنه فر منهم مرة أخرى، حيث شك أحد أفراد الشرطة في أمره وعرف صورته، لكن الحمد لله تمكن (أبو محمد) من الفرار منه وكان ذلك في مكة، وبعد ذلك سهل الله عز وجل علينا طريقاً للخروج من أرض الجزيرة وخرجنا.

س: كل من يسمع هذه القصة يستغرب كيف خرجتم من أرض الجزيرة، هل يمكن أن تشرح للقاري ذلك؟.

ج: بعد تردد – الحمد لله أولا وآخراً، أما عن كيفية الخروج التفصيلية فتوجد فيها جوانب كثيرة يصعب الحديث عنها لأجل الملابسات الأمنية التي تحدث في هذا الموضوع – كما لا يخفاكم – لكن كان الخروج عن طريق (...)، حيث قطعنا المسافة من (مكة) إلى (...)، في (...)، عن طريق البوابات بسواتر وأقنعة أذهبت شخصياتنا وصورنا الحقيقية، والحمد لله

تمكنا من الوصول إلى (...)، وبعد ذلك تمكنا من الخروج من هذه (...) إلى (...) عبر المنافذ.

ظروف الاعتقال..

س: لنعد إلى الوراء قليلاً.. ما هي ظروف وملابسات اعتقالكم من قبل السلطات السعودية؟ ومتى كان ذلك؟.

ج: بعد حادثة تفجير الرياض في نوفمبر ١٩٩٥م بما يقارب أسبوعا وصلت الحكومة السعودية إلى قناعات وإلزامات من الاستخبارات الأمريكية أن المنفذين إسلاميون، فقامت السلطات السعودية بحملة اعتقالات واسعة في صفوف الإسلاميين بصفة عامة ثم هناك مسألة أخرى وهي أن الحكومة السعودية كانت تبحث عن ذريعة بعد اعتقال الشيخين (سفر الحوالي) (وسلمان العودة) [١] وإخوانهما لكشف حقيقة وأصناف الإسلاميين وتمييزهم ومعرفة هل هناك من الإسلاميين من يفكر في العمل ضد الحكومة السعودية؟ فكانت هذه فرصتها، حيث بدأت الاعتقالات العشوائية، ويقدر الله عز وجل أثناء ذلك أن يحدث لنا حادث مروري في الطريق تعرض على إثره أحد الإخوة للاعتقال، وعند القبض عليه كانت هناك في أحد البيوت أشياء متعلقة بالجماعة وفيها أغراض لو كشفت فإنها تدين الأخ المعتقل، فحاولتُ الذهاب إلى هذا البيت لتنظيفه من أجل إنقاذ الأخ، فقدر الله أن أصطدم بالأمن والشرطة في داخل البيت فتم اعتقالي فيه.

---

[١] هؤلاء الشيوخ تغيروا تغيراً جذرياً وأصبحوا ألعوبة في أيدي آل سعود وقد كانت أحداث نيويورك وواشنطن كاشفةً وممحصة لكثير من الرموز ونحن لا زلنا نقول لهم لا تكونوا مع العدو ضدنا.

س: ثم حملوك مباشرة إلى الرويس؟.

ج: نعم مباشرة.. حملوني مغمى عليّ.

س: ثم ماذا حدث؟.

ج: الله المستعان. ابتداء باشروا بالتعذيب مباشرة بدون أسئلة ومقدمات، وعندما عرفوا هويتي الإسلامية أرادوا أن يسقطوا الوازع الديني الذي قد أظنه فيهم، فصار اللواء الذي كان يباشر تعذيبي واسمه (أمين زق زوق) وهو مصري الأصل ويعتبر المدير العام للسجن، فبدأ الكلام معي بسب الدين، فعرفتُ أن المسألة استفزازية فأظهرتُ عدم الاكتراث، ثم أتبع ذلك بسب الجلالة فأظهرتُ عدم المبالاة، ثم واصل ذلك بأن سب رسول الله ﷺ، فعندما وجد مني اللامبالاة قال لي بالحرف الواحد (لو كان ابن باز والعثيمين – وسمى عدة مشايخ [1]– لو كانوا هنا لفعلت فيهم) وذكر ذلك بدون كناية باللفظة السوقية قاصداً الفاحشة، وبعد ذلك بدأ التعذيب معنا.

س: هل تعرضت في التحقيق للسؤال عن انفجار الرياض؟.

ج: في الحقيقة أنهم ما كانوا يريدون منا سوى أن نعترف بمسؤوليتنا عن هذا الانفجار، واستمر التعذيب بالنسبة لي قرابة شهر ونصف إلى أن تم القبض على الإخوة السعوديين الأربعة وألبسوهم قضية تفجير الرياض.

---

[1] هذا وهؤلاء شيوخ آل سعود المعتبرين.

س: قبل مرحلة إلقاء القبض على الإخوة السعوديين الأربعة كيف تم التعامل معكم بالنسبة لانفجار الرياض؟.

ج: كانت توجد لجنة من المحققين يرأسها المدير العام اللواء (أمين زق زوق) ويشرف عليها المدعو (الخصيفان) يومياً والذي يعتبر نائباً لوزير الداخلية السعودي (نايف بن عبد العزيز)، وكان طاقم التحقيق مكوناً من تسعة محققين مصريين وعشرة محققين سعوديين، ولكن المحققين السعوديين ليس لهم دور كبير، لأنهم بسطاء ولا يتقنون مهنة التحقيق، وعندما وجدوا عندنا أغراضاً تدل على انتمائنا إلى (الجماعة الإسلامية المقاتلة) ربطوا بين المنهجية والعمل فقالوا انه لا يفعلها إلا أنتم، وخاصة أن بعض المعتقلين السعوديين قالوا أثناء التحقيق عند سؤالهم عن توقعاتهم عمن يفعل هذا العمل، قالوا: نتوقع أن يفعله الأجانب الموجودون في أرض الجزيرة أتباع الحركات الإسلامية الجهادية، فبهذا كان الاتهام الأول موجهاً لنا في قضية تفجير الرياض.

إبر.. وأقراص مهلوسة..

س: هل أجبروكم على الاعتراف بهذا الاتهام؟ باعترافات خطية مثلاً؟.

ج: طبعاً.. بل وأكثر من ذلك اعترافات مصورة مع استخدام الإبر والأقراص المهلوسة، فاعترفنا تحت ضغط هذه الأمور.

س: بعد هذه الاعترافات المصورة، هل تم تهديدكم بالتحويل إلى القضاء أو اتهامكم علناً؟.

ج: عندما قاموا بتصويرنا كان ذلك على أساس أننا نحن منفذو التفجير خاصة شخصي أنا، حيث أعطوني خطة – حسبما اذكر – بأن ألبسوني التهمة بعد هذه الإبر والأقراص،

حتى أنني أذكر أنهم كانوا يضعون لي تحت شاشة الكاميرا ورقة مكتوب عليها بالخط العريض الكلام الذي يريدون مني أن أقوله أو اعترف به، وكانت خطة متكاملة بالخريطة وكيف قمت بتنفيذ التفجير، أذكر أن هذا كله حدث لي.

س: هل تتشابه هذه الاعترافات مع الرواية التي قدمها الإخوة الأربعة؟.

ج: بالضبط أنا لا أذكر ما كنت أقوله ١٠٠ % لكن عندما رأيت في التلفاز ما قاله الإخوة الأربعة تقريباً كان نفس الكلام.

س: هل التقيتم بالإخوة الأربعة أثناء وجودكم في السجن؟.

ج: كنا معاً. كنا نحن نعذب في غرفة، وهم يعذبون في غرفة أخرى، فيبدو أن الإخوة الأربعة اعترفوا أن لهم نوايا حقيقية على أنهم كانوا يفكرون في عمل مسلح، وبعد ذلك ألبسوهم تهمة تفجير الرياض، وأنا التقيت بواحد منهم وهو الأخ (مصلح الشمراني) لكن الظروف لم تسمح لنا بالحديث، فأشار إليّ بإصبع السبابة أن اثبت لا إله إلا الله، ثم أعدتُ إليه الإشارة ذاتها، ولكننا كنا نسمع أخبارهم حيث كانوا بجانبنا في الزنازين ونسمع نداءاتهم وقراءتهم للقرآن.

س: كيف كانت أوضاعهم المعنوية قبل تنفيذ حكم الإعدام فيهم؟.

ج: حقيقةً.. بطولتهم التي ظهرت في السجن تحتاج إلى أن تسطر بأروع من هذا الكلام الذي سأقوله، لكنها كانت فعلاً من أكبر أسباب الثبات للإخوة الآخرين الذين كانوا يعذبون، أخبار ومواقف هؤلاء الإخوة الأربعة، فكانوا يعذبون عذاباً لا يوصف ولا يصدق ولا يتصور مهما وصف، كانوا يتعرضون لعذاب شديد جداً حتى انه في يوم التصوير اضطر الزبانية لاستخدام الماكياج على وجوه الإخوة ليخفوا آثار التعذيب.

وأذكر من المواقف البطولية أن الأخ (مصلح الشمراني) عندما هدده مدير السجن بالقتل قال له باللفظ الدارج بعد أن أشار إلى رقبته: (ما يطير الرقبة غير اللي خلقها، أما أنت زفت ما تسوى شيء)، والأخ (رياض الهاجري) أيضاً كانت بطولته يضرب بها المثل حيث كان يتناقلها العساكر ويقولون إن هؤلاء يعرضون على القتل ويكون حالهم بهذه الصورة فهؤلاء في قلوبهم شيء أكبر من الخوف من القتل.

تدجيل القصيبي..

س: ذكرت لنا أنكم تعرضتم لتعذيب شديد حتى قبل مباشرة التحقيق، ما هي أنواع التعذيب التي تستخدم في سجن الرويس؟.

ج: أنا قرأت كثيراً عن أنواع التعذيب في السجون منذ محاكم التفتيش في الأندلس إلى غيرها، فما قرأته وجدته ورأيته أو سمعت من فعل فيه ذلك، لا يوجد ضابط أو مانع قانوني أو عرفي أو دستوري يمنعهم من استخدام أي نوع يرون أنه يوصلهم إلى اعتراف السجين بما يريدون، فأنواع التعذيب عندهم كثيرة ومخترعة الكهرباء أنواع، والقيود التي تعلق في السطح والصلب والمنع من النوم، ومنع السجين من الجلوس لمدة تصل إلى أسبوعين يظل خلالها واقفاً، مع الحقن بالإبر المهلوسة والمخدرة، فمع هذه الحالة أظن الإنسان يصل إلى حالة جنونية فعلاً، أنا شخصياً كنت أظن أنني فقدت عقلي.

أما أخبث أنواع التعذيب فهي انتهاك الأعراض، حيث يطلبون من السجناء أن يفعلوا في بعضهم الفاحشة بالقوة، لكن الحمد لله قل أن تجد من يسقط في هذه الإكراه.

أما أنواع الكهرباء المستخدمة فهي ثلاثة: الأول عبارة عن تابوت يدخل فيه الشخص ممدداً ثم يغلق عليه بواسطة سلاسل تلف على سائر جسده، بعد ذلك تفتح الكهرباء، والنوع الثاني: السوط الكهربائي الذي ما أن يلامسك حتى تشعر أن دماغك يغلي، والنوع

الثالث: السلك الكهربائي وهذا غالباً ما يصنع في طرفه مماسك تمسك بها الخصيتان أو الأذنان أو الصدر ثم تشغل الكهرباء.

وأثناء التحقيق غالباً ما يكون السجين عارياً مجرداً من كل ملابسه، وغيرها من أنواع التعذيب الكثيرة.

وبهذه المناسبة أحب أن أقول للمدعو (غازي القصيبي) السفير السعودي في بريطانيا الذي خرج علينا من إذاعة بريطانية يقول في لقاء معه: انه لا يوجد تعذيب ولا ضرب ولا إكراه في المملكة، فأحب أن أقول له: أننا كنا نعاني أبشع أنواع التعذيب في تلك الفترة، وكان المحققون يتداولون كلامه المنقول في (مجلة المجلة) باستهزاء وسخرية، ويتذاكرون كيف أنه كان هو نفسه (القصيبي) يوماً من الأيام عندما غضب عليه أسياده في ذلك السجن، وتحت وطأة السياط حتى فر إلى البحرين ثم توسطت له حكومة البحرين وأعادته إلى ساحة البلاط الملكي.

س: سبق أن ذكر أحد المفرج عنهم من سجن (الرويس) لـ (الفجر) أن أحد المحققين الشيعة كان يتبول على الإخوة المساجين أثناء التحقيق؟.

ج: هذا الأمر من الأمور العادية الذي تراه يومياً في التحقيق، بل وصل الأمر – أكرمكم الله – إلى المني نفسه.

س: وبالنسبة لزوجات المعتقلين كيف كانت ظروفهن؟.

ج: كان معنا أحد الإخوة في قضيتنا جاءوا له بزوجته عندما أنكر ما اتهم به، وقالوا له: إن لم تعترف فسنفعل بها أمامكم، فما كان من الأخ إلا أن وقع على ما كتبوا. والتهديد بهذا الأمر حدث لكثير من السجناء، أضف إلى ذلك أن كثيراً من الإخوة وخاصة غير السعوديين تكون زوجاتهم معهم في السجن فيستخدمونهن كوسيلة ضغط على الإخوة، وهذا

أمر مشهور عندهم، وأما مباشرة هذا الأمر أي انتهاك أعراض الأخوات فقد سمعت من بعض العساكر يقولون أنه وقع، لكن لم أر ذلك ولم أسمعه من ثقة.

س: هل كنتم قبل هروبكم على علم بزيارة وزير الداخلية السعودي (نايف بن عبد العزيز) إلى ليبيا حيث قيل أنه كان يساوم على الشباب الليبي في (الرويس)؟ وهل هي السبب المباشر في اتخاذكم قرار الهروب أو التعجيل به؟.

ج: فترة زيارته إلى ليبيا صادفت فعلاً هروبنا، لكن لا حظنا أن الإعلام السعودي صار لا يتكلم عن (نايف) مع أنه كان يومياً على التلفاز تكرر نفس الإسطوانة: استقبل.. والتقى.. وبعث.. وذهب.. وهكذا، فغيابه أثار استغرابنا؟.

س: إذاً كانت الزيارة سرية؟.

ج: نعم.. كانت كذلك في بدايتها لكن بعد انتهائها أعلنوا عنها.

س: ماذا ترتب على هروبكم من السجن؟ هل تم اتخاذ إجراءات أمنية أكثر تشدداً؟.

ج: العارف بأحوال النظام السعودي يعرف أنه نظام متردٍ جداً جداً، وأنه لا يتحمل أن يظهر بصورة الضعيف، إن فرار سجناء أجانب بطريقة أظنهم إلى الآن لم يكتشفوها، شيء يهز كيانهم كله.

وبالمناسبة هم لم يكتشفوا هروبنا إلا بعد أن أخبرهم السجناء عن اختفاء ثلاثة أشخاص حتى لا يُتهم السجناء، فقيدوا كل السجناء ثم وضعوا العسكري الحارس في وقت هروبنا في السجن، وكذلك العريف المناوب، وطردوا من الخدمة العسكرية المسؤول عن السجناء وهو برتبة رائد ويدعى صالح المطيري (أبو ياسر).

س: تضفى على سجن (الرويس) هالة كبيرة، خاصة وأن وزير الداخلية السعودي كان يقول أنه آمن على من في الرويس أكثر من الذين في سجن الحاير بالرياض.. ما هي كيفية ترتيب هذا السجن من الداخل؟.

ج: يقع السجن في حي سكني في وسط مدينة جدة، وتوجد فيه خمسة عنابر متنوعة، منها ما هو مخصص للنساء وأخرى مغلقة، وتوجد فيه زنازين وهي ثلاثة أقسام: زنازين ضيقة جداً وهي للحالات السيئة في بداية التعذيب البدني والنفسي، وتوجد زنازين كبيرة نوعاً ما، عندهم تقريباً أربعون زنزانة وخمسة عنابر وإدارة التحقيق في جهة أخرى.

س: كم كان عدد السجناء في سجن الرويس؟.

ج: يختلف من فترة إلى أخرى، ففي الأزمات يمتلئ ويصل تقريباً إلى ٣٠٠ سجين.

س: ما هي تداعيات انفجار (الخُبَر) عليكم في السجن؟.

ج: عندما حدث انفجار (الخُبَر) أعادونا للتحقيق من جديد وأعيد التعذيب من جديد نظراً لوجود أشخاص طلبوا منا التعرف عليهم، وماذا نعرف عن الشيعة.

س: إذاً كان هناك توجه لديهم منذ البداية لاتهام الشيعة؟.

ج: حقيقةً. عندهم خوف من الشيعة ظاهر جداً، حتى إن المحققين عندما يسألونك عن الشيعة يضربونك كثيراً لو أخبرت أنهم مثلاً – في ظنك – قد يفعلونها، لكن عندما تظهر أنك لا تعرف عن الشيعة شيئاً فيكون حالك أهون، لكن نظراً إلى أن الفعل الحقيقي أسند إلى أطراف شيعية، فاضطروا إلى السؤال عنهم.

الشرع المزعوم..

س: هل كان معكم سجناء شيعة في السجن؟

ج: أبداً.. بل الشيعة مكرمون حتى وإن كانوا في قضايا غير قضايا التفجير، لذلك لم يكن معنا أي شيعي في السجن.

س: عندما لم تتم إدانتكم بانفجار الرياض، ما هي القضايا التي بقيتم مدانين فيها؟ وهل صدرت في حقكم أحكام قضائية؟.

ج: بعد قضية الرياض وإلباسها للإخوة الأربعة، فتحت لنا قضايانا الخاصة وهي قضية الانتماء لتنظيم (الجماعة الإسلامية المقاتلة) متواجدة في أراضي الحجاز، والجماعة لها نشاطات دعوية خاصة في صفوف المعتمرين والحجاج الليبيين، ففتحت لنا هذه القضايا وتم إدانتنا بها، ثم أخذونا إلى المحاكم وجالسنا القضاة وأدانونا كذلك في قضايانا ولكن لم يصدر في حقنا أي حكم، فقالوا لنا: سوف تسمعون أحكامكم من إدارة السجن، والحمد لله خرجنا ولم نسمع أحكامهم الجائرة.

وأذكر هنا ما حدث لي شخصياً مع القاضي المزعوم زوراً وبهتاناً أنه يحكم بالشرع حيث قلت له بعد أن أخبرني: هل عندك اعتراض على ما كتب في مذكرة التحقيق؟ وهل أكرهت على قول شيء لم تفعله؟

فقلت له: أريد أن أسألك سؤالاً: لو أنني أجبتك أننا أكرهنا على كتابة كل حرف فيها فهل تستطيع أن تفعل لنا شيئاً في الحكم؟

فقال: لا.. ولكن ما عليك إلا أن تتكلم، فقلت له: هل أحكامكم هذه شرعية مستندها الكتاب والسنة فنناقشكم فيها حتى نطمئن أننا حُكمنا على وفق الشريعة؟

فقام دعيٌّ آخر وقال: بعد أن فعلت كل هذه الأفعال تسأل عن حكم الشرع في أمثالك، أنت تستحق القطع عضواً عضواً.

س: كيف كانت أوضاع السجناء المعنوية برغم هذا الجو النفسي الرهيب الذي كانوا يعيشونه؟.

ج: الحالة النفسية التي تصاحب الإنسان في حال سجنه بكل تأكيد هي غير حالته أثناء حريته، فالنفس البشرية يحدث فيها الضيق والقلق، لكن المشاهد لأوضاع السجناء يجد أن هذه كلها دوافع تقود الإنسان إلى السؤال: لماذا يفعل بنا هؤلاء كل هذا؟ لأن الصورة الحقيقية للأنظمة تظهر في هذه الأماكن.. حقيقتهم الكفرية، وعدم اعتبار إنسانية مواطنهم.

وأما عن علاقات السجناء بعضهم ببعض فكانت شبه أخوية، وممتازة جداً، ويحدث الترابط بينهم، ويعرف كل أخ أنه في هذه الظروف بأمس الحاجة إلى العلاقات الأخوية بينه وبين إخوانه في السجن، وقد قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. الآية). أ. هـ.

ب - قصص من مصر:

أُلفت عدة مؤلفات عن التعذيب في مصر وما فعله جلادوها بالمسلمين هناك منذ عقود من الزمن، كان من أبرزها كتاب (البوابة السوداء) لأحمد رائف والذي ذكر فيه قصص وآهات السجون في عهد الطاغوت المجرم جمال عبد الناصر لعنه الله، وكذلك كتاب (الكتاب الأسود) للشيخ المجاهد أيمن الظواهري نصره الله وثبته على الحق والذي ذكر فيه قصص وآهات من سجون مصر في عهد الطاغوت حسني مبارك قتله الله، وسأذكر هنا بعض القصص الواردة في الكتاب الأخير فقط لعدم توفر كتاب البوابة السوداء بين يدي أثناء كتابة هذه السطور.

١ - قال الشيخ أيمن نصره الله [١]:

"**محمد خلف يوسف** قال عنه تقرير لمنظمة العفو الدولية: (مدرس في التاسعة والعشرين قبض عليه في منزله في أسيوط ليلة ١٥ أو ١٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٠، ووصف المعاملة التي لاقاها قائلاً: (نقلنا إلى المستشفى التابع لفرق الأمن وهو المكان الذي يتلقى فيه ضباط الشرطة فيما أعتقد الرعاية الطبية ولكنه يستخدم في التعذيب، وطلب منا هناك أن نملأ استمارات نكتب فيها معلومتنا الشخصية واستغرق ذلك نحو ساعة ونصف ساعة، ثم سمعت من ينادي على اسمي، ومن ثم أتى أحدهم بمنديل وعصب عيني وأوثق يدي خلف ظهري بقطعة أخرى من القماش، ثم ضربوني في كل أنحاء جسدي بطريقة عشوائية.. صفعات ولكمات وركلات في مختلف أجزاء جسدي ومؤخرة رأسي...

جردوني من كل شيء إلا ملابسي الداخلية، ثم هددوني بإحضار زوجتي وتعذيبها، وسألوني أسئلة مثل: هل تصلي؟ هل تلقي خطبة الجمعة في المسجد؟، وهددوني بالاعتداء الجنسي على زوجتي، ثم سمعت الباب يفتح وإذا بآخرين يدخلون ويجردونني حتى من ملابسي

---

[١] الكتاب الأسود (١٧).

الداخلية، وقالوا لي إنني إذا لم أقدم لهم معلومات فلن أرى الشمس مرة أخرى ولن أعيش حياة طبيعية بعد اليوم، وقالوا إنني إذا غادرت ذلك المكان حياً فسوف أنسى حتى اسم زوجتي، وأخذوا يضربونني من جديد واستخدموا جهازاً مشحونا بالكهرباء على جسدي وركزوا على عيني وشفتي ورأسي والمناطق الحساسة الأخرى في جسدي، وظلوا يكررون أنني سأنسى جميع من أعرف، واتهموني بأنني من الإخوان المسلمين.

وفي يوم الاثنين جاؤوا مرة أخرى عند الظهر تقريبا وعادوا بنا إلى المستشفى ووضعوا قطعة من الصوف على عيني وبدأ العرق يتصبب مني، وقالوا لي إن علي أن أقف وذراعاي مرفوعتان وممدودتان وقدماي منفرجتان ولكن قدمي ظلتا تتعثران، وكلما تعثرت ضربوني أو ركلوا رجلي، واضطررت إلى البقاء في ذلك الوضع فترة طويلة، كان وضعا مرهقا وكنت في مسيس الحاجة لتغييره ولكنهم كانوا يضربونني بعصا كلما تراخيت في وقفتي ولو للحظة الواحدة، واقتادونا من الغرفة واحداً واحداً لإنزال مزيد من التعذيب بنا، وعندما عُدنا كان علينا أن نعود للوقوف في نفس الوضع السابق، كانوا يجبروننا على القفز أو الجلوس أو على مد أذرعنا ويضربوننا طوال الوقت بعصا بصورة عشوائية.

ولم تتغير المعاملة يوم الأربعاء عن اليومين السابقين وسألوني ما رأيك في عبد الناصر؟، وما رأيك في سيد قطب؟، ثم وجهوا الصدمات الكهربائية مرة أخرى إلى عيني ورأسي وفمي والأماكن الحساسة في جسدي، وأحضروا كرسياً وربطوا يدي ورجلي إليه وهددوني بإحضار زوجتي بعد ١٠ دقائق كي أسمع صرخاتها، وقالوا إنهم سوف يفعلون ما يريدون بها، وأنني لن أعرفها بعد أن ينتهوا مني، وقالوا إنهم سيضعونني في مكان لا أعود منه مطلقاً، وقالوا إن الإخوان المسلمين ليس بوسعهم أن يفعلوا شيئا لمساعدتي، وإنني في النهاية لن أكون قادراً على أن أسمع أو أتكلم أو أرى أو أفهم شيئاً وإن كل ما أستطيعه سيكون المكوث في المنزل عاجزاً عن الحركة وعاجزاً عن الخروج.

وحكمت إحدى المحاكم بالإفراج عن محمد خلف يوسف في ٣ شباط فبراير ١٩٩١، وقد أفرج عنه في الواقع في يوم ٩ شباط فبراير ١٩٩١".

٢ - قال في موضع آخر [١]:

"فتاة عمرها ١٧ عامًا تعتقل بسبب أخيها:

يقول عنها تقرير لمنظمة العفو الدولية: هناء علي فرج، كانت طالبة في السابعة عشرة عندما قبض عليها في منزلها في المنيا في أواخر تموز يوليو ١٩٩٠، قالت: أخذوني إلى قسم الشرطة ووضعوني في غرفة وسألني ثلاثة منهم عن مكان اختفاء أخي، لا بد إن الساعة كانت قد قاربت منتصف الليل، وظللت أقول لهم إنني لا أعرف مكانه وأمر رئيس مباحث أمن الدولة الآخرين بأن يعلقوني فأطاعوه، ومن ثم وضعوا قضيبا حديديا تحت ركبتي وجعلت أتأرجح في وضع مقلوب منه، ثم بدؤوا يضربونني على باطن قدمي بعصا خشبية غليظة، وهم يكررون نفس الأسئلة: هل حملت إليه طعاما؟، هل ذهبت لرؤيته؟، أين يختبئ؟، وفيما بعد قدمنا شكوى رسمية بخصوص اعتقالي ومعاملتي ولكن أحداً لم يحقق فيها على الإطلاق، ولم يكن أخي سيد مطلوباً بسبب ارتكاب أي جريمة ولكنه كان الاعتقال المعتاد، لقد قبض عليه حتى الآن حوالي ست مرات، قبض على سيد في أيلول سبتمبر ١٩٩٠ وكان ما يزال معتقلاً حتى شهر حزيران يونيو ١٩٩١".

٣ - قال أيضًا [٢]:

"ممدوح علي يوسف ذكر عنه تقرير لمنظمة العفو الدولية:

أجرى أحد الأطباء الشرعيين عدة فحوص طبية على ممدوح علي يوسف في نهاية تشرين الأول أكتوبر وتشرين الثاني نوفمبر ١٩٩٠ وذكر الطبيب في تقاريره عن الفحوص التي أجراها

---

[١] الكتاب الأسود (١٨).

[٢] الكتاب الأسود (٢١).

يومي ٢٩ و٣١ تشرين الأول أكتوبر ١٩٩٠ في أول الأمر أنه كان في حالة إعياء نسبي وإرهاق، ثم ذكر بعد ذلك أنه كان في حالة إعياء وإنهاك شديد، وعند إجراء الفحص الطبي التالي في ١٠ تشرين الثاني نوفمبر ١٩٩٠ كانت حالته قد تدهورت إلى الحد الذي جعل الطبيب يكتب في تقريره إنه كان في حالة إعياء شديد فاقد القدرة على الوقوف على قدميه أو الجلوس على الكرسي.

وروى ممدوح علي يوسف أنه تعرض للضربات واللكمات وأن لفائف التبغ أطفأت في صدره وأنه تعرض للتعليق من معصميه بعد ربطهما خلف ظهره وأن الصدمات الكهربائية وجهت إلى مناطق حساسة في جسده، ويذكر تقرير الطب الشرعي أن الكدمات الموجودة بشتى أنحاء جسده عادة ما تنشأ من آثار الاصطدام بجسم أو أجسام صلبة أو من أثر الضرب، كما سجل الطبيب أيضا وجود ندوب وبؤرات دقيقة بنية اللون داكنة في حجم رأس الدبوس وانتشارها حول حلمة الثدي الأيمن وأسفل تمرة القضي.. تلك الندوب ومثلها عادة ما تحدث من مثل تقريب جسم أو أجسام مكهربة من سطح الجسم وما ينجم عنها (من) حدوث نقط نزفية وتأثيرها على الشعيرات الدموية الدقيقة المنتشرة تحت سطح الجلد".

٤ - ونقل الشيخ أيمن بارك الله فيه هذه الرسالة [١]:

"رسالة مهربة من تأديب ليمان أبي زعبل:

هذه الكلمات نسطرها إلى العالم أجمع ونحن في الرمق الأخير من الحياة حتى يعرف العالم ما يحدث في سجون مصر..

لا نقول إنه انتهاك لحقوق الإنسان، ولكن يعلم الله أنه انتهاك حتى لحقوق الحيوان.. ويكفي وصف أحد الضباط بأننا أصبحنا شبه آدميين، قد تتساءل ما هي الأسباب التي

---

[١] الكتاب الأسود (٢٥.٢٤).

تجعل إدارة سجن أبي زعبل الصناعي تذهب بالمعتقل إلى التأديب في الليمان.. لعلكم تعجبون إذا علمتم أن شكل المعتقل إذا لم يعجب الضباط يقول يذهب إلى التأديب.

وتبدأ الرحلة بعد استقبال المعتقل السياسي عند بوابة السجن، حيث يتم نزع ملابسه كما ولدته أمه، إي والله كما ولدتنا أمهاتنا، والزحف على البطن وصب الماء عليه أثناء الزحف مع الضرب بالعصي والهراوات والأحذية، وحلق شعر الرأس واللحية والحواجب وإطلاق اسم أنثى عليه، تبدأ الرحلة زحفا من الصناعي إلى الليمان ولا ينقطع الضرب عبر ساحات السجنين، وقد تمر ساعات وساعات حتى تلوح بوابة عنبر التأديب بليمان أبي زعبل، وعند الدخول فكأنما فتحت أبواب الجحيم..

والاستقبال هناك يفوق الوصف إلا أنه في النهاية يلقى بك في زنزانة مغمى عليك وأنت عبارة عن كتلة من اللحم مختلطة بالدماء والتراب.

يلقى في زنزانة ليس فيها طعام أو شراب أو غطاء، وعندما ينتبه المعتقل بعد يوم يحظر عليه الطعام والشراب ثلاثة أيام، وتصوروا معنا أن يحدث هذا في شهر رمضان المعظم، فلقد حدث هذا ورب الكعبة على أكثر من خمسين معتقلاً نقلوا من سجن العقرب إلى الصناعي في نهار رمضان، وفي اليوم الرابع ألقي لكل واحد منهم رغيف من الخبز الجاف.

ومع أول يوم يفيق فيه المعتقل من الغيبوبة يمر عليه زبانية التعذيب بقيادة طارق إلياس قائد عنبر التعذيب، ويتنوع التعذيب اليومي فالضرب على القدمين تارة وعلى الظهر تارة وعلى اليدين تارة وعلى أصابع ظهر اليد تارة وعلى الرأس تارة، هذا مع التلذذ بتعذيب الفريسة والاستهزاء بالإسلام (فالجنة بعشرة عصي).

أما النقيب هاني رشاد فهو يمر بالعصا الكهربائية ضرباً بها وصعقا بالكهرباء في الأذان والأماكن الحساسة للفريسة.

وأما الرائد مصطفى جابر ضابط مباحث السجن الصناعي فهو يتفنن في إذلال الضحية، يقول للمعتقل: (قبل يدي)، (قبل قدمي)، (اركع لباشاوات مصر).

وبعد مرور أسبوع تُزاد كمية الطعام وهو عبارة عن خبز وقليل من الفول الأسود أو العدس مع الرمل، وأما الشراب فيسمح للفرد بزجاجة مياه كل أربع وعشرين ساعة على الرغم من ارتفاع الحرارة الشديدة داخل الزنزانة، وهذه الكمية يشرب منها، ويقضي حاجته في علبة البلاستيك، يخرجها المعتقل يومياً لتفريغها تحت وابل من السباب والضرب.

وبعد فترة يعطى للمعتقل بدلة من الخيش تظل على جسمه بدون تغيير أو غسيل أو استحمام حتى يشاء الله له بالخروج من هذا العنبر، وقد مكث البعض منا أكثر من ستة أشهر بدون استحمام، بالطبع تنتشر بين المعتقلين الأمراض الجلدية والقروح والدمامل، أما عن أسراب القمل والحشرات الزاحفة الأخرى فحدث ولا حرج".

٥ - ونقل أيضًا [١]:

"نشرت صحيفة الأهالي عن دراسة المنظمة المصرية لحقوق الإنسان عن سجون منطقة طرة:

بالنسبة للحبس الانفرادي تفيد الشكاوى التي تلقتها المنظمة إلى حبس المعتقلين الجدد حال وصولهم للسجن حبساً انفراديا لمدة شهر كنوع من التكدير وتحطيم المعنويات، حيث تنقطع صلته بالعالم، ولا تفتح الزنازين عليه طوال اليوم إلا لمدة عشر دقائق فقط للتخلص من جردل البول، توقع عقوبة الحبس الانفرادي دون أي تحقيق مع المسجون أو توقيع الكشف الطبي عليه، كما يتم الحبس الانفرادي أحياناً في عنابر التجربة بالمخالفة للقانون،

---

[١] الكتاب الأسود (٢٨).

وقد وصلت مدد الحبس الانفرادي لبعض المسجونين في قضية الجهاد إلى ٣ سنوات منذ يوليو ٨٨".

٦ - وذكر تحت العنوان التالي [١]:

"اختطاف الفتيات المنقبات.

ذكرت صحيفة الشعب نقلا عن التقرير السابق: (اختطاف طالبة منقبة) نصرة فتحي إبراهيم طالبة منقبة بمدرسة السلام الثانوية بحدائق القبة، خرجت من منزلها بحي الوايلي متجهة إلى مدرستها وهي لا تدري ما هو مصيرها؟، اختطفها الأمن ولم يكتف بذلك بل استدعى المقدم مصطفى محمود بمباحث أمن الدولة الأسرة وقام بالتحقيق معها، وطالبهم بمعلومات دقيقة عن تصرفات نصرة داخل المنزل، وأثار جواً من الرعب في الأسرة وحتى الآن ما زالت نصرة في غياهب ودهاليز السجون لا تعرف عنها شيئا".

٧ - ذكر الشيخ أيمن عن هؤلاء الجلادين أنهم يمنعون العلاج عن المساجين في كثير من الأحيان حتى يشارف بعضهم على الموت دون أدنى رحمة [٢]:

"من أبرز الأمثلة حالة الأخ نبيل المغربي، فقد ذكرت الوفد الخبر التالي:

منظمة حقوق الإنسان تطالب وزير الداخلية بالتدخل لإنقاذ حياة سجين سياسي بطرة كتب حمدي شفيق:

طالبت أمس المنظمة المصرية لحقوق الإنسان اللواء عبد الحليم موسى وزير الداخلية بالتدخل لإنقاذ حياة السجين السياسي نبيل محمد المغربي النزيل الحالي بسجن ليمان طرة..

---

[١] الكتاب الأسود (٤٩).

[٢] الكتاب الأسود (٥٢).

أكدت المنظمة في استغاثة عاجلة ضرورة تقديم الرعاية الصحية للسجين المغربي فوراً لإنقاذ حياته من عدة أمراض خطيرة بالقلب والمعدة والشرايين، وإصدار عفو صحي عنه.

واستنكرت المنظمة عدم تقديم الرعاية الصحية اللازمة للسجين.. وطالبت وزير الداخلية بإجراء تحقيق إداري مع المسئولين عن وصول السجين نبيل المغربي إلى هذه الحالة المتردية، وأعربت عن خشيتها من وفاته مثلما حدث مع المعتقل شحاته عبد الحميد الذي تعمد المسئولون بسجن طرة تركه بدون علاج لأمراضه الخطيرة، وقبل وفاته بيوم واحد تم إخراجه من السجن تهرباً من المسئولية..

وبعثت المنظمة المصرية ببلاغات عاجلة إلى نقابة الأطباء وعدد من المنظمات الدولية المعنية بحقوق الإنسان حول الإهمال المتعمد لأطباء السجون".

٨- يقول الشيخ أيمن رفع الله ذكره [١]:

"هذه القصة البشعة نسوقها بتفاصيلها كما أوردتها صحيفة الشعب حتى يدرك القارئ أي نظام هذا الذي يحكم مصر:

مأساة شاب اختلف مع ضابط فأمر المحتجزين بانتهاك رجولته.

دخل مبنى جريدة الشعب شاب في مقتبل العمر أحمد محمود محمد تبدو ملامح الحزن والانكسار، وطلب أن يتحدث مع أحد محرري الجريدة وتساءل هل تستطيعون أن تنشروا مأساتي دون خوف من زبانية الداخلية؟، فأكدنا له أن محرري جريدة الشعب لا يخشون في الله لومة لائم ولا يخافون، فبدأ يروي مأساته ومعاناته داخل قسم شرطة باب الشعرية:

---

[١] الكتاب الأسود (٥٠-٥١).

ومأساتي بدأت منذ ثلاثة شهور عندما حدث خلاف بسيط بيني وبين ضابط بمباحث قسم باب الشعرية يدعى زكي بيه.. وتم إنهاء الخلاف وتصالحنا ونسيت الموضوع تماما، ولكن القدر كان يحمل لي ما لا أتوقعه، ففي مساء ٢٢/ ١٠ كان القدر قد حدد موعده لألتقي بزكي بيه من جديد ولأرى على يديه ما لم يره إنسان في مصر، حيث تم إلقاء القبض علي بدون أي تهمة وتم اقتيادي إلى قسم باب الشعرية..

وكانت أولى أدوات التعذيب تسمى بـ (لولو)، وهو ثعبان أخرجه من كيس قماش ووضع رأسه في فمي ثم وضعه داخل ملابسي، ثم وضعوني على الفلكة والكرباج، وتم مدي على قدمي وأشبعوني ضربا ولكن كل هذا يهون لما حدث لي بعد ذلك.

تلامذة صلاح نصر..!!

حيث قام كل من زكي وحسام معاونه بنزع ملابسي تماما ووقف كل منهما في طرف الحجرة وأجبروني على تقبيل حوائطها أكثر من عشرين مرة بسرعة فائقة وتواعدوني بالويل إذا تأخرت عن تقبيل أي منهم، فكنت أجري من هنا إلى هناك حتى أتلاشى الضرب، وتعرضت لصنوف التعذيب التي أكدت لي أن زكي بيه وحسام باشا هما تلميذان لصلاح نصر، وأن أيامه عادت من جديد، أين نعيش؟، واستمر أحمد يحكي قصته إلى أن جاء إلى هذه اللحظة المزعجة لتنطلق دموعه وتنحبس أنفاسه وتغير وجهه تماما وهو يتذكر أسود ما يمكن أن يحدث فيقول:

أن كلاً من زكي وحسام قاما بفك بنطلونيهما وأجبروني على الفاحشة وتقبيل قضيبيهما، ولم يكتفيا بذلك!!، بل قام زكي بيه بإحضار ثلاثة من حجز القسم وبدأ الرجال الثلاثة في التناوب على انتهاكي والويل لأي منهم إذا تأخر عن أداء مهمته القذرة، ويبكي أحمد بحرارة ويسائل: أين نعيش؟، بكل صدق لا أعرف!

وبعد ذلك قام زكي بيه بالطبل على كرسي وأمرني بالرقص والغناء بالكلمات الآتية: (أنا حميدة والنهار ده خلاص استكفيت.. مش عايزة تاني).

الفلكة داخل الحجز..

وبعد ذلك رماني مثل الكلب داخل حجز القسم، وأقسم أن أبقى واقفاً على قدمي ورافعاً يدي إلى أعلى، وكل عشر دقائق كان زكي يدخل إلى الحجز ليتأكد من تنفيذي للأمر وإذا وجدني قد أنزلت يدي يقوم بضرب جميع من بداخل الحجز..

ونظراً لما تعرض له أحمد فقد تقدم رفعت خميس المحامي بمذكرة للمستشار المحامي العام يطالبه باتخاذ اللازم قانونياً ووقف ما يتعرض له أحمد من تعذيب، وأصدر المحامي العام قراراً في ٢٤/ ١٠/١٩٩١ لنيابة باب الشعرية لاتخاذ اللازم قانونياً..

وحيال طلب النيابة يخرج أحمد من السلخانة ويذهب إلى نيابة باب الشعرية لتأخذ أقواله، وبعد ذلك تم تحويله إلى مستشفى سيد جمال وسط حراسة مشددة، وفي المستشفى رفض أحد أمناء الشرطة المكلفين بحراسته طلبه بإجراء أشعة على رأسه لتوضيح مدى ما تعرض له من إصابات، وبعد ذلك توجه إلى مستشفى جامعة عين شمس التي قامت باحتجازه لمدة يومين وتوجيه إشارة إلى قسم باب الشعرية توضح فيها تعرض أحمد للاعتداء الوحشي، إلا أن القسم رفض استلامها، ويوضح تقرير المستشفى إصابة أحمد باشتباه ما بعد الارتجاج واحتياجه للراحة لمدة أسبوعين.

مصر يا بلد المظالم..

ورغم كل ذلك يكشف لنا أحمد عن مفاجأة أفظع مما حدث، فقد صدر قرار النيابة بإدراج القضية إدارياً!!، وليس جنحة بعد كل ما تعرض له من تعذيب وامتهان للكرامة لآدميته، وقد أثار هذا القرار حفيظة أبناء المنطقة الذين تكاتفوا مع أحمد، كما أعرب عدد

كبير من المحامين عن رغبتهم في الدفاع عنه، وصل عددهم إلى عشرة محامين ويتزايد عددهم يوما بعد آخر..

إلا أن هذا الجمع الكبير من المحامين فشل في الحصول على صورة من المحضر الخاص بتحقيقات النيابة!! بل وعندما حاول أحمد مقابلة وزير الداخلية في مبنى الوزارة قالوا: اكتب له شكوى فالوزير ليس لديه وقت لمشكلتك".

٩ - نقل الشيخ أيمن التقرير التالي عن صحيفة الوفد [١]:

"مذبحة عين شمس:

وننتقل الآن إلى منطقة عين شمس التي شهدت خلال ٥ شهور فقط مذبحتين مروعتين أسفرتا عن مصرع ٩ من المواطنين وإصابة المئات برصاص زبانية زكي بدر الذي اعترف مؤخراً بإصراره على تصفية أعضاء الجماعات الإسلامية جسدياً، بل ذهب الوزير في تصريحاته لمجلة الوطن العربي منذ أسبوعين فقط إلى حد القول بأنه لا يؤمن بالحوار مع الجماعات الإسلامية وإنما الحل الوحيد هو ضربهم في المليان وفي سويداء القلب!!

أيضاً اعتقلت أجهزة الأمن أكثر من ٩٠٠ شخص خلال أحداث أغسطس ثم ديسمبر الماضيين، وكان من بين المعتقلين عدد كبير من زوجات وأمهات أعضاء الجماعات الهاربين والمطلوب اعتقالهم وأطفال المتزوجين منهم كرهائن لإجبار الآباء على تسليم أنفسهم!!

ويمكننا أن نوجز أحداث أغسطس الدامي في السطور التالية، وطبقا لما جاء بتحقيقات نيابة أمن الدولة العليا حول الأحداث وأقوال المواطنين المصابين وشهود العيان:

البداية اقتحام مسجد آدم:

---

[١] المصدر السابق (٦٤.٦٢).

عقب صلاة المغرب يوم الجمعة ١٢ أغسطس عقدت الجماعة الإسلامية بعين شمس ندوتها الأسبوعية وسط حصار أمني مفاجئ شاركت فيه آلاف من القوات التابعة لمختلف أجهزة الأمن، وبدا واضحاً أن قيادات وزارة الداخلية تعتزم فعل شيء ما، يؤيد ذلك أن مسجد آدم بالذات سبق اقتحامه عدة مرات خلال العامين الماضيين، وأن ندوة ١٢ أغسطس تأتي في أعقاب حادث مصرع الهاربين من ليمان طرة عصام القمري ثم خميس مسلم وإصابة ثالثهما محمد الأسواني برصاص الشرطة، وقد اعترف وزير الداخلية فيما بعد في تصريحاته للصحف الحكومية بوجود محضر تحريات عن بعض الموجودين بالمسجد، وطلبت الشرطة من النيابة الإذن بضبطهم، وهكذا انتهزت الشرطة فرصة الندوة الأسبوعية لتحاول اقتحام المسجد والقبض على أعضاء الجماعة الإسلامية الموجودين داخله فرفض الموجودون بالمسجد الخروج وأغلقوا أبواب المسجد لمنع الضباط والجنود من اقتحامه بأحذيتهم كعادتهم في المرات السابقة، فلجأت القوات إلى أخس الوسائل وأشدها جرماً وتحديا لقداسة بيت الله وحرمته وحطمت نوافذه وألقت من خلالها عددا من القنابل المسيلة للدموع والقنابل الحارقة داخل المسجد لإجبار الموجودين به على الخروج.

وبالطبع اضطر هؤلاء إلى فتح الأبواب لمغادرة المسجد خشية الاختناق بالغاز، وبمجرد فتح الأبواب اندفع الضباط والجنود داخل المسجد بأحذيتهم الغليظة وقلوبهم المتحجرة وأطلقوا الرصاص على الموجودين بالداخل بلا تمييز، وكان هذا العمل الإجرامي كافيا لإثارة أهالي المنطقة الذين انضموا تلقائياً إلى أعضاء الجماعة الإسلامية ضد عدوان الشرطة، فاتسع نطاق الاضطرابات حتى شمل المنطقة بأسرها وجن جنون كلاب السلطة فصدرت الأوامر بإطلاق الرصاص والضرب في المليان في جميع الاتجاهات وعلى جميع الأهالي بلا تمييز وتساقط الضحايا من الأطفال والنساء والشيوخ والشباب وامتلأت الشوارع والبيوت بالجرحى والقتلى الغارقين في دمائهم كما امتلأت لوريات الشرطة بمئات المعتقلين وكان من الطبيعي أن يرد الأهالي على العدوان الغاشم، فألقت النساء والأطفال الحجارة على قوات الاحتلال المركزي من شرفات ونوافذ المنازل، وأصيب ضابطان وأربعة جنود، وتوفي الضابط محمد زكريا

متأثراً بإصابته بحجر في رأسه ألقته أم ثائرة من أعلى سطح منزلها لأنها شاهدت طفلها الوحيد على الأرض يتلوى من الألم وسط بركة من الدماء لإصابته برصاص أحد الضباط، كما أحرق بعض الثائرين سيارتين للشرطة انتقاما للمذابح الوحشية التي تعرض لها المواطنين الأبرياء.

وبالطبع فرضت أجهزة الأمن حظر التجول في جميع شوارع المنطقة ودفعت وزارة الداخلية بأعداد هائلة من القوات التابعة لمختلف أجهزتها لتأديب المنطقة بأسرها كالعادة!!!.

أذاقت القوات على مدى أسبوع كامل أهالي المنطقة كل ما يخطر على البال من أنواع البطش والانتقام والتنكيل وتعرض المعتقلون لمذابح وحشية داخل أقسام الشرطة والسجون المختلفة التي تم توزيعهم عليها".

١٠ - ونقل أيضًا عن صحيفة الشعب تحت عنوان: (آخر خبر) الآتي [١]:

"قالت: أكد أحدث تقرير للمنظمة المصرية لحقوق الإنسان ارتفاع عدد من تعرضوا للتعذيب في معسكرات الأمن المركزي بالصعيد إلى ٣١٥ مواطناً وأن شهر يوليو فقط شهد تعذيب ١٢٥ مواطناً، وأشار التقرير إلى وجود ثلاثة معسكرات لقوات الأمن المركزي يجري فيها التعذيب بصورة وحشية وهى معسكرات أبنوب بأسيوط ومعسكر قنا ومعسكر الفيوم بالإضافة لمعسكرين محدودين في الغردقة وبني سويف، وتناول تقرير المنظمة نماذج من ضحايا هذه المعسكرات حيث تعرض محمد بكري الشيخ والذي اعتقل عام ١٩٩٠ للتعذيب على مدار أسبوع بأساليب تتراوح بين الضرب بالأسلاك والكابلات الكهربائية، وذكر التقرير حالة المواطن أسامة بهي الدين محمود والذي اعتقل في نوفمبر ١٩٩١ واحتجز في زنزانة مظلمة ليس بها أي منافذ للتهوية وتعرض للصعق بالكهرباء في أجزاء حساسة من جسده (١٥/ ١٢/١٩٩٢)".

---

[١] الكتاب الأسود (٦٧).

١١- وقال نصره الله [١]:

"حملات الرعب في ملوي:

في يوم ٢٥/ ٦/٩٤ قتل مجهولون (ظريف أنور متى) وهو تاجر أقمشة متجول أثناء وجوده في قرية تندا، وعلى الفور قامت حملات أمنية كثيفة لتمشيط المنطقة بحثا عن الجناة، وكعادة أهل القرية حاولوا التعاون مع الضباط ولكنهم فوجئوا بالحملات التفتيشية التي ألقت أثاث منازلهم في الطريق، وأخذت تستجوب النساء والأطفال، أما الرجال فتم اقتيادهم إلى مقر مباحث أمن الدولة.

واستمر الوضع حتى يوم ٢٨ يونيو عندما قام الملازم أول رفعت عبد الحميد من مباحث أمن الدولة في المنيا بالذهاب إلى أحد المساجد التي تعقد بها الجماعات الدينية لقاءاتها الأسبوعية وأصر على تفريق المجتمعين وهددهم بإطلاق النار عليهم جميعاً، وعندما رفضوا أخبرهم بصدور قرارات اعتقال ضدهم جميعاً، ولم يأت المساء حتى صدرت قرارات عشوائية باعتقال ١٢ مواطناً من المنيا، ومنها قرار باعتقال الدكتور جمال محسب الذي يقضي عقوبة الحبس ١٥ سنة في قضية سياسية.

واستمرت الحملات التفتيشية حتى فجر اليوم التالي عندما أصابت قوات الأمن المحاسب رجب عبد الحكيم سعد بثلاث رصاصات في الفخذ والساق والركبة، وقامت الإسعاف بنقله إلى مستشفى ملوي العام حيث تركه الأطباء بلا عناية لاستكمال تحقيقات أمن الدولة حتى ساءت حالته، وعندما أوشك على الموت تم نقله إلى مستشفى أسيوط حيث توفي في الطريق.

---

[١] الكتاب الأسود (ص٦٩).

وخشيت مباحث أمن الدولة قيام أهل القتيل بأخذ الثأر فقبضت على أخيه وقامت بترحيل أسرة المتوفى من القرية.

ولم يكتف الضباط بهذا، بل قاموا بحصار جامع الفتح وإطلاق أعيرة نارية أدت لقفز بعض المصلين في الماء مما أدى لوفاة أشرف ناجي غرقاً، وعادت بعد ذلك قوات الأمن إلى قرية تندا، وأوجا ومحرص وجلوبا، بحجة البحث عن الهاربين.

بعد عودة الضباط من مركز ملوي إلى قرية تندا، تغيرت الصورة تماماً فالشوارع خاوية والسكان يفرون إلى منازلهم لمجرد سماع صوت أي سيارة قادمة خوفاً من الشرطة، أما الرجال فأصبحوا سجناء المنازل لا يخرجون منها إلى أعمالهم خوفاً من التجوال أو الوقوع في يد أحد الضباط.

يقول محروس عبد التواب ٢١ عاماً ويعمل حداداً: عندما حضرت قوات الشرطة إلى منزلي واستأذنت الأسطى ولكنه رفض وطلب مني الذهاب لمركز ملوي لإحضار بعض مستلزمات الورشة، وعندما حاولت الذهاب قبض علي العساكر وأخذوني للضابط الذي قام بضربي بالعصا على رجلي، ثم وضعوني في سيارة كبيرة بها أكثر من خمسين رجلاً من القرية وذهبوا بنا إلى السجن، وهناك وضعونا في صف كبير، وعندما يشعر أحد بالتعب ويجلس ينهالوا عليه بالضرب، وسألني الضابط عن السنيين وأين يختبئون ولكني أجبته أنني لا أعرف، فأخذ يضربني لمدة ثلاثة أيام، ثم أعادوني إلى القرية وقالوا إذا رويت لأحد ما حدث سوف نأخذك مرة أخرى.

ويضيف محمد علي مزارع: أن الحملات الأمنية لم تنقطع عن القرية من يوم ٢٥ يونيو ولكنها لم تتحول إلى هذه الدرجة إلا بعد أحداث جامع الفتح.

ويضيف: إنهم اعتادوا يومياً قيام قوات الأمن والضباط بإخراجهم من منازلهم ونصب الفلقة في الشوارع بحجة أننا نخفي قيادات الجماعات الإسلامية ولا نريد أن ندلهم عليهم.

ويؤكد علي طه محمود بائع خضار: أن الضباط أضاعوا رأس ماله عندما ألقوا بعربة البطيخ في الطريق وقاموا بضربه وإجباره على انتحال اسم سيدة لكي يتركوه، وهو منذ ذلك الوقت لا يغادر منزله خوفاً من أن يقوم الضباط بإجباره مرة أخرى على ترديد اسم والدته أو جعله يرتدي ملابس السيدات مثلما حدث مع كثيرين.

أما صابر عبد الرحمن والذي نال بشهادة أهل القرية أكبر نصيب من الضرب على يد الشرطة؛ فيؤكد أن قوات الشرطة قامت بالقبض عليه هو ورمضان قطب ومحمد شرف ومحمد فتحي لمجرد أنهم تأخروا عن ميعاد حظر التجوال حيث كانوا داخل محل الحلاقة، ونصبوا لهم الفلقة في الطريق وانهالوا على أقدامهم ضرباً بالعصا منذ السابعة مساء وحتى الثانية صباحاً، وقيدوهم في السيارات حتى تركوهم للعودة لديارهم بعد أن أصبحوا عبرة لكل من يخالف قرارات الحظر.

ويضيف أحد المواطنين لم يذكر اسمه خوفاً من اضطهاد الضباط: أن قوات الشرطة قامت بنهب محله حيث قاموا بهجمة تتارية على الشاي والسكر والمواد التموينية والأرز والسمن وتركوا المحل خاوياً دون أن يدفعوا مليماً واحداً لهذه البضاعة، ويتساءل من أين له بسداد ثمن هذه البضاعة إلى أصحابها بعد أن التهمتها قوات الشرطة ولم يعد له سوى أن يبيع أثاث منزله لسداد ثمنها".

١٢ - ونقل شهادة أخصائية للطب النفسي عن آثار جرائم الشرطة ضد النساء والفتيات [١]:

"أرسلت الدكتورة سوزان فياض أخصائية الطب النفسي ومديرة مركز النديم الرسالة التالية لجريدة العربي نقتطف منها ما يلي:

---

[١] الكتاب الأسود (ص٧٣).

نرسل إليكم بشهادتنا الطبية المحزنة عن بعض أساليب التعذيب التي اتبعت في عدد من أقسام الشرطة وعن المشاكل الطبية والاجتماعية المستعصية التي ترتبت على ذلك، بل وعن الأسباب الواهية التي تدفع بعض الضباط لاستخدام أعنف الأساليب وأكثرها بشاعة. نتوقف بشكل خاص عند حالات النساء (الأمهات)، ففي عدد من هذه الحالات جرى تعذيب الأمهات بتجريدهن الكامل من ثيابهن أمام جمع من المخبرين الرجال بالطبع، وطرحوا أرضا وعذبوا باستخدام الصعق الكهربائي في أماكن حساسة من الجسد، بل وجرت السخرية منهن ومن شرفهن، وهددن بالاغتصاب، بل وصل الأمر أنه قد جرى استجواب طفلة يقترب سنها من مرحلة عمرية حرجة ١٣ سنة وهي عارية تماماً لمدة ساعتين، وفي هذه الحالة المحددة قام الضباط بإدخال خال الطفلة وعدد من الرجال سكان نفس الحي الذي جرى استجوابهم وتعذيبهم بنفس الطريقة علي السيدة العارية المطروحة أرضا كالذبيحة.

وفي حالة ثانية قام جمع من الرجال بإجبار سيدة صعيدية في الغالب لم ير زوجها نفسه جسدها حتى الآن، قاموا بنزع ثيابها كاملة وضربوها وعذبوها عارية تماماً هي وابنها وزوجة ابنها وطفله.

أما الضرب والتعليق فهو يعتبر أحد الوسائل التقليدية المعروفة، وكان من نتائجه في إحدى الحالات شرخ أمامي في الجمجمة وكدمات حول العينين وارتجاج بالمخ وكدمات بالفصين الصدغيين ونزيف داخل سائل العين، وهذا بخلاف الآلام المبرحة بالجسد والجاري فحص سبب استمرارها للآن، وأيضاً بخلاف الأمراض النفسية والعاهات المستديمة التي حدثت في تلك الحالة.

أما عن الأسباب الواهية التي يتعرض بسببها المواطنون للتعذيب فهي تتراوح بين الرغبة في معرفة مكان هروب أحد المتهمين بسرقات صغرى وهم عادة شباب صغير السن، ويجري تعذيب أمه وأبيه أو أفراد أسرته للحصول على اعترافهم بمكان هروبه، رغم أن القانون يعطي

الأب والأم الحق في عدم تقديم المعلومات في هذه الحالة، أو أن يقوم الضباط تحت ضغط أحد الشخصيات الهامة اجتماعياً بالانتقام من مواطن عن طريق تعذيبه وتدميره نفسياً.

وأخص بالذكر هنا حالتين نتج عن الأولى كسر بالفك وتبول ليلي وعجز جنسي بعد التعذيب بالكهرباء، والحالة الثانية لسيدة فلاحة مكافحة تعزق الأرض وتزرعها بنفسها لإعالة أسرتها المكونة من ستة أفراد وأسرة ابنتها التي توفى زوجها وترك لها طفلين ومنزلاً صغيراً وقطعة أرض صغيرة جداً.

والقصة أن عم الأطفال يصر على أخذهم وأخذ الأرض والمنزل وطرد أرملة أخيه لتذهب وتقيم مع والدتها، ولما رفضت الأرملة ووالدتها ترك الأطفال والأرض أبلغ أصدقائه في قسم البوليس فقاموا بالانتقام منها بضربها وبوضعها في خيار نفسي مستحيل وهو أن تخلع ملابسها بنفسها قطعة قطعة أو أن يرسل بها للحبس في زنزانة الرجال.

أما عن التبعات الطبية المترتبة على استخدام هذه الأساليب من الاعتداءات الجسدية فهي تتعدى الخيال، ففي الحالة الأولى أصيبت السيدة التي جرى عرضها عارية على رجال الحي بحالة نفسية حادة وامتنعت عن الخروج إلى الشارع كما أن إخوتها وأبنائها أصبحوا محملين بالشعور بالخجل والمرارة والرغبة المشروعة في الانتقام، كما أصيب شقيق هذه السيدة بحروق شديدة وتقرحات في أماكن الصعق بالكهرباء أدت إلى دخوله في حالة تسمم وارتفاع شديد في درجة الحرارة، أما الطفلة فأصيبت بصدمة نفسية لا يعلم إلا الله الآثار المترتبة عليها في المستقبل.

وفي حالة السيدة الصعيدية فقد أصيبت بحالة ذهول ومرض نفسي اضطررنا معه لإدخالها أحد مستشفيات الطب النفسي للعلاج وهي تستكمل العلاج الآن بمنزلها، أما زوجها الذي لم يترك صحيفة إلا واشتكى لها وهو يبكي طوال الوقت فقد أصيب بجانب الاكتئاب النفسي بارتفاع فجائي في ضغط الدم وشلل بالجانب الأيسر.

وفي الحالة التي أصيبت بكسر في الجمجمة وارتجاج في المخ، فبعد أن أدخل المريض أحد المستشفيات الحكومية لمدة عشرة أيام فقد خرج وهو مصاب بشلل في العصب الدماغي السادس وزغللة دائمة في العين وصداع شبه دائم وقلق يصل للعصبية وصعوبة في النوم ونسيان كامل ليوم الحادث والفترة السابقة واللاحقة له.

أما في حالة كسر الفك والتبول الليلي والعجز الجنسي فهذا المواطن يعاني من الشعور الدائم بالاكتئاب والمرارة والخجل ولا يستطيع الانتظام في عمله ويتشاجر مع زوجته وأبنائه لأتفه الأسباب.

أما السيدة الفلاحة فهي الوحيدة برغم شعورها بالاكتئاب وشعورها الدائم بالذنب بسبب قيامها بخلع ملابسها بنفسها فهي لا زالت تعمل وتعول أسرتها، وهي أحد الحالات المتكررة التي أمر وكيل النيابة بغلق ملف تحقيقها بعد أن رفضت الصلح مع الخصم".

١٣ – أخيراً: نقل حفظه الله القصة التالية:

"تعذيب مصاب بشلل الأطفال:

ذكرت نفس الصحيفة السابقة ما يلي:

واقعة تعذيب جديدة حدثت داخل قسم منشية ناصر ضد مواطن مصاب بشلل الأطفال، القصة بدأت يوم ١٢ أكتوبر الماضي داخل موقف سيارات الميكروباس أسفل كوبري منشية ناصر عندما حاول المواطن محمد بخيت أحمد الموظف بمستشفى سيد جلال الجلوس في المقعد الأمامي للميكروباس نظراً لظروفه الصحية إلا أن سائق السيارة رفض جلوسه بسبب رغبة أحد أمناء الشرطة في الجلوس في المقعد الأمامي، وعندما أصر الشاب على الجلوس قام أمين الشرطة (أشرف السيد جاد) بالاعتداء عليه رغم إعاقته، واشترك معه بعض اللصوص والبلطجية حتى سقط المواطن مغشياً عليه، لم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد قام أمين الشرطة بمساعدة عدد من البلطجية باقتياد المواطن إلى قسم منشية ناصر

وواصلوا الاعتداء عليه وشاركهم ضابط القسم النقيب عماد طاحون حيث قام بتجريد المواطن من ملابسه تماماً وحرض بعض المحتجزين داخل القسم على وضع آلات حادة في أماكن حساسة في جسده، ونتيجة التعذيب البشع أصيب المواطن في وجهه وصدره بجرح غائر وفقد القدرة على الحركة".

يقول الشيخ أيمن الظواهري بعد ذكره لما سبق [1]:

"هذا، ونحن لم نذكر هنا جميع الأحداث التي وقعت من إرهاب الحكومة للشعب، فليس غرضنا الحصر، وإنما ذكرنا بعض ما وقع من أحداث للدلالة على أن امتهان الشعب وتعذيبه وإذلاله هي سياسة ثابتة لحكومة مصر في عهد الفرعون حسني مبارك، وعهد من سبقه من الفراعنة، فهذه الأنظمة الحاكمة المرفوضة شرعاً والمرفوضة من الجماهير لا تستطيع أن تبقي يوماً واحدا في الحكم إلا بالإرهاب، الإرهاب القانوني باختراع القوانين الكافرة التي تقنن تعذيب الحكومة للشعب، والإرهاب المادي الذي يقع على رقاب أبناء الشعب وظهورهم".

---

[1] الكتاب الأسود (ص٧٥).

ج - قصص من سوريا:

لطواغيت سوريا تاريخ أسود مع المسلمين هناك سواء في عهد الطاغوت حافظ الأسد (النعجة) لعنه الله، أو في عهد الطاغوت بشار قتله الله، وقد أُلفت المؤلفات الكثيرة عن ما عاناه المسلمون هناك منها كتاب هبة الدباغ (خمس دقائق وحسب!) [١] تسع سنوات في سجون سورية من ديسمبر ١٩٨٠ - ديسمبر ١٩٨٩، وأيضاً كتاب (محمد سليم حماد)[٢] قضى ١١ عاماً في سجن تدمر، وغيرها من الكتب والرسائل واللقاءات التي تحدثت عن صنوف التعذيب والقهر والإذلال للمسلمين في سوريا، وسنذكر نماذج من تلك القصص والآهات لعل الكثير يستيقظ من غفلته عن هؤلاء الطواغيت المرتدين [٣].

١ - تقول هبة الدباغ موضحةً كيفية اعتقالها [٤]:

"كنت على سبيل المثال قبل يومين قد اصطحبت صديقتي المقربة وزميلتي في الكلية ماجدة ل. إلى سوق الحميدية لنشتري هدية ملائمة لعمتي المريضة، فشعرت وكأن ثمة من يتبعنا من محل إلى محل ومن شارع إلى آخر، فلما ركبنا الباص إلى (الخيم) حيث تسكن

---

[١] تقول هبة الدباغ في آخر كتابها وهي تبين سبب تسمية كتابها: (وعدت بالذاكرة إلى ليلة رأس السنة في بيتنا بالبرامكة قبل تسع سنوات بالتحديد.. ليلة أن اصطفت سيارات المخابرات على طول الشارع في منتصف الليل.. وسألني رئيسهم أن أذهب معه خمس دقائق وحسب، فانتزعوني من الحياة تسع سنوات كاملات.. دون أن أعرف سببا لذلك إلى اليوم!).

[٢] محمد سليم حماد، أردني، قضى ١١ عاماً في سجن تدمر الصحراوي في سورية، وذاق ورأى خلالها صنوف العذاب والهوان، الذي تُمارسه أجهزة القمع السورية بحق أبناء شعبها، محمد سليم حماد لم يكتم شهادته، بل أصدرها في كتاب، لتكون شهادة على وحشية هذا النظام.

[٣] هناك ألفاظ كثيرة باللهجة السورية الدارجة فتنبه عند قراءتها.

[٤] خمس دقائق وحسب (٩-)

عمتي تأكدت أن الشخص نفسه قد ركب وراءنا فتملكني الخوف جدا، وهمست وأنا لا أكاد أقدر على تحريك شفتي بمخاوفي لماجدة، فتبسمت وقالت: أنت موهومة وحسب!

وصباح هذا اليوم.. وعندما كنت أدخل الكلية كالعادة استوقفني عناصر الأمن فأخذوا بطاقة هويتي ودققوا فيها كما يفعلون كل يوم ثم أعادوها، لكنني ولما انتهت المحاضرات وقفلت راجعة إلى البيت مع ماجدة شعرت ثانية وكأن أحدا ما يلحق بنا، فلما أخبرتها بما أحس عادت فأكدت لي أنني موهومة، وأن الأمور كلها طبيعية من حولنا ولا داعي للقلق.

لكن القلق ها هو لا يزال يتملكني، وسكون الليل البارد كأنما يزيده فيه ويؤججه.. ولم يطل الأمر بي أكثر من ذلك بعد ذاك، فخبطة أبواب السيارات المفاجيء في الشارع أسفل منا، والجلبة التي تميز وصول رجال المخابرات مكانا ما، كانت كافية لتطرد كل وهم عن ذهني، وتدفعني وقد حسبت أن مداهمة جديدة أو اعتقالا لأحد المطلوبين سوف يشهده الحي الذي نحن فيه.. تدفعني لأهرع إلى النافذة أشع الخبر وأستجلي الحقيقة، لكنني لم أكد أبلغها حتى بلغ مسمعي طرق على باب بيتنا أشد ما يكون..

وبينا كنت ألقي نظرة خاطفة من النافذة فألمح عددا أصعب من أن أحصيه ساعتها من سيارات المخابرات تملأ الشارع، أتاني الصوت على باب البيت يصيح: إذا لم تفتحوا فسنكسر القفل بالرصاص! وبحركة آلية تناولت غطاء صلاتي فوضعته على رأسي وركضت باتجاه الباب بادئ الأمر، لكنني لم أعرف ما أفعل! أأفتح لهم والبنات كلهن نائمات؟ أصابني الاضطراب بالحيرة.. ثم وجدتني أهرع إلى فاطمة أكبرنا سنا وهي معلمة تشاطرنا السكن، فأيقظتها أولا وأنا أقول لها بلا وعي: هيا.. كأن المخابرات أتوا عليك! ثم لمح في خيالي أن شريكة أخرى في البيت معنا اسمها سوسن س. (خريجة كلية طب الأسنان وتكمل سنتها التدريبية في دمشق) قد نفذوا حكم الإعدام بأخيها صباح اليوم في سجن تدمر كما بلغها وأبلغتنا، فظننت أنهم إنما أتوا من أجلها..

خلال ذلك كان رجال المخابرات قد بدؤوا بخلع الباب والضرب عليه بالبواريد، فأسرعت فاطمة إلى حجابها فوضعته على رأسها وفتحت لهم، ودخلوا يا لطيف! شيء غير معقول! قفز واحد منهم إلى السقيفة فورا يفتشها، واندفع آخر إلى الشباك، وثالث في المطبخ، ورابع، وعاشر.. ولم نجد إلا أحدهم يقتحم الغرفة علينا، وما أن رأى مصحفا معلقا على الجدار حتى انتزعه ورماه على الأرض وصار يدوسه بقدميه كالمهووس، فيما راح آخرون ينبشون أمتعتنا وينقبون كل زاوية في خزائننا ونحن لا نكاد نستوعب لماذا أو ما الذي كانوا عنه يبحثون!

وفي غمرة المفاجأة سمعت واحدا منهم يصيح من الصالة: وهيبة دباغ. فتقدمت وكأنني ألج كابوسا مرعبا بالرغم عني وقلت له: ما عندنا هذا الاسم.

لكن قلبي انقطع من الرعب، وتأكدت ساعتها أنهم أتوا علي، فقال لهم رئيس المجموعة: أرجعوا كل واحدة إلى غرفتها وفتشوا الهويات.

فامتثلنا للطلب، ودخلنا غرفنا ونحن نرتعد، وتقدم عنصر مني وكأنه عسكري في الخدمة ليفحص هويتي، فلما نظر إلى اسمي فيها ثم إلى وجهي اغرورقت عيناه بالدموع، وقال بتأثر وهو يبكي: أنت بنت بلدي.. والله يعين. سألته: لماذا؟ هل هناك شيء! أجاب: الله بيصبر.. ماذا يمكن أن تفعلي؟ الله بيعينك. سألته وكأنني أهوي في بئر مظلم: لماذا؟ هل أتوا من أجلي؟ قال وهو يشيح بناظريه عني: نعم..

وذهب وأعطى الهوية لرئيس الدورية الذي كان ينادي (وهيبة دباغ)، فنظر هذا إلي بحنق وقال: بتقولي بكل عين وقحة أنه لا يوجد لديكم هذا الاسم! والتفت إلى عنصر آخر وقال له: خذها إلى غرفة لوحدها وفتشها جيدا".

٢- تقول هبة الدباغ في الفصل الثاني كفر سوسة:

"رحلة خارج الزمن يناير ١٩٨١ - ١أكتوبر ١٩٨٢ [١]:

بين يدي الجلاد! كان كل ما حولي يثير الفزع والاضطراب: هذا داخل وذاك خارج.. باب يقفل وآخر من أين لا أدري يفتح.. وكل قادم أو عابر يحمل بيده جهاز لاسلكي أو كبلا أو أداة أخرى للتعذيب..

وفي البداية أدخلوني على مكتب رئيس الفرع ناصيف خير بك، فأحسست وكأنني انتقلت إلى عالم آخر، فالغرفة واسعة دافئة أنيقة التأثيث، يمتد السجاد الفاخر على أرضها بمهابة، وقد توزعت عليه كنبات وثيرة، ومكتبة ومكتب فاخر يحتل تمثال لرأس الرئيس الأسد ركنا منه، بينما ينتصب في زاوية الغرفة القصوى تمثال برونزي آخر لرأس الرئيس بالحجم الطبيعي.

وأما المقدم ناصيف الذي كان منهمكا بمحادثة لاسلكية وقتها فلم يعرني أكثر من نظرة ازدراء بطرف عينه، وأومأ للعنصر أن يعيدني إلى مكاني وأكمل حديثه، ولم ألبث أن اقتادني ذاك ثانية إلى غرفة أخرى مقابل مكتب ناصيف، فوجدت مجموعة أشخاص مجتمعين على شاب مقيد يعذبونه ويحققون معه، وناصيف ممسك جهاز اللاسلكي بيده يتحدث فيه مرة ومع الشاب المسكين والعناصر مرة..

ولم يلبث أن أشار بيده إلى العنصر الذي أحضرني فجذبني ذاك من منكبي وأمرني أن أنتظر خارج الغرفة من جديد، وأنا كالنائمة لا أكاد أقدر على متابعة المشاهد المتجددة والوجوه المتعاقبة والأصوات التي تختلط الشتائم فيها بالاستغاثات والآهات!

---

[١] خمس دقائق وحسب (١٨ – ٢٢).

وسرعان ما عاد العنصر فأدخلني الغرفة ذاتها لأحضر تعذيب الشاب نفسه لعلي أخاف وأتكلم ما يريدون، كانوا أربعة أو خمسة يشتركون في التعذيب أمامي بالكابل والعصي والخيزران والكهرباء: ناصيف خير بك رئيس الفرع، والرائد عبد العزيز ثلجة وهو رجل ضخم الجثة بالغ الجلافة، وعناصر آخرون كان أحدهم لم يبلغ العشرين بعد مجندا من درعا كما عرفت لاحقا ينادونه حسين، ولم أعرف من كان ذاك الشاب ولماذا يعذبونه، لكنه كان يصيح طوال التعذيب ويستغيث مناديا: والله العظيم مو أنا.. ثم اعترف آخر الأمر لا أدري ليتخلص من مزيد من العذاب أم لسبب آخر فأقر أنه قتل أحد الضباط..

وعندما اشتد التعذيب عليه وكاد صراخه يصيبني بالانهيار، التفت إلى العنصر معي وسألته: لماذا أتيتم بي هنا؟ قال بسخرية: لا أعرف.. اسأليهم. قلت بانفعال: لا أريد أن أسألهم ولكن أنا ما عندي شيء لأعترف به ويضعوني في هذا الموقف فأتفرج على تعذيب الناس. ولم يزد العنصر عن أن هز كتفيه وابتسم متهكما وهو يقول: لا أعرف.. لا علاقة لي بأي شيء هنا!

واستمر الضرب والتعذيب حوالي نصف الساعة، أنهضوا الشاب بعدها مضرجا بالدماء والكدمات فكبلوا يديه ورجليه، وفيما اقتادني العنصر وراءه لأكمل كما يبدو رؤية المشهد، سحب الرائد ثلجة الشاب إلى رأس الدرج، ثم ركله برجله بكل قسوة، فتدحرج هاويا يئن، ونادى على أحد ما هنالك لينزله إلى المنفردة في القبو أسفل المبنى، وعاد فأمر العنصر ليدخلني إلى الغرفة مرة أخرى، فأوقفني في زاويتها، وجعل ناصيف وثلجة يتحدثان باللاسلكي لا أدري مع من، ثم خرج الجميع فجأة، ليعود الرائد ثلجة وحده ويغلق الباب كهربائياً بضغطة زر، فاستوى الباب بالجدار حتى لم أعد أدري من أين دخل ولا أين كان هذا الباب..

ومن غير أن يلفظ أي كلمة أو يسألني أي سؤال لم أحس إلا وصفعة مفاجئة تأتيني على حين غرة اصطدم رأسي من عزمها بالجدار وارتد، وصارت الدنيا تدور كلها في، وصرت أرى الرائد أمامي أربعة أشخاص معا، وأرى رأسي أسفل مني ورجلاي فوق الرأس وفوقي!

لم يزد عن أن قال: انظري.. إذا ما بدك تحكي ما بتعرفي ما الذي سيحصل لك. بساط الريح! خرج الرائد ثلجة برهة لم أكد أتمالك فيها نفسي حتى عاد مع ناصيف ورئيس الدورية التي أحضرتنا من البيت وشخص رابع لم أعرف من كان.

وابتدرني ناصيف يقول: وليك.. شو ما بدك تحكي؟ ما بدك تقري وتدلينا فين أخوك؟ قلت له: أخي ليس هنا. قال: إذا أين هو؟ قلت: لا أعرف الظاهر أنه ذهب ليكمل دراسته. وواقع الأمر فإن أخي صفوان كان قد أخبر أمي عندما زارته في الأردن وقال لها: إذا سألك أبي أين أنا فقولي له ذهب ليكمل دراسته في الباكستان. تذكرت ذلك بمجرد أن سألني عنه، ولم أكن أدري وقتها بأن أمي كانت معتقلة في نفس السجن معي، وأنه سألها قبل دقائق عن أخي فأجابت الجواب نفسه، والتقى كلامي مع كلامها في هذه النقطة، الأمر الذي أعفاني من التعذيب على ذلك السؤال..

ولكنه سألني بلؤم: أنت تعرفين بأن أخاك هنا، وسوف تأخذيننا وتدلينا عليه، أو على رفاقه والبيت الذي يجلسون فيه. قلت: لا أعلم أي شيء من هذا.. فنادى على أحدهم وقال له: اذهب وأحضر لها بنطالاً وأعطها إياه خليها تنستر وضعها على بساط الريح.

تقدم العنصر مني وطرحني على لوح من الخشب له أحزمة طوق بها رقبتي ورسغي وبطني وركبي ومشط رجلي، ولما تأكد من تثبيتي رفع القسم السفلي من لوح الخشب فجأة فبات كالزاوية القائمة، ووجدتني وأنا بين الدهشة والرعب مرفوعة الرجلين في الهواء وقد سقط الجلباب عنهما ولم يعد يغطيهما إلا الجوارب والسروال الشتوي الطويل، ولا قدرة لي على تحريك أي من مفاصل جسمي..

وبكل وقاحة صاح العنصر يقول: انظر سيدي.. أرأيت؟ قالت إنها ليست من الإخوان.. ولكن انظر كيف أنها منهم ومجهزة نفسها للفلقة ولا حاجة لها للبنطلون! حاولت دفع أي من القيود الجلدية عن مفاصلي فما استطعت.. وقبل أن أحاول إعادة لوح الخشب إلى استقامته طلبا للستر كانوا قد علقوه من جنزير مثبت به إلى السقف، وتقدم رئيس الدورية التي اعتقلنا وبيده خيزرانة طويلة رفيعة وسألني بلهجة تهديد صريح: شو ما بدك تحكي؟ قلت: ليس لدي أي شيء لأحكيه.

في نفس الوقت كان الرائد ثلجة فوق رأسي يجهز مولدا كهربائيا مربع الشكل موصولا بالفيش وله يد يدار بها وملاقط قربها مني وأطبقها فجأة على أصابع يدي.. وفيما هوى ذاك بالخيزرانة على بطن رجلي أطلق هذا شحنة من الكهرباء سرت كالنار في بدني، فقال دون أن يلتفت لصرختي: هه لسه ما بدك تحكي؟ صرخت: قلت لكم ما عندي شيء للحكي. قال ببرود: أرأيت كم كانت الكهرباء قوية؟ هذه أخف الموجود لدينا! قلت: حتى ولو كان، هل أعترف بأشياء أنا لم أفعلها! قال: لا.. أنت تكذبين وتخبين علينا.. بدك تقومي الآن تأخذينا وتدلينا على البيت الذي يسكن فيه أخوك ورفاقه وإلا فسنأخذك إلى تدمر!

وأقبل ثلجة هنا بصورة قربها من وجهي وسألني: هل تعرفين هذا الشاب؟ قلت: لا. قال: كيف؟ ألا تعرفين رفاق أخيك؟ قلت: لا. قال: لكن هذا رفيق أخيك الحميم.. هذا عبد الكريم رجب.. ألا تعرفينه؟ قلت بحزم وقد تأكدت لي الوشاية الرخيصة التي حيكت لي: لا.. لا أعرفه.

تبسم الرائد ثلجة ابتسامة صفراء وشرع يقرأ من مجموعة أوراق بين يديه بعين، وعينه الأخرى تتابع انفعالات وجهي: هبة الدباغ: منظمة مع الإخوان وتتعامل معهم.. اشترت لهم بيتا، وتعطي دروسا لسيد قطب في مساجد دمشق و.. صرخت بانفعال وأنا أسمع قائمة الاتهامات الكاذبة للمرة الألف: كذب.. كذب.. لا أعرف أي شيء تتحدث عنه.

دس الرائد ثلجة الأوراق بوجهي وهو يقول: ألا تري؟ هذا كله مكتوب هنا.. كله من اعترافات الرجب.. هو الذي تكلم عنك بهذا، وهو من الإخوان مائة في المائة ويعرف عنك كل شيء ولا بد أنك تعرفينه أيضا.. عدت إلى قولة كلا.. وعاد التعذيب من جديد، وصار رئيس الدورية يضرب قدمي بكل عزمه، حتى أصبحت الخيزرانة عندما تهوي عليهما تشق الهواء بصوت كالصفير، وجاء عنصر آخر بخيزرانة ثانية وجعل يشارك معه الضرب، فيما عاد عبد العزيز ثلجة فقبع فوق رأسي وجعل يكوي أصابعي بالكهرباء من جديد.

كان الألم أشد من أن يوصف.. وكنت في البداية أصيح: يا الله.. لكنني لم أعد أستطيع آخر الأمر أن أخرج صوتي، فصرت ألوح برأسي فقط ولم أعد أحس بشيء.. ووجدتهم بعد عشر دقائق تقريبا من الضرب المتواصل يتوقفون فجأة، ومع الشتائم والعبارات البذيئة طرق سمعي عبارة: إلى تدمر! وسرعان ما انفكت القيود عن مفاصلي، وسحبني عنصر من غرفة التعذيب عبر الممرات والسلالم ثانية إلى سيارة متوقفة عند الباب، ففوجئت برفيقتي ماجدة قد سبقتني إليها بحراسة عنصر آخر. أركبانا معا ولكنني لم أجرؤ أن أتحدث معها بشيء..

وانطلقت السيارة بحركة مسرحية إلى أن بلغت الباب الخارجي، فسألني من جديد: لسه ما بدك تحكي؟ أحسست وكأن أعصابي المشدودة تصيح كلها معي بصوت واحد: ما عندي أي شيء أحكيه.. أنا لا علاقة لي بأحد.. هل تريدون أن أكذب عليكم فقط؟ هل تريدون! توقفت السيارة، ولم يلبث السائق أن عاد بنا إلى المبنى من جديد، وأعادوني مرة أخرى إلى التعذيب.. وعادت نفس الأسئلة والاتهامات تطرح علي، لكن الضرب والتعذيب اشتد أكثر، وزاد عدد المشاركين بتعذيبي حتى لم أعد أستطيع أن أعرف عدد من حولي أو عدد المحصي والخيزرانات التي تهوي على رجلي، وبدأت أرى الغرفة كلها عصيا وخيزرانات، والناس فيها من كثرة أسئلتهم كالضفادع تنق وتنق بصوت واحد غامض، فلم أعد في النهاية أجيب على أحد!

وأتاني صوت الرائد ثلجة من جديد يقول: ها.. أنت إذا مسلحة.. انظروا إليها.. تدعي البراءة وتنفي أنها منظمة وهي ليست من الإخوان وحسب.. ولكنها مسلحة أيضا! أحسست أن تهمة أكبر تلفق لي هذه المرة فصرخت بعصبية: لا.. أنا لا علاقة لي بأحد.. وأنا لست مسلحة. قال: ولكن رفيقتك ماجدة هي التي قالت ذلك عنك. قلت: لا تصدقها.. أحضرها لتقول ذلك أمامي.. ربما قالت ذلك من خوفها حتى تنجو من الضرب. قال: لا.. رفيقتك لا تكذب.. هي أصدق منك.. تكلمت عن كل شيء وما تعذبت، وأنت إذا لم تتكلمي فستبقي تأكلي ضربا حتى تحكي.

وتقدم ثلجة من جديد نحوي وبيده بطارية كهرباء وضعها على فمي مباشرة وقال بلهجة التهديد: ألن تتكلمي؟ قلت: ما عندي شيء أحكيه.. مهما وضعت لي الكهرباء أو أطعمتني ضربا فما عندي شيء أحكيه ولن أكذب على نفسي.

وهنا صاح ناصيف بضجر: هيا أنهضها وأعطها ورقة لتكتب ما لديها من معلومات وسنرى بعدها. والتفت نحوي مهددا يقول: إذا لم تتحدثي بكل شيء هذه المرة فاعلمي أن لدينا عناصر الواحد منم كالوحش يسد الباب. وأضاف: هل تعرفين الشوايا الديرية كيف يكون شكلهم؟ إذا لم تعترفي فسأدخلهم عليك وسنرى بعدها!".

٣- قالت أيضًا [١]:

"الموت راحة المؤمن!:

أنهضوني عن بساط الريح فوجدت نفسي مبللة من غير أن أشعر، وكنت كأنما أغمي علي أثناء التعذيب فدلقوا علي سطل ماء حتى أصحو. تلّفت حولي كالسكرى فرأيت الغرفة

---

[١] خمس دقائق وحسب (٢٢ - ٢٥).

خلت تقريبا من الناس، وأدركت من خلال نافذة كانت فوق رأسي أن الدنيا قد أصبحت ليلا، فقدرت أن ساعتين أو ثلاث انقضت علي وأنا في التعذيب!

وبينا أنا لا أزال أحاول استعادة توازني جاء أحد العناصر بورقة وقلم وجلس أمامي يقول: انظري.. إذا حكيت فستساعدي نفسك، وإلا فستطمسي أكثر مما أنت طامسة. قلت له: ما عندي أي شيء أحكيه. قال: لا أحد يأتون به إلى هنا وما عنده شيء.. ولا أحد يصل هنا إلا إذا كان مذنبا. قلت له: ولكن أنا ليس لدي أي شيء. قال: أنت حرة. وأعطاني استمارة معلومات عامة عن دراستي ومدارسي ثم عن علاقتي بتنظيم الإخوان، أجبت بما أعرف وأعطيت الورقة للعنصر فذهب بها، ولم يلبث أن عاد الرائد ثلجة يلوح بها وملامح الغضب بادية على وجهه وهو يصرخ في: هل هذه أجوبة تلك التي أجبت بها يا أخت الـ... واندلقت كل الشتائم والعبارات البذيئة دفعة واحدة من لسانه وكأنها كانت تنتظر فرصتها للإفلات، وفي آخر عبارة أطلقها سمعته يقول: أنت تعرفين هذا البيت الذي يسكن فيه أخوك ورفاقه وبدك تدلينا عليه الآن لكن أنا أعرف لماذا لا تريدين ذلك، تريدين أن تماطلي بالوقت حتى يهربوا.. وسجل دون أن أرد عليه بعض الكلمات على الأوراق التي معه وخرج ولم يلبث أن عاد وقالوا خرج، ولم يلبث أن عاد وقال: إذا لم تتكلمي فسننزلك إلى القبو، والقبو إذا نزلت إليه لا تخرجي منه حتى تموتي قلت له: أحسن.. الموت راحة المؤمن!

قال بغيظ: وتجيبين بكل وقاحة وكل عين يخرب بيتك ألم تحسي كم أكلت من قتل؟ ألا تفكري في أن ترحمي نفسك وتعترفي لتخلصي من هذا العذاب. قلت له: لكن أنا ليس لدي أي شيء حتى أعترف به.. قلت لكم ما عندي شيء: في تلك اللحظة دخل ناصيف خير بك من وسمعني أقول ذلك جديد للرائد ثلجة، فابتدرني بتكشيرة ونظرة مرعبة وقال والشتائم البذيئة تسبق كلماته إذا لم تعترفي بكل شيء الآن.. مباشرة.. فسوف أعريك من ثيابك! صحت وقد هزني التهديد: لكن أنا ما عندي شيء أحكيه.

قال بلهجة الأمر: اخلعي جلبابك. وقفت هنا ونظرت إليه والخوف الحقيقي يغمر قلبي لأول مرة. قال ألا تريدين أن تخلعيه؟ أنا سأخلعه لك. وتقدم مني فمد يده يريد أن يفك أزرار الجلباب فما وجد شيئا. ففي تفصيلة ذلك الجلباب كانت الأزرار مخفية، فحول يده وأنا أحاول مدافعته إلى رأسي لينزع حجابي فلم يستطع.. أمسكني من شعري تحت الحجاب وكان طويلا وقتها وملفوفا للخلف أمسكني منه وبدأ يشده فينجذب رأسي كله من غير إرادة مني إليه، ثم يعود ويخبطه بالجدار.. وسيل الشتائم البذيئة يرافق ذلك كله، لكنه لم يتمكن رغم ذلك من نزع الحجاب لأن غطاء الصلاة كان قد نزل في أكمامي عندما لبست الجلباب فوقه ساعة الاعتقال.. فصاح بي: وتقولي عن نفسك أنك لست من الإخوان وثيابك كلها ملتصقة ببدنك التصاقا والجلباب أزراره سرية ومخفية ومجهز آخر تجهيز!.

ومع استمرار صمتي وسيل الشتائم منه نادى أحدهم ليعطيه الكبل أو الخيزرانة ليجدد ضربي، ووقتها كانت قدماي قد تورمتا من الضرب ولم يعد بإمكاني لبس الحذاء، فقال وهو يتناول ما طلب: لا تريدين الكلام؟ أنا سأريك وتقدم ليبدأ ضربي، فركضت بعفوية منه والتجأت وراء الطاولة فركض ورائي.. وبدأت أركض وأدور حولها وهو يركض ورائي ليمسك بي ويصيح: يخرب بيتك كل هذا التعذيب والضرب ولا زال فيك روح لتنطي وتركضي! ونادى الحاجب وقال له: أمسكها من عندك فلما تقدم العنصر وأمسكني صاح ناصيف فيه: خذها.. خذها تنقلع من وجهي.. خذها إلى المنفردة.. لا أريد أن أراها أكثر من ذلك.

لم أصدق أن حفل التعذيب قد انتهى ولم أعِ ما معنى أن أذهب إلى المنفردة إلا عندما دفع العنصر حذائي إلي وجذبني خارج الغرفة وجعل يقودني عبر السلالم والممرات ثانية نزولا هذه المرة وهو يقول لي: لماذا؟ لماذا لم تتكلمي؟ أما كان ذلك أفضل لك؟ كنت على الأقل رأفت بحالك.. انظري كيف انتفخ وجهك وازرقت يداك وتورمت رجلاك وأكلت قتل الدنيا حتى لم تعودي تستطيعين أن تلبسي حذائك. قلت: ما عندي شيء أحكيه. وأضفت وقد فاض بي الأمر ولم أعد ألقي بالا لكلماتي: الله لا يعطيهم العافية هؤلاء الظلام.. لكنه وكأنما

كان يؤدي دورا مرسوما لم يلتفت لعبارتي وأكمل يقول: لكن لو أنك كذبت عليهم كنت خلصت حالك. قلت: أنا لا أكذب وأعلم أن الذي يصدق هنا أو يكذب فنتيجته واحدة. سألني بدهاء: وكيف عرفت ذلك؟ قلت: لأنهم لم يصدقونني.. قلت لهم الحقيقة فلم يصدقوا فكيف سيفعلون إن أنا كذبت عليهم!

كنا قد وصلنا باب القبو أخيرا، فوجدت حسين.. العنصر الذي كان يشارك قبل قليل في تعذيب الشاب في الأعلى يطل علينا بوجه مظلم وقد فتح فمه على ابتسامة سخرية تكشف سنا مقلوعة في الوسط فكأنها نافذة في بيت خرب.. استقبلني وبيده كبل يتلوى مثلما تلوت كلمات الترحيب الساخر على فمه وهو يقول: أهلا.. أهلا وسهلا.. والله نورت!

أمسكني حسين من كتفي وأنزلني الدرجات الخمس إلى أسفل، واقتادني من جديد عبر الممر المعتم إلى ثاني زنزانة منفردة في ممر آخر لا يكاد يبدو آخره، وقال وهو يشير إلى الداخل هذا مكانك.. غرفتك العامرة.. وان شاء الله نومة هنية!

أحسست بالنفور من الظلمة ووحشة المكان وكنت لا أزال متوترة الأعصاب جدا فقلت بلا وعي: لا والله.. لا أدخلها أبدا! قال وهو يدفعني إلى الزنزانة بغلظة: إي بدك تدخلي بكسر رأسك.

التفت إلى أبواب الغرف الأخرى فلمحت صديقاتي زميلات السكن معي يطللن بوجوههن من طاقات الزنازين التي وزعوهن عليها، فركضت نحوهن وأنا أصيح: فاطمة.. فلانة.. فجذبني بقوة وهو يقول: تعالي.. تعالي.. هل تظنين نفسك في فندق أو في زيارة!

وفجأة سمعت من آخر الزنازين (رقم ٢٤) صوت أمي التي يبدو أنها سمعت صوتي أيضا فبدأت تدعو عليهم بصوت عال وتصيح: هؤلاء حريمات تتقوون عليهن يا ظلام.. ما عندكم رحمة! والله أنا طول عمري أسمع أنه لا رحمة في قلوبكم ولكنني أرى ذلك الآن بعيني!

بهرتني المفاجأة.. وركضت ثانية باتجاه مصدر الصوت وأنا أصيح بدوري: أمي هنا؟ الله يخرب بيتكم.. ماذا تفعلون بها؟ إخوتي صغار وأبي مريض.. ولا حول جميعا لهم ولا قوة.

فناداني حسين وهو يقهقه بسخرية: وما حاجتنا لأبيك وإخوتك؟ نحن نريد أمك فقط! وذهب فأغلق نوافذ المنفردات جميعا ثم عاد يدفعني إلى المنفردة وأنا أحاول المقاومة وأتكىء على زاوية الباب، فقال لي مهددا: إذا لم تدخلي الآن فسأحضر كل عناصر الفرع ليدخلوك. قلت: المكان معتم جدا! أجاب بسخرية: أنت الآن ستنورينه.. هيا ادخلي.

نظرت فإذا بعلبتين من الصفيح في زاوية الزنزانة واحدة فيها خبيص من أرز أو برغل مع مرق وفي الثانية ماء.. قلت له: والله هذا مثل قن الدجاج.. وهذه والله مثل معاملة الحيوانات! قال: هذا عشاؤك الليلة إذا كان لك نفس لتأكلي فكليه. قلت وقد تملكني الغيظ: أنتم تعرفون أن الذي يدخل إليكم لا تعود له نفس ليأكل!

وهنا حضر عنصر آخر متقدم في السن كان يحسن معاملتي فيما بعد قدر المستطاع.. تقدم مني وقال بصوت منخفض: يله يا أختي ادخلي وتوكلي على الله ولا تتركي له مزيدا من الفرص ليسخر منك. فدخلت المنفردة وصوت أمي لا يزال يبلغ مسمعي.. ثم لم يلبث صوتها أن غاب وسط قهقهات العناصر وصياحهم وهذرهم، وعمت المكان رائحة الخمر وصيحات المجون احتفالا بليلة رأس السنة!!

فيما لفتني في وحدتي الظلمة ووحشة المكان فازدادت أعصابي توترا ولم أستطع حتى أن أغير جلستي، خاصة وأنهم أخذوا ماجدة بعدي إلى التحقيق وكان من الممكن أنها تعذب في تلك الساعة مثلما كان محتملا أن تقول عني أي شيء. وبقيت على هذا الحال إلى ما بعد منتصف الليل، حينما حضر أحد العناصر واقتادني إلى غرفة التحقيق من جديد".

٤ - **قالت هبة الدباغ عن أمها رحمها الله** - ووالله لقد بكيت عند قراءتي لهذه القصة - [١]:

"أمي والإضراب:

لم ينته اليوم الثاني علي من غير تحقيق جديد.. كنت خلال ساعاتي التي مضت في السجن قد أدركت مجمل ما يدور حولي، وتذوقت في أول قدومي أشد العذاب وأبشع التهديدات، فلما نادوني للتحقيق من جديد لم يكن هناك ثمة جديد! أعادوا طرح نفس الأسئلة وتوجيه نفس الاتهامات بنفس الطريقة ونفس الأسلوب.. وعلى مدار أسبوع كامل استمر البرنامج نفسه، ولم يتغير فيه إلا طريقة الضرب بعض الشيء! فمع الضرب بالخيزران والعصي أرادوا مرة أن يضعوني على الدولاب فلم يكن على مقاسي، فصار المحقق يعوض عن ذلك بالضرب بالخيزرانة وأنا واقفة، فطال بذلك كل جسدي، وزاد من بقع الألم وآثار المعاناة، ولكن شيئا في الأسئلة أو الإجابات لم يتغير!

أما في المنفردة فكانت المتغيرات مستمرة هناك.. والمشاهد المفجعة والحوادث المحزنة لم تتوقف: كانت استغاثات السجناء لا تكاد تكف ليلا أو نهارا.. والويل كل الويل لمن يضبطه العناصر وهو يصلي! كانوا يمرون عليهم بلا ميعاد، فإذا ضبطوا أحدهم من الطاقة يصلي أخرجوه فأوسعوه ضربا وتعذيبا بلا رحمة، وأما الكفر بالله والشتائم البذيئة فكانت ديدنهم حتى عندما يتخاطبون فيما بينهم، لكنهم لم يكونوا ولله الحمد يضربوننا نحن النساء على ذلك، وكنا نتمكن من الصلاة حتى تحت مراقبتهم.

كنت في بعض الأحيان أعطي ماجدة بعض الإشارات بالضرب على الجدار بيني وبينها، وإذا تأكدنا من خلو المكان من العناصر كنت أكلمها وتكلمني عبر الجدار، وأذكر أن عنصرا أحس بنا مرة نتحدث في الليل فنهض بسرعة وأتى نحونا يصيح: أنا أسمع صوتا..

---

[١] خمس دقائق وحسب (٣١ - ٣٣).

من هذا الذي يتكلم؟ وحتى لا تكون سببا في تعذيب أحد من الشباب قالت ماجدة بثقة: أنا. فسألها بغضب: مع من؟ قالت: مع صديقتي.. أهو حرام؟ ومرت الحادثة ولله الحمد بسلام.

وأما والدتي فلم تكن تدخر فرصة للإتصال بي إلا واغتنمتها، حتى ولو كلفها ذلك الكثير. كانت كلما أرادت أن تخرج إلى "الخط" توقفت عند زنزانتي وتعلقت بقفلها لا تريد أن تتزحزح حتى يفتحوا لها فتراني وتحدثني ولو كلمتين، فإذا ملوا أحيانا من سحبها ومدافعتها فتحوا لها الطاقة وقالوا: هيا شوفيها ولكن بلا كلمتين.. فترفض وتطلب أن يفتحوا الباب لها.. فيقولوا: ممنوع. ولم تلبث في اليوم الثاني من اعتقالها وبعد خروج بقية البنات من دوننا أن أضربت عن الطعام وعن الخروج إلى الحمام وحتى عن النوم حتى تراني.. ولم أدر بذلك إلا عندما حضر أبو عادل رئيس النوبة يقول لي: إذا التقيت أمك مرة ثانية فأعطيها دروسا في الدين.. قولي لها إن لجسدك عليك حقا.. ألم تدرسي ذلك في الشريعة؟ خليها تأكل. قلت له: هي أم وأنت تعرف كيف يكون قلب الأم.. والحق معها.

وفي اليوم الثاني ومع استمرارها بالإضراب أتى الأمر بالسماح لها أن تراني وأراها، فجاء أبو عادل ثانية وأخذني إلى زنزانتها وهو يذكرني بحديث الأمس، وقال وهو يدفعني إليها: مثلما اتفقنا.. قولي لها.. قلت له: ماذا أقول؟ هي حرة. قال: ألا تريدين أن تساعدينا لتفك إضرابها؟ قلت: ماذا يمكن أن أفعل.. ألا ترى وضعها؟ الله يعينها ويساعدها. فالتفت إليها بغيظ وسألها: هل رأيت ابنتك؟ ولم تكن رفعت نظرها إلي طوال ذلك الوقت لتقهرهم.. فقالت: لا. فقال: إذا ماذا تريدين؟ والله حيرتينا! قالت: أنت تعرف ماذا أريد.. وحتى يأذن الله.. هو أحسن منكم جميعا وهو أحكم الحاكمين.. وهو قادر على أن يقصف رقابكم!

فلم يجد ما يفعله إلا أن يضحك بغباء ويقفل الزنزانة عليها ويعيدني أنا لزنزانتي من جديد، لكن إضرابها كان والله أعلم سببا للتعجيل بإنهاء التحقيق معنا ونقلنا بعد ثمانية أيام قضيناها في المنفردة إلى المهجع، لننضم هناك إلى بقية النساء المعتقلات".

٥ - وقالت مبينةً آخر مرة رأت فيها والدتها [١]:

"إفراج.. ولكن إلى تدمر!

وذات يوم.. وبينما كانت الحاجة تحادث الشباب في الزنزانة المجاورة عبر الأنبوب أتاها من وراء الجدار صوت سائل منهم يسأل إن كان بيننا حمويات. فقالت له نعم.. فقال لها: يا خالتي نحن من حماة أيضا وسنخرج غدا إفراج، فلو كانت لدى أي من الحمويات رسالة لأهاليهن اكتبوها وضعوها في شق الطاقة ونحن سنسحبها بإذن الله أثناء خروجنا إلى الخط بطريقة لا تشعر العناصر ونوصلها لهم.

والذي تبين بعدها أن هؤلاء الشباب المساكين وعدوا بالخروج في اليوم التالي بالفعل ولكن الخروج كان في الحقيقة إلى تدمر! وفوجئنا عند الصباح بالمحقق يرسل وراء أمي بلا مقدمات أو سبب.. فتعود والدموع ملء عينيها تحدق في وتبكي.. فتملكني القلق والخوف عليها وهجمت أحضنها وأسألها ماذا حدث.. فقالت: أخبرني أنهم سينقلونني إلى فرع آخر اليوم ولكنني أظنه كاذبا.. وأحس أنهم سيطلقونني اليوم. وقصت علينا أن المحقق لما استدعاها ابتدرها يقول لها: جهزي نفسك وأحضري أغراضك بسرعة. فسألته: وابنتي؟ قال: ستبقى رهينة عن أخيها صفوان ولن تخرج حتى يسلم نفسه.. أو فاعتبري أنك لم تلدي هذه البنت وانسيها!

وجعلت أمي وهي تقص علينا ذلك تخلع ملابسها عنها وتعطينا إياها قطعة بعد قطعة، وما أبقت إلا ما يسترها وحسب لعلمها أنه ليس لدينا ما يكفينا.. وسألتنا إن كان أي منا يريد إرسال رسالة أو توصيل خبر عنه، فسارعت ماجدة وأخذت قلما من منيرة وكتبت رسالة لأهلها على ورق المحارم دستها أمي في كم سترتها، وأخذت تعانقنا وتقبلنا وتدعو لنا وندعو لها وخرجت..

---

[١] نفس المرجع (٤٥ - ٤٦)

ولم تكد تبلغ الباب عند السلم وهي تستحلف العنصر أن يخبرها بموعد خروجنا، كانت إجابته الساخرة ورجاؤها المتكرر يبلغ مسامعنا فيزيدنا ألما وحسرة، حتى انفلتت من بين يديه وقفلت راجعة، ففتحت طاقة الباب وسألت بسرعة تقول: نسيت هؤلاء الشباب جيراننا من بيت من كانوا؟ ولم نكد نخبرها حتى كان حسين قد وصل إليها فأمسكها من ياقة جلبابها وجذبها مغلظا لها في الكلام.. وهي ترد عليه الكلمة بأخرى والعبارة بأشد منها حتى خرجت.. وكانت آخر مرة أراها فيها رحمها الله".

٦ - يقول محمد حماد حاكيًا بداية تعذيبه [١]:

"حفل التعذيب:

لم يشأ الرجل القابع وراء المكتب أن يسمع مني المزيد كما يبدو، وأدرك كما فهمت لاحقاً أن الأمر لم ينضج بعد.. ولم ألبث أن سمعته يقول للعنصر الذي أحضرني من غير أن يدعني أنهي كلامي: خذه هال... اعمل كذا وكذا بأخته خليه يقر.

وسرعان ما انتزعني ذاك من مكاني وساقني في الممر الذي جئت منه إلى غرفة مجاورة، وأنا لا أزال على حالتي عارياً مقيداً مغطى العينين، ووجدت أيدياً قاسية تتناولني من جديد فترفع القيد عن يدي من الخلف، وتجذبهما للأمام وتعيد تقييدهما، ثم تعود الأيدي التي تمتد من كل اتجاه فترفعني من وسطي عن الأرض، وتتولى أيد أخرى جذب ساعديّ للأعلى.. وفي لحظة واحدة أفلتني الجميع، فوجدتني مشبوحاً كالذبيحة تماماً إلى السقف، ورجلاي تخبطان في الهواء ليس تحتهما شيء.. وبدأت أولى حفلات التعذيب!

---

[١] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (١٦ - ١٨).

كنت أيامها في مقتبل الشباب، وكانت عافيتي بحمد الله وافرة، حتى أن أحدهم ناداني مع ابتداء التعذيب ساخراً يقول: ولا.. هِنْت (أي أنت) بتلعب حديد؟ لكن عملية الشبح وحدها كانت كافية لتمزق أعصابي وتتلف جَلَدي، وتفقدني الوعي بعد عشر دقائق.

غير أن الأمر ما كان كذلك وحسب، فسرعان ما انطلقت تتناوشني مجموعة من الكبلات والعصي تجلدني كأسياخ النار، تبعتها من حيث لا أدري لسعات الكهرباء تتخير أكثر مناطق الحساسية في الجسد فتصعقها بلا رحمة: في الأنف مرة، ومرة في الشفتين.. في العورة.. في العينين.. في شحمة الأذن.. في كل مكان تتجمع فيه مراكز الإحساس ومواطن الشعور بالألم! انفجرت بالصياح من شدة الألم المتفجر فكأنما ازداد الجلادون انتشاء بذلك! وازدادت حدة اللسعات والصعقات من غير أن يسألني أحد أي شيء!

كنت أسمع وسط دوامة الألم صياحهم وهياجهم كالكلاب المسعورة حولي، ومن غير أن أبصر شيئاً أحسست أنهم ربما كانوا قرابة العشرة، ومع كل ضربة كانت تطرق أذني شتيمة جديدة وألفاظ كفر بالله تزلزل السماوات والأرضين..

ولم ألبث أن وجدتني وقد فاق الألم قدرتي على الاحتمال وحتى على الصياح أغيب عن الوعي تماماً، لأصحو لا أدري متى فأجدني في زنزانة منفردة ينهش الألم أطرافي وتشتعل الأوجاع نيراناً في كل ثنية من ثنيات بدني".

٧- وقال أيضًا وهو يبين معنىٰ بساط الريح لدىٰ هؤلاء الجلادين [١]:

"بساط الريح:

أما الحالة الأخرى من التعذيب فكانت على (بساط الريح). وهو لوح من الخشب يشدون المعتقل عليه من كل أطرافه بسيور جلدية، ثم يرفعون نصفه الأسفل الذي ارتصت

---

[١] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (١٩ - ٢٠).

عليه الساقان ولم تعودا تملكان أي فرصة للتحرك. وتبدأ الكبلات ذات النصال المعدنية تهوي على بطن الرجلين تنهشهما بلا شفقة، وتترك مع كل لسعة لها أجزاء من نصال الحديد في ثنيات الجروح المتفجرة، فإذا انتهى الضرب بقيت هذه النصال مع الدم المتجمد والجروح المفتوحة فتلتهب وتتعفن، فيتضاعف الألم وتشتد الأوجاع والمعاناة.

وأما الشتائم والكفر بالله فلم تكن تتوقف مع كل أنواع التعذيب. ولم أكن أنجو من هذه الحفلات الدامية إلا عندما يغمى علي، لأستيقظ وأنا في الزنزانة عاري البدن ممزق الأوصال مبللاً أرتجف من شدة البرد.. ولا أكاد ألتقط أنفاسي وألملم بقايا جَلَدي حتى يحين موعد التعذيب مرة أخرى، وتعود الكَبْلات تنهش لحمي من جديد، وتنقض ملاقط الحديد على أماكن متفرقة بالغة الحساسية من جسدي لتصعقني بالكهرباء.

ولأنهم كانوا يعرفون أن العورة لدينا أمر كبير فقد كانوا يتعمدون إهانتنا بالعبث بسوآتنا بطرف الكبل والعصي أثناء التعذيب، أو الإطباق بملاقط الكهرباء على المحاشم وإطلاق صعقات الكهرباء فيها، وكان ذلك في الحقيقة من أشد أنواع العذاب علي، ويبدو أن ذلك ما كنت أفقد وقتذاك الوعي بسببه وأغيب عن الوجود".

٨- قال محمد سليم حماد مبينًا أن مائة معتقل كانوا في غرفة واحدة حجمها حجم الغرف العادية يقول [١]:

"القمل والجرذان!:

ولقد كان من المضحكات المبكيات أننا ونحن في هذه الحالة من الجوع والضيق والمعاناة كان قضاء محتماً علينا أن نشارك الطعام والمقام ضيوفاً من مخلوقات أخرى تؤمن أن كرم الضيافة حق مباح بلا حدود! كانت الجرذان، والتي أقسم أن واحدها كان أكبر من القط بلا مبالغة، تربت على طعام المساجين الذي يحتجزه السجانون عنا ثم يرمونه في القمامة!

---

[١] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (٢٨ - ٢٩).

هذه الجرذان كانت تتنقل بين المهاجع من خلال قنوات التهوية رائحة غادية، وأثناء عبورها فوق فتحة المروحة التي كانت أعجز من أن تقدم شيئاً لهذا الجو الموبوء، كان بعضها يزلق فيسقط بيننا أو علينا، فيصاب المهجع كله بهستيريا الذعر، ويتراكض الناس يميناً وشمالاً يريدون أن ينجوا من عضة هذا المخلوق المرعب. ويتدافع الخلق.. ويعلو الصياح.. ولا تنتهي الغارة ويموت الجرذ تحت الأقدام إلا وقد نهش أرجل أربعة أو خمسة منا.

ومع احتشاد المهجع وتزاحم المعتقلين، وبسبب بعض السجناء القادمين من مواطن موبوءة أو غير نظيفة بالأصل، بدأت تتفشى فينا أعراض مرض السل، وانتشر فيما بيننا القمل، وإذا كان البلاء الأول قد أصاب بعضنا وقتذاك ولم يأخذ صفة الوباء، فإن القمل لم يوفر أحداً من بيننا أبداً، وانتشر في رؤوسنا وملابسنا وأمتعتنا حتى لم يعد من سبيل لتفاديه، وكنت أنا أكثر الناس الذين قملوا، وكان منظراً اعتيادياً ونشاطاً مشتركاً لسكان المهجع كل يوم أن نخلع ملابسنا ونتابع القمل فيها فنفقأه بأصابعنا كإجراء وحيد متاح للحد أو التخفيف من انتشاره!".

٩ - يقص محمد الحامد ليلة وصولهم إلى سجن تدمر وكيفية الاستقبال التي لاقوها [١]:

"أبو جهل!:

لم يكن سهلاً علينا في البداية أن نتكهن إلى أين نمضي، ولم يكن ممكناً لنا في نفس الوقت أن نتبادل الآراء أو أن ننبس ببنت شفة، لكن الوقت الذي طال علينا والسرعة المنتظمة التي أخذت السيارة تحافظ عليها أوحت إلينا أننا الآن خارج العاصمة نتجه إلى مكان بعيد، لم نلبث أن رجحنا هذه المرة أن يكون تدمر لا غير.

---

[١] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (٣٧ - ٤٢).

وبالفعل وفي نهاية المطاف توقفت السيارة بنا وسكن هدير محركها، وفتح الباب الحديدي علينا وأتانا الأمر بالنزول. سرت القشعريرة في بدني فور أن نزلت من السيارة ولسعتني قرصة البرد الصحراوي قبيل الفجر. ولم نلبث أن وجدنا العناصر الذين أتوا بنا يرفعون الطماشات عن أعيننا ويفكون القيود من أيدينا وأرجلنا ويرموا بها في السيارة لأنها عهدة الفرع هناك.

وبرغم الظلام الحالك إلا أن الأنوار التي تسلطت علينا كانت كافية لنرى أفراد الشرطة العسكرية يحيطون بنا ويجرون مع عناصر المخابرات إجراءات الاستلام والتسليم، ولنعلم من ثم أنه سجن عسكري ذاك الذي وصلناه.. وأنه لكل المعطيات التي اجتمعت سجن تدمر لا ريب!

لم يطل الأمر بنا لأكثر من ثوان معدودات حينما هجم عناصر الشرطة العسكرية علينا وبدؤوا يجذبون كل من تحرر من القيد منا فيركلونه ركلة يجد نفسه من فوره على باب صغير، ينتظره على جانبه شرطي آخر يجذبه بيديه كخروف تعس الحظ ويركله مرة ثانية ليلج الباب..

وهناك وما أن دلفتُ حتى استقبلتني لطمة شرطي ثالث حولت وجهي إلى الجدار، وتتابع وصول الإخوة الآخرين إلى الجدار بنفس الطريقة، حتى إذا اكتمل عددنا وانتهت الدفعة أحسسنا ووجوهنا إلى الجدار كلنا أن شخصاً مهماً قد حضر، ونادى أحدهم وفق الإجراء العسكري المتبع: حاضر سيدي المساعد. وانطلق من وراء ظهورنا صوت مساعد السجن أحمد كيساني كما علمنا لاحقاً أو أبو جهل كما سماه السجناء.. انطلق من غير مقدمات يلعن آباءنا وأجدادنا ويَفْجُرُ بحق أمهاتنا وأعراضنا وديننا..

كان مضحكاً مبكياً أن ينادينا هذا المجرم الوالغ في دماء الأبرياء يقول: يا خَوَن (أي خونة).. يا عملاء الصهيونية!! وانطلقت السياط من غير إنذار تسلخ جلودنا المكشوفة لهم، فإذا صاح واحدنا أو تأوه ضاعفوا عليه العذاب، لكن حفلة التعارف ما كانت لتبدأ من قبل أن نتلقى أصول الإتيكيت السائد! ولم ألبث أن طرق سمعي صيحة أبي جهل هذا ينادي عساكره: أحضروا هذا العرص أبو الجينز.

وكنت وقت اعتقالي ألبس بنطال جينز قدراً، فكأنما وجده نقطة علام تساعده على أداء مهمته.. وجذبتني الأيدي كملاقط الحديد ورمتني أمام سيادة المساعد، فلما رفعت عيني إليه أريد أن أستطلع الخبر صاح بي ملء صوته: غمض عينيك ولا. وهجم عناصر الشرطة عليّ فبطحوني أرضاً يركلونني ويجلدونني من كل اتجاه، وأتتني وسط هذه العاصفة لسعة كرباج على عيني رأيت الشرر والله خرج منها! وأدركت لاحقاً أن هذا الذي أصابني كان مجرد درس تعليمي لنا وحسب! فالقوانين هنا في سجن تدمر العسكري غيرها في أقبية المخابرات بدمشق، وإذا كانت التعليمات تقتضي هناك أن تبقى عيوننا معصوبة مطمشة على الدوام حتى لا نرى أحداً من المحققين أو الجلادين، فإنها هنا توجب علينا أن نكشف عيوننا وأن نمتنع رغم ذلك عن رؤية أي أحد منهم! ولو نزلت على واحدنا كبلات الأرض أو قطعت لحمه السياط فالواجب المحتم عليه أن يبقى مغمض العينين!

وتوقف الضرب فجأة بإشارة من أبي جهل، وأتاني صوته القبيح: رأسك بالأرض ولا وغمض عينيك. وساد المكان سكون رعيب لبرهة من زمن، فلما أدرك أن الدرس الأول وصل المجموعة كلها صاح من جديد: قل حاضر سيدي ولا. قلت ورأسي في الأرض وعيناي مغمضتان: حاضر سيدي. قال: كم عملية أنت عامل ولا عرص؟ قلت: ولا عملية سيدي. قال وكأنني أنا الذي أشتمه: ولا عرص.. بتكذب؟ وانهالت الكبلات والسياط عليّ من جديد، وجعلت أتلوى على الأرض كالذبيحة لا أدري أين المفر. والإخوة وجوههم كلهم إلى الجدار وصياحي وعواء الشرطة من حولهم وحولي يفتت أعصابهم ويفري قلوبهم.

ولم يلبث الدور أن تحول ونادى أبو جهل من جديد: واحد واحد من هون يا خَوَن (أي خونة) اطلعوا لبرة. وساقتنا اللطمات والكرابيج من جديد إلى باحة أخرى تتصدرها غرفة الذاتية، أجلسونا خمسة خمسة أمامها وبدأوا يدخلوننا واحداً تلو الآخر إليها، والشرطة خلفنا يركلوننا بأرجلهم أو يصفعون رؤوسنا بأيديهم ويلسعون ظهورنا بالكرابيج والكبلات وهم لا يكفون عن شتمنا وتوعدنا وتهديدنا: هلق بنفرجيكم يا خَوَن.. هلق بس تخلصوا يا ويلكم.. والله لنعمل... بأمهاتكم وأخواتكم.. والله الموت مصيركم يا..

ولم يكن الزبانية كاذبون في ذلك، فلقد اعتادوا قتل الناس بأنفسهم وفعلوا ذلك مرات لا تعد، ووفوا وعدهم في المستقبل وأزهقوا من أرواح الإخوة من نفس الدفعة عدداً ربما فاق من بقي منهم على الحياة!

التعليم!

لم يكن الفجر قد طلع بعد، والبرودة التي أطبقت علينا من كل اتجاه ونحن في ملابسنا الصيفية الخفيفة التي اعتقلنا بها زادت عليها برودة الإسمنت الذي أجلسونا فوقه ننتظر أن نلج غرفة الذاتية تلك، فلما حان دوري وقد كدت أتجمد رغم السياط التي أصابتني دخلت فوجدتهم يسألونني كالعادة عن اسمي وسني وعنواني.. وعلمت أثناء ذلك أننا اليوم في العاشر من شباط عام ١٩٨١، فلما علموا أنني أردني الجنسية ثارت ثائرتهم وانتفضت أوداجهم وانهالوا علي ضرباً ولكماً وشتماً بأقذع الألفاظ.

ولم يكن معنى ذلك أنها غضبة ساعة وحسب، فلقد تبين لنا لاحقاً أن الشخص الذي يلقى معاملة خاصة من هذا النوع ساعة استقباله في الذاتية فقد (تعلّم)، و (التعليم) معناه أن الشرطة قد ميزوه عن غيره لسبب ما، وأنه محتم عليه بالتالي الهلاك لا محالة.. في العاجل أو في الآجل القريب.

غير أن الله سبحانه قدر ولطف، وحدث أن تغيرت النوبة التي استقبلتنا في تلك الأثناء، وذهبت مجموعة الشرطة التي كانت علمتني وقتذاك وحضر آخرون فاتتهم هذه الملاحظة عني، فأنجاني الله من موت محقق! قصاص!

وانتهت إجراءات التسجيل، وصرنا الآن جزء من عهدة تدمر رسمياً، وعلينا أن نتلقى مراسيم الاستقبال الرسمي الآن.. فكل هذا الذي سبق تبين أنه لم يكن ضمن الحساب!

تجمع موكبنا الحزين خارج الذاتية، فإذا بنا أمام باب كبير كفم الغول.. أخذتني لمحة من عيني إلى أعلاه فهالني أن أقرأ قول الله تعالى مخطوطاً هناك: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ تحوطه شعارات النظام المعروفة (أمة عربية واحدة. ذات رسالة خالدة)!

دخلنا الباب ونحن نقرأ على الدنيا وراءنا السلام! ووجدنا أنفسنا في باحة إسمنتية تحيطها المهاجع التي أمرونا أن نصطف على جدرانها مُسْلِمين للوحوش رجال السَرِيَة كلهم ظهورنا بالاختيار! ولم يلبث الزبانية أن بدؤوا يسحبون الواحد منا تلو الآخر فيعرونه من ثيابه إلا الشورت، ويفتشونه مرة أخرى من باب الاحتياط.

وفي الوقت الذي يتولى قسم من الشرطة الإخوة المتجهين إلى الجدار بالضرب والجلد والركلات، وبينما يعلو الصياح وترتفع أصوات الاستغاثة ولا مغيث، تجذب الأيدي القاسية الأخ الذي تجرد من ثيابه وبات جاهزاً أو تدفعه فيختل توازنه ويقع على الأرض، ليكون الدولاب في استقباله واثنان من الشرطة العسكرية على جانبيه ينزلانه فيه، فترتفع الرجلان في الهواء، ويفقد واحدنا القدرة إذ ذاك على التحرك..

لكن الجلادين ولزيادة الاحتياط وتحقيق مزيد من الإتقان يربطان الرجلين بجنزير من الحديد تعدم أية فرصة لهما للتحرك قيد أنملة، ويبدأ الضرب من غير رحمة ومن غير عد، فإشارة الانتهاء لدى الوحوش أولئك أن تتفتح بطن الرجل وتسيل منها الدماء، فإذا تم ذلك فكوا القيد عن الرجلين وأخرجوا المعتقل من الدولاب وأمروه أن يفتح كفيه ليتلقى هدية أخرى.. وتنهال على الراحات سياط من الجلد العريض سمعنا أنها صنعت من حزام مروحة الدبابات! حتى إذا حل بالأيدي مثل الذي حل من قبل بالأرجل وتأكد الجلادون أن الدم الآن يسيل أمروا ضحيتهم بالانبطاح.. ولا يكون المسكين بحاجة لسماع الأمر لأنه منهار ومُنْتَهٍ بذاته، فيستقبل الأرض لا حول له ولا قوة..

وتلحق به السياط والعصي تأكل الآن ظهره وجنبيه: خمسون.. مائة.. وربما مائتا جلدة قبل أن يتوقف الزبانية، ويدخل الحفل مرحلته الأخيرة، فيقفز أحدهم فوق ظهر الضحية

ويلحقه ثان فيقلبه ويعلو صدره، ويأخذ كلاهما يعفسانه ويركلانه ويمسحان به نعالهما العسكرية الغليظة حتى تتكسر الضلوع وتتهتك بقايا الجلد السليم.

وتكون الدائرة قد مرت على الدفعة كلها، وسالت دماء الإخوة جميعاً ونال كل واحد منهم نصيباً من العذاب غير موصوف. ولكم فُقِدَ في حفل الاستقبال ذاك من إخوة وماتوا من غير أن يأبه أحد، ولكم خرج من هذا الجحيم من خرج كسيراً أو صاحب عاهة من غير أن يزيد ذلك الزبانية إلا سروراً وغروراً".

١٠ - **وقال أيضًا** شارحاً البرنامج اليومي في سجن تدمر لكي ترى عظم المأساة التي يمر بها المسلمون لدى هؤلاء الطواغيت والمرتدين الجلادين وللأسف علماء المسلمين ودعاتهم في غفلة تامة عما يجري والله المستعان يقول[١]:

"البرنامج اليومي يتكرر كاللازمة:

نستيقظ في السادسة، فنضب العوازل والبطانيات ونقبع فوقها صامتين واجمين، ولا يلبث أن يفتح الباب فننتفض جميعاً ونقف في حالة الاستعداد، وتخرج مجموعة منا لاستلام حفنة الطعام التي يعتبرونها الفطور مجازاً، فنزدردها بلا شهية، أو نجمعها في ركن الحمام من غير أن يقربها أحد.

وربما مرت على الواحد منا الوجبة والوجبتان والخمس وهو لا يمس من الطعام من قلة الشهية شيئاً، ولكم اضطر رئيس المهجع إلى رمي الطعام في الحمام لأن أحداً لم يأكله خشية أن يكتشف الشرطة ذلك فننال ما نحن بغنى عنه!

فإذا انتهى الفطور من غير مشاكل حان وقت التفقد، فنستعد ونأخذ حسبنا الله لساعة تعذيب لازم، وينال كل منا نصيبه المقدور، ونعود إلى جلستنا مترقبين حذرين، ولا يلبث

---

[١] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (٤٨ - ٥٠).

الشرطة أن ينادوا علينا للتنفس هذه المرة، فنخرج إلى الساحة مطرقي الرؤوس مغمضي العيون، يمسك واحدنا أخاه الذي أمامه من وسطه ويتبعه كالأعمى.. لتتلقانا الكبلات والعصي فتقودنا بالإكراه إلى حيث يشاؤون.

وترانا كقطيع مسعور نجري حول الساحة والكرابيج والكبلات والضربات تلاحقنا أنى اتجهنا، فإذا زلَّ أحدنا أو وقع تعثر به البقية وتكوم فوقه المتساقطون، فتزداد فرصة الشرطة لزيادة الضرب ومضاعفة العذاب، ويعلو الصياح وأصوات الاستغاثة، فتعلو عليها عبارات الكفر والشتائم البذيئة..

فإذا انتهى وقت التنفس وقادتنا الكَبْلات صوب المهجع من جديد، تكون على الباب ملحمة أخرى دامية، فمائة ونيف من هؤلاء البؤساء ليست أمامهم إلا فتحة هذا الباب لينفذوا منها.. عيونهم مغمضة فلا يستطيعون مشاهدة موطىء أقدامهم، والسياط والهراوات تلاحقهم من كل حدب وصوب... فتنحشر الأكتاف والرؤوس، ويسقط من يسقط تحت الأقدام، ويشج البعض بعارضة الباب الحديدية.. فلا تنتهي حفلة التنفس تلك إلا وقد دمي من بيننا أكثر ممن سلم، وأصيب أضعاف من نجا.

طعام ومنام!

وهكذا كنا نعود إلى المهجع لنلعق جراحنا بصمت، ونتأوه تخنقنا الحسرات والعبرات.. ويحين موعد الغداء بعد حين.. ولا يلبث أن يأتي من ثم العشاء، ونحصي إذا قدرنا نصيبنا الذي نلناه على مدار اليوم من الطعام فلا نراه يكفي لأن يسد رمق طفل صغير: صمونتان صغيرتان جافتان للوجبات الثلاث، ورشفة شاي على الفطور مع بضع حبات زيتون أو لحسة مربى أو حلاوة لا تملؤ ملعقة واحدة، ومرق أحمر للغداء لا يكاد يكفي لكي يبلل الصمونة التي فتتناها فيه، وبعض حبات الحمص المسلوق أو أجزاء من البطاطس المسلوقة للعشاء.. وحسب!

ولربما استُبْدِلَ البيض بالبطاطس مرات، أو شوربة العدس بالحمص المسلوق، لكن قلة الكمية وسوء النوعية كانت تثير فينا الشعور بالجوع أكثر من أن تلبي حاجتنا إلى الشبع! فنصيبنا من البيض إذا حضر لم يكن يتجاوز البيضة الواحدة لستة أشخاص، ومن الأرز ملعقة صغيرة واحدة للشخص، ومن اللحم أقل من رأس العصفور في المناسبات، وإذا أحضروا دجاجاً كان نصيب المهجع كله خمس أو ست دجاجات مقابل أكثر من مائة فم! حتى أننا بتنا نعتبر الطعام نوعاً إضافياً من العذاب ليس إلا! وصار اعتيادياً بيننا أن نأكل قشر البرتقال وقشر البيض والبطيخ ولا نرمي من الفضلات في القمامة شيئاً.

ولكن النهار لا بد وأن ينتهي، ويحل موعد النوم في السادسة، لكنه النوم الذي يحرم على صاحبه أن يتنعم بالنوم فيه! فالضوء داخل المهجع لا يطفؤ ليل نهار، والشرطة على السطح يراقبوننا باستمرار، ولو نما إلى سمعهم صوت همس أو حس حركة من بيننا علّموا صاحبها على الفور فكان نصيبه من العذاب في الصباح ما لا يسر!

ولقد كانت الصلاة وسط هذا الظرف نوعاً من التهلكة بالطبع، ولكم أخرج الشرطة رئيس المهجع وانهالوا عليه ضرباً يسألونه عمن يصلي عنده من المساجين ليدلهم عليه، ولذلك كنا نصلي إيماء من أول يوم، كل بسرّه وحده من غير ركوع أو سجود..

لكن النعمة التي وجدناها في ذلك المهجع كانت في الحمام، فلم يكن من رحمة الله للحمام شراقة تكشفه، ولذلك كنا نتوضأ آمنين، وننسحب إلى بطانياتنا فنستلقي تحتها ونصلي مومئين بسكون وهدوء".

١١- يقول محمد حماد عن الإعدامات التي كانت من النصيريين ضد المسلمين [١]:

"وذات يوم.. وكان قد مضى على حادث الإعدام بضعة أسابيع دخل علينا الشرطة وسألوا عن أسماء بعينها، ولم نكن قد عهدناهم ينادون أحداً باسمه من قبل، لكن أياً من هذه الأسماء لم يكن بيننا، وتكرر الأمر مرة بعد مرة.. فأحسسنا أن ثمة شيئاً مريباً يدور.. حتى كان صبيحة يوم جديد، حينما دخل الحرس ونادوا مجموعة أسماء من مهجعنا هذه المرة وقادوهم معهم، وكانوا قرابة الخمسة عشر شخصاً كلهم من حمص، ومضت حوالي خمس أو ست ساعات أحضر الشرطة خلالها الفطور والغداء معاً وأغلقوا الباب علينا من غير تفقد أو تنفس..

فلما عاد الإخوة وسألناهم أين كنتم قالوا في المحكمة، فتيقنا ساعتها أنها جد إذاً، وعلمنا منهم أن أحكاماً صدرت بالإعدام على أكثرهم، وسرعان ما وجدنا الإخوة المحكوم عليهم بالإعدام قد تغير حالهم.. وانصرفوا عن كل شؤون الدنيا انصرافاً تاماً.. وتوجهوا إلى الله سبحانه بكلياتهم يهيئون أنفسهم للقاء رب العالمين حتى كأن أحدهم لم يكن من أهل هذه الدنيا أبداً.

ولم ينقض شهران بعدها حتى طُلِبَ هؤلاء الإخوة للإعدام.. فكانت أول كوكبة من أهل الجنان إن شاء الله نودعهم من مهجعنا.. سائلين الله تعالى أن ينتقم لهم ويتقبلهم ويجعلهم في أعلى عليين.

مرحبًا بلقاء الله..

دخل الشرطة صبيحة ذلك اليوم المرير وقرؤوا أسماء المطلوبين فيما كانت إجراءات نصب المشانق وتهيئة مراسم الإعدام تتم في الباحة أمام مهجعنا مباشرة.. وكانت مفاجأة لنا أن

---

[١] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (٦٣ - ٦٤).

عدداً ممن تليت أسماؤهم كانوا قد خرجوا إلى المحكمة وقتها ولم يبلغوهم كالآخرين أنهم حكموا بالإعدام.. فلما سمع الإخوة أسماءهم وأيقنوا المصير تراكضوا إلى الحمام فتوضؤوا ومدوا شيئاً هناك وصلوا عليه تخفياً من الشرطة خشية علينا نحن لا على أنفسهم..

وخرج الركب أكثر من عشرة كأنهم غير الذين عرفنا كل هذه الأيام.. مطمئني النفوس.. مشرقي القسمات.. مقبلين بكل جوارحهم على الله راضين بقضائه.. واستطاع بعضنا أن يعانق عدداً منهم.. وخرج الآخرون حتى من غير كلمة وداع..

لا زلت أذكر من أسماء تلك الدفعة الإخوة حسن الصغير، وعبد الغني الدباغ، وبسام كالو وكلهم من حمص.

ولا زلت أذكر كأنه الساعة كيف أن الأخ بسام استيقظ صباح ذلك اليوم مبكراً وقال لإخوة حوله: رأيت اليوم مناماً. سألوه: خيراً إن شاء الله.. ماذا رأيت؟ قال: رأيت قول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.. ولم يلبث أن نودي للإعدام رحمه الله بعد ساعة أو أقل، فأحسسنا أن الله سبحانه حقق له منامه وتقبله وغفر له وأنزله الجنان إن شاء الله".

١٢- يقول حماد [١]:

"أرجوحة الشهداء:

وأقفل الجلاوزة الباب.. وساقوا الإخوة أول الأمر إلى مهجع في أقصى الباحة يسمى الورشة.. وعلمنا من بعد أن سليمان الخطيب يأتي بنفسه ليتأكد من الأسماء والأشخاص ويتلو عليهم ديباجة الحكم، ويأتي معه أو يتبعه مدير السجن الذي كنا نحس بقدومه من

---

[١] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (٦٣ - ٦٦).

صوت المساعد يقدمه بالازمة المعتادة قائلاً: إست.... رح.. استع.....د. الباحة جاهزة للتفتيش سيدي اللواء أو سيدي العقيد..

وبعد هذا الإجراء يبدأ الشرطة بسوق الإخوة إلى المشانق تباعاً، وعندما بدأ ذلك هرعت من فوري إلى شق صغير في باب مهجعنا فرأيت المشانق منصوبة على امتداد الباحة، والإخوة الآن وقد باتوا على حافة الردى يكبرون بأعلى صوتهم ويهللون.. ويساق أحدهم بعد الآخر مغمض العينين مكبل اليدين إلى المشنقة التي انتصبت على قوائمها الثلاث.. يتدلى منها حبل كحبال الغسيل البلاستيكية.. يخالف في هذه المواصفات وتلك الوضعية أبسط الشروط التي يفترض أن تتوفر في مشنقة الإعدام المخصصة للمجرمين! ورغم ذلك يؤمر الأخ بالجثو أمام المشنقة دون أن يدري ماذا أمامه، وعن جانبيه اثنان من البلدية ينتظران الإيعاز من الشرطي الذي يقف في مقابل الأخ، فإذا أشار إليهما تناولا حبل المشنقة فطوقا به رقبة السجين.. ثم تأخرا إلى الوراء فأمسكا بقائمة المشنقة، ولا يلبث الشرطي أن يصدر الإيعاز الأخير.. فيشد البلدية الخشبة.. وتنتصب المشنقة.. فيرتفع الأخ في الهواء بلمحة عين.. ويشهق شهقته الأخيرة وتزهق روحه خلال لحظات..

فإذا بدت منه حركة تدل على احتمال استمرار الحياة فيه تقدم عنصرا البلدية ثانية فجذبا الأخ وتعلقا به حتى يشتد إطباق الحبل على رقبته إلى أبعد مدى، ولا يلبث الطبيب يونس العلي أن يتقدم فيجس النبض، ويتأكد من الوفاة.. فتعاد المشنقة إلى وضعها، ويفك الحبل عن رقبة الشهيد.. ويرمي به القتلة جانباً بدم بارد، فيما يعد الشرطة الأخ التالي للإعدام، حتى إذا اكتمل العدد ونفذت الجريمة وتكومت الجثث، دخلت الساحة شاحنة عسكرية، وتقدم البلدية فحملوا أجساد الإخوة واحداً بعد الآخر وقذفوهم فيها.. لتمضي إلى حيث لا يعرف بمصيرهم أحد إلا الله. وفي هذه الدفعة قدرت أن أكثر من خمسين أخاً قضوا نحبهم.. نحتسبهم في عداد الشهداء الأبرار إن شاء الله.

العزاء..

غادر الإخوة إلى لقاء الله، وبقينا نحن في كربتنا ووحشتنا تلفنا حالة من الكآبة خانقة، والناس وكأن على رؤوسهم الطير.. ليس لنا إلا العبرات الحرى نطلقها بصمت وألم.. والتضرع إلى الله نرسله خافتاً مرتعشاً مع الزفرات.. وغاص كل منا في خواطر شتى.. فهؤلاء الذين كنا نأكل معهم قبل ليلة خلت.. ونصلي وإياهم الفجر قبل برهة.. هؤلاء الذين كنا وإياهم في سباق على حفظ كتاب الله.. نسمع منهم أو يسمعوا لنا.. وربما كان واحدهم قد بات ليلته الأخيرة بجانبنا، أو أرسل آخر ابتسامة له من وجهه الطلق وغادر وتركنا.. هؤلاء الذين نمت بيننا العلاقة عن غير سابق معرفة من قبل في أحلك الظروف وأقساها.. شهرين أو ثلاثة نتناوب على تلقي العذاب ومواجهة الهول معاً.. فكنا على قصر الأيام أكثر من إخوة وألصق من أشقاء.. هؤلاء جميعاً خرجوا من بيننا ولن يعودوا أبداً.. وغادروا الدنيا ولن نلقاهم إلى يوم الدين..

وترتد الخواطر إلى ذواتنا سريعاً، ونبدأ نسترجع شريط حياتنا نحن الذين لا نزال أحياء.. من طفولتنا البريئة.. إلى شبابنا الذي ما أن بدأ يزهر فينا حتى اقتطفته يد الظلمة من غير ما إنذار.. ويتجه الحوار في ذواتنا إلى المستقبل الآتي.. وأي مستقبل ذاك والمشانق ها هي لم تُحَلَّ حبالها بعد! وتختلط فينا مشاعر الشفقة بالشوق.. واللوعة بالخوف.. والإحباط بالرجاء.

ولا نجد في خاتمة المطاف ما نعزي به أنفسنا ونواسي جراحنا ونخفف من هول المصيبة علينا إلا الالتجاء إلى الرحمن الرحيم، والرجاء بأن يكون ذلك في سبيله فيقبلنا في الآخرة ويعفو عنا".

١٣- ويحكي حماد قصتهم مع القرآن فيقول [١]:

"مع كتاب الله:

وترانا نهرع من جديد إلى كتابه جل وعلا أنيسنا وبلسم جروحنا، ننكب عليه ونلتجىء إليه، ولقد أكرمنا سبحانه بعد أسابيع لم تطل بأخ حافظ لكتاب الله قدم إلينا مع حوالي خمسة عشر أخاً من دمشق كلهم من جماعة مسجد زيد بن ثابت، والأخ الحافظ اسمه محمد صنوبر من بلدة جديدة الذيباني قرب دمشق.. فكان سرورنا به أكبر من أن يوصف، وأقبلنا نتلقى منه السور والآيات ونحفظها، وكنت أنا والأخ هيثم عثمان برغم إصابته الشديدة نحفظ معاً، ونراجع ما حفظنا باستمرار، حتى بات كتاب الله شغلنا الشاغل..

ومن شدة همتنا وعزيمتنا أذكر أنني بتوفيق الله حفظت سورة الأنعام كلها في أربعة أيام، وكنت من قبل أن أعتقل أحفظ جزء عم وبعضاً من الجزء التاسع والعشرين وحسب.. فلما رأينا الإعدامات وقدرنا أن المنية قد دنت أحببنا أن ننهي الحفظ فنلاقي به وجه ربنا.. وفي عام ١٩٨٢ أنهيت والأخ هيثم ولله الحمد حفظ القرآن الكريم كله، وكنا أول من ينهي الحفظ من مهجعنا بفضل الله".

١٤ - ويبين المؤامرات في سجون هؤلاء الطواغيت [٢]:

"مؤامرة!:

ومرت الأيام.. وفوجئنا بواحد من الشرطة العسكرية صبيحة يوم تال يطلب أبا رشيد ويمضي به إلى حيث لا ندري، وعندما عاد بعد بضع ساعات كان في حالة يُرثى لها من أثر التعذيب، ولم يكن من طبع أبي رشيد الإكثار من الحديث، لكنه خصني رحمه الله بذكر ما

---

[١] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (٦٦).

[٢] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (٦٨).

جرى بحكم معرفتي السابقة به وصلتي الوثيقة معه.. ووقتها أخبرني أن ضباطاً من المخابرات أتوا للتحقيق معه حول علاقته برئيس الأركان حكمت الشهابي الذي حضر إلى فرع المخابرات من قبل – كما ذكرت – وحاول دفعه للاعتراف ووعده بالمساعدة، وكانت إعادة التحقيق مع السجين من أصعب الأمور عليه وقد ظن أنه انتهى من هذه المرحلة وطويت أوراق ملفه.. ورغم أن الشهابي حاول حقيقة الأمر أن يوقع أبا رشيد ويعين المخابرات عليه إلا أنه رفض الاعتراف بأمر يضره.

ولعب المحققون لعبة الإغراء ثانية معه ووعدوه بأن ينقذوه من الإعدام إذا اعترف بوجود صلة للشهابي معه فأبى، وعذبوه على ذلك أشنع العذاب فأصر على موقفه.. وأحس أن ثمة مؤامرة داخل أجنحة النظام تريد استغلاله لتصفية خصومات بينهم، فأبى بنزاهة المسلم أن يظلم حتى عدوه، وتحمل في سبيل ذلك أشد العذاب.

اليوم المقدور..

وانقضت شهور أخر، وتحسنت صحة أبي رشيد والتأمت جراح حفلة التعذيب تلك، ومضت حياتنا على نفس المنوال لا نخرج من هم حتى نقع في هم أشد.. ولا ننجو من تعذيب حتى يطولنا حفل تعذيب أشنع..

وفي شهر تشرين الأول أو تشرين الثاني من عام ١٩٨١ تم استدعاء دفعة جديدة للمحكمة الهزلية التي كانت أحد فصول التعذيب النفسي والجسدي معاً، وخرج في هذه الدفعة أبو رشيد ضمن حوالي أربعين أخاً من مهجعنا، ورغم أنه رجع من غير أن يبلغونه بالحكم إلا أنه أدرك أن الأمر انتهى... واستشف ذلك من كلام سليمان الخطيب الذي تربع على كرسي القضاء جوراً وظلماً، خاصة وأنه عاد وألح عليه لتوريط الشهابي، ووعده بإنقاذه من الإعدام إن فعل.. وأصر أبو رشيد وقتها على الرفض مهما كانت النتيجة.

وعاد أبو رشيد من المحكمة وقد نوى أن يبدأ الصيام من ساعتها وإلى أن يلاقي ربه، وقال بأنه لن يفطر حتى يخرج إلى الإعدام، وعندما حل ذلك اليوم المقدور بعد قرابة الشهرين كنت قد رفعت له شاياً وبعض الطعام من وجبة الفطور ليتناولها عند الغروب، فلما دخلوا ونادوا على أسماء المطلوبين للإعدام من دفعته لم يذكروا اسمه.. وتدافع الإخوة لوداع الأحبة وأغلق من ثم الباب.. وبينما نحن نترقب ناداني أبو رشيد رحمه الله وقال لي: أخي أبو سليم.. أراني اليوم متعباً.. هات ناولني الشاي والطعام لأفطر. قلت له: هاك وتوكل على الله. ووالله الذي لا إله إلا هو، لم يرشف أبو رشيد من الشاي رشفة وبدأ بالثانية حتى فُتِحَ الباب من جديد ونادى الشرطي فينا: حاضر. شيد عثمان. حاضر. رد أبو رشيد وكأس الشاي لا يزال بين شفتيه.. فأيقنا سبحان الله كيف أن رزق الإنسان المقسوم لا بد وأن يبلغه.. وأنه كان لا بد وأن يأخذ رشفتي الشاي هاتين لا تزيدان ولا تنقصان!

ولم يلبث أن قفز رحمه الله إلى زاوية من زوايا المهجع وبدأ يخلع عنه ملابسه وهو يكبر ويهلل.. وحينما لم يبق عليه إلا الشورت والشرطة على الباب يكادون يجنون مما يفعل ألقى إلينا بكل ما كان يرتدي لنستفيد منه، وخرج إلى الإعدام رحمه الله.

ولم أستطع هذه المرة التلصص من ثقب الباب بعد الذي حصل.. وسرعان ما انتهى تنفيذ الإعدام، ودخل الشرطة علينا فأخرجونا إلى الساحة وأشبعونا جلداً ولطماً حتى يمسحوا عنا أي أثر إيجابي تركته فينا تكبيرات أبي رشيد رحمه الله".

١٥- قال حماد [١]:

"الجرب:

وطالت المحنة كل أوجه هذه الحياة المرّة، فمع ازدياد العذاب والإعدامات انخفضت كمية الطعام المقررة للسجناء رغم أنها لم تكن تكفي لتقيتنا بالأصل، وصارت إدارة السجن تتعمد

---

[١] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (٧١).

قطع الماء عنا حتى أننا عانينا خلال صيف ذلك العام شهراً كاملاً من غير ماء، وكان موردنا الوحيد عن طريق بيدونات يملؤها الشرطة لنا وقتما شاؤوا وبالعدد الذي يريدون..

وقتذاك عمت القذارة المهاجع غصباً عنا وباتت رائحتها لا تطاق، ولم يلبث أن تفشى الجرب بيننا وانتشر انتشاراً كبيراً كنت أنا نفسي واحداً من ضحاياه.. والجرب كما هو معلوم مرض جلدي يصيب الإنسان بحكة شديدة في جلده سرعان ما تؤدي إلى تورمه وتقيحه.. وليس هناك مكاناً محدداً يكتفي به هذا الداء، فمن الممكن أن يصيب الرجلين واليدين والصدر والظهر والمحاشم ذاته..

وعلاوة على الألم الشديد الذي يسببه الجرب فإن انتقاله بين الناس المتجاورين أمر محتم، ولو لم يعالج المصاب فقد يموت من المرض.. ولقد حدث ذلك في مهجعنا ٢٦ الذي انتشر الجرب فيه مثلما انتشر ببقية المهاجع..

ولا أزال أذكر كيف دهم هذا المرض أخاً من دير الزور اسمه عبد الكريم الصالح، فالتهب جلده كله وانتفخ، وظل يعاني قرابة الشهر يصيح من شدة الألم وليس بيدنا شيء نقدمه لنخفف عنه إلا الدعاء، وعندما أبلغ رئيس المهجع الشرطة بحاله وكرر عليهم البلاغ لم يزيدوا عن أن أمروه أن يكف عن الشكوى وأن يتركه في المهجع ليموت!

لكن تزايد الإصابات وانتشار المرض في المهاجع الأخرى جعل إدارة السجن بعد حين تتنازل وتحضر للمصابين دواء الجرب، وتم تعيين مسؤول صحي لكل مهجع من السجناء أنفسهم تكون مسؤوليته تقديم تقرير بالحالة الصحية إلى طبيب السجن حتى لا يضطر ذاك إلى فحص المرضى بنفسه والتعرض لاحتمالات الإصابة بالعدوى منهم! وفي هذا السياق عُيِّنَ الأخ الطبيب قاسم موسى مسؤولاً صحياً لهجعنا.

ثم لما تزايدت الحالات أكثر فتحوا للمصابين مهجعاً خاصاً كما حدث أيام الكوليرا، لا رحمة بهم بالتأكيد وإنما خشية أن تنتقل العدوى إليهم، ورغم ذلك فقد مات بسبب الجرب

من مهجعنا وبقية المهاجع الأخرى عدد غير قليل من الإخوة، وقدر للأخ عبد الكريم الصالح أن يتعافى بالتدريج، حتى إذا شافاه الله بعد حين أتاه النداء، وسيق مع دفعة من دفعات الإعدام إلى الردى رحمه الله".

١٦- أموات تلو أموات..

يقول حماد [١]: "سحور!

ومضت الأيام.. وازدادت الأمراض وكثرت الوفيات.. حتى كنا نخرج في فترة من الفترات ميتاً من مهجعنا كل يوم! ولا زلت أذكر أنني كنت أنام بجانب الأخ كمال أندورة في ليلة من تلك الليالي الرهيبة، وكنت قد نويت صيام اليوم التالي، فنهضت قبيل الفجر لأتسحر، وكان كمال بعد أن اشتد عليه المرض في الفترة الأخيرة لا يستطيع النوم مستلقياً وإلا اختنق، فكان يتربع في مكانه ويستند رحمه الله إلى الجدار ويظل يكابد طوال الليل ويتأوه ويعاني، فلما نهضت لأتسحر وجدته ساكتاً على غير عادته، فجعلت أناديه بصوت خافت.. فلما لم يجبني وارتبت في الأمر دفعته براحتي، فوجدته يسقط ميتاً على الطرف الآخر..

ولم يكن وارداً وقتها أن أقوم بأي حركة تكشفني أمام الشرطة على سطح المهجع، فسحبت البطانية على وجهه بكل هدوء، والتفت فسحبت سندويشة كنت قد وفرتها من عشاء الأمس لتكون سحوراً لي ليلتها، فجعلت أدس اللقيمات في فمي دساً وأغص بهن، والأخ بجانبي مسجى لا روح فيه! وعندما استيقظنا صباحاً ومضينا لنغسله قبل أن يعلم الشرطة بموته وجدناه رحمه الله تخشب جسده وقد مضت على وفاته بضع ساعات.. حتى إذا انتهينا بعد جهد يكلله الرعب أخبرناهم بموته، فلم يزيدوا عن أن نادوا البلدية ليسحبوه.. وانتهى الأمر".

---

[١] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (٧٣).

١٧- ويحكي حماد قصصًا من إمعان الشرطة في الغي والإجرام فيقول [١]:

"أمر بالفاحشة!:

وأمعن الشرطة في إجرامهم وغيهم.. وزادوا في بطشهم وتفننوا في أساليب العدوان، فكم من مرة فوجئنا ونحن في ساعة النوم بواحد من هؤلاء السفهاء يطل علينا من الشراقة فوق السقف ويبول فوقنا عامداً متعمداً.. أو يبصق علينا مرة واثنتين وثلاث.. والويل كل الويل لمن رفع رأسه أو تململ في مجلسه!

ولكم أخرج هؤلاء الظلمة واحداً أو أكثر من بيننا في منتصف الليل ليتسلوا بتعذيبه من غير أي سبب.. أو اجتمع عليه الجلادون في حر الظهيرة فأوسعوه لطماً وضرباً وسحلوه على أرض الباحة وهم يضحكون!

وعلاوة على الكبلات والعصي والسياط التي كانت تنهش الجلود وتحطم الأضلع وتشوه الوجوه، عمد الزبانية إلى استخدام قضبان حديدية في ضربنا.. ويا بؤس من ناله من هذه القضبان ضربة! وإضافة إلى ذلك استخدم الشرطة القضبان ذاتها لتحطيم نفسياتنا.. فكانوا إذا حان يوم الحلاقة مثلاً دخلوا من باب الساحة السادسة التي تبعد عن مهجعنا عشرات الأمتار ورموا القضبان الحديدية على أرضها الإسمنتية لينطلق صوت ارتطامها بالأرض فيصلنا كأنه نذير الموت! ولم يكن الإخوة كلهم في درجة واحدة من الثبات وقدرة التحمل، فكان بعضهم ترتعد فرائصه إذا سمع ذاك الصوت ويبكي حتى من قبل أن يصل الجلادون!

غير أنه مما لا ينسى أبداً من مشاهد تلك الفترة يوم أن أطل أحد الحراس من شراقة السقف ونادى على أخوين شقيقين في مهجعنا وأمرهما بكل صفاقة وسفالة أن يخلعا ملابسهما ويفعلا الفاحشة ببعضهما البعض! ومع الضحكات الفاجرة والمسبات الدنيئة أصر المجرم على تنفيذ الأمر.. ولم يجد الأخوان إلا أن يجاريانه خشية أن يحدث ما لا تحمد

---

[١] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (٧٦).

عقباه.. فخلعا ملابسهما بالفعل.. والسفيه يلاحقهما ليفعلا أكثر وأكثر.. وأطرقنا نحن وأغمضنا عيوننا لا نكاد نصدق هذا المدى من الخسة الذي بلغه أولئك الوحوش.. وجعلنا نبتهل في سرائرنا أن يصرف الله الأذى وينجي الأخوين وينجينا من هذا الخسيس.

والكفر بالله والمسبات والشتائم تندلق علينا من فمه النجس ولا تكف، فلما أحس أنه ضحك بما يكفي وحقرنا بما يشفي غليل حقده ورحل.. أحسسنا وكأننا خرجنا من كابوس مرعب لا يوصف.. وأطرقنا صامتين لا نستطيع أن ننظر في وجوه بعضنا البعض ساعات عديدة.. ولم يفتح أحد منا سيرة ما جرى بعدها.. ستراً للأخوين وحفاظاً على شعورهما وكرامتهما، وكرامة وشعور أبيهما الذي كان نزيل المهجع نفسه! ولقد تكرر مثل هذا الحدث غير مرة، وأعاد هؤلاء السفهاء الطلب وأمثاله في أكثر من مهجع..

وكانوا يفتحون الباب علينا أو ينادون في التنفس واحداً منا ويقول الشرطي له: أنت يا... أنا بدي أعمل في أمك كذا.. شو؟ فكان المنادى يسكت أول الأمر ولا يجد ما يجيب به، فتأتيه لطمة أو ضربة من جلاده وهو يصيح به: كرر يا... أنا بدي أعمل بأمك كذا. شو؟ فلا يجد المسكين إلا أن يقول بذل وانكسار: أنت تريد أن تعمل بأمي كذا وكذا سيدي.. فإذا أشبع ذلك من صلف المجرم تركه، وإلا أمره أن يعيد ما قال ويُسمع به آخر من في الساحة أو في المهجع حتى تقر عينه الفاجرة وتسكن هواجسه الخبيثة".

١٨- يقول حماد [١]:

"جرعة لبن!:

مضت قرابة سبعة أشهر لم نعد نسمع فيها عن تنفيذ أحكام إعدام حتى ظننا أن الأمر انتهى ولم يعد هناك المزيد، ورغم أننا لم نجد لذلك تفسيراً إلا أن مشاعرنا مع مرور الأسابيع والشهور جعلتنا نعتقد في أنفسنا توهماً وتأميلاً بأن الإعدامات انتهت، وأن الفترة السوداء

---

[١] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (٨١).

من سجننا قد ولت.. غير أن الأمل سرعان ما تبخر كالسراب، وتكسرت أجنحة الحلم حينما فوجئنا ذات صباح بالمشانق تنصب من بعد الفجر بقليل، وبالشرطة يجوبون المهاجع ويسألون عن أسماء بعينها، ولم تلبث أصوات التكبيرات أن علت من جديد.. فأسقط بأيدينا.. وانهارت آمالنا الواهية.. وعدنا يلفنا الوجوم والترقب.. حتى إذا فتح الشرطي باب المهجع ٢٦ علينا انتفضنا كلنا وقد بلغت القلوب الحناجر واحتبست أنفاسنا.. وكل منا يتوقع أن يتلو الشرطي اسمه وينادیه للردى، لكن جلادنا لم يناد إلا اسم أخ واحد من بلدة سراقب اسمه عبد الحكيم العمر كما أعتقد، كان مدرس لغة عربية وملازماً مكلفاً حين اعتقل، وكان صاحب فضل علينا في المهجع بدماثة خلقه وحسن معشره، وبحلقات البلاغة والنحو التي واظبنا عليها حتى تعلمنا منه الكثير.. وقال له أن يضب أغراضه لأنه سينقل إلى مدرسة المدفعية بحلب حيث كان يقضي خدمته الإلزامية، ورغم استغرابنا من هذا الأسلوب الجديد إلا أننا قدرنا أنهم إنما أخروا إعدامه لأنه عسكري وحسب، وأن دوره الآن قد دنا.. وأدرك عبد الحكيم أنها منيته، وجعل رحمه الله يطوف علينا ويتفرس في وجه كل منا ويردد آخر كلمات له في هذه الدنيا سمعناها: سامحوني يا شباب.. واللقاء إن شاء الله في الجنة.

فلما وصل بتطوافه إلى مجموعة من أهل بلده كانوا شركاء في مجموعة الطعام في المهجع أوصاهم بأهله وأولاده، لكننا فوجئنا به وعيوننا تتابعه وقلوبنا تطوف معه يستدير نحوهم فجأة ويطلب بعض اللبن كانوا قد وفروه لفطورهم عند المغرب ليأكل منه.. وكانت آية والله رأينا فيها مصداق حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: ((نفث في روعي الأمين أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أجلها ورزقها)).

ووالله الذي لا إله إلا هو أخذ عبد الحكيم صحن اللبن وأكل منه، واتجه بعدها إلى الباب ونحن لا نصدق أنه مفارقنا، ومضى إلى الإعدام ونفسه رحمه الله تفيض بالرضا والاطمئنان، وكأنه ذاهب لملاقاة أحب الناس إليه!".

١٩- يقول حماد [١]:

"لا خضوع!:

وفي مهجع السل ٢٣ بالباحة الرابعة حيث كان قد اجتمع على إخواننا هناك كَرْبُ السجن وكَرْبُ المرض، أخرج الشرطة يومها أخاً مسلولاً من حلب اسمه يوسف عبارة للإعدام.. وقتها لم أكن قد انضممت للمسلولين بعد، لكنني سمعت القصة عندما صرت واحداً منهم بعد حين، فلقد نادوا الأخ رحمه الله إلى لقاء ربه قبيل صلاة الفجر.. فهرع وصلى مع الإخوة الفريضة ثم ودعهم ومضى إلى منيته مقبلاً على الله..

وكان من نزلاء المهجع نفسه أخ شاعر موهوب تفجرت مشاعره عندما أبصر الإخوة يساقون رتلاً طويلاً إلى المشانق، وانسابت مع دموعه ودموع إخوانه قصيدة رقيقة له حفظناها جميعاً وأخذنا ننشدها منذ ذاك يقول فيها:

وسار موكب الجناز في الصباح

مخلفاً وراءه الجراح

وراسماً مسيرة الكفاح

فلا حياة دونما سلاح

من قبلها نادى المنادي هاتفاً مجلجلاً

حي على الفلاح.. حي على الفلاح

***

[١] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (٨٤).

وسار موكب الشباب في خشوع

لم يعرفوا لغير ربهم خضوع

عيونهم تضيء كالشموع

تقول للأجيال لا خضوع

من قبلها نادى المنادي هاتفاً مجلجلاً

حي على الفلاح.. حي على الفلاح

وداع الأشقاء..

وتتابع نصب المشانق، وتكرر مشهد الزهرات تساق إلى حتفها على أيدي الزبانية الطغاة.. وكان من أشد المشاهد إيلاماً كما بلغني يوم أن سمع أخ من بيت العابدي من دمشق اسم أبيه يطلب للإعدام من مهجع مجاور.. ورآه يساق أمام عينيه من خلال ثقوب الباب فتزهق روحه على حبل المشنقة.. وكان الولد قد اعتقل مع أبيه وهو ابن خمسة عشر عاماً في مرحلة دراسته الإعدادية!

ولم يكن أقل إيلاماً يوم أن طلبوا فيما بعد اثنين من الشباب المعتقلين معنا للإعدام هما طريف حداد وملهم الأتاسي وكلاهما من حمص، وكان معهما في نفس المهجع شقيقاهما بشار حداد ومطاع أتاسي، وعندما تقدم بشار ليودع أخاه طريف ثابت الجنان قال له: اثبت واصبر.. واللقاء في الجنة. والحمد لله أن رزقك الشهادة. ولا تنسانا من الشفاعة.

كذلك خرج من بيننا أخ آخر للقاء الله في تلك الأيام العصيبة هو عبد الغني دباغ من حمص، ثم لم نلبث أن سمعنا بأن أخوين اثنين له في مهجع آخر أعدما بعد مدة وجيزة من الزمان".

٢٠- ويقول حماد [١]:

"نوبة قلبية:

ومن شهداء مهجع السل أيضاً تحضرني قصة الأخ محمد حسن عجعوج من حماة الذي كان من جماعة الشيخ مروان حديد الأوائل، والذي قامت المخابرات السورية باعتقاله من لبنان بعيد اعتقال الشيخ مروان، وأودع سجن المزة مع بقية من اعتقل وقتها، ومع تطور الأحداث وتصاعد موجات الاعتقال في بداية الثمانينات نقل الأخ حسن إلى سجن تدمر بعد المجزرة الكبرى التي حدثت هناك، وتنقل من مهجع ٩ إلى مهجع ١١ لألتقيه وقد أصابه السل آخر الأمر في مهجع ٣٥..

وهناك وفي يوم من الأيام وصل محمد حسن عجعوج نبأ استشهاد أسرته جميعاً أثناء أحداث حماة قبل أقل من عام، وسمع بأن واحداً من إخوته سُحِلَ في شوارع المدينة سحلاً، فلم يتمالك رحمه الله وأصيب بنوبة قلبية قضت عليه..

وصار أمراً اعتيادياً بيننا أن ننادي الشرطي صباح كل بضعة أيام ونخبره بوفاة أحد المرضى، ثم نلتفت إلى برنامجنا ذاته نكاد لا نحس تجاه الأخ الفقيد بالحسرة قدر إحساسنا بالغبطة أن قبضه الله إليه فاستراح من هذا العذاب".

٢١- قال حماد [٢]:

"هستيريا:

ومن مشاهد مهجع السل التي لا تنسى مشهد الأخ بسام الحافظ من حمص الذي فقد القدرة آخر الأمر على تحمل كل هذه العذابات والضغوطات النفسية وما عاد يقدر على

---

[١] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (٩٦).

[٢] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (٩٧).

تلقي المزيد.. فوجدناه في ليلة من الليالي ينهض وسطنا وقد احمرت عيناه فكأنما هما من دم أو نار وراح يطلق عقيرته بالصراخ والعويل، وكان الإخوة كلما حاولوا تهدئته ازداد انفعالاً وتأزماً، ودخل الشرطي المناوب يستطلع الأمر، وأمر المسؤول الصحي الأخ زاهي عبادي أن يسكته بالقوة، فلم يجد الأخ إلا أن يعطيه إبرة مسكنة هدأته بالتدريج.. وفي الصباح نادى الشرطي المسؤول الصحي ليخرج هذا الأخ إليه، فلما خرج المسكين انهالت الشرطة عليه ضرباً وجلداً وأعادوه يكاد يسلم الروح، لكنه وعندما حل المساء عاد وانتفض وكرر ما حدث ليلة الأمس، فعاد الأخ زاهي وأعطاه إبرة ثانية مهدئة، وعندما أتى الشرطي من جديد رجاه أن هذا السجين مصاب بالهستيريا ولا يملك من أمره شيئاً، ووعده أن يبذل أقصى جهده لتهدئته وعلاجه.. بعدها طلب زاهي منا أن نكف عن محادثة الأخ بسام، ونصبوا له في زاوية من زوايا المهجع ما يشبه الخيمة وأجلسوه فيها، وظل المسكين قرابة الشهرين معزولاً عنا لا يكلمنا ولا نكلمه بشيء.. أخذ خلالها يتحسن بالتدريج، ثم جرى نقله بعدها إلى مهجع آخر ولم نعد ندري ما الذي انتهت به الحال إليه".

٢٢- ويبين حماد تفريق النصيريين بين الإسلاميين والشيوعيين فيقول [١]:

"الشيوعيون المدللون!:

وإذا كان هذا هو حال البعثيين العراقيين معنا فإن الشيوعيين الذين أحسسنا بوجودهم عام ٨٤ كانوا في منزلة أخرى.. ففي ذلك العام تم نقل الأخوات السجينات في مهجع المستوصف إلى سجن آخر، ولقد أحسسنا ذلك من خلال توزيع السخرة، فوقتذاك وفي ظل الانفراج النسبي أوكلت إلينا مهمة توزيع الطعام على مهاجع الباحتين السادسة والسابعة، وكان المستوصف ضمن هذا النطاق، لكن "البلدية" الموكلين بجلب الطعام أعلمونا في يوم من الأيام بالتوقف عن تقديم السخرة لمهجع المستوصف، وكنا قبل يوم مضى قد لمحنا رتلاً من النساء يغادر المهجع وقد قارب عددهن العشرين أو زاد عليه، فأدركنا أنهن غادرن هذا

---

[١] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (١٠٢).

المكان، وسألنا الله تعالى لهن ولنا الفرج والنجاة.. فلما خلا المكان أتوا بالشيوعيين إليه، فكنا نلمحهم بعض الأحيان ونسمع بوجودهم، ولما انتقلت إلى مهجع ٢٩ لاحقاً صرنا متجاورين على باحة واحدة، وأصبح من الممكن لي أن أراهم بشكل متواصل وأطلع على وضعهم مباشرة.. وكان أمراً مثيراً للعجب أن حالتهم كانت تختلف عن كل بقية السجناء تمام الاختلاف، فكانوا يطلقون شعورهم، ويخرجون للتنفس بشكل دائم، ويتحدثون فيما بينهم ومع الشرطة بحرية كاملة.. ويدخنون ويطبخون ويستقبلون الزيارات بشكل متواصل، ولم نرهم يعذبونهم أو يضربونهم أبداً.. ولم نسمع بتنفيذ أحكام بالإعدام فيهم.. ولم يكن عددهم يجاوز الأربعين".

٢٣- يقول حماد [١]:

"تصفيات جماعية:

وما لا ينسى من أيام عام ١٩٨٤ المريرة أننا شهدنا فيها أحد أكبر عمليات الإعدام الجماعي إن لم تكن أكبرها على الإطلاق.. فبعد انقطاع تنفيذ الأحكام عدة أشهر في تلك الفترة فوجئنا بالمشانق تنصب ذات يوم في الساحة السادسة بأعداد كبيرة، وراح الزبانية يخرجون من الإخوة المعتقلين فوجاً إثر فوج إلى حتفهم.. يومها قدّر الإخوة الذين تمكنوا من مشاهدة جانب مما يجري من خلال شق في الباب عدد الذين أعدموا بمائتين من غير مبالغة، كان من بينهم كما بلغنا الأخ يوسف عبيد من دمشق، ومع تسرب الأخبار فيما بعد قدرنا أن تلك الإعدامات ترافقت مع حالة النزاع التي حصلت بين رأسي النظام حافظ الأسد وأخيه رفعت، والتي شهدت حشودات عسكرية حقيقية بينهما، وفسرنا ما حدث بأن رفعت كان يهيئ نفسه لاستلام الحكم بعد المرض الذي ألم بأخيه، ولذلك أراد أن يصفي أكبر قدر ممكن من السجناء وينهي كل خطر مستقبلي محتمل".

---

[١] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (١٠٤).

٢٤- يقول حماد [١]:

"بقرة أبي سليمان!:

ومن المضحكات المبكيات التي لا تزال عالقة بذاكرتي عن أيام المحاكمات وحكاياتها.. أن أخاً ممن عرضوا على المحكمة كان طبيباً بيطرياً من منطقة الساحل السوري وكان يعمل في قرية دريكيش مسقط رأس سليمان الخطيب رئيس هذه المحكمة الهزلية، ولقد حدث أن أهل سليمان الخطيب كانوا يربون الأبقار كما يبدو، فلما مرضت إحداها أخذوها قدراً إلى ذلك الأخ ليعالجها، لكنها ماتت بقدر الله بعد ذلك.. ودارت الأيام وإذ بالطبيب البيطري يقف أمام القاضي سليمان الخطيب نفسه، فلما عرفه اصفر واستفز وصاح فيه: آبتذكر يوم جبنالك البقرة وقتلتها ولا؟ روح بدي أعدمك.. ولقد تم إعدام الأخ المسكين بالفعل! وسمعنا القصة من عدد من الإخوة كانوا معه في نفس المهجع التقيناهم بعدها، سمعوا الرواية من الطبيب وشهدوا بأنفسهم إعدامه رحمه الله!".

٢٥- وتستمر المحنة.. يقول حماد [٢]:

"منع الصيام:

واستمرت المحنة تدور رحاها من غير رحمة، ولم يعد للأيام ولا السنوات في حياتنا معنى.. فالبرنامج اليومي لا يكاد يتغير، والعذاب والمعاناة لا تترك لواحدنا فرصة التقاط الأنفاس، والقتل والإعدامات قتلت فينا شهوة الحياة وأطفأت معنى المستقبل لدينا..

وهكذا حل عام ٨٦ متصلاً بمأساة الأعوام التي سبقته وواصلاً إياها لما بعده من أعوام تلت.. وفي بداية ذلك العام كان قد جرى نقلي إلى مهجع المسلولين ٢٩ في الباحة السابعة

---

[١] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (١١٠).

[٢] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (١١٣).

وصرت رئيساً له منذ ذاك، ولم يكن في الساحة التي عليها المهجع إلا مهجع ثان فقط هو مهجع ٣٠ إضافة إلى المستوصف الذي تم تخصيصه للسجناء الشيوعيين كما ذكرت، فكان نصيبنا من التنفس مضاعفاً، وبدل أن يكون مرة في اليوم كما جرت العادة فقد أصبح مرتين الآن صبحاً ومساء، ساعة في كل مرة بدل أن تكون نصف ساعة كما سبق، وهذا يعني مزيداً من العنت والقتل والتعرض لأذى الشرطة المتربصين.

ولقد اشتد أذى الشرطة في تلك الفترة زيادة عما هو عليه وتمادوا في عدوانيتهم، فكنا إذا خرجنا إلى التنفس في الصباح أو في المساء جهزنا أنفسنا لحفل كامل من التعذيب ينتظرنا، ولكم كان يحلو لهؤلاء الزبانية أن يبطحوا واحداً منا على الأرض ويأخذوا بالقفز على ظهره أو على صدره بلا رحمة، ولكم تكسرت أضلاع إخوة منا في هذا النوع من التعذيب..

ولا أنسى كيف قام واحد من هؤلاء الموتورين مرة بإخراج عضوه على مرأى الناس جميعاً وأخذ يبول علينا ونحن جالسين القرفصاء بين يديه في موعد التنفس!

وأما الجلد والضرب والمسبات البذيئة فهذه كلها لم تعد تدخل في الحساب لأنها جزء لازم من حياتنا على مدار السنوات التي خلت..

ومما لا يزال واضحاً في ذاكرتي عن ذلك العام أنهم منعوا فيه الصيام عنا في رمضان لأول مرة، فمن قبل كانوا يأتون لنا بالسحور والفطور بدل وجبات الطعام المعتادة، لكنهم وابتداء من رمضان عام ١٩٨٦ امتنعوا عن ذلك، وصارت الوجبات الثلاث على فقرها تأتينا في مواعيدها العادية، وصار ممنوعاً ادخار الطعام إلى الفطور أو السحور، فإذا أحسوا أن أحدنا صائم أخرجوه وقتلوه قياماً وقعوداً وأجبروه على الإفطار.. وهكذا صرنا ممنوعين من الصلاة ومن الصيام معاً. وزادنا الزبانية بذلك هماً جديداً وقهراً وعذاباً من نوع آخر".

٢٦- قال حماد حاكيًا معاناة الأسرى[١]:

"اختناق:

ومع اشتداد الكرب وتوافد المزيد من السجناء على المهاجع التي اكتظت بنزلائها حدثت في شهر آب من عام ٨٧ حادثة مثيرة.. ففي ذلك الشهر الذي يسمونه آب اللهّاب ارتفعت الحرارة بشكل غير معقول في الوقت الذي كانت التهوية في المهاجع منعدمة، والشراقات والنوافذ تجلب المزيد من السخونة ولا تقي من وهج الشمس شيئاً، مما تسبب في حادثة اختناق جماعي كادت تودي بأرواح العشرات.. ولقد بدأ الاختناق وقتها في مهجع السل ٣٦ قبيل المغرب وأخذ السجناء الذين شارفوا على الموت يقرعون الباب وينادون الحرس وقد طاشت منهم العقول وشارفوا على الهلاك.. فلما أتوا يسألونهم عما حدث صاحوا فيهم أنهم يختنقون.. لكن الشرطة لم يأخذوا الأمر مأخذ الجد وتلكؤوا في الرد عليهم، ففقد السجناء المساكين عقولهم وقد قاربوا أن يفقدوا أرواحهم جميعاً، وأخذوا يقرعون الباب ويدقون على الجدران ويرفعون أصواتهم بالصراخ والمسبات، وسرعان ما صدرت الأوامر للشرطة فانتشروا على أسطحة مهاجع الباحة كلها، وسلطوا الرشاشات الكبيرة ٥٠٠ مم على المهجع خشية أن يتطور الأمر إلى تمرد أو عصيان جماعي، ثم فتحوا الباب للسجناء ليخرجوا إلى الباحة..

وما أن فعلوا حتى اندفع الإخوة من غير وعي لا يلوون على شيء، وارتموا على الأرض يتلوون ويتقيؤون، وحضر طبيب السجن وقتها وتأكد من جدية الأمر، ولم يلبث أن صدر الأمر بإخراج سجناء المهاجع كلهم إلى الباحات تفادياً لتكرار الأمر، وبقينا يومها في الهواء الطلق حتى قرابة الساعة الثانية بعد منتصف الليل قبل أن يعيدونا إلى مهاجعنا، ومن يومها وعلى مدى أسبوعين تاليين ظللنا نخرج إلى التنفس مرتين في اليوم من غير ضرب أو تعذيب، وسمحوا لنا وقتها أن نرش أرض الباحة الإسمنتية بالماء للتخفيف من حدة الحر.. ثم لم تلبث

---

[١] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (١١٤).

هذه الاستثناءات أن انتهت، وعدنا إلى برنامج المعاناة نفسه، فنجونا من الحر القاتل ومن الاختناق ولكن إلى حين".

٢٧- قال حماد [١]:

"طلاق بالإكراه:

ومن مشاهد تلك الفترة التي لا تزال تحضرني قصة طبيب أسنان من دمشق اسمه رضوان العمر، استدعوه بعد حوالي تسع سنوات مضت على اعتقاله وأمروه في الذاتية أن يوقع على ورقة طلاق زوجته.. وذعر الأخ، ورفض أن يفعل.. لكن جلسة التعذيب التي أتبعت رفضه جعلته يوافق مكرهاً، فكانت من ثم القاصمة له، ووجد نفسه بعد هذي السنوات يفقد زوجه وطفله من غير إرادته ومن دون أن يعرف السبب، ومن قبلهما فقد شبابه وحريته مع ألوف من خيرة أبناء الوطن مثله.. ولا أدري ما الذي حل بالأخ بعدها، لكن آثار محنته الأخيرة تلك نزلت عليه كانت أثقل ربما من كل ما نزل به طوال سني اعتقاله، ولم يكن له ولا لنا أمام ذلك كله إلا التسليم والاحتساب".

٢٨- وقال حماد واصفًا الظلم والقهر الذي يمر به غالب المساجين [٢]:

"الفأرة!:

ولقد كان أمراً شائعاً منذ بدايات أيامنا في تدمر أن يأمرنا الجلادون بتناول بقايا الطعام من بين القمامة وأكلها عنوة، أو التقاط ذبابة أو صرصار يصادفنا في الباحة وابتلاعه، ولم يكن بعضهم ليتورع عن البصاق على الأرض وإجبار واحد من السجناء على لحس بصاقه بعده.. لكننا وعندما حان موعد الطعام في يوم من أيام عام ١٩٨٩ ووصل الدور على

---

[١] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (١١٨).

[٢] (محمد سليم حماد) ١١ عامًا في سجون تدمر (١١٨).

مهجع ١٨ المقابل لمهجعنا على الباحة الرابعة سمعنا لغطاً من هناك أثار انتباهنا، فأسرعت كعادتي وجعلت أسترق النظر من شق في باب المهجع أستطلع الأمر، فرأيت الشرطة منكبين على رئيس المهجع من بيت خريطة من الزبداني – وكان نقيباً في الجيش قبل اعتقاله – يضربونه ويركلونه وهو عاري الصدر بين أيديهم ويأمرونه بابتلاع شيء بالإكراه يحمله بيده، فلما دققت النظر وجدتها فأرة ميتة ينهالون عليه ضرباً ويجلدونه واحداً بعد الآخر وهم يأمرونه أن يبتلعها، والمسكين برغم كل هذا العذاب لا يستطيع أن يفعل.. حتى إذا اشتد عليه الضرب وأرهقه الجلد وخارت قواه دسوا الفأرة في فمه دساً وبلعوه إياها ورموا به في المهجع..

وكان يتولى كبر هذه العملية شرطي منهم كان يسمي نفسه أبا غضب، وكان أشد ما يحلو له أن يصفع الواحد منا بكفه التي تملؤ قدراً وتفيض فيكاد يخرق له طبلة أذنه وهو يقول بانتشاء: خذها من أبي غضب ولا! ولم تمض من الزمن برهة حتى دق رئيس مهجع ١٨ الباب وأخبر الشرطة بشيء لم أفهمه تماماً، لكنني عدت وسمعت أصداء حديث يدور حول الفأرة، وفي المساء حضر أبو غضب إلى مهجعنا ونادى على المسؤول الصحي لدينا وكان الأخ غسان عبد الباقي من حماة، وسأله ما الذي يمكن أن يحدث للإنسان إذا أكل فأرة.. هل يموت؟ وقتها لم يجد الأخ إلا أن يتملص من الإجابة ويقول له لا. قال له أبو غضب: انقلع. وأقفل الباب ومضى. ولم نتبين ما الذي جرى لذلك الشخص بالتحديد، لكننا أدركنا أن ضرراً أصابه، وأنه لم يكن بالضرر المعتاد، الأمر الذي جعلهم يعطون الأمر بعض الأهمية فيسألون ويستفسرون".

٢٩- ينقل حماد مقابلته لشاهد على مجزرة تدمر التي اقترفها النصيريون ضد المسلمين:

"شاهد على مجزرة تدمر:

قلت أن بعضاً من المهاجع كانت حينما وصلنا تدمر قبل أكثر من عشر سنوات لا تزال تحتفظ على جدرانها وأسقفها بآثار من مجزرة تدمر الكبرى في حزيران عام ١٩٨٠، ولقد حدث فعلاً وأن سمعت كباقي الناس عن المجزرة وأنا لا أزال في دمشق قبل اعتقالي ببضعة أشهر، ولقد تمكن وقتها أحد الإخوة من بيت وطفة من دمشق من أن يحصل على قائمة بأسماء الضحايا من ملفات وزارة الدفاع حيث كان يخدم جنديته الإلزامية، وأوصلها للإخوة في قيادة دمشق الناشئة وقتذاك، وتم كشف الأخ من بعد وإعدامه في سجن تدمر نفسه..

وكان العدد الرسمي كما أذكر في حدود الثمانمائة قتيل، لكنني طوال السنوات التي أمضيتها في سجن تدمر لم أجد بنفسي شاهداً على المجزرة، حتى جمعتني الأقدار في تلك الفترة بسجين يميني من حماة توطدت علاقتي معه، فقص علي أنه كان معتقلاً منذ عام ١٩٨٠ مع مجموعة من البعثيين العراقيين، وأن إدارة السجن فرزتهم منذ ذاك ووضعته في أحد مهاجع الباحة الرابعة بشكل منفصل عن سجناء الإخوان أو الاتجاه الإسلامي.

وذات ليلة صدرت الأوامر إليهم كلهم لينقلوا إلى مهجع ٢٩ في الباحة السابعة بشكل مفاجئ، وصبيحة اليوم التالي بلغت أسماعهم أصوات طائرات مروحية تحلق فوق المهاجع وتنزل في مكان قريب، ولم تمض برهة حتى بدؤوا يسمعون أصوات الرصاص وانفجارات القنابل وصيحات التكبير في الباحات المجاورة، ثم لم تلبث الأصوات أن هدأت، وعادت المروحيات فغادرت المكان، ولم يتمكن أي من السجناء الآخرين وقتها من معرفة ما حدث حتى تسربت أخبار المجزرة إليهم مع سجناء جدد حضروا بعدها وسمعوا بها من خارج الأسوار قبل اعتقالهم، وظل هذا الشخص على قيد الحياة حتى قدر لي أن ألقاه وأسمع شهادته..

ورغم أنني لا أدري ما الذي حل بهذا الأخ، إلا أنني أتمنى أن أراه يوماً على منصة الشهادة يروي قصته أمام محكمة عادلة، تعيد فتح ملفات الفظائع التي شهدتها جدران مهاجع تدمر وبقية أوكار المخابرات وسجونها وأقبيتها، وتطبق في كل الجناة حكم الحق، عل

أرواح الأبرياء التي أزهقت من غير ذنب تقر.. وترتفع عن هذا البلد غباشة الطائفية المقيتة والظلم والجبروت".

٣٠- أخيراً ختم محمد سليم حماد كتابه بقائمة ممن قضوا نحبهم في سجون سوريا فقال عن ذلك:

"ليس من السهل أبداً أن يصدر إحصاء حقيقي عن عدد شهداء سجن تدمر أو أسماء أولئك الشهداء، فالإرهاب الذي يحيط حياة المعتقلين ابتداء، والسرية التي تتم بها الإعدامات من بعد، وانقراض الشهود تلو الشهود، والتوتر والخوف والتنقلات، وانتظار الموت الدائم.. كل ذلك يجعل المعتقل ذاهلاً عن كثير مما يدور حوله، جاهلاً بما يحدث حتى خلف باب المهجع الذي يقبع فيه..

ومما رسخ في الذاكرة، وبعد تمحيص وتدقيق ومراجعة متكررة، أستطيع أن أثبت أسماء من شهدت إعدامهم بنفسي، أو سمعت أسماءهم تتلى من سجل المطلوبين للإعدام، أو بلغني من مصادر ثقة أن إعدامهم قد تم تنفيذه فعلاً، وغالب أولئك قضوا في سجن تدمر، وقليل منهم أعدموا في سجن المزة وحمل إلينا الخبر القادمون ممن عاصروا إعدامهم هناك.. وإني وأنا أسأل الله تعالى الرحمة والقبول للشهداء، أؤكد ما هو معلوم من الأمر بالضرورة، بأن عدد الذين قضوا على أعواد المشانق أو بأيدي الجلاوزة والزبانية أضعاف أضعاف هذا الرقم، وأعود لذلك فأهيب بكل أخ شهد هذه المحنة أو علم عنها مهما علم، أن يسجل ذاك الذي شهد، ويوثق ما علم وما وعى، عسى أن تكمل أمثال هذه الأعمال بعضها البعض، وتكمل الجهود المتعددة صورة الفاجعة، وتحفظ للأجيال مدى الشناعة التي اقترفتها الأيدي الآثمة، بحق أبناء القطر السوري المنكوب".

ونختم هذا الواقع بما قاله الشيخ الأسير أبو قتادة الفلسطيني فك الله أسره إذ يقول عن سجون هؤلاء المرتدين [١]:

"إن السجن في العالم المعاصر وخاصة في بلاد الردة لم يعد هو حبس فقط، حيث يوضع المرء في جبّ يمنعه من ممارسة بشريته في الحياة وحركتها؛ فيمنع من أهله وبيته وعمله، بل صارت السجون آلاما لا تقوى لها النفس البشرية بحال، وعلينا على الدوام أن نتذكر صنائع المرتدين مع المسلمين في كل وقت وحين، لتبقى قلوبنا ونفوسنا مليئة بالبغض لهم، وعدم التفكير البتّة بالعفو عنهم أو مسامحتهم، وإن أقل ما يحكم فيهم إذا ظفر المسلم بهم هو حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في حلفائه من بني قريظة، حيث حكم أن تقتل مقاتلتهم، وكل من بلغ منهم الحلم، وتسبى نساؤهم، وتغنم أموالهم، وهو حكم الله تعالى من فوق سبع سماوات، لأننا للأسف ما نراه من ضعف ذاكرة قادة الحركات الإسلامية مع خصوم الإسلام جدّ مؤلم، ولا تتلاءم مع طبيعة المعركة بيننا وبين هؤلاء المرتدين.

في تونس: عندما يسجن المرء بتهمة الانتماء للإسلام، وهي تهمة يكفي لإثباتها أن يصلي الشاب في المسجد، أو أن تطلق لحيته، فيؤخذ بعد عذاب لا يعلم مداه إلا الله ثم يصار به إلى السجن، وإلى هنا فالأمر يمكن تصوره، لكن هل يمكن تصور ما يصنع بعائلته بعد ذلك؟ في هذا الظرف تبدأ معاناة أهله في الخارج، حيث قال وزير الداخلية التونسي: سنتابع الإسلاميين وسنحاصرهم حتى تضطر نساؤهم إلى الأكل بأجسادهن.

وعلى هذا فلو أن أختاً جاءت ودفعت فاتورة الماء والكهرباء، وكان زوجها سجيناً بتهمة (الإخونجيّة) كما يسمونها هناك، فإنها تكون عرضة للمساءلة: من أين أحضرت هذا المال؟ ولا يرتاح لهم بال حتى تبيع الأخت نفسها تحت وطأة الحاجة وتكاليف الحياة.

---

[١] مقالات بين منهجين المقال رقم (٥٧).

فهل هذا هو السجن الذي يريدنا بعض المنهزمين أن نسارع بالذهاب إليه بأنفسنا حتى نجعل السجن مدرسة ترتقي فيها أفهام الإخوة، ومجالاً رحباً للدعوة إلى الله؟.

ثم يصبح ذنباً في هذا العصر إذا طالب المسلمون بإخراج المساجين؟ أهذه العقلانية التي يدعونا إليها؟.

صورة من الأردن لما يمارسه أفراد المخابرات مع السجين المسلم هناك: جردوا الأخ من ثيابه، ثم ألقي أرضاً، وقام ضابط من ضباط المخابرات الأردنية (ومن المهم التنبيه أن أغلب، إن لم يكن كل ضباط المخابرات وأغلب أفرادهم حجوا إلى بيت الله الحرام، وهم لا ينادون بعضهم البعض إلا بلقب الحاج فلان، بل أغلبهم يصلي وبعض أفرادهم خريج كلية الشريعة!!) وبعد أن ألقي أرضاً وهو مجرد من ثيابه، قام ضابط منهم (الحاج فلان) وخلع ثيابه من جهة عورته، ثم جعل يدير ذكره على لحية الشاب ورأسه وهو يقول مستهزئاً: دعنا يا شيخنا نتبرك منك!

هذا هو الواقع، ولتجرحنا الحقيقة بآلامها وقرفها.. فهل هذا هو السجن – يا قوم – هو الذي يجب علينا أن نسارع بالذهاب إليه، حسب وصية بعض المدارس والتيارات المنهزمة؟

هل نتحدث عن سوريا وحكامها البعثيين والقادة النصيريين؟ فنتكلم عن مآسي الأخوات المسلمات هناك؟ أو مآسي الشباب المسلم في داخل السجون؟ حيث يربط الأخ في غرفة كالقبر، لا يزيد ارتفاعها عن أربعين سم، وتكون بقدر جسم الإنسان طولاً، ويبقى فيها السجين لا الأيام والشهور ولكن السنين والأعوام.

هل سمعتم الدكتور محمد المسعري الناطق الرّسمي باسم لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية في الجزيرة العربية وعن معاناته في السجن وعمّا رأى وذاق وسمع؟. (وأقول أنا ما ذاقه

المجاهدون أكثر بكثير مما مر على المسعري وقد ذكرنا طرفاً من ذلك مع تقديرنا وأسفنا على الجميع، ولكن مشكلة المجاهدين أنهم لا بواكي لهم والله المستعان).

هل قرأتم ما كتب بعض المساجين المسلمين عمّا ذاقوه في سجون جمال عبد الناصر، وكيف وصل الحال ببعض المساجين إلى الجنون؟.

هل أصغيتم السمع إلى ما يحكيه البعض عن بطش وظلم صدام حسين وحزبه البعثي؟ وعن فنونه في ممارسة ساديته ضد خصومه؟.

إن من يعلم هذا أو يعرف بعضه أو قريباً منه، ثم يجعل من منهجه في إحياء دين الله تعالى أن يطالب الشباب المسلم بالذهاب إلى السجون باختيارهم، ثم يجرّم من يطالب بفك أسارى المسلمين، لهو جدير أن يدخل في عداد المجرمين وأعداء الدين، لا أن يصبح مفكراً وزعيماً لتيار يلتحق بركبه الشباب، لكننا والله نعيش زمن العجائب". أ. هـ.

الأدلة من الكتاب والسنة على فكاك الأسارى

أوجب الله سبحانه وتعالى على المسلمين تخليص إخوانهم من الأسر في أي مكان كانوا، ولو كان بالقتال، والأدلة على ذلك كثيرة، منها الأدلة الخاصة في فكاك الأسرى ومنها الأدلة العامة:

الأدلة العامة:

من يتأمل النصوص الشرعية العامة يجد أنها تحث على تناصر المسلمين وتعاونهم، وعدم خذلان بعضهم لبعض، وأنهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، يقول الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

قال القرطبي رحمه الله على هذه الآية [١]: "إنما المؤمنون إخوة: أي في الدين والحرمة، لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب؛ فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وإخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب".

وثبت في الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)).

وثبت فيهما أيضاً عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، ثم شبك بين أصابعه)).

---

[١] جامع أحكام القرآن (٣٢٢/١٦).

وثبت في الصحيحين أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه)).

وثبت في الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره)).

قال النووي رحمه الله تعالى [١]: "((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره)): أما كون المسلم أخا المسلم فسبق شرحه قريبا، وأما لا يخذله: فقال العلماء: الخذل ترك الإعانة والنصر، ومعناه: إذا استعان به في دفع السوء ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي".

وقال ابن رجب رحمه الله [٢]: "ومن ذلك خذلان المسلم لأخيه: فإن المؤمن مأمور أن ينصر أخاه كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((انصر أخاك ظالما أو مظلوما)) قال: يا رسول الله، أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما؟. قال: ((تمنعه من الظلم، فذلك نصرك إياه)) خرجه من حديث أنس، وخرجه من حديث جابر.

وخرج أبو داود من حديث أبي طلحة الأنصاري وجابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((ما من امرئ مسلم يخذل امرأ مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وتنتهك فيه حرمته، إلا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته)).

---

[١] شرح مسلم (١٦/١٢٠).

[٢] جامع العلوم والحكم (٣٣٣).

وخرج الإمام أحمد من حديث أبي أمامة بن سهل عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((من أُذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدره على أن ينصره أذله الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة)).

قال الإمام المناوي رحمه الله شارحاً لهذا الحديث [١]: ((من أُذِلَّ)) بالبناء للمجهول ((عنده)) أي بحضرته أو بعلمه ((مؤمن فلم ينصره)) على من ظلمه ((هو)) أي والحال أنه ((يقدر على أن ينصره أذله الله)) على رؤوس الأشهاد يوم القيامة. فخذلان المؤمن حرام شديد التحريم دنيوياً كان – مثل أن يقدر على دفع عدوّ يريد أن يبطش به فلا يدفعه – أو دينياً". أهـ.

وخرج البزار من حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((من نصر أخاه بالغيب وهو يستطيع نصره الله في الدنيا والآخرة)).

الأدلة الخاصة:

الدليل الأول: قول الله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الآيات.

قال القرطبي رحمه الله [٢]: "يريد إن دعوا هؤلاء المؤمنون الذين لم يهاجروا من أرض الحرب عونكم بنفير أو مال لاستنقاذهم فأعينوهم فذلك فرض عليكم فلا تخذلوهم، إلا أن

---

[١] فيض القدير (٦/٤٦ – ٤٧).

[٢] جامع أحكام القرآن (٨/٥٦).

يستنصروكم على قوم كفار بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليهم ولا تنقضوا العهد حتى تتم مدته.

قال ابن العربي: إلا أن يكونوا أسرى مستضعفين فإن الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة حتى لا تبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهم. كذلك قال مالك وجميع العلماء.

فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو، وفي أيديهم خزائن أموال وفضول الأحوال، والقدرة والعدد والقوة والجلد".

وقال ابن العربي رحمه الله [١]: "يريد إن دعوا من أرض الحرب عونكم بنفير أو مال لاستنقاذهم فأعينوهم فذلك عليكم فرض، إلا على قوم بينكم وبينهم عهد فلا تقاتلوهم عليهم، يريد حتى يتم العهد أو ينبذ على سواء – إلى أن قال – إلا أن يكونوا أسرى مستضعفين، فإن الولاية معهم قائمة، والنصرة لهم واجبة بالبدن بأن لا يبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم، حتى لا يبقى لأحد درهم. كذلك قال مالك وجميع العلماء.

فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو، وبأيديهم خزائن الأموال وفضول الأحوال، والعدة والعدد والقوة والجلد".

الدليل الثاني: قول الله عز وجل: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾.

---

[١] أحكام القرآن (٢/٤٤٠).

قال القرطبي رحمه الله [١]: "ولَعَمرُ الله لقد أعرضنا نحن عن الجميع بالفتن، فتظاهر بعضنا على بعض! ليس بالمسلمين، بل بالكافرين! حتى تركنا إخواننا أذلاء صاغرين يجري عليهم حكم المشركين، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال علماؤنا: فداء الأسارى واجب وإن لم يبق درهم واحد.

قال ابن خويز منداد: تضمنت الآية وجوب فك الأسارى، وبذلك وردت الآثار عن النبي ﷺ أنه فك الأسارى، وأمر بفكهم، وجرى بذلك عمل المسلمين وانعقد به الإجماع، ويجب فك الأسارى من بيت المال، فإن لم يكن فهو فرض على كافة المسلمين، ومن قام به منهم أسقط الفرض عن الباقين".

وقال الجصاص رحمه الله [٢]: "تدل على أن فداء أسراهم كان واجبا عليهم وكان إخراج فريق منهم من ديارهم محرما عليهم، فإذا أسر بعضهم عدوهم كان عليهم أن يفادوهم، فكانوا في إخراجهم كافرين ببعض الكتاب لفعلهم ما حظره الله عليهم، وفي مفاداتهم مؤمنين ببعض الكتاب بقيامهم بما أوجب الله عليهم، وهذا الحكم من وجوب مفاداة الأسرى ثابت علينا.

روى الحجاج بن أرطأة عن الحكم عن جده أن رسول الله ﷺ كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقلهم ويفدوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين".

الدليل الثالث: قول الله عز وجل ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً﴾.

---

[١] جامع أحكام القرآن (١٧/٢).

[٢] أحكام القرآن (٥٧/١).

قال ابن العربي في هذه الآية [١]: "قال علماؤنا: أوجب الله سبحانه في هذه الآية القتال لاستنقاذ الأسرى من يد العدو مع ما في القتال من تلف النفس، فكان بذل المال في فدائهم أوجب لكونه دون النفس وأهون منها.

وقد روى الأئمة أن النبي ﷺ قال: ((أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني))، وقد قال مالك: على الناس أن يفدوا الأسارى بجميع أموالهم، ولذلك قالوا: عليهم أن يواسوهم، فإن المواساة دون المفاداة".

وقال القرطبي رحمه الله [٢]: "قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: حض على الجهاد، وهو يتضمن تخليص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب ويفتنونهم عن الدين، فأوجب تعالى الجهاد لإعلاء كلمته وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده وإن كان في ذلك تلف النفوس، وتخليص الأسارى واجب على جماعة المسلمين إما بالقتال وإما بالأموال وذلك أوجب لكونهما دون النفوس إذ هي أهون منها.

قال مالك: واجب على الناس أن يفدوا الأسارى بجميع أموالهم، وهذا لا خلاف فيه، لقوله عليه الصلاة والسلام: ((فكوا العاني))".

وقال الشوكاني رحمه الله [٣]: "والمستضعفين مجرور عطفا على الاسم الشريف، أي مالكم لا تقاتلون في سبيل الله وسبيل المستضعفين حتى تخلصوهم من الأسر وتريحوهم مما هم فيه من الجهد، ويجوز أن يكون منصوبا على الاختصاص، أي وأخص المستضعفين فإنهم من أعظم من يصدق عليه سبيل الله".

---

[١] أحكام القرآن (١/٥٨٣).

[٢] جامع أحكام القرآن (٥/٢٧٩).

[٣] فتح القدير (١/٤٨٧).

وقال سيد قطب رحمه الله [١]: "وكيف تقعدون عن القتال في سبيل الله واستنقاذ هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان؟ هؤلاء الذين ترسم صورهم في مشهد مثير لحمية المسلم، وكرامة المؤمن، ولعاطفة الرحمة الإنسانية على الإطلاق.. هؤلاء الذين يعانون أشد المحنة والفتنة لأنهم يعانون المحنة في عقيدتهم، والفتنة في دينهم، والمحنة في العقيدة أشد من المحنة في المال والأرض والعرض؛ لأنها محنة في أخص خصائص الوجود الإنساني، الذي تتبعه كرامة النفس والعرض وحق المال والأرض".

الدليل الرابع: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((فكوا العاني وأطعموا الجائع، وعودوا المريض)) [رواه البخاري ومسلم]. والعاني: الأسير.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله [٢]: "قال ابن بطال: فكاك الأسير واجب على الكفاية. وبه قال الجمهور، وقال إسحاق بن راهويه: من بيت المال".

وقال الإمام المناوي شارحاً هذا الحديث في فيض القدير: "((فكوا)) خلِّصوا، والفكاك بفتح الفاء وتكسر التخليص، ((العاني)) بمُهملة ونون أي أعتقوا الأسير من أيدي العدو بمال أو غيره كالرقيق.

قال ابن الأثير: العاني الأسير وكل من ذّل واستكان وخضع فقد عنا.

قال ابن بطال: فكاك الأسير فرض كفاية وبه قال الجمهور.

وقال ابن راهويه: من بيت المال، ورُوي عن مالك وقال أحمد: يفادي بالرؤوس أو بالمال أو بالمبادلة". أهـ.

---

[١] في ظلال القرآن (٢/٧٠٨).

[٢] فتح الباري (٦/٢٠٥).

قال أبو بكر الجصاص [١]: "وهذا الحكم من وجوب مفاداة الأسارى ثابت علينا، روى الحجاج بن أرطأة عن الحكم عن جده: أن رسول الله ﷺ كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقلهم ويفدوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين.

وروى منصور عن شقيق بن سلمة عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: ((أطعموا الطعام، وأفشوا السلام، وعودوا المريض وفكوا العاني))، فهذان الخبران يدلان على فكاك الأسير؛ لأن العاني هو الأسير.

وقد روى عمران بن حصين وسلمة بن الأكوع: أن النبي عليه السلام فدى أسارى من المسلمين بالمشركين".

الدليل الخامس: ما ثبت في الصحيح أيضاً عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، هل عندكم من الوحي شيء؟ قال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهماً يعطيه الله عز وجل رجلاً، وما في الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟. قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر.

الدليل السادس: ما جرت به سنة النبي ﷺ على إنقاذ الأسرى وتخليصهم من العدو، ففي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه: أن النبي ﷺ "فدى رجلاً برجلين".

---

[١] أحكام القرآن (٥٨/١).

أقوال العلماء في فكاك الأسرى

لا بد أن نعلم أنه إذا وقع مسلمٌ في أيدي الكافرين أسيراً فالأصل أنه يلزم المسلمين النهوض لتخليصه من يدهم، وإن لم يدخلوا دارنا باتفاق الفقهاء، وقد ذكرنا الأدلة من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ على ذلك، وذلك أن الفقهاء أجمعوا على أنه يجب على المسلمين وجوب عينٍ النهوض لدفع الكافرين إذا دخلوا بلداً للمسلمين، وحرمة المسلم أعظمُ حُرمةً من حُرمة الدار.

وإليك بعض أقوال الفقهاء في تخليص أسرى المسلمين:

١- قال ابن قدامة رحمه الله [(١)]: "فصل، ويجب فداء أسرى المسلمين إذا أمكن، وبهذا قال عمر بن عبد العزيز ومالك وإسحاق، ويروى عن ابن الزبير أنه سأل الحسن بن علي: على من فكاك الأسير؟ قال على الأرض التي يقاتل عليها.

وثبت أن رسول الله ﷺ قال: ((أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني))، وروى سعيد بإسناده عن حبان بن جبلة أن رسول الله ﷺ قال: ((إن على المسلمين في فيئهم أن يفادوا أسيرهم ويؤدوا عن غارمهم))، وروي عن النبي ﷺ أنه كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار: ((أن يعقلوا معاقلهم وأن يفكوا عانيهم بالمعروف))، وفادى النبي ﷺ رجلين من المسلمين بالرجل الذي أخذه من بني عقيل، وفادى بالمرأة التي استوهبها من سلمة بن الأكوع رجلين.

فهذه النصوص قد أطلق فيهما الفكاك، فلم يقيد بنوع معين، فكل شيء استطعنا فك الأسرى به تعين علينا فعله، وهكذا فعل الفقهاء فقالوا بوجوب الحرب لفك الأسرى إذا استطعنا فك الأسرى بها".

---

(١) المغني (٩/ ٢٢٨).

٢- قال النووي رحمه الله [١]: "لو أسروا مسلما أو مسلمين هل هو كدخول أرض الإسلام؟ وجهان: أحدهما لا، لأن إزعاج الجند الواحد بعيد، وأصحهما: نعم، لأن حرمة المسلم أعظم من حرمة الدار. فعلى هذا لا بد من رعاية النظر، فإن كانوا على قرب دار الإسلام وتوقعنا استخلاص من أسروه لو طرنا إليهم فعلنا. والفداء بالمال واجب إن استطعنا تخليص الأسرى به".

٣- قال ابن جُزَيّ المالكي رحمه الله [٢]: "يجب استنقاذهم من يد الكفار بالقتال، فإن عجز المسلمون عنه وجب عليهم الفداء بالمال، فيجب على الغني فداء نفسه، وعلى الإمام فداء الفقراء من بيت المال، فما نقص تعين في جميع أموال المسلمين ولو أتى عليها".

٤ - قال العز بن عبد السلام رحمه الله [٣]: "وإنقاذ أسرى المسلمين من أيدي الكفار من أفضل القربات، وقد قال بعض العلماء: إذا أسروا مسلما واحدا وجب علينا أن نواظب على قتالهم حتى نخلصه أو نبيدهم، فما الظن إذا أسروا خلقا كثيرا من المسلمين!".

٥ - قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [٤]: "فكاك الأسارى من أعظم الواجبات، وبذل المال الموقوف وغيره في ذلك من أعظم القربات".

---

[١] روضة الطالبين (١٠/ ٢١٦).

[٢] قوانين الأحكام الشرعية (١٧٢).

[٣] أحكام الجهاد وفضائله (١٩٧).

[٤] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦٣٥).

٦ - **قال ابن حجر الهيتمي** [١]: "ولو أسروا مسلما فالأصح وجوب النهوض إليهم فورا على كل قادر - ولو نحو قنٍ بغير إذن، خلافا لبعضهم - لخلاصه إن توقعناه، ولو على ندور، فيما يظهر وجوب عين كدخولهم دارنا، بل أولى، لأن حرمة المسلم أعظم".

٧- **حكى ابن حزم رحمه الله الإجماع فقال** [٢]: "واتفقوا أنه إن لم يُقْدَر على فك المسلم إلا بمال يعطاه أهل الحرب، أن إعطاءهم ذلك المال حتى يفك ذلك الأسير واجب".

٨- **قال السرخسي رحمه الله** [٣]: "من وقع أسيراً في يد أهل الحرب من المؤمنين وقصدوا قتله يفترض على كل مسلم يعلم بحاله أن يفديه بماله إن قدر على ذلك، وإلا أخبر به غيره ممن يقدر عليه وإذا قام به البعض سقط عن الباقين بحصول المقصود".

٩- **قال الإمام القرطبي في تفسير آية الصدقة من سورة التوبة** [٤]: "واختلفوا في فك الأسارى منها - أي من أموال الزكاة - فقال أصبغ: لا يجوز. وهو قول ابن قاسم. وقال ابن حبيب: يجوز، لأنها رقبة مُلكت بملك الرق فهي تخرج من رق إلى عتق، وكان ذلك أحق وأولى من فكاك الرقاب الذي بأيدينا، لأنه إذا كان فك المسلم عن رق المسلم عبادة وجائزاً من الصدقة، فأحرى وأولى أن يكون ذلك في فك المسلم عن رق الكافر وذله".

١٠- **وسُئل ابن تيمية** رحمه الله عن مال موقوف على فكاك الأسرى، وإذا استُدين بمال في ذمم الأسرى بخلاصهم لا يجدون وفاءه: هل يجوز صرفه من الوقف؟ وكذلك لو

---

[١] انظر تحفة المحتاج (٩/ ٢٣٧).

[٢] مراتب الإجماع (١٢٢).

[٣] المبسوط (٣٠/ ٢٧١).

[٤] تفسير القرطبي (٨/ ١٨٣).

استدانة ولي فكاكهم بأمر ناظر الوقف أو غيره؟ فأجاب [١]: "نعم يجوز ذلك، بل هو الطريق في خلاص الأسرى، أجود من إعطاء المال ابتداء لمن يفتكهم بعينهم، فإن ذلك يخاف عليه، وقد يصرف في غير الفكاك، وأما هذا فهو مصروف في الفكاك قطعاً.

ولا فرق بين أن يصرف عين المال في جهة الاستحقاق، أو يصرف ما استدين، كما كان النبي ﷺ تارة يصرف مال الزكاة إلى أهل السهمان، وتارة يستدين لأهل السهمان ثم يصرف الزكاة إلى أهل الدَّين، فعُلم أن الصرف وفاء كالصرف أداء، والله أعلم". أهـ.

١١ - قال ابن النحاس رحمه الله [٢]: "الأسير المقهور متى قدر على الهرب من الكفار [٣]، لزمه ذلك بلا خلاف، وإن أطلقوا أسيراً بلا شرط فله أن يقاتلهم قتلاً وسبياً وأخذاً للمال وهو مذهب أحمد، وإن أطلقوه على أنهم في أمان منه، وهو في أمان منهم حرُم عليه اغتيالهم، وكذلك لو أطلقوه على أنه في أمان منهم، ولم يستأمنوه على الصحيح المنصوص، وهو مذهب أحمد.

ولو أطلقوه وشرطوا عليه ألاَّ يخرج من دارهم لزمه الخروج، وحرُم عليه الوفاء بالشرط.

وقال أحمد في المنصوص عنه: يلزمه الوفاء به، ولو شرطوا أن يعود إليهم، أو يبعث إليهم مالاً فداءً، فالعود حرام وهو إحدى الروايتين عن أحمد، وأما المال فإن شارطهم عليه مكرهاً فهو لغو، وبه قال أحمد وإن صالحهم مختاراً لم يجب عليه بعثه لأنه التزام بغير حق، لكن يستحب وفي قول يجب وهو مذهب أحمد.

---

[١] مجموع الفتاوى (٣١ /...).

[٢] مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق (٢/ ١٠٥٣).

[٣] كلامه هنا رحمه الله في الكافر الأصلي إذ أن الكافر المرتد له أحكام تخصه في كثير من المسائل فتنبه.

قال ابن عبد السلام المالكي في شرح المختصر: إذا ائتمن الأسير على شيء طائعاً وجب عليه الوفاء، ولم تجز له الخيانة، ومن ائتمنوه مكرهاً أو لم يأتمنوه جاز له أخذ ما أمكنه من أموالهم.

وعن سحنون إذا ائتمن على ماله ونفسه فلا يهرب.

وعن مالك أنه يهرب بنفسه ولا يأخذ من أموالهم شيئاً.

وقال أبو الحسن اللخمي المالكي في التبصرة: إذا أسر العدو مسلماً ثم أطلقوه على ألا يهرب بنفسه أو على إن أعطاهم عهداً أنه لا يهرب فتركوه، لم يكن له أن يهرب، لأنه وإن كان مكرهاً على العهد فإن ذلك يؤدي إلى الضرر بالمسلمين، والتضييق على من بأيديهم من الأسرى ويرون أن المسلمين لا يوفون بعهد". أ. هـ.

مواقف تاريخية لفكاك الأسرى

قال ابن النحاس رحمه الله [١]: "خرّج ابن عساكر بإسناده عن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لأن استنقذ رجلاً من المسلمين من أيدي المشركين أحب إليَّ من جزيرة العرب.

وخرّج أيضاً عن بكر بن خنيس، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الأسارى من المسلمين بالقسطنطينية: أما بعد، فإنكم تعدون أنفسكم الأسارى، ومعاذ الله بل أنتم الحبساء في سبيل الله، واعلموا أني لست أقسم شيئا بين رعيتي إلا خصصت أهلكم بأكثر ذلك وأطيبه، وأني قد بعثت إليكم فلان بن فلان بخمسة دنانير، ولولا أني خشيت أن يحبسها عنكم طاغية الروم لزدتكم، وقد بعثت إليكم فلان بن فلان يفادي صغيركم وكبيركم وذكركم وأنثاكم، وحرّكم ومملوككم، بما يُسأل به فأبشروا ثم أبشروا والسلام".

وعندما وقع بعض المسلمين في الأسر بعث أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إليهم عبد الرحمن بن عمرة لفك أسرهم وقال له: "أعطهم لكل مسلم ما سألوك!! فو الله لرجل من المسلمين أحب إلي من كل مشرك عندي! إنك ما فاديت به المسلم فقد ظفرت به! إنك إنما تشتري الإسلام" [٢].

وقال رحمه الله [٣]: "حكى القاضي أبو بكر ابن العربي أن بعض الملوك عاهد كفاراً على أن لا يحبسوا أسيراً، فدخل رجل من المسلمين جهة بلادهم فمر على بيت مغلق، فنادته امرأة: إني أسيرة فأبلغ صاحبك خبري، فلمّا اجتمع به وتجاذبا ذيل الحديث انتهى

---

[١] مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق (٢/ ٨٣١ ـ٨٣٢).

[٢] سنن سعيد بن منصور رقم (٢٨٢٢).

[٣] مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق (٢/ ٨٣٢ ـ٨٣٣).

الخبر إلى هذه المرأة فما أكمل حديثه حتى قام الأمير على قدميه وخرج غازياً من فوره ومشى إلى الثغر حتى أخرج الأسيرة واستولى على الموضع.

ونظير هذا ما حكاه القرطبي في تاريخه عن المنصور بن أبي عامر ولم يكن في الملوك القائمين بالأندلس مثله، غزا نيفاً وخمسين غزوة، منها غزاة كانت في مكان ضيق بين جبلين لا يجوزه إلا فارس بعد فارس، واجتمعت الروم في أمم لا تحصى ومسكوا له موضع الخروج، فلما علم بذلك أمر برفع الخيم وأن تبنى الدور، واختط لنفسه قصراً وأمر سائر خواصه بذلك وكتب إلى نوابه: إني لما رأيت هذه البلاد استقصرت رأي من سلف من الملوك والخلفاء كيف تكوها لعظم أمرها وجلالة قدرها وقد استخرت الله تعالى في الإقامة بها وأن أتخذ مدينة وأسكنها، وأمر بإرسال البنائين والفعلة، فلما تحققت الروم ذلك سألوه في الصلح فأبى فألحوا عليه فقال: لا أفعل إلا أن تعطوني ابنة ملككم، فقالوا هذا عار ما سمع بمثله.

فاجتمعوا في عدد عظيم وكان هو في عشرين ألف فارس، فلما التقوا انكسر المسلمون وانهزم هو وولده وكاتبه ونفر يسير وأمر أن تضرب خيمة على نشر من الأرض، فتراجع المسلمون إليه وقاتلوهم فكانت الدائرة على الكفار والعاقبة للمسلمين فقتل وأسر.

فسألوه في الصلح فأبى إلا أن يعطوه ابنة ملكهم وأموالاً اقترحها، فأعطوه ذلك مع تحف كثيرة، وكانت البنت في نهاية الجمال فلما شيّعها أشراف قومها سألوها أن تحسن الوساطة لقومها عنده، فقالت: إن الجاه لا يطلب بأفخاذ النساء إنما يطلب برماح الرجال، ولما وصل المنصور إلى مدينته تلقته امرأة فقالت أنت والناس يفرحون وأنا باكية حزينة، قال: ولم؟ قالت: ولدي أسير في بلد من بلاد الروم، فسّير العساكر لوقته راجعة إلى البلاد حتى أحضروا ولدها.

فرحم الله تلك الأمم الخالية بتلك الهمم العالية، وأثابهم على إعزاز دين الإسلام رضوانه التام في دار السلام".

قال ابن النحاس رحمه الله [١]: "ذكر الإمام العارف عبد الغفار بن نوح القوصي في كتابه المسمى بالوحيد في سلوك أهل التوحيد، فقال: بلغ المعتصم أن علجاً من علوج الفرنج لطم امرأة أسيرة في عمورية فقالت: وامعتصماه، فقال لها العلج: لا يجئ المعتصم إلا على فرس أبلق، فسيّر إليها جيشه بثمانية عشر ألف فرس أبلق – وقيل ثمانون ألف – وسار إليها بقوة العزم وصدق النية والغيرة على دين الله، ففتحها الله على يديه ولم تكن فتحت قبل ذلك، وسبى وقتل وحرقها بالنار وأحضر العلج والمرأة بين يديه وهو راكب على فرس أبلق، وقال له: قد جئتك على فرس أبلق.

قال ابن النحاس رحمه الله بعد ذكره لهذه القصة: "فهكذا فليكن إعزاز الدين، ومثل هذا ينبغي أن تكون أئمة المسلمين، اللهم لا تحرمه أجر هذه الهمة، وأثبه على ما كان عليه بكشف هذه الغمة".

قال أبو تمام الطائي في غزوة عمورية قصيدته الشهيرة:

السيف أصدق أنباءً من الكتب ... في حدِّه الحدُّ بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الأرماح لامعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهب

ثم قال ابن النحاس رحمه الله معقباً على بيت من أبيات أبي تمام [٢]: "وما أحسن قوله فيها:

لم تطلع الشمس فيه يوم ذاك على ... بانٍ بأهل ولم تغرب على عزب

---

[١] مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق (٢/ ٨٣٤).

[٢] مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق (٢/ ٨٣٦-٨٣٨).

يعني: أن الشمس ذلك اليوم ما طلعت على من له زوجة في عسكر المسلمين فتسبى، فلما فتحوها ما غربت على عازب بل صار لكل من العسكر أهل من السبي.

وأغرب من هذه القصة – وهو شبيه بها – ما حكاه القرطبي في تاريخه، قال: أسر رجل في زمن معاوية رضي الله عنه وأدخل القسطنطينية، فتكلم بين يدي ملكهم بكلام، فلطمه أحد البطارقة، فقال الأسير وكان قرشياً: بيننا وبينك الله يا معاوية، وليت أمورنا فضيعتها.

فبلغ معاوية كلامه فسّير وافتداه، فلما أتاه سأله عن اسم البطريق، فأخبره، فأفكر طويلاً ثم نفذ خلف قائد من قواد صور ذو خبرة ومعرفة، وقال: أريد منك أن تتحيل في إحضار فلان البطريق من القسطنطينية. فقال: أريد أن أنشيء مركباً بمجاذيف مخفية يلحق ولا يلحق بها، فقال له: افعل ما بدا لك. ومكنه من كل ما يحتاج إليه، فلما كملت أوسقها من كل طرفة وتحفة وأعطاه أموالاً جزيلة، وقال: اذهب إلى القسطنطينية فكأنك تاجر فبع واشتر واهد لوزير الملك وبطارقته وخاصته خلا ذلك البطريق فلا تقربه ولا تهاده، فإذا أعتبك على ذلك فقل له: ما عرفتك ولكن سأضاعف لك في عودتي فإنه لم يبق معي ما يصلح لمثلك.

ففعل ذلك ثم رجع إلى معاوية وأخبره بما صنع، فجهزه ثانياً وأعطاه أضعاف ذلك وقال: هذا – أيضاً – للملك ولسائر خواصه ولذلك البطريق، فإذا عزمت على الحضور إلينا فقل لذلك البطريق: إني أحب أن أصادقك ويكون بيني وبينك معرفة، فسلني حاجة أحضرها لك على حسب ما تقترحه، ويكون عوضاً عما قصّرت في حقك، فقال: أريد بساطاً من حرير يحوي جميع الألوان وصور سائر الأطيار والأشجار والأزهار والوحوش، طوله كذا وعرضه كذا.

فلما رجع وأخبر معاوية جمع له سائر الصناع، فكمل في أبدع صورة يدهش الناظرين، وجهز معه كل ما يحتاج إليه وقال له: إذا وصلت إلى فم البحر فانشر البساط على ظهر المركب فسيحمله الشره على أن ينزل إليك، فإذا صار عندك فاشغله بالحديث واعرض عليه

البساط وقدّم له غير ذلك من التحف، ومر أصحاب المركب أن يقذفوا بالمجاذيف المخفية فإذا صرت في البحر فارفع الشراع وأوثقه ومن معه كتافاً وآتني بهم.

وكان للعلج ستارة على فم البحر، فلما بلغه وصول المركب أشرف لينظر إليها، فلما رأى البساط كاد عقله يذهب، فخرج مسرعاً للقائه فنزل إليه مسلماً، فأعرضه عليه مع غيره، وأصحابه يقذفون ولا علم له، فما شعر إلا برفع الشراع - يعني القلع - فقال: ما هذا؟ فقبض عليه وأوثقه بالحديد وسائر أصحابه وأتى به إلى معاوية، فأحضر القرشي وقال: هذا خصمك؟ قال: نعم، قال: قم فالطمه كما لطمك ولا تزد، ففعل ذلك، ثم قال لصاحب المركب خذه واذهب به إلى الموضع الذي أخذته منه، وأعطاه ذلك البساط وغيره. وقال له: قل لملكك تركت ملك المسلمين يقتص ممن هو على بساطك ومن خواصك وبطارقتك. فلما أوصلوه إلى القسطنطينية وجدوهم قد اتخذوا على فم البحر سلسلة، فرموه هناك وأعطوه البساط، فهاب ملك الروم معاوية رضي الله عنه وعظمّه وهاداه.

وذكر ابن الذهبي الحافظ في تاريخ الإسلام: أن في سنة ثمان وتسعين همّ سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين بالإقامة ببيت المقدس وجمع الناس والأموال، فبينما هم على ذلك إذ جاء الخبر أن الروم خرجت على ساحل حمص، فسبت جماعة فيهم امرأة لها ذكر، فغضب وقال: ما هو إلا هذا، نغزوهم ويغزونا، والله لأغزونهم غزوة أفتح بها القسطنطينية أو أموت دونها، فأغزى أهل الشام والجزيرة في البحر في ألف مركب، وأخرج للناس الأعطية، وأعلمهم أنه غزو القسطنطينية ليقدروا قدره، فكان من أمرهم ما هو مذكور في كتب التواريخ. وقد كان اجتمع بأنطاكية عدة من المسلمين أسرى فغزاها غلام زرافة من طرسوس، وحاصرها إلى أن أخذها واستنقذ منها أربعة آلاف مسلم، وغزا عماد الدين زنكي الرهاء ونصب عليها المجانيق، ونقب صورها، وطرح فيه الحطب والنار، إلى أن انهدم، ودخلها فحاربهم ونصر الله المسلمين فغنموا وسبوا وخلصوا منها خمسمائة أسير.

وذكر العماد الكاتب أن السلطان صلاح الدين خلص من الأسرى في وقعة حطين سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة أكثر من عشرين ألف أسير وأسر من الكفار مائة ألف أسير.

وذكر القرطبي في تاريخه، قال: كان هشام بن عبد الملك حازماً متيقظاً وجرى لعماله في أزمنة ما لم يجر في زمن من الأزمان، في عام واحد غزا أحدهم بلاد الحرير فوجد منهم عشرة آلاف فارس مع كل فارس أسير مسلم، فقتلهم عن آخرهم وقتل ملكهم ابن خاقان وفتح عدة مدائن.

وغزا آخر ملك السرير فصالحه على ألف وخمسمائة غلام سود الشعور وغزا عامل المغرب الروم فغنم ما لا يحصى إلا أن الذي سيّره لهشام كان عشرين ألف ألف عبد وثياباً كثيرة وطرائف وتحف". أ. هـ

وصايا للمجاهدين

١ - تأملوا إمساك وإرسال رحمة الله:

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

يقول سيد قطب رحمه الله [١]: "في هذه الآية الثانية من السورة (سورة فاطر) صورة من صور قدرة الله التي ختم بها الآية الأولى.

وحين تستقر هذه السورة في قلبٍ بشري يتم فيه تحول كامل في تصوراته ومشاعره واتجاهاته وموازينه وقيمه في هذه الحياة جميعاً، إنها تقطعه عن شبهة كل قوة في السماوات والأرض وتصله بقوة الله، وتيئسه من مظنة كل رحمة في السماوات والأرض وتصله برحمة الله، وتوصد أمامه كل باب في السماوات والأرض وتفتح أمامه باب الله، وتغلق في وجهه كل طريق في السماوات والأرض وتشرع له طريقه إلى الله.

ورحمة الله تتمثل في مظاهر لا يحصيها العد؛ ويعجز الإنسان عن مجرد ملاحقتها وتسجيلها في ذات نفسه وتكوينه، وتكريمه بما كرمه؛ وفيما سخر له من حوله ومن فوقه ومن تحته؛ وفيما أنعم به عليه مما يعلمه، ورحمة الله تتمثل في الممنوع تمثلها في الممنوح.

ويجدها من يفتحها الله له في كل شيء، وفي كل وضع، وفي كل حال، وفي كل مكان.. ويجدها في نفسه، ومشاعره؛ ويجدها فيما حوله، وحيثما كان، وكيفما كان، ولو فقد كل شيء مما يعد الناس فقده هو الحرمان..

---

[١] في ظلال القرآن (٥/الآية الثانية من سورة فاطر).

ويفقدها من يمسكها الله عنه في كل شيء، وفي كل وضع، وفي كل حالة، وفي كل مكان، ولو وجد كل شيء مما يعده الناس علامة الوجدان والرضوان؛ وما من نعمة يمسك الله معها رحمته حتى تنقلب هي بذاتها نقمة، وما من محنة تحفها رحمة الله حتى تكون هي بذاتها نعمة..

ينام الإنسان على الشوك مع رحمة الله فإذا هو مهاد، وينام على الحرير وقد أمسكت عنه فإذا هو شوك القتاد، ويعالج أعسر الأمور برحمة الله فإذا هي هوادة ويسر، ويعالج أيسر الأمور وقد تخلت رحمة الله فإذا هي مشقة وعسر، ويخوض بها المخاوف والأخطار فإذا هي أمن وسلام، ويعبر بدونها المنهاج والمسالك فإذا هي مهلكة وبوار؛ ولا ضيق مع رحمة الله..

إنما الضيق في إمساكها دون سواه، لا ضيق ولو كان صاحبها في غياهب السجن، أو في جحيم العذاب، أو في شعاب الهلاك.. ولا وسعة مع إمساكها ولو تقلب الإنسان في أعطاف النعيم وفي مراتع الرخاء..

فمن داخل النفس برحمة الله تتفجر ينابيع السعادة والرضا والطمأنينة، ومن داخل النفس مع إمساكها تدب عقارب القلق والتعب والنصب والكد والمعاناة، هذا الباب وحده يفتح وتغلق جميع الأبواب وتوصد جميع النوافذ، وتسد جميع المسالك.. فلا عليك، فهو الفرج والفسحة واليسر والرخاء..

وهذا الباب وحده يغلق وتفتح جميع الأبواب والنوافذ والمسالك فما هو بنافع، وهو الضيق والكرب والشدة والقلق والعناء..

هذا الفيض يفتح، ثم يضيق الرزق، ويضيق السكن، ويضيق العيش، وتخشن الحياة، ويشوك المضجع.. فلا عليك فهو الرخاء والراحة والطمأنينة والسعادة..

وهذا الفيض يمسك، ثم يفيض الرزق ويقبل كل شيء، فلا جدوى.. وإنما هو الضنك والحرج والشقاوة والبلاء، المال والولد، والصحة والقوة، الجاه والسلطان.. تصبح مصادر قلق

وتعب ونكد وجهد إذا أمسكت عنها رحمة الله، فإذا فتح الله أبواب رحمته كان فيها السكن والراحة والسعادة والاطمئنان..

يبسط الله الرزق مع رحمته فإذا هو متاع طيب ورخاء؛ وإذا هو رغدٌ في الدنيا وزاد إلى الآخرة.. ويمسك رحمته فإذا هو مثار قلق وخوف، وإذا هو مثار حسد وبغض، وقد يكون معه الحرمان ببخل أو مرض، وقد يكون معه التلف بإفراط أو استهتار..

ويمنح الله الذرية مع رحمته فإذا هي زينة في حياة ومصدر فرح واستمتاع، ومضاعفة للأجر في الآخرة بالخلف الصالح الذي يذكر الله.. ويمسك رحمته فإذا الذرية بلاء ونكد وعنت وشقاء، وسهر بالليل وتعب بالنهار..

ويهب الله الصحة والقوة مع رحمته فإذا هي نعمة وحياة طيبة، والتذاذ بالحياة.. ويمسك نعمته فإذا الصحة والقوة بلاءٌ يسلطه الله على الصحيح القوي، فينفق الصحة والقوة فيما يحطم الجسم ويفسد الروح ويدخر السوء ليوم الحساب..

ويعطي الله السلطان والجاه مع رحمته فإذا هي أداة إصلاح ومصدر أمن، ووسيلة لادخار الطيب الصلح من العمل والأثر.. ويمسك الله رحمته فإذا الجاه والسلطان مصدر قلقٍ على فوتها ومصدر طغيان وبغي بهما، ومثار حقد وموجدة على صاحبهما لا يقر له معهما قرار، ولا يستمتع بجاه ولا سلطان، ويدخر بهما للآخرة رصيداً ضخماً من النار..

والعلم الغزير والعمر الطويل والمقام الطيب كلها تتغير وتتبدل من حالٍ إلى حال.. مع الإمساك ومع الإرسال.. وقليل من المعرفة يثمر وينفع، وقليل من العمر يبارك الله فيه..

وزهيد من المتاع يجعل الله فيه السعادة، والجماعات كالآحاد، والأمم كالأفراد في كل أمر وفي كل وضع، وفي كل حال.. ولا يصعب القياس على هذه الأمثال.

ومن رحمة الله أن تحس برحمة الله، فرحمة الله تضمك وتغمرك وتفيض عليك، ولكن شعورك بوجودها هو الرحمة، ورجاؤك فيها وتطلعك إليها هو الرحمة، وثقتك بها وتوقعها في كل أمر هو الرحمة، والعذاب هو العذاب في احتجابك عنها أو يأسك منها أو شكك فيها، وهو عذاب لا يصبه الله على مؤمن أبداً. ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

ورحمة الله لا تعز على طالب في أي مكان ولا في أي حال.. وجدها إبراهيم عليه السلام في النار، ووجدها يوسف عليه السلام في الجب كما وجدها في السجن، ووجدها يونس عليه السلام في بطن الحوت في ظلمات ثلاث، ووجدها موسى عليه السلام في اليم وهو طفل مجرد من كل قوة ومن كل حراسة، كما وجدها في قصر فرعون وهو عدو له متربص به ويبحث عنه، ووجدها أصحاب الكهف في الكهف حين افتقدوها في القصور والدور فقال بعضهم لبعض: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾، ووجدها رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار والقوم يتعقبونهما ويقصون الآثار.. ووجدها كل من آوى إليها يأساً من كل ما سواها، منقطعاً، شبهة في قوة، وعن كل مظنة في رحمة، قاصداً باب الله وحده دون الأبواب.

ثم إنه متى فتح الله أبواب رحمته فلا ممسك له، ومتى أمسكها فلا مرسل لها، ومن ثم فلا مخافة من أحد، ولا رجاء في أحد، ولا مخافة من شيء، ولا رجاء في شيء، ولا خوف من فوت وسيلة ولا رجاء مع الوسيلة، إنما هي مشيئة الله.. ما يفتح فلا ممسك. وما يمسك الله فلا مرسل.. والأمر مباشرٌ إلى الله.. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.. يقدر بلا معقب على الإرسال والإمساك، ويرسل ويمسك وفق حكمة تكمن وراء الإرسال والإمساك ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا﴾..

وما بين الناس ورحمة الله إلا أن يطلبوها مباشرة منه، بلا وساطة وبلا وسيلة إلا التوجه إليه في طاعة وفي رجاء وفي ثقة وفي استسلام ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾. فلا

رجاء في أحد من خلقه، ولا خوف لأحد من خلفه، فما أحد بمرسل ما أمسكه الله.. أي طمأنينة، وأي قرار، وأي وضوح في التصورات والمشاعر والقيم والموازين تقر هذه الآية في الضمير؟! آية واحدة ترسم للحياة صورة جديدة، وتنشئ في الشعور قيماً لهذه الحياة ثابتة، وموازين لا تهتز ولا تتأرجح ولا تتأثر بالمؤثرات كلها.. ذهبت أم جاءت، كبرت أم صغرت، جلت أم هانت، كان مصدرها الناس أو الأحداث أو الأشياء..

صورة واحدة لو استقرت في قلب إنسان لصمد كالطود للأحداث والأشياء والأشخاص والقوي والقيم والاعتبارات، ولو تضافر عليها الإنس والجن، وهم لا يفتحون رحمة الله حين يمسكها، ولا يمسكونها حين يفتحها.. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾..

وهكذا أنشأ القرآن بمثل هذه الآية وهذه الصورة تلك الفئة العجيبة من البشر في صدر الإسلام، الفئة التي صنعت على عين الله بقرآنه هذا لتكون أداة من أدوات القدرة، تنشئ من عقيدة وتصور، وقيم وموازين، ونظم وأوضاع، وتقر في الأرض ما شاء الله أن تقر من نماذج الحياة الواقعة التي تبدوا لنا اليوم كالأساطير والأحلام، الفئة التي كانت قدراً من قدر الله يسلطه على من يشاء في الأرض فيمحو ويثبت في واقع الحياة والناس ما شاء الله من محو ومن إثبات؛ ذلك أنها لم تتعامل مع ألفاظ هذا القرآن، ولا مع المعاني الجميلة التي تصورها وكفى.. ولكنها كانت تتعامل مع الحقيقة التي كانت تمثلها آيات القرآن، وتعيش في واقعها بها، ولها.. وما يزال هذا القرآن بين أيدي الناس قادراً على أن ينشئ بآياته تلك أفراداً وفئات تمحو وتثبت في الأرض بإذن الله ما يشاء الله.. ذلك حين تستقر هذه الصور في القلوب، فتأخذها جداً، وتتمثلها حقاً، حقاً تحسه، كأنها تلمسه بالأيدي وتراه بالأبصار..

ويبقى أن أتوجه أنا بالحمد لله على رحمة منه خاصة عرفتها منه في هذه الآية.. لقد واجهتني هذه الآية في هذه اللحظة وأنا في عسر وجهد وضيق ومشقة، واجهتني في لحظة جفاف روحي، وشقاء نفسي، وضيق بضائقة، وعسر من مشقة.. واجهتني في ذات اللحظة،

ويسر الله لي أن أطلع منها على حقيقتها، وأن تسكب حقيقتها في روحي؛ كأنما هي رحيق أرشفه وأحس سريانه ودبيبه في كياني، حقيقة أذوقها لا معنى أدركه، فكانت رحمة بذاتها، تقدم نفسها لي تفسيراً واقعياً لحقيقة الآية التي تفتحت لي تفتحها هذا..

وقد قرأتها من قبل كثيراً، ومررت بها من قبل كثيراً، ولكنها اللحظة تكسب رحيقها وتحقق معناها، وتنزل بحقيقتها المجردة، وتقول: ها أنذا.. نموذجاً من رحمة الله حين يفتحها. فانظر كيف نكون.

إنه لم يتغير شيءمما حولي، ولكن لقد تغير كل شيء في حسي، إنها نعمة ضخمة أن يتفتح القلب لحقيقة كبرى من حقائق هذا الوجود، كالحقيقة الكبرى التي تتضمنها هذه الآية.

نعمة يتذوقها الإنسان ويعيشها؛ ولكنه قلما يقدر على تصويرها، أو نقلها للآخرين عن طريق الكتابة.. وقد عشتها وتذوقتها وعرفتها، وتم هذا كله في أشد لحظات الضيق والجفاف التي عشتها في حياتي، وها أنذا أجد الفرج والفرج والري والاسترواح والانطلاق من كل قيد ومن كل كرب ومن كل ضيق وأنا في مكاني..

إنها رحمة الله يفتح الله بابها ويسكب فيضها في آية من آياته، آية من القرآن تفتح كوة من النور، وتفجر ينبوعاً من الرحمة، وتشق طريقاً ممهوداً إلى الرضا والثقة والطمأنينة والراحة في ومضة عين وفي نبضة قلب وفي خفقة جنان.. اللم حمداً لك.. اللهم منزل هذا القرآن.. هدى ورحمة للمؤمنين..". أ. هـ.

٢ - ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون [١]:

إلى الأبطال الكبار.. إلى الأحرار خلف الأسوار إليكم وقد تناءت الديار، وشط المزار، وانقطعت الأخبار، وحالت دونكم الفيافي والقفار، وامتدت البراري والبحار، فتشمتت الكفار والأشرار، وخذلكم من خذلكم من الفضلاء والأخيار!!.

إليكم أيها الأسود في القيود، يا من ضربتم أروع أمثلة الثبات والصمود، إليكم أيها الرجال، أيها المجاهدون الأبطال، يا من صنعتم ببطولاتكم في القتال والنزال حقائق أروع من المثال، وأعظم من الخيال..

إليكم يا أسرانا في كل مكان في سجون الكفار الأصليين والمرتدين، نحييكم تحية الإجلال والإكبار، يا من رفضتم خيار الذل والعار، وآثرتم الإسار على الفرار، مرددين بلسان حالكم قول الفارس الشاعر بعدما أسرته الروم:

أسرت وما صحبي بعزل لدى الوغى ... ولا فرسي مُهر، ولا به غمر
ولكن إذا حُمّ القضاء على امرئ ... فليس له بر يقيه ولا بحر
وقال أصيحابي الفرار أو الردى ... فقلت هما أمران أحلاهما مر
ولكنني أمضي لما لا يعيبني ... وحسبك من أمرين خيرهما الأسر!
يقولون لي بعت السلامة بالردى ... فقلت أما والله ما نالني خسر
وهل يتجافى عني الموت ساعة ... إذا ما تجافى عني الأسر والضر؟
هو الموت فاختر ما على لك ذكره ... فلم يمت الإنسان ما حيي الذكر
ولا خير في دفع الردى بمذلة ... كما ردها يوماً بسوءته عمرو

---

[١] مقال بعنوان (من غوانتانامو الكبير إلى غوانتانامو الصغير) نشر في موقع النداء.

تذكروا وأنتم تدفعون ضريبة العزة، وفاتورة الكرامة، دماً ومعاناة وألماً، تذكروا قول الله عز وجل وهو يخاطب الفئة المؤمنة بعد ما أصابها من جرح وقرح يوم أحد فقال: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلا تَهِنُوا﴾ ولا تضعفوا أمام أعدائكم وجلاديكم، مهما كانت وطأة الأسر، وشدة القهر، ومهما كانت وحشية الطغيان، وقسوة السجان، ومهما شعرتم به من خذلان الأوطان، وجفاء بعض الإخوان!!.

وتذكروا أن معظم الناس هم كما قال الشاعر:

بمن يثق الإنسان فيمن ينوبه ومن أين للحر الكريم صحاب؟
وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ذئاباً على أجسادهن ثياب!!

﴿وَلا تَحْزَنُوا﴾ مهما عظم المصاب، وحكمتكم قوانين الوحوش والغاب، والظفر والناب، وتسلطت على الأسود الكلاب، فلا تنشغلوا بالعتاب، واشكوا لله رب الأرباب!!.

إلى الله أشكو أننا بمنازل تحكم في آسادهن كلاب!!.

ولا يحزنكم أن أسركم كان على يد هؤلاء الحقراء الأجراء، فلكم أسوة في الأنبياء والرسل وأصحابهم ممن أصابهم أسلاف من أصابوكم.

فلا عجب للأسد إن ظفرت بها كلاب الأعادي من فصيح وأعجم!
وحربة وحشي سقت حمزة الردى وموت علي من حسام بن ملجم

﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فأنتم الأقوياء في حقكم، ولو كنتم عزلا مجردين من كل سلاح مادي، وأعداؤكم هم الضعفاء في باطلهم، مهما كان بحوزتهم من قوة مادية وسلطان أرضي!!.

فأنتم الأعلون بإيمانكم الصادق، وعقيدتكم الراسخة، وهم الأدنون الأذلون مهما تبجحوا بباطلهم وتسلحوا، أنتم الأقوياء الشرفاء، وهم الضعفاء الحقراء الذين تحطمت كل قواهم الأرضية على صلابة إيمانك وقوة عقيدتكم.

إن المؤمن هو الأعلى دائما، والأعز في كل حين، حتى وهو يعاني الأسر، ويكابد القهر ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾. فالقوة الطغيانية مهما تجبرت وتكبرت، تبقى عاجزة عن السيطرة على الضمائر والسرائر، إذا كانت عامرة بالإيمان، مستنيرة بالقرآن.

وهذا سر صمود أصحاب الإيمان في كل زمان ومكان؛ فهو سر صمود أصحاب الأخدود وهم يتقحمون في النار التي أوقدها لهم الكفار فرحين مستبشرين، حتى إذا ما ترددت منهم امرأة كانت تحمل رضيعها، نطق الطفل وكلمها في المهد قائلا: ادخلي يا أماه فإنك على الحق!!.

وهو سر صمود بلال رضي الله عنه تحت سياط الجلد، والحجارة المحماة التي كانت توضع على صدره في بطحاء مكة الحارقة، فكان يطفئ ذلك اللهيب ببرد (أحد.. أحد!!).

وهكذا شأن حملة الرسالة، وقادة الدعوة، وأصحاب الحق في كل زمان ومكان، فشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كان يقول أثناء محنته وما عاناه وكابده على يد أعدائه: ماذا يفعل أعدائي بي؟ إن سجنوني فسجني خلوة، وإن نفوني فنفيي سياحة، وإن قتلوني فقتلي شهادة!!. وكان عندما يغلق عليه باب السجن يتمثل بقول الله عز وجل: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾.

والأستاذ سيد قطب رحمه الله كان ينادي بهذه الحقيقة الإيمانية العظيمة، يستحث بها الهمم، ويوقظ العزائم، فصاغها نشيدا يتردد على ألسنة المؤمنين القابعين في سجون الطغاة والظالمين:

أخـي أنـت حـر وراء الســـدود أخـي أنـت حـر بتـلـك القـيـود
إذا كـنـت بالله مســتـعصـــماً فـمـاذا يضـــيرك كـيـد الـعـبـيـد

أيها الأبطال الأحرار، لا تؤاخذوا أمتكم بذنب أنها لم تسع في فكاك أسركم، ولم تبذل النفس والنفيس من أجل إطلاق سراحكم، حتى تعودوا مكرمين لبلادكم وذويكم، تخلع عليكم خلع التكيم، وتمنحون أوسمة الشرف التي تليق بأبطال مثلكم دفعوا ما دفعوا من ألم حسي ونفسي، وتحملوا ما تحملوا، وعانوا ما عانوا، وقدموا ما قدموا من تضحية وبذل في الذود عن كرامة الأمة، والدفاع عن شرفها، والقتال دون حرماتها!!.

لا تتهموا أمتكم بموت الضمير، ولا بفقدان الشعور، ولا بأنها لم تعد عندها بقية من رحمة إنسانية، أو حمية وطنية، أو نخوة (ولو جاهلية) عندما لم تحركها أنات أمهاتكم المكلومة، ولا دموع ذريتكم المفجوعة، ولا آهات زوجاتكم المظلومة!!.

ولا تقولوا كان بإمكانها إن لم تكن معنا، أن لا تكون ضدنا، فلا تساهم في الحملة الكفرية ضدنا، ولا تسلم من وجدته منا لأعدائنا على الأقل!!!.

ولا تقولوا كان بإمكانها إن لم تعاملنا معاملة المجاهدين المكرمين، أن تطالب بأن نعطى ولو بعض حقوق المجرمين!!.

ولا تقولوا كان بإمكانها أن لا تكون أسوأ موقفاً من بعض المنظمات الصليبية التي لم تستطع أمام فظاعة مأساتنا إلا أن ترفع صوتها في وجه الوحشية الأمريكية التي نعامل بها!!.

لا تقولوا شيئا من ذلك أبدا، ولا تؤاخذوا أمتكم بشيء من ذلك!!؛ لأن أمتكم في حالة تستحق عليها من الشفقة والرثاء، أكثر مما تستطيع تحمله من المؤاخذة والعتاب!!.

إن أمتكم في حالة اختطاف وقهر، ووضع اعتقال وأسر، هو أسوأ بكثير من الوضع الذي أنتم فيه في (غوانتنامو)!! فحالكم في (غوانتنامو) الصغير أحسن ألف مرة من حالها في (غوانتنامو) الكبير!!.

فأنتم رغم كل المعاناة، تُذِلون بصمودكم سجانيكم كل يوم، وتستعلون بإيمانكم على أعدائكم كل ساعة، وتفرضون عليهم بذلك احترامكم وتقديركم في قرارة أنفسهم، ويدفعون ثمن أسركم كل يوم، ويحسبون لكم ألف حساب وحساب.

أما حكام هذه الأمة المأسورة المقهورة، وبعض المسلمين من أصحاب الفطر المنكوسة، فهم يقبلون الأيدي التي تصفعهم كل صباح، ويمسحون الأحذية التي تدوسهم كل مساء، وينفقون بسخاء على سجانيهم وجلاديهم، بعد أن تطوعوا هم ببناء السجن الذي يقبعون فيه، وبناء وتوسعة القواعد العسكرية التي تحمي (غوانتنامو) الكبير هذا!!.

وهم يعتبرون وجودهم في هذا لسجن الكبير نعمة من سيد السجن، ومنة من السجان الذي سمح لهم بدخوله، والإقامة فيه، والتمتع بالحماية التي يحصل عليها نزلاء هذا السجن!!.

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم!!

إن من الإجحاف بمن هذه حاله في الأسر والقهر الاختياري، أن يطالب بتحرير غيره في الأسر الإجباري!.

ولا تستغربوا من هذه الحقائق المؤلمة!! ولا تقولوا كيف يكون هنالك سجن اختياري يرفض السجناء والخروج منه، ويدفعون كل غال ونفيس حتى لا يخرجهم السجان منه؟.

إن النفوس الذليلة، والهمم العليلة، عندما تتعود على الذل والمهانة، وتألف الاستخذاء والحقارة، تنتكس فطرتها، فيصبح عندها نفور من كل ما لم تألفه من معاني العزة والكرامة، والقيادة والإمامة، والنخوة والشهامة!!.

فهي لا تقبل بالحرية والسيادة، ولا بالريادة والقيادة، ولو قُدّمت لها دون أي بذل أو تضحية، فضلا عن أن تسعى لها بما تستحق من بذل وعطاء، وتضحية وفداء!!.

ومثال هذا الحيوانات الداجنة التي ألفت أن تكون تحت تسخير الإنسان مثل الدجاج، فلو حاول الإنسان طردها لتعيش حرة طليقة في البراري مع أخواتها البرية لما قبلت ذلك، ولو قبلت لماتت من الجوع العطش، لأنها لم تعرف حياة الحرية والاستقلال!!.

وكذلك الخفافيش التي تعودت على الحياة في الظلام، فإنها تعمى عند رؤيتها للضوء!!.

وهذا المعنى هو الذي أشار إليه الشاعر أبو الطيب المتنبي بقوله:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام!!

أنتم أيها الصامدون في (غوانتنامو) الصغير، أنتم الذين ستحررون الأمة من (غوانتنامو) الكبير، وتعيدون لها ما ضيعت من كرامتها، وفرطت فيه من عزتها!!.

أنتم والصادقون من أبناء هذه الأمة الأوفياء، ومن إخوانكم الذين لن يقر لهم قرار حتى يخرجوكم من الأسر بقوة السيف وعون القهار، أنتم الذين بعد توفيق الله ستتحرر بكم الأمة من الأسر، وينجبر بكم الكسر ويزول بكم القهر.

ولكن بعدما يتحقق ما أراد لكم الله من خير في محنتكم هذه، وكم من منحة إلهية جاءت في صورة محنة!! ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

٣- تفاءلوا واستبشروا فالنصر قادم [١]:

"بالأمل لا بالألم.. باليقين لا بالقنوط.. بالثقة لا باليأس.. بالعزيمة لا بالخور.. بالإصرار لا بالتراجع.. أبعثها صرخة حق مدوية ورسالة تشق جدار الصمت، وتنير دياجير الظلام، وتتحدى جموع الظلم رسالةً غريب في غربته إلى: الأسد الرابض في عرينه.. إلى البطل الثابت رغم العذاب.. إلى الصامد رغم قهر الجلاد.. إلى الأبي في زمن الخضوع.. إلى الشامخ في زمن الانبطاح.. إلى الرافض ذل العبيد.. إلى الحر وراء قضبان الحديد.. إلى من أبى الانحناء إلا للواحد المولى المجيد..

أخي الأسير (الحر):

أخي أنت حر وراء السدود أخي أنت حر بتلك القيود
إذا كنت بالله مستعصماً فماذا يضيرك كيد العبيد؟!

نعم أخي، ماذا يضيرك كيد العبيد وأنت تعلم أن الحرية الحقيقية هي أن يعيش الإنسان لدينه وعقيدته ومبدئه، أن يعيش رافع الرأس، شامخ الجبين، عزيز النفس، يومه أفضل من أمسه، وغده أفضل من يومه ولو لاقى في سبيل ذلك ما لاقى.

أما من يريد أن يعيش الحياة لمجرد الحياة، وأن يحي بلا مبدأ، وأن يموت بلا هدف فهو لا يعدو أن يكون كائناً حياً من الكائنات على هذه الأرض ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ أية حياة! ولو كانت حياة الذل!! حياة الهوان!! حياة الاستكانة والخضوع!!

---

[١] مقال بعنوان (رسالة من غريب إلى أسير) بقلم فضيلة الشيخ سليمان أبو غيث.

أما أنت فقد رفضت إلا أن تكون عزيزاً، والعزيز يصارع الأهوال ويركب الصعاب لتحقيق عزته، ولو لم يكن إلا الموت ثمناً لتلك العزة فإنه لن يتردد أن يتجرع كأسه، ولسان حاله ومقاله يردد:

أتحسب المجد تمراً أنت آكله؟! لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

أخي الأسير (الحر): إن قيودك هي المفاتيح التي فكت أغلال أمة بأكملها فعرفت الأمة كلها أن هناك رجالاً يفنون أغلى لحظات أعمارهم في سبيل عزتها، ويحرقون أوراق أعمارهم ليضيئوا طريقها، ويخنقون حريتهم لتتنفس وتشتم عبق حريتها..

رجالاً آثروا قيود الحديد على قيود الحرير ما دام في الأخرى الرضا على الذل، والسكوت عن الحق، وغض الطرف عن الظلم، والتسليم لحكم الطاغوت، والقعود عن محاربة من اعتدى على ديننا وعقيدتنا وأعراضنا ومقدساتنا..

رجالاً يرون المحنة منحة، والسجن خلوة، والنفي من البلاد سياحة، والقتل في سبيل الله شهادة يرون ذلك حقيقة لا خيالاً، وواقعاً لا تنظيراً، وعملاً لا قولاً، وممارسة لا ادعاءً.

أخي الأسير (الحر): إن الله إذا أحب عبده أصاب منه وابتلاه، ومن نحن حتى ينظر الله إلينا فيصب منا؟! (فيكون منا الطريد ومنا الشريد ومنا الخائف ومنا الأسير ومنا الكسير ومنا ومنا...) إن هذا محض فضله عز وجل. قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾، ((إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه)).

ولقد كان الصالحون من سلف هذه الأمة المهتدون يفرحون بالبلاء كما يفرح غيرهم بالعافية؛ وما ذاك إلا لأنهم يعلمون أنه علامة حب المولى عز وجل.

أخي الحبيب: إن لك في الأنبياء ومن سار على هديهم وطريقهم أسوة وقدوة حسنة وتسلية لمصابك، فها هو موسى عليه السلام يدخل حياة النفي والمطاردة والخوف والترقب سنين طويلة لتكون له بعد ذلك العاقبة على فرعون وملئه، وها هو يوسف عليه السلام يدخل مدرسة السجن ظلماً وزوراً ليخرج منها ملكاً على خزائن الأرض ويجمع الله بينه وبين أبويه وأخوته، وها هو النبي يدخل الحصار الجائر ثلاث سنين ليخرج فاتحاً منتصراً يرى الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، وها هو أحمد بن حنبل رحمه الله يدخل السجن وينهك جسده من الجلد ليحفظ على الأمة عقيدتها فيكون بذلك إماماً يقتدى به، وها هو ابن تيمية يحبس في القلعة لا يرى النور (يتعرف على مواقيت الصلاة من مواعيد الطعام) لينال بذلك شرف الإمامة في الدين فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.. ولن يمكّن الإنسان حتى يبتلى كما قال الإمام الشافعي رحمه الله. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾.

وأنت أيها البطل الحر ستخرج من سجنك وأسرك – بإذن الله تعالى – ولكن عزيزاً منتصراً، حراً أبياً، فالانتصار الحقيقي هو انتصار الروح.. انتصار العقيدة.. انتصار المبادئ والقيم.. إنه الانتصار الحقيقي في الحياتين الدنيا والآخرة ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾، وقال سبحانه: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

ولو مت في أسرك فماذا يضيرك، فإنما هو ما خرجت من أجله الشهادة في سبيل الله فماذا سيفعل بك أعداءك؟! ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

أخي الأسير (الحر): إن هذا الدين يطلب منا الكثير ويريد منا الكثير، مهجاً تبذل، وأرواحاً تزهق، وأوقاتا تنفق، وأموالاً تضيع، وترك لمحبوبات النفس من المال والأهل والولد، وما ذاك إلا لتحقيق الغاية العظمى والهدف الأسمى وهو التمكين لدين الله، ولا يستطيع أن

يتحمل كل تلك التكاليف إلا أنت وأمثالك ممن آثروا الحياة الدنيا على الآخرة، ومن فهم غير هذا الفهم أو ظن غير هذا فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

يقول العلامة أبو الحسن الندوي رحمه الله: "وكانت قضية الإنسانية أعظم من أن يقوم لها أفراد متنعمون، لا يتعرضون لخطر ولا لخسارة ولا لمحنة، لهم النعيم الحاضر والغد المضمون!، إنما تحتاج هذه القضية إلى أناس يضحون بإمكانياتهم ومستقبلهم في سبيل خدمة الإنسانية وأداء رسالتهم المقدسة، ويعرضون نفوسهم وأموالهم ومعائشهم وحظوظهم من الدنيا للخطر والضياع، وتجاراتهم وحرفهم ومكاسبهم للتلف والكساد ويخيبون آمال آبائهم وأصدقائهم فيهم، حتى يقولوا للواحد منهم كما قال قوم صالح: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا﴾.

إنه لا بقاء للإنسانية ولا قيام لدعوة كريمة بغير هؤلاء المجاهدين، وبشقاء هذه الحفنة من البشر – كما يعتقد كثير من معاصريهم – تنعم الإنسانية وتسعد الأمم، ويتحول تيار العالم من الشر إلى الخير.

ومن السعادة أن يشقى أفراد وتنعم أمم، وتضيع أموال وتكسد تجارات لبعض الأفراد وتنجو نفوس وأرواح لا يحصيها إلا الله من عذاب الله ومن نار جهنم...

إن العالم لا يسعد وخيرة الشباب في العواصم العربية عاكفون على شهواتهم، تدور حياتهم حول المادة والمعدة لا يفكرون في غيرهما، ولا يترفعون عن الجهاد في سبيلهما، ولقد كان شباب بعض الأمم الجاهلية الذين ضحوا بمستقبلهم في سبيل المبادئ التي اعتنقوها أكبر منهم نفساً وأوسع فكراً، بل كان الشاعر الجاهلي "امرؤ القيس" أعلى منهم همة إذ قال:

ولو أني أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليلاً من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

إن العالم لا يمكن أن يصل إلى السعادة إلا على قنطرة من جهاد ومتاعب يقدمها الشباب المسلم.

إن الأرض لفي حاجة إلى سماد وسماد أرض البشرية التي تصلح به وتنبت زرع الإسلام الكريم هي الشهوات والمطامع الفردية؛ التي يضحي بها الشباب في سبيل علو الإسلام وبسط الأمن والسلام على العالم، وانتقال الناس من الطريق المؤدية على جهنم إلى الطريق المؤدية إلى الجنة. إنه لثمن قليل جدا لسلعة غالية جدا" أهـ.

أخي الأسير (الحر): نحن – في أسر الغربة وقيودها وحياة الخوف والترقب – وأنت – في أسر العدو وقيوده – كلنا يحترق ليضئ للإسلام، ويخسر ليربح الإسلام، ويضحي ليمكّن الإسلام، ويموت ليحيا الإسلام، ويخاف ليأمن أهل الإسلام.

فكن يا أخي متفائلاً فالمستقبل لهذا الدين.. كن مستبشراً فالنصر للمسلمين.. كن واثقاً فالعاقبة للمتقين.. كن مستيقناً فالله لا يضيع أجر المحسنين.. كن صابراً ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

متفائل واليأس بالمرصاد متفائل بالسبق دون جياد
متفائل رغم القنوط يذيقنا جمر السياط وزجرة الجلاد
متفائل بالغيث يسقي أرضنا وسماؤنا شمس وصحو باد
متفائل بالزرع يخرج شطأه رغم الجراد ومنجل الحصاد
متفائل يا قوم رغم دموعكم إن السما تبكي فيحيا الوادي
والبحر يَبقى خيره أتضره يا قومنا سنارة الصياد؟!
فدعوا العدو بمكره وذيوله نمل يدب بغابة الآساد

متفائل بشرى النبي قريبة فغداً سنبصر طلعة الأمجاد
قسماً بمن أسرى بخير عباده وقضى بدائرة الهلاك لعاد
لتدور دائرة الزمان عليهم ويكون حقاً ما حكاه الهادي
هذا يقيني وهو لي بل الصدا والكأس غامرة لغلة صادي
فاجعل يقينك بالإله حقيقة واصنع بكفك صارماً لسداد

أخي الأسير (الحر): أخيراً أبعث بكلمة للأمة الإسلامية لأقول لها ولست بذلك مستجدياً أو متمنياً بل طالباً لحق شرعي تأثم الأمة كلها إن لم يقم منها من يحققه، ألا وهو الجهاد من أجل فك أسرى المسلمين، فإنه يجب الجهاد على الأمة ويتعين إذا وقع مسلم بأسر الكفار فكيف ومئات من المؤمنين الصادقين والمجاهدين المحتسبين أسرى بيد الكفار؟!

كيف يهنأ مسلم بشراب أو يستلذ بطعام أو يغمض له جفن وإخوانه في العقيدة يسامون سوء العذاب ويلاقون ألوان الذل والهوان على أيدي الأنجاس وأراذل الخلق؟!.

أما سأل كل مسلم نفسه لماذا يلاقي هؤلاء ما يلاقون؟ أما استشعر كل مسلم أنه لو كان مكان أخيه الأسير بماذا سيفكر وماذا سيطلب؟

أنسينا قول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ..﴾، أنسينا قول النبي: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))؟

أم أن الكفار نجحوا بتمزيقنا عقدياً كما نجحوا في تمزيقنا جغرافياً؟؟!!

أنسينا ما قام به هارون الرشيد لما جاءته رسالة امرأة مسلمة أسرها الروم؟ أم هل لم ننتبه لما يفعله الكفار وما يقومون به من حركة دؤوب وإخلاص كبير في سبيل إنقاذ أسراهم ورهائنهم؟ أيكون الكفار أرحم ببعضهم البعض منا نحن المسلمين ببعضنا البعض؟

((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)).

فإلى كل مؤمن ومؤمنة، إلى كل من يؤمن بالله واليوم الآخر، إلى كل من يحسب حساباً ليوم الحساب: إن إخوانكم المجاهدين الأسرى أمانة بأعناقكم جميعاً وستسألون عنهم بين يدي الله عز وجل فماذا أنتم قائلون؟؟.

أما نحن أخي الأسير الحر فلن يقر لنا قرار حتى نراك بيننا حراً طليقاً بإذن الله عز وجل".

٤ - تأملوا رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية لطلابه وهو في حبس الإسكندرية ففيها معاني رائعة:

رسالة من شيخ الإسلام - قدس الله روحه - إلى أصحابه وهو في حبس الإسكندرية قال [١]:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

والذي أعرف به الجماعة أحسن الله إليهم في الدنيا وفي الآخرة وأتم عليهم نعمته الظاهرة والباطنة فإني - والله العظيم الذي لا إله إلا هو - في نعم من الله ما رأيت مثلها في عمري كله، وقد فتح الله سبحانه وتعالى من أبواب فضله ونعمته وخزائن جوده ورحمته ما لم يكن بالبال، ولا يدور في الخيال ما يصل الطرف إليها، يسرها الله تعالى حتى صارت مقاعد، وهذا يعرف بعضها بالذوق من له نصيب من معرفة الله وتوحيده وحقائق الإيمان وما هو مطلوب الأولين والآخرين من العلم والإيمان.

فإن اللذة والفرحة والسرور وطيب الوقت والنعيم الذي لا يمكن التعبير عنه إنما هو في معرفة الله سبحانه وتعالى وتوحيده والإيمان به، وانفتاح الحقائق الإيمانية والمعارف القرآنية،

---

[١] (مجموع الفتاوى (٢٨/٣٠ - ٤٦).

كما قال بعض الشيوخ: لقد كنت في حال أقول فيها: إن كان أهل الجنة في هذه الحال إنهم لفي عيش طيب.

وقال آخر: لتمر على القلب أوقات يرقص فيها طربا وليس في الدنيا نعيم يشبه نعيم الآخرة إلا نعيم الإيمان والمعرفة. ولهذا كان النبي ﷺ يقول: ((أرحنا بالصلاة يا بلال)) ولا يقول: أرحنا منها كما يقوله من تثقل عليه الصلاة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إلا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾. والخشوع: الخضوع لله تعالى والسكون والطمانينة إليه بالقلب والجوارح. وكان النبي ﷺ يقول: ((حبب إليّ من دنياكم النساء والطيب))، ثم يقول: ((وجعلت قرة عيني في الصلاة))، ولم يقل: (حبب إلي من دنياكم ثلاث) كما يرفعه بعض الناس، بل هكذا رواه الإمام أحمد والنسائي أن المحبب إليه من الدنيا النساء والطيب وأما قرة العين تحصل بحصول المطلوب وذلك في الصلاة.

والقلوب فيها وسواس النفس والشيطان يامر بالشهوات والشبهات ما يفسد عليه طيب عيشها، فمن كان محبا لغير الله فهو معذب في الدنيا والآخرة؛ إن نال مراده عذب به؛ وإن لم ينله فهو في العذاب والحسرة والحزن.

وليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يحبه، ولا تمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله، وهي ملة إبراهيم الخليل عليه السلام وسائر الأنبياء والمرسلين صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين. وكان النبي ﷺ يقول لأصحابه: ((قولوا: أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد ﷺ، وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين)).

(والحنيف) للسلف فيه ثلاث عبارات: قال محمد بن كعب: مستقيما. وقال عطاء: مخلصا. وقال آخرون: متبعا. فهو مستقيم القلب إلى الله دون ما سواه، قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾. قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة. فلم يلتفتوا

بقلوبهم إلى ما سواه، لا بالحب، ولا بالخوف، ولا بالرجاء، ولا بالسؤال، ولا بالتوكل عليه؛ بل لا يحبون إلا الله، ولا يحبون معه أندادا، ولا يحبون إلا إياه؛ لا لطلب منفعة، ولا لدفع مضرة، ولا يخافون غيره كائنا من كان، ولا يسألون غيره ولا يتشرفون بقلوبهم إلى غيره.

ولهذا قال النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه: ((ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل ولا متشرف فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك)) -فالسائل بلسانه والمتشرف بقلبه- متفق على صحته. وعن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: ((من يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يصبر يصبره الله)) متفق على صحته. فالغنى في القلب كما قال النبي ﷺ: ((ليس الغنى عن كثرة المال، ولكن الغنى غنى النفس)). (والعفيف) الذي لا يسأل بلسانه لا نصرا ولا رزقا. قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۚ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ إلى آخر السورة. وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أي: لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإنه سبحانه وتعالى من حسن تدبيره لعبده وتيسيره له أسباب الخير من الهدى للقلوب والزلفى لديه والتبصير: يدفع عنه شياطين الإنس والجن ما لا تبلغ العباد قدره.

والخير كله في متابعة النبي ﷺ النبي الأمي الذي ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ إلى آخر الآية. وأكثر الناس لا يعرفون حقائق ما جاء به، إنما عندهم قسط من ذلك. ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ والجهاد يوجب هداية السبيل إليه. وقال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. فكل من اتبع الرسول فإن الله حسبه، أي كافيه وهاديه وناصره، أي: كافيه كفايته وهدايته وناصره ورازقه.

فالإنسان ظالم جاهل كما قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ إلى قوله: ﴿ظَلُومًا جَهُولاً﴾ وإنما غاية أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين وجنده الغالبين التوبة. وقد قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ وتوبة كل إنسان بحسبه وعلى قدر مقامه وحاله.

ولهذا كان الدين مجموعا في التوحيد والاستغفار قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾. قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾. وقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ ففعل جميع المامورات وترك جميع المحظورات يدخل في التوحيد في قول: لا إله إلا الله، فإنه من لم يفعل الطاعات لله ويترك المعاصي لله: لم يقبل الله عمله قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ قال طلق بن حبيب: التقوى: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله.

ولا بد لكل عبد من التوبة والاستغفار بحسب حاله.

والعبد إذا أنعم الله عليه بالتوحيد فشهد أن لا إله إلا الله مخلصا من قلبه – الإله هو المعبود الذي يستحق غاية الحب والعبودية بالإجلال والإكرام والخوف والرجاء، يفنى القلب بحب الله تعالى عن حب ما سواه، ودعائه والتوكل عليه وسؤاله عما سواه وبطاعته عن طاعة ما سواه – لاه الله بالأمن والسرور والحبور والرحمة للخلق، والجهاد في سبيل الله، فهو يجاهد ويرحم. له الصبر والرحمة قال الله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ وكلما قوي التوحيد في قلب العبد قوي إيمانه وطمانينته وتوكله ويقينه.

والخوف الذي يحصل في قلوب الناس هو الشرك الذي في قلوبهم قال الله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾. وكما قال الله جل جلاله في قصة الخليل عليه السلام: ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ إلى قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ

بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾. وفي الحديث الصحيح: ((تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش)).

فمن كان في قلبه رياسة لمخلوق ففيه من عبوديته بحسب ذلك. فلما خوفوا خليله بما يعبدونه ويشركون به – الشرك الأكبر كالعبادة – قال الخليل: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يقول: إن تطيعوا غير الله وتعبدوا غيره وتكلمون في دينه ما لم ينزل به سلطانا: فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون؟ أي تشركون بالله ولا تخافونه وتخوفوني أنا بغير الله فمن ذا الذي يستحق الأمن إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ أي: هؤلاء الموحدون المخلصون. ولهذا قال الإمام أحمد لبعض الناس: لو صححت لم تخف أحدا.

ولكن للشيطان وسواس في قلوب الناس كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إلا يَخْرُصُونَ﴾. أخبر سبحانه وتعالى: أن ما جاءت به الرسل والأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – لا بد له من عدو شياطين الإنس والجن يوسوسون القول المزخرف، ونهى أن يطلب حكما من غير الله بقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً﴾ والكتاب: هو الحاكم بين الناس شرعا ودينا وينصر القائم نصرا وقدرا. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

وقال تعالى:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ و (الميزان) هو: العدل وما به يعرف العدل، وأنزل الحديد لينصر الكتاب، فإن قام صاحبه بذلك كان سعيدا مجاهدا في سبيل الله، فإن

الله نصر الكتاب بأمر من عنده، وانتقم ممن خرج عن حكم الكتاب كما قال تعالى: ﴿إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله ﷺ لأبي بكر: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ وكل من وافق الرسول ﷺ في أمر خالف فيه غيره فهو من الذين اتبعوه في ذلك، وله نصيب من قوله: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾؛ فَإِنَّ المعية الإلهية المتضمنة للنصر هي لما جاء به إلى يوم القيامة، وهذا قد دل عليه القرآن وقد رأينا من ذلك وجربنا ما يطول وصفه. وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ﴾ إلى آخر السورة. وقال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ فمن شنأ شيئا مما جاء به الرسول ﷺ فله من ذلك نصيب، ولهذا قال أبو بكر بن عياش لما قيل له: إن بالمسجد أقواما يجلسون ويجلس الناس إليهم فقال: من جلس للناس جلس الناس إليه، لكن أهل السنة يبقون ويبقى ذكرهم وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم. وذلك أن أهل البدعة شنؤوا بعض ما جاء به الرسول ﷺ فأبترهم بقدر ذلك، والذين أعلنوا ما جاء به النبي ﷺ فصار لهم نصيب من قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾. فإن ما أكرم الله به نبيه من سعادة الدنيا والآخرة فللمؤمنين المتابعين نصيب بقدر إيمانهم. فما كان من خصائص النبوة والرسالة فلم يشارك فيه أحد من أمته وما كان من ثواب الإيمان والأعمال الصالحة فلكل مؤمن نصيب بقدر ذلك.

والله تعالى يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ بالحجة والبيان، وباليد واللسان، وهذا إلى يوم القيامة، لكن الجهاد المكي بالعلم والبيان، والجهاد المدني مع المكي باليد والحديد قال تعالى: ﴿فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ وسورة الفرقان مكية، وإنما جاهدهم باللسان والبيان، ولكن يكف عن الباطل وإنما قد بين في المكية. وقال تعالى: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَاتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾. وقال تعالى: ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ فبين سبحانه وتعالى: أنه أرسل رسله. والناس رجلان: رجل يقول: أنا مؤمن به مطيعه، فهذا لا بد أن يمتحن حتى يعلم صدقه من كذبه. ورجل مقيم على المعصية، فهذا قد عمل السيئات فلا يظن أن يسبقونا بل لا بد أن ناخذهم. وما لأحد من خروج عن هذين القسمين. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ إلى قوله: ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾.

فبين سبحانه حال من يجادل في الدين بلا علم; والعلم: هو ما بعث الله به رسوله ﷺ وهو: السلطان كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾؛ فمن تكلم في الدين بغير ما بعث الله به رسوله ﷺ كان متكلما بغير علم، ومن تولاه الشيطان فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير، ومن انقاد لدين الله فقد عبد الله باليقين، بل إن أصابه ما يهواه استمر وإن أصابه ما يخالف هواه رجع، وقد عبد الله على حرف والحرف هو: الجانب كحرف الرغيف، وحرف الجبل ليس مستقرا بثبات ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ في الدنيا ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ أي: محنة امتحن بها ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾. وحرف الجبل ليس مستقرا بالثبات معناه: خسر الدنيا بما امتحن به وخسر الآخرة برجوعه عن الدين. ﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ﴾ الآية. أي: يدعو المخلوقين؛ يخافهم ويرجوهم وهم لا يملكون له ضرا ولا نفعا، بل ضرهم أقرب من نفعهم. وإن كان سبب نزولها في شخص معين أسلم وكان مشركا فحكمها عام في كل من تناوله لفظها ومعناها إلى يوم القيامة.

فكل من دعا غير الله فهو مشرك، والعيان يصدق هذا، فإن المخلوقين إذا اشتكى إليهم الإنسان فضررهم أقرب من نفعهم، والخالق جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا إله غيره إذا اشتكى إليه المخلوق وأنزل حاجته به واستغفره من ذنوبه: أيده وقواه وهداه وسد فاقته وأغناه

وقربه وأقناه وحبه واصطفاه، والمخلوق إذا أنزل العبد به حاجته استرذله وازدراه ثم أعرض عنه، خسر الدنيا والآخرة. وإن قضى له ببعض مطلبه؛ لأنه عنده من بعض رعاياه يستعبده بما يهواه قال الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

وهذا باب واسع قد كتبت فيه شيئا كثيرا وعرفته: علما وذوقا وتجربة.

فصل. وفي الجملة ما يبين نعم الله التي أنعم بها علي وأنا في هذا المكان أعظم قدرا وأكثر عددا ما لا يمكن حصره، وأكثر ما ينقص علي الجماعة، فأنا أحب لهم أن ينالوا من اللذة والسرور والنعيم ما تقر به أعينهم، وأن يفتح لهم من معرفة الله وطاعته والجهاد في سبيله ما يصلون به إلى أعلى الدرجات، وأعرف أكثر الناس قدر ذلك فإنه لا يعرف إلا بالذوق والوجد، لكن ما من مؤمن إلا له نصيب من ذلك ويستدل منه بالقليل على الكثير. وإن كان لا يقدر قدره الكبير وأنا أعرف أحوال الناس والأجناس واللذات. وأين الدر من البعر؟ وأين الفالوذج من الدبس؟ وأين الملائكة من البهيمة أو البهائم؟ لكن أعرف أن حكمة الله وحسن اختياره ولطفه ورحمته يقتضي أن كل واحد يريد أن يعبد الله ويجاهد في سبيله – علما وعملا بحسب طاقته ليكون الدين لله، ويكون مقصود قوله: كلمة الله هي العليا، ولا يكون حبه وبغضه ومعاداته ومدحه وذمه إلا لله – لا لشخص معين.

وَالْهَادِي الْمُطْلَقُ الَّذِي يَهْدِي إِلَى كُلِّ خَيْرٍ – وَكُلُّ أَحَدٍ مُحْتَاجٌ إِلَى هِدَايَتِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ – هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ أَفْضَلُ أُمَّتِهِ أَفْضَلُهُمْ مُتَابَعَةً لَهُ وَهَذَا يَكُونُ بِالإِيمَانِ وَالْيَقِينِ وَالْجِهَادِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ لا بُدَّ لَهُ مِنْ ثَلاثَةِ أُمُورٍ:

أَوَّلُهَا: أَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.

وثانيها: لا يرتاب بعد ذلك: أن يكون موقنا ثابتا، واليقين يخالف الريب، والريب نوعان: نوع يكون شكا لنقص العلم. ونوع يكون اضطرابا في القلب. وكلاهما لنقص الحال الإيماني؛ فإن الإيمان لا بد فيه من علم القلب وليس كل مكان يكون له علم يعلمه. وعمل القلب أو بصيرته وثباته وطمأنينته وسكينته وتوكله وإخلاصه وإنابته إلى الله تعالى، وهذه الأمور كلها في القرآن، فإن الصادق من لا يقلق قلبه، والكاذب يقلق قلبه، وليس هناك شك بل يعلم أن الريب أعم من الشك.

ولهذا في الدعاء الماثور: ((اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك)) الحديث إلى آخره. وفي المسند والترمذي عن أبي بكرة رضي عنه أنه قال: ((سلوا الله اليقين والعافية، فإنه لم يعط خير من اليقين والعافية، فاسألوها الله سبحانه وتعالى)). والعرب تقول: ماء يقن إذا كان ساكنا لا يتحرك. فقلب المؤمن مطمئن لا يكون فيه ريب. هذا معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾. وفي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (أعطى رسول الله ﷺ رهطا ولم يعط رجلا وهو أحب إلي منهم، فقلت: يا رسول الله ما لك عن فلان؟ فوالله الله: أراه مؤمنا قال: أو مسلما مرتين أو ثلاثا ثم قال: إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكبه الله على وجهه في النار).

ثم قال رحمه الله: والمقصود إخبار الجماعة بأن نعم الله علينا فوق ما كانت بكثير كثير، ونحن بحمد الله في زيادة من نعم الله، وإن لم يمكن خدمة الجماعة باللقاء فأنا داع لهم بالليل والنهار؛ قياما ببعض الواجب من حقهم، وتقربا إلى الله تعالى في معاملته فيهم.

والذي آمر به كل شخص منهم أن يتقي الله ويعمل لله مستعينا بالله مجاهدا في سبيل الله. ويقصد بذلك أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الدين كله لله رب العالمين. وغيره بحسب ذلك كما أمر الله به ورسوله.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، وألف بين قلوبهم، وأصلح ذات بينهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم، واهدهم سبل السلام، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وجنبهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لهم في أسماعهم وأبصارهم ما أبقيتهم، واجعلهم شاكرين لنعمك مثنين بها عليك، قابليها وأتممها عليهم يا رب العالمين.

اللهم انصر كتابك ودينك وعبادك المؤمنين، وأظهر الهدى ودين الحق الذي بعثت به نبينا محمدا ﷺ على الدين كله، اللهم عذب الكفار والمنافقين الذين يصدون عن سبيلك ويبدلون دينك ويعادون المؤمنين، اللهم خالف كلمتهم وشتت بين قلوبهم، واجعل تدمير المجرمين في تدبيرهم، وأدر عليهم دائرة السوء.

اللهم أنزل بهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين، اللهم مجري السحاب ومنزل الكتاب وهازم الأحزاب اهزمهم وزلزلهم وانصرنا عليهم. ربنا أعنا ولا تعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وامكر لنا ولا تمكر علينا، واهدنا ويسر الهدى لنا، وانصرنا على من بغى علينا.

ربنا اجعلنا لك شاكرين مطاوعين مخبتين أواهين منيبين. ربنا تقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، وثبت حجتنا، واهد قلوبنا، وسدد ألسنتنا واسلل سخائم صدورنا.

وهذا رواه الترمذي بلفظ إفراد وصححه وهو من أجمع الأدعية بخير الدنيا والآخرة وله شرح عظيم.

والحمد لله ناصر السنة وخاذل أهل البدعة والغرة، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا".

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي أكتبه وأبناء المسلمين من المجاهدين الصادقين تتخطفهم أيدي الكفر في كل مكان من شرق الأرض إلى غربها من الكفار الأصليين والكفار المرتدين، وأنا مطارد من قبل جند الطاغوت؛ فوالله لقد كتبت مقدمة هذا البحث في مدينة وخاتمته في مدينة أخرى وأرسلته من مدينة أخرى، وكما قال الله عز وجل وهو يمتن على رسول الله ﷺ وعلى صحابة رسول الله فيقول: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وأنقل لقرائي الأخيار كلام الإمام ابن النحاس رحمه الله في خاتمة كتابه العظيم (مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام) يقول [١]:

"فممّا على كل مسلم من الحقوق أن يرى ما هو فيه من النعم ويشكر من كان السبب فيها، ويجتهد في الدعاء لمن بذل نفسه في سبيل الله حتى وصل هو مع ضعفه إليها، ويشهد وفور عجزه وقصور همته عن الاقتداء بهم في بذل ماله ومهجته، ويعلم يقيناً أنه لولا من أقامهم الله من الصحابة والتابعين ومن اقتفى سنَنَهم من الغزاة والمجاهدين، أنصار الدين وحماته، وشجعان الإسلام وكماته، رجال الطعن والضرب، وفاتحو الشرق والغرب، وما استنجدوه من جنودهم، وحشدوه من حشودهم، وما جمعوه من الجحافل الحافلة، وأنفقوا من الحواصل المتواصلة، وما دافعوه من القساور القاسرة، وواقعوه من العساكر الكاسرة، إلى أن ردوا المرتدين عن ملة الإسلام إليها، واستنزلوا ملوك الروم والفرس عن أسِرّتِهم وعلوا عليها، واستلبوا ثياب عزهم عن أجسامهم واجتذبوا تيجانهم عن هامهم، واستعذبوا شرب دمائهم بشفاه شفارهم وألسنة أسنتهم وسهامهم، ومزقوا منهم الجسوم والرسوم، وألحقوا الموجود منهم بالمعدوم، وأدخلوا جموع الباقين منهم، وإن كانوا ألوف الألوف كثرة في باب القلة، وأنزلوا

---

[١] (٢/ ١٠٨٧-١٠٨٩).

شم الأنوف العالين منهم على رغم الأنوف أرض الهوان والذلة، وأقاموا على محصن حصونهم ومدنهم بالمجانيق، حدود الرجم المشروع؛ لما كنا قاطنين في أطلال نعمهم بغمّهم فيها وهمّهم، ولما عشنا آمنين في ظلال هممهم، بجودهم بأنفسهم وكرمهم، إلى أن جهلنا بمؤانسة العوائد اجتهدوا عليه، وذهلنا عن مقايسة المعاند والخروج إليه، واستغنينا بما أسدوا إلينا عن شرب كؤوس الحتوف، في الاكتساب بالرماح والسيوف واستعنَّا بالرفاهية في ذلك والنعيم على منع ما أوجبه البيع القديم علينا من التسليم، وقنعنا بما نحن فيه من الأنشاب والأسباب وغبطنا أنفسنا بالزائل من المنازل والأحباب، وركنا إلى الدنيا ركون الظمآن إلى شراب السراب، وسكنا إلى دار الغرور سكون من ليس له عنها انقلاب ولا مآب، وأعرضنا عن الجهاد إذ لا فقر ولا فرق يدعو إليه، وأخلدنا من أوج الجلاد إلى حضيض الكسل، إذ لا أحد يذكر الغزو، ولا يحض عليه، فأخلق الجديد أن مع الأمان ثوب الجهاد، بعد أن كان جديداً بهياً، وذوى بالهوى والهوان نمعنه بعد أن كان نضيداً زهياً، وهوى نجمه من سماء عزة بعد أن كان مشرقاً سنياً، وانمحى رسمه واسمه كأن لم يكن له من قبل سمياً، فضعف الدين لذلك بعد أن كان أيداً قوياً، ووهى ركن المسلمين بعد أن كان مؤيداً محمياً، فصرنا نتخطف بأيدي العدو الغائر براً وبحراً، ونلتقط كما يلتقط الطائر الحب سراً وجهراً، ونؤخذ جمعاً وفرادى بالمواسط والسواحل، فلا تتحرك القلوب لذلك، كأنهم على الحق ونحن على الباطل.

فلا تنكر أيها الأخ ما بنا من فساد الأحوال، وما إليه أمرنا من النقص آل بعد الكمال، إذ تركنا من الدين شعيرته العظمى، وأهملنا من أمور المشركين ما به كلفنا، وأقبلنا على بناء المساكن والدور، ورغبنا من دار الشرور في كل محذور، فلا يمر بنا الجهاد أبداً على بال، ولا نرى مندوحة عن الاجتهاد في طول الآمال، وكنز الأموال والكتمان لما نحن فيه أولى من المقال، ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فما لهم من دونه من وال.

اللهم: ببابك أوقفنا ركائب الذل والانكسار، وبجنابك أنخنا نجائب العجز والافتقار، ولعطائك مددنا يد الفاقة والاضطرار، وبفنائك وقفنا وأنت عالم الأسرار.. ربّ فلا تجعل ما ألّفته قرائحنا مردوداً إلينا بالطرد والإبعاد، ولا ما سطرته أناملنا شهيداً علينا يوم يقوم

الأشهاد، وارزقنا شهادة ننال بها أعلى رتب الزلفى لديك، وبيِّض وجوهنا يوم تسودُّ الوجوه وتبيض بين يديك، فأنت ذو الطول العظيم، والفضل العميم ولا حول ولا قوة إلا بك يا الله.

اللهم وصل أفضل صلاة وأكملها، وأشرفها قدراً وأجزلها، على سيدنا محمد الذي أذهبت ظلم الشرك باجتهاده، وأرهبت أمم الإفك بجهاده وجلاده، وعلى آله الأعيان الأمجاد، وصحبه الشجعان الأنجاد ما أومضت بوارق البوارق في ظلمات القساطل، وركضت سوابق الفيالق في صدمات الجحافل، وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً".

قصص تاريخية للمطلوبين
(هدية للـ ٢٦)

يا فتية قد طلقوا الدنيا [١]

شـــهداء أحســـبُ أنكم شـــهداء ودماؤكم علم لنا وســـناء شـــهداءُ
شـــهـداءُ أبكيكم وحُق ليَ البكـا ومـثـالـكـم في ديـنـهـم غـرباء
شـــهـداء تبكيكم ربوع جزيرةٍ قـد حـط رحـلَـهـمُ بهـا الأعـداء
شـــهـداء يبكيكم قبـاً تبكيكمُ بـدرٌ وطـيـبـةُ والـربى الـدهـنـاء
شـــهـداء تبكيكم مظلـةُ أحمـد وبكـاؤهـا من ذا المصـــابِ دمـاء
شـــهداء إن كانوا مضـــوا بجســـومهم عـنـا فـهـم بـفـعـالهـم أحـيـاء
شـــهـداء قـد خلعوا ثياب الذل قد حـلـوا مـكـاناً دونـه الـعـلـيـاء
شـــهـداء قـد صـــدعوا بحق الله في أمر خشـــى صـــدعـاً بـه عُلمـاء
شـــهـداء قـد قُتِلوا وقـد قتلتْهُمُ فـئـةُ الخنـا وقُضـــاتهُـا الجـهـلاء
شـــهـداء قد رفضـــوا خيانة دينهم ديـن الـنـبيّ محـجـةٌ بـيضـــاءُ
يا فـتـيـةً لله درُّ نـفـوســـهـم حُـيـيـتـمُ لا نامـتِ الجـبـنـاءُ
يا فـتـيـة بـذلـوا الـنـفـوسَ نجـابـة لله لمـا غـابـت الـنـجـبـاء
يا فـتـيـة أحـيـوْا مشـــاعـر أمـةٍ تاريخها في التضـــحيات ضـــياء
يا فتيـة قـد ســـطروا بـدمـائهم مـاذا تـكـون بـراءة وولاء
يا فـتـيـة قـد طـلـقـوا الـدنـيـا ولم تـفـتـنـهـمُ الـغـيـداءُ والحســـنـاء
ســـنَّيتمُ والله أفضـــلَ ســـنـةٍ لـكـم لأجـر الـعـامـلـينَ وراءُ
يا ليتني قـد كنـت فيكم شـــعرةً يا أســـوةً في الخير يا فضـــلاء
قـد نلتم الفردوس أحســـبكم ألا طـوبى لـكـم طـوبى أيا ســـعـداء
فســـقتكم الرحمـات والغفران من ربٍ كـــريمٍ ديمـــة هـــطـــلاءُ

---

[١] من شعر أبي عبد الله الزليطني.

يا فتية لما رآهم نايفُ ... والفهدُ تنهش روحه الأدواء
صارت ملامحُهُ من الذعر الذي ... يسري به وكأنهُ حِرباءُ
لا تفرحوا آل السعود بعرضهم ... في شاشة التلفاز يا عملاء
فلَيحيينَ بِعَرضهم جيلٌ كما ... أحْيا الغلامُ الناسَ يا بلهاء
جيلٌ تقلد سيفه لن ينثني ... حتى تعود الأمة الغراء
حتى تعود القبلتان وأرضنا ... وتُزاح عنا تلكمُ الظَّلماء
هُبوا ولبوا فتية الإسلام قد ... آن الأوان لأن يعاد بناء
آن الأوان لأن يراكم ربكم ... صدق اللقا ولتهنأ الشهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي سهل لعباده المتقين إلى مرضاته سبيلا، وأوضح لهم طرق الهداية وجعل تباع الرسول عليها دليلا، واتخذهم عبيدا له فأقروا له بالعبودية ولم يتخذوا من دونه وكيلا، وكتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه لما رضوا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا، والحمد لله الذي أقام في أزمنة الفترات من يكون ببيان سنن المرسلين كفيلا، واختص هذه الأمة بأنه لا تزال فيها طائفة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمره ولو اجتمع الثقلان على حربهم قبيلا، يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى ويبصرون بنور الله أهل العمى ويحيون بكتابه الموتى؛ فهم أحسن الناس هديا، وأقومهم قيلا، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، ومن ضال جاهل لا يعلم طريق رشده قد هدوه، ومن مبتدع في دين الله بشهب الحق قد رموه؛ جهاداً في الله وابتغاء مرضاته، وبياناً لحججه على العالمين وبيناته، وطلبا للزلفى لديه ونيل رضوانه وجناته، فحاربوا في الله من خرج عن دينه القويم وصراطه المستقيم، الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلعوا أعنة الفتنة وخالفوا الكتاب واختلفوا في الكتاب واتفقوا على مفارقة الكتاب ونبذوه وراء ظهورهم وارتضوا غيره منه بديلا.. أحمده وهو المحمود على كل ما قدره وقضاه، وأستعينه استعانة من يعلم أنه لا رب له غيره ولا إله له سواه، وأستهديه سبل الذين أنعم عليهم ممن اختاره لقبول الحق وارتضاه، وأشكره والشكر كفيل بالمزيد من عطاياه، وأستغفره من الذنوب التي تحول بين القلب وهداه، وأعوذ بالله من شر نفسي وسيئات عملي استعاذة عبد فار إلى ربه بذنوبه وخطاياه، وأعتصم به من الأهواء المردية والبدع المضلة، فما خاب من أصبح به معتصما وبحماه نزيلا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أشهد بها مع الشاهدين وأتحملها عن الجاحدين وأدخرها عند الله عدة ليوم الدين، وأشهد أن الحلال ما حلله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه، وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، وأشهد أن محمداً عبده المصطفى ونبيه المرتضى ورسوله الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي

يوحى، أرسله رحمة للعالمين وحجة للسالكين وحجة على العباد أجمعين، أرسله على حين فترة من الرسل، فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته وتعظيمه وتوفيره وتبجيله والقيام بحقوقه، وسد إليه جميع الطرق فلم يفتح لأحد إلا من طريقه، فشرح له صدره ورفع له ذكره، وعلم به من الجهالة وبصر به من العمى، وأرشد به من الغي، وفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، فلم يزل قائما بأمر الله لا يرده عنه راد، داعيًا إلى الله لا يصده عنه صاد، إلى أن أشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألفت القلوب بعد شتاتها، وسارت دعوته سير الشمس في الأقطار، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار، فلما أكمل الله به الدين وأتم به النعمة على عباده المؤمنين استأثر به ونقله إلى الرفيق الأعلى من كرامته، والمحل الأرفع الأسنى من أعلى جناته، ففارق الأمة وقد تركها على المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا من كان من الهالكين، فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة دائمة بدوام السماوات والأرضين، مقيمة عليهم أبدا لا تروم انتقالا عنهم ولا تحويلا.

أما بعد:

فإلى المجاهدين الذين حملوا على عاتقهم تغيير هذا الواقع الكئيب، إليهم وهم قليلٌ مستضعفون في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس، إليهم أقول: إن التاريخ يعيد نفسه وسنة الله تمضي لا يستطيع أحدٌ أن يوقفها ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٦٢]، ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾[الفتح: ٢٣]، ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾ [الاسراء: ٧٧].

وبما أنكم قد عزمتم على التغيير وقلب هذه الأنظمة الكافرة التي تحكم المسلمين فلا بد أن تضعوا في الحسبان أن الواقع كئيبٌ جداً، أنظمةٌ كافرة متسلطة تملك المال والإعلام والشيوخ والموارد، وفرقٌ وأحزابٌ تملأ العالم الإسلامي ما بين فِرَقٍ وأحزابٍ كافرة إلى ضالة إلى مبتدعة إلى منهزمة... إلخ.

والمسلمون قد عاشوا عقوداً متطاولة تحت هذا الذل والاستعباد، فهم بحقٍ جيل هزيمة وأنتم جيل التغيير، وكما سار أسلافكم محمد ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم فسيروا، فقد أتوا في واقع كئيب أيضاً وأوضاع مزرية للبشرية، فاستطاعوا بفضل الله عز وجل أن يقلبوا واقعهم وأن يقفوا وقفة رجل واحد في وجه الكفر والظلم والطغيان، وفي سنوات معدودة فتحوا جزيرة العرب وثبتوا أركان دولة الإسلام، ثم اتجهوا فاتحين للعالم، وفي أقل من نصف قرن وإذا بدولة الإسلام تمتد من الهند والسند والصين شرقاً إلى المغرب الأقصى والأندلس غرباً.

لم يأت ذلك من فراغ بل وطَّنوا نفوسهم على مشاق الطريق، فطوردوا وعُذبوا وسجنوا وقُتلوا وفُرّق بينهم وبين أهلهم وأموالهم، ثم كانت العاقبة لهم، وها هو التاريخ يعيد نفسه، فأنتم أحفاد الصحابة على نهجهم بإذن الله سائرون، ولطريقتهم في التغيير متبعون، فاصبروا على كل التبعات والمشاق التي تواجهونها، والنصر قريب بإذن الله، فحذارِ حذار من النكوص أو التبديل، وادعو الله الثبات ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ۝ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً ۝ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب٢٣: ٢١].

يقول سيد قطب رحمه الله في كتاب (هذا الدين): (يوم جاء الإسلام أول مرة وقف في وجهه واقع ضخم، واقع الجزيرة العربية، وواقع الكرة الأرضية، وقفت في وجهه عقائد وتصورات، ووقفت في وجهه قيم وموازين، ووقفت في وجهه أنظمة وأوضاع، ووقفت في وجهه مصالح وعصبيات..

كانت المسافة بين الإسلام يوم جاء وبين واقع الناس في الجزيرة العربية وفي الكرة الأرضية مسافة هائلة سحيقة، وكانت النقلة التي يريدهم عليها بعيدةٌ بعيدة..

وكانت تسند الواقع أحقاب من التاريخ، وأشتات من المصالح، وألوان من القوى، وتقف كلها سداً في وجه هذا الدين الجديد الذي لا يكتفي بتغيير العقائد والتصورات، والقيم والموازين، والعادات والتقاليد، والأخلاق والمشاعر..

إنما يريد كذلك ويصر على أن يغير الأنظمة والأوضاع، والشرائع والقوانين، وتوزيع الأموال والأرزاق، كما يصر على انتزاع قيادة البشرية من يد الطاغوت والجاهلية، ليردها إلى الله وإلى الإسلام!

ولو أنه قيل لكائن من كان في ذلك الزمان أن هذا الدين الجديد الذي يحاول هذا كله في وجه ذلك الواقع الهائل الذي تسنده قوى الأرض كلها، هو الذي سينتصر، وهو الذي سيبدل هذا الواقع في أقل من نصف قرن من الزمان، لما لقي هذا القول إلا السخرية والاستهزاء والاستنكار!

ولكن هذا الواقع الهائل الضخم، سرعان ما تزحزح عن مكانه، ليخليه للوافد الجديد، وسرعان ما تسلم القائد الجديد مقادة البشرية ليخرجها من الظلمات إلى النور، ويقودها بشريعة الله، تحت راية الإسلام!

كيف وقع هذا الذي يبدو مستحيلاً في تقدير من يبهرهم الواقع ويسحقهم ثقله، وهم يزنون الأمور والأوضاع؟! كيف استطاع رجل واحد محمد بن عبد الله ﷺ أن يقف وحده في وجه الدنيا كلها، أو على الأقل في وجه الجزيرة العربية كلها في أول الأمر؟ أو على الأقل في وجه قريش سادة العرب كلهم في منشأ الدعوة؟ وأمام تلك العقائد والتصورات، والقيم والموازين والأنظمة والأوضاع، والمصالح والعصبيات، ثم ينتصر على هذا كله، ويبدل هذا كله؛ ويقيم النظام الجديد، على أساس المنهج الجديد، والتصور الجديد؟

إنه لم يتملق عقائدهم وتصوراتهم، ولم يداهن مشاعرهم وعواطفهم، ولم يهادن آلهتهم وقيادتهم، لم يتمسكن حتى يتمكن.. إنه أُمر أن يقول لهم منذ الأيام الأولى وهو في مكة،

تتألب عليه جميع القوى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُد ۝ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون].

فلم يكتف بأن يعلن لهم افتراق دينه عن دينهم، وعبادته عن عبادتهم، ومفاصلتهم في هذا مفاصلة كاملة لا لقاء فيها، بل أمر كذلك أن ييئسهم من إمكان هذا اللقاء في المستقبل، فكرر عليهم: ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، وباطراد المفاصلة في هذا الأمر، الذي لا التقاء فيه: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

وهو كذلك لم يبهرهم بادعاء أن له سلطاناً سرياً، ولا مزايا غير بشرية ولا موارد سرية بل أُمر أن يقول لهم: ﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

ولم يوزع الوعود بالمناصب والمغانم لمن يتبعونه حين ينتصر على مخالفيه، قال ابن إسحاق: "كان النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل في الموسم موسم الحج يقول: ((يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي، وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به)).

قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري: أنه أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم نفسه. فقال رجل منهم يقال له: بيجرة بن فراس: والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب! ثم قال له: أرأيت إنْ نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: ((الأمر لله يضعه حيث يشاء)). قال: فقال له: أفتهدف نحورنا للعرب، فإنْ أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك! فأبوا عليه"...

كيف إذن وقع الذي وقع؟ كيف قوى ذلك الرجل الواحد على قهر ذلك الواقع؟

إنه لم يقهره بمعجزة خارقة لا تتكرر، فقد أعلن ﷺ أنه لا يعمل في هذا الحقل بخارقة، ولم يستجب مرة واحدة لطلبهم للخوارق، إنما وقع الذي وقع وفق سنة دائمة تتكرر كلما أخذ الناس بها واستجابوا إليها.

لقد وقع الذي وقع من غلبة هذا المنهج، لأنه تعامل من وراء الواقع الظاهري مع رصيد الفطرة المكنون، وهو رصيد كما أسلفنا ضخم هائل، لا يغلبه هذا الركام الظاهري حين يستنقذ ويجمع ويوجَّه، ويطلق في اتجاه مرسوم!

كانت المعتقدات الفاسدة والمحرفة ترين على ضمير البشرية، وكانت الآلهة الزائفة تزحم فناء الكعبة كما تزحم تصورات الناس وعقولهم وقلوبهم، وكانت المصالح القبلية والاقتصادية تقوم على كواهل هذه الآلهة الزائفة وما وراءها من سدانة وكهانة، ومن أوضاع في حياة الناس مستمدة من توزيع خصائص الألوهية بين العباد، وإعطاء السدنة والكهنة حق الاشتراع للناس، ووضع مناهج الحياة!!

وجاء الإسلام يواجه هذا الواقع كله بلا إله إلا الله، ويخاطب الفطرة التي لا تعرف لها إلهاً إلا الله، ويعرف الناس بربهم الحق وخصائصه وصفاته التي تعرفها فطرتهم من تحت الأنقاض والركام. قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ۝ وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ ۝ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾. [الأنعام ١٤-١٩].

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۝ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ۝ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ۝ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ ۝ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ۝ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝ قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَاسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام ٥٦-٦٥].

واستمعت الفطرة إلى الصوت القديم الذي يخاطبها من وراء ركام الواقع الثقيل في التيه العريض، وثابت إلى إلهها الواحد وانتصرت الدعوة الجديدة على الواقع الثقيل!

وعندما ثاب الناس إلى إله واحد، امتنع أن يعبد الناسُ الناسَ، ووقف الجميع رافعي الرؤوس أمام بعضهم البعض يوم انحنت كل الرؤوس للإله الواحد القاهر فوق عباده، وانتهت أسطورة الدماء المتفاضلة، والأجناس المتفاضلة، ووراثة الشرف والحكم والسلطان..

ولكن كيف وقع هذا؟

لقد كان هناك واقع اجتماعي وراءه مصالح طبقية وعنصرية مادية ومعنوية، واقع سائد في الجزيرة العربية، وسائد في الأرض من حولها، واقع ليس محل اعتراض أحد، لأن المنتفعين به لا يسأمونه، والرازحين تحته لا ينكرونه!

كانت قريش تسمى نفسها "الحمس" وتفرض لنفسها حقوقاً وتقاليد ليست لسائر العرب، وتقف في الحج بالمزدلفة حين يقف الناس جميعاً بعرفات، ويقيمون على هذه الامتيازات منافع اقتصادية يفرضونها على سائر العرب، فيحتِّمون عليهم ألا يطوفوا بالبيت إلا في ملابس يشترونها من قريش، وإلا طافوا بالبيت عراة، وكانت الأرض كلها من حول الجزيرة تعج بالتفرقات القائمة على اختلاف الدماء والأجناس وتفاضلها..

كان المجتمع الإيراني مؤسساً على اعتبار النسب والحرف، وكان بين طبقات المجتمع هوة واسعة لا يقوم عليها جسر، ولا تصل بينها صلة، وكانت الحكومة تحظر على العامة أن يشتري أحد منهم عقاراً لأمير أو كبير، وكان من قواعد السياسة الساسانية أن يقتنع كل واحد بمركزه الذي منحه نسبه، ولا يستشرف لما فوقه، ولم يكن لأحد أن يتخذ حرفة غير الحرفة التي خلقه الله لها، وكان ملوك إيران لا يولون وضيعاً وظيفة من وظائفهم، وكان العامة كذلك طبقات متميزة بعضها على بعض تميزاً واضحاً، وكان لكل واحد مركز محدد في المجتمع.

وكانت الأكاسرة ملوك فارس يدعون أنه يجري في عروقهم دم إلهي، وكان الفرس ينظرون إليهم كآلهة، وينشدون الأناشيد بألوهيتهم، ويرونهم فوق القانون، وفوق الانتقاد، وفوق البشر، لا يجري اسمهم على لسانهم، ولا يجلس أحدهم في مجلسهم، ويعتقدون أن لهم حقاً على كل إنسان، وليس لإنسان حق عليهم، وأن ما يرضخون لأحد من فضول أموالهم وفتات نعمهم فإنما هو صدقة وتكرم، من غير استحقاق، وليس للناس قبلهم إلا السمع والطاعة.

وخصصوا بيتاً معيناً – هو بيت الكياني –، فكانوا يعتقدون أن لأفراده وحدهم الحق أن يلبسوا التاج، ويجبوا الخراج، وهذا الحق يتنقل فيهم كابراً عن كابر، وأباً عن جد، لا ينازعهم ذلك إلا ظالم، ولا ينافسهم إلا دعيٌّ نذل، فكانوا يدينون بالملك وبالوراثة في البيت المالك، لا يبغون به بدلاً، ولا يرون عنه محيصاً.

فإذا لم يجدوا من هذه الأسرة كبيراً ملكوا عليهم طفلاً، وإذا لم يجدوا رجلاً ملكوا عليهم امرأة، فقد ملكوا بعد "شيرويه" ولده "أردشير" وهو ابن سبع سنين، وملك "فرخ زاد خسرو بن كسرى أبرويز" وهو طفل، وملكوا بوران بنت كسرى، وملكت كذلك ابنة كسرى ثانية يقال لها "أزرمى دخت"، ولم يخطر ببالهم أن يملكوا عليهم قائداً كبيراً، أو رئيساً من رؤسائهم، مثل "رستم" و "جابان" وغيرهما، لأنهم ليسوا من البيت الملكي!

كان نظام الطبقات في الهند من أعنف وأبشع ما يصنع الإنسان بالإنسان.

وقبل ميلاد المسيح بثلاثة قرون ازدهرت في الهند الحضارة البرهمية، ووضع فيها مرسوم جديد للمجتمع الهندي، وألف فيه قانون مدني سياسي اتفق عليه، وأصبح قانوناً رسمياً ومرجعاً دينياً في حياة البلاد ومدنيتها، وهو المعروف الآن: "منوشاستر"..

يقسم هذا القانون الأهالي إلى أربع طبقات متميزة، وهي:

١) البراهمة: طبقة الكهنة ورجال الدين.

٢) شترى: رجال الحرب.

٣) ويش: رجال الزراعة والتجارة.

٤) شودر: رجال الخدمة.

ويقول "منو" مؤلف هذا القانون: "إن القادر المطلق قد خلق لمصلحة العالم البراهمة من فمه، وشترى من سواعده وويش من أفخاذه، والشودر من أرجله! ووزع لهم فرائض وواجبات لصلاح العالم، فعلى البراهمة تعليم "ويد"، أو تقديم النذور للآلهة، وتعاطي الصدقات، وعلى "الشترى" حراسة الناس، والتصدق، وتقديم النذور، ودراسة "ويد" والعزوف عن الشهوات،

وعلى "ويش" رعي السائمة والقيام بخدمتها وتلاوة "ويد" والتجارة والزراعة، وليس "لشودر" إلا خدمة هذه الطبقات الثلاث!

وقد منح هذا القانون طبقة البراهمة امتيازات وحقوقاً ألحقتهم بالآلهة، فقد قال: إن البراهمة هم صفوة الله، وهم ملوك الخلق، وأن ما في العالم هو ملك لهم، فإنهم أفضل الخلائق وسادة الأرض، ولهم أن يأخذوا من مال عبيدهم شودر من غير جريرة ما شاؤوا لأن العبد لا يملك شيئاً، وكل ماله لسيده وأن البرهمي الذي يحفظ "رك ويد" (الكتاب المقدس) هو رجل مغفور له، ولو أباد العوالم الثلاثة بذنوبه وأعماله، ولا يجوز للملك حتى في أشد ساعات الاضطرار والفاقة أن يجبي من البراهمة جباية، أو يأخذ منهم إتاوة، ولا يصح لبرهمي في بلاده أن يموت جوعاً، وإن استحق برهمي القتل، لم يجز للحاكم إلا أن يحلق رأسه، أما غيره فيقتل!

أما الشترى فإن كانوا فوق الطبقتين (ويش وشودر) ولكنهم دون البراهمة بكثير، فيقول: "منو" إن البرهمي الذي هو في العاشرة من عمره يفوق الشترى الذي ناهز مائة، كما يفوق الوالد ولده!

أما شودر "المنبوذون": فكانوا في المجتمع الهندي بنص هذا القانون المدني الديني أحط من البهائم، وأذل من الكلاب، فيصرح القانون بأن "من سعادة شودر أن يقوموا بخدمة البراهمة، وليس لهم أجر أو ثواب بغير ذلك وليس لهم أن يقتنوا مالاً، أو يدخروا كنزاً فإن ذلك يؤذي البراهمة! وإذا مد أحد من المنبوذين إلى برهمي يدا أو عصا ليبطش به قطعت يده، وإذا رفسه في غضب فدعت رجله، وإذا هم أحد من المنبوذين أن يجالس برهميا فعلى الملك أن يكوي إسته، أو يحرمه وينفيه من البلاد، وأما إذا مسه بيد، أو سبه، فيقتلع لسانه، وإذا ادعى أنه يعلمه سقى زيتاً فائراً، وكفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والوزغ والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة، سواء!!".

أما الحضارة الرومانية الشهيرة فقامت على أساس الترف الذي يوفره ثلاثة أرباع سكانها من العبيد للربع الباقي من الأشراف! وعلى أساس التفرقة في نصوص القانون بين السادة والعبيد وبين الطبقات الكريمة والوضيعة.

جاء في مدونة جوستنيان القانونية الشهيرة: "ومن يستهو أرملة مستقيمة أو عذراء، فعقوبته إن كان من بيئة كريمة مصادرة نصف ماله، وإن كان في بيئة ذميمة فعقوبته الجلد والنفي من الأرض".

وبينما كان هذا الواقع سائداً في الأرض كلها، كان الإسلام يخاطب الفطرة من تحت ركام الواقع، الفطرة التي تنكر هذا كله ولا تعرفه، وكانت استجابة الفطرة لنداء الإسلام أقوى من هذا الواقع الثقيل.

استمعت الفطرة إلى الله سبحانه يقول للناس جميعاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

واستمعت إليه سبحانه يقول لقريش خاصة: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاس﴾[البقرة:١٩٩].

واستمعت إلى رسول الله ﷺ يقول للناس جميعاً: ((يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضلٌ إلا بالتقوى)).

واستمعت إليه يقول لقريش خاصة: ((يا معشر قريش.. اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، ويا بني عبد مناف.. لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب.. ما أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد.. سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً)) [متفق عليه].

استمعت الفطرة إلى النداء المستجاب، وأزاحت عنها ركام الواقع، وانطلقت مع المنهج الإلهي.. ووقع ما وقع وفق سنة الله المطردة، القابلة للوقوع في كل حين.

وكان النظام الربوي هو السائد في الجزيرة العربية، وعليه يقوم اقتصادها الأساسي ولا يحسبن أحد أنها كانت مجرد معاملات فردية في حدود ضيقة، فقد قامت لقريش تجارة ضخمة مع الشام في رحلة الصيف، ومع اليمن في رحلة الشتاء، وكانت توظف في هذه التجارة رؤوس أموال قريش.

ولا يجوز أن ننسى أن قافلة أبي سفيان التي ترصد لها المسلمون في غزوة بدر، ثم أفلتت منهم، وقسم الله لهم ما هو خير منها، كانت تحوي ألف بعير موسوقة بالبضائع!

ولو كان الربا مجرد معاملات فردية محدودة، لا نظاماً شاملاً للحياة الاقتصادية؛ ما استحق من الله سبحانه هذه الحملة المفزعة المتكررة في القرآن، ولا متابعة تلك الحملة من الرسول ﷺ في حديثه!

هذه الأموال، وهذه الحركة التجارية، وهذا الاقتصاد الذي يقوم عليها، كان يقوم كله على أساس النظام الربوي، وفيه تجمعت اقتصاديات البلاد تقريباً قبيل البعثة. فكذلك كانت تقوم الحياة في المدينة، وأصحاب اقتصادها هم اليهود، والربا قاعدة اقتصاد اليهود!

وكان هذا واقعا اقتصادياً تقوم عليه حياة البلاد!

ثم جاء الإسلام.. جاء ينكر هذا الأساس الظالم الجارم، ويعرض بدله أساساً آخر: أساس الزكاة والقرض الحسن والتعاون والتكافل. ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ يَمْحَقُ اللهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لاَ

يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَاذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ ۝ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾.

ووجدت الفطرة أن دعوة الله خير مما هي فيه، واشمأزت من الأساس الهابط الذي يقوم النظام الربوي عليه، ومع مشقة الانتقال في الأوضاع الاقتصادية التي تقوم عليها حياة الناس، فقد كانت استجابة الفطرة أقوى من ثقل الواقع، وتطهر المجتمع المسلم من تلك اللوثة الجاهلية.. وكان ما كان وفق سنة الله التي تتكرر كلما دعيت الفطرة فانتفضت من تحت الركام والأنقاض!

ونكتفي بهذه الأمثلة الثلاثة من مغالبة الفطرة للواقع، وانتفاضها من تحت الركام والأنقاض، وانتصارها على الواقع الخارجي الذي أنشأته الجاهليات، وهي تمثل واقع العقيدة والتصور، وواقع الأوضاع والتقاليد، وواقع الاقتصاد والتعامل، وهي أقوى ألوان الواقع الذي يراه من لا يدركون قوة العقيدة، وقوة الفطرة، وكأنه هو الحقيقة الساحقة التي لا قبل بها لفطرة ولا عقيدة!

إن الإسلام لم يقف مستسلما عاجزاً مكتوف اليدين أمام هذا الواقع ولكنه ألغاه، أو بدله، وأقام مكانه بناءه السامق الفريد، على أساسه القوي العميق.

وما حدث مرة يمكن أن يحدث مرة أخرى، فقد حدث ما حدث وفق سنة جارية، ولا وفق معجزة خارقة، وقد قام ذلك البناء على رصيد الفطرة المدخر لكل من يستنقذ هذا الرصيد ويجمعه ويوجهه ويطلقه في اتجاهه الصحيح.

والبشرية اليوم قد تكون أقدر على هذا الاتجاه الصحيح، بما استقر في تاريخها وفي حياتها من آثار ذلك المد الأول، الذي واجه أقسى المعارضة، ثم انساح في طريقه، وخلف من بعده أعمق الآثار..

كتبه محب المطلوبين

أبو جندل الأزدي

١٠/ ١١/ ١٤٢٤ هـ

صرف الله عنه أسماع وأبصار الطواغيت وأذنابهم

نبي الله موسىٰ عليه السلام يخرجُ خائفًا يترقّب

أخذت قصة موسى ﷺ نصيباً كبيراً من كتاب الله عز وجل منذ طفولته إلى شبابه وبعثته إلى مواجهة فرعون... إلخ، وكان من بين تلك القصص قصة هروبه من فرعون وملئه حين جاءه من أخبره بالمؤامرة التي تتم في أروقة أجهزة فرعون الأمنية، فلم يستسلم بل خرج مباشرة من المدينة واتجه تلقاء مدين، ويسر الله أموره فيها، فتزوج وبقي فيها إلى أن تم الأجل وهو أكثر من ثمانِ سنوات، ثم بعثه الله عز وجل ووهب له حكما وعلما ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ٢١].

والقصة فيها من الدروس والعبر ما يحتاجه كل من يريد التغيير الجذري لواقع الأمة الإسلامية والنهوض بالمسلمين من وطأة الذل التي يعيشونها، يقول الله عز وجل: ﴿وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ۝ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ ۝ وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝ فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ۝ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص ٢٠- ٢٨].

يقول ابن كثير رحمه الله: (فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى، فأخذ رسل فرعون في الطريق الأعظم يمشون على هينتهم يطلبون موسى وهم لا يخافون أن يفوتهم، فجاء رجل من

شيعة موسى من أقصى المدينة، فاختصر طريقاً حتى سبقهم إلى موسى فأخبره، وذلك من الفتون... فخرج موسى متوجهاً نحو مدين ولم يلق بلاء قبل ذلك، وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه عز وجل؛ فإنه قال: ﴿عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ ۝ وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ يعني بذلك حابستين غنمهما، فقال لهما: ما خطبكما معتزلتين لا تسقيان مع الناس؟ قالتا: ليس لنا قوة نزاحم القوم وإنما نسقي من فضول حياضهم فسقى لهما فجعل يغترف في الدلو ماء كثيراً حتى كان أول الرعاء، فانصرفتا بغنمهما إلى أبيهما، وانصرف موسى عليه السلام فاستظل بشجرة وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، واستنكر أبوهما سرعة صدورهما بغنمهما حفلاً بطاناً، فقال: إن لكما اليوم لشأناً، فأخبرتاه بما صنع موسى، فأمر إحداهما أن تدعوه، فأتت موسى فدعته، فلما كلمه قال: لا تخف، نجوت من القوم الظالمين، ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان، ولسنا في مملكته، فقالت إحداهما: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَاجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَاجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾، فاحتملته الغيرة على أن قال لها: ما يدريك ما قوته وما أمانته؟ فقالت: أما قوته فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا، لم أر رجلاً قط أقوى في ذلك السقي منه، وأما الأمانة فإنه نظر إلي حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه حتى بلغته رسالتك، ثم قال لي: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، فلم يفعل هذا إلا وهو أمين، فسري عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت، فقال له: هل لك ﴿أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَاجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾؟ ففعل فكانت على نبي الله موسى ثمان سنين واجبة وكانت سنتان عدة منه، فقضى الله عنه عدته فأتمها عشراً).

ويقول سيد قطب رحمه الله حول هذه الآيات: (رجل يجيء إلى موسى من أقصى المدينة، يحذره ائتمار الملأ من قوم فرعون به، وينصح بالهرب من المدينة إبقاء على حياته: ﴿وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَاتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

إنها يد القدرة (قدرة الله) تسفر في اللحظة المطلوبة، لتتم مشيئتها!

لقد عرف الملأ من قوم فرعون، وهم رجال حاشيته وحكومته والمقربون إليه أنها فعلة موسى، وما من شك أنهم أحسوا فيها بشبح الخطر، فهي فعلة طابعها الثورة والتمرد، والانتصار لبني إسرائيل، وإذن فهي ظاهرة خطيرة تستحق التآمر، ولو كانت جريمة قتل عادية ما استحقت أن يشتغل بها فرعون والملأ والكبراء.

فانتدبت يد القدرة واحدا من الملأ، الأرجح أنه الرجل المؤمن من آل فرعون الذي يكتم إيمانه، والذي جاء ذكره في سورة غافر انتدبته ليسعى إلى موسى ﴿مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ في جد واهتمام ومسارعة، ليبلغه قبل أن يبلغه رجال الملك: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. ومرة أخرى نلمح السمة الواضحة في الشخصية الانفعالية، التوفز والتلفت، ونلمح معها، التوجه المباشر بالطلب إلى الله، والتطلع إلى حمايته ورعايته، والالتجاء إلى حماه في المخافة، وترقب الأمن عنده والنجاة: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

ثم يتبعه السياق خارجا من المدينة، خائفا يترقب، وحيدا فريدا، غير مزود إلا بالاعتماد على مولاه، والتوجه إليه طالبا عونه وهداه: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ﴾.

ونلمح شخصية موسى عليه السلام فريداً وحيداً مطارداً في الطرق الصحراوية في اتجاه مدين في جنوبي الشام وشمالي الحجاز.. مسافات شاسعة، وأبعاد مترامية، لا زاد ولا استعداد، فقد خرج من المدينة خائفا يترقب، وخرج منزعجاً بنذارة الرجل الناصح، لم يتلبث، ولم يتزود ولم يتخذ دليلا..

ونلمح إلى جانب هذا نفسه متوجهة إلى ربه، مستسلمة له، متطلعة إلى هداه: ﴿عسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ﴾.

ومرة أخرى نجد موسى عليه السلام في قلب المخافة بعد فترة من الأمن بل من الرفاهية والطراءة والنعمى، ونجده وحيداً مجرداً من قوى الأرض الظاهرة جميعاً، يطارده فرعون وجنده، ويبحثون عنه في كل مكان، لينالوا منه اليوم ما لم ينالوه منه طفلا..

ولكن اليد التي رعته وحمته هناك ترعاه وتحميه هنا، ولا تسلمه لأعدائه أبدا، فها هو ذا يقطع الطريق الطويل، ويصل إلى حيث لا تمتد إليه اليد الباطشة بالسوء: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

لقد انتهى به السفر الشاق الطويل إلى ماء لمدين، وصل إليه وهو مجهود مكدود.. وإذا هو يطلع على مشهد لا تستريح إليه النفس ذات المروءة، السليمة الفطرة، كنفس موسى عليه السلام، وجد الرعاة الرجال يوردون أنعامهم لتشرب من الماء، ووجد هناك امرأتين تمنعان غنمهما عن ورود الماء.. والأولى عند ذوي المروءة والفطرة السليمة، أن تسقي المرأتان وتصدرا بأغنامهما أولًا، وأن يفسح لهما الرجال ويعينوهما..

ولم يقعد موسى الهارب المطارد، المسافر المكدود ليستريح وهو يشهد هذا المنظر المنكر المخالف للمعروف. بل تقدم للمرأتين يسألهما عن أمرهما الغريب: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

فأطلعتاه على سبب انزوائهما وتأخرهما وذودهما لغنمهما عن الورود.. إنه الضعف، فهما امرأتان وهؤلاء الرعاة رجال، وأبوهما شيخ كبير لا يقدر على الرعي ومجالدة الرجال!

وثارت نخوة موسى عليه السلام وفطرته السليمة، فتقدم لإقرار الأمر في نصابه، تقدم ليسقي للمرأتين أولًا، كما ينبغي أن يفعل الرجال ذوو الشهامة، وهو غريب في أرض لا يعرفها، ولا سند له فيها ولا ظهير، وهو مكدود قادم من سفر طويل بلا زاد ولا استعداد، وهو مطارد، من خلفه أعداء لا يرحمون.. ولكن هذا كله لا يقعد به عن تلبية دواعي المروءة والنجدة والمعروف، وإقرار الحق الطبيعي الذي تعرفه النفوس: ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ مما يشهد بنبل هذه النفس التي صُنِعت على عين الله، كما يشي بقوته التي ترهب حتى وهو في إعياء السفر الطويل، ولعلها قوة نفسه التي أوقعت في قلوب الرعاة رهبته أكثر من قوة جسمه، فإنما يتأثر الناس أكثر بقوة الأرواح والقلوب.

﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ ما يشير إلى أن الأوان كان أوان قيظ وحر، وأن السفرة كانت في ذلك القيظ والحر.

﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ إنه يأوي إلى الظل المادّي البليل بجسمه، ويأوي إلى الظل العريض الممدود، ظل الله الكريم المنان..

بروحه وقلبه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِير﴾ رب إني في الهاجرة.. رب إني فقير.. رب إني وحيد.. رب إني ضعيف.. رب إني إلى فضلك ومنَّك وكرمك فقير محووج.

ونسمع من خلال التعبير رفرفة هذا القلب والتجاءه إلى الحمى الآمن، والركن الركين، والظل والظليل.. نسمع المناجاة القريبة والهمس الموحي، والانعطاف الرفيق، والاتصال العميق: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

وما نكاد نستغرق مع موسى عليه السلام في مشهد المناجاة حتى يعجل السياق بمشهد الفرج، معقبًا في التعبير بالفاء، كأنما السماء تسارع فتستجيب للقلب الضارع الغريب ﴿فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾.

يا فرج الله: ويا لقربه ويا لنداه! إنها دعوة الشيخ الكبير استجابة من السماء لدعوة موسى الفقير.. دعوة للإيواء والكرامة والجزاء على الإحسان.

دعوة تحملها: ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ وقد جاءته: ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ مشية الفتاة الطاهرة الفاضلة العفيفة النظيفة حين تلقى الرجال.. ﴿عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ في غير ما تبذل ولا تبرج ولا تبجح ولا إغواء..

جاءته لتنهي إليه دعوة في أقصر لفظ وأخصره وأدله، يحكيه القرآن بقوله: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾، فمع الحياء الإبانة والدقة والوضوح، لا التلجلج والتعثر والربكة.. وذلك كذلك من إيحاء الفطرة النظيفة السليمة المستقيمة، فالفتاة القويمة تستحي بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم، ولكنها لثقتها بطهارتها واستقامتها لا تضطرب الاضطراب الذي يطمع ويغري ويهيج؛ إنما تتحدث في وضوح بالقدر المطلوب، ولا تزيد.

وينهي السياق هذا المشهد فلا يزيد عليه، ولا يفسح المجال لغير الدعوة من الفتاة، والاستجابة من موسى.

ثم إذا مشهد اللقاء بينه وبين الشيخ الكبير الذي لم ينص على اسمه، وقيل: إنه ابن أخي شعيب النبي المعروف، وإن اسمه يثرون.. ﴿فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فقد كان موسى في حاجة إلى الأمن؛ كما كان في حاجة إلى الطعام والشراب، ولكن حاجة نفسه إلى الأمن كانت أشد من حاجة جسمه إلى الزاد.

ومن ثم أبرز السياق في مشهد اللقاء قول الشيخ الوقور: ﴿لَا تَخَفْ﴾، فجعلها أول لفظ يعقب به على قصصه ليلقي في قلبه الطمأنينة، ويشعره بالأمان، ثم بين وعلل: ﴿نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فلا سلطان لهم على مدين، ولا يصلون لمن فيها بأذى ولا ضرار.

ثم نسمع في المشهد صوت الأنوثة المستقيمة السليمة: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَاجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَاجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾.. إنها وأختها تعانيان من رعي الغنم، ومن مزاحمة

الرجال على الماء، ومن الاحتكاك الذي لا بد منه للمرأة التي تزاول أعمال الرجال، وهي تتأذى وأختها من هذا كله؛ وتريد أن تكون امرأة تأوي إلى بيت، امرأة عفيفة مستورة لا تحتك بالرجال الغرباء في المرعى والمسقى.. والمرأةُ العفيفةُ الروحِ النظيفةُ القلبِ، السليمةُ الفطرةِ، لا تستريح لمزاحمة الرجال، ولا للتبذل الناشئ من هذه المزاحمة.

وها هو ذا شاب غريب طريد، وهو في الوقت ذاته قوي أمين، رأت من قوته ما يهابه الرعاء فيفسحون له الطريق ويسقي لهما، وهو غريب، والغريب ضعيف مهما اشتد، ورأت من أمانته ما يجعله عف اللسان والنظر حين توجهت لدعوته، فهي تشير على أبيها باستئجاره ليكفيها وأختها مؤنة العمل والاحتكاك والتبذل، وهو قوي على العمل، أمين على المال؛ فالأمين على العرض هكذا أمين على ما سواه.

وهي لا تتلعثم في هذه الإشارة ولا تضطرب، ولا تخشى سوء الظن والتهمة، فهي بريئة النفس، نظيفة الحس؛ ومن ثم لا تخشى شيئا، ولا تتمتم ولا تجمجم وهي تعرض اقتراحها على أبيها.

ولا حاجة لكل ما رواه المفسرون من دلائل قوة موسى، كرفع الحجر الذي يغطي البئر وكان لا يرفعه – فيما قالوا – إلا عشرون أو أربعون أو أكثر أو أقل، فالبئر لم يكن مغطى، إنما كان الرعاء يسقون فنحاهم وسقى للمرأتين، أو سقى لهما مع الرعاء.

ولا حاجة كذلك لما رووه عن دلائل أمانته من قوله للفتاة: امشي خلفي ودليني على الطريق خوف أن يراها. أو أنه قال لها هذا بعد أن مشى خلفها فرفع الهواء ثوبها عن كعبها.. فهذا كله تكلف لا داعي له، ودفع لريبة لا وجود لها، وموسى عليه السلام عفيف النظر نظيف الحس، وهي كذلك، والعفة والأمانة لا تحتاجان لكل هذا التكلف عند لقاء رجل وامرأة، فالعفة تنضح في التصرف العادي البسيط بلا تكلف ولا اصطناع!

واستجاب الشيخ لاقتراح ابنته، ولعله أحس من نفس الفتاة ونفس موسى ثقة متبادلة، وميلاً فطرياً سليماً صالحاً لبناء أسرة، والقوة والأمانة حين تجتمعان في رجل لا شك تهفو إليه طبيعة الفتاة السليمة التي لم تفسد ولم تلوث ولم تنحرف عن فطرة الله؛ فجمع الرجل بين الغايتين، وهو يعرض على موسى أن يزوجه إحدى ابنتيه في مقابل أن يخدمه ويرعى ماشيته ثماني سنين، فإن زادها إلى عشر فهو تفضل منه لا يلزم به.

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. وهكذا في بساطة وصراحة عرض الرجل إحدى ابنتيه من غير تحديد، ولعله كان يشعر كما أسلفنا أنها محددة، وهي التي وقع التجاوب والثقة بين قلبها وقلب الفتى.. عرضها في غير تحرج ولا التواء، فهو يعرض نكاحًا لا يخجل منه، يعرض بناء أسرة وإقامة بيت وليس في هذا ما يخجل، ولا ما يدعو إلى التحرج والتردد والإيماء من بعيد والتصنع والتكلف مما يشاهد في البيئة التي تنحرف عن سواء الفطرة، وتخضع لتقاليد مصطنعة باطلة سخيفة، تمنع الوالد أو ولي الأمر من التقدم لمن يرتضي خلقه ودينه وكفايته لابنته أو أخته أو قريبته، وتحتم أن يكون الزوج أو وليه أو وكيله هو الذي يتقدم، أو لا يليق أن يجيء العرض من الجانب الذي فيه المرأة!

ومن مفارقات مثل هذه البيئة المنحرفة أن الفتيان والفتيات يلتقون ويتحدثون ويختلطون ويتكشفون بعضهم لبعض في غير ما خطبة ولا نية نكاح، فأما حين تعرض الخطبة أو يذكر النكاح، فيهبط الخجل المصطنع، وتقوم الحوائل المتكلفة وتمتنع المصارحة والبساطة والإبانة!

ولقد كان الآباء يعرضون بناتهم على الرجال على عهد رسول الله ﷺ، بل كانت النساء تعرض نفسها على النبي ﷺ أو من يرغب في تزويجهن منهم، كان يتم هذا في صراحة ونظافة وأدب جميل، لا تخدش معه كرامة ولا حياء.. عرض عمر رضي الله عن ابنته حفصة على أبي بكر فسكت وعلى عثمان فاعتذر، فلما أخبر النبي ﷺ بهذا طيب خاطره، عسى أن

يجعل الله لها نصيبًا فيمن هو خير منهما، ثم تزوجها ﷺ، وعرضت امرأة نفسها على رسول الله ﷺ فاعتذر لها، فألقت إليه ولاية أمرها يزوجها ممن يشاء، فزوجها رجلًا لا يملك إلا سورتين من القرآن، علمها إياهما فكان هذا صداقها.

وبمثل هذه البساطة والوضاءة سار المجتمع الإسلامي يبني بيوته ويقيم كيانه، في غير ما تلعثم ولا جمجمة ولا تصنع ولا التواء.

وهكذا صنع الشيخ الكبير صاحب موسى فعرض على موسى ذلك العرض واعدًا إياه ألا يشق عليه ولا يتعبه في العمل، راجيًا بمشيئة الله أن يجده موسى من الصالحين في معاملته ووفائه.. وهو أدب جميل في التحدث عن النفس وفي جانب الله، فهو لا يزكي نفسه، ولا يجزم بأنه من الصالحين، ولكن يرجو أن يكون كذلك، ويكل الأمر في هذا لمشيئة الله.

وقبل موسى العرض، وأمضى العقد في وضوح كذلك ودقة، وأشهد الله: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾. إن مواضع العقد وشروط التعاقد لا مجال للغموض فيها، ولا اللعثمة، ولا الحياء.

ومن ثم يقر موسى العرض، ويبرم العقد، على ما عرض الشيخ من الشروط، ثم يقرر هذا ويوضحه: ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾.. سواء قضيت ثماني سنوات أو أتممت عشرا، فلا عدوان في تكاليف العمل، ولا عدوان في تحتيم العشر؛ فالزيادة على الثمانية اختيار.. ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾. فهو الشهيد الموكل بالعدل بين المتعاقدين، وكفى بالله وكيلا.

بين موسى عليه السلام هذا البيان تمشياً مع استقامة فطرته، ووضوح شخصيته، وتوفيةٍ بواجب المتعاقدين في الدقة والوضوح والبيان، وهو ينوي أن يوفي بأفضل الأجلين كما فعل، فقد روي أن رسول الله ﷺ أخبر أنه: ((قضى أكثرهما وأطيبهما)).

وهكذا اطمأن بموسى عليه السلام المقام في بيت حميه، وقد أمن من فرعون وكيده.

ولحكمة مقدرة في علم الله كان هذا الذي كان.. فلندع الآن هذه الحلقة تمضي في طريقها حتى تنقضي، فقد سكت السياق فيها عند هذا الحد وأسدل الستار..).

إلى أن قال رحمه الله أن الله بقدرته نقل موسى عليه السلام (خطوةً خطوة منذ أن كان رضيعاً في المهد حتى هذه الحلقة.. ألقت به في اليم ليلتقطه آل فرعون، وألقت عليه المحبة في قلب امرأته لينشأ في كنف عدوه، ودخلت به المدينة على حين غفلة من أهلها ليقتل منهم نفسًا، وأرسلت إليه بالرجل المؤمن من آل فرعون ليحذره وينصحه بالخروج منها، وصاحبته في الطريق الصحراوي من مصر إلى مدين وهو وحيد مطارد على غير زاد ولا استعداد، وجمعته بالشيخ الكبير ليأجره هذه السنوات العشر، ثم ليعود بعدها فيتلقى التكليف..

هذا خط طويل من الرعاية والتوجيه، ومن التلقي والتجريب، قبل النداء وقبل التكليف.. تجربة الرعاية والحب والتدليل، وتجربة الاندفاع تحت ضغط الغيظ الحبيس، وتجربة الندم والتحرج والاستغفار، وتجربة الخوف والمطاردة والفزع، وتجربة الغربة والوحدة والجوع، وتجربة الخدمة ورعي الغنم بعد حياة القصور.. وما يتخلل هذه التجارب الضخمة من شتى التجارب الصغيرة، والمشاعر المتباينة، والخوالج والخواطر، والإدراك والمعرفة.. إلى جانب ما آتاه الله حين بلغ أشده من العلم والحكمة.

إن الرسالة تكليف ضخم شاق متعدد الجوانب والتبعات؛ يحتاج صاحبه إلى زاد ضخم من التجارب والإدراك والمعرفة والتذوق في واقع الحياة العملي، إلى جانب هبة الله اللدنية، ووحيه وتوجيهه للقلب والضمير.

ورسالة موسى بالذات قد تكون أضخم تكليف تلقاه بشر – عدا رسالة محمد ﷺ –، فهو مرسل إلى فرعون الطاغية المتجبر، أعتى ملوك الأرض في زمانه، وأقدمهم عرشاً، وأثبتهم ملكاً، وأعرقهم حضارةً، وأشدهم تعبداً للخلق واستعلاء في الأرض.

وهو مرسل لاستنقاذ قوم قد شربوا من كؤوس الذل حتى استمرؤوا مذاقه، فمردوا عليه واستكانوا دهرًا طويلًا؛ والذل يفسد الفطرة البشرية حتى تأسن وتتعفن، ويذهب بما فيها من الخير والجمال والتطلع، ومن الاشمئزاز من العفن والنتن والرجس والدنس.. فاستنقاذ قوم كهؤلاء عمل شاق عسير.

وهو مرسل إلى قوم لهم عقيدة قديمة، انحرفوا عنها، وفسدت صورتها في قلوبهم، فلا هي قلوب خامة تتقبل العقيدة الجديدة ببراءة وسلامة، ولا هي باقية على عقيدتها القديمة.

ومعالجة مثل هذه القلوب شاقة عسيرة، والالتواءات فيها والرواسب والانحرافات تزيد المهمة مشقة وعسرا، وهو في اختصار مرسل لإعادة بناء أمة، بل لإنشائها من الأساس، فلأول مرة يصبح بنو إسرائيل شعبًا مستقلًا، له حياة خاصة، تحكمها رسالة.

وإنشاء الأمم عمل ضخم شاق عسير؛ ولعله لهذا المعنى كان عناية القرآن الكريم بهذه القصة، فهي نموذج كامل لبناء أمة على أساس دعوة، وما يعترض هذا العمل من عقبات خارجية وداخلية، وما يعتوره من انحرافات وانطباعات وتجارب وعراقيل.

فأما تجربة السنوات العشر فقد جاءت لتفصل بين حياة القصور التي نشأ فيها موسى عليه السلام، وحياة الجهد الشاق في الدعوة وتكاليفها العسيرة.

وإن لحياة القصور جوًا خاصًا، وتقاليد خاصة، وظلالًا خاصة تلقيها على النفس وتطبعها بها مهما تكن هذه النفس من المعرفة والإدراك والشفافية، والرسالة معاناة لجماهير من الناس فيهم الغني والفقير، والواجد والمحروم، وفيهم النظيف والوسخ، والمهذب والخشن، وفيهم الطيب والخبيث، والخير والشرير، وفيهم القوي والضعيف، والصابر والجزوع.. وفيهمْ وفيهم.. وللفقراء عادات خاصة في أكلهم وشربهم ولبسهم ومشيهم، وطريقة فهمهم للأمور، وطريقة تصورهم للحياة، وطريقة حديثهم وحركتهم، وطريقة تعبيرهم عن مشاعرهم.. وهذه العادات تثقل على نفوس المنعمين ومشاعر الذين تربوا في القصور، ولا يكادون يطيقون رؤيتها فضلًا

على معاناتها وعلاجها، مهما تكن قلوب هؤلاء الفقراء عامرة بالخير مستعدة للصلاح، لأن مظهرهم وطبيعة عاداتهم لا تفسح لهم في قلوب أهل القصور!

وللرسالة تكاليفها من المشقة والتجرد والشظف أحيانًا، وقلوب أهل القصور – مهما تكن مستعدة للتضحية بما اعتادته من الخفض والدعة والمتعة – لا تصبر طويلًا على الخشونة والحرمان والمشقة عند معاناتها في واقع الحياة.. فشاءت القدرة (الصحيح: شاء الله بقدرته) التي تنقل خطى موسى عليه السلام، أن تخفض مما اعتادته نفسه من تلك الحياة، وأن تزج به في مجتمع الرعاة، وأن تجعله يستشعر النعمة في أن يكون راعي غنم يجد القوت والمأوى، بعد الخوف والمطاردة والمشقة والجوع، وأن ينزع من حسه روح الاشمئزاز من الفقر والفقراء، وروح التأفف من عاداتهم وأخلاقهم وخشونتهم وسذاجتهم، وروح الاستعلاء على جهلهم وفقرهم ورثاثة هيئتهم ومجموعة عاداتهم وتقاليدهم، وأن تلقي به في خضم الحياة كبيرًا بعد ما ألقت به في خضم الأمواج صغيرًا، ليمرن على تكاليف دعوته قبل أن يتلقاها..

فلما أن استكملت نفس موسى عليه السلام تجاربها، وأكملت مرانتها ودربتها بهذه التجربة الأخيرة في دار الغربة، قادت يد القدرة (الصحيح: قاد الله بقدرته واختياره واصطفائه) خطاه مرة أخرى عائدة به إلى مهبط رأسه، ومقر أهله وقومه، ومجال رسالته وعمله، سالكة به الطريق التي سلكها أول مرة وحيدًا طريدًا خائفًا يتلفت.. فما هذه الجيئة والذهوب في ذات الطريق؟

إنها التدريب والمرانة والخبرة حتى بشعاب الطريق.. الطريق الذي سيقود فيه موسى خطى قومه بأمر ربه، كي يستكمل صفات الرائد وخبرته، حتى لا يعتمد على غيره ولو في ريادة الطريق، فقومه كانوا في حاجة إلى رائد يقودهم في الصغيرة والكبيرة، بعد أن أفسدهم الذل والقسوة والتسخير؛ حتى فقدوا القدرة على التدبير والتفكير.

وهكذا ندرك كيف صُنع موسى على عين الله، وكيف أعده الله بقدرته لتلقي التكليف).

﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾

يقول الله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ۝ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝ فَقَالُوا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس ٨٣- ٨٧].

يقول ابن كثير رحمه الله: (يخبر تعالى أنه لم يؤمن بموسى عليه السلام مع ما جاء به من الآيات البينات والحجج القاطعات والبراهين الساطعات إلا قليل من قوم فرعون من الذرية، وهم الشباب على وجل وخوف منه ومن ملئه أن يردوهم إلى ما كانوا عليه من الكفر، لأن فرعون لعنه الله كان جبارًا عنيدًا مسرفًا في التمرد والعتو، وكانت له سطوة ومهابة تخاف رعيته منه خوفًا شديدًا.

قال العوفي عن ابن عباس: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ قال: فإن الذرية التي آمنت لموسى من أناس غير بني إسرائيل من قوم فرعون يسير، منهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازن فرعون وامرأة خازنه.

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ يقول: بني إسرائيل.

وعن ابن عباس والضحاك وقتادة: الذرية القليل.

وقال مجاهد في قوله: ﴿إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ قال: هم أولاد الذين أرسل إليهم موسى من طول الزمان ومات آباؤهم.

واختار ابن جرير قول مجاهد في الذرية أنها من بني إسرائيل لا من قوم فرعون؛ لعود الضمير على أقرب المذكورين.

وفي هذا نظر لأنه أراد بالذرية الأحداث والشباب وأنهم من بني إسرائيل، فالمعروف أن بني إسرائيل كلهم آمنوا بموسى عليه السلام واستبشروا به، وقد كانوا يعرفون نعته وصفته والبشارة به من كتبهم المتقدمة، وأن الله تعالى سينقذهم به من أسر فرعون ويظهرهم عليه، ولهذا لما بلغ هذا فرعون حذر كل الحذر، فلم يجد عنه شيئا، ولما جاء موسى آذاهم فرعون أشد الأذى و ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَاتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

وإذا تقرر هذا فكيف يكون المراد إلا ذرية من قوم موسى وهم بنو إسرائيل.

﴿عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ أي وأشراف قومهم أن يفتنهم، ولم يكن في بني إسرائيل من يخاف منه أن يفتن عن الإيمان سوى قارون، فإنه كان من قوم موسى فبغى عليهم، لكنه كان طاويًا إلى فرعون متصلًا به متعلقًا بحباله.

ومن قال إن الضمير في قوله: ﴿وَمَلَئِهِمْ﴾ عائد إلى فرعون وعظم الملك من أجل اتباعه، أو بحذف آل فرعون وإقامة المضاف إليه مقامه؛ فقد أبعد، وإن كان ابن جرير قد حكاهما عن بعض النحاة، ومما يدل على أنه لم يكن في بني إسرائيل إلا مؤمن قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝ فَقَالُوا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

يقول تعالى مخبرًا عن موسى أنه قال لبني إسرائيل: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ أي فإن الله كاف من توكل عليه ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

وكثيرًا ما يقرن الله تعالى بين العبادة والتوكل كقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾، ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾، وأمر الله تعالى المؤمنين أن يقولوا في كل صلواتهم مرات متعددة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وقد امتثل بنو إسرائيل ذلك: ﴿فَقَالُوا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا تظفرهم بنا وتسلطهم علينا فيظنوا أنهم إنما سلطوا لأنهم على الحق ونحن على الباطل، فيفتنوا بذلك. هكذا روي عن أبي مجلز وأبي الضحى.

وقال ابن أبي نجيح وغيره عن مجاهد: لا تعذبنا بأيدي آل فرعون ولا بعذاب من عندك؛ فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق ما عذبوا ولا سلطنا عليهم، فيفتنوا بنا.

وقال عبد الرزاق: أنبأنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ لا تسلطهم علينا فيفتنونا، وقوله: ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ﴾ أي خلصنا برحمة منك وإحسان ﴿مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي الذين كفروا الحق وستروه، ونحن قد آمنا بك وتوكلنا عليك.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يذكر تعالى سبب إنحائه بني إسرائيل من فرعون وقومه وكيفية خلاصهم منهم، وذلك أن الله تعالى أمر موسى وأخاه هارون عليهما السلام ﴿أَن تَبَوَّءَا﴾ أي يتخذا لقومهما بمصر بيوتا.

واختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾، فقال الثوري وغيره عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ قال: أمروا أن يتخذوها مساجد.

وقال الثوري أيضا عن ابن منصور عن إبراهيم: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ قال: كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا في بيوتهم. وكذا قال مجاهد وأبو مالك والربيع بن أنس والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وأبوه زيد بن أسلم، وكأن هذا والله أعلم لما اشتد بهم البلاء من قبل فرعون وقومه وضيقوا عليهم أمروا بكثرة الصلاة، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾، وفي الحديث: "كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى" [أخرجه أبو داود].

ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي بالثواب والنصر القريب.

وقال العوفي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال: قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة، فأذن الله تعالى لهم أن يصلوا في بيوتهم، وأمروا أن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة.

وقال مجاهد: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ لما خاف بنو إسرائيل من فرعون أن يقتلوا في الكنائس الجامعة أمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرًا. وكذا قال قتادة والضحاك.

وقال سعيد بن جبير: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي يقابل بعضها بعضا).

ويقول سيد قطب رحمه الله في الظلال: (يسدل الستار هنا ليرفع على موسى ومن آمن معه وهم قليل من شباب القوم لا من شيوخهم! وهذا إحدى عبر القصة المقصودة.

ويفيد هذا النص أن الذين أظهروا إيمانهم وانضمامهم لموسى من بني إسرائيل كانوا هم الفتيان الصغار، لا مجموعة الشعب الإسرائيلي، وأن هؤلاء الفتيان كان يخشى من فتنتهم وردهم عن اتباع موسى، خوفاً من فرعون وتأثير كبار قومهم ذوي المصالح عند أصحاب، والأذلاء الذين يلوذون بكل صاحب سلطة وبخاصة من إسرائيل.

وقد كان فرعون ذا سلطة ضخمة وجبروت، كما كان مسرفاً في الطغيان، لا يقف عند حد، ولا يتحرج من إجراء قاس؛ وهنا لا بد من إيمان يرجح المخاوف، ويطمئن القلوب، ويثبتها على الحق الذي تنحاز إليه: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾. فالتوكل على الله دلالة الإيمان ومقتضاه، وعنصر القوة الذي يضاف إلى رصيد القلة الضعيفة أمام الجبروت الطاغي، فإذا هي أقوى وأثبت.

وقد ذكر لهم موسى الإيمان والإسلام، وجعل التوكل على الله مقتضى هذا وذاك.. مقتضى الاعتقاد في الله، ومقتضى إسلام النفس له خالصة والعمل بما يريد.

واستجاب المؤمنون لهتاف الإيمان على لسان نبيهم: ﴿فَقَالُوا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا﴾، ومن ثم توجهوا إلى الله بالدعاء: ﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. والدعاء بألا يجعلهم الله فتنة للقوم الظالمين مقصود به ألا يمكن القوم الظالمين منهم، فيظن القوم أن تمكنهم من المؤمنين بالله دليل على أن عقيدتهم هم أصح ولذلك انتصروا وهزم المؤمنون! ويكون هذا استدراجاً لهم من الله وفتنة ليلجوا في ضلالهم، فالمؤمنون يدعون الله أن يعصمهم من تسلط الظالمين عليهم ولو لاستدراج الظالمين.

والآية الثانية أصرح في النتيجة المطلوبة: ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. ودعاؤهم الله ألا يجعلهم فتنة للقوم الظالمين، وأن ينجيهم برحمته من القوم الكافرين، لا ينافي الاتكال على الله والتقوي به، بل هو أدل على التوجه بالاتكال والاعتماد إلى الله، والمؤمن لا يتمنى البلاء، ولكن يثبت عند اللقاء.

وعقب هذا التميز، وفي فترة الانتظار بعد الجولة الأولى، وإيمان من آمن بموسى، أوحى الله إليه وإلى هارون أن يتخذا لبني إسرائيل بيوتاً خاصة بهم، وذلك لفرزهم وتنظيمهم استعداداً للرحيل من مصر في الوقت المختار، وكلفهم تطهير بيوتهم، وتزكية نفوسهم، والاستبشار بنصر الله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾..

وتلك هي التعبئة الروحية إلى جوار التعبئة النظامية، وهما معاً ضروريتان للأفراد والجماعات، وبخاصة قبيل المعارك والمشقات، ولقد يستهين قوم بهذه التعبئة الروحية، ولكن التجارب ما تزال إلى هذه اللحظة، تنبئ بأن العقيدة هي السلاح الأول في المعركة، وأن الأداة الحربية في يد الجندي الخائر العقيدة لا تساوي شيئاً كثيراً في ساعة الشدة.

وهذه التجربة التي يعرضها الله على العصبة المؤمنة ليكون لها فيها أسوة، ليست خاصة ببني إسرائيل، فهي تجربة إيمانية خالصة، وقد يجد المؤمنون أنفسهم ذات يوم مطاردين في المجتمع الجاهلي، وقد عمت الفتنة وتجبر الطاغوت، وفسد الناس، وأنتنت البيئة وكذلك كان الحال على عهد فرعون في هذه الفترة وهنا يرشدهم الله إلى أمور: اعتزال الجاهلية بنتنها وفسادها وشرها – ما أمكن في ذلك –، وتجمع العصبة المؤمنة الخيرة النظيفة على نفسها، لتطهرها وتزكيها، وتدربها وتنظمها، حتى يأتي وعد الله لها.

اعتزال معابد الجاهلية، واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد تحس فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي، وتزاول فيها عبادتها لربها على نهج صحيح، وتزاول بالعبادة ذاتها نوعاً من التنظيم في جو العبادة الطهور.

واتجه موسى عليه السلام إلى ربه، وقد يئس من فرعون وملئه أن يكون فيهم خير، وأن تكون قد بقيت فيهم بقية، وأن يرجى لهم صلاح.. اتجه إليه يدعو على فرعون وملئه، الذين يملكون المال والزينة، تضعف إزاءهما قلوب الكثيرين، فتنتهي إلى التهاوي أمام الجاه والمال، وإلى الضلال.. اتجه موسى إلى ربه يدعوه أن يدمر هذه الأموال، وأن يشد على قلوب أهلها فلا يؤمنوا إلا حيث لا ينفعهم إيمان، فاستجاب الله الدعاء: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ۝ قالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ينشأ عنها إضلال الناس عن سبيلك، إما بالإغراء الذي يحدثه مظهر النعمة في نفوس الآخرين، وإما بالقوة التي يمنحها المال لأصحابه فيجعلهم قادرين على إذلال الآخرين أو إغوائهم.

ووجود النعمة في أيدي المفسدين لا شك يزعزع كثيراً من القلوب التي لا يبلغ من يقينها بالله أن تدرك أن هذه النعمة ابتلاء واختبار، وأنها كذلك ليست شيئاً ذا قيمة إلى جانب فضل الله في الدنيا والآخرة.

وموسى يتحدث هنا عن الواقع المشهود في عامة الناس، ويطلب لوقف هذا الإضلال، ولتجريد القوة الباغية المضلة من وسائل البغي والإغراء، أن يطمس الله على هذه الأموال بتدميرها والذهاب بها، بحيث لا ينتفع بها أصحابها.

أما دعاؤه بأن يشد الله على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، فهو دعاء من يئس من صلاح هذه القلوب، ومن أن يكون لها توبة أو إنابة، دعاء بأن يزيدها الله قسوة واستغلاقاً حتى يأتيهم العذاب، وعندئذ لن يقبل منهم الإيمان، لأن الإيمان عند حلول العذاب لا يقبل، ولا يدل على توبة حقيقية باختيار الإنسان.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ كتبت لها الإجابة وقضي الأمر.

﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ في طريقكما وعلى هداكما حتى يأتي الأجل: ﴿وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ فيخبطوا على غير علم، ويترددوا في الخطط والتدبيرات، ويقلقوا على المصير، ولا يعرفوا إن كانوا يسيرون في الطريق الهادي أم هم ضلوا السبيل).

﴿فَاوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته﴾

يقول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً ۝ هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً ۝ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَاوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً﴾ [الكهف ٩ - ١٦].

قال ابن كثير رحمه الله: (هذا إخبار من الله تعالى عن قصة أصحاب الكهف على سبيل الإجمال والاختصار، ثم بسطها بعد ذلك فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ يعني يا محمد ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ أي ليس أمرهم عجيباً في قدرتنا وسلطاننا فإن خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى وأنه على ما يشاء قادر ولا يعجزه شيء؛ أعجب من أخبار أصحاب الكهف كما قال ابن جريج عن مجاهد: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ يقول: قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك.

وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ يقول: الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم.

وقال محمد بن إسحاق: ما أظهرت من حججي على العباد أعجب من شأن أصحاب الكهف والرقيم، وأما الكهف فهو الغار في الجبل، وهو الذي لجأ إليه هؤلاء الفتية المذكورون.

وأما الرقيم فقال العوفي عن ابن عباس: هو واد قريب من أيلة، وكذا قال عطية العوفي وقتادة.

وقال الضحاك: أما الكهف فهو غار في الوادي، والرقيم اسم الوادي.

وقال مجاهد: الرقيم كان بنيانهم. ويقول بعضهم: هو الوادي الذي فيه كهفهم... (إلى أن قال)... وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الرقيم الكتاب، ثم قرأ: كتاب مرقوم.

وهذا هو الظاهر من الآية، وهو اختيار ابن جرير، قال: الرقيم فعيل بمعنى مرقوم، كما يقال للمقتول قتيل، وللمجروح جريح. والله أعلم.

وقوله: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ يخبر تعالى عن أولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه فهربوا منهم، فلجأوا إلى غار في جبل ليختفوا عن قومهم، فقالوا حين دخلوا سائلين من الله تعالى رحمته ولطفه بهم: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أي هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها وتسترنا عن قومنا ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي وقدر لنا من أمرنا هذا رشداً، أي اجعل عاقبتنا رشداً، كما جاء في الحديث: ((وما قضيت لنا من قضاء فاجعل عاقبته رشداً))، وفي المسند من حديث بسر بن أرطأة عن رسول الله ﷺ أنه كان يدعو: ((اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة)).

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ من هاهنا شرع في بسط القصة وشرحها، فذكر تعالى أنهم فتية وهم الشباب، وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله ﷺ شباباً، وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل.

وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شباباً، وقال مجاهد: بلغني أنه كان في آذان بعضهم القرطة يعني الحلق، فألهمهم الله رشدهم وآتاهم تقواهم، فآمنوا بربهم أي اعترفوا له بالوحدانية، وشهدوا أنه لا إله إلا هو.

﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ استدل بهذه الآية وأمثالها غير واحد من الأئمة كالبخاري وغيره ممن ذهب إلى زيادة الإيمان وتفاضله وأنه يزيد وينقص، ولهذا قال تعالى: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾، وقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾، وقال: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك.

وقد ذكر أنهم كانوا على دين المسيح عيسى بن مريم، فالله أعلم، والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية، فإنهم لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم لمباينتهم لهم، وقد تقدم عن ابن عباس أن قريشاً بعثوا إلى أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول الله ﷺ، فبعثوا إليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء، وعن خبر ذي القرنين، وعن الروح؛ فدل هذا على أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب وأنه متقدم على دين النصرانية، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول تعالى: وصبرناهم على مخالفة قومهم ومدينتهم ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة، فإنه ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم، وأنهم خرجوا يوماً في بعض أعياد قومهم وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت، ويذبحون لها، وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له دقيانوس، وكان يأمر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم إليه، فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك، وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم، ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم، عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا

الله الذي خلق السماوات والأرض، فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينحاز منهم ويتبرز عنهم ناحية، فكان أول من جلس منهم وحده أحدهم، جلس تحت ظل شجرة فجاء الآخر فجلس إليها عنده، وجاء الآخر فجلس إليهما، وجاء الآخر فجلس إليهم، وجاء الآخر وجاء الآخر، ولا يعرف واحد منهم الآخر، وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم على الإيمان. كما جاء في الحديث الذين رواه البخاري تعليقاً من حديث يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف)) وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث سهيل عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، والناس يقولون: الجنسية علة الضم.

والغرض أنه جعل كل أحد منهم يكتم ما هو عليه عن أصحابه خوفاً منهم، ولا يدري أنهم مثله حتى قال أحدهم: تعلمون والله يا قوم إنه ما أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم إلا شيء، فليظهر كل واحد منكم بأمره، فقال آخر: أما أنا فإني والله رأيت ما قومي عليه فعرفت أنه باطل، وإنما الذي يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به شيء هو الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما، وقال الآخر: وأنا والله وقع لي كذلك، وقال الآخر كذلك، حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة، فصاروا يداً واحدة، وإخوان صدق، فاتخذوا لهم معبداً يعبدون الله فيه، فعرف بهم قومهم فوشوا بأمرهم إلى ملكهم فاستحضرهم بين يديه فسألهم عن أمرهم وما هم عليه، فأجابوه بالحق ودعوه إلى الله عز وجل، ولهذا أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً﴾.

ولن لنفي التأبيد أي لا يقع منا هذا أبداً، لأنا لو فعلنا ذلك لكان باطلاً، ولهذا قال عنهم: ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾ أي باطلاً وبهتاناً.

﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ أي هلا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلاً واضحاً صحيحاً ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ يقولون: بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك.

فيقال إن ملكهم لما دعوه إلى الإيمان بالله أبى عليهم وتهددهم وتوعدهم، وأمر بنزع لباسهم عنهم الذي كان عليهم من زينة قومهم، وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يرجعون عن دينهم الذي كانوا عليه، وكان هذا من لطف الله بهم، فإنهم في تلك النظرة توصلوا إلى الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة، وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن في الناس أن يفر العبد منهم خوفاً على دينه، كما جاء في الحديث: ((يوشك أن يكون خير مال أحدكم غنماً يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر؛ يفر بدينه من الفتن)) ففي هذه الحال تشرع العزلة عن الناس ولا تشرع فيما عداها؛ لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع.

فلما وقع عزمهم على الذهاب والهرب من قومهم، واختار الله تعالى لهم ذلك وأخبر عنهم بذلك في قوله: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أي وإذ فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله، ففارقوهم أيضاً بأبدانكم ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته﴾ أي يبسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم﴾ الذي أنتم فيه ﴿مِّرْفَقاً﴾ أي أمراً ترتفقون به.

فعند ذلك خرجوا هِراباً إلى الكهف فأووا إليه، ففقدهم قومهم من بين أظهرهم، وتطلبهم الملك، فيقال أنه لم يظفر بهم وعمى الله عليه خبرهم، كما فعل بنبيّه محمد ﷺ وصاحبه الصديق حين لجأ إلى غار ثور، وجاء المشركون من قريش في الطلب فلم يهتدوا إليه مع أنهم يمرون عليه، وعندها قال النبي ﷺ حين رأى جزع الصديق في قوله: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا، فقال ﷺ: ((يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟))، وقد قال تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ

كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فقصة هذا الغار أشرف وأجل وأعظم وأعجب من قصة أصحاب الكهف).

ويقول سيد قطب رحمه الله في الظلال: (﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ بإلهامهم كيف يدبرون أمرهم.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فإذا هي ثابتة راسخة، مطمئنة إلى الحق الذي عرفت، معتزة بالإيمان الذي اختارت.

﴿إِذْ قَامُوا﴾ والقيام حركة تدل على العزم والثبات ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهو رب هذا الكون كله ﴿لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً﴾ فهو واحد بلا شريك ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾ وتجاوزنا الحق وحدنا عن الصواب.

ثم يلتفتون إلى ما عليه قومهم فيستنكرونه، ويستنكرون المنهج الذي يسلكونه في تكوين العقيدة: ﴿هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾، فهذا هو طريق الاعتقاد أن يكون للإنسان دليل قوي يستند إليه، وبرهان له سلطان على النفوس والعقول، وإلا فهو الكذب الشنيع، لأنه الكذب على الله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾؟

وإلى هنا يبدو موقف الفتية واضحا صريحا حاسما، لا تردد فيه ولا تلعثم؛ إنهم فتية، أشداء في أجسامهم، أشداء في إيمانهم، أشداء في استنكار ما عليه قومهم.. ولقد تبين الطريقان، واختلف المنهجان؛ فلا سبيل إلى الالتقاء، ولا للمشاركة في الحياة، ولا بد من الفرار بالعقيدة.. إنهم ليسوا رسلًا إلى قومهم فيواجهوهم بالعقيدة الصحيحة ويدعوهم إليها، ويتلقوا ما يتلقاه الرسل، إنما هم فتية تبين لهم الهدى في وسط ظالم كافر، ولا حياة لهم في هذا الوسط إن هم أعلنوا عقيدتهم وجاهروا بها، وهم لا يطيقون كذلك أن يداروا القوم ويراودهم،

ويعبدوا ما يعبدون من الآلهة على سبيل التقية ويخفوا عبادتهم لله.. والأرجح أن أمرهم قد كشف، فلا سبيل لهم إلا أن يفروا بدينهم إلى الله، وأن يختاروا الكهف على زينة الحياة.

وقد أجمعوا أمرهم فهم يتناجون بينهم: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً﴾ وهنا ينكشف العجب في شأن القلوب المؤمنة، فهؤلاء الفتية الذين يعتزلون قومهم، ويهجرون ديارهم، ويفارقون أهلهم، ويتجردون من زينة الأرض ومتاع الحياة، هؤلاء الذين يأوون إلى الكهف الضيق الخشن المظلم، هؤلاء يستروحون رحمة الله، ويحسون هذه الرحمة ظليلة فسيحة ممتدة.

﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته﴾: ولفظة ﴿يَنشُرْ﴾ تلقي ظلال السعة والبحبوحة والانفساح.. فإذا الكهف فضاء فسيح رحيب وسيع تنتشر فيه الرحمة وتتسع خيوطها وتمتد ظلالها، وتشملهم بالرفق واللين والرخاء.. إن الحدود الضيقة لتنزاح، وإن الجدران الصلدة لترق، وإن الوحشة الموغلة لتشف، فإذا الرحمة والرفق والراحة والارتفاق.. إنه الإيمان..

وما قيمة الظواهر؟ وما قيمة القيم والأوضاع والمدلولات التي تعارف عليها الناس في حياتهم الأرضية؟

إن هنالك عالما آخر في جنبات القلب المغمور بالإيمان، المأنوس بالرحمن، عالما تظلله الرحمة والرفق والاطمئنان والرضوان).

مطاردة خير البشرية خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ

إن القارئ للتاريخ يجد أن حدث الهجرة من أعظم الأحداث التاريخية، والذي ارتبط به تاريخ أمة الإسلام، وبه بدأ تشريع الجهاد ضد الكفر والكافرين، وبه حصل التحول الكبير للمسلمين من مستضعفين مُطاردين إلى أقوياء فاتحين، ونشأت نواة دولة الإسلام في المدينة النبوية، ثم امتدت دولة الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها، فقد أمر الله سبحانه وتعالى خاتم الأنبياء والمرسلين محمداً ﷺ بالخروج من مكة إلى المدينة، فأتى إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه في وقت غير معتاد وهو متقنع، ورتب مع أبي بكر الصديق عملية الخروج، واتخذ الغطاء والساتر المناسب لخروجه واختفائه، هذا وجعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ينام مكانه وفي هذا خداع للعدو، والحرب خُدعة، واستاجر الهادي الخِرِّيت (المهرب)، وتمت عملية التنسيق لتوصيل الأخبار التي تدور في مكة..

يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

يقول سيد قطب رحمه الله في الظلال: (إنه التذكير بما كان في مكة قبل تغير الحال، وتبدل الموقف، وإنه ليوحي بالثقة واليقين في المستقبل، كما ينبه إلى تدبير قدر الله وحكمته فيما يقضي به ويأمر..

ولقد كان المسلمون الذين يخاطبون بهذا القرآن أول مرة، يعرفون الحالين معرفة الذي عاش ورأى وذاق.. وكان يكفي أن يذكروا بهذا الماضي القريب، وما كان فيه من خوف وقلق في مواجهة الحاضر الواقع وما فيه من أمن وطمأنينة، وما كان من تدبير المشركين ومكرهم برسول الله ﷺ في مواجهة ما صار إليه من غلبة عليهم، لا مجرد النجاة منهم!

لقد كانوا يمكرون ليوثقوا رسول الله ﷺ ويحبسوه حتى يموت، أو ليقتلوه ويتخلصوا منه، أو ليخرجوه من مكة منفيًا مطرودًا.. ولقد ائتمروا بهذا كله ثم اختاروا قتله، على أن يتولى

ذلك المنكر فتية من القبائل جميعا؛ ليتفرق دمه في القبائل، ويعجز بنو هاشم عن قتال العرب كلها، فيرضوا بالدية وينتهي الأمر!

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، أخبرني عثمان الجريري، عن مقسم مولى ابن عباس، أخبره ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ﴾... قال: "تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق - يريدون النبي ﷺ - وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه. فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فبات عليّ رضي الله عنه على فراش رسول الله ﷺ، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار.

وبات المشركون يحرسون عليا يحسبونه النبي ﷺ، فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوه عليًا رد الله تعالى عليهم مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري! فاقتصوا أثره، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا في الجبل، فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه.. فمكث فيه ثلاث ليال".

[قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية عن رواية نسج العنكبوت هذه: (وهذا إسناد حسن، وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار وذلك من حماية الله ﷺ)].

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ والصورة التي يرسمها قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ﴾ صورة عميقة التأثير؛ ذلك حين تتراءى للخيال ندوة قريش، وهم يتآمرون ويتذاكرون ويدبرون ويمكرون، والله من ورائهم، محيط، يمكر بهم ويبطل كيدهم وهم لا يشعرون!

إنها صورة ساخرة، وهي في الوقت ذاته صورة مفزعة، فأين هؤلاء البشر الضعاف المهازيل، من تلك القدرة القادرة، قدرة الله الجبار، القاهر فوق عباده، الغالب على أمره، وهو بكل شيء محيط؟).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

يقول ابن كثير رحمه الله حول هذه الآية: (يقول تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ﴾ أي تنصروا رسوله فإن الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ أي عام الهجرة لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه، فخرج منهم هارباً بصحبة صديقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة، فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة، فجعل أبو بكر رضي الله عنه يجزع أن يطلع عليهم أحد فيخلص إلى رسول الله ﷺ منهم أذى، فجعل النبي ﷺ يسكنه ويثبته ويقول: ((يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما)).

كما قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا همام، أنبأنا ثابت عن أنس: أن أبا بكر حدثه قال: قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، قال: فقال: ((يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما)) [أخرجاه في الصحيحين]، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ أي تأييده ونصره عليه، أي على الرسول ﷺ في أشهر القولين، وقيل على أبي بكر، وروي عن ابن عباس وغيره قالوا: لأن الرسول ﷺ لم تزل معه سكينة، وهذا لا ينافي تجدد سكينة خاصة بتلك الحال، ولهذا قال: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ أي الملائكة ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ قال ابن عباس: يعني بكلمة الذين كفروا الشرك، وكلمة الله هي لا إله إلا الله.

وفي الصحيحين: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله فقال: ((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)).

وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أي في انتقامه وانتصاره، منيع الجناب لا يضام من لاذ ببابه، واحتمى بالتمسك بخطابه ﴿حَكِيمٌ﴾ في أقواله وأفعاله).

ويقول رحمه الله في البداية والنهاية: (يقول تعالى مؤنبًا من تخلف عن الجهاد مع الرسول ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ﴾ أنتم فإن الله ناصره ومؤيده ومظفره كما نصره إذ أخرجه الذين كفروا من أهل مكة هاربًا ليس معه غير صاحبه وصديقه أبي بكر ليس غيره، ولهذا قال: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ أي وقد لجأ إلى الغار فأقاما فيه ثلاثة أيام ليسكن الطلب عنهما، وذلك لأن المشركين حين فقدوهما كما تقدم ذهبوا في طلبهما كل مذهب من سائر الجهات، وجعلوا لمن ردهما أو أحدهما مائة من الإبل، واقتصوا آثارهما حتى اختلط عليهم، وكان الذي يقتص الأثر لقريش سراقة بن مالك بن جعشم كما تقدم، فصعدوا الجبل الذي هما فيه وجعلوا يمرون على باب الغار فتحاذي أرجلهم لباب الغار ولا يرونهما حفظًا من الله لهما.

وقد ذكر بعض أهل السير أن أبا بكر لما قال ذلك، قال النبي ﷺ: لو جاؤونا من هاهنا لذهبنا من هنا، فنظر الصديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر، وإذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة إلى جانبه، وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة، ولكن لم يرد ذلك بإسناد قوي ولا ضعيف، ولسنا نثبت شيئا من تلقاء أنفسنا ولكن ما صح أو حسن سنده قلنا به والله أعلم).

ويقول رحمه الله أيضاً: (ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، وهو غلام شاب ثقف لقن، فيُدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت لا يسمع أمراً يُكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيعهما حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث).

وقال رحمه الله: (قال ابن إسحاق: ولم يعلم فيما بلغني بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر، أما علي فإن رسول الله ﷺ أمره أن يتخلف حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته.

قال ابن إسحاق: فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج أتى أبا بكر بن أبي قحافة فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته...

قال ابن إسحاق: ثم عمدا إلى غار بثور جبل بأسفل مكة فدخلاه، وأمر أبو بكر الصديق ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر، وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار، فكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم يسمع ما يأتمرون به وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبي بكر ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر، وكان عامر بن فهيرة يرعى في رعيان أهل مكة فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا، فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم يعفى عليه..

قال ابن إسحاق: وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما، قالت أسماء: ولما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا ابنة أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي. قالت: فرفع أبو جهل يده وكان فاحشاً خبيثاً فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي، ثم انصرفوا.

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه عن جدته أسماء قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم فانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدي أبو

قحافة وقد ذهب بصره فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قالت: قلت: كلا يا أبت، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً، قالت: وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوبا ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال، قالت: فوضع يده عليه فقال: لا بأس، إذ كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن. وفي هذا بلاغ لكم ولا والله ما ترك لنا شيئا ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك).

يقول ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد في هدي خير العباد وهو يحكي هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة: (لما رأى المشركون أصحاب رسول الله ﷺ قد تجهزوا، وخرجوا، وحملوا، وساقوا الذراري والأطفال والأموال إلى الأوس والخزرج، وعرفوا أن الدار دار منعة، وأن القوم أهل حَلْقَةٍ وشوكة وبأس، فخافوا خروج رسول الله ﷺ إليهم ولحوقَه بهم، فيشتد عليهم أمره، فاجتمعوا في دار الندوة، ولم يتخلف أحد من أهل الرأي والحجا منهم ليتشاوروا في أمره، وحضرهم وليهم وشيخهم إبليس في صورة شيخ كبير من أهل نجد مشتمل الصماء في كسائه، فتذاكروا أمر رسول الله ﷺ، فأشار كل أحد منهم برأي، والشيخ يرده ولا يرضاه، إلى أن قال أبو جهل: قد فُرِقَ لي فيه رأى ما أراكم قد وقعتم عليه، قالوا: ما هو؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة من قريش غلاماً نَهْداً جَلْداً، ثم نعطيه سيفاً صارماً، فيضربونه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل، فلا تدرى بنو عبد مناف بعد ذلك كيف تصنع، ولا يمكنها معاداة القبائل كلها، ونسوق إليهم ديته، فقال الشيخ: للهِ دَرُّ الفتى، هذا والله الرأي.

قال: فتفرقوا على ذلك، واجتمعوا عليه، فجاءه جبريل بالوحي من عند ربه تبارك وتعالى، فأخبره بذلك، وأمره أن لا ينام في مضجعه تلك الليلة، وجاء رسول الله ﷺ إلى أبي بكر نصف النهار في ساعة لم يكن يأتيه فيها متقنعاً، فقال له: ((أخْرِج من عندك)) فقال: إنما هم أهلك يا رسول الله، فقال: ((إن الله قد أذن لي في الخروج))، فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: ((نعم)). فقال أبو بكر: فخذ بأبي وأمي إحدى راحلتي هاتين، فقال رسول الله ﷺ: ((بالثمن)).

وأمر علياً أن يبيت في مضجعه تلك الليلة، واجتمع أولئك النفر من قريش يتطلعون من صير الباب ويرصدونه، ويريدون بياته، ويأتمرون أيهم يكون أشقاها، فخرج رسول الله ﷺ عليهم فأخذ حفنة من البطحاء، فجعل يذره على رؤوسهم، وهم لا يرونه، وهو يتلو: ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، ومضى رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر، فخرجا من خوخة في دار أبي بكر ليلًا، وجاء رجل، ورأى القوم ببابه، فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمدًا، قال: خبتم وخسرتم، قد والله مر بكم وذر على رؤوسكم التراب، قالوا: والله ما أبصرناه، وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم، وهم: أبو جهل، والحكم بن العاص، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، وأمية بن خلف، وزمعة بن الأسود، وطعيمة بن عدي، وأبو لهب، وأبي بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، فلما أصبحوا، قام على عن الفراش، فسألوه عن رسول الله ﷺ، فقال: لا علم لي به.

ثم مضى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى غار ثور، فدخلاه، وضرب العنكبوت على بابه، وكانا قد استأجرا عبد الله بن أريقط الليثي، وكان هادياً ماهراً بالطريق، وكان على دين قومه من قريش، وأمناه على ذلك، وسلما إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث، وجدت قريش في طلبهما، وأخذوا معهم القافة، حتى انتهوا إلى باب الغار، فوقفوا عليه، ففي الصحيحين أن أبا بكر قال: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا فقال: ((يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن فإن الله معنا)).

وكان النبي ﷺ وأبو بكر يسمعان كلامهم فوق رؤوسهما، ولكن الله سبحانه عمى عليهم أمرهما، وكان عامر بن فهيرة يرعى عليهما غنماً لأبي بكر، ويتسمع ما يقال بمكة، ثم يأتيهما بالخبر، فإذا كان السحر سرح مع الناس.

قالت عائشة: وجهزناهما أحث الجهاز، ووضعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، فأوكت به الجراب، وقطعت الأخرى فصيرتها عصاماً لفم القربة، فلذلك لقبت: ذات النطاقين.

ذكر الحاكم في مستدركه عن عمر قال: خرج رسول الله ﷺ إلى الغار، ومعه أبو بكر، فجعل يمشي ساعة بين يديه، وساعة خلفه، حتى فطن له رسول الله ﷺ، فسأله، فقال له: يا رسول الله، أذكر الطلب، فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد، فأمشي بين يديك فقال: ((يا أبا بكر، لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني؟)) قال: نعم والذي بعثك بالحق، فلما انتهى إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى أستبرىء لك الغار، فدخل، فاستبرأه، حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرىء الجحرة، فقال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرىء الجحرة، ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل، فمكثا في الغار ثلاث ليال حتى خمدت عنهما نار الطلب، فجاءهما عبد الله بن أريقط بالراحلتين، فارتحلا، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة، وسار الدليل أمامهما، وعين الله تكلؤهما، وتأييده يصحبهما، وإسعاده يرحلهما وينزلهما.

ولما يئس المشركون من الظفر بهما، جعلوا لمن جاء بهما دية كل واحد منهما، فجد الناس في الطلب، والله غالب على أمره، فلما مروا بحي بني مدلج مصعدين من قديد، بصر بهم رجل من الحي، فوقف على الحي فقال: لقد رأيت آنفاً بالساحل أسودة ما أراها إلا محمداً وأصحابه، ففطن بالأمر سراقة بن مالك، فأراد أن يكون الظفر له خاصة، وقد سبق له من الظفر ما لم يكن في حسابه، فقال: بل هم فلان وفلان، خرجا في طلب حاجة لهما، ثم مكث قليلاً، ثم قام فدخل خباءه وقال لخادمه: اخرج بالفرس من وراء الخباء، وموعدك وراء الأكمة، ثم أخذ رمحه، وخفض عاليه يخط به الأرض حتى ركب فرسه، فلما قرب منهم وسمع قراءة رسول الله ﷺ، وأبو بكر يكثر الالتفات، ورسول الله ﷺ لا يلتفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله، هذا سراقة بن مالك قد رهقنا، فدعا عليه رسول الله ﷺ فساخت يدا فرسه في الأرض، فقال: قد علمت أن الذي أصابني بدعائكما، فادعوا الله لي، ولكما علي أن أرد الناس عنكما، فدعا له رسول الله ﷺ، فأطلق، وسأل رسول الله ﷺ أن يكتب له كتاباً، فكتب له أبو بكر بأمره في أديم وكان الكتاب معه إلى يوم فتح مكة، فجاءه بالكتاب، فوفاه له رسول الله ﷺ، وقال: ((يوم وفاء وبر))، وعرض عليهما الزاد والحملان، فقالا: لا

حاجة لنا به، ولكن عم عنا الطلب، فقال: قد كفيتم، ورجع فوجد الناس في الطلب، فجعل يقول: قد استبرأت لكم الخبر، وقد كفيتم ما ههنا، وكان أول النهار جاهداً عليهما، وآخره حارساً لهما).

ويقول سيد قطب رحمه الله حول آية التوبة في ظلاله: (إن الاستعلاء على ثقلة الأرض وعلى ضعف النفس إثبات للوجود الإنساني الكريم، فهو حياة بالمعنى العلوي للحياة وإن التثاقل إلى الأرض والاستسلام للخوف إعدام للوجود الإنساني الكريم، فهو فناء في ميزان الله وفي حساب الروح المميزة للإنسان.

ويضرب الله لهم المثل من الواقع التاريخي الذي يعلمونه، على نصرة الله لرسوله بلا عون منهم ولا ولاء، والنصر من عند الله يؤتيه من يشاء: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. ذلك حين ضاقت قريش بمحمد ﷺ ذرعاً، كما تضيق القوة الغاشمة دائماً بكلمة الحق، لا تملك لها دفعاً، ولا تطيق عليها صبراً، فائتمرت به، وقررت أن تتخلص منه؛ فأطلعه الله على ما ائتمرت، وأوحى إليه بالخروج، فخرج وحيداً إلا من صاحبه الصديق، لا جيش ولا عدة، وأعداؤه كثر، وقوتهم إلى قوته ظاهرة، والسياق يرسم مشهد الرسول ﷺ وصاحبه: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾، والقوم على إثرهما يتعقبون، والصديق رضي الله عنه يجزع لا على نفسه ولكن على صاحبه أن يطلعوا عليهما فيخلصوا إلى صاحبه الحبيب، يقول له: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، والرسول ﷺ وقد أنزل الله سكينته على قلبه، يهدئ من روعه ويطمئن من قلبه فيقول له: ((يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟)).

ثم ماذا كانت العاقبة، والقوة المادية كلها في جانب، والرسول ﷺ مع صاحبه منها مجرد؟ كان النصر المؤزر من عند الله بجنود لم يرها الناس، وكانت الهزيمة للذين كفروا والذل والصغار: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾.

وظلت كلمة الله في مكانها العالي منتصرة قوية نافذة: ﴿وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾..

وقد قرئ ﴿وكَلِمَةُ اللهِ﴾ بالنصب، ولكن القراءة بالرفع أقوى في المعنى، لأنها تعطي معنى التقرير، فكلمة الله هي العليا طبيعة وأصلاً، بدون تصيير متعلق بحادثة معينة.

والله ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يذل أولياؤه ﴿حَكِيمٌ﴾ يقدر النصر في حينه لمن يستحقه.

ذلك مثلٌ على نصرة الله لرسوله ولكلمته؛ والله قادر على أن يعيده على أيدي قوم آخرين غير الذين يتثاقلون ويتباطؤون، وهو مثل من الواقع إن كانوا في حاجة بعد قول الله إلى دليل!).

مطاردة صحابة رسول الله رضي الله عنهم وهجرتهم إلى الحبشة

لما بعث النبي ﷺ ودعا إلى الإسلام لم يستجب له في أول الأمر إلا الواحد بعد الواحد من كل قبيلة، وكان المستجيب له خائفاً من عشيرته وقبيلته، يؤذى غاية الأذى، وينال منه وهو صابر على ذلك في الله عز وجل، وكان المسلمون إذ ذاك مستضعفين يشردون كل مشرد، ويهربون بدينهم إلى البلاد النائية كما هاجروا إلى الحبشة مرتين ثم هاجروا إلى المدينة، وكان منهم من يعذب في الله ومنهم من يقتل، فكان الداخلون في الإسلام حينئذ غرباء.

يقول ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد: (فانحاز المهاجرون إلى مملكة أصحمة النجاشي آمِنِين، فلما عَلِمَتْ قريشٌ بذلك، بعثت في أثرهم عبدَ الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، بهدايَا وتُحَفٍ مِن بلدهم إلى النجاشي ليردَّهم عليهم، فأبى ذلك عليهم، وشَفَعُوا إليه بعظماء بطارقته، فلم يجبهم إلى ما طلبوا، فَوَشَوْا إليه: أن هؤلاء يقولون في عيسى قولاً عظيماً، يقولون: إنه عبد الله، فاستدعى المهاجرين إلى مجلسه، ومُقَدَّمُهم جعفر بن أبي طالب، فلما أرادوا الدخولَ عليه، قال جعفر: يستأذِنُ عليك حِزْبُ الله، فقال للآذِنِ: قل له يُعيد استئذانه، فأعاده عليه، فلما دخلوا عليه قال: ما تقولون في عيسى؟ فتلا عليه جعفر صدراً من سورة "كهيعص" فأخذ النجاشي عُوداً من الأرض فقال: ما زاد عيسى عَلَى هذا ولا هذَا العود، فتناخرت بطارقتهُ عنده، فقال: وإن نخرتم، قال: اذهبوا فأنتم سَيوم بأرضي، من سبَّكم غُرِّم (والسيوم: الآمنون في لسانهم) ثم قال للرسولين: لو أعطيتموني دَبْرَاً من ذهب يقول: جبلاً من ذهب ما أسلمتهم إليكما، ثم أمَر فَرُدَّت عليهما هداياهما، ورجعا مقبوحين).

وجاء في مسند الإمام أحمد أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قال للنجاشي واصفاً حالهم مع قريش: (فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك).

قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية: (فأما رواية جعفر فإنها عزيزة جداً رواها ابن عساكر... عن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال: بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشي فقالوا له: ونحن عنده قد صار إليك ناس من سفلتنا وسفهائنا فادفعهم إلينا قال: لا حتى أسمع كلامهم، قال: فبعث إلينا فقال: ما يقول هؤلاء؟ قال: قلنا: هؤلاء قوم يعبدون الأوثان، وإن الله بعث إلينا رسولاً فآمنا به وصدقناه، فقال لهم النجاشي: أعبيدٌ هم لكم؟ قالوا: لا، فقال: فلكم عليهم دين؟ قالوا: لا، قال: فخلوا سبيلهم. قال: فخرجنا من عنده، فقال عمرو بن العاص: إن هؤلاء يقولون في عيسى غير ما تقول، قال: إن لم يقولوا في عيسى مثل قولي لم أدعهم في أرضي ساعة من نهار. فأرسل إلينا فكانت الدعوة الثانية أشد علينا من الأولى، قال: ما يقول صاحبكم في عيسى بن مريم؟ قلنا: يقول هو روح الله وكلمته ألقاها إلى عذراء البتول. قال: فأرسل فقال: ادعوا لي فلان القس وفلان الراهب، فأتاه ناس منهم، فقال: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقالوا: أنت أعلمنا، فما تقول؟ قال النجاشي وأخذ شيئا من الأرض قال: ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا. ثم قال: أيؤذيكم أحداً؟ قالوا: نعم. فنادى مناد: من آذى أحداً منهم فأغرموه أربعة دراهم، ثم قال: أيكفيكم؟ قلنا: لا. فأضعفها.

قال: فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وظهر بها قلنا له: إن رسول الله ﷺ قد ظهر وهاجر إلى المدينة، وقتل الذين كنا حدثناك عنهم، وقد أردنا الرحيل إليه فرُدَّنا. قال: نعم. فحملنا وزودنا، ثم قال: أخبر صاحبك بما صنعت إليكم، وهذا صاحبي معكم، أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله، وقل له يستغفر لي. قال جعفر: فخرجنا حتى أتينا المدينة فتلقاني رسول الله ﷺ واعتنقني، ثم قال: ما أدري أنا بفتح خيبر أفرح أم بقدوم جعفر! ووافق ذلك فتح خيبر، ثم جلس فقال رسول النجاشي: هذا جعفر فسله ما صنع به صاحبنا. فقال: نعم، فعل بنا كذا وكذا، وحملنا وزودنا، وشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وقال لي: قل له يستغفر لي. فقام رسول الله ﷺ فتوضأ ثم دعا ثلاث مرات: اللهم اغفر للنجاشي.

فقال المسلمون: آمين. ثم قال جعفر للرسول (أي رسول النجاشي): انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله ﷺ، ثم قال ابن عساكر حسن غريب).

فها هم إذن صحابة رسول الله رضي الله عنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم، وطوردوا، وهاجروا واختفوا، وركبوا المخاطر والمشاق، وسافروا المسافات الطويلة، بل وركبوا البحر، فمنهم من ذهب إلى الحبشة وبقي في جوار النجاشي (يسمى اليوم باللجوء السياسي) ولم يعودوا إلا في عام خيبر (أي مكثوا في الحبشة سنوات طويلة)، ومنهم من هاجر إلى المدينة النبوية وترك أهله وماله وديارة من أجل هذا الدين، ولذا امتدحهم الله بقوله: ﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله: (يقول تعالى مبيناً حال الفقراء المستحقين لمال الفيء أنهم ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً﴾ أي خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ أي هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم، وهؤلاء هم سادات المهاجرين، ثم قال تعالى مادحاً للأنصار ومبيناً فضلهم وشرفهم وكرمهم، وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم.

قال عمر: وأوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين؛ أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبل، أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم رواه البخاري هاهنا أيضاً.

قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أي من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم.

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس قال: قال المهاجرون: يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً في كثير، لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: ((لا، ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم)) لم أره في الكتب من هذا الوجه.

وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال: دعا النبي ﷺ الأنصار أن يقطع لهم البحرين. قالوا: لا، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها. قال: ((ما لا فاصبروا حتى تلقوني؛ فإنه سيصيبكم أثرة)). تفرد به البخاري من هذا الوجه.

وقال البخاري: حدثنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قالت الأنصار اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: لا. فقالوا: أتكفوننا المؤنة ونشرككم في الثمرة؟ قالوا: سمعنا وأطعنا. تفرد به دون مسلم.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ أي ولا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة.

قال الحسن البصري: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ يعني الحسد ﴿مِّمَّا أُوتُوا﴾.

قال قتادة: يعني فيما أعطى إخوانهم. وكذا قال ابن زيد.

ومما يستدل به على هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أنس قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: ((يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة)). فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه، قد علق نعليه بيده

الشمال، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان في اليوم الثالث قال رسول الله ﷺ مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام رسول الله ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت. قال نعم.

قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً، غير أنه إذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر. قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أن أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله، لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات ((يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة)) فطلعت أنت الثلاث المرات، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به، فلم أرك تعمل كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ قال: ما هو إلا ما رأيت.

فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه. قال عبد الله: فهذه التي بلغت بك وهي التي لا تطاق. ورواه النسائي في اليوم والليلة عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن معمر به، وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري عن رجل عن أنس. فالله أعلم.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ يعني مما أوتوا المهاجرين، قال: وتكلم في أموال بني النضير بعض من تكلم في الأنصار فعاتبهم الله في ذلك فقال تعالى: ﴿وَمَا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاء وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال: وقال رسول الله ﷺ: ((إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم))، فقالوا: أموالنا بيننا

قطائع، فقال رسول الله ﷺ: ((أو غير ذلك)). قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ((هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر)) فقالوا: نعم يا رسول الله.

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يعني حاجة أي يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدؤون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك.

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((أفضل الصدقة جهد المقل)) وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾، وقوله: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه، ومن هذا المقام تصدق الصديق رضي الله عنه بجميع ماله، فقال له رسول الله ﷺ: ((ما أبقيت لأهلك؟)) فقال رضي الله عنه: أبقيت لهم الله ورسوله، وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه، وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء، فرده الآخر إلى الثالث فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

وقال البخاري: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير حدثنا أبو أسامة حدثنا فضيل بن غزوان حدثنا أبو حازم الأشجعي عن أبي هريرة قال: أتى رجل لرسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أصابني الجهد. فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال النبي ﷺ: ((ألا رجل يضيف هذه الليلة رحمه الله))، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: هذا ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئاً، فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ، فقال: ((لقد عجب الله عز وجل – أو ضحك – من فلان وفلانة)) وأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

خَصَاصَةٌ﴾ وكذا رواه البخاري في موضع آخر ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن فضيل بن غزوان، وفي رواية لمسلم تسمية هذا الأنصاري بأبي طلحة رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح.

قال أحمد: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا داود بن قيس الفراء عن عبيد الله بن مقسم، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: ((إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)). انفرد بإخراجه مسلم فرواه عن القعنبي عن داود بن قيس به.

وقال الأعمش وشعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقمر عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: ((اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش، وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالفجور ففجروا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا)). ورواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة والنسائي من طريق الأعمش، كلاهما عن عمرو بن مرة به.

وقال الليث عن يزيد بن الهاد عن سهيل بن أبي صالح عن صفوان بن أبي يزيد عن القعقاع بن الجلاح عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً)).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبدة بن سليمان، أخبرنا ابن المبارك، حدثنا المسعودي عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلال قال: جاء رجل إلى عبد الله فقال: يا أبا عبد الرحمن، إني أخاف أن أكون قد هلكت. فقال له عبد الله: وما ذاك؟ قال: سمعت الله يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وأنا رجل شحيح لا أكاد أن

أخرج من يدي شيئاً، فقال عبد الله: ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله في القرآن، إنما الشح الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلماً، ولكن ذاك البخل وبئس الشيء البخل.

وقال سفيان الثوري عن طارق بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن أبي الهياج الأسدي قال: كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلاً يقول: اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك. فقلت له، فقال: إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل، وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه. رواه ابن جرير.

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن إسحاق، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا مجمع بن جارية الأنصاري عن عمه يزيد بن جارية عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: ((برىء من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى في النائبة)).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء، وهم المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم بإحسان كما قال في آية براءة ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية، ولهذا قال تعالى: في هذه الآية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ﴾ أي قائلين ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ أي بغضاً وحسداً ﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب، لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾).

ويقول سيد قطب رحمه الله في ظِلاله: (هي صورة صادقة تبرز فيها أهم الملامح المميزة للمهاجرين.. أخرجوا إخراجاً من ديارهم وأموالهم، أكرههم على الخروج الأذى والاضطهاد والتنكر من قرابتهم وعشيرتهم في مكة، لا لذنب إلا أن يقولوا ربنا الله.

وقد خرجوا تاركين ديارهم وأموالهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ اعتمادهم على الله في فضله ورضوانه، لا ملجأ لهم سواه، ولا جناب لهم إلا حماه.

وهم مع أنهم مطاردون قليلون ﴿يَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بقلوبهم وسيوفهم في أحرج الساعات وأضيق الأوقات ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الذين قالوا كلمة الإيمان بألسنتهم، وصدقوها بعملهم، وكانوا صادقين مع الله في أنهم اختاروه، وصادقين مع رسوله في أنهم اتبعوه، وصادقين مع الحق في أنهم كانوا صورة منه تدب على الأرض ويراها الناس!

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وهذه كذلك صورة وضيئة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار، هذه المجموعة التي تفردت بصفات، وبلغت إلى آفاق، لولا أنها وقعت بالفعل، لحسبها الناس أحلاماً طائرة، ورؤى مجنحة، ومثلاً عليا قد صاغها خيال محلق.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي دار الهجرة يثرب مدينة الرسول ﷺ.

وقد تبوأها الأنصار قبل المهاجرين، كما تبوؤوا فيها الإيمان وكأنه منزل لهم ودار.. وهو تعبير ذو ظلال، وهو أقرب ما يصور موقف الأنصار من الإيمان، لقد كان دارهم ونزلهم ووطنهم الذي تعيش فيه قلوبهم، وتسكن إليه أرواحهم، ويثوبون إليه ويطمئنون له كما يثوب المرء ويطمئن إلى الدار.

﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ ولم يعرف تاريخ البشرية كله حادثاً جماعياً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين.. بهذا الحب الكريم، وبهذا البذل

السخي، وبهذه المشاركة الرضية، وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء، حتى ليروى أنه لم ينزل مهاجر في دار أنصاري إلا بقرعة؛ لأن عدد الراغبين في الإيواء المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين [١]!

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ مما يناله المهاجرون من مقام مفضل في بعض المواضع، ومن مال يختصون به كهذا الفيء، فلا يجدون في أنفسهم شيئا من هذا.

ولا يقول: حسداً ولا ضيقاً. إنما يقول: ﴿حَاجَةً﴾؛ مما يلقي ظلال النظافة الكاملة لصدورهم والبراءة المطلقة لقلوبهم، فلا تجد شيئا أصلا.

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ والإيثار على النفس مع الحاجة قمة عليا، وقد بلغ إليها الأنصار بما لم تشهد البشرية له نظيرا، وكانوا كذلك في كل مرة وفي كل حالة بصورة خارقة لمألوف البشر قديما وحديثا.

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ فهذا الشح شح النفس هو المعوق عن كل خير، لأن الخير بذل في صورة من الصور، بذل في المال، وبذل في العاطفة، وبذل في الجهد، وبذل في الحياة عند الاقتضاء، وما يمكن أن يصنع الخير شحيح يهم دائماً أن يأخذ ولا يهم مرة أن يعطي.. ومن يوق شح نفسه، فقد وقي هذا المعوق عن الخير، فانطلق إليه معطيا باذلاً كريماً، وهذا هو الفلاح في حقيقة معناه.

﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.. وهذه الصورة الثالثة النظيفة الرضية الواعية، وهي تبرز أهم ملامح التابعين، كما تبرز أخص خصائص الأمة المسلمة على

---

[١] فأين الذين تبوؤوا الدار والإيمان يا أهل جزيرة العرب؟ أين الذين يقفون مع لمجاهدين الغرباء في محنتهم؟ أين الذين يضحون من أجل هذا الدين؟ إن أملنا في أحفاد الصحابة وأبناء المهاجرين والأنصار كبير فأروا الله من أنفسكم خيراً.

الإطلاق في جميع الأوطان والأزمان.. هؤلاء الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار - ولم يكونوا قد جاؤوا بعد عند نزول الآية في المدينة، إنما كانوا قد جاؤوا في علم الله، وفي الحقيقة القائمة في هذا العلم المطلق من حدود الزمان والمكان -، سمة نفوسهم أنها تتوجه إلى ربها في طلب المغفرة، لا لذاتها ولكن كذلك لسلفها الذين سبقوا بالإيمان؛ وفي طلب براءة القلب من الغل للذين آمنوا على وجه الإطلاق، ممن يربطهم معهم رباط الإيمان، مع الشعور برأفة الله، ورحمته، ودعائه بهذه الرحمة، وتلك الرأفة: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وتتجلى من وراء تلك النصوص طبيعة هذه الأمة المسلمة وصورتها الوضيئة في هذا الوجود، تتجلى الآصرة القوية الوثيقة التي تربط أول هذه الأمة بآخرها، وآخرها بأولها، في تضامن وتكافل وتواد وتعاطف، وشعور بوشيجة القربى العميقة التي تتخطى الزمان والمكان والجنس والنسب، وتتفرد وحدها في القلوب، تحرك المشاعر خلال القرون الطويلة، فيذكر المؤمن أخاه المؤمن بعد القرون المتطاولة، كما يذكر أخاه الحي، أو أشد، في إعزاز وكرامة وحب، ويحسب السلف حساب الخلف، ويمضي الخلف على آثار السلف صفاً واحداً وكتيبةً واحدةً على مدار الزمان واختلاف الأوطان تحت راية الله، تغذ السير صعداً إلى الأفق الكريم، متطلعة إلى ربها الواحد الرؤوف الرحيم.

إنها صورة باهرة، تمثل حقيقة قائمة، كما تمثل أرفع وأكرم مثال للبشرية يتصوره قلب كريم، صورة تبدو كرامتها ووضاءتها على أتمها حين تقرن مثلاً إلى صورة الحقد الذميم والهدم اللئيم التي تمثلها وتبشر بها الشيوعية في إنجيل كارل ماركس، صورة الحقد الذي ينغل في الصدور، وينخر في الضمير، على الطبقات، وعلى أجيال البشرية السابقة، وعلى أممها الحاضرة التي لا تعتنق الحقد الطبقي الذميم، وعلى الإيمان والمؤمنين من كل أمة وكل دين!

صورتان لا التقاء بينهما في لمحة ولا سمة ولا لمسة ولا ظل، صورة ترفع البشرية إلى أعلى مراقيها، وصورة تهبط بها إلى أدنى دركاتها، صورة تمثل الأجيال من وراء الزمان والمكان والجنس والوطن والعشيرة والنسب، متضامنة مترابطة متكافلة متوادة متعارفة، صاعدة في طريقها إلى

الله، بريئة الصدور من الغل، طاهرة القلوب من الحقد، وصورة تمثل البشرية أعداء متناحرين يلقي بعضهم بعضاً بالحقد والدخل والدغل والغش والخداع والالتواء، حتى وهم في المعبد يقيمون الصلاة، فالصلاة ليست سوى أحبولة، والدين كله ليس إلا فخاً ينصبه رأس المال للكادحين!

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ هذه هي قافلة الإيمان، وهذا هو دعاء الإيمان، وإنها لقافلة كريمة، وإنه لدعاء كريم).

قصة مطاردة صحابيين بعد عملية جهادية وعدم تسليم أنفسهما لشريعة قريش "السمحة"!!

قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية: (سرية عمرو بن أمية الضمري: قال الواقدي: حدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه وعبد الله بن أبي عبيدة عن جعفر بن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري وعبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبي عوف وزاد بعضهم على بعض قالوا: كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة: ما أحد يغتال محمداً فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا، فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له: إن أنت وفيتني وخرجت إليه حتى أغتاله فإني هاد بالطريق، خريت معي خنجر مثل خافية النسر، قال: أنت صاحبنا. وأعطاه بعيراً ونمقه، وقال: اطو أمرك، فإني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه إلى محمد. قال الأعرابي: لا يعلمه أحد.

فخرج ليلاً على راحلته، فسار خمساً وصبح ظهر الحي يوم سادسه، ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ حتى أتى المصلى، فقال له قائل: قد توجه إلى بني عبد الأشهل، فخرج الأعرابي يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل فعقل راحلته، ثم أقبل يؤم رسول الله ﷺ فوجده في جماعة من أصحابه يحدث في مسجده، فلما دخل ورآه رسول الله ﷺ قال لأصحابه: ((إن هذا الرجل يريد غدراً، والله حائلٌ بينه وبين ما يريده)).

فوقف وقال: أيكم ابن عبد المطلب، فقال له رسول ﷺ: أنا ابن عبد المطلب. فذهب ينحني على رسول الله ﷺ كأنه يسارّه، فجبذه أسيد بن حضير وقال: تنحَّ عن رسول الله ﷺ، وجذب بداخن إزاره فإذا الخنجر، فقال: يا رسول الله، هذا غادر، فأسقط في يد الأعرابي وقال: دَمي دمي يا محمد، وأخذه أسيد بن حضير يلببه، فقال له النبي ﷺ: ((اصدقني، ما أنت وما أقدمك؟ فإن صدقتني نفعك الصدق، وإنْ كذبتني فقد اطلعت على ما هممت به)). قال الأعرابي: فأنا آمن؟ قال: ((وأنت آمن)). فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له.

فأمر به فحُبس عند أسيد بن حضير، ثم صارا من الغد فقال: ((قد أمنتك فاذهب حيث شئت أو خير لك من ذلك؟)) قال: وما هو؟ فقال: ((أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)). فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك أنت رسول الله، والله يا محمد ما كنت أفْرَق (أخاف) من الرجال، فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت، ثم اطلعت على ما هممت به، فما سبقت به الركبان ولم يطلع عليه أحد، فعرفت أنك ممنوع وأنك على حق، وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان.

فجعل النبي ﷺ يتبسم، وأقام أياماً ثم استأذن النبي ﷺ فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر، وقال رسول الله ﷺ لعمرو بن أمية الضمري ولسلمة ابن أسلم بن حريش: ((اخرجا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب، فإن أصبتما منه غرةً [١] فاقتلاه)).

قال عمرو: فخرجت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن يأجج فقيَّدنا بعيرنا، وقال لي صاحبي: يا عمرو، هل لك في أن نأتي مكة فنطوف بالبيت سبعاً ونصلي ركعتين؟ فقلت: أنا أعلم بأهل مكة منك، إنهم إذا أظلموا رشَّوا أفنيتهم ثم جلسوا بها، وإني أعرف من الفرس الأبلق، فأبى علي فانطلقنا فأتينا مكة فطفنا سبعاً وصلينا ركعتين، فلما خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرفني، وقال عمرو بن أمية: واحزناه. فنذر بنا أهل مكة فقالوا: ما جاء عمرو في خير. وكان عمرو فاتكاً في الجاهلية، فحشد أهل مكة وتجمعوا وهرب عمرو وسلمة وخرجوا في طلبهما واشتدوا في الجبل، قال عمرو: فدخلت في غار فتغيبت عنهم حتى أصبحت وباتوا يطلبوننا في الجبل وعمَّى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا له، فلما كان ضحوة الغد أقبل عثمان بن مالك بن عبيد التيمي يختلي لفرسه حشيشاً، فقلت لسلمة بن أسلم: إذا أبْصَرنا أشْعَرَ بنا أهل مكة وقد انفضوا عنا. فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا، قال: فخرجت إليه فطعنته طعنةً تحت الثدي بخنجري فسقط وصاح، فاجتمع أهل مكة

---

[١] وهذا دليل آخر على مشروعية الاغتيالات لعلي أضيفه بإذن الله في الطبعة الجديدة لكتاب (تحريض المجاهدين الأبطال على إحياء سنة الاغتيال).

فأقبلوا بعد تفرقهم ورجعت إلى مكاني فدخلت فيه، وقلت لصاحبي: لا تتحرك. فأقبلوا حتى أتوه وقالوا: من قتلك؟ قال عمرو بن أمية الضمري، فقال أبو سفيان: قد علمنا أنه لم يأت لخير.

ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا فإنه كان بآخر رمق فمات، وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم، فحملوه فمكثنا ليلتين في مكاننا حتى سكن عنا الطلب، ثم خرجنا إلى التنعيم، فقال صاحبي: يا عمرو بن أمية هل لك في خبيب بن عدي ننزله؟ فقلت له: أين هو؟ قال: هو ذاك مصلوب حوله الحرس، فقلت: أمهلني وتنح عني، فإن خشيت شيئاً فانح إلى بعيرك فاقعد عليه فأتِ رسولَ الله ﷺ فأخبره الخبر، ودعني فإني عالم بالمدينة [1].

ثم استدرت عليه حتى وجدته فحملته على ظهري، فما مشيت به إلا عشرين ذراعاً حتى استيقظوا فخرجوا في أثري، فطرحت الخشبة فما أنسى وجيبها (يعني صوتها)، ثم أهلت عليه التراب برجلي، فأخذت طريق الصفراء، فأعيوا ورجعوا، وكنت لا أدري مع بقاء نفسي، فانطلق صاحبي إلى البعير فركبه وأتى النبي ﷺ فأخبره، وأقبلت حتى أشرفت على الغليل غليل ضنجنان، فدخلت في غار معي قوسي وأسهمي وخنجري، فبينما أنا فيه إذ أقبل رجل من بني الديل بن بكر، أعور طويل يسوق غنماً ومعزى، فدخل الغار وقال: من الرجل؟ فقلت: رجل من بني بكر، فقال: وأنا من بني بكر. ثم اتكأ ورفع عقيرته يتغنى ويقول:

فلست بمسلم ما دمت حياً ولست أدين دين المسلمينا

فقلت في نفسي: والله إني لأرجو أن أقتلك.

فلما نام قمت إليه فقتلته شر قتلة قتلها أحد قط، ثم خرجت حتى هبطت، فلما أسهلت في الطريق إذا رجلان بعثهما قريش يتجسسان الأخبار، فقلت: استأسر. فأبى أحدهما فرميته فقتلته، فلما رأى ذلك الآخر استأسر (أي استسلم)، فشددته وثاقاً ثم أقبلت به إلى النبي

[1] في هذا درسٌ مهم لمن يقوم بالعمليات الجهادية أن يكون عالماً بالمدينة التي تتم فيها العملية.

ﷺ، فلما قدمت المدينة أتى صبيان الأنصار وهم يلعبون وسمعوا أشياخهم يقولون: هذا عمرو، فاشتد الصبيان إلى النبي ﷺ فأخبروه، وأتيته بالرجل قد ربطت إبهامه بوتر قوسي فلقد رأيت النبي ﷺ وهو يضحك، ثم دعا لي بخير. وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام. رواه البيهقي.

وقد تقدم أن عمراً لما أهبط خبيباً لم ير له رمة ولا جسداً، فلعله دفن مكان سقوطه والله أعلم.

وهذه السرية إنما استدركها ابن هشام على ابن إسحاق، وساقها بنحو من سياق الواقدي لها، لكن عنده أن رفيق عمرو بن أمية في هذه السرية جبار بن صخر، فالله أعلم ولله الحمد).

اختفاء الصحابة من المسرف "مسلم بن عقبة" حين أباح المدينة ثلاثة أيام

حين أباح (مُسرف بن عقبة) المدينة ثلاثة أيام اختفى جمعٌ من سادات الصحابة رضوان الله عليهم، وذهب بعضهم إلى بعض الكهوف والمغارات، فكيف بمن أباح جزيرة العرب أسابيع وشهور وسنوات للصليبيين وأذنابهم لمطاردة وقتل المسلمين في كل مكان حتى وصلوا إلى استباحة دماء المجاهدين في مكة والمدينة وألصقوا بهم التهم والأكاذيب! ألا يحق لهؤلاء الشباب الأخيار أن يقتدوا بصحابة رسول الله ﷺ ويغيبوا عن الأنظار إلى أن يأت الله بالفتح أو أمرٍ من عنده؟!

قال ابن كثير رحمه الله وهو يتحدث بحرقة وأسى عن وقعة الحرة في عام ٦٣هـ وما فعله فيها يزيد بن معاوية ومُسرف بن عُقْبة: (ثم أباح مسلم بن عقبة الذي يقول فيه السلف مسرف بن عقبة -قبحه الله من شيخ سوء ما أجهله- المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد -لا جزاه الله خيرا-، وقتل خلقاً من أشرافها وقرائها، وانتهب أموالاً كثيرة منها، ووقع شر وفساد عريض على ما ذكره غير واحد، فكان ممن قتل بين يديه صبراً معقل بن سنان، وقد كان صديقه قبل ذلك، ولكن أسمعه في يزيد كلاماً غليظاً فنقم عليه بسببه.

واستدعى بعلي بن الحسين فجاء يمشي بين مروان بن الحكم وابنه عبد الملك ليأخذ له بهما عنده أماناً، ولم يشعر أن يزيد أوصاه به، فلما جلس بين يديه استدعى مروان بشراب -وقد كان مسلم بن عقبة حمل معه من الشام ثلجاً إلى المدينة فكان يشاب له بشرابه- فلما جيء بالشراب شرب مروان قليلاً، ثم أعطى الباقي لعلي بن الحسين ليأخذ له بذلك أماناً، وكان مروان مواداً لعلي بن الحسين، فلما نظر إليه مسلم بن عقبة قد أخذ الإناء في يده قال له: لا تشرب من شرابنا، ثم قال له: إنما جئت مع هذين لتأمن بهما. فارتعدت يد علي بن الحسين وجعل لا يضع الإناء من يده ولا يشربه، ثم قال له: لولا أن أمير المؤمنين أوصاني بك لضربت عنقك، ثم قال له: إن شئت أن تشرب فاشرب وإن شئت دعونا لك بغيرها، فقال: هذه الذي في كفي أريد، فشرب ثم قال له مسلم بن عقبة: قم إلى هاهنا

فاجلس، فأجلسه معه على السرير وقال له: إن أمير المؤمنين أوصاني بك، وإن هؤلاء شغلوني عنك، ثم قال لعلي بن الحسين: لعل أهلك فزعوا، فقال إي والله. فأمر بدابته فأسرجت ثم حمله عليها حتى رده إلى منزله مكرماً.

ثم استدعى بعمرو بن عثمان بن عفان ولم يكن خرج مع بني أمية، فقال له: إنك إن ظهر أهل المدينة قلت أنا معكم، وإن ظهر أهل الشام قلت أنا ابن أمير المؤمنين ثم أمر به فنتفت لحيته بين يديه وكان ذا لحية كبيرة.

قال المدائني: وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة أيام يقتلون من وجدوا من الناس ويأخذون الأموال، فأرسلت سُعدى بنت عوف المرية إلى مسلم بن عقبة تقول له: أنا بنت عمك، فمر أصحابك أن لا يتعرضوا لإبلنا بمكان كذا وكذا. فقال لأصحابه: لا تبدؤوا إلا بأخذ إبلها أولاً.

وجاءته امرأة فقالت: أنا مولاتك وابني في الأسارى، فقال: عجلوه لها فضربت عنقه. وقال: أعطوها رأسه، أما ترضين أن لا يقتل حتى تتكلمي في ابنك؟!

ووقعوا على النساء حتى قيل إنه حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج، والله أعلم،

قال المدائني: عن أبي قرة قال: قال هشام بن حسان: ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد وقعة الحرة من غير زوج، وقد اختفى جماعة من سادات الصحابة منهم جابر بن عبد الله، وخرج أبو سعيد الخدري فلجأ إلى غار في جبل فلحقه رجل من أهل الشام، قال: فلما رأيته انتضيت سيفي فقصدني، فلما رآني صمّم على قتلي، فشممت سيفي ثم قلت: إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين، فلما رأى ذلك قال: من أنت؟ قلت: أنا أبو سعيد الخدري قال: صاحب رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم. فمضى وتركني.

قال المدائني: وجيء إلى مسلم بسعيد بن المسيب فقال له: بايع. فقال: أبايع على سيرة أبي بكر وعمر، فأمر بضرب عنقه، فشهد رجل إنه مجنون فخلى سبيله.

وقال المدائني عن عبد الله القرشي وأبي إسحاق التميمي قالا: لما انهزم أهل المدينة يوم الحرة صاح النساء والصبيان، فقال ابن عمر: بعثمان ورب الكعبة.

قال المدائني عن شيخ من أهل المدينة قال: سألت الزهري كم كان القتلى يوم الحرة؟ قال: سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ووجوه الموالي وممن لا أعرف من حر وعبد وغيرهم عشرة آلاف.

قال: وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين، وانتهبوا المدينة ثلاثة أيام.

قال الواقدي وأبو معشر: كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين... -إلى أن قال- وقد روى ابن عساكر... عن المدائني قال: لما قتل أهل الحرة هتف هاتف بمكة على أبي قبيس مساء تلك الليلة وابن الزبير جالس يسمع:

قتل الخيار بنو الخيار ذوي المهابة والسماح
والصائمون القانتون أولوا العبادة والصلاح
المهتدون المحسنون السابقون إلى الفلاح
ماذا بواقم والبقيع من الجحاجحة الصباح
وبقاع يثرب ويحهن من النوادب والصياح

فقال ابن الزبير: يا هؤلاء، قتل أصحابكم فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد أخطأ يزيد خطأ فاحشاً في قوله لمسلم بن عقبة أن يبيح المدينة ثلاثة أيام، وهذا خطأ كبير فاحش مع ما انضم إلى ذلك من قتل خلق من الصحابة وأبنائهم، وقد تقدم أنه

قتل الحسين وأصحابه على يدي عبيد الله بن زياد، وقد وقع في هذه الثلاثة أيام من المفاسد العظيمة في المدينة النبوية ما لا يحد ولا يوصف مما لا يعلمه إلا الله عز وجل، وقد أراد بإرسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه وملكه ودوام أيامه من غير منازع؛ فعاقبه الله بنقيض قصده، وحال بينه وبين ما يشتهيه، فقصمه الله قاصم الجبابرة، وأخذه أخذ عزيز مقتدر، وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد.

قال البخاري في صحيحه: حدثنا الحسين بن الحارث ثنا الفضل بن موسى ثنا الجعد عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص عن أبيها قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء)).

وقد رواه مسلم من حديث أبي عبد الله القراظ المديني واسمه دينار عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يريد أحد المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء)).

وفي رواية لمسلم من طريق أبي عبد الله القراظ عن سعد وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء)).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أنس بن عياض ثنا يزيد بن خصيفة عن عطاء بن يسار عن السائب بن خلاد أن رسول الله ﷺ قال: ((من أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلا)).

ورواه النسائي من غير وجه عن على ابن حجر عن إسماعيل بن جعفر عن يزيد بن خصيفة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن عطاء بن يسار عن خلاد بن منجوف بن الخزرج أخبره فذكره وكذلك رواه الحميدي عن عبد العزيز بن أبي حازم عن يزيد بن حصيفة ورواه النسائي أيضاً عن يحي بن حبيب بن عربي عن حماد عن

يحيى بن سعيد عن مسلم بن أبي مريم عن عطاء بن يسار عن ابن خلاد وكان من أصحاب النبي ﷺ فذكره.

وقال ابن وهب: أخبرني حيوة بن شريح عن ابن الهاد عن أبي بكر عن عطاء بن يسار عن السائب بن خلاد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)).

وقال الدارقطني: حدثنا علي بن أحمد بن القاسم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر حدثنا أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن يزيد بن عبد الله بن أنيس الأنصاري عن محمد وعبد الرحمن ابني جابر بن عبد الله قالا: خرجنا مع أبينا يوم الحرة وقد كف بصره فقال: تعس من أخاف رسول الله ﷺ، فقلنا: يا أبت، وهل أحد يخيف رسول الله ﷺ؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من أخاف أهل هذا الحي من الأنصار فقد أخاف ما بين هذين ووضع يده على جبينه)). قال الدارقطني: تفرد به سعد بن عبد العزيز لفظاً وإسناداً.

وقد استدل بهذا الحديث وأمثاله من ذهب إلى الترخيص في لعنة يزيد بن معاوية، وهو رواية عن أحمد بن حنبل اختارها الخلال وأبو بكر عبد العزيز والقاضي أبو يعلى وابنه القاضي أبو الحسين، وانتصر لذلك أبو الفرج بن الجوزي في مصنف مفرد وجوز لعنته، ومنع من ذلك آخرون وصنفوا فيه أيضاً، لئلا يجعل لعنه وسيلة إلى أبيه أو أحد من الصحابة، وحملوا ما صدر عنه من سوء التصرفات على أنه تأول وأخطأ، وقالوا إنه كان مع ذلك إماماً فاسقاً والإمام إذا فسق لا يعزل بمجرد فسقه على أصح قولي العلماء، بل يجوز الخروج عليه [١] لما في ذلك من إثارة الفتنة ووقوع الهرج وسفك الدماء الحرام ونهب الأموال وفعل الفواحش

---

[١] لاحظ أن كلام ابن كثير رحمه الله هنا في الإمام إذا فسق، وأما الكفر البواح فهو أكبر فتنة وأعظمها، والنصوص الشرعية واضحة وصريحة في هذه المسألة؛ يُعزل ويُخرج عليه مع القدرة (وشرط القدرة للوجوب وليس للجواز فليُتنبه) وليس له ولاية على قُلامة ظُفْر ولا بيعة ولا عهد ولا أمان... إلخ.

مع النساء وغيرهن، وغير ذلك مما كل واحدة فيها من الفساد أضعاف فسقه كما جرى مما تقدم إلى يومنا هذا.

وأما ما يذكره بعض الناس من أن يزيد لما بلغه خبر أهل المدينة وما جرى عليهم عند الحرة من مسلم بن عقبة وجيشه فرح بذلك فرحاً شديداً؛ فإنه كان يرى أنه الإمام وقد خرجوا عن طاعته وأمروا عليهم غيره فله قتالهم حتى يرجعوا إلى الطاعة ولزوم الجماعة، كما أنذرهم بذلك على لسان النعمان بن بشير ومسلم بن عقبة كما تقدم، وقد جاء في الصحيح: ((من جاءكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاقتلوه كائناً من كان)).

وأما ما يوردونه عنه من الشعر في ذلك واستشهاده بشعر ابن الزبعري في وقعة أحد التي يقول فيها:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
حين حلت بفنائهم بركها واستحرّ القتل في عبد الأشل
قد قتلنا الضعف من أشرافهم وعدنا ميل بدر فاعتدل

وقد زاد بعض الروافض فيها فقال:

ليت هاشم بالملك فلا ملك جاءه ولا وحي نزل

إن قاله يزيد بن معاوية فلعنة الله عليه ولعنة اللاعنين، وإن لم يكن قاله فلعنة الله على من وضعه عليه ليشنع به عليه.

وسنذكر ترجمة يزيد بن معاوية وما ذكر عنه وما قيل فيه وما كان يعانيه من الأفعال والقبائح والأقوال في السنة الآتية، فإنه لم يمهل بعد وقعة الحرة وقتل الحسين إلا يسيراً حتى قصمه الله الذي قصم الجبابرة قبله وبعده إنه كان عليما قديرا).

قال ابن كثير رحمه الله أن مسلم بن عقبة قال عند وفاته: (اللهم إني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أحب إلي من قتل أهل المدينة، وأجزى عندي في الآخرة، وإن دخلت النار بعد ذلك إني لشقي. ثم مات قبحه الله ودفن بالمسلك فيما قاله الواقدي.

ثم أتبعه الله بيزيد بن معاوية فمات بعده في ربيع الأول لأربع عشرة ليلة خلت منه، فما متعهما الله بشيء مما رجوه وأملوه، بل قهرهم القاهر فوق عباده وسلبهم الملك ونزعه منهم من ينزع الملك ممن يشاء).

سعيد بن جبير وهربه لمدة ١٢ سنة من الحجاج بن يوسف الثقفي

بعد أن انتصر فاسق بني ثقيف (المبير) الحجاج بن يوسف الثقفي على ابن الأشعث، أراد الإنتقام من كل من ساند ابن الأشعث على الخروج عليه، وهو الظالم الباطش الذي قال فيه عمر بن عبد العزيز رحمه الله: (لو جاءت كل أمة بخبيثها، وجئنا بالحجاج؛ لرجحنا).

وقال عنه الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء: (الحجاج أهلكه الله في رمضان سنة خمس وتسعين كهلاً، وكان ظلوماً جباراً ناصبياً خبيثاً سافكاً للدماء، وكان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء وفصاحة وبلاغة وتعظيم للقرآن، قد سقت من سوء سيرته في تاريخي الكبير، وحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات، إلى أن استأصله الله. فنسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله، وله توحيد في الجملة، ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء).

أما سعيد بن جبير رحمه الله فقال عنه الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء: (سعيد بن جبير بن هشام، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد أبو محمد، ويقال أبو عبد الله الأسدي الوالبي مولاهم الكوفي أحد الأعلام).

وقال عنه ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية: (سعيد بن جبير الأسدي الوالي، مولاهم أبو محمد، ويقال أبو عبد الله الكوفي المكي، من أكابر أصحاب ابن عباس، كان من أئمة الإسلام في التفسير والفقه وأنواع العلوم، وكثرة العمل الصالح رحمه الله، وقد رأى خلقاً من الصحابة، وروى عن جماعة منهم، وعنه خلق من التابعين، يقال إنه كان يقرأ القرآن في الصلاة فيما بين المغرب والعشاء ختمة تامة، وكان يقعد في الكعبة لقعدة فيقرأ فيها الختمة،

وربما قرأها في ركعة في جوف الكعبة، وروي عنه أنه ختم القرآن مرتين ونصفاً في الصلاة في ليلة في الكعبة.

وقال سفيان الثوري عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال: لقد مات سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه.

وكان في جملة من خرج مع ابن الأشعث على الحجاج، فلما ظفر الحجاج هرب سعيد إلى أصبهان، ثم كان يتردد في كل سنة إلى مكة مرتين مرة للعمرة ومرة للحج، وربما دخل الكوفة في بعض الأحيان فحدث بها، وكان بخراسان لا يتحدث لأنه كان لا يسأله أحد عن شيء من العلم هناك، وكان يقول إن مما يهمني ما عندي من العلم وددت أن الناس أخذوه.

واستمر في هذا الحال مختفياً من الحجاج قريباً من ثنتي عشرة سنة، ثم أرسله خالد القسري من مكة إلى الحجاج).

يقول الذهبي رحمه الله في السير: (طال اختفاؤه فإن قيام القراء (أي العلماء) على الحجاج كان في سنة اثنتين وثمانين، وما ظفروا بسعيد إلى سنة خمس وتسعين؛ السنة التي قلع الله فيها الحجاج).

قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية: (مقتل سعيد بن جبير رحمه الله:

قال ابن جرير: وفي هذه السنة (أي سنة ٩٥هـ) قَتَلَ الحجاجُ بن يوسف سعيدَ بنَ جبير، وكان سبب ذلك أن الحجاج كان قد جعله على نفقات الجند حين بعثه مع ابن الأشعث إلى قتال رتبيل ملك الترك، فلما خلعه ابن الأشعث خلعه معه سعيد بن جبير، فلما ظفر الحجاج بابن الأشعث وأصحابه هرب سعيد بن جبير إلى أصبهان، فكتب الحجاج إلى نائبها أن يبعثه إليه، فلما سمع بذلك سعيد هرب منها، ثم كان يعتمر في كل سنة ويحج، ثم

إنه لجأ إلى مكة فأقام بها إلى أن وليها خالد بن عبد الله القسري، فأشار من أشار على سعيد بالهرب منها، فقال سعيد: والله لقد استحييت من الله مما أفر ولا مفر من قدره.

وتولى على المدينة عثمان بن حيان بدل عمر بن عبد العزيز، فجعل يبعث من بالمدينة من أصحاب ابن الأشعث من العراق إلى الحجاج في القيود، فتعلم منه خالد بن الوليد القسري فعين من عنده من مكة سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ومجاهد بن جبر وعمرو بن دينار وطلق ابن حبيب، ويقال إن الحجاج أرسل إلى الوليد يخبره أن بمكة أقواماً من أهل الشقاق، فبعث خالد بهؤلاء إليه، ثم عفا عن عطاء وعمرو بن دينار لأنهما من أهل مكة، وبعث بأولئك الثلاثة، فأما طلق فمات في الطريق قبل أن يصل، وأما مجاهد فحُبس فما زال في السجن حتى مات الحجاج، وأما سعيد بن جبير فلما أوقف بين يدي الحجاج... إلخ).

وأنقل هنا حوار سعيد بن جبير ولكن من كتاب وفيّات الأعيان لابن خلكان رحمه الله يقول: (قال الحجاج: ما اسمك؟

سعيد: سعيد بن جبير.

الحجاج: بل أنت شقي بن كسير.

سعيد: بل كانت أمي أعلم باسمي منك.

الحجاج: شقيت أمك وشقيت أنت.

سعيد: الغيب يعلمه غيرك.

الحجاج: لا بد لك بالدنيا ناراً تلظى.

سعيد: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها.

الحجاج: ما قولك في محمد؟

سعيد: نبي الرحمة وإمام الهدى.

الحجاج: ما قولك في علي، أهو في الجنة أم هو في النار؟.

سعيد: لو دخلتها وعرفت من فيها، عرفت أهلها.

الحجاج: ما قولك في الخلفاء؟

سعيد: لست عليهم بوكيل.

الحجاج: فأيهم أعجب إليك؟

سعيد: أرضاهم لخالقي.

الحجاج: فأيهم أرضى للخالق؟

سعيد: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم.

الحجاج: أحب أن تصدُقَني.

سعيد: إن لم أحبك لن أكذبك.

الحجاج: فما بالك لم تضحك؟

سعيد: وكيف يضحك مخلوق خلق من طين، والطين تأكله النار!

الحجاج: فما بالنا نضحك؟

سعيد: لم تستو القلوب.

ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت، فجمعه بين يديه.

قال سعيد: إن كنت جمعت هذا لتتقي به فزع يوم القيامة فصالح، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير في شيء من الدنيا إلا ما طاب وزكا.

ثم دعا الحجاج بالعود والناي، فلما ضرب بالعود ونفخ بالناي بكى سعيد.

فقال: ما يبكيك؟ أهو اللعب؟

قال سعيد: هو الحزن، أما النفخ فذكرني يوماً عظيماً يوم ينفخ في الصور، وأما العود فشجرة قطعت من غير حق! وأما الأوتار فمن الشاة تبعث يوم القيامة!

قال الحجاج: ويلك يا سعيد.

فقال: لا ويل لمن زحزح عن النار وأدخل الجنة.

قال الحجاج: اختر يا سعيد أي قتلة أقتلك؟

فقال: اختر أنت لنفسك، فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة.

قال: أتريد أن أعفو عنك؟

فقال: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر.

قال الحجاج: اذهبوا به فاقتلوه، فلما خرج ضحك فأخبر الحجاج بذلك فردوه إليه.

وقال: ما أضحكك؟

فقال: عجبت من جرأتك علي الله وحلم الله عليك.

فأمر بالنطع فبسط، وقال: اقتلوه.

فقال سعيد: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين.

قال الحجاج: وجهوا به لغير القبلة.

قال سعيد: فأينما تولوا فثمّ وجه الله.

قال الحجاج: كبوه على وجهه.

قال سعيد: منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى.

قال الحجاج: اذبحوه.

قال سعيد: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، خذها مني حتى تلقاني بها يوم القيامة، اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي).

وذكر الذهبي رحمه الله في السير بسنده: (بلغني أن الحجاج لما ذكر له سعيد بن جبير أرسل إليه قائداً يسمى المتلمس بن أحوص في عشرين من أهل الشام، فبينما هم يطلبونه إذا هم براهب في صومعته فسألوه عنه، فقال: صِفوه لي، فوصفوه فدلهم عليه، فانطلقوا فوجدوه ساجداً يناجي بأعلى صوته، فدنوا وسلموا فرفع رأسه فأتم بقية صلاته ثم رد عليهم السلام، فقالوا: إنا رسل الحجاج إليك فأجبه، قال: ولا بد من الإجابة؟ قالوا: لا بد. فحمد الله وأثنى عليه وقام معهم حتى انتهى إلى دير الراهب، فقال الراهب: يا معشر الفرسان أصبتم صاحبكم، قالوا: نعم، فقال: اصعدوا فإن اللبوة والأسد يأويان حول الدير، ففعلوا وأبى سعيد أن يدخل، فقالوا: ما نراك إلا وأنت تريد الهرب منا، قال: لا ولكن لا أدخل منزل مشرك أبداً، قالوا: فإنا لا ندعك فإن السباع تقتلك، قال: لا ضير إن معي ربي يصرفها عني ويجعلها حرساً تحرسني.

قالوا: فأنت من الأنبياء؟ قال: ما أنا من الأنبياء، ولكن عبد من عبيد الله مذنب. قال الراهب: فليعطني ما أثق به على طمأنينة، فعرضوا على سعيد أن يعطي الراهب ما يريد، قال: إني أعطي العظيم الذي لا شريك له، لا أبرح مكاني حتى أصبح إن شاء الله.

فرضي الراهب بذلك، فقال لهم: اصعدوا وأوتروا القسي لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح، فإنه كره الدخول في الصومعة لمكانكم، فلما صعدوا وأوتروا القسي إذا هم بلبوة (أنثى الأسد) قد أقبلت، فلما دنت من سعيد تحكَّكت به وتمسحت به ثم ربضت قريباً

منه، وأقبل الأسد يصنع كذلك، فلما رأى الراهب ذلك وأصبحوا نزل إليه فسأله عن شرائع دينه وسنن رسوله، ففسر له سعيد ذلك كله فأسلم، وأقبل القوم على سعيد يعتذرون إليه ويقبلون يديه ورجليه ويأخذون التراب الذي وطئه فيقولون: يا سعيد، حلفَّنا الحجاج بالطلاق والعتاق إن نحن رأيناك لا ندعك حتى نشخصك إليه، فمرنا بما شئت. قال: امضوا لأمركم فإني لائذ بخالقي ولا راد لقضائه.

فساروا حتى بلغو واسطا، فقال سعيد: قد تحرمت بكم وصحبتكم ولست أشك أن أجلي قد حضر، فدعوني الليلة آخذ أهبة الموت وأستعد لمنكر ونكير، وأذكر عذاب القبر، فإذا أصبحتم فالميعاد بيننا المكان الذي تريدون.

فقال بعضهم: لا تريدون أثراً بعد عين، وقال بعضهم: قد بلغتم أمنكم واستوجبتم جوائز الأمير، فلا تعجزوا عنه، وقال بعضهم: يعطيكم ما أعطى الراهب، ويلكم أما لكم عبرة بالأسد!

ونظروا إلى سعيد قد دمعت عيناه وشعث رأسه واغبر لونه، ولم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ يوم لقوه وصحبوه، فقالوا: يا خير أهل الأرض، ليتنا لم نعرفك ولم نسرح إليك، الويل لنا ويلاً طويلا، كيف ابتلينا بك! اعذرنا عند خالقنا يوم الحشر الأكبر، فإنه القاضي الأكبر والعدل الذي لا يجور!

قال: ما أعذرني لكم وأرضاني لما سبق من علم الله فيَّ، فلما فرغوا من البكاء والمجاوبة قال كفيله: أسألك بالله لما زودتنا من دعائك وكلامك، فإنا لن نلقى مثلك أبدًا. ففعل ذلك، فخلوا سبيله فغسل رأسه ومدرعته وكساءه، وهم محتفون الليل كله ينادون بالويل واللهف، فلما انشق عمود الصبح جاءهم سعيد فقرع الباب فنزلوا وبكوا معه وذهبوا به إلى الحجاج وآخر معه.

فدخلا فقال الحجاج: أتيتموني بسعيد بن جبير قالوا: نعم، وعاينا منه العجب. فصرف بوجهه عنهم، فقال: أدخلوه علي فخرج المتلمس، فقال (لسعيد): أستودعك الله وأقرأ عليك السلام. فأدخل عليه، فقال: ما اسمك؟ قال سعيد بن جبير. قال: أنت شقي بن كسير... وأورد القصة التي أوردها ابن خلكان).

وقال أيضاً رحمه الله في سِيَرِه: (عن داود بن أبي هند قال: لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير قال: ما أراني إلا مقتولاً، وسأخبركم: إني كنت أنا وصاحبان لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء، ثم سألنا الله الشهادة، فكلا صاحبي رزقها وأنا أنتظرها. قال: فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء. قلت: ولما علم من فضل الشهادة ثبت للقتل ولم يكترث، ولا عامل عدوه بالتقية المباحة له رحمه الله تعالى).

عبد الله بن الحارث الهاشمي رحمه الله يهرب من الحجاج

ذكر الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء: (أن عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي الملقب (ببة) والذي ولد في حياة النبي ﷺ... قال ابن سعد: هو ثقة، تابعي، أتت به أمه إلى النبي ﷺ إذ دخل عليها، فتفل في فيه ودعا له.

قال: وخرج هارباً من البصرة إلى عمان خوفاً من الحجاج عند فتنة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فمات بعمان في سنة أربع وثمانين. وقال أبو عبيد: مات سنة ثلاث وثمانين.

قلت: (أي الذهبي) كان من أبناء الثمانين، وحديثه في الكتب الستة، وكان كثير الحديث، يحدث أيضاً عن صفوان بن أمية، وأم هانئ بنت أبي طالب وحكيم بن حزام).

الشعبي رحمه الله يختفي ثمانية أشهر من المختار بن عبيد

ذكر الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء: (أن الشعبي رحمه الله أقام في المدينة ثمانية أشهر هاربا من المختار بن عبيد).

الحسن البصري رحمه الله يتوارى عن الحجاج ولم يستطع تشييع جنازة ابنته

ذكر الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء أن الحسن البصري رحمه الله ظل متوارياً من الحجاج، لدرجة أن ابنةً له ماتت فلم يقدر على الخروج لتشييع جنازتها،٢ فأناب ابن سيرين بذلك.

(فعن ثابت البناني قال: كان الحسن متوارياً من الحجاج فماتت بنتٌ له، فبادرتُ إليه رجاء أن يقول لي صلِّ عليها، فبكى حتى ارتفع نحيبه، ثم قال لي: اذهب إلى محمد بن سيرين فقل له ليصلِّ عليها، فعرفَ حين جاء الحقائق أنه لا يعدل بابن سيرين أحداً).

وقال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية: (روى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه أنه أخبر بموت الحجاج مراراً، فلما تحقق وفاته قال: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وروى غير واحد: أن الحسن لما بُشر بموت الحجاج سجد شكراً لله تعالى، وكان مختفياً فظهر، وقال: اللهم أمته فأذهب عنا سنته.

وقال حماد بن أبي سليمان: لما أخبرت إبراهيم النخعي بموت الحجاج بكى من الفرح.

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة حدثنا سليمان بن أبي شيخ حدثنا صالح بن سليمان قال: قال زياد بن الربيع بن الحارث لأهل السجن: يموت الحجاج في مرضه هذا في ليلة كذا وكذا، فلما كانت تلك الليلة لم ينم أهل السجن فرحاً، جلسوا ينظرون حتى يسمعوا الناعية، وذلك ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان. وقيل كان ذلك لخمس بقين من رمضان، وقيل في شوال من هذه السنة.

وكان عمره إذ ذاك خمساً وخمسين سنة لأن مولده كان عام الجماعة سنة أربعين، وقيل بعدها بسنة، وقيل قبلها بسنة، مات بواسط وعفى قبره وأجرى عليه الماء لكيلا ينبش ويحرق، والله أعلم).

سفيان الثوري رحمه الله يفر ويهرب من الخليفة العباسي

ذكر الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء: (قال: لما استخلف المهدي بعث إلى سفيان (الثوري رحمه الله)، فلما دخل عليه خلع خاتمه فرمى به إليه وقال: يا أبا عبد الله، هذا خاتمي فاعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة. فأخذ الخاتم بيده وقال: تأذن في الكلام يا أمير المؤمنين؟ قال عبيد: قلت لعطاء: يا أبا مخلد! قال له: يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. قال: أتكلم على أني آمن؟ قال: نعم. قال: لا تبعث إلي حتى آتيك ولا تعطني حتى أسألك. قال: فغضب وهمَّ به، فقال له كاتبه: أليس قد أمَّنْتَه؟ قال: بلى.

فلما خرج حف به أصحابه فقالوا: ما منعك وقد أمرك أن تعمل في الأمة بالكتاب والسنة، فاستصغر عقولهم وخرج هارباً إلى البصرة.

وعن سفيان قال: ليس أخاف إهانتهم، إنما أخاف كرامتهم؛ فلا أرى سيئتهم سيئة، لم أر للسلطان مثلا إلا مثلا ضرب على لسان الثعلب. قال: عرفت للكلب نيفاً وسبعين دستاناً (الدستان: المكر والخديعة) ليس منها دستان خيراً من أن لا أرى الكلب ولا يراني).

وقال الذهبي رحمه الله: (قال محمد بن سعد: طُلب سفيان فخرج إلى مكة، فنفذ المهدي إلى محمد بن إبراهيم وهو على مكة في طلبه، فأعلم سفيان بذلك وقال له محمد: إن كنت تريد إتيان القوم فاظهر حتى أبعث بك إليهم، وإلا فتوار. قال: فتوارى سفيان وطلبه محمد، وأمر منادياً فنادى بمكة: من جاء بسفيان فله كذا وكذا، فلم يزل متوارياً بمكة لا يظهر لأهل العلم ومن لا يخافه.

وعن أبي شهاب الحناط قال: بعثت أخت سفيان بجراب معي إلى سفيان وهو بمكة فيه كعك وخشكنان، فقدمت فسألت عنه فقيل لي: ربما قعد عند الكعبة مما يلي الحناطين، فأتيته فوجدته مستلقياً، فسلمت عليه فلم يسائلني تلك المساءلة ولم يسلم علي كما كنت

أعرفه، فقلت: إن أختك بعثت معي بجراب. فاستوى جالساً وقال: عجل بها، فكلمته في ذلك فقال: يا أبا شهاب، لا تلمني فلي ثلاثة أيام لم أذق فيها ذواقا. فعذرته.

قال ابن سعد: فلما خاف من الطلب بمكة خرج إلى البصرة ونزل قرب منزل يحيى بن سعيد، ثم حوله إلى جواره وفتح بينه وبينه باباً، فكان يأتيه بمحدثي أهل البصرة يسلمون عليه ويسمعون منه).

أصبغ بن الفرج رحمه الله يهرب من المعتصم أيام المحنة

ذكر الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء عن أصبغ بن الفرج الذي وصفه بقوله: (الشيخ الإمام الكبير مفتي الديار المصرية وعالمها أبو عبد الله الأموي مولاهم المصري... ذكره ابن معين فقال: كان من أعلم خلق الله برأي مالك، يعرفها مسألةً مسألة، متى قالها مالك، ومن خالفه فيها.

وقال أحمد بن عبد الله: أصبغ ثقة صاحب سنة.

وقال أبو حاتم: كان أجل أصحاب ابن وهب.

وقال أبو سعيد بن يونس: كان يحيى بن عثمان بن صالح يقول: هو من أولاد عبيد المسجد، كان بنو أمية يشترون للمسجد عبيداً يخدمونه فأصبغ من أولاد أولئك، وكان مضطلعاً بالفقه والنظر...

وكان ذكر للقضاء في مجلس الأمير عبد الله بن طاهر فسبقه سعيد بن عفير قال: وحدثني علي بن الحسن بن قديد عن يحيى بن عثمان بن صالح عن أبي يعقوب البويطي أنه كان حاضراً في مجلس ابن طاهر حين أمر بإحضار شيوخ مصر، قال: فقال لنا إني جمعتكم

لترتادوا لأنفسكم قاضياً، فكان أول من تكلم يحيى بن بكير، ثم تكلم ابن ضمرة الزهري فقال: أصلح الله الأمير، أصبغ بن الفرج الفقيه العالم الورع، وذكر باقي الحكاية.

قال بعض العلماء: ما أخرجت مصر مثل أصبغ.

وقال أبو نصر الفقيه: سمعت المزني والربيع يقولان: كنا نأتي أصبغ قبل قدوم الشافعي، فنقول له علمنا مما علمك الله تعالى.

قال مطرف بن عبد الله: أصبغ أفقه من عبد الله بن عبد الحكم.

وذكر علي بن قديد عمن حدثه قال: كان بين أصبغ وابن عبد الحكم مباعدة، وكان أحدهما يرمي الآخر بالبهتان.

وقال ابن وزير: كان أصبغ خبيث اللسان، كان صاعقة.

قال ابن قديد: كتب المعتصم في أصبغ ليحمل إليه في المحنة، فهرب رحمه الله واختفى بحلوان، وفي ذلك يقول الجمل الشاعر:

وطويت أصبغ حقبة في بيته ... فسترنه جدر البيوت الستر
أبدلته برجاله وجموعه ... خرقاً مقاعدة النساء الخدر
فإذا أراد مع الظلام لحاجة ... أخذ النقاب وفضل مرط المعجر)

أحمد بن حنبل رحمه الله لا يخرج إلى صلاة ولا إلى غيرها حتى هلك الواثق

جاء في مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي رحمه الله أن أحمد بن حنبل رحمه الله حين صدع بعقيدته في مسألة خلق القرآن أيام الخليفة الواثق وابتلي في ذلك بلاء عظيماً، قرر الاختفاء حتى مات الواثق.

قال إبراهيم بن هاني: (اختفى عندي أحمد بن حنبل ثلاثة أيام... ثم قال: اطلب لي موضعاً حتى أتحول إليه. قلت: لا آمن عليك يا أبا عبد الله. فقال: افعل! فإذا فعلت أفدتك، وطلبت له موضعاً فلما خرج قال لي: اختفى رسول الله ﷺ في الغار ثلاثة أيام ثم تحول، ليس ينبغي أن يتبع الرسول ﷺ في الرخاء ويترك في الشدة).

وفي رواية حنبل في شأن اختفاء الإمام أحمد في حياة الواثق قال: (فلم يزل أبو عبد الله مختفياً في القرب، ثم عاد إلى منزله بعد أشهر أو سنة لما طُفئ خبره، ولم يزل في البيت مختفياً لا يخرج إلى الصلاة ولا غيرها حتى هلك الواثق).

وقال الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء: (فاختفى أبو عبد الله بقية حياة الواثق، وكانت تلك الفتنة، وقتل أحمد بن نصر الخزاعي، ولم يزل أبو عبد الله مختفياً في البيت لا يخرج إلى صلاة ولا إلى غيرها حتى هلك الواثق).

وذكر الذهبي رحمه الله قصة إبراهيم بن هانئ التي أوردها ابن الجوزي. وقال الذهبي رحمه الله: (قال الميموني: قال لي القاضي محمد بن محمد بن إدريس الشافعي: قال لي أحمد: أبوك أحد الستة الذين أدعو لهم سحرا، وعن إبراهيم بن هانئ النيسابوري قال: كان أبو عبد الله حيث توارى من السلطان عندي، وذكر من اجتهاده في العبادة أمراً عجبا، قال: وكنت لا أقوى معه على العبادة، وأفطر يوماً واحداً واحتجم).

الحسن بن علي البربهاري رحمه الله أرادوا حبسه فهرب

قال الذهبي رحمه الله عن البربهاري رحمه الله في سير أعلام النبلاء: (شيخ الحنابلة، القدوة، الإمام أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري الفقيه، كان قوالاً بالحق داعيةً إلى الأثر لا يخاف في الله لومة لائم).

وذكر قصة اختفائه المبكية فقال رحمه الله: (قال أبو الحسين بن الفراء: كان للبربهاري مجاهدات ومقامات في الدين، وكان المخالفون يغلظون قلب السلطان عليه، ففي سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة أرادوا حبسه فاختفى، وأخذ كبار أصحابه وحملوا إلى البصرة، فعاقب الله الوزير ابن مقلة وأعاد الله البربهاري إلى حشمته وزادت وكثر أصحابه، فبلغنا أنه اجتاز بالجانب الغربي فعطس فشمته أصحابه فارتفعت ضجتهم حتى سمعها الخليفة، فأخبر بالحال فاستهولها، ثم لم تزل المبتدعة توحش قلب الراضي حتى نودي في بغداد لا يجتمع اثنان من أصحاب البربهاري، فاختفى وتوفي مستتراً في رجب سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة، فدفن بدار أخت توزون، فقيل: إنه لما كُفن وعنده الخادم صلى عليه وحده، فنظرت هي من الروشن فرأت البيت ملآن رجالاً في ثياب بيض يصلون عليه، فخافت وطلبت الخادم، فحلف أن الباب لم يُفتح).

أبو بكر النابلسي رحمه الله يهرب من العبيديين

وصف الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء النابلسي رحمه الله بقوله: (الإمام القدوة الشهيد أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل الرملي ويعرف بابن النابلسي...

قال أبو ذر الحافظ: سجنه بنو عبيد، وصلبوه على السنة، سمعت الدارقطني يذكره ويبكي ويقول: كان يقول وهو يسلخ: ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾ [الإسراء:٥٨].

وذكر أنه رحمه الله هرب مرات من العبيدية قال: (قال أبو الفرج بن الجوزي: أقام جوهر القائد لأبي تميم صاحب مصر أبا بكر النابلسي، وكان ينزل الأكواخ، فقال له: بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم وجب أن يرمي في الروم سهماً وفينا تسعة. قال: ما قلت هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرة أسهم وجب أن يرميكم بتسعه وأن يرمي العاشر فيكم أيضاً؛ فإنكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين وادعيتم نور الإلهية. فشهره ثم ضربه ثم أمر يهودياً فسلخه.

قال ابن الأكفاني: توفي العبد الصالح الزاهد أبو بكر بن النابلسي، كان يرى قتال المغاربة، هرب من الرملة إلى دمشق، فأخذه متوليها أبو محمود الكتامي وجعله في قفص خشب وأرسله إلى مصر، فلما وصل قالوا: أنت القائل لو أن معي عشرة أسهم وذكر القصة، فسُلخ، وحُشي تبناً وصلب.

قال معمر بن أحمد بن زياد الصوفي: أخبرني الثقة أن أبا بكر سلخ من مفرق رأسه حتى بلغ الوجه، فكان يذكر الله ويصبر، حتى بلغ الصدر فرحمه السلاخ، فوكزه بالسكين موضع قلبه فقضى عليه.

وأخبرني الثقة أنه كان إماماً في الحديث والفقه، صائم الدهر، كبير الصولة عند العامة والخاصة، ولما سلخ كان يسمع من جسده قراءة القرآن، فغلب المغربي بالشام، وأظهر

المذهب الرديء، وأبطل التراويح والضحى، وأمر بالقنوت في الظهر، وقتل النابلسي سنة ثلاث، وكان نبيلاً رئيس الرملة، فهرب، فأُخذَ من دمشق.

وقيل: قال شريف ممن يعانده لما قدم مصر: الحمد لله على سلامتك. قال: الحمد لله على سلامة ديني وسلامة دنياك.

قلت (القائل الذهبي): لا يوصف ما قَلَبَ هؤلاء العبيدية الدينَ ظهراً لبطن، واستولوا على المغرب ثم على مصر والشام، وسبوا الصحابة.

حكى ابن السعساع المصري: أنه رأى في النوم أبا بكر بن النابلسي بعدما صلب وهو في أحسن هيئة فقال: ما فعل الله بك؟ فقال:

حباني مالكي بدوام عز وواعدني بقرب الانتصار
وقربني وأدناني إليه وقال انعم بعيش في جواري

الخاتمة

في ختام هذه الرسالة، أقول لإخواني المجاهدين المطاردين والذين يطلبهم طواغيت الشرق والغرب: اثبتوا على ما أنتم عليه، فها هم قدواتكم من الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين والعلماء والصالحين على مر التاريخ، وقد بوب البخاري رحمه الله في صحيحه تحت كتاب الإيمان بقوله: بابٌ (من الدين الفرار من الفتن)، وأورد حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر؛ يفر بدينه من الفتن)).

وهذا يدل على أن الاختفاء والفرار من الطواغيت أنه من الإيمان والدين، وليس من الجبن والخور كما يظنه البعض؛ وكيف يكون منهج وطريقة الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين والعلماء والصالحين جبناً وخوراً؟؟!

قال ابن رجب رحمه الله في شرحه لصحيح البخاري المسمى (فتح الباري): (بوب البخاري على أن الفرار من الفتن من الدين، وليس في الحديث إلا الإشعار بفضل من يفر بدينه من الفتن، لكن لما جعل الغنم خير مال المسلم في هذه الحال دل على أن هذا الفعل من خصال الإسلام والإسلام هو الدين).

ويقول رحمه الله في رسالة (كشف الكربة في وصف أهل الغربة): (هؤلاء أخص أهل الغربة، وهم الفرارون بدينهم من الفتن، وهم النزاع من القبائل الذين يُحشرون مع عيسى عليه السلام، وهم بين أهل الآخرة أعز من الكبريت الأحمر، فكيف يكون حالهم بين أهل الدنيا، وتخفى حالهم غالباً على الفرقتين كما قال:

تواريت عن دهري بظل جناحه ... فعيني ترى دهري وليس يراني
ولو تسأل الأيام ما اسمي؟ لما درت ... وأين مكاني؟ ما عرفن مكاني

أيها المجاهدون المطاردون، أنتم اليوم قليل وستكثرون، ومستضعفون وستقوون، ووالذي نفسي بيده إن العاقبة لكم، والمستقبل للإسلام بعزٍ عزيز أو بذلٍ ذليل، عزًّا يعزُّ الله به الإسلام وأهله، وذلًّا يُذل الله به الكفر وأهله؛ فاصبروا.

وأذكركم بقول الله سبحانه وتعالى وهو يمتن على الرعيل الأول والذي كان حالهم مثل حالكم، يقول سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوَا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطّفَكُمُ النّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مّنَ الطّيّبَاتِ لَعَلّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

يقول ابن كثير رحمه الله: (ينبه تعالى عباده المؤمنين على نعمه عليهم، وإحسانه إليهم؛ حيث كانوا قليلين فكثَّرهم، ومستضعفين خائفين فقواهم ونصرهم، وفقراء عالة فرزقهم من الطيبات واستشكرهم، فأطاعوه وامتثلوا جميع ما أمرهم.

وهذا كان حال المؤمنين حال مقامهم بمكة، قليلين مستخفين مضطهدين يخافون أن يتخطفهم الناس من سائر بلاد الله من مشرك ومجوسي ورومي، كلهم أعداء لهم لقلتهم وعدم قوتهم، فلم يزل ذلك دأبهم حتى أذن الله لهم في الهجرة إلى المدينة، فآواهم إليها وقيض لهم أهلها آووا ونصروا يوم بدر وغيره، وواسوا بأموالهم، وبذلوا مهجهم في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.

قال قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوَا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾، قال: كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلاً، وأشقاه عيشاً، وأجوعه بطوناً، وأعراه جلوداً، وأبينه ضلالاً، من عاش منهم عاش شقياً، ومن مات منهم ردي في النار، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلاً من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منزلاً منهم، حتى جاء الله بالإسلام فمكن به في البلاد، ووسع به في الرزق، وجعلهم به ملوكاً على رقاب الناس، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم؛ فاشكروا الله على نعمه، فإن ربكم منعم يحب الشكر، وأهل الشكر في مزيد من الله).

ولسيد قطب رحمه الله كلام نفيس حول هذه الآية والآيات التي قبلها والتي تدعو إلى الاستجابة لله والرسول بالجهاد في سبيل الله وأن سلوك هذا الطريق هو الحياة، وقد عاش رحمه الله في وقت استضعاف لم يكن فيه جهاد، ولم ير المطاردة والتخطف الذي تمر به أمة الإسلام اليوم حين سلكت طريق الحياة الحقيقية (طريق الجهاد)، يقول رحمه الله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

إن رسول الله ﷺ إنما يدعوهم إلى ما يحييهم، إنها دعوة إلى الحياة بكل صور الحياة، وبكل معاني الحياة، إنه يدعوهم إلى عقيدة تحيي القلوب والعقول، وتطلقها من أوهاق الجهل والخرافة، ومن ضغط الوهم والأسطورة، ومن الخضوع المذل للأسباب الظاهرة والحتميات القاهرة، ومن العبودية لغير الله والمذلة للعبد أو للشهوات سواء..

ويدعوهم إلى شريعة من عند الله؛ تعلن تحرر الإنسان وتكريمه بصدورها عن الله وحده، ووقوف البشر كلهم صفاً متساوين في مواجهتها؛ لا يتحكم فرد في شعب، ولا طبقة في أمة، ولا جنس في جنس، ولا قوم في قوم.. ولكنهم ينطلقون كلهم أحراراً متساوين في ظل شريعة صاحبها الله رب العباد.

ويدعوهم إلى منهج للحياة، ومنهج للفكر، ومنهج للتصور؛ يطلقهم من كل قيد إلا ضوابط الفطرة، المتمثلة في الضوابط التي وضعها خالق الإنسان، العليم بما خلق؛ هذه الضوابط التي تصون الطاقة البانية من التبدد، ولا تكبت هذه الطاقة ولا تحطمها ولا تكفها عن النشاط الإيجابي البناء.

ويدعوهم إلى القوة والعزة والاستعلاء بعقيدتهم ومنهجهم، والثقة بدينهم وبربهم، والانطلاق في الأرض كلها لتحرير الإنسان بجملته؛ وإخراجه من عبودية العباد إلى عبودية الله وحده، وتحقيق إنسانيته العليا التي وهبها له الله، فاستلبها منه الطغاة!

ويدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله، لتقرير ألوهية الله سبحانه في الأرض وفي حياة الناس، وتحطيم ألوهية العبيد المدعاة، ومطاردة هؤلاء المعتدين على ألوهية الله سبحانه وحاكميته وسلطانه حتى يفيئوا إلى حاكمية الله وحده؛ وعندئذ يكون الدين كله لله.

حتى إذا أصابهم الموت في هذا الجهاد كان لهم في الشهادة حياة.. ذلك مجمل ما يدعوهم إليه الرسول ﷺ، وهو دعوة إلى الحياة بكل معاني الحياة.

إن هذا الدين منهج حياة كاملة، لا مجرد عقيدة مستسرة، منهج واقعي تنمو الحياة في ظله وتترقى، ومن ثم هو دعوة إلى الحياة في كل صورها وأشكالها، وفي كل مجالاتها ودلالاتها، والتعبير القرآني يجمل هذا كله في كلمات قليلة موحية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ استجيبوا له طائعين مختارين، وإن كان الله سبحانه قادراً على قهركم على الهدى لو أراد.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ ويا لها من صورة رهيبة مخيفة للقدرة القاهرة اللطيفة.. ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ فيفصل بينه وبين قلبه، ويستحوذ على هذا القلب ويحتجزه، ويصرفه كيف شاء، ويقلبه كما يريد، وصاحبه لا يملك منه شيئا وهو قلبه الذي بين جنبيه!

إنها صورة رهيبة حقاً، يتمثلها القلب في النص القرآني، ولكن التعبير البشري يعجز عن تصوير إيقاعها في هذا القلب، ووصف هذا الإيقاع في العصب والحس! إنها صورة تستوجب اليقظة الدائمة، والحذر الدائم، والاحتياط الدائم.. اليقظة لخلجات القلب وخفقاته ولفتاته، والحذر من كل هاجسة فيه وكل ميل مخافة أن يكون انزلاقا، والاحتياط الدائم للمزالق

والهواتف والهواجس، والتعلق الدائم بالله سبحانه مخافة أن يقلب هذا القلب في سهوة من سهواته، أو غفلة من غفلاته، أو دفعة من دفعاته.

ولقد كان رسول الله ﷺ وهو رسول الله المعصوم يكثر من دعاء ربه: ((اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)).. فكيف بالناس، وهم غير مرسلين ولا معصومين؟!

إنها صورة تهز القلب حقا، ويجد لها المؤمن رجفة في كيانه حين يخلو إليها لحظات، ناظرًا إلى قلبه الذي بين جنبيه، وهو في قبضة القاهر الجبار، وهو لا يملك منه شيئا، وإن كان يحمله بين جنبيه ويسير!

صورة يعرضها على الذين آمنوا وهو يناديهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.. ليقول لهم: إن الله قادر على أن يقهركم على الهدى لو كان يريد، وعلى الاستجابة التي يدعوكم إليها هذه الدعوة، ولكنه سبحانه يكرمكم؛ فيدعوكم لتستجيبوا عن طواعية تنالون عليها الأجر، وعن إرادة تعلو بها إنسانيتكم وترتفع إلى مستوى الأمانة التي ناطها الله بهذا الخلق المسمى بالإنسان.. أمانة الهداية المختارة، وأمانة الخلافة الواعية، وأمانة الإرادة المتصرفة عن قصد ومعرفة.

﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فقلوبكم بين يديه، وأنتم بعد ذلك محشورون إليه، فما لكم منه مفر، لا في دنيا ولا في آخرة.

وهو مع هذا يدعوكم لتستجيبوا استجابة الحر المأجور، لا استجابة العبد المقهور.

ثم يحذرهم القعود عن الجهاد، وعن تلبية دعوة الحياة، والتراخي في تغيير المنكر في أية صورة كان: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

والفتنة: الابتلاء أو البلاء.. والجماعة التي تسمح لفريق منها بالظلم في صورة من صوره -وأظلم الظلم نبذ شريعة الله ومنهجه للحياة- ولا تقف في وجه الظالمين، ولا تأخذ الطريق على المفسدين.. جماعة تستحق أن تؤخذ بجريرة الظالمين المفسدين، فالإسلام منهج تكافلي إيجابي لا يسمح أن يقعد القاعدون عن الظلم والفساد والمنكر يشيع (فضلاً على أن يروا دين الله لا يتبع، بل أن يروا ألوهية الله تنكر وتقوم ألوهية العبيد مقامها!) وهم ساكتون، ثم هم بعد ذلك يرجون أن يخرجهم الله من الفتنة لأنهم هم في ذاتهم صالحون طيبون!

ولما كانت مقاومة الظلم تكلف الناس التكاليف في الأنفس والأموال؛ فقد عاد القرآن يذكر العصبة المسلمة التي كانت تخاطب بهذا القرآن أول مرة بما كان من ضعفها وقلة عددها، وبما كان من الأذى الذي ينالها، والخوف الذي يظللها، وكيف آواها الله بدينه هذا وأعزها ورزقها رزقاً طيباً؛ فلا تقعد إذن عن الحياة التي يدعوها إليها رسول الله، ولا عن تكاليف هذه الحياة، التي أعزها بها الله، وأعطاها وحماها: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾..

اذكروا هذا لتستيقنوا أن الرسول يدعوكم لما يحييكم، واذكروه كي لا تقعدوا عن مكافحة الظلم في كل صوره وأشكاله.. اذكروا أيام الضعف والخوف، قبل أن يوجهكم الله إلى قتال المشركين، وقبل أن يدعوكم الرسول إلى الطائفة ذات الشوكة وأنتم كارهون.. ثم انظروا كيف صرتم بعد الدعوة المحيية التي انقلبتم بها أعزاء منصورين مأجورين مرزوقين، يرزقكم الله من الطيبات ليؤهلكم لشكره فتؤجروا على شكركم لفضله!

ويرسم التعبير مشهداً حياً للقلة والضعف والقلق والخوف: ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ وهو مشهد التربص الوجل، والترقب الفزع، حتى لتكاد العين تبصر بالسمات الخائفة، والحركات المفزعة، والعيون الزائغة، والأيدي تمتد للتخطف.. والقلة المسلمة في ارتقاب وتوجس!

ومن هذا المشهد المفزع إلى الأمن والقوة والنصر والرزق الطيب والمتاع الكريم، في ظل الله الذي آواهم إلى حماه: ﴿فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾.

وفي ظل توجيه الله لهم ليشكروا فيؤجروا: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

فمن ذا الذي يتأمل هذه النقلة البعيدة، ثم لا يستجيب لصوت الحياة الآمنة القوية الغنية، صوت الرسول الأمين الكريم.. ثم من ذا الذي لا يشكر الله على إيوائه ونصره وآلائه، وهذا المشهد وذلك معروضان عليه، ولكل منهما إيقاعه وإيحاؤه؟

على أن القوم إنما كانوا يعيشون هذا المشهد وذاك، كانوا يذكرون بما يعرفون من حالهم في ماضيهم وحاضرهم، ومن ثم كان لهذا القرآن في حسهم ذلك المذاق.

والعصبة المسلمة التي تجاهد اليوم لإعادة إنشاء هذا الدين في واقع الأرض وفي حياة الناس، قد لا تكون قد مرت بالمرحلتين، ولا تذوقت المذاقين، ولكن هذا القرآن يهتف لها بهذه الحقيقة كذلك.

ولئن كانت اليوم إنما تعيش في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ فأولى لها أن تستجيب لدعوة الحياة التي يدعوها إليها رسول الله، وأن تترقب في يقين وثقة موعود الله للعصبة المسلمة، موعوده الذي حققه للعصبة الأولى، ووعد بتحقيقه لكل عصبة تستقيم على طريقه، وتصبر على تكاليفه، وأن تنتظر قوله تعالى: ﴿فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.. وهي إنما تتعامل مع وعد الله الصادق، لا مع ظواهر الواقع الخادع، ووعد الله هو واقع العصبة المسلمة الذي يرجح كل واقع!).

أسامة بن لادن
مجدد الزمان وقاهر الأمريكان

أرجو نشره وترجمناتته إلى أهم لغات العالم وإهداءه إلى كل رؤساء العالم

إهـداء

أهدي كتابي هذا..

إلى مجدد هذا الزمان في باب العزة والإباء والجهاد والاستشهاد

إلى الإمام الذي ترجم الأقوال إلى أفعال قاهر الروس والأمريكان

إلى الإمام الذي ضرب أروع أمثلة البطولة والشجاعة والفداء والتضحية في عصرنا الحاضر

إلى الإمام الذي عاش مغبر القدمين طيلة حياته في سبيل الله

إلى الإمام الذي أقبلت عليه الدنيا وأدبر عنها من أجل الجهاد

إلى الإمام الذي وهب حياته لعز الأمة وأصبح إذا ذكر ذكرت العزة

إلى المثل الرائع والشخصية التي لا زالت تترد صورتها في المخيلة لتشحذ الهمة

إلى الصوت الذي لا زال يدوي في النفوس ويهيج المشاعر ويفجر الطاقات ولو لم يتكلم إلا بقسمه المشهور

إلى ذلك الرمز أهدي هذا الكتاب، ولي طلبٌ عنده بأن يشفع لي إن اختاره الله شهيداً وأن لا ينساني من صالح دعاءه.

أنا ضد أمريكا إلى أن تنقضي

أنا ضِـــدُّ أمريكـا إلى أن تنقضـــي ... هـذي الحيـاةُ ويُـوضـــعُ الميـزانُ
هي جِـذرُ دَوْحِ الموبقـاتِ وكـلُّ مـا ... في الأرض من شـــرٍّ هو الأغصـــانُ
مَنْ غيرُهـا زرعَ الطُّغَـاةَ بأرضـــنـا ... وبمـن سِـــواهـا أثمـرَ الـطُّـغـيـانُ
حبكتْ فصـــولَ المســـرحية حبكةً ... يـعـيـا بهـا المـتـمِّـرسُ الـفـنـانُ
هـذا يـكِـرُّ وذا يـفِـرُّ وذا بهـــــ ... ـــــذا يســـتجيرُ ويبـدأ الغليـانُ
حتى إذا انقشـــعَ الدخانُ مضـــى لنا ... جُـرحٌ وحـلَّ محـلَّـه ســـرطـانُ
وإذا ذئابُ الـغـرب راعـيـةٌ لـنـا ... وإذا جمـيـعُ رُعـاتِـنـا خـرفـانُ
هي فتنـةٌ عصـــفـتْ بكيـدكَ كلِّـهِ ... فـانفُـذْ بجلـدِك أيُّهـا الشـــيطـانُ
مـاذا لـديـك غوايـةٌ صُـنْهـا فقـد ... أغوى الغوايـةَ نفسَـــهـا الســـلطـانُ
قرنانِ ويلـكَ عنـدنا عشـــرون شـــيْـ ... طـاناً وفـوقَ قـرونِهِـمْ تـيـجـان
يا أيُّهـا الشـــيطـانُ إنـك لمْ تزلْ ... غِـرًّا ولـيـس لمـثِـلـكَ الميـدانُ
أُنـبـيـكَ أنَّا أُمَّـةٌ أمَـةٌ تُـبـا ... عُ وتُشـتَرى ونصـيبُهـا الحرمـانُ
أُنـبـيـكَ أنَّا أُمَّـةٌ أســـيـادُهـا ... خَـدَمٌ وخـيْرُ فـحـولِهِـم خِصـــيـانُ
أُسْـــدٌ ولـكـنْ يُحـدِثـونَ بـثـوبِهِـم ... لـو حـرَّكـتْ أذنابَهـا الـفـئـرانُ
مُتَعفِّفون وصـــبْحُهُم ســـطوٌ على ... قـوتِ الـعـبـادِ ولـيـلُـهـم غـلـمـانُ
مُـتـديِّـنـون ودينُـهـم بـدنانِهِـمْ ... ومُســـهَّـدونَ وســـكْرهم ســـكرانُ
عَرب ولكنْ لو نزعْـتَ قشـــورَهُم ... لـوجـدتَ أن الـلُّـبَّ أمـريـكـانُ
تُخصـــى لنـا الأسمـاعُ منـذُ مجيئنـا ... شـــرعـاً ويُعمـلُ للشِّـــفـاهِ ختـانُ
ونصـــيرُ مـقـلـوبـينَ حـتى لا تُـرى ... مـقـلـوبـةً بـعـيـونِـنـا الـبـلـدانُ
والـدَّرْبُ مُـتضِـــحٌ لـنـا فـوراءَنا ... مُـتـعـقِّـبٌ وأمـامـنـا سَـــجَّـانُ
لو قيـل للحيوان كُنْ بشـــراً هنـا ... لَـبـكـى وأعْـلـنَ رفضـــهُ الحـيـوانُ
كمْ باسمِنَـا نشِـــبَ النزاعُ ولم يكنْ ... رأيٌ لـنـا بـنُشُـــوبـهِ أوْ شـــانُ

صِـــحْنا فلم يُشـــفقْ علينا عقربٌ ... نُحْـنـا ولم يـرفِـقْ بـنـا ثُـعـبـانُ
ومَـنِ المجـيرُ وقـدْ جَـرَتْ أقـدارُنا ... في أن يَجُـورَ الأهـلُ والجـيرانُ
قـلـنـا ومطرقـةُ الـعـذابِ تـدُقُّنـا ... ســيجيء دوْرُك أيُّهـا السِّـنْـدَانُ
حتى إذا مـا ســكرةٌ راحـتْ وجـا ... ءَت فـكـرةٌ وتـشـاءَبَ الـنـعســانُ
لـكـنَّـنـا في الحـالـتين سَـــفـيـنـةٌ ... غـرَقـتْ فـقـامَ يـلـومُـهـا الـربّانُ
أَمِن العدالةِ أنْ نشـــكَّ ونشـــتكي ... أوْ أنْ نُـبَـاعَ وجـلـدُنا الأثمـانُ
في لحظةٍ لعنت مصـــانعَها الـدُّمى ... وتـبرَّأتْ مـن نـفسِـــهـا الأدْرانُ
وانســـابَ سِـــيرْكُ المعجزات فها هنا ... قـدَمٌ فـمٌ وفصـــاحـةٌ هَـذَيَانُ
يُلقي بهـا الإعلامُ فوقَ رؤوســـنـا ... صُـــحُفـاً يقيء لعُهرِهـا الغثيـانُ
فـزُبالـةٌ واســـتـبـدِلـتْ بـزُبالـةٍ ... أخـرى ولمْ تُســـتـبـدَل الجُـرذانُ
وهـنـا... مُـغـرَمٌ بـتراثـه ... يحثو الخمورَ وكـأســـهُ فنجـانُ
وهـنـاكَ ثـوريٌّ يـؤســـس دولـةً ... في كـرْشِـــهِ فـتصـــفِّـقُ الـثـيرانُ
وهنـا مليـكٌ ليس يملـكُ نفسَـــه ... فـمُـهُ صـــدًى وضـــميرُه دكـانُ
ومـفـكِّرٌ متـخصِّـــصٌ بعلـوم فَـرْ ... ك الخصـــيتين ففكرُه سَـــيَلانُ
وشـــواعـرٌ كـيـلا أُسمِّـيَ واحـداً ... يـتســـتّرون وسِـــترهـم عُـرْيانُ
يَـزِنُـونَ بالـقـبّـانِ أبـيـاتاً لهـمْ ... فـيـمـيـلُ مِـنْ أوزارِه الـقـبَّـانُ
في كِـفّـةٍ تســـبـيـلـةٌ ودراهِـمٌ ... وبـكـفَّـةٍ تـفـعـيـلـةٌ وبَـيَـانُ
مـتـفـاعِـلـنْ مـتـفـاعِـلـنْ عِـلاَّنـةٌ ... مـتـفـاعِـلـنْ مـتـفـاعِـلـنْ عِـلاَّنُ
وتُـقَـرْقِـعُ الأوزانُ دونَ مـبـادئ ... لمـبـادئ لـيســـت لهـا أوزانُ
فـالحـاكـمُ المـغـتـالُ طـفْـلٌ وادِعٌ ... والمـودَعُـونَ بســـجِـنِـه غِـيـلانُ
وابنُ الشـــوارعِ فـارسٌ في ســـاعـةٍ ... وبســـاعـةٍ هـوَ غـادِرٌ وجـبـانُ
هـلْ ينثني الجزَّارُ عنْ جرْمٍ وهـلْ ... ترتـدُّ عـنْ أخلاقـهـا الـفـرســـانُ
كـلا ولـكـنَّ (الأنا) ورَمٌ وإنْ ... زادت فـكـلُ زيادةٍ نـقصـــانُ

يبدو التناقُضُ عندَها مُتناسِقاً ... واللَّوْنُ في صفحاتِها ألوانُ
هو فارِسٌ ما دامَ يفترسُ الورى ... فإذا قرصت فإنها قُرصانُ
يا آيةَ الله الجديدَ ومِنْ لقى ... آياتِهِ الحشراتُ والديدانُ
آمنتُ أنَّك آيةٌ فبحدِّكَ ... اتَّحدَ الهوى وتفرّق الفُرقانُ
وكأن خارطةَ الجهادِ أعدّها ... (ميخا) وأكَّدَ رسْمَها (المعْدانُ)
لا بلْ قضى شرْعُ الأهلَّةِ أنْ تخو ... ضَ جهادَها وسُيوفها الصُّلبانُ
كرَمُ الضيافةِ دائماً يقضي بأنْ ... تُطوى الجُفونُ وتُفتَحُ السِّيقانُ
معنى الجهادِ بعصرنا إجهادُنا ... أو عصرُنا وثوابُنا خُسْرانُ
عُثمانُ يُقتَلُ كلَّ يومٍ باسْمِنا ... وتُخاطُ مِن أَطمارِنَا القُمصَانُ
ماذا على شجر إذا طرَدَ الخريـ ... ـفُ هزارَها لِتُغرِّدَ الغِرْبانُ
في الكحْلِ لاتجدُ الأذى إلا إذا ... عمِلتْ على تكْحِيلِكَ العميانُ
أَعلِمْتَ أنَّ الدارِعِينَ تدرَّعوا ... بطنينهم وسلاحُهمْ أطنانُ
وبدَوْا فهُوداً عِند منسكب النَّدى ... وإذا بهمْ عند الرَّدى جِمْلانُ
صمَتُوا لديْك لتلفِظِي النفسَ الأخيـ ... ـرَ وبعدَها عزَفَتْ لكِ الألحانُ
ولَطَالما وعدوا بنصْرِك في الوغى ... وعدوا وأبلغ نصرِهم خُذلانُ
لم يُمتشَق سيْفٌ ولمْ تُسْرَجْ لهمْ ... خيْلٌ ولم تُقْطَعْ لهمْ أرْسانُ
فجميعُهُم قد كذّبوا وجميعُهمْ ... قد مثَّلوا وجميعُهُمْ قدْ خانوا
قالتْ لَيَ المأساةُ أنَّ وليَّها ... ظلْمُ الولاةِ وأُمَّها الإذعانُ
قالتْ ويحملُ جثَّتي الطاوي ويهـ ... ـربُ من حفيفِ ثيابيَ الشبعانُ
قالتْ ويقدَحُ ناريَ الجبناءُ لـ ... ـكن يكتوي بحريقي الشُّجعانُ
وأقولُ كلُّ بلادِنا مُحتلةٌ ... لا فرْق إنْ رحَلَ العِدَا أو رانوا
ماذا نفيدُ إنِ استقلَّت أرضُنا ... واحتُلَّتِ الأرواحُ والأبدانُ
ستعودُ أوطاني إلى أوطانها ... إن عادَ إنساناً بها الإنسانُ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله عز وجل الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مُجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين [١].

يقول رسول الله ﷺ: ((إن الله يبعث لهذه الأمة على كل رأس مائة سنة من يجدد لها دينها)).

قال ابن القيم رحمه الله [٢]: (ولولا ضمان الله بحفظ دينه، وتكفُّله بأن يقيم له من يجدد أعلامه، ويحيي منه ما أماته المبطلون، ويُنعش ما أخمله الجاهلون؛ لُهدِّمت أركانه وتداعى بنيانه، ولكن الله ذو فضل على العالمين).

ومن نعم الله على الأمة الإسلامية في هذا العصر أن أخرج فيها رجالاً وأبطالاً لا يرضون بالذل والهوان، ولا يقبلون الاستعباد لغير رب العباد، فهم لا يعطون الدنية في دينهم، تشرق

---

[١] خطبة الإمام أحمد في كتاب الرد على الجهمية.

[٢] مدارج السالكين (٢/ ٧٩).

وتتلألأ في أسماء المجد أسماءهم، هم قادة غيروا مجرى التاريخ، الرجل منهم أمة لا بألف، بل والله إن الواحد منهم بأمة، قادوا جيوش الإسلام المجاهدة في معارك أغرب من الخيال.

ومن عجب أن السيوف لديهم تحيض دماءً والسيوفُ ذكورُ
وأعجبُ من ذا أنَّها في أكفهم تأجّج ناراً والأكفُّ بحورُ

وكان منهم مُجدد هذا الزمان، وقاهر الروس والأمريكان، الإمام الشهم الشجاع، القائد المجاهد، عالي الهمة، بعيد الغور، المقدام الجسور، العابد الزاهد، المشفق على الإسلام وأهله، المنفق كل ماله في سبيل الله، صاحب الفتوحات المعاصرة بدءًا بمأسدة الأنصار وصولاً إلى نيويورك وواشنطن وما تلاها من فتوحات وغزوات، المتيقظ الذي لا يفتر عن الأعداء ليلاً ونهاراً، الرجل الذي شاب في سبيل الله.

ما شاب عزمي ولا حزمي ولا خُلقي ولا ولائي ولا ديني ولا كرمي
وإنما طال رأسي غيرُ صبغته والشيب في الرأس غيرُ الشيب في الهمم

راهب الليل، فارس النهار، قليل الكلام، كثير الفعال، البطل الهُمام، مُسعِّرُ الحربِ ومعه الرجال أسامة بن محمد بن لادن نصره الله.

ما زلت بالسمع أهواكم وما ذُكرت أخباركم قط إلا ملتُ عن طرب
وليس من عجبٍ أن ملتُ نحوكمُ فالناسُ بالطبعِ قد مالوا إلى الذهب

هذا الإمام الذي ينادي في الأمة الإسلامية من سنوات هبوا لنصرة دين الله، هبوا للإعداد في سبيل الله، هبوا لتغيير واقعكم الكئيب.

هذا الرجل الذي ينادي الشباب والشباب بالذات وكأنه يقول لهم ما قاله الرافعي [١]: (يا شباب العرب، يقولون: إن في شباب العرب شيخوخة الهمم والعزائم، فالشبان يمتدون في حياة الأمم وهم ينكمشون، وإن اللهو قد خف بهم حتى ثقلت عليهم حياة الجد، فأهملوا الممكنات فرجعت لهم كالمستحيلات، وإن الهزل قد هون عليهم كل صعبة فاختصروها، فإذا هزؤوا بالعدو في كلمة فكأنما هزموه في معركة، وإن الشاب منهم يكون رجلاً تاماً، ورجولة جسمه تحتج على طفولة أعماله.

ويقولون: إن الأمر العظيم عند شباب العرب: ألا يحملوا أبداً تبعة أمر عظيم، ويزعمون أنه أبرع مقلد للغرب في الرذائل خاصة، وبهذا جعله الغرب كالحيوان محصوراً في طعامه وشرابه ولذاته.

يا شباب العرب: من غيركم يجعل النفوس قوانين صارمة، تكون المادة الأولى فيها: قدرنا لأننا أردنا.

الشباب هو القوة، فالشمس لا تملأ النهار في آخره كما تملؤه في أوله، وفي الشباب نوع من الحياة تظهر كلمة الموت عنده كأنها أخت كلمة النوم، وللشباب طبيعة أول إدراكها الثقة بالبقاء، فأول صفاتها الإصرار على العزم، وفي الشباب تصنع كل شجرة من أشجار الحياة ثمارها؛ وبعد ذلك لا تصنع الأشجار كلها إلا خشباً.

يا شباب العرب، اجعلوا رسالتكم: إما أن يحيا الشرق (الإسلام) عزيزاً وإما أن تموتوا.

يا شباب العرب، لم يكن العسير يعسر على أسلافكم الأولين، كأن في يدهم مفاتيح من العناصر يفتحون بها.

أتريدون معرفة السر؟

---

[١] وحي القلم (٢/ ٢٣٠ - ٢٣٩) بتصرف.

السر أنهم ارتفعوا فوق ضعف المخلوق، فصاروا عملاً من أعمال الخالق، غلبوا على الدنيا لما غلبوا في أنفسهم معنى الفقر ومعنى الخوف والمعنى الأرضي، وعلمهم الدين كيف يعيشون باللذات السماوية، التي وضعت في كل قلب عظمته وكبرياءه، واخترعهم الإيمان اختراعاً نفسياً، علامته المسجلة على كل منهم هذه الكلمة: (لا يَذِلّ).

حين يكون الفقر قلة المال؛ يفتقر أكثر الناس، وتنخذل القوة الإنسانية وتهلك المواهب، ولكن حين يكون فقر العمل الطيب؛ يستطيع كل إنسان أن يغتني، وتنبعث القوة، وتعمل كل موهبة، وحين يكون الخوف من نقص الحياة وآلامها؛ تفسر كلمة الخوف مائة رذيلة غير الخوف، ولكن حين يكون من نقص الحياة الآخرة وعذابها؛ تصبح الكلمة قانون الفضائل أجمع.. هكذا اخترع الدين إنسانه الكبير النفس، الذي لا يقال فيه: انهزمت نفسه.

يا شباب العرب، كانت حكمة العرب التي يعملون عليها: اطلب الموتَ توهب لك الحياة. والنفس إذا لم تخشى الموت، كانت غريزة الكفاح [١] - أول غرائزها — تعمل، وللكفاح غريزة تجعل الحياة كلها نصراً، إذ لا تكون الفكرة معها إلا فكرة مُقاتِلة، غريزة الكفاح يا شباب، هي التي جعلت الأسد لا يُسمَّن كما تُسمَّن الشاة للذبح، وإذا انكسرت

---

[١] كتبه شهيد القرآن بإذن الله سيد قطب رحمه الله في مقالة له بعنوان (الإسلام يكافح) في كتاب دراسات إسلامية: (كن مسلماً فحسب. فهذا وحده كاف لأن يدفعك إلى كفاح الاستعمار في شجاعة واستماتة واستبسال، فإن لم تفعل، فتحسس قلبك عسى أن تكون مخدوعاً في حقيقة إيمانك. وإلا فما صبرك عن كفاح الاستعمار؟! كن مسلماً فحسب. فهذا وحده يكفي لأن يدفعك إلى كفاح المظالم الاجتماعية جميعاً.. كفاحاً دافقاً فائراً. فإن لم تفعل، فتحسس قلبك عسى أن تكون مخدوعاً في حقيقة إيمانك. وإلا فما صبرك عن كفاح العدوان؟! كن مسلماً فحسب. فهذا وحده يكفي لأن يدفعك إلى كفاح الطغيان في صلابة واستهانة بقوى الذباب الذي يحسبه الضعاف من العقبان! فإن لم تفعل فتحسس قلبك عسى أن تكون مخدوعاً في حقيقة إيمانك. وإلا فما صبرك عن كفاح الطغيان؟!).

يوماً فالحَجَر الصلد إذا ترضرضت منه قطعة، كانت دليلاً يكشف للعين أن جميعه حجر صلد.

فالقوة القوة يا شباب، القوة التي تقتل أول ما تقتل فكرة الترف والتخنث، القوة الفاضلة المتسامية التي تصنع للأنصار في كلمة نعم معنى نعم، القوة الصارمة النفاذة التي تصنع للأعداء في كلمة لا معنى لا.

يا شباب العرب، اجعلوا رسالتكم: إما أن يحيا الشرق عزيزاً، وإما أن تموتوا، إما أن يحيا الإسلام عزيزاً، وإما أن تموتوا.

آه لو علم الشباب أن روح هذا الدين ليست: اعتقد ولا تعتقد، ولكن افعل ولا تفعل. لو أيقن الشباب أن فرائض هذا الدين، ليست إلا وسائل عملية لامتلاء النفس بمعاني التقديس، لو فهم الشباب أن ليس في الكون إلا هذه المعاني، تجعل النفس فوق المادة، وفوق الخوف، وفوق الذل، وفوق الموت نفسه).

كَسرنا قوس حمزةَ عن جَهَالةْ ... وَحَطَّمنا بِلا وَعي نِبَالةْ
فمزَّقَنا العدوُّ ولا جهادٌ ... وشرَّدَنَا الطُّغاةُ ولا عَدالةْ
وباتتْ أُمَّةُ الإسلامِ حَيرى ... وبات رُعَاتها في شَرٍّ حالةْ
فلا الصدِّيقُ يرعاها بحزمٍ ... ولا الفاروقُ يُورِثُهَا فِعَالةْ
ولا عثمانُ يمنحُها عطاءْ ... ويُرخِصُ في سبيلِ اللهِ مالَهْ
ولا سيفٌ صقيلٌ من عَليٍّ ... يُفَيِّئُنَا إلى (عَدَنٍ) ظِلالةْ
ولا زيدٌ يقودُ الجمعَ فيها ... لحَربٍ أو يُعِدُّ لها رجالةْ
ولا القعقاعُ يهتفُ بالسرايا ... فتخشى ساحةُ الهيجا نزالةْ
ولا حطينُ يصنعها صلاحٌ ... طوى الجبناءُ في خَوْرٍ هِلاَلَةْ
سرى صوتُ المؤذنِ في حمانا ... وقد فقدتْ مآذِنُنَا بلالةْ

وأَقصـــانا يُـدنِّسُـــهُ يـهـودٌ ... ويَـعـبـثُ في مَـرابـعـه حُـثَـالـهْ
نَشُـــدُّ رحـالـنـا شـــرقـاً وغـرباً ... وأولى أن نشـــدَّ لـه رحـالـهْ
وَشَـعـبٌ ضـــائعٌ في كـلّ أرضٍ ... وجُـلُّ منـاهُ أن يُرضـي (جَمَـالَـهْ)
وراعي الشـعب سـجّانٌ غشـومٌ ... وسـفّـاحٌ يَسِـنُّ لـه نِصـالَـهْ
وحـادي الـركـب بـومٌ أو غـرابٌ ... وقـد قـادَ الجـمـوعَ (أبـو رغـالـهْ)
يُـرمـرمُ مـن فـتـاتِ الـكـفـرِ قـوتاً ... ويلعقُ من كـؤوسـهمُ الثُّـمـالَـهْ
يـقـبِّـل راحـةَ الـطـاغـوتِ حـيـنـاً ... ويـلـثـمُ دونـمـا خـجـلٍ نِـعَـالَـهْ
فـيرتـعُ في مـرابـعـنـا دخـيـلٌ ... يُطارِد في حضـارتنا الأصـالـهْ
إذا سـأل الـزعـيـمُ مـزيـدَ ذُلٍّ ... لشـعـب لا يَـرُدُّ لـه سـؤالـهْ
وإن نصـحَ الحـكـيـمُ فـلا سـمـيـعٌ ... ولا قـلـبٌ يَعي صِـدقَ المقـالـهْ
وَهَـمُّ الشـعـبِ ثـوبٌ أو رغـيـفٌ ... و (صَـكٌّ) من رصـيـدٍ أو (حوالهْ)
وألـقـابٌ يـتـيـهُ بهـا قـرودٌ ... ولـيـس لهـا مَـعَـانٍ أو دلالَـهْ
(سـعـادتـهُ) شـقـاءٌ في شـقـاءٍ ... وقـد رَفعـتْ (معـاليـه) السَّـفـالـهْ
(سـيـادتـهُ) يـقـيـمُ عـلـى هـوانٍ ... (سمـاحتـهُ) يعيش مع الضـلالـهْ
(فـخـامتـهُ) هـزيـلٌ كيـف يـدري ... بأن النـاسَ قـد فضـحوا هزالـهْ
و (دولَـتُـهُ) يـعـيـش مـع الأمـاني ... ويخشـى أن تُـفـاجِـئَـه الإقـالـهْ
مَضَـغْـنـا قـلـبَ حمزةَ وانثنينـا ... نـذوقُ المـرَّ أو نجـني وبالـهْ
مُـؤامـرةٌ يُـدبـرهـا يـهـودٌ ... ويـرعـاهـا عـمـيـلٌ لا أبَا لَـهْ

وقبل الأخير أقول: إن الرجل الذي مضى وسار على طريق الجهاد يهديه الله عز وجل إلى أحسن الأقوال وإلى أحسن الأفعال، يقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

يقول سيد قطب رحمه الله حول هذه الآية [١]: (الذين جاهدوا في الله ليصلوا إليه، ويتصلوا به.. الذين احتملوا في الطريق إليه ما احتملوا فلم ينكصوا ولم ييأسوا.. الذين صبروا على فتنة النفس وعلى فتنة الناس.. الذين حملوا أعباءهم وساروا في ذلك الريق الطويل الشاق الغريب.. أولئك لن يتركهم الله وحدهم ولن يضيّعَ إيمانهم، ولن ينسى جهادهم.. إنه سينظر إليهم من عليائه فيرضاهم، وسينظر إلى جهادهم إليه فيهديهم، وسينظر إلى محاولتهم الوصول فيأخذ بأيديهم، وسينظر إلى صبرهم وإحسانهم فيجازيهم خير الجزاء).

أخيراً: كأني بالشيخ وهو ينادي جميع الكفار المحتلين لبلاد الإسلام سواء كانوا كفاراً أصليين أو كفاراً مرتدين وهو يقول:

اقتلوني مزقوني أغرقوني في دمائي
لن تعيشوا فوق أرضي لن تطيروا في سمائي
أنتم رجسٌ وفسقٌ أنتمُ سرُّ البلاء
أنتم كفرٌ وغدرٌ نهجكم حجبُ الضياء
سمُّكم ما زال يسري كأفاع في خفاء
حقدكم يبدو لعيني حقد رقطاء العراء
قتلكم فيه شفائي لن تعيشوا في صفاء
كنتم للشعب داءٌ يوم أمسى في عماء
حزبكم أضحى غثاءً أو قريباً من غثاء
حزبكم أمسى كريهاً ريحه كالخنفساء
جيشكم أضحى ذليلاً لم يعد فيه فدائي
جيشكم راضٍ بظلمٍ من غباءٍ أو رياء
حكمكم دوماً خؤونٌ باع أرضي وفضائي

---

[١] في ظلال القرآن (٥/ ٢٧٥٢).

بعتم البلدان سلماً ... دون سفكٍ للدماء
قبلها كنتم أسوداً ... وسيوفاً ذات داء
يوم حاربتم شعوباً ... دينُها رمزُ العطاء
يوم هاجمتم بيوتاً ... قد أقيمت للدعاء
وسمحتم ليهودٍ ... بعدُ في تحويل ماء
يا سيوف الله هبوا ... من سبات لضياء
لقنوا الباغين درساً ... واقذفوهم للفناء
أشبعوا الأتباع ضرباً ... شردّوهم في العراء
وارفعوا رايات دين ... حكِّموا شرعَ السماء

كتبه أبو جندل الأزدي
صرف الله عنه أعين وأسماع الطواغيت
بتاريخ ٢٥/ ٥/ ١٤٢٤ هـ.

اسمه ونشأته وأسرته

أصبح اسم الإمام أسامة من أكثر الأسماء إن لم يكن أكثرها شهرة في عالم اليوم يعرفه الصغير والكبير العدو والصديق، يتردد اسمه في اليوم مئات المرات في القنوات الفضائية والإذاعات والجرائد والمجلات، رماه الكفر العالمي عن قوس واحدة إنه بحق أشهر من نار على علم.

يقول الشيخ أسامة في لقائه مع قناة الجزيرة حين سئل عن اسمه: (أسامة بن محمد بن عوض بن لادن، منّ الله علي أن ولدت من أبوين مسلمين، في جزيرة العرب في الرياض في حي الملز عام ١٣٧٧ هجرية (الموافق لـ ١٩٥٧م)، ثم من الله علينا أن ذهبنا إلى المدينة بعد الولادة بستة أشهر، ومكثت بقية عمري بعد ذلك في الحجاز بين مكة والمدينة وجدة).

أبوه المقاول المشهور محمد بن لادن (الذي وصل إلى جدة من حضرموت في حدود سنة ١٩٣٠ ميلادية، ويذكر عنه من عرفه أنه كان قمة في المثابرة والعصامية والاعتماد على النفس، ولذلك لم تمض سنين قليلة حتى تحول محمد بن لادن من مجرد حمال في مرفأ جدة البسيط إلى أكبر مقاول إنشاءات في المملكة.

إضافة إلى مثابرته فقد كان جريئاً ومستعداً للمجازفة، حيث تمكن من خلال هذه الجرأة من إقناع الملك سعود أنه الأقدر على المشاريع الصعبة وذات طابع التحدي، وتمكن خلال فترة الملك من بناء علاقة جيدة مع كبار العائلة الحاكمة بما فيهم فيصل الذي كان أميراً آنذاك، وعندما حصل الخلاف المشهور بين فيصل وسعود كان من ضمن من أقنع الملك سعود بالتنحي لصالح فيصل.

لم يقف فضل محمد بن لادن على فيصل عند دوره في تنحي سعود، بل إن ابن لادن أمن رواتب كل موظفي الدولة تقريباً لمدة تقترب من ستة أشهر بعد مغادرة سعود حين

كانت الخزينة فارغة تماماً، ولرد الجميل أصدر الملك فيصل مرسوماً بتحويل كل عقود الإنشاءات على محمد بن لادن وكلفه عملياً بوزارة الإنشاءات.

وفي سنة ١٩٦٩ ميلادية تكفل محمد بن لادن بإعادة بناء المسجد الأقصى بعد الحريق الذي تعرض له، وكان قد ساهم في التوسعة السعودية الأولى للحرمين، ولذلك يقول آل بن لادن أنهم تشرفوا ببناء المساجد الثلاثة.

كان محمد بن لادن رجلاً متديناً كريماً متواضعاً رغم ما آل إليه حاله من يسر وغنى، وكان قد احتفظ بالكيس (القفة) التي كان يستخدمها عندما كان حمَّالاً وعلَّقها في مجلس منزله للافتخار بمثابرته، ولتذكير نفسه وأبناءه أنه كان امرأً بسيطاً قبل أن يصبح أكبر مقاول في المنطقة.

وتوفي محمد بن لادن سنة ١٩٧٠ ميلادية في حادث سقوط طائرة يقال أنه كان يتفقد فيها مشروع طريق الهدا المشهور بمدينة الطائف.

كانت شخصية محمد بن لادن شخصية قوية، وكان يبقي جميع أبنائه في سكن واحد، وكان شديداً في الحرص على انضباطهم والتزامهم من الناحية الشرعية والأخلاقية.

توفي محمد بن لادن عندما كان عمر أسامة تسع سنين ونصف، وكان أقوى شخص في العائلة بعد الأب هو الابن الأكبر سالم من لادن والذي كان ذو شخصية قوية كذلك وهيبة، ويقال أن الملك فهد لم يتمكن من إجبار العائلة على إدخاله شريكاً إلا بعد وفاة

سالم [١] في حادث سقوط طائرة كذلك، حيث لم يتمكن بكر بن لادن من ملئ الفراغ الذي تركه سالم) [٢].

يقول الشيخ أسامة في مقابلته مع قناة الجزيرة: (أبي الشيخ محمد بن عوض بن لادن من مواليد حضرموت، ذهب للعمل في الحجاز منذ أكثر من سبعين سنة، ثم فتح الله عليه بأن شرف بما لم يشرف به أحد من البنائين وهو بناء المسجد الحرام الذي فيه الكعبة المشرفة، ثم قام ببناء المسجد النبوي في المدينة المنورة، ثم لما علم أن الحكومة الأردنية قد أنزلت مناقصة لترميم قبة الصخرة، جمع المهندسين وطلب منهم أن يضعوا سعر التكلفة بدون أرباح. فقالوا له نحن نضمن الربح مع سعر التكلفة، فقام رحمه الله بتخفيض سعر التكلفة حتى يضمن رسو المناقصة عليه، فكان أن رسا عليه العطاء، وكان من فضل الله عليه أنه كان يصلي أحياناً في المساجد الثلاثة في يوم واحد. ولا يخفى أنه كان أحد المؤسسين للبنية التحتية في المملكة العربية السعودية.

وبعد ذلك درست في الحجاز، ودرست الاقتصاد في جامعة جدة أو ما يسمى بجامعة الملك عبد العزيز، وعملت مبكراً في الطرق في شركة الوالد عليه رحمة الله، رغم أن الوالد توفي وكان عمري عشر سنوات).

وأما أمه فمن بلاد الشام من مدينة دمشق تدعى حميدة، ما زالت على قيد الحياة، تزوجت بعد وفاة زوجها محمد بن لادن وليس لأسامة إخوة من أمه وإنما أخوات فقط.

---

[١] عانى آل بن لادن من تدخل العائلة الحاكمة حيث تحولت الشراكة إلى نفوذ طرف واحد، وتجلى هذا في مشاريع كثيرة، أهمها: مشروع توسعة الحرمين حيث حصل الملك على نصيبه كاملاً وفي وقته بينما لا يزال بكر بن لادن يستلم نصيبه بالقطارة! مع أن شراكة الملك لم تكن إلا بالاسم فقط، يعني بلا رأس مال وبلا جهد وهي شراكة تمت بالقوة لا عن رضا وقناعة.

[٢] السيرة الذاتية للشيخ أسامة المنشورة على الشبكة.

(نشأ أسامة نشأة صالحة، وكان متديناً منذ صغره، كانت دراسته الابتدائية والثانوية والجامعية في جدة، وكانت دراسته في الجامعة في علم الإدارة العامة.

وخلال دراسته اطلع على أنشطة التيارات الإسلامية المشهورة، وتعرف على كثير من الشخصيات الإسلامية، ولم يكن هناك أمر متميز خلال دراسته.

وخلافاً لما تزعم بعض الصحف العربية والغربية فلم يسافر أسامة لأي بلد غير دول الجزيرة العربية وباكستان وأفغانستان وسوريا والسودان، وكل ما يقال عن رحلات لسويسرا ولندن والفليبين ليس لها أساس من الصحة، ولا تصح كذلك المزاعم بأن أسامة لم يتدين إلا بعد مرحلة من الانحراف فهذه المزاعم ليس لها أصل) [١].

قال الإمام في إحدى مقابلاته: (بدأت بالعمل في سن مبكرة مع الوالد، وكانت دراستي في الحجاز حتى حصلت على الإجازة الجامعية في تخصص الاقتصاد، أما في مجال الأعمال الإنشائية والمعمارية فكانت مشاركتي الرئيسية في مجال نسف الجبال وشق الطرق!).

(بالإضافة إلى الجو المحافظ الذي نشأ فيه أسامة، كان محمد بن لادن والد أسامة يستضيف أعداداً كبيرة من الحجاج كل عام بعضهم من الشخصيات الإسلامية المعروفة، وقد استمرت هذه العادة على يد إخوان أسامة بعد وفاة والده مما ساعد في استمرار توفر الفرصة له للاستفادة من بعض الشخصيات المتميزة بين أولئك الضيوف. لكن في الجامعة كان هناك شخصيتين كان لهما أثر متميز في حياته هما الأستاذ محمد قطب والشيخ عبد الله عزام، حيث كانت مادة الثقافة الإسلامية إجبارية لطلاب الجامعة) [٢].

(له كثير من الإخوة والأخوات، كان ترتيب أسامة الحادي والعشرين تقريباً بين الأبناء، ولكن مع ذلك كان يُنظر إليه من قبل بقية أفراد العائلة كما لو كان حكيم العائلة وخاصة

---

[١] السيرة الذاتية.

[٢] نفس المصدر.

حينما بزغ نجمه في أفغانستان وبعد وفاة أخيه سالم. كان أسامة مثلاً هو المرجع والحكم في خلافات العائلة الداخلية.

وخلال أيام الجهاد في الثمانينات كان إخوانه وأخواته والأقارب الآخرون يتسابقون في استضافته في منزلهم إذا عاد للمملكة، ونظراً لأن مدة بقائه في المملكة غالبًا ما تكون محدودة فقد كان يلزمهم بالاتفاق على اللقاء في بيت أكبر الموجودين، وفي كل مرة يعود للمملكة يقوم إخوانه بتقديم أبنائهم له وتعريفه بهم واحداً واحدا، وتأتي أخواته بأبنائهن ويقدمونهم له معرفات بهم واحداً بعد الآخر. وكان بعض أخواته يدعن تسمية أبنائهن له تبركًا باختياره.

بقيت العلاقة كذلك إلى أن غادر إلى السودان ثم إلى أفغانستان، وبالطبع لم يتغير افتخار عائلته به وحرصهم على الصلة قدر الإمكان، وأما ما نسب لإخوانه من إعلان للبراءة منه فغير صحيح، بل كان بياناً مكذوباً عليهم، ويعلم القريبون من العائلة أنهم تعرضوا للتهديد إذا أعطوا أي إشارة أن هذا البيان مكذوبٌ عليهم.

المهم أن العائلة أبقت شيئاً من الصلة مع أسامة ولم يكن كل ذلك بعيداً عن عين الدولة التي كانت تريد لذلك أن يبقى كخط اتصال احتياطي، وهو ما احتاجت له الدولة فعلاً أكثر من مرة في السودان وفي أفغانستان. بطبيعة الحال فإن اتصال عائلته به الآن صعب جداً) [١].

(تزوج أسامة أول زواج في سن مبكرة حين كان عمره سبعة عشر عاماً تقريباً، وكانت الزوجة الأولى من أخواله وبقية الزوجات من عوائل مكة أحدهن من الأشراف.

الطريف أن ثلاث من زوجاته على الأقل تمكن من إتمام الحصول على الشهادات العليا بينما كن على ذمته.

---

[١] السيرة الذاتية.

لا تزال زوجات ابن لادن معه في أفغانستان وسابقاً في السودان، فيما عدا واحدة يقال أنها بقيت بظروف خارجة عن إرادتها.

أما أبناء وبنات أسامة فما شاء الله ربما تجاوز عددهم العشرين. ولأسامة سياسة صارمة في تربية الأبناء والبنات، فالأبناء لا بد لهم من إتقان الفروسية والسباحة، ولا بد من تعريضهم لخشونة العيش، والبنات لهم القرآن والعلم الشرعي وغير ذلك مما يليق بهن.

ولذلك كان أسامة يتعب حين كان في المملكة حيث يعيش أبناؤه في جو قريب من أبناء عمومتهم حيث الغنى والترف، ويجد صعوبة في تعريضهم للخشونة دون قطع رحمهم، مثلًا كان بعض إخوانه يعبر عن محبته لأبناء أسامة بإهداء سيارة بمناسبة نجاح أحدهم، وهذا ما يعتبره أسامة خارج قاموسه تماماً، لكن لا بد له من مجاملة إخوانه فتجده يقبل الهدية ويتصرف بالسيارة (إلا إذا كانت أمريكية طبعاً!).

وبسبب انشغال أسامة فقد كان يقتطع وقتاً لأهله سواء العائلة الصغيرة أو الكبيرة. حينما كان في المملكة كان يخص يوماً كاملاً في الأسبوع لعائلته ويجمع معهم والدته وأخواته، وغالباً ما يقضي ذلك اليوم خارج جدة، وفي معظم الأحيان يكون ذلك في مزرعته.

تمكن أسامة من اصطحاب كل أبنائه معه ما عدا ثلاثة منهم الكبير واثنين آخرين، أما الكبير فقد ذهب للمملكة للزواج فمنع من السفر، وأما الولدان الآخريَين فلا يزالان في سن الابتدائية ومع ذلك موضوعان على قائمة منع السفر، ربما لابتزاز أسامة أو لإبقائهما رهينتين لحماية أفراد العائلة الحاكمة من غضب بن لادن.

أما ما قيل عن تزويج أسامة للملا عمر من إحدى بناته، فهذا ليس له أساس من الصحة واختلاق بدأه مصدر مخابراتي وانتشر دون أصل) [١].

---

[١] نفس المصدر.

ولد الشيخ أسامة في وقت تعيش فيه الأمة في (تيه في الأفكار والمشاعر والتصورات وأنماط السلوك حين نحّت هذه الأمة شريعتها، واستبدلت بها الشرائع التي أخبرها ربها أنها شرائع جاهلية لأنها لا تحكم بما أنزل الله، واستبدلت بقيمتها وأخلاقها وأنماط سلوكها قيم الغرب وأخلاقه وأنماط سلوكه، وأدارت ظهرها لكتاب ربها وسنة رسوله ﷺ، لتستورد الأفكار والنظم و"الأيدلوجيات" والمبادئ من المكان الذي توهمت فيه الرقي والتقدم والحضارة الحقيقية) [١].

نعم لقد وُلد أسامة بعد أن مرَّت الأمة بنكبات متواصلة [٢] على مدى قرون أوصلت العالم الإسلامي إلى ما أوصلته، وكان من أكبرها وأكثرها وقعاً على نفوس المسلمين سقوط الخلافة الإسلامية وتمزق العالم الإسلامي إلى دويلات تحكم بغير ما أنزل الله، فأصبح العالم الإسلامي مثل رقعة الشطرنج وهؤلاء الحكام أشبه بأن يكونوا أحجاراً على هذه الرقعة يحركها الصليبيون والصهاينة كيف ما شاؤوا، وتوالت الحملات الصليبية على العالم الإسلامي (بدأت في الحقيقة منذ عدة قرون.. نستطيع أن نقول بشيء من التحديد إنها بدأت بطرد المسلمين من الأندلس، وقد سقطت آخر دويلة إسلامية في الأندلس عام ١٤٩٢ م [٣]، بعد أن عملت محاكم التفتيش بكل فظائعها لإبادة المسلمين، والقضاء الكامل على الإسلام في تلك البقاع.

ثم أمر البابا بمتابعة المسلمين خارج الأندلس، وفرض النصرانية عليهم بالسيف إن لم يستجيبوا لدعوة التنصير، وكانت الرحلات التي قام بها فاسكو داجاما وماجلان وغيرهما

---

[١] هلم نخرج من ظلمات التيه (٥).

[٢] فهو وُلد بعد نكبة ٤٨م بعشر سنوات وقبل نكبة ٦٧م بعشر سنوات.

[٣] احتفلت أسبانيا في عام (١٩٩٢م) بمرور خمسمائة سنة على طرد المسلمين من الأندلس، وبمناسبة هذه الذكرى بالذات اختيرت مدريد مكانا "للمفاوضات" بين العرب واليهود في قضية فلسطين.. أي قضية طرد المسلمين من الأندلس الثانية! ووافق العرب!.

رحلات استكشافية، لكشف نقاط الضعف التي يمكن عن طريقها اختراق العالم الإسلامي توطئة لغزوه والاستيلاء عليه، وقد اضطرت كلها أن تسير في اتجاه مغاير للحملات الصليبية الأولى بسبب وجود الدولة العثمانية بقوتها الرهيبة في الشرق، وتوغلها الكاسح في شرق أوربا، فكان على الحملة الجديدة أن تدور حول أفريقيا، وتحاول غزو الأطراف البعيدة أولًا قبل أن تتجه إلى قلب العالم الإسلامي، وبالذات إلى بيت المقدس، الذي انهزمت عنده الحملات الصليبية الأولى. وفي هذه المرة لم يكن بيت المقدس هدفا للنصارى وحدهم، بل اشترك اليهود معهم، ولكن لحسابهم الخاص!

وشهد القرنان الثاني عشر والثالث عشر الهجريان (الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديان) تركيزًا شديدًا في الحملة الصليبية، انتهى بالاستيلاء على معظم بلاد العالم الإسلامي، بعد معارك عنيفة بين المسلمين والصليبيين، انتهت كلها بهزيمة المسلمين أمام الغزو الكاسح، وخضوع العالم الإسلامي للغزو النصراني) [١].

---

[١] هلم نخرج من ظلمات التيه (١٠ - ١١).

أقوال العلماء وطلبة العلم في الإمام أسامة بن لادن

١- **قال الشيخ الإمام عبد الله عزام** في وصيته وهو يتحدث عن مكتب الخدمات:

(وأدعو كثيراً لمن تكفل هذا المكتب بماله الخاص، وهو الأخ أبو عبد الله أسامة بن محمد بن لادن، أدعو الله أن يبارك له في أهله وفي ماله ونرجو الله أن يكثر من أمثاله، ولله أشهد أني لم أجد له نظيراً في العالم الإسلامي فنرجو الله أن يحفظ له دينه وماله وأن يبارك له في حياته).

وقال رحمه الله: (نذر ماله ونفسه في سبيل الله اسأل الله ان يجعلها في موازين أعماله).

وقال أيضاً [١]: (يا إخوة ماذا أحدث، قصصهم تذكرنا بمصعب، وبالقعقاع، وبعاصم، وبحمزة، وهكذا قصص السلف الأوائل شباب ماذا أقول؟! أبوه وزير، والله عندنا أبناء وزراء، يتركوا النعيم، والفراش الوفير، ويأتي هناك في الجبال؛ يعيش على الخبز والشاي بلا سكر، كأن لسان كل واحد يقول لنفسه ولقلبه وهو يخاطب ربه:

عذابي فيك عذب وبعدي فيك قرب
حسبي من الحب أني لما تحب أحب

أسامة بن لادن أكرمه الله وحفظه أخذوا عطاء توسعة الحرم المدني ثمانية آلاف مليون ريال، ترك العطاء وهو يعيش الآن بين الشباب في جلال آباد، وكل لحظة ممكن أي يموت، إخوانه، شركة بن لادن أكبر شركة في العالم الإسلامي، أكبر شركة خاصة في الشرق الأوسط وفي العالم الإسلامي شركة ابن لادن، ترك الدنيا كلها، نحيف، نبضه، ضغطه منخفض واضع شوية ملح في جيبه هذه، وبجيبه هذه قنينة ماء، ويبلع ملحاً، ويشرب ماءً؛ حتى يرفع ضغطه شوية، ويستطيع أن يواصل القتال مع الشباب).

---

[١] التربية الجهادية (٥٨).

وقال أيضًا [١]: (طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه، يطير على متنه، كلما سمع فزعة أو هيعة طار إليها يبتغي الموت مظانه.. لا ينظرون إلى الدنيا، الدنيا إن جاءت فهي في أيديهم ولا تدخل قلوبهم، والدنيا وسيلة لغاية، ليست هي الغاية، فهم يأكلون ليعيشوا، لا يعيشون ليأكلوا، يأكل إقطاً حتى يبقى حياً.. وفي هذه المناسبة نرجو الله عز وجل أن يحفظ أخانا أبا عبد الله أسامة بن لادن، فهذا الرجل ما تفتحت عيناي على رجل مثله في الأرض أبداً، يعيش في بيته عيش الفقراء، كنت أنزل في جدة في بيته عندما أذهب للحج أو للعمرة ليس في بيته كرسي ولا طاولة أبداً.. كل بيت.. متزوج من أربعة وليس في أي بيت من البيوت كرسي ولا طاولة، أي عامل من الأردن أو مصر بيته أحسن من بيت أسامة، فيه أثاث أو مثله، ومع ذلك في لحظات تطلب منه مليون ريال يكتب لك شيكاً بمليون ريال للمجاهدين.

ذهب إلى إحدى أخواته فعرض عليها فتوى ابن تيمية في الجهاد بالمال، فأخرجت شيكاً وكتبت ثمانية ملايين ريال، يعني أربعين مليون روبية، جاء الذين يفهمون ليقنعوها أمجنونةٌ أنت؟! ثمانية ملايين دفعة واحدة! والله من المسلمين.. المسلمات يقنعنها، والمسلمون يقنعون زوجها، وما زالوا يفتلون لها بين الحبل والغارب.. قالوا لها: أنت تسكنين بشقة في الأجرة، على الأقل مليوناً لبناء بيت لك، فاقتنعت بمليون تسترده، جاءت لأسامة قالت له: يا أسامة يا أخي، مليوناً أبني به بيتاً، قال لها: والله ولا ريال، لأنك تعيشين في شقة مستريحة والناس يموتون لا يجدون خيمة..

وعندما يجلس معك تظنه خادماً من الخدم، مع الأدب والرجولة، والله أنا أمسكه هكذا.. وقلت للشيخ سياف [٢] أصدر قراراً ممنوع أن يتحرك من هنا.. وهو يريد دائمًا أن

---

[١] في ظلال سورة التوبة (١٠٧).

[٢] أصبح وللأسف في صفوف تحالف الكفر والردة (الشمالي) نسأل الله الثبات على دينه حتى نلقاه.

يكون في المواجهة.. وضغطه ينخفض، وجيبه مليئة بالملح، ويحمل مطرة ماء، لا يقدر أن يمشي.. يبلع ملحاً ويشرب ماءً حتى يرفع الضغط..

وعندما يدخل بيتي.. صدقوا عندما يرن التلفون يذهب هو ويأتي بالتليفون حتى لا أقوم من مكاني.. أدب، حياء، رجولة، نرجو الله أن يحفظه إن شاء الله.

والمبادئ تحتاج إلى أناس، أم تريد أن تدخل الجنة بقرش؟! بريال؟! لا تدخل الجنة بريال، تحتاج إلى تضحية.

أول مرة دعاني كنا في رمضان، فذهبت، فجاء عند الأذان بصحن مرقة وفيه بعض العظمات عليها قليل من اللحم وحبتان أو ثلاثة من الكباب..

شارك في هذا الجهاد أناس ضحوا كثيراً).

وقال رحمه الله وهو يبين أن النعاس أمنة في المعركة وحدوثه لإمامنا [١]: (النعاس أمنة، النعاس في الصلاة مذموم ولكنه في الحرب محمود، وكيف ينام الإنسان تحت القذف والقصف وتحت دوي المدافع وأزيز الطائرات، هذا حصل كثيراً في أفغانستان، مولوي أرسلان وكثيرون حدثوني أنهم ينامون في المعركة فيقوم الإنسان بعزم جديد ونشاط جديد.. الأخ أسامة بن لادن نام في معركة جاجي كان يمسك اللاسلكي، فسقط اللاسلكي من يده أثناء المعركة، والمعركة والقصف لا يتوقف لحظة والكوماندوز على بعد لا يزيد عن مائتين أو ثلاث مائة متر عنه).

وحين سئل جمال إسماعيل عن رأيه في أسامة بن لادن قال الآتي [٢]: (أما رأيي بالشيخ أسامة وبصراحة، فأنقل لكم رأي من هو أفضل مني علماً وعملاً، ونحسبه شهيداً وأمة برجل

---

[١] عبر من السيرة (١).

[٢] في لقاء خاص أجراه معه منتدى السقيفة.

ذلكم، هو الشيخ عبد الله عزام رحمه الله.. أول ما بدأ بعض المتقولين يتحدثون عن خلافات بينه وبين أسامة بن لادن وأن أسامة يريد الزعامة على العرب لنفسه في بيشاور وأفغانستان وأن أسامة له صلات بالحكومة الفلانية أو غيرها أو... قال رحمه الله: (والله إني أشهد أن أسامة ولي من أولياء الله يدب على الأرض، والله لو لم يكن لله ولي في هذه الدنيا إلا شخص واحد لظننت أنه أسامة بن لادن، وإني لأعرفه من قبل أن يأتي إلى بيشاور وأعرفه أكثر مما يعرفه أحد منكم، وما رأيت فيه إلا مسلماً حقاً أسأل الله أن أكون مثل جزء منه).

٢- **قال عنه الشيخ حمود بن عقلا الشعيبي** رحمه الله: (هو مجاهد مؤمن يقاتل على منهج الكتاب والسنة بحذافيرها).

٣ - **قال عنه أمير المؤمنين الملا محمد عمر** نصره الله: (هو مسلم صادق الإيمان ولا نزكيه وقف معنا وقفة المسلم لأخيه).

وقال أيضًا [١]: (لو لم يبق أحد يجير ابن لادن والعرب إلا أنا فأنا أضع دمي ولا أسلمهم).

٤ - **قال الشيخ أبو محمد المقدسي** فك الله أسره [٢]: (أما الاتجاه المنكر والمجاهد للطواغيت والمعاكس لسياسات آلهتهم في البيت الأبيض فإنه الاتجاه الذي يُحجم عنه الأكثرون، ولو كانت أدلته وشواهده أوضح من الشمس في رابعة النهار.. ولكن الله بفضله ومنه وكرمه يوفره ويدخره لأناس يرفعهم به، كما قال سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

---

[١] أفغانستان والطالبان ومعركة الإسلام اليوم (١١٦).

[٢] وجوب نصرة المسلمين في أفغانستان وكفر من ظاهر عليهم عبدة الصلبان وكشف تلبيس الأحبار والرهبان (١٣-١٤).

قال بعض السلف: ليس من نصير لهذا الدين إلا وله نصيب من هذه الآية، وما من شانئ له إلا وله نصيب من قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾..

هذا وقد كنت شرعت في كتابة هذا الرد بعد الأحداث التي هزت أمريكا مباشرة رداً على تلبيسات رهبان الحكومات، وإجابة على مجموعة من الأسئلة التي وصلتني حول تلك الأحداث، إلا أن أعداء الله لم يمهلوني واعتقلوني قبل إكمالها فيمن اعتقلوهم على إثر تلك الأحداث، وصوّروني وطلبوا مني في دائرة المخابرات أن أكتب بيانًا أشجب فيه الهجمات على أمريكا لينشروه عبر وكالات الأنباء، فكتبت ورقات بينت فيها أن ما حصل في أمريكا عقوبة ربانية جازاها الله به من جنس ما تقوم به من أعمال في بلاد المسلمين من قتل وتدمير وإهلاك؛ فأمريكا تعتدي على المسلمين في كل مكان ولا تفرق في اعتداءاتها بين مدنيين وغيرهم، بدليل ما حصل في ملجأ العامرية ويحصل يوميًا في فلسطين على أيدي اليهود بدعم ومساندة منها، هذا غير اعتقالها للشيخ المجاهد عمر عبد الرحمن وغيره من الدعاة والمجاهدين... إلى آخر ذلك.

فلم يرق ذلك لهم وقالوا هذا تحريض، وطلبوا شجب الاعتداء على المدنيين وحسب، فقلت هذا ما أدين الله به وإذا لم يعجبكم هذا، اكتبوا أنتم ما تشاؤون، أما أنا فلا أكتب إلا ما أعتقده.. فأصروا على حذف ما وصفوه بالتحريض، ثم انشغلوا عن ذلك معي في الأيام التي قضيتها عندهم بتحقيقات أخرى، وصرفوا النظر عن هذا، وقبل الإفراج طلبوا مني عدم الكلام عن هذه الأحداث وأمروني تحت طائلة الاعتقال بلزوم منزلي وعدم التصريح والكلام بشيء حولها، اللهم إلا إذا أردت شجبها والكلام في عدم شرعية قتل المدنيين فهذا مسموح محبوب عندهم!!

وقد كنت خلال تلك الفترة في زنزانة منقطع عن الاتصال بالناس ولا يصلني شيء من أخبار العالم، حتى إنهم كذبوا عليّ وادعوا خلالها فرحين أن أمريكا ضربت أفغانستان بالقنابل النووية ردًا على الهجمات، وأن القتلى بلغوا خمسة ملايين، فبتُ في حزن عظيم لا يعلم به

إلا الله، ورأيت ليلتها أن سيفاً أثرياً عظيماً قد شق جبلاً عظيماً إلى نصفين وغاب في أعماقه.. فلما أصبحت استبشرت بها وعلمت كذب أعداء الله، وأولت السيف الأثري بأسامة الذي سلك أثر النبي ﷺ في جهاده، وأن هذا الجهاد سيشق أمريكا ويمزقها كل ممزق، وأنه آمن في أعماق الجبال لم يمسسه سوء).

وقال أيضاً [١]: (عهود الطواغيت والدول الكافرة مع غيرها لا تلزم المسلمين المقيمين تحت ولايتها القهرية السياسية، أو ما يسمى اليوم بالمواطنة ما دامت قهرية غير اختيارية، ومادامو لا يأمنون فيها على أنفسهم وأموالهم ودمائهم ودينهم؛ بل هم عرضة لانتهاك حرمة بيوتهم ونهبها وترويع من فيها واعتقالهم وزجهم في السجون أو تلفيق التهم لهم وإعدامهم في أي ساعة من ليل أو نهار، أما ولايتهم الدينية فمن نواقض الإسلام أن يدخل المسلم مختارًا تحت ولاية الكافر الدينية.. قال تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران:٢٨] وقال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء: ١٤١]، فمن باب أولى أن لا تلزم تلك العهود من ليس تحت سلطتهم وولايتهم السياسية كحال الشيخ أسامة بن لادن ومن معه حفظهم الله ممن قد برئوا من طواغيت الحكم في بلادنا وبرئ منهم الطواغيت، بل قد سحبوا جنسياتهم ومواطنتهم وأعلنوا الحرب وظاهروا الكفار عليهم وعلى كل موحد سلك طريق الجهاد، الذي سموه بالإرهاب تبعً=ا لتسمية إخوانهم الذين كفروا من اليهود والنصارى..).

---

[١] وجوب نصرة المسلمين في أفغانستان وكفر من ظاهر عليهم عبدة الصلبان وكشف تلبيس الأحبار والرهبان (٢٨-٢٩).

٥ - **يقول أبو قتادة الفلسطيني** فك الله أسره [١]: (والآن بقي أن نصل إلى الحديث عن أسامة بن لادن، هذا الرجل الذي فرض نفسه بقوة على الأحداث، وصار اسمه على لسان كل متحدث، وصار حديثه أكثر إيقاعاً من هدير الطائرات).

وقال أيضاً في كلمته بعد سنة من حصاره في الغرب في شعبان من عام ١٤٢٣هـ: (... تحية من القلب لهذا الرجل العظيم لأبي عبد الله أسامة بن لادن، هذا الرجل الذي رفع رأس الأمة - شهد الله -، رفع رأس الأمة عالياً، فبه نفتخر وبأمثاله إذا ذُكر من الرجال في أمتكم؟ دفعنا لهم هذا الشخص، هذه السُمرة، هذا الصوت الذي ما زال يُبكي كل من سمعه وقد امتلأت عباراته بمزيج الإيمان واليقين والزهد، هذا الرجل إذا طلبوا لنا من يُمثّل الإسلام اليوم؟ دفعنا لهم أمثال أبي عبد الله. تحية حب لهذا الرجل الذي أثبت أنه يقول قليلاً ويعمل عظيماً تحية حب له...).

٦ - **يقول الشيخ سعيد بن زعير** والذي أُسر لما يزيد عن ثمان سنوات في سجون آل سعود في كلمته التي انتشرت على الشبكة العنكبوتية حين سئل عن المواقف فقال: (حقيقةً المواقف لأهلها، ولسنا من أهلها، المواقف التي نقرأها تاريخاً لا يليق بنا أن نقارن مواقفنا بها، أنا شخصياً لم أفعل شيئاً، وليس ذلك والله تواضعاً، ليس ما أقوله تواضعاً لأن الذي أعرفه أنني جلست في غرفة وصبرت عليها وهذا ليس بموقف (أو كلمة نحو ذلك)، هذه سلبية الأمة لا يعزها سلبيون مثلي، إنما يعزها الرجال أمثال أسامة، يعزها الرجال الذين صامدوا أعداء الله، أما الصامتون الساكتون والمنزوون في زوايا السجون فأي بطولة فعلوا.. إن الباطل الذي انتفش يسره أن نسكت في زوايا السجون، ولكنه لا يسره أن يسمع أصوات الأبطال الذين يقلقون سكونه ويرعبونه، إن أبطال الجهاد في سبيل الله الذين ذهبوا والباقون منهم هم الأمل لهذه الأمة، هم الأمل الذي تعلق عليه الأمة تغيير الواقع الردي الذي تعيشه).

---

[١] الرؤية الشرعية لأحداث أمريكا.

٧- **وقال الشيخ سليمان أبو غيث** حين صدر قرار تسليم الإمام أسامة من مجلس (الخوف) الأمن: (وها هي أمريكا حامية الصليب ودولة الكفر العظمى ومن وراءها من دول الغرب الكافر، تلعب بالمسلمين كما يلعب الأطفال بالكرة، تضرب من تشاء، وتعادي من تشاء، وتنصب من تشاء، وتخلع من تشاء، وتحاصر من تشاء، وتطلب تسليم من تشاء دون أن يكون لأمة المليار شأن!!.

فها هي أمريكا تفرض على مجلس الأمن وبالإجماع استصدار قرار يطلب تسليم البطل أسامة بن لادن. نعم هذا البطل، هذا الأسد، هذا الجبل الأشم، هذا القلعة العتيدة، هذا الرجل الذي ضحى بماله، ووقته، وصحته، ونفسه، وأمواله في سبيل الدفاع عنكم، نعم عنكم، وعن المسلمين، عن عقيدتهم، وعن دمائهم، وعن أعراضهم، وعن أموالهم.

هذا الرجل يجب أن يكون محل اعتزاز في نفوسنا، ووسام شرف على صدورنا، وتاج كرامة فوق رؤوسنا، وأن يكون قدوة لأبنائنا، بدل أن يكون القدوة لاعب الكرة أو ممثل أو مغني..

تسأل الطفل عن أي مغني يجيبك عن اسمه!!. وتسأل الطفل عن أي لاعب كرة فيجيبك عن اسمه!!. أما تسأل عن أسامة؟ وعن عبد الله عزام؟ وعن أنور شعبان؟ وعن عادل الغانم؟ وعن متعب العتيبي؟ أبداً ما أحد يعرفهم لأنهم نكرات في واقع الأمة ولكنهم عند الله بإذن الله في أعلى عليين.

إن أمريكا ومن وراءها من اليهود والنصارى ليعلمون علم اليقين ماذا يعني أن تعود روح الجهاد في نفوس أبناء الأمة، لذلك فهي تريد أن تضرب شخص أسامة، تلك الظاهرة التي أحيت الأمة من جديد، يريدون ضربها لتموت النفوس مرَّة أخرى ولكن هيهات هيهات، لقد سرت روح الجهاد في نفوسنا، فأنى لأبناء القردة والخنازير إطفاء تلك الروح!

والله الذي لا إله إلا هو أنني لأدعو الله منذ سمعت ذلك الخبر أن يميتني قبل أن أرى أسامة يُسلّم لدول الكفر، لأنه في حينها يجب أن يضع كل رجل منا رأسه في التراب ولا يرفعه أبداً، لأن تسليم الأبطال دليل هوان في الأمة، والتنازل عن الأبطال دليل أنوثة في الأمة.. ها هم الصرب يرفضون تسليم مجرم الحرب سلوبودان ميلوسوفيتش الذي أباد المسلمين عن بكرة أبيهم، وقالوا بصريح العبارة إذا كان هناك رجل من أدنى جندي أمريكي إلى رئيس الولايات المتحدة ليأتي ويقبض على سلوبودان ميلوسوفيتش. ودول العرب للأسف حتى من الملتزمين من قال: هذا متهور يستحق هذا الأسلوب!! صاحب فتنة في الأمة!!

ولكن أقول من هذا المنبر لذلك الرجل علّ صدى الحرقة والألم الذي في نفسي أن يصل إليه عبر رياح الحب، أقول له: اسمع ماذا يقول النبي ﷺ، أقول له: ((واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك)). أقول له وأنا لا أملك نصرةً له إلا ما جادت به قريحتي، أقول له يا أسامة:

في سبيل العز شامة ... لله درك يا أسامة
شامخاً كالطود فينا ... ما حنى للكفر هامة
لقَّن الباغين درساً ... شاهراً فيهم حسامه
معلناً صوتاً يدوي ... ليس للكفر شهامة
ليس للباغين عهدٌ ... كيف والبغي تنامى
لسنا نرضى اليوم ذلاً ... أو نطأطئ كالنعامة
نحن في الحرب أسودٌ ... لسنا نرضى بالسلامة
بل إلى الجنَّات نمضي ... نبذل الروح علامة
عصبةٌ لله قامت ... ما ترى فيها السآمة
نكَّست رايات كفرٍ ... أعقبت فيهم ندامة
فاعتلى فيهم صياحٌ ... أوقفوا زحف أسامة

قد غدوت اليوم رمزاً لله درك يا أسامة).

قال أيضاً [١]: (الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بداية أشكركم على طرح مثل هذا الموضوع المهم، علماً بأن مداخلتي ستكون مختصرة في ست نقاط:

أولاً: إن الموضوع الذي تطرحونه في هذا الاتجاه يعتبر من أهم المواضيع التي تحتاجها الأمة في مرحلتها المعاصرة حيث إن أزمتها أزمة قدرات ونماذج، وأسامة بن لادن يعتبر النموذج المتميز في الطريق الصحيح للخلاص من حالة التردي والتبعية التي تعيشها الأمة.

ثانياً: نحن في تأييدنا للمجاهد أسامة بن لادن لا ننطلق من شعور عاطفي، بل منطلق عقدي شرعي، حيث أن ما يدعو إليه وينادي به ويسعى من أجله يعتبر مطلباً شرعياً ملحاً لا يجوز للأمة بأي حال من الأحوال التأخر في الاستجابة له والعمل على تحقيقه.

ثالثاً: نحن نعتقد اعتقاداً جازماً أن الكفر العالمي المتمثل باليهود والنصارى وعلى رأسهم أميركا رأس الكفر وإمامه، نعتقد أنهم يمارسون الاحتلال الحقيقي لبلاد المسلمين، ونهب خيراتها، وتغريب أبنائها، وممارسة جميع أنواع التعاملات غير المشروعة في سبيل السيطرة وبسط النفوذ، وما يمارسه اليهود ضد أهلنا في فلسطين دليل واضح على ما نقول، فهم يمارسون القتل والتشريد وهتك الأعراض وهدم البيوت، القصف، العشوائي على الأبرياء العزل، فكيف تجيز الأمة لنفسها القعود عن النصرة؟!

---

[١] مداخلة له في برنامج الاتجاه المعاكس، حلقة بعنوان (ابن لادن واليأس العربي والخوف الأمريكي) بتاريخ ١٤٢٢/٤/٢٠هـ الموافق ٢٠٠١/٧/١٢م أي قبل أحداث سبتمبر بـ٦٣ يومًا.

رابعاً: أخي الكريم، وهو المهم في مداخلتي هذه: أن أميركا اليوم تحتل جزيرة العرب من أدناها إلى أقصاها، وهو مصادم للنصوص الشرعية الآمرة بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح عن ابن عباس: ((أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)).

خامساً: وبناءً على هذه النصوص التي لا تخفى على مسلم يكون قتال الأميركان ومن معهم واليهود ومن شايعهم فرض عين على المسلمين، أقول: فرض عين على المسلمين، وقتالهم واجب وجوباً لا هوادة فيه حتى يخرجوا من جزيرة العرب ومن جميع بلاد المسلمين التي يحتلونها، وقد أجمع – أخي الكريم – علماء السلف والخلف – ولم يخالف في هذا أحد من العلماء – على أن الجهاد يتعين على المسلمين في حالات ثلاث ومنها: إذا دخل العدو بلاد المسلمين. فكيف واليهود والنصارى يعيثون فساداً في أقدس بقاع الأرض قاطبة، أرض الحرمين، أرض الوحي والنبوة، وأرض بيت المقدس أولى القبلتين وثالث المسجدين.

أخي الكريم سادساً وأخيراً: نحن نشعر ونلمس من خلال تحركنا بين الشباب في الدعوة والتوجيه أن الشباب المسلم يعيش حالة من الرفض الشديد والانزعاج الكبير من التواجد الأميركي في الجزيرة العربية، والتدخل السافر والتأييد اللامحدود لليهود، وهم يتهامسون بينهم في كيفية إخراجهم من هذه الأرض، وهذا ظاهر في العمليات الاستشهادية التي يقومون بها، وهي لا شك من أعظم الطاعات وأفضل القربات – كما نقل ذلك أهل العلم –، فالشباب المسلم اليوم يأبى أن يطأطئ رأسه للمؤامرة الصهيوأميركية والمؤامرة العربية المكشوفة من خلال الأنظمة ضد الأمة الإسلامية، فالفتنة الحاصلة اليوم لا تزول إلا بالقتال والمدافعة، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾.

وعلى الأميركان – أخي الكريم – أن يعلموا أن أسامة هو الرمز الذي طالما بحثت عنه الأمة، والفكر الذي يحمله قد انتشر وتأصل، فلا يظنوا أن موته أو قتله سيوقف الجهاد والمقاومة، فالقضية قضية عقدية لا تتوقف على حياة شخص أو موته.

وأخيراً نقول: أن الأمة اليوم بحاجة أولاً إلى اثنا عشر ألفاً من الشباب المجاهد ينفروا لنصرة الدين، حيث قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: ((ولا تهزم اثنا عشر ألفاً من قلة)).

ثانياً: أن يؤدي تجار المسلمين بعض زكاة أموالهم في دعم هذا الجهاد المقدس ضد اليهود والنصارى، فعندها سيتحقق النصر بإذن الله تعالى بالصدق والصبر واليقين.

أخي الكريم، إن كانت هناك فقط نصف دقيقة أقول للأخ الكريم عبد الباري عطوان مع احترامنا الكبير له: أن ابن لادن لم يكن حليفاً لأميركا في يوم من الأيام، بل إن ابن لادن دعا إلى مقاطعة البضاعة الأميركية منذ عام ٨٧ في شريط موجود وموزع في السعودية، وتناقله الشباب الملتزم في جميع أرجاء الوطن العربي، ودعا إلى ضرب أميركا على رأسها هكذا صرح بالضبط، وإن من قاتل مع الأفغان ضد الروس جاء من منطلق شرعي، وإن تقاطعت المصالح فهذا ليس شأننا، النبي ﷺ قاتل الفرس وصب ذلك في مصلحة الروم، وقاتل الروم وصب ذلك في مصلحة الفرس، فالقضية هي قضية عقدية شرعية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تجير لأي طرف آخر.

وأنا أشكرك على إتاحة هذه الفرصة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

٨- في برنامج الاتجاه المعاكس السابق أيضًا قال الدكتور سعد الفقيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أولاً تصحيح.. أكرر تصحيح.. أخونا الشيخ سليمان أبو غيث ابن لادن لم يتعاون مع أميركا، وكل ما يقال عن هذا كذب ليس له أصل بتاتاً، الحقيقة أنه كان يحذر أتباعه من زمان ويبشرهم بعداوة أميركا في المستقبل، هذه واحدة.

ثانياً: هناك الكثير مما يقال عن ابن لادن ليس له أصل، كذلك أنه عاش في الغرب أو سافر لسويسرا أو سافر للمكان الفلاني، بل حتى ما يقال عن علاقة مع الحكومة السعودية و (تركي فيصل)، و (السفارة) السعودية ليس له أصل أبداً، بل بالعكس كان هناك علاقة من التوجس والشك والريبة إلى حد كبير، خاصة في نهايات فترة الجهاد الأفغاني.

عودة إلى الموضوع القضية، ليست كون ابن لادن صح أو خطأ، القضية إن ابن لادن هل هو مجرد شخص عادي أو غير عادي، يعني شخص بطل عظيم أو هو ظاهرة متكاملة، القضية كلها ظاهرة متكاملة، وابن لادن طرف من هذه الظاهرة، لا شك أن – في نظرنا – أن القضية ظاهرة كبيرة، وابن لادن رغم تضحياته الضخمة وشخصيته الجذابة وقدراته الجيدة، إلا أنه لم يكن ليكون له هذا الشأن العظيم لو لم تكن بقية عناصر الظاهرة متوفرة..

أولاً: من عناصر هذه الظاهرة أن أميركا آذت المسلمين في فلسطين وفي الجزيرة العربية، وفي العراق وفي أماكن أخيرة كثيرة من العالم الإسلامي، والأهم من هذا أنها تآمرت مع الحكام المحليين لأكل خيرات هذا المناطق وإيذاء هذه الشعوب، فصار الحنق على أميركا حنق غير طبيعي، حنق عظيم جداً، هذا العنصر الأول.

العنصر الثاني: .. المسلمين وخاصة الحكام، يعني ضربوا أمثلة عظيمة في الخيانة والذل والضعف و.. الاستمكان والتبعية للأميركان حتى حكام البلاد المقدسة، يعني هم لم يكتفوا بمجرد التبعية السياسية والاقتصادية والتآمر مع الأميركان على نهب خيرات البلد وجعلها رهينة للأميركان، بل وفروا الأرضية أرضية سياسية وأرضية أمنية وأرضية دينية للسماح للأميركان بالبقاء كجيش، كقوة مسلحة في وسط جزيرة العرب، هذا العنصر الثاني من عناصر الظاهرة المهمة التي أغاظت الناس واصطنعت في قلوبهم غيظ شديد على أميركا وعلى حكام المسلمين عموماً.

العنصر الثالث: إن الأمة، يعني بعد هذا الكلام الأمة متعطشة بشكل غير طبيعي لمن يواجه أميركا بصفتها القوة العظمى التي تواجه الإسلام وتواجه المسلمين، ولا يواجهها فقط

بالشعار والكلام، بل يثبت عملياً أنه ند حقيقي لها بـ.. يعني حتى يرد، حتى يعالج هذه الأزمة الخيانات المزمنة، المستقرة في بلاد المسلمين، هذه المشكلة – في نظرنا – هي التي أتمها أو أكملها ابن لادن، يعني ابن لادن أتى على هذه العناصر وأصبح الرجل المناسب لأن يكمل هذه الظاهرة المهمة في قضية مواجهة أميركا في الوقت الحاضر، بصفة أميركا عدو للمسلمين وفي نفس الوقت متآمرة مع الحكام المسلمين لإيذائهم ونهب خيراتهم.

ابن لادن – طبعاً – ليس له من العدد والعدة ما لدى أميركا، وابن لادن – يعني – شخص عادي كبشر طبيعي، وكما ذكرت أنت إن وزنه .. قليل وعدته محدودة ونفوذه محدود، وأنا أتوقع إن ابن لادن يعتقد أنه لا يستطيع أن يحطم أميركا، لكن ابن لادن يستطيع أن يلعب اللعبة بطريقة يستثمر بها هذه الظاهرة، ويسخر نفس قوة أميركا ضد أميركا من خلال التلاعب بأميركا نفسها، لتجييش الأمة ضد أميركا.

طبعاً أميركا بلد.. قوة عظمى ولديها من السلاح والمال والإعلام ومراكز الدراسات ما تستطيع أن تصنع به ما تريد، لكنها عندها نوع من العنجهية والكبرياء ما تعجز أن تفهم حقيقة العالم الإسلامي وحقيقة تفكير المسلمين، وهناك حاجز حضاري ونفسي ضخم جداً بين أميركا وبين المسلمين فهي في الحقيقة خدمت ابن لادن، يعني سخرها الله سبحانه وتعالى لخدمة مشروع ابن لادن من خلال تعاملها مع طريقة تعامل ابن لادن، ابن لادن لديه عدة محدودة وقوة محدودة، لكن أميركا.. نفعت في تجييش الناس ضد نفسها، ضد أميركا وضد إسرائيل وضد الحكام الذين يتآمرون مع أميركا، كيف حصل هذا؟

في نموذج كينيا وتنزانيا حينما حصل الانفجار لم تمر أيام قليلة حتى وجه الأميركان الاتهام لـ (ابن لادن)، كان بإمكان الأميركان أن يمتصوا المشكلة، وكما ذكر الأخ اللي موجود في الحلقة، كان بإمكانهم أن يتحدثوا عن قضية قتل الأبرياء وأن هؤلاء مساكين ويسخروا المؤسسة الدينية في المملكة مثلما أفتت بأن انفجار الخبر وانفجار الرياض إفساد في الأرض وقتل المستأمنين والمعاهدين، كان بإمكان هذه.. أميركا أن تتعاون مع النظام في المملكة

والحكومة السعودية وغيرها من الحكومات لتسخيرها للمؤسسة الدينية، بأن يقال هذا قتل الأبرياء وهذه جريمة، وتمتص.. يعني (...) وتمتص الأزمة وتتجاوز المرحلة وتنظر لـ (ابن لادن) كرجل متعطش للدم..

لكن الذي حصل أنها .. أن مراد ابن لادن نجح، أن أميركا ردت على ابن لادن رد عنيف، وأرسلت عشرات الصواريخ على أفغانستان والسودان، ووقف (كلينتون) بنفسه على منصة الحديث للصحافة، وكرر اسم ابن لادن ٣ أو ٤ مرات كأنه الشخص الذي آذاه، يعني كلينتون بصفته لسان حال أميركا، لسان حال الغطرسة الأميركية والكبرياء الأميركي والظلم و.. والجريمة الأميركية يقول: لقد آذاني ابن لادن، وبما أنه هو آذاني أريد أن أرد عليه..

ماذا تريد الأمة؟ الأمة المسلمة والأمة العربية التي رأت هذه الخيانات الضخمة، ورأت بالإضافة إلى الخيانات هناك من يزعم البطولة ويزعم.. الشعارات لم يفعل شيئاً، لكنها رأت الآن شخص أجبر (كلينتون) أن يقف على هذه المنصة ويكرر اسم ابن لادن عدة مرات وهو يقول: لقد آذاني ابن لادن، وأنا أريد أن أرد عليه.

لم يكتف الأميركان بذلك، بل استمروا يخدمون مشروع بن لادن، وهذا من تسخير الله سبحانه وتعالى لهم، استمروا يخدمونه، أبقوه كخطر يهددهم باستمرار وهم لا، لا هم الذين يستطيعون يعتقلونه ولا يحجمونه ولا يقتلونه، فبقي كخطر مستمر عليهم إلى أن سحبوا عدد كبير من جيوشهم هذه الأيام من عدد من الدول العربية، وأثبتوا فعلاً أن هذا الرجل لا يدعي الخطر عليهم، أدى ذلك إلى أن تتقاطر عدد كبير من الناس إلى ابن لادن بدلاً أن ينفروا أو يخوفوا من هذا الرجل، تقاطروا على أفغانستان أخذوا كل المخاطرات وتوجهوا إلى هذا المكان حتى يتدربوا في حرب إسرائيل وأميركا. هذه هي الحقيقة..

هذا وصف للظاهرة وكيف ابن لادن شخص، نعم مركزي في هذه الظاهرة لكن الأصل هو معاناة المسلمين من الحالة التعيسة والقيادات السيئة في العالم الإسلامي).

وقال أيضاً وهو يعلق على بيان الشيخ أسامة بإخراج الأمريكان من جزيرة العرب [١]: (إن الذي يتأمل الظروف التي مر بها الشيخ أسامة بن لادن على المستوى الشخصي [٢] وعلى مستوى قومه وأهل بلده وعلى مستوى أهل ملّته ورسالته الدينية لربما لا يستغرب صدور هذا البيان.

على المستوى الشخصي لم تتعرض شخصية للاستفزاز والحصار رغم المواقف النبيلة والشريفة مثلما تعرض له الشيخ أسامة بن لادن، والذين تعاملوا مع الشيخ عن كثب يعلمون أنه رجل سهل ليّن متواضع مسالم، ولقد كان الشيخ رمزًا للبذل بالنفس وبالمال، ولا يشك أحد أو يناقش بما بذله الشيخ في الجهاد في أفغانستان، ورغم قدرة الشيخ العسكرية وكثرة أتباعه المدربين فقد كف يده ويد أتباعه عن مواجهة النظام، بل ومواجهة الأمريكان خلال أزمة الخليج لأسباب وظروف تليق بتلك الفترة، ثم توقف الجهاد في أفغانستان فأحس الشيخ

---

[١] نشرة الإصلاح ٢٥ بتاريخ ٢ سبتمبر ١٩٩٦م بعنوان (بيان بن لادن الظروف والتبعات).

[٢] تعرض الإمام أسامة من الناحية المالية لثلاث صدمات أثرت على نشاطه المالي بشكل كبير: الصدمة الأولى: هي قرار الحكومة السعودية تجميد أمواله المعروفة المنقولة منها والثابتة، وذلك بعد أن علمت أن لا أمل في رجوعه بعد الخروج الأخير.

وقيمة هذه الأموال تتراوح بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ مليون دولار عند التجميد حيث وضعت تحت سيطرة جهات رسمية. هذه القيمة هي التي ترددها كثير من وسائل الأعلام حين تتحدث عن ابن لادن وتذكر قيمة أملاكه، أما الأموال التي تحت تصرفه حاليا فقضية أخرى.

الصدمة الثانية: جاءت من عجز الحكومة السودانية من دفع تكاليف المشاريع التي نفذها أسامة والتي كان أشهرها طريق التحدي الذي يربط بورسودان بالخرطوم.

ويعتقد أن ابن لادن لم يستطع استخلاص أكثر من ١٠% من الأموال التي يطالب بها الحكومة السودانية والتي ربما تجاوزت ٢٠٠ مليون دولار.

الصدمة الثالثة: جاءت من اضطراره للتخلص من عدد من الشركات التي تسرب خبرها للحكومة السعودية وإقفالها. (انظر السيرة الذاتية).

بالخطر على نفسه واستقر في السودان واقتصر هناك على نشاط تجاري وأعمال المقاولات، ولم تستطع أي جهة من الجهات المتربصة به مثل أمريكا ومصر من إثبات أي عمل عسكري أو نشاط من هذا القبيل.

وهناك وبلا مقدمات تسحب منه جنسيته بهدف تشويه سمعته وإخافته، ويتعرض بلد كامل هو السودان للحصار بسبب وجوده فيه، وتتوالى الكتابات والمقالات في الصحافة العربية والأمريكية واصفة إياه بأنه أكبر ممولي الإرهاب والتخريب في العالم!!.

على مستوى قومه وبني بلده، عاش الشيخ مع أهل الجزيرة هذه السنين العجاف، عاش معهم بقلبه ومشاعره رغم ابتعاده عنهم بجسده، ورأى كيف أحس المصلحون بالخطر وبادروا بالسعي للإصلاح وتقدموا للنظام بالخطوة تلو الأخرى أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر بأساليب غاية في اللين والأدب، وتوجوا ذلك بمشروع تفصيلي هو مذكرة النصيحة..

ومقابل ذلك شن النظام حرباً ضروسًا على كل المصلحين سجنًا وتعذيباً وتشويهاً وتشهيراً، ووقفت الدولة على قدميها بكل أجهزتها لحرب الإسلام وحرب المصلحين رغم هدوء أساليبهم وسلمية طريقتهم، وما فتئ النظام يكرر من خلال وزير الداخلية والدفاع وغيرهم من أساطين النظام عبارات التحدي والمواجهة، وكأنهم يقولون لأهل الجزيرة لا مجال لأي عمل سلمي ولا مكان للنصيحة ولا للنقد ولا للرأي وليس لكم خيار إلا السلاح.

على مستوى المشروع الذي يحمله الشيخ والذي عرف به وهو رسالة الإسلام وراية الجهاد، أحس الشيخ أن الإسلام أصبح في حالة حرب مع أمريكا، وكانت أول علامة لتلك الحرب هو ما رآه بأم عينه من دور خبيث للأمريكان وآل سعود في تحطيم الجهاد الأفغاني من خلال مشروع الفتنة الضخم بين المجاهدين، ورأى كيف أن أمريكا وهي عدوة الشيوعية تدعم النظام الشيوعي في طاجكستان للقضاء على المسلمين وتؤيد روسيا في حرب الشيشان وتمنع السلاح عن مسلمي البوسنة، هذا كله غير تشجيعها وحمايتها لإسرائيل في ضرب لبنان وضرب الفلسطينيين ومؤامرتها في قتل الانتفاضة من خلال الدويلة المزعومة، ورأى يد

أمريكا في ضرب الدعاة والمصلحين والحركات الإسلامية في الجزيرة العربية والخليج وبلاد الشام وشمال أفريقيا، كما لو كانت أمريكا تدير حملة عالمية منظمة وشرسة للحرب على الإسلام والقضاء على أهله ودعاته.

إن رجلاً مثل الشيخ أسامة وهو يرى كل ذلك في العالم وفي بلاده وأخيراً في نفسه، لا يُنتظر منه وهو صاحب السجل الحافل في الجهاد، والمعروف بتدينه وزهده رغم ما حباه الله من دنيا، لا يُنتظر منه إلا أن يُدفع في هذا الاتجاه، حتى أن العارفين بشخصية الشيخ وأوضاعه استغربوا كيف تأخر عن هذا الموقف ولم يقدم عليه منذ زمن).

وقال أيضاً [١]: (بالله عليكم، ما هو شعور المرء وهو يمتلئ غضباً من غطرسة أمريكا ويكاد ينفجر احتقاناً بسب خيانة حكامه ومتاجرتهم بكرامته ودينه، ثم يرى هذا الحصار المحكم عليه فلا يستطيع أن يفرغ غضبه ولا يفجر احتقانه؟ هل يلام حين يتطلع إلى ابن لادن ليحقق نيابة عنه كل ما تحدثه به نفسه؟ هل يلام حين يعتبر ابن لادن بطلاً أسطورياً ومخلصاً وهو الوحيد القادر على تأديب هذا الغول الأمريكي وسحق الحكام الخونة؟

وإذا كان ابن لادن يقول فيفعل وفي كل مرة يضاعف ضربته حتى تمكن أخيراً من دك البنتاجون نفسه، فهل يلام الناس بعد الغطرسة الأمريكية في قضية العراق في ترقبهم بكل حرارة الضربة الثانية لابن لادن، هذه الضربة التي يعتقدون أنها ستعلم أمريكا كيف تحترم المسلمين وتخشاهم وتحسب حسابهم؟).

٩- قال الشيخ ناصر الفهد فك الله أسره [٢]: (قول الرسول ﷺ: ((نصرت بالرعب)) فهذه ما تسمى بأعظم دولة في العالم تحشد سبعة آلاف طائرة حربية في سمائها خوفاً من الساكنين في (كهوف أفغانستان)، وتقوم بوضع (الباتريوت) و (الستينجر) حول مصالحها

---

[١] نشرة الإصلاح العدد رقم ٣٣٢ الملف العراقي.. لماذا يلومون الناس على تعظيم ابن لادن؟.

[٢] مقال له بعنوان (آيات الرحمن في غزوة سبتمبر).

على مدار اليوم، وتعلن الطوارئ خوفاً من هجمات إرهابية! أكثر من مرة، ويصاب أكثر من ربع سكانها بأمراض نفسية بعد الضربة، ولا يخرج زعيم الاختباء العالمي (تشيني) من مخبأ إلا ليدخل في مخبأ ثاني، ولا يزال مسلسل الرعب مستمراً، ونحسب أن هذا كله من إبرار الله سبحانه لقسم شيخ المجاهدين أبي عبد الله نصره الله بأن لا يهنأ الأمريكان بالأمن؛ فإن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره!.

وقول الرسول ﷺ - بالمعنى -: ((واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك)) ومن يجادل في عظمة هذه الآية؟. فإن الشيخ المجاهد أبا عبد الله أسامة بن لادن حفظه الله ونصره اجتمعت عليه الأمم من أقطارها، على اختلاف أديانهم، وألوانهم، من صليبيين، ويهود، وهندوس، وبوذيين، ومنافقين، وخونة، وغيرهم، في مشارق الأرض، ومغاربها، بجميع ما بأيديهم مما بلغته علومهم، من الأسلحة، والطائرات، والأقمار الصناعية، وأجهزة التجسس، والمراقبة، ومع أن صورته انتشرت في الأرض انتشار النار في الهشيم، فصار يعرفه القاصي والداني، والصغير والكبير، والمسلم والكافر، والرجل والمرأة، ومع هذا كله لم يعثروا له على أثر، ولا وقفوا له على خبر، ولا يدرى تحت أي سماء هو؟!.نسأل الله سبحانه أن يحفظه منهم، وأن ينصره عليهم، وأن يقر عيوننا بهزيمة أمريكا وأحلافها!).

١٠- **وقال الشيخ عبد العزيز الجربوع** فك الله أسره [١]: (يكفي الدنيا بأسرها جمالاً وجود أسامة فيها، أمريكا تحشد ما تحشد لمواجهة مؤمن واحد.. الشيخ أسامة.. حيث حشدت ما يقارب الستين دولة، وأخذت تتسول بين الدول كما صرح حلف الناتو بذلك لجمع التبرعات لتمويل الحملة ضد أسامة بن لادن، ولله دره رجل في مواجهة دولة ودولة في مواجهة رجل.

---

[١] مقال بعنوان (ابن لادن المؤمن وصناعة العزة للمؤمنين).

﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَاسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤] فأي بشرى أعظم من هذه البشرى..!! لعل الإفرازات المزعومة بعد الحدث أنستكم معاشر المؤمنين البشرى القرآنية..!!!

والسؤال الكبير: لو كان مع الشيخ أسامة رجل آخر ماذا ستفعل أمريكا اللعينة؟ وكم ستحشد من الدول لمواجهتهما..؟!!!

ويل أمه مسعر حرب لو معه رجال.!!!

كم تحدث الدعاة وكتبوا ردحاً من الزمن، وكم نظروا وخططوا، ولم نرى منهم صناعة العزة للمؤمن!! وإنما سياسة الانحناء للريح إذا واجهتك ومن ثم الانبطاح.. وما علموا أن من خر صريعاً على قامته خيرٌ ممن طمرته الريح برمالها وسفت عليه ما سفت وهو منبطح:

فلســـنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقـدامنـا تقطر الـدمـا
نفلق هـامًـا من رجـال أذلـة علينـا وهــم كــانــوا أعــق وأظــلــمــا

ابن لادن قليل الحديث جداً، ولكنه كثير الفعل.. حيث فعل ما لم تفعله الدول الكافرة المناوية لأمريكا فضلاً عن الحكومات العميلة متمثلة بالأنظمة العربية إلا من رحم الله ولا...!!

بل تتعدى هذه العزة المؤمنين لتحلق شرقاً وغرباً ويفتخر بها (المجرمون الكافرون) المكسيك، حيث ينتج أحد مصانعها قمصان (جمع قميص) عليها صورة الشيخ ابن لادن، ذكر تقرير الجزيرة نت أنها نفقة نفوقاً خيالياً، على إثره كسب المصنع ولم يخسر، كما أن المكسيكيين يعتبرون الشيخ أسامة بن لادن بطلهم الأمثل.. نقلته بتصرف والخبر موجود في الجزيرة نت.

يأتي ذلك في يوم انحدر فيه المسلمون من ذروة الجبل إلى سفحه الهابط في اتباع الغرب، ووضع صورهم، وعباراتهم على ألبستهم وألبسة أطفالهم.!

حقاً أمر عجيب، وخارق للتصورات البشرية.!!! من كان يتصور أن يصنع الكفرة ألبسة عليها صورة الشيخ أسامة بن لادن لكي تُلبس ويُفتخر به على أنه عملاق العالم أجمع، والصورة المنشودة لدى الغرب – مع تحريمنا لمثل هذا الفعل –، بل تسعى هوليود لإنتاج فيلم يروي تخطيط أسامة بن لادن لتفجير البيت الأبيض وقتل الرئيس الأميركي، والفيلم عبارة عن رواية ألفها بريطاني قبل عامين، ووصف الكاتب لاندي ماكناب الهجمات الأخيرة بالولايات المتحدة بأنها أقوى من الخيال، وأنه لم يكن ليفكر في كتابة ما حدث، وقال ما كناب إن الرواية نشرت لأول مرة عام ١٩٩٩ وأن الصفقة السينمائية أعدت مع شركة ميراماكس للإنتاج السينمائي عبر مفاوضات استمرت شهورًا.

لا أتحدث عن حرمة السينما والتمثيل ولا غير ذلك فليس موضوعه والقضية محسومة عندي، ولكن أتحدث عن العزة التي صنعها الشيخ أسامة بن لادن للمؤمنين، وفرح بها الكافرون وطاروا بها شرقاً وغرباً في وقت لم يسلم الشيخ أسامة بن لادن من الهمز واللمز حتى من رموز الصحوة المشهورين، وللأسف المرير أن يصدر منهم هذا..! ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾.

يكفي أسامة أنه الوحيد في العالم قال لأمريكا لا.. لا.

يكفي أسامة بن لادن أن الغرب الكافر لا ينشرون له أي فتوى باطنها فيه الرحمة وظاهرها من قبلها العذاب..

يكفيه أن يديه لم تتلوث بالعمالة..

يكفيه أنه لم يعن على قتل مسلم ولو بشطر كلمة – ولست ممن يؤجر عقله لوسائل الإعلام التي سرعان ما طنطنت على الحدث قائلة: قتل الأبرياء، وبعض المسلمين، النساء، الأطفال، المدنيين... إعلام خبيث يقتل الغيرة في المؤمنين والحياء في البشر، إعلام يحارب

الله صباح مساء ويسأل عن قتل الأبرياء، إنها براءة الذئاب وورع أهل العراق، إعلام يصنعه اليهود ويحتل في نفوسنا مكانة العالم المفتي ... يا أمة ضحكت من جهلها الأمم!!!

ويكفيه أنه من أغنياء الدنيا فعزف عن ذلك لله رب العالمين..

يكفيه أن العالم أجمع رماه عن قوس واحدة إلا الخُلص من المؤمنين وهم كثر ولله الحمد..

يكفيه ويكفيه... ويكفينا. الدنيا بأسرها جمالاً وجوده فيها، ويكفيها قبحاً زهده فينا.. ويكفينا. ويكفينا...!! أواه لو أجدت المحزون أواهُ!

واحرّ قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم
مالي أكتم حباً قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدولة الأمم

أخيرًا: أقول للشيخ أسامة بن لادن: قال النبي ﷺ لعثمان بن عفان رضي الله عنه: ((إن الله سيقمصك قميصاً، وإنك ستلاص على خلعه فإياك وخلعه)). وفي رواية: ((فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه)). [رواه أحمد والترمذي والحاكم في مستدركه وابن حبان في صحيحه وغيرهم كثير].. واللبيب بالإشارة يفهم.

ومن كان الله معه، والله لا يستطيعه من بأقطارها، ولو اجتمع عليه الجن والإنس وكادوا له. وفي الحديث عند مسلم: ((لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لا يضروك به إلا وقد كتبه الله عليك)).

١١- وقال الدكتور محمد المسعري [١]: (أسامة والزمن المقلوب: هالتني سابقة إسقاط الجنسية عن أسامة بن لادن، واستوقفتني تعليمات (جلالته) بمنعه من دخول البلاد بشتى الطرق والوسائل ومنها القتل، وحيرني الزمن المقلوب.

لم أجد فيما علمت سنداً شرعياً واحداً يُبيح هذه السابقة الخطيرة، فلا أسامة من المفسدين في الأرض حتى يُطبق فيه قانون الحرابة ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ...﴾ الآية. ولا هو رجل تهتف به العواتق في خدورهن وتقول:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

فيؤخذ قياساً على فعل عمر رضي الله عنه بنصر بن حجاج وإخراجه إلى البصرة.

وليس هناك على وجه الأرض فيما أعلم قانوناً مدنياً بين الأمم يُسقط جنسية موطن الأصل عن صاحبها إلا إذا كانت مكتسبة، وذلك بدواعي إساءة الاستخدام كمن يحصل على الجنسية السعودية مثلاً ثم يُضبط بجرائم تخريبية أو حدودية أو أخلاقية تتداعى معها بشروط المنح، لأن الأصل فيها الالتزام.

أما الحق الطبيعي للمواطن فلا يُسقط عنه أبداً قياساً على النسب، وأهل التشريع المدني - على علاتهم - لا يرون في النسب والجنسية إلا وجهين لعملة واحدة: الأولى يُنسب الرجل بها إلى أهله والثانية إلى أرضه أو موطنه.

وما حدث مع أسامة بن لادن أمر غاية في الخطورة، لأنه يُشكل سابقة لم يأتي بها أحد من قبل، ولم نجد لها أسانيد شرعية أو حتى مدنية تسوغها وتقضي بتطبيقها، ولا أعرف من

---

[١] نشرة لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية العدد (١٥) الأربعاء ٢ ربيع الثاني ١٤١٥ هـ الموافق ٧ سبتمبر ١٩٩٤م.

أين أتى القائمون على الأمر بهذه الألمعية القانونية ليسقطوا عن الرجل جنسية موطنه ويجعلوه في لحظة انبساط مكري (عديم الجنسية)، قياساً على سند (بدون) في الكويت المجاورة

ما هكذا تورد الإبل، وليست تلك أخلاقيات رعاية الدولة لمواطنيها، اللهم إلا إذا كانت صكوك فرعونية على شريعة ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ وهي بالضبط هكذا.

لو كان أسامة بن لادن على شريعة أخرى لزخرفوا كُتبهم بأعماله، ولو كان واحداً من آل سعود لوضعوه خلف الخلفاء الراشدين، ودقوا عليه بالطبول، لكنه رجل جاء في العصر العجيب والزمن الغريب).

وقال أيضـًا [1]: (استمات النظام (السعودي) كعادته في محاولة تجريم هاجسه الدائم لجنة الدفاع وناطقها الرسمي الدكتور محمد المسعري، وكذلك الشيخ المجاهد أسامة بن لادن، والمفكر الإسلامي أبي محمد المقدسي، وبالرغم من التعذيب الشديد للمتهمين وممارسة شتى أنواع الإكراه معهم، وكذلك بالرغم من حملات النظام الإعلامية الضخمة فإنه لم يستطع أن يزيد على اعتراف المتهمين بأنهم قرؤوا لهؤلاء وتأثروا بفكرهم.

فيا للعجب: ما بال هؤلاء لم يتأثروا بكتب وأشرطة فقهاء آل سعود وغيرهم من الجامیین التي يوزعها النظام مجاناً في الداخل والخارج بمئات الألوف من النسخ؟ ألم يدرك النظام بعد أنه أفلس فكرياً ولم يعد له قول سديد أو رأي رشيد يحترمه الناس؟ أم أنها محاولة لترويع الناس ومنعهم من الإطلاع على الجديد من الفكر الإسلامي المؤصل والمدعوم بالأدلة الشرعية حتى يبقى الناس في ظلمات التخلف الفكري الخادم لطغيان آل سعود على طريقة: (الشيوخ أبخص).

---

[1] نشرة لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية العدد (٩٧) الأربعاء ١٣ ذي الحجة ١٤١٦هـ، ١ مايو ١٩٩٦ م.

وقال [١]: (أجرت جريدة الأندبندت اللندنية مقابلة هامة مع الأخ المجاهد أسامة بن لادن في مقره الجديد بأفغانستان، أكد فيها أن الوجود المسلح الأمريكي خاصة والغربي عامة غير مشروع، ولا يمكن القبول به في أية حال من الأحوال، واعتبر هذه القوات في حالة حرب مع المسلمين، وأنها تقوم بقتل أطفال المسلمين في العراق وفلسطين، ونصح الجميع بالرحيل قبل فوات الأوان، وبين أن العداء والقتال ليس لشعوب الغرب، وإنما هو للطغم الاستعمارية والصهيونية المتسلطة هناك.

ومع أن المحللين السياسيين اعتبروا هذه التصريحات صادرة من سياسي حكيم، لا علاقة له بالتفجيرات السابقة، إلا أنها في نفس الوقت تعد إنذاراً وتحذيراً بقرب إعلان الحرب من قبل المسلمين، وبالأخص أولئك الذين ينظرون إلى الأخ أسامة على أنه زعيمهم، وهم أغلبية المجاهدين العرب، الذين شاركوا في الجهاد الأفغاني).

وقال بعد غزوات نيروبي ودار السلام [٢]: (ما زال الهلع والذعر يسيطر على قوات الاحتلال الأمريكية، خاصة بعد أحداث نيروبي ودار السلام، فقد قامت القوات بنقل مئات من الجنود من مواقع في أطراف الرياض إلى قاعد الخرج الحصينة التي تم مؤخراً بناء عشرات الفلل، ومئات الشقق فيها.

السؤال هو: ما مدى الأمن في قاعدة الخرج الحصينة؟

ومن ناحية أخرى فقد بدأ الشباب الإسلامي بتلقيب الشيخ المجاهد أسامة بن لادن بخالد بن الوليد وهو إن شاء الله أهل لذلك.

---

[١] نشرة اللجنة العدد (١٠٦) الأربعاء ١ ربيع أول ١٤١٧هـ ١٨يوليو ١٩٩٦ م.

[٢] نشرة اللجنة العدد (١٤٩) الأربعاء ٠١ رجب١٤١٩ هـ، ٢١أكتوبر ١٩٩٨م.

نسأل الله أن يحمي الشيخ من الأصدقاء المغفلين والمشايخ الظلاميين الجامدين، الذين تغص بهم أفغانستان وباكستان!

أما الأعداء، وفي مقدمتهم الطغم الحاكمة في باكستان والسعودية وكلاب أجهزة مخابراتهم، فشأنهم ميسور بإذن الله).

١٢- وقال عنه الشيخ أحمد ياسين: (إنه مؤمن مجاهد حُر).

١٣- وقال عنه مجاهدو جبهة كشمير: (هو نصيرنا بعد الله والسبب في بقاء جذوة الجهاد ضد الاحتلال الهندوسي).

١٤ - قال عنه خطاب رحمه الله أمير المجاهدين العرب في الشيشان: (إنه أخونا في الإسلام، إنه واسع المعرفة، ومجاهد وهب ثروته ونفسه من أجل الله، إنه أخ مخلص، وهو على العكس تماماً مما يتهمه الكفار وغير المؤمنين، إننا نعلم مكانته عند المجاهدين في أفغانستان وأماكن أخرى في العالم، وما يقوله الأميركيون غير صحيح، وعلى كل حال فإن من واجب جميع المسلمين مساعدة بعضهم البعض من أجل رفع شأن الدين الإسلامي، إن أسامة بن لادن هو أحد علماء الجهاد الرئيسيين، كما أنه قائد أساسي ومعلم للمجاهدين في شتى أنحاء العالم، لقد حارب عدة سنوات ضد الشيوعيين في أفغانستان ويخوض اليوم حرباً ضد الإمبريالية الأميركية).

١٥- وقال الشيخ حامد بن عبد الله العلي [١]: (وأما من يفكر أن يقاومها بالسنان (أي أمريكا وإسرائيل) فإنه يُرقم اسمه في لائحة الشرف، في قاعة ابن لادن، وهي غرفة

---

[١] مقال بعنوان (قاعة ابن لادن.. وقاعدة الجهاد).

(BIN LADEN ROOM) في مقر وكالة الاستخبارات الأمريكية في (لانغلي)، والتي خصصت للمعلومات المتعلقة به، بعدما تكدست تلك المعلومات إلى درجة غير عادية.

وكل قاعات الاستخبارات العربية المخصصة لمتابعة الرافضين لتلك الخطة، هي بمثابة فروع لتلك القاعة في (لانغلي)، تمدها بالمعلومات اللازمة لاستكمال عمليات القضاء على الجهاد، من أجل أن يستوي الإمبراطور بوش، وبين يديه حاخامات اليهود على عرش العالم!

وواضح أيضاً أن المشروع ينطلق الآن بسرعة مبشرًا بنجاح أكثر من باهر (للإمبراطور) بوش، ولن يعيق نجاح هذا المشروع في نظر الأمريكيين إلا ثلاثة عوامل:

الأول: فشل الاحتلال الأمريكي في العراق، وهو إلى الآن آيل للسقوط، بفعل المقاومة المسلحة المتصاعدة في العراق، والتخبط الأمريكي في إدارة شؤون البلاد.

الثاني: فشل وهم خارطة الطريق وسقوط مشروع (أبو مازن) برمته، وهذا الوهم قد ولد ميتاً أصلاً، وسوف تحترق جثته وسط نيران الجهاد الفلسطيني قريباً.

الثالث: عودة تحدي حركة طالبان كقوة جهادية متصاعدة في أفغانستان، الأمر الذي تناقلته الأنباء، وبشرت به الركبان.

ولا ريب أن أعظم خطر يواجه الأمة الإسلامية اليوم، وهو نجاح هذا المشروع الأمريكي (مشروع خارطة الطريق الكبرى).

ومع يقيننا التام أنه مشروع فاشل قطعاً، وأن جميع الملفات من قاعة بن لادن في (لانغلي)، ستنقل من هناك قريباً إن شاء الله تعالى، ويوضع مكانها ملفات الفشل الذريع والمتواصل لبوش وإدارته ليستفيد الرؤساء القادمون منها درساً واحداً يكتب على باب الغرفة من خارجها: كفوا عن أحلامكم بمحو الإسلام، لأنه ستتكسر على صخرة الجهاد الإسلامي.

غير أن هذا المشروع الجهنمي لن يوقفه خشيته كخشية الله أو أشد خشيه ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

ولا الركون إليه ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾.

ولا مداهنته ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾.

ولا وضع الثقة في الزعماء المنافقين الذين هم جزء منه ﴿وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾.

بل سيوقفه قاعدة الجهاد في القرآن..

بصيرةُ أولي الأبصار في إسلام: ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.. وفي الإحاطة بكيد الأعداء.. وفعلُ أبي بصير فيهم.

١٦- ويقول أبو العباس عبد العزيز الزهراني رحمه الله في وصيته التي بُثت على قناة الجزيرة: (جزى الله كل من دربني في هذا السبيل، وكان سبباً في هذا العمل الجليل، وأخص بالذكر القائد المجاهد الشيخ أسامة بن محمد بن لادن حفظه الله ورعاه من كيد الكائدين، وحسد الحاسدين، وحقد المغرضين، وعسى الله أن يجعل هذه الأعمال في ميزان حسناته، ويجزيه عنا خير الجزاء:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس).

١٧- **ونقل الشيخ عمر عبد الحكيم (أبو مصعب السوري)** هذه المواقف والأقوال لبعض علماء الأفغان نصرهم الله [١]: (لما جاء الشيخ بن لادن نزل في جوار يونس خالص، ثم دخل الطالبان جلال أباد وهو فيها، وقد شهدت بنفسي مجلساً وكنت قدراً ضيفاً زائراً للشيخ أبي عبد الله، فدخل بعض كبار الطالبان ومنهم وزير ومسؤولون، وأسمعوه وأسمعوا العرب الجالسين كلاماً في الجوار والحمية ذرفت له العيون تأثراً، فمن قائل أنتم المهاجرون ونحن الأنصار، حتى قال قائل في آخر الجلسة وكان وزيراً: لا نقول أنتم ضيوفنا ولا نقول نحن خدم لكم بل نقول نحن نخدم التراب الذي تمشون عليه.

وسمعت من الشيخ يونس خالص وهو من شيوخهم كلاماً عجيباً في إحدى الجلسات يقول بعربيته الجيدة وبلكنة أعجمية ثقيلة لأبي عبد الله: أنا لا أملك إلا نفسي وهي عليّ عزيزة جداً، ولكن نفسي دون نفسك، ونحري دون نحرك، وأنت في ضيافتنا، ولا يصل أحد إليك، وإذا حصل من الطالبان شيء أخبرني، رغم أني إمكانياتي بعد وصولهم قليلة ولكن أبذل وسعي [٢].

وحضرت مجلساً في زيارة لكابل زرنا فيه الشيخ إحسان الله إحسان رحمه الله، وكان خطيب الطالبان ومسؤول بيت المال، وكان ثالث أهم شخصية فيهم بعد ملا عمر، وهو ملا كبير وعالم يشار إليه في أفغانستان، وكان العدو الأول لأمريكا والسعودية في الطالبان وذلك لما رد عليهم معرضاً بأمريكا مرة بشدة، فأرسل له السفير السعودي سلمان العمري

---

[١] أفغانستان والطالبان ومعركة الإسلام اليوم (٢٦ - ٢٨).

[٢] حين أرسلت دولة آل سعود المرتدة سفيرها في إسلام أباد للضغط على حركة طالبان لتسليم الشيخ أسامة بن لادن ورفضت الحركة رفضاً باتاً. قال الشيخ يونس خالص للسفير أنه مستعد لتحمل تبعات كل أعمال منسوبة للشيخ أسامة بن لادن، وعلق الشيخ يونس في معرض رده على السفير: أننا لا يمكن أن نسلم الأنعام إذا استجارت بنا قادمة من بلاد الحرمين فكيف بشيخ مجاهد ذا تاريخ حافل في أفغانستان.

يقول له: إن من يعادي أمريكا في هذا الزمان لا يستطيع العيش في الأرض، فأجابه إحسان الله في رسالة أرسلها إليه يقول: (سعادة سفير السعودية، لقد قرأت القرآن والحديث الشريف مرات ورأيت كل أفعال الخالق. الرازق. المحي والمميت. الضار النافع منصرفة إليه تعالى وليس لأمريكا ونحن لا نخشى إلا الله)، فكانوا يكنون له عداءً شديداً، وكنت على إفطار في مكتبه في القصر الجمهوري ذات مرة وكان جالساً على الأرض بين الكتب العلمية الشرعية من تفاسير وسنن وأصول، فحدث الشيخ أسامة حديثاً بكى فيه عدة مرات وأبكى كل الحاضرين، وأتذكره رحمه الله وقد قتل في مذبحة مزار شريف الشهيرة على يد ميليشيات الأوزبك والشيعة، يقول مذكراً بالمثال يروي كيف قالت أم المؤمنين خديجة للرسول ﷺ: "والله لا يخزيك الله أبداً؛ لأنك تنصر المظلوم، وتطعم المسكين، وتعين على نوائب الدهر". وقال للشيخ بن لادن: فوالله كذلك، لا يخزيك الله إن شاء الله أبداً؛ لأنك نصرت المظلومين وجاهدت مع المستضعفين. ثم وضع يده على ردائه واستعبر وبكى بشدة حتى علا صوته.

ثم قال الشيخ إحسان للشيخ بن لادن أقول: ما قال ورقة بن نوفل للرسول عليه الصلاة والسلام: "يا ليتني كنت جذعاً إذ يخرجك قومك. قال: ((أو مخرجي هم؟)) قال: لم يأت رجلٌ بمثل ما أتيت به إلا عودي". يعرض بضعفهم عن إمكانية نصرة بن لادن كما يجب.

ثم زرته رحمه الله في مكتبه في القصر الجمهوري، من أجل الحديث معه حول قضية الأمم المتحدة، وكنت وحدي وأبو خالد صاحبي ومعه بعض المسؤولين والموظفين في نفس المكتب جالساً على الأرض (وهي عادة يلتزم بها أمراء الطالبان ووزراؤهم كي لا يجلسوا على كراسي الكفرة والظلمة السابقين، بل يتركون المكاتب الفاخرة خلفهم مهجورة، وهي لفتة رائعة منهم)، وأخذنا الحديث، وكنت أجمع مادة لتقريري الأول عن الطالبان، فأشار إلى كرسي وراء مكتب قديم خشبي فاخر ولم أره جلس عليه، فقال لي: انظر هذا الكرسي جلس عليه الملك ظاهر شاه ثم أخرجه الله مهاناً مخلوعاً لما لم يقم بأمره، ثم جلس عليه داود ونزع من عليه مقتولاً، ثم حفيظ الله ثم بابراك (وعدهم واحداً واحداً يذكر مصارعهم ونهايتهم)، إلى نجيب الله الذي خرج على أيدينا مشنوقاً بعد حين، ثم جلس عليه رباني زعيم المجاهدين ثم

هرب ذليلاً مخلوعاً، وها نحن دخلنا الحجرة وجلسنا عليه، ووالله إن لم نقم بحق الله ليخرجنا الله كذلك إما مقتولين أو أذلاء مخلوعين. وبكى بكاءً شديداً رحمه الله.

ثم علمنا بعد ذلك بمقتله في مزار شريف على يد الشيعة والشيوعيين، وقيل أنهم أسروه وأعدموه على قبر أحد زعماء الشيعة الروافض الذين قتلهم طالبان وهو (مزاري)، وقيل أنه قتل أثناء المعركة في مزار فنسأل الله له الشهادة وواسع الرحمة والمغفرة).

أقوال المشاهير والمثقفين في الإمام أسامة بن لادن

١- قال الدكتور محمد عباس[١]: (خذلناك يا حبيبي.. خذلناك..

لم نكن في مستواك..

كنت أشاهد الشريط الأخير في التلفاز يوم الأربعاء الماضي فهزني الروع والخوف إذ أتابع هالة النور والإيمان حول وجهك فأكاد أصرخ: هذا هو الإسلام الذي نزل على محمد ﷺ.. هذا هو الإيمان حقا.. فماذا نحن إذن.. ماذا نحن.. ماذا نحن.. ماذا نحن.. وكيف نظن أننا مؤمنين!!

خذلناك..

خذلناك وأنت نور الحق السابغ علينا من عصر النبوة.. فخذلنا النبوة..

خذلناك وأنت طهر الصحابة القادم إلينا من عصر الصحابة.. فخذلنا الصحابة..

خذلناك يا إمام وأنت فخر الأئمة..

خذلناك.. وسوف يكتشفون بعد عام أو بعد ألف عام أن منهجك هو الصواب وأن طريقك هو الصحيح.. لا لمجرد الفوز بالآخرة فقط.. بل للمحافظة على الدنيا أيضا..

لكننا على الرغم من ذلك خذلناك..

خذلناك فلم ننصرك.. ولم ننصر الله.. فأنى ينصرنا..).

وقال أيضاً: (جاء الفاروق أسامة بن لادن ليضع الفارق بين عهدين.. وبين زمنين.. وليشكل علامة فارقة ينهض بعدها المسلمون بعد طول انهيار).

---

[١] مقال بعنوان (أسامة بن لادن رضي الله عنه الويل لأمة خذلتك).

وقال أيضاً: (وكان أسامة بن لادن هو الفاروق الذي ميز بين فسطاطين: إما إيمان وإما كفر.. وربما كان يوجد في العالم الإسلامي قبل ١١ سبتمبر من يلتمس بعض الأعذار للحكام، لكن الفاروق أتى فكشف العورات جميعاً، وكشف فيما كشف، أن الإسلام دين شامل، ليس فيه شيء لقيصر.. دين شامل، كان من أكبر الأخطاء التي وقع فيها فقهاؤه أن قسموا الفقه إلى فقه عبادات وفقه معاملات، حتى جاء فاروق العصر فأعاد الصورة إلى ما كانت عليه حيث كل المعاملات عبادة، وأنه لا يجوز لمسلم أن يكون له في حياته ما يخرج عن إطار عبادة الله الواحد القهار..

فالجهاد عبادة، والتقدم الحضاري عبادة، وامتلاك السلاح النووي عبادة، ونشر مكارم الأخلاق عبادة..

وبرامج التلفاز يجب أن تكون عبادة لا عهرا، والصحف والمجلات لا ينبغي أن تكون نجاسة بل طهرا..

نعم .. فالصدق عبادة، والشرف عبادة، والعدل عبادة، والسعادة عبادة، والقضاء على أعداء الله أيضًا عبادة..

بهذا التصور فإن الغرب – وعبيده وغلمانه – محكوم عليه بالهلاك حتمًا.. نعم.. محكوم عليه بالهلاك حتمًا حتى لو لم تتحطم منظومته الأخلاقية، فأنى له أن يتصدى لأمة كل حياتها عبادة؟!..).

٢- قال الكاتب المعروف على الشبكة العنكبوتية لويس عطية الله: (أبو عبد الله يمثل لي رمزاً لكل المعاني الفاضلة في الحياة.. هو رمز للرجولة.. ورمز للشهامة.. رمز للعزة.. ورمز للتضحية.. رمز للبذل في سبيل الله.. رمز للمؤمن الذي يسبق فعله قوله.. والله حسيبه..).

٣- وقال عبد الباري عطوان [١]: (ابن لادن مثقف وليس استعراضياً: (الجزيرة نت: نأتي إلى السؤال عن ابن لادن، هل رأيت في مقابلتك معه المثقف الذي يحمل الهم؟ هل في رأيك بتغييره للخريطة الثقافية في العالم العربي - إن لم يكن في العالم أجمع - كان يتبنى مشروعاً ثقافياً نهضوياً لأمته العربية الإسلامية؟.

عبد الباري عطوان: الشيخ أسامة بن لادن مثلما شاهدت وعشت معه في الأيام القليلة في كهوف تورا بورا لمست أنه إنسان على درجة كبيرة جداً من العلم فيما يتعلق بالشريعة والفقه والتفسير، حقيقة هذا الرجل على ثقافة إسلامية ومحب للشعر لحد كبير، بالإضافة إلى أنه قارئ جيد ومتابع حاضر للصحافة وللثقافة، وإن كانت الثقافة الإسلامية - كما ذكرت - تغلب عليه حتى في كهفه في تورا بورا، أغلب عيون الكتب التراثية موجودة لديه.

يمكنني أن أقول إن الشيخ أسامة بن لادن ممتع وعميق ثقافياً بتواضع طبيعي غير مصطنع، فهو لا يستعرض بثقافته بل تلمسها قبسات سريعة في شكل حوار عادي، وذلك ما كنت ألاحظه حينما أتمشى معه حوالي الساعتين في كهوف باردة).

وقال أيضاً: (أولاً اكتشفت أن الرجل على درجة عالية جداً من التواضع الطبيعي، يعني بطبعه متواضع، والرجل مؤمن بكل كلمة يقولها، ولا يكذب ولا يبالغ ولا يجامل، ولا يحاول حتى أن يخفي شيئا، فما في قلبه على لسانه، وساحر في حديثه، صوته خفيض وفيه دماثة وفيه خلق، وتستطيع - وقد مكثت يوماً كاملاً معهم - تشعر بالدماثة والخلق والطيبة والتواضع الأصلي وليس التواضع المبالغ فيه أو المصطنع.

---

[١] لقاء مع الجزيرة نت بتاريخ ٢٩/ ١٠/١٤٢٣هـ.

رجل يريد الآخرة ويعتقد حقيقة أنه عاش أكثر من اللازم، ويشعر بحسرة في داخله وهو لم يعبر عنها، أنه لم يستشهد عندما كان يقاتل السوفييت أو الشيوعيين، أو الكفار.. ويقول لك لماذا أعيش؟).

وقال أيضاً: (لمست أن الرجل يملك رؤية، ورؤية تنطوي على استراتيجية من نوع خاص، استراتيجية تتعلق به وبمنظوره للمنطقة، وأول خطوة في هذه الاستراتيجية هي أن الإدارة الأمريكية والقوات الأمريكية التي يرى أنها قوات احتلال للخليج والجزيرة العربية مقدمة لهيمنة إسرائيلية يهودية شاملة على المنطقة ونهب خيراتها وإذلال المسلمين فيها، وهذا ما تلمسه كجوهر عقيدته واستراتيجيته، وهو يعتقد أن الأولوية الأولى هي التخلص من هذه القوات الأمريكية في المنطقة العربية ثم إصلاح الأنظمة أو تغييرها بالأحرى، ومن يستعصي على الإصلاح يجب أن يغير، وأن تطبق الشريعة مثلما يجب أن تطبق وان يقام النظام الإسلامي العادل في الدول الإسلامية والدول العربية على وجه التحديد ودول الجزيرة بشكل أخص.

هذه هي استراتيجية أسامة بن لادن، وهو الآن مثلما قال لي لا يريد أن يقاتل الأنظمة ولكنه يريد أن يحارب الأمريكان الذين يحمون هذه الأنظمة.

وقال في برنامج الاتجاه المعاكس: (إذا استمر هذا الإذلال والإهانة للشعب الفلسطيني وللشعب العربي – أنا لا أستغرب أنه يكون لـ (ابن لادن) قواعد في داخل فلسطين المحتلة، وإن شاء الله يصير.. يا رب.

وقال أيضاً: (أنا ابن لادن قال لي: أقسم بالله إنه أنا عايش أكثر من اللازم، أنا يعني كانت أمنياتي إني أستشهد وأقابل ربي قبل.. قبل عشر سنوات حتى، يعني أنا عشت أكثر من اللازم، و.. بدي أموت بس أعطوني.. أعطوني جبهة أموت فيها.

نفس الشيء اللي حواليه، الناس بيقول لك إحنا عايزين نستشهد، إحنا عايزين.. ما بدناش الدنيا هذه متاع الدنيا هذا، بدنا نقابل ربنا.

طب، يعني لا معاطينهم الفرصة، لا مساعدينهم، لا مخلينهم يرجعوا، طب كمان هذا مش ظلم؟ هؤلاء الأبطال اللي كانوا في نظر خطباء المساجد، وين خطباء المساجد اللي كانوا "تبرعوا لإخوانكم في أفغانستان.. المجاهدين العرب"؟ وين الصحافة الخليجية اللي كانت تحطهم هاذولا مانشيتات وتحط صورهم وتشيد ببطولاتهم؟ ليش الآن تحولوا إلى إرهابيين في هذه الصحافة، وتحولوا إلى إرهابيين في الصحف العربية؟ كما، إحنا مش لازم نسأل هذه الأسئلة؟).

وقال أيضاً وهو يعلق على شريط أبي العباس الجنوبي عبد العزيز الزهراني رحمه الله بعد سماعه لكلام الشيخ أسامة: (اللي يعني لفت نظري فيها إنه تحدث عن هؤلاء، كما لو أنهم يعني قادة سرايا الجهاد في صدر الإسلام في أيام الفتوحات الإسلامية، يعني قدمهم بشكل جميل جداً وبشكل مؤثر جداً، بهدف الحديث إلى الشباب الإسلامي، الحديث إنه ها هم النماذج الجديدة في الإسلام وليسوا أولئك مثلاً الذين يرقصون في الملاهي ويستمعون إلى الطرب الخليع وما شابه ذلك، الشباب نموذج الإنسان المسلم هو هذه الكوكبة من الشباب حسب ما قسمها إلى أربع سرايا.. سرية المهندس عطا مثلاً اللي سماه الأمير، مثلاً سرية زياد الجراح، سرية مروان الشحي، هاني حنجور، كمان يعني فيه شيء درس أو موعظة أو تعبئة لشباب الإسلامي، هذه الملاحظات السريعة.. لكن أهم شيء في تقديري هو أن أسامة بن لادن.. الشيخ أسامة بن لادن يريد أن يقول للأميركان وللغربيين وللأنظمة العربية حتى: إنه أنا ما زلت قوياً، ما زلت حياً، ما زلت قادراً على مخاطبة الشارع العربي والشارع الإسلامي بطريقة هي الأقرب إلى عقلية هذا الشارع ومشاعره، خاصة في هذا الوقت الذي يتعرض فيه العرب والمسلمين إلى هجمة شرسة من قبل الولايات المتحدة الأميركية).

٤ - **وقال منتصر الزيات** المحامي المصري والذي يخالف المجاهدين في كثير من الأمور: (غاب أسامة لظروف قاهرة ولكن.. لم غابت الجماعات الإسلامية؟ اعتدنا في مثل هذه الخطوب والنوازل أن نسمع صوت أسامة بن لادن يزمجر، يحذر ويثير حماسة الأمة.. كنا نسمع صوته فنختلف حوله، الكثرة الغالبة من الشعوب العربية والإسلامية كانت تنحاز

إليه.. رغم كونه مطارداً مستهدفاً.. كانت تلك الجموع المنتشرة في أنحاء المعمورة شرقاً وغرباً تأنس إليه وتجد الطمأنينة في كلماته.. تبحث عن النصرة في لغة التحدي التي يجيدها.. تجد العزاء في بضع عبارات تملأها بالوعيد والتهديد للطغاة.

والذين خالفوه انقسموا شطرين، فيهم كارهون له ولمرجعيته، وفيهم مخالفون لطريقته ومنهجه، لكن حينما غاب صوته عن حرب الغزاة الأمريكان على العراق افتقدناه جميعاً..

نفتش عنه عبر صفحات الإنترنت.. نفتش عنه عبر شاشة قناة الجزيرة..

وا إسلاماه.. لكم نحب سماعها منك الآن يا أسامة..

وا عراقاه.. اهتفها في القلوب الحائرة أبا عبد الله..

أيها الناس: كان أسامة أبعد نظراً منا جميعاً، كان يحذر من أجندة سرية للأمريكان في بلادنا، كان يبشر بنواياهم في نفط المسلمين.

كان أسامة يقول: (جاء الأمريكان ليبقوا حيث نزلوا من أرض العرب، ولن يخرجوا إلا جبراً بالجهاد)، ونزيد على قوله فنقول: بغير أحداث سبتمبر كانوا سيغزوننا.

أيها المسلمون.. فتشوا في الأجندة السرية للأمريكان في حربهم الظالمة ضد العراق والرغبة في احتلالها.

غاب أسامة لظروف قاهرة، ولكن.. لم غابت الجماعات الإسلامية؟

لم غابت الحركة الإسلامية؟ إلا من بعض هتافات باردة ومنظمة!! هنا أو هناك..

أين الاستشهاديون؟.

أين المجاهدون...).

٥ - وقال الروائي المصري جمال الغيطاني [١]: (إن أسامة بن لادن رسم لنفسه في وجدان الرأي العام العربي صورة مماثلة للثائر الأرجنتيني تشي جيفارا الذي أصبح بطل الثورة الكوبية ورمز مقاومة الإمبريالية الأميركية).

وأضاف الغيطاني: (إنها صورة رجل يتخلى عن الثراء وينتقل إلى الجبال من أجل القتال).

وأضاف: (أن العديد من الشبان في الدول العربية يقومون بإجراء مقارنة بين ابن لادن وتشي جيفارا).

وأوضح (أن الهالة التي تحيط بابن لادن الذي ينتمي إلى عائلة شديدة الثراء أن جيفارا تخلى عن وضع مريح أيضا لحمل السلاح).

وقال الغيطاني: (إن بن لادن صار بطلاً وخصوصاً لدى شبان الطبقات المتوسطة التي تزداد فقراً ويشعرون بأن لا مستقبل لهم ويهاجمون الظلم والديكتاتوريات.. ليس هناك من مستقبل للشباب في العالم العربي).

وأضاف الغيطاني: (أعارض الإرهاب بشكل كلي وأرى أن ابن لادن يمثل خطراً كبيراً على المستقبل.،كما أنه يعتبر المسيحيين كفاراً مما يعتبر مخالفاً للإسلام والقرآن) [٢].

وتابع: (لكن المشكلة تكمن في تمتعه بشعبية واسعة، وكلما اشتد التوتر كلما ازداد عدد أتباعه من الشبان، وإذا قتلته الولايات المتحدة فإن عدداً من الشبان سيصبحون ابن لادن بدورهم).

---

[١] انظر موقع الجزيرة نت على الشبكة العنكبوتية.

[٢] الله سبحانه وتعالى هو الذي سمى النصارى كفاراً وليس أسامة بن لادن!!!.

٦ - **وقالت الصحفية نجلاء بدير** من مجلة (صباح الخير) المصرية إنه يتملكها (شعور بأنه رجل حقيقي ومناضل حقيقي، فهو على حق، يجب ألا يشعر الأميركيون بالأمان طالما أن الفلسطينيين لا يشعرون به).

وأضافت (منذ أكثر من ١٢ شهراً نكتفي بالإعراب شفهياً عن تعاطفنا مع الفلسطينيين، وابن لادن هو الوحيد الذي فعل شيئاً لهم).

٧- **وركزت صحيفة (الوفد)** القاهرية المعارضة على فكرة المناضل الذي يتخلى عن كل شيء لحمل السلاح، وهو أمر أشار إليه طلاب جامعة القاهرة أثناء تظاهراتهم المعادية للأميركيين.

وكتبت الصحيفة تقول: (كان لدى ابن لادن الشباب وملايين الدولارات، كان بإمكانه امتلاك القصور في أجمل بقاع الأرض وطائرات خاصة ويخوت فخمة وفتيات جميلات، لكنه تخلى عن كل شيء للذهاب إلى أفغانستان).

٨- **قال الشاعر الإيراني رضا براهيني** المقيم في كندا [١]: (إن نموذج أسامة بن لادن عاش سنوات طويلة مختبئاً في كهوف الأدب العربي والفارسي والأوردي والتركي، وتخيله الروائيون في المنطقة قبل زمن بعيد من ظهوره الحقيقي على أرض الواقع).

ويعتقد براهيني: (أن أدب الشرق الأوسط الذي يعد غامضًا إلى حد كبير لبقية العالم، كان من الممكن لو ترجم كثير منه إلى الإنجليزية، أن ينبه المجتمع الدولي قبل وقوع هجمات ١١ سبتمبر على الولايات المتحدة.

---

[١] انظر موقع الجزيرة نت على الشبكة العنكبوتية.

وقال براهيني الذي صنفته مجلة هاربر عام ١٩٧٧ كأفضل شاعر إيراني معاصر: (إن كثيراً من الروائيين في المنطقة يعرفون من يكون ابن لادن وطبيعة الظروف الروحية والفكرية والاجتماعية والسياسية التي أفرزت تلك الظاهرة).

وأشار الشاعر الذي يرأس فرع رابطة القلم الدولية في كندا إلى بعض الأعمال الأدبية الإيرانية التي تحدثت عن (الذئب قاتل الأجنبي) والتي يعتبرها تنبأت بظهور ابن لادن، وقال: (إن الروائيين في المنطقة رصدوا نموذج شخصية ابن لادن قبل فترة طويلة من ظهوره على مسرح الأحداث).

وتابع: (في قصة أسطورية كتبت قبل ٣٠ عاماً وأصبحت لاحقاً الجزء الافتتاحي من رواية طويلة لمؤلف إيراني، كان هناك ذئب قاتل للأجانب، قتل في أوائل القرن الماضي جندياً بريطانيا ثم روسيا وأخيراً عريفاً أميركيا).

ويعتقد براهيني الذي ألف أكثر من ٥٠ كتاباً معظمها باللغة الفارسية: (أن الأدب يمكن أن يقدم صورة دقيقة لواقع الأمور تفوق قدرة شبكة تجسس. وقال :إن العين الثالثة للكاتب غالباً ما تستشرف التاريخ قبل تحققه في الحاضر).

٩- قال محمد حسين فضل الله أحد مراجع الشيعة [١]: (أن شخصية ابن لادن توحي بالكثير من الإعجاب بتضحياته وزهده بالدنيا رغم توافرها بين يديه، وتبدى عنفوانه بأعمال عنف حتى خيل أنه إسقاط لعنفوان القوة الكبرى أميركا، وحولت الحماسة التمنيات إلى واقع، وهكذا استطاع هذا الرجل أن يحصل على الإعجاب والتأييد في العالم الإسلامي

---

[١] كتاب (المدنس والمقدس.. أميركا وراية الإرهاب الدولي) نشر على موقع الجزيرة نت عبر الشبكة العنكبوتية.

على امتداده، وربما أمكنه أن ينفذ إلى مجموعات من المتعلمين، لأن المسألة كانت عندهم هي الثأر بغض النظر عن المضمون).

١٠- **وقال أحمد موفق زيدان** مراسل الجزيرة في باكستان [١]: (لم تثر شخصية عالمية في أواخر القرن العشرين ومطلع القرن الحالي جدلاً وإثارة بمثل ما أثارته شخصية أسامة بن لادن؛ فإن كان كارلوس قد ملأ الدنيا وشغل الناس في عصره وعد حينها بأنه (إرهابي من نوع فريد)، إلا أن أسامة بن لادن نكهة أخرى، إذ يعيش ويقوم بنشاطاته التي تعد إرهابية في نظر خصومه ومقاوميه في نظر المعجبين به، في زمن عالم القطب الواحد. لقد كان تحت تصرف كارلوس عشرات الدول والأنظمة التي تسهل له حركته.. وسيظل أسامة بن لادن لغزاً للكثيرين، يحوطه الغموض لا بسبب شخصيته، إذ أن كل من قابله يجزم ببساطته ودفئه لمحدثه، ولكن لطبيعة تحركاته والأساليب التمويهية التي استطاع من خلالها التعمية على وجوده رغم التنسيق الهائل بين أنظمة مخابرات دولية لديها إمكانيات مالية وبشرية هائلة وضخمة).

١١- **قال المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية بلندن** في إحدى تقاريره: (إن بإمكان القاعدة الاعتماد على نحو ٨ آلاف إرهابي محتمل توافدوا على معسكراتها للتدريب في أفغانستان قبل سقوط نظام طالبان عام ٢٠٠١).

ووصف التقرير تنظيم القاعدة: (بأنه يعمل بطريقة أكثر دهاءً وخطورة عما كان عليه قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١م).

وأضاف: (أن القاعدة تملك سيلاً من الأموال التي لا تخضع للرقابة مصدرها هبات من مسلمين مناصرين في العالم).

---

[١] انظر كتابه (ابن لادن بلا قناع، لقاءات حظرت نشرها طالبان).

١٢- **كما اعتبرته المعارضة الباكستانية** بطلاً إسلامياً [١].

١٣- **ويقول فيصل القاسم** مقدم برنامج الاتجاه المعاكس المشهور على قناة الجزيرة: (هل تعلمون كم يبلغ وزن الشيخ أسامة بن لادن؟ تساءل أحد الزعماء العرب في قمة عمان الأخيرة، والجواب: لا يبلغ وزنه أكثر من ٥٠ كيلو جراماً، أما متوسط وزن أي زعيم عربي فهو أكثر من ٨٠ كيلو جراماً على أقل تقدير، ناهيك عن وزن الجيوش والميزانيات الضخمة، مع ذلك فـ (ابن لادن) صاحب القد النحيل يجعل أعتى قوة في التاريخ ترتعد أوصالها لسماع اسمه، أما أصحاب الأوزان الثقيلة جسدياً ومادياً فلا يثيرون في نفس أميركا إلا الشفقة وربما السخرية، هكذا يجري أحدهم المقارنة!!.

ألم يصبح ابن لادن نداً تخشاه أميركا وتحرك من أجله الأساطيل وتعلن حالة التأهب القصوى في أوساط جيوشها وسفاراتها؟

قد يبدو ذلك من قصص الخيال، لكنه الحقيقة، من الذي دك ثكناتها الحصينة وجعلها تتقوقع في مخابئ نائية؟ يتساءل أحد المؤيدين للشيخ..

من الذي دمر إحدى مدمراتها النووية في عُرض البحر؟ من الذي قاتلها في الصومال وجعل جنودها يهربون كالأرانب؟ من الذي حول سفاراتها ومراكزها في العالم إلى حصون وقلاع تخشى حتى النسيم العليل؟ من الذي جعل أميركا تصرخ آه وآلف آه من الألم؟ من الذي أصبح البطل العربي والإسلامي الأول في الآونة الأخيرة؟

هل تخشاه أميركا كإرهابي يهدد مصالحها، أم كضمير العالمين العربي والإسلامي؟

---

[١] هيئة الإذاعة البريطانية.

ويتساءل مؤيد آخر للشيخ ابن لادن: ألسنا بحاجة إلى ألف مجاهد من هذا الطراز في ظل هذا الانبطاح العربي المخزي أمام أميركا وإسرائيل؟.).

١٤- وقال علي الأسدي [١]: (أسامة بن لادن صار أسطورة عربية وشرق أوسطية وعالمية منذ جهاده الأول في أفغانستان ضد الشيوعية).

١٥- وقال أدمون صعب [٢]: (ليس قليلاً أن يشغل رجل واحد العالم كما ليس قليلاً أن يوجع رجل واحد أكبر وأعظم دولة في التاريخ الحديث، لطالما اعتبرت نفسها محصنة ضد الأخطار).

١٦- وقال جوزيف فرح [٣]: (بعد أن قرأت الكتاب والذي يحمل عنوان، (ابن لادن: الرجل الذي أعلن حرباً على أميركا) لمؤلفه يوسف بودانسكي، أصبحت على خشية من أن يكون قادتنا وإلى حد خطير لا يعطون إمكانيات هذا الزعيم الإرهابي حقها من التقدير).

ويقول أيضاً: (لا شك بأن أسامة بن لادن إرهابي بارع وقادر، ولكن قدراته بالتأكيد لا تقف عند هذا الحد).

ويقول: (كذلك نجح بفرض نفسه على قلوب وعقول الملايين من المسلمين المتطرفين في العالم كله، إن أسوأ خطأ يمكننا ارتكابه هو الاستخفاف به وبضخامة عصبته الإرهابية).

---

[١] مقال بعنوان (أعرف أمريكا) بتاريخ ٥/ ٢٠٠٣/٢٩م.

[٢] مقال بعنوان (أميركا الجلاد والضحية) بتاريخ الجمعة ١٤ أيلول ٢٠٠١ أي بعد سبتمبر بثلاثة أيام.

[٣] مقال بعنوان (ابن لادن الحقيقي).

١٧- **وهذا مصور نصراني** يحكي قصته مراسل الجزيرة جمال إسماعيل فيقول [١]: (انتظرنا أذان المغرب موعد الإفطار، وبعد الأذان مباشرة وما إن بدأنا تناول حبات من التمر وقليل من الماء دخل الشيخ أسامة بقامته الفارهة إلى خيمتنا، وكانت مفاجأة لمصوري لم يكن يتوقعها، إذ أنه كان يظن أننا سنقابل الملا محمد عمر زعيم طالبان، ولم أشأ أن أفصح له عن هوية الشخص الذي سنقابله طيلة الرحلة قبل ذلك!

وما إن رأى بعينيه الشيخ أسامة حتى صاح: هذا الشيخ أسامة يا جمال! وهب واقفاً للسلام عليه، غير مصدق أنه سيحظى بمقابلته!!!).

١٨- **وقال جمال إسماعيل** مراسل الجزيرة في باكستان سابقاً ومؤلف كتاب (ابن لادن والجزيرة وأنا) [٢]: (أما عن الشيخ أسامة والدكتور أيمن الظواهري فإني عرفتهما حينما كنا جميعا في بيشاور، وعرفت الدكتور طبيباً ومحاضراً في بيشاور، والشيخ أسامة كان يتردد على بيشاور، لكن كان كعادته مقلاً في كلامه، محباً للخير وباذلاً فيه ما يستطيع، ولم أر منهما أو أسمع عنهما من أناس عدول ثقاة إلا كل خير ومحبة لله ورسوله وعباد الله، ورغبة منهما في العمل لإعلاء كلمة الله في كل مكان.. وفي اللقاء لم أر منهما إلا كل ترحيب قبل بدء التسجيل أو بعد الانتهاء منه).

---

[١] ابن لادن والجزيرة وأنا (٩١).

[٢] في لقاءه الخاص بمنتدى السقيفة.

أقوال الكفار في الإمام أسامة بن لادن (الحق ما شهدت به الأعداء)

تمـنى أناس أن أمـوت وإن أمـت فتلك سـبيل لسـت فيها بأوحد

قال باول سميث [١]: (لا يساورني شك في أن الحضارة التي ترتبط أجزاؤها برباط متين، وتتماسك أطرافها تماسكاً قوياً، وتحمل في طياتها عقيدة مثل عقيدة الإسلام؛ لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب، وإنما ستكون خطراً على أعدائها).

من أقوال رموز الكفر الأصلي:

١- قال عنه جورج دبليو بوش رئيس الولايات المتحدة الأمريكية: (هو الشر لحضارتنا النصرانية الليبرالية وعدونا الأول).

وقال لعنه الله بعد سماعه لإحدى تصريحات الإمام أسامة: (أن واشنطن تأخذ الرسالة الصوتية الخاصة بزعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن علي محمل الجد، وأضاف لكننا يجب أن نعي بأن مضمونها يؤكد لنا ولأصدقائنا وحلفائنا أن هناك عدواً خطيراً يمقتنا ومستعد أن يرتكب جرائم قتل لتحقيق أهدافه).

٢- قال عنه فلاديمير بوتين رئيس روسيا: (مجدد الوهابية المحمدية الإرهابية المعاصرة).

٣- قال عنه توني بلير رئيس وزراء بريطانيا: (هو الداعم الأول للحركات الإرهابية في الشيشان وكشمير والفلبين).

---

[١] انظر كتابه (الإسلام قوة الغد العالمية).

٤ - **قال عنه أرييل شارون** رئيس وزراء إسرائيل: (هو الإرهابي المسلم الذي يريد قتلنا وإخراج أميركا من مصالحها).

٥ - **قال عنه وزير الخارجية الأميركي كولن باول**: (هو يسعى لتدمير مصالحنا في الخليج وتقويض حكوماتها الحليفة لنا).

٦ - **قال عنه فاجبائيي رئيس وزراء الهند الهندوسية**: (هو عدو لديننا والمساعد الرئيسي للمسلمين الانفصاليين).

٧- **قال عنه رئيس وزراء الصين الشيوعية**: (نخشى كل الخشية أنه وراء الدعم المالي للمسلمين في شمال الصين).

٨- **قال عنه رئيس وزراء إيطاليا**: (هو الخطر القادم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ضد حضارتنا الأوربية).

٩- **قال فوكوياما** صاحب كتاب (نهاية التاريخ) عن منهجه [١]: (إن التحدي الذي يواجه الولايات المتحدة اليوم هو أكثر من مجرد معركة مع مجموعة صغيرة من الإرهابيين، فبحر الفاشية الإسلامية الذي يسبح فيه الإرهابيون يشكل تحديًا أيديولوجيًا هو في بعض جوانبه أكثر أساسية من الخطر الذي شكلته الشيوعية، كيف ستتقدم مسيرة التاريخ العريضة بعد هذه النقطة، هل سيحصل الإسلام الراديكالي على مزيد من المؤيدين وأسلحة جديدة

---

[١] نشر المقال بعنوان: (هدفهم العالم المعاصر في مجلة النيوزويك) بتاريخ ٢٥ - ١٢ - ٢٠٠١ العدد ٨١.

أقوى يهاجم بها الغرب؟ من الواضح أننا لا نستطيع أن نعرف لكن بعض العوامل ستشكل مفاتيح لذلك).

١٠- **قال عنه خبير الإرهاب الاسكتلندي جونجونارتنا**: (لن تتمكن أقمار أمريكا الصناعية من رصد ابن لادن).

كما أكد (أن أميركا أو أية دولة لن تتمكن من رصد مكان أو تحركات ابن لادن عبر الأقمار الصناعية؛ لأنه يجيد حساباته دائماً مستعيناً بخبراء عسكريين سابقين في جيوش نظامية، كما أنه لا يحمل معه أو من يرافقه في تحركاته أي أجهزة اتصالات تسهل عملية رصد تحركاته عبر التقاط إشارات تتصل بالأقمار الصناعية مثل الهاتف الخلوي، وقال إنه يتحرك وسط مجموعات صغيرة محل ثقته، وأنه لا يقوم بنفسه باستخدام دوائر الاتصالات، ويترك هذا العمل لمساعديه).

١١- **وصف جيمس وولسي** الرئيس السابق لجهاز الـ (سي آي إيه) في عهد كلينتون في حديثه أمام طلبة في جامعة كاليفورنيا كما ذكرت شبكة سي إن إن الإخبارية: (هذه الحرب بأنها حرب عالمية رابعة ستدوم لبعض الوقت، وسوف تدوم لوقت أطول من الحربين العالميتين الأولى والثانية، آمل ألا تصل إلى مدة الحرب الباردة التي استمرت أكثر من أربعة عقود كاملة، وهي حرب تستهدف ثلاثة أعداء أولهم الحكام الدينيين، و (الفاشستيين) في العراق وسوريا، والمتطرفين الإسلاميين مثل تنظيم أسامة بن لادن).

١٢- **مدرس بريطاني** قال: (قال مدرس بريطاني علم أسامة بن لادن اللغة الإنجليزية في مدرسة خاصة بالسعودية: إن ابن لادن المتهم الرئيسي في الهجمات الأخيرة على الولايات المتحدة كان تلميذاً هادئاً وخجولاً.

وقال المعلم بريان فايفيلد شايلر (٦٩ عاما) في تصريحات لصحيفة (صن) البريطانية: (إن هذا الصبي الذي أصبح أهم الأشخاص المطلوب اعتقالهم في العالم كان يتصرف بشكل طيب، ويؤدي كل عمله في الوقت المناسب، ولم يكن متديناً بشكل غير عادي).

وأضاف: (لقد كان لطيفاً أكثر من أي شخص آخر في فصله).

وقالت الصحيفة: (إن أسامة بن لادن وهو نجل رجل صناعة في جزيرة العرب ثري انضم إلى ثلاثين صبياً في فصل فايفيلد شايلر في مدرسة الثغر بجدة خلال عامي ١٩٦٨ و١٩٦٩، وهو الآن المشتبه به الرئيسي في التفجيرات التي وقعت في الولايات المتحدة في الحادي عشر من شهر سبتمبر).

وأضاف فايفيلد شايلر: (لقد كان أسامة بارزاً لأنه كان الأطول والأكثر أناقة ووسامة من معظم الصبية الآخرين، وكان بارزاً أيضاً لأنه كان مهذباً ومؤدباً بشكل ملحوظ، وكان لديه قدر كبير من الثقة بالنفس).

١٣- قال دانييل ايلسبرج وهو كاتب أمريكي، وصاحب كتاب الأسرار، وكان ايلسبرج ضابطاً سابقاً بمشاة البحرية المارينز، ومسؤولاً سابقاً بوزارة الدفاع الأمريكية البنتاجون، وشارك مع فريق من الباحثين في المجال الدفاعي الذي كتب دراسة سرية عن السياسة الأمريكية في فيتنام، وكشفت الدراسة التي بلغت سبعة آلاف صفحة والتي أصبحت تعرف بأوراق البنتاجون أن أربعة رؤساء أمريكيين كذبوا باستمرار على الشعب الأمريكي والكونجرس بشأن الحرب في فيتنام، قال هذا الكاتب عن إمامنا: (سيصبح أسامة بطلاً للعالم الإسلامي للألف سنة القادمة).

١٤- كتب اليهودي توماس فريدمان مقالاً بعنوان: (جهازي الأميركي للبقاء على قيد الحياة) وهو يصور واقع الأمريكيين ومدى الهلع الذي وصلوا إليه وتنقلهم ما بين اللون الأصفر والبرتقالي في حالة التأهب بعد الثلاثاء المبارك، قال: (في الأسابيع القليلة الماضية

طرأت لي فكرة يمكن أن تفسر كنوع من الهرطقة: هل كانت ردود أفعالنا إزاء ١١ سبتمبر (أيلول) مبالغاً فيها؟ هل سنورد أنفسنا موارد الجنون، قبل أن يفعل بنا ذلك أسامة بن لادن؟ ... ولكنني أتساءل ما إذا كنا نحن نقوم بواجبنا، وهو التأقلم مع هذه الأخطار، بدلًا من تجاوز الحدود بإجراءات لا تجلب مزيداً من الطمأنينة ولكنها تجلب أحمالاً ثقيلة من القلق.

بدأت أسمع هذا الصوت الداخلي يطن في أذني عندما رأيت تراكم طبقات الإجراءات الأمنية بالمطارات.. كانت هذه الإجراءات لا تتعدى دفع حقيبتك من خلال جهاز الأشعة وعبور جهاز الكشف المعدني، ثم شملت بعد ذلك إخراج الكومبيوتر الذي تحمله، ثم وصلت إلى إخراج الملقاط من حقيبة أغراضك الشخصية، ثم تطلب الأمر خلع حذائك، وسرعان ما تبع خلع الحزام.. في بعض الأحيان أنظر حولي في أحد المطارات وأتساءل ما إذا كنت قد ضللت طريقي إلى حفل بيجامات.

وأخشى أن يكون العمود الذي كتبته قبل أربعة عشر شهراً، بقصد المبالغة، وسميته "طيران العراة"، وقلت فيه إنه من الخير لنا جميعًا أن نسافر عراة لنوفر على أنفسنا هذا العناء، أخشى أن يكون سيصبح أمراً واقعاً وأنا حي أرزق.

ثم هناك رفع درجة الخطر إلى البرتقالي. وأقول مرة أخرى أنني لا أشكو من هذه الإنذارات، ولكن هل كان لزاماً على سي إن إن، و MSNBC أن تضيف إلى الذعر بأن تضع درجة الخطر بصورة دائمة على الركن الأيمن من الشاشة فوق تقارير البورصة، كأنما يقولون: "هبط مؤشر نازداك، ارتفع مؤشر الإرهاب. نتمنى لكم يوما سعيدا".

ماذا تتوقع هذه الشبكات من مشاهديها عندما يرون هذه الإشارات، غير أن يزدادوا قلقاً؟)...

إلى أن قال: (عندما سألتني صديقة لي: ما هي خطة أسرتي للطوارئ، إذا هوجمت واشنطن، قلت لها ليست لدينا أية خطة. ولكنني شعرت بعد ذلك بوخزات الضمير الأبوي.

ولكن سرعان ما تساءلت بعد ذلك: كيف يمكن لأي شخص أن يخرج من هذه المدينة في حالة الذعر؟ فالشارع الدائري مختنق حتى في الأيام العادية.

وسألني صديق آخر، بين الجد والهزل، عن نكتة شائعة تدور حول طريقة تصرف الناس أثناء مكافحة الإرهاب: كنت في طريقك إلى منزلك عندما سمعت إعلاناً بأن أحدهم أطلق سموماً في الجو، كانت زوجتك وقتها بالمنزل وعندما سمعت الإعلان أغلقت الغرفة الآمنة بالمنزل وعزلتها تماماً بالأشرطة اللاصقة والبلاستيكية، عندما تصل إلى المنزل هل تفتح لك زوجتك لتدخل أم أنها ستمتنع عن ذلك؟؟ اقترحت عليه أن يسأل "مس منرز" أو أحد مستشاري العائلات، فليست لدي إجابة على هذا السؤال.

و تأتي بعد ذلك طبقة أخرى من الإجراءات الأمنية الكاذبة: فعندما تذهب إلى مسابقات كرة السلة بواشنطن، يطلبون منك فتح حقيبتك أو محفظتك، وكأنهم لا يعلمون أن الإرهابي الجاد يمكن أن يخفي قنبلته أو مسدسه ببساطة تحت جاكتته، وما كنت لأعبأ بمثل هذه الإجراءات لو أنها تشعر الناس بالأمن، ولكنها في الواقع لها أثر عكسي تمامًا، إنها تجعل الناس يشعرون بأنهم أقل شعوراً بالأمن لأنها تشعرهم وكأنهم يعيشون في دولة بوليسية.

المجتمع المفتوح ينطوي على أخطار جمة، كما ينطوي كذلك على احتمالات كثيرة وردود أفعال عديدة قائمة كلها على الثقة، ولا يمكنك إزالة جميع المخاطر بدون خنق المجتمع المفتوح نفسه وإزهاق روحه، ولذلك فإن رد الفعل الصحيح، عندما تصل الأمور إلى نقطة معينة، ليس المطالبة بمزيد من الإجراءات الأمنية، بل التصالح مع درجة متزايدة من الشعور بالقلق، فالقضية ليست هي ما إذا كانت ستحدث هجمات أخرى، فمثل هذه الهجمات ستحدث دون شك، ولكن القضية هي هل نستطيع تحمل هذه الهجمات والمحافظة مع ذلك على المجتمع المفتوح؟

ولنا أن نتساءل: ما فائدة إجبار أسامة بن لادن، على الاختباء في نفق ما، إذا كان قادراً بمجرد همسات يبثها من قناة الجزيرة، على دفعنا إلى غرف مغلقة ومختومة؟ هذا وضع غير مقبول.

١٥- وقال اليتشراميراز سانشاز المعتقل حاليا في فرنسا والمعروف عالمياً باسم كارلوس [١]: (إن الإسلام الثوري (ويقصد بذلك الجهاد ولكنه كافر لا يحسن التعبيرات الشرعية الصحيحة) يقول: (إن ذلك هو الحل لمواجهة الهيمنة الأمريكية، وامتدح أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة، وأشار إلى أن اعتداءات ١١ سبتمبر كانت رداً على تلك الهيمنة.

وألف كارلوس من محبسه كتاباً يحمل اسم (الإسلام الثوري)، وجاء الكتاب في ٢٧٤ صفحة، وصدر عن دار روشير الفرنسية، وأثنى كارلوس في كتابه على أسامة بن لادن، ووصفه بالرجل المضيء.

وقال: (إن الهجمات التي استهدفت مركز التجارة العالمي ومقر وزارة الدفاع الأمريكية البنتاجون في ١١سبتمبر تتعلق بأعلى درجات العمل المسلح ضد الهيمنة الأمريكية، مشيراً إلى أنها كانت ردًا على الهيمنة الأمريكية واحتلال الأماكن المقدسة الإسلامية ومن ضمنها القدس).

وأضاف قائلاً: (إن الشيخ أسامة بفضل شخصيته الجذابة يعتبر حالة متفردة في التاريخ المعاصر).

---

[١] باريس – هادي يحمد – إسلام أون لاين. نت/ ٢٦ – ٦ – ٢٠٠٣م.

١٦- **وقال الصحفي الكبير روبرت فسك** [١]: (من على قمم الجبال في شرق أفغانستان، وجه الشيخ أسامة بن لادن - الذي يعتبر أخطر إسلامي أصولي عند الأمريكان - تحذيراً جديداً للأمريكان بضربات أخرى).

من أقوال رموز كفر الردة:

١- **قال عنه حسني مبارك** رئيس جمهورية مصر (لقد حذرنا حلفاءنا في أميركا من قبل عن خطره والإرهابيين ولم يسمعوا لنا).

٢- **قال عنه عبد الله بن عبد العزيز** ولي عهد السعودية: (هو يسعى للمال والسلطة فقط وتاجر مخدرات) [٢].

٣- **قال عنه عبد الله الثاني** ملك دويلة الأردن: (هو عدو لنا يسعى لتدمير ما بنيناه وعدو لأصدقائنا وحلفائنا).

٤ - **قال عنه ياسر عرفات** العميل صاحب الصلاحية المنتهيه: (هو يتاجر بقضيتي ويريد اختطافها من أيدينا).

---

[١] جريدة الإندبندنت البريطانية بتاريخ شهر مارس من عام ١٩٩٧م.

[٢] كل عاقل يحترم عقله وعقول الآخرين يعلم مدى خسة وحقارة هؤلاء الأنجاس من آل سعود والذين هم مصابون بداء الإسقاط النفسي، والكل يعلم من هو الحريص على السلطة والمال ومن هو تاجر المخدرات!!! إن لم يكونوا أمراء آل سعود فمن يكون!!.

٥ - قال عنه علي عبد الله صالح: (هو إرهابي ضد مصالحنا مع أميركا وهو وراء تدمير المدمرة كول الأميركية).

٦ - قال عنه ملك المغرب محمد السادس: (هو عدو لنا ولحلفائنا ويشجع على الإرهاب).

٧- قال عنه جمع من رؤساء الجمهوريات المنفصلة عن روسيا: (هو يسعى لهدم

٨- قال المذكور تركي الفيصل رئيس الاستخبارات السابق لدى آل سعود الذي فشل في القضاء على إمامنا [١]: (هذا المذكور عدونا وإرهابي مطلوب).

٩- قال عنه وزير خارجية السعودية سعود الفيصل: (لا مكان له بيننا فهو إرهابي).

نعم لا مكان للرجال بين العملاء والمخنثين!!.

---

[١] في مقال كتبه روبرت فسك الكاتب المرموق في جريدة الاندبندنت يوم ٢٤ نوفمبر لعام ٢٠٠٠م، سخر الكاتب من المخابرات السعودية سخرية لاذعة حتى في عنوان المقال، يقول المقال الذي جاء بعنوان: Intelligence that barely deserves the name مخابرات لا تكاد تستحق التسمية. والطرفة هنا مرتبطة بلفظة مخابرات "Intelligence" بالإنجليزية التي تعني حرفياً كلمة ذكاء.

يقول الكاتب: أنه سيكون رهاناً غير خاسر إن راهنّا أن السعوديين لا يعرفون شيئاً عمن خلف الانفجار (أي انفجار المدمرة كول)، لأن جهاز المخابرات "الذكاء" السعودي هو أقل الأجهزة ذكاءً في المنطقة العربية.

ويقول كذلك: إن هذا الجهاز مشغول بصناعة اعترافات من خلال التعذيب ومسكون إلى مستوى الوسواس بقضية المعارضة والصراع المحتدم بين كبار الأمراء إلى درجة تجعله بعيداً تماماً عن أحوال العالم الخارجي التي لا تصدق مثل هذه القصص.

١٠ - وقال عنه وزير داخلية السعودية نايف: (قلت كثيراً ابن لادن لا يعنينا، الذي يعنينا المواطن السعودي وهو ليس سعودياً) [١].

---

[١] علق الدكتور سعد الفقيه بارك الله فيه على هذه العبارة في نشرة الإصلاح العدد ١٣٢ بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٩٩٨م بقوله: (بلاغة نايف: تفجرت كل معاني الدهاء وسرعة البديهة والبلاغة والإعجاز في حديث نايف عندما ألقم الصحفيين حجراً وأسكتهم بعبارة جامعة مانعة وكلمات قليلة دامغة حينما سئل عن ابن لادن فقال: (ابن لادن ليس سعودياً وأنا لا أتحدث إلا عن سعودي). طبعاً لا بد من ملاحظة أن الصحفيين كلهم سعوديون وموظفون في مؤسسات وزارة الإعلام السعودية.. أسئلة ترد هنا لم يستحضرها نايف حين تفتقت عقليته عن هذا الجواب، لماذا تحدث نايف عن الممرضتين البريطانيتين؟ ولماذا يتحدث عن مئات الألوف من العمال (الأجانب) الذين يتم ترحيلهم؟ وما معنى أن وزير الداخلية لا يتحدث إلا عن سعوديين؟ هل معناه أن الوزارة لا تتعامل مع غير السعوديين ولا تعتقلهم ولا تحاسبهم ولا تحقق معهم؟ أم معناه أن السجون في المملكة خالية من غير السعوديين؟

بالطبع هذا الكلام غير معقول، بل إن عبارة نايف غير مستساغة ولا مقبولة منطقياً ولا يمكن فهمها إلا من خلال وضعها في إطارها وفهم الإسقاط النفسي الذي يعيشه نايف وإخوانه، التضايق الشديد والغيرة من شخص محسوب على البلد له من الشهرة والصيت الإعلامي أكثر من آل سعود وأكثر من نايف شخصياً على الأقل، فكان رد نايف بأنه غير سعودي بمعنى أن غير السعودي له الحق أن يكون له من الشهرة أكثر من آل سعود أما (السعودي) فليس له ذلك الحق.

على كل حال تبقى الحقيقة أن ابن لادن الذي رفض نايف التعليق حوله يبقى المؤرق الأول لنايف وقلقه الدائم وهمه المستمر في مشروعه (الأمني)، ويقال أن نايف حاول أكثر من مرة إرسال مبعوثين خاصين لابن لادن يطلب الأمان لنفسه!!). أ. هـ.

ونحن نقول: قريباً ويذهب إلى سعود وتذهب جنسيتهم النتنة ويعود أبناء جزيرة العرب إلى ما كانوا عليه، فهذا حجازي وذاك مدني وآخر نجدي وهذا من قبيلة كذا إلخ، ويزول استعباد بن سعود!!!.

وكما قال الدكتور محمد المسعري في برنامج الاتجاه المعاكس بتاريخ ١/ ٥/١٤٢٤هـ: (نحن لسنا عبيد لآل سعود، ولا نحمل اسم آل سعود أو نكون سعوديين لا ولاءً ولا نسباً، ولم يعتدِ آل سعود - الحمد

١١- قال عنه خالد الفيصل شاعر غنائي فاجر: (نحن في الحكومة السعودية نعتبره كشارون للعرب).

لله – على جداتنا بالزنا حتى نصبح من آل سعود نسباً، فنحن لسنا من آل سعود لا نسباً ولا ولاءً، نحن مسلمون عرب..).

إحصاءات وأرقام حول (شعبية) الإمام أسامة بن لادن

يحظى الشيخ أسامة بن لادن بشعبية كبيرة في العالم بأكمله، ودليل ذلك ما ستقرأه الآن من أخبار تصرفات الناس تجاه الشيخ أسامة، مسلمهم وكافرهم، ومع ذلك يحاول بعض حاسدي الشيخ أن يقلل من أهمية إمامنا، مثل أمراء آل سعود، وبالذات وزير الداخلية هايف بن عبد الإنجليز، ونحن نقول لهؤلاء كما قال المعري:

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل ... عفاف وإقدام وحزم نائل
وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم ... بإخفاء شمس ضوءها متكامل
يهم الليالي بعض ما أنا مضمر ... ويثقل رضوى دون ما أنا حامل
وإني وإن كنت الأخير زمانه ... لآت بما لم تستطعه الأوائل
وأغدو ولو أن الصباح صوارم ... وأسري ولو أن الظلام جحافل
وإني جواد لم يحل لجامه ... ونصل يمان أغفلته الصياقل
ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً ... تجاهلت حتى ظن أني جاهل
فوا عجباً كم يدعي الفضل ناقص ... ووا أسَفاً كم يُظهِر النقص فاضل
وكيف تنام الطير في وكناتها ... وقد نصبت للفرقدين الحبائل
ينافس يومي فيّ أمسي تشرفاً ... وتحسد أسحاري عليّ الأصائل
إذا وصف الطائي بالبخل مادرُ ... وعير قساً بالفهاهة باقلُ
وقال السهى للشمس أنت ضئيلة ... وقال الدجى يا صبح لونك حائل
وطاولت الأرض السماء سفاهة ... وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فيا موت زر إن الحياة ذميمةٌ ... ويا نفس جدي إن دهرك هازل

١- في استفتاء أجراه موقع أين على الشبكة كانت نتائجه كالتالي:

ما هو منظورك لـ (ابن لادن)؟

بطل ٨٨.٧٨ % (١٠٠٣٤)

مجرم ١١.٢٢ % (١٢٦٨)

(مجموع الأصوات: ١١٣٠٢).

٢- وفي برنامج الاتجاه المعاكس يقول فيصل القاسم:

إجمالي الذين صوتوا (٣٩٤٢)

٨٢.٧ % يعتبرونه مجاهداً.

٨.٨ % إرهابي

و٨.٤ % لا أدري.

يعني هذه نتيجة حقيقية، ونتيجة يعني لا غبار عليها، تجمع العرب من المحيط إلى الخليج على هذه الظاهرة.

٨٢ .. يعني وحقيقية مش مثل الانتخابات العربية.

ثم قال معقباً على ضيف برنامجه الذي قال: بالنسبة لهذه الاستطلاعات طبعاً هي عينة منتقاة، ويبقى هناك شك في درجة تمثيليتها.

قال فيصل القاسم: بالمناسبة أي منتقاة؟! أنا أريد أسألك الذين يدخلون إلى الإنترنت هم يعني من طبقة معينة ومثقفة وواعية، فإذا كان الأمر بين هؤلاء هكذا، فكيف سيكون بين الفقراء المضطهدين والمحرومين؟ يمكن ٩٩.٩٩!) [١].

٣- وفي استطلاع أجري في الكويت قبل فترة لصالح جريدة الرأي العام، وكانت صيغة السؤال: ماذا تعتقد ابن لادن هل هو بطل، أم مجرم، أم غير متهم، في إحصائية مفصلة ودراسة دقيقة وضعت على مراحل وفيها أكثر من ١٥ ألف يقولون: (ابن لادن بطل عربي ومجاهد إسلامي حسب هذا الاستطلاع ٦٩% من الكويتيين والمصريين والسوريين واللبنانيين والفلسطينيين في الكويت فئة الشباب من ٢٥ إلى ٤٤ يعتبرونه مجاهداً.. ٦٥% رأوا أن استهداف مواقع أميركية مبرر، (العين بالعين والسن بالسن)، الشعار الأميركي أنت تعرفه Might is Right (القوة فوق الحق).. ٧٦% سيحزنون إذا أُلقي القبض على ابن لادن).

٤ - وفي استطلاع عالمي أجري في الفترة بين ٢٨ أبريل و١٥ مايو الماضي، وشارك فيه ١٦ ألف شخص في ٢٠ بلداً بالإضافة إلى الأراضي الفلسطينية كانت نتائجه أن أسامة بن لادن يتفوق شعبياً على بوش [٢]: (أظهر استطلاع مهم للرأي، جاء الإعلان عن نتائجه متزامناً مع إطلاق الرئيس جورج بوش حملته الهادفة إلى إحلال السلام بين إسرائيل والفلسطينيين في شرم الشيخ والعقبة، أن صورة الولايات المتحدة قد تدنت، في الأشهر القليلة الماضية، إلى أدنى مستوياتها في عشرين من دول العالم التي شملها الاستطلاع، في مقدمها دول عربية وإسلامية وبما فيها دول أوروبية وروسيا.

---

[١] الجزيرة نت.

[٢] نُشر هذا الاستطلاع في عدة مواقع على الشبكة العنكبوتية، منها مفكر الإسلام، وأيضاً نُشر في كثير من المنتديات الحوارية.

وكان اللافت أن أعلى نسبة حققتها الولايات المتحدة لناحية صورتها في العالمين العربي والإسلامي كانت في الكويت يليها لبنان، اللذين فاق فيهما مستوى الثقة بصورة الرئيس بوش الثقة التي تثيرها صورة زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن الذي تفوق في شعبيته على بوش في بقية الدول العربية والإسلامية كلها، وأظهر الاستطلاع الذي أجراه معهد أبحاث سياسية يحظى بالاحترام في الولايات المتحدة، أن تأييد الولايات المتحدة انخفض إلى حوالي الواحد في المئة فقط في بعض الدول العربية والإسلامية، خصوصاً الأردن والأراضي الفلسطينية، لكن مسؤولي الإدارة الأميركية الذين أزعجتهم نتائج الاستطلاع أعربوا عن الأمل في أن هذه النتائج ست بدأ في التغير فور بدء تعاطي الإدارة بحل قضية الشرق الأوسط واستتباب الأمور في العراق.

ولعل أشد ما أزعج صانعي السياسة الأميركيين في الاستطلاع، الذي أجراه معهد بيو ضمن ما يعرف بمشروع المواقف العالمية تجاه الولايات المتحدة، هو إظهار الاستطلاع أن صورة زعيم القاعدة أسامة بن لادن تثير قدراً أكبر من الثقة لدى أغلبيات واضحة في الكثير من دول العالم، خصوصاً العربية والإسلامية، مما تثيره صورة الرئيس بوش نفسه، رغم الحملة الإعلامية المكثفة، والمكلفة، التي أطلقتها الولايات المتحدة في أعقاب اعتداءات ١١ سبتمبر الإرهابية، وحقيقة أن ابن لادن مطارد لا يعرف أحد مكانه منذ الحرب الأميركية على أفغانستان قبل حوالي سنتين.

وقال مدير معهد أبحاث بيو أندرو كوهوت، مشيراً إلى أن العداوة تجاه الولايات المتحدة قد تزايدت بشدة نتيجة للغزو الأميركي للعراق، (لقد سرنا من سيئ إلى أسوأ)، مضيفاً (إننا فشلنا في كسب الرأي العام في العالم الإسلامي ضد بن لادن بسبب أن شعوب هذه الدول يرون في الولايات المتحدة مصدر تهديد لهم).

ورغم أن الاستطلاع يشير إلى تدني شعبية الولايات المتحدة إلى مستويات غير مسبوقة في العالمين العربي والإسلامي، فإنه أظهر حماسة لدى أغلبيات كبيرة في دول العالم العربي

والإسلامي للأفكار الديموقراطية الغربية والمنتجات الثقافية والتكنولوجية الأميركية، بل وللعولمة.

وأظهر الاستطلاع أن نسبة الذين يعتقدون أن صورة ابن لادن تثير قدراً أكبر من الثقة أو بعض الثقة لديهم مقارنة بصورة بوش بلغت ٧١ في المئة لابن لادن مقابل واحد لبوش في الأراضي الفلسطينية، و٥٥ في المئة مقابل واحد فقط في الأردن، و٤٩ في المئة مقابل ٢ في المئة في المغرب، و٥٨ في المئة مقابل ٨ في المئة في إندونيسيا، و١٥ في المئة مقابل ٨ في المئة في تركيا، وأظهر الاستطلاع أن الدولتين العربيتين الوحيدتين اللتين بدا فيهما بوش يثير قدراً أكبر من الثقة في نفوس الأغلبية مما يثيره ابن لادن هما الكويت ولبنان، ففي حين سجل بوش نسبة ١٧ في المئة مقابل ١٤ في المئة لبن لادن في لبنان، فإنه سجل ٦٢ في المئة مقابل ١٩ في المئة لابن لادن في الكويت.

ولاحظ الاستطلاع أن هذه الظاهرة لم تكن مقصورة على العالم الإسلامي أو العربي، بل تعدتها إلى بعض الدول الحليفة للولايات المتحدة في أوروبا، ففي بريطانيا التي خاضت قواتها الحرب إلى جانب القوات الأميركية في العراق، انخفضت نسبة المؤيدين للولايات المتحدة من ٧٥ في المئة في العام الماضي إلى ٧٠ في المئة حالياً، وفي كندا انخفضت النسبة من ٧٢ إلى ٦٣ في المئة، وكان الانخفاض أسوأ بكثير في روسيا التي شهدت انخفاضاً من ٧١ إلى ٣٦ في المئة، وفي إندونيسيا التي شهدت انخفاضا من ٦١ في المئة إلى ١٥ في المئة، وفي الأردن التي انخفضت فيها نسبة تأييد الولايات المتحدة من ٢٥ إلى ١ في المئة فقط.

وأشار بيو الذي أجرى الاستطلاع أن هذه النتائج السيئة جاءت بالرغم من الحملة الإعلامية المكثفة التي أطلقتها الولايات المتحدة في الأشهر التي أعقبت أحداث ١١ سبتمبر، ومن ضمنها إطلاق إذاعة راديو سوا الموجهة للشباب العربي وحملة الإعلانات التلفزيونية التي أنفقت عليها وزارة الخارجية ١٥ مليون دولار عن معاملة الولايات المتحدة للمسلمين في أراضيها.

غير أن مسؤولي الإدارة الأميركية، الذي اعترفوا بأن صورة الولايات المتحدة قد عانت من سلسلة من النكسات في السنتين الماضيتين، أعربوا عن الأمل في أن هذه المواقف ستبدأ في التحول فور أن تبدأ الإدارة في إظهار التقدم في ميادين معينة تهم جماهير العالمين العربي والإسلامية).

٥- وفي خبر بعنوان [١]: (دمية ابن لادن أكثر شعبية من بوش.. لدى الأميركيين دمية تصور بوش وهو يوجه أسلحته لابن لادن في حين يقف الأخير متحدياً!! .. حققت مبيعات دمى متحركة لأبرز الشخصيات التي ارتبطت أسماؤها بهجمات الحادي عشر من سبتمبر مبيعات عالية في الولايات المتحدة.

ومثلت الدمى التي صنعتها شركة هيروبيلدر بولاية كينيتيكت الرئيس الأميركي جورج بوش ورئيس الوزراء البريطاني توني بلير وعمدة مدينة نيويورك السابق رودلف غولياني.

وأطلقت الشركة الأميركية في موقعها بالإنترنت على الشخصيات الثلاث أوصاف بطلنا والحليف والصخر على التوالي.

وفي وقت لاحق أضافت الشركة المصنعة دمية لزعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن المشتبه به الرئيسي في الهجمات التي استهدفت مركز التجارة العالمي بنيويورك ووزارة الدفاع في واشنطن في سبتمبر أيلول الماضي.

وقال رئيس الشركة إيميل فيكل إن مبيعات دمى بن لادن شهدت إقبالاً شديداً وتفوقت في الطلب على مبيعات دمى بوش بنحو الثلثين.

---

[١] نقلاً عن الجزيرة نت.

وأضاف أنه في البداية لم يرغب في تجسيد شخصية ابن لادن في دمية، ولكن تحت إلحاح الزبائن بوجود من أسموه عدوا اضطر إلى فعل ذلك.

وقال: (إن البيع في البداية اقتصر على دمى الأشخاص الفعليين الذين غيروا وجه العالم.. الرئيس ورئيس البلدية السابق ورئيس الوزراء البريطاني).

وأشار فيكل إلى: (أن مبيعات دمى بوش وابن لادن هي الأكثر انتشاراً ولكنها لم تتجاوز الآلاف بعد، وأوضح أنه باع سبع دمى لغولياني ولم يبع أية دمية لبلير. ويبلغ سعر الدمية الواحدة نحو ٢٧ دولاراً).

٦- وفي فيلم يحكي قصة مهاجر [١]: (بلجيكيون يتسابقون لتصوير شخصية ابن لادن... توافد بلجيكيون ملتحون اليوم على لجنة اختبارات من أجل لعب دور زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن في فيلم من وحي سيرته، في الوقت الذي يحيي فيه العالم ذكرى ضحايا هجمات الحادي عشر من سبتمبر.

وأقر المخرج روب فان إيك وهو يقف أمام الكاميرا مع المتقدمين للدور، ومنهم من يرتدي العمامة أو يلبس عباءة (بأن توقيت الإعلان مقصود للدعاية)، وقال المخرج الذي نال شهرة في بلجيكا من خلال أفلام الخيال العلمي ذات الميزانيات المحدودة التي يخرجها: (هذا هو اليوم الوحيد الذي يمكن أن تحظى فيه بمثل هذا القدر من التغطية الإعلامية. عندما أعلنت عن متسابقين في مايو/أيار لم يأت أحد).

ورداً على سؤال عما إذا كان يعتقد أن اختيار هذا التوقيت لإجراء جلسات الاختبار يعتبر تصرفاً غير لائق قال فان إيك: (ليس ذلك بمصدر سعادة للأميركيين لكن الناس يقتلون كل يوم في هجمات).

---

[١] نقلاً عن الجزيرة نت.

وقال فان إيك (٦٣ عاما): إن فيلمه سيكون من نوع الكوميديا السوداء، وأضاف: (من المستحسن أن تصدم الناس أحيانا بالفكاهة. الأميركيون غير قادرين على الضحك على أنفسهم).

والفيلم وعنوانه (أفترمان ٢) تدور أحداثه عام ٢٠١٢ ويصور البطل الذي يتخذ اسم ابن لادن كواحد من طالبي اللجوء إلى بلجيكا ويصعد في المراتب داخل الاتحاد الأوروبي.

وقال فان إيك: (إن انجذابه إلى ابن لادن الذي تعتبره الولايات المتحدة عدوها الأول، والذي فشلت في اعتقاله أو قتله رغم حملتها المستمرة منذ عام على أفغانستان ينبع من حقيقة أنه (شر من جانب ومن جانب آخر فهو بطل)).

وفان إيك ليس الفنان الوحيد الذي يقوم بتصوير شخصية ابن لادن، فمغني الراب الأميركي المثير للجدال أمينيم ارتدى ملابس شبيهة بتلك التي كان يرتديها ابن لادن في أغنية مصورة بالفيديو كليب بعنوان بدوني.

ودافع غالبية الممثلين المحتملين الساعين إلى ١٥ دقيقة من الشهرة عن موقفهم قائلين إنهم يعتبرون الأمر نوعاً من الفكاهة، وقال راف لينمانز الطالب البالغ من العمر ٢٧ عاما: (لست جدياً في السعي إلى امتهان التمثيل، وعلى كل حال فأنت عندما تشاهد أفلام فان إيك تدرك أنه لا حاجة لأن يكون لك خبرة بالتمثيل)، ومن المنتظر أن يبدأ تصوير الفيلم العام القادم.

٧- وفي خبر آخر [١]: (إقبال كبير على قمصان وأقنعة ابن لادن بالمكسيك: ربما ينظر البعض إلى تصرفات بعينها على أنها مريبة ومؤذية للمشاعر، لكن الباعة في شوارع العاصمة مكسيكو يعقدون صفقات تجارية مربحة ويجنون الكثير من المال ببيع قمصان مكتوب عليها

---

[١] المصدر السابق.

(أسامة بن لادن بطلنا) وأقنعة مطاطية تحمل صورته. كما أن بيع أقنعة للرئيس الأميركي جورج بوش تلقى رواجًا وشعبية.

ويقول مدير شركة تصنع هذه الأقنعة يدعى ريكاردو إسبوندا: إننا لا نقصد بهذا التصرف إيذاء مشاعر أي أحد، ويضيف: لكننا ندير عملًا تجاريًا يقوم على الترفيه والخيال والدعابة.

ونفى أن يكون لذلك علاقة بموقف سياسي مؤيد لابن لادن الذي تعتبره الولايات المتحدة المطلوب الأول.

ويستخدم بعض الأطفال المتسولين قناعي بوش وابن لادن في تقديم عرض مسرحي في الطرقات لجذب انتباه المارة والحصول على بعض المال منهم، ومن الطرافة أن خاتمة العرض تنتهي بمصافحة الرئيس الأميركي لأسامة بن لادن.

كما أن بعض الباعة المتجولين يرتدون قمصان أسامة بن لادن لجذب انتباه سائقي السيارات لبضائعهم).

٨- وأيضاً [١]: (اعتقال رجل في كاليفورنيا وشم صورة ابن لادن على صدره: أعلنت شرطة جنوب كاليفورنيا أمس أن رجلاً وشم على صدره صورة أسامة بن لادن ويحمل بطاقة هوية مزورة، اعتقل بعد الهجمات التي وقعت في نيويورك وواشنطن.

وقال متحدث باسم رئيس شرطة مقاطعة أورانج: إنه لا يمكنه الإفصاح عن أي تفاصيل عن الرجل المجهول الهوية بسبب (أمر اتحادي بحظر النشر) فيما يتصل بالهجمات على نيويورك وواشنطن التي يعتقد أنها أودت بحياة ما يقرب من سبعة آلاف شخص.

---

[١] المصدر السابق.

وقال المتحدث: إن الرجل احتجز في أورانج جنوبي لوس أنجلوس في وقت ما بعد الهجمات التي وقعت في الحادي عشر من سبتمبر.

ونقل المتحدث عن السلطات قولها: إن الرجل المحتجز في مكان غير معروف وجد أيضاً أنه يحمل أوراق هوية مزورة.

وقال: إنه لا يستطيع القول إن الرجل يجري استجوابه فيما يتعلق بالهجمات.

لكن صحيفة لوس أنجلوس تايمز ذكرت في موقعها على شبكة الإنترنت أن سلطات محلية واتحادية تعمل معاً في القضية.

وقال مساعد رئيس شرطة مقاطعة أورانج للصحيفة: إن السلطات تعكف على تحديد ما إذا كان للرجل علاقة بابن لادن أو بالهجمات).

٩- وفي مكان آخر [١]: (أسامة بن لادن.. شخصية فكاهية موازية تستعمل في الدعاية التجارية وتجلب ملايين المتفرجين)، (من لا يعرف أسامة بن لادن في فرنسا اليوم؟ لا أحد. بل "أسامة بن لادن" الذي يقدم للرأي العام الغربي بصفته المسؤول الأول عن تفجيرات ١١ أيلول (سبتمبر) الأخير في الولايات المتحدة أصبح نجماً حقيقياً، ويكاد منتجو الدعايات التجارية يجعلون من صورته ورقة مربحة في البزنس الذي يشرفون عليه لولا الطابع اللاأخلاقي لهذه الفكرة ولولا التضامن الطبيعي بين الدول الغربية، والذي يضع حدوداً أمام استراتيجيات دعائية من هذا النوع.

ولئن غابت صورة بن لادن عن الدعايات التجارية في كبريات القنوات التلفزيونية، فإن البرامج الفكاهية لم تتردد طويلاً في استضافة زعيم القاعدة.

---

[١] باريس - القدس العربي من عادل قسطل بتاريخ ٢٠٠٢/٢/١٠م.

وتميزت Canal + ببرنامجها لي غينيول (العرائس) عن غيرها من القنوات وخلقت شخصية موازية لأسامة بن لادن بلهجتها الغريبة وحركاتها المضحكة وقساوتها وتحوّلت الدمية إلى شخصية قائمة بذاتها.

في إحدى حلقات لي غينيول شاهد المتفرجون دمية المذيع الشهير باتريك بوافر دارفور وهو يستجوب دمية مسؤول أمريكي ويواجهه بسؤال فيه انتقاد لوكالة الاستخبارات الأمريكية سي آي إيه.

أجاب المسؤول الأمريكي: لماذا تنتقد سي أي إيه من كون ابن لادن ومن علمه ما لا يعلم؟.

وفي موضع آخر يخاطب ابن لادن المذيع قائلاً: الغرب توحد بفضلي والعمال الأمريكيون أصبحوا لا يطالبون برفع الأجور ويعملون بصدق.. الشرطة انتشرت في الشوارع ولا أحد يندد بانتهاك الحريات.. كل هذا بفضل من؟.

وعشية الاحتفالات برأس السنة الميلادية انتشرت نكتة أضحكت فرنسا من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها.. اتصل ابن لادن هاتفياً بالرئيس الأمريكي بوش الابن ليخبره: عزيزي بوش، عام سعيد وعمر مديد. سأله بوش: لماذا تتصل بي؟ فأجاب: لديّ خبران لك الأول سار والآخر مزعج. بأيهما تريدني أن أبدأ؟. قال بوش: السار. فأعلن ابن لادن: قررت أن أسلم نفسي. فرح بوش وسأله مباشرة بعد ذلك: وما هو الخبر المزعج؟ فرد ابن لادن وهو يقهقه: سآتي إلى الولايات المتحدة على متن طائرة.

وبين المزاح بسمعة رجل نسب إليه قتل آلاف الأمريكيين والاشمئزاز من هذا الأسلوب الفكاهي، فالحقيقة التي تتجلى بشكل لا نقاش فيه هي شهرة أسامة بن لادن التي كانت وراء نكتة أخرى تقول أن الرجل دخل إلى مغارته ذات يوم فاتكأ على أريكة مريحة وسأل زوجته: هل سأل عني أحد اليوم؟.

ويبدو أن خبراء الدعاية التجارية قرروا التخلص من عقدة ابن لادن وهم يستغلون صورته اليوم للترويج لبضائعهم، وأهم قطاع يستعمل ابن لادن هو قطاع الهواتف المحمولة. صحيح أن الشركات الكبرى لم تغامر بنفسها ولكنها لن تصمد طويلاً أمام موضة ابن لادن. هذا القطاع بالذات عرف تقهقراً ملحوظاً وتنوي شركات كبرى إقالة جزء كبير من اليد العاملة وهي تفكر في خلق احتياجات جديدة في السوق لتدارك الوضع.

صحيح أن نجوم الفن والرياضة يستعملون كثيراً في سوق الهواتف المحمولة، وتستعمل الشركات أحياناً مواعيد وأعياد ميلاد هي ملك للجميع كعيد الأم وعيد الأب ورأس السنة وغيرها من الأعياد التي تشكل فرصة لبيع مزيد من البضائع. ولكن ماذا بعد البيع؟

اهتدت بعض الشركات الصغيرة إلى تقديم خدمات جديدة، أهمها بيع رسائل مسجلة تستقبل الاتصالات عندما يكون الهاتف منطفئاً أو يكون صاحبه في مكان لا يسمح بوصول الأمواج الصوتية.

ومن الطريف أن الصورة الكاريكاتورية لأسامة بن لادن استعملت في واحدة من الحملات الدعائية وتشجع الزبائن على شراء رسائل مسجلة. وتنسب للرجل جملة ينطق بها بالفرنسية وباللهجة المضحكة التي غرستها قناة Canal + في الأذهان عبر برنامج لي غينيول.

وكتب صحافي فرنسي في أسبوعية سياسية مقالاً بعنوان واجب الوقاحة.. تعرض فيه لأسلوب لي غينيول الذي لا يرحم وإلى مخاوف بعض السياسيين من السلطة التي يتمتع بها الإعلام والتي تجعله يعالج بعض الموضوعات الحساسة بدون حدود.

واعترف الصحافي في مقاله هذا أن الممارسة الفكاهية اللاذعة التي تنطلق من الصور الكاريكاتورية للشخصيات المعروفة هي الثمن الذي يجب دفعه لإنجاح حملات دعائية تجارية مبالغ فيه.

فما هو موقف أسامة بن لادن من هذه الإشكالية يا ترى؟).

١٠- وفي موقع أوزبكستان المسلمة على الشبكة بتاريخ ١٤ جمادى الثانية ١٤٢٣هـ الموافق ٢٢ أغسطس ٢٠٠٢م الخبر التالي: (في طاجيكستان تباع في الخفاء فانلات مع صورة أسامة بن لادن.

ذكرت هيأة الإذاعة البريطانية مؤخراً بأن صورة أسامة بن لادن - العدو الأول لأمريكا - قد صارت موضة بين شباب العاصمة الطاجيكية مدينة دوشنبه، وبحسب الخبر فإن الفانلات مع صورة أسامة بن لادن أضحت إحدى بضاعة رائجة في المحال التجارية بالمدينة، وقد ظهرت هذه الفانلات قبل كل شيء في سوق "سخاوت" التي تعتبر أكبر الأسواق بدوشنبه، ولفتت أنظار كثير من الناس وبخاصة الشباب، ولكن الآن لا يسع التجار أن يبيعوا الفانلات المذكورة علانية، إذ الشرطة المحلية تلاحق من يتجر بها، وإذا رأتها في سوق تقوم بمصادرتها ومحاكمة صاحبها، بما أن السلطات الطاجيكية تتخوف أن يشتد تأثير أسامة بن لادن في الناس بسببها، وحسب إخبار الشرطة بنفسها فإنها قامت باعتقال ٣ مواطنين لبسوا فانلات تمثل صورة ابن لادن.

أما التجار فيعترضون على هذه الحملة الشرطية، وقد قال أحد التجار إن الفانلات مع صورة ابن لادن تباع في الدول الخارجية وحتى في الولايات المتحدة حريا، ولذا لا ينبغي أن تكون هناك مضايقة لبيعها.

وقال آخر: إن طاجيكستان دولة ديموقراطية وكل أحد يحق أن يلبس قميصاً أو فانلة شاء، سواء أفيه صورة ابن لادن أم غيره..

أما سيد عبد الله نوري زعيم حزب النهضة الإسلامي فاستنكر بيع هذه الفانلات ومن يتجر بها ويلبسها، حيث قال: من المحتمل أن يكون مرتدي الفانلات المذكورة من الشباب الناشئ والقليل الخبرة فإن مسلمي طاجيكستان لا يؤيدون ابن لادن وغاياته!!!، ذلك بأنه تورط في الإرهاب ونال بذلك من أعراض المسلمين في العالم!!!.

ولكن المراقبون يؤكدون على أن الشباب المسلم في طاجيكستان يتصور في أسامة بن لادن ليس إرهابياً، بل شخصيةً بارزة في العالم وبطلاً فذاً يمارس الحرب ضد الولايات المتحدة الأمريكية، ولذا ما زالت الفانلات مع صورته تباع في أسواق مدينة دوشنبه، وإن كان بصورة خفية).

١١- وأما في دول جزيرة العرب فتتزايد شعبية ابن لادن فيها عن بقية البقاع، فقد قال محللون: (إن أسامة بن لادن يحظى بشعبية متزايدة في منطقة الخليج حتى قبيل الهجمات التي استهدفت الولايات المتحدة في ١١ سبتمبر، إلا أن النصر الإعلامي الذي منحه له الرئيس الأميركي جورج بوش باستخدام تعبير الحملة الصليبية ضد ما أسماه بالإرهاب عزز من هذه الشعبية الآخذة بالتزايد أصلاً.

ويضيفون أن سعوديين [١] وخليجيين كثيرين عبروا عن تفهم لاتهامات ابن لادن للغرب بقدر إدانتهم للأساليب التي يستخدمها منذ اللحظة التي شنت فيها الهجمات القاتلة على مركز التجارة العالمي ووزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون).

وقالت مي يماني الباحثة الاجتماعية السعودية: إن ظاهرة أسامة بن لادن قوية جداً في السعودية، مشيرةً إلى أن هناك قدراً كبيراً من الخوف والتسليم بالقدر، والابتهاج المكتوم بما حدث.

وأضافت بأنها تحدثت مع شبان في السعودية ولاحظت بأنهم يعتزون بأسامة لأنهم يعتقدون أنه الوحيد الذي يتحدى الهيمنة الأميركية، وعزت ذلك إلى خيبة هؤلاء الشبان

---

[١] قريبًا ستسقط هذه التسمية إلى غير رجعة، وسيصبح الجميع ينادون بعضهم البعض بأسماء قبائلهم لا غير، أو بأبناء الجزيرة أو الجزري.

من السياسة الأميركية المنحازة لإسرائيل إذ إنهم يعتقدون أن الفلسطينيين ضحي بهم وأن إسرائيل هي المعتدي الرئيسي.

وقالت يماني إن ابن لادن يحظى على ما يبدو بتأييد الجماعات الإسلامية في أنحاء من السعودية بما في ذلك تزايد التأييد في منطقة الحجاز حيث ولد ابن لادن، وكثير من أسماء الذين تشتبه الولايات المتحدة بهم في الهجمات ينتمون لعائلات حجازية لكن السلطات السعودية تقول إنها تشتبه في أن المهاجمين استخدموا وثائق مزورة.

وقالت يماني – وهي أيضاً من الحجاز –: إنها لا تعرف مدى صلة ابن لادن بالإرهاب في منطقة الحجاز، لكن يمكنها القول إن له أتباعاً يتزايدون هناك.

تركيز واشنطن على ابن لادن باعتباره مصدراً للإرهاب المزعوم ساعد على إعطائه مكانة البطل الشعبي بين كثيرين في وطنه وفي أماكن أخرى في الخليج.

وجاء في رسالة رجال الأمن إلى وزير داخلية آل سعود الآتي: (لنكن واقعيين في نظرتنا ولا يأخذنا بغض ابن لادن إلى الإقدام على حسابات خطيرة وخاطئة، والواقع يؤكد أن الغالبية العظمى من أبناء شعبنا يرون أن ابن لادن بطل إسلامي وقائد للجهاد في هذا العصر، وتصل نسبة من يرون هذا الرأي إلى ٨٧% من أبناء البلد دون مبالغة، ولو أتحتم إجراء استفتاء مستقل دون ضغوط لبان لنا أن هذه النسبة المذكورة أقل من الحقيقة، وهذا يعني أن الشعب سيقف إما مؤيداً لأتباع ابن لادن في حال اندلا ع الحرب أو محايداً خوفاً من الدولة).

كما يروق نمط حياة ابن لادن المتقشف لبعض المسلمين الذين يسترجعون تاريخ السلف الذين تخلوا عن ثرواتهم وحياتهم المترفة للدفاع عن الإسلام في فجره.

ويشكوا معلقون خليجيون عرب من تصوير ابن لادن كشيطان بقوة أكبر من أي وقت مضى مع بث شبكات التلفزيون الغربية تقارير عن الحشد العسكري الأميركي ونقلها للمشاهدين العرب وابلاً من قدح السياسيين الغربيين لما يعتبرونه ثورياً ناسكاً.

ويقول المحللون إن خطاب السياسيين الأميركيين المتباهي بالحرب سيقوض تأييد عرب الخليج لواشنطن.

وقال تشارلز فريمان السفير الأميركي الأسبق في السعودية: إن الغرب جعل ابن لادن صورة من روبن هود بطل القصص الشعبية الإنجليزية الذي يحظى باحترام، لأنه كان يسرق الأغنياء ليعطي الفقراء.

وأضاف أن الشك لا يراوده في أنه يحصل على مساهمات مالية من مصادر عديدة.

وقال محللون عرب وغربيون: إن التعاطف مع ابن لادن تزايد أكثر عندما استخدم بوش كلمة "حملة صليبية" التي أثارت عداوات قديمة باستدعاء ذكرى الحملات المسيحية المتعصبة ضد المسلمين في العصور الوسطى.

وفسر البيت الأبيض في وقت لاحق أن الرئيس كان يستخدم الكلمة بمعناها الاصطلاحي المعاصر أي حملة شديدة واسعة النطاق.

وقال محمد المسكري المساعد العماني السابق للأمين العام لمجلس التعاون الخليجي: إنه شاهد برنامجاً حوارياً بثته شبكة تلفزيون خليجية وكان جميع من اتصلوا بالبرنامج يقولون إن بداخل كل منهم ابن لادن.

وأضاف أن هؤلاء لا يوافقون على ما حدث في نيويورك لأنه تضمن قتل أبرياء، لكن وسائل الأعلام الأميركية جعلت منه صلاح الدين جديداً.

كما أثار اسم (العدالة المطلقة) الذي أطلقه بوش على الحملة بعض المسلمين الذين يرون أن العدالة المطلقة لله وحده.

وأشار دبلوماسي غربي إلى تقارير شاهد عيان لمظاهرات الفرح في عدة دول خليجية في اليوم التالي للهجمات، لكنه قال إن التعاطف مع ابن لادن وترجمة هذا التعاطف إلى مساعدة عملية أمر آخر تماماً.

ويقول محللون إن تعاطف أي عائلة عربية أو مسلمة في العالم – حيث تعرض الأخبار في التلفزيون صور القوات الإسرائيلية وهي تقتل الفلسطينيين إلى جانب صور الحشد الأميركي الحالي في الخليج – مع ابن لادن وارد الآن.

١٢– هوليود ينوي إصدار فيلم عن بان لادن: (تسعى هوليود لإنتاج فيلم يروي تخطيط أسامة بن لادن لتفجير البيت الأبيض وقتل الرئيس الأميركي، والفيلم عبارة عن رواية ألفها بريطاني قبل عامين، ووصف الكاتب لاندي ماكناب الهجمات الأخيرة بالولايات المتحدة بأنها أقوى من الخيال، وأنه لم يكن ليفكر في كتابة ما حدث.

وقال ماكناب إن الرواية نشرت لأول مرة عام ١٩٩٩، وأن الصفقة السينمائية أعدت مع شركة ميراماكس للإنتاج السينمائي عبر مفاوضات استمرت شهورًا.

وأضاف ماكناب معلقًا على الهجمات: (لم أصدق ما رأيت.. كنت عائدًا لتوي من نيويورك حيث كنت أقوم بالدعاية لأحدث رواياتي).

وأضاف الكاتب البريطاني أنه تم إبرام صفقة إنتاج الرواية مع شركة ميراماكس

وماكناب وهو جندي في القوات الخاصة البريطانية تحول إلى روائي وصاحب أعلى مبيعات، وقام بكتابة روايته في عام ١٩٩٩ بعنوان (الأزمة الرابعة).

وبدأت شهرة ماكناب عندما كتب رواية استندت على ما شاهده أثناء الخدمة في حرب الخليج الثانية.

وتدور رواية (الأزمة الرابعة) عن سارا غرينوود البريطانية التي يجندها أسامة بن لادن للتسلل للبيت الأبيض.

وتشعر شركة الإنتاج من جانبها بقلق من حساسية الموضوع في الوقت الذي تبتعد فيه هوليود بشكل عام عن أفلام الكوارث، وعينت كاتب سيناريو لكنها لم تحدد موعداً بعد لبدء الإنتاج.

وقال المتحدث باسم الشركة التي تملكها شركة والت ديزني (هذا مشروع تجري مناقشته منذ عام واتفق عليه في يوليو/ تموز. ولكن بعد المأساة التي وقعت في الفترة الأخيرة سنتعامل مع المشروع بأكبر درجة ممكنة من الحساسية).

١٣- وأما عن شعبية الإمام أسامة في أفغانستان فقد قال جمال إسماعيل حين سئل عن نظرة الأفغان للإمام أسامة بن لادن [١]: (أما كيف ينظر الشعب الأفغاني بعمومه إلى الشيخ أسامة والقاعدة، فقبل الانسحاب من قندهار كنت هناك، وكان الجميع يقدر أسامة والعرب، وسمعت من الصحافيين العرب الذين قدموا من أفغانستان خلال الأشهر الثلاثة الماضية سواء قندهار أو كابل أو غيرهما من المدن أن الشعب الأفغاني بعمومه كان ولا زال يكن الحب والتقدير للشيخ أسامة بن لادن وغيره من العرب، ولا عليك بما تسمعه أو تراه على شاشات التلفاز فإن هؤلاء كالزبد ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾).

---

[١] في مقابلته مع منتدى السقيفة.

١٤ – وقد خُصص للشيخ أسامة ولتنظيمه وأتباعه كثير من البرامج واللقاءات على كل المحطات والقنوات الفضائية، مما يعني أنهم ظاهرة قوية لا يستهان بها، وأن أثرهم كبير جداً تجاوز كل الحدود الجغرافية ووصل إلى كل قطر وبلد، جاء على موقع الجزيرة نت ما يلي: (لم تنفرد قناة الجزيرة بإذاعة أحاديث أسامة بن لادن وكبار أعضاء تنظيم القاعدة عقب تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر فحسب، وإنما كان لها حضورها المميز على جبهات القتال في كابل وخوست وتورا وبورا، كما أفسحت القناة مساحات كبيرة من خريطة برامجها لهذا الحدث لمتابعة تداعياته سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، كما يظهر من هذه المختارات:

١ – أولى حروب القرن:

٨٠ حلقة حول الحدث وتداعياته.

٢ – أكثر من رأي:

تفجيرات نيويورك وواشنطون.

أميركا وأفغانستان وابن لادن.

العرب وأميركا والتحالف ضد الإرهاب.

٣ – الاتجاه المعاكس:

انفجارات أميركا.

مستقبل العولمة بعد أحداث أميركا.

أميركا والاستخفاف بعقول العالم.

٤ – الشريعة والحياة:

إعادة قراءة لما بعد أحداث أفغانستان.

محاولات تغيير المناهج الإسلامية.

٥ - لقاء اليوم:

طارق علي المفكر اليساري.

الدور الأميركي على الساحة الدولية بعد أحداث سبتمبر.

تيري ميسان.

كتاب الخديعة الكبرى.

يفغيني بريماكوف رئيس وزراء روسيا السابق.

الموقف الروسي من حرب أفغانستان. ٦

- سري للغاية:

أسرى طالبان والقاعدة في غوانتانامو الأميركية.

تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر (١/ ٢).

تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر (٢/ ٢).

٧ - حوار مفتوح:

العرب بعد عام على أحداث سبتمبر.

العلاقات العربية الأميركية الراهنة.

العلاقة بين الأميركان والعرب.

٨ - تحت المجهر:

وصية أحمد الحزنوي الغامدي.

خفايا جديدة عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

قانون الأدلة السرية في أميركا.

- نقطة ساخنة: الصراع الدولي في آسيا الوسطى.

١٠ - بلا حدود: ما بعد الهجمات على الولايات المتحدة.

أهداف الحرب الأميركية على الإرهاب.

الموقف الشعبي من الحملات الأميركية على السعودية.

١١ - لقاء خاص:

محفوظ ولد الوالد (أبو حفص الموريتاني).

العلاقة بين تنظيم القاعدة وطالبان.

تيسير علوني مراسل قناة الجزيرة في كابل.

عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية.

العرب والحرب الأميركية ضد الإرهاب.

١٢ - الملف الأسبوعي:

أهداف الحملة الأميركية على الإرهاب.

مطاردة ابن لادن.

مذبحة السجناء العرب والأجانب في مزار الشريف.

١٣ - مراسلو الجزيرة: الموطن الأصلي لأسامة بن لادن.

مسلحو القاعدة وجنود أميركان.. من يطارد من؟.

الضغوط على الجاليات وحرب الإرهاب.

١٤ - الكتاب خير جليس في الزمان:

ساعتان هزتا العالم.

١٥ - للنساء فقط:

أسر الأفغان العرب.

واقع ومستقبل المرأة الأفغانية.

١٦ - قضايا الساعة:

فشل أميركا في منع كارثة سبتمبر.

القبض على شبكة تجسس إسرائيلية في أميركا.

مستقبل العلاقات السعودية الأميركية.

١٧ - من واشنطن: تداعيات أحداث سبتمبر على الحقوق المدنية.

صورة الإسلام في أميركا.

١٨ - منبر الجزيرة:

العالم بعد مرور عام على أحداث سبتمبر.

١٩ - برامج متفرقة:

أسامة بن لادن يتحدث.

تُهم وشائعات حول الإمام أسامة بن لادن

(قليل هم أولئك الذين يدركون حقيقة منهج هذا الدين العظيم وحجم تكاليفه، فعندما خلق الله الجنة والنار وبعث جبريل ليراهما ورأى الجنة وما فيها من نعيم للوهلة الأولى قال: (والله يا رب لم يسمع بها أحد قط إلا دخلها، فلما أن رآها بعد ذلك قد حفت بالمكاره قال: (والله يا رب خشيت أن لا يدخلها أحد).

فالطريق الذي أراده الله أن يوصل إلى الجنة ليس مزروعاً بالورود والرياحين، كلا بل هو محفوف بالمكاره والابتلاءات والأذى والدماء، ولو كان أحد يدخل الجنة دون سلوك هذه الطريق لكان أولى الناس به رسل الله وأنبياؤه الذين اصطفاهم الله من خيرة خلقه؛ فقد أوذوا وشوهوا وكذبوا؛ فصبروا على ما كذبوا حتى أتاهم نصر الله ولا مبدل لكلمات الله.

وهذه الحقيقة يعرفها كل عاقل درس منهج الأنبياء وتاريخ الدعوات، فالذين يحلمون أن يكونوا من ورثة الأنبياء ثم يبحثون عن رضى الناس أو الحكومات لم يفقهوا حقيقة هذا المنهاج؛ إن الأنبياء جاؤوا ليقلبوا أوضاع أقوامهم المنكوسة رأساً على عقب لا لينخرطوا فيها ويرقعوها بدعاوى الإصلاح، فإن داء الشرك لا يصلحه إلا الاستئصال من الجذور.. ولذلك عودوا وأوذوا هم وأتباعهم) [١].

شيخنا الحبيب ناله النصيب الوافر من التهم والإشاعات وتشويه الصورة والتكذيب، ونحسبه ممن صبر على ذلك لأنه أدرك ويدرك أن الابتلاء قبل التمكين سنة كونية، فهو يعلم (أن المعركة بين الكفر والإيمان معركة قديمة بدأت منذ أن خلق الله عز وجل آدم عليه السلام وأمر الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا طائعين لخالقهم متعبدين بفعلهم، إلا إبليس أبى

---

[١]] مقال (لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي) لأبي محمد المقدسي فك الله أسره.

واستكبر أن يسجد لبشر خُلق من طين، فكفر بفعله هذا وطُرد من رحمة الله عز وجل، ثم إنه سأل ربه أن ينظره إلى يوم الدين فكان له ما طلب.

وبدأ منذ ذلك الحين في حرب أولياء الله وغوايتهم، فكانت البداية من آدم عليه السلام ومن ثَمَّ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فما من نبي بعث في أمة من الأمم إلا وكان الشيطان يترصد له ولدعوته مستخدماً جميع وسائله في الصد عن سبيل الله، فظهر في ساحة المعركة على مر العصور فريقان متضادان، فريق عَبَدَ الله وحده لا شريك له واتبع نبيه واهتدى بهديه فهؤلاء أولياء الرحمن، وفريق كفر بالله وكذب نبيه وتصدى له وحاربه، إما تعصباً لدين الآباء والأجداد، وإما لملك وسلطان وإما لغير ذلك فهؤلاء هم حزب الشيطان.

وكان من حكمة الله عز وجل أن جعل ظهور الحق وتمكنه موقوفاً على ثبات الرجال وصبرهم في سبيل الحق الذي يعتقدونه وهذا ما يعرف بالأسباب البشرية، وإلا فالله قادر على أن يرسل ملائكة من عنده ولكن كل قد خلق لما هو ميسر له.

فكانت سنة الابتلاء والتمحيص حتى يعلم الله المؤمنين، ويعلم المنافقين ويعلم الصابرين ويعلم ضعاف النفوس، ولاشك أن الله عز وجل يعلم ما كان وما سيكون، فكل كبيرة وصغيرة قد كتبت في اللوح المحفوظ، فهذا مؤمن وهذا كافر، وهذا بر وهذا فاجر، ولكن الله عز وجل لا يظلم مثقال ذرة، فهو سبحانه يحاسبهم على ما يصدر منهم من أعمال، لا على ما يعلمه من حالهم. يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾، ويقول أيضاً: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾.

فالله عز وجل يرسل الرسل حتى يدعوا الناس إلى عبادة الله عز وجل وتوحيده وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ثم إن الله عز وجل يبتليهم فينظر هل يصبرون ويحتسبون أم ينكصون ويتراجعون ويتركون ما كانوا عليه، وبذلك يحاسب الله الناس على ما صدر منهم من أعمال في الدنيا ويجعلها مناط الثواب والعقاب بالرغم من علمه سبحانه أنها ستكون، ولهذا كان الابتلاء في الدنيا بمثابة النهر الذي يفصل بين ضفتين فلا يصل إلى الضفة الثانية إلا من

كان يجيد السباحة ويصبر على تحمل المشقة، فحال الناس في ذلك لا يعدو قسمين، قسم بدأ في السباحة إلى الضفة الثانية ولكنه لم يصبر على مواصلة المسير ففضل الراحة والسلامة ورجع من منتصف الطريق، وقسم صبر وبذل كل ما في وسعه حتى وصل إلى الضفة الثانية بسلام، فمثل هؤلاء كمن آمن وصبر على البلاء واحتسب فنال ما كان يرجو. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ۝ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾.

ولو نظرنا إلى سيرة الأنبياء ابتداءً من نوح عليه السلام وانتهاءً بالمصطفى ﷺ، لوجدنا أن هناك مرحلة حتمية مر بها جميعهم صلوات ربي وسلامه عليهم، وهي مرحلة الابتلاء والاستضعاف.

فهذا نوح عليه السلام يمكث في قومه ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً ولم يؤمن به إلا القليل، ومع أنه صبر وتلطف في دعوته واتبع الوسائل المختلفة فيه ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، إلا انهم طغوا وتجبروا وازدادوا كفراً وقالوا: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾.

لقد كان ابتلاءً عصيباً وامتحاناً عسيراً أن يمكث في قومه هذه المدة الطويلة ولا يؤمن به إلا القليل، وعندما أيقن أن القوم يكيدون له دعا ربه فقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۝ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. فأنجاه الله ومن معه وأغرق الذين كفروا، ومُكن لنوح عليه السلام وللفئة المؤمنة التي اتبعته.

وهذا موسى عليه السلام يدعو فرعون وقومه ويريهم آيات الله، فيقولون هذا ساحر عليم، ويجمع فرعون كيده وينادي بالسحرة من كل مكان ويعدهم، ويمنيهم أنهم سيكونون من المقربين، وأن لهم لأجراً إن كانوا هم الغالبين، وما هي إلا لحظات حتى ذهب سحرهم أمام عظمة صنيع الله عز وجل ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾.

عندها بدأت مرحلة الابتلاء للفئة المؤمنة بموسى وعلى رأسهم السحرة الذين آمنوا وما كان جوابهم حين هددهم فرعون وتوعدهم بأن يقطع أيديهم وأرجلهم وصليهم في جذوع النخل إلا أن قالوا له: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، فقتل من قتل منهم، ونجى موسى عليه السلام وطائفة من المؤمنين به، خرج بهم موسى ليلاً، حتى إذا وصلوا إلى البحر قالوا لموسى إنا لمدركون، فأوحى الله عز وجل إلى موسى أن يضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، ومضى موسى ومن معه، في ذلك الطريق والذي كان معجزة من معجزات موسى عليه السلام، فتبعه فرعون وجنوده فأغرقهم الله وأخذهم بذنوبهم، ونجّى موسى ومن معه، وانتهت المعركة وأسدل الستار معلناً عن نهاية أعتى طواغيت الأرض في ذلك الزمان.

إن الذي سن الابتلاء على عباده الصالحين لقادر على أن يأخذ المسيئين الذين يفتنون الناس عن دينهم، وإن أبطأ سبحانه في ذلك فالخير كل الخير فيما قدّره جل شأنه ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾.

فأمر هذا الدين بيد الله سبحانه وتعالى إن شاء أظهره وقت ما شاء وكيف من شاء، فالذي يظن أن بإمكانه الدخول في المعركة والخروج منها منتصراً دون أن يدفع ثمن تمسكه بالحق والدعوة إليه، فهذا لم يدرك طبيعة الصراع، بل إن الذي يسلك هذا الطريق عليه أن يعلم أنه قاب قوسين أو أدنى من الابتلاء، ولا شك أنه ليس الأول ولا الأخير، فقد أُبتلي الأنبياء والصالحون، وفي الحديث الصحيح: ((أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء)).

فهي إذن سنة ماضية ما بقيت المعركة بين الكفر والإيمان قائمة، وهنا نذكر بعض ما لاقاه الرسول ﷺ من أذى وإساءة من مشركي مكة:

لما نزل الوحي عليه ﷺ رجع إلى خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وهو يرجف ويقول: ((زملوني.. زملوني))، وبعد أن ذهب عنه الروع أخبر خديجة رضي الله عنها بالذي حدث

في غار حراء، فانطلقت به إلى ورقة بن نوفل فأخبره ﷺ بالذي حدث معه، فكان مما قاله ورقة بن نوفل: (يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال ﷺ: ((أو مُخرجيَّ هم؟)) قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً) [والقصة في صحيح البخاري].

لقد علم الرسول ﷺ أن الأمر الذي أسند إليه أمر في غاية الصعوبة، وأدرك ﷺ أن أمامه من العقبات والصعاب ما لا يعلمه إلا الله، ولكنه مع ذلك كله مضى في أمره مستعيناً بالله.

وقد لاقى الرسول ﷺ من مشركي قريش الأذى الكثير، فهذا يطرح عليه سلا الجزور وهو ساجد لربه، وذاك يهمزه ويلمزه، وثالث يمسك بتلابيبه، وقد حدث هذا كله للنبي ﷺ مع ما يتمتع به من منعة أبي طالب الذي كان سيداً من سادات قريش.

ولنلق نظرة على ما ناله أصحابه ﷺ من تنكيل وتعذيب، وما كان ذنبهم إلا أن قالوا ربنا الله:

فهذا مصعب بن عمير رضي الله عنه، وقد كان من أنعم الناس، لما سمعت أمه بإسلامه منعت النفقة عليه وأخرجته من بيته وما رده ذلك عن دينه، وهذا بلال رضي الله عنه يُسلمه أمية بن خلف إلى الصبيان يلعبون به في أنحاء مكة ثم يطرحه في وقت الظهيرة، ويضع على صدره صخرة كبيرة، وما زاده ذلك إلا إيماناً وتسليماً وما كان شعاره يومها سوى أحد.. أحد.. وغيرهم من الصحابة كثير تعرضوا للابتلاء، كعمار بن ياسر وخباب بن الأرت وعثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين.

لقد تربى هؤلاء الرجال في أتون المحنة وخرجوا من رحمها رجالاً، هؤلاء الرجال الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ، وكان لا بد أن يختبروا ويمحصوا لأنهم سوف يقومون بحمل هذه الأمانة العظيمة، فهم الرعيل الأول وعليهم ستدور رحى المعركة.

لقد كان الرسول ﷺ يعد المؤمنين في بداية الدعوة بأن لهم الأجر في الآخرة، ولم يكن يعدهم بأنهم سينتصرون على قريش ويقتصون من كل من آذاهم، وهذا كان واضحاً في القرآن المكي، فلا يستطيع أن يصبر على هذا الأذى إلا من كان يرجو الآخرة وليس لديه أية مطامع دنيوية، وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ الذين خاض بهم المعارك حتى من الله عليه بإقامة دولة الإسلام وفتح مكة.

ولو نظرنا إلى ما تمر أمتنا الإسلامية في هذه الفترة لوجدنا نفس الأسلوب في حرب أولياء الله، فإن كان في زمن الأنبياء طغاة متجبرون ففي زمنا هذا من هو أطغى، وإن كان أتباع الأنبياء قد عُذبوا وقُتلوا في سبيل دينهم، فإن أبناء الإسلام اليوم يسامون سوء العذاب فيوضعون في السجون ويفتنون عن دينهم وتنتهك أعراضهم وما ذنبهم إلا أنهم قالوا ربنا الله)[١].

إذن كما قال الله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

يقول الشيخ الإمام حمود العقلا الشعيبي رحمه الله [٢]: (مما ابتليت به الأمة اليوم ما أخبرنا به النبي ﷺ أن يوسد الأمر إلى غير أهله، فإعلامنا المقروء والمسموع قد أُوكل إليه أسافل القوم ممن لا يشهد لهم بصلاح ولا استقامة إلا ما ندر، وإن أتيت على كثير منهم وجدتهم يرددون مالا يفقهون تقليداً للغرب الكافر وتطبيقاً لسنة المغلوب المتبع للغالب اتباعاً للهوى والشهوات ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولما كان هؤلاء على ما هم عليه من نفورٍ عن الدين كانت ضراوتهم على أهل الدين أعظم وأعظم، لأن موالاة أهل الإسلام العاملين له يتنافى مع تقاليد الغرب الغالب على هؤلاء).

---

[١] عن مجلة (المجاهدون).

[٢] الإعلام الجائر (٢).

وقد كشفت قضية الإمام ابن لادن الأمانة المزعومة للإعلام الغربي وأبواقه في العالم الإسلامي والعربي حين استثمروا جهل العالم بحقيقة الإمام وصعوبة رده عليهم [١]، فشرعوا

---

[١] جاء في نشرة الإصلاح العدد ١٣٢ بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٩٩٨م ما يلي: (هذا اللت والعجن حول بن لادن: جهل العالم الغربي بقضية بن لادن وحقيقته ربما يفسر جرأة الإعلام الغربي وخاصة الصحافة الأوروبية والأمريكية على استثمار هذا الجهل وسوق كل أنواع القصص على القراء لعدم وجود جهة مرجعية تخطّئ أو تصوّب هذه القصص.

هذا الإعلام مثلاً لا يستطيع أن يؤلف الروايات والأساطير عن الجيش الجمهوري في أيرلندا أو منظمة الباسك في أسبانيا بسبب وجود مختصين ومراجع يردون على من يتجاوز حدوده في اختلاق الأكاذيب حول تلك المجموعات، لكن في حالة ابن لادن قل ما شئت فحريٌّ بك أن تُصدّق.

القائمون على الإعلام الغربي يعلمون أن جمهورهم في المجتمع الغربي لا يفهم ابن لادن ولا يفهم الطالبان ولا يفهم الجهاد ولا التركيبة العربية والإسلامية، ولا يعرف كثيراً عما يجري في المجتمعات الإسلامية، ولذلك يحق لهم أن يسوقوا الأكاذيب والأساطير كما يشاؤون، لكن أن تتجاوز هذه الممارسة الإعلام الغربي إلى الحكومات الغربية وخاصة الولايات المتحدة فإن هذا هو المرفوض.

إن الذي يجري في أمريكا الآن بل وفي بعض دول أوروبا هو استثمار أقصى لواقع الجهل لدى العامة في الغرب بقضية ابن لادن وتوابعها، وتشكيل القضية بصورة معينة تبرر إيذاء أكبر عدد ممكن من الناشطين الإسلاميين، وتقوية العداء للإسلام والنشاط الإسلامي، بل وتبرير الاستراتيجية الأمريكية الحالية باعتبار الإسلام العدو الأول بعد سقوط الشيوعية.

الحديث عن تنظيم القاعدة وأموال ابن لادن التي سوف تتابعها الأقمار الصناعية والمخابرات الإلكترونية والحديث عن عشرات (المنظمات الإرهابية) التي وقعت معاهدة مع ابن لادن، وعلاقاته المزعومة مع المخابرات السودانية والحرس الثوري الإيراني، كل ذلك يدل على احتمالين: إما الجهل الحقيقي، أو تعمد الاختلاق من أجل تنفيذ خطة معينة يريدها الأمريكان.

إذا كان التفسير هو جهل حقيقي فهذا واقع يبشر بخير كثير ويدل على أن المخابرات الأمريكية بفرعيها CIA و FBI نمر من ورق لا يمكن بحال أن تواجه المد الإسلامي سواء كان المد السلمي أم المسلح.

وإذا علمنا أن حلفاء أمريكا من العرب لم يقصروا في تزويد أمريكا بما لديهم من معلومات استنتجنا أن الجهل لدى الجميع وأن هذا الحلف بين أمريكا وبعض حكام العرب لن يكسب معركة مع القوى الإسلامية إذا كان هذا هو مستوى معلوماته.

أما إذا كان التفسير اختلاق أكاذيب تسوقها الإدارة الأمريكية بالتنسيق مع حلفائها مستغلة جهل الرأي العام في الغرب بابن لادن وهذا هو الاحتمال الأقوى، فإن ذلك سيكون دليلا على قابلية التركيبة الأمريكية للتحايل من قبل الدولة وتبرير الأفعال من خلال صناعة الأكاذيب. وإذا أُريد لهذه القضية أن توضع في إطار سهل الفهم فلا أدل عليها من أسطورة مصنع السلاح الكيماوي الذي كان من سوء حظ الأمريكان أنّ كامل تاريخه وتركيبة إدارته والأموال التي تشغله كل ذلك مكشوف ومعلن ولا يمكن بحال أن تركب عليه رواية السلاح الكيماوي، ومع ذلك تصر الإدارة الأمريكية إلى الآن على مزاعمها الأولى ولا تبدي أي استعداد للاعتراف بالخطأ.

وهذا الإصرار من قبل الإدارة الأمريكية رغم وجود ما يكذب المزاعم دليل على أن الإدارة الأمريكية تعلم أن الشعب الأمريكي من السهل أن يصدق ما تسوقه عليه من مزاعم.

جورج بوش رئيس أمريكا السابق عبر بصراحة في مؤتمر صحفي بأن ضرب ذلك المصنع ليس قراراً عسكرياً بل قرار له علاقة بمشاكل كلينتون وحسب.

إن تصرفات الإدارة الأمريكية الحالية تذكر بموجة المكارثية التي سادت في الستينات حيث كان موظفو الأمن والإعلاميون في أمريكا يستطيعون إيذاء أي شخص من خلال اتهامه بالشيوعية مستغلين سطحية الشعب الأمريكي وجهله بحقيقة الشيوعية وانتشارها في أمريكا (مع الفارق طبعا).

المشكلة الأخرى أن الذي يستثمر الجهل ليس الصحافة الغربية والسلطات الغربية، بل حتى بعض الصحافة العربية التي تبيع عدداً كبيراً من القصص المتناقضة، من محاكمة ابن لادن إلى تسليم ابن لادن إلى تزويج ابن لادن إحدى بناته للملا عمر، إلى سفر ابن لادن إلى سويسرا إلى غير ذلك من الأساطير المضحكة.

مشكلة هذه الصحف أنها لا تستحي ولا يهمها أن تورد خبراً اليوم من (مصادرها الخاصة) وتناقضه غداً من (مصادرها الخاصة)، دون أي اعتذار أو شبه اعتذار أو مخرج لهذا التناقض).

في تأليف الروايات واختلاق القصص والأساطير، وقذف التهم والإشاعات، لأسباب استخباراتية وسياسية من خلال صناعة صورة معينة للإمام في أذهان الرأي العام العالمي.

ومن ثم أعلنت أغلب دول العالم تحالفها ضده في حرب شاملة على ما نعتقد هي الحرب الأولى في التاريخ التي تقوم من جهة بين دول وكيانات متحالفة مستخدمة أحدث ما تفتق عنه الذهن البشري من أسلحة الدمار الشامل، وبين فرد وجماعة مستضعفة من جهة أخرى.

نبئتُ أن النار بعدك أُوقدت واستبَّ بعدك يا كليبُ المجلسُ
وتحدثوا في أمر كل عظيمةٍ لو كنت حاضرهم بها لم ينبسوا

يقول جمال إسماعيل وهو يتحدث عن مسألة صعوبة لقاء الإمام بوسائل الإعلام [١]: (لقاء مع العرب: لم يمض كثير وقت حتى وصلت إلينا حافلة تقل عدداً من العرب الذين جاؤوا لنقلنا إلى مكان المقابلة، وكان في مقدمتهم أبو حفص المصري الذي يطلق عليه الساعد الأيمن للشيخ أسامة بن لادن وصحبه الدكتور أيمن الظواهري أمير جماعة الجهاد في مصر.

(أهلاً بأول صحفي مسلم يأتينا منذ فترة طويلة).. كانت أول عبارة سمعتها من أبي حفص حين نزل من الحافلة مرحباً بي بحرارة، وكان هذا أول لقاء لي بهما مذ غادروا بيشاور إلى السودان عام ١٩٩٢، وظهر جلياً كيف تغيرت ملامحهما واشتعل رأساهما شيباً خلال ست سنوات ونصف منذ آخر لقاء بهما.

تحدثت قليلاً مع أبي حفص حول المقابلة الموعودة وكانت عنده استفسارات حول عدم تمكن الجزيرة من اللقاء بالشيخ أسامة بن لادن في المرتين الماضيتين، مشيراً إلى أنهم اقتربوا من الحدود كثيراً جداً وانتظرونا أكثر من مرة وكانوا تواقين لمثل هذا اللقاء.

---

[١] ابن لادن والجزيرة وأنا (٨٨-٩١).

كان الترتيب للمقابلة ومكانها هو المحور الأساسي في الحديث مع أبي حفص، وعلمت منه أنه يتم الإعداد وقتها لمكان اللقاء، وأن هذا قد يستغرق بعض الوقت بما لا يزيد عن الساعة تقريباً.

لم يطل انتظارنا وجاءت حافلة بها عدد ممن بات يطلق عليهم الأفغان العرب، والذين رحبوا بنا بحفاوة بالغة وأدب جم، انتقلنا بعدها في الحافلة إلى مكان خارج مدينة قندهار وقطعنا مسافة تزيد على ثلاث ساعات تقريباً في مناطق ترابية أشبه بالرمال، ومع أن زجاج السيارة لم يكن مظللاً وكان الوقت نهاراً إلا أننا لم نتبين حقيقة وجهتنا بسبب ما كان يتصاعد من غبار وأتربة من تحت عجلات السيارة غيرت ألوان وجوهنا وملابسنا حتى ونحن داخل الحافلة!

وفي الطريق كانت هناك سيارات للحراسة تنتظرنا لترافقنا إلى المكان الذي وقع الاختيار عليه للمقابلة، وبعد توقف في الطريق عدة مرات واضطرارنا دفع السيارة بأيدينا لإخراجها من الرمال التي غرزت فيها وصلنا بفضل الله إلى مكان المقابلة.

في عش النسر: تلة عالية جرداء تشرف على المناطق المحيطة بها، وقريب منها سلاسل جبلية وعرة قاحلة، هي المكان الذي اختاره الشيخ أسامة بن لادن وأنصاره مكاناً للقاء، وقد نصبت ثلاث خيام إحداهن اتخذت مصلى بينما كانت الأخريان مقراً للشيخ وأنصاره.

ما يربو على الثلاثين شاباً بدوا مدججين بالسلاح، كانوا من مجموعات الحراسة الخاصة بالشيخ ومرافقيه إلى هذا المكان، وقد رأينا قبيل مغيب الشمس عدداً آخر من الشبان الذين اعتلوا قمم الجبال القريبة وكان بحوزتهم مدافع مضادة للطائرات وصواريخ ستينغر الأمريكية، وكان بين المجموعتين نوع من الاتصال عبر أجهزة الراديو.

اقترب منا اثنان من الحراس وبأدب جم أبلغاني أن عليهما تفتيش معداتنا، وأن هذا إجراء أمني لا يقصد منه شيء آخر، فقلت لهما افعلا كل ما تريانه مناسباً لكم ولأمنكم،

نحن نريد المقابلة وحسب، وإن كان معكم معدات أخرى نصور بها ولا تريدون أن نستخدم معداتنا فلا مانع لدينا!!.

كان مصوري نصرانياً من باكستان، وأخبرت مضيفي بأنه نصراني وغير صائم، فسارعوا بإعداد طعام له حين وصوله، واستغرب المصور من كرم المضيفين وفي رمضان، خاصة وأنه لم يتمكن من طلب طعام في ضيافة الحكومة الأفغانية خشية عدم فهمهم له.

وفيما كان المصور يتناول طعامه، أخذت في الحديث مع الحراس الذين كان بعضهم رآني أيام بيشاور وعرفوني من عملي في مجلة عربية كانت تصدر من هناك).

وبعد هذه التوطئة نذكر هذه التهم والإشاعات مع الرد عليها ما أمكن، وإلا فبعض هذه التهم ليس كذلك، لا لأنه ليس صحيحاً فقط، بل لأنه لو صح لما كان (تهماً) يحتاج المتهم بها للتبرؤ منها أو الاعتذار عنها.

إذا مناقبي اللاتي أدل بها كانت ذنوباً فقل لي كيف أعتذر؟!

ومن هذا القبيل فيما نحسب، ما ذكره ويذكره البعض من تهم للشيخ أسامة بن لادن بأنه يكفر الحكومات، ويشجع القتال داخل البلاد الإسلامية!!.

يا ناطح الجبل العالي لتَكْلِمَهُ أشفق على الرأس لا تُشْفق على الجبل

ونحن ندعو المسلمين في كل مكان إلى المنهج الإسلامي في التعامل مع الشائعات والتهم إذ يقول الله عز وجل: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً﴾، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ فكيف إذا كان الذي يجيء بالأنباء هم الكفار من اليهود والنصارى والمرتدين؟!!!

التهمة الأولى: أن الإمام أسامة بن لادن صناعة أمريكية وعميل لـ CIA.

ترددت هذه التهمة كثيراً في وسائل الإعلام وتلقفها كثير من الناس بالتصديق، وقد سئل إمامنا عن هذه التهمة في مقابلته مع قناة الجزيرة:

سؤال: ذكر في وسائل الإعلام العالمية عن دعم أمريكا للجهاد الأفغاني ضد الاتحاد السوفيتي الذي شاركتم أنتم في هذا الجهاد بنفسكم ومالكم، وكما ذكر أيضاً في وسائل الإعلام العالمية أنكم كنتم على صلة أو أن الاستخبارات الأمريكية كانت هي التي تمول نشاطكم وتدعمكم في هذا الجهاد، ما هي حقيقة هذه الادعاءات، وما صحة الصلة بينكم وبين أمريكا في ذلك الوقت؟.

أسامة: (هذه محاولة للتشويه من الأمريكان. الحمد لله الذي رد كيدهم إلى الوساوس، وكل مسلم منذ أن يعي التمييز وفي قلبه بغض الأمريكان، وبغض اليهود والنصارى هو جزء من عقيدتنا وجزء من ديننا، ومنذ أن وعيت على نفسي وأنا في حرب وفي عداء وبغض وكره للأمريكان، وما حصل هذا الذي يقولونه قط.

أما أنهم دعموا الجهاد أو دعموا القتال فهذا الدعم عندما تبين لنا، في الحقيقة هو دعم من دول عربية وخاصة الدول الخليجية لباكستان حتى تدعم الجهاد، وهو لم يكن لوجه الله سبحانه وتعالى وإنما كان خوفاً على عروشهم من الزحف الروسي، وأمريكا في ذلك الوقت كان كارتر لم يستطع أن يتكلم بكلمة ذات شأن إلا بعد مرور بضع وعشرين يومًا في عام ١٣٩٩ هجرية الموافق من عشرين يناير ١٩٨٠، قال: إن أي تدخل من روسيا إلى منطقة الخليج فإن أمريكا سوف تعتبره اعتداءً عليها، لأنه محتل لهذه المنطقة محتل للبترول، فقال نحن نستخدم القوة العسكرية إذا حصل هذا التدخل.

فالأمريكان يكذبون، إذا زعموا أنهم تعاونوا معنا في يوم من الأيام ونحن نتحداهم ليبرزوا أي دليل، وإنما هم كانوا عالة علينا وعلى المجاهدين في أفغانستان، ولم يكن أي اتفاق، وإنما

كنا نحن نقوم بالواجب لنصرة الإسلام في أفغانستان، وإن كان هذا الواجب يتقاطع بغير رضانا مع مصلحة أمريكية.

عندما قاتل المسلمون الروم، ومعلوم أن القتال كان شديداً بين الروم والفرس وكان دائماً، ولا يمكن لعاقل أن يقول إن المسلمين عندما بدؤوا بالروم في غزوة مؤتة كانوا هم عملاء للفرس، وإنما تقاطعت المصلحة، يعني قتلك الروم وهو واجب عليك كان يفرح الفرس، لكن بعد أن هم أنهوا الروم بعد عدة غزوات بدؤوا بالفرس، فتقاطع المصالح لا يعني العمالة، بل نحن نعاديهم من تلك الأيام، ولنا محاضرات بفضل الله سبحانه وتعالى منذ تلك الأيام في الحجاز ونجد بوجوب مقاطعة البضائع الأمريكية وبوجوب ضرب القوات الأمريكية وبوجوب ضرب الاقتصاد الأمريكي منذ أكثر من ١٢ سنة).

وقال الإمام أسامة في رسالته إلى أبي رغال (فهد) وهو يبين عمالتها لأمريكا ودعمها للكفار الأصليين منهم والمرتدين: (فنظام حكمكم الذي يتبجح بحماية العقيدة وخدمة الحرمين هو الذي أعلن عن دفع أربعة مليارات من الدولارات مساعدة للإتحاد السوفيتي السابق الذي لم يغسل بعد يديه الملطخة بدماء الشعب المسلم في أفغانستان، وذلك سنة ١٩٩١م!! ونظام حكمكم حارس العقيدة السمحة فهو الذي دفع قبل ذلك آلاف ملايين من الدولارات للنظام النصيري السوري سنة ١٩٨٢م، مكافأة له على ذبح عشرات الآلاف من المسلمين في مدينة حماة، وهو كان يدعم الموارنة النصارى من حزب الكتائب اللبناني ضد المسلمين هناك، ونظام حكمكم (الرشيد) هو الذي دفع مليارات الدولارات للنظام الطاغوتي الذي يطحن الإسلام والمسلمين في الجزائر، ونفس النظام هو الذي دعم بالمال والسلاح المتمردين النصارى في جنوب السودان.

ومع كل هذه العظائم الجمة في حق الملة والأمة، فإن نظام حكمكم أفلح إلى حين في مخادعة بعض الناس وتضليلهم عن هذه الحقائق، إلا أن الله أبى إلا أن يكشف حقيقتكم بأحداث اليمن الأخيرة التي مزقت آخر الأقنعة التي كنتم تتموهون بها وتضللون الناس من

ورائها، فقد كان دعمكم السياسي والعسكري للشيوعيين اليمنيين القاصمة التي قصمت ظهركم سياسياً، الحالقة التي حلقت مصداقيتكم إسلامياً...

إن أحداث اليمن أوقعتكم في تناقض فظيع، أظهر أن دعمكم للمجاهدين الأفغان ليس حباً في الإسلام، ولكن حماية للمصالح الغربية التي كان يهددها كسب الروس للمعركة هناك، وإلا فإن الشيوعي الأفغاني لا يختلف عن الشيوعي اليمني، والمسلم اليمني لا يختلف عن المسلم الأفغاني أيضاً، فكيف نفسر دعمكم للمسلمين ضد الشيوعيين في أفغانستان، ودعمكم ضد المسلمين في اليمن؟؟؟؟.

هذا التناقض لا يمكن أن يفهمه إلا من علم أن سياستكم مملاة عليكم من الخارج من قبل الدول الغربية الصليبية التي ربطتم مصيركم بمصالحها، ولذا فما تقومون به أحياناً من دعم لبعض القضايا الإسلامية ليس دافعه – كما بينا – حب القضايا الإسلامية ومناصرة أهلها، بل دافعه الحقيقي هو حماية مصالح الدول الغربية الكافرة التي قد تلتقي مع تلك القضايا الإسلامية، كما حصل في أفغانستان.

والدليل على ذلك أن القضايا الإسلامية التي تتعارض مع المصالح الغربية، وقفتم فيها لدعم تلك المصالح على حساب أصحاب القضايا المسلمين، فهذا شعب الصومال المسلم قد وقفتم ضد مصالحه مع السياسة الأمريكية، وبذلتم في ذلك مال الأمة المغصوب، ورجالها المكرهين، وقبل ذلك وبعده ها هي قضية فلسطين أم القضايا الإسلامية، قد باركتم مسيرة التطبيع والتركيع والتضييع التي تسيّر فيها، ومضيتم في مسلسل السلام والاستسلام المفروض فيها، وتطوعتم بدفع جزء كبير من تكاليف العملية رغم الضائقة الاقتصادية التي تمر بها البلاد، حيث تبرعتم بمائة مليون دولار لسلطة ياسر عرفات العلمانية التي جيء بها لتمارس ما عجزت عن تحقيقه سلطات الاحتلال اليهودي من قمع ضد الشعب الفلسطيني المسلم، ومحاربة لحركاته الجهادية وفي مقدمتها حركة المقاومة الإسلامية (حماس).

ولم يمنعكم من دعم سلطة عرفات واستقباله في الرياض موقفه العدائي منكم إبان حرب الخليج ودعمه الواضح لصدام حسين، فقد بلعتم منه تلك الإهانة مراعاةً لخاطر الراعي الأمريكي لمسيرة السلام المزعوم!!

ولا غرو في ذلك، فحتى لو لم تكن على قناعة شخصية بعملية السلام المزعوم، فليس أمامك إلا الاستجابة لأوامر ولي أمرك الأمريكي، أو ليس الرئيس الأمريكي كلينتون هو الذي لّما زار البلاد رفض أن يزورك في الرياض، وأصر على أن تأتيه صاغراً ذليلاً في القواعد الأمريكية في حفر الباطن؟!

الرئيس الأمريكي بتصرفه ذلك أراد أمرين!!

أولهما: أن يؤكد أن زيارته أساساً هي لقواته المرابطة في تلك القواعد!!.

وثانيهما: أن يلقنك درساً في الذلة والمهانة حتى تعلم أنه ولي أمرك حقيقةً حتى داخل مملكتك المزعومة التي ليست في الحقيقة أكثر من محمية أمريكية يسري عليها القانون الأمريكي!!).

وقال أيضاً في شريط المدمرة كول: (ظهر أبو رغال وأحفاد أبي رغال ظهروا ليبيحوا بلاد الحرمين فتصبح حمى مستباحاً للدبابات الأمريكية للجنود الأمريكيين، بل للمجندات من اليهود والنصارى يسرحون ويمرحون على أرض ولد فيها محمد ﷺ، على أرض نزل فيها جبريل الأمين بالقرآن العظيم من السماء على محمد ﷺ.

هذه الأرض شأنها عظيم، فهي أحب البلاد إلى الله سبحانه وتعالى كما صح عن نبينا ﷺ، ولكن قريشاً اليوم لم يلن قلبها بعد على ورثة محمد ﷺ، ورثة محمد ﷺ أقسم بالله العظيم أنهم في سجون جزيرة العرب، في الحائر وفي غيره، والأمريكان يسرحون ويمرحون على أرض محمد ﷺ، أما في الناس إيمان؟! أما في الناس غيرة على دين محمد ﷺ؟! اللهم إني أبرأ إليك مما صنع أبو رغال وإخوانه وأعوانه).

وقال أيضاً وهو يتحدث عن قتال الأمريكان: (أن البلاد محتلة، وأنها تحت النفوذ والسيطرة الصهيونية الأمريكية، فالمحصلة أن أرض مهبط الوحي، أحفاد محمد ﷺ والصحابة الكرام، تحت نفوذ ماجنات الروم من اليهود والنصارى، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإن جهاد الأمريكان وإن قتال الأمريكان من صميم الإيمان ومن صميم التوحيد).

ويقول: (إن الأمريكان يساومونا على السكوت، فأمريكا وبعض عملائها في المنطقة ساوموني أكثر من عشر مرات على السكوت عل هذا اللسان الصغير، أسكت ونرجع لك الجواز ونرجع لك أموالك ونرجع لك بطاقة الهوية لكي أسكت، وهؤلاء يظنون أن الناس يعيشون في هذه الدنيا من أجل الدنيا ونسوا أنه لا معنى لوجودنا إن لم نسع لنيل رضوان الله سبحانه وتعالى).

كم ساوموه لكي يحيـ ـد عن العهود بأسرها
ولكي يخون كتائباً باعوا النفوس لربها
ولكي يُشوِّه ما أضا ءَ الكون من صفحاتها
وأبى الكريم مباهجَ الد نيا وطلَّق أمرها
ورأى السجونَ معاقل الـ أحرار رغم قيودها
وأصر أن يُعلي ندا ء الحق في جنباتها
أنا لن ألين ولن أخو ن ولن أغادر ركبها
أنا لن أهادن من بغوا يوماً على أبرارها
سأظلُّ ناراً يحرقُ الـ أشرار حَرُ لهيبها
سأظلُّ حرباً تسحقُ الـ ـفجارَ في أرجائها
قالت رعاك الله يا ولدي الحبيب فكن لها
رفعَ المجاهدُ رأسهُ في عزةٍ أكرم بها
ويقولُ في عزم الرجا لِ تشجعي فأنا لها

وقال الشيخ سليمان أبو غيث -كما مر -: (أن ابن لادن لم يكن حليفاً لأميركا في يوم من الأيام، بل إن بن لادن دعا إلى مقاطعة البضاعة الأميركية منذ عام ٨٧ في شريط موجود وموزع في السعودية، وتناقله الشباب الملتزم في جميع أرجاء الوطن العربي، ودعا إلى ضرب أميركا على رأسها هكذا صرح بالضبط، وإن من قاتل مع الأفغان ضد الروس جاء من منطلق شرعي، وإن تقاطعت المصالح فهذا ليس شأننا، النبي ﷺ قاتل الفرس وصب ذلك في مصلحة الروم، وقاتل الروم وصب ذلك في مصلحة الفرس، فالقضية هي قضية عقدية شرعية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تجير لأي طرف آخر).

وقال الدكتور سعد الفقيه أيضاً -كما مر في أقوال العلماء -: (أكرر تصحيح أخونا الشيخ سليمان أبو غيث بن لادن لم يتعاون مع أميركا، وكل ما يقال عن هذا كذب ليس له أصل بتاتاً، الحقيقة أنه كان يحذر أتباعه من زمان ويبشرهم بعداوة أميركا في المستقبل، هذه واحدة.

ثانياً: هناك الكثير مما يقال عن ابن لادن ليس له أصل، كذلك أنه عاش في الغرب أو سافر لسويسرا أو سافر للمكان الفلاني، بل حتى ما يقال عن علاقة مع الحكومة السعودية و (تركي فيصل)، و (السفارة) السعودية ليس له أصل أبداً، بل بالعكس كان هناك علاقة من التوجس والشك والريبة إلى حد كبير، خاصة في نهايات فترة الجهاد الأفغاني).

وقال الدكتور هاني السباعي مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية وهو يرد على سليم نصار [١]: (من الذي قال هذا؟ هذا الرجل لم وليس للأميركان هؤلاء دخل لا من قريب ولا بعيد لهذا الرجل، هذا الرجل تربى في أرض الحرمين، وكان خريج كلية الاقتصاد، ورجل أعمال ومن أسرة مشهورة، ثم سافر للجهاد فقط لنداء الجهاد، وإلا لو كان يريد CIA ولا غير ذلك لماذا يلجأ إلى هذا الطريق؟ لماذا يضحي بنفسه وبماله؟ لماذا يزهد في هذا؟ لا.. لا..

---

[١] برنامج أكثر من رأي حلقة بعنوان (تفجيرات الرياض والدار البيضاء) بتاريخ ٢٣/ ٢٠٠٣/٠٥م على موقع الجزيرة نت.

لا، لا بد إنك تراجع نفسك، لأن هذه تهمة، لو أن الرجل موجود.. لو أن الرجل موجودٌ الآن لما استطعت أن تتهمه هذه التهمة، هذه تهمة خطيرة، يجب أن تراجع نفسك يا أستاذ سليم، يجب أن تراجع نفسك).

التهمة الثانية: علاقة الإمام أسامة بن لادن بصدام حسين.

كثُر الحديث قُبيل الحرب على العراق وبعده من ذكر هذه التهمة لتكون إحدى مبررات ضرب العراق أمام الرأي العام الأميركي وغيره، وقد زعمت أمريكا أن هذه العلاقة بدأت من عام ١٩٩٥م، ومن يتابع تصريحات المجاهدين مثل الشيخ عبد الله عزام والشيخ أسامة وغيرهم يجد منهجهم الواضح في مثل صدام حسين وغيره من طواغيت العرب، فقد بينوا كفره وردته قبل غزوه للكويت وأثناء حربه لإيران، وصدام حسين يعرف تماماً أنه إن استطاع الإمام أسامة بن لادن جعل القوات الأمريكية تنسحب من العالم الإسلامي فإنه لن يتركهم في حالهم.

كل الأنظمة الحالية تعلم أن الإمام أسامة بن لادن يهدد مصالحها ولكن الوقت لم يحن بعد لأن رأس الأفعى لا زال حياً!!.

يقول الإمام أسامة بن لادن في رسالته إلى أبي رغال (فهد): (وللتذكير فإنك تعلم أن التبعية المطلقة من قِبلِكم لسياسات الدول الغربية وتوجيهاتهم لكم بدعم صديقكم السابق صدام حسين بخمسة وعشرين مليار دولار وبزيادة الإنتاج لتخفيض الأسعار، لإلحاق الضرر بإيران أثناء حربها معه، كان لها دور كبير في تدهور أسعار النفط إلى المستوى الحالي الذي يخدم المستهلكين الغربيين، ومع أن الغرب حريص على عدم قتل الدجاجة السعودية التي تبيض لهم الذهب الأسود، فإنهم أشد حرصاً على أن يبقى سعر هذا البيض متدنياً إلى أدنى حد ممكن).

ويقول في رسالته إلى أهل العراق: (ولا يضر في مثل هذه الظروف أن تتقاطع مصالح المسلمين مع مصالح الاشتراكيين في القتال ضد الصليبيين مع اعتقادنا وتصريحنا بكفر الاشتراكيين، فالاشتراكيون وهؤلاء الحكام قد سقطت ولايتهم منذ زمن بعيد، والاشتراكيون كفار حيثما كانوا، سواء كانوا في بغداد أو عدن وهذا القتال الذي يدور أو الذي يكاد أن يدور في هذه الأيام يشبه إلى حد بعيد قتال المسلمين من قبل.

وتقاطع المصالح لا يضر فقتال المسلمين ضد الروم كان يتقاطع مع مصالح الفرس ولم يضر الصحابة رضي الله عنهم ذلك في شيء).

ويقول في شريط المدمرة أثناء حديثه عن حصار العراق: (فلأن كان زعيمهم قد كفر بالله ورسوله واتخذ البعث له إلهاً من دون الله).

التهمة الثالثة: أن الإمام أسامة بن لادن يتاجر بالقضية الفلسطينية.

يحلو للبعض أن يلقي مثل هذه التهم على الإمام أسامة وذلك حتى لا يكسب تعاطف المسلمين معه فقد قال العميل المرتد ياسر عرفات قبحه الله: (هو يتاجر بقضيتي ويريد اختطافها من أيدينا).

يقول الإمام أسامة بن لادن في مقابلته مع تيسير علوني: (أقول: لا شك أن الجهاد فرض عين لتحرير الأقصى ولإنقاذ المستضعفين في فلسطين وفي لبنان وفي العراق وفي جميع بلاد الإسلام، ولا شك أن تحرير جزيرة العرب من المشركين أيضاً هو كذلك فرض عين، لكن في مسألة تقديم أو بعض الكلام أنه يقال أن أسامة الآن وضع قضية فلسطين، فهذا غير صحيح، فللعبد الفقير محاضرات ١٤٠٧ هجرية تحث المسلمين على المقاطعة الاقتصادية ضد البضائع الأمريكية، وكنت أقول إن أموالنا يأخذها الأمريكان ويعطوها لليهود فقتلوا فيها أخواتنا في فلسطين فهذا فرض عين، وهذا فرض عين، وفروض عيان كثيرة في الجهاد ككشمير وغيرها.

وفي الجبهة التي أنشأت قبل بضع سنين كان عنوانها – مسمى الجبهة – الجبهة الإسلامية ضد اليهود والصليبيين، وذكرنا لهذين الحدثين أو لهاتين القضيتين من باب الأهمية، فأحياناً قد تتوفر مقومات في إحدى القضيتين تدفع بها أكثر من غيرها فنتحرك بهذا الاتجاه دون إهمال للاتجاه الآخر).

ويقول الإمام في شريط المدمرة والذي نُشر قبل غزوات نيويورك وواشنطن: (إلى إخواننا في فلسطين، نقول لهم إن دماء أبنائكم هي دماء أبنائنا، وإن دمائكم دماؤنا، فالدم الدم، والهدم الهدم، ونشهد الله العظيم أننا لن نخذلكم حتى يتم النصر، أو نذوق ما ذاق حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

تذكروا هذا التدريب هو الجهاد من أجل لا إله إلا الله، فإن إخوانكم في فلسطين ينتظرونكم على أحر من الجمر، وينتظرونكم أن تثخنوا في أميركا وفي إسرائيل، فأرض الله واسعة، ومصالحه منتشرة، فابذلوا أقصى ما تستطيعوه لضربهم لتكون كلمة الله هي العليا).

إذاً قضية فلسطين نجدها حاضرة في الرؤية السياسية للشيخ بن لادن، مع أن هذا الكلام ليس وليد الصراع الدائر حالياً في أفغانستان المسلمة، وهذا رد على من يتهم الشيخ بالتترس والاحتماء بالقضية، بل صرح به ما يقارب أربع سنوات (أي منذ ١٩٩٨) وأنه لا يفصل في رؤيته السياسية بين أمريكا وبريطانيا والصهيونية اليهودية وإسرائيل، لأن بريطانيا وحلفائها هي التي زرعت هذا السرطان في قلب الأمة الإسلامية، وسعي أمريكا لحمايته بحسر الضغط والفيتو وتحريك الأنظمة العميلة..

إن الإمام ابن لادن يدرك جيداً التنسيق الأمني والعسكري والسياسي والتعاون المالي الموجود بين أمريكا وآل صهيون وأنظمة الردة، ويعتقد – بل يعمل على ذلك – أن إضعاف أي طرف من هذه الأطراف الثلاثة أو تدميره يساهم في الإسراع بالحل الصحيح لقضايا المسلمين وعلى رأسها قضية فلسطين، وأن أي صراع أو اشتباك مع أي طرف يجر وبحكم الواقع إلى التصادم مع حلفائه، وهذا الوعي هو الذي يبطل خطة العدو التي تسعى جاهدة إلى إفراز واقع متخيل غير صحيح.

أما فيما يتعلق بأولوياته فهو قتال الأمريكيين منطلقاً بذلك من قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] والذين يلونه هو باعتبار مشروعه هم أئمة الكفر الدولي.

إنه بقتاله لأمريكا يخدم قضية فلسطين لأن إسرائيل تعتبر إحدى ولايتها في البلاد الإسلامية، ولا فرق بين أمريكا وآل صهيون [١].

---

[١] انظر مقال (ابن لادن والقضية الفلسطينية) لأبي أيمن الهلالي.

قال الإمام عبد الله عزام رحمه الله [١]: (أما لماذا لا يجاهدون في فلسطين، الجواب معروف عندي وعندكم أن الحدود مقفلة والقيود في الأيادي وأن العرب قد يقتلوننا قبل أن يقتلنا اليهود، أنا قاتلت في فلسطين (٦٩ - ٧٠م) كنت مع المجاهدين في فلسطين وبقينا حتى إذا سحق العمل الفدائي في الأردن وأصبحت الرصاصة تودي بصاحبها، يؤخذ به بالنواصي والأقدام، بحثنا عن بقعة أخرى نؤدي فريضة الجهاد، هذه فريضة علينا كالصلاة والصوم كما أن الإنسان مفروض عليه أن يصوم مفروض عليه أن يقاتل في سبيل الله، ما استطاع أن يقاتل في هذه البقعة ينتقل إلى بقعة أخرى، يقاتل فيها أما فلسطين، فأنا فلسطيني وجرحها في أعماقي، وكل أحلامي وكلي أماني أن أنقل الصور المشرقة التي شرف الله بها البشرية فوق ذرى الهندوكوش فوق جبل المكبر وفوق جبال الخليل).

قال عبد الباري عطوان حول هذه النقطة [٢]: (في الفترة الأخيرة وجه الكثيرون نقداً لاذعاً إلى الشيخ أسامة بن لادن وإلى تنظيم القاعدة، بأنهم يعني يركزون على أطراف العالم الإسلامي والقضايا الثانوية، ويعتبرونها ثانوية مثل الشيشان، وهذا طبعاً تفسيرهم، ولا يركز على قضية فلسطين و.. يعني وجه بكثير.. أنا شخصياً سألته عن ذلك، يعني سألته، قلت له طيب، قال يا أخي يعني..

محمد كريشان: هذا في .. الـ ٩٤.

عبد الباري عطوان: في نوفمبر ٩٦.

محمد كريشان: ٩٦.

---

[١] الأسئلة والأجوبة الجهادية (٢).

[٢] برنامج تحت المجهر الذي بث شريط أحد أبطال نيويورك بتاريخ ٣/ ١٤٢٣/٧هـ الموافق ١٠/ ٢٠٠٢/٩م على موقع الجزيرة نت.

عبد الباري عطوان: أو أوائل ٩٧، فقال حاولنا، لكن الأنظمة العربية تفرض سياجاً عالياً تمنع حتى يعني حمامة أو عصفور أن يتسلل إلى فلسطين، يعني كان.

محمد كريشان: أكبر من السياج الأميركي.

عبد الباري عطوان: يعني حتى منظمة التحرير الفلسطينية، حتى ياسر عرفات نفسه اعتقل أي واحد عنده شبه الانتماء إلى القاعدة، أو حتى التعاطف مع القاعدة، اعتقلهم، مثل الأنظمة العربية الأخرى، وقال لن نسمح بوجود ابن لادن في..، واعتبر أن كل من ينضم إلى ابن لادن هذا شخص يعني إرهابي، فالنقطة الأخرى يعني يقول لك طيب.. طيب، إذا كانت عنده القدرة للتخطيط وإرسال الطائرات إلى نيويورك، طيب لماذا لم يفعلها مثلاً في تل أبيب؟ أنا بس أقول شيء، يعني هم لا يعرفوا إسرائيل هؤلاء الذين يقولوا هذا الكلام، يعني إسرائيل عام ١٩٧١ عندما ضلت طائرة ليبية طريقها كانت في طريقها من بني غازي.

محمد العوضي: إلى سيناء.

عبد الباري عطوان: إلى القاهرة، وكانت عاصفة رملية، فانحرفت قليلًا في سيناء.. لاحظوا في سيناء، هذه الصحراء الضخمة، أسقطتها الطائرات..، وكان (عيزرا وايزمان) اللي هو وزير الدفاع الإسرائيلي في ذلك الوقت، وأعطى الأمر، فلا تسمح إسرائيل بمثل هذه الأشياء).

وهذا جمال خاشقجي الصحفي المعروف بموالاته لآل سعود نائب رئيس تحرير عرب نيوز والذي رأس قبل فترة قريبة صحيفة (الوثن) الوطن قال حين سأله محمد كريشان [1]: (سيد خاشقجي، إشارة الشريط إلى فلسطين والجرحى والممارسات الإسرائيلية، وقتلة الأنبياء وغيرها من هذا الموضوع، إلى أي مدى هذا الربط الذي كان دائماً مثار جدل، وفي هذا

---

[1] برنامج تحت المجهر الذي بُث في ٥/ ٢/١٤٢٣هـ الموافق ١٨/ ٤/٢٠٠٢م الجزيرة نت.

التوقيت الآن من الممارسات الإسرائيلية قد يُعطي زخم للجانب الفلسطيني أو بالعكس قد يضرُّ به كما يعتقد البعض؟.

جمال خاشقجي: لا، الربط دائماً موجود، يعني منذ أن أعدوا هؤلاء الشباب لهذه العملية أعدوها في فترة الانتفاضة، الانتفاضة عمرها الآن يقارب العامين، فهم يعيشوا أجواء فلسطين، يعني أنا استمعت لأسامة بن لادن يتحدث عن فلسطين منذ عام ٨٥ منذ عام وتوجد أشرطة له في فلسطين، فالقول بأنه أسامة بن لادن ليس له اهتمام بفلسطين قول غير صحيح).

وما عملية ممباسا ضد يهود في كينيا إلا دليل على ذلك استهدفت فندقا إسرائيلياً، وتزامنت مع هجوم آخر بصواريخ سام علي طائرة ركاب إسرائيلية يقول عبد الباري عطوان [١]: (الشيخ ابن لادن قالها صريحة في شريطه الأخير: مثلما تقتلون أشقاءنا في فلسطين ستقتلون، وها هو ينفذ وعيده، ويستهدف الإسرائيليين في مكان لم يخطر علي بال أحد.

لعله أراد أن يرد على كل منتقديه الذين طالما تساءلوا عن سبب تركيزه على مهاجمة الأمريكيين، وعدم توجيه طائراته وصواريخه إلى الإسرائيليين في فلسطين المحتلة، وها هو يجيب علي هؤلاء بهذه العملية المحسوبة جيداً في وسط أفريقيا، ويخلق حالة من الذعر في أوساط الإسرائيليين الذين هرب البعض منهم إلى كينيا بحثاً عن الأمان، بعد أن حرموا منه في الوطن بسبب العمليات الاستشهادية، ليجدوا أن الموت يطاردهم في السماء والأرض معاً.

الرئيس الأمريكي جورج بوش سيكون الأكثر قلقا من بين أقرانه من الزعماء الغربيين، فقد شن حرباً عالمية على الإرهاب، وحشد لها عشرات المليارات من الدولارات ونصف حكومات الكرة الأرضية وأجهزتها الأمنية المتطورة من أجل هدف واحد وهو قتل الشيخ بن لادن وتصفية تنظيم القاعدة الذي يتزعمه، وها هي العمليات الخمس الأخيرة (ناقلة

---

[١] مقال له بعنوان (تنظيم القاعدة والتحول الأخطر) بتاريخ ٢٩/ ١١/٢٠٠٢م.

النفط الفرنسية وبالي وفيلكا وممباسا) تثبت أن هذا التنظيم بات أكثر خطورة مما كان عليه الحال قبل الحرب علي الإرهاب.

ومن المؤكد أن الزعماء العرب المشاركين بفاعلية وحماس في هذه الحرب الأمريكية لن يطربوا لعملية ممباسا المزدوجة، ولن يناموا ليلهم هانئين، لأن كابوس تنظيم القاعدة سيقلق مضاجعهم، العالم بأسره يتجه نحو الفوضى وعدم الأمان بسبب السياسات الأمريكية الحمقاء، ووجود مجموعة من المسؤولين في البنتاغون والبيت الأبيض لا ترى العالم إلا من المنظور الإسرائيلي، بل منظور حفنة من اليمين الإسرائيلي المغرق في تطرفه، ولهذا تجر بلادها والعالم كله إلى كارثة لا يعلم أحد إلا الله مدى خطورتها.

فالإدارة الأمريكية تريد العالم أن يغض البصر عن الجرائم الإسرائيلية ضد شعب أعزل في فلسطين، وأسلحة الدمار الشامل الإسرائيلية من كل الأنواع والأشكال، ويركز فقط على الأسلحة العراقية والإرهاب الإسلامي، وها هي نتيجة هذه السياسات قصيرة النظر تصب في مصلحة العنف والجماعات المتطرفة، وتؤدي إلى انهيار اقتصادي كامل.

قبل القصف السجادي الأمريكي لأفغانستان كان تنظيم القاعدة ينفذ هجوماً واحداً كبيراً كل عام أو عامين ضد أهداف عسكرية أو اقتصادية أمريكية، الآن بات التنظيم ينفذ ست عمليات في أقل من ثلاثة أشهر، معظمها يؤدي أهدافه في إرهاب من يريد إرهابهم في واشنطن وتل أبيب وبعض العواصم العربية المرتعدة حكوماتها خوفاً من القاعدة ومن أمريكا في الوقت نفسه.

الإدارة الأمريكية اتبعت الحل العسكري ولم تحقق أهدافها في القضاء على تنظيم القاعدة، والحكومة الإسرائيلية سبقتها إلى الخيار نفسه، وأضافت إليه العقوبات الجماعية وقتل الأبرياء، وتدمير البيوت فوق رؤوس أصحابها، فماذا كانت النتيجة؟ المزيد من العمليات الاستشهادية والمزيد من هجمات تنظيم القاعدة).

وفي بيان لتنظيم القاعدة حول عمليتي مومباسا الكينية ضد اليهود جاء فيه [١]: (في هذا الشهر الكريم، وفي هذه العشر المباركة الأخيرة منه، نتوجه إلى أهلنا في فلسطين أولاً، وإلى أمتنا الإسلامية ثانياً، بالتهنئة والتبريك والتي تعمدنا تأخيرها لتتزامن مع عمليتي – مومباسا الكينية – ضد المصالح الإسرائيلية، فتكون – التهنئة – ذات معنى في ظل الظروف التي تعانيها الأمة على أيدي أعداءها من الصليبيين واليهود.

فمن نفس المكان الذي ضرب به (التحالف الصليبي اليهودي) قبل أربع سنوات، وبالتحديد في نيروبي ودار السلام ضد سفارتي أمريكا، ها هم المجاهدون من (تنظيم القاعدة) يعودون مرة أخرى ليوجهوا ضربة موجعة لهذا التحالف الغادر، ولكن هذه المرة ضد اليهود، موصلين لهم بذلك رسالة مفادها: أن ما تمارسونه من إفساد في الأرض واحتلال لمقدساتنا، وأعمال إجرامية ضد أهلنا في فلسطين من قتل للأطفال والنساء والشيوخ، وهدم للمنازل، وقلع للأشجار، وحصار جائرٍ، لن يمر دون عمل يماثله في النوع، ويفوقه في التأثير بإذن الله، فمقابل أطفالنا أطفالكم، ومقابل نسائنا نساؤكم، ومقابل شيوخنا شيوخكم، ومقابل بيوتنا صروحكم ومعالمكم، ومقابل حصار اللقمة والعيش حصار الرعب والخوف نلاحقكم به بإذن الله أينما كنتم براً، وبحراً، وجواً).

---

[١] بتاريخ ٢٧ رمضان ١٤٢٣ هـ.

التهمة الرابعة: تكفير الحكومات.

بعض التهم ليست كذلك على الصحيح، بل هي منقبة لصاحبها، ومن ذلك القول بكفر حكومات الردة المعاصرة، ولعلماء الجهاد فضيلة الجهر والصدع بذلك في زمن الغربة هذا.

وكما قال الشاعر:

إذا مناقبي اللاتي أدل بها كانت ذنوباً، فقل لي كيف أعتذر؟!

ونحن نقول لكل مخالف في ذلك: لعلماء الجهاد كتب كبيرة وبحوث عدة ورسائل متتالية في كفر هؤلاء الحكام، ردوا عليها ردوداً علمية شرعية حتى نقتنع بما تقولون، أي هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ولا تتشبهوا بالمشركين الذين لا يحسنون إلا قول (أساطير الأولين)!!.

وإمامنا أسامة لم يأت ببدع من القول، بل يستند فيما يقول إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بفهم سلف الأمة، واستطاع أن يجهر بما لم يستطعه غيره.

قال الإمام أسامة بن لادن في خطبة عيد الأضحى الماضية: (فأما الحكام فقد اتفق الناس على عجزهم وخيانتهم، وأما الذين يطالبون الناس بأن يضعوا أيديهم في أيدي هؤلاء الحكام برغم كل ذلك نقول لهم: متى نزعت الشعوب أيديها من أيدي الحكام حتى يُنصحوا بأن يعيدوا أيديهم مرة أخرى؟ فهذا لم يحدث، والنتيجة كما ترون، هيمنة الكفار علينا، وقد قيل:

ومن خانه التدبير والأمر طائع فلن يحسن التدبير والأمر جامح

فخلافنا مع الحكام ليس خلافاً فرعياً يمكن حله، وإنما نتحدث عن رأس الإسلام، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فهؤلاء الحكام قد نقضوها من أساسها بموالاتهم للكفار وبتشريعهم للقوانين الوضعية، وإقرارهم واحتكامهم لقوانين الأمم المتحدة الملحدة، فولايتهم قد سقطت شرعاً منذ زمن بعيد، فلا سبيل للبقاء تحتها، والمقام لا يتسع لوصف هذا الأمر هنا، ولكن قد ذكرنا أقوالاً لأهل العلم رحمهم الله في البيان السابع عشر الصادر عن هيئة النصيحة والإصلاح [١].

وبعد ذلك نقول: هل يمكن لمسلم أن يقول للمسلمين: ضعوا أيديكم في يد كرزاي للتعاون في إقامة الإسلام ورفع الظلم وعدم تمكين أميركا من مخططاتها؟ فهذا لا يمكن ولا يعقل، لأن كرزاي عميل جاءت به أميركا، ومناصرته على المسلمين ناقض من نواقض الإسلام العشرة، مخرج من الملة.

وهنا لنا أن نتساءل: ما الفرق بين كرزاي العجم وكرزاي العرب؟ من الذي ثبت ونصب حكام دول الخليج؟ إنهم الصليبيون، فالذين نصبوا كرزاي كابل وثبتوا كرزاي باكستان هم الذين نصبوا كرزاي الكويت وكرزاي البحرين وكرزاي قطر وغيرها، ومن الذين نصبوا كرزاي الرياض وجاؤوا به بعد أن كان لاجئاً في الكويت قبل قرن من الزمان ليقاتل معهم ضد الدولة العثمانية ووواليها ابن الرشيد؟ إنهم الصليبيون، وما زالوا يرعون هذه الأسر إلى اليوم، فلا فرق بين كرزاي الرياض وكرزاي كابول ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ﴾، قال تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلائِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾.

إن الحكام الذين يريدون حل قضايانا ومن أهمها القضية الفلسطينية عبر الأمم المتحدة أو عبر أوامر الولايات المتحدة، كما حصل بمبادرة الأمير عبد الله بن عبد العزيز في بيروت ووافق عليها جميع العرب والتي باع فيها دماء الشهداء، وباع فيها أرض فلسطين إرضاء

---

[١] بحثت كثيراً حتى أجد هذا البيان ولم يتيسر لي ذلك، ولكن لعله يتيسر في المستقبل، وسأضيفه بإذن الله في الطبعات اللاحقة.

ومناصرة لليهود وأميركا على المسلمين، هؤلاء الحكام قد خانوا الله ورسوله وخرجوا من الملة وخانوا الأمة.

كما أقول أيضاً: إن الذين يريدون أن يحلوا قضايانا عبر هؤلاء الحكام العجزة الخونة قد خدعتهم أنفسهم وخادعوا أمتهم، وركنوا إلى الذين ظلموا وضلوا ضلالاً مبنياً، وأحسن أحوالهم أنهم عاجزون فاسقون، فينبغي على المسلمين أن ينصحوهم، فإن لم ينتصحوا فليحذروهم وليحذروا منهم، ويجب على المسلمين أن كذلك يتبرؤوا من هؤلاء الطواغيت، ولا يخفى أن التبرؤ من الطاغوت ليس من نوافل الأعمال، وإنما هو أحد ركني التوحيد فلا يقوم إيمان بغيرهما، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وله كلام آخر في مواضع عدة من بياناته وكلماته مذكورة في مكانها من هذا الكتاب.

قال جمال إسماعيل حين سئل عن هذه التهمة [1]: (فإن ما ذكرته لم أشهد منه شيئاً قط على فكر الشيخ أسامة أو فكر الدكتور أيمن، وأعني بذلك فكر التكفير الذي فيه انحراف عن دين الله عز وجل، لكن مرد مثل هذه الاتهامات والله أعلم ما يمكن أن يكون جهوداً من جهات معادية لهم وتعمل على تشويه سمعتهم، وكذلك غياب المفهوم الصحيح للدين عند الكثيرين من أبناء أمتنا، فلو راجع أبناء الأمة دينهم وفهم السلف الصالح له وفق القواعد الشرعية لما أطلق أحد عليهم مثل هذه الاتهامات، وليقرأ الناس ما كتبه ابن كثير عن الياسق دستور جنكيز خان وتيمورلنك ويقارنوا دساتير دولنا الحالية ثم يحكموا وليقرؤوا في العقيدة كتاباً عن نواقض الشهادتين قبل أن يحكموا على أحد إن التزم بقول الله عز وجل أو فهم السلف الصالح بأنه تكفيري.

---

[1] في مقابلته مع منتدى السقيفة.

ونحن كمسلمين ليس مطلوباً منا أن نتدسس في ديننا تدسساً، ويجب علينا أن نقول الحق، وأن نقول للمنحرفين عن دين الله عز وجل الذين يأكلون باسم الدين ويقتلون الآخرين باسم الدين كما حدث مع سيد قطب رحمه الله حين أخذوه ليشنقوه، فأحضروا له أحد شيوخ السلطان ليقول له: يا سيد، قبل أن تموت تلفظ بالشهادتين، فابتسم سيد رحمه الله وقال له: نحن نقتل لقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأنتم تقتاتون من دمائنا بها!!!).

وقد ذكر علماؤنا المحققون أن الحكومات الجاثمة على الحكم في بلاد المسلمين وحكامها اليوم لا يشك في كفرهم إلا من طمس الله على بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم، إذ أن كفرهم مُتلون متنوع من أبواب شتى [١]:

١ - فهم يكفرون من باب تشريعهم مع الله ما لم يأذن به الله، حيث نصت دساتيرهم المحلية ومواثيقهم الدولية سواء على المستوى المحلي أو على مستوى هيئة الأمم الملحدة أو الجامعة العربية ونحوها أن لهم الحق في التشريع المطلق هم ونُوّابهم أو هيئاتهم التشريعية وجمعياتهم العمومية، وهذا مقرر معروف من موادهم ونصوصهم القانونية والدستورية الكفرية، لا يُجادل فيه إلا جاهل لا يعرفه أو مُتجاهل لا يريد أن يعرفه، وقد قال تعالى: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

٢ - ويكفرون من باب طاعتهم للمشرّعين المحليين منهم والدوليين وغيرهم واتباعهم لتشريعاتهم الكفرية، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

---

[١] انظر رسالة (برآة الموحدين من عهود الطواغيت والمرتدين) (١٠ - ١٣) لأبي محمد فك الله أسره، وانظر كتاب (أقوال الأئمة والدعاة في بيان ردة من بدّل الشريعة من الحكام الطغاة) وهو كتاب جامع لأكثر من ٢٠٠ قول وفتوى في الحاكمية.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ..﴾ [محمد٢٥ - ٢٦].

فهذا فيمن قال للكفار: سنطيعكم في بعض الأمر، فكيف بمن انبطح وسلم قياده لهم ولأوامرهم ومناهجهم وقوانينهم وتشريعاتهم، وقال: سنُطيعكم في كثير من الأمر أو سنطيعكم في كل الأمر، وأسلموا قيادهم لمشرّعيهم ولطواغيتهم وسلّموا لتشريعاتهم تسليماً؟؟.

٣ - ويكفرون من باب توليهم للكفار من النصارى والمشركين والمرتدين وحمايتهم ونصرتهم بالجيوش والسلاح والمال الاقتصاد، بل قد عقدوا معهم اتفاقيات ومعاهدات النصرة بالنفس والمال واللسان والسنان ضد المجاهدين المسلمين فتولّوهم تولياً حقيقياً، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

٤ - ويكفرون من باب أخوَّتهم للكفار الشرقيين والغربيين وموادتهم ومحبتهم لهم، قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وهذا ليس من التكفير ببواطن الأمور وأعمال القلوب، بل بالأعمال والأقوال الظاهرة الصريحة، إذ أنهم يفاخرون بهذه الأخوة والمودة ويصرحون بها ويظهرونها في كل محفل ووسائل إعلامهم طافحة بها.

٥ - ويكفرون من باب محاربة أولياء الله ومظاهرة المشركين ونصرتهم عليهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١].

فتأمل كيف كفّر الله من وعد المشركين ولو وعداً كاذباً بنصرتهم على المسلمين، وجعله من إخوان المشركين، فكيف بمن عقد معهم اتفاقيات النصرة والمظاهرة على الموحدين

وظاهرهم عليهم فعلاً بالمعلومات الأمنية وبالمال والتدريب والسلاح وبالملاحقة والقتل أو الحبس والمحاكمة والتسليم؟؟

٦ – ويكفرون من باب الامتناع عن الشرائع كالحكم بما أنزل الله، وتعطيل الفرائض، وتحريم الواجبات الشرعية كجهاد الكفار، واستحلال الحرام بالترخيص له وحمايته وحراسته والتواطؤ والاصطلاح عليه كمؤسسات وصروح الربا والفجور والخنا، وغير ذلك من المحرمات. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٧].

٧ – ويكفرون من باب الاستهزاء بدين الله، والترخيص للمستهزئين، وحمايتهم وسن القوانين التشريعية التي ترخّص لهم وتسهل لهم ذلك، سواء عبر الصحافة أو الإذاعة المرئية منها والمسموعة أو غير ذلك. قال تعالى: ﴿... قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ...﴾ [التوبة: ٦٥ – ٦٦].

وغير ذلك من أبواب الكفر الصراح التي ولجوا فيها ودخلوها زرافات ووحداناً، وكل باب من هذه الأبواب عليه من أقوالهم وأفعالهم وتصريحاتهم وقوانينهم مئات بل ألوف الأدلة، أما الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على أنها أبواب مكفرة فهي أشهر من أن يجادل فيها المجادلون، وليس هذا محل بسطها، وإنما المقصود من ذلك الإشارة التي تكفي اللبيب، وتعلمه بأن هذه الحكومات طواغيت تُتَّبع وتُطاع من دون الله تعالى.

وإذا تقرر أن حكام بلاد المسلمين اليوم ليسوا حكاماً مسلمين وليسوا ولاة أمور شرعيين؛ علم أن ولايتهم الجبرية على المسلمين باطلة ولا تصح بحال، ولا يجوز أن يجعل لهم على المسلمين سبيلا، ولا يحل لهم أن يسعوا بذمة المسلمين بين الأمم والدول، وإن فعلوا فذمتهم غير ذمة المسلمين وعهودهم غير ملزمة للمجاهدين.

فهم إضافة إلى كونهم حكام خونة لا همَّ لهم إلا مصالح عروشهم وكروشهم وقروشهم ولا يستأمنون على مصالح العباد والبلاد حتى ينابوا عن المسلمين ويسعون بذمتهم؛ فحقيقتهم أيضاً أنهم حكام كفرة مشركون وطواغيت مشرعون يجب على كل مسلم أن يسعى في القيام عليهم وخلعهم عند القدرة على ذلك، ويجب عليه حال عجزه عنه أن يكفر بهم ويتبرأ من قوانينهم وشرائعهم ومعاهداتهم فهذا كله من لوازم التوحيد وواجبات ملة إبراهيم. قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي منكم ومن أوثانكم ومناهجكم وتشريعاتكم الباطلة المخالفة لدين الإسلام.

فالبراءة التي تستلزمها ملة إبراهيم ليست محصورة في البراءة من المشركين، بل من ذلك أيضاً البراءة من أديانهم وقوانينهم الكفرية ومعاهداتهم وتشريعاتهم الخبيثة التي تؤاخي بين المسلمين والكفار وتلغي الجهاد وتصف المجاهدين بالمجرمين والإرهابيين. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون].

فنحن كما نكفر بهؤلاء الطواغيت ونتقرب إلى الله ونلتمس رضاه ببغضهم وعداوتهم وجهادهم، فكذلك نبرأ من أديانهم الشركية وقوانينهم الوضعية ومواثيقهم الباطلة المناقضة لشرائع الإسلام بتحريمها للجهاد ومؤاخاتها، بل عمالتها ونزولها تحت ولاية الكفار المحاربين للإسلام والمسلمين؛ فهي طواغيت وشرائع مناقضة لشرع الله قائمة على مبادىء الأخوة بينهم، بل مستندة إلى علاقة الموالاة والعمالة والخيانة والتبعية التي تجمع الأقزام بأسيادهم.

والحق يقال أن هذه الدولة الخبيثة (دولة آل سعود) التي أفسدت على الناس دينهم لا تختلف عن غيرها من شقيقاتها وحبيباتها وأخواتها غير الشرعيات من الأنظمة العربية

والخليجية الطاغوتية الأخرى والتي يهاجمها مشايخ آل سعود - أحياناً - لتحاكمها إلى القوانين الوضعية، ومن أراد أن يعرف حقيقة هذه الدولة الكافرة المرتدة فليقرأ كتاب (الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية)، وكتاب (الخصائص الشرعية للجزيرة العربية)، وكتاب (النظام السعودي في ميزان الإسلام)، وغيرها من المراجع.

ولا أظنه يخفى على أحد في هذه الأيام ما تفعله هذه الدولة من فتح أجوائها وأراضيها ومطاراتها وإرسال جيوشها وعساكرها ووضع القواعد العسكرية في مدنها لحرب المسلمين في كل مكان من أفغانستان إلى العراق... إلخ.

ولا يماري في هذه الحقيقة إلا اثنين من الناس:

إما جاهل بواقع هؤلاء الطغاة لا يعرف أنظمتهم وسياساتهم وواقع حكوماتهم فيهرف بما لا يعرف ويتكلم فيما لا يعلم ضالاً عن جادة الحق مضلاً للناس.

أو منافق خبيث من أولياء هذه الحكومات علفوه حتى حرفوه، وأرضعوه حتى أخضعوه، وأشبعوه حتى أسكتوه.. فهو يدافع عنها ويواليها ويسبح بحمدها، ولا يزال لسانه ملوثاً بذكر أفضالها ليل نهار.

والله لست بثالث لهما بلى إما حماراً أو من الثيران

أما الصنف الثاني فهم الهلكى المتساقطون، وما أكثرهم في ظل هذه الدولة الخبيثة، فهؤلاء لا نُتعب أنفسنا معهم فإنه من يضلل الله فلن تجد له وليًا مُرشداً، ومن يرد الله فتنته لن تملك له من الله شيئاً.

وقد قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في أمثالهم ممن يدافعون عن الطواغيت ويرقعون لهم ويلبسون أمرهم على الناس [١]: (وكذلك نكفّر من حسّن الشرك للناس، وأقام الشبهة الباطلة على إباحته) أهـ.

فكذلك من رقع لمشركي الطواغيت العصرية ودافع عن موالاتهم وطاعتهم المشرعين الكفار وزين ذلك وأقام الشبهة الباطلة للتهوين من أمره وتجويزه [٢].

---

[١] الرسائل الشخصية (٦٠).

[٢] انظر الكواشف الجلية (١٤).

التهمة الخامسة: أنه من الخوارج ويكفر العلماء.

لولا أن الجواب عن هذه الشبهة أمر لازم لما أتعبت نفسي في الكتابة حولها، إذ الاتهام بالخوارج لم يسلم منه كل مجدد لهذا الدين، كابن تيمية، وابن القيم، وتلامذتهم، وكابن عبد الوهاب وتلامذته، ولكن لا بد أن تعلم أيها القارئ أن (للخوارج أصول وعلامات عُرفوا بها:

منها: أنهم يكفرون بكبائر الذنوب التي هي دون الكفر والشرك، ويُخلدون أصحابها في النار!

ومنها: أنهم يُكفرون العباد بالمتشابه، كما في قضية التحكيم!

ومنها: أنهم يضعون السيف في أهل القبلة من المسلمين، فينشغلون بهم عن قتال الكافرين المجرمين، فيقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان!

ومنها: أنهم يرون الخروج على أئمة المسلمين وحكامهم فيما لا يجوز الخروج عليهم من أجله، كما خرجوا من قبل على علي بن أبي طالب، وغيره من أئمة المسلمين!

ومنها: الجرأة على الحق في الباطل، كما تجرؤوا من قبل على سيد الخلق، فقالوا له: "اتقِ الله يا محمد.. اعدل!"، فقال: ((من يُطيع الله إذا عصيته، أيأمنني الله على أهل الأرض ولا تأمنوني))؟! فلما ولى الرجل، قال: ((إن من ضِئضئ هذا أو في عقب هذا قوماً يقرؤون القرآن، لا يُجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم قتلتهم قتل عاد، سيماهم التحليق والتسبيد، فإذا رأيتموهم فأنيموهم)). والتسبيد هو جز شعر الرأس واستئصاله.

ومنها: الجهل، ومن جهلهم أنهم ينطلقون إلى نصوص قيلت في الكافرين فيحملونها على المؤمنين!

ولهم أصول أخرى فاسدة في الأسماء والصفات، والرؤية وغيرها، التقوا بها مع المعتزلة وغلاة الجهمية، يتبنى نشرها في هذه الأيام إباضية عُمان، وهم فرقة من فرق الخوارج!

فكل من اتصف بهذه الصفات أو ببعضها يُحكم عليه أنه من الخوارج – أو فيه من صفاتهم – بقدر ما يتصف بصفاتهم الآنفة الذكر، سواء تسمى باسمهم أم لم يتسم.

أما تكفير الكافر الذي كفَّره الله تعالى ورسوله، وكذلك قتال من أوجب الشارع قتاله وجهاده؛ فهذا دين يُحمد فاعله، لا يجوز أن يُرمى بالخوارج أو أنه خارجي، بل رمي من كان هذا وصفه بأنه خارجي وغير ذلك من الألقاب التي تُفيد الذم يُعد ذلك من قبيل الطعن بالدين، وقد يُفضي بصاحبه إلى الكفر والخروج من الدين وهو لا يدري) [١].

هذه أصولهم، فأين هي من الإمام أسامة بن لادن؟ هل كفّر أحداً من المسلمين بكبيرة من كبائر الذنوب؟! هل هناك حاكم مسلم جائر وخرج عليه؟! هل قتل أهل الإسلام وترك أهل الشرك والأوثان؟ هل قال بخلود أحد من أهل القبلة في النار؟ هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

كيف وهذا الإمام أسامة يصرح في مقابلته مع تيسير علوني حين سأله عن اتهام وزير داخلية آل سعود نايف قاتله الله بأن الإمام أسامة يكفر المسلمين قال: (استمعت إلى طرف من كلام وزير الداخلية، واتهمنا بالاسم بشكل مباشر، وقال إن هؤلاء يكفرون المسلمين، معاذ الله، فإننا نعتقد أن المسلمين مسلمون ولا نكفر أحداً إلا إذا ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، إن كان عالماً بأن هذا ناقض للإسلام، أو من معلوم من نواقض الدين بالضرورة).

فالمجاهدون إذاً لا يكفرون المسلمين، بل هم يجاهدون دفاعاً عن المسلمين وعن أعراضهم وأموالهم، انظر إليهم تجد أن لهم شهداء في أفغانستان وطاجيكستان وداغستان والشيشان

---

[١] إجابة للشيخ عبد المنعم مصطفى حليمة (أبو بصير) وفقه الله.

والبوسنة والهرسك وكشمير وفي كل أنحاء الأرض، هل يليق بنا أن نقول لمن يُقتل من أجل الدفاع عن المسلمين بأنه يكفر المسلمين! إن المجاهدين تجرحهم دمعة من عين طفل وتؤثر فيهم مشاهد المسلمين في كل مكان.

(أما تكفير العلماء، فكل من له أدنى معرفة بالشيخ أسامة واطلاع على بياناته، وخطبه، فيعرف أنه افتراء محض، وأنه من أشد المنكرين على من ينحو هذا النحو.

نعم، أنكر الشيخ على بعض العلماء الرسميين فتاوى منكرة، كتلك التي شرعت لدخول القوات الصليبية للجزيرة العربية، وتلك التي شرعت للتنازل عن القسم الأكبر من فلسطين، واعتبرت السلطة العلمانية الفلسطينية شرعية وأوجبت على المجاهدين طاعتها، وفتاوى أخرى صدرت لدعم انفصال الجنوب اليمني الشيوعي، وما هو من هذا القبيل، ولكن لم يكفر أصحاب تلك الفتاوى التي أنكرها معه كثير من العلماء والدعاة داخل وخارج الجزيرة العربية، وإن كانت بعض الجهات المعروفة قد نفخت في إنكار الشيخ على أولئك العلماء، وفرعوا عليه إلزامات خطيرة يصورون من خلالها بأنه يكفرهم أو يستتيبهم في هذه الرسائل، وهذا مما لا يخفى بطلانه حتى على الذين قالوا به وروجوا له) [1].

بل والمعروف عن الإمام أسامة دفاعه عن علماء المسلمين والدعوة باستمرار إلى فكاك أسر المأسورين منهم، فهو لم ينس مشايخ الصحوة حين سجنوا قبل سنوات نصرهم وقت شدتهم فخذله البعض منهم وقت شدته والله المستعان، والكل يعلم مدى ذكر الإمام لقضية العالم الأسير عمر عبد الرحمن، وذكره لقضية الشيخ سعيد بن زعير أثناء أسره، حتى إنه سبّب إحراجاً لحكومة آل سعود فأخرجوه دون قيد أو شرط.

قال الإمام أسامة في آخر رسالته إلى أبي رغال (فهد): (وقبل أن نضع القلم، نطلب منك أن تفكر ملياً وتراجع نفسك كثيراً أمام هذه الحقائق قبل أن تأخذك العزة بالرفض

---

[1] مقال بعنوان (ليس دفاعاً عن أسامة.. لكنه لا يكفر المسلمين والعلماء) لمحب الله القندهاري.

وتتخذ قرارك بمعاقبة كل من سعى في إيصال هذه الرسالة إليك وعكر مزاجك بها، كما فعلت مع كثير من عرائض ومذكرات النصح التي رفعت إليك، والتي كان من أشهرها مذكرة النصيحة التي جاءتك حافلة بأهم المطالب الإصلاحية مبينة الداء واصفة الدواء بدقة العالم وحرارة الداعية وإشفاق الناصح في أدب جم ووقار عظيم، ولم يكن منك إلا أن تجاهلت النصح وتغافلت عن الناصحين، بل وقررت عقاب صفوة الأمة من العلماء والدعاة والمصلحين الذين رفعوها إليك، وأجلبت عليهم بخيلك ورجلك من سدنة نظام حكمك وزبانيته وهيئاته السلطانية وحاشيته من المخدوعين والمتمالئين، فاستصدرت الفتاوى التي ترمي بكل إفك وتقذف بكل بهتان تلك النخبة من أبناء الأمة والصفوة من علمائها التي لا زالت مرابطة بكل صبر وثبات في زنازين سجونك ووراء قضبانها الحديدية.

نسأل الله أن يفك أسرهم ويسهل أمرهم، ويثبتنا وإياهم على طريق دعوته وسبيل التمكين لدينه ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾، ونسأله أن يعيننا على الوفاء بما عاهدناه عليه من الثأر لدينه، والانتقام لأوليائه عامة وللذين يتعرضون لأنواع التعذيب والبطش على أيدي جلادي سجونكم خاصة).

التهمة السادسة: أن الإمام أسامة يقتل المدنيين والأبرياء والمعاهدين والذميين.

قبل الحديث عن هذه التهم لا بد أن تعلم أن هذه المصطلحات (مدنيين وأبرياء) مصطلحات غربية غريبة عن ديننا، إذ ليس في ديننا هذا التقسيم وإنما الذي في ديننا كما قال ابن القيم رحمه الله [١]: (الكفار إما أهل حرب وإما أهل عهد، وأهل العهد ثلاثة أصناف: أهل ذمة، وأهل هدنة وأهل أمان. وقد عقد الفقهاء لكل صنف باباً، فقالوا: باب الهدنة، باب الأمان، باب عقد الذمة.

ولفظ (الذمة والعهد) يتناول هؤلاء كلهم في الأصل، وكذلك لفظ (الصلح)... -إلى أن قال- ولكن صار في اصطلاح كثير من الفقهاء (أهل الذمة) عبارة عمن يؤدي الجزية، وهؤلاء لهم ذمة مؤبدة، وهؤلاء قد عاهدوا المسلمين على أن يجري عليهم حكم الله ورسوله، إذ هم مقيمون في الدار التي يجري فيها حكم الله ورسوله.

بخلاف أهل الهدنة، فإنهم صالحوا المسلمين على أن يكونوا في دارهم، سواء كان الصلح على مال أو غير مال، لا تجري عليهم أحكام الإسلام كما تجري على أهل الذمة، لكن عليهم الكف عن محاربة المسلمين، وهؤلاء يسمون أهل العهد وأهل الصلح وأهل الهدنة.

وأما المستأمن: فهو الذي يقدم بلاد المسلمين من غير استيطان لها، وهؤلاء أربعة أقسام:

١ - رُسُل. ٢ - وتجار. ٣ - ومستجيرون حتى يُعرض عليهم الإسلام والقرآن، فإن شاؤوا دخلوا فيه وإن شاؤوا رجعوا إلى بلادهم. ٤ - وطالبوا حاجة من زيارة أو غيرها.

---

[١] أحكام أهل الذمة لابن القيم (٢/ ٤٧٥ - ٤٧٦).

وحكم هؤلاء ألا يجاهدوا ولا يُقتلوا ولا تؤخذ منهم الجزية، وأن يُعرض على المستجير منهم الإسلام والقرآن، فإن دخل فيه فذاك، وإن أحب اللحاق بمأمنه ألحق به ولم يعرض له قبل وصوله إليه فإذا وصل مأمنه عاد حربيا كما كان).

قال الإمام أسامة بن لادن في مقابلته مع قناة الجزيرة عام ٩٨م: (ولكن عن الفتوى السابقة لدينا تقسيم مختلف عما يدعيه الكفار، وإن كانوا هم يدعون دعاوى يمشون بخلافها.

نحن نفرق بين الرجل وبين المرأة والطفل والشيخ الهرم، أما الرجل فهو مقاتل سواء حمل السلاح أو أعان على قتالنا بدفعه الضرائب وجمعه المعلومات فهو مقاتل، أما ما ينشر بين المسلمين من أن أسامة يهدد بقتل المدنيين، فهم ماذا يقتلون؟ في فلسطين يقتلون الأطفال وليس المدنيين فقط، بل الأطفال، فأمريكا استأثرت بالجانب الإعلامي وتمكنت بقوة إعلامية ضخمة وهي تكيل بمكيالين مختلفين في أوقات حسبما يناسبها، فالمستهدف حسب ما ييسر الله للمسلمين كل رجل أمريكي هو عدو سواء كان من الذين يقاتلوننا قتالاً مباشراً أو من الذين يدفعون الضرائب، ولعلكم سمعتم هذه الأيام أن نسبة الذين يؤيدون كلينتون في ضرب العراق تقريباً ثلاثة أرباع الشعب الأمريكي! فشعب ترتفع أسهم رئيسه عندما يقتل الأبرياء، شعب عندما يقترف رئيسه الفواحش العظيمة والكبائر تزيد شعبية هذا الرئيس، شعب منحط لا يعرف معنى للقيم أبداً).

وقال حين سأله تيسير علوني عن قتل المدنيين الأبرياء:

(الشيخ أسامة بن لادن: قتل المدنيين الأبرياء كما تزعم أمريكا ويزعم بعض المثقفين، كلام عجيب جداً، يعني من الذي قال أن أبناءنا والمدنيين عندنا غير أبرياء ودمهم مباح؟ ولو بدرجة ما؟ وإذا قتلنا المدنيين عندهم صاحت الدنيا علينا من مشرقها إلى مغربها وألبت أمريكا حلفاءها وعملاءها وصبيان عملائها – من الذي قال أن دماءنا ليست دماء ودماءهم دماء؟ من الذي أفتى بهذا؟ من الذي يقتل في بلادنا منذ عشرات السنين؟ أكثر

من مليون طفل، أكثر من مليون طفل ماتوا في العراق وما زالوا يموتون، فلم لم نسمع فارق أو مستنكر ولا من يوافي ولا من يعزي؟

وقد صح عن النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: ((دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)) هذا في هرة فكيف بملايين المسلمين الذين يقتلون؟!

أين المثقفون؟ أين الكتاب؟ أين العلماء؟ أين الأحرار؟ أين من في قلوبهم ذرة من إيمان؟ كيف هؤلاء يتحركون إذا قتلنا المدنيين الأمريكان ونحن كل يوم نقتل، كل يوم في فلسطين يقتل الأطفال؟

هناك خلل عظيم جداً عند الناس، لا بد من وقفة قوية واضحة ومراجعة للحسابات، ولكن طبيعة البشر يميلون مع القوي من حيث لا يشعرون، فهم إذا تكلموا علينا يعلمون أننا لا نرد عليهم، وإذا وقفوا في صف الحكومات والأمريكان يشعرون بشيء من حيث لا يشعرون.

وقديماً قام ملك من الملوك العرب كما جاء في أيام العرب، وقتل رجلاً من العرب، فالناس ألفت أن الملوك تقتل البشر، فترصد أخو المقتول لهذا الملك وقتله، فلما المظلوم ولي الدم انتصر لأخيه عاتبه الناس، قال تقتل ملكاً من أجل أخيك؟

ومن الذي قدم الملك؟! هذه نفس وهذه نفس والنفوس تتكافأ، ودماء المسلمين تتكافأ، ففي ذلك العصر كانت الدماء متكافئة، فقال هذا الرجل وكان حليماً، قال: أخي ملكي - هذا إلي أنتم شايفينه ملكي -.

ونحن جميع أبنائنا في فلسطين هم ملوكنا، نقتل ملوك الكفر وملوك الصليبيين والمدنيين الكافرين مقابل ما يقتلون من أبنائنا، وهذا جائز شرعاً وجائز عقلًا.

تيسير علوني: إذاً أنتم تقولون هذا من باب المعاملة بالمثل، يقتلون أبرياءنا فنقتل أبرياءهم؟

الشيخ أسامة بن لادن: ونقتل أبرياءهم ويكون جائز شرعاً وجائز عقلًا، لأن الذين تكلموا في هذا الأمر بعضهم تكلم من منطلق شرعي.

تيسير علوني: ما هو دليلهم؟

الشيخ أسامة بن لادن: أنه لا يجوز، وذكروا دليلاً، أن الرسول عليه الصلاة والسلام منع من قتل الأطفال والنساء، وهذا صحيح ثابت على النبي عليه الصلاة والسلام.

تيسير علوني: هذا ما نسأل عنه بالضبط، هذا نتساءل عنه بالضبط؟

الشيخ أسامة بن لادن: ولكن هذا النهي عن قتل الأطفال الأبرياء ليس مطلقاً، وهناك نصوص أخرى تقيده، فقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ قال أهل العلم صاحب الاختيارات وغيره من أهل العلم وابن القيم والشوكاني وغيرهم كثير والقرطبي رحمه الله في تفسيره: أن الكفار إذا تقصدوا أن يقتلوا لنا نساء أو أطفال، فلا حرج أن نعاملهم بالمثل، ردعاً لهم أن يعيدوا الكرة لقتل أطفالنا ونسائنا، فهذا من الناحية الشرعية.

وأما الذين يتكلمون دون علم بالشريعة، ويقولون: لا ينبغي هذا طفل أن يقتل.. وعلماً أن هؤلاء الشباب الذين فتح الله عليهم لم يتعمدوا قتل الأطفال، وإنما ضربوا أكبر مركز للقوة العسكرية في العالم – البنتاجون، الذي هو أكثر من أربعة وستين ألف موظف – مكان عسكري ومركز فيه القوة والخبرة العسكرية.

تيسير علوني: وماذا عن الأبراج التجارة العالمية؟ الشيخ أسامة بن لادن: الأبراج التجارة العالمية – الذين ضُربوا فيها وقتلوا فيها هم قوة اقتصادية وليسوا مدرسة أطفال وليس سكن،

الأصل، الذين هم في هذه المراكز رجال، يدعمون أكبر قوة اقتصادية في العالم تعيث في الأرض فسادا.

فهؤلاء لابد أن يقفوا وقفة لله سبحانه وتعالى ويعيدوا الحسابات، لا بد أن يعيدوا هذه الحسابات، فنحن نعامل بالمثل: الذين يقتلون نساءنا وأبرياءنا نقتل نساءهم وأبرياءهم إلى أن يكفوا عن ذلك).

ويقول في موضع آخر: (إن الذين يتكلمون عن الأبرياء في أمريكا، لم يذوقوا حرارة فقد الأبناء، ولم يذوقوا أن ينظروا إلى أشلاء أبناءهم في فلسطين وفي غيرها، بأي حق يحرم أهلنا في فلسطين الأمن، تصطادهم طائرات الهليكوبتر في بيوتهم، بين نسائهم وأطفالهم؟ كل يوم يشلون الجرحى والجثث، ثم يأتي هؤلاء السفهاء يتباكون على قتلى أمريكا ولا يتباكون على أبنائنا؟ ألا يخشون أن يعاقبوا بمثل هذا العقاب؟).

وأما القول بأن الأمريكان وغيرهم من الكفار معاهدين وذميين، فهو قول غريب وعجيب إذ (إن هؤلاء قد انتقض عهدهم بما قامت به حكومتهم من مظاهرة اليهود على المسلمين في فلسطين، هذا أولاً، وبما قامت به حكومتهم كذلك من حرب ضد المسلمين في أفغانستان والعراق، وأصبحت أمريكا دولة محاربة للإسلام والمسلمين بعد غزوها المباشر والصريح لأفغانستان ثم للعراق واحتلالها له، وبالتالي أصبح الأمريكيون حربيون كلهم، دماؤهم وأموالهم مباحة للمسلمين في جميع أنحاء العالم، ودليل هذا أن النبي ﷺ حينما عقد الصلح بينه وبين قريش – كما هو معروف – في صلح الحديبية وقع الشرط: أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فعل، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فعل، فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده... فخرج نوفل بن معاوية الديلي في جماعة من بني بكر، فبيت خزاعة وهم على الوتير، فأصابوا منهم رجالاً وتناوشوا واقتتلوا، وأعانت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل مستخفياً ليلاً... وخرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة فوقف

عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني أصحابه فأنشده قصيدة يخبره فيها بالخبر ويستنصره، فقال رسول الله ﷺ: ((نصرت يا عمرو بن سالم)). ومن ثم غزا رسول الله ﷺ قريشاً ووقع الفتح الأعظم فتح مكة.

وفي هذا دليل على أن عهد قريش قد انتقض بسبب أن نفراً منها أعانوا بني بكر بالسلاح في قتلهم لرجال من بني خزاعة – تدل بعض الروايات – على أنهم كانوا مسلمين.

إننا لو تصورنا صحة الميثاق الذي بين الحكومات العربية وغير العربية مع الولايات المتحدة الأمريكية، لكان هذا الميثاق منتقضاً بين أمريكا وبين المسلمين بما تقوم به أمريكا من دعم واضح وظاهر لليهود على إخواننا المسلمين في فلسطين بشتى صور الدعم العسكري والسياسي والاقتصادي، فكيف ونحن نعتقد أن هذا الميثاق غير شرعي وأن الانخراط فيه والاحتكام إليه هو من صور التحاكم إلى الطاغوت الذي يعتبر ناقضاً من نواقض الإسلام!

وكان يسع هذه الدول لو كانت حريصة على إسلامها أن تكون مع بقية دول عدم الانحياز التي لم تنخرط في هذا الميثاق الأممي الطاغوتي.

وإذا كان تصرف نفر يسير قاموا بمساعدة رجال من بني بكر بالسلاح على قتل أشخاص من بني خزاعة أدى إلى أن يغزو رسول الله قريشاً كلها ويقاتلهم.. لا فرق بين من أعان ومن لم يعن وبين من شارك في القتال وبين من لم يشارك طالما أن الجميع ساكت وراض بما حصل فالحكم فيهم سواء.

وهكذا لا فرق بين الحكومة الأمريكية وبين شعبها، فالكل أصبح محارباً يستحق القتل، فالحكومة تباشر تقديم الدعم بجميع أنواعه لليهود الغاصبين المحتلين لبلاد الإسلام في فلسطين، والشعب يدعم حكومته بأغلبية ساحقة في مواقفها هذه – والحكم هنا للغالب – ولا عبرة بالقلة المعارضة، فالشعب هنا يعتبر بمثابة الردء لحكومته.

وجاءت الحروب الأخيرة التي شنتها أمريكا على أفغانستان والعراق وتأييد أغلبية الشعب لحكومته في شن هذه الحروب ليكون دليلاً آخر يؤكد على أن أمريكا وشعبها أصبحوا حربيين تباح دماؤهم وأموالهم في كل زمان ومكان.

وجاءت الحرب الأخيرة على العراق التي خالفت فيها أمريكا المواثيق الدولية، فحربها كانت ظالمة بجميع المقاييس حتى عند الكفار أنفسهم، فهي بالتالي خارجة عن ما يسمى بالشرعية الدولية والقانون الدولي، فالعهد والميثاق معها منتقض شرعاً – وهذا نقوله لمن يأخذ بالشرع –، ومنتقض قانوناً، وهذا نقوله للعلمانيين وسائر المنافقين والمرتدين وخطباء المنابر في الحرمين وغيرهما الذين يقدسون القانون الدولي ويدعون إلى حل قضايا ومشكلات المسلمين من خلاله، والله المستعان.

ومن هذا يتضح أنه ليس لهم عهد ولا ذمة، لا على أساس شرعي، ولا على أساس قانوني، فهذه الشبهة ساقطة على كل حال) [١].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى [٢]: (وفيها (أي غزوة فتح مكة) انتقاض عهد جميعهم بذلك، ردئهم ومباشريهم إذا رضوا بذلك، وأقروا عليه ولم ينكروه، فإن الذين أعاوا بني بكر من قريش بعضهم، لم يقاتلوا كلهم معهم، ومع هذا فغزاهم رسول الله ﷺ كلهم، وهذا كما أنهم دخلوا في عقد الصلح تبعاً، ولم ينفرد كل واحد منهم بصلح، إذ قد رضوا به وأقروا عليه، فكذلك حكم نقضهم للعهد، هذا هدي رسول الله ﷺ الذي لا شك فيه كما ترى.

وطرد هذا جريان هذا الحكم على ناقضي العهد من أهل الذمة إذا رضي جماعتهم به، وإن لم يباشر كل واحد منهم ما ينقض عهده، كما أجلى عمر يهود خيبر لما عدا بعضهم على ابنه، ورموه من ظهر دار ففدعوا يده، بل قد قتل رسول الله ﷺ جميع مقاتلة بني قريظة،

---

[١] انظر (النظرة الشرعية لأحداث الرياض).

[٢] زاد المعاد (٣/ ٤٢٠ – ٤٢١).

ولم يسأل عن كل رجل منهم هل نقض العهد أم لا، وكذلك أجلى بني النضير كلهم، وإنما كان الذي همّ بالقتل رجلان، وكذلك فعل ببني قينقاع حتى استوهبهم منه عبد الله بن أبي، فهذه سيرته وهديه الذي لا شك فيه، وقد أجمع المسلمون على أن حكم الردء حكم المباشر في الجهاد).

وقال رحمه الله [١]: (فإنهم (أي بني قريظة) لما نقضوا العهد وحاصرهم رسول الله ﷺ نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فقامت إليه الأوس، فقالوا: يا رسول الله، قد فعلت في بني قينقاع ما قد علمت وهم حلفاء إخواننا الخزرج، وهؤلاء موالينا فأحسن فيهم، فقال: ((ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم))؟ قالوا: بلى. قال: ((فذاك إلى سعد بن معاذ)) قالوا: قد رضينا. فأرسل إلى سعد بن معاذ وكان في المدينة لم يخرج معهم لجرح كان به، فأركب حماراً وجاء إلى رسول الله ﷺ، فجعلوا يقولون له وهم كنفتاه: يا سعد، أجمل إلى مواليك فأحسن فيهم، فإن رسول الله ﷺ قد حكمك فيهم لتحسن فيهم، وهو ساكت لا يرجع إليهم شيئا، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم. فلما سمعوا ذلك منه رجع بعضهم إلى المدينة فنعى إليهم القوم، فلما انتهى سعد إلى النبي ﷺ قال للصحابة: ((قوموا إلى سيدكم))، فلما أنزلوه قالوا: يا سعد، إن هؤلاء القوم قد نزلوا على حكمك. قال: وحكمي نافذ عليهم؟ قالوا: نعم. قال: وعلى المسلمين؟ قالوا: نعم. وعلى من ها هنا؟ وأعرض بوجهه وأشار إلى ناحية رسول الله ﷺ إجلالاً له وتعظيماً. قال: ((نعم وعلي)). قال: فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتسبى الذرية وتقسم الأموال. فقال رسول الله ﷺ: ((لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات))، وأسلم منهم تلك الليلة نفر قبل النزول، وهرب عمرو بن سعد فانطلق فلم يعلم أين ذهب، وكان قد أبى الدخول معهم في نقض العهد، فلما حكم فيهم بذلك أمر رسول الله ﷺ بقتل كل من جرت عليه الموسى منهم ومن لم ينبت ألحق بالذرية).

---

[١] زاد المعاد (٣/ ١٣٣ - ١٣٤) بتصرف.

قال ابن حزم رحمه الله وهو يعلق على حديث عطية القرظي رضي الله عنه حيث قال: (عرضت يوم قريظة على رسول الله ﷺ، فكان من أنبت قتل ومن لم ينبت خلى سبيله فكنت فيمن لم ينبت): (فهذا عموم من النبي ﷺ لم يستبق منهم عسيفاً ولا تاجراً ولا فلاحاً ولا شيخاً كبيراً، وهذا إجماع صحيح منهم رضي الله عنهم متيقن، لأنهم في عرض من أعراض المدينة لم يخف ذلك على أحد من أهلها) [١].

ومن أراد الاستزادة في الرد على هذه الشبهة فليقرأ: رسالة (برآة الموحدين من عهود الطواغيت والمرتدين)، ورسالة (نصوص الفقهاء حول أحكام الإغارة والتترس)، ورسالة (الخصائص الشرعية للجزيرة العربية)، ورسالة (خصائص جزيرة العرب)، ورسالة (حكم استخدام أسلحة الدمار الشامل)، وكتاب (حقيقة الحرب الصليبية الجديدة) ففيه توضيح رائع لهذه المسألة والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

[١] المحلى (٧/ ٧٩٩).

التهمة السابعة: أن الإمام أسامة بن لادن كان وراء اغتيال الشيخ الإمام عبد الله عزام.

كان اغتيال الشيخ عبد الله عزام صدمة كبيرة للمجاهدين عموماً وللشيخ أسامة خصوصاً، ففي يوم الجمعة بتاريخ ٢٦ ربيع الثاني ١٤١٠هـ الموافق ١٤/ ١٩٨٩/١١م انطلق الشيخ رحمه الله إلى مسجد سبع الليل في مدينة بيشاور لإلقاء خطبة الجمعة، فمرت السيارة التي كان يستقلها من فوق لغم بوزن ٢٠ كغم من متفجرات (تي. إن. تي) كان قد زرعه الحاقدون المجرمون، وقد نتج عن هذا الانفجار استشهاد شهيد الأمة الإسلامية بإذن الله الدكتور عبد الله عزام ومعه زهرتين من فلذات كبده (محمد نجله الأكبر وإبراهيم).

أصابع الاتهام وُجهت لأكثر من جهة، وبدا أن دمه تفرق بين القبائل، هل كان الموساد (جهاز الاستخبارات الإسرائيلي) الذي أرقه دور الشيخ في عسكرة الانتفاضة الفلسطينية الأولى؟ أم المخابرات السوفيتية انتقاماً من دور الشيخ في تجييش العالم الإسلامي لصالح القضية الأفغانية؟ أم الأميركان الذين آل الأفغان العرب عبئاً عليهم بعد ما استنفذوا دورهم بهزيمة السوفييت؟ أم الأنظمة التي تتصادم مع بعضها؟.

ومع ذلك أشارت بعض الجهات إلى أن الإمام أسامة كان وراء اغتيال الشيخ عبد الله عزام لتشويه صورة الإمام ولزرع الفتنة بين المجاهدين، وقالت تلك الجهات أن ذلك بسبب قيادة المجاهدين العرب، قال الإمام أسامة بن لادن حين سئل عن ذلك في مقابلته مع قناة الجزيرة عام ٩٨م:

(سؤال: لكن أيضاً محمد صادق هويدا ادعى عليكم أيضاً أنكم أعطيتم أوامر باغتيال الشيخ عبد الله عزام في بيشاور في العام ١٩٨٩، وأنه كان هناك صراع على قيادة العرب أو الأفغان العرب كما يسمونهم أي المجاهدون العرب في أفغانستان، ما مدى صحة هذه الادعاءات، وما موقفكم منها، وكيف يمكن أن تصفوا علاقتكم بالشيخ عبد الله عزام لحين قتله؟

أسامة: الشيخ عبد الله عليه رحمة الله هو رجل بأمة، أظهر بوضوح بعد أن اغتيل رحمه الله مدى العقم الذي أصاب نساء المسلمين من عدم إنجاب رجل مثل الشيخ عبد الله رحمه الله، فأهل الجهاد الذين جاؤوا وعاشوا تلك المرحلة يعلمون أن الجهاد الإسلامي في أفغانستان لم يستفد من أحد كما استفاد من الشيخ عبد الله عزام، حيث أنه حرض الأمة من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب على الجهاد.

الشيخ عبد الله عزام في فترة من ذلك الجهاد المبارك زاد نشاطه مع إخواننا المجاهدين في فلسطين وبالذات حماس، وبدأت كتب الشيخ تدخل داخل فلسطين لتحريض الأمة على الجهاد وخاصة كتاب آيات الرحمن، وبدأ الشيخ ينطلق من الجو الذي ألفه الإسلاميون من جو المساجد والقوقعة الضيقة والإقليمية من داخل مدينته وانفتح لتحرير العالم الإسلامي، فعند ذلك وكنا وإياه في مركب واحد كما لا يخفى عليكم مع أخينا وائل جليدان، فعملت مؤامرة لاغتيال الجميع وكنا نحرص كثيراً على ألا نخرج مع بعضنا، وكنت دائماً أطلب من الشيخ عليه رحمة الله أن يبقى بعيداً عن بيشاور في (معسكر صدى) نظراً لزيادة المؤامرات، وخاصة بعد أن اكتشفنا في مسجد سبع الليل قبل أسبوعين أو أسبوع من اغتيال الشيخ قنبلة.

واليهود كانوا أكثر المتضررين من تحرك الشيخ عبد الله، فالمعتقد أن إسرائيل مع بعض عملائها من العرب هم الذين قاموا باغتيال الشيخ عبد الله، أما هذه التهمة نعتقد أنها من تقولات اليهود والأمريكان وبعض عملائهم، وهي أدنى من أن يرد عليها، ولا يعقل للإنسان أن يقطع رأسه، ومن عاش الساحة يعلم مدى الصلة القوية بيني وبين الشيخ عبد الله عزام رحمه الله، وهذه ترهات يذكرها بعض الناس ولا أساس لها من الصحة ولم يكن هناك تنافس.

فالشيخ عبد الله عزام عليه رحمه الله كان يجاهد في باب الدعوة والتحريض، ونحن كنا في جبال بكتيا في الداخل، وهو يرسل لنا الشباب ونأخذ بتوجيهاته وبما يأمرنا به عليه رحمة

الله، ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبله شهيداً وابنيه محمد وإبراهيم وأن يعوض الأمة بمن يقوم بالواجب الذي كان يقوم به).

وهذا ابن الشيخ عزام حذيفة يدلي بشهادته على اغتيال والده رحمه الله يقول [١]: (حين ودع الوالد الشيخ أسامة بن لادن وهو مسافر إلى المملكة العربية السعودية لحضور جنازة شقيقه، يعني تعانق الرجلان عناقاً طويلاً، كان كل منهما يظن كل الظن ألا تلاقيا، كأنهما كانا يشعران أنه آخر لقاء يجمع بين الرجلين، ولذلك العناق استمر طويلاً ورأينا الدموع تنهمر من الرجلين يعني على حد سواء، سواء من الوالد أو من الشيخ أسامة بن لادن، حقيقة بكيا بكاء طويلاً، حتى أبكيا جميع الحاضرين).

ويقول أيضاً: (تولى قضية التحقيق هو نائب شرطة منطقة بيشاور، ويُدعى العقيد إسكندرخان، وكان على اتصال دائم معنا، يعني كان يزورنا باستمرار ويطلعنا على الأمور أولاً بأول، ما كان يعني يُتداول من معلومات على الصعيد الرسمي كان يختلف تماماً عن المعلومات التي كانت تتداول فيما بيننا وبين المحققين، تحدث صراحة بأن الموساد الإسرائيلي يقف وراء هذه العملية، وأن جهاز الاستخبارات الروسي كان بعيداً كل البعد، لأن الروس كانوا قد انسحبوا وخرجوا من أفغانستان، ولو أرادوا أن يغتالوا والدي لاغتالوه في الفترات السابقة، التي كان يمارس فيها دوراً كبيراً في القضية الأفغانية وفي الجهاد الأفغاني).

قال ياسر أبو هلالة [٢]: (أما اتهام القاعدة فذلك ما ينفيه بشدة المقربون من عزام. أبو أكرم (محمد الخواجا): (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أن يكون مثل هذا، فأكثر الذين خسروا بفقدان الشيخ هو كان الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله، فكان خسارة ذهاب الشيخ إلى الجهاد الأفغاني وإلى العرب وخاصة الشيخ أسامة، فكيف يكون هذا؟!).

---

[١] برنامج تحت المجهر على موقع الجزيرة نت بتاريخ ٢٠/ ٢٠٠٣/٠٢م و٢٧/ ٢٠٠٣/٠٢م.

[٢] المصدر السابق.

وفي نفس البرنامج يقول حميد غول (مدير الاستخبارات الباكستانية الأسبق): (التكنيك أو الأسلوب كان أسلوب الموساد الإسرائيلي، والموساد كان يعمل وكان خائفاً من روح الجهاد كانوا ينتقدون الأميركيين، لماذا يقدمون الدعم للجهاد في أفغانستان؟ كان هناك الكثير من النقد من قبل اليهود، أميركا دعمت لأهداف استراتيجية، خاصة لأهدافها السياسية والاستراتيجية).

وكل ما يقال من وجود تنافس وخلافات هو من فعل المنافقين الذين قال الله عنهم: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة ٤٧].

قال الشيخ أسامة بن لادن: (ولم يكن هناك تنافس، والشيخ عبد الله عليه رحمة الله كان مجاله في باب الدعوة والتحريض، ونحن كنا في جبال باكتيا في الداخل، وهو يرسل إلينا الشباب نأخذ توجيهاته في ما يأمرنا به عليه رحمة الله، ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبله شهيداً وابنيه محمد وإبراهيم، وأن يعوِّض الأمة من يقوم بالواجب الذي كان يقوم به).

وقال حذيفة بن الشيخ عبد الله عزام [١]: (على مستوى العمل كان هناك نوع من الاستقلالية، إنما على المستوى الشخصي أو على مستوى العلاقات الشخصية بقيت العلاقات الأخوية الحميمة مستمرة حتى استشهاد الوالد، كانت علاقتهم حميمة.. ما اختلفت العلاقة الشخصية على المستوى الشخصي، لم يكن هناك أي تأثير لرؤية الشيخ أسامة بن لادن لطريقة التعامل مع القضية الأفغانية ومع الجهاد الأفغاني، أو لرؤية الوالد في تعامله مع القضية الأفغانية وجهاد الأفغان).

---

[١] المصدر السابق.

وقال أبو أكرم (محمد الخواجا) [١]: (بقوا على وحدة حال خدمة جديدة، هدفهم واحد شايف، والذي يقول إن هنالك صار خلاف، ليس خلافاً بمعنى خلاف، خلافاً الذي بيصير زي بين اثنين على العمل على الهدف، أما الشيخ أسامة الله يحفظه كان يرى أن الشيخ عبد الله هو أبوه، وهو المظلة تبعته، يعني لما راح الشيخ عبد الله الشيخ أسامة يقول بأن تعريت).

وقد كانت هناك أسباب كثيرة لدى أعداء الله لاغتيال إمام المجاهدين ونضع أهمها:

أولاً: لكونه صاحب مدرسة جهادية عملية: لقد قدم الشهيد إلى ساحة الجهاد الأفغاني سنة ١٩٨٢م وبدأ يحرض المؤمنين على القتال ويستنهض همم الشباب للقدوم إلى ساحات النزال، ويوقظ إحساس العلماء أن أفيقوا من رقادكم، فإن دين الله عز وجل لا يمكن أن يقوم على وجه الأرض ولا تصبح له شوكة إلا بالجهاد في سبيل الله، وصدرت أول فتوى من شيخ المجاهدين بشأن حكم الجهاد في فلسطين وأفغانستان أو أي شبر من أرض المسلمين ديس من قبل الكفار أنه فرض عين على كل مسلم بالمال والنفس ولا عذر بالتخلف إلا لأصحاب الأعذار.

ولقد ارتجفت أوصال الكثيرين من أصحاب النفوذ من هذا الصوت الذي انطلق في أرجاء المعمورة، وخاصة أن هذا العالم طبق ما يقول على نفسه، فامتشق سلاحه وطرح الدنيا على عاتقيه، وإنك لتقف متعجباً وأنت تراه يتسلق قمم جبال أفغانستان بين الثلوج يشق الطريق ويمهدها لإعادة تلك المنارة المفقودة (الخلافة الراشدة)، ولهذا حرص أعداء الله على التخلص منه بأي طريقة كانت.

---

[١] المصدر السابق.

وفي هذا يقول أحد قادة الجهاد الأفغاني: (إن شيخنا الكريم كان من الشخصيات التي إذا سمع باسمها أعداء هذه الأمة يثير فيهم القلق والاضطراب، وإن أعداءنا كانوا يعرفون الشيخ أكثر مما نعرفه وإن الشيخ كان عدوا لدودا للشيوعية والصهيونية والجبابرة).

ثانياً: أن الشيخ كان ترسا للجهاد في أفغانستان: لم يعهد أعداء هذه الأمة أن يروا عالماً من هذا الطراز يحمل السلاح ويقاتل الكفرة والملاحدة من أجل إقامة دين الله في الأرض في هذا القرن مثلما عهدوه في شيخنا وحبيبنا الغالي، كان الإمام عزام ترساً للجهاد يجاهد في سبيل الله بقلمه وسنانه، وكان صوت الحق الناطق باسم الجهاد في العالم.

فأراد أعداء الجهاد أن يسكتوا هذا الصوت بعد أن انتصر الجهاد في أفغانستان على الدب الروسي، وأجبره على العودة إلى قمقمه، وبعد أن قلم المجاهدون أظافره بدأت المؤامرة بترتيب بين الشرق والغرب أن لا يكون الإسلام هو البديل بعد خروج الروس، فجاءت المؤامرات يتلو بعضها بعضاً، وكان الشيخ رحمه الله كلما تعرض الجهاد إلى سهم يوجه إليه أو شبهة تثار حوله من قبل أعداء الله ينبري للرد عليها بكل ما أوتي من حجة وبيان، ولهذا السبب أيضاً ضاق به الشرق والغرب ذرعاً وعجزوا عن مواجهته وجهاً لوجه لا في ساحة ميدان الجهاد ولا عبر البيان والكلام.

ثالثاً: بسبب فكرته عن تصدير الجهاد إلى خارج أفغانستان: كان الشيخ رحمه الله يعمل على تصدير الجهاد من أفغانستان إلى بقاع الأرض التي ديست بأرجل الكفار، ولقد أصبح العالم خائفاً من الجهاد ويحسب للجهاد في أفغانستان ألف حساب، خاصة أن الجهاد قد امتد حتى وصل إلى معظم المناطق التي تعرضت للغزو من قبل أعداء الله، ولهذا حرص أعداء الله على التخلص من هذه الشخصية الجهادية التي بدأت تصدر الجهاد إلى المناطق المحتلة من العالم الإسلامي وإلى المستضعفين في الأرض ولا بد من قتل رموز الجهاد.

رابعاً: لأن الشيخ حول الجهاد الأفغاني إلى جهاد إسلامي عالمي: لقد كان الشيخ رحمه الله ينشد وحدة الأمة الإسلامية تحت علم الجهاد ويعمل من أجل ذلك، وقد عمل حتى

آخر لحظة من حياته من أجل جمع كلمة المجاهدين، وطالما ردد كثيراً: إن موت جميع أولادي أحب إلي من أن يختلف قادة الجهاد.

وقد استصرخ الشهيد ضمائر الأمة الإسلامية في شتى أنحاء العالم، فحث التجار في البلاد العربية والإسلامية أن يقدموا أموالهم في سبيل الله، وصرخ صرخته المدوية في البلاد العربية والإسلامية للعلماء أن ينفروا إلى أرض الجهاد، وأن يساهم كل مسلم بقدراته ونفسه وعلمه بهذا الجهاد المبارك.

فكان لهذا النداء صداه، فوفد إلى الجهاد مجموعات من الشباب من كافة الأقطار، والتقت هذه الجموع وانصهرت كلها في بوتقة العقيدة، وعلى أساسها تجاهد في سبيل الله، وإذا بالأمة الإسلامية المترامية الأطراف المقطعة الأوصال في أنحاء المعمورة تتجمع من جديد في جسم متكامل، ولهذا حرص أعداء الأمة على اغتيال الشيخ والتخلص منه، ولدول الردة دور كبير في ذلك.

رحم الله الإمام عبد الله عزام صانع أمجاد الإسلام في القرن العشرين.

التهمة الثامنة أنه تسبب بضرباته المتتالية لسقوط دولة إسلامية وهي دولة طلبة العلم (الطالبان).

يزعم بعض المغفلين البعيدين عن فهم طبيعة هذا الدين وطبيعة عداء الكافرين له أن الإمام أسامة كان سبباً وراء سقوط دولة إسلامية فتية، وأكثر ما رُددت هذه الشبهة بعد غزوتي نيويورك وواشنطن، وقالوا إنها بررت هجوم أمريكا على الإمارة الإسلامية، وما علم هؤلاء أن الكفار كانوا يعدون العدة لحرب الطالبان قبل غزوتي نيويورك وواشنطن لحكمها بما أنزل الله وتطبيقها لشريعة الله ونصرتها وإيوائها لعباد الله، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد.

قال الإمام أسامة بن لادن في مقابلته مع تيسير علوني: (لكن معلوماً أن أمريكا ضد قيام أي دولة إسلامية، وقد صرح أمير المؤمنين في أكثر من مناسبة، وصرح كثير من كبار الطلبة، أنهم مقصودون لدينهم، لا لمجرد وجود أسامة بن لادن، وكما قال جاء البريطانيون وهجموا على أفغانستان قبل أن يوجد أسامة بن لادن ثم جاء الروس قبل أن نجيء والآن جاء الأمريكان فنرجو الله أن يهزمهم كما هزم حلفائهم من قبل).

(ونقلت صحيفة (ضرب مؤمن) الإسلامية الباكستانية عن وزير الخارجية الباكستاني الأسبق نياز زينك أن مسؤولين كباراً في الحكومة الأمريكية أبلغوه في منتصف شهر يوليو تموز من عام ٢٠٠١م بأن الولايات المتحدة ستتخذ إجراءات عسكرية ضد أفغانستان بحلول منتصف شهر أكتوبر تشرين أول ٢٠٠١م، وقال الوزير الباكستاني السابق إن المسؤولين الأمريكيين أبلغوه بالخطة أثناء انعقاد مؤتمر لدول مجموعة الاتصال الخاصة بأفغانستان الذي عقد تحت رعاية الأمم المتحدة في برلين.

وقال نواز: إن المسؤولين الأمريكيين أبلغوه أنه إذا لم يتم تسليم بن لادن على الفور فإن الولايات المتحدة ستقوم بعمل عسكري لاعتقاله أو قتله هو والملا عمر زعيم حركة طالبان،

ويشير المسؤول الباكستاني إلى أن الهدف الأوسع من تلك العملية سيكون إسقاط حكومة طالبان وتنصيب حكومة انتقالية من الأفغان المعتدلين من الممكن أن يتزعمها ملك أفغانستان السابق ظاهر شاه.

وأوضح المسؤول الباكستاني السابق أن واشنطن ستشن عملياتها من قواعد في طاجكستان حيث يقيم عدد من المستشارين الأمريكيين بالفعل.

وقال إن أوزبكستان ستشارك في العمليات وأن سبعة عشر ألف جندي روسي يقفون في حالة استعداد، مشيراً إلى أن العمليات العسكرية ستتم قبيل سقوط الثلوج في أفغانستان بحلول منتصف أكتوبر تشرين أول على أكثر تقدير.

وشكك المسؤول الباكستاني السابق في إمكانية تراجع الولايات المتحدة عن خططها، حتى إذا تم تسليم ابن لادن على الفور من قبل الإمارة الإسلامية.

وقد نقلت (البي بي سي) هذا التقرير عن دبلوماسي باكستاني سابق قوله بأن الولايات المتحدة كانت تخطط لعمليات عسكرية ضد أسامة بن لادن وحركة طالبان حتى قبل وقوع هجوم نيويورك وواشنطن) [١].

إذاً فهذا العداء لأن حركة طالبان ترفع شعار الإسلام وتتبنى بصدق تطبيق الشريعة الإسلامية، فهذا هو محض حقيقة الصراع بين الحق والباطل منذ القدم، وليست القضية في حقيقتها متعلقة بالشيخ أسامة بن لادن أو وجود معسكرات تدريب كما تدعي أمريكا ومن يدور في فلكها، ولكن القضية هي كون حركة طالبان تولت إقامة الشريعة الإسلامية وأثبتت نجاحها وكفاءتها في تسيير بلاد أنهكتها الحرب، وبدأ صيتها ينتشر بين المسلمين مما سبب حرجاً شديداً للحكومات التي تدعي أنها تحكم بشريعة الله وهي تدور في الفلك الأمريكي منساقة وراء سياساتها ورغباتها حذو القذة بالقذة مثل حكومة آل سعود، فأسامة بن لادن

---

[١] حقيقة الحرب الصليبية الجديدة (٤٩ - ٥٠).

والقضايا التي تثيرها الولايات المتحدة وأتباعها حول أفغانستان ما هي إلا ذريعة تتخذ لإخضاع حكومة طالبان وتذليلها لتكون مع (المجتمع الدولي) و (الشرعية الدولية) قلباً وقالباً.

(نقول أن استهداف ابن لادن أو أفغانستان يبدو ككبش فداء سريع، وكما أشرنا سابقاً في تصريح وزير الخارجية الباكستاني أن ضرب أفغانستان كانت أمريكا تعد له قبل عمليات الثلاثاء المبارك، وأيضاً فإن الإدارة الأمريكية تذرعت لضرب الإمارة الإسلامية بوجود ابن لادن في أراضيها، وهي في الحقيقة لا تستهدف ابن لادن بشكل رئيسي، بل إنها تستهدف الإمارة الإسلامية وإسقاط نظامها الأصولي بزعمهم، وقد صرح وزير الخارجية الأمريكي كولن باول أن تسليم طالبان لأسامة بن لادن لا يكفي بإيقاف الحملة العسكرية ضدها.

وقال يوم الاثنين ٦/ ١٤٢٢/٧هـ رداً على سؤال بشأن ما إذا كان هناك تشريع يمنع الولايات المتحدة من تصفية بن لادن، قال باول: (إن الإدارة الأميركية تدرس التشريع القائم كي تكون لها حرية التحرك المطلقة التي تحتاج إليها، واعتبر أن شبكة ابن لادن التي تريد الولايات المتحدة تفكيكها تضم آلاف الأشخاص في جميع أنحاء العالم، وأضاف باول أن الأولوية التي تضعها الولايات المتحدة نصب عينيها حالياً هي أسامة بن لادن نفسه وتنظيم القاعدة الذي يتزعمه وحركة طالبان التي تقدم له الحماية في أفغانستان)، (وأوضح باول أنه حتى ولو سلم ابن لادن إلى الولايات المتحدة، فلن يكون هذا الأمر نهاية المطاف، وقال: (يجب استئصال الشبكة برمتها).

وأكد الوزير الأميركي أن الولايات المتحدة قررت منح مكافأة بقيمة ٢٥ مليون دولار مقابل أي معلومة تتيح إلقاء القبض على أسامة بن لادن.

وهم أيضاً قد حاصروا السودان وتذرعوا بأسامة بن لادن، وخرج أسامة بن لادن من السودان ولا زال الحصار عليها ولا زالت أمريكا تقف خلف الصليبيين في جنوب السودان لإسقاط حكومة البشير، بل لما جاءت الضربة الجوية على أفغانستان سبقتها السودان

بالضربات، فالحرب الصليبية لا تستهدف شخصيات ولا أفراداً محددين، بل إنها تستهدف الإسلام بأكمله، لذا لا معنى من الاستجابة لمطالبهم بإخراج أسامة بن لادن.

كما قال أمير المؤمنين محمد عمر في خطبة له: (إن إخراج المجاهدين العرب من أفغانستان استجابة لمطالب مجلس الأمن الذي يحاصرنا لأجلهم لن ينهي صراعنا معهم، هم لا يستهدفون أشخاصاً كما يزعمون، بل إنهم يستهدفون النظام الإسلامي لدى الإمارة الإسلامية، فلو أننا استجبنا لمطالبهم وأخرجنا من يريدون، فإن مطالبهم لن تقف عند هذا الحد بل إنهم سيطالبوننا بتغير أنظمتنا الشرعية تجاه المرأة وتجاه المخالفين ونشكل حكومة موسعة ولا نحكم بالشريعة، وهذه هي السودان عندما استجابت لمطالبهم وأخرجت المجاهدين، لم تنته معاناتها حتى الآن) [١].

---

[١] انظر حقيقة الحرب الصليبية الجديدة (٩٢ - ٩٤) للشيخ يوسف العييري رحمه الله والذي قُتل على أيدي جند آل سعود، نسأل الله أن ينتقم له عاجلاً غير آجل. آمين.

التهمة التاسعة: نقل المواجهة إلى البلاد الإسلامية.

يردد بعض الرموز هذه التهمة، وبالذات إذا تكلموا عن دولة التوحيد المزعومة (آل سعود) فهم يرون جواز الجهاد في فلسطين والشيشان وأفغانستان وغيرها من الديار، أما إذا اقترب الأمر منهم فهو حرام في نظرهم، ولا أدري ما علة التحريم عندهم، والسؤال العريض الموجه لهؤلاء: أين كان قتال النبي ﷺ؟ وأين كانت فتوحات الصحابة والتابعين؟

(لا شك أن الأمة الإسلامية عانت خلال تاريخها الغابر والحاضر من كثير من التجارب التغييرية الفاشلة التي لم يكن ينقص أهلها الصدق والإخلاص، ولكن ربما كان ينقصهم التقدير الصحيح للقوى وموازينها في عالم الأسباب التي تعبدنا بالأخذ بها.

وفي تاريخنا المعاصر تجارب مريرة كثيرة، خلفت وراءها فواتير ثقيلة، علمتنا أن نفكر مراراً قبل الإقدام على أي عمل من هذا القبيل، لكن هل يجوز أن يتحول الأمر إلى (عقدة) تجعلنا نمنع أي جهاد أو قتال داخل دار الإسلام خشية الفشل!!.

لقد مر السلف رضي الله عنهم بتجارب كانت أكثر مرارة، مثل خروج الحسين رضي الله عنه وأصحابه على يزيد، وخروج القراء على الحجاج بقيادة عبد الرحمن بن الأشعث، وانتهت كلها نهايات مأساوية فيما يرى الكثير من الناس، ولم يدفع ذلك أهل العلم إلى تحريم الجهاد أو القتال المشروع في دار الإسلام، بحجة أنه قد تترتب عليه بعض المفاسد، لأن هذا المنع سيؤدي إلى تعطيل أنواع من الجهاد والقتال أمر الله سبحانه بها، ولا يتصور قيام معظمها إلا في دار الإسلام، وقام بها الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم، فقد قاتلوا أهل الردة في دار الإسلام، وقاتلوا الخوارج في دار الإسلام، وقاتلوا البغاة في دار الإسلام، وأجمعوا على وجوب الخروج على الحاكم إذا ارتد، ولا يكون ذلك إلا في دار الإسلام.

نعم، لا بد قبل الدخول في أي أمر من هذا القبيل إن تتوفر المقومات الشرعية والمادية التي يقدرها أهل الاختصاص والمعرفة، وأن يتخذ القرار في هذا الشأن من قيادات الأمة العاملة.

ومع ذلك فإن الموقف المعروف عن الشيخ أسامة في هذه القضية، هو الدعوة لتركيز الجهود الإسلامية لقتال العدو الأشد خطراً والمجمع عليه وهو التحالف الصليبي الصهيوني بقيادة أمريكا وإسرائيل.

وقد نجح في سحب كثير من المجاهدين من ساحات قتال غير مجد ضد بعض الأنظمة، إلى الجهاد ضد أمريكا وإسرائيل، وبذل جهوداً مضنية في إقناع الشباب – وخصوصاً في الجزيرة العربية – بعدم القتال ضد الأنظمة في هذه المرحلة، وعانى من كثير ممن يرون وجوب البدء بقتال المرتد بحجة أن كفره أغلظ، دون النظر إلى الاعتبارات الأخرى.

وكان لذلك أثره البالغ في توحيد الصفوف، والنكاية في العدو، فلماذا لا تحسب له هذه الحسنة بدل اتهامه بضدها؟) [١].

---

[١] مقال (ليس دفاعاً عن أسامة) لمحب الله القندهاري.

أخيراً.. إشاعة مرض الشيخ أسامة.

لعل أفضل من يرد على هذه الشائعة هو صاحب الشأن إذ سئل [في] مقابلته مع قناة الجزيرة:

(سؤال: البنتاغون الأمريكي نشر تقارير عن صحتكم، وذكر أن هذه التقارير منسوبة لجهات باكستانية واستخبارية تفيد بأنكم تعانون من مرض عضال، وأنكم قد لا تعمرون سوى خمسة أو ستة أشهر حسب هذه التقارير، أولاً ما مدى صحة هذه التقارير؟، ثانياً ما الهدف من نشرها في هذه الظروف وبعد نشر التحذيرات للرعايا الأمريكان من إمكانية قيامكم بعمليات أنتم وأنصاركم؟؟

أسامة: أما من ناحية الصحة فلله الحمد والمنة نشكره دائماً، وأنا أتمتع بصحة جيدة جداً بفضل الله، وكما ترى فنحن هنا في الجبال نتحمل هذا البرد القارس ونتحمل في الصيف حرارة المنطقة، وبفضل الله ما زالت هوايتي المفضلة ركوب الخيل، وإلى الآن بفضل الله أستطيع أن أسير على الخيل مسافة سبعين كيلومتراً دون توقف بفضل الله سبحانه وتعالى، فهذه إشاعات مغرضة لعل الغرض منها محاولة التثبيط لمعنويات المسلمين المتعاطفين معنا، ولعل الغرض منها تهدئة روع الأمريكان من أسامة، وأنه لا يمكن أن يفعل شيئاً.

لكن الأمر ليس متعلق بأسامة، هذه الأمة من ألف ومائتين مليون مسلم لا يمكن قطعاً حتماً أن تدع بيت الله العتيق لهؤلاء المجرمين من اليهود والنصارى، فالأمة بإذن الله متواصلة ونحن مطمئنون أنهم سيواصلون الجهاد والضرب المؤلم للأمريكان وأعوانهم بإذن الله).

جهاد الإمام أسامة بن لادن

يُلـمُّ بـك الضـنى أو لا يُلـمُّ ... مُكـابـدةُ الجهـاد عـليـك حَتمُ
إذا لم يصـنـع الحـرُ المـعـالي ... فـإن حـيـاتـه زيـفٌ ووهـمُ
فيمِّمْ شـطر نورَ النورِ واصـعـدْ ... فـأولُ دربـك المـنشـودِ نجـمُ
ومَـرمـاهُ مـعـارِجُ في ذُراهـا ... وميضُ سـنا السَّـنا يدنو ويسـمو
تـعـرَّضْ منـه لـلـنـفـحـات وادأبْ ... بـعـزمِ الـروحِ إن أعـيـاك جسـمُ

(حين يتحدث الناس عن الجهاد في سبيل الله تعالى، فهذه كلمة جميلة وجميلة جداً (الجهاد في سبيل الله تعالى)، ولكن واقع الجهاد ليس جميلاً كله في كل أحداثه، فالجهاد ليس هو هذه الخطب الرنانة، وليس هو تلك الكلمات الجميلة، وليس كله غنائم وسبايا، وليس كله نصر مؤزر، وليس كله خطب نارية، بل فيه موت الحبيب، وفيه جرح الصديق، وفيه تطاير الأشلاء، وفقد المال، وفقد المعين، وبمعنى آخر فيه جانب من المشقة، بل المشقة العظيمة، ثم فيه اختلاط الجنود وحصول الخصومات بين الناس، فهذا ضرب هذا، وهذا خاصم هذا، وهذا شطّ على هذا، فهو حركة بشرية، وفيه أخطاء واجتهادات، وتأويلات بعضها يستساغ وبعضها ليس كذلك، فهناك حد فاصل بين جمال الفكرة وسموها وبين واقعيتها.

لو أخذنا تصور الناس وخيالهم لواقع الدولة الإسلامية، لوجدنا أنها أقرب ما تكون في أذهانهم إلى عالم الأحلام، عالم مليء بالصور الجميلة، والفراشات الطائرة، والألوان الزاهية، والسماء تُنزل غيثها على الدوام، والضرع مليء في كل حين، والأعداء يخافون جانبنا لما يعلمون من نزول الملائكة معنا في القتال، فهم يتصورون دولة الإسلام التي لا فقير فيها، ولا مريض فيها، وكل من طلب شيئاً فهو بين يديه، ولكن لو نظرنا لدولة النبي ﷺ لما وجدنا هذه الجنة، بل لوجدنا أن معاناة الصحابة رضي الله عنهم في دولة الإسلام في المدينة أشد من معاناتهم وهم في مكة.

فهل حصل للصحابة رضي الله عنهم في مكة ما حصل لهم في غزوة الخندق ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾ في دولة الإسلام زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وابتلاء كالزلزال بل هو الزلزال نفسه.

قارن بين هذه الصورة وبين الصورة التي يحاول رسمها مشايخ هذا الزمان لدولة الإسلام، فهم يعدون الناس بالدولة التي لا خوف فيها ولا مشقة، بيت لكل إنسان، طعام لكل بطن، والناس يدخلون في الإسلام لمجرد رؤيتهم لنا ولدولتنا، وعلى هذا فالناس يأتون إلينا (إلى جماعتنا) لأن في أذهانهم أننا الحزب الذي سيؤمن لهم من النعيم الدنيوي أكثر مما تؤمنه الأحزاب الأخرى.

لكن لو قلت لكم: إن ثلاثة من الخلفاء الراشدين ماتوا قتلاً، وعلى يد أناس لم يحتاجوا لكثير من التخطيط لقتلهم:

– فعمر بن الخطاب رضي الله عنه قتله عدو الله أبو لؤلؤة المجوسي وهو قائم في صلاة الفجر، بين يدي شيوخ المسلمين وعلمائهم وقادتهم ورؤسائهم.

– عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه انطلق الهوجاء وسيطروا على المدينة حتى دخلوا على الخليفة الصائم رضي الله عنه وذبحوه في بيته (في وسط المدينة بين الناس).

– علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، في وسط المسجد وهو قائم يدعو الناس إلى صلاة الفجر، وبين طائفة، يأتيه ابن ملجم الخارجي فيضرب هامته بالسيف، بتصرف فردي، وباتفاق مع آخرين على قتل معاوية وابن العاص.

وهذا عصر الخلافة الراشدة، وما أدراك ما بعده!

ولذلك علينا أن نقول: إن الذين يتصورون عالم الإسلام العملي (حركة المرء المسلمة في الحياة) هو عالم لا يمت إلى عالم البشر، وهو خارج عن حركة الحياة برمتها، هؤلاء واهمون، ويعيشون تهويمات وخيالات فبمجرد اصطدامهم بالصورة الحقيقية لهذه الحياة ستجدهم ينقلبون على أنفسهم، يعلنون اعتزالهم وعدم قدرتهم على تحمل هذه الحياة.

إن العيش مع الكتب وبين الكتب ومع الأفكار والقلم والورقة، ليس هو الإسلام إنما الإسلام هو حركة الحياة، حركة البشر (الإنسان) بما فيه من صواب وخطأ، فالصواب يقوّى ويدعّم، والخطأ يقوّم ويصلح، فعالم الإسلام العملي فيه الصواب وفيه الظلم، فيه الصدق وفيه الكذب، وكل له مقامه في الإسلام.

الإسلام يعترف بوجود الخطأ كوناً، ولا يلغيه في الخلق والوجود، ولذلك أنزل الله تعالى الحدود وأنزل العقوبات، وأنزل الأحكام، والخطاب الرباني في ذلك كله للمجتمع المسلم الموحد المجاهد، وليس هو خطاب لغير المسلمين.

على الرغم أن عصر الفتنة بين علي رضي الله عنه وخصومه (عائشة ومعاوية رضي الله عنهما) هو عصر نَكِلُ فيه أصحابه إلى الله تعالى، ولا نقول فيه إلا ما جاءنا عن رسول الله ﷺ من أحكامه كقوله ﷺ لعمار: ((تقتلك الفئة الباغية)) وغيره من الأحاديث، لكن لو حاولنا استطلاع ورؤية الواقع عن قرب (وهو عصر مبكر وقريب من القرون الخيرية بل هو منها) لرأينا هولاً، ولرأينا من الأمور التي تشيب لهولها الأطفال، انظر:

١ – الخوارج (أربعة آلاف رجل مقاتل قرروا قتال عليّ رضي الله عنه وثلاثة آلاف في الكوفة قرروا عدم قتاله ولا القتال معه) طلب منهم عليّ رضي الله عنه أن (نمضي إلى قتال عدونا وعدوكم معاوية)، لكنهم يرفضون حتى يعلن اعترافه بالكفر والتوبة عنه، فيقيم لهم عليّ رضي الله عنه ملحمة في النهروان بعد قتلهم عبد الله بن خباب بن الأرتّ وزوجته الحامل، فقَتَلهم ولم ينجُ منهم سوى (٤٠٠) رجل جريح.

٢ – معركة الجمل في الخريبة قرب البصرة (حسب رواية عمر بن شبة) وهي معركة بين مسلمين بل بين القبائل نفسها (مضر ضد مضر وربيعة ضد ربيعة ويمن ضد يمن) إخوان في الدين والمنهج والنسب، وقُتِل فيه طلحة والزبير (المبشرين بالجنة).

٣ – معركة صفين بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما، معركة حصل فيها مجزرة مع أن بعض الناس حرضوا على الصلح، وقالوا: (من لثغور الشام بعد أهل الشام؟ من لثغور العراق بعد هلاك أهل العراق، من للذراري والنساء، ألا تذكرون الأرحام؟).

وبعيداً عن ضعف الروايات التي ذكرت الهول في القتلى، لكن بلا شك أن القتل كان عظيماً.

٤ – ردة بعض النصارى بعد إسلامهم حتى قالوا: والله لديننا الذي خرجنا منه خير من دين هؤلاء الذين هم عليه، ما ينهاهم دينهم عن سفك الدماء وإخافة السبيل وأخذ الأموال. [الطبري]، وقاتلهم عليّ على الردة.

ثم بعد ذلك كله عام الجماعة، ثم حرب عبد الله بن الزبير، ثم... ثم...

فهذا جانب من حركة الإنسان (أي الإنسان) لا ينبغي أن يُنسى أو توضع عليه الأيدي لنُفهم الناس أن حياة المسلم كلها قيامُ ليل، وصيامُ نهار، وعفوٌ متكرر، وعطاءٌ متكرر، وخيرٌ دائم حتى اصطبغت صورة الولي في خيال الإنسان المسلم على هيئة الغاز المثالي، (أي الذي لا وجود له).

الولي هو إنسان.. إنسان.. بشر.

المجاهد هو إنسان.. إنسان.. بشر.

أما تصوير صورة الإسلام العملي وعالم الإسلام والمسلمين على صورة أفلام الكرتون أو عالم الجن والملائكة، فهي صورة تُهين الإسلام أكثر مما ترفعه.

إننا نقول هذا لأولئك القوم الذين يعطلون عظائم الأمور ويوقفونها لمجرد بعض الأمور الصغيرة، فحساسيتهم أمام الأخطاء تجعلهم يضعون العصبة على عيونهم لحجبها عن رؤية الخير والنعمة والفضل الإلهي.

إن الجهاد في سبيل الله تعالى حركة بشرية، وحركة من أجل السلطان والملك، ففيه تتداخل كل انفعالات الإنسان، ومن دعا للسيف أو حرض على السيف، فلا ينتظر أن يناقشه الناس ويحاربوه بالخطب الرنانة والورق الصقيل، بل عليه أن يحضّر نفسه ليذوق حرّ السيف، هذه هي سنة الله تعالى، وللذكر فإن الخلفاء الثلاثة (الشهداء) ما ماتوا بيد الكفار، بل ماتوا بيد مسلمين (فسقة، مبتدعين)، فأبو لؤلؤة الفارسي ليس من أهل الشرك (ومحاولة إثبات مجوسيته دونها خرط القتاد وإن نُسب إليها)، وأبو ملجم من الخوارج (ولم يكفر أوائلهم إنما الخلاف فيمن أتى بعدهم)، والثائرون على عثمان (بعض قادتهم صار من قادة جيش عليّ رضي الله عنه).

ولذلك من وضع رجله ويده في هذا السبيل، سبيل إعادة سلطان الله تعالى إلى الأرض بالجهاد في سبيل الله تعالى، ووقف نفسه للتحريض ضد الطواغيت، وإزالة عروشهم، ودكّ طغيانهم، فهذا رجل نهايته معلومة، وإن لم يحضّر نفسه لذلك فهو رجل مستريح (أي لا عقل له) فهذا طريق نهايته إما بَرْد العدل أو حرّ السيف.

نعم يسعك أن تُنشئ مجلة أو نشرية لتكون حزباً معارضاً، وحزباً ترقيعياً تطلب الإصلاح وتنتظر الفرج بإخراج المساجين، أو موت ملك ليأتي غيره فربما يكون خيراً منه، فحينئذ أمرُك سهلٌ وهين، فأنت رجل سياسة وكلمة، وملفك عندهم لا يعدو أن تكون معارضاً محترماً، أي تحترم حدود المعارضة السياسية.

أما وقد قلت: الجهاد والقتال، فما عليك إلا أن ترتقب، فلست أنت بخير من أسلافك الأخيار، ولست أنت بخير من أقرانك، فليس عبد الله عزام عنك ببعيد، وليس الشيخ عمر عبد الرحمن عنك ببعيد، وليس الشيخ أبو طلال القاسمي عنك ببعيد، وليس الشيخ أنور

شعبان عنك ببعيد، وليس أبو عبد الله أحمد عنك ببعيد، وليس... القائمة طويلة يا عبد الله ويكفيك هذا.

فهذا أمر تشيب له الولدان، وليس له إلا الرجال، ففكر كثيراً قبل أن تخوض، وإياك أن تقول: لقد ورطوني، فما ورطك أحد؛ فنحن لم نضمن لك حصول الوزارة والمنصب، ولم نضمن لك ملائكة تجاهد معك لا يخطؤون، ولم نضمن لك مسدساً ينزل من السماء يعرف المؤمن من الكافر والسني من البدعي، ولم نضمن لك نبيًا قائداً يوحى إليه، فقد نقول لك اليوم قولاً ونرجع عنه غداً، ونقول لك هذا ما رأينا، وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين، فإن أردت (الغاز المثالي) اصعد القمر، فإن أعجزك فالكثير من الناس قد سلكوا سبيل السلامة، وجلسوا كالعصافير مع أبنائهم في أعشاشهم، يأكلون ويشربون ويرقبون الحياة من وراء زجاج بيوتهم.. هذا في وقت المدافع، فإذا سكنت سيخرجون علينا بمواعظهم العظيمة ليقولوا لنا: لقد قلنا.. وقد توقعنا.. وقد أنذرنا.. وقد.. وقد.. ألسنة طويلة نسأل الله تعالى قصّها.

﴿سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾.

إن الكثير من المقعدين يُتقنون نقد لاعبي كرة القدم، ولكنهم أصحاب أصوات عالية في قيادة المعركة على كرسي النظارة، وهم شهد الله يعرقون ويتصببون عرقاً وتُبح أصواتهم لكنهم يلعبون كرة القدم بأيديهم) [١].

يقول قلم الإمام أسامة بن لادن [٢]: (عندما ولدتُ كان العالم كله يحكم من قبل معسكرين كفريين، الأول هو الاتحاد السوفيتي والثاني أمريكا.. وكان عالمنا الإسلامي قد

---

[١] مقالات بين منهجين المقال رقم (٨٣).

[٢] مقال بعنوان (النظام العالمي الجديد.. بقلم أسامة بن لادن) للكاتب القدير لويس عطية الله، وقد قال في مقدمة مقاله: (تخيلت نفسي القلم الذي يحمله الشيخ أسامة وفكرت فيما سيقوله القلم لو أراد

خرج قبل خمسين عاماً تقريباً مهزوماً وتفتت على اثر انهيار الدولة العثمانية.. وصنع البريطانيون وطناً بديلاً لليهود في فلسطين حيث المسجد الأقصى أولى القبلتين، كما صنع المنتصرون في الحرب العالمية الثانية كيانات ورقية سموها الدول العربية والإسلامية..

لم أكن بحاجة إلى مزيد بحث لأكتشف أن هناك مآسي كثيرة حدثت في بلاد الإسلام بعد احتلال الغرب لكل مراكز القوة في العالم الإسلامي، وبعدما بنوا قواعدهم العسكرية ونشروها في كل مكان، ووضعوا حكومات منافقة تخضع لهم ولنظامهم بدون أدنى شك في تبعيتهم، وكانت تلك الدول والكيانات المصطنعة من أسباب فساد أحوال المسلمين وضعفهم وهوانهم، فهي حكومات وضعت في الأصل للقضاء على أي محاولة تحرير لبلاد الإسلام من التسلط الغربي والشرقي عليه، وعلى رؤوس تلك الدول جفاة غلاظ همهم الأول مصالحهم الشخصية الخاصة، أو وضعوا على رؤوس تلك الدول لقطاء تم تعليمهم وتربيتهم وتثقيفهم في بلاد الغرب فعادوا ظاهرهم الرحمة وباطنهم فيه العذاب.

كان هذا حال العالم الإسلامي عندما ولدت، فلما كبرت وأصبحت شاباً شاهدت بعيني مدى الدمار والذل الذي أحاط بأمتنا الإسلامية جراء خضوعها لتلك القوى، ولمست بنفسي مدى التشويه والمسخ الذي فعل فعله في نفسيات المسلمين حتى أخرج لنا أجساداً تتسمى بأسماء المسلمين وتحمل في أعطافها قلوب هي أشد كفراً من الكفار الأصليين، ورأيت نفوساً أذلت وخضعت وأركست في حمأة الهزيمة رغم أنها تقرأ صباح مساء ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، لكنها في واقع الأمر تعتقد أن الكفر أعلى وأن الأمة الغربية أعز، ونسيت في مجمل ما نسيت أن العزة لله جميعا.

الحديث بلسان الشيخ حول المستقبل؟ وكيف هي الصورة الجديدة التي يرسمها الشيخ للعالم؟ فكتبت هذا المقال).

تساءلت في تلك الفترة هل يمكنني كمسلم أن أحدث تغييراً؟ هل يمكنني كرقم واحد من بين مليار مسلم أن أصنع شيئاً يغير أوضاع أمتي ويعيد مجدها الغابر؟

القرآن يخبرني بأنني يمكن أن أصنع فرقاً وأن أغير ما حوالي إذا تغيرت أنا، لأن الله قال ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، وفي الوقت نفسه القرآن والسنة يأمراني بأوامر شرعية وينهياني عن أمور، ويقولان لي إنني إذا التزمت بهذه الأوامر وحققتها في نفسي وفي من حولي فإن الله تكفل لي بالنجاح في التغيير.

وأخبرني أنني إذا كنت في حزب الله فإن حزب الله هم الغالبون، وأخبرني أن الباطل مهما علا وتجبر وتكبر فإن تمسكي بحبل الله سوف ينجيني منه وينصرني عليه.

ووجدت فيما وجدت من أوامر القرآن أن الله يخاطبني أنا كشخص مؤمن بخطاب هو موجه في الأصل للنبي ﷺ ولكنه موجه لي أيضا بحكم كوني من أتباع النبي ﷺ، فقال الله لي: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَاسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَاساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلا﴾، فوضح لي من هذه الآية أن التزامي بالقتال في سبيل الله ولو لوحدي، فأنا لست مكلفاً بالآخرين، يعني كف بأس الذين كفروا عنا..

وهل نعاني في أمتنا مصيبة أشد من بأس الكفار وتسلطهم على بلادنا وحياتنا بحيث أن تسلطهم وبأسهم أفسد علينا كل شؤوننا بدءاً من ديننا وانتهاءً بمصالحنا الاقتصادية!

ومع مزيد تأمل في القرآن وفي السنة لاحظت أن قضية الجهاد ومدافعة الكافرين أخذت حيزاً كبيراً جداً في القرآن، بحيث أنه تقريباً بلغ عدد الآيات التي تتحدث في قضايا الجهاد وتوابعه وما يلحق به من أحكام ربما تصل إلى خمسمائة آية!!

بل وجدت من سيرة النبي ﷺ أن عدداً كبيراً من الأحكام الشرعية حدثت أثناء الغزوات، وأن حياة النبي ﷺ في المدينة كانت في معظمها قتال وجهاد مع الكفار!

ومع هذه الملاحظة وجدت عدداً من الدعاة وأهل العلم يقلل من أهمية الجهاد ويقول إن الوقت ليس وقت جهاد، والسبب أنهم رأوا قوة الباطل فحاولوا إلغاء الجهاد من مناهجهم لأن اجتهادهم أدى بهم إلى تصور أن الأمور يمكن أن تتغير مع الباطل بصورة سلمية!!

فتساءلت لماذا إذاً أصبحت قضية الجهاد والأوامر الشرعية به بهذا الحجم وبهذه الكثرة، وعبر عنها بمختلف الصيغ اللغوية، فمرة بالأمر الصريح المباشر بقتال الكفار كافة، ومرة بمدح المقاتلين، ومرة بالرضا عنهم، ومرة بذم المتخلفين وبفضح المنافقين الذين يتهربون من الجهاد، ومرة بنفي الموت عن الشهيد، وبأساليب وصيغ ووعود إلهية بالجنة لمن قاتل في سبيل الله، حتى أن الصلاة التي هي الركن الثاني في الإسلام أصبح لها شكل وهيئة مخصوصة عندما يكون المؤمنون في المعركة.

ثم وجدت أن أحد علماء أهل السنة الكبار وهو شيخ الإسلام ابن تيمية يحسم هذا الأمر عندما يوضح أن أهم أمور الدين أمران: الصلاة والجهاد، ولهذا كثرت فيهما النصوص الشرعية ووردت النصوص الشرعية التفصيلية لأحكامهما، بل إن تفاصيل الجهاد وأحكامه الشرعية وردت في القرآن بما لم يرد في الصلاة!

بل إن الله عز وجل أعطانا صفة صلاة القتال، بينما تكفلت السنة بتوضيح صفة الصلاة الشرعية المعتادة!

وفي صلاة القتال يأمرنا الله بأن نكون على حذر ويخبرنا أنه بسبب الصلاة ربما يظن الكفار أننا سنغفل عن أسلحتنا بسبب انشغالنا في الصلاة فيميلون علينا ميلة واحدة!!

خرجت من هذا بنتيجة نهائية وحاسمة؛ أن الجهاد قضية كبرى في حياة المسلمين، وأن الجهاد من الأهمية بحيث أن إهماله تحت أي اجتهاد يعني أن كل الجهود الدعوية والشرعية بدونه لن تكون ذات نتيجة كما يريد الله لنا، وأن الجهاد هو مفتاح تغيير أحوال المسلمين، بل وبالجهاد يمكننا دفع الفساد في الأرض كلها وليس في بلاد الإسلام فقط.

وهذه القضية من الوضوح عند علماء الإسلام، إلى درجة أنهم أباحوا قتل المسلمين الذين يتترس بهم الكفار إذا لم يكن هناك سبيل للقضاء على الكفار غير قتلهم!

هذا كان اعتقاداً فكرياً، لكنني لم أكن أتصور كيف ستكون الأمور وكيف سأبدأ الجهاد، وكنت أعتقد أيضاً أن هناك فرق كبير بين النظرية والتطبيق، فإن كثيراً من الأمور يظهر لك ظاهرها متسق عقلاً ومنطقاً فإذا خضت فيها عملياً ظهرت لك حقيقة الأمر.

وكما اعتقد بعض أهل العلم والدعوة أن جهاد الكفار مستحيل عقلاً، فقد قررت أن أخوض التجربة لأن أمر الله لي بقتال الكفر أمر ملزم، والله الذي خلقني هو أعلم بي وبأحوالي من البشر الذي قد تصيب عقولهم وتخطئ، بل إن الله أوضح لي بشكل حاسم أن القتال قد كتبه علي وهو يعلم أنه شيء مكروه للنفوس، وقال لي بأنه عسى أن أكره القتال وهو خير لي، وقال علماء التفسير إن (عسى) في القرآن للتحقيق وليست للتمني لأنها من الله الخالق؛ فإذا ما خضت جهاداً فإنني على يقين أن هذا الطريق هو الذي ارتضاه لي الله عز وجل ونبيه، ولذا فالنتيجة ستكون حتماً تحقق وعد الله لي بالنصر على العدو، أو الشهادة والجنة إذا ما سرت في الطريق بدون أن أقع في المحاذير التي حذرني الله ورسوله منها، مثل التنازع والخلاف والفرقة وعدم الإخلاص وغيرها من معوقات الجهاد وشروط صحته كما وضحها الله عز وجل ونبيه ﷺ).

رأيت الشيخ بالمصباح يسعى ... له في كل ناحية مجالُ
يقول مللتُ أنعاماً وبهماً ... ووثاباً أريد فهل يُنالُ
فقلنا ذا مُحالٌ قد بحثنا ... فقال ومنيتي هذا المحالُ

(بدأت علاقة أسامة مع أفغانستان منذ الأسابيع الأولى للغزو الروسي لذلك البلد، فلقد صدمه خبر احتلال بلد مسلم وتشريد أهله بهذه الطريقة من قبل الملحدين الشيوعيين.

أحب أسامة في وقت مبكر أن يطلع على الوضع بنفسه، فرتب مع الجماعة الإسلامية رحلة إلى باكستان، حيث أُصطحب من كراتشي إلى بيشاور من قبل الجماعة، وهناك قابل مجموعة من قيادات المجاهدين أمثال سياف ورباني ممن لم تكن أسماؤهم غريبة عليه حيث أن بعضهم كان ممن يحضر إلى مضافة والده في الحج والمواسم [١].

حرص أسامة أن يبقي أمر تلك الرحلة في البداية طي الكتمان لأنه لم يكن يعلم توجه الدولة، كما حرص أن يعطيها طابعاً استكشافياً قبل أن يتخذ قراراً بخصوص ذلك الموضوع.. استغرقت الرحلة شهراً، واقتنع من خلالها أن القضية تستحق أن تعطى جل اهتمامه.

بعد عودته إلى المملكة واطمئنانه إلى إمكانية البوح بخبر الرحلة، بدأ يتحدث مع إخوانه وأقاربه وزملائه في الدراسة حول مشاهداته، وتمكن من تنفيذ حملة علاقات عامة لصالح المجاهدين، كانت نتيجة تلك الحملة كمية هائلة من التبرعات المالية والعينية للمجاهدين.

حمل أسامة تلك التبرعات وذهب في رحلة أخرى إلى باكستان مصطحباً معه عدداً كبيراً من الباكستانيين والأفغان الذين يعملون في مؤسسة ابن لادن، بقي أسامة هناك لمدة شهر مرة أخرى، كرر أسامة هذه الرحلات حاملاً معه التبرعات ومصطحباً عدداً من الناس من جنسيات مختلفة مكتفياً بمناطق المعسكرات والمخيمات دون الدخول على أفغانستان.. إلى عام ١٩٨٢ ميلادية.

---

[١] (حضر أسامة بن لادن إلى باكستان بعد أن علم بالغزو السوفيتي لأفغانستان، وكان حضوره بعد سبعة عشر يوماً فقط من الغزو، ولم يكن قد سمع من قبل عن أفغانستان سوى أنها بلد مسلم وبه خيول ممتازة (لأن أسامة بن لادن يحب الخيول).

يقول أبو محمود السوري عن أول رحلة لأسامة بن لادن: إن أسامة بن لادن حضر إلى لاهور، وذهب إلى أمير الجماعة الإسلامية بباكستان في الليل، وسلم أمير الجماعة مبلغاً من المال تبرعاً للمجاهدين ووعده أمير الجماعة بإيصال هذا المبلغ للمجاهدين..). انظر (رواية مأسدة الأنصار).

في عام ١٩٨٢ قرر أسامة اجتياز الحدود والدخول إلى أفغانستان والمشاركة في الجهاد.. رأى أسامة الطبيعة الجبلية الصعبة لأفغانستان فقرر الاستفادة من تجربته في المقاولات وجلب عدداً هائلاً من المعدات والجرارات والحفارات لمساعدة المجاهدين على تمهيد الجبال وشق الطرق وإنشاء المعسكرات.

وتكررت زيارة أسامة إلى أفغانستان وإشرافه على نقل الأموال والسلاح والمعدات ومساهمته بعض الأحيان في بعض المعارك لكن بشكل غير منتظم، وكان بعض أهل الجزيرة قد تأثروا بزيارات أسامة وبدؤوا يتقاطرون على أفغانستان لكن بأعداد قليلة، حيث لم تتحول القضية بعد إلى حملة شعبية وتنتظم في مؤسسات ومكاتب ومعسكرات) [١].

يقول الإمام في كلمته التي ألقاها في جلال أباد أيام قتال الروس: (وكنا من فضله سبحانه وتعالى يوم أن علمنا بدخول الروس عام ٩٩ هجرية يوم أن سمعنا في الأخبار أن الروس قد دخلوا ديار المسمين، منّ الله سبحانه وتعالى علينا بأن نفرنا إلى إخواننا في أفغانستان حتى نعينهم وننصرهم ونقوم بالواجب الذي منّ الله به علينا، ثم تتابعت الأحداث بعد ذلك إلى عام ١٤٠٤هـ، وكانت أول معركة نحضرها في أفغانستان، فلما رأينا حال المجاهدين وما هم فيه من ضعف وقلة حيلة لام الإنسان نفسه كيف تأخر كل هذا الوقت عن نصرة المسلمين المجاهدين في سبيله، حتى شعر أنه لا مكفر أفضل من أن يقتل في سبيله حتى يُكفر عنه ما تأخر وما توانى في نصرة إخوانه المجاهدين).

يقول الإمام أسامة بن لادن وهو يروي قصة مأسدة الأنصار [٢]: (من باب الحديث بالنعمة التي من الله سبحانه وتعالى علينا، وتحريضاً للمؤمنين على هذا الأمر العظيم.. فمن فضله سبحانه وتعالى أنه في عام ١٣٩٩هـ سمعنا أن الروس قد دخلوا إلى بلاد المسلمين في

---

[١] السيرة الذاتية المنشورة على الشبكة العنكبوتية.

[٢] أسامة بن لان يروي مأسدة الأنصار المنشورة على الشبكة.

أفغانستان، وذهبت في تلك الفترة إلى باكستان من أجل نصرة إخواننا المسلمين في أفغانستان، واستمر ذهابي إلى باكستان إلى أن من الله عليّ ودخلت أفغانستان، وكان وضع المجاهدين ضعيفاً في العدد والعدة خاصة مستلزمات القتال، وشعرت بأننا مقصرين في حق إخواننا الأفغان إذا لم نقم بكامل واجبنا نحوهم، وإن أفضل ما يكفر عن هذا التقصير أن يقتل الفرد وهو يجاهد في سبيل الله).

قال حذيفة ابن الشيخ عبد الله عزام وهو يبين اللقاء الذي جمع بن الإمامين [١]: (كان هذا تحديداً سنة ١٩٨٤ ميلادية، في صيف سنة ١٩٨٤، كان الشهيد الدكتور عبد الله عزام عائد في إجازة، وفي هذه الإجازة كان يقوم بجمع التبرعات وبالعمل الدعوي والإعلامي للقضية الأفغانية، أسامة بن لادن جاء إلى المملكة الأردنية الهاشمية، وكان قد سمع بأن هناك رجل قد سبق إلى الساحة، وهو الشهيد الدكتور عبد الله عزام، وكان يرغب حقيقة بأن يعرف خلفية أو يتعرف على القضية الأفغانية.. طبعاً اللقاء استمر من ٣ إلى ٤ ساعات، الشيخ أسامة بن لادن ما ترك أي ملابسات تدور في ذهنه إلا وسأل عنها، والوالد أجابه عن جميع تساؤلاته، وتم الاتفاق على أنه ينتقل الوالد إلى موسم الحج، لأداء فريضة الحج سنة ١٩٨٤، وإن كان أسامة بن لادن قد أنهى أموره فينتقلوا سوية إلى باكستان ثم إلى أفغانستان، وإلا فإن الوالد يسبق أسامة بن لادن، ثم أسامة بن لادن يقوم بإجراء الترتيبات اللازمة لعملية الانتقال، ويلحق به فيما بعد).

(في عام ١٩٨٤ ظهر أول نموذج لعمل مؤسسي لجهاد العرب في أفغانستان وهو بيت الأنصار في بيشاور، أسس بيت الأنصار كمحطة نزول أولي أو استقبال مؤقت للقادمين للجهاد قبل توجههم للتدريب ومن ثم للمساهمة في الجهاد، ورغم تأسيس بيت الأنصار فلم يكن عند أسامة جهازه الخاص أو بنية تحتية من معسكرات ومخازن وإمداد واتصال، ولم تكن

---

[١] حلقة تحت المجهر على موقع الجزيرة نت بتاريخ ١٤٢٣/١٢/٢٣ هـ الموافق ٢٠٠٣/٢/٢٤م.

له جبهة خاصة به، بل كان يرسل الشباب القادمين إلى أحد الأحزاب المقاتلة مثل حكمتيار وسياف أو رباني.

تزامن تأسيس بيت الأنصار مع تأسيس مكتب الخدمات في بيشاور من قبل الشيخ عبد الله عزام رحمه الله، وقد أدى تأسيس المكتب إلى نوع من التكامل مع بيت الأنصار حيث يؤدي المكتب المهمة الإعلامية وجمع التبرعات وحث المسلمين وخاصة العرب على الجهاد بالنفس والمال، ويؤدي البيت المهمة العملية في استقبال وتوجيه الراغبين في الجهاد أو الاطلاع على أوضاع الأفغان.

وخلال تلك الفترة توثقت علاقة الشيخ عبد الله بأسامة، لكن رأى الاثنان أنه ليس من المصلحة دمج عملهما ومن الأفضل تعدد الواجهات مع التنسيق الجيد) [١].

قال حذيفة ابن الشيخ عبد الله عزام [٢]: (اجتهد الشيخ أسامة بن لادن بعد أن فهم الساحة وأصبحت لديه خبرة في التعامل مع القضية الأفغانية والجهاد الأفغاني، قرر الشيخ أسامة بن لادن عندها أن يركز معظم جهوده على العمل العسكري في داخل أفغانستان، ورأى أنه هذه النفقات الهائلة والضخمة التي كانت تُنفق في ساحة بيشاور كان يرى أنها يعني يمكن أن يُستغنى عن الكثير منها وتُستثمر لصالح المجاهدين في داخل أفغانستان، لأنه إذا سقط النظام الشيوعي، فإن الاهتمام بالأمور الأخرى سيأتي تلقائياً إذا ما قامت الدولة الإسلامية، وكانت هنا.. نستطيع أن نعتبرها بدايات تأسيس تنظيم القاعدة، طبعاً خاطب الشيخ أسامة بن لادن الوالد بهذه الفكرة، وكان هناك نقطتي خلاف برزتا في هذه المسألة بين الشهيد الدكتور عبد الله عزام والشيخ أسامة بن لادن، الشيخ أسامة بن لادن الخلاف كان يدور حول نقطتين كما ذكرت، النقطة الأولى: هي عملية تجميع الشباب العرب في منطقة واحدة في أفغانستان، بالتحديد منقطة جلال آباد التي انطلق تنظيم القاعدة منها،

---

[١] السيرة الذاتية.

[٢] حلقة تحت المجهر على موقع الجزيرة نت بتاريخ ١٤٢٣/١٢/٢٣ هـ الموافق ٢٠٠٣/٢/٢٤م.

وكانت نقطة الخلاف الثانية في التركيز على الجانب العسكري فقط وعلى حساب الجوانب الأخرى.

ومن هنا لم يتفق الوالد مع الشيخ أسامة بن لادن على هاتين النقطتين، ومضى الشيخ أسامة بن لادن إلى داخل أفغانستان، وأخذ يؤسس تنظيم القاعدة، وأخذ يركز على العمل العسكري كما ذكرت، وأخذ يجمع الشباب العرب أو معظم الشباب العرب أخذ يجمعهم في منطقة جلال آباد تحديداً).

(**في سنة ١٩٨٦** قرر أسامة أن يتوسع في تنظيم العملية الجهادية ويكون له معسكراته وخطوط إمداده، وفعلًا تمكن أسامة من تشييد ستة معسكرات وتمكن من خلال خبرته في الإنشاءات من تحريكها ونقلها أكثر من مرة تبعاً لظروف الحرب.

وبعد تجربة المعسكرات وبعد تمكن أسامة من تبني المجاهدين العرب منذ وصولهم إلى تدريبهم إلى إشراكهم في المعارك، أصبحت فكرة المشاركة في الجهاد ذات جاذبية شديدة لأن الشباب أصبحوا يتناقلون أخبار بساطة الفكرة وتقليل هيبة المشاركة في الجهاد كون الذي يستقبل ويدرب ويقود كلهم من العرب، وفي تلك الفترة تقاطر على بيت الأنصار والمعسكرات عدد هائل من المجاهدين العرب، كان من بينهم طالب الثانوية، والطالب الجامعي، أو ربما الأمي، أو التائب من بعض الكبائر، وكان من بينهم المهندس، والطبيب، بل والضابط القدير المتمرس في القتال [١].

---

[١] يقول حميد غول (مدير الاستخبارات الباكستانية الأسبق): (لقد كان دور العرب المثقفين الصفوة الذين جاؤوا من الطبقات العليا، إنهم أشخاص من عائلات مرموقة جاؤوا للجهاد جنباً إلى جنب مع المجاهدين الأفغان لتحرير أفغانستان، هم الذين قدموا المساعدة وقدموا أموال المواصلات وما قدمه لهم الأميركيون كان جزءاً بسيطاً، أما باقي الأموال، فجاءت من مصادر خاصة، لا سيما من أناس في الشرق الأوسط، خاصة من العرب، وقد أرسلوا الشباب اليافع زهور أمتهم للمشاركة في الجهاد في

شارك المجاهدون العرب في مناوشات عديدة وقتال محدود في البداية، ثم دخلوا في معارك طاحنة كان أشهرها معركة جاجي في نهاية ذلك العام والتي هزم على يد المجاهدين العرب فيها وحدات من أفضل الروس تدريباً وأفضلهم تسليحاً وقتل فيها عدد من ذروة رجال الكوماندس الروس.

ومنذ عام ١٩٨٦ إلى عام ١٩٨٩ دخل المجاهدون العرب في خمسة معارك كبرى مع الروس ومئات من المواجهات والمناوشات الصغيرة، وكانت تلك الفترة من أجمل الفترات للمجاهدين بسبب توفر الفرصة للقيام بالجهاد دون مضايقات من حكام المملكة أو الحكومة الباكستانية، وخلال تلك الفترة لم يكن أسامة يعود للملكة إلا قليلاً ويقضي معظم أيام السنة في أفغانستان جهاداً وتدريباً وإشرافاً على المجاهدين، ومع ذلك فقد بارك الله في الشركة رغم بعده وانشغاله عنها) [١].

يقول الإمام أسامة وهو يروي طرفاً من بداية جهاده داخل أفغانستان: (كان انطباعي أن المسلمين مقصرون نحو إخوانهم، لأن الشيوعيين الروس كانوا يساعدون الأفغان الشيوعيين، ولاحظت اهتمام الأفغان وسرورهم بوجود العرب بينهم، وكان الوجود العربي يزيد الأفغان قوة وإيماناً وترتفع معنوياتهم ارتفاعاً كبيراً، وكان من شدة محبة الأفغان للعرب أنهم كانوا يعاملونهم كضيوف، فلم يكلفوا العرب بأي مهام عسكرية وقتالية، وكان الشباب العربي يتأذى من ذلك لأنهم يريدون العمل كمجاهدين، ولهذا فكرت في إنشاء مكان لاستقبال الإخوة العرب لإعدادهم للقتال، واستأذنت من أمير الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان عام ١٤٠٤ هجرية (١٩٨٤ ميلادية) في إنشاء معسكر في منطقة قريبة من

أفغانستان، لماذا أقول ذلك؟ لقد سنحت لي الفرصة للقاء العديد منهم ممن يتم وصفهم الآن بالمتطرفين، لكن الأغلبية العظمى منهم كانوا خريجين من جامعات في الولايات المتحدة، في إنجلترا، في دول أوروبية أخرى، إنهم أبناء عائلات مرموقة).

[١] السيرة الذاتية.

الحدود حتى يتدرب الإخوة، وقد بلغ عدد الإخوة الذين انضموا للمعسكر في ذلك الوقت حوالي مائة أخ، وكان هذا العدد قليل لأن الشباب العربي تربى في بلاده على حياة بعيدة عن العزة الحقيقة بالجهاد والذود عن الدين، وكان كثير من الشباب يعتبر الجهاد نافلة من النوافل وأمر مندوب.. كان كذلك في الصيف.

وعندما انتهى الصيف وبدأت الدراسة إذا بأكثر الإخوة الذين كانوا معنا انصرفوا عائدين إلى أوطانهم يراجعون دراستهم، رغم أن الذين حضروا من خير الإخوة، ولم يبق إلا عدد قليل جداً، دون العشرة أفراد، منّ الله علينا ووجدنا معسكراً في جاجي داخل أفغانستان.. أنشأنا معسكراً في منطقة جاجي داخل أفغانستان وذلك للتدريب، وكنا ندرب أنفسنا بالخبرات الموجودة لدينا، واستمر الحال على ذلك.. وكنا حوالي خمسين فرداً، ولك تكرر ما حدث في السابق، فمع الشتاء انصرف معظم الموجودين.. فلم يكن هناك وعي كامل بأهمية نصرة هذا الدين، وضرورة قتال الكفار حتى يكون الدين كله لله..

بعد ذلك منّ الله علينا في أواخر عام ١٤٠٦هـ وأوائل عام ١٤٠٧ أن عزمنا على البقاء في منطقة جاجي داخل أفغانستان حتى لو كنا عدداً قليلاً، وكنا في ذلك الوقت أحد عشر شخصاً ومعظمنا من المدينة المنورة مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام.. أذكر شفيق بن إبراهيم المدني رحمه الله، وطالب عبد العزيز النجار أبو قتيبة السوري الحموي المدني، وأخونا أسامة بن ملا حيدر المدني، وأخونا أبو معاذ السعدي مقيم في المدينة وفلسطيني الأصل، وأخونا أبو رجاء حسان الأنصاري من المدينة أيضاً، وأخونا عبده أحمد حمود عثمان، وأخونا علي السوداني، وأخونا محمد بن عبد السلام المعروف بأبي أنيس، وأخونا أحمد حسين بخشي من سكان المدينة المنورة. كنا أحد عشر أخاً، وكنا نعمل في شق الطرق، وإنشاء الأنفاق في بطن الجبال، وكذلك المخابئ وذلك لحماية المجاهدين الأفغان.. ولكننا كلفنا شفيق رحمه الله وأسامة حيدر لمتابعة الأمور العسكرية في المنطقة.

ومما هو جدير بالذكر أن كل هؤلاء الإخوة كانوا في حدود العشرين من العمر، أكرمهم الله .. كانوا قد تركوا دراستهم وحضروا للجهاد في سبيل الله..

واستمر الحال في العمل، وأخبرنا شفيق وأسامة حيدر أن هناك جبل مشرف على مواقع العدو وهو خال من المجاهدين، وزرت هذه المنطقة فوجدت أنها فعلاً منطقة خطيرة وحساسة جداً، فسألت عن سبب عدم وجود مجاهدين في هذه المنطقة رغم أهميتها، فقيل لي إن الشتاء والثلوج تقطع الطرق، ويتوقف الإمداد، ولكثرة القصف على تلك المنطقة..

كان في نيتنا أن يكون لنا مركز خاص بالعرب ضمن المراكز التي نقوم بإنشائها، ولهذا قررنا إنشاء مركز للعرب في هذا المكان.

لم يبق إلا ثلاثة عندما بدأنا العمل، الأخ شفيق، والأخ أسامة ملا حيدر وأنا.. أما باقي الإخوة فكانوا إما في إجازة أو في أشغال أخرى، وكنا في ذلك الوقت في حاجة ماسة لأي أخ يأتي معنا نظراً لوحشة المنطقة وبعدها من المجاهدين الأفغان وقربها من العدو، ولا يمكن أن يتيسر لثلاثة فقط العمل والحراسة في نفس الوقت..

حاول أحد الإخوة أن يثنينا عن العمل، وكان في زيارة لنا، وحاول مع الأخ شفيق وأسامة، ولكن منّ الله علينا بأخوين آخرين كانا متوجهين إلى جبهة أخرى داخل أفغانستان، وكان أحدهم اسمه أبو الذهب مصري من أصل سوداني . وقبل أن يذهب حضر لي وقال: إننا نحب أن نبقى معكم.. فسررت بذلك سروراً عظيماً..

وأثناء تحركنا للعمل في المنطقة التي أخذناها كان الطريق مكشوفاً وظاهراً للعدو، فكان العدو يقصف علينا، فكنا ننزل وننتشر من السيارة ثم نتحرك من جديد..

اخترنا المنطقة التي أطلق عليها مأسدة الأنصار فيما بعد، كانت هذه الفترة من أجمل أيام الإنسان حيث كنا مرابطين بالقرب من العدو، وفي نفس الوقت نقوم بإنشاء الطرق وحفر الخنادق، كنا نعيش في خيمة واحدة.. وانضم إلينا الأخ ذبيح من أهل الطائف واسمه

محمد بن المبارك.. كنا في خيمة واحدة .. صلاتنا سوياً قراراتنا سوياً، أكلنا في نفس المكان، وكنا نتناوب الحراسة، وكنا نشعر بوحشة شديدة لأن المكان مخيف للطرفين، للعدو ولنا، وكان الفرد منا لا يستطيع أن يبتعد كثيراً عن مركز الخيمة لأنها منطقة غابات موحشة، ناهيك عن قربها من العدو، فاستمرينا على ذلك الحال فترة طويلة.. ثم أرهقتنا الحراسة، فطلبنا أحد الإخوة فحضر أخونا صالح الغامدي، وازداد العدد فوصل إلى سبعة، ومع ذلك كنا متفائلين ومستبشرين بأن يزيد عددنا.

وبالفعل وصل العدد خلال شهرين إلى أربعين أخ، بعد ذلك جاءنا أخونا أبو حنيفة حسين عجيب، ثم جاء محمد الصخري وهو من الناس الذين لم تكن لهم وقفة تردد، رأيته في المسجد النبوي وكنت عازماً على السفر ورأيته بعد صلاة الفجر، وكان أبو حنيفة قد أخبرني بأن هناك أحد الإخوة يريد أن يذهب إلى أفغانستان، وأن هذا الأخ يريد أن يكمل دراسته هذا العام ثم يحضر في الصيف.. التقيت بالصخري وتكلمت معه بضعة دقائق، فانشرح صدره وعزم على الذهاب معنا غداً.. وعلم واجبه.. ترك الدراسة والشهادة .. والدنيا .. ومكث معنا حوالي أربع سنوات، إلى أن منّ الله عليه بالاستشهاد في جلال آباد..

تشاورنا في تسمية الموقع، فاختار الإخوة عدة أسماء، فانشرح الصدر باسم مأسدة وأخذنا هذا الاسم من بيت الشعر لأحد الصحابة رضي الله عنهم كان يمدح الرسول ﷺ، يقول بيت الشعر:

من سره ضرباً يمعمع بعضه ... بعضاً كمعمعة الإباء المحرق
فليأت مأسدة تسن سيوفها ... بين المزاد وجذع الخندق

من أنصار الدين..

رجع أخونا أبو حنيفة لتحريض الشباب، فغاب عنا ثلاثة وعشرين يوماً، رجع بثلاثة وعشرين رجلاً..

واستمر العدد في الزيادة، وكنا نشعر بأهمية هذا التجمع.. ويسألني الإخوة هنا: لماذا تميزتم؟ فإن لذلك التميز أسباباً كثيرة، حيث أن الأخ يأتي من بلاده والجهاد كده.. فتجتمع عليه عدة أمور، منها الجهاد والغربة في اللغة والغربة في الطقس والتضاريس.. لهذا فإن وجوده مع إخوانه يزيده صبراً..).

يقول قلم الإمام أسامة بن لادن [1]: (لما انقدحت شرارة الجهاد في أفغانستان بادرت مع من بادر من إخواني وحملنا السلاح دفاعاً عن إخواننا الأفغان في مواجهة الدولة العظمى الأولى وهي روسيا، وهناك اكتشفنا عملياً ما كنا نفكر فيه نظرياً، وتيقنا أن إخواننا الذين استبعدوا الجهاد من مناهجهم في التغيير كانوا واقعين في وهم وتخويف من الشيطان ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ عندما كانوا يظنون أنهم لن يقدر على تغيير الأوضاع، أو لن يستطيعوا إزالة العدوان الواقع على بلاد المسلمين.

واكتشفنا فيما اكتشفنا أننا كمسلمين لا يجب أن نستصغر أنفسنا، أو نظن أن ليس بيدنا شيء، أو أننا متخلفون والغرب متفوق علينا، بل تأكدنا أن الإيمان بالله يصنع المعجزات، ويجعل أقوى قوى الأرض تتهاوى أمام عزة المؤمن وتمسكه بدين الله، واكتشفنا أن الفرد المسلم يمكنه أن يغير وجه العالم كله إذا ما صبر واستيقن بوعد الله بالتمكين والنصر..).

---

[1] مقال (النظام العالمي الجديد.. بقلم أسامة بن لادن) للكاتب القدير لويس عطية الله.

يقول الإمام أسامة متحدثاً عن أول عملية عسكرية للمجاهدين العرب [١]: (كنا قد بدأنا نصل إلى مرحلة كبيرة ومتقدمة من إنشاء المأسدة، وسمعنا في شهر رمضان سنة ١٤٠٧هـ أن هناك أخباراً بتحركات للعدو، ولم تكن المعلومات كافية، وقمنا بحفر الخنادق..

كنا قد عزمنا على القيام بعملية ضد العدو في ١٤ رمضان تقريباً، وكان القائد الأفغاني قلب الدين حكمت يار في المنطقة، وحضر الشيخ سياف، وعزمنا على القيام بهجوم يوم ٢٦ رمضان، وبدأنا ضرب المناطق التي تقع أسفل منا، وإذ بالرد يأتي إلينا من مناطق بعيدة براجمات الصواريخ (ب م ٢١)، وكانت بداية المعركة الطويلة التي استمرت لمدة ثلاثة أسابيع، وكان العدو قد خطط لها، ونحن لم نخطط إلا لمعركة تدوم ليوم واحد، وكان هدف الهجوم تدمير هذه المواقع، وقفل طريق جاجي وهو من طرق الإمداد الرئيسية لداخل أفغانستان، وكان يوم ٢٩ رمضان أعنف أيام القتال، وكنا قد علمنا أن القوات المتقدمة عددها حوالي عشرة آلاف جندي ومنها ثلاثة كتائب روسية وكذلك قوة كوماندوز روسية).

يقول أبو محمود السوري عن قصة أول مواجهة عسكرية قام بها شباب مأسدة الأنصار، حيث شارك وأصيب فيها، وكانت بداية مهمة في تاريخ إنشاء المأسدة [٢]: (يجب أن نذكر أن أول معركة يخوضها العرب في تجمع واحد كانت في شهر شعبان سنة ١٩٨٦ في خوست، حيث تجمع العرب وكونوا كتيبة أسموها كتيبة الخرساء، وعلى قول أبو هاجر العراقي كان يسميها كتيبة الظرفاء، وقد خاضت هذه الكتيبة معارك شديدة في خوست، وأصيب من العرب عدد كبير واستشهد فيها عدد آخر، وكان ذلك قبل إنشاء المأسدة، وقبل وجود العرين..

---

[١] روايته لمأسدة الأنصار.

[٢] رواية مأسدة الأنصار.

فعندما بدأ أسامة بن لادن العمل في شق الطريق والأنفاق وحفر الخنادق، كان قد أرسل شفيق وأسامة وأبو قتيبة لاستطلاع المنطقة، وبعد قيامة بالاستطلاع أخبروا أبو عبد الله بهذا الجبل القريب من العدو والذي يطل عليه من أعلى، ويكشف حصن تشاوني الذي يسيطر على المنطقة يتحصن به الشيوعيون، ويتحكم في الوادي الذي يعبر الحدود إلى باكستان..

وذهب أبو عبد الله أسامة بن لادن لهذا الجبل، واختاره كبداية لإنشاء موقع خاص بالعرب..

كان الشتاء على الأبواب، وهو شتاء بارد.. والثلوج تمنع الحركة تماماً.. وقد سأل أسامة بن لادن عن قادة المنطقة للتنسيق معهم، واتصل بقائد معروف اسمه عبد السميع، وهو قائد معروف في المنطقة، وكان يحتل موقعاً قريباً من العدو.. في المنتصف تقريباً..

اقترح أسامة بن لادن على القائد الأفغاني عبد السميع ألا ينسحب في الشتاء ويبقى مكانه، وسوف يتم إنشاء ملاجئ تحميه من الثلوج، إلا أن القائد الأفغاني رفض لأن الثلوج تمنع وصول الحياة وباقي الإمداد، وعرض عليه أسامة بن لادن أن يمده بالماء وكافة الإمدادات بشرط ألا يترك المنطقة في الشتاء، وبناء على ذلك قام أبو عبد الله أسامة بن لادن في زرع أول خيمة في مأسدة الأنصار، وكان ذلك يوم ٢٤ أكتوبر عام ١٩٨٦، وكان هذا التاريخ هو تاريخ شراء أول قطعة سلاح من أسواق باكستان، وهو رشاش جرينوف حمله الأخ أزمراي، وهو يعتبر أول يوم في إنشاء مأسدة الأنصار.

وصلت أنا مع الشيخ عبد الله عزام رحمه الله بعد خطوات إنشاء المأسدة بحوالي شهر، وكان بها فعلاً أربعة عشر شخصاً، وكنت قد حضرت إلى موقع التدريب في منطقة صدى، ولكن تقرر أن نذهب مباشرة إلى المأسدة لنتدرب على أرض أفغانستان فعلاً..

وكان معنا بعض الضيوف عندما وصلنا إلى المأسدة، وبدأ الحديث من بعض الضيوف لتثبيط الهمم.. وقالوا لأسامة بن لادن وللشباب الذين معه: إن العدو سيحضر ويأخذكم أحياء. ولكن الله ثبت الأخ أسامة بن لادن والشباب الموجودين بالمأسدة..

تقرر أن تعود المجموعة التي حضرت بدون تدريب إلى صدى لاستكمال التدريب وكنت أنا منهم، فلم يكن لدينا أي خبرة عسكرية على الإطلاق، وكان علينا أن نتدرب بسرعة في صدى وننضم إلى المأسدة في أقرب وقت، وكان مركز تدريب صدى قد أقيم في منطقة صدى، وهي نقطة قريبة من الحدود بين أفغانستان وباكستان، طلبت من أسامة بن لادن ألا أعود إلى صدى وأن أبقى معه فوافق..

كان الشتاء على الأبواب، وبدأ هطول الثلوج وبدأ إنشاء التحصينات حسب الإمكانيات والفترة الزمنية المحدودة، وخلال خمسة شهور فقط تم إنشاء من ٧ – ٨ غرف، بها حوالي سبعين شاباً عربياً مستعدين للتضحية والاستشهاد.

خلال هذه الفترة كان الإخوة الشباب يلحون في طلب القيام بعمليات عسكرية، وكان أسامة بن لادن يحاول أن يهدئهم ويقنعهم بضرورة إنشاء الموقع وإكمال التحصينات أولاً..

كانت في الحقيقة مرحلة صافية، وارتباط روحي عميق..

وعندما بدأت الثلوج في الذوبان بدأ الإخوة يعدون أنفسهم للقيام بعمليات ضد مواقع العدو في الوادي، وكان الهدف الأساسي من هذه العمليات اكتساب خبرة قتالية عملية، وكان أول عملية يقوم الشباب العربي بتنظيمها وإعدادها هي عملية ١٧ شعبان عام ١٤٠٧هـ الموافق ١٧ نيسان إبريل عام ١٩٨٧م، وكان عدد الإخوة المشتركين في هذه العملية مائة وعشرين شاباً عربياً، وكنت أنا منهم..

وقد تم تقسيم الشباب إلى مجموعتين، مجموعة متقدمة ومجموعة مساندة، وكان هدف العملية هو احتلال مركزين مهمين من مراكز العدو في الوادي، وهما أقرب مركزين للمأسدة.

قسمت المجموعات، ورتبت مجموعتين.. واحدة لحماية المأسدة من الخلف، وفي نفس الوقت قصف العدو بالصواريخ أرض – أرض، وكانت هذه المجموعة بقيادة أبو برهان السوري، ومجموعة ثانية للقيام بالاقتحام وكانت بقيادة أبو خالد المصري..

بدأت العملية الساعة السادسة مساء، وكان التخطيط لها قد تم منذ عدة أيام سابقة، وحضر الشيخ سياف خصيصاً لحضور هذه العملية، وكانت تجربة جديدة للعرب، وكان الشيخ عبد الله عزام رحمه الله موجوداً، كذلك الشيخ تميم العدناني رحمه الله وأسامة بن لادن بالطبع قبل أول عملية مثل هذه.. وكانت هناك لحظات وداع الإخوة مؤثرة والنفوس كلها مشحونة ومتشوقة للاستشهاد..

وبدأت العملية فعلاً الساعة السادسة وعشر دقائق.. ولكن لم تحقق أهدافها لعدة أسباب مهمة..

عندما تقررت العملية وحدد موعدها لم تكن الإمكانيات قد استكملت خاصة الذخائر، فلم تكن الذخيرة قد وصلت إلى كل المجموعات وذلك لعدم وجود خبرة سابقة.. فمثلاً لم تكن وصلت إلى مجموعة المساندة ذخائر كافية، ولهذا لم تبدأ مجموعة المساندة في العمل في التوقيت المطلوب لعدم وجود ذخائر..

كنت أحد عناصر مجموعات الاقتحام، وتقدمنا، وكان مقرراً أن نقوم باقتحام موقع أطلقنا عليه أم الخنادق، وقبل وصولنا إلى الموقع حيث حقول الألغام.. ووصلنا فعلاً إلى مسافة ثلاثين أو أربعين متراً من مواقع العدو، فوجئنا بأن العدو متيقظ تماماً لأن القصف من جانبنا ومن جانب المجاهدين كان مركزاً على ١٦ موقعاً للعدو محيطاً بهذه المنطقة، عدا الموقعين المحددين للهجوم عليهما.. لهذا كان العدو متيقظاً، وكان من المفروض أن نقوم بالضرب عليه أثناء الهجوم ضرباً مباشراً..

مثلاً حارس الموقع كان متيقظاً وشاهدناه، وشاهدنا.. حيث رأى أشباحاً تتحرك بالقرب منه.. وأطلق علينا عدة طلقات، وبمجرد اقترابنا انهمر علينا الرصاص، وقد سبقنا العدو بإطلاق النيران، ولم نتمكن من رفع رؤوسنا حتى حلول الظلام.. وقد أصيب ساقاي في أول لحظة من لحظات الاقتحام وذلك من رشاش جرينوف كان على يسارنا وعلى تبة مشكوفة، ولم نكن نعرف أن بهذا الموقع رشاش جرينوف.. وفوجئنا به يطلق علينا من الجانب الأيسر أثناء تقدمنا، وكانت مفاجأة صعبة لنا، وكان ذلك بسبب عدم وجود خبرة..

وبعد عدة دقائق من ضرب العدو علينا أعطيت لنا الأوامر بالانسحاب لمركز قريب، كان محصناً، وكنا نطلق عليه مركز المتقدمة.. وكان بهذا المركز أبو عبد الله أسامة بن لادن، فقد أصدر أبو عبد الله أسامة بن لادن هذا الأمر خوفاً على حياة الإخوة من الإصابات بعد انكشاف الهجوم، ولم يستطع أحد تنفيذ ذلك إلا بعد حلول الظلام ليكون الانسحاب مستوراً.. حملني الإخوة إلى موقع المأسدة..

كانت هناك خمس مجموعات مساندة، وصلت أربع مجموعات وتاهت مجموعة لم تصل إلى المأسدة، وظلت مفقودة حتى منتصف الليل..

استشهد في هذه العملية الأخ أحمد الزهراني.. وكان يعمل مدفع رشاش ثقيل وأصيب بقذيفة هاون.. وكان رحمه الله من الشباب الممتاز، ويعتبر أحمد الزهراني أول شهيد من شهداء المأسدة، وكان عمره عشرين سنة، وهو من أهل مدينة الطائف..

وجرح في المعركة الأخ إدريس.. وأنا..

والخلاصة أن معركة شعبان كانت نقطة مهمة في تاريخ المأسدة، وتعلم منها الإخوة دروساً كثيرة ساعدتهم فيما بعد.

منذ هذه العملية بدأ الإخوة يقومون بعمليات أخرى، وذلك لاستكمال التدريب الحي على القتال، وذلك في اشتباك مباشر مع العدو..

وقد استشهد في هذه الفترة الأخ أبو الذهب، حيث سقطت قذيفة هاون بين ثلاثة من الإخوة أثناء عملية رصد، واستشهد على الفور أبو الذهب وأصيب أزمراي واستمرت العمليات تحت قيادة أبو عبيدة المصري شهراً كاملاً واشتباكات ومعارك..

حتى بدأت معركة ١٧ رمضان، وهذه العملية تم الإعداد لها إعداداً جيداً، ولكن لم تستطع هذه العملية القيام بفتح أي موقع، لأن قائد العملية وهو أبو خالد المصري قد أصيب في بداية العملية، حيث أصيب بقذيفة آر. بي. جي، كذلك أصيب أبو سهل المصري.. وكان لذلك تأثير كبير على سير العملية. كذلك كانت أقرب مجموعة مجموعة من العدو وهي مجموعة شفيق، كان معه ثمانية مجاهدين عرب عاد بأربعة مصابين.. وكانت العملية كلها تحت قيادة ومسئولية أبو عبيدة المصري، وكان أسامة بن لادن في بيشاور.

وعندما علمنا بالعملية، وكنت معه في بيشاور، تحركنا بسرعة إلى جبهة القتال يوم ١٧ رمضان لنحضر العملية، ووصلنا إلى موقع العملية مساء، وجلسنا في موقع العرين نتابع الأخبار، ومكثت من ذلك اليوم في موقع المأسدة لأعيش أيضاً أحداث أشهر معارك العرب في أفغانستان..

وقد استسلم في هذه المعركة خمسة وأربعين جندياً وضابطاً إلى المجاهدين الأفغان، وذلك بسبب شدة القصف الذي وجه إلى موقعهم من قبل المجاهدين، وسلموا أنفسهم إلى أحد قادة الحزب الإسلامي التابع لحكمت يار).

يقول الإمام أسامة في روايته لمعركة رمضان [١]: (كان يوم ٢٩ رمضان حيث بدأ هجوم القوات الروسية والحكومية الأفغانية، وبدأت الدبابات تتحرك، وانتظرنا حتى اقتربت الدبابات إلى مرمى نيران المجاهدين، فلما دنوا جميعاً بدأنا باسم الله وكبرنا، وأعطينا الإشارة باللاسلكي لجميع المدافع – مدافع المجاهدين الأفغان العرب –، بدأ القصف عليهم في وقت

---

[١] رواية مأسدة الأنصار.

واحد، وكنت أتابع القصف من المرصد، وشاهدت القذائف من فضل الله تسقط على الأعداء وتمزقهم.. استمر القصف عنيفاً وكانت الجبال تهتز، ولكن من فضل الله لم يصب أحد من الإخوة بسوء، واستمر هذا الحال إلى المغرب..

ورجعت من المرصد والتقيت بالأخ أبو عبيدة المصري، وهو من حفظة كتاب الله، ورأينا أن الروس لن يسكتوا على هذه الضربة لهم، وتوقعنا أن يكون القصف أشد في اليوم التالي، وقررنا أن نرجع ثلاثين من الإخوة العرب إلى معسكر خلفي لنا، وكنا حوالي سبعين مجاهداً..

وفي اليوم التالي حدث ما توقعناه، قصف عنيف منذ أول إشراقة للشمس، أصبح عدد الإخوة في المأسدة حوالي أربعين أخ، وكنت مع تسعة من الإخوة في كهف نطلق عليه المتقدمة، وكان هذا الكهف صغيراً لا يتحمل القصف الثقيل، وكانت طائرات العدو تقصف بقنابل زنة ألف رطل، وكانت الجبال تهتز..

وكنا قد اتفقنا على إشارة معينة، وهي إطلاق ثلاث طلقات إذا شعروا بأن هناك حصاراً من العدو للمعسكر، وإذا بنا نتلقى مكالمة هاتفية من الأخ سيف الله المغربي من المرصد الأيمن لمركز بدر يقول أنه شاهد ما يقارب مائتي جندي من الجنود الروس يرتدون ملابس القوات الخاصة وهم يتسللون باتجاه المعسكر، فأعطى الأخ إنذاراً بالخطر وهي ثلاث طلقات، وقمت بإبلاغ المركز الرئيسي للمجاهدين بأن العدو يتقدم لمحاصرة المعسكر، وطلبت من الإخوة حمل الأسلحة والتقدم، وكانوا تسعة وأنا العاشر واحد منهم، رغم أنهم سمعوا أن المتقدمين حوالي مائتين.. لم نكن عسكريين، وكنا مدنيين.. ولم يتردد أحد..

فتقدموا أكرمهم الله، كل واحد أخذ سلاحه وانطلقنا إلى الأمام، كنا حريصين على أن نأخذ تبة بيننا وبين الكفار وهي تبة مرتفعة، وأثناء تحركنا كنت أوزع الإخوة لكي لا يحدث التفاف علينا أثناء تحركنا، فتركت الأخ ذبيح وأبو سهل المصري رحمه الله ومعهم جهاز لا سلكي في مركز المتقدمة، ثم الأخ أبو حنفية ومعه بعض الإخوة أرسلته للميمنة، ثم تقدمنا حتى وصلنا إلى القمة، ولم يبق إلا ثلاثة: الأخ خضر وهو من المنطقة الشرقية، والأخ مختار

وهو أيضاً من المنطقة الشرقية، وأنا معهم، وانضم إلينا الأخ خالد كردي.. وكنت قد طلبت منه أن يحضر لنا ماء وتمر وطلقات. آر. بي. جي زيادة، فذهب وبقينا نحن الثلاثة. وماذا يفعل ثلاثة أمام مائتي كوماندوز..!

ولكن الله ثبتنا نحن الثلاثة ولم نشعر بأي قلق أو خوف.. سبحان الله.. رغم أن عندي خبراً مسبقاً بأن هذه القوة تريد أن تأسرني أنا شخصياً، توزعنا على قمة هذه التبة بحيث كان كل منا يرى الآخر، والمسافة بين كل منا حوالي عشرة أمتار، وإذا طلبنا مدداً من الإخوة يستغرق ذلك حوالي ساعة ونصف لطول المسافة..

جاء خضر وقال لي إن مختار سمع أصوات الروس تحت التبة، وبالقرب منهم بين الأشجار يتكلمون.. وكنا ننتظر المدد، ولم يصل المدد إلينا.. وقد وصل الروس..

فطلبت أن ننضم جميعاً ونصبح على القمة، وفي هذه اللحظة انضم إلينا خالد، ويأتي أيضاً أبو عبيدة، وكان أبو عبيدة قد رتب مجموعة أخرى تذهب من جهة بدر وتتقدم أيضاً لملاقاة القوات المتقدمة..

تقدمنا لاتجاه الميسرة وهم يتقدمون من الميمنة، ورأيناهم أسفل من ميمنتنا على تبة تسمى تبة الزهراني، لأن أحمد الزهراني رحمه الله كان على هذه التبة عندما قتل..

في هذه اللحظة وهم يتقدمون أخرجنا القنابل اليدوية، وكنت أول من أخرج القنابل اليدوية استعداداً لرميها عليهم لأننا كنا أعلى منهم، فاقترح الأخ أبو عبيدة أن نبتعد حتى يصلوا جميعاً إلى منطقة الرمي، وفجأة يصل إلينا أربعة إخوة ولا واحد منهم يعرف حقيقة الموقف.. وأثناء سيرهم باتجاهنا سمع الروس صوت أقدامهم على الحشائش بين الأشجار، فتوقفوا عن التقدم وانتبهوا، فلم يتوقعوا أن يكون في هذا المكان مجاهدين، وكانوا يتوقعون أن كل من في المأسدة جرحى نتيجة القصف الشديد لمدة خمسة أيام متوالية..

عندما فوجئ الروس بالحركة انسحبوا ببطء دون أن نشعر بهم، لقد فوجئوا بوجودنا في هذه المنطقة المتقدمة عن موقع المأسدة ولم يتوقعوا أبداً وجود أحد في هذا المكان، وسمعناهم يتكلمون باللاسلكي (غنمنا جهازهم اللاسلكي هذا فيما بعد)، وواضح أنهم أخبروا مدفعيتهم بوجودنا في هذه المنطقة، وكانت مدفعيتهم وهاوناتهم تقوم بالتمشيط أمامهم..

وكنت أحمل القنبلة اليدوية في يدي منتظراً تقدمهم، فوجدت أنهم بدؤوا ينسحبون إلى الخلف حوالي مائتي متر، وفي هذه اللحظة انهمرت علينا قذائف الهاون، كالمطر هاونات ثقيلة.. ومن شدة القصف كان من المستحيل أن تستطيع أن تتكلم كلمة أو تكمل جملة..

استمر هذا الحال من القصف الشديد المركز لمدة ساعة تقريباً إلى أن منّ الله علينا بجزء من دقيقة بين القصف فتحركنا إلى أول نقطة في معسكرنا واتخذنا كميناً لهم.. ومن شدة وكثافة القصف كانوا متأكدين أنه لا يمكن أن يكون هناك أي شخص على هذه التبة إلا قتيلاً أو جريحاً، فصعدوا إليها مطمئنين، فما أن صعدوا حتى بدأنا الضرب عليهم، فقتل عدد منهم يقيناً وتراجع الباقي إلى خلف..

واستمر الحال على هذا المنوال وطلبوا مساعدة الطيران، وعاد الطيران يقصف بعنف وشدة مع الصواريخ، وألقت الطائرات قذائف دخان أتعبت الإخوة نفسياً حيث خشينا أن تكون غازات سامة، ولكن كانت قنابل الدخان.. واستمر القصف علينا شديداً فازداد البأس علينا، فقررنا الانحياز إلى موقع خلفي من شدة القصف..

انحزنا في الليل وبقيت مجموعة الإخوة العرب والإخوة الأفغان وسط المأسدة، ولكن من لطف الله أن وصل مدد من المجاهدين الأفغان وأطلقوا على قوة الكوماندوز الروسية ٣٥ قذيفة (آر. بي. جي) متوالية، وكانت قوة الكوماندوز تعتقد أن المعسكر خالياً إلا من الجرحى.. أعطى ذلك انطباعاً لدى الكوماندوز بأنه لا زالت هناك قوة كبيرة داخل المأسدة، فتوقفوا عن الهجوم وبقوا مكانهم في الليل وهم يخشون الهجوم على المعسكر، رغم أنه فعلاً لم تكن به قوة كبيرة، وهذا من فضل الله..

وفي الصبح قسمنا الإخوة إلى مجموعتين، ووصلت المجموعة الأولى إلى المأسدة فعلاً، وكنا نتفقد الطريق والمواقع.. والمجموعة الثانية كانت متوقفة في منتصف الطريق، فطلبنا منهم التقدم.. كان العدو مستميتاً في الهجوم على الموقع، فالموقع يعتبر مفتاحاً للمنطقة كلها..

اقترح أبو عبيدة أن يذهب هو وثمانية من الإخوة ويلتفون حول القوة الروسية ويهاجمونهم من خلفهم، فقلت لأبي عبيدة: أن الميسرة خالية من يبقى فيها؟ .. وكنت مريضاً في تلك الفترة والشكوى لله، وكان يصعب عليّ المشي على الأقدام لمسافة بسيطة، وإذا يفاجئني أبو عبيدة بأن أذهب إلى الميسرة، فنظرت إلى العدو.. لم يبق معي إلا ثلاثة من الإخوة.. أخونا محمد العتيبي رحمه الله أبو الوليد، وأخونا ياسين الكردي، وأخونا أسد الله.. في هذه الفترة جاءنا ضيف وهو الأخ أبو الحسن المدني، وكان في ذلك اليوم ضيفاً فذهبنا نحن الخمسة إلى جهة الميسرة.. كنا محاطين بالعدو.. وتحركنا إلى الميسرة والطلقات في بيت النار وكل واحد منا يده على زناد البندقية، وسرنا إلى أن وصلنا إلى النقطة المتقدمة جهة الميسرة، حتى وزعت الإخوة ميمنة وميسرة وهم جميعاً خمسة، فكان أبو عبيدة ومعه آر. بي. جي في الميمنة، وكانت الميمنة رجلاً واحداً، والميسرة كانت أخينا أسد الله ومعه جرينوف (رشاش متوسط)، وكان ياسين الكردي ظهراً لنا، وبقيت أنا في الوسط مع أبو الحسن المدني.. فما كدت أنتهي من توزيع الإخوة وإذا بنا نفاجأ بأن القوة الروسية على مسافة سبعين متراً من طرف المعسكر.. من الغرفة المتقدمة، وكنا نحن خلف الغرفة..

وبدأ على الفور الاشتباك معهم بالسلاح الخفيف، ووجهنا النيران إليهم وطلبت من الأخ ياسين كردي ومعه أبو الوليد أن يتقدما ويضربوا في المنطقة اليسرى حيث رأيتهم، وبدأ الرد علينا بالأسلحة الكلاكوف، وصوت الكلاكوف مميز عن صوت الكلاشنكوف.. والكلاكوف معروف أنه تسليح القوات الخاصة الروسية، أما الكلاشنكوف فهو تسليح الجنود الأفغان الشيوعيون.. فوجئت قوة الكوماندوز بوجود مقاومة في أول أيام العيد، فأخزاهم الله، فبدؤوا ينسحبون إلى الخلف مجموعة تغطي مجموعة، فطلبت من ياسين وأبو الوليد أن يطلقوا النار خلفهم بمسافة حوالي ١٥٠ متراً حيث توقعت أن يكونوا قد وصلوا

إلى هذه النقطة، وكنت حتى هذه اللحظة أظن أن الهجوم من الميسرة، ولكن عندما صعدت على قمة تبة لأتكلم باللاسلكي فوجئت بطلقة آر. بي. جي. تأتي من اتجاه العدو ومن المحور الأوسط ومرت بجواري وانفجرت طلقة الآر. بي. جي. بالقرب مني ولم يصبني منها أي شيء وكأني قد رميت بحفنة من الطين بفضل الله سبحانه وتعالى.. نزلت بهدوء وأخبرت الإخوة أن العدو موجود في المحور الأوسط وليس على الميسرة فقط.

في هذه الأثناء كنت أحاول الاتصال بالمجموعة التي تحركت للالتفاف حول الروس بقيادة أبو عبيدة، اتصلت بهم مراراً فلم تكن هناك أية إجابة فأصابني قلق شديد عليهم، وأوقفت الاتصال ولكن تركت الجهاز مفتوحاً.. وفي هذه الأثناء بدأ العدو من جديد تمشيط المنطقة بالهاونات والصواريخ، وبدأ قصف الطيران، وكنا ننزل في الكهف ويظل أحدنا بالخارج ليراقب المنطقة خوفاً من تقدم الروس.. وكنا نراقب رمي المدفعية والهاونات فإذا كان علينا بالضبط فكنا ننزل في الكهف ولكن إذا ابتعد قليلاً كنا نصعد.. وهذه خبرة جديدة اكتسبناها من هذه المعركة.. إن من الممكن أن يتقدم العدو تحت القصف، لأنه يتصل بالمدفعية ويستطيع نقل الضرب أمامه إلى مسافة ٢٠٠ متر أثناء قصف المدفعية والهاونات.

ظللت في قلق شديد على الإخوة الذين ذهبوا للالتفاف، وإذا بصوت الجهاز يأتي كالماء البارد علينا، حيث نادى الأخ أبو عبيدة وقال: أبو القعقاع (هذه الكنية إحدى أسماء إمامنا) هل تسمعني؟، فأسرعت نحو الجهاز وقلت: نعم أسمعك جيداً، فقال أبو عبيدة: الله أكبر الله أكبر أبشرك بأننا قتلنا الكوماندوز الروس وهم الآن صرعى تحت أقدامنا، الله أكبر.

وانتشر التكبير إلى أن وصل الإخوة جميعاً، وانتشر الخبر وسررنا سروراً عظيماً بفضل الله، وكان الإخوة قد فاجؤوا الروس من الخلف أي من المنطقة التي كان لا يمكن أن يتخيلوا أن يأتي أحد منها، ولقد استطاع أخونا محمد العزمان المعروف بمختار أن يقتل ستة منهم دفعة واحدة في ثانية واحدة، وبدأ اشتباك بالرشاشات والقنابل اليدوية، وأدى ذلك إلى انهيار معنويات الكوماندوز، فكان عدد الإخوة تسعة أشخاص فقط في مواجهة مائتي جندي

لكن مع الرعب لم يستطيعوا تمييز القوة، ومع وجود الأشجار والغابات لم يستطيعوا أن يحددوا عدد المهاجمين، فأصابهم ذعر شديد وقتل في هذا الهجوم المفاجئ من الكوماندوز حوالي خمسة وثلاثين جندياً وضابطاً وفر الباقي إلى مسافة بعيدة حوالي ثلاثة كيلوا مترات..

وارتفعت معنويات المجاهدين ليس فقط في منطقتنا ولكن في كل أنحاء أفغانستان.. وكان ذلك فضل من الله على الإخوة..).

ويقول أيضًا نصره الله: (كانت معارك جلال آباد هي أول وأكبر معركة يخوضها العرب، وكان الاختلاف بين معارك جلال آباد والمعارك الأخرى في أفغانستان في أن المعارك السابقة كانت على مراكز وقلاع للعدو، أما جلال آباد فهي إحدى المدن الرئيسية الكبرى في أفغانستان، بل هي أقرب مدينة إلى العاصمة كابول، ولم يكن هناك خيار في معارك جلال آباد، فبعد سقوط عديد من المواقع حول المدينة وسقوط حصونهم في يد المجاهدين – حتى وصلت قوات المجاهدين الأفغان إلى مطار جلال – استمات العدو في الدفاع عن المدينة، وأمام ذلك إذا تركت كل هذا ورجعت فإنك ستخسر كل المعركة..

ولهذا بدأت معركة طويلة استمرت بعنف شديد لعدة أشهر متواصلة أخذ فيها الإخوة خبرات كبيرة لم تتيسر لهم من قبل في أي معارك سابقة، كان عندنا حول جلال آباد ١٨ مركزاً للعرب (مأسدة الأنصار)، وكان من الصعب أن تدير معركة طويلة لعدة أشهر..

وأن تكون القوة في حالة شد مستمرة؛ فأنت محتاج لإمداد وتموين مستمر، ومحتاج لذخائر في الوقت المناسب، وصواريخ لراجمات الصواريخ..

كذلك تم تكوين أجهزة لإخلاء الجرحى وحمل القتلى، نرجو من الله أن يكونوا شهداء، وكذلك تواجد إخوة في المرصد بصفة مستمرة لرصد أي حركة من العدو لتوجيه النيران إليها، وازدادت خبرات الإخوة في استخدام الصواريخ والهاونات والمدفعية، وقد استخدموا الخرائط

في القصف حيث يتم تحديد مسافة واتجاه الهدف والقصف عليه بواسطة الإحداثيات حسب الاصطلاح العسكري..

وأمام هذه التجربة الجديدة ظهرت معادن الإخوة العرب وثبتوا وصبروا، وهذا أمر ليس بالسهل.. وهو أن تبقى مشدوداً طيلة هذه الأشهر وفي قتال متواصل.

وقد كان الإخوة بفضل من الله أقدر المجموعات على سرعة الحركة وذلك لتوفر وسائل نقل وأسلحة وذخائر..

وزعنا السيارات على الكومندانات، كذلك وزعنا مجموعات قتال، فكانت هناك مجموعة اقتحام مع الكومندان خالد وهو من أشهر القادة الأفغان في جلال آباد، وقد فتح كثير من المواقع على يد هذا القائد، وكانت مجموعة الإخوة العرب من أبرز المجموعات.. وفي بعض العمليات كان معظم مجموعة الاقتحام من الشباب العرب وكان هو الأفغاني الوحيد، لأن معظم المجاهدين التابعين له قد استشهدوا في معارك سابقة..

كذلك انضمت مجموعة من المجاهدين العرب إلى الكومندان سازنور وقد فتح الله سبحانه وتعالى على أيديهم – بمشاركة الشباب العربي – مراكز عديدة، منها مجموعة تباب (فركند)، والتي أطلق عليها مركز سراقة ومركز صخري.

وقد غنم الإخوة العرب مدافع الميدان الثقيلة بعيدة المدى (D.C)، وكذلك بعض الدبابات والمدرعات، وقد تم تدريب الإخوة على جميع هذه الأسلحة ومنها الدبابات..

وقد استخدم الإخوة العرب الدبابات في الهجوم الأخير الذي قامت به القوات الشيوعية ضد مواقع العرب، وغنموا في هذه المعارك دبابات جديدة).

ويقول حاكياً أحداث هجوم القوات الشيوعية الحكومية الذي استهدف مواقع العرب: (كان يوم ١٠ ذي الحجة سنة ١٤٠٩هـ (الموافق ٣ يوليو سنة ١٩٨٩م)، حيث قام العدو

بهجوم ضخم على مواقعنا، وكان هدف هذا الهجوم هو تدمير مواقع الإخوة العرب وحصارهم وأسرهم أحياء، وكان سبب ذلك أن الإخوة العرب كانوا قد توفر لهم كميات كبيرة من الذخائر اشتريناها من أسواق السلاح في باكستان، لقد اشترينا حوالي ثلاثين شاحنة وقمنا بتخزينها، ولهذا تيسر القيام بقصف شديد ومنظم ضد تجمعات الجيش الأفغاني حول جلال آباد، ففي أحد الأيام وصلت لنا أخبار عن وجود تجمعات كبيرة لقوات العدو، فقمنا بقصف هذه التجمعات لمدة ثلاثة أيام على التوالي قتل فيها ٧٠ رجلاً من الهنود.. وكانت حكومة كابول قد أحضرت قوات هندية لتسد النقص الكبير في الجيش الأفغاني الحكومي.. وبعد خروج الجيش الروسي .. هذا مع العلم بوجود حوالي عشرين ألف روسي في أفغانستان حتى بعد الانسحاب.

وحدث نقص لدى قوات المجاهدين الأفغان في الذخائر، لهذا كانت الذخيرة التي لدينا وسيلة للضغط، وقمنا بقصف مستمر طوال ثلاثة أسابيع على النقاط الحساسة للعدو، حتى شعرت القوات الحكومية أن مواقع العرب مصدر إزعاج شديد لهم، فاستمر الطيران في ضرب مواقع مدافع الميدان (D. C)، وضرب راجمات الصواريخ التي معنا وكانت راجمتين، وعندما لم ينجح في إسكات مدفعيتنا بضرب الطيران والصواريخ قام بقصف مواقعنا بالصواريخ سكود، ومن المعروف أن صواريخ سكود صواريخ متوسطة المدى تطلق على المدن، ولكنها استخدمت ضدنا وضد مواقع راجمات الصواريخ، وعندما فشلوا في ذلك كلفوا قوة ضخمة بالقيام بهجوم كبير على مواقعنا، وتولى قيادة هذه القوة رجل اسمه رحيمي ونائبه قائد اسمه إسماعيل، وتعهدوا لنجيب بأن يصلوا بهجومهم إلى منطقة طورخم (هي نقطة على الحدود بين باكستان وأفغانستان، والمسافة بينها وبين جلال آباد حوالي تسعون كيلو متراً، وتقع على الطريق البري الرئيسي الذي يربط بين كابول – جلال آباد – بيشاور في باكستان)..

وبدأ الهجوم يوم ٣ يوليو، وكانت معركة شديدة، وكانت أخطر معركة خاضها الشباب العربي بعد معركة جاجي (رمضان سنة ١٤٠٧هـ)، إلا أنها أصعب، لأن المناطق المحيطة

بجلال آباد مناطق سهول، والسهول هي أرض المدرعات، بينما المناطق الجبيلة لا تقاتل فيها المدرعات بكفاءة..

بدأ الهجوم بإرسال قوة تشغل ميسرتنا، فاتصلت بنا قوة الميسرة بعد الفجر، وقالت أن هناك دبابات تتقدم للهجوم علينا.. أرسلوا لنا بعض المدد.. فأرسلنا لهم سيارتين وفيها مدد من السلاح والرجال، واتصلت بنا القوة الموجودة بالميمنة وقالت أن هناك مجموعة أخرى من الدبابات تتقدم نحونا، وكانت الميمنة قرب المطار (مطار جلال آباد)، والمسافة بين مركز القيادة والميمنة حوالي خمسة كيلو مترات، وطلبوا مدداً، وطلبوا قصف القوات المتقدمة بالصواريخ، فحولنا راجمة صواريخ في اتجاه الميمنة، وراجمة صواريخ تجاه الميسرة، وكان بين الميمنة والميسرة بعض النقاط فاتصلوا بنا وطلبوا المدد فأرسلنا إليهم بعض الأسلحة والقوة الاحتياطية التي كانت في المركز الرئيسي، وكان كل ذلك خدعة من العدو حتى يهجم على مركز القيادة الرئيسي..

فتقدمت إلينا حوالي كتيبة مدرعة (٢٧ دبابة)، وكان الطيران في هذه الفترة يقصف المنطقة قصفاً شديداً، وبعد صلاة الفجر كانوا قد أطلقوا سبعة صواريخ سكود، وكان اختيارهم ليوم الهجوم ذكياً لأنه كان أول أيام عيد الأضحى وهم يعرفون طبيعة المجاهد الأفغاني حيث أنه يغيب عن أهله طول العام ولهذا يحرص على قضاء العيد مع أهله!.

تقدم العدو نحونا، وكنا في المعسكر حوالي ثلاثين أخاً أو أقل، وهجم علينا ٢٧ دبابة، فكان موقفاً صعباً جداً، وكنا من قبل أرسلنا القوة الاحتياطية إلى الميمنة والميسرة.. والغريب أن الدبابة الوحيدة التي كانت معنا قد نقلناها إلى قرب الطريق الرئيسي خوفاً من أن يتقدم العدو من الطريق الرئيسي، أما الدبابة الثانية وكانت ٦٢ كنا قد أرسلناها إلى أقصى الميسرة، فتقدموا نحونا، وما كان في أيدي القوة الباقية في مركز القيادة مدافع آر. بي. جي. حيث أصيب أحد رماة الآر. بي. جي. ولم يبق في النهاية سوى مدفع ٧٥ ملم مضاد للدبابات فأكرمه الله وأرجو أن يتقبله شهيداً.. أخذ المدفع شفيق ونصبه وحده (طاقم المدفع في الحرب

خمسة أفراد) وقام شفيق بإطلاق النيران من المدفع ٧٥ ملم وحده، وإطلاق النار من المدفع أصعب من الأسلحة الأخرى المضادة للدبابات الصاروخية، فلا بد من وضع القذيفة في بيت النار وإطلاقها، ثم تفريغ طرف القذيفة الفارغ، ثم إعادة التعبئة .. أما الأسلحة المضادة للدبابات الصاروخية فلا يوجد ظرف فارغ ..

لقد كان واضحاً من إصرار العدو على محاصرة الموقع وتطويقه رغبتهم في الإيقاع بالمجاهدين العرب أسرى، ولم تكن هناك مقاومة فعالة بالأسلحة المضادة للدبابات الآر. بي. جي، فمدى الآر. بي. جي. لا يزيد عن ٣٠٠ متر، ولهذا كانت تطلق الدبابات نيرانها علينا وهي مطمئنة على مسافة كبيرة، ولهذا قلت للإخوة لا تطلقوا. الآر. بي. جي. إلا بعد وصول الدبابات إلى مسافة ٣٠٠ متر .. وعند وصول الدبابات لهذه المسافة أطلق الإخوة القذائف إلا أنها لم تكن مؤثرة أمام ٢٧ دبابة متقدمة.. وقد أصيب أحد رماة الآر. بي. جي. من لغم كان مزروعاً من قبل..

كانت الدبابات لا زالت تتقدم نحونا، وفعلاً وصلت إلى أول تبة من تباب المركز الرئيسي وهي تبة صخرية، وكانت هذه التبة هي أول موقع لنا باتجاه العدو..

بدأ شفيق رحمه الله يضرب عليهم بالمدفع ٧٥ ملم، وكانت الدبابات على مسافة ٤٠٠ متر فقط منا، وكانت تضرب علينا بمدفعيتها الأساسية بالإضافة إلى الرشاشات، كانوا يمشطون المنطقة تمشيطاً شديداً بالنيران.. توزع الإخوة العرب عندما تقدمت بعض المدرعات في الوادي القريب الذي يفصل بين التبتين في موقعنا، ونزل الجنود من المدرعات وبدؤوا في الصعود إلينا، فقمنا بإطلاق نيران مدفع رشاش ثقيل جلاينوف، واستمر الأمر على هذا حوالي أربع ساعات.. وهي مدة خيالية.. أمامك ٢٧ دبابة .. ونحن لا نملك إلا مدفعاً واحداً.. يستخدمه فرد واحد.. ورغم هذا أنزل الله في قلوبهم الرعب..

وأمام ذلك قررنا التحرف للقتال والنزول من هذا الموقع إلى منطقة خلفية قريبة كثيرة الأشجار والتباب، وهي نقطة ضعف للدبابات، وطلبنا من جميع النقاط أن يتحركوا إلى

هذه المنطقة، وهي جهة (ثمر خيل)، وتم إبلاغ المجاهدين الأفغان بالوضع.. تقدم العدو إلى موقعنا لاحتلاله، وبفضل من الله لم يكن به أحد، فقد استشهد شفيق وهو على مدفعه.. بنفس الهيئة التي تمناها.. وعلى نفس الصفة.. ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن يقبله من الشهداء.

لقد كان شفيق رحمه الله أحد الثلاثة الذين من الله عليهم بتأسيس المأسدة، لقد تأثرت جداً باستشهاد شفيق..

عندما انتقلنا إلى المنطقة الجديدة تقدم العدو بجرأة، وتم صد الهجوم طيلة هذه الأيام، وكذلك قاوم الإخوة الذين كانوا على الطريق الرئيسي هذا إلى أن جاء اليوم العاشر، وكان يوماً حاراً جداً، درجة الحرارة وصلت فيه إلى ٥٤ درجة مئوية في منطقة جلال آباد.. عندما تقدموا قمنا بهجوم معاكس قبل المغرب بساعة، واستطاع أخونا يعقوب أن يدمر دبابة بمدفع ٨٢ ملم، وتم تدمير دبابة أخرى حيث أطلق عليها أحد المجاهدين صاروخ ميلان، واستمرت الاشتباكات إلى منتصف الليل..

قام الإخوة بعد الفجر بتفقد مواقع العدو، فإذا بهم يجدون ثماني دبابات سليمة تركها العدو وهرب، فصعد إليها أخونا صالح الغامدي المعروف باسم حمزة، ومعه أمير الفتح وهو مصري، وكانوا مدربين من قبل على الدبابات، وتبادلوا إطلاق النار مع العدو، واستطاعوا أن يحصلوا على دبابة من العدو بعد أن تبادلوا النيران وقادها الأخ حمزة إلى موقع الزهراني..

كانت خسائر العدو كبيرة، فقد تم تدمير ٤٢ دبابة بين غنائم ومدمر، كان منها أكثر من ٢٠ دبابة غنائم.. كان نصيب العربي منها خمس دبابات غنيمة، منها دبابتان ت ٦٢..

وكانت هذه المعارك نهاية لسلسة معارك جلال آباد، والتي سقط فيها من الشهداء العرب ما يفوق عدد الذين استشهدوا طوال سنوات الحرب في أفغانستان.. نسأل الله أن يتقبلهم شهداء) [١].

(**في نهاية الثمانينات** وبالتحديد في سنة ١٩٨٨، لاحظ أسامة أن حركة المجاهدين العرب قدوماً وذهاباً والتحاقاً بالجبهات بل وحتى كثرة الإصابات والاستشهاد قد ازدادت دون أن يكون لديه سجل عن هذه الحركة رغم أهميتها وكونها من ألف باء الترتيب العسكري، وكان نقص هذه المعلومات سبباً لإحراج أسامة في أحايين كثيرة مع بعض العوائل التي تسأل عن أبنائها بالهاتف أو حتى من خلال إرسال مندوب عنها للتعرف على مصير عضو العائلة الذي التحق بأسامة، حيث أحس أسامة أن نقص هذه المعلومات أمر مخجل فضلاً عن أنه خطأ إداري مبدئي.. من هنا قرر أسامة ترتيب سجلات للإخوة المجاهدين العرب، ووسعت فكرة السجلات لتشمل تفاصيل كاملة عن كل من وصل أفغانستان بترتيب من مجموعة الشيخ، ورتبت السجلات بحيث تتضمن تاريخ وصول الشخص والتحاقه ببيت الأنصار ثم تفاصيل التحاقه بمعسكرات التدريب ومن ثم التحاقه بالجبهة، وأصبحت السجلات مثل الإدارة المستقلة، وكان لا بد من إطلاق اسم عليها لتعريفها داخلياً، وهنا اتفق أسامة مع معاونيه أن يسمونها سجل القاعدة، على أساس أن القاعدة تتضمن كل التركيبة المؤلفة من بيت الأنصار ومعسكرات التدريب والجبهات.

هذه هي القاعدة إذن، فالقاعدة ليست ذلك البعبع الذي صوره الأمريكان بطريقة أقرب إلى أفلام هوليود.

---

[١] هناك روايات أخرى لبعض من شهد تلك المعارك. راجعها في رواية مأسدة الأنصار.

بالطبع استمر استعمال كلمة القاعدة من قبل المجموعة التي استمر ارتباطها بأسامة، وهنا خرج الأمريكان – وغيرهم من الجهلة بطريقة عمل الجماعات الجهادية – بانطباع أنها اسم للتنظيم الإرهابي).

قال الإمام أسامة في مقابلته مع تيسير علوني: (هذا الاسم قديم جداً، ونشأ بدون قصد منا، كان الأخ أبو عبيدة عليه رحمه الله البنشيري [١] كوّن معسكر لتدريب الشباب للقتال ضد الاتحاد السوفيتي الباغي، الغاشم، الملحد، الإرهابي حقيقة للآمنين، فهذا المكان كنا نسميه القاعدة كقاعدة تدريب، ثم نما هذا الاسم، أما نحن غير منفصلين عن الأمة، نحن أبناء أمة ونحن جزء لا يتجزأ منها).

(في عام ١٩٨٩ ميلادية وبالتحديد بعد انسحاب الاتحاد السوفيتي من أفغانستان، عاد أسامة إلى المملكة معتبراً هذه العودة واحدة من السفرات التي يتوجه فيها للمملكة ويعود فور إنهاء بعض الأمور هناك.. لكن هذه المرة لم تكن مثل السابقات، فقد علم أسامة بعد فترة من وصوله أنه ممنوع من السفر..

ظن أسامة أن السبب هو الانسحاب الروسي وتفاهم القوى العظمى والمملكة تبعاً لها، وهذا لا شك كان عاملاً لا شك، لكن أسامة فوجئ حين تعرف إلى السبب الرئيسي الذي لم يخطر بباله..

لقد بدأ أسامة يخطط لجبهة ضد اليمن الجنوبي وبحركة جهادية تنطلق من المملكة واليمن الشمالي، لم يكن حكام المملكة مهتمين فقط بالإحراج الدبلوماسي لأمر من هذا القبيل، لكن الذي همهم هو أن هذا التوجه من قبل أسامة كان دليلاً على أن الرجل استأنس مسألة

---

[١] غرق أبو عبيدة البنشيري رحمه الله في بحيرة فيكتوريا بكينيا يوم ٢١ مايو ١٩٩٦م، وكان أحد الركاب الذين يقلهم القارب بوكوفا موانزا الذي انقلب عندما كان يقل ٤٨٠ راكباً، وكان سبب غرق المركب الحمولة الزائدة، وكان لفقدان البنشيري تأثيره العميق على الإمام أسامة بن لادن.

الجهاد لذات الجهاد وليس لمجرد استغلال فرصة تقاطع مصالح مع الحكومات والقوى العظمى.. هذا هو السبب الرئيسي في منعه من السفر تلك المرة والله أعلم.

كانت تصرفات أسامة في تلك الفترة تدل على أن الرجل بدأ يتصرف تصرف المسؤول الذي يحمل هم قضية، وتضايق الحكام بشكل كبير حين تكلم علناً عن خطورة النظام العراقي، وتنبأ بأنه سيغزو الخليج في محاضرات معلنة ومسجلة في وقت كان النظام العراقي من أقوى أصدقاء المملكة، والملك فهد لم يعد من زيارة للعراق إلا قبل فترة بسيطة.

عندها لم تكتف وزارة الداخلية بمنعه من السفر، بل وجه إليه تحذير بعدم ممارسة أي نشاط علني، وأنه ربما يعتقل أو يوضع تحت الإقامة الجبرية إن لم ينصاع للتوجيهات..

ورغم التوجه العدائي من قبل الدولة تجاهه، فقد بادر أسامة بكتابة نصيحة للدولة سلمت عن طريق أحد إخوانه للأمير أحمد بن عبد العزيز، تضمنت الرسالة نصائح عامة وخاصة.. العامة عن المطالبة بإصلاح شامل، والخاصة كانت تكراراً لتوقعاته بأطماع صدام حسين في المنطقة وضرورة الاستعداد لها. وكان الأمير نايف قد حرص على مقابلة أسامة حين بلغه تقرير عن محاضرته حول أطماع صدام.

ما إن سمع أسامة بغزو الكويت في الأخبار حتى تصرف بطريقة تدل على أنه يشعر بجزء كبير من المسؤولية، حيث بادر بكتابة رسالة أخرى إلى الدولة يعرض فيها وجهة نظره حول الطريقة المثلى لحماية البلد من الخطر العراقي بمجموعة اقتراحات حول السبيل الأمثل لتعبئة الأمة ضد هذا الخطر، ومن ثم السبيل الأمثل عملياً لمواجهته، وأضاف لهذه الاقتراحات عرضاً بجلب كل المجاهدين العرب الذين يستمعون له للمساهمة في عملية الدفاع هذه. سلمت الرسالة بنفس الطريقة التي سلمت فيها الرسالة الأولى، وكان رد فعل الدولة هو وعد بالنظر بالأمر.

ورغم توجسه من موقف النظام من القضايا الدينية والوطنية، فقد كان يتوقع نوعاً من الطلب بشيء من المساهمة بعملية الدفاع عن البلد ظناً منه أن النظام رغم مخالفاته الشرعية يبقى عنده غيرة على البلد ورغبة في حمايته، لكن بدلاً من أن تستعين الدولة بالعرض الذي قدمه أسامة بادرت بقرار كان السبب في أكبر تحول في حياة أسامة، وهو إعلان استدعاء القوات الأمريكية.

ويتحدث أسامة واصفاً لحظة سماعه خبر قرار استدعاء القوات الأمريكية بأنها أكبر صدمة في حياته، لأنها بتقديره المرة الأولى منذ البعثة النبوية التي يهيمن فيها الكفار على جزيرة العرب بقواتهم العسكرية.. وصدم كذلك لأن القوات الأمريكية لم تدخل باحتلال أو رغم أنف الحكام، بل دخلت بطلب منهم بعد أن هرعوا مستنجدين بالأمريكان.

كان شعوره بعد ذلك شعور الإحباط والقلق على مستقبل الجزيرة بعد هذا التطور الخطير، بعدها أيقن أسامة أن مخاطبة المسؤولين بالخطابات والمذكرات أسلوب عديم الجدوى، ولا بد أن يفكر بأسلوب بديل..

تحرك أسامة باتجاهين، الأول: تجاه استخراج فتوى بوجوب الاستعداد للقتال على كل مسلم وخاصة أهل الجزيرة، وأفتى الشيخ ابن عثيمين فعلاً بتلك الفتوى، فاستخدمها أسامة في تشجيع الشباب من جديد في الذهاب لأفغانستان والتدرب هناك، واستجاب لدعواه تلك عدد من كبير من الشباب توجهوا فعلاً لأفغانستان.

الاتجاه الثاني: كان محاولة جمع أكبر عدد من العلماء في مؤسسة شرعية مستقلة غير مؤسسة هيئة كبار العلماء حتى تكون مرجعاً للناس، بعد أن تحولت الهيئة في نظره لمجرد أداة بيد الدولة بعد فتيا استدعاء القوات.

ورغم أن حركة أسامة كانت مقيدة في وضع يشبه الإقامة الجبرية، إلا أنه استطاع إنجاز شيء مما أراد إنجازه، وخاصة الاتجاه الأول، لكن محاولاته في جمع العلماء بتجمع مستقل لم

يحالفها النجاح، أولاً لصعوبة حركته بسبب القيود التي عليه، وثانياً لأن العلماء بما فيهم علماء الشباب لم يستوعبوا بعد فكرة المؤسسات المستقلة.

أسامة يتعرض للإرهاب من قبل السلطة..

ولم يكن أسامة ملتزماً بالتقييد المفروض عليه، حيث ألقى عدداً من المحاضرات وعقد عدداً كبيراً من الاجتماعات مع العلماء والدعاة والناشطين في مجال الدعوة.. لم يكن ذلك مقبولاً لدى السلطات، ولذلك استدعي أكثر من مرة ووجهت له تحذيرات شديدة بوجوب الالتزام بتجميد نشاطه.

ومن أجل تخويفه أرسلت السلطة مفرزة من الحرس الوطني في جدة لاقتحام مزرعته الواقعة في ضواحي جدة وتفتيشها بشكل فجائي، حيث لم يكن نفسه موجوداً فيها لحظة الاقتحام، وقامت المفرزة باعتقال بعض العمال في المزرعة (أطلقوا بعد ذلك)، وكتابة محضر عما وجدته فيها، وتصوير كامل المزرعة ومخازنها ومرافقها بالفيديو.

عندما أخبر أسامة بالحادث غضب غضباً شديداً، وكتب رسالة احتجاج شديدة للأمير عبد الله.. واستغرب أسامة حين ورده رد من الأمير عبد الله ينفي فيه علمه بالحادث ويعد بمعاقبة المسؤول عنه.

كان تراكم هذه الأحداث سواء على مستوى البلد أو عليه هو شخصياً سبب لأسامة في التفكير جدياً بمغادرة البلد، لكن أنى له ذلك وهو ممنوع من السفر وكل تحركاته تحت المجهر.. لكن ابن لادن استطاع أن يخرج من البلد بسهولة وبطريقة معلنة.

مضت الأيام على أسامة في ذلك الوضع الذي لا يحتمله، فلقد تعود على النشاط والجهاد والحركة، وإذا به يجد نفسه في وضع الإقامة الجبرية..

أمر آخر لم يكن يتحمله، هو هذه القوات المقيمة في جزيرة العرب، وظن أنه يتناقض مع نفسه إن زعم أنه جاهد الكفار في أفغانستان لاحتلالهم بلداً مسلماً، بينما هاهم في جزيرة العرب التي لها حرمة إضافية على باقي الأرض.

تحمل أسامة بمرارة فترة الحرب (عاصفة الصحراء)، ثم وصل إلى قناعة أنه لا يمكن أن يكون صادقاً مع نفسه إذا استمر في المملكة.. لم يكن هروبه أمراً سهلاً، فهو شخصية معروفة وبيته تحت الحراسة الدائمة.. ولذلك فكر أسامة بطريقة أقرب للأسلوب الطبيعي وهو ما حصل بنجاح..

كان أحد إخوته مقرباً من الأمير أحمد بن عبد لعزيز نائب وزير الداخلية، تحدث أسامة مع أخيه شارحاً له أن لديه التزامات مالية كثيرة في باكستان ومناطق أخرى وحقوقاً ينبغي أن تدفع لأصحابها وحقوقاً له ينبغي استخلاصها، وأنه لا يمكن أن يحل هذه الإشكالات وكيل لأن بعضها قائم على الثقة والعلاقة الشخصية جداً..

اقتنع أخوه بالفكرة، ووعد بشرح ذلك للأمير أحمد.. كان الأمير نايف على وشك أخذ إجازة، فانتظر أخوه إجازة نايف، وتحدث مع الأمير أحمد فعلاً، واستطاع إقناعه بإعادة الجواز والسماح بالسفر.. وافق الأمير أحمد وسمح له بسفرة واحدة، وكلف الجهات الأمنية بمتابعته.. وهكذا استغنى أسامة عن أسلوب الهرب والتخفي وتمكن من مغادرة البلد بشكل طبيعي.

حينما وصل إلى الباكستان، كان أول عمل قام به هو كتابة رسالة اعتذار رقيقة لأخيه يخبره أنه لا يخطط للعودة، وأنه سيسبب حرجاً له أمام الأمير نايف، واعتذر له أن الثمن غال يستحق اللجوء لمثل هذا الأسلوب.

بعد ذلك علم أن وجوده في باكستان لن يكون آمناً بسبب التعاون الأمني السعودي الباكستاني، فعجل بالدخول إلى أفغانستان مرة أخرى.. صادف وجوده هناك انهيار النظام الشيوعي وسقوط كابل وبداية التناحر بين الفصائل الأفغانية..

أول إجراء اتخذه للتعامل مع القضية هو إصدار توجيه للشباب العرب بعدم التورط في الصراع الدائر وكف أيديهم عن الدماء ورفض الميل لأي جهة من الجهات، واستمر مصراً على هذا الموقف إلى أن دخل الطالبان كابل حيث قرر حينها الوقوف مع الطالبان.

الإجراء الثاني الذي اتخذه هو الدخول بقوة في محاولة إصلاح بين الفصائل، لكن جهوده مع الأسف لم تحرز نتيجة تذكر.

وخلال بقائه في أفغانستان كانت مخابرات بلده بقيادة تركي الفيصل تتعاون مع المخابرات الباكستانية لقتله أو اختطافه، لكن كل المحاولات فشلت، لأن المتعاطفين معه من جهاز الأمن الباكستاني والدولة الأخرى كانوا يعجلون بتسريب المعلومة له فيأخذ حذره.

بقي في أفغانستان عدة أشهر مستمراً في محاولاته حل الخلاف، ووصل بعد فشل متكرر إلى أنه وصل إلى طريق مسدود.. شعر أسامة أن وجوده في أفغانستان عديم الفائدة خاصة وأن المتربصين به كثير وسيستمرون بمحاولات خطفه أو اغتياله، وبعد تدارس الوضع مع عدد من المقربين له قرر البحث عن مكان آخر يقدم فيه نفعا للإسلام بدلاً من أفغانستان)[١].

يقول قلم الإمام أسامة بن لادن [٢]: (بعد عشر سنوات تقريباً خرج الاتحاد السوفيتي ذليلاً صاغراً، وتفتت إلى دول متعددة، وانهار المعسكر الشيوعي، واحتسب ذلك انتصاراً

---

[١] السيرة الذاتية.

[٢] مقال (النظام العالمي الجديد.. بقلم أسامة بن لادن).

للغرب على إمبراطورية الشر كما كان الأمريكيون يسمونها، غير أننا وبتواضع شديد اعتبرنا أن ذلك النصر في حقيقته انتصار لنا نحن المجاهدين، وكان ذلك كفيلاً بإحداث تغيير عميق وجذري لجيل جديد نشأ بين المسلمين وهو جيل المجاهدين، حيث تخلصنا بهدوء تام من كل الأمراض التي أصيب بها المسلمون في هذا العصر، وأولها مرض (حب الدنيا وكراهية الموت)، فنحن عندما خضنا المعارك في أفغانستان شاهدنا الموت بأعيننا واعتدنا عليه حتى صار شيئاً لا نأبه له ولا نهتم كثيراً بالتفكير فيه، طالما أن نهاية المجاهد إذا قتل ستكون الشهادة والتي تعني أماناً من المساءلة وطريقاً مباشراً للجنة.. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

كانت هزيمة الاتحاد السوفيتي تجربة حقيقية للمجاهدين، تمثلت في أنها فتحت لنا آفاقاً واسعةً للنظر والتفكير في أن هذه الإمبراطوريات ما هي إلا نظم هشة يمكن مع التوكل على الله والاعتماد عليه والعمل بمقتضى الأوامر الإلهية التي تحث على الجهاد، يمكن بسهولة اقتلاعها رغم ما قد يبدو للوهلة الأولى من استحالة، بل مع شيء من الصبر والأناة وإعداد القوة المستطاعة سننجح حتماً، لأن الله وعدنا بذلك، إذ أمرنا بأن نبذل القوة المستطاعة ولم يأمرنا ببذل ما فوق الاستطاعة..

زوال الاتحاد السوفيتي أعطانا فرصة جيدة للتفكير بروية في أوضاع بلاد الإسلام وكيف نخلصها من الظلم والعدوان الذي يملؤها، وكانت تجربة الاتحاد السوفيتي مفتاحاً لنا في إحداث التغيير في العالم الإسلامي..

وبينما كنا نفكر ونخطط بهدوء حصلت الحادثة التي عجلت بكثير من الأمور التي كنا نعمل من أجلها، فقررنا المسارعة لعلاج الخطب الفادح الذي ألم ببلاد الحرمين بسبب حضور الجيوش الأمريكية فعلياً وتمركزها في بلاد الحرمين بعد غزو صدام للكويت.

وبينما كنا نفكر ونخطط بهدوء، حدثت الجريمة التي اعتبرناها أكبر جريمة في تاريخ جزيرة العرب منذ أن بسط الرسول ﷺ نفوذ الإسلام عليها كاملة، وتحقق على يد حكام زماننا

أعظم خيانة في تاريخ الإسلام، لم تكن هذه الجريمة والخيانة مجرد هزيمة للمسلمين في أرضهم أو أمر يفرض عليهم، ولم تكن خطيئة يقترفها الحاكم الذي يشتري البقاء على العرش بأي ثمن، بل كانت تسليم جزيرة العرب على طبق من ذهب للقوات الأمريكية الغازية ثم مباركة ذلك بفتوى دينية إجماعية صارمة قاطعة أن هذه القوات جاءت للدفاع عن حياض الإسلام، وأن الذي يضايقها يعتبر محارباً لله مفسداً في الأرض يقتل أو يصلب أو تقطع يده ورجله من خلاف.. ومنذ ذلك الحين وجهاز الدولة الديني والأمني والإعلامي والسياسي كله في خدمة أمن وسلامة هذه القوات.

تأملت الأمر فرأيته فضيحة تاريخية لجيلنا الذي نعيشه، أن تسلم بلاد الحرمين في كل تاريخها من الغزو وهيمنة الكفار، ويكتب الله أن يكون جيلنا هو الذي يعايش هذه الخيانة المتفردة التي اشترك فيها الحكام والعلماء.

لم يكن غريباً والحال هذه أن نصاب بصدمة كبرى جراء هذا الحدث، ولا غريباً أن نرفضه ونبحث عن أي طريقة لإنكاره.. ولقد كنا على علم بطريقة تفكير هؤلاء الحكام والعلماء، لكننا رأينا بداية أن نقيم عليهم الحجة كاملة، فأرسلنا لهم نخاطبهم بأن تلك الفتوى باطلة وما يفعله الأمريكيون ليس استعانة بقدر ما هو مخطط قديم لاحتلال بلاد الحرمين.. فلم يسمعوا كلامنا..

فتوكلنا على الله وخرجنا من بلاد الحرمين لنعمل على إزالة هذه المصيبة التي اقترفها الحكام في بلاد الحرمين، ومكنوا عملياً للأمريكيين بعدما كانوا متمكنين معنوياً.. هذه المصيبة لم تحدث من قبل في تاريخ الإسلام كله، فلم يحدث قط أن كان الصليبيون يحلمون بالتواجد في جزيرة محمد ﷺ، بل إنه في فترة من الفترات جعلت الدولة العثمانية البحر الأحمر كله حرماً لمكة عندما حاول البرتغاليون الوصول لمكة في فترة من فترات التاريخ الماضي..).

في هذه الأثناء كان قرار الإمام أسامة بالتوجه إلى السودان (... ليس لأنها ستكون قاعدة جديدة لمشروع جديد، ولكن لأنه سمع الكثير عن هذه الدولة الجديدة التي بدأ

الإسلاميون يتحدثون عن حماسها للإسلام والمسلمين وحرصها على تطبيق مشروع إسلامي، وظن أسامة أنه يستطيع أن يقدم شيئاً لهذه الدولة من خلال قدراته التجارية والإنشائية وعلاقاته في المملكة والخليج فضلاً عن أنه يؤمن ملاذاً له بديلاً عن أفغانستان.

توجه أسامة فعلاً إلى السودان بطيارة خاصة وبرحلة سرية، وذلك في نهاية سنة ١٩٩١ ميلادية، وفي تلك الرحلة اصطحب معه عدداً من رفاقه إلى السودان والتحق به آخرون بطرق أخرى.

في السودان أحسنت الحكومة السودانية وفادته، ولكنه في تلك المرحلة لم يكن بحاجة لأي دعم مادي لأن أمواله لا تزال تحت سيطرته، وتمكن بشكل طبيعي من نقل جزء من أرصدته ومعداته من المملكة إلى السودان.

لم يساهم أسامة في السودان بأي عمل عسكري، لكنه ساهم بقوة في مشاريع طرق وإنشاءات ومزارع وغيرها، وكان أشهرها طريق التحدي من الخرطوم إلى بور سودان..

رغم أنه خرج من المملكة بالطريقة المذكورة، ورغم أنه تعرض للاختطاف والقتل في أفغانستان من قبله، إلا أنه لا يعلن موقفاً معادياً للحكم ويحتفظ بالموقف لنفسه رغبة في أن لا ينقطع عن الشخصيات الدعوية والتجارية وبعض أهل النفوذ في المملكة، وكانت تلك السياسة نافعة فعلاً، حيث نجح أسامة في إقناع عدد كبير منهم بالتحرك لدعم السودان والاستثمار فيه.

وخلال تلك الفترة عرض عليه أكثر من مرة العودة للبلد، وأعطي ضمانات ولكنه لم يرحب بالفكرة أبداً..

بدأ الاهتمام يزداد به بشكل ملحوظ نهاية سنة ١٩٩٢ حين صدر أمر بتجميد أمواله، بعدها تحولت قضية أسامة إلى قضية ساخنة على جدول أعمال المخابرات الأمريكية، وأصبحت تثار بشكل منتظم بين الأمريكان والسلطات السعودية..

ازدادت الضغوط على أسامة بالعودة، وحاولت السلطة إحراجه من خلال الضغط على أهله وابتزازه بهم دون نتيجة).

يقول القلم [١]: (بعد انتهاء حرب الخليج الثانية استقر الوضع للأمريكيين في المنطقة بما سمي فيما بعد بالنظام الدولي الجديد والذي أعلنه بوش الأب، وكان ببساطة أن أمريكا هي سيدة العالم..

وهنا حصل بعض الانقسام الاجتهادي في مسألة الأولويات، فقرر بعض إخواننا المجاهدين أن الوقت قد حان لنشر الفكر الجهادي والقيام بأعمال لإزالة المنظومات التي وضعها الغرب قبل نصف قرن، وحدثت مواجهات مع النظام المصري وأخرى مع النظام الجزائري..

وأثناء دراستنا لتلك الجهود لاحظنا أن مركز التخطيط العالمي لوأد أي مشروع جهادي وتحريري لبلاد الإسلام موجود في أمريكا، وأكد لنا ما كنا نعتقده سابقاً من أن أمريكا هي مركز الشر الذي يحيق بالعالم الإسلامي، وهي حبل النجاة لليهود في فلسطين، وهي شريان الحياة لكثير من الأنظمة العربية العميلة..

وقد أصبح العالم الإسلامي جزءاً من النظام الدولي المستقر بنظامه القطري الذي تحكمه أمريكا، وهذا النظام يحمي بعضه بعضاً، ويعتمد اعتماداً كبيراً على أمريكا، وأمريكا ضامنة لكل شيء في المنطقة، وهي مثبته للتوازن الحالي بأجمعه؛ فالنتيجة النهائية هي أنه لا يتوقع نجاح أي مشروع تحرير لبلاد الإسلام من الهيمنة الغربية طالما أن أمريكا موجودة وهي التي ترعى تلك المنظومة وهي شريان الحياة لها.

---

[١] مقال (النظام العالمي الجديد.. بقلم أسامة بن لادن).

لكن أمريكا نظام مختلف عن النظام الشيوعي الذي أسقطناه بالجهاد، ولذا كان لا بد من دراسة أمريكا أولاً وفهمها قبل خوض أي حرب ضدها.

وتقرر لدينا بناءً على ذلك أننا لو أردنا محاربة أمريكا بالطريقة التقليدية بصفتنا دولة فلن نستطيع، لأن أمريكا سوف تسحق أي دولة ناشئة في العالم الإسلامي، ولذا صرفنا النظر عن أي مشروع جهادي داخل العالم الإسلامي، وتيقنا بأن أي محاولة لإنشاء أي دولة في العالم الإسلامي ستعني بشكل مباشر القضاء عليها من قبل نفس المنظومة التي تحكمها أمريكا (أي من الدول المحيطة بها)، وتجربة السودان مثال جيد في هذا رغم ما اعتراها من خلل، إلا أن أمريكا لم تكن لتسمح بأي شكل ولو رمزي لوجود إسلامي في أي بلد في الشرق الأوسط حيث منطقة نفوذها الحقيقي.

فتوصلنا إلى خلاصة، هي أن معضلة العالم الإسلامي مكونة من شقين:

١ – أنه لا يمكن تغيير الأوضاع في العالم الإسلامي إلا باستبعاد دور أمريكا.

٢ – أنه لا يمكن هزيمة أمريكا بجيش أو بمواجهة عسكرية تقليدية.

هذه المعضلة حقيقية واقتضت منا دراسة وافية ومناقشات طويلة مع المجاهدين لنتوصل إلى حل عملي وفعال يساهم في حلها..

توصلنا إلى أننا لنغير الأنظمة الحالية في العالم الإسلامي، فلا بد من إزالة النفوذ الأمريكي، وإزالة النفوذ الأمريكي تعني أننا يجب أن نحارب أمريكا بطريقة جديدة وغير تقليدية، فتقرر أن نبدأ ضد أمريكا بحرب تعرف عند العسكريين بالحرب (غير المتوازية) [١].

ولم نجد صعوبة في تحديد مفتاح الصراع مع أمريكا بحيث يكون مفتاحاً يستطيع أي مسلم فهمه وتقبله، وكان المفتاح هو حديث النبي ﷺ: ((أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)).

---

[١] سنتحدث عن هذا النوع من الحرب بالتفصيل.

اعتبرنا أن العالم كله ميدان لهذه الحرب، وتقرر أن نبدأ تجربة المواجهة الأولى في الصومال، ونجحنا في قتل ما يزيد عن مئتي جندي أمريكي، ودمرنا طائرتي هيلوكبتر أمريكية هناك.

كانت عملية ناجحة، وأعطتنا تصوراً لتصرف الجندي الأمريكي وملامح العقيدة العسكرية الأمريكية.. طورنا من أساليب عملنا ووجهنا بعض الضربات الخاطفة للأمريكان في عدد من الأماكن في العالم..

وبعد كل عملية كنا ندرس طبيعة رد الفعل الأمريكي وندرس بعناية كيف يفكر الأمريكان..

كنا واثقون من نصر الله لنا لأن الله وعد من ينصره بالنصر، ولذا لم نكن نخشى أمريكا بقدر ما كنا نهتم جداً في إيجاد الوسائل والسبل الأكثر نكاية وإيذاءً لهم، ولذا خططنا لتطوير عملنا في كل مرة والاستفادة من الدروس السابقة، ووصلنا إلى نتيجة وهي أننا بعد دراستنا المتأنية لطريقة التفكير الأمريكية والعقلية التي تعمل بها، قررنا أن نوظف قدراتهم الهائلة بحيث تعمل لصالحنا، وكنا نعتقد أن الجهاد ليس شجاعة فقط، بل الحرب خدعة، وأبرز صفات المجاهد أنه يجيد استخدام الوسائل التي بيديه بواقعية حتى يحقق الهدف الأول وهو إعلاء كلمة الله في الأرض، وهذا ما تعلمناه من النبي ﷺ في غزوة الخندق، والحرب لا تعني كثرة استخدام الأسلحة أو عدد القتلى من الأعداء بقدر ما تعني تحقيق الأهداف الاستراتيجية الكبرى، وأولها إخراج الأمريكيين من جزيرة العرب ورفع يدهم من التحكم في مصير العالم الإسلامي.

حرصنا من ضمن استراتيجيتنا المتمثلة في استخدام أمريكا نفسها لخدمة المشروع الجهادي على أن نقوم ببعض الأعمال التي تستفز الأمريكيين، وتجعل إعلامهم يقوم بنفسه بنشر وترويج فكرنا الجهادي على المستوى العالمي، ولذا قمنا ببعض العمليات ودفعنا كلينتون إلى إعلان أننا العدو الأول للأمة الأمريكية..

وكما حرصنا على استخدام أدوات أمريكا نفسها في الصراع، فقد عملنا على تحييد وسائل قوة أمريكا ضدنا، ولذا حرصنا على أن تكون المواجهة غير تقليدية كما ذكرنا سابقاً..).

ومع هذا النشاط الملحوظ (وحين أيست الحكومة السعودية من إعادته، أصدر الملك فهد قراراً بسحب جنسيته بداية عام ١٩٩٤ ميلادية [١].

ويقال أن أسامة ألقى دفتر النفوس في حضن أحد الذين أرسلتهم السلطات لإقناعه بالعودة قبل أن تسحب جنسيته قائلاً: (لا تتعاملوا معي تعامل التابع، وخذوها إن كان بقاؤها يلزمني بشيء).

تزامنت هذه التطورات التي جاءت قصية سحب الجنسية في نهايتها مع تطورات داخل المملكة كان يتابعها أسامة بعناية، وهي تتابع عدد من المذكرات مطالب الإصلاح من قبل التيار الإسلامي، والتي كان آخرها وكان متزامناً مع سحب الجنسية تداعيات قضية لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية وحملة الاعتقالات على مؤسسيها والمتعاطفين معها، وذلك قبل أن تبدأ اللجنة العمل من لندن.

هذه التطورات دفعت أسامة لأن يأخذ أول مبادرة معلنة ضد الحكومة السعودية، وذلك في أوائل سنة ١٩٩٤حين أصدر بياناً شخصياً يرد فيه على قرار سحب الجنسية.

بعد هذا البيان قرر أسامة أن يتحرك علناً بالتعاون مع آخرين، فأدى ذلك إلى ظهور هيئة النصيحة والإصلاح.

---

[١] ذكرت لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية في نشرتها العدد (٢) السبت ٢٤ ذي الحجة ١٤١٤هـ الموافق ٤ يونيو ١٩٩٤م ما يلي: (علمت اللجنة من مصادر موثوقة أن الملك شخصياً عمّم على منافذ البلاد بعدم السماح للشيخ أسامة بن لادن بالدخول إلى المملكة حتى لو أدى الأمر إلى قتله).

حين رأى أسامة وعدد من المتعاونين معه الحملة التي شنتها الدولة ضد لجنة الدفاع واعتقال عدد من مؤسسيها وآخرين من دائرتهم، أشار عليه بعضهم بتكوين هيئة بديلة سماها (هيئة النصيحة والدفاع عن الحقوق الشرعية) كتعويض عن اللجنة بعد أن قمعت. ولم يكن أسامة يعلم أن اللجنة على وشك أن تظهر في لندن مرة أخرى لاستئناف أعمالها.

وظهرت اللجنة في لندن فعلاً، فأشار عليه المتعاونون معه أن يتراجع عن ذلك الاسم ويختار اسماً آخر، لأن اللجنة أولى باسمها، ولا بد من تغيير الاسم بالكامل، فتغير الاسم إلى (هيئة النصيحة والإصلاح)، وبدأت تلك المجموعة بإصدار بيانات مختلفة باسم المجموعة وليس باسم أسامة شخصياً، وافتتحت هذه المجموعة مكتباً في لندن عين له الأستاذ خالد الفواز مسؤولاً.

نعود إلى إقامته في السودان.. حيث كان أسامة مدة إقامته في السودان مقصداً لكثير من رواد الحركة الإسلامية من جميع أنحاء العالم، والصحفيين، وكذلك لرجال المخابرات وعملاء أمريكا وبعض الدول العربية، وكان أسامة في تلك الفترة على صلة بالعلماء والدعاة والتجار داخل المملكة، كما كان على صلة بكثير من زملائه القدامى في الجهاد سواء من بقي منهم في باكستان وأفغانستان أو من عاد إلى الدول العربية.

وخلال إقامته في السودان حصل تطوران هامان ربطا بأسامة.

الأول: أحداث الصومال واليمن.

والثاني: انفجار الرياض.

أما أحداث الصومال فمشهورة ومعروفة، وكان هناك فصيل صغير يقوده مجموعة ممن سبق أن تدربوا في أفغانستان، وكان لهم دور في العمليات النوعية ضد الأمريكان.

أما في اليمن فقد تكتمت اليمن وأمريكا على الأحداث التي قتل فيها عدة أمريكان في أحد الفنادق في عدن.

أسامة يفتخر بهذه العمليات، لكنه لا ينسبها مباشرة لنفسه، وإنما يعتبرها من دائرته العامة.

أما انفجار الرياض فالدلائل تشير بقوة إلى أن المجموعة التي تقف خلفه على علاقة بأسامة، ولم ينكر أسامة العلاقة، ولم ينكر تأييده للعمل، لكنه كان دقيقاً في أنه لم ينسبه لنفسه في أي حديث أو مناسبة بشكل مباشر.

بعد أحداث الصومال وانفجار الرياض بدأت تصبح إقامته في السودان بعد ١٩٩٤ تسبب حرجاً شديداً للحكومة السودانية، وتعرضت الحكومة السودانية لضغط شديد من أمريكا ودول عربية لإخراجه أو لتسليمه، وتحمل السودانيون الضغوط لأمد، لكن كان يبدو جلياً أن السودانيين ليس عندهم استعداد للصبر طويلاً، حيث بدأ السودانيون يضغطون على الأفغان العرب للخروج من السودان.

وكان أسامة على علم بالضغط الذي تعرضت له السودان، لأن السودانيين كانوا يحيطونه علماً بذلك، بل ربما صارحوه في مرة من المرات أنه يجب أن يفكر بالخروج.

عندما أحس أسامة أن السودانيين لم يعودوا يحتملوا بقاءه ويخجلون من مصارحته بذلك، بادر من تلقاء نفسه بترتيب عملية الخروج من السودان، وللإعداد لعملية الخروج اتصل أسامة بأصحابه القدامى من المجاهدين الأفغان، واختار منهم الشيخ يونس خالص والشيخ جلال الدين حقاني الذين كان لهما نفوذ قوي في منطقة جلال آباد، وكان ذلك قبل أن يمتد نفوذ طالبان خارج قندهار حين كانت مناطق أفغانستان موزعة بين الفصائل الأفغانية.

وبعد أن أمن أسامة موقعاً له في جلال آباد أعد العدة لمغادرة السودان في عملية غاية في السرية، ومن أجل ذلك أعد طائرة خاصة حملته مع عدد من أنصاره إلى أفغانستان حيث

استقبل هناك من قبل الشيخين يونس خالص وحقاني، وبعد وصوله هناك أرسل رسالة إلى الفصائل الأفغانية يخبرهم أنه لا يزال على التزامه بعدم الدخول في خلافاتهم وصراعاتهم، وكان ذلك قبل أن يستولي الطالبان على جلال آباد ومن ثم على كابل.

ومنذ أن وصل هناك بدأت الأحداث تتتابع مرة أخرى بشكل دراماتيكي، من انفجار الخبر، إلى استيلاء الطالبان على جلال آباد، إلى محاولة خطف لأسامة، إلى بيان الجهاد ضد الأمريكان الذي أصدره في نوفمبر ١٩٩٦.

في يونيو من عام ١٩٩٦ هز مدينة الخبر انفجار كبير أودى بحياة عشرين من العسكريين الأمريكان وجرح مئات آخرين، لم يعلن أسامة أي مسؤولية له عن انفجار الخبر لكنه استخدم أسلوباً شبيهاً بتعليقه على انفجار الرياض، فهو يؤيد الانفجار دون أن يتبناه.

في المقابل حرصت السلطات السعودية على تركيب المسؤولية على عناصر شيعية مدعومة من إيران، وذلك في محاولة لمنع إضفاء مصداقية لابن لادن، وبقيت السلطات السعودية تتفادى نسبة المسؤولية لابن لادن إلى أن فلت من أحد المسؤولين تصريح لوكالة الأنباء الفرنسية بعد أحداث كينيا وتنزانيا قائلاً: إن سبب قطع العلاقة مع الطالبان هو إيواءها للمطلوبين في انفجار الخبر من المجموعة المصاحبة لابن لادن. ولم يتكرر ذلك التصريح أو تصريح شبيه به، بل بالعكس حاول السعوديون تضخيم قضية هاني الصايغ لتحقيق نفس الغرض.

بعد انفجار الخبر بفترة بسيطة أصدر أسامة بيانه الأول بعنوان (إعلان الجهاد لإخراج الكفار من جزيرة العرب) [١].

---

[١] تجده في هذا الكتاب.

ولم يصدر البيان هذه المرة من هيئة النصيحة والإصلاح، بل صدر منه بشكل شخصي وباسمه.. جاء البيان في اثني عشر صفحة معتبراً وضع الجزيرة بوجود القوات الكافرة فيه أنه وضع لم يمر على الجزيرة منذ عهد النبي ﷺ.. وزع البيان بالفاكس وعلى شكل كتيب، كما حظي باهتمام من قبل بعض الصحف ووكالات الأنباء.

في تلك المرحلة حاول السفير السعودي في إسلام آباد الضغط على يونس خالص وحقاني لتسليم أسامة، وحاول إغراءهما بعروض معينة، لكن رد يونس خالص كان حاسماً..

قال يونس خالص: لو لجأ إلينا عنز أو حيوان لحميناه، فكيف برجل باع نفسه وماله في سبيل الله والجهاد في أفغانستان!

بعد ذلك اجتاحت طالبان المنطقة التي كان أسامة مقيماً فيها، وكان أسامة قد عرف شيئاً عنهم، لأن يونس خالص وحقاني كانا قد انضما إلى طالبان واعتبرا أنفسهما من جيش طالبان، لكن لم يكن أسامة على علم بما سيصبح وضعه بعد أن أصبح في المنطقة التي تحت سيطرتهم، لم يدم انتظار أسامة طويلًا حتى أرسل ملا عمر زعيم طالبان وفداً لمقابلة أسامة وطمأنته واعتباره ضيف موروث من الذين قبله وتعهد له بالحماية، لكنه طلب منه على شكل رجاء التوقف عن أي نشاط إعلامي، لأن أسامة كان قد قابل محطة (سي إن إن) ومحطة (القناة الرابعة البريطانية) في تلك الفترة.

التطور الآخر الذي حصل بعد ذلك والذي اضطر أسامة للانتقال إلى قندهار، هو محاولة الاختطاف التي تسرب خبرها لأسامة وأجهضت قبل أن تنفذ، حيث تم تمويل مرتزقة من القبائل على الحدود الباكستانية الأفغانية لتنفيذ هجوم سريع على المنطقة التي يقيم فيها أسامة وخطفه أو قتله، وساهمت باكستان ودول أخرى معروفة بترتيب العملية.

تسرب خبر العملية بسرعة لأسامة، فرتب أمره على وجه السرعة للانتقال إلى قندهار حيث أكثر أمناً حيث معقل الطالبان.

بينما كان أسامة في جلال آباد حصل تطور هام في مسيرة الطالبان، وهي دخولهم كابل بلا معارك تقريباً، وقد حول دخول كابل في سلطة طالبان الأوضاع لصالح طالبان، حيث أصبحت طالبان هي القوة الأكبر في أفغانستان رغم الاعتراف المحدود بها.

بينما كان ذلك يحصل كان أسامة يخطط للانتقال إلى قندهار ليكون في مأمن من محاولة الاختطاف التي ذكرناها سابقاً، جاء هذا التطور ليسهل مهمة انتقال أسامة إلى قندهار، لأنه انتقل خلال كابل حيث ذهب إلى كابل بالسيارة، ومن كابل إلى قندهار بالطائرة.

بعد أن توجه أسامة إلى قندهار حرص على أن يقابل أمير الطالبان ملا عمر شخصياً، لأنه إلى حد تلك اللحظة لم يقابل ملا عمر رغم المراسلات الكثيرة بينهما.. تمت المقابلة فعلاً وكان جوها ودياً جداً.. رحب ملا عمر بأسامة، وعبر له عن سروره باستضافته وتشرفه، تشرف طالبان بالدفاع عنه أولاً كضيف عربي كريم، وثانياً كمجاهد قاتل معهم في حرب أفغانستان.

في نفس اللقاء تحدث ملا عمر عن التحديات الخطيرة التي تواجه الطالبان بعد دخول كابل وخاصة مواجهة قوات دوستم، وقال لأسامة إنه قد يكون من الأولى تخفيف الحملة الإعلامية، وأن ذلك مجرد طلب وليس أمراً ولا إلزاماً.

رد عليه أسامة بأنه قرر التخفيف أو التجميد الكامل للنشاط الإعلامي لفترة حتى قبل أن يطلب منه، فارتاح ملا عمر لذلك.

في تلك الأثناء كانت الحكومة السعودية قد اعترفت بطالبان فيما يعتقد أنه محاولة إحراج لطالبان للتعاون معها في قضية أسامة، ذهبت الحكومة السعودية شوطاً أبعد حين أرسلت تدعو كل أعضاء حكومة طالبان والملا عمر شخصياً للحج والعمرة وتستضيفهم كضيوف رسميين، بل إن أحد الشخصيات الرئيسية في حكومة طالبان وهو محمد رباني رئيس الوزراء

زار المملكة فعلاً لأداء الحج، لكن يبدو أن (حسن الضيافة) لم يغير من مواقفه ولا مواقف حكومته.

لم يتغير موقف طالبان من أسامة، وردت بأدب عدة وفود أرسلتها الحكومة السعودية، تفاوتت بين دبلوماسيين ورجال أعمال وأقارب أسامة وشخصيات استخباراتية..

تطور آخر حصل في تلك الأيام، أدى إلى رفع أسهم أسامة عند الطالبان، وهو تغييره موقف الحياد الذي التزم به في خلافات الفصائل الأفغانية، واتخاذه قراراً بالدخول بقوة مع الطالبان ضد دوستم ووجه أوامر لرجاله بالقتال مع طالبان.

وبعد أن أصر شاه مسعود أن يدخل طرفاً في الحرب، استصدر أسامة فتوى من طلبة العلم المرافقين له فتوى بأن قتال مسعود جهاد شرعي.. كان لهذا القرار دور مهم في مساعدة الطالبان، حيث إن طالبان لم يكونوا رتبوا أنفسهم بعد، وكل انتصاراتهم الأولى حصلت تقريباً دون قتال بسبب حرص الناس عليهم وتنازل القواد الميدانيين لهم، أما دوستم ومسعود فقواتهم أكثر تماسكاً لأنهم أقنعوا أتباعهم أن الحرب عرقية وليست دينية، وساعد على تماسكهم اعتماد دوستم على الأوزبك، ومسعود على الطاجيك، وسعى مسعود ودستم إلى إقناع أتباعهما أن طالبان ليسوا إلا بشتون يريدون السيطرة عليهم.

أضف إلى ذلك أن العالم الغربي لم يشعر بخطورة طالبان إلا بعد سقوط كابل وحمايتهم لأسامة، ودعا ذلك إلى أن يحظى مسعود ودوستم بدعم سخي من روسيا وأمريكا وتركيا وإيران وجهات أخرى.

كاد الطالبان أن ينهارون بعد أن واجهوا هذه القوات المنظمة المدعومة والمتماسكة، وفي مرتين على الأقل كانت الكتائب التابعة لأسامة هي التي ردت تلك القوات عن كابل، فحفظها له الطالبان وارتفع سهمه عندهم.

قضية أخرى رفعت أسهمه عندهم، هو تفريغه عدد من الشباب المتخصصين لمساعدة الطالبان في قضايا التخطيط والإدارة والتنمية للدولة الجديدة، حيث أنه رغم تواضع المجموعة التي مع أسامة إلا أنها بالنسبة لطالبان كانت فريقاً من أساتذة الجامعات.

لم ييأس الأمريكان وحلفائهم من محاولة الإمساك بأسامة، وبعد أن تبين أن إقناع الطالبان مستحيل فكر الأمريكان مع الباكستانيين والدولة الثالثة بإعداد خطة لخطف أسامة عن طريق عملية كوماندز منطلقة من الأراضي الباكستانية، بدأ التدريب على العملية في نهاية ربيع عام ١٩٩٧ على أن يتم التنفيذ في بداية الصيف، وتم التكتم على العملية بشكل شديد، لكن بسبب دخول باكستان طرفاً فقد كان حفظ السر مستحيلاً، لأن المخابرات العسكرية الباكستانية فيها تعاطف كبير مع أسامة..

تسرب الخبر لأسامة وجهات عربية أخرى، فبادرت بتسريبه للصحافة، فانفضحت الخطة الأمريكية وألغيت.

الأمريكان لم يعترفوا بالقصة ابتداءً، ولكن اعترفوا بها بعد ذلك وأوعزوا إلغاء الفكرة إلى الخوف من وفيات في صفوف الأمريكان.

في نهاية عام ١٩٩٧ وبداية ١٩٩٨ قرر أسامة أن يستعيد نشاطه، فبدأ أولاً مع علماء طالبان وباكستان.. نجح أسامة في استصدار فتوى من حوالي أربعين عالماً من علماء أفغانستان وباكستان تؤيد بيانه لإخراج القوات الكافرة من جزيرة العرب، وزعت الفتوى على نطاق واسع في باكستان وأفغانستان، وسربت للصحافة حيث نشرت مقاطع منها جريدة القدس العربي.

كان أسامة يهدف لشيئين من هذا البيان، الأول: مشروع إسلامي شامل لتجييش علماء المسلمين ضد الوجود الأمريكي في جزيرة العرب على أساس أن هذه التوقيعات ستجمع من جهات وبلاد أخرى، والثاني: الحصول على غطاء أدبي وشرعي له داخل

أفغانستان، لأنه قرر إعادة التحرك إعلامياً، ولا يريد أن يصبح في موقف الضعيف مع ملا عمر.

الجبهة الإسلامية العالمية..

صادف هذا التطور – أو ربما كان من أسبابه أو من نتائجه والله أعلم – تجمع عدد من قيادات الجماعات الإسلامية، وخاصة جماعة الجهاد المصرية في أفغانستان، وتقاطر عدد كبير من الوفود من باكستان وكشمير على أسامة، أحد هذه القيادات تمكن من إقناع أسامة بتوسيع مفهوم الحرب مع أمريكا إلى قتال لها في كل مكان، وتوسعت القناعة لتشمل بدلاً من مقاتلة أمريكا قتل كل أمريكي في سن القتال في كل زمان ومكان ومعهم اليهود.

الذين أقنعوا أسامة بالفكرة وضعوا لها مبررين شرعي وسياسي، مبررهم أو المخرج الشرعي هو أن الأمريكان يحتلون بلاد الحرمين، ولذلك فإن كل أمريكي يعتبر داعم لاحتلال الجزيرة العربية، وبما أن الأمريكان واليهود يقاتلون المسلمين في كل مكان وزمان ويستبيحون دم المدنيين من المسلمين، فإن قتل الأمريكان واليهود مشروع أيا كان الزمان والمكان.

المبرر السياسي هو أن أمريكا أصبحت العدو الأول للإسلام، وصارت تتربص بالمسلمين والجماعات الإسلامية الدوائر، ولم يعد هناك قوة تنافسها، ولذا فإن من الضروري أن يشعر المسلمون أنهم أعداء لأمريكا، وأن تتحول هذه القضية لقضية إسلامية أولى في كافة أنحاء العالم الإسلامي.

تحولت القناعة إلى عمل، وذلك من خلال إصدار بيان الجبهة الإسلامية العالمية في فبراير عام ١٩٩٨ الذي يدعو إلى قتل الأمريكان واليهود في كل مكان وزمان.

وقع البيان مع ابن لادن عن جماعة الجهاد المصرية الدكتور أيمن الظواهري ورفاعي طه أحد مسؤولي الجماعة الإسلامية المصرية، كما وقعه رئيس أحد الفصائل الكشميرية وأحد القيادات الباكستانية المشهورة.

وزع البيان ونشرته الصحافة، وكان علامة تحول كبيرة بالنسبة لأسامة من عدة نواحي:

أولاً: مثل هذا البيان القفز إلى مشروع عالمي بدلاً من التركيز على قضية القوات الأمريكية في جزيرة العرب.

ثانياً: مثل هذا البيان ما اعتبره البعض تخلياً عن الحذر الذي كان يحرص عليه أسامة في الموقف الشرعي والإصرار على توسيع دائرة إباحة الدم.

ثالثاً: دخول أسامة لأول مرة كطرف في ما يشبه تحالف إسلامي من الجماعات الجهادية بعد أن كان يعمل مع مجموعته ويرفض التحالفات المعلنة مع إقراره لفكرة التعاون والتنسيق دون حلف معلن) [١].

يقول القلم [٢]: (بعد بعض النجاحات أنشأنا (الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين)، وبدأنا نعمل على جعل مشروع جهاد أمريكا مشروعاً عاماً للأمة، سخر منا المسلمون قبل الكفار بعد إنشاء هذه الجبهة وقالوا مستحيل أن تستطيعوا هزيمة الأمريكان!، والسبب هو أن الدعاة والمصلحين الذين لم يخوضوا جهاداً في حياتهم ما زالوا يعيشون تحت نمط التفكير المهزوم الذي يعيش تحت ضغطه أغلب المسلمين للأسف الشديد، أما المجاهدون فقد تخلصوا تماماً من هذه الهزيمة وأصبحت مسألة هزيمة أمريكا مسألة عادية جداً يمكن تحقيقها بالتوكل على الله مع بذل المستطاع من القوة.

فجاءت عمليات نيروبي ودار السلام لتشعل المواجهة بيننا وبين الأمريكيين، وقامت أمريكا ببعض العمليات الاستعراضية، وقام الإعلام الأمريكي بالدور المطلوب الذي خططنا

---

[١] السيرة الذاتية.

[٢] مقال (النظام العالمي الجديد.. بقلم أسامة بن لادن).

له بحمد الله وفضله، حيث أعلن كلينتون أن المجاهدين هم العدو الأول لأمريكا، وأن أسامة بن لادن قد نال من الأمة الأمريكية..

هذا في الواقع ما كانوا يريدونه هم حسب دراساتهم، فالأمريكان كانوا يبحثون منذ زمن عن عدو يعطيهم مبرراً للحياة، وكما قال أحد مفكريهم ما فائدة أمريكا إذا لم يكن هناك اتحاد سوفيتي نعاديه؟ فقد قدمنا للأمريكان ما يريدون وأصبحنا نحن العدو الذي يريدون، لكن من المحزن بالنسبة لهم أننا لم نكن العدو التقليدي الذي كانوا يتوقعون، ولذا نجحنا بفضل الله في تحويل حياتهم إلى ما يشبه الجحيم، واستطعنا فتح أبواب جهنم عليهم، وقلنا لهم إنكم ستنسون مآسي فيتنام عندما يحاربكم شباب الإسلام من بلاد الحرمين وغيرها.

بعد أن نجحنا في تجاوز المرحلة الأولى وهي مرحلة الإعلان .. أي أن تقوم أمريكا نفسها ومن خلال إعلامها بتقديمنا للعالم على أننا العدو الأول لها..

دخلنا في المرحلة الثانية، وهي مرحلة المواجهة.. وهنا خططنا لعدد كبير من العمليات داخل أمريكا نفسها، وتقرر أن تكون عمليات نوعية وغير متوقعة أبداً، مع تطعيم الحرب ببعض العمليات هنا وهناك.

وكان هدفنا الأول من هذه المرحلة هي أن نقوم بإشعال خطوط التماس بين العالم الإسلامي وبين العالم الغربي بقيادة أمريكا، ونحن ندرك جيداً أن العالم الإسلامي مليء بالطاقات الإبداعية، وندرك أيضاً أن العالم الإسلامي المحتل إذا كشفنا له حقيقة الصراع فإنه سيثور وسينتقم من المحتلين وسيكون انتقامه رهيباً، ولذا كانت خطتنا أن نضرب أمريكا في عقر دارها بعمليات متفوقة ومباغتة، وكنا ندرك جيداً أن أمريكا لكي تستعيد كرامتها التي داسها المجاهدون سوف تشن حرباً شاملة ستحاول في البداية أن تغلفها بأي غلاف، لكننا متأكدون تماماً أن الغرب عالم صليبي حاقد ستنكشف صليبيته فوراً، وسيتكشف للعالم الإسلامي حقيقة الغرب الأمريكي وحقيقة حضارته الزائفة القائمة على الظلم والعدوان والتسلط.

وقصدنا أيضاً تحقيق هدف آخر لا يقل أهمية، وهو أن نكشف للشعوب الإسلامية حقيقة حكوماتها وأنها والغة في العمالة والانحطاط، وأنها أصلاً مكرسة لخدمة الغرب وليس لخدمة شعوب الإسلام.

فحدثت ١١ سبتمبر، وحصل ما توقعناه تماماً بفضل الله، ولم تخرج الأمور عن السيطرة، بل تحقق من المكاسب العظيمة بفضل الله ما لم نكن نتوقعه، واستطعنا جر الثور الأمريكي في الوقت الذي حددناه وفي المكان الذي حددنا لنتعامل بشكل أقرب معه على الأرض التي نحسن نحن التحرك فيها، وقصدنا من هذا أن نجر الأمريكان إلى حرب إضافية وهي الحرب التقليدية، بحيث نستنزف الجيش الأمريكي بحرب عصابات تقليدية زيادة على استنزافه بحرب غير تقليدية ميدانها العالم كله وأمريكا خصوصاً لاستهداف كل مصالحها، ولا ندع لهم فرصة لالتقاط الأنفاس، بل يكون همهم الدائم هو الدفاع، وكونك تضع عدوك في موقف المدافع دائماً فهذا يعني أنه قضية هزيمته ستصبح مسألة وقت، وسينهار حتماً في وقت لاحق بعد مدة من التخندق في موقف الدفاع.

عندما ضربنا أمريكا في ١١ سبتمبر كنا نتوقع أن عقلية الكاوبوي ستمارس من الظلم ما لا يطاق، ولذا كنا معها نتعامل معها مثلما يتعامل الماتادور مع الثور، فمصارع الثيران يضرب الثور على رأسه ثم يتحرك بحركة خفيفة تبطل تأثير الثور الهائج في القضاء عليه.

وبعد ١١ سبتمبر أرغمت أمريكا كل الأنظمة العربية على التحالف معها ضدنا، وهذا جعلها مكشوفة تماماً أمام شعوب المسلمين لتعلم حجم الخيانة التي تقع فيها هذه الأنظمة، وأنها أصلاً مكرسة لحماية الغرب، لكن تحالف هذه الأنظمة الخائنة لله ورسوله مع الأمريكان كان فيه فائدة مرحلية وهي حماية شعوبها من التغول الأمريكي في المنطقة، فلن يجد الأمريكيون سبباً وجيهاً لإيذاء تلك الشعوب بعد أن تحالف حكامها معها!

بينما المجاهدون سيعملون ضد أمريكا من خلال المجتمعات التي تكره أنظمتها وتكره أمريكا، وستستمر القاعدة في العمل بنظامها الشبحي الغامض الذي يستحيل على أمريكا أن تحسن التعامل معه، اللهم إلا بتقويته حيث تشعر أولا تشعر.

ومن هنا أتت بركة الجهاد الذي نخوضه ضد أمريكا، وبدلاً من أن نصبح نحن في مواجهة معضلة أمريكا في المنطقة أصبحنا نحن المعضلة الحقيقية للأمريكان..

وأصبح لدينا من مساحة الحركة والقدرة على المناورة ما ليس لديهم، وتوفر لدينا عدد هائل وكبير من أهدافهم الاستراتيجية المكشوفة، والتي يعني ضربها استمرار الاستنزاف الدائم لهم عسكرياً واقتصادياً..

هذا ليس عبقرية من المجاهدين فقط بقدر ما هو بسبب عاملين:

الأول: طبيعة الإسلام نفسه ورصيده الحضاري الهائل وزخمه العقائدي والاجتماعي الذي يواجه الحضارة الأمريكية المتغطرسة بقوة المادة فقط.

والثاني: إدراك المجاهدين لأهمية العالمية في الإسلام واستعلائهم على البعد الوطني القطري، وتبعاً لذلك تخلص المجاهدون من كل مخلفات المفاهيم القطرية التي شلت كثيراً من الجماعات الإسلامية.. هذه الجماعات التي تدعو للعالمية وهي صادقة نظرياً لكنها عملياً وضعت بإرادتها الأغلال القطرية في أعناقها فلم تتقدم قيد أنملة في مشروع الرسالة الحضارية للإسلام أعني مشروع التمكين.

ولذا يمكننا القول بكل جدارة إن مشروع المجاهدين وحال الأمور الذي وصلنا له فيه رد عملي لكل من زعم أن المجاهدين أدخلوا الأمة في معركة ليست متكافئة، وأن الأمة لم يكن لديها استعداد، أو من يقول إننا لسنا في حالة حرب مع أمريكا، فالحقيقة أن العكس هو الصحيح، فإن التكافؤ ليس أن نحصل على الأسلحة نفسها التي تملكها أمريكا بقدر ما أن التكافؤ هو القدرة على شل قدرة العدو على الحرب وهزيمته بأي وسيلة عسكرية.

ومن يظن بأن التكافؤ هو أن نحصل على الأسلحة نفسها التي تملكها أمريكا، فهذا للأسف الشديد لا يملك معياراً صحيحاً في الفهم، وإلا فإنه يلزمنا خمسة قرون أخرى لنحصل على نفس القدرات التي تملكها أمريكا، وهذا لن يحصل عملياً طالما أن بلاد المسلمين ومقدراتهم محتلة من قبل أمريكا.

ولذا فإن مفهومنا في التكافؤ هو ما يحصل حاليا، فأمريكا برغم كل قوتها الهائلة لم تستطع بفضل الله أن تفعل شيئاً يقضي على المجاهدين، والمجاهدون بحمد الله قد حيدوا تماماً كل مصادر قوتها، بل على العكس الآن فإن مصير الأمريكان كله معلق بنجاحنا في عملياتنا القادمة، أما هم فليس بيدهم سوى أن يستمروا في نفس وسائلهم التقليدية للقضاء علينا، وقد جربوها واستنفدوها، ولم تصنع شيئاً بحمد الله، بل إنهم في كل يوم يخسرون في هذه الحرب مالا يمكنهم حصره.

ونرى أننا بدفعنا أمريكا إلى الوصول إلى مرحلة المواجهة قد نجحنا بفضل الله وتوفيقه إلى تكريس نظرية الفسطاطين، وقد تصرفت الإدارة الأمريكية بالتصرف المنتظر منها، فكرست هذه النظرية بشكل واقعي ومثالي للغاية فوق ما كنا نأمل، بل إنها تصرفت بتصرفات أخرى مغرقة في الحماقة أكثر بكثير مما كنا نأمل، ونعتقد أن هذا نعمة من الله علينا وعلى المسلمين كون الحضارة الغربية أنتجت لنا أعداء متخلفين مثل بوش ورامسفيلد حتى أنهم تصرفوا بطريقة يستحي فرعون أن يتصرف بمثلها.

إن الفائدة الكبرى علينا من تحقيق نظرية الفسطاطين واقعاً تتمثل في إرغام الإدارة الأمريكية على أن تتعامل معنا مباشرة، فتقوم هي بنفسها بنزع مشروعية الدول الكرتونية القائمة، فكون أمريكا تتدخل مباشرة في أوضاع العالم الإسلامي وتقوم بتكبيل قدرات الحكام على التصرف أو بدفعهم للتصرف وفق الإملاءات الأمريكية بما يلغي قدرتهم على اتخاذ القرار هو الوضع المثالي الذي نطمح له منذ زمن، فعندما تنحصر المواجهة الفعلية بيننا وبين الأمريكيين تسقط نهائياً أهمية الحكومات العربية والإسلامية العميلة.

هذا الوضع ينزع أوراق التوت عن عورات الحكام، ويكشف الصراع على حقيقته، ويوضح للشعوب الإسلامية أن كل أوهام السيادة والوطنية إنما هي أكاذيب خدعوا بها زمناً طويلاً، فكون الأمريكان يقومون مباشرة بقصف سيارة أخينا أبي علي الحارثي رحمه الله يجعل الناس تتساءل أي قيمة لحكومة علي عبد الله صالح؟ وما فائدة هذه الحكومة أصلاً إذا كان الأمريكان سيتجاوزونها بهذه السهولة؟

أما إذا كانت متواطئة مع الأمريكان وهذا ما ثبت في قصف سيارة أبي علي رحمه الله، فهذا أشد وأنكى ويدخلهم في خانة أعداء الأمة بدون جدل.

وكون الأمريكان يعزلون ثلث مساحة الكويت تجعل الناس تتساءل ما معنى أن يكون للكويت حكومة؟؟

إن تصرفات الحكومة الأمريكية وتدخلها المباشر في بلاد المسلمين هو في النهاية الوضع الذي كان يجب أن يكون واضحاً من البداية، لأن الوضع الذي ساد العالم الإسلامي في السنوات الماضية كان تزييفاً للحقائق وإظهاراً للأمور على غير حقيقتها، فأمريكا كانت تحكم العالم الإسلامي من خلال الوسطاء الذين هم الحكام، أما الآن فقد دفعنا أمريكا دفعاً لكشف الحقيقة، وأنها في الواقع هي التي تحكم بلاد الإسلام مباشرة بدون مواربة وخداع.

وبهذه الطريقة فقط سيقتنع كل شخص مخلص أن كل ما يقال حول العمل لرفع الظلم عن المسلمين من خلال القنوات السياسية مجرد هراء وشقشقات مجانين، وأن الأنظمة العربية ليست عاجزة فحسب، بل هي تابعة لأمريكا ومتآمرة معها وتنفذ برامجها، وبذلك يزول الأمل تماماً بحل قضايا المسلمين حلاً سلمياً أو سياسياً، بل يزول الأمل بشكل نهائي في التعامل مع القضايا من خلال الأنظمة أو من خلال قنواتها، وألا حل إلا باستخدام القوة بغض النظر عن مفهوم القوة.. أي لا حل سوى بالجهاد..

نعتقد أننا نجحنا في عزل الحكومات والأنظمة العربية عن شعوبها عندما جردناها من شرعيتها عملياً، حيث فرضنا على الأمريكان أن يتجاوزوها ويتعاملوا معنا مباشرة.

هذا أدخلنا في المرحلة الثالثة من مراحل الحرب وهي مرحلة العزل، بحيث نقوم بعزل الإدارة الأمريكية عن شعبها وعن حلفائها وعن العالم قبل أن نقضي عليها، والواقع أننا يجب أن نعترف بأننا لم نكن نتصور كيف يمكننا أن نصل للمرحلة هذه في ظل الحرب الشرسة التي تشن علينا.. لكن ما ذكرناه سابقاً عن توفر شروط الغباء السياسي في حكومة بوش أعطانا الجواب حينما بدأت هذه الإدارة تحشد العالم خلفها لحرب العراق.

قلنا إن بوش يتصرف بطريقة يستحي منها فرعون، ونعني بذلك أن هذا الرجل وصل للوضع الذي يظن نفسه فيه يملك الأرض وما فيها، ويتصرف بغطرسة تجعله يقول (من أشد منا قوة)، ويتصرف بأبشع من قول فرعون (أنا ربكم الأعلى).

فأمريكا فردت عضلاتها بشكل فيه قمة الكبرياء بعد ١١ سبتمبر لتثبت أنها إذا غضبت آذت، وأنها تستطيع الانتقام، وأن من يخالفها أو على الأقل من يحاول الخروج على سلطتها ونفوذها يحاصر ويتعب ويقتل ويسجن وينتهي، ثم جاءت أزمة العراق لتثبت أن سيطرة أمريكا على العلم ليست هيمنة اقتصادية وقوة عسكرية فقط، بل تحكم سياسي عالمي وإعادة صياغة للقانون الدولي، بحيث يصبح من لا ينصاع لأمريكا محارباً للعالم، وذلك بختم عالمي، وهذا التشكل السياسي كان تتويجاً نهائياً وترجمة صريحة لحقيقة تنامت منذ حرب الخليج الثانية، وهي أن مجلس الأمن أداة للسياسة الأمريكية، فصدر عن مجلس الأمن القرار العار فيما يخص العراق، وألغى تماماً أي سيادة للعراقيين على أرضهم، وأصبحت سيادة من صاغ القرار فوق سيادتهم تلقائياً، وأصبح أي عمل عسكري مبني على مخالفة هذا القرار عملاً شرعياً يبرر لأمريكا ضرب العراق بختم عالمي، وانظر للمديح العالمي للقرار وكأنه إنجاز تاريخي.. فكيف يكون هذا القرار بمبرراته وظروف إصداره وصيغته إنجازاً تاريخياً لولا الشعور أن أمريكا سيدة العالم بالنسبة لبقية دول العالم.

هذه القدرة الأمريكية في السيطرة العالمية التي فيها شعور حقيقي لدى أمريكا بالسيطرة العالمية بالشكل الذي صدر به القرار فيها تطور مهم جداً سواءً من جهة أمريكا أم من جهة العالم، فمن جهة أمريكا هي مزيد من العنجهية والغرور بالقوة التي تنطبق تماماً على قول (من أشد منا قوة) التي تعميها وتجعلها تستهين تماماً بأي قوة أخرى، وتدفعها للاعتقاد بأن مشكلتها معنا ومع المجاهدين هي مشكلة أمنية فقط وأن القضاء علينا وعلى المجاهدين مسألة وقت فقط..

ومن جهة العالم فإن التطور يتمثل في مزيد من التقديس لعظمة أمريكا، واعتبار أن ما تريده أمريكا يكون ومالا تريده لا يكون، وأن من الحمق مخالفة أمريكا حتى سياسياً.. فإذا كانت الصورة بهذا الشكل لمن هم خارج دائرة الجهاد وللسياسيين خصوصاً، فإن اتجاه الأمور قد اتضح بشكل مذهل وفي صورة مهيأة جداً لنضع أنفسنا في خضم المرحلة الثالثة.

أي المرحلة التي نقوم فيها بعزل أمريكا عن قواعدها أو على الأقل نضع المؤشرات المستقبلية للعزل، فقمنا بتوجيه رسالة للشعب الأمريكي لنجعله واضحاً في فهم ما يجري، وأن كل ما سيصيبه تتحمل إدارته سببه، ثم وجهنا الرسالة الثانية والتي ذكرنا فيها ما جعل توم داشل وأركان الحكم الأمريكي يقرون بغضب بأن حملة بوش ضدنا كانت فاشلة ولم تحقق هدفها الأول.. وقصدنا من الرسالة الثانية عزل أمريكا عن بقية حلفائها وعزل حكومات حلفائها عن قواعدهم وشعوبهم..

وهذه الرسائل قصد منها أن تكرس أمرين:

الأول: بالنسبة لشعوب المسلمين، فتعطيهم قناعة أكيدة أن المجاهدين هم الجهة الوحيدة القادرة على كسر الشوكة الغربية، وأنهم الرد الإسلامي على الغطرسة الغربية.

الثاني: بالنسبة لشعوب الغرب لتذكرهم بأن الانتقام منهم سيكون رهيباً، وأن حكومة بوش ومن يتبعها من حكوماتهم سوف تودي بهم في المهالك، وأن حربهم ضد المجاهدين لن

تجلب لهم سوى الدمار، وأنهم لن يستطيعوا أبداً استئصال القوة الإسلامية الجديدة الناشئة، وأنهم يجب أن يضغطوا على حكوماتهم لتبدأ بالنأي بنفسها عن الحكومة الأمريكية.. وإلا أصابهم ما سوف يصيب الأمريكيين.

نحن نأمل أن تساهم تلك الرسائل في أن يستيقظوا على الواقع وعلى الحقائق، وأنهم ينتظرهم مستقبل أسود في حربهم مع فرسان الإسلام، ولكن في الوقت نفسه ندرك أن الله سبحانه وتعالى يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، وأنه سبحانه يمده في طغيانه حتى يأخذه أخذ عزيز مقتدر، وهم في طريقهم إلى أن يروا ما يجعل ما كنا نقوله لهم من تحذير حقاً بإذن الله، فشباب الإسلام يعدون لهم ما تشيب له رؤوس الولدان.. ولات ساعة مندم.

لكن المرحلة الثالثة لن تكتمل سوى بدخول المرحلة الرابعة معها وهي مرحلة (الإزالة والتطهير)، والتي سيقوم فيها المجاهدون إن شاء الله برمي الأمريكان بكل ما يملكون من قوة، ليزيلوا القوة الأمريكية من الوجود ويطهروا العالم من شرهم ورجسهم وعندها فقط سيدرك العالم أن الله حق.

ونستطيع القول أن مرحلة العزل قد ظهرت بعض نجاحاتها بانسحاب أستراليا الذليل من أفغانستان بعد أن فهموا ما كنا قد وجهناه سابقاً، فلم يهتموا، لكنهم بعد بالي فهموا الرسالة جيداً، ونعتقد أن بقية الحلفاء في طريقهم إلى فهم رسائلنا بإذن الله.

وقد رأينا مؤشرات المرحلة الرابعة بادية للعيان عندما شاهدنا الرعب في أعين الأمريكيين بعد سماعهم صوت العبد الفقير يشيد بأفعال المجاهدين لعمليات قريبة، وهم الذين كانوا يظنون أن الله كتب علينا الموت، لكن الله أبقى لهم ما يسوؤهم.. نسأل الله أن ينصرنا عليهم ويرزقنا النظر إلى وجهه الكريم في الجنة.

فالرعب الذي أصابهم الله به من اكتشافهم أن المجاهدين أصبر بإذن الله على الصراع، إنما هو دليل على أن العالم الآن يستقطب في جهتين المجاهدون وأمريكا، وأننا إذا ما رميناهم بعملياتنا القادمة فسوف يتغير وجه العالم تماماً كما تغير بعد ١١ سبتمبر..

فبعد ضرباتنا القادمة إن شاء الله سيصبح المجاهدون هم محور العالم الأول، وسيتحول وضع العالم من الوضع الذي هيمنت فيه أمريكا وأصبح العالم يتوددها ويتسابق لرضاها ولا يخرج عن طاعتها ويعينها في حرب من يخالفها وتوج ذلك بقرار العراق، سيتحول الوضع من ذلك إلى الوضع الذي تصبح فيه أمريكا مدحورة منبوذة تتسابق الدول إلى النأي بأنفسهم عنها قبل أن يفترسها أسود الإسلام شر افتراس.

وهذا هو الانقلاب في النظام الدولي الجديد الذي نعمل له.. النظام الذي تعود فيه الأمة الإسلامية في الواجهة كما كان الحال قبل قرنين من الزمان.

كما أن هزيمة أمريكا ستعني مباشرة نشوء القوة الإسلامية العظمى الجديدة، لأن القوى العظمى إنما تنشأ بعد الحروب والمواجهات الكبرى، مثلما حدث بالضبط بعد الحرب العالمية الثانية.. وسوف يصبح للمجاهدين اليد العليا في بلاد الإسلام بإذن الله، بحيث نحكم أنفسنا بأنفسنا بدون وصاية من الغرب علينا، وإذا ما استطعنا بإذن الله تدمير أمريكا وهزيمتها في عقر دارها وإخراجها من الساحة الدولية فإننا نكون قد هزمنا الغرب كله، لأن أمريكا ليست فقط دولة عظمى، بل هي مركز الثقل في الحضارة الغربية، وكسرها وهزيمتها سيعني تحول مركز الثقل الدولي والعالمي ثانية إلى بلاد الإسلام، وهو الوضع الطبيعي الصحيح الذي يجب أن يكون عليه العالم، لأن كل مقدرات القوة في الدنيا موجودة في أرضنا، وأرض الإسلام هي مركز العالم الحقيقي، وهي التي يجب أن تسود، والتي يجب أن يتبعها العالم بعد تخلصه من الهيمنة والاحتلال الغربي.

وبهذه الطريقة نخرج الدنيا من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، حيث هي الرسالة الأولى التي جاء بها النبي ﷺ، ونحن سائرون إن شاء الله في طريقنا لتحقيق هذا المبدأ..

لدينا تصوراتنا لوضع العالم الإسلامي بعد أن نصل للمرحلة الرابعة، وقد وضعنا خططنا المناسبة لذلك الوضع، غير أن ما نأمله حقاً أن تستيقظ الأمة من سباتها، وأن يخرج شباب الأمة أقصى طاقاتهم الكامنة أو المهدرة لخدمة ونصرة دين الله، ويجب على شباب الإسلام وعلمائهم ومفكريهم أن يعطوا أفضل ما لديهم لخدمة مشروع التحرر من الاحتلال الغربي لبلاد الإسلام.. وإننا ننظر بشوق إلى اليوم الذي تجتمع فيه الكلمة، ويتوحد العلم والجهاد على نصرة الشريعة وإعلاء كلمة الله، اليوم الذي يلتقي فيه العلم والجهاد تحت راية واحدة هو اليوم الذي سيكون النصر فيه للإسلام نصراً مؤزراً..

وحتى نصل لذلك اليوم، فلا بد من بذل المزيد من الجهد في القتال والنكاية بأعداء الله بالسيف والقلم والكلمة حتى يكفوا أيديهم ويخرجوا من بلاد الإسلام ويرفعوا دعمهم لليهود في فلسطين.

ونقول بأسى إننا نستطيع أن نفهم كيف اتحدت الكنيسة مع العلمانية في أوربا على هدف واحد وهو تحطيم الدولة العثمانية حين ظهرت (المسألة الشرقية)، واستمر الغرب يعمل قرناً كاملاً للوصول إلى الهدف النهائي، وهو تحطيم الدولة العثمانية وقد وصلوا إليه.

لكن الذي لا نستطيع أن نفهمه ونستغرب حقاً منه أن يكون مشروعنا المعاكس وهو مشروع المجاهدين لتحطيم أمريكا هدفاً غير مشروع عند بعض المسلمين، والأغرب أن يعارضه إسلاميون!

أو على أقل الأحوال يحاولون تجاهل الجهاد والمجاهدين، وكأن الدنيا لم يشرق عليها هؤلاء الأبطال التسعة عشر وغيرهم من الذين قلبوا مسيرة التاريخ العالمي وأعادوه حتى يرفع اسم الله في الآفاق بعد أن اختفت من الميادين لمع الأسنة والخيول.. وطال الظلم ومضى الباغي بأرض المسلمين يصول..

لا نشك لحظة أن مشروع تحطيم أمريكا وإخراجها من بلاد الإسلام بل ورفع يدها عن التحكم في العالم كله هو الهدف الذي يجب أن تتضافر عليه جهود المسلمين جميعاً لتحقيقه، ونحن المسلمين أمة قال الله عنا أننا خير أمة أخرجت للناس، وقد أثبت إخوانكم المجاهدون للدنيا كلها عندما استعلوا بإيمانهم على الباطل، وبذلوا في سبيل الله الغالي والرخيص، وتخلصوا من الهزيمة النفسية والخضوع للغرب، وشعروا بقيمة الإيمان والدين الذي يحملون، أثبتوا عندما فعلوا ذلك في أقل من عشر سنوات أنهم قادرون على تغيير العالم كله، بل وأنهم قادرون بإذن الله على تغيير الجغرافيا كلها.

وهؤلاء الشباب لم يتفوقوا على بقية المسلمين بعلم ولا بذكاء زائد سوى ما لديهم من صبر ويقين بوعد الله، فلما حملوا ذلك اليقين وكانوا على استعداد لبذل الدماء من أجل نصر الله؛ تحقق لهم موعود الله بالنصر، فسطروا أعظم الملاحم التي ما زال يحار فيها كبار منظري ومفكري الغرب كيف نجحوا فيها، وما علم الغرب أن الله وعدنا إن نصرناه بأن يمكن لنا.. وأن مجموعات من الشباب البسطاء لا يتجاوز عددهم الألفين قادرون على تحطيم أعتى الإمبراطوريات تسلطاً وجبروتاً في التاريخ في أقل من عشر سنوات، وهم في طريقهم الآن للقضاء نهائياً عليها. ويجب على بقية أمة الإسلام أن تنضم إلى ركبهم ركب الفلاح..

فهؤلاء الشباب قدرهم أنهم يعشقون الصعاب، ويمشون في طريق به الشجاع يهاب، غير أنهم لا يهابون إلا عندما الأسد يهاب، وقدر الأمة أن تمشي وراءهم دون تردد أو ارتياب.

نعتقد أن العالم سيكون أعدل وأجمل وأنظف بدون أمريكا، وإننا نعمل لليوم الذي نصحو فيه فلا يكون في الدنيا شيء اسمه أمريكا.. وحتى ذلك اليوم فلا بد من الصبر والمصابرة، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

الإمام أسامة بن لادن والقيادة

لو أراد باحث منصف أن يرى خصيصة تميز بها الصادقون في هذه الأمة، وشارة جمعت العلماء الأفذاذ، لرأى بكل وضوح هذه الخصيصة والميّزة هي الابتلاء، وهذا مصداق حديث رسول الله ﷺ: ((أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل))، و ((يبتلى الرجل على قدر دينه)).

ولكن ما يلاحظه المرء كذلك بوضوح أن وصول القيادة في هذا الزمان، واعتلاء منصة الزعامة (أعني في الحركات الإسلامية) هو طريق لا يمر أبداً عن طريق الابتلاء والامتحان، بل يمر عبر طريق لا يعبر بحق عن صدق الرجل وانتمائه لهذا الدين.

وعلى ضوء هذا يجوز لنا أن نسأل بعض الأسئلة البريئة مع بعض المقدمات الضرورية:

أ – الذين يطالبون الأمة باحترام العلماء لكونهم ورّاث علم السلف، ولكونهم رفعو راية السلف، لو قلنا لهم التالي: لماذا السلف كان أمرهم ينتهي دوماً بالسجن أو القتل أو النفي مع أنهم يعيشون في ظل دولة إسلامية؟، ولماذا زعماء وزاعموا وراثة السلف ينتهي بهم الأمر في دولة مرتدة كافرة أن يكونوا وزراء ومحظيين عند قادة هذه الدول؟ هل انقلبت السنة الكونية في حقهم؟ أم أن الجواب يكشف عوار ممثلي راية السلف المزعومة؟.

ب – الذين يريدون أن يصفّوا الصف المسلم من المنافقين والوصوليين ديدنهم الحديث عن كشف ما هو مكشوف، وفضح ما هو مفضوح، أي ما فضحه الخصوم لانتهاء مهمته، فلماذا لا يمارسون فنونهم العبقرية في كشف ما لم يكشفه الخصوم، وفضح ما لم يفضحه أهله؟.

ج – إن إطلاق الشائعات الصبيانية في حق الخصوم يتقنه كل جاهل وموتور، لأنه سلاح تستجيب له الأمة الغبية الجاهلة، وهو لا يملك قوة دفع كما يملك قوة إثبات، فإذا

قيل عن أحد أنه مخترق فهو لا يستطيع دفع التهمة، ولكنها تهمة أدعى للقبول في زمن العجائب والصغائر. لماذا حين تطلق الشائعات لا يذكر معها البرهان الذي أمر الله عز وجل بإقامته عند كل دعوى؟.

أمام هذا الواقع المرير، وهو واقع يفرز ولا شك السلبيات أكثر مما يفرز الإيجابيات، لأن الملك فيه للشيطان وحاشيته، وهو يدفع بضلالاته بقوة نحو المجتمعات، أمام هذا الواقع ما هو السبيل الأقوم لإفراز الثقات، ومعرفة حقائق الرجال دون لبس وتزوير، كذلك دون هروب من الحقيقة نحو الرمل للاختفاء؟.

إن الجواب على هذه الأسئلة يدعونا أن نرجع إلى النموذج المحتذى في تعريفنا بمنهجهم في معرفة الرجال وأحوالهم وقيمتهم.

لقد كان في الصحابة رضي الله عنهم علماء، وكان فيهم الأعرابي البوّال على عقبيه (كما قال الذهبي).

لقد كان في الصحابة رضي الله عنهم الأثرياء، وكان فيهم من يقع في صلاته لشدة فاقته وفقره.

لقد كان في الصحابة رضي الله عنهم الشاعر البليغ، وكان فيهم عيّ الجواب والحديث.

لقد كان في الصحابة رضي الله عنهم الصانع الخبير، وكان فيهم من يخسر في كل تجارة يمارسها.

لقد كانت صور الصحابة تتنوع وتتضارب في قدراتهم ونماذجهم، لكن كان هناك شيء واحد يجمعهم جميعاً بلا استثناء، ورابط يحوزهم بلا شذوذ، هذا الرابط هو الجهاد في سبيل الله تعالى.

بل إننا نرى أن أغلب مسائل العلم التي علمها رسول الله ﷺ – سواء كانت في التجارة أو بقية الأحكام – إنما تعلمها الصحابة رضي الله عنهم وهم في ظرف الجهاد في سبيل الله تعالى.

وأنا هنا لا أستطيع أبداً أن أكثر الأمثلة، أو أستوعب بعضها في ذكر النماذج التي تشهد لهذه القاعدة، أو لهاتين القاعدتين، لكني أدعو طلبة العلم وغيرهم إلى فتح وقراءة صحيح البخاري مثلاً (وهو أفضل نموذج لما أقول)، ويقرؤوه بتمعن وتدبر، ويحاول كل واحد أن يجمع ظرف الحديث الوارد، بمعنى أن يذكر الزمن الذي قيل فيه الحديث، وأين قيل، لرأى أن أغلب مسائل الفقه في عموم الحياة كانت تقال في الجهاد في سبيل الله تعالى، وهاك بعض الأمثلة:

– قوله ﷺ لجابر رضي الله عنه في ترغيبه له أن يتزوج البكر: ((هلّا بكراً تلاعبك وتلاعبها))، قالها ﷺ خلال قفلة من غزوة.

– فقه التيمم من الجنابة أُخذ من حادثة في غزوة.

– حكم زواج المتعة، كان كله في الغزو من تحليل وتحريم مؤبد.

– جواز شركة الأبدان أُخذ من حديث يتعلق بجواز الشركة بين المجاهدين في الغنيمة.

والأمثلة أكثر من أن تحصى، وهي تدل دلالة واضحة أن عمل الأمة التي ينبغي أن تعمل فيه – وكل عمل آخر هو تبع له – هو الجهاد في سبيل الله تعالى.

ولما كان عمل الأمة بمجموعها – إلا من استثناه الشارع الحكيم سبحانه وتعالى – هو الجهاد في سبيل الله، فكان المقدم فيها هو أتقنهم لهذا العمل، وأكثرهم قدرة على خوض غماره، فكان المقدم هو المجاهد في سبيل الله تعالى، وهكذا كان حال قادة الأمة من خلفاء

وأمراء، فلا يوجد خليفة في تاريخنا الطويل إلا وكان مقاتلاً مجاهداً، وفي أعلى مرتبة من مراتب هذا العمل العظيم.

هارون الرشيد، هذه الشخصية العظيمة، والتي ملأها الكذابون أخباراً مزيفة عن بذخه ولهوه وقصفه، لو علموا حقيقته، لخجلوا من أنفسهم أشد الخجل، ولكنهم في الحقيقة لا يخجلون.. هارون الرشيد كان يغزو عاماً ويحج عاماً، وكان ينام على حصان جهاده حتى تقوست رجلاه من كثرة ركوبه عليه، ومات وهو في غزوة (الصّائف) جهة المشرق، وهو يجاهد في سبيل الله تعالى.

لو قال قائل: لكنه كان كثير المال، عنده الجواهر بالأطنان، والذهب بالأرطال، والمال لا يُعد بين يديه.

قلنا له: صدقت، وهكذا كانت الأمة، غنية مثله، فلم يكن غنياً وأمته لا تجد لقمة الخبز، كما هو حال الظلمة والمتكبرين، ثم قلنا لهم كذلك، هذا كله من فضل الله ثم من فضل الجهاد في سبيل الله، حيث أورثه الله تعالى بالجهاد ديار الظالمين، لقوله ﷺ: ((جعل رزقي تحت ظل رمحي)).

نقول هذا الكلام رداً على من يحاول أن يبحث عن القيادة الصحيحة الحقة للتجمعات الإسلامية، وكذا التنظيمات والتكتلات، نقول: لن نستطيع شئنا أو أبينا أن نفرز قيادة حقيقية إلا في الظرف الصحيح لهذا الإفراز، هذا الظرف هو الجهاد في سبيل الله.

حين يبرز قائد تلتقي حوله الجماعة في ظروف الشدائد والأهوال، والمصابرة والمكابدة، وهي ظروف قاسية، تكشف المعادن على حقيقتها، حينئذ يكون معدن القائد خالٍ من الشوائب والكدر، فهو قائد حقيقي يستحق هذا المنصب، بل المنصب يتشرف به ويفخر، لكن في زمن الدعة والخمول، بل في زمن المهانة والرذيلة، وظروف الخسة والعار، يأتي لنا شيخ معمم مثلاً جل ما يملك هو إتقانه صنع الكلمة الحماسية، أو المنمقة، فيأسر ألباب

السامعين، فيسارع الغثاء إلى تسييده وتأميره، فهل هذا هو الطريق الحقيقي في اكتشاف القيادة الصائبة؟!

أو حين يطلع علينا رجل ملك البريق الدعائي، سواء بقدرته على إنشاء مجلة أو نشرة أو جريدة، بها استطاع أن يشرف على الناس، فيعرفونه كاتباً مرموقاً، أو سياسياً خبيراً، فهل هذا هو الطريق الصائب للقيادة الحقيقية؟.

هذه أمثلة وعليك أن تقيس عليها، لتعلم أن القيادة الحقيقية إنما تُعلم بالجهاد في سبيل الله تعالى، في زمن الصعاب والشدائد.

وتذكر أخي الحبيب أن حديثنا هنا عن حقيقة القيادة، وطريقة ثبوتها، وليس عن حقائق أخرى ووظائف أخرى، فإن كل وظيفة لها الطُّرق الخاصة بها والسبل الصحيحة لاكتشافها، فكن ذاكراً لهذا، والتوفيق إن شاء الله حليفك. إن الجهاد في سبيل الله هو السبيل الأجلى والأقوى في تجلية حقائق الرجال وقدراتهم، فبه تتمحص النفوس، فتظهر على حقيقتها، فيقدم حينئذ من يقدمه الجهاد، ويؤخر من يؤخره الجهاد.

إن أمراض الحركات الإسلامية كثيرة وكثيرة، وإن من أعظم أمراضها التي تعاني منها هو وصول أنصاف الرجال أو أرباعهم أو أعشارهم إلى القيادة بسهولة ويسر.

فهذا القرآن لكريم يعرض لنا نموذجاً رائعاً لاستخلاص الشهد من بين ركام الاختلاط، وكان هذا العرض والتصوير مثلا حياً وحقيقياً في تعليم الأمة كيف يخلص هذا الخلوص، وكيف تتميز الصفوف، وكيف تعرف مقادير الرجال، وهذا الحدث التاريخي كما عرضه القرآن العظيم فيه الرد الجلي الواضح على الطرق المبتدعة في إعداد الكوادر، أو صنع الكفاءات، إذ أن الكثير من أصحاب الأفكار الهجينة المعاصرة يطرحون طريقة بدعية أو طرقاً بدعية في الأمة، وهم في دعواتهم هذه التي سيتبين لنا أمرها وحقيقتها إنما هم يفرغون الشباب المسلم من الطاقات الإبداعية الحقيقية.

يحاول أصحاب التربية المزعومة أن يوجدوا الأدلة على طريقتهم في صنع الأمة، ورجال الأمة، وتراهم يصرخون في كل وادٍ أن الأمة والشباب المسلم بحاجة إلى تربية وإعداد قبل أن يوضع في معترك البلاء والامتحان، ولعل أبرز أدلة هذا التيار البدعي هو احتجاجهم بحادث طالوت عليه السلام، وها نحن نعرض هذا الحادث كما صوره القرآن ليتبين بجلاء أبلج أن هذا الحدث ضدهم لا لهم، وهو في الحقيقة عمدة من عُمد حركات الجهاد، ودليل من أدلتها أن حركة الجهاد هي التي تربي الأمة وتُبرز القيادات، وتعرفنا بمقادير الرجال.

في سورة البقرة حديث مطول متفرق عن بني إسرائيل، وكان من كلام الله تعالى في هذه السورة عن بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام [البقرة ٢٤٦ - ٢٥٢]: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

وفي الآية كما نرى أن الذين طلبوا الملك هم (الملأ)، والملأ في القرآن وصف لا ترتاح له النفس، فبمجرد ذكر الملأ وإطلاق هذه الصفة على قوم تتوجس خيفة، وترتقب أوصاف شؤم وقبح (راجع كلمة الملأ في القرآن الكريم)، وليس من عادة الملأ أن يطلبوا خيراً، وإن طلبوه فهو لأمر خبئ في أنفسهم..

وأنا هنا لا أدري لماذا فرق الملأ بين النبي والملك المقاتل، وسنة الله جارية في الأنبياء سواء كانوا من بني إسرائيل أو من غيرهم أن النبي في أتباعه هو الحاكم والقائد والقاضي، وكان هذا الأمر في بني إسرائيل أوضح وأجلى، والحديث النبوي يشهد لذلك لقوله ﷺ: ((كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء))، فهل هذا الطلب المشروط في الملأ هو مقدمة لنعرف أن الذين طلبوه هم (ملأ)، لا يخرجون عن هذا الوصف وإن تزينوا بغيره، هذا أمر يحتاج إلى بحث ونظر، وإن كان هذا هو الذي تطمئن إليه النفس في هذا الوقت، بل إن هذه السرعة في كشف حقيقتهم في ختام الآية تنبؤك عن هذا الذي قلناه، قال الله تعالى:﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

ثم جاءت الآيات تكشف لنا هذا الإجمال وكيف تم فرض القتال وكيف سار الحدث واستقر على حاله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾.

هذا الكلام الرباني يؤكد لنا أن الابتلاء كان للملأ، الملأ الممتلئ مالاً.. الملأ طلبوا ملكاً.

ولما كان الله عليماً بالظالمين، فهو قد علم سبحانه أن هؤلاء القوم يطلبون ملكاً فقط، لا ملكاً مقاتلاً، وعمدة الحق لديهم في إقرار الملك وقبوله هو أن يكون ممن له سعة من المال، ولو حاولنا تصور النفسية الحقيقية للملأ، ومحاولاتهم الزائفة والذكية في ستر مبرر القتال لاتضح لنا الشيء الكثير، فهم طلبوا: أولاً: ﴿مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ولما حاججهم النبي وذكرهم بعورات نفوسهم ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾، فكان جوابهم على قوله هذا مؤكداً لما قال: وهو أن ما علمت من أنفسنا حبه والشغف به هو سبب طلبنا للقتال ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾.

إنه حديث الملأ، وهو حديث لكشف الملأ، وهذه المقدمة تدلك على ما سيأتي وراءها من أحداث تكشف الملأ على حقيقتهم.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾: هذه الآية تحمل في طياتها معنى تخلف الملأ، وفيها إشارة إلى أن الملأ قد سقط في أيديهم، فمنهم من لحق بالركب فسار جندياً، ومنهم من تخلف ليبقى تحت وصف الملأ، فحيث ذهبت حقيقتهم عن الموقع – الفصل – ذهب وصفهم، فمن فُصِل به فخرج معهم سار تحت وصف جديد هو (الجنود).. فصل طالوت (بالجنود).

وطالوت عين ملكاً بقرار لا دخل للجنود ولا للملأ فيه، بل ببعث إلهي ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً﴾، مبرر البعث: ﴿بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾، القوة والأمانة.

جاء امتحان تشريعي لا دخل للبشر فيه وهو قول طالوت: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ فهذا أمر تشريعي

من وضع إلهي، وليس هو استحسان بشري لشروط يضعها أصحاب التصفية المزعومة، والتربية المدّعاة، فكيف يجوز للناس أن يشترطوا شروطا للجهاد ما أنزل بها من سلطان؟ وما هي الأدلة على هذه الشروط البدعية؟

فهذا شيخ يريد من الأمة أن لا تجاهد حتى يصبح قيام الليل ديدنها بلا تخلف أحد منها، وهذا شيخ لا يجيز الجهاد للأمة حتى تحفظ الأربعين النووية، وهذا شيخ يشترط للجهاد أن تصبح الأمة منظّرة في السياسة وفهم الألاعيب الدولية، وهذا شيخ يوجب على الأمة قبل الجهاد أن تنبذ المذهبية، وإلا سيكون جهادها في سبيل المذاهب الأربعة، وهذا.. وهذا..، شروط ما أنزل الله بها من سلطان.

ثم ها هنا نقطة يدور البحث عليها، وهي: هل طالوت عليه السلام اشترط شروطاً قبل إعلان الجهاد؟ أم أن شروطه على جنوده كانت بعد الفصل بالجنود؟

وهذه نقطة مهمة، لأن الحدث يدلنا على أن ابتلاء القائد لمعرفة حقيقة جنوده واختبارهم في قدراتهم، وفي مدى تحملهم للصعاب والأثقال كانت في مسيرة الجهاد، ومن خلال حركته مع جنوده، لا كما يريد مشايخنا في هذا الزمان، وهو أن يمتحنهم وهم على فرشهم الوثيرة، فشتان بين خلوص ونقاء حقيقي يخرج من وسط الملمات والمحن، وبين خلوص مزيف يخرج من امتحانات الولاء للقيادة، وابتلاءات تسليم الرأس كالببغاء دون وعي وإدراك، فتصبغ عليه القيادة لباس القرب والنجاح.

إن معرفة طالوت لحقيقة جنوده كانت من خلال مسيرته وحركته للجهاد في سبيل الله تعالى، وهذا الذي نقوله وندعو الناس إليه بفضل الله تعالى ورحمته، ونحمد الله تعالى أن عافانا من أمراض الآخرين وتصوراتهم العليلة.

ثم خلص من خلص إلى المواجهة ضد جالوت وجنوده بعد محنة النهر والشرب منه، ثم محنة الكثرة والقوة المادية، ولم يذكر لنا القرآن الكريم أن محنة الكثرة العددية أسقطت بعض

القوم، بل إن الوصف المدحي لهم كان قبل ابتلائهم برؤية كثرة عدوهم، حيث قال الله تعالى بعد حادثة النهر: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، فوَصْف الإيمان ها هنا وصف مدحي، لكن الإيمان مراتب متفاوتة وليس على درجة واحدة.

قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ حصل المقدور الإلهيّ بنصر المؤمنين ووقع الوعد الإلهي ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، ومن حدث المعركة، ومن وسط ملماتها، ومن حركة الجهاد، عرف الناس داود عليه السلام، ونحن المسلمون نعتقد أن النبوة اختيار واصطفاء، وقد عاب السلف رحمهم الله على الإمام ابن حبان البستي صاحب الصحيح، حين قال: (إنما النبوة العلم والعمل)، حيث لحظوا فيها إلغاء الاختيار والاصطفاء الإلهي، ولكننا نجزم أن الإمام ابن حبان لم يرد هذا، وأنا أقدم هذا حتى لا يخرج علينا زاعم بأن معنى ما نقول هو إلغاء الاختيار، ولكنا عرفنا من خلال الآيات أن داود عليه السلام برز بعد ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾.

فجمع الله تعالى لداود ما تفرق قبل الحدث بين النبوة والملك ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾. نعم! عندما قتل الجنديّ داود الكافرَ جالوت كانت مقدمة الاختيار.

﴿قَتَلَ﴾ فاجتباه الله تعالى، فهل عقل مشايخنا هذا: قتل، قتل، قتل...؟

فليت مشايخنا يعيدون لنا تفسير وتجليَة كلمة ﴿قَتَلَ﴾.

قال ﷺ: ((لا يجتمع كافر وقاتله في النار)) [رواه مسلم].

ومن أجل أن تفهم أمة محمد ﷺ كلمة ﴿قَتَلَ﴾، وأنها منهج رباني سليم سديد، أتبَع الله سبحانه وتعالى الحدث كلمات عظيمة جليلة شريفة ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ فلو لم يقتل داود جالوت لبقي جالوت وجنوده يصولون ويجولون، ويهلكون حرث الناس ونسلهم، ولكن لما منّ الله تعالى على الأمة بتعليمها قتل الطواغيت،

كان عليهم أن يشكروه، لأنه سبحانه وتعالى ذو فضل على العالمين، كما قال سبحانه في خاتمة الآية: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

نعم، ولكن الله ذو فضل على العالمين، فمنهم من يشكر فضله ويرضاه، ومنهم من يرفضه ويأباه، ويذهب يتخبط في الظلمات باحثاً عن كلمة أخرى غير قوله، ﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾، ﴿وَقَتَلَ﴾.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

هذه القصة التاريخية ومن حديث القرآن الشيق عنها كشفت لنا أن الجهاد هو بداية الأمر وهو نهايته، وهو منهج الله تعالى في ابتلاء الناس، لتكتشف الأمة حقيقتها.

كذلك الإمام أسامة بن لادن لم يبرز بروزه الأخير إلا بعد (ضربه الأمريكان في تنزانيا وكينيا)، (فجّر أسامة المدمّرة كول الأمريكية في عدن)، (قتل أسامة الآلاف من الأمريكان في نيويورك وواشنطن في أروع عملية عرفتها البشرية)، من هنا برز اسم أسامة كقائد مجاهد يحترمه ملايين المسلمين، بل حتى الكافرين كما ستأتي شهادة بعضهم.

إن الاحترام والتقدير للقيادة الواعية هو أمر تفرضه القيادة بنفسها، وذلك من خلال مسيرتها المظفرة نحو أهداف الجماعة وانتصاراتها.

الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى لم يخطب الخطب الرنانة، ولا أصدر البيانات المطولة طالباً من الناس احترامه وتقديره، بل موقفه وصلابته في الحق، وتفانيه في سبيل السنة ودين الله تعالى هو الذي جعله للناس إماماً وفرض اسمه على أهل السنة والجماعة.

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بفعاله وجهاده جعل خصومه قبل تلاميذه ومحبيه يقرون له بالفضل والرفعة، لأنهم رأوا رجل المواقف، لا أبواق كلام وصراخ.

الأمة والقاعدة والأتباع يحترمون علماءهم وقادتهم عندما تفرض القيادة نفسها بمواقفها وفعالها وصورتها النزيهة.

إني أعلم أقواماً (من الشباب المتحمس) كان يرجو نظرة من بعض الأسماء الرنانة من القادة المفكرين، وكان يعتبر مجرد الجلوس في محاضرة لهذا الشيخ أو القائد أو المفكر هي من أشد القربات إلى الله تعالى، ولكنه بعد تجربة مرة كشفت هذا الغثاء على حقيقته صار يعتقد أن قتل هؤلاء القادة هو من أفضل القربات إلى الله تعالى. لماذا هذا؟.

السبب واضح جلي، لأن الواقع كشف أن هؤلاء القادة هم تجار كلام، وأبواق صراخ، حتى إذا جاء دور النزال والتجربة تعرت حقائقهم، وكشف أمرهم.

وما حدث مؤخراً في جزيرة العرب وفي مصر والشام وفي غيرها من البلدان، كشف كثيراً من الأقنعة التي تستر وراءها كثير من هؤلاء الشيوخ والقادة من إخوان وتبليغ وتحريريين و.. و... إلخ.

وإذا كان الجهاد يعرفنا بالرجال، إذ هو من أدق الموازين في هذا الباب، فإنه كذلك هو الفرقان الذي يقسم الناس إلى أقسامها الحقيقية، فبه تتميز الصفوف، فيتبين فسطاط الإيمان، كما يتبين فسطاط الكفر والنفاق، فيؤوب الناس إلى منازلهم التي يرتضونها لأنفسهم، ومعلوم أن الفتن والابتلاءات تكشف الناس، وتخرج مخبوء نجواهم، إذ صدق من قال: (إن الحرب حصاد المنافقين)، وبها كذلك يتخذ الله الشهداء، والشهادة باب جليل لا يفتحه الله تعالى إلا لأوليائه المقربين.

من قرأ السيرة النبوية قراءة متفحصة، يرى فيها هذا الذي قلناه، إذ أنه ما من معركة خاضها رسول الله ﷺ إلا وأظهرت رجالاً في مرتبة الولاية والقرب، كما وأظهرت رجالاً في مقام النفاق والخزي، فالجهاد هو الذي يكشف حقائق المخادعين والمتخاذلين، لأن بذل النفوس هينة في سبيل هذا الدين لا يقوى عليه إلا المرتبط بهذا الدين ارتباطاً حقيقياً، ومن

تمثلت له الدار الآخرة بين عينيه، يراقبها أنى توجه أو قال أو فعل، كما مدح الله تعالى الصادقين من عباده بقوله: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ وهي في سورة ص.

ذلك بعد أن تكلم الله تعالى عن داود وسليمان وأيوب وإبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام، وذكر سبحانه وتعالى مِنَنه عليهم، جعل سبحانه وتعالى علة هذه المنن وسبب إغداقها هو أنهم أخلصوا أنفسهم للآخرة، حباً وعملاً، قال مالك بن دينار: (نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها، وأخلصناهم بحب الآخرة وذكرها)، إذ أن هذا الدين لا يرفع الله به إلا من آمن به حق الإيمان، وصبر على ما يلقاه من الفتن والأهوال، ثم تيقن على موعود الله تعالى وأنه آت لا ريب فيه، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى تفسيراً لهذه الآية: (بالصبر واليقين تنال الإمامة).

ففي غزوة الأحزاب حيث جمع الناس حشودهم، وتكاتفوا يداً واحدة على بلدة صغيرة هي طيبة مدينة رسول الله ﷺ ومهاجره، واضطربت النفوس، وزلزلت، ورأى الناس الموت بأم أعينهم [الآيات من ٩ - ٢٧ من سورة الأحزاب].

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾ [الأحزاب: ٩]. أما الجنود فهم الملائكة، ولم تقاتل الملائكة يومئذ، وإنما عذب الله الكافرين بالريح، ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ((نصرت بالصَّبا، وأهلكت عاد بالدبور)).

وأما تفاصيل حركة رياح الصّبا فقد روى ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (قالت الجنوب (أي ريح الجنوب) للشمال (أي ريح الشمال) ليلة الأحزاب: انطلقي ننصر رسول الله ﷺ، فقالت الشمال: إن الحرة لا تسري بالليل، وكانت الريح التي أرسلت عليهم الصّبا).

ثم فصل الله تعالى أمر المعركة وما جرى فيها، فقال جل وتعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[الأحزاب١٠].

إنها الفتنة، إنه الابتلاء والتمحيص، حيث تظهر القلوب ما بها لشدة الضغط عليها، ﴿زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾: أي تحركت عن مكانها لشدة الخوف والرعب، ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾: وكذا زالت القلوب عن مكانها لشدة خفقانها واضطرابها، فالعيون تتحرك بحركة القلوب، إذ العين لم تعد ترى بوضوح وجلاء، والقلب لم يعد يفكر بسلامة وثبات، وهذا كله بسبب شدة الخوف، وهو خوف لم يسلم منه أحد.

فقد حدث حذيفة بخبر أصحاب رسول الله ﷺ في هذا الشأن شيئاً عجيباً، قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه: (يا أبا عبد الله، رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟. قال حذيفة: نعم يا ابن أخي. قال: كيف كنتم تصنعون؟. قال: والله لقد كنا نجهد..). أي نتعب بصحبته تعباً شديداً، وذلك أنه ﷺ كان صاحب همة عالية، وعمل دؤوب، ونفس لا تكل، وكان أصحابه رضي الله عنهم لمحبتهم له يحاولون اللحاق به، والتشبه بفعاله، فكانت محاولاتهم هذه تصيبهم بالتعب والجهد، وكذا القائد الحقيقي لا يرضى من رجاله الدون، ولا يقبل في رعيته إلا فعال الرجال ووثباتهم، وأما أولئك القوم الذين يصنعون من أتباعهم أبواقاً لهم، ومقلدين لحضرتهم، فلن ينفعوهم شيئاً في يوم كريهة وسداد ثغر.

ولقول حذيفة رضي الله عنه معنى آخر، وهو أنه كلما وضح الحق وكان قوياً جلياً كلما كان الباطل كذلك جلداً واضحاً جلياً، ولم يكن الحق جلياً واضحاً قوياً في يوم من الأيام كما كان في عهد محمد ﷺ، وكذا كان الكفر في عهده سافراً عن وجهه القبيح، فكان هذا يلحق بأصحاب رسول الله ﷺ الجهد والتعب، فقال حذيفة: (يا ابن أخي والله لقد رأيتني ليلة الأحزاب مع رسول الله ﷺ فقال: ((من يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة))، فما قام منا رجل، ثم صلى رسول الله ﷺ هوناً من الليل، ثم التفت إلينا،

فقال مثله، فسكت القوم، وما قام منا رجل، ثم صلى رسول الله ﷺ هوناً من الليل، ثم التفت إلينا، فقال: ((هل من رجل يقوم فينظر ما فعل القوم على أن يكون رفيقي في الجنة))، فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد).

﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾: فالمنافقون ظنوا بربهم شراً، وبالإسلام بهتاناً، إذ أنهم قالوا: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً﴾، يقولون: (يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس، وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله، هذا والله غرور).

وها هم اليوم يقولون: كيف لنا مع ضعفنا وقلة حيلتنا، وهواننا على الناس أن نعيد دولة الإسلام؟ وكيف لنا ونحن لا نستطيع أن نعبد الله تعالى آمنين أن ينقلب حالنا إلى حال تخشانا فيه قوى الكفر والشرك في مشرق الأرض ومغاربها؟.

لكننا نقول: إنها الوعود الإلهية، إن أخطأتنا نحن فهي واقعة لا شك فيمن ثبت على الطريق، وواصل المسير، ولم تضعفه الأيام والشهور، بل ازداد ثباتاً ويقيناً، وما شدة الصعوبات إلا دليل على صواب الطريق، وإذا كان طريق الجهاد وهو طريق الدم والخطف والسجن، فإنه كذلك طريق العزة والنجاح، وإذا كانت الطرق الأخرى هي طرق السهولة والمناصب، فإن نهايتها هي الذلة والخزي والشنار.

وطائفة منهم قالت: يا أهل يثرب لا مقام لكم على الإسلام فارجعوا، أو لا مقام لكم في القتال فهزيمتكم محققة، فارجعوا إلى منازلكم، وبدؤوا يستأذنون رسول الله ﷺ في الهروب وترك المواجهة يقولون: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي مكشوفة الجانب، لا نستطيع منع الداخل إليها، فكذبهم الله تعالى قائلاً: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً﴾.

وهكذا النفوس المريضة، والقلوب الخاوية من الإيمان، تبحث لها عن الحجج الواهية الضعيفة لترك المواجهة، ولعل هؤلاء يبحثون عن الحجج الأصولية في إسقاط فريضة الجهاد تحت دعوى المصلحة الموهومة الزائفة، ولكن حقيقة الحال هو أنهم لا يريدون الجهاد، ويخشون

نتائجه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً ۝ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولاً ۝ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً ۝ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً﴾.

إن هؤلاء القوم لا يقيمون للفضائل شأناً ولا لدين الله رأساً، همهم بطونهم، وشغلهم أهواءهم، ودليل ذلك أنه لو دخلت جيوش الأحزاب عليهم في المدينة، ثم طلبت منهم الجيوش أن يشركوا بالله تعالى ما احتبسوا، ولا تلكؤوا، بل لأقبلوا على الكفر بالله طيبة بالشرك قلوبهم، فهم يدورون مع من ملك المنصب والمال، ويراقبون حركته، حتى يبرمجوا أنفسهم على اتجاهه، ليس لهم اختيار إلا اختيار الحاكم، إن أسلم الحاكم أسلمنا، وإن كفر الحاكم كفرنا، ولا يقبلون على الإسلام إلا بالوعود الممتلئة ذهباً وكنوزاً، ومناصب وتشريفات، ولهذا قالوا قولتهم: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً﴾. فهم اعتنقوا الإسلام لوعوده الدنيوية.

أليس هذا يعلمنا أن لا نفرش الورود والرياحين للناس في دعوتهم للإسلام؟

ثم أليس هذا خطأ تلك الجماعات التي قالت للناس: انتخبونا، وسنطعمكم السمن والعسل، وسنبني لكم المساكن الفاخرة، وسنسهل لكم معايشكم وحياتكم، فلما أصابهم بعض اللأواء، فإذا هم أمام شاشات التلفزيون يتبرؤون من الإسلام وأهله، ويتساقطون على الطريق الواحد تلو الآخر، ألا ما أتعس العبد الذي يريد أن يشتري بإسلامه منصباً وجاهاً.

وصدق رسول الله ﷺ حين قال: ((ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد من حرص الرجل على المال والشرف لدينه)).

يا قوم! أين عهودكم؟ أين بيعتكم مع الله؟ ألم تقسموا من قبل أن لا تولوا يوم الزحف، بل تثبتوا ثبات الصادقين؟.

ثم اعلموا أن الجهاد لا يقرب أجلاً، فلو كنتم في بيوتكم لبرز الموت إليكم، ففراركم لن ينفعكم، ومتاع الدنيا قليل زائل، والذين يظنون أنه بالجهاد قد توحش الخصم، أو ازدادت شروره، وكثرة قتله للموحدين والضعفاء هو جد واهم، لأنه سواء حملتم السلاح وقاتلتم على دينكم وأعراضكم، أو أنكم تركتم السلاح وأعلنتم صباح مساء أنكم ضد العنف والقتال، فلن يغير هذا من الحقيقة شيئاً، وهذه الحقيقة تتجدد كل يوم.

إن الرجال مواقف، فانظر يا عبد الله أين موقفك، وإن الإيمان ليستعلي بذاته حتى لو كان حبيس السجن، أو طريح الفراش، أو فقير الجيب، أو مطارد الحال.

إنه ليستعلي في السجن بخلوته، ومع القتل بشهادته، ومع النفي بسياحته، لأنه الإيمان، وإن النفاق لينخذل مع منصبه وشاراته وأمواله وحشمه، لأنه النفاق!!

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلاً ۝ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾.

أرأيت أخي: هم، هم، في البأساء والضراء، معوَّقون ومعوِّقون، فإذا أتوا إلى مواطن النزال أتوا قليلاً، من أجل الرياء والسمعة، حتى يرجع الواحد منهم إلى بلدته ويخطب آلاف الخطب، ويجمع آلاف الدنانير، في الحرب ينصحون بترك المعركة، وفي السراء إيذاء ورمي بسوء الأقوال من كل جانب، عيونهم مفتحة، مجهرية البصر في النظر إلى الأخطاء والسقطات حتى يسيروا فيها شرقاً وغرباً، لكنها كلّة تعبَة عن رؤية الخير وإبصاره، جيوبهم منتفخة، كريمة على نفسها وعيالها، يبني الواحد منهم كأنه مخلد، ويجمع المال باستكثار يظهر عليه، حتى صار الواحد منهم يعد من أثرياء بلده، وصارت أموالهم محط تندر من قبل الأعداء والخصوم، بنوكهم تسجل في بلاد الـ (واق واق)، تأتيهم هبات الملوك وشيكات الهدايا بملايين الريالات، من أجل فتاوى رخيصة وخطب قبيحة.

لقد تكلم الله بهذه الآيات والكلمات، وهي كأنها صورة كونيّة للحدث، كلمات الله تنقلنا نقلات سريعة، وكذا حدث الأحزاب، اختلطت فيه صورة المشركين ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾.. ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾، وصورة مشاعر الناس جميعاً بصورة خاطفة: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾، ولم يتكلم الله لنا عن مشاعر الكافرين شيئاً، بل يكفي أن يقول عنهم أنهم جنود، جنود فقط، فلم يتكلم شيئاً إلا عن حركتهم الظاهرة: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾.

ثم شرع القرآن في وصف المؤمنين، حيث انتظرنا وصفاً مُسهباً: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾، لقطة سريعة، كلمات مفعمة بالبيان، وتحتاج إلى ما وراءها، ولكن سرعة المعركة تقتضي سرعة الوصف، وفجأة إلى المنافقين، تنتقل كلمات الله إلى المنافقين، وتتحدث وتتحدث، وكأنهم في معزل عن أرض المعركة، مشاعرهم خاصة، وأقوالهم خاصة، جسم غريب، يتوقف عندهم حديث المعركة ليحكي لنا أصولهم السابقة، ومعالمهم قبل الحدث، وكيف يعالجون الأحداث بتعليقاتهم وتحليلاتهم، ويفضح الحديث علة حركاتهم وسكناتهم، وكأن المعركة ما جاءت إلا لهذا الأمر، وهو فضح المنافقين وكشف عوراتهم.

ووسط ذلك كله، فجأة يلقي الرب جل في علاه علينا هذا التقرير والإحكام قائلاً: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[٢١]، وعلى الرغم من أن رسول الله ﷺ هو أسوة المؤمنين في الأمور كلها، وعلى الرغم أن هذه الآية حجة في وجوب اتباع النبي ﷺ، إلا أن علينا أن نتوقف أمام سياقها، وسباقها، فقد قرر الله هذه الأسوة من خلال حديثه عن المعركة، وتفاعلات الناس حولها، نعم أسوة لنا بلباسه، وأسوة لنا بصلاته، وأسوة لنا بمأكله، وأسوة لنا بشأنه كله، لكن الحديث عن الأسوة انطلق من وسط فتنة الأحزاب، وغبار المعارك، وصلابة القرارات، فأين المتحدثون عن الأسوة بحبه لبياض الثياب، وكثرة التطيب، وذراع الذبيحة، .. و.. و..؟.

ليعلموا أن حديث القرآن عن القدوة والاتساء كان من خلال حديثه عن غزوة الأحزاب؛ إنه النبي لا كذب إنه ابن عبد المطلب [١].

نخلص من هذا كله إلى أن الإمام أسامة أخرجته لنا جاجي وجلال أباد وتنزانيا وكينيا وعدن ونيويورك وواشنطن وتورا بورا وشاهي كوت وغيرها، إذن هو خريج خنادق وليس خريج فنادق.

فليس يزيحُ الكفر رأي مسـدَّدُ إذا هو لم يؤنس برمي مسـدَّدِ

[١] انظر مقالات بين منهجين من المقال ٦٠ إلى ٦٦ بتصرف.

الإمام أسامة بن لادن والحرب غير المتوازية

(إن أي حركة انتقالية أو تغييرية تحتاج في الوصول إلى أهدافها إلى مجموعة من العوامل الذاتية، وكلما كان صاحب الحركة جامعاً لهذه العوامل كلما كان أسرع وأقوى في الوصول إلى النتائج والأهداف، والعكس صحيح، وقد قفزت الحركة الإسلامية السلفية المجاهدة بفضل الله تعالى خطوة عظمى في إدراك قيمة العوامل الذاتية، والإكثار من التنبيه عليها على خلاف ما جرت عليه أخلاق المسلمين وحركاتهم في هذا العصر من الحديث عن كثرة العوائق من الأعداء والمخالفين) [١].

(إن السيرة النبوية غنية غناء لا مثيل له في إدراك سنن التغيير وقواعد التعامل مع الأحداث.

السيرة النبوية فيها الحرب الصدامية الشاملة (مثل بدر وأحد).

السيرة النبوية فيها الاغتيال وتصفية الرؤوس (قتل كعب بن الأشرف وغيره).

السيرة النبوية فيها العقود والمعاهدات (مثل صلح الحديبية وما وقع في غزوة تبوك).

السيرة النبوية فيها الانقلاب والتغيير الرأسي الشامل (حادثة فيروز الديلمي رضي الله عنه مع الأسود العنسي في اليمن).

السيرة النبوية فيها نظام ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾.

السيرة النبوية فيها الاستفادة من تجارب الآخرين (مثل حفر الخندق بإشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه في غزوة الأحزاب).

---

[١] مقالات بين منهجين المقال رقم (١).

وهكذا فهي تجربة غنية تملأ نفس المسلم وتغني باطنه وتعمره بوجود المثال الصالح لأغلب أحداث الحروب وطرقها، ولكن كتب السيرة النبوية صارت كتباً للتبرك لا كتباً للعلوم والمعرفة فحسبنا الله ونعم الوكيل.

فعلوم الحرب وطرقها ووسائلها هي علوم إنسانية مشاعة، وسواء شئنا أم أبينا فإن هذه العلوم مما ينبغي أن نبكي على أهل الإسلام لإعراضهم عنها، وهي علوم تنشأ بالتجربة والاطلاع وحدة العقل الراغب في هذه العلوم، وتؤخذ من مظانها التي يعرفها أهل البحث والنظر.

وقد يقوى لها الفاسق ويضعف عنها التقي، وحينئذ سنشكو كما شكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قال: ((اللهم إني أعوذ بك من عجز التقي وجلد الفاجر)).

وأنا لست من أهل هذا الفن ولا من أصحاب علومه المفاريد حتى أنصح وأقوم الكتب الرائعة في هذا الباب، وأقصد ما عمله أهل الإسلام في اكتشاف علوم الحرب وقواعدها من خلال السيرة النبوية، ولكني رأيت عامة من كتب في هذا الباب إنما تأسست معارفه وعلومه في فن الحرب من الدراسة خارج السيرة، فلما قرأ السيرة نعى على الناس وخاصة أهل الإسلام في إعراضهم عن هذا النبع العظيم، ومن هؤلاء الممدوحين في هذا الباب محمود شيت خطاب في أغلب كتبه) [١].

(والمرء يستغرب هذه الأيام مدى توغل الانهزام النفسي في قلب هذه الأمة، وتزداد الدهشة أكثر عندما يكون بعض أهل العلم أول من يتعرض لهذا الداء، في حين يفترض في أمثالهم الذود عن هذه الأمة إحقاقاً للحق وإزهاقاً للباطل.

وقد تكلم في هذا الصدد أحد هذه النماذج في لقاء مع قناة فضائية حول الهجمة الأمريكية الحالية، وبدأ يبرر التخاذل عن نصرة المجاهدين بجملة أباطيل لفت نظري منها

---

[١] مقالات بين منهجين المقال رقم (٩٨).

قوله أنه لا تكافؤ بين قوة المجاهدين وقوة أمريكا وحلفائها، وبالتالي لا جهاد ولا نصرة لأن الأمر محسوم سلفاً لصالح أمريكا.

وهذا الكلام ينم عن جهل مطبق لصاحبه بالشرع الإسلامي أولا ثم بالتاريخ والتحليلات العسكرية الغربية الحالية، وهو ما سيتبين مما يلي.

كلنا يتابع منذ سنين أخبار وصور أطفال الانتفاضة الفلسطينيين وهم يرمون الحجارة والزجاجات الحارقة على الجنود الصهاينة المجهزين بآخر مبتكرات التكنولوجيا العسكرية الحديثة، ورغم تكاثر الإصابات في صفوف الفلسطينيين إلا أنه لم يحدث قط أن انكسرت عزيمة هؤلاء الأبطال بل على العكس من ذلك، خاصة وقد زاد من صمودهم عمليات الحركات المجاهدة في فلسطين التي تكاثرت كماً وتحسنت نوعاً.. إنها صور ومشاهد تضرب لنا الأمثال في الشجاعة والصمود.

لكن هناك دلالات أخرى لهذه الصور، ففي سنة ١٩٨٩م استشرف بعض خبراء الجيش الأمريكي حدوث تغيير جذري في نمط الحرب وكيفية إدارتها، والتي رأوا أنها ستكون الشكل الغالب في حروب القرن ٢١.

أطلق هؤلاء على هذا النمط اسم (الجيل الرابع من الحروب) (4th Generation Warfare) في حين أطلق عليها آخرون اسم (الحرب غير الموازية) (Warfare Asymmetric).

من المعلوم في عرف المؤرخين العسكريين أن حروب ما بعد النهضة الصناعية عرفت ثلاث تطورات أساسية:

ففي الجيل الأول من هذه الحروب اعتمدت الحرب على كثرة الجنود الذين كانوا يأخذون أشكال صفوف ويتسلحون ببنادق بدائية.

أما في الجيل الثاني الذي ظهر في الفترة ما بين الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ - ١٨٦٥) والحرب العالمية الأولى، فقد اعتمدت الحرب على استنزاف اقتصاد العدو والنيل من أكبر عدد من جيوشه باستغلال كثافة إطلاق النيران المتمثل في البنادق ثم البنادق الآلية فيما بعد.

فيما تمثل الجيل الثالث من الحروب في تغيير تكتيكي شامل برع فيه الجيش الألماني خلال الحرب العالمية الثانية، وهو تكتيك يتمثل في الالتفاف على العدو باستعمال تشكيلة من الدبابات والطائرات، ومهاجمة مؤخرته عوض الاصطدام مع مقدمته كما كان الحال في حرب الخنادق في الحرب العالمية الأولى.

أما الجيل الرابع من الحروب فيؤكد الخبراء أنه نوع جديد من الحروب، سيكون القتال فيه حسب تصورهم مشتتاً بشكل أكبر، فساحة المعركة ستشمل المجتمعات، ولن تقتصر الأهداف العسكرية على تدمير الجيوش النظامية، بل ستتعداها لتشمل تدمير المساندة الشعبية للمقاتلين في مجتمع العدو.

وفسر هؤلاء الخبراء تصورهم أكثر حين ذكروا في مقالهم أن (نشرة الأخبار ستصبح سلاحاً أكثر فتكاً من عدة لواءات مدرعة)، كما ذكروا أن الفرق بين الحرب والسلم سيتلاشى لدرجة أنه (لن يبقى هناك تحديد على الإطلاق لميدان المعركة أو جبهة الحرب).

أدلى استراتيجيون غربيون آخرون بدلوهم، حين ذكروا أن الحرب الجديدة تعتمد من الناحية الاستراتيجية على التأثير على نفسية وعقل مخططي العدو، ليس عبر الوسائل العسكرية فقط كما كان الحال سابقاً، ولكن كذلك عبر استعمال كل الوسائل الإعلامية والشبكات المعلوماتية المتوفرة في هذا العصر للتأثير على الرأي العام ومن ورائه النخب الحاكمة.

أما من الناحية التكتيكية، فقد ذهب هؤلاء إلى أن حروب الجيل الرابع ستكون عبارة عن حروب صغيرة الحجم تسعر في مناطق مختلفة من الأرض ضد عدو شبح يختفي ويظهر.

وهذه الحرب وإن استعملت فيها تكتيكات وتقنيات متبقية من الأجيال السابقة إلا أنه سيتم التركيز فيها على كافة الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، وسيخوضها أطراف دولية ووطنية وجهوية قبلية بل ومنظمات كذلك.

يشكل هذا النوع الجديد من الحروب مصاعب كثيرة للآلة العسكرية الغربية، ويتوقع أن تغير هذه الجيوش من أولوياتها، ولم يأت هذا الاستشراف والتغيير قط من فراغ، ويا ليت المرجفين الجدد يعلمون هذا.

فحروب الجيل الرابع وقعت فعلاً وأظهرت تفوقاً للطرف الضعيف نظرياً، بل وأبانت في كثير من الحالات عن انهزام دول قومية أمام قوميات لا دول لها.

لا بد ها هنا من التنبيه إلى ملاحظة هامة: وهي أن الأمة الإسلامية حققت أكبر عدد من الانتصارات في مدة وجيزة لم تعرفها منذ اعتلال الخلافة العثمانية، حصلت هذه الانتصارات على مدى العشرين عاماً الماضية ضد أحسن الجيوش في العالم تسليحاً وتدريباً، وتجربة (الاتحاد السوفييتي في أفغانستان، أمريكا في الصومال، روسيا في الشيشان، والكيان الصهيوني في جنوب لبنان) وفي مسارح مختلفة (جبال – صحراء – تلال – مدن).

وهكذا فقد انتصر المجاهدون في أفغانستان على القوة العالمية الثانية آنذاك وأجبروها على سحب جيشها عام ١٩٨٨م، ثم قضوا على نظامها العميل بعد ذلك بثلاث سنوات.

كما أهانت عشيرة صومالية أمريكا وأجبرتها على إخراج قواتها من الصومال، ثم بعدها بقليل أذل المجاهدون الشيشانيون الدب الروسي في الحرب الأولى وأخرجوه مهزوماً مدحوراً.

ثم ما لبثت المقاومة اللبنانية أن دحرت الجيش الصهيوني من جنوب لبنان.

صحيح أن جل هذه الانتصارات السابقة لم يتبعها تثبيت لأقدام المنتصرين، لكن هذا ليس موضوع بحثنا، فمقصودنا هو بحث الناحية العسكرية المحضة لأنه مناط شبهة انعدام التكافؤ بين قوة أمريكا وقوة المجاهدين، مما يعني حسب المتخاذلين انعدام مقومات الجهاد والنصرة.

إن الجيوش الجرارة السابقة الذكر لم تنفعها التجهيزات التكنولوجية، التي تكفي لتدمير كوكب الأرض مئات المرات بترساناتها النووية والكيماوية والبيولوجية.

ورغم ذلك أبان المجاهدون عن تفوقهم في حروب الجيل الرابع بأسلحة خفيفة فقط، فهم جزء من الشعب ويختفون داخل الجماهير، وهي استراتيجية تقضي على تفوق الأسلحة المتطورة المصنوعة أساساً لفضاءات مفتوحة وواضحة المعالم.

وفي هذا الاتجاه يقول مايكل فيكرز: (كثيرة هي إمكانياتنا التي لا تصلح لهذا النوع من الحروب).

أما من الناحية العددية فحدث ولا حرج، فقد توغل الجيش الأحمر بأكثر من ١٠٠٠٠٠ جندي أواخر سنة ١٩٧٩م ولم تكن هناك مقاومة تذكر في البداية.

وحتى عندما وصل عدد المجاهدين للأوج بعد ١٩٨٥م، إلا أن ميزان القوى ضل لصالح الجيش السوفييتي وعملائه بنسبة ٥ مقابل ٢.

أما في الصومال فقد كان الأمر أيسر، إذ أن الأمريكيين الذين غزوا المنطقة بـ٤٠٠٠٠ جندي خرجوا من المنطقة دون عناء كبير بعد مقاومة يسيرة قام بها عدد من المقاتلين لم يتعد الـ ٢٠٠٠ عنصر في أحسن الأحوال.

أي أن ميزان القوى كان لصالح الجيش الأمريكي ثم حلفائه بنسبة ٢٠ مقابل ١.

أما في حرب الشيشان الأولى (١٩٩٤ - ١٩٩٦)، فقد جاء النصر الشيشاني بعدما اجتاحت روسيا أرض الشيشان بـ١٠٠٠٠٠ جندي ولم تتعد المقاومة الشيشانية الـ ١٣٠٠٠ في أحسن الأحوال، أي أن ميزان القوى العددي لصالح روسيا كان ٧.٧ مقابل ١.

بل وقد حدث في فترة من الفترات أن قام الجيش الروسي بحصار رهيب على غروزني بجيش عدده ٥٠٠٠٠ إلا أن المجاهدين الشيشان وبتشكيلات مقاتلة لم تتعد ٣٠٠٠ مجاهد، نجحوا سنة ١٩٩٥ ليس في فك الحصار وحسب، بل والقيام بهجوم مضاد جريء على مؤخرة الجيش المحاصر لهم مما أجبر الروس على التراجع في ظل خسائر كبيرة.

وقد بينت حرب الشيشان الأولى بجلاء أن أداء الجنود وشجاعتهم في الميدان، كيفما كانت صعوبته، من العوامل المهمة التي تحدد نتيجة المعركة.

كان الدهاء العسكري والإعلامي والمعرفة الواسعة بمداخل الجيش الروسي كذلك من العوامل التي جعلت الشيشان يعرفون بجدارة من أين تؤكل الكتف.

وهكذا يتضح أن هناك سوابق لقوى عظمى ودول كبرى ذاقت وبال الهزيمة على يد تشكيلات المجاهدين في العقدين الأخيرين رغم الفرق الكبير بين إمكانيات الطرفين، وبهذا تتهافت شبهة المرجف المذكور.

قد يعترض البعض أن كل الحروب السابقة جمعت بين قوميات متماسكة وجيوش غازية، وبالتالي فإن الاستدلال بما سبق لا يصح في حالة تنظيم القاعدة الذي يقاتل خارج أرضه وفي بيئة معادية أكثر الأحيان.

نجيب على هذا الاعتراض:

أولاً: بأن تنظيم القاعدة يقاتل إلى جانب طالبان وهم أهل البلد.

وثانياً: بأن مجاهدي القاعدة أثبتوا ومنذ البداية أنهم تجاوزوا الخانات العصبية التقليدية، وهذا عين ما تنقم عليهم أمريكا لأنهم أفلتوا من لعبة تتقنها بل وتضع قواعدها كذلك.

ويكفي فخراً لمنظمة القاعدة أنها دمرت بغزوة ١١ سبتمبر ركائز الاستراتيجية الدفاعية الأمريكية، والتي لم يستطع الاتحاد السوفييتي السابق ولا أية دولة معادية النيل منها.

وهذه الركائز هي: الإنذار المبكر، الهجوم الوقائي، ومبدأ الردع.

فيما يخص الركيزة الأولى وهي الإنذار المبكر: فإن تنظيم القاعدة بغزوة ١١ سبتمبر دخل تاريخ الهجمات المفاجئة الناجحة، والتي تعتبر قليلة في التاريخ.. من قبيل الهجوم الياباني على بيرل هاربور الأمريكي سنة ١٩٤١م، والهجوم النازي المفاجئ على الاتحاد السوفييتي سنة ١٩٤١م، والاجتياح السوفييتي لتشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨م، إضافة إلى عبور خط بارليف الصهيوني سنة ١٩٧٣م.

بل وقد تعدى في وجعه كل هذه الهجمات، لأنه يدفع أمريكا لأن تجعل جميع أفراد مجتمعها جاهزين نفسياً وعملياً لكافة الافتراضات، وهي مسألة باهظة الثمن اقتصادياً ونفسياً خاصة لمجتمع لم يتعرض لآثار حرب منذ الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ - ١٨٦٥).

وإذا كان الجيش الأمريكي نفسه والذي يفترض فيه الجاهزية التامة، قد تعرض لحادث المدمرة كول فإن إعداد مجتمع بأكمله لمواجهة الهجمات الإرهابية يظهر بعيد المنال.

أما فيما يخص الهجمة الوقائية وهي الركيزة الثانية للاستراتيجية الدفاعية الأمريكية: فإنها تعرضت كذلك للاهتزاز، فهي تابعة للركيزة الأولى ومرهونة بوقوعها.

وحتى إذا افترضنا أن الإنذار المبكر حصل في وقته، فإنه يصعب جداً تسديد أي ضربة وقائية ناجعة لتنظيم سريع المناورة والتحرك ولا يملك مقرات دائمة.

أما الركيزة الثالثة وهي الردع: فإن هذا المبدأ يسقط مطلقاً مع أناس لا يحرصون على الحياة بل ويتعطشون للشهادة.

ومبدأ الردع يقوم على أساس وجود طرفين يحرصان على بقاء واستمرار مصالحهما.

وإذا كان هذا الأمر ناجحاً بين الدول فإنه غير ناجح البتة مع تنظيم لا توجد له مقرات ثابتة ورساميل في أبناك الغرب ولا يعتمد على مساعدات دول بعينها.

إذن فهو يملك استقلالية القرار ويبحث عن المواجهة أصلاً، فبماذا يردع أمثال هؤلاء إذا كان الموت أسمى أمانيهم.

بالإضافة إلى تدمير تلك الركائز، فإن تنظيم القاعدة سبب أكبر هزيمة نفسية للأمريكيين في تاريخهم، وأفضل وسيلة لتحقيق الهزيمة النفسية هي كما بين أحد الاستراتيجيين الغربيين، الضرب في المكان الذي يشعر فيه العدو بالراحة والثقة، وهذا ما فعل المجاهدون في نيويورك بالضبط.

يتبين إذن أن التكافؤ المفقود بين أمريكا والمجاهدين الذي يتحدث عنه المرجفون، هو عين ما يلائم الآلة العسكرية الغربية عموماً والأمريكية خصوصاً.

في حين يربك هؤلاء الجيل الرابع من الحروب الذي يصلح للطليعة المجاهدة، ولا سيما مع تبني الشعوب الإسلامية للجهاد من جديد، بعدما لم يعد لهذه الشعوب المستضعفة ما تخسره أمام الذل والمهانة التي تتعرض لها كل يوم وحين.

لقد فهم الأمريكيون والغرب طبيعة التحدي الجديد وأقروا بصعوبة المهمة التي تواجههم، إذ لا بد من تغيير شامل في التدريب والعقيدة القتالية والأسلحة، إضافة إلى تغيير طريقة النظر للأمن القومي.

وآن كذلك للحركات الإسلامية أمام الهجمة الصليبية العامة والعارمة أن تستوعب قواعد حروب الجيل الرابع، وذلك بأن تعد الفكر الاستراتيجي الملائم والاستعداد العسكري المناسب، وأن تزيد من الاهتمام بالدعوة وحشد التأييد الجماهيري والتعبئة السياسية للشعوب، لأن هذا إضافة إلى كونه واجباً شرعياً، صار كذلك جزءًا لا يتجزأ من وسائل كسب الجيل الرابع من الحروب.

وقد أشار إلى هذا المعنى الاستراتيجيون القدامى قبل الجدد مثل كلاوزفيتز وماو تسي تونغ.

ولعل أبرز مثال على هذا ظاهرة الانتفاضة التي قضت على التفوق الهائل بين الجيش الصهيوني والشعب الفلسطيني المسلم.

على الحركات الإسلامية أن تعطي أيضاً مساحات أكبر للعمل الإعلامي الدعائي الجاد والهادف، لأن هذه الجبهة المكشوفة هي التي تحقق فيها أمريكا وأذنابها مكاسب جلية لحد الآن بعد إسكات أو احتواء كل صوت إعلامي معارض أو محايد.

فأمريكا تريد تحطيم المكاسب النفسية الكبيرة التي يحققها المجاهدون من خلال العمل العسكري، وما يترتب عن صدى هذه البطولات من أثر إيجابي على التعاطف والنصرة في العالم الإسلامي.

نسأل الله أن يخرس نعيق المرجفين، وأن يقيض لهذه الأمة جيلاً جديداً من الدعاة والعلماء في مستوى تحديات الجيل الرابع من الحروب) [١].

قال الإمام أسامة بن لادن في خطبة ١٤٢٣هـ وهو يتحدث عن قتال القوى العظمى: (بعد حرب الخليج الثانية أدخلت أميركا جيوشها إلى الصومال وقتلوا ١٣ ألفاً من أبناء

---

[١] انظر مقال (حروب الجيل الرابع) لأبي عبيد القرشي وفقه الله.

المسلمين هناك ولا حول ولا قوة إلا بالله، وعندها وثب أُسْد الإسلام من العرب الأفغان فانبروا لهم مع إخوانهم في تلك الأرض، فمرغوا كبرياءها في الطين، فقتلوا منهم ودمروا من دباباتهم وأسقطوا من طائراتهم، ففرت أميركا وحلفاؤها في ليل مظلم لا يلوي أحد على أحد، فلله الحمد والمنة.

وفي تلك الفترة أعد شباب الجهاد عبوات ناسفة ضد الأميركيين في عدن، فانفجرت فما كان من الجبناء إلا أن فروا في أقل من ٢٤ ساعة، ثم في عام ١٤١٥ للهجرة وقع انفجار في الرياض قتل بسببه أربعة من الأميركيين وكان رسالة واضحة تبين اعتراض أبناء المنطقة على السياسة الأميركية في دعم اليهود واحتلال بلاد الحرمين [١]، ثم في العام الذي يليه وقع

---

[١] وكان الذي نفّذ الانفجار أربعة أبطال من أبطال الإسلام وهم:

١ – رياض الهاجري. ٢ – عبد العزيز المعثم. ٣ – مصلح الشمراني. ٤ – خالد السعيد.

وقد قتلتهم حكومة آل سعود.

جاء في نشرة الإصلاح (١٤) بتاريخ ١٧ يونيو ١٩٩٦م والتي هي بعنوان (نايف ينال وسام تجفيف المنابع): (انفجار الرياض مزيد من المعلومات: تفيد المعلومات المتسربة من أجهزة الأمن أن الشباب الأربعة الذين قُتِلوا بتهمة قتل الأمريكان لم يحضروا المحكمة التي حكمت بقتلهم، بل اكتفى القضاة بمجرد إثبات اعترافاتهم وحكمت المحاكم عليهم بعد ذلك بالقتل.

وكان الأربعة قد نقلوا من جدة إلى الرياض بطائرة خاصة، ولم يبلغوا بحكم المحاكم إلا بعد إنزالهم من الحافلة في ساحة العدل بالرياض مقابل الجامع الكبير قبيل قتلهم بقليل، حيث انطلقوا تهليلاً وتكبيراً وألقى أحدهم خطبة في وجوب الجهاد في سبيل الله. واستمروا على ذلك إلى أن قضوا نحبهم.

ومن جهة أخرى تؤكد المعلومات المتسربة من جهاز التحقيق ما سبق أن ذكرناه، وهو وجود حلقات غامضة في القصة اضطر الحكام أن يتجاوزوها من أجل التعجيل بقتلهم والتخلص من الحرج مع الأمريكان، ويفيد أحد أعضاء فريق التحقيق أن هناك شخصين لم تعثر السلطات لهم على أي أثر قد شاركوا في العملية، وأن هناك ما يدل على وجود شخص آخر لا يعرف عنه ولا عن هويته أي شيء.

انفجار آخر في الخبر قتل بسببه ١٩ وجرح أكثر من ٤٠٠، واضطر بعدها الأميركيون لنقل مراكزهم الكبرى من المدن إلى قواعد في الصحراء [١]، ثم بعد ذلك أيضاً في عام ١٤١٨

ويفيد نفس المصدر أن الأربعة أجبروا على قراءة سياق معين في الاعترافات المدعاة حتى يعطوا انطباعاً بأن القضية لم تتعداهم).

[١] ذكرت حركة الإصلاح الإسلامية في نشرتها ١٦ عدد استثنائي بتاريخ ٢٧ يونيو ١٩٩٦م: (هل آن الأوان أن يعيد الأمريكان وآل سعود حساباتهم الآن..

وبعد يومين من انفجار الخُبَر آن الأوان، لأن نتحدث عن الحادث نفسه وعن ملابساته وحيثياته وآثار ذلك على آل سعود وعلى الأمريكان أنفسهم.

أولاً: لم يكن وقوع الحادث مستغرباً، فإن الظروف التي صنعت انفجار الرياض لم تتغير، بل لقد ازداد تراكم العوامل التي تدفع إلى مثل هذه الأعمال، بل إلى أن تصبح ظاهرة استخدام القوة هي الظاهرة السائدة، ومادام النظام يرفض التعامل مع المسألة من خلال الرجوع إلى الأسباب الأصلية لتلك الظاهرة فلا مفر من استمرارها وتناميها.

ثانياً: لقد وقع هذا الحادث بعد أسابيع قليلة من إعدام المتهمين بانفجار الرياض.

وإذا كان القتل والصلب هو أشد عقوبة يمكن تصورها، فإن هذا دليل قاطع على أن تشديد العقوبة لم يمنع تكرار هذا الحادث.

وكما ذكرنا سابقاً لا يمكن مقارنة هؤلاء بقطاع الطرق ومجرمي النهب والسلب من طلاب الدنيا، بل هم أحرص الناس على الشهادة، إما حقاً أو تأولاً، ولن يزيدهم القتل والصلب إلا توقاً إلى الشهادة والقتل في سبيل الله كما يعتقدون، ولن تكون العقوبات رادعة لهؤلاء عن المضي قدماً في مثل هذا العمل.

ثالثاً: لقد وقع هذا الحادث في أكثر المباني الأمريكية تحصيناً وفي قمة لحظات التأهب والاستعداد الأمني في ذلك المبنى مما يعني أن تشديد الاحتياطات الأمنية لم تنجح في منع مثل هذا الحادث، والأحرى أنها لن تمنع أمثاله في المستقبل.

رابعاً: لقد جاء الحادث بعد سلسلة من التحذيرات للأمريكان والتي تعامل معها الأمريكان بجدية واهتمام بالغ بينما اعتبرها السعوديون على لسان سلطان بن عبد العزيز (حركات صبيانية). =

= كما جاء الحادث بعد مجموعة من التصريحات والبيانات الرسمية التي اعتبرت القبض على الأربعة المتهمين بانفجار الرياض ومن ثم إعدامهم بمثابة استئصال لتحدي الإرهاب، وإذا كان عند آل سعود احترام لذواتهم فحتماً سيكون هذا الحادث قمة الإحراج لهم.

خامساً: لقد كشف هذا الحادث ما أشرنا إليه في عدة نشرات سابقة من أن الأمريكان لم يكونوا مقتنعين بالرواية السعودية حول الأربعة المتهمين بانفجار الرياض، والآن بعد أن صمت الأمريكان طويلاً فقد اضطروا للحديث عن ذلك علناً بعد الانفجار الثاني واعتبروا – كما جاء في تصريحات رسمية للرئيس كلينتون وغيره – أن كل ما جمعته السلطات السعودية من معلومات حول الحادث الأول تعتبر غير ذات أهمية، وأنهم لا يزالون في الظلام حول معرفة الجهات المسؤولة عن الحادثتين.

كما أظهر الأمريكان احتجاجهم علناً بعد الحادث الثاني على تعجيل السلطات السعودية بإعدام الأربعة قبل استكمال المعلومات.

وهذا يؤكد ما نشرناه سابقاً أن التعجيل بإعدامهم قبل استكمال المعلومات هو لأجل التخلص من الحرج من الأمريكان الذين ضغطوا بشدة من أجل مقابلة الأربعة وأخذ إفادتهم بشكل مباشر، وخوفاً من أن يؤدي ذلك إلى كشف الثغرات في الرواية السعودية.

سادساً: رغم ما يردد بعض المحللين من احتمالات أدوار خارجية، فلا نزال نرجح أن المجموعة المسؤولة نابعة من الداخل، وسواء كان هذا العمل انتقاماً لقتل الأربعة أو استمراراً لحادث الرياض فإن التحليل المنطقي يدل على وجود مكوّنات وعوامل كافية في البيئة الحالية لإنتاج مثل هذا العمل.

سابعاً: إذا كانت الجهة المسؤولة عن هذا الحادث مرتبطة فعلاً بالمجموعة المتسببة في انفجار الرياض، فإن هذا الحادث يؤكد أن الجماعة المسؤولة عن الحادثين أفضل تنظيماً وأوسع عدداً وانتشاراً مما صوره النظام.

وقد أكد الإتقان الذي نفذ به الحادث الثاني على أن المجموعة ذات قدرة فائقة على تنفيذ مثل هذه الحوادث، وذات قدرة أيضاً في إخفاء خلاياها المتعددة كما أشرنا إلى ذلك في نشرات سابقة.

ثامناً: جاء هذا الحادث في ذروة الخلاف في العائلة الحاكمة وسوف يكون من المستحيل للنظام التعامل مع الحادثة بطريقة حضارية، لأن النظام قد تجزأ إلى عدة دول في دولة واحدة، بعد مرض الملك فهد. فنايف يعتبر نفسه ووزارته دولة، وسلطان كذلك، وسلمان يعتبر تحكمه بالديوان الملكي واستخراجه للقرارات من الملك سلطة دولة.

وهكذا فلا وجود لنظام إداري سليم تصنع فيه القرارات أو ترسم فيه استراتيجية مقنعة، وغالب الظن أن الوضع الأمني سيبقى في يد نايف إلى أجل غير مسمى. =

= ونظراً لأن نايف أضيق المذكورين أفقاً وأقصرهم نظراً، فلا أمل في أن تتغير السياسة، والأحرى أن أساليب الاعتقال والتخويف واستئصال الإرهاب على طريقة شمال أفريقيا ستستمر، وهذا بدوره سيؤدي إلى أن تستمر هذه الحوادث، وربما يتسبب تكرارها إلى إزالة الحاجز النفسي تماماً عند الشباب المتحمس ويصبح استخدام القوة هو الخيار الأفضل في أذهانهم.

تاسعاً: إذا كان الأمريكان قد استُهدِفوا في المرتين فلا يستبعد أن يتم تجاوزهم لأهداف أخرى، بل لن يكون غريباً أن يتحول توجيه السلاح في المرة القادمة إلى من يعتقد أنه خلف وجود الأمريكان وخلف كل معاناة لشعب الجزيرة.

فقد بدأ دعاة الإصلاح السلمي يشعرون بالحصار أمام جدل تلك المجموعات.

وبهذا فقد أصبح كل شاب متديّن عنصر مرشح لأن ينضم لهذا التيار خاصة مع صعود نجم هذا التيار وقوة جدله في الوقت الحاضر.

عاشراً: إضافة لما ذكرناه من مسببات قوية لبروز ظاهرة استخدام القوة والتي من أهمها تغييب القيادات ذات المصداقية العالية في السجون واستمرار حملة القمع وتيئيس الناس من جميع أشكال الحل السلمي، إضافة إلى ذلك برزت حديثاً ظاهرة (لا شيء نخاف عليه) حيث انتشرت البطالة وتفشى الفقر والحرمان وتضخمت فئة المحرومين والعاطلين الذين لا يملكون شيئاً يخشون خسارته، وهم يرون مقابل ذلك طبقة العائلة الحاكمة التي تتمتع بأعلى درجات الترف البشري على حساب الأمة المحرومة.

وهذا الشعور إذا اختلط مع الشعور الديني، فإنه حتماً سيجعل هذه الفئة رصيداً إضافياً لتيار استخدام القوة.

لقد قلنا من قبل ونقول إن الحال خطيرة، وأسلوب النظام لن يمنع حدوث مزيد من الحوادث أو تحول ظاهرة استخدام القوة إلى أمر طبيعي، ونكرر أنه لن يوقف هذه الظاهرة تشديد العقوبات أو مزيد من الاحتياطات الأمنية).

للهجرة هدد المجاهدون أميركا على الملأ بضرورة الكف عن مساعدة اليهود والخروج من بلاد الحرمين فرفض العدو التحذير وتمكن المجاهدون بفضل الله من صفعه صفعتين عظيمتين في شرق إفريقيا [١].

---

[١] جاء في نشرة الإصلاح العدد ١٢٣ بتاريخ ١٠ أغسطس ١٩٩٨م والتي هي بعنوان: (حادثي التفجير: الرسالة وصلت) الآتي: (حادثي التفجير في كينيا وتنزانيا لهما تداعيات كثيرة لها علاقة بالمملكة، ولذلك فالحادثان من صميم اهتمام نشرتنا هذه، ولا بد من إشباع الحدث بالتحليل والتعليق. ولربما يكون من الأهم التعليق على التناول الغربي للقضية سواء من خلال جهات مسؤولة أو من خلال الإعلام ومراكز البحوث، بدلًا من محاولة الغوص في حقيقة الانفجار، لأن آثار هذا الحدث سياسياً وأمنياً واستراتيجياً أهم من نفس الحدث، ويبدو أن انعكاسات مثل هذه الأحداث أهم من ذات الأحداث نفسها لما لها من تأثير خاص وطبيعة خاصة.

رغم الحذر الذي ورد على لسان الناطقين الرسميين عن اتهام جهات محدودة، فإن الجهات الإعلامية والخبراء السياسيين والمصادر الرسمية التي ترفض ذكر اسمها تبرعت بكمية كبيرة من التعليقات والمعلومات والتحليلات التي تساعد في دراسة انعكاسات هذا الحدث.

وعند تأمل ما صدر عن تلك الجهات تأملاً عميقاً يلاحظ الآتي:

أولاً: كانت الحركات الإسلامية أو ما يسمى في الغرب بالأصولية الإسلامية في مقدمة المتهمين، بل إن كل الجهات الأخرى مثل إيران والعراق وليبيا استبعدت بسهولة، وتحدثت جهات كثيرة عن الشيخ ابن لادن وجماعة الجهاد المصرية، وأشير بشكل كثيف إلى تهديدات ابن لادن في مقابلة مع محطة ABC الأمريكية بضربة خلال أسابيع، كما أشير إلى بيان جماعة الجهاد الذي نشر في جريدة الحياة قبل يومين من الانفجار، وربط بين بن لادن والجهاد المصرية من خلال بيان الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين الذي كانت تلك الجهتين من بين الموقعين عليه.

ثانياً: أعادت تلك التفجيرات فتح ملف انفجار الخبر الذي مر عليه أكثر من سنتين ولم يعلن عن المسؤولين عنه لحد الآن. =

= ولوحظ للمرة الأولى في الصحافة الأمريكية النسبة لمسؤولين أمريكان أن أمريكا تعتبر ابن لادن مسؤولاً عن انفجار الخبر، بل وحتى عن انفجار الرياض.

وكانت المصادر الأمريكية في السابق تكتفي بالتشكيك بالرواية السعودية عن تورط شيعة وإيران، وتشير إلى احتمالية وجود معارضة داخلية مسؤولة عن انفجار الخبر، لكن هذه هي المرة الأولى التي تصرح بها جهات أمريكية مسؤولة كما ورد في جريدة نيويورك تايمز يوم السبت الماضي عن مسؤولية مباشرة لابن لادن مع إلغاء كامل للرواية السعودية عن تورط شيعة وإيران في الموضوع.

ويستبعد بناء على ذلك أن يقوم نايف بأي إعلان في المرحلة الحالية، لأن إعلانه عن تورط شيعة سيلقي تكذيباً من قبل الأمريكان، وإعلانه عن تورط سنة أو جماعة لها علاقة بابن لادن سيكون بمثابة اعتراف من قبله بأنه كذب في المرة الأولى على الأمريكان.

وتفيد المعلومات حالياً أن الأمريكان لم يكتفوا من نايف بمجرد الاعتراف بأن الرواية الأولى كاذبة، بل إنهم يصرون حالياً إما على التحقيق مع المعتقلين بأنفسهم أو الحصول على تقرير شامل متكامل خال من التناقض حول قضية الخبر والرياض وهو ما ليس بحوزة السعوديين، لأن أسلوب التحقيق عند السعوديين لا يوفي بالشمولية التي يريدها الأمريكان.

ثالثاً: لوحظ في التعليقات الصحفية والدراسية أن الحادثين ربطا بالوجود الأمريكي في المنطقة عموماً وفي المملكة خصوصاً، وربطا بسياستها مع إسرائيل والعراق ودعمها للحكومات في المنطقة وتعاونها في القبض على مطلوبين من الإسلاميين وتشجيع اعتقال آخرين.

وهذا الربط مهم لأن تلك الحوادث لا يمكن أن تمر دون تأثير على الرأي العام الأمريكي عن أسباب تهييج وإغضاب التيارات الإسلامية ودفعها بالقوة لاتخاذ مثل هذه الخيارات في حرب أمريكا.

من جهة ثانية تبدو هذه القضية مهمة من خلال إحراج الأنظمة العربية المتعاونة مع أمريكا في سياستها ضد الإسلام وخاصة آل سعود، حيث سيسود شعور لدى أساطين تلك الأنظمة أن هؤلاء الإسلاميين تجاوزوهم إلى أسيادهم الأمريكان، بمعنى أن لديهم من القدرات اللوجستية أكبر من مجرد مواجهة تلك الأنظمة، وهذا فيه درجة عالية من الإحراج.

لكن الإحراج الأكبر من ذلك هو أن الأنظمة المذكورة وخاصة النظام السعودي ستشعر أنها مصنفة مع المظلة الأمريكية، وأن هذين الانفجارين نبها الشعوب أكثر من ذي قبل إلى إفراط الأمريكان وعملائهم في حرب شعوب المنطقة والإسلام.

ومع كثرة القرائن على مسؤولية جهات إسلامية معينة عن الحادث، إلا أن الجهات المعروفة لم تعلن مسئوليتها عن الحادث، ولم يخرج رسمياً إلى العلن إلا بيان ما يسمى "بالجيش الإسلامي لتحرير المقدسات"، وهو اسم غير معروف من قبل، لكن محتوى البيان يربط مباشرة بالجماعات التي اجتمعت حولها القرائن.

فالبيان يهاجم السياسة الأمريكية، ويطالب بمغادرة القوات الأمريكية جزيرة العرب، ويطالب بإطلاق سراح الشيخ عمر عبد الرحمن، ويذهب البيان أبعد من ذلك في تحديد هوية من أصدره بالمطالبة بإطلاق سراح المشايخ المعتقلين في سجون المملكة.

ولربما تكون الجماعات التي تنفذ مثل هذه الأعمال فهمت الآن أن الرسالة يمكن إيصالها دون تبني العمل علناً، فالأمريكان وآل سعود سيعرفون حتماً من يقف خلف القضية، وأما الجمهور فيكفيه أن يقرأ بياناً منسوباً لاسم غير معروف، وبذلك يتحقق كل المطلوب من الحادث، وإذا كان هناك ما لا تريد هذه الجماعات أن يربط بها من آثار سلبية للحادث فإنها تكون قد تخلصت منه من خلال عدم تبني الحادث بشكل صريح ومعلن.

يبدو أن الأمريكان من طرفهم توصلوا إلى استنتاجات دقيقة حول المتسببين بالحادثين، ورغم الشعارات التي رددها كلينتون عن استعداد أمريكا لمواجهة الإرهاب وعدم تغيير سياستها استجابة للإرهابيين، فإن من المعتقد أن تعيد أمريكا سياستها في بعض القضايا، فقد لوحظ أن لهجة أمريكا مع العراق في الخلاف الأخير أخف كثيراً من المرات الماضية، ولم يرد أي تهديد جاد بضربة عسكرية، ولا يستبعد أن يعيد الأمريكان النظر في وجودهم في المملكة، أما ما لا يستطيع الأمريكان تغييره في سياستهم فهو دعمهم المطلق وغير المحدود لإسرائيل، لأن الذي يدير أمريكا أصلا مؤسسة إسرائيلية صهيونية، وعليه فليس من المنطق أن يتغير شيء في دعم أمريكا لإسرائيل.

أما الأنظمة العربية وخاصة النظام السعودي، فإنه رغم رعبها وتخوفها من الضربة القادمة إلا أن قدرتها على التغيير محدودة جداً وتركيبتها الداخلية لا تسمح بأي خطوة تترك أثراً مقبولاً لدى الشعب، لكن

ثم حُذِّرت أميركا مرة أخرى ولم تستجب، فوفق الله المجاهدين في عملية استشهادية عظيمة، فدمرت المدمرة الأميركية (كول) في عدن، فكانت صفعة مدوية في وجه العسكرية الأميركية، كما كشفت العملية عن عمالة الحكومة اليمنية كسائر دول المنطقة.

ثم إن المجاهدين لما رأوا أن عصابة الإجرام الأسود في البيت الأبيض تصور الأمر على غير حقيقته، بل يزعم زعيمهم الأحمق المطاع أننا نحسدهم على طريقة حياتهم، وإنما الحقيقة التي يخفيها فرعون العصر أننا نضربهم بسبب ظلمهم لنا في العالم الإسلامي وخاصة في فلسطين والعراق واحتلالهم في بلاد الحرمين، ولما رأى المجاهدون ذلك قرروا أن يتخطوا التعتيم وينقلوا المعركة إلى وسط أرضه وفي عقر داره، وفي يوم الثلاثاء المبارك في الثالث والعشرين من جماد الثاني لعام ١٤٢٢ للهجرة الموافق للحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ للميلاد، كان التحالف الصهيوأميركي يحصد أبناءنا وأهلنا في أرض الأقصى المبارك فضلاً، بطائرات ودبابات أميركية وأيد يهودية، وأبناؤنا في العراق يقضون نحبهم نتيجة الحصار الظالم من أميركا وعملائها، وفي المقابل كان العالم الإسلامي يعيش في حالة من البعد الشديد عن إقامة الدين حقاً..

وبينما الأمور على تلك الحال من الإحباط واليأس والتسويف عند المسلمين، إلا من رحم الله، ومن الظلم والغرور والعدوان عند التحالف الصهيوأميركي، فقد كانت بلاد العم سام في غيها سادرة، بطغيانها هادرة، مصعرة خدها للناس، تمشي في الأرض مرحاً لا تبالي بأحد، وتظن ألا سبيل إليها إذ رموا بثالثة الأثافي وما أدراك ما ثالثة الأثافي، عندما وثب

ستحرص هذه الأنظمة على النأي بنفسها قدر المستطاع عن السياسة الأمريكية على الأقل شكلياً. الاستنتاج الأخير الذي لا بد من الإشارة إليه: أن الجهات الإسلامية التي يعتقد أنها خلف الحادثين قد أثبتت من خلال الحادثين أن لديها القدرة اللوجستية والفنية والبشرية على تنفيذ الحادث، وأنها استطاعت استغلال عنصر المفاجأة إلى أقصاه، وأنها استطاعت كذلك التنسيق بين الحادثين وبكمية تدمير هائلة! فهل يفهم الأمريكان وعملاؤهم ذلك؟..

شعث الرؤوس مغبرو الأقدام المطاردون في كل مكان، فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى، وربط على عقيدتهم وكتب الإيمان في قلوبهم فلم يخشوا في الله لومة لائم يبتغون ما عند الله تعالى، تأبى نفوسهم أن تنام على الضيم، يريقون ماء الحياة ولا يريقون ماء المحيا، فأغاروا بطائرات العدو في عملية جريئة جميلة ما عرفت البشرية لها مثيلاً، فحطموا أصنام أميركا، فأصابوا وزارة الدفاع في صميم فؤادها، وأصابوا الاقتصاد الأميركي في سويداء قلبه، فأرغموا أنف أميركا في التراب ومرغوا كبرياءها في الطين فانهار برجا نيويورك، وبذلك الانهيار انهار ما هو أعظم وأضخم، فانهارت أسطورة أميركا العظمى، وانهارت أسطورة الديمقراطية، وظهر للناس أن قيم أميركا في السافلين، وتحطمت أسطورة أرض الحرية وتحطمت أسطورة الأمن القومي الأميركي، وانهارت أسطورة الـ CIA، فلله الحمد والمنة.

وكان من أهم الآثار الإيجابية لغزوتي نيويورك وواشنطن أنها كشفت حقيقة الصراع بين الصليبيين والمسلمين، وأظهرت ضخامة العداء الذي يُكنه لنا الصليبيون عندما نزعت الغزوتان جلد الشاة عن الذئب الأميركي وظهر على حقيقته البشعة، واستيقظ العالم أجمع من الرقاد، وانتبه المسلمون إلى أهمية عقيدة الموالاة في الله والمعاداة في الله، وقويت روح الأخوّة الإيمانية بين المسلمين، مما يعتبر خطوة عظيمة نحو توحيد المسلمين تحت كلمة التوحيد لقيام الخلافة الراشدة بإذن الله، وبدا ظاهراً للناس أن أميركا هذه القوة الظالمة يمكن أن تضرب، ويمكن أن تذل وتهان وتقهر، ولأول مرة تعي غالبية الشعب الأميركي حقيقة القضية الفلسطينية وأن ما أصابهم في منهاتن كان بسبب سياسة حكومتهم الظالمة.

وخلاصة الأمر أن أميركا دولة عظمى ذات قوة عسكرية ضخمة وذات اقتصاد عريض، ولكن كل ذلك على قاعدة هشة، لذا فإنه بالإمكان استهداف تلك القاعدة الهشة والتركيز على أبرز نقاط الضعف فيها وإذا ما ضربت في عُشر معشار تلك النقاط، فإنها -بإذن الله- ستترنح وتنكمش وتتخلى عن قيادة العالم وظلمه، ولقد استطاع عدد يسير من فتية الإسلام رغم وقوف التحالف الدولي ضدهم أن يقيموا الحجة على الناس بوجود القدرة على مقاومة ومقاتلة ما يسمى بالقوى العظمى، واستطاعوا أن يدافعوا عن دينهم وأن ينفعوا

قضايا أمتهم أكثر مما فعلته حكومات وشعوب بضع وخمسين دولة في العالم الإسلامي، لأنهم اتخذوا الجهاد سبيلاً لنصرة الدين).

وفي قراءة رائعة وجميلة حول مستقبل المعركة بين إمامنا وأمريكا جاء الآتي [١]: (تهديدات واستعدادات بعد الحملة الأمريكية الشاملة ضد ابن لادن والقاعدة والطالبان.. تكررت في الفترة الأخيرة تحذيرات الحكومة الأمريكية من ضربة جديدة تنفذها القاعدة داخل أمريكا في الوقت الذي يزال الحديث مستمراً عن تنسيق الجهود العالمية ضد الإرهاب.

هل تعتبر هذه التصريحات الأمريكية والحملة السياسية والإعلامية والأمنية مسألة مفتعلة لتحقيق غرض معين، أو هي حقيقة تعكس حالة المعركة بين بن لادن وأمريكا؟ كيف نفهم طبيعة المعركة؟.

يغلب على كثير ممن يرصد طبيعة المعركة بين ابن لادن وأمريكا وضعها في سياق التوازنات العسكرية القابلة للقياس، ولذلك يقعون في الاستنتاج الساذج أن أمريكا عملاق عسكري سياسي اقتصادي أمني مقابل بضعة مقاتلين في جبال أفغانستان لن يلبثوا أن ينقرضوا.

الظريف أن الأمريكان أنفسهم ينظرون للمعركة بهذا المنظار، ولذلك تعاملوا معها تعامل التجييش العسكري والسياسي والاقتصادي والأمني وشنوا حملة عسكرية هائلة من أجلها.

ولو كان هذا القياس صحيحاً لكانت أمريكا قد حسمت أمر ابن لادن بعد أن ردت على حوادث تفجير سفاراتها في كينيا وتنزانيا.

والكل يعلم أن أمريكا لم تأل جهداً في تسخير جهازها العسكري والسياسي والأمني في القضاء على ابن لادن من جهة وفي حماية نفسها من جهة أخرى، ومع ذلك فقد كانت

---

[١] مقال بعنوان: (قراءة لمستقبل المعركة بين فاروق العصر أسامة وأمريكا).

حصيلة هذا الجهد الأمريكي الهائل بعد حوادث كينيا وتنزانيا هو أن تُضرب أمريكا في عقر دارها ضربة هائلة لا تساوي أمامها ضربة كينيا وتنزانيا شيئا.

الحرب غير المتوازية (بالياء):

هذا النوع من أنواع المواجهة يسمى في علوم الاستراتيجية الحديثة بالحرب غير المتوازية (بالياء) تمييزاً لها عن الحرب غير المتوازنة (بالنون).

ويقصد بالحرب غير المتوازية أن يستخدم الخصم وسائل وأساليب يستحيل على المدافع عن نفسه أن يستخدمها أو يتعرف عليها أو يتفاداها.

وقد أشار إلى هذا النوع من المواجهة تقرير استراتيجي شامل سلم للرئيس الأمريكي كلينتون قبل مغادرته البيت الأبيض، قال التقرير: إن أمريكا قد هيمنت على العالم، ولم يعد هناك من يستطيع أن يجابهها عسكرياً ولا اقتصادياً ولا سياسياً ولا استخباراتياً، وإن الخصم الوحيد الذي يمكن أن يؤذي أمريكا هو من يستخدم أساليب الحرب غير المتوازية.

واعتبر التقرير من يستخدم هذا النوع من المواجهة خطراً هائلاً على أمريكا، إلى درجة أنه يمكن أن يتسبب في خلخلة داخلية في أمريكا إن لم تحسن التعامل معه.

وتنبأ التقرير بأن تبدأ علامات هزيمة أمريكية إن نجح خصم أمريكا في امتصاص الرد الأمريكي على هجوم من قبله وتمكن من توجيه أكثر من ضربة لأمريكا.

مثال ابن لادن:

لا يمثل الشيخ ابن لادن وتنظيم القاعدة دولة بجيش ولا طائرات وأساطيل ومدرعات ودبابات، كما لا يمثل حزباً أو تنظيمياً مسلحاً تقليدياً يعمل من خلال التوازنات السياسية العالمية مستفيداً من تدافع القوى العظمى مثلما فعلت القوى الشيوعية في الهند الصينية وأمريكا الجنوبية.

ولو كان تنظيم ابن لادن بمثل هذا المستوى لأصبح الآن في حكم المنسي تاريخياً مع هذا النفوذ الهائل لأمريكا وتعاون دول العالم كله معها.

توجد في ظاهرة تنظيم ابن لادن عدة مزايا وصفات تجعله النموذج لخصم في حرب غير متوازية مع أمريكا، بل نموذجاً أمثلاً في تحقيق نبوءة هذه الدراسة الاستراتيجية للأسباب التالية:

أولاً: التنظيم ليس تكويناً نشازاً متكلفاً مصنوعاً بدعم جهات سياسية نفعية، بل هو إفراز طبيعي لحالة الاحتقان والغضب في العالم الإسلامي وطبيعة الدين الإسلامي التي تدعو للاستعلاء والدفاع عن الإسلام.

ولا يستطيع أحد أن يزعم أن هذا التنظيم صنيعة أحد إلا الجاهل أو العاجز عن تصور وجود عمل مستقل عن دعم سياسي خارجي.

ثانيًا: التنظيم ليس جماعة معزولة مرفوضة من المجتمعات رافضة لها، بل إن مشروع ابن لادن يقف على منصة قوية من المشاعر الاجتماعية المبتهجة بهذا المشروع والمفتخرة به والمسرورة بأعماله السابقة والمتطلعة لأعماله اللاحقة.

هذه المنصة الاجتماعية توفر للتنظيم حاضناً طبيعياً يوفر عليه تكتيكات وأساليب مكلفة دون هذا الاحتضان.

ثالثًا: التنظيم ليس مجرد كيان كلاسيكي متطور في وسائل السرية والانضباط كما هي حال التنظيمات الناجحة في العالم، بل هو أقرب إلى مفهوم مدرسة تخرج الآلاف من المؤمنين بالمشروع الجهادي وتبثهم في المجتمعات وتستفيد منهم بطريقة تتناسب مع توجهات المجتمع المسلم من جهة ومع واقع العالم الغربي من جهة أخرى، مما يعطيهم مضلة طبيعية تحميهم أمنياً واجتماعياً.

رابعًا: يؤمن التنظيم بأن التخطيط يجب أن يكون على أساس استراتيجي فيه فهم للذات والبيئة والخصم والهدف.

ولم يعد سراً أن التنظيم قد حدد هدفاً هو تدمير أو إضعاف أو تفكيك أمريكا، ولا يعتبر التنظيم هذا المطلب مسألة خيالية رغم قوة الخصم الهائلة والقصور الكبير في قدرات الذات، وينفذ التنظيم من أجل حل هذه الإشكالية حيلة معقدة هي تحويل قوة وقدرات الخصم ضده ويبني معظم الاستراتيجية على ذلك.

خامسًا: استفاد ويستفيد التنظيم من إشكال أساسي في المجتمع الأمريكي هو كثرة الثغرات البنيوية بسبب طبيعته المنفتحة التي جعلته خصماً مكشوفاً لمن أراد أن يحسن استغلالها ضده.

هذه الثغرات لا يمكن إقفالها إلا إذا تحول الكيان الأمريكي لكيان عسكري مغلق بدين واحد وجنس واحد، وهو أمر مستحيل.

وقد أشار رئيس السي آي إي في استجوابه من قبل الكونجرس إنه لا يمكن ضمان أمن المجتمع بزيادة الحصار على الحريات المدنية إلا بالوصول إلى حالة مجتمع لا يستحق الدفاع عنه.

سادسًا: استفاد ويستفيد التنظيم من طبيعة النفسية الأمريكية حين تُستفز في هويتها وتتصرف على شكل رد الفعل الانتقامي (الكاوبوي)، بدلاً من أن تتمهل وتدرس القضية قبل أن تستجيب.

ونجح التنظيم في استدراج الماكينة الأمريكية الهائلة لتخدمه كشركة علاقات عامة بعد ضربات كينيا وتنزانيا، كما نجح في استدراجها بعد ضربات سبتمبر لأجل أن تبدو كما لو كانت تحارب الإسلام ومن ثم يُجيّش العالم الإسلامي كله ضد أمريكا.

سابعًا: يعتمد التنظيم على التربية الإسلامية الجهادية التي تجمع بين الانضباط والطاعة للقيادة والثقة المطلقة بتوفيق الله والاستعداد الكامل للموت في سبيل الله والصبر وطول النفس.

ولعل هذه الصفات في أفراد التنظيم والتي يصعب على الأمريكان إدراكها كان ركناً رئيسياً في تحول تنظيم بن لادن لخصم حقيقي لأمريكا في هذه الحرب غير المتوازية.

ثامنًا: يعتمد التنظيم مبدأ المبادرة والفعل بدلاً من رد الفعل، ويعد الخطوة التالية قبل أن ينهي الخطوة الحالية، ولا يقبل التنظيم بأن يستجر إلى رد فعل على هجوم يتعرض له يربك خطته.

ولذلك لم يكترث التنظيم بالضربات التي وجهت لأفغانستان بعد حوادث كينيا وتنزانيا ولم يتحمس كثيراً للرد على الضربات الأخيرة، لأن الخطوة التالية معدة سلفاً ويجب أن تنفذ في وقتها.

تاسعًا: يؤمن التنظيم بالاستفادة من أي فرصة سياسية أو أمنية توفرها الصراعات أو المشاكل العالمية، ويرى سرعة التصرف لاغتنامها دون التفريط بما يعتبره التزامات دينية.

ومن خلال ذلك يقال إن التنظيم حصل على أجهزة وأسلحة متطورة مستغلاً الفوضى التي تبعت سقوط الاتحاد السوفيتي.

عاشراً: يؤمن التنظيم بترك ما يعتبره جائزاً أو مشروعاً إن كانت جماهير المسلمين لا تستوعبه، مثل مواجهة الأنظمة الحاكمة في بلاد المسلمين خوفاً من أن يتهم التنظيم بأنه يدفع لحروب أهلية ويؤدي ذلك لانفضاض الناس عن التنظيم.

في المقابل يؤمن التنظيم أن كل هذه الأنظمة تابعة لأمريكا وستتهاوى مباشرة إذا انهزمت أمريكا، وبذلك يمكن مواجهتها في ظرف أفضل.

المشهد الحالي..

الشكل الظاهري: حين نتجاهل حقيقة الحرب غير المتوازية ومزايا تنظيم ابن لادن، نجد أنفسنا أمام أمريكا وقد انتصرت انتصاراً باهراً، وقضت على دولة الطالبان، وقتلت من قتلت من القاعدة، ورمت البقية في أقفاص جوانتانامو.

بل إن أمريكا أثبتت أنها قائدة متحكمة بالعالم حين أجبرت كل الدول للتسابق في إرضائها وخدمتها، بدءاً بالقوى الكبرى مثل الصين وروسيا، وانتهاءً بالدول ذات العلاقة التي جعلت إمكاناتها تحت تصرف أميركا مثل باكستان والسعودية.

أما ابن لادن نفسه فقد اختفى واختفت القيادات معه ولا يعرف إن كان حياً أو ميتاً.

على المستوى السياسي والأمني: تمكنت أمريكا من تشكيل تحالف عالمي من كل دول العالم، يستحيل معه لأي شخص من تنظيم القاعدة أن يكون في مأمن من الاعتقال الأمريكي.

على مستوى أمريكا: اتخذت الخطوات الأمنية والقانونية اللازمة لاعتقال كل مشتبه به، وإغلاق الفرص أمام من يفكر بتنفيذ عمليات أخرى.

واندفعت أمريكا في حربها للإرهاب لدرجة أن باركت ما يقوم به شارون بحجة أن حملته حرب ضد الإرهاب.

هذا المشهد تنظر من خلاله الحكومات والنخب المتسلطة، ولذلك ازداد تعظيمها وتقديسها لأمريكا وتسابقها لإرضائها وخاصة حكام المملكة.

المشهد الحالي..

الشكل الحقيقي بمقاييس الحرب غير المتوازية:

نحن أمام حقائق يتم التغاضي عنها وأمام استنتاجات منطقية يتم التحايل عليها، منها:

أولاً: الشيخ بن لادن والشيخ أيمن الظواهري والملا عمر كلهم على قيد الحياة، والجزء الأكبر والمهم من تنظيم القاعدة لا يزال سليماً، والأمريكان على علم بذلك ولا يريدون أن يعلنوه حتى لا تعتبر حملتهم عديمة الجدوى.

والجدير بالذكر إن معظم المعتقلين في جوانتانامو هم إما من موظفي الإغاثة أو من العرب في باكستان وأفغانستان ممن ليس لهم علاقة بالقاعدة، أو من الذين انضموا للجهاد بعد سبتمبر.

ثانيًا: هناك قناعة تامة ومعلومات أكيدة عند الأمريكان عن ضربة هائلة قادمة لأمريكا (أو أكثر من ضربة)، لكنهم لا يعرفون متى وكيف وأين.

ويعلم الأمريكان كذلك أن جهودهم العسكرية والأمنية والسياسية لم تصل لحد الآن لإيقاف هذه الضربة، ولم يصلوا إلى مجرد طرف خيط يؤدي إلى منعها.

ولذلك أصبح الإعلان عن هذه الضربة دون معرفة متى وأين وكيف هو أفضل تحقيق لقَسَم تبن لادن في أن لا تتمتع أمريكا بالأمن حتى يعيشه الفلسطينيون.

ثالثًا: انبهر الأمريكان بكمية الغموض الذي يكتنف حقيقة القاعدة والطالبان بعد حملتهم في أفغانستان.

ورغم الكمية الهائلة للمعلومات التي حصلوا عليها من أوراق ووثائق وأجهزة كمبيوتر وتعاون باكستاني وأفغاني وسعودي، فلم يصل الأمريكان لحد الآن لحل لغز طريقة عمل القاعدة والتعرف على طريقة تفكيرها وتركيبتها التنظيمية.

ويعترف الأمريكان حالياً بأن كمية المعلومات التي لديهم يربك أكثر مما ينفع في إعطاء تصور واضح عن القاعدة.

رابعًا: لم تسفر الحملة الأمنية والقانونية في أمريكا نفسها والاعتقالات التي طالت آلاف الإسلاميين عن التعرف على أي معلومة ذي بال، أو أن تجرّم أحداً من المعتقلين جريمة لها علاقة بالقاعدة، سوى شخص واحد علقت عليه التهمة بشكل متكلف.

خامسًا: بلغ الغضب الإسلامي على أمريكا بعد الحملة على أفغانستان ثم تأييد أمريكا لشارون في جرائمه في فلسطين مبلغاً هائلاً تجاوز بكثير ما يطمح إليه ابن لادن من مجرد تجييش المسلمين عاطفياً ضد أمريكا.

ولوحظ الآن بين بعض الأوساط التي كانت تتحفظ على حادث سبتمبر أنها تتمنى حصول حادث مثله، وتستبطئ الضربة المتوقعة.

معطيات المشهد المستقبلي..

بعد تأمل الحقائق أعلاه لا يجد المرء صعوبة في اعتبار الضربة القادمة لأمريكا أمراً حتمياً، لكن السؤال المهم قد يكون أعقد من مجرد متى هذه الضربة وكيف وأين؟

السؤال هو: ما دام تنظيم القاعدة قد دخل في المواجهة الساخنة بحرب مستمرة مع الأمريكان، فهل سيستمر على طريقة المواجهة بالضربات لأمريكا فقط، أو أنه أعد العدة لعمل متعدد الأطراف في أكثر من مكان من العالم مستفيداً من سقوط هيبة أمريكا؟

يقول بعض من تابعوا وضع القاعدة قبل سبتمبر: أن القاعدة والطالبان قد استعدوا لسقوط الطالبان قبل مدة ورتبوا الإجراءات التي تبقي الجزء المهم من القاعدة والطالبان سليماً إلى أن تحصل الضربة القادمة.

ويزعم هؤلاء إن القاعدة قد استعدت للضربة التالية في أمريكا منذ زمن، لكن التوقيت مقصود أن يتأخر قليلاً بعد أن يقتنع الأمريكان تماماً أنهم قد حققوا النصر وأنهوا مهمتهم حتى يكون مفعول الضربة أقوى ما يمكن نفسياً وسياسياً.

ويزعم هؤلاء أن تنظيم القاعدة قد رتب أعمالاً أخرى في أماكن أخرى، وأن العمليات التي جرت في الهند حديثاً ربما تكون من بينها، وأنها مقصودة لإجبار الجيش الباكستاني على تحويل الجيش للهند ومن ثم كشف جبهة أفغانستان وترك الأمريكان في مواجهة الطالبان والقاعدة من جديد.

سيناريوهات المشهد المستقبلي..

مع وضع هذه المعطيات في الحسبان يستطيع المرء أن يخرج بالاستنتاجات التالية عن السيناريوهات المتوقعة للمستقبل بخصوص المعركة بين بن لادن وأميركا:

السيناريو الأول: هو ضربة كبيرة في أمريكا، لكن ليس فيها سلاح دمار شامل ولا آثار بعيدة المدى.

وإذا تمت هذه الضربة فعلاً فلربما تصدق نبوءة التقرير الاستراتيجي الذي أشرنا إليه آنفاً من أنها ستؤدي لخلخلة كبيرة في أمريكا.

السبب هو أن الضربة ستكون إعلاناً مدوياً ومؤلماً بهزيمة منكرة للحملة الأمريكية ضد (الإرهاب)، هذا الإعلان بالهزيمة لن يكون هزيمة لحكومة دكتاتورية متسلطة مثلما حصل في الاتحاد السوفيتي حين تورط في أفغانستان، بل ستكون هزيمة للشعب الأمريكي كله الذي انتخب حكومته وبارك حملتها في أفغانستان بأغلبية مطلقة.

سيصنع هذا الشعور بالهزيمة عدة تداعيات، أولها الشعور بالإحباط عند الشعب الأمريكي وقناعته بالعجز عن حماية نفسه، حينها سيكون الأمريكان مشتتين، فريق يستمر يفكر بعقلية الكاوبوي ويريد أن يزيد من رد الفعل مستخدماً أسلحة دمار شامل، وفريق يطالب بإلغاء هذه السياسة بالكامل والموافقة على مراجعة السياسة الخارجية الأمريكية بخصوص المسلمين، وفريق يرى التشدد الأمني حتى لو أدى ذلك لإلغاء كل الحقوق المدنية.

وعلى الأرجح سيهزم الفريق الذي يطالب بالانتقام، لأن الأهداف استنفذت ولم يبق قاعدة ولا طالبان لأن تضرب.

ولعل هذا الخلاف وما يصاحبه من إحباط كبير سيكون بذرة لتفكك أمريكا أو لانهيار انتاجها.

السيناريو الثاني: أن تكون للضربة آثار أكثر من مجرد تدمير وقتل لعدد من الأمريكان، مثل لو صح احتمال السلاح النووي أو ما يسمى بالقنبلة القذرة التي تنشر كمية هائلة من المواد المشعة على مساحات شاسعة.

هذا النوع من الحدث يؤدي لتعطيل العمل في مدينة كاملة، فلو حصل هذا الحادث في مدينة حساسة اقتصادياً مثل نيويورك أو لوس أنجلوس فلربما ينهار الاقتصاد الأمريكي ويتشرد الملايين من سكان مدينة كبرى.

وإذا صاحب هذا التشريد الإحباط الذي ذكرناه سابقاً والخلاف حول ما يجب عمله تجاه الضربة، فسيكون تراكماً لانهيار اقتصادي واجتماعي ولا يستبعد أن يتبعه تفكك سياسي.

السيناريو الثالث: أن تكون الضربة مصحوبة أو متبوعة بعمليات أخرى في العالم ضد أنظمة أخرى، ويكون التوقيت مقصوداً سواء من جهة كون الأمريكان منشغلين بأزمتهم الداخلية أو من جهة انهيار هيبة الأنظمة بسبب انهيار هيبة سيدها.

ويصعب تصور أمريكا تستطيع أن تدير أزمات هائلة وهي تعيش تحت وطأة ضربة من جنس من ضربة سبتمبر أو أقوى.

أما الأنظمة الأخرى فرغم أنها لا تعتمد على أمريكا في أمنها السياسي الداخلي، إلا أن سقوط هيبة أمريكا واستعداد الشعوب للتحرك وتغير الولاءات داخل الأجهزة الأمنية ستساهم بشكل كبير في إضعافها أو إسقاطها.

السيناريو الرابع: أن تحصل حوادث كبيرة في أجزاء حساسة من العالم – سواء بتخطيط القاعدة أو دون تخطيطها – قبل ضربة أمريكا، مثل اندلاع الحرب بين باكستان والهند، ومثل وفاة الملك فهد ونشوب خلاف بين آل سعود، أو مثل انهيار سلطة عرفات في فلسطين.

هذه الحوادث لوحدها ستربك أمريكا وستجعلها مشلولة في التعامل معها، فكيف لو انشغلت أمريكا بعدها بضربة داخلية؟

السيناريو الخامس: أن ينجح الأمريكان في منع الضربة القادمة، وربما يعثروا على ابن لادن والظواهري والملا عمر.

هذا الاحتمال سيحمي أمريكا من الضربة، لكنه لن يحميها من تداعيات هائلة تأتيها بسبب التجييش الذي تكون في العالم الإسلامي ضدها.

ويصر الذين يزعمون أنهم على معرفة بخفايا القاعدة أن تنظيم القاعدة قد وضع بدائل للعملية لو تم كشفها.

المشهد المستقبلي..

تداعيات أخرى:

أوربا: إذا حصلت ضربة أخرى فلا شك أن التوازنات العالمية ستتغير بشكل كبير، سوف تقتنع أوربا أنها لا يمكن أن تجاري أمريكا إلى الأبد، وعليها أن تغازل العالم الإسلامي حتى لا يأتيها نصيبها من الدمار.

يجب أن نعلم أن هذه الدول ترسم مستقبلها بناءً على المصالح، وليس بناءً على قيم ومبادئ تضحي من أجلها.

المجتمعات الإسلامية: إذا حصلت ضربة أخرى فلن يكون هناك شك هذه المرة أنها من تنظيم ابن لادن مقارنة بالشك بعد ١١ سبتمبر.

وبعد حالة الاحتقان والغضب الهائل ضد أمريكا عند المسلمين فستشكل هذه الحادثة شعوراً بأن المواجهة التاريخية مع أمريكا قد حسمت لصالح الإسلام، وأن الدمار حل بأمريكا رغم أن الذي يحاربها أشخاص مطاردون محاصرون.

وبغض النظر عن الموقف الشرعي والقيمي من الحادث، فإن آثاره ستكون شحناً لحقنة هائلة مفاجئة من الثقة في نفوس المسلمين، وحشداً جديداً لهم في عمل استقطابي ضد أعداء المسلمين في كل مكان.

بؤر الصراع الأخرى: سيؤثر حصول الضربة في بؤر الصراع الأخرى في العالم الإسلامي مثل الشيشان وكشمير والفلبين بطريقة تساهم في تحسن الكفة لصالح الطرف الإسلامي.

الأرجح المرجح أن يكون المشهد معقداً جداً ومتشابكاً، لأن المعطيات متوفرة لحصول قلاقل في باكستان وفلسطين وبلاد الحرمين قبل أو بعد ضربة حتمية في أمريكا.

ويبدو بعد هذا التعقيد أن الأمور ستكون بعيدة جداً عن سيطرة أمريكا على الموقف، لأنها ستعيش أزمة داخلية هائلة لا نظن أنها تستطيع أن تتعافى منها، فضلاً عن أن تستطيع أن تدير أزمة خارجية).

إن للحق ثورة وضراما ... ليس تبقي للجاهلي نظاما
لا يغر الطغاة غفلةُ شعبي ... إن للشعب صحوة وانتقاما
أيها القابعون فوق خليجي ... إن تحت الأقدام ناراً ترامى
أيها الكارعون نفط بلادي ... إن ما تكرعون سماً زؤاما
أيها الحاكمون في كل أرضي ... قد أمطنا عن الوجوه اللثاما
قد كفرنا بكم جميعاً ... فأنتم سر مأساتنا ولن نتعامى
سائلوا أنور الخيانة عنا ... يوم ألقى إلى اليهود السلاما
كان يسقى من الكؤوس مُداما ... فسقيناه بالمنايا سهاما
لعبة الصلح مع يهود استبانت ... وأزاحت عن العيون الغماما
فارقبوا زلزال العروش قريباً ... إن نار الشعوب أمست ضراما

ولئن غابت الخلافة دهراً فقريباً نقيم فينا إماما
يطرد الخائن العميل بجيش يحمل الدين فكرة ونظاما
يا لصوص الظلام عيثوا فساداً إن خلف الظلام فجراً ترامى

مقالات حول الإمام أسامة بن لادن وتنظيمه

كُتبت مقالات كثيرة هادفة من أدباء أجلاء ومفكرين نبلاء عبر الشبكة العنكبوتية، ومع تزاحم المعلومات على الشبكة ضاعت تلك المقالات، لولا أن الله أراد لها الحفظ بمثل الاسطوانات التي قمنا بجمعها ووضعنا فيها كل مفيد للأمة وهي المسماة بـ (طريق العزّة)، وحرصاً منا على استفادة القارئ اخترنا المناسب منها لوضعه في هذا الكتاب [١]:

(إن صور الربيع في البيان الإنساني على اختلاف الأرض والأمم تكاد تكون بعدد أزهاره، ويكاد الندى ينضرها حسناً كما ينضره.

ولهذا ستبقى كل حقيقة من الحقائق الكبرى؛ كالإيمان والجمال والحُب والخير والحق، ستبقى محتاجة في كل عصر إلى كتابة جديدة من أذهان جديدة.

ونقل حقائق الدنيا نقلاً صحيحاً إلى الكتابة أو الشعر هو انتزاعها من الحياة في أسلوب، وإظهارها للحياة في أسلوب آخر يكون أوفى وأدق وأجمل؛ لوضعه كل شيء في خاص معناه، وكشفه حقائق الدنيا تحت ظاهرها الملتبس، وتلك هي الصناعة الفنية الكاملة تستدرك النقص فتتمه، وتتناول السر فتعلنه، وتلمس المقيد فتطلقه، وتأخذ المطلق فتحده، وتكشف الجمال فتظهره، وترفع الحياة درجة في المعنى، وتجعل الكلام كأنه وجد لنفسه عقلاً يعيش به.

فالكاتب الحق لا يكتب ليكتب، ولكنه أداة في يد القوة المصورة لهذا الوجود، تصور به شيئاً من أعمالها فناً من التصوير.

---

[١] وحي القلم (١/ ١٥ - ١٧) بتصرف.

لا يخلق الأديب أبداً إلا وفيه أعصابه الكهربائية، وله في قلبه الرقيق مواضع مهيأة للاحتراق، تنفذ إليها الأشعة الروحانية وتتساقط منها بالمعاني.. ويلقى فيها مثل السر الذي يلقى في الشجرة لإخراج ثمرها.

ربما عابوا السمو الأدبي لأنه قليل، ولكن الخير كذلك، وبأنه مخالف، ولكن الحق كذلك، وبأنه محير، ولكن الحسن كذلك، وبأنه كثير التكاليف، ولكن الحرية كذلك.

إن لم يكن البحر فلا تنتظر اللؤلؤ، وإن لم يكن النجم، فلا تنتظر الشعاع، وإن لم تكن شجرة الورد، فلا تنتظر الورد، وإن لم يكن الأديب أو الشاعر الإسلامي، فلا تنتظر الأدب).

ويقول سيد قطب رحمه الله [١]: (حين تستقر الروح على منهج الإسلام، وتنضج بتأثراتها الإسلامية شعراً وفناً، وتعمل في الوقت ذاته على تحقيق هذه المشاعر النبيلة في دنيا الواقع، ولا تكتفي بخلق عوالم وهمية تعيش فيها، وتدع واقع الحياة كما هو مشوهاً قبيحاً..

حين يكون للروح منهج ثابت يهدف إلى غاية إسلامية، وحين تنظر إلى الدنيا فتراها من زاوية الإسلام، في ضوء الإسلام، ثم تعبر عن هذا كله شعراً وفناً).

---

[١] في ظلال القرآن (٥/ ٢٦٢٢).

١- ظاهرة أمريكا وظاهرة بن لادن [١].

(منطق تجاوزته الأحداث: لم يعد مهماً إن كان ابن لادن خلف هذه العملية أو ليس خلفها ما دامت التداعيات تترتب الآن على أساس أنه خلفها.

ومع ضخامة هذه التداعيات يجد المرء نفسه مضطراً للتعامل مع الافتراضية الأمريكية، لأن هذه الافتراضية طغت بشكل عارم على منطق الدليل والأدلة واليقين والتأكد، وأصبحت بمثابة حقيقة يجب التعامل معها.

وبسبب هذا الحجم من تحميل ابن لادن المسؤولية من جهة، وكون الأحداث ذات صلة وثيقة ببلادنا من جهة أخرى، لا يسعنا في الحركة إلا أن نعطي الأمر ما يستحقه من اهتمام في تحليل طويل في هذه النشرة.

قبل وبعد الثلاثاء.. أسطورة المخابرات:

قبل الثلاثاء كنا نعتقد أن المخابرات الأمريكية وأجهزة جمع المعلومات ورصد نشاط الأعداء أجهزة ترصد دبيب النمل في غابات الأمازون وهمس رجال الطوارق في الصحراء الكبرى، وكاد البعض يقرّب قدرات هذه الأجهزة – والعياذ بالله – من قدرات رب العالمين.

يوم الثلاثاء عرفنا الحقيقة، المخابرات الأمريكية ليست إلا ديناصور لديه أقمار صناعية وأجهزة حاسب آلي متطورة.

وأياً كان من خلف هذا العمل المعقد الذي يحتاج إلى وقت طويل وتفاصيل كثيرة في الإعداد والتنفيذ، فالحدث في حقيقته فضيحة مخجلة للأمريكان، لكن إن كان اتهام ابن لادن صحيحاً فهي فضيحة مركبة؛ لأن هذه الأجهزة كانت كلها مستنفرة ضد ابن لادن

---

[١] نشرة الإصلاح العدد ٢٨٢ بتاريخ ١٧ سبتمبر ٢٠٠١م.

من أجل متابعته ومتابعة رجاله، وكان حصاد عملها أن ضرب ابن لادن في عقر دار أمريكا هذه الضربة المتقنة بتفاصيلها دون أن تكون لدى هذه الأجهزة أدنى طرف علم أو استعداد أو حذر منها.

لقد كانت الحصيلة أن تضخم ابن لادن هذا التضخم الكبير حتى ضرب البنتاجون ومركز التجارة، وانكمش أداء أجهزة المخابرات الأمريكية إلى الصفر.

قبل وبعد الثلاثاء.. أسطورة البلد المنيع:

لقد عشنا سنين نعتقد أن أمريكا لديها من الإمكانيات والقدرات ما تستطيع به أن تحمي الكرة الأرضية كلها من نيزك قادم من الفضاء، وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي ترسخت هذه القناعة عند الناس، حتى باتت الولايات المتحدة أكثر الأماكن أمناً في العالم من هجوم خارجي،ورومهما شطح الخيال في أذهان الناس فلن يتصوروا أن البنتاجون أحصن قلعة في العالم سيكون هدفاً لهجوم ناجح.

يوم الثلاثاء كانت الفضيحة مركبة أيضاً، لماذا؟ لأن الحدث لم يكن مجرد عجز عن حماية البنتاجون، بل لأنه مضى من الزمن ما يكفي لاستعداد الجهات الأمريكية المختصة لاتخاذ إجراءات لحماية البنتاجون بعد أن ضرب مركز التجارة بطيارتين.

فإن كانت هذه الأجهزة "الجبارة" عاجزة عن حماية البنتاجون نفسه، فكيف تستطيع حماية بقية أمريكا أو بقية مصالح أمريكا في العالم؟

قبل وبعد الثلاثاء.. أسطورة الاستراتيجية:

لقد عشنا سنين نعتقد أن الولايات المتحدة درة الغرب، تبني قرارها السياسي وتخطيطها الاستراتيجي على الصورة الكلية للواقع، وتستشرف المستقبل من خلال دراسة متأنية له ومراعاة كافة العوامل المؤثرة فيه بما في ذلك العوامل الاجتماعية والحضارية والتاريخية.

وكان اعتقادنا أن الأجهزة والمؤسسات الأمريكية "المهيبة" لديها، أولًا القدرة الهائلة على جمع المعلومات، وثانيًا القدرة على حسن التعامل مع هذه المعلومات، وثالثًا القدرة الرهيبة من خلال هذه المعلومات على استشراف المستقبل.

وتفنن المفكرون العرب في وصف آلية الحكم الأمريكية بكونها تصهر العقول والطاقات في عميلة جماعية وتوفر الوسيلة المثالية في تفعيل هذه القدرات والمعلومات لإصدار أو إنتاج أفضل قرار ممكن لمصلحة الأمة أو الشعب.

بعد الثلاثاء ومن خلال ردود الفعل الأمريكية انهار كل هذا الاعتقاد، وتبين أن أمريكا قد اختزلت وتضاءلت في شخصية الكاوبوي (رعاة البقر) الذي لا يحسن إلا ردة فعل واحدة هي سحب المسدس.

تفسير غير أمريكي:

نحن الآن إذن أمام حقيقة يصعب إنكارها أو المكابرة فيها، وهي أن الأسلوب الأمريكي في فهم المسألة والتعامل معها فيه فشل مبدئي أساسي، وليس فشلاً في بعض التفاصيل.

والمشكلة الأكبر بالنسبة للأمريكان أنهم لا يريدون أن يعترفوا بذلك، ولا يراجعوا أنفسهم، ويصرون على اعتبار المسألة مجرد تأخر في حسم عسكري كان يجب أن يتم.

بالأمس قلنا إن كان ابن لادن هو الذي خلف حادثي كينيا وتنزانيا فقد نجح في تحويل الآلة الأمريكية الجبارة إلى شركة علاقات عامة كبيرة وفعالة لمشروعه حين استدرجهم للرد عليه، ومن ثم اعتباره الخطر الأول على أمريكا.

وقد استمرت هذه الآلة الجبارة تعمل لصالح ابن لادن خلال السنوات الماضية، حتى أتى يوم الثلاثاء ليثبت أن الجهد الأمريكي في احتوائه أدى إلى أن يقتحم داخل أمريكا ويضرب صروحها الاقتصادية والعسكرية بإتقان ونتائج كارثية عليها.

والآن وبعد يوم الثلاثاء تنفذ أمريكا الجزء الأخير من استراتيجية ابن لادن، وهو استدراجها لأن تدخل في حرب شاملة مع المسلمين، فيتجيش المسلمون ضدها بشكل عسكري بعد أن تجيشوا بشكل عاطفي.

فما هو الخطأ المبدئي في العقلية الأمريكية الذي جعلها تتحول مرتين إلى أداة لتنفيذ استراتيجية ابن لادن؟

الخطأ ذو شقين أولها: أن أمريكا عجزت أن تفهم القضية كظاهرة.

وثانيها: أن أمريكا أغرقت في الغرور والكبرياء والغطرسة، لدرجة تمنع أن تتراجع وتعترف بهذا العجز وتستعد لفهم القضية في إطارها الصحيح.

وفي نظرنا فإن فهم ابن لادن في إطار الظاهرة يبين كيف تحولت أمريكا إلى شركة علاقات عامة جبارة رغماً عنها لخدمة ابن لادن.

ابن لادن الظاهرة.. محاولة فهم:

صحيح أن ابن لادن محارب جيد، مخلص لمبدئه، مضح في سبيله، يحسن تدبير العمليات ضد خصومه، لكن اعتبار أن هذا هو تفسير حالة ابن لادن اختزال غبي ويدل على غياب كامل عن ميدان الأحداث الاجتماعي والحضاري والتاريخي في المنطقة.

والحقيقة أن الواقع والمعطيات التاريخية والاجتماعية والسياسية التي ظهر فيها ابن لادن تحتوي على كل الأركان التي تجعل ابن لادن الأداة الخاصة التي تحول هذه المعطيات إلى مشروع متكامل بشكل تلقائي.

الركن الأول: أمريكا مكروهة.

من المفارقات أن الناس في المملكة من أشد الناس بغضاً لأمريكا، حتى من الفلسطينيين، وقد علمت الحركة أنه بعد حادث الثلاثاء كانت أول ردة فعل في الشارع السعودي هي تبادل عدد هائل من الرسائل المكتوبة في الهواتف المحمولة تبارك وتهنئ بما حصل.

كمية العداء لأمريكا في المنطقة خاصة في المملكة وفلسطين لا تعرف عنها أمريكا إلا القليل، والذي يضع مسألة بغض أمريكا في سياق الظاهرة الطبيعية لعداء الدولة العظمى مخطئ، لأن هذا يمكن أن يفسر بغض الأوربيين أو سكان أمريكا اللاتينية لكن لا يفسر البغض العميق لأمريكا من قبل المسلمين وبالذات العرب.

المسلمون ينظرون لأمريكا من عدة زوايا كل واحدة منها تكفي لعداوة استراتيجية تصنع هذا البغض والغضب والاستعداد للتشفي.

المسألة الأولى: هي القضية الفلسطينية، فالناس عندنا يعتبرون أمريكا بكل جبروتها السياسي والعسكري والمالي ألعوبة بيد إسرائيل وليس العكس.

ومع ظهور انتفاضة رجب تضخمت هذه المسألة لأنها أصبحت مليء سمع الناس وبصرهم وتحولت إلى أولوية كبرى لشرائح كبيرة من الناس.

المسألة الثانية: هي الإصرار على حصار العراق وتجويع شعبه وقتل أطفاله، وتبرير ذلك بمبررات مرفوضة مطلقاً، واعتبار قتل الأطفال أمراً مقبولاً أخلاقياً كما قالت مادلين اولبرايت.

المسألة الثالثة: هي الإصرار على وجود عسكري في بلاد الجزيرة العربية التي لها قداسة خاصة عند كل المسلمين ولها حكم خاص حول وجود غير المسلمين فيها.

وهذا الإصرار خاصة مع ما يصاحبه بأنه قاعدة لضرب العراق باستمرار ينظر له المسلمون كإهانة وتحد مباشر لمشاعرهم ودينهم.

المسألة الرابعة: وهي خاصة بأهل المملكة تقريباً، هو الاعتقاد بأن الأمريكان متآمرون مع الحكام لسرقة ثروات المسلمين ورهن الخيرات التي في باطن الأرض للبنوك الأمريكية والغربية.

هذه المسائل ليست أمراً حصل وانتهى ونساه الناس، بل هي أمر مستمر متصاعد يغذى يومياً، ويرى الناس آثاره التي تؤجج المشاعر ضد أمريكا.

الركن الثاني: تنامي الشعور الديني كهوية خلال العقدين الماضيين.

حصلت تحولات كبرى في التوجه الإسلامي والحرص على الهوية الدينية والنظر للحياة من منظارها، ولقد ساعدت مجموعة من الظروف والحوادث الكبرى على ترسيخ هذه التحولات وإدخال عامل سياسي واضح فيها.

من هذه التحولات ظاهرة الجهاد الأفغاني وطرد الاتحاد السوفيتي من أفغانستان، ومنها تصاعد الانتفاضة الأخيرة، ومنها ظاهرة الجهاد في الشيشان واستمراره، ومنها ظواهر ثقافية وفكرية واجتماعية كثيرة.

الركن الثالث: خيانات القيادات السياسية أمام هذا الجبروت الأمريكي.

يعاني المسلمون من قيادات سياسية ينظر لها في المنطقة كقيادات خائنة للدين والوطن، والأمة منبطحة في أحضان الأمريكان غير قادرة على أن تخرج من الفلك الأمريكي.

هذه الخيانات – كما تراها الشعوب – ضخمت الكراهية ضد أمريكا، وأوجدت خيبة أمل عند الناس في الأجهزة السياسية بخصوص القضايا المصيرية والمبدئية، وصورة نمطية عندهم أن الحاكم يعني الخيانة والانبطاح.

هذا اليأس من الحكام بل وإدراجهم في خانة التآمر مع الأمريكان جعل التطلع لعمل خارج إطار النظم السياسية أمراً طبيعياً في أذهان المسلمين، ومن هنا أتت شعبية حماس والجهاد الإسلامي وغيرها.

وفي مقابل خيانة القيادات السياسية كانت بعض القيادات الاجتماعية والدينية والحزبية تطلق شعارات كثيرة ضد أمريكا والغرب، لكن إما أن يكون تاريخ هذه القيادات غير نظيف أو أن تكون بضاعتها الشعارات فقط أو أن تكون عاجزة أن تعمل شيئاً حتى لو كانت حريصة على عمل شيء.

الركن الرابع: شخصية ابن لادن.

كان التعطش إذن مع هذه الكراهية الشديدة لأمريكا والحنق عليها، والشعور العدائي تجاهها لشخص غير عادي بسجل قتالي وملف نظيف وثبات عظيم على المبدأ، وفي نفس الوقت تشبّع برنامجه الحركي بالعداوة لأمريكا وتفرغه لها، ولا يعرف الناس أحداً في العالم

العربي لديه هذه الصفات مثل ابن لادن الذي كان لسجله الشخصي في أفغانستان دور كبير في المصداقية.

في أعين الناس ترك ابن لادن حياة النعيم في المملكة، وسخر نفسه وماله للمبدأ الذي يؤمن به واختار بإرادته، أن يتفرغ للجهاد في أفغانستان، ثم أصر على تبني محاربة الأمريكان، واضطر للعيش ملاحقاً في أكثر من بلد بسبب ثباته على المبدأ.

الركن الخامس: الدور الأمريكي.

كل الأركان المذكورة أعلاه لم تكن تكفي لإكمال عقد الظاهرة التي نتحدث عنها دون تدخل من الأمريكان أنفسهم، كيف؟

أي شخص يعادي أمريكا، بل وحتى أن يقوم تجاهها بعمل معين لا يمكن أن يشبع تعطش المسلمين الحانقين على أمريكا فعلاً، إلا إذا أعطت أمريكا هذا الشخص شهادة إثبات أنه آذاها فعلاً.

هذه الشهادة ربما كانت هي الحلقة التي كانت ناقصة وتم إكمالها في سبتمبر ١٩٩٨م، بعد أن وقف كلينتون على المنصة وردد اسم ابن لادن عدة مرات مدعياً أنه أرسل الصواريخ لضرب قواعد ابن لادن في أفغانستان.

الضربة المقابلة من قبل الأمريكان لابن لادن، واعتراف رئيس أمريكا بأن ابن لادن هو الذي آذى أمريكا؛ كانت التوثيق الرسمي الأول من قبل الأمريكان ومن أعلى سلطة أمريكية لابن لادن أمام كثير من المسلمين الذين يبغضون أمريكا بأن ابن لادن هو المخلص المنتظر.

بعد ذلك استمرت الآلة الأمريكية السياسية والإعلامية والاقتصادية الجبارة في التعامل مع ابن لادن باعتباره الخطر الأول على أمريكا، وبذلك تحولت إلى ما وصفناه بأفضل شركة علاقات عامة لصالح ابن لادن، تجيش المسلمين خلف ابن لادن وضد أمريكا.

ولعل الذين يتذكرون انفجاري نيروبي ودار السلام بإمكانهم أن يتذكروا كيف أن الجدل الكبير الذي دار حول شرعية ضرب هذه الأهداف انتهى فجأة بعد أن ضرب الأمريكان السودان وأفغانستان، وانقلبت العاطفة بقوة في الشارع العربي لصالح ابن لادن.

ومنذئذ استمرت ظاهرة ابن لادن في العمل، واستمر ابن لادن يجني ثمارها لأنه هو الذي يدير الاستراتيجية، والأمريكان يجنون فشلهم، لأنهم هم الذين يطبقون الاستراتيجية.

أمريكا تنفذ مرحلة أخرى من خطة ابن لادن:

إن صحت مزاعم الأمريكان حول اتهام ابن لادن في الحادث الأخير، فإن تصرفات الأمريكان المتوقعة كرد فعل على العملية ستنفذ بالحرف ما يريده ابن لادن.

ابن لادن يؤمن بأن الهدف النهائي هو مواجهة شاملة مع أمريكا، ويعلم أنه لا يستطيع أن يصنع هذه المواجهة الضخمة بمجرد الدعاية والحديث، ولا بإعلانها من قبل دولة إسلامية.

وابن لادن يعرف أنه يستطيع أن يستدرج أمريكا بسهولة مثلما عمل في حادثي نيروبي ودار السلام لأن ترد عليه، لكن هذه المرة بحجم كبير وشامل يوازي ضخامة الحدث الذي حصل، وستضطر الولايات المتحدة في رد فعلها لأن تجيش الجيوش وتعقد الأحلاف وتضخم القضية، وسيصب كل ذلك في خانة ابن لادن من ناحية المصداقية والقوة وتجييش الناس بشكل أكبر ضد أمريكا وضد الحكومات المتحالفة معها.

أما الضربة العسكرية فإما أن تكون ضربة محدودة ترفع أسهم ابن لادن ولا تقدم شيئاً لأمريكا، أو تكون تدميراً كاملاً لأفغانستان، وهذا قطعاً سيربك الوضع في المنطقة بشكل كبير، وربما يتسبب في سقوط أنظمة كاملة وخاصة نظامنا، أو يكون اجتياحاً أرضياً، وهو أحب ما يتمناه جماعة ابن لادن والطالبان والأفغان بعد أن جربوا مع الروس الذين يعتبرون أشد وأعتى من الأمريكان وأكثر استعداداً لاستخدام الأسلحة المحرمة.

الوضع في بلادنا وموقف ابن سعود:

بعد الحادث تسابقت الجهات الرسمية لشجبه واستنكاره، وصدر عن الشيخ اللحيدان والمفتي بيانات في هذا الاتجاه، وصدر كذلك عن علماء خارج المملكة، لكن المسألة في الشارع لم تكن بهذه البساطة.

لقد تحدث الإعلام عن مظاهر البهجة في فلسطين بعد حادث الثلاثاء، لكنه لم يتحدث عن مظاهر البهجة في المملكة لأنها بلد مغلق إعلامياً ولا يستطيع أحد أن ينقل هذه المظاهر إلا بشكل وصفي.

وحسب ما علمت الحركة فإنه قد وجد ما يشبه الإجماع في الشارع في تأييد ابن لادن، تمثل في أشكال كثيرة دلت على تأييد عارم لابن لادن وتشفّ كبير من أمريكا.

إضافة لذلك صدرت عن جهات شرعية مستقلة في داخل المملكة وخارجها فتاوى تعتبر التعاون مع أمريكا خيانة للإسلام والمسلمين وعمل منكر، بل وموالاة للكفار، وهي من نواقض الإسلام.

هذه الأمور تشكل حرجاً ضخماً للنظام، إضافة لحرج أساسي هو كونه يرفع شعار الإسلام مقابل أن أمريكا لم تخفف ما تقوم به مما يستخدم كمبرر من قبل جماعات ابن لادن، بل ربما زادت علامات ذلك خاصة في فلسطين.

حرج آخر يعيشه النظام هو أن عدداً كبيراً من المتعاطفين مع ابن لادن يعيشون داخل المملكة، ولا يعرف النظام الكثير عن امتدادهم ومستوى تدريبهم واستعداداتهم ومدى استعدادهم لعمل شيء عند اللزوم.

الخيارات السعودية:

في هذه الظروف الصعبة يتعرض النظام لضغط من أمريكا للتعاون على طريقة من لم يكن معنا فهو ضدنا فماذا سيفعل؟ النظام مطلوب منه التعاون على ثلاث مستويات:

أولاً: تسليم كل ما لديه من معلومات استخباراتية عن الجماعات الجهادية للأمريكان.

ثانياً: تسليم بعض الأشخاص المطلوبين بذاتهم لأمريكا.

ثالثاً: المشاركة عملياً في أي حرب ضد طالبان أو غيرها.

رابعاً: تقديم تسهيلات لوجستية للجيش الأمريكي في المنطقة.

أما الخيار الأول والثاني فلن ينفذه آل سعود مهما كان الضغط الأمريكي، ليس لأنهم يتذرعون بالسيادة، بل أولاً خوفاً من أن يطلع الأمريكان على حقيقة هذه الجماعات ويفقدون الثقة في آل سعود بعد ما يرون امتداد هذه الجماعات، وثانياً خوفاً من أن تجر هذه العملية خيوطاً تجعل دفاتر الداخلية السعودية كلها مفتوحة للأمريكان، لأنه إن فتحت الصفحة الأولى فتحت الصفحة الأخيرة.

الخيار الثالث مستحيل كذلك لأنه سيقضي على البقية الباقية من شرعية النظام السعودي، وفيه مخاطرة على كل حال، فمن أين يأتي آل سعود بالجنود والضباط الذين سيشاركون في حرب ضد الأفغان وضد ابن لادن من أجل خاطر أمريكا؟

أما الخيار الرابع فهو الوحيد الممكن، بشرط أن تقوم به أمريكا بطريقة غاية في السرية، ولا يساهم فيه إلا عدد محدود جداً من القوات والمسؤولين السعوديين، لأن أي سعودي في هذا التعاون هو خطر كامن يمكن ينقلب على الأمريكان في أي لحظة.

كيف نضع كل شيء في السياق؟.

إن صح ما جاء في برنامج بانوراما بأن الأهداف ربما كانت مقصودة بصفتها الرمزية، فإن ما حصل يوم الثلاثاء لم يكن مجرد طائرات تتحطم على بنايات أبداً.

لا بد أن مبنى التجارة العالمي كان مستهدفاً لكونه الرمز الاقتصادي لأمريكا، والبنتاجون مستهدف كذلك بصفته الرمز العسكري لها، وربما كان هناك هدف ثالث مثل البيت الأبيض أو الكونجرس كرمز سياسي.

ومع طبيعة الإعلام العالمي في تسابقه لتصوير الأحداث بما فيها انهيار برجي مبنى التجارة بطريقة مريعة وإعادة بث كل ذلك مئات المرات على شاشات التلفاز، فقد ترك ذلك أثراً نفسياً يتوقع أن يؤدي إلى تضعضع هيبة الولايات المتحدة خاصة في نفوس المسلمين المتشفين.

وإذا تضعضعت هيبة السادة، فمن باب أولى أن تتضعضع هيبة حكام المنطقة العبيد، وخاصة حكام المملكة الذين يعتمدون اعتماداً كبيراً على أمريكا في حكمهم.

٢- ابن لادن وأمريكا من سينتصر؟ [١]

(قسم ابن لادن والحلم الأمريكي: (أقسم بالله العظيم، رافع السماوات بغير عمد؛ لن تحلم أمريكا، ولا من يعيش في أمريكا بالأمن، قبل أن نعيشه واقعاً في فلسطين، وقبل أن تخرج الجيوش الكافرة من أرض محمد ﷺ).

لم تبق لغة مشهورة في العالم إلا ترجمت لها هذه العبارة، ولم يكد يبقى شخص في العالم إلا سمعها بلغته، لكن الوقع الأكبر لهذه العبارة كان على فريقين من الناس أصاب فيهم وتراً حساساً جداً.

الفريق الأول: هم الأمريكان الذين جربوا ابن لادن دون أن يقسم، ورأوا ماذا عمل دون تعهد، فكيف وقد أقسم بالله العظيم؟

لقد كان الحلم الأمريكي رمزاً للنجاح في الحياة الدنيا ببيت نظيف وسيارة فارهة وحياة مريحة ووظيفة مرموقة، وحلم ببلد مستقر متماسك آمن.

والأمريكي يعرف أن شخصيته وهويته جديدة على التاريخ، وأنه لم يحقق حلمه بعد حتى يطول المدى بأمريكا وأهلها لأجل أن تصل لذلك.

هذا ما تعارف الناس من أمريكان وغيرهم بتسميته الحلم الأمريكي، أو الأمل الوطني لكل أمريكي أو مهاجر لأمريكا، وهو مبني على معطيات دنيوية ترفيهية، لا على معطيات روحية أو أجر وثواب وجنة بعد الممات.

كيف لهذا الأمريكي وهو يعيش بمفهوم الحلم الدنيوي أن يواجه شخصاً أو جماعة تبحث عن الموت مثلما يبحث هو عن الحلم الأمريكي؟

---

[١] نشرة الإصلاح العدد ٢٨٥ بتاريخ ٨ أكتوبر ٢٠٠١م.

لقد وقعت هذه العبارة وقع الصاعقة على الجمهور الأمريكي، وستصبح كابوساً مخيفاً يحاصرهم في صحوتهم ومنامهم.

ولقد عبر الكثير منهم فعلاً عن هذا الشعور بما يعني أن هناك رعب حقيقي من هذه العبارة.

قسم ابن لادن والحلم المسلم:

أما الفريق الثاني: فهم المسلمون، وخاصة العرب من المسلمين الذين عاشوا عقوداً تحت كنف حكام يتسابقون في النذالة والعمالة والخيانة، ورأى هؤلاء ابن لادن وهو يقسم بهذه العبارة بطريقة كلها عزة وثقة بالنفس وتعال على الأمريكان وشعور بأنه هو الطرف القوي المتمكن.

المسلمون وخاصة أهالي جزيرة العرب الذين ينظرون لحكامهم وقد فتحوا عذرية بلادهم الطاهرة المقدسة لجيوش الكفار، وتآمروا مع الأمريكان في نهب مقدرات الأمة وسلب خيراتها، وتآمروا مع الأمريكان على بيع فلسطين وإهانة المسجد الأقصى وحماية اليهود من طلائع الجهاد، وتآمروا مع الأمريكان في حصار شعب مسلم وقتله جوعاً ومرضاً، هؤلاء وقعت منهم كلمة ابن لادن موقعاً عظيماً، حتى قال بعضهم إنه يفتخر لأول مرة بأنه مسلم بعد أن انتقل إليه الإحساس بالثقة بالنفس والقناعة بالنصر والتمكين والشعور بعظمة الإسلام وتفاهة أمريكا كما يقول الكثير منهم.

ويصف البعض ما حصل بأنه أعظم هزة في شعور للمسلمين بهويتهم منذ سقوط الخلافة الإسلامية.

ويبدو أن توقيت إعلان كلمة ابن لادن المسجلة وطريقة عرضها كانت مدروسة من أجل أن تعطي أكبر تأثير نفسي ممكن، وقد حصل.

وعلمت الحركة أن آثار الكلمة على الناس تجاوزت كل التوقعات، ولم يكد الناس يسمعوا ابن لادن وهو يقول القسم حتى ظهرت العبارة على شكل رسالة في كثير من أجهزة الهاتف النقال.

ولا تزال أصداء هذه العبارة تتلجلج في العالم الإسلامي، حتى كادت أن تصبح عبارة مقدسة.

ابن لادن لا يزال الكاسب:

كما ذكرنا في النشرة الأولى بعد بداية الأحداث من أن أمريكا تنفذ بالحرف استراتيجية ابن لادن، ونقول الآن إن بداية الضربة العسكرية الأمريكية ليست إلا استمراراً في تنفيذ استراتيجية ابن لادن من قبل الأمريكان.

ولعل أشد ما كان سيحزن ابن لادن أن تعدل أمريكا عن قرار القتال وتقرر تناول القضية تناولاً سياسياً ودبلوماسياً.

لكن مراد ابن لادن تحقق وبالحرف، حيث قررت أمريكا المواجهة بطريقة عالية الصيت وجيشت الجيوش وجمعت الأحلاف لأجل ذلك.

وبقدر ما تريد أمريكا أن يفهم الناس أن هذا التجييش عبارة عن حلف ضد الإرهاب، فإن العالم الإسلامي وخاصة العالم العربي وباكستان سيرى ذلك اجتماعاً لكل قوى الكفر والنفاق ضد رجل واحد.

ويبدو أن الأمريكان يحاولون أن يتناسون أن أمريكا ودول حلف شمال الأطلسي وروسيا والصين وأستراليا والدول العربية وغيرها من الدول، كلها تعاونت من أجل محاربة رجل واحد هو ابن لادن.

فإذا كانت أقوى دولة في العالم تحشد كل هذه الجيوش والقوى العالمية لحرب رجل واحد، فما هو يا ترى سر هذا الرجل الذي يستطيع أن يحارب العالم؟

وما دام هذا الرجل محارباً من العالم التابع لأمريكا، فما هي رسالة هذا الرجل إذن وماذا يريد؟

ثم إذا كانت أمريكا بكل قدراتها السياسية والعسكرية والاستخباراتية والمالية غير قادرة على حربه لوحدها، أفلا يكون هذا دليلاً على اعتراف منها أن الرجل أقوى منها، وأنها بحاجة للاستعانة بكل دول العالم الكبرى من أجل محاربته؟

وإذا كانت أمريكا تدرك أهمية ترميز الشخص عند المسلمين الذين يعانون من نقص في الأبطال، فلماذا تصر على حشد العالم كله ضده لولا أنها فعلاً محتاجة لهذا الحشد؟

بمعنى أن أمريكا حين تحشد هذه الأحلاف فهي بالضرورة تعترف حقيقة أن الرجل أقوى منها.

فهل هناك شك أن ابن لادن هو الكاسب لحد الآن؟

لا يزال يملك المبادرة:

حرص ابن لادن أن لا يبث الفيديو الذي بث أمس إلا بعد الضربة؛ دليل آخر على أنه لا يزال يملك المبادرة ويترك للخصم رد الفعل.

وإذا صحت نسبة انفجاري نيروبي ودار السلام لابن لادن وأحداث ١١ سبتمبر له كذلك، فإن هذا دليل على أنه هو الذي يبادر ويترك لخصمه رد الفعل.

وهذا الفيديو الأخير مبادرة لا توازيها ولا كل المؤتمرات الصحفية لبوش وأعضاء حكومته.

ولعل الأمريكان الآن يضربون أخماساً بأسداس في تفسير معنى القسم الذي أطلقه ابن لادن.

لكن الأمر الأخطر من ذلك، هو أن ابن لادن ما دام عنده هذه القدرة على المبادرة والتصرف إعلامياً أو عسكرياً بالوقت الذي يختاره، فماذا يا ترى خبأ ابن لادن للمرحلة القادمة في مواجهته مع الأمريكان؟

حسابات أمريكا.. القوة والنفوذ:

لم يكن هناك شك أن أمريكا ستضرب فعلاً، وما كانت دولة بحجم أمريكا وقناعتها بقوتها وتمكنها وسيطرتها على العالم وغرورها لأن تهدد كل هذا التهديد وتحرك الأساطيل والجيوش وتحزب الأحزاب وتؤلب قارات كاملة، ثم يكون كل ذلك مجرد استعراض وتخويف.

وعلى نفس القاعدة، فإن ضربة أمريكا لن تقف عند ضربات الجو التخويفية، بل سيكون حدها الأدنى هو نفس الهدف الذي وعدت به، وهو تحطيم القاعدة وابن لادن والقضاء على حكم طالبان.

وأمريكا لها حساباتها التي تقيسها حسب تجربتها وقدرتها العسكرية، وحسب ما أعدت من عدة وتحالفات وتكنولوجيا ومعلومات ومال وسلطة ونفوذ سياسي وإعلام وتمكن.

إذا قيست هذه الحسابات بالمقاييس الأمريكية أو العقلية الغربية أو حتى العقلية العربية التي تشربت بالطريقة الغربية في القياس، فإن أمريكا ستنتصر قطعاً وتسحق الطالبان والقاعدة.

أمريكا لديها الأدوات والإمكانيات التي ترصد بها تحركات ومواقع ابن لادن وقيادات الطالبان، ولديها الطائرات والصواريخ والقنابل الذكية التي تخترق الجبال وتستدل على طريقها

في الكهوف والأنفاق، ولديها الأسلحة المتطورة للقتال الفردي، ولديها الوحدات الخاصة التي يعد فيها المقاتل الواحد مكافئاً لفرقة كاملة.

ثم إن أمريكا ليست وحدها، فمعها أوربا وحلف شمال الأطلسي، ومعها كندا وأستراليا، ومعها مجلس الأمن، ومعها روسيا والصين، ومعها كل الدول المحيطة بأفغانستان بما فيها الباكستان، ومعها الدول العربية التي تقمع كل من يتعاطف مع ابن لادن، في حلف عالمي عظيم في مواجهة ابن لادن، ومعها أخيراً ما يسمى بتحالف الشمال داخل أفغانستان.

فإذا كانت كل هذه القوى متضامنة ضد ابن لادن، فلسان حال الأمريكان ومن معهم من العرب والعجم يقول، من هذا المجنون الذي يعتقد أن ابن لادن والطالبان سيصمدون؟

ويستخف الذين يرددون هذا الرأي بمن يدعي أن الأفغان هزموا الاتحاد السوفيتي، ويقولون إن ثبات الأفغان أمام الغزو الروسي لم يكن إلا بدعم أمريكي سعودي عربي باكستاني، وأما الآن فالروس وأمريكا وباكستان والعرب والسعودية كلهم ضد الطالبان وضد ابن لادن، فمن ينقذهم من هذا الحصار؟

حسابات الفريق الآخر.. الجغرافيا:

الطرف المقابل يراهن على عدة أمور، منها طبيعة جغرافيا أفغانستان، ومنها طبيعة المعركة، ومنها تداعيات المعركة في المناطق الأخرى التي ستربك أمريكا، ومنها الاعتقاد بتأييد إلهي.

الرهان الأول لابن لادن والطالبان هو على الصعوبة التي ستلاقيها أمريكا في الحرب في بلد جبلي وعر مثل أفغانستان.

ومع كثرة الوديان والجبال وبعد استبعاد خيار التدمير الشامل بقنبلة ذرية، فإن الأمريكان مضطرون لإنزال بري واسع إذا أريد لمنظمة القاعدة أن تنهار وللطالبان أن يقضى عليهم.

ومن المعروف أن أفغانستان من أصعب بلاد العالم من ناحية التضاريس، وقد حُفر في جبالها الآلاف من الكهوف والأنفاق خلال الحرب مع الاتحاد السوفيتي، فضلاً عن الكهوف الطبيعية.

حسابات الفريق الآخر.. لا شيء يخسر:

أعد الأمريكان آلتهم الحربية وخططهم العسكرية للتعامل مع خصم يشبههم من حيث العدة والعتاد، والبنية التحتية، والحد الأدنى من التركيبة المدنية والعسكرية التي تعتمد على الطرق والجسور وخطوط التموين ومراكز القيادة والمصانع والمصافي والأدوات الإعلامية والثكنات العسكرية والمعسكرات والمطارات.

أفغانستان لا يكاد يوجد فيها جسر ولا طريق سليم، ولا يوجد فيها أنظمة قيادة أو اتصالات ولا ثكنات عسكرية، كل ما فيها بضع مطارات لا تستخدم ولا نية لأن تستخدم.

من جهة أخرى فإن الطالبان لا يعتمدون في تموينهم ولا ترتيبهم العسكري على نظام تموين مركزي، ولا يزالون يقاتلون بنظام الوحدات المستقلة التي تتصرف حسب الظروف.

أمر آخر يدخل في نفس هذه المسألة، هو أن حالة الطالبان والقاعدة الطبيعية هي شظف العيش وقلة الأكل وخشونة الحياة وقلة المواد الغذائية، وتحولت طريقتهم في الحياة لما يمكن أن يسمى خطط الطوارئ التي لا تلجأ لها القوات الغربية إلا إذا انقطعت بها السبل، وغالباً لا يستطيع الجندي الغربي أن يعيش مثل هذه الحياة إلا أياماً معدودة.

إذن بناء على هذا الكلام، فإن أي قصف جوي سيكون ذا دور محدود جداً في هذه المعركة، وتبقى قيمته قيمة إعلامية وسياسية وليست عسكرية، ومهما عمل الأمريكان فلا مفر لهم من إنزال بري إن أرادوا لأهدافهم المعلنة أن تتحقق.

حسابات الطرف الآخر.. تداعيات المعركة:

مما يراهن عليه الطالبان وابن لادن أن الشعوب المسلمة يستحيل أن تبقى صامتة، ولا بد أن تتحرك بشكل أو بآخر في مناطق أخرى من العالم الإسلامي مثل المملكة والخليج أو باكستان.

وربما يعتقد الطالبان وابن لادن أن استمرار الهجمة العسكرية على أفغانستان والتغطية الإعلامية لها ستتسبب في تهييج كبير للشارع المسلم، وربما ثورات أو أعمال عنف ضد الحكام.

لكن ربما كان هناك ما هو أخطر من مجرد التعويل على ردود الفعل الطبيعية من قبل الشعوب، وهو الاستعداد من قبل منظمة القاعدة لتنفيذ عمليات نوعية كبيرة المستوى.

وعلى كل حال، فإن كانت القاعدة لديها القدرة على تنفيذ عملية معقدة وكثيرة التفاصيل مثل عملية ١١ سبتمبر دون أن يتسرب عنها شيء لأقوى وكالة استخبارات في العالم، فليس من الغريب أن تتمكن من تنفيذ عميلة أخرى لا تقل مفاجأة وقوة وتأثيرا.

وربما يعتقد ابن لادن أن ظهور أزمة أخرى في بلد آخر سيربك الأمريكان بطريقة خطيرة، خاصة أنه ثبت أنهم لا يستطيعون إدارة أكثر من أزمة كبيرة في وقت واحد.

حسابات الفريق الآخر.. الشجاعة والاستعداد للموت:

الطالبان والقاعدة ليس عندهم مشكلة في الموت، بل لديهم استعداد نفسي لأن يموتوا جميعاً في ساحة القتال.

وحسب كلام من يعرف القاعدة والطالبان، فإن أمنية العمر لديهم أن يقابلوا الأمريكان وجهاً لوجه في أفغانستان ويستمتعوا ويتلذذوا بقتالهم.

يصعب المقارنة بين تدريب شباب القاعدة ورجال الكوماندوز الأمريكان، لكن من الناحية النفسية لا نظن أن أحداً ينكر أن التماسك النفسي لشباب القاعدة وطالبان والإقدام والاستعداد للموت يفوق الوصف.

ولعل استعداد الشباب لأن يقتلوا أنفسهم فيما يظنونه شهادة في سبيل الله من أجل أن يحاربوا الأمريكان في عمليات سابقة؛ دليل على أن الموت خلال المعركة مع الأمريكان يصل إلى مستوى الأمنية لدى هذه المجموعات.

حسابات الفريق الآخر.. الدعم الإلهي:

هناك حسابات أخرى عند الطرف الآخر يصعب على أمريكا وأحلاف أمريكا بل ربما يستحيل أن يفهموها أو يتصوروها أو يعرفوا كيف يقيسوا بها، إلا إن دخلوا الإسلام!.

الطالبان والقاعدة يقولون إن النصر والهزيمة لا تأتي إلا من الله كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾.

ويقولون إن تجمع الأحزاب والأحلاف دليل الصدق والإخلاص، وهذه بشارة بالنصر، ويحتجون لذلك بقول الله: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾.

ويقولون إن المرء إن أخذ بما يستطيع من الأسباب واجتهد في الطاعة والاتباع؛ فإن النصر حليفه قطعاً كما قال الله: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

ويقولون إن التخويف والتهويل لقوة العدو هو دليل على تأييد الله كما قال الله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۝ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾.

وهذا الفريق يؤمن بأن الله يسلط على الأحزاب جنداً من عنده بطريقة لا يستطيع أحد أن يتوقعها، ويحتجون بقول الله تعالى: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾.

بل إن هذا الفريق يعتقد أن الملائكة ستقاتل معه، ويحتجون بقوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾.

والعجيب أن عندهم ثقة بهذه الوعود بطريقة تشبه اليقين بالنصر، ويقولون إن النصر حتمي حتى لو قتل ابن لادن أو تحطمت القاعدة فإن المسلمين سينتصرون.

وبعضهم يصر بكل وضوح على أن أمريكا ستنهار كما انهار الاتحاد السوفيتي نتيجة هذه الحرب.

وقتل داود جالوت:

من الظريف أن بعض المفكرين الأمريكان يشبهون المعركة الحالية بين أمريكا وابن لادن بمعركة طالوت مع جالوت.

جيش جالوت جيش جرار مدجج بالسلاح بمقاتلين من أصحاب الأجسام الضخمة، وأضخمهم جسداً كان جالوت نفسه، أما جيش طالوت فجيش صغير العدد والعدة بأجسام ضعيفة قدمت من الصحراء بعد فترة التيه.

لكن الحجر الذي رماه داود فأصاب جبين جالوت أطاح به، وقضى – من ثم – على معنويات جيشه، وانهار الجيش أمام جيش ضئيل بالعدد والعدة.

وإذا نظرنا إلى أحداث ١١ سبتمبر بعين تبسيطية جداً، سنرى أن تسعة عشر شاباً بسكاكين جيب ومشارط تمكنوا من ضرب أمريكا في قلبها، وتحطيم رمز الرأسمالية العالمية ورمز القوة في أعظم دولة.

ورأينا كذلك كيف أن هذا العدد من الصبية أقاموا أمريكا على أطراف أصابعها، ودفعوا اقتصادها للكساد، وجعلوا ربع الشعب الأمريكي يفقد الأمل في الحياة ويعاني من الاكتئاب.

ثم رأينا كيف أنهم اضطروا أمريكا لأن تحرك أحلافها وجيوشها الجرارة من أجل أن ترد عليهم..

هذا هو ما أسماه المفكرون الأمريكان معركة داود مع جالوت وانتصاره عليه وقتله.

وإذا عرف مقدار تأثر الأمريكان بالقيم التوراتية، فإن هذا التشبيه سيؤثر فيهم عكساً من ناحية اعتقاد أن الذي يمثل داود في هذه المرحلة هو ابن لادن وأتباعه، والذي يمثل جالوت هو الولايات المتحدة وأحلافها.

وإذا تكرر هذا الكلام – وقد بدأ يتكرر فعلاً –، فإنه سيمثل فتّاً شديداً في عضد الشعب الأمريكي).

٣- القاعدة وفن الحرب [١].

من المعلوم أن الحضارة الصينية عاشت بريقاً كبيراً في الماضي، واعتبرت من الحضارات التي قدمت الشيء الكثير للبشرية فيما يتعلق بالسنن الكونية.

وكان مما أسهمت فيه كتابات عديدة تخص الحرب ككتاب (فن الحرب) لصن تسو (Sun Tzu)، وكتاب (سبع قضايا عسكرية كلاسيكية)، وكتاب (استراتيجيات غير تقليدية)، وهي كلها كتب تدرس فن الحرب عند الصينيين القدماء، ولكن بعض عبرها رغم ذلك لم يسقط بالتقادم رغم تقدم التكنولوجيا المتعلقة بالحرب وتغير منحى الحرب بشكل راديكالي.

ويعد الجيش الأمريكي من بين الجيوش التي لم تلق بالاً لتجارب الآخرين الماضية، ولا سيما بعد نشوة انتصاره في الحرب العالمية الثانية.

لكن هذا الجيش وبعد تمرغ كبريائه في التراب في حرب فيتنام، راجع حساباته وبدأ يحاول دراسات القوانين الثابتة للحرب، وأخذ محللوه يقومون بالدراسة المستفيضة للكتب التاريخية.

ومن ضمنها كتاب (فن الحرب) لصن تسو الذي نال اهتمام المحللين الأمريكيين لدرجة الولع، فقد صدرت حوله العشرات من الدراسات العسكرية الأمريكية، لكن يبدو وكأن الأمريكيين بعد انتصارهم في حرب الخليج الثانية عادوا للتنكر مرة أخرى للعبر المستمدة من حروب الماضي، وتمسكوا عوضاً عن ذلك بالتكنولوجيا الحديثة كأداة لحسم الحروب لا مثيل لها في نظرهم.

ولعل غرور الأمريكيين هذا سيكلفهم غالياً مرة أخرى، إذ يبدو جلياً بعد أن بدأت الحملة الصليبية الأمريكية على الأمة الإسلامية في أفغانستان، أن إخواننا المجاهدين أكثر

---

[١] لأبي عبيد القرشي.

استيعاباً لدروس الماضي من عدوهم، وهو ما يمكن البرهان عليه بعشرات الأدلة الساطعة كالشمس.

لكننا سنكتفي بدراسة ما يجري على ضوء التراث الحربي الصيني القديم لسببين أساسيين: أولهما راجع لأن أمريكا درست هذا التراث ويفترض أنها استوعبته جيداً، وثانيهما لأن الكتب المذكورة يقرؤها القاصي والداني ولا يعتبر الاستدلال بها كشفا لأسرار إخواننا المجاهدين التكتيكية.

قد يظهر استيعاب المجاهدين لعبر الماضي في التطبيق الحالي لفن الحرب على أرض أفغانستان، منها على سبيل المثال ما ورد في الكتب الاستراتيجية الصينية القديمة، فمثلاً حين يقول صن تسو في كتابه (فن الحرب): (إن أفضل حرب هي التي يتم فيها قلب الطاولة على خطط العدو بعد أن تكون قد أنجزت).

نجد أن المجاهدين طبقوا هذه القاعدة الذهبية بحذافيرها، فقد تم الهجوم على العدو الأمريكي بعد أن سطر هذا الأخير استراتيجيته وشرع في تطبيقها.

فقد كان الأمريكيون يأملون أن يحتفظ المجاهدون بالمدن حتى يسحقوهم سحقاً تحت قصف جوي متوحش، لكن انسحاب المجاهدين منها كان كفيلاً بتخريب خططهم.

وفي نفس الاتجاه نجد أن الإخوة طبقوا قاعدة أخرى وردت في كتاب (استراتيجيات غير تقليدية) وهي أنه (إذا تمت ملاقاة عدو أكبر عدداً وأحسن عدة، فلا بد من استعمال تضاريس المكان بشكل فعال وذلك بالانتشار في الجبال والمسالك الوعرة).

وهذه القاعدة لم تتغير حتى بعد ظهور الأسلحة المضادة للطائرات والدبابات، فإخواننا فعلاً طبقوها بشكل فعال جعلهم يحفظون قواتهم وإمكانياتهم.

ليس هذا فقط، فإن تحصن إخواننا في الجبال الوعرة يؤدي كذلك مقصوداً آخر تكلم عنه مؤرخو الحرب، وهذا المقصود هو تجنب مجابهة العدو إذا كان مستعداً بشكل جيد ونفسيته عالية.

عوضاً عن ذلك ينبغي التحصن لإطالة المدة الفاصلة بين لقاء الجيشين إلى أن تبدأ نفسية العدو في الانهيار، عندها وعندها فقط ينبغي اللجوء إلى مقاتلته، لأن إمكانية النصر حينذاك ستكون كبيرة.

وقد خدمت إعادة انتشار إخواننا في الجبال بعد انسحابهم من المدن كذلك هدفاً آخر، وهي أنها أجبرت العدو الأمريكي على تقسيم قواته عوضاً عن جعلها مجتمعة.

وقد ورد هذا الهدف في كتاب فن الحرب حين قال صن تسو: (ادفع العدو الكثير العدد لاتخاذ شكل محدد في تنظيم جيشه يلائمك أكثر منه، بينما اجعل جيشك مستعداً لكل أشكال التنظيم).

وهكذا وبعد أن يقسم العدو قواته ستصبح قواته قليلة العدد، مما يساعد على الهجوم والتركيز على نقطة واحدة من نقاط وجوده والقضاء على قواته هناك.

وقد سبق أن طبق المقاومون الفيتناميون هذا التكتيك في معركة ديان بيان فو.(Dien Bien Phu) سنة ١٩٥٤م، والتي عدت أكبر هزيمة لفرنسا في تاريخها الحديث.

بل وكرر الفيتناميون نفس التكتيك بنجاح مع الأمريكيين في معركة نام دونغ (Nam Dong) سنة ١٩٦٤م وكبدوهم خسائر كبيرة، كما تكرر نفس الشيء مع المجاهدين في معارك تورا بورا سنة ٢٠٠١م.

ومن فرط غرور الأمريكيين ظن هؤلاء أن المجاهدين أغبياء، فاستخفوا رجاحة عقلهم حين وضعوا معسكرهم الأساسي في منطقة مكشوفة خارج قندهار بحوالي مائة كيلومتر،

وذلك لجر المجاهدين المتعطشين لقتال الأمريكيين إلى معركة حاسمة سيتفوق فيها الأمريكيون دون شك.

لكن هيهات، فقيادة المجاهدين ينطبق عليها ما ذكره صن تسو في كتابه فن الحرب: (كن ثقيلاً كالجبل)، وقوله كذلك: (استفزز العدو ولا تخضع لاستفزازه).

وهكذا لم تخضع القيادة لاستفزاز العدو، بل تريثت إلى حين ملاءمة الظروف الجغرافية والمناخية.

ومما يزيد من تبيان مأزق الأمريكيين وتفوق المجاهدين في المراحل الأولى من الحرب عليهم، الظلام الدامس الذي تعيشه القيادة الأمريكية فيما يخص المعلومات عن عدوها بشكل لم تعرف له أمريكا مثيلاً قط في تاريخها العسكري رغم الإنفاق الخيالي للأموال.

فالقيادة الأمريكية إلى الآن لا تعرف عدد المجاهدين الفعلي ولا تنظيمهم القتالي ولا أماكن تواجدهم ولا نوعية تسليحهم بالضبط، بل ويمكن القول أن أمريكا لم تكن تعلم حتى نوعية الجند الذين يواجهونها هذه المرة، فقد أبان المجاهدون على أنهم من نوع خاص جداً أدهش العدو قبل الصديق، فهؤلاء الأشاوس علاوة على أنهم يقاتلون دون مقابل مادي ويتفانون في ذلك، فهم يصبرون على شظف العيش بشكل عجيب، على العكس تماماً من العساكر الأمريكيين الذين يتقاضون رواتب ضخمة ويبالغون في حمل المؤونة وأجهزة الراحة التي كثيراً ما تعيق التحرك.

ورغم كل هذا فإن هؤلاء العسكر دائمي الشكوى والتذمر، ولا أدل على ذلك من تصريح قيادة الجيش الأمريكي أنها ستستبدل مشاة المارينز باللواء ١٠١ المحمول جواً بعد مرور ثلاث شهور فقط على قدومهم لمسرح العمليات.

وإذا كان هذا حال جنود المارينز الذين يعدون مفخرة الجيش الأمريكي، فما بالك بمن هم دونهم..

كما أن أمريكا لم تكن تعلم مدى ارتباط المجاهدين بقيادتهم، فالمجاهدون إضافة إلى إيمانهم العميق وثقتهم بالله ووعده ووعيده، يثقون بصدق قيادتهم التي تعيش معهم مجريات المعركة ساعة بساعة.

وقد أشار كتاب (التعليمات الست السرية) إلى أهمية هذا العامل، وذلك حين قال مؤلفه: (إذا لوحظ تقدم الضباط والجند في معركة حامية الوطيس للموت دون ندم ولا وجل، فاعلم أن الثقة هي التي دفعتهم لذلك).

والثقة التي عناها الكاتب هي الثقة في القيادة والتي لا تحدث في نظره إلا عندما يتعامل القادة مع الجند تعاملاً مبنياً على الصدق والمحبة المتبادلة والوفاء

وقد ذكر صن تسو مدى أهمية هذا الاتجاه قائلاً: (عندما ينظر القائد لجنده كما ينظر الأب لأبنائه، حينها سيرغب الجند في الموت مع قائدهم).

فإذا قورن هذا بما يفعله القادة الأمريكيون من قيادة الجند عبر المحيطات بعيداً كل البعد عن الميدان، فإن هذا مما سيتسبب في قلة ثقة الجنود بهم لا محالة.

ويزيد الطين بلة نكران القيادة الأمريكية للخسائر في صفوف جيشها، وهو الشيء الذي يضر معنويات الجند الأمريكيون كثيراً، إذ يرى هؤلاء أنهم يقدمون تضحيات مجانية لا يسمع بها أحد مما يبين ألا قيمة لحياتهم في نظر قيادتهم.

أما عن جهل أمريكا بعدد المجاهدين فحدث ولا حرج، فقد ظهر هذا الأمر منذ البداية حين ادعت أمريكا أن قوات المجاهدين في قندز يناهز العشرين ألف مقاتل، ثم ما لبث أن انحاز حوالي الألفين من المجاهدين إلى أماكن أخرى وسقط نحو السبعمائة في الأسر وتبين بوضوح ألا وجود للعشرين ألفاً.

كما تكرر نفس السيناريو في تورا بورا حينما ذكرت الإدارة الأمريكية أعداداً مبالغ فيها لم تكن توجد إلا في خيالها.

ومعلوم في الحرب أن عدم معرفة العدو مقدمة لا مناص منها للهزيمة، ولذلك فإن الجيوش الذكية تحرص على عدم الكشف عن أعدادها، وهو الأمر الذي وردت الإشارة إليه في كتاب (استراتيجيات غير تقليدية) حين قال كاتبه ليو شي: (حينما يكون العدو أكثر عدداً والمعركة على الأبواب فلا بد من خداعه حتى لا يعرف عدد جيشك الحقيقي، حينها لن يتجرأ على الهجوم بجسارة).

وقد استعمل المجاهدون هذا التكتيك بغية ترتيب أوراقهم بشكل جيد، ثم بعد أن انتشروا بالشكل الفعال الذي قاموا به، لجؤوا إلى تكتيك آخر قد يبدو غريباً لنا، ولكنه عين تطبيق أمر النبي ﷺ حين قال: ((الحرب خدعة)).

وهذا التكتيك ظهر بجلاء في الأسابيع الماضية حين تظاهر المجاهدون بالضعف، وذلك حتى ينخدع العدو ويتقدم إلى هلاكه، وقد عبر عن هذا صن تسو قائلاً: (رغم القوة أظهر الضعف).

ومن هذا القبيل ما سربه المجاهدون من أخبار ذكروا فيها: (إننا لم ننسحب من المدن للاحتفاظ بالجبال).

وقد التقط العدو هذه الإشارة وفهم منها استعداد المجاهدين للانسحاب من تورا بورا.

ومع تخفيض المجاهدين من حدة عملياتهم في المنطقة لوهلة ازداد تيقن الأمريكيين من صدق الخبر، فتقدموا ليلقوا حتفهم على يد كتيبة أبي حمزة الغامدي التي قضت على كتيبة أمريكية بالكامل إضافة إلى إسقاط أربع طائرات للعدو الأمريكي.

ولا يقتصر استعمال هذه التكتيكات على الميدان العسكري فقط، بل يمكن استعمالها في الميدان الاستخباراتي والسياسي على حد سواء.

وأكاد أجزم أن الشريط الأخير للقائد العام أسامة بن لادن يصب كذلك في هذا الاتجاه، فالشيخ كان يخاطب أنواعاً شتى من الناس، من هؤلاء من هو في صف المجاهدين تماماً فخاطبهم لإعلاء معنوياتهم ودفعهم إلى العمل، ومنهم من هو متردد في ريبه فخاطبهم الشيخ لقطع شكوكهم حول وحشية أمريكا، ومنهم من هو عدوه المباشر (أي في هذه الحالة أمريكا) فكان أن خاطبها بلسان الحال مظهراً بعض العياء، وكان بإمكانه إظهار خلاف ذلك لو شاء.

وقد نجد لهذا الموقف كذلك تفسيراً من خلال كتاب (فن الحرب)، إذ ذكر كاتبه أنه حينما يكون عدد العدو كثيراً جداً ومصير المعركة غير واضح لا بد من (التظاهر بالتواضع لدفع العدو إلى الغرور)، لأن ذلك مدعاة للاستهتار واستعجال التحرك وبالتالي السقوط في فخ لا يكون في الحسبان.

كانت هذه بعض تطبيقات (فن الحرب) على مسرح العمليات في أفغانستان، وبالتأكيد فإن المتخصص لن يروي غليله بالرجوع فقط إلى الكتب المذكورة آنفاً، فقد لا يجد فيها الشيء الكثير.

والمقصود هنا لم يكن امتداح التراث الصيني الحربي القديم، بقدر ما هو بيان استيعاب إخواننا لعبر مر عليها أكثر من ألفي سنة، واستفادتهم من تجارب الآخرين مشارق الأرض ومغاربها.

وما دام الأمر كذلك فنحن على ثقة أنهم بفنون الحرب الحديثة أدرى، وبمستلزماتها أكثر إحاطة، وليس مستبعداً ذلك اليوم الذي يصبح فيه اسم القاعدة قاعدة في فن الحرب تسطر في المعاجم العسكرية.

نسأل الله أن يرزق إخواننا مزيداً من الثبات والنصر.

٤ - غزوة ١١ سبتمبر.. المستحيل إذ صار ممكنا [١].

(مرت سنة على غزوة ١١ سبتمبر المباركة [٢]، أول غزوة جهادية في العصر الحديث تقوم بقتال الكفار في عقر دارهم.

وفي الحقيقة إن الإنسان ليعجز أن يتكلم عن هذا المجهود الجبار الذي أحيا آمال الملايين من أبناء الأمة في غد أفضل تحت ظل خلافة إسلامية عنوانها العدل والكرامة.

لقد تبع هذا الإنجاز خلال العام المنصرم متغيرات كثيرة، وعصفت رياح كثيرة بالمسلمين، رفع بها الله أقواماً ووضع آخرين.

ولا شك أن ممن رفعهم الله المجاهدين في سبيله، في مقدمتهم المنفذون التسعة عشر للغزوة المباركة، وآخرون ممن يذبون عن الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، ويقارعون طاغوت العصر أمريكا.

لقد عززت الغزوة إيمان المسلمين بالله القوي العزيز، فلم يكن أحد يتصور - حتى في منامه - أن أمريكا القوة العظمى، التي تمتلك أكبر قوة اقتصادية وعسكرية في العالم دون منازع، ستضرب في عقر دارها ضربة مدوية ستتركها في أزمة سياسية واقتصادية وأمنية وعسكرية من حينها.

ولهذا كان لا بد بعد مرور عام على ذكرى غزوة ١١ سبتمبر من النظر مجدداً في العديد من خلفياتها وعبرها وآثارها، حتى تكون نبراساً للجميع في سعيهم لاسترجاع العز الإسلامي المفقود.

---

[١] لأبي عبيد القرشي.

[٢] قريباً وتنتهي السنة الثانية.

١ - الخلفية التاريخية:

كان الجهاد ضد الاتحاد السوفييتي على أرض أفغانستان مناسبة لا مثيل لها لصقل الأفكار الجهادية ونقلها لأرض التطبيق، خاصة وأن هذا الجهاد جاء بعد عقود عجاف من اضمحلال حضور الإسلام على كافة الأصعدة، وطغيان الأيديولوجيات المستوردة من الشرق والغرب، وتمكن العلمانية والتغريب من مقاليد الحكم في كل البقاع الإسلامية تقريبا.

صحيح أن العالم الإسلامي كان قد شهد جهاداً ضد الاستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي والإسباني والهولندي، لكن العناصر الإسلامية لم تتمكن آنذاك من فرض طرحها أمام سيول المنبهرين بالغرب والشرق، ولا سيما أن أيادي الاستعمار كانت تشجع هذه العناصر، خفية تارة وعلناً تارة أخرى، لتيقنها بالتبعية المخلصة لهذه الأطراف للاستعمار وتحقيقها لمصالحه.

على أي حال جاءت مناسبة الجهاد الأفغاني الأول لينتهزها بعض الدعاة الربانيين والرجال المخلصين ليوقظوا همم المسلمين.

وما إن جاء عام ١٩٨٤ حتى بدأت تظهر نماذج العمل المؤسسي لجهاد العرب في أفغانستان كبيت الأنصار الذي أسسه الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله، ومكتب الخدمات الذي أسسه الشيخ عبد الله عزام رحمه الله، فلقد تأسس بيت الأنصار في بيشاور ليكون محطة استقبال مؤقت للقادمين للجهاد قبل توجههم للتدريب ومن ثم المساهمة في الجهاد، كما أدى تأسيس مكتب الخدمات إلى تحسين الأداء على الصعيد الإعلامي وجمع التبرعات وحث المسلمين وخاصة العرب على الجهاد بالنفس والمال.

ولم تكد تحل سنة ١٩٨٦ حتى قرر الشيخ أسامة بن لادن أن يتوسع في تنظيم العملية الجهادية وأن يُكون معسكراته وخطوط إمداداته.

وفعلًا تمكن الشيخ أسامة من إعداد ستة معسكرات، وتمكن من خلال خبرته في الإنشاءات من تحريكها ونقلها أكثر من مرة تبعاً لظروف الحرب.

وبدأت سمعة أسامة تسري بين المجاهدين العرب، وبدأ يتقاطر على بيت الأنصار والمعسكرات عدد هائل منهم.

وبدأ المجاهدون العرب يشاركون في مناوشات عديدة مع السوفييت وعملائهم، ثم ما لبثوا أن دخلوا في معارك طاحنة كان أشهرها معركة جاجي في نهاية ذلك العام، والتي هزم فيها المجاهدون العرب إحدى أفضل وحدات الروس تدريباً وتسليحاً وقتلوا فيها عدداً كبيراً من الكوماندس الروس.

ومنذ السنوات الأولى ظهر الطموح العالمي للمجاهدين، فقد كانت المساعدات الزائدة عن الحاجة في أفغانستان تعطى للمجاهدين في بقاع الله الأخرى، ككشمير والفلبين وطاجكستان إلخ.

لكن ما إن اجتاح العراق الكويت، واستعان النظام السعودي بالكفرة الأنجاس للدفاع عن أراضيه، حتى تبين لقادة المجاهدين أن الجهاد الأعظم مقبل مع أمريكا، خاصة بعد أن دكت أمريكا وتد استعمارها ليطال أشرف بقاع المسلمين على الإطلاق، ولعلمهم المسبق بأن أمريكا إذا وضعت قاعدة في بلاد لا تخرج منها أبداً إلا مرغمة.

جاء التدخل الأمريكي في الصومال ليعطي المجاهدين الفرصة للاحتكاك بأعدائهم الجدد، فقامت مجموعة صغيرة من قدماء أفغانستان بعدد من العمليات النوعية ضد الأمريكيين في الصومال، اضطرت على إثرها أمريكا للانسحاب.

أما في اليمن فقد قتل عدد من الأمريكيين في أحد الفنادق في عدن حينما كانوا في طريقهم إلى الصومال.

وفي كلتي الحالتين خرج المجاهدون مقتنعين بهشاشة الجندي الأمريكي وجبنه، وأنه لولا التفوق التكنولوجي والوسائل اللوجيستيكية المتطورة لأمريكا لما قامت لها قائمة على وجه الأرض.

ثم بدأ الشباب الجهادي سلسلة عملياتهم النوعية ضد الوجود الأمريكي على أرض الجزيرة، ابتداء بانفجار الرياض ثم تلاه انفجار الخبر في يونيو ١٩٩٦، والذي أودى بحياة عشرين من العسكريين الأمريكان وجرح مئات آخرين.

وبعد انفجار الخبر بفترة بسيطة أصدر الشيخ أسامة بن لادن بيانه الأول بعنوان "إعلان الجهاد لإخراج الكفار من جزيرة العرب"، وهو أول بيان يصدر عنه بشكل شخصي وباسمه.

وفي نهاية عام ١٩٩٧ استصدر الشيخ أسامة فتوى من حوالي أربعين عالماً من علماء أفغانستان وباكستان تؤيد بيانه لإخراج القوات الكافرة من جزيرة العرب.

بالموازاة مع هذا التحرك، تجمع عدد من قيادات الجماعات الإسلامية، وخاصة جماعة الجهاد المصرية في أفغانستان، وتقاطر عدد كبير من الوفود من باكستان وكشمير وبنغلادش على ضيافة الشيخ أسامة.

وأثمر هذا التحرك إعلان بيان الجبهة الإسلامية العالمية في فبراير عام ١٩٩٨ الذي يدعو إلى قتل الأمريكان واليهود في كل مكان وزمان.

وقع البيان مع الشيخ أسامة بن لادن أمير جماعة الجهاد المصرية الدكتور أيمن الظواهري، ورفاعي طه أحد مسؤولي الجماعة الإسلامية المصرية، كما وقعه رئيس أحد الفصائل الكشميرية وأحد القيادات الباكستانية المشهورة.

وبعد إعلان بيان الجبهة الإسلامية العالمية بقليل، صرح ابن لادن بأنه سيضرب خلال أسابيع، وبقي الأمريكيون في حالة ترقب في المنطقة العربية والخليج وإلى حد القرن الأفريقي.

وبينما هم في كامل التأهب أتتهم الضربة في الموقع الذي لم يتحسبوا له، سفاراتهم في كينيا وتنزانيا، وذلك حين نسفت السفارتين شاحنتان ممتلئتان بالمتفجرات يوم السابع من أغسطس ١٩٩٨.

وقد أثبتت العناصر الجهادية من خلال العمليتين أن لديها القدرة اللوجستية والفنية والبشرية على تنفيذ مهمات خاصة ومعقدة، وأنها استطاعت استغلال عنصر المفاجأة إلى أقصاه، كما أنها استطاعت كذلك التنسيق بين الحادثتين وبكمية تدمير هائلة.

وكرد فعل قام الأمريكيون بعمليتهم المشهورة في ضرب السودان وأفغانستان، حيث انهالت على السودان وأفغانستان عشرات صواريخ كروز موجهة لضرب هدفين محددين في السودان وأفغانستان.

لكن هذه الضربة الأمريكية لم تكن موفقة البتة، لا من حيث نوعية الهدف ولا من حيث الطريقة.

وجاءت العملية الاستشهادية ضد المدمرة كول في ميناء عدن في أكتوبر ٢٠٠٠ لتزيد من غيظ الأمريكيين وأتباعهم في المنطقة، فقد تمكن أحد العناصر الجهادية من إلحاق أضرار قاتلة بالمدمرة الأميركية المزودة بأفضل التكنولوجيا الحربية، وتبلغ حمولتها ٨٦٠٠ طن، وتنقل طاقماً من ٣٥٠ شخص، ويبلغ ثمنها ما يزيد على بليون دولار.

وقد تمكن المجاهد من إحداث فجوة فيها يتراوح قطرها بين ستة أمتار و١٢ مترا، وسبّب أضراراً فادحةً في داخلها، قتل على إثره في الانفجار ١٧ من البحارة الأميركيين وجرح أكثر من ثلاثين آخرين. كل هذا بواسطة قارب مزود بمحرك جرار زراعي ومملوء بالمتفجرات في عملية لم تزد تكلفتها على العشرة آلاف دولار.

وأبرزت هذه العملية ضعف الأمريكيين أمام الابتكار والتنويع في العمليات والمسارح، وأن المقاومة لغطرستها ممكنة بوسائل محدودة إذا توفرت الإرادة لذلك.

تعاملت الإدارة الأمريكية إعلامياً بشكل مختلف مع العملية في حرص منها لئلا تزيد من شعبية الشيخ ابن لادن، لكن ورغم ذلك صار الشيخ ابن لادن رمزاً في المنطقة العربية برمتها، ولا أدل على ذلك من رفع اللافتات باسمه في الانتفاضة الفلسطينية لأول مرة بعد عملية المدمرة كول.

ويمكن القول أن تنظيم القاعدة كان يمتلك منذ البداية نظرة استراتيجية ثاقبة، فلذلك سعى لإقامة العلاقات مع كل الحركات الجهادية عبر العالم، وهي علاقات أخذت وقتاً وجهداً لا يستهان به من أجل بناء الثقة وإقامة تعاون متين على أرضية صلبة.

كما أن هذا التنظيم ونظراً لدراسته بعمق للتجارب الإسلامية والجهادية منها على وجه خاص، ركز منذ البداية على الجوانب التنظيمية والأمنية لمنع كل أشكال الاختراق، وهذا مما أفاده بشكل كبير لإدارة الصراع مع أمريكا منذ بداية التسعينات.

ولهذا يستغرب المرء بشدة لما يجد أن أعتى الاستخبارات الغربية تقدر أعداد المجاهدين المتدربين في معسكرات تنظيم القاعدة (في سنوات ١٩٨٩ - ٢٠٠١) بين ١٠٠٠٠ و١١٠٠٠٠، وهو فرق في التقدير شديد الضخامة، مما يبين أن هذا ليس تقديراً وإنما هو تكهن ليس إلا.

٢- تنظيم القاعدة وإعداد غزوة ١١ سبتمبر:

أ - إعداد المجاهد.

مما لا شك فيه أن تنظيم القاعدة ركز تركيزاً خاصاً على تكوين الطليعة المجاهدة التي هي عماد العمل الجهادي وركنه الأول، ولذلك كانت النتائج باهرة على جميع الأصعدة.

ولهذا يمكن القول بأن المجاهد المتوسط من تنظيم القاعدة هو أفضل تدريباً وإعداداً واستعداداً لمهمته مقارنة بأي مقاتل مغوار آخر على الإطلاق.

من الناحية النظرية لم يألُ تنظيم القاعدة جهداً في إرساء وتثبيت مختلف النظريات العسكرية اللازمة لتطوير القدرات الجهادية، فالموسوعة الجهادية الشاملة [١] التي هيأها التنظيم لكل المجاهدين أيام الجهاد الأفغاني الأول وعمت كل تفاصيل العمل المسلح، كانت سابقة نوعية منذ ذلك الوقت.

فهي عبارة عن حوالي ٧٠٠٠ صفحة (١٠ مجلدات) وبذلك تعتبر جهداً منقطع النظير في تهييء المجاهد لمشاق طريق الجهاد.

وتشمل المواضيع المطروحة التكتيك العسكري، الأمن والاستخبارات، السلاح الخفيف، الإسعافات الأولية، المتفجرات، القنابل اليدوية والألغام، الدروع، تصنيع السلاح، الطوبوغرافيا إلخ.

وبعد الجهاد الأفغاني الأول وأمام التحديات الكبيرة التي واجهتها الأمة الإسلامية على مسارح الحرب المختلفة (فلسطين – وسط آسيا – البلقان – القوقاز – كشمير – الفلبين إلخ)، والتي كان لا بد لتنظيم القاعدة حامل راية المشروع الجهادي العالمي أن يتعامل معها، أضاف التنظيم أسساً نظرية جديدة لتحسين القدرات التدريبية والقتالية للمجاهدين، فقد تم إصدار جزء آخر خاص بالعمليات الخاصة، وفيها أبواب تهتم بإعداد أوراق الهوية، تنظيم القواعد العسكرية، البنايات السكنية، إخفاء وسائل الاتصالات والمواصلات، شراء وإيصال

---

[١] لقد تمكنت بعض الأجهزة العربية والأسيوية من الحصول على أجزاء متناثرة من الموسوعة منذ سنة ١٩٩٧، لكن الأجهزة الأمنية البلجيكية كانت الأولى التي تمكنت من العثور على نسخة كاملة لكنها لم تتوفر على الإمكانيات المادية لترجمتها.
ولم تحصل C.I.A على نسخة كاملة إلا بعد أن سلمتها إياها المخابرات الأردنية العميلة.

الأسلحة، سلامة الأعضاء، الخطط الأمنية إلخ، وكانت معسكرات التدريب مناسبة لتدريب الفعاليات الجهادية على أحسن وجه ممكن لمواجهة الطغيان.

وقد قسمت الدورات التدريبية على ثلاث دورات أساسية ومتقدمة ومتخصصة.

وإذا كانت الدورات التدريبية قد تم تقديمها لعشرات الآلاف من المجاهدين، تقرباً لله ونصرةً لدينه والمستضعفين في الأرض، دون أن تكون هناك بالضرورة علاقة تنظيمية بتنظيم القاعدة، فإن جزءاً فقط من هؤلاء هو الذي تم مفاتحتهم حول الانضمام لتنظيم القاعدة بناء على استعدادهم الإيماني وقدراتهم العقلية والنفسية والبدنية.

وكان هذا الإجراء كفيلاً ليس فقط بمنع الاختراق، إذ لم تستطع أي جهة مهما كانت قدراتها وإمكانياتها من اختراق التنظيم، نظراً لأن العضوية فيه لا يأخذها الفرد متى شاء، وإنما تُمنح من لدن القيادة وفق معطيات دقيقة كثيرة.

وهذا ما سمح كذلك لتنظيم القاعدة بتجنيد زبدة النخبة من الفعاليات الجهادية مما انعكس إيجاباً على العمل الجهادي لتنظيم القاعدة منذئذ، ولهذا لم يكن مفاجئاً قط قيام أبطال سبتمبر بعمليتهم الخارقة، بالنظر إلى التراكم المعلوماتي والتجريبي لدى تنظيم القاعدة، فالتاريخ يشهد أنه لم ينكص أحد من هؤلاء الأفذاذ على عقبيه أو يتراجع في الرحلة نحو الموت المحقق.

ومع أن التحقيق الذي قادته الاستخبارات الأمريكية يبين أن الجزء الأكبر من المنفذين لم يتلق تدريباً في معسكرات تنظيم القاعدة، إلا أن الإعداد الإيماني القوي الذي ركز معاني التفاني والإتقان والتضحية، ثم القيادة الراشدة الفعالة لرؤساء المجموعات – والذين تلقوا التدريب اللازم في أفغانستان حسب بعض التقارير – مكنت من تفعيل الطاقات الكامنة لدى كل الأفراد المختارين لهذه العملية المحورية في تاريخ الأمة الإسلامية.

ب - إعداد الوسائل المادية اللازمة.

لقد كان بعض قادة الجيوش يقولون: (المال هو عصب الحرب)، وهذه المقولة ازدادت صلاحيتها مع مرور الوقت حيث تطورت الحياة وتعقدت تكاليفها بشكل غير مسبوق.

ولا يخرج العمل الجهادي عن هذه القاعدة، فكل عملية جهادية منظمة وذات آثار تحتاج إلى تمويل مادي سخي، وغالباً ما يحتاج هذا الأمر إلى شهور بل إلى سنوات من التحضير حتى يتم العمل بشكل هادئ لا يثير شكوك العدو.

وقد فطن تنظيم القاعدة لهذا الأمر مبكراً، ولذلك أعد عبر السنين شبكة مالية معقدة لتمويل احتياجات التنظيم، وهو ما جعل العديد من الباحثين المقتدرين يجزمون أنه لم يسبق لا في تاريخ الاستخبارات الأمريكية C. I.A ولا الاستخبارات البريطانية M.I.6 ، أن واجهتا شبكة مالية عالمية معقدة كالتي بناها تنظيم القاعدة.

والذي يزيد من تعقيد الأمر على الاستخبارات المعادية أن الشبكة مقسمة إلى أجزاء عديدة لا يربط بين بعضها البعض سوى خيوط رقيقة في أغلب الأحيان.

وحسب تقارير المعاهد الاستراتيجية المتوفرة فإن تقييم احتياجات تنظيم القاعدة لتسيير التداريب والاحتياجات العملياتية في أفغانستان وخارجها قد يكون في حدود ٥٠ مليون دولار سنوياً.

وإذا كان هذا التقييم صحيحاً فلا غرابة إذن في أن يضم التنظيم العديد من المختصين الماليين، ويولي اهتماماً كبيراً للتدبير في مجالات المال والأعمال، ويقوم بجهود كبيرة في مجال الاستثمار عبر القارات.

ورغم ذلك فإن مجاهدي غزوة ١١ سبتمبر أثبتوا مدى زهدهم، فقد تعاملوا بالروية مع إمكانيات المادية للتنظيم، خاصة فيما يتعلق باحتياجاتهم الخاصة، فقد كانوا لا يذهبون إلا

إلى الفنادق والمطاعم الاقتصادية، ولا يستعملون إلا السيارات رخيصة الثمن، بل وأرجعوا ما تبقى من أموال إلى التنظيم، في إخلاص وتفان لا مثيل له في عالم العولمة المادية وعبادة المال.

لكن ما إن كان صرف الأموال ضرورياً في خدمة العملية، حتى قام هؤلاء المجاهدون باقتناء تذاكر سفر درجة أولى، ليكونوا أقرب إلى مقصورة القيادة، وهذا ما يبين قمة الفعالية والاتزان لدى هؤلاء الأبطال.

لكن هناك من الباحثين من لا يرى أن القدرات المالية للتنظيم ضخمة كما تصفها التقارير، فالعمليات التي استهدفت سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السلام لم تحتاجا لتمويل كبير، أما العمليات التي كانت ستعصف بمطار لوس أنجلوس وكذلك التي كانت ستصيب فنادق المجون الصهيوني والأمريكي في الأردن، فكانت ممولة عبر أعمال مسلحة وغير مسلحة قام بها المجاهدون في كلتا الحالتين.

كما أن عملية المدمرة كول قد كلفت أقل من ١٠٠٠٠ دولار أمريكي، وهذا ما يبين أن تنظيم القاعدة لا يحبذ الإسراف المبالغ فيه إذا توفرت شروط النجاح للعملية، بل يضع الدينار المناسب في المكان المناسب، دون إسراف ولا تقتير.

ج - التخطيط:

من الواضح أن تنظيم القاعدة يهتم كثيراً بالتخطيط لكل تفاصيل العمليات التي يقوم بها، وقد اعترف كل الباحثين بأن أحد عوامل القوة التي أظهرها تنظيم القاعدة هو استثمار جهود عملاقة في التخطيط والإعداد لكل العمليات.

ففي سعيه لمزيد من الفاعلية كان التنظيم يقسم أي عملية على ثلاث مراحل: جمع المعلومات، الإعداد اللوجيستي، التنفيذ.

وتقوم كل مجموعة على حدة بتنفيذ المرحلة التي تختص بها.

وتعتبر مرحلة جمع المعلومات حساسة للغاية، ولذلك فإن تنظيم القاعدة يعطيها ما يلزمها من عناية وصبر، وقد اتضح ذلك بجلاء في غزوتي نيويورك وواشنطن، اللتين استغرقتا سنة ونصف من التخطيط والإعداد.

٣- العبر المستفادة من الغزوة.

١ - فيما يخص تنظيم القاعدة:

أ – استطاع تنظيم القاعدة – كونه يعمل بالسنن الشرعية والكونية – أن يشكل تهديداً لأكبر قوة في العالم رغم الفرق الشاسع في الإمكانيات.

ومن أهم السنن الكونية التي أخذ بها هذا التنظيم إلى جانب الإعداد المادي والعسكري، تركيزه على تأسيس بنية تنظيمية قوية لا تفت في عضدها الضربات المتتالية والتتبع الأمني العالمي.

ويمكن القول أن التنظيم الشبكي المعقد والعقلية اللامركزية ومفهوم الجامعة الجهادية، كلها عوامل ساهمت في نجاح القاعدة على امتصاص كل الضربات المعادية والتقليل من تأثيرها إلى أقل حد.

كما أن عامل السرية والأخذ بالتدابير الأمنية في كل الحالات والأوقات يعتبر عاملًا مهماً يجدر الاقتداء به من طرف الحركات الإسلامية الأخرى.

ب – إن تنظيم القاعدة يمشي وفق استراتيجية واضحة لا غبار عليها.

لقد كان استهداف أمريكا منذ البداية – بالنسبة للحركة الجهادية العالمية – خياراً استراتيجياً ذكياً، وذلك لأن الصراع مع أذناب أمريكا في المنطقة الإسلامية بين أن هؤلاء الأذناب لا يستطيعون البقاء دقيقة واحدة في حكمهم الطاغوتي دون مساندة أمريكا، ولذلك لا بد من ضرب الرأس لأنه العامل الأساسي في سقوط الباقي.

كما أن خيار استهداف أمريكا مفهوم ومقبول على طول الأمة الإسلامية وعرضها لعلم الجميع بما اقترفته أمريكا من جرائم في حق الإسلام والمسلمين، وهذا ما يضمن التعاطف والتأييد الشعبي.

ت – إن قادة التنظيم استعدوا منذ البداية لكل الاحتمالات – وخاصة الأكثر سوءاً – وهيؤوا البدائل المناسبة.

فسواء تعلق الأمر بالحرب داخل أفغانستان حيث تم سحب التشكيلات المقاتلة بطريقة ذكية، وتم إخلاء المعدات وتخزينها في الجبال، والتهييء لحرب عصابات طويلة الأمد، وسواء على الصعيد الخارجي حيث تفرقت الخلايا الجهادية بين الأمم، بحيث تتهيأ كل خلية لأداء مهمتها وفق مخطط دقيق، لا مجال فيه للارتجال والارتباك.

وقد أثمر نجاح التخطيط الجهادي عن قذف الرعب الهائل في قلوب الأمريكيين كل يوم وحين، حيث الإنذارات بوشوك هجمة جهادية تتوالى بوتيرة قاتلة لأعصاب الجمهور الأمريكي، الذي لم يفهم لماذا فشلت آلته العسكرية الضخمة في إيقاف هذه الاعتداءات.

ث – لقد سطر تنظيم القاعدة بهذه الغزوة نموذجاً لما يجب أن تكون عليه النفسية الإسلامية الأبية.

فهذه النفسية لا تعرف شيئاً اسمه مستحيل، كما أن التنظيم باعتماده على مبدأ المبادرة والفعل بدلًا من رد الفعل، وإعداد الخطوة التالية قبل أن ينهي الخطوة الحالية، دون الانجرار إلى رد فعل يربك خطته، أعطى نموذجاً لما يجب أن تكون عليه الحركات الإسلامية الأخرى.

شكلت التربية الإسلامية الجهادية التي تجمع بين الانضباط والطاعة للقيادة والثقة المطلقة بتوفيق الله والاستعداد الكامل للموت في سبيل الله والصبر وطول النفس، أسس صفات المجاهدين من تنظيم القاعدة، وهي صفات ستؤدي إلى النصر دون شك بإذن الله.

ج – جسد تنظيم القاعدة وحدة الإسلام، فقد امتزجت دماء أبناء الأمة الإسلامية قاطبة في العمل الجهادي الذي يقوده هذا التنظيم، دون فرق بين عربي ولا عجمي.

وهذا في حد ذاته لبنة على طريق الوحدة الإسلامية، وتحطيم أوثان الاتفاقيات الاستعمارية التي نهشت جسم الأمة الإسلامية نهشا.

ح – ((احفظ الله يحفظك)) حديث نبوي شريف طبقه مجاهدو القاعدة، فرأوا تجلياته على أرض الواقع.

فكم قصفت أمريكا الجبال الأفغانية بهيستيريا، واستعملت في ذلك كل قنابلها المحرمة دولياً، حارقها وسامِّها، ذكيها وغبيها، ومع ذلك لم يفت ذلك في عضد المجاهدين شيئاً.. وسبحان الحفيظ العليم.

٢- فيما يخص أمريكا:

أ – لأول مرة تشعر أمريكا بتهديد مباشر لكيانها – وليس لمصالحها فقط – منذ أن كان الاتحاد السوفييتي في أوج قوته.

والعجيب هذه المرة أن التهديد ليس قادماً من دولة قوية أو تحالف جبار، إنما جاء التهديد من منظمة لا تمتلك مقومات القوة التي قد تمتلكها الدول العتيدة.

ومع ذلك اضطرت أمريكا لحشد التحالفات الدولية بدءاً بحلف الناتو الذي أعلن لجوءه للنص الخامس من قانونه الأساسي، والذي يعني أن كل الدول المنضوية في الحلف مستهدفة ما دامت إحداها تعرضت للهجوم.

كما أن أمريكا ركزت على حلفائها التقليديين (الكيان الصهيوني – اليابان – كوريا – أستراليا إلخ.) لتقديم كل المساعدات اللازمة للقضاء على تنظيم القاعدة، بل ولجأت كذلك إلى قوى معادية تقليدياً كروسيا والصين لفعل كل ما يمكنهم فعله من أجل مساعدة أمريكا.

وإن المرء لا يملك إلا أن يقف إجلالاً للقوة الربانية التي تنصر المجاهدين في سبيل الله، فهذا الحشد الرهيب – الذي لا تحتاجه أمريكا أصلاً بسبب قوتها الجبارة – كفيل بأن يدمر كل ما يتحرك على وجه الأرض، ومع ذلك لم تتمكن أمريكا من النيل من المجاهدين.

وبعد مرور عام على إصابتها في مقتل، لم تشف أمريكا غليلها بعد، ولذلك فهي تبحث عن انتصارات حقيقية أو وهمية على أعداء ربما لا ناقة لهم ولا جمل، تقنع بها نفسها وحلفاءها بأنها لا زالت قوة عظمى.

ب – عند أول أزمة حقيقية تعرضت لها أمريكا ممثلة في أحداث سبتمبر، أضحت أمريكا مضرب المثل في مخالفة الشعارات التي تحملها كاحترام الحريات وحقوق الإنسان.

فهذا معتقل غوانتانامو – الذي أرادت به أمريكا إرهاب المسلمين – شكل أكبر وصمة عار في جبين الديموقراطية الأمريكية.

كما أن الاعتقالات الظالمة التي طالت الآلاف من أبناء الجاليات المسلمة في أمريكا، والتي تم فيها تجاوز أبسط الحقوق المدنية للمعتقلين، لطخ إلى الأبد الصورة الوردية التي تصورها أمريكا عن نفسها.

فالاعتقال دون تهمة محددة، وإخفاء أسماء المعتقلين، وممارسة كل أنواع الضغوط والتعذيب، والادعاء بغير دليل، ومراقبة التليفونات والبريد الإلكتروني بصورة واسعة، والكشف عن الحسابات الفردية في البنوك وغيرها من الإجراءات الاستثنائية، وتشكيل محاكم عسكرية سرية، يحق للرئيس فقط تحديد من يحاكم أمامها، على أن تكون كل إجراءاتها سرية، ولا يحق للمتهمين أن يستأنفوا أحكامها (وضمنها الإعدام) صار هو النموذج الأمريكي للعدالة.

ت – لقد كانت غزوة ١١ سبتمبر نموذجاً في بيان إخفاق الأجهزة الاستخباراتية الأمريكية، التي كان يرتعد لذكرها فرائص الكثيرين فيما سبق، فأمريكا لم تستفد لا من منظومة المراقبة عبر الأقمار الصناعية إشلون (تضم ١٢٠ قمراً صناعياً تجسسياً وكلفت ملايير الدولارات)، ولا من الوكالات التجسسية الأمريكية الثلاثة عشر ذات الميزانيات الضخمة، في إيقاف ١٩ مجاهداً مسلحين بسكاكين، والذين استعملوا أدوات الخصم في الإجهاز على معالمه الاقتصادية والعسكرية.

ث – استراتيجياً دمر تنظيم القاعدة بغزوة ١١ سبتمبر ركائز الاستراتيجية الدفاعية الأمريكية، والتي لم يستطع الاتحاد السوفييتي السابق ولا أية دولة معادية النيل منها.

وهذه الركائز هي: الإنذار المبكر، الهجوم الوقائي ومبدأ الردع.

كما سببت هذه الغزوة تمططاً كبيراً لقدرات أمريكا التي اضطرت لنشر قواتها في مسارح كثيرة دون أن تحرز النصر في أي منها.

من ناحية أخرى بينت الغزوة أن أمريكا تعاني من أزمة استراتيجية بعد انتهاء الحرب الباردة، بمعنى أنه لم يعد لديها استراتيجية واضحة وكاملة وذات هدف واحد كما كان الحال إبان الحرب الباردة، ومن ثم فهي تتعامل مع كل طرف وفق استراتيجية مفتوحة قائمة على التجريب أكثر منها قياماً على الرؤية المستقبلية.

ولعل من أسباب ذلك أنها تواجه عدواً هلامياً وعقدياً، يصعب ضربه أو اختراقه، ويمكن أن يتشكل في صور مزعجة ودون إمكان رصده.

ج – عسكرياً شكلت غزوة ١١ سبتمبر أكبر تهديد للوضع العسكري الأمريكي القائم.

فالاستراتيجية غير المتوازية (Asymmetric) الذي ينتهجها تنظيم القاعدة، والتي تقضي بأن يستخدم الخصم وسائل وأساليب يستحيل على المدافع عن نفسه أن يستخدمها أو يتعرف عليها أو يتفاداها، جعلت التفوق العسكري الهائل لأمريكا دون فائدة، مما قلل من فاعلية الردع العسكري الأمريكي دوليا.

كما أن انتشار سلاح القنبلة الاستشهادية، وكونها لم تعد قاصرة على فلسطين بل انتقلت إلى أهداف أمريكية أربك الحسابات الأمريكية وجعل الإحساس الأمريكي بالأمن يتبخر.

ح – إعلامياً فشلت أمريكا في تسويق حملتها الصليبية.

فالآلة الدعائية الأمريكية لم تتمكن من هزم مشاعر الكراهية لأمريكا، بل ولم تبدد حتى الشكوك الأمريكية الداخلية.

إن ضخامة الآلة الدعائية الغربية لم تمنع هزيمتها على يد الشيخ أسامة فيما يشبه حركة جودو، فكاميرات C.N.N وغيرها من ديناصورات الإعلام الأمريكي هي التي تكفلت بالإشهار للغزوة وبث الرعب المرجو منها، دون أن يكلف ذلك تنظيم القاعدة مليماً واحداً.

كما أن أشرطة الرعب التي أذاعتها C.N.N مؤخراً، زادت من تبيان القدرات التي يملكها المجاهدون وتمكينهم من قلوب أبناء الأمة الإسلامية.

أما أشرطة الفيديو للشيخ أسامة وغيره من القياديين، والتي انفردت بها قناة الجزيرة وجلبت لها الشهرة الدولية، فقد ضمنت نقل صوت المجاهدين للأمة الإسلامية والعالم بأسره دون كلفة تذكر مقابل خدمة لا تقدر بثمن.

وللمفارقة تجدر الإشارة أن العديد من المنظمات الثورية قامت في الماضي بعمليات خطف للرهائن فقط من أجل إذاعة بيان لها، بينما اليوم تتسابق كل وسائل الإعلام الدولية على نيل السبق في نشر ما يقوله المجاهدون.

كما تم توظيف الإنترنت من قِبل المجاهدين بشكل فعال لإيصال صوتهم ووجهات نظرهم لمئات الآلاف من المسلمين.

٣- الآثار المرحلية والمستقبلية:

أ – إن غزوة ١١ سبتمبر تؤرخ لبداية انهيار الإمبراطورية الأمريكية.

فقد أثبتت الضربات على أن أسس القوة الأمريكية من الهشاشة بمكان، وذلك أن الاقتصاد وهو أهم هذه الأسس قائم على أسس ربوية كاذبة خاطئة وعلى الاستهلاك الشره، الذي متى توقف تضرر الاقتصاد.

ونظراً للانعكاس النفسي الكبير لهذه الغزوة على الجمهور الأمريكي، فإن أنماط الاستهلاك تغيرت وازدادت الخسائر المتعلقة بقطاعات الطيران والسياحة والتأمينات لتضفي ظلالاً من الشك على صحة الاقتصاد الأمريكي.

ويكفي معرفة أن الخسائر الاقتصادية للولايات المتحدة (المتعلقة بقطاع الطيران فقط) عقب الأحداث بلغت ١٠٠ مليار دولار، إضافة إلى إلغاء ما يقارب من ١٠٠ ألف وظيفة، ثم الخسائر الأخرى التي بلغت بمجموعها تريليون دولار وتسببت في فصل مئات الآلاف من الأمريكيين عن عملهم، لإدراك هول الضربة وتاريخها للبداية الفعلية للانهيار الأمريكي.

ب – إن إفرازات الغزوة فيما يخص العلاقات الدولية شكلت زلزالاً جيوسياسيا، ومن تجليات ذلك الزلزال:

١ – استفادة الولايات المتحدة الأمريكية من دخولها ساحة صراعها السابق مع السوفييت وخاصة الجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفييتي السابق، وتكريس وجودها معززة قواعدها بشكل يوحي بالبقاء الطويل في تلك المنطقة، وهذا بالذات عامل سيزيد من فرص الاحتكاك مع روسيا والصين في المستقبل المنظور.

٢– اهتزاز التحالف الأوروبي – الأمريكي، خاصة عندما حددت أمريكا أهدافها الحقيقية وهي (التدخل في الشؤون الداخلية لدول العالم الثالث)، بهدف رسم معالم عالمها الجديد أو إعادة أقلمة المناطق وفق مصالحها واستراتيجياتها.

٣– ظهور ملامح الانهيار على تحالف أمريكا مع السعودية وبدرجة أقل مع مصر.

فلم يعد النظام السعودي الطفل المدلل لدى أمريكا، بل أصبح أقطاب هذا النظام ينعتون في الإعلام الأمريكي بالفساد والعبث بأموال شعبهم ودعم التطرف، ويبدو أنها مقدمات للسيطرة المباشرة على شؤون الحكم في السعودية، بعدما لم تعد ديبلوماسية الشيكات التي كان ينتهجها حكام السعودية كافية لإرضاء الأسياد في البيت الأبيض.

٤– تثبيت سيطرة أمريكا على أغلب المنافذ البحرية العالمية بحجة مطاردة الشيخ ابن لادن ومنعه من الفرار، مما دفعها لترسيخ قواعدها في المحيطات والزيادة في العدة والعتاد هناك، وهي خطوة ستكلف واشنطن كثيراً عسكرياً ومالياً خاصة في ظل استمرار تدهور الاقتصاد الأمريكي.

ت – إن الغزوة أدت بأمريكا للاتجاه نحو الحكم العسكري، فللمرة الأولى في تاريخ الولايات المتحدة يتم تشكيل قيادة عسكرية للإشراف على الأمن الداخلي، يرأسها جنرال.

كما تم تشكيل حكومة سرية تعمل في موقعين حال تعرض الولايات المتحدة لهجوم عسكري مفاجئ، وتتولى إدارة الوظائف الحيوية، ولا رقيب عليها من جانب أي مؤسسة دستورية، وقد وضعت إدارة بوش هذا السيناريو في ظل غياب كامل للكونغرس، مع الإصرار على رفض أي معلومات حول خططه بشأن آليات تلك الحكومة.

وهي خطوة تؤكد الاتجاه نحو حكم شمولي عسكري، وتشكل انهزاماً ساحقاً للقيم الأمريكية عند أول صدام.

كما أن مطالبة الرئيس بوش بمنع التسريبات، أدت على الصعيد العملي إلى فرض ستار كثيف من السرية بعيداً عن الشفافية والمساءلة البرلمانية، وكانت الحصيلة عدم تحديد المسؤولية، أو حساب أي مسؤول عما حدث في ١١ سبتمبر.

ث – لقد كانت طالبان حجر عثرة أمام الأطماع الأمريكية في الاستحواذ على نفط بحر قزوين، لكن بإزاحة حكومة طالبان (مؤقتاً إن شاء الله) وتأسيس حكومة عميلة في أفغانستان، أصبحت الساحة مهيأة لبناء أنابيب للنفط والغاز الطبيعي تربط بين بحر قزوين وتركيا وأوروبا.

وهذا يعني أن الطلب على النفط العربي سينخفض بعد أن يصبح بترول بحر قزوين مطروحاً في الأسواق.

وعليه فقد كانت المساندة الرسمية الخليجية للحملة الصليبية خطأً فادحاً ستتجلى آثاره على الاقتصاد الخليجي، بعد أن صار بالفعل تحت وطأة صدمة خارجية عنيفة سوف تدفع إلى خفض نمو الناتج المحلي لدول الخليج.

ج – لقد توافقت الغزوة مع ارتفاع حدة وموجة العداء الشعبي للولايات المتحدة الأمريكية بعد أن كانت تمثل نموذج العالم الحر ونموذج القيم الديمقراطية.

فقد التقى في هذه النقطة القوى الشعبية الإسلامية مع قوى أخرى في العالم لها مواقف مناهضة للولايات المتحدة الأمريكية، فموجات مناهضة (العولمة/الأمركة) بدأت تتسع، وظهر ذلك جلياً في المظاهرات الكثيرة التي شهدتها أمريكا نفسها وكذلك أوروبا وجنوب أفريقيا، فهناك رفض شعبي حقيقي متعدد المشارب (مثقفون، مهتمون بالبيئة، معارضو الحروب) للسياسة الأمريكية.

وما الصراخات والهتافات التي جابهت خطاب وزير الخارجية الأمريكي خلال قمة الأرض (٠٤/ ٠٩/٠٢) إلا نموذجاً للوعي الشعبي العالمي تجاه السياسات الأمريكية الظالمة.

ح – لقد تكثف الاهتمام بالإسلام على مدى السنة المنصرمة في كل أنحاء الأرض، وراجت الكتب الإسلامية، وخصوصا اقتناء نسخ المصحف الكريم.

وهذا مما يبين أن نور الجهاد والتضحية من أجل الدين تحمل من القوة على إقناع الآخرين بما عليه المسلمون من الحق، أكثر من ملايين الكلمات والخطب.

لقد كانت غزوة ١١ سبتمبر دون جدال عملية محورية في تاريخ الأمة الإسلامية، ويكفي أن الأمة كانت تعيش في براثن الذل بعد أن صار الممكن (تطبيق الشريعة الإسلامية – تحرير فلسطين إلخ) مستحيلاً بسبب خيانة وعمالة الأنظمة العربية، لتأتي الغزوة فتحول المستحيل ممكناً).

٥ - مؤامرة بين ابن لادن والتاريخ!! [١]

[١] للكاتب الكبير لويس عطية الله.

جاء في نشرة الإصلاح العدد ٣٢٥ بتاريخ ٢٩ يوليو ٢٠٠٢م ما يلي: (ظاهرة لويس عطية الله رغم أنه اسم رمزي ولا تعرف شخصيته، فقد فرض الكاتب الذي يستخدم اسم "لويس عطية الله" نفسه في البيئة الفكرية والثقافية من خلال كتاباته في المنتديات الحوارية.

ومع أن كتاباته في الأصل تنشر في المنتديات الحوارية فقط، إلا أن اسمه تجاوز الإنترنت إلى أن أصبحت مقالاته تصور وتوزع، بل تناولت جريدة القدس العربي ظاهرته بالدراسة والتحليل.

ولا نعتقد أن المرء يبالغ إن قال أن قراء المنتديات الحوارية أصبحوا يتلهفون لرؤية المقال التالي للويس عطية الله، بل إن كتاباته أصبحت تمثل مدرسة، وتساهم في توفير ذخيرة هائلة لأصحاب فكر معين ضد خصومهم.

ومن المعلوم كقاعدة ثقافية معروفة أن الشخص المجهول ربما يصنع شيئاً من الإثارة لكنه لا يصل إلى مرحلة الرمزية والتأثير الحقيقي وفرض نفسه كقلم صانع لتيار فكري.

هذا الظهور والتمكن لكاتب شبحي - كما سمته القدس العربي - يطرح سؤالاً أساسياً، هو كيف فرض هذا الكاتب الشبحي نفسه، وساهم في صناعة هذا التيار، وتحول إلى سيف فكري مسلول لدعم التيار الجهادي، وإرهاب فكري حقيقي لخصوم هذا التيار؟

ويتعاظم السؤال حين يكون الاسم الذي اختاره هذا الكاتب لنفسه اسم نصراني، بمعنى أن الانبهار بهذا الكاتب تجاوز إشكالية الاسم ليتعامل مع عطاء الكاتب مباشرة.

الإجابة على هذا التساؤل لا تمكن إلا بمعالجة مسألة لويس عطية الله كظاهرة، وليس ككاتب مبدع.

وإن أريد للمسألة أن ينظر لها كظاهرة فهي تتكون من الأركان التالية:

أولاً: حالة القمع الفكري الراهن في بلادنا والتي تمنع أي صوت يخالف وجهة النظر الرسمية تجعل من الطبيعي اللجوء لوسائل التخفي، ليس لغرض النجاة من العقاب فحسب، بل لغرض الاستمرار في العطاء.

هذان المطلبان، السلامة وضمان الاستمرار في العطاء، مطلبان مشروعان، وكونهما مشروعان يجعل الحرص عليهما مسألة طبيعية غير مستنكرة.

ولذلك يستخف الناس دائماً بمن يطالب الكتاب المبدعين الذين يستخدمون أسماء مستعارة بترك الكي بورد واستخدام المواجهة المعلنة.

تحول هذه المسألة إلى قضية طبيعية وطأ لظهور شخصية لويس ككاتب مؤثر.

ثانياً: مع استمرار القمع الفكري وتوفر الوسائط الحديثة المتمثلة في الإنترنت، تحولت منتديات الإنترنت إلى وسيلة إعلام أكثر مصداقية من صحف النظام ووسائل إعلامه، لأنها تقدم مادة هي في الجملة أقرب إلى نبض الناس مما يكتب في الصحف أو يقال في وسائل الإعلام.

ولذلك تشكل لدى الناس بعد مرور عدة سنوات على ظهور الإنترنت ثقافة جديدة وأعراف تقدر وتحترم الكاتب الرمزي بقلمه وعطائه دون الحرص على التحقق من اسمه وشخصه، ولهذا السبب لم يلتفت الناس كثيراً إلى من يكون لويس عطية الله على الحقيقة ما دام يكتب بتلك القوة وبهذا العطاء.

ثالثاً: التيارات الفكرية والثقافية الدارجة بين الناس من خلال الوسائل الرسمية تيارات مصطنعة متكلفة، إما لأنها مصنوعة أصلاً بيد أزلام السلطة الحاكمة حتى تسوّق تسويقاً باستخدام الإعلام الرسمي، أو لأنها أفكار في أصلها قريبة من الناس عدلت وكيفت وحورت حتى تناسب وضع القمع الفكري، فصار فيها "تزييف للوعي".

والجمهور لديه ذوقه وتوجهاته التي لا تشبعها هذه الأطروحات المفروضة فرضاً بوسائل الإعلام، أو التي يسوّقها العاجزون والخائفون والمترددون.

ولا يمكن لأحد أن ينكر أن الجمهور يحب لغة نبذ الظلم وكشف الخيانة والتمرد على الاستبداد، ويحب لغة تحدي الأعداء والبراءة من الخونة، والتغني بأمجاد من يراهم أبطالاً، ويطرب للدفاع عنهم وتسفيه من يخالفهم.

وجود هذه العناصر في كتابات لويس أخذ قلوب الناس قطعاً، خاصة أنه اختار من يراهم الناس أكبر الأبطال، مثل المجاهدين وخاصة أسامة بن لادن.

رابعاً: مهما قيل في الناس فإن لديهم ما يكفي من القابلية التقويمية للغث من السمين فيما يقرأون.

(تقديم

بسم الله.. رب يسر وأعن.

كنت قد جهزت هذا المقال بعد أن نشر الشيخ رسالته لأهل العراق، وقبل أن أنشره في الموقع ظهرت رسالة الشيخ الثانية العامة للأمة والتي اعتبرت خطبة عيد، فاحترت هل أعيد كتابة المقال بما يتناسب مع المعاني الكثيرة التي بثها الشيخ في رسالته الجديدة أم ماذا؟

ووجدت أنني لو أخرت ذلك لضاع المقصود، فقررت نشر المقال على أمل أن أعيد تفرس وقراءة رسالة الشيخ الأخيرة وأنبه على فوائدها العظيمة في مقال جديد.

ورغم كل ما مارسه النظام من سياسة تتفيه الناس في بلادنا، فبحمد الله وفضله يشهد الكثير من أهل البلاد الأخرى أن المستوى الثقافي العام يعتبر نسبياً متفوق مقارنة بكثير من الشعوب الأخرى.

والناس لديهم ما يكفي من أدوات التقويم التي يمايزون بها بين الكتاب والمفكرين، ولذلك يستطيعون رؤية الفارق الواضح بين أطروحات فلان وأطروحات فلان وفلان.

والناس لا يعجزون أن يلاحظوا أن كتابات لويس تتميز بالجمع بين تدفق العاطفة وعمق الفكر وثقل المعاني مع شعور عارم بقوة الصدق وأمانة الطرح فيها، هذه الطبيعة الآسرة لمقالات لويس تقارن تلقائياً بأطروحات الخصوم فتكشف الهوة الشاسعة في الطرح بسهولة.

خامساً: الناس عموماً يحبون من يواكب المرحلة في الطرح ويتحدث إليهم بشكل مباشر فور ورود التساؤل إلى أذهانهم، وهذا ربما كان مسألة محورية في تحول كتابات لويس عطية الله إلى ظاهرة.

كانت كتابات لويس قوية وجزلة في الوسطية، ولكن لم يلتفت لها إلا القليل من المهتمين بالفكر والثقافة، ولكن بعد أن أصبح يواكب الأحداث ويرد على الأطروحات في وقتها منذ مقاله "إفلاس الإسلاميين" تحول فعلاً إلى ظاهرة لأنه أصبح يجيب بالسرعة المطلوبة على التساؤل المطروح في أذهان الناس تجاه الحدث، ويحس من يقرأ مقاله أنه وضع مشاعره في الكلمات التي كان يتمناها ولم يستطع صياغتها.

هذه الأسباب مجتمعة هي التي جعلت شخصية لويس عطية الله الشبحية يكون لها كل هذا الشأن، ولو قدر لبلدنا أن تفتح هامشاً ولو محدوداً لحرية التعبير لما توفرت الأرضية لهذه الظاهرة أن تتكون.

وقد تحدثت في هذا المقال وأثنيت على الشيخ وأنا أعلم أنه قد مضى الوقت الذي نثني على الشيخ ونمجده، فقد تجاوزنا هذه المرحلة وصار همنا أن نتأمل الفوائد الجليلة التي يبثها الشيخ في كل مرة يتحدث فيها.

وفي كل مرة نفعل ذلك نجد أنفسنا مرغمين على تأمل التوفيق الرباني في كل خطوة يخطوها الشيخ والمجاهدون، وندرك جيدًا أننا نجني على العبقرية والإبداع والمعاني العظيمة إذا لم نذكر الناس بمآثر هذا المجاهد الجليل..

وفي كل مرة أتأمل في كلمات هذا الرجل أدرك أن الله سبحانه هو الذي يصنع هؤلاء المجاهدين على عينه، وهو سبحانه الذي يوفقهم لما هم عليه، فتظهر لنا من أحوالهم الأعاجيب، وأجدني منساقاً للحديث عن أمور غير التي اعتدنا الحديث حولها..

فلم يعد الآن مجال الحديث عن عبقرية ضربة سبتمبر، ولم يعد الحديث عن ثبات هذا الرجل ووضوح برنامجه، ولم يعد الحديث عن قدرته وقدرة القاعدة على امتصاص الصدمات..

بل نحن الآن نشهد انقلاباً تاريخياً لم يخطر ببال أكثر مفكرينا تفاؤلاً واستشرافاً للمستقبل..

انقلاباً تنكشف فيه الحضارة الغربية المزعومة، وتنقض عراها أمام أعيننا عروة عروة..

في كل كشف ترى لمسات هذا الرجل العظيم..

ترى من خطر بباله أن بريطانيا هذه الدولة العريقة في احترام القانون والقضاء تقرر باختيارها واختيار برلمانها أن تعزل القضاء عن قرار الحاكم!

ترى من خطر بباله أن ينهار النظام الدولي بزعامة أمريكا، فتتمرد الدول على أمريكا الأولى تلو الثانية، ثم تحتقر كوريا الشمالية أمريكا وتهددها بضرب مدنها جميعا..!

من خطر بباله أن حلف الناتو هذا الحلف العريق يختلف ويتهارش فيه أعضاؤه تهارش الصبيان تماماً مثل حكام العرب!

من خطر بباله أن ينكشف الغرب ويخلع عنه رداء المبادئ المزعوم، وينفضح الجميع وهم يتعاركون على اقتسام الكعكة وكأنهم مجموعة من الأوغاد، بل هم أوغاد يختلفون على اقتسام ما سيسرقونه مما لم يسرق بعد!

هذا الذي نشهده اختزال غير طبيعي للمدة التي تنفذ فيها السنن الكونية، فيحصل ما يمكن أن يحصل في قرن أو نصف قرن خلال سنتين، ولا شك ولا ريب عندي أن ابن لادن حاضر في كل ذلك.. وتلومونني في الشيخ أسامة؟

والله العظيم يا فضلاء.. إن تحطيم إمبراطورية وهزيمة جيش كامل أهون من اختزال السنن الكونية التي تحدث ببطء في سنين معدودة..

في استعادة مقاربة جداً للاختزال التاريخي في عهد الصحابة الفاتحين عندما أزالوا إمبراطوريتين من الوجود خلال أقل من عشر سنين..

قد تستغربون كلامي، لكن اسألوا أنفسكم، أليس في فكرنا وتربيتنا ومنهجنا أن الدقة والانضباط والتنظيم والتفاهم والتخطيط وحسن التآمر هو من نصيب أعداء الإسلام وخاصة الغرب؟.

ألم تنقلب الآية؟ ألم نر الغرب الآن ينظر لابن لادن على أنه قمة في التخطيط والتنظيم والدقة والقدرة على التآمر، ويعتقد أنه متغلغل في كل مكان وكل شيء، بل صاروا يعترفون أنهم مهما فعلوا لم يكن باستطاعتهم رد حدوث ١١ سبتمبر..!

ألم تكن نظرتنا للغرب سابقاً بأنه وراء كل شيء، وأن كل ما يحدث في العالم يفسر بأنه من تخطيط الغرب وإسرائيل والموساد والسي آي إيه..؟

هذا الوضع انقلب تماماً، وأصبح الغرب يفكر تجاهنا بفكرة (المؤامرة)، وأصبح الغرب يعتقد أن القاعدة مسؤولة عن كل شيء، وصار لديهم الاستعداد النفسي لتفسير أي حدث عالمي بأنه من تخطيط (أسامة بن لادن)، إلى درجة أن المكوك حين انفجر في الفضاء كان احتمال أنه من عمل القاعدة أحد الاحتمالات التي طرحت في وسائل الإعلام!!!!

تماماً مثلما كان يردد كثير من متثيقفينا وكتابنا من تفسير كل حدث بأن وراءه إسرائيل وأمريكا!

وبعد أن تربت أجيال كاملة منا على كتب مثل: (اليد الخفية) و (الدنيا لعبة إسرائيل)، فإنه خلال سنة واحدة تربى العالم الغربي على أسطورة أن (الدنيا لعبة ابن لادن)!!

يا سادة، ألا توافقون أن جيلنا والجيل الذي قبله والجيل الذي قبله إلى ستة أجيال أو أكثر لم يعاصروا هيمنة غربية، فحسب بل عاصروا تفوقاً حضارياً تشكلت من خلاله أذواقنا ونظراتنا وتقويمنا لنفسنا ومجتمعنا.. ترى كيف يتراكم هذا التأثير كل هذا التراكم ويصل الغرب إلى ما يبدو وكأنه ذروة الهيمنة السياسية والعسكرية والتقنية والاقتصادية، وتماماً في لحظة هذه الذروة يضرب ابن لادن ضربته فتتهاوى الحضارة الغربية أمام أعيننا ويزول وهجها وأبهتها وتنتزع من أذواقنا ووجداننا وعقلنا الباطن!!

هنا يظهر الإعجاز في التحولات التاريخية الكبرى التي قال عنها شخص مثل لينين: (عقود تمر على الأمة لا يحصل فيها شيء، ثم تمر سينين يحصل فيها عقود)!!!

(in decades nothing happens, and in days decades happen).

وفي هذه الأيام أو الشهور القليلة حصل فعلًا هذا التغير الذي توقعنا أن لا يحصل إلا في عقود أو قرون..

هذه كلها دلائل ومؤشرات حاسمة على مدى الانقلاب الحضاري الذي يحدث، ولا يمكن لأي منصف أن يغفل أثر الشيخ أسامة على هذا الانقلاب.

وفي هذا المقال أحاول أن أتقرّأ في ذلك الأثر الذي تركه الشيخ على المسألة الحضارية في الصراع بيننا وبينهم..

المقال..

أليس غريباً للغاية ومذهلًا بشكل غير طبيعي هذا الظهور الأسطوري لشيخ المجاهدين في العالم؟ لا تستعجلوا أنا أقصد أمراً وسأشرحه الآن..

لا أعرف كيف أشرحه، فبعض الأغبياء ربما يقول إن لويس يعتقد أن ابن لادن نبي، وقد سئمت من هؤلاء الذين لا يفهمون الكلام أصلًا ثم يناقشون..

لكن ما أريد قوله أن هناك حكمة إلهية بالغة في ظهور المشهد والصراع بين الحق والباطل بهذا الشكل الخيالي الذي لولا توفره أمام أعيننا لظننا أنه قصة أسطورية مثل قصص الأبطال الأسطوريين السابقين..

الذي أعرفه أنه لم يحصل مذ خلق الله آدم وإلى عصرنا أن اجتمعت الدنيا على عداوة رجل واحد مؤمن مثلما يحدث الآن.. نعم أمم الكفر عادت أنبياء الله، لكن لم يحدث في التاريخ اجتماع كل حكومات الكفر في الدنيا على عداوة رجل مؤمن..

وقد قالوا إن الدنيا أصبحت قرية واحدة في عصرنا، وفي عصرنا اجتمع كبراء تلك القرية على عداوة رجل مؤمن واحد بما لم يحدث من قبل..

وما جرى خلال السنتين الأخيرتين من استقطاب عالمي، وتحول المواجهة بالنسبة للغرب بحيث أصبحت معتمدة على قتل أو إلقاء القبض على شخص واحد هو الشيخ أسامة، ثم

التعاقب الفانتازي للأحداث، ثم أخيراً حكاية الشيخ عن معركة تورا بورا، وحكاية جزء مما حدث.. كلها تعطيك مؤشراً لا يمكن أن يخطئ على أن هناك شيئاً ما يحاك.. مكر ما يحدث لجهة ما، وهذه الجهة تساق إلى حتفها وقد حان أوان ذلك.. والله خير الماكرين.

ما أريد قوله أن الغرب وأمريكا وبوش على وجه التحديد كانوا يعتقدون أن مصير حملتهم ضد الإرهاب كلها معتمدة على القضاء على الشيخ أسامة!

بماذا يوحي لكم هذا المشهد؟

ألا تلاحظون أن ما يجري من محاكاة للقصص القرآني ومن قصص الأنبياء، وكون المعاداة تصبح متعلقة بالشخص الواحد، ويصبح ذلك الشخص هو المطلوب الأول، ويصبح رمزًا للمواجهة، وتتجند كل القوى للقضاء عليه ومطاردته وتعذيب أتباعه، وغيرها من مراحل الصراع، ولعل هذا واضح من قصة موسى عليه السلام في مواجهته لفرعون.

أقول إن هذه المحاكاة الغريبة والمثيرة للغاية، وكون تسلسل الأحداث يسير بحيث يصبح شخص الشيخ أسامة هو القضية بالنسبة للغرب، ويصبحون يعتقدون جزماً أن قتل الشيخ أو إلقاء القبض عليه سيحل مشكلتهم الأمنية مع تنظيم القاعدة؛ تجعلني أتأمل بشيء من التشوق الشديد لمعرفة السر الكامن وراء كل هذه الصورة..

ألم يكن ممكناً مثلاً أن تكون المواجهة الحالية قد تم تقديرها إلهياً على يد مجموعات وجيوش وقوات مسلمة لا يظهر فيها الشخصنة ولا يصبح الفرد هو القضية..؟ أعني ألم يكن ممكناً أن تكون المواجهة معتمدة على دفاع أمة كاملة عن كيانها..؟

لكن الله لم يقدر هذه الصورة، بل قدر لنا صورة مغرقة في الخيال..

والعجيب أن جميع نظريات المؤامرة التي بدأت مع بداية القصة انتهت تماماً وتلاشت، ولم يعد أحد يستطيع أن يدفع عن نفسه الانبهار بما يحصل من صور لولا حدوثها أمام أعيننا لربما رفضناها تحت مسمى (غير منطقية) أو غير متصورة واقعياً.

إن صورة الصراع الحالية بين الحق والباطل، بين الفئة القليلة والفئة الكثيرة، تجسدت بأبهر صورها التاريخية في هذا العصر، وكأن الله ساق لنا هذا النموذج الأسطوري في هذه الفترة القصيرة بالنسبة لعمر الأمم.

لعل الله فعل بنا ذلك لأن الاستحقاق القادم والواجبات التي على الأمة فعلها تحتاج إلى مثل هذا النوع من النقلات والطفرات التاريخية..

ما يحدث يا سادة طفرة تاريخية، نقلة حادة في التاريخ، لا يمكن اعتبارها بأي حال من الأحوال تدرجاً طبيعياً في ظل قصر المدة التي جرى فيها ما جرى وما يجري..

وكأن الأقدار سيقت خصيصا لكي يحدث تغيير جذري في العقلية الإسلامية وفي طبيعة الأمة وطريقة تفكيرها ونظرها للغرب..

وكأن تلك الأقدار أرادت أن تعلم الأمة عن طريق النموذج الحي والعملي كل ما تقرأه في القرآن نظرياً..

فها هو الشيخ يحكي لأهل العراق قصة الميل المربع الذي قصفته أمريكا لأسابيع وهو نفسه كان متواجد معهم ولم يصب بأذى.. لتوقن الأمة يقيناً تاماً بأن الموت والحياة والقوة بيد الله وحده.

إن التغيير المعرفي وتجربة النقلة الحضارية التي يقوم بها الشيخ أسامة بالنسبة لهذه الأمة لا يمكن بأي حال مقارنتها بالتدرجات الطبيعية التي تحصل للأمم، ولذا أفضل وصف لها هو

اعتبارها (طفرة) تاريخية، وهي طفرة لم تخرج إطلاقاً عن السنن الربانية في النفوس والمجتمعات بل هي نتيجة فورية لتحقق تلك السنن.

وأعني بالتحديد سنتين، الأولى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

والثانية: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾.

فهي طفرة من حيث سرعة التغيير.. وكأن الزمن لم يعد له قيمة عند تحقق شروط تلك السنة.

وحتى لا أفقد التركيز في الحديث عن الطفرة، يحسن بي أن أعود فأقول إن التغيير الذي صنعه ابن لادن مرتبط ارتباطاً وثيقاً بأسباب قديمة ربما لا يلاحظها أو لم ينتبه لها أحد، لكن جامعها هو قوله تعالى: (ولن يضيع الله أعمالكم) [١]

ما أعرفه من نفسي أنه كان لي أصدقاء وإخوة وأقارب، ذهبوا أيام الجهاد الأول يطلبون الجهاد في سبيل الله ذوداً عن الأفغان في المرحلة الأولى، وما أعرفه أنهم قتلوا في سبيل الله هناك.. وعندما حدث الشقاق المحتوم بين الفرقاء هناك ندم كثير من الناس وقالوا قد سفكت دماء أولادنا هناك هدراً ومن أجل السلطة.. لكن الله قال: (ولن يضيع الله أعمالكم).

وما نشاهده اليوم من مشاهد العز والفخر، وما يسدده فرسان الإسلام من المجاهدين للغرب من ضربات هنا وهناك؛ كلها تنمي إلى تلك الدماء الطاهرة الزكية، لأن تلك الدماء وأولئك الشباب إنما قتلوا وهم يظنون أنهم يرجعون للأمة مجداً غابراً، ويدفعون عنها شيئاً من الظلم الواقع عليها، ومر على قتلهم سنوات طويلة، وتبين لنا اليوم أن الله لم يخيب ظنهم وأن الله لن يضيع أعمالهم.

---

[١] هذه ليست آية في كتاب الله ولعله أراد قوله تعالى (وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) (محمد: ٣٥).

هذا كله يعود بنا إلى الحديث الذي أردت الكلام عنه في هذه الورقات، وهي قضية ستنفع كثيراً في الاستدلال على ما سبق من أن هناك تقديراً إلهياً عجيباً في مساق الأحداث كلها، وأن تأمل ذلك التقدير هو أكبر معين ومبشر للمؤمنين في هذا العصر، وأن لحظة تأمل منهم ستجعلهم يخرون لله سجداً شكراً على ما حدث وفرحاً بما سيحدث، وهذا كله داخل في سياق البشائر..

سأقول لكم بصراحة متناهية، إن موضوع العراق ومشهد العراق ومشهد العقدة العراقية والغطرسة الأمريكية ضد العراق، هو في نظري مشهد غير مفهوم.. يعني بعبارة أخرى لو أنك كنت تتخيل نفسك تشاهد مشهداً يتحدث عن صراع بين قوتين، إحداهما عبارة عن رجل واحد يمسك بندقية، والأخرى عبارة عن جيش من المدرعات، وبدأت المعركة واستمرت مدة طويلة والبطل الذي هو صاحب البندقية لم يمت، والمدرعات لم تنهزم.. ثم فجأة ظهر لك في المشهد حدث غريب، وهو أن جيش المدرعات التفت إلى مجموعة أخرى من الفرسان بعيداً هناك وتوجه لهم يقاتلهم وترك البطل صاحب البندقية! ثم جلس البطل جانباً وأخذ يشجع الفرسان على الصمود والقتال.. ماذا ستقول في هذا المشهد؟

ستقول إن مشهد ظهور الفرسان في وقت العقدة الفنية وشدة الحرب يعني شيئاً من اثنين، إما أن جيش المدرعات غبي للغاية، أو أن مخرج المشهد يريد حدثاً قادماً حيث قرر هزيمة جيش المدرعات ولم يقرر هزيمة البطل، ولذا أظهر الفرسان في تلك اللحظة الحرجة لكي يشد انتباه جيش المدرعات ويأخذه بعيداً عن البطل، ثم يورطه في القتال مع الفرسان، وهنا سيضع لك المخرج الحبكة النهائية للقصة وهي أنه في لحظة انشغال جيش المدرعات بالقتال مع الفرسان سيقوم البطل صاحب البندقية بتوجيه طعنة خلفية للجيش ويقتل قائدهم بطلقة واحدة، ثم سيصبح جيش المدرعات بين فكي كماشة لينهزم، رغم أنه جيش مدرعات في مقابل قوات لا تذكر في موازين القوى..!

ستقول حسناً، المخرج في كل الأحوال يريد هزيمة جيش المدرعات، فأقول لك نعم ولذا هو يجعل جيش المدرعات يتصرف بشيء من الغباء وعدم التفكير العميق، فالفرسان لم يكن لديهم مشكلة مع جيش المدرعات، لكنهم عندما أجبروا سوف يقاتلون بدون شك.. والمخرج جعل جيش المدرعات يتصرف بحيث بدلاً من أن ينهي مشكلته مع البطل جعله ينجح في تجميع عدوين ضده في نفس الوقت، ولذا أخذ البطل يصرخ في الفرسان يقول لهم لا تخافوا من جيش المدرعات فهم جبناء ولم يستطيعوا قتالي وأنا لوحدي فقاوموهم كما فعلت أنا..

هنا تتضح الأحجية جيداً، ونفهم لماذا أرسل الشيخ أسامة رسالته لأهل العراق.. وكأنه يقول لهم أريد منكم يا أهل العراق الصمود فقط، وصمودكم سيعني لي الكثير، لأن ضربتي عندما تحين ستكون قاتلة وفي ظهر جيش المدرعات وفي عين قائدهم.

إذن نعود ونقول، إن المشهد السياسي كله كان طبيعياً ومفهوماً بعد ١١ سبتمبر.. ابن لادن ضرب أمريكا، وأمريكا هاجمته ولم تستطع هزيمته، حسناً.. معركة مستمرة.. يفترض أن أمريكا الآن كتفكير منطقي أن تفكر في طريقة أخرى لإدارة الحرب ضد الشيخ أسامة، لأنه هو الخطر الحقيقي عليهم.. لكن فجأة ظهرت قصة العراق! شيء خارج السيناريو المتوقع.. فما الذي يجري..؟

الذي يجري أن الأقدار الربانية ساقت أمريكا سوقاً إلى هذا الموقع، وأدخلتها مأزق العراق بطريقة غريبة للغاية.. الحرب كانت موجهة للقاعدة، ثم تغيرت وحضرت قضية العراق، وبقي ابن لادن حاضراً من خلال اتخاذ علاقة القاعدة بصدام ذريعة لشن الحرب!!

حسناً، السؤال: كيف حشر العراق فجأة في المشهد رغم أن المبررات التي تساق الآن في تبرير ضربه حاضرة وموجودة قبل القاعدة!! بل بدرجة أشد، فلماذا يحشر الآن؟؟

لا تقولوا تآمر من الغرب، فقد آن الأوان لنرى الكيد الحقيقي والمكر الحقيقي.. إنهم يكيدون كيدا وأكيدا كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا.. ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين..

نعم أمريكا تمكر والله يمكر بها، إذ يسوقها إلى هذه الحرب، وسترى الغرابة في أن دعاة الحرب إنما هم طائفة يصح وصفها بأنهم (الملأ)، فهم مجموعة متنفذة ذات مصالح في الإدارة الأمريكية، وتظن في حسابات الاستراتيجية والعسكرية أن ضرب العراق ضروري، وتغيير خارطة المنطقة يحمي مصالحها، لكنها تغفل عن مكر الله، وتغفل كذلك أنها مثل الشاة التي تسعى إلى حتفها بظلفها حين تفتح على نفسها حرباً في جبهة يكاد يجمع العالم أنها ستكون حرباً كارثية..

فهذه الشاة الأمريكية تسعى إلى تدمير نظامها الدولي بنفسها، وقد بدأ انهيار النظام الدولي الأمريكي بما يحدث من انشقاق ونزاع بين أقطابه في الأمم المتحدة ..

نعم إنها مسألة بسيطة إنها: إرادة الله.. كيد الله.. مكر الله سخر الله لنا رئيساً أحمقاً أهوجاً مثل بوش، وسخر الله لنا قضية كاملة مثل قضية العراق حتى يغوص فيها ويبلع الطعم، ولو كتب لقضية القاعدة أن تستمر على ما هي عليه دون عامل العراق، لربما لم تدخل المواجهة بين إسلام الجهاد وكفر أمريكا في سياق الطعم الكبير، ولاحتاجت القاعدة وابن لادن جهوداً على مدى عقود لتستكمل به مسيرتها، لكنه تدبير الله وأمر الله!!!

وقد كنت كتبت في مقال (النظام الدولي الجديد) أن ابن لادن سيسعى في مراحل الصراع إلى عزل أمريكا عن بقية العالم، بحيث تصل إلى مرحلة يتسابق العالم بالنأي بنفسه عن أمريكا، وذكرت في تلك المقالة على لسان الشيخ أنه غير متصور حقيقة كيف سيتم عزل أمريكا.. وغاب عن نظري قضية العراق، وربما لأن زخم القضية لم يأخذ بعده الذي أخذه في هذه الأيام، ولذا لم أتنبه إلى أن قضية العراق ستكون أول صورة بارزة وظاهرة جداً تدل

على عزلة أمريكا عن العالم.. بدون أن يدفع ابن لادن قرشاً واحداً في سبيل تكريس هذه العزلة، فمن الذي عزل أمريكا بهذه الطريقة؟؟ قولوا: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

والشيء العجيب أن العزلة الأمريكية تطورت إلى المرحلة التي وصلت إلى أن جزءاً كبيراً من الشعب الأمريكي نفسه أصبح معارضاً للحرب ضد العراق، فأصبحت الإدارة الأمريكية في عزلة شديدة، وصار العالم كله تقريباً ضد هذه الحرب في مقابل مجموعة عصابة البيت الأبيض كما يحلو للشيخ أسامة تسميتهم بها، مع التابع البريطاني الذي لحق به اسم الكلب.

عموماً قضية العراق إذا نظرت إليها وفق الصورة السابقة التي شرحتها لك في بداية المقال، لعلمت أنها هدية إلهية للمجاهدين.. أعني أن الغطرسة الأمريكية والتكبر في الأرض برز بشدة في قضية العراق، وصارت الدنيا كلها تقريباً متعجبة من هذا الإصرار الأمريكي الغريب على حرب العراق، ومعظم شعوب العالم صارت تعتقد بوضوح شديد أن هذه حرب لا مبرر لها إطلاقاً سوى غطرسة القوة والتجبر في الأرض والنفط.

يضاف إلى ذلك مسألة مهمة وهي أن عصابة البيت الأبيض تنظر للحرب في العراق من منطلق حتمية انتصارهم، وبلغ غرور القوة بهم إلى أن مثل رامسفيلد حدد موعداً لنهاية الحرب.. فهم واثقون تماماً من انتصارهم، واثقون إلى الحد الذي يجعلهم يتحدثون عن هذه الحرب وكأنها لعبة من ألعاب الكمبيوتر التي تقوم فيها بقتل الأعداء وهم يتفرجون عليك.. تماماً مثلما تصور فرعون أن انتصاره على موسى حتمي لا جدال فيه.

في الجهة المقابلة لهذه الثقة الأمريكية المطلقة بالنصر، يقف بقية العالم محذراً من أن هذه الحرب ستكون حرباً كارثية، وأنه لا يمكن التنبؤ إطلاقاً بما يمكن أن تجره على العالم من آثار، ولذا وقفت أوربا العاقلة ضد هذه الحرب بشدة..

الأوربيون أكثر عقلاً وأكثر خبرة تاريخية في الشرق الأوسط من الأمريكيين، ويعتقدون أن هذه الحرب مؤكد أنها ستخرج عن السيطرة، وأن الشرق الأوسط عبارة عن خزان وقود

مشحون بمشاعر الغضب والكراهية ضدهم، وأن هذه الحرب ستكون مثل عود الثقاب الذي يفجر المنطقة برمتها ويتسبب في كارثة تحل بالعالم الغربي نفسه، لأن نفط العالم كله تقريباً يتجمع في هذه المنطقة، ولذا فإن وجهة نظر الأوربيين أن يتم حسم المسألة العراقية بطريقة سلمية بدون حرب مع الحصول على المكاسب التي يفترض بالغرب أن يحصل عليها.

ولذا جاءت مبادرة ألمانيا وفرنسا في الإطار الذي يعطي الغرب الحق في التحكم بثرواتنا أيضاً.. بمعنى آخر أن الأوربيين لا يعارضون الحرب من أجل مبدأ أخلاقي بقدر ما يعارضونها لسببين:

الأول: أن الأوربيين يخافون كثيراً من خروج الأمر عن السيطرة، وهم يدركون جيداً أن الكاوبوي الأمريكي أحمق ولا يعرف كيف يدير الأمور جيداً، ومقتنعين تماماً أنه فاشل في التعامل مع قضايا المسلمين، حتى أن يوشكا فيشر عير الأمريكيين بقوله كيف تريدونني أن أدعم حرباً كهذه وأنتم لم تحسموا معركتكم مع ابن لادن؟

وخوفهم طبيعي ومبرر، فحالة الاحتقان في المنطقة العربية تنذر بنذر شؤم بالنسبة لهم، وانهيار النظام الذي قاموا ببنائه على مدى قرن مهدد بالانهيار لحظة اندلاع الحرب.

وأكثر ما يخيفهم ألا يتمكن الأمريكيون من حسم الحرب فوراً، ثم تبدأ أحجار الدومينو العربية (الحكام العرب) بالتساقط نتيجة ثورات شعبية مثلاً، أو نتيجة الفوضى التي يمكن أن تنتج عن اتساع نطاق الحرب خارج العراق واندلاع مواجهات غير محسوبة أو متوقعة بالنسبة لهم.. وأكثر ما يقلقهم بالطبع تحركات المجاهدين.

السبب الثاني بالطبع: هو خوفهم من الاختناق الاقتصادي الذي يمكن أن يسببه لهم وقوع كل نفط الشرق الأوسط بيد الأمريكيين، ولذا هم يصارعون بشدة ضد أي محاولة أمريكية للاستحواذ على كامل القصعة النفطية العراقية، ومبادرة فرنسا وألمانيا دلت على ذلك.

نتج عن هذا التناقض بين أوربا وأمريكا نتيجة خطيرة للغاية على مستقبلهم، وهي أنه لأول مرة يحصل صراع بين اللصوص على اقتسام الغنيمة، والمضحك جداً أنهم مختلفون الآن على اقتسام الغنيمة قبل سرقتها.

والذي يلوح في الأفق بعد كل هذا التناقض بين أوربا وأمريكا، أن أمريكا ماضية في حربها وأوربا ستقعد متفرجة، وسيصلون إلى المرحلة التي تتمنى فيها أوربا أن تؤدب أمريكا حقاً على يد أي قوة كانت، وربما يتجاوز الأمر مسألة التمني إلى مسألة الفعل ومحاولة إفساد السرقة على أمريكا، وهذا ما أتمناه أنا..

غير أن هناك مؤشراً حضارياً مهماً للغاية يظهر بجلاء نتيجة صراع اللصوص، وهذا المؤشر الحضاري عندما أتخيله أشعر بنشوة غير عادية، وأدعو بسببه بظهر الغيب للشيخ أسامة بن لادن.. هذا المؤشر سأتحدث عنه لاحقاً، لكن قبل ذلك أريد الإشارة إلى أن معظم المحللين الغربيين من عسكريين وغيرهم ينظرون للحرب من منظور واحد، ولا يهتمون إطلاقاً بأمور أخرى، وعدم اهتمامهم بها ليس لأنها ليست مهمة، وإنما لأن غرور القوة التي يملكونها وهاجس الأمل والأمنيات يدفعهم إلى التفكير باتجاه أن النصر حليفهم تماماً، ولن يجدوا أي مقاومة.

وأول تلك الأمور التي يغفلونها ولا يريدون النظر إليها أبداً: مسألة ماذا سيحدث في أمريكا لو أن ابن لادن ضرب ضربة ثانية داخل أمريكا؟؟

هل تصدقون من بين عشرات بل مئات المقالات، لم أجد أي شيء في الميديا الأمريكية يتحدث عن كيف ستواجه أمريكا الموقف لو حصلت ضربة لابن لادن داخل أمريكا؟

الأمر الآخر الذي لا يريدون حتى مجرد التفكير فيه: ماذا سيكون الموقف لو حصلت الضربة في خضم الحرب وبعد بدئها في العراق؟؟؟

الأمريكيون لا يريدون التفكير أبداً في هذه المسألة، ليس لأنها لن تحصل أو مستحيلة، بل لأنها تشكل كابوساً نفسياً بالنسبة لهم ولذا هم يهربون منها، يهربون حتى من مجرد الحديث عنها، ولا يريدون أبداً التفكير فيها.. عقلهم الجمعي يريد أن يتناسى هذه النقطة ويمحوها تماماً من ذاكرته، فهم يتعاملون مع أنفسهم من باب التفاؤل وعدم التفكير في المخاطر التي يمكن أن تواجههم، وأولها مخاطر القاعدة وما يمكن أن تتسبب به ضربتها الثانية.

بالنسبة لنا كمسلمين فإن قضية ضربة القاعدة الثانية والثالثة والرابعة مسألة لا تحتاج إلى اقتناع، لأنها أصلاً قضية واقعية، والكتائب التي أوكلت إليها مهمة ضرب أمريكا الضربة الثانية وكتائب الضربات المساندة للضربة الكبرى كلها قد اتخذت مواقعها، ولم يبق عليها سوى التنفيذ، ولم يبق على المسلمين سوى الدعاء.

فهذا العامل يتعامل معه الغرب بطريقة غير مفهومة نفسياً، فبلير مثلاً يقول: (إن ضرب القاعدة لبريطانيا مسألة حتمية)، وهذا صحيح، لكن بغض النظر عن مقصود بلير من مثل هذا التصريح، فإن تصرفاته كلها تدل على أنه لا يدرك ما يقول وحجم الخطر عليهم وعلى حضارتهم كلها.

والأمريكيون يدركون جيداً أنهم سيضربون ضربة أخرى تفوق ١١ سبتمبر، ومع ذلك سادرون في غيهم، ويوجهون حرابهم إلى جهة العراق.

مما يعطيك دلالة واضحة على أن الغرب فقد القدرة على التركيز، والغرب فقد القدرة على التفكير المنطقي الذي يحمي حتى مصالحه، فما يقومون به في العراق وما يمكن أن يحدث بسبب العراق وما يمكن أن تمثله القاعدة من خطر كلها أمور لم يعد لها تأثير على العقل الغربي للتفكير جيداً في المخاطر التي تواجه حياته، فالغرب فعلاً فقد القدرة على التصرف بعقل، وفقدان التركيز والتشتت حتى في معرفة مصالحهم، وكل ذلك بسبب بركة ضرب الشيخ أسامة لهم في ١١ سبتمبر.

ومهما كانت مبررات الحرب ضد العراق فإنه من الواضح تماماً أن عقل الإدارة الأمريكية توقف عن التفكير في أي شيء منطقي سوى في أنهم يريدون ضرب العراق بأي سبب ولأي مبرر، المهم أن عقل الكاوبوي تجمد عند قضية إزالة صدام..

فقدان التركيز في الحفاظ على مصالحهم الحضارية التي تضمن لهم بقاء التفوق التام في المنطقة هو أول أثر من آثار المؤشر الذي وعدتكم بالحديث عنه لاحقاً، وأعني بـ (لاحقاً) الآن..

هذا المؤشر قصدت به مقياس الارتقاء والانحدار الحضاري.. لو تابعتم جلسات اجتماع حلف الناتو بحضور رامسفيلد وبقية الأوربيين، ثم استمعتم للملاسنات التي حصلت، ومن قبله الردح السياسي الذي وقع بين الأمريكيين وبين الأوربيين؛ لاكتشفتم الكثير.. قم بعمل زوم للصورة.. صغر الصورة، ثم اربطها بما يجري وانظر لها نظرة شمولية..

وقل لي: كيف تفسر فقدان الغرب للياقة الديبلوماسية والأدب السياسي حتى وصل بهم الحال إلى تلك الملاسنات وذلك الردح أمام كاميرات التلفزيون، ثم وصل الحال إلى أن أصبح الحلف يجتمع لأول ثلث ساعة ثم ينفض المجلس بدون اتفاق عن أي شيء..! هلو! مرحبا هل نحن أمام اجتماعات قمة عربية؟ أو اجتماع وزراء الخارجية العرب؟

فهذا السلوك نعرفه جيداً من الرؤساء ووزراء الخارجية العرب! ولكن أن نشاهده أمامنا على الهواء مباشرة بين الذين يزعمون أنهم يتفوقون حضارياً علينا! ولماذا ما المشكلة؟

المشكلة خلاف حول اقتسام الغنيمة التي لم تقع في أيديهم بعد!!

هذا كله يدفعني للتفكير في أن الشيخ أسامة لم يساهم فقط في إهانة وضرب أمريكا، بل هو يساهم مساهمة فعلية مباشرة في الانحدار الحضاري بالنسبة للحضارة الغربية.. فنحن نراهم الآن يتصرفون بسلوك مشين، وكأن أوربا تمثل سيدة عجوز أرستقراطية معتدة بنفسها، تعتقد أنها صاحبة الحكمة، بينما رامسفيلد وشلة البيت الأبيض يتصرفون كفتاة ليل سفيهة

قذرة اللسان (بيتش) وفق المصطلح الأمريكي، ثم تلتقي هاتان المرأتان في ملاسنة شوارعية، وتخرج السيدة الأرستقراطية عن طورها، وتتصرف الأمريكية وفق طبيعتها، ثم تبدأ معركة شد الشعور أمام العالم الذي يتفرج باستمتاع.. وأنا واحد منهم طبعاً..!

الحاصل أنه وفق المقياس الحضاري نحن نرى اتجاهين متعاكسين على مستوى القوى المتحاربة، فنحن كأمة إسلامية نتجه بهدوء تام سابقاً – سيلحقه صخب كامل لاحقاً – في اتجاه التوحد حول القيادة العالمية الجديدة لأمتنا وهي قيادة المجاهدين، والغرب يتجه حضارياً نحو التشرذم والاختلاف والفرقة ثم الانحدار، وهم يسيرون إلى أن خلافات عميقة ستسهل حتماً على المجاهدين قضم القوى الغربية قوة بعد الأخرى، فما يحدث بينهم الآن حالياً يشير إلى أن مهمة ابن لادن مع أمريكا ستكون سهلة للغاية، خصوصاً في حال تورط أمريكا في الحرب العراقية بدون حسم.

وإذا نجحت ضربات ابن لادن وخرجت أمريكا من المشهد العالمي بعد هزيمة منكرة في العراق، فلن تستطيع أوربا مواجهتنا، ولا أي قوة أخرى في العالم؛ لأن أمريكا لم تترك فرصة لأحد ليكون خليفة لها في حال انهيارها، وهذه إحدى الأخطاء الاستراتيجية التي ارتكبها الغرب أو ارتكبتها الحماقة الأمريكية من خلال نظام بوش الأب الدولي الجديد الغبي..

بل لن يكون أمام أوربا في السنوات القادمة بعد إخراج أمريكا من منطقتنا لن يكون لأوربا سوى أن تعلن الهدنة معنا وتصالحنا صلحاً آمناً كما في الحديث ، وهم الذين سيكونون الروم المقصودين في الحديث..

وافتراضي الشخصي أن العدو الذي سنقاتله في تلك المعركة سيكون الخطر الأصفر، أي الصين وأحلافها..

عموماً هذا ليس مقصوداً في المقال، ولكن هذه افتراضات يمكن فهمها بناء على نتائج الأحداث الحالية..

وهذا يدعونا إلى رفع أيدينا بالدعاء مرة أخرى للشيخ أسامة بن لادن على خياره التاريخي الحاسم بمحاربة أمريكا، ثم على معركته التاريخية الفاصلة في ١١ سبتمبر والتي هي بحق غيرت وجه العالم وغيرت مسار الحضارات.

وقد كتبت قديماً مقالاً لم أنشره للأسف عنوانه (أثر ١١ سبتمبر على صراع الحضارات)، وبحثت عنه لأضعه ضمن هذا المقال وفقدته للأسف أيضاً، ومما أتذكره في ذلك المقال.. أن ١١ سبتمبر هي الضربة التي أصابت التنين في عينيه، فأفقدته القدرة على النظر، وصار ينفخ النار في جميع الاتجاهات، بينما الغلام المؤمن مستمر في ضرب التنين بالسهام في كل مكان من جسده، حتى تصل المعركة إلى لحظة الحسم عندما يوجه الغلام السهم إلى قلب التنين، ثم يثبت السهم فيه فيسقط التنين.. ليرتقي الغلام المؤمن على ظهره مستبشراً بنصر الله له، ويسقط مع التنين كل الخوف والرعب الذي كان يصيب الناس منه، ويسقط معه سدنته وكهنته الذين كانوا يستغلون الناس من خلال قوة التنين.. وبعد سقوط التنين يسقط في يد الذين عبدوا الناس للتنين من دون الله، فيقوم الغلام ويرفع الأذان في أنحاء القرية، وهو يلبس عمامته العربية..

هذه كانت صورة شاعرية لصراع الحضارات الذي سيعني زوال حضارة التنين، وارتقاء حضارة الأذان والعمامة العربية واللحية الوضيئة فوقها..

تلك الحضارة التي أصبحنا نفتخر بها الآن..

اسألوا أنفسكم.. ماذا كان يعني لكم ظهور شيخ ملتح قبل ١١ سبتمبر في التلفزيون.. ثم ظهور شيوخ ملتحين مجاهدين مثل الشيخ أسامة بن لادن وأبو غيث والظواهري وأبو حفص بعد ١١ سبتمبر..؟!

إن إعلان الصراع العالمي بين مجاهدين يمثلون السلوك والمظهر والفكر الإسلامي السلفي خصوصاً، كان له أعظم الأثر في إدارة صراع الحضارات في اتجاهاته التي يتجه لها الآن..

فهذا الفكر السلفي فكر لا لعب فيه، ولا حلول وسط لديه، لأنه فكر قائم على الكتاب والسنة قياماً كلياً، وهو غير مستعد للتنازل إطلاقاً عن المبدأ الأول، ويعتقد أن الموت حرقاً في سبيل الله قمة الانتصار..

وهذا الفكر نفسه هو الذي أزال الإمبراطوريات قديماً، وعندما عاد الآن وأدار الصراع والمواجهة فإنه في طريقه بسهولة إلى حسم الصراع لصالحه ولصالح أمة الإسلام.

إن هذا الفكر الجهادي هو الفكر الإسلامي الوحيد الذي لديه القدرة للمضي قدماً في الصراع مهما كانت ضخامة المواجهة، وكلما اشتدت الحرب ضده كلما صقلت نفوس القائمين عليه، حتى يصل الحال إلى أن تخرج الأمة من عنق الزجاجة، وينعطف بها هذا الفكر إلى المرحلة التي يعيد إليها بهاءها المفقود، ووهج العظمة التي سرقها منها الحكام الخونة وعلماء السلاطين..

ولذا شكل هؤلاء المجاهدون بمظاهرهم الإسلامية قمة التغيير النفسي والمعنوي لبقية الأمة، حيث قدموا نماذج عظيمة وأعطوا للأمة قيمة حقيقة..

لقد استطاع هؤلاء المجاهدون أن يقدموا للأمة ما افتقدته منذ قرون، أعادوا لها قيمة (الفخر)..

إن أول شروط النصر الحضاري والغلبة أن تشعر بالفخر والاستعلاء، وأن ترى أن ما تملكه من معاني وقيم معنوية واعتقادية يتعالى على البهرج والزيف والقوى التي تحيط بك.

ولذا لما كان الصحابة يحملون فخراً بالإسلام والتوحيد الذي قدموا نفوسهم لنشره، احتقروا البهرج والأبهة والحضارة التي كان يعيش فيها الفرس، ولم تأخذ معهم حضارة فارس سنوات حتى أزالوها من الوجود، وبنوا فوقها حضارة عادلة جديدة.

هذا ما قدمه لنا المجاهدون في هذا العصر، فصرنا ننظر للأمريكان بنظرة الاحتقار رغم ما يملكون، وصرنا ننظر للمجاهدين بقمة الفخر والاستعلاء، وصار ذكر الشيخ أسامة بن لادن ورجاله وأعمالهم مدعاة للفخر في مجالسنا..

إن هذا ما كنا نفتقده فعلاً لكي نتفوق حضارياً، وأما بقية الأمور فهي قضايا تتبع للنصر الحضاري الذي يجب أن يتشكل في النفوس أولاً، وإذا لم يتشكل فستبقى ذليلاً مهزوماً ولو كنت تملك نصف احتياط العالم من النفط.. تماماً مثلما حدث عندما ملكنا النفط أربعين عاماً، وأصبح أداة لإذلالنا واستباحتنا طالما كنا مهزومين حضارياً..

وهذا الذل الحضاري هو الذي طبع سلوكنا وتصرفاتنا وحتى تفكيرنا قبل ظهور جيل المجاهدين.. وهذا الذل كان يجعل المرء يحلق لحيته ويلبس الكاب والجينز ظناً منه أنه بفعل ذلك سيحقق تفوقاً حضارياً لأن الأقوياء يفعلون ذلك!!

لكن بعد ١١ سبتمبر.. لست بحاجة لأذكر لكم الأمثلة على استعادة أمة الإسلام لهويتها الحقيقية على يد المجاهدين، ولست مضطراً لتنبيهكم إلى ملاحظة أصدقائكم في العمل أو الدراسة ورؤية كم منهم أطلق لحيته؟.

لست مضطراً لتحديثكم عن مشاعر الناس عندما يظهر الشيخ أسامة على التلفزيون ويحدثكم عن الله ورسوله ويأمركم بمجاهدة الكافرين..

لست مضطراً لتحديثكم عن مشاعركم عندما ظهر (الشيخ عبد العزيز العمري) رحمه الله واعظاً لكم ومقدماً رسائل وموعظة تلفزيونية تختلف تماماً عما اعتدتم عليه عندما كان يظهر لكم شيوخ معممون في التلفزيون يسبحون بحمد الحكومة ويطالبونكم بالدعاء لها..

لست مضطراً لسؤال قبيلة زهران كم شعرت بالفخر بابنها، وكم شعرت بقية القبائل بالغيرة من عدم ظهور أبناء لها يقدمون مثل هذه المفاخر؟.

لست مضطراً للحديث عن مظاهر إعجاب المراهقين بالشيخ أسامة ومحاولة تقليده والتشبه به ووضع صوره كحافظات للشاشة عند قطاع مستخدمي الكمبيوتر، بل حتى على مستوى النكت والتعليقات.. ستجد أن النكت التي أطلقت تعكس احتراماً للمجاهدين وسخرية من مخالفيهم..

حتى على مستوى الأمريكيين، فإن النكت التي يطلقونها على بعد ١١ سبتمبر تعكس في كثير منها احتراماً مغلفاً بالكراهية للمسلمين عموماً، مثل تلك النكتة التي تقول (إن المسلم يحب أن يذهب للقاء الله، لكن المشكلة أنه عندما يذهب يأخذ معه مجموعة كبيرة من الناس)!!!.

أعود من هذا فألخص القول: إن تأثير أسامة بن لادن والمجاهدين الحضاري بالنسبة لأمة الإسلام هو إعادة تعريف هويتها من جديد، وتخليصها من وهم الخوف والشعور بالضعف والتخاذل والذلة.

بل إن أسامة بن لادن نجح في حصر هذه الصفات في طائفة الحكام ومن يتبعهم، فصار عند المؤمن عزة وثقة كبيرة بهذا الدين وشعور عميق أن سبب أزمة الأمة هم هؤلاء الحكام الجبناء الذين يجثمون على صدرها، ولا يريدون حتى أن يتركوا مناصبهم للشرفاء من أبناء الإسلام.

وهو عندما يستمع لكلام الشيخ عما حدث في تورا بورا ثم يتذكر كلام وزير الخارجية القطري عندما قال: (يجب أن نستجدي أمريكا)، عندما يقارن بين الموقفين يشعر حقاً من هو سبب أزمة هذه الأمة، ويشعر بأن خياره الصحيح يجب أن يكون مع المجاهدين لا مع قطاع الطرق واللصوص الذين اسمهم (الحكام العرب).

لقد تم نقض كل التراكمات النفسية والعلل والأمراض الاجتماعية التي كانت أسباباً مهمة في هزيمتنا الحضارية، واستطاع رجل واحد ثابت على المبدأ مصرٌ عليه مثل أسامة بن

لادن ورجاله أن يحطموا تلك الأمراض، ويقوموا بعلاج شامل للأمة من خلال إدخالها في أتون صراع مكشوف مع الغرب، صراع كانت نتيجته المباشرة تخليص الأمة من أمراضها الداخلية.

وكانت آخر مرحلة علاجية تحدث عنها الشيخ هي الحديث مباشرة عن الحكام الذين ما زالوا يكرسون الهزيمة، وما زالوا مصرين على البقاء في عروشهم، ولا يهمهم شيء سوى أنفسهم، ولتحترق الأمة في الجحيم إذا كان ذلك سيكون سبباً في الحفاظ على ما يكسبون.

وفي أتون هذا الصراع حصلت الانكشافات العامة والفضائح المتوالية لكل الأطراف والقوى، فسقط علماء السلاطين، وانهار معسكر الصحويين لصالح شيوخ الجهاد السلفيين، ثم انكشفت حقائق كل المعادين للإسلام، فانفضح الشيعة أكبر فضيحة في تاريخهم من خلال مناظرة المستقلة..

وبالمناسبة مذهب الشيعة مذهب يمكنه أن يعيش في السراديب وفي الظلام حيث الهواء الفاسد، فإذا ظهر إلى النور واستنشق الهواء النظيف يموت فوراً..

وانكشف ضمن ما انكشف كل المتاجرين بالقضايا، مثل (العصرانيين) والعقلانيين الذين عقدوا تحالفاً مع الليبراليين في حركة غبية للغاية تدل على أنهم لم يقرؤوا الأمور بطريقة صحيحة، فأرادوا استباق الأحداث بعقد التحالف مع الليبراليين لعلهم يحوزون شيئاً من المكاسب إذا جاءت أمريكا وحكمت المنطقة.

وأسوأهم حظاً بالطبع وأكثرهم غباءً أولئك الذين عقدوا تحالفاً مع الحكومة بطلب منها، واستلموا بعض المخصصات لأداء مهمة قذرة للغاية، خلاصتها أن يحاولوا العمل على عزل المجاهدين عن المجتمع.

ولو كان أولئك المغفلون يعقلون لتصرفوا بما تفعله الفئران على الأقل، لأن الفئران تهجر السفينة الغارقة، وهم يريدون عقد صفقة مع القبطان والسفينة تغرق!

أقول إن مسلسل الانكشافات توالى بشكل مستمر، ولم يبق أحد إلا وتبين دیناره من درهمه..

وبقي الغرب.. فجاءت حرب العراق الأخيرة لتكشف حقائق أساسية:

أولها: أن دعاوى الديموقراطية تبخرت تماماً وظهرت حقيقة الديموقراطية الغربية.. ولا أظن أحداً يجهل أنه خرجت مظاهرات في أنحاء العالم تقدر أعدادها بخمسة عشر مليون نسمة كلها تعارض الحرب، ولو كانت الديموقراطية حاضرة لديهم فعلياً لاستجابت بلد مثل بريطانيا يعارض ٧٠ في المئة من شعبها الحرب.. مع ذلك ستقع الحرب ولن توقفها مثل تلك المظاهرات، وهذا ما قالته رايس أيضاً.

ثانيها: أنه حتى الذين عارضوا الحرب من الحكومات الغربية مثل ألمانيا وفرنسا لم يعارضوها لمبدأ نبيل بقدر ما عارضوها لأجل أنهم سيخرجون كما يقال من المولد بلا حمص، فعارضوها لأجل هذا السبب لا غير، والدليل عليه أن اقتراحاتهم البديلة دلت على ذلك.

إن حقيقة الديموقراطية الغربية لا تحتاج إلى دليل لتكشف عن مدى خستها ودناءتها، وكونها حضارة استبدادية قائمة على مصالح مادية بحتة، كالنفط، وبقاء الهيمنة، وأن البشر في نظرهم آخر ما يمكن أن يهتموا به، خصوصاً إذا كان أولئك البشر من المسلمين، ولا أدل على ذلك من كلمة مادلين أولبرايت التي قالت بكل وقاحة إن مشكلتهم مع العراق تستحق أن يموت من أجلها نصف مليون طفل عراقي.. ثم يأتي الآن رامسفيلد وبوش وباول ليقولوا لنا إن تلك المشكلة بعينها تستحق أن يموت من أجلها ملايين العراقيين من أجل النفط.. أو نزع أسلحة الدمار الشامل..

لكنني قصدت بالانكشاف أن الديموقراطية الغربية لديها الاستعداد لتضرب عرض الحائط بكل مبادئها ولو عارضتها شعوبهم البيضاء إذا كانت القوى المتسلطة تعتقد أن مصلحتها

في تلك الحرب.. ولو مات في الحرب ملايين الناس فلا مشكلة، المهم أن يحافظوا على رفاهيتهم وحياتهم ولو على جماجم الآخرين.

وإذا حاولت أن ترى صورة حادة لما يحدث من مظاهرات حول العالم في أكثر من ٥٠٠ مدينة من كل بلاد الدنيا، فتصور أن الأمريكان والبريطانيين أصروا على خوض الحرب ثم خسروها كيف سيكون حجم الانتكاسة الحضارية الغربية؟؟

خلاصة ما أريد قوله أن هذه الحرب ضد العراق رغم ما سيبدو لنا فيها من شر، فيجب أن نستبشر خيراً، وأن نعلم أن الخير يأتي من بين فكي الشر، وأن القتل قد يكون خيراً لنا، وأن لله الحكمة البالغة في جر هذه الجحافل من جيوش البلاهة النصرانية إلى أرضنا وقريباً منا بدون أن نبذل أي جهد في جرهم إلينا، وأن كل المؤشرات تشير أن الأمريكيين لن يربحوا هذه الحرب بإذن الله..

وستكون الانتكاسة الغربية في هذه الحرب بداية للتدهور الحاد والظاهر في التفوق الغربي علينا.. وإذا كانوا مختلفين من الآن وحصلت انقسامات حادة في الغرب نفسه، فكيف سيكون حالهم عندما يخرجون منهزمين؟ هل تتوقعون أن يبقى لهم شيء لن يخسروه؟.

وقد يقول البعض: هذا تفاؤل والغرب خسر الملايين من أبنائه في الحرب العالمية الأولى والثانية من أجل مصالحه، فهل تظن أن الغرب سيتخلى بسهولة عن مصالحه الموجودة في بلادنا؟

هذا الاعتراض كتبه الأستاذ التميمي في منتدى الوسطية وآخرون.. وأعتقد أن هذه (جبرية فكرية) لا يصح طرحها في نطاق الصراع الحضاري والديني..

وإذا كان الغرب سيدافع عن ما يعتبره مصالح في بلادنا فلدينا نحن أسامة بن لادن الذي يدافع عن الأمة ومصالحها ولدينا شيوخ الجهاد الفضلاء.. للأسف لا أجد غير أسامة بن لادن وهؤلاء الشيوخ لأضعهم في هذا السياق..

وإذا كان الغرب يمتلك تلك الأسلحة والأساطيل فنحن نمتلك أسامة..

وأسامة أخبرنا أن العالم تحالف ضده في ميل مربع فلم يغلبوه.. وهذا دليل حاسم على أننا نستطيع إذا دعمنا المجاهدين أن نتغلب على الغرب بسهولة، لأنه إذا كان كل ما يملكون من قوة لم يحسم معركة في ميل مربع مع ٣٠٠ مجاهد، فهذا يعني أن المجاهدين لا يمكن هزيمتهم إطلاقاً متى ما كانوا متمسكين بحبل الله..

وهذا بدوره يعني أنه مهما طالت الحرب بين المجاهدين والغرب، فالغلبة في النهاية للمجاهدين.. كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.

أخيراً: أجد من المناسب أن أعقد مقارنة سريعة بين حلمين.. الأول: حلم في طريقه للتبدد.. والثاني: حلم في طريقه للتحقق.. أما الحلم الأول فهو الحلم الأمريكي.. وأما الثاني فهو الحلم الإسلامي..

الحلم الأمريكي تبدد تماماً بعد ١١ سبتمبر وقسم بن لادن، وظهرت واحدة من آثار القسم في حادثة يوم أمس في أمريكا عندما قتل ٢١ شخصا دهساً تحت الأقدام بسبب الخوف والرعب..

وثقوا تماماً أنه عندما تعيش أمة ما تحت هاجس الخوف والرعب، فإنها تتخلى عن الحلم وتنحدر إلى المرارة والانهيار..

أما الحلم الإسلامي فقد أصبح قريباً جداً من التحقق، وخطابات أسامة بن لادن الأخيرة والتي جاءت في وقت حاسم جداً من تاريخ الأمة تعد منارات تهتدي بها الأمة في خضم الأحداث المتلاطمة.. فالأمة اليوم قد أصبح أمامها كل شيء واضحاً، والشيخ أسامة جزاه الله عن الأمة خير الجزاء أدى ما عليه وزيادة، وبين للأمة طريقها الذي يجب أن تسلكه..

وصرنا نعيش الأمل والحلم.. الحلم أن يزول خوفنا وأن يزول عنا هؤلاء المستبدين الذي أفسدوا حياتنا وأفسدوا ماضينا وهم سبب فساد حاضرنا.. والأمل أن تسلم الأمة كلها قيادتها لرجالها الحقيقيين الذين هم مستعدون لبذل دمائهم ومهجهم في سبيل رفعتها، ولا تحتاج الأمة إلى إثبات أكثر من أن يقوم أحد هؤلاء الرجال بجعل جسده طريقاً تسير عليه الأمة إلى بر الأمان..

وقد سارت كتائب هؤلاء الرجال منذ زمن، وكان من أواخر محطاتهم التي توقفوا عندها ١١ سبتمبر.. وستأتي قريبا المحطة الثانية الكبرى التي سيتوقف العالم بعدها لا ليستمع للشيخ أسامة والمجاهدين ويترقب شاشات الفضائيات، بل يتوقف العالم ليقول سمعاً وطاعة للمجاهدين.. وما ذلك على الله بعزيز).

٦ - الجهاد عبقرية وإلهامًا .. القاعدة نموذجًا [١]

(كتب الأمير المخلوع (برغش بن طوالة) مقالاً لطيفاً ظريفاً في منتدى أنا المسلم وضع عنواناً له هو (طروحات تنظيم القاعدة.. هل استوعبها منظروا الصحوة؟)، ثم تساءل الأمير وقال: هل يعقل أنهم حتى الآن لم يفهموا ماذا تريد القاعدة؟

وأزيد تعليقاً على السؤال: إن سؤال الأمير برغش سابق لأوانه، ففي الواقع هم لم يصلوا لمرحلة التفكير في ماذا تريد القاعدة.. قبل هذا هم لم يفهموا أصلاً ماذا تفعل القاعدة.. فضلاً عن فهم ماذا تريد القاعدة..

إذا كان تنظيم القاعدة قد أربك مؤسسات الفكر والفلسفة الغربية وجعلهم يضربون أخماساً في أسداس لفهم ما يجري وكيف وصلت الأمور لذلك الحد، فلنا أن نعذر منظري الصحوة الذين هم في واقع الأمر لا يملكون لا المعلومات الكافية ولا القدرة على التحليل لفهم ماذا يجري!

هذا ليس تقولاً عليهم، فمواقفهم فيما مضى من أحداث أثبتت ذلك، شاء من شاء وأبى من أبى..!

أهم مقولتين اهتم بهما الغرب كثيراً في فترة ما بعد الحرب الباردة نظرية (نهاية التاريخ) لفرانسيس فوكوياما، ونظرية (صراع الحضارات) لصمويل هنتجنتون، جاءت أحداث ١١ سبتمبر على يد تنظيم القاعدة لتنسف نظرية فوكوياما في نهاية التاريخ، ولتصحح نظرية هنتجنتون من حيث صحة المقولة وخطأ النتيجة التي وصل إليها هنتجنتون وتقول له: لن تنتصر الحضارة الغربية، فهناك حضارة جديدة وهذا أوان انبعاثها..

---

[١] للكاتب الكبير لويس عطية الله.

إن الشيخ أسامة حفظه الله ومن معه من المجاهدين عندما حرصوا أشد الحرص على إقامة هذا الركن العظيم الذي هو ذروة سنام الإسلام، وصبروا عليه أكثر من عشرين عاماً؛ وفقهم الله وفتح عليهم من فضله وكرمه العظيم، حتى أصبحوا اليوم يشكلون العقلية المسلمة ويوجهون الرأي العام الإسلامي.

إن هذا الخيار الذي اختاره هؤلاء الرجال وثبتوا عليه سنوات طويلة جعل لهم موعداً مع العبقرية والنصر، وتفوقوا على أعتى الدول.. الإمبراطورية الرومانية الجديدة..

الجهاد هو نفسه الملهم للعبقرية الذي جعل مجموعة من الصحابة الذين كان أكبر رقم عند أحدهم هو رقم (ألف)، حتى أن صحابياً غنم واحدة من كبار نساء المناذرة، فباعها فلما سألوه بكم بعتها؟ قال بعتها بألف! فقالوا ألف فقط!؟ قال وهل هناك أكبر من ألف!!

أقول الجهاد هو نفسه الملهم الذي جعل أبا بكر رضي الله عنه يفتتح عهده بحرب الردة ولم يكن معه إلا المدينة والبحرين (الأحساء)، ثم يخوض حربين في وقت واحد ضد إمبراطوريتين.. الفارسية والرومانية، ثم يسقط عمر الفارسية بالضربة القاضية، ثم يجلي الإمبراطورية الأخرى عن الشام ليطاردها المسلمون فيما بعد عبر غزوات متلاحقة، يقودها مفهوم ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾.

والجهاد هو نفسه الملهم الذي جعل المجاهدين يسقطون الإمبراطورية السوفيتية، ثم جعل الشيخ أسامة ومن معه يعيدون توجيه الحراب ضد الإمبراطورية الأمريكية، وينجحون خلال أقل من عشر سنوات في تمريغ كرامتها في التراب.. وهم في طريقهم الآن للقضاء النهائي على هذه الإمبراطورية بإذن الله..

لكن المشكلة أن هناك عقولاً لا تستوعب الأمور بسهولة، أو لا تستطيع فهمها أبداً.. ولذا يتساءلون بشكل مثير للشفقة.. كيف نجاهد؟! أو يقولون لنا إذا قلنا لهم أعلنوا وقوفكم مع المجاهدين، يقولون لنا: لماذا لا تذهبون لتجاهدوا معهم!

فأصبح الإرهاب الفكري يزاول كوسيلة لتبرير ما يقومون به من التخلي عن المسؤولية في نصرة معنوية للجهاد.

إننا لم نطلب منكم أكثر من دعم هذا المشروع الجهادي العظيم، أو على الأقل التوقف عن التشويش على هذا المشروع ووصم أهله بأنهم (متهورين) وأنهم أدخلوا الأمة في متاهات كما يزعمون، وكأن الأمة كانت قبل ابن لادن أمة عظيمة ممكنة، وجاء ابن لادن وأفسد الأمور عليها ومكن الصليبيين من احتلالها..

أو يتباكون على القتلى ويقولون ابن لادن تسبب في قتل الألوف في أفغانستان، وكأن العراق لم يقتل فيه مليون طفل، وكأن المئات في فلسطين لا يقتلون على يد اليهود.. وجاء ابن لادن وتسبب بقتلهم.. في الواقع ابن لادن لم يفعل شيئاً سوى أن بدأ يرد بعض الدين المستحق ضمن مبدأ فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به.

ليس هذا مقالاً لرد تلك الحجج الهرائية التي يوردها هؤلاء الناس ضد مشروع جهاد القاعدة.. فأفضل رد عليهم هي أن نفهمهم ما لم يفهموه من عمل المجاهدين من تنظيم القاعدة، فإذا تبين لهم علو كعب تنظيم القاعدة وبعد أنظار المخططين الاستراتيجيين في هذا التنظيم، فنرجو أن يتوقفوا عن تكرار حججهم التي لا تنفع شيئاً سوى في إركاسهم وبعدهم عن أصول دينهم الذي يأمرهم بالجهاد فوراً بدون تأخير.

في حوار دار مع أحد القيادات الحركية التقليدية قال: لقد كانت ضربة سبتمبر حدثاً خطيراً تضررت منه الدعوة كثيراً وألّب العالم علينا.

قلت: حسنا لماذا لم تمنعوه؟

قال: وكيف نمنعه؟

قلت: أنتم جماعات واسعة الانتشار، ولديكم علماء وقيادات ثقافية وحركية وأساتذة جامعات وشخصيات مؤثرة في معظم البلاد العربية، فكيف تسنى لابن لادن أن يصنع التاريخ ويأخذ قلوب الناس ويصبح قطباً في مواجهة الغرب، وكيف تسنى له أن يضع الغرب في مواجهة مكشوفة وعريضة وساخنة مع الإسلام، بينما أنتم مشلولون حتى الأخبار لا تعرفونها إلا من وسائل الإعلام.

قال: وماذا عسانا أن نفعل أمام هذه الشرذمة من المتهورين؟

فقلت: سبحان الله، ها أنت قلت متهورين، ألم تسألوا أنفسكم كيف يستطيع المتهور أن يصنع التاريخ ويسحب البساط من تحت الجميع؟

ثم كيف يستطيعون وهم شرذمة أن يتصرفوا باسم الإسلام ويصنعوا هذا الاستقطاب العالمي؟

بل كيف يستطيع المتهور وهو مجرد شرذمة أن يخترق أقوى مخابرات في العالم ويدبر تلك العملية المعقدة، بينما هو تحت نظر وبصر ومتابعة العالم، بل وهو محاصر مشرد لا يكاد يحصل على قوت يومه؟

ما لا يستطيع فهمه ذلك الرجل هو أن التمسك بحبل الله فيه النجاة والعصمة في الدنيا والآخرة، وأن الذي يبذل مهجته في سبيل الله وينطلق من أوامر الله في أعماله ويجعل وجه الله مبتغاه ومقصده؛ فإن الله يوفقه ويذلل له سبل الفلاح.

ما لا يستطيع فهمه ذلك الرجل أن الجهاد هو الذي صنع من الشيخ أسامة وتنظيم القاعدة عباقرة تفوقوا على أعداء الأمة الرئيسيين.

إن المسلم المتنور بمنظار الجهاد تتسع عيناه، وتنفذ بصيرته، ويستطيع أن يحدد أموراً كثيرةً عجز عنها كثير ممن (غرّزوا) في الوحل، فصاروا لا يستطيعون تحديد الأمور إلا بقدر السنتمترات القليلة التي يتحركون فيها.

العقلية الجهادية عقلية حرة بانورامية، تنظر لكل شي من موقع مرتفع، وتنظر بفكر حر قد تخلص من إسقاطات والتصاقات الواقع السيء، فهي لا تكتفي بالنظرة من علو بل تحلل الأمور بعقل واسع وحر؛ ولذلك نجح منظرو القاعدة في تحديد هويتهم، في تحديد موقعهم، في تحديد بيئتهم، في تحديد ميدان عملهم، في تحديد خصمهم، في تحديد برنامجهم واستراتيجيتهم، في تحديد أدواتهم؛ فتمثل فيهم بشكل واضح حقيقة العالمية..

أنت حين تتذكر شخصية ابن لادن تتصور إنساناً نسف مفهوم المعاني القطرية الحديثة بكل كفاءة..

ابن لادن شخصية لها وهج ممتد ليس في العالم الإسلامي فحسب، بل ربما في كل العالم..

وحين تتصور القاعدة تتصور كياناً أسطورياً مخترقاً متنفذاً خارج معنى المكان السياسي، هذه ليست مبالغة هذا وصف شاعري لحالة حقيقية لا ينكرها حتى خصوم القاعدة الذين يستخدمون في وصف هذا الاختراق تعبير transnational organisation ليس انترناشيونال بل ترانسناشونال.. فالقاعدة منتشرة في ستين دولة باعترافهم، قافزة فوق الحدود السياسية ومخترقة للمجتمعات!!

والقاعدة تستطيع أن تحقق ذلك لأنها تستخدم قوانين في السياسة والاجتماع خارجة تماماً عن اللعب الدولية والمحلية.

ربما أتعبت بعض المنظمات الثورية والإرهابية الدول مثل الألوية الحمراء وحزب الله وفتح والمنظمات الثورية في أمريكا الجنوبية، لكن كل هذه الحركات تلعب في حدود قواعد اللعب الدولية، وكل ما يحصل أنها تجيد اللعب والتوازن والاستفادة من خلافات الدول، أما القاعدة

فلها قواعد في اللعب ولغة تعامل وتخطيط تبدو طلاسم أمام كل الدول والمخابرات والمؤسسات الحريصة على حربها، لذا استعصت على فهمهم، والمؤلم أنها استعصت أيضاً على عدد من منظري الصحوة..!

وتنظيم القاعدة تميز بميزتين أساسيتين:

الأولى: أن القاعدة هي التنظيم الوحيد بين التنظيمات الإسلامية الذي لا يعمل بطريقة الهيكل التنظيمي الذي يدير الأعمال بشكل مركزي، وبدلاً من ذلك يعتبر نفسه كلية أو جامعة تخرج أجيالاً تفهم الهدف والطريقة والسياسة، ثم تطلق القاعدة تلك الأجيال وتجعل أدوات القاعدة وقدراتها تحت تصرفها عند الطلب، ويبقى مركز القاعدة للتنسيق والدعم اللوجستي والتوجيه العام فقط.

هذه الحيلة هي أنجح مشروع إداري في العمل التنظيمي الإسلامي، وأكثرها كفاءة في تخليص مركز التنظيم من تبعات تضخم عدد المنتمين، وبيروقراطية العمل التعيسة التي تعاني منها كل التنظيمات الإسلامية بلا استثناء.

الثانية: هي أن القاعدة تعمل بشكل عجيب في تيار الاتجاه الشعبي بشكل منساب انسياباً طبيعياً، يجعل المجتمع من جهة موفراً لغطاء طبيعي لنشاطاتها، ومن جهة أخرى يوفر أدوات وطاقات تخدم مشروعها.

العدد الكبير من الكتاب في الإنترنت نموذج لهذا التسخير الطبيعي في المجتمع لخدمة مبادئ القاعدة.. لويس عطية الله ليس إلا واحداً من هؤلاء، انظر إلى الفلاشات التي امتلأت بها الإنترنت، وأرني أي تنظيم يستطيع أن ينتجها.. مئات من الشباب أصحاب القدرات في الإنترنت وضعوا قدراتهم تحت تصرف القاعدة، بل وتصرفوا بدون انتظار توجيه.

ولا بد أن سؤالاً يطرأ هنا وهو: لماذا هذه الحركة بالذات وفقت وبوركت من بين النشاطات الجهادية؟

الجواب المختصر في كلمتين: (الإخلاص) و (العلم).

الإخلاص بمعنى التجرد لله، والتخلص من ضغط النوازع الكثيرة التي تدعو لتغيير دفة الجهاد عن الوجهة الرئيسية التي يحددها الشرع.

وهي صفة ميزت تنظيم القاعدة عن الحركات الجهادية التي داخلها شيء من دوافع الانتقام والغضب والظروف المحيطة بها، فتغيرت أهدافها تبعاً لذلك.

ولا نجد فعلاً أبلغ في توصيف الإخلاص من اعتماد العمليات الاستشهادية في عمليات القاعدة، والاستعداد للموت في أي لحظة..

ولعل كثيراً من الناس يجهلون أن لدى الشيخ أسامة حفظه الله قائمة بالشباب المستعد لعمليات استشهادية، وقد بلغ العدد في تلك القائمة قبل حوالي سنة ونصف من هذا التاريخ أكثر من (٩٠٠) شاب مستعد لتقديم روحه في سبيل الله..

والعلم يقصد به كلا العلمين، العلم الشرعي والالتزام به على كل مستوى، والعلم الدنيوي الذي تتحصل به أسباب القوة.

أما العلم الشرعي فقد كانت القاعدة إعادة للنموذج المثالي للنهج المحمدي وهو السلفية الجهادية، فهم سلفيون ملتزمون بالنص الشرعي لكن بمعناه الكامل الذي يدعو للجهاد ويعيد تربية أفراده على أساس مركزية الجهاد في التربية الإسلامية كما كان الصحابة يفعلون.

والعلم الدنيوي هو تطبيق مبدأ ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، حيث استفرغ تنظيم القاعدة الجهد في الحصول على أسباب القوة حتى وصل الحال بالقاعدة أن سعت للحصول على اليورانيوم والقنبلة الذرية.

وحدث مرة أن مجلساً ضم مجموعة من (الصعاليك) ممن قاتل في أفغانستان، فسأل أحد ظرفائهم.. يا شباب، نبي هذا المجلس مجلس اعترافات.. كل واحد يعترف بالدورة اللي تخصص فيها.. فتعاهدوا على الاعتراف، ثم توالت الاعترافات وذهل الجميع من حجم الخبرات التي تعلمها كل واحد منهم..

فقد تبين بعد الاعترافات أنهم في واقع الأمر يشكلون (كتيبة قوات خاصة جداً)، فهذا متخصص في (تكتيك جبال)، وهذا متخصص في (الإلكترونيات)، وذاك في (الطبوغرافيا)، وآخر متخصص في (السموم)، وواحد متخصص في (تكتيك حروب المدن)، وهذا يسمى (قناص الدروع)، وآخر (صائد الدبابات).. ونتيجة لكل ذلك ظهرت عبقرية الجهاد في تنظيم القاعدة، وتقدم تنظيم القاعدة في التفكير حتى على أعتى العقول الشيطانية الغربية فضلاً عن منظري الصحوة..

وأصبحت استراتيجية تنظيم القاعدة متضحة بشكل مذهل في العناصر التالية:

الأول: المبادرة. أن تنظيم القاعدة أخذ زمام المبادرة لأول مرة في تاريخ المسلمين في العصر الحديث، فصار هو الذي يفعل والآخرون يتصرفون كردود أفعال له.

كل الحركات الإسلامية بل وحتى الحكومات العربية تعمل بطريقة رد الفعل، إلا تنظيم القاعدة الفعل له ورد الفعل لغيره.

ومن يقرأ تاريخ الحرب بين القاعدة وأمريكا سيلاحظ بوضوح هذه الميزة، حيث أصبحت القاعدة هي التي تقرر الوقت والمكان الذي ستفعل فيه الفعل، لتستجيب أمريكا وفق مدى مدروس مسبقاً للقاعدة.

ولذا قال الشيخ أسامة لعبد الباري عطوان: سوف يأتي الأمريكان يبحثون عني في كهوف أفغانستان كهفاً كهفا..

بل إن تنظيم القاعدة كان لديه تصور مسبق للمواقف التي سيكون عليها الإسلاميون بسبب ١١ سبتمبر، وأتذكر أن أحد العائدين من أفغانستان أخبرني أنه قبل العملية بأسبوعين اجتمع بهم الشيخ أسامة وقال لهم بالحرف: إن هناك عملية قادمة وكبيرة، وستتبين لكم مواقف الكثيرين، وستكتشفون أن كثيراً ممن تظنونهم معكم سيقفون ضدكم..

ثم قال ذلك الشاب: وإن الشيخ أسامة حذرنا، وقال لنا: إن الأحداث القادمة ستكون صعبة للغاية، فمن يجد في نفسه ضعفاً وأنه لن يصبر على مواجهة ما يجري فليعد الآن.

العنصر الثاني: المفاجأة. التصرف القادم من القاعدة خارج عن مستوى تفكير أمريكا، فأمريكا لم تتصور البتة أن تضرب سفنها في البحر مثلاً!

أحاول تذكر حادثة تاريخية تشبه ضرب المدمرة كول فلا أتذكر، ومن لديه أمثلة سابقة فليسعفنا بها..

ثم ١١ سبتمبر كانت قمة الأحداث التي لم يكن العقل الأمريكي يستوعب كيف يمكن أن تنجح، ومع ذلك نجحت بفضل الله.. والتصرفات القادمة أصبحت خارج مستوى تفكير أمريكا.

وأمام هذه المعضلة لم يجد ديك تشيني وبوش سوى التحذير من عملية خطيرة قادمة للقاعدة، لكنهم لم يستطيعوا أبداً أن يتصوروا ماهية ولا شكل العملية القادمة.

القاعدة أثبتت للمسلمين أنهم يتفوقون، ويمكنهم أن يبدعوا بفكر وتنسيق وعمل خارج عن مستوى تفكير أمريكا إله الفكر (أو الكفر بعبارة أصح) والتكنولوجيا عند بقية البشر.

العنصر الثالث: استخدام أدوات الخصم، سواء على المستوى الصغير طيارات، متفجرات، أو على المستوى الكبير دعاية، إعلام، سياسة، علاقات عامة.

أشاهد هذه الأيام بعض اللقطات التي تنشرها السي إن إن حول قدرة القاعدة على استخدام الأسلحة الكيميائية، وأتعجب من هذا التسخير العجيب المصدق لقول النبي ﷺ: ((نصرت بالرعب))، وأتخيل مشهد الأمريكي الذي ينظر برعب وقلق وهو يشاهد الكلب يموت، ويرتبط ذلك بمشاهد العزة لنا والخوف والرعب الشديد لهم الذي تسببه مشاهد للشيخ أسامة وحوله الحراسات الخاصة من أشداء الرجال..

أتعجب من هذا التسخير العجيب الذي يجري للقاعدة ليزيد الأمريكيين رعباً إلى رعبهم، وإلى ذلك الشعور بالانتشاء والسعادة من المسلمين عندما يشاهدون الخبرات التي تملكها القاعدة.

العنصر الرابع: النقاء. لا يوجد براجماتية ولا تهجين ولا أنصاف حلول، قال النبي ﷺ: ((أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب)) حسناً يجب أن يخرجوا..

وكلما تكشفت أوجه الحرب وأصبحت الحرب عدمية كلما ازدادت شروط القاعدة تشدداً حتى أصبح الهدف المعلن الآن للقاعدة متجاوزاً لمسألة خروجهم فقط من الجزيرة إلى تدمير أمريكا نفسها.

العنصر الخامس: وضوح الهدف للقيادة والأفراد في تنظيم القاعدة Targe America بدون غبش.

وكل عمل آخر هو لخدمة هذا الهدف، حتى لو بدا كأنه ضرب لجهات أخرى.

العنصر السادس: تجنب الخلاف مع الجماعات الإسلامية، وتجنب الدخول في أي إشكالات فقهية أو كلامية والاستعداد لتحمل ما يقال وعدم الرد عليه، رغم ما تعرضت له القاعدة والشيخ ابن لادن من تجريح وهجوم غير مبرر!!.

أخيراً: لا بد من التنبيه أن جهاد القاعدة ضد أمريكا ليس نزهة، هي حرب خطط لها استراتيجيو القاعدة لتكون شاملة، ولتكون حرباً تشعل خطوط التماس مع الغرب، فهذه الطريقة هي الطريقة الفعالة في إيقاظ المسلمين من سباتهم عندما يشعرون بأنهم مهددون في وجودهم، ومتى ما هب إعصار المسلمين فلن يوقفه أي قوة عظمى في العالم.. ولنا في دروس التاريخ عبرة.

لكن هذه الحرب حرب طويلة وشاقة، وستكلف الكثير، لكن ما تكلفه لن يكون شيئاً بالمقارنة مع النتائج التي ستنتج عنها، وأهمها رفع الاحتلال عن بلاد الإسلام قاطبة، وأولها بلاد الحرمين والقدس الشريف.

ونحن بفضل الله نرى ونشاهد تنظيم القاعدة قد نجح بشكل فعال جداً في امتصاص الضربة الأمريكية، وأوضاع الأمريكان تسوء جداً في أفغانستان، ويحاولون الآن خوض مغامرة في العراق لتعويض الشعور بالمهانة التي تسبب لهم بها تنظيم القاعدة عندما فشلوا في القضاء عليه، ولا بد أن نستمر في دعم المجاهدين بكل ما نستطيع حتى يسهل عليهم رد الصاع صاعين ضد الأمريكان وتدمير أمريكا بإذن الله.

نعم تدمير أمريكا.. هذا كان حلماً مستحيلاً قبل سنوات، لكن بعد ١١ سبتمبر وما حدث من نتائج صرنا نرى أن هذا حلم يمكن تحقيقه بإذن الله..

وإذا نجح تنظيم القاعدة في تدمير أمريكا فلكم أن تتصوروا القوة العالمية العظمى الجديدة التي ستنشأ في الأرض.. قوة يسيرها كتاب الله بسيف رسول الله ((بعثت بين يدي الساعة بالسيف))..

نحن نعلم أن الذين عجزوا عن فهم طبيعة القاعدة وكيف اكتسبت العبقرية ربما يصعب عليهم فهم تحليلنا هذا، ليس لأنه كلام صعب اللغة، بل لأنهم عاشوا طويلاً تحت أكناف التخلف التنظيمي، والانغلاق الفكري، واستمرؤوا السجن في دولاب التجربة الحركية المحدودة التي عاشوها.

لا نظنهم سيدركون معنى النظرة البانورامية، ولا خروج القاعدة من قواعد اللعبة الدولية، ولا طريقتها في العمل من خلال تيار المجتمع..

كما لا نظنهم يستطيعون أن يتصوروا كيف حاز أصحاب القاعدة صفة التجرد وزاوجوها بالعلم الشرعي القائم على النص دون تعطيل نصوص الجهاد..

ولا نظنهم يفهمون قدرة القاعدة على المبادرة والمفاجأة، واستخدام أدوات الخصم ضده، وتحديد الهدف بشكل دقيق، وتجنب الخلاف مع الجماعات الإسلامية رغم الاستفزاز والنقد، بل والشتيمة التي يتعرضون لها..

أخيراً: أنصح بعض منظري الصحوة الذين استشهدوا يوماً على خطاب التعايش أو المسمى بيان المثقفين، بأن سردوا شيئاً من لين ابن تيمية في رسالته لملك قبرص..

فأقول لهم: إن ابن تيمية هدد ملك قبرص بأن في المسلمين مجموعة من (الفدواية) هكذا وصفهم ابن تيمية في عصره من الذين يقتلون الملوك على أسرتهم.. وكأن ابن تيمية يتحدث عن شكل من أشكال تنظيم القاعدة في ذلك الزمان..

فكان ابن تيمية يخوف ملك قبرص بهؤلاء الفدائيين المسلمين، ويحذره بأنهم يمكنهم الوصول إليه، فما لنا لا نرى أحداً من شيوخ الصحوة يفتخر بتنظيم القاعدة المعاصر كما فعل ابن تيمية!

وحقاً إن تنظيم القاعدة مفخرة المسلمين في كل مكان..

اللهم ثبت أقدامهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم، وألحقنا بهم واجمعنا وإياهم في مستقر رحمتك يا أرحم الراحمين.. آمين.. آمين.. آمين).

٧- الصعاليك الجدد [١]

(صعاليك.. نعم .. لأن لهم نكهتهم الخاصة.. وطعمهم الخاص.. جدهم الأكبر أسامة بن لادن.. الصعلوك الأكبر ابن الأكرمين.. صعاليك متناثرون في كل مكان.. تقذفهم القوارب الشراعية على أرصفة الصومال.. أو تغرق بهم في بحيرة (فيكتوريا)، فلا يشعرون لأنهم لا يغرقون إلا عندما ينامون.. تراهم في كل مكان من العالم، قد تراهم في هونولولو على الشاطئ.. يشربون عصير البرتقال، ويلبسون النظارات الشمسية، فإذا جن الليل.. احتضنوا مصاحفهم وجلسوا يكتبون (الوصايا العشر)..

قال حدثنا القاسم بن سلام أبو عبيد، قال حدثني عبيد الله الأشجعي، حدثني مسعر، حدثني جابر قبل أن يقع فيما وقع فيه عن الشعبي قال: قال عبد الله: (نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها في آخر الليل).

أو قد تراهم في كوالامبور يعقدون المؤتمرات السرية، ليكتبوا للعالم (بروتوكولات صعاليك العرب).. ينتعلون الأرصفة، ويركبون الركشا في كراتشي، ويطيرون إلى مدريد، ويسكن (الفنادق الرخيصة)، ليوصلوا رسالة ثم يعودون..

لا تقترب منهم إلا إذا كنت شجاعاً، فهم لا يحبون الجبناء.. يشربون الشاي وهم جالسون حفاة وسط قمة جبل في تورا بورا، يرجفون من البرد، يضحكون ويتندرون على ملك يسمونه (...)..

في الجاهلية كان الصعلوك الأول ينشد:

وإني لأســـتحيي من الله أن أرى أجرجر حبلًا ليس فيه بعير

---

[١] للكاتب لويس عطية الله.

أما في الإسلام فهم فينشدون:

وإني لأســـتحيي من الله أن أرى أجرجر حبلا ليس فيـه أمريكي!

يسمون عملهم (استثمار)، والكهوف التي يتخندقون فيها بـ (الشركة)، والأعداء من الأمريكان بـ (المستثمرين الأجانب)، فإذا سمعتهم يتحدثون عن الاستثمارات والشركات فاعلم أنهم يبيعون بضاعة اسمها (الشهادة في سبيل الله)..

يكتبون القصائد العامية، يغنون أهواءهم في الخلوات من دون حرج، أو يدندنون بالفصحى:

جُـــدُرُ المـــذلّـــةِ لا تُـــدَكُّ بـــغـــير زخّـــات الـــرصـــاصِ
والحُـــرُّ لا يُـــلـــقـــي الـــقـــيـــاد لـــكُـــلِ كَـــفّـــارٍ وعـــاصِ
وبـــغـــير نضـــحِ الـــدمِ لا يُمحى الهوانُ عن النـواصـــي

ويرقصون في الليالي المقمرة علي جسر موستار، ويترنمون بها ويغنونها، بينما يحيط بهم الصرب من كل جانب!

فإذا أخذ منهم (الكروات) أسيراً أمسكوا بعشرين كرواتياً، وأوسعوهم ضرباً حتى يفكوا أسيرهم..

ستجدهم في الشيشان يسكنون في الجبال.. وإذا وجدوا جندياً روسياً في طريقهم أخذوه وأجروا له عملية إزالة دماغ!

ولأنهم صعاليك، فإن كل البشر يطاردونهم.. ولن تجد سجناً في أي دولة يخلو منهم..

فاعرفهم فإن علامتهم المميزة أنهم يلبسون العصائب الحمر، ويكحلون عيونهم، ويتسمون بالأسماء المخيفة (كأبي الدحداح) و (أبي القعقاع).. يحملون قلوب الأسود، وعيون الأطفال.. فإذا شاهدوا طفلاً يبكي أو عجوزاً تندب جلسوا يبكون حولها..

كل الكرة الأرضية تخاف منهم، وهم لا يخافون أحداً.. فهم قد بلغوا مرحلة متقدمة من الصعلكة، تجعلهم يحلقون لحاهم ويلبسون الجينز، ثم يركبون طائرات روما ويقترحون على الركاب الرومان الجدد توصيلاً سريعاً لمكاتبهم وهذا ما يحدث.. يوصلون ركابهم إلى مكاتبهم.. في جهنم..

يتحدثون في مجالسهم الخاصة.. ويتهامسون ثم يتبايعون.. وإذا حاولت أن تعرف على ماذا يتبايعون، فستكتشف أنهم يتبايعون على الموت.. ويعتبرون الموت أمنيتهم الوحيدة..

لكن هم ليسوا حمقى ولا أغبياء، إذ إنهم يقولون لك.. نحن نبيع النفوس للذي أعطانا إياها أول مرة، وهذا الشاري أخبرنا أنه يريد منا أن نبيع نفوسنا له، ليس مقابل حفنة من الدولارات بل مقابل جنة عرضها الأرض والسماوات! أليست هذه صفقة رابحة؟

صعاليك نعم، لأنهم لا يعبأون أين ينامون، فالكلاشن فراشهم الدافئ، وجعبة الرصاص المخدة المفضلة لديهم.. ثم لا يهم أين ينامون بعدها.. فقد ترى أحدهم ينام جالساً فوق شجرة في جزيرة في الفلبين، أو تراه وسط شقة في نيويورك يركب قنبلة مشعة ثم ينام بجوارها..!

وفي أحيان يتحولون من البر إلى البحر ليصبحوا (قراصنة)، يقرصنون سفن روما وإمبراطورها نيرون.. يسيرون في القوارب وحاديهم ينشد لهم:

يـظـنـكـم الجـهـال مـتّـم وإنمـا قـواربـكـم في الله تـرســو وتـبـحـر

صعاليك، نعم.. لم يمدحهم أحد، فمدحوا أنفسهم وكتب صعلوكهم الأكبر في بقية الصعاليك:

إني لأشـــــهـــد أنهـــم مـــن كـــل بـــتـــار أحـــدّ
يا طـالمـا خـاضـــوا الصـــعـاب وطـالمـا صـــالـــوا وشـــدوا

يتسقطون أخبار الإنترنت والصحف بلهفة، يرصدون حركة الأمريكان في جهات العرب أجمع..

وحدهم من يزيلون الحدود، ويركلون جوازات السفر بأقدامهم، لأن وحدتهم من نمط آخر.. وحدة الإسلام العام، وحدة من يقول:

بـلادي كـل أرض ضـــج فـيـهـا نـداء الحـق صـــداحـاً مـعـنى
ودوّى ثمّ بالســـبـع المـثـاني شـــبـاب كـان للإســـلام حصـــنـا

إنهم صعاليك يكرههم الملوك، ويغار منهم العلماء؛ لأنهم ينافسونهم على قلوب الناس، حيث ملكوا القلوب ولم يغشوا المسلمين.. فليغش من غش فلن يغش سوى نفسه، وليتجاهلوا هؤلاء الصعاليك كما يشاؤون فلن يتجاهلوا إلا أنفسهم.. وليشككوا كما يشاؤون فلقد فرض هؤلاء الصعاليك أنفسهم على الأرض وفي الهواء وفي السماء وفي القلوب وفي الأفكار وفي الأرواح..

لله أنتم أيها الصعاليك.. محسودون مبغوضون عند النخب في كل مكان، محبوبون وقدوات عند بقية شعوب الأرض المقهورة..

حسدوا الصعلوك الأكبر أنه إذا نطق صمتت الدنيا.. وأنه إذا قال فعل، وإذا ضرب أوجع، وإذا أوعد أنجز وعده..

سادات العرب لا يحبونكم لأنكم بزعمهم تضللون الرعاع.. وكلما ضربتم الأمريكان زاد الرعاع حباً لكم..

سادات العرب لا يستطيعون أن يروكم أيها الصعاليك على شاشات التلفاز وتتصدرون نشرات الأخبار..

وإذا كان نمرود الآخر يموت غيظاً عندما يراكم ويعلن على الملأ.. إن هؤلاء لشرذمة قليلون، وإنهم لنا لغائظون .. فإن نماريد آخرين من العرب يرونكم كوابيس مزعجة في المنام..

ويراهن بعض (سادات العرب) من لابسي البشوت على أن جند الصعاليك مغلوبون، وإن جند نمرود هم الغالبون.. ولله الأمر من قبل ومن بعد..

قال صاحبي: هل تدري لم تضايق هؤلاء؟

قلت لماذا؟

قال: تضايقوا لأن المساحة التي أشغلها الصعاليك، كانت محجوزة بالخطأ من قبل الذين يريدون أن يتجاهلوهم.. والآن اكتشف الناس أن الذين كانوا في قلوبهم تجار كلام انهزموا عند الصدمة الأولى.. لكن الناس لم يجدوا عناء في أن يخرجوهم من قلوبهم ويحلوا محلهم الصعلوك المغبر بعمامته وغباره، وما عادت تستهويهم البشوت والزري.. غبار في أطراف أظافرهم أحب لله من كل خطب المتجاهلين لهم..

وأصبح هؤلاء يبحثون عن موطئ على ساحل قلوب الناس بعد أن لم يبق في اليابسة مكان لهم ..

قلت لصاحبي: صلى الله على تلك الطائفة المنصورة، وصلى الله على قائدها، ولترغم أنوف من لم يصل عليهم.. لو كنت عند كبيرهم لوجدتني أغسل يديه وقدميه.

قال حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم، أخبرني أبي عن بعجة بن عبد الله بن بدر الجهني، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: ((خير معايش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله، ويطير على متنه، كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه إليها؛

يبتغي الموت أو القتل مظانه، ورجل في غنيمة في رأس شعفة من هذه الشعاف، أو بطن واد من هذه الأودية، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلا في خير)) [مسلم].

وبكى صاحبي لما رأى الدرب دونه.. وقال: حين عجز هؤلاء عن الصعلكة، وعجزوا أن يقولوا كلمة الحق في وجه سلطان جائر.. لم يلجؤوا لشعاف الجبال صامتين يدعون للمجاهدين، بل نطقوا بأشياء ليست من الإيمان والتجرد في شيء.. والله كاف عباده الصعاليك وهو حسبهم ونعم الوكيل.

قلت: إن هؤلاء الصعاليك ما ساروا سيرتهم إلا لأن سيد بني آدم أوصاهم بذلك.. قال حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري، قال أخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((أعد الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي؛ فهو علي ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة. ثم قال: والذي نفسي بيده، لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تخرج في سبيل الله أبدا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة فيتبعوني، ولا تطيب أنفسهم فيتخلفون بعدي، والذي نفس محمد بيده؛ لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل)) [البخاري].

وربهم سبحانه قال لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

هؤلاء هم صعاليك العرب الجدد وهذه سيرتهم.. ويا ليتني صعلوكاً عربياً، فأستبشر ببيعي وأفوز فوزاً عظيما..

اللهم صل على عبدك الصعلوك أسامة بن لادن، وعلى أصحابه الصعاليك، وسلمهم من كل شر..).

٨- بسم الله رب التسعة عشر [١].

أيـهـا الـراكـب المـيـمـم أرضـــي أقرأ من بعضـــي الســـلام لبعضـــي
إن جســـمي كمـا علمـت بأرض وفـــؤادي ومـــالـــكـــيـــه بأرض
قـدّر الـبـين بـيـنـنـا فـافـتـرقـنـا وطوى البين عن جفوني غمضـــي
قـد قضـــى الله بالـفـراق عـلـيـنـا فعســـى باجتماعنا ســـوف يقضـــي

لم أعد أعرف هل تلاحقني صورهم في كل مكان، أم أنا الذي ألاحقهم في كل صحيفة أو مجلة أو قناة أو موقع على الإنترنت.. أينما توجهت وأينما جلست وجدت ذكرهم يملأ الدنيا.. يملأ الكون.. وأستنشق بعمق عطر الكرامة الذي لم نعرفه سوى بعد هذه الثلة المؤمنة الصابرة.. وأرى غيلان البشر الذين نزع من خلقتهم تلك الأنوف التي تشم ذلك العبير وهم يتحدثون عن هذه الثلة، فأتساءل هل أنا وحدي الذي يشم ذلك الأريج الطيب..؟

أنظر إليهم فتمتلئ المآقي بالدمع.. وأكتم عبرة تصطلم بين الجوانح، ولو قدر لها أن تخرج لخرجت نفثة مصدور تسمعها الدنيا.. وأقول لهم.. كيف لكم أن تتركوني هنا؟ كيف مضيتم وخلفتموني وراءكم؟ .. يا حسرتاه على ما فرطت في جنب الله.. لم تذنبوا، بل أنا الذي ارتكب الجريمة العظمى ولم يلحق بركبكم أيها الركب الغر الميامين..

قبل أن أجلس لكتابة هذا المقال كنت قد زورت في نفسي كلاماً كثيراً وأفكاراً مختلفة قررت أن أسكبها فيه.. وكان الهاجس الأول الذي كنت أفكر في الحديث عنه هو إلى أين تتجه الأمور الآن، وما مستقبل المعركة بين المجاهدين وأمريكا..

بالطبع الحديث عن المستقبل أمر مثير ومشوق، خصوصاً ونحن نرى هذا الركام الهائل من المعنويات المحطمة والنفسيات المنهارة بعد مرور عام على الغزوة المباركة.. فكنت أفكر

---

[١] للكاتب لويس عطية الله.

في الحديث عن هذا الأمر لأبدد القلق الذي ينتاب الكثيرين، وأوضح لهم أن انتصار المجاهدين مسألة حتمية لا جدال فيها إن شاء الله، وانتصارهم تحقيق لسنن كونية وشرعية متكاثرة في نصوص الشرعية، ودلت أحوال البشر والتاريخ على أن تلك السنن لا تتأخر عن وقتها، وأنه:

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحر

وأسامة قد جاء وألقى المجاهدون أربع عصي في أمريكا، فبطل ما صنعوا، إن ما صنعت أمريكا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى..

لكن ما رأيته البارحة بدد كل رغبة سوى الرغبة في البكاء.. لا تظنوه بكاء الحزين الجزع، بل بكاء الهائم بالبطولة عندما يراها تتجسد أمامه بشراً يتحدث..

الشيخ عبد العزيز العمري رحمه الله.. يلقي وصية لأمة الإسلام قبل أن ينطلق للقتال في سبيل الله.. عليك سلام الله ورحماته يا عبد العزيز..

رأيت صور جبال البطولة وكواكب الرجولة وأفلاك المعالي.. رأيت صور تسعة عشر رجلًا عظيما.. فتصاغر بعدها في نفسي كل شيء في هذه الدنيا.. وجلست أندب حظي وتدمع عيني وأنا أردد بخلجات نفسية خفية صوتاً وددت لو أنهم يسمعونه هذه اللحظة..

هل تسمعون توجعي وتوجع الدنيا معي يا راحلين عن الحياة وساكنين بأضلعي
يا راحلين إلى جنان الخلد أشرف موضع أتراكم أسرعتم أم أنني لم أسرع؟
ما ضركم لو ضمني معكم لقاء مودعي؟ فيقال لي هيا إلى أرض الخلود أو ارجع

رأيت صور الأبطال الذين افتتحوا ملحمة (بدر الكبرى الحديثة).. رأيت صور عبد العزيز العمري ووائل ووليد الشهري ومحمد عطا وسطام السقامي.. رأيت الصورة وغرقت في

تأمل طويل في صورهم.. تلك الوجوه الصبيحة التي يساوي واحد منهم ملايين من (الغثاء) من بني يعرب..

في اللحظات الأخيرة قبل ارتطام الطائرة الأولى.. أتخيلهم يرتلون القرآن في نفوسهم.. يرددون إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة.. هذا محمد عطا يجلس أمام المقود ومعه سطام.. يهنئ كل واحد منهما صاحبه.. وهما يريان المسافة تتقاصر بتسارع مخيف ومهول لا تثبت معه قلوب أحد من البشر سوى القلوب التي امتلأت بحب الله.. بحب لقاء الله.. بالشوق المهيج للقاء الأحبة.. محمد وصحبه..

وقد ولت لحظات التوتر والقلق التي تصاحب كل بداية.. نجحت عملية السيطرة على الطائرة.. وخضع العلوج.. وأصبح المجاهدون يتحكمون في الموقف ويسيطرون على الطائرة.. وأنزل الله عليهم السكينة وأسبغ عليهم لباس الطمأنينة والثبات والرضا والسعادة بقرب الوصول إلى المنازل..

الطائرة تقترب بسرعة رهيبة نحو البرج.. ومحمد عطا وسطام ينظران له بكل هدوء وسكينة يرددان في نفسيهما.. اللهم خذ من دمائنا حتى ترضى.. اللهم لا تجعل لنا قبرا.. اللهم ما خرجنا إلا جهادًا في سبيلك وابتغاء مرضاتك . اللهم فاقبل نفوسنا رخيصة من أجلك فقد استبشرنا ببيعنا الذي بايعناك..

بهدوء وسكينة يرددان الدعاء في نفسيهما وهما يستحثان الطائرة كما استحث يومًا عمير بن الحمام، فقال: يا رسول الله، ليس بيني وبين الجنة سوى هذه التمرات؟ تالله إنها لحياة طويلة..

محمد عطا وسطام يرددان.. تالله ليس بيننا وبين الجنة سوى هذا الهواء الذي يفصلنا عن المبنى الأول.. تالله إنها لحياة طويلة..

يستحثان الطائرة ولو كان بأيديهما لانتزعا الوقت والمسافة وكل الأبعاد الدنيوية ليصلا فوراً إلى الجنة.. اللهم بلغهم الجنة..

وفي الخلف يقف وائل ووليد والعمري.. ينظر كل منهما للآخر بابتسامة وعين كل واحد تحدث الآخر.. أننا قد قطعنا كل هذه الحياة لنصل لهذه اللحظة.. اللحظة التي نخرج فيها من الدنيا إلى جنة عرضها السموات والأرض.. يا رب.. متى تمضي هذه اللحظة ومتى نصل إلى الجنة..

الهدوء يلف المكان وليس ثمة صوت سوى صوت هدير المحركات.. وهؤلاء الفرسان الثلاثة ينظرون في وجوه الأمريكان الخائفين المرعوبين.. ينظرون لهم نظرة إشفاق.. أنهم الآن في طريقهم إلى النار.. النار التي لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر..

ينظر لهم عبد العزيز العمري لهؤلاء الكفرة ويود أن لو قالوا لا إله إلا الله ليسلموا من العذاب.. يقول لهم: قولوا: لا إله إلا الله.. كلمة تشفع لكم.. لكن تلك الوجوه الكافرة لا تفهم لا إله إلا الله.. ولا تريد أن تفهم، وتظن أن (حكومة الولايات المتحدة الأمريكية) سوف تنجيهم من الموقف.. ولا يدرون أنه إذا جاء نهر الله بطل نهر بوش..

حتى إذا رأى قائد الكتيبة محمد عطا أنه لم يبق بينه وبين المبنى سوى مئات الأمتار.. قال لسطام: اطلب من الشباب أن يأتوا هنا.. الحمد لله نحن على وشك الوصول إلى ديارنا..

يهرع سطام بسرعة وينادي الشباب.. وليد وائل عبد العزيز تعالوا فورًا.. يدخلون ويغلقون وراءهم باب قمرة القيادة..

هذه هي مراسم الشهادة وفق الطريقة الاستشهادية الجديدة في عالم البشر.. نخترعها نحن المسلمين ونكون قدوات للبشر فيها.. أن نستشهد معًا متماسكين بالأيدي نحتضن بعضنا البعض وننشد لحن الخلود ونردد ونحن متجهين للموت..

في سبيل الله نمضي نبتغي رفع اللواء
فليعد للدين مجد وليعد للدين عز
ولترق منا الدماء ولترق منا الدماء

حتى إذا لم يبق سوى لحظات.. لحظات قليلة جدًا.. أمتار معدودات.. قام محمد عطا من على المقود.. وأخذ الشباب يحتضنون بعضهم البعض يضحكون ويبكون.. يودعون بعضهم البعض.. ويصرخ سطام نتقابل في الجنة يا شباب.. ويقول وائل يارب اجمعنا بإخواننا الذين تركناهم في أفغانستان في الجنة.. يا رب اجمعنا بهم في الجنة..

تختلط دموع الفرحة بدموع الفراق.. يتذكرون الآخرين الذين لم يلحقوا بهم.. ويتذكرون الشيخ أسامة وتبرق في أعينهم مشاعر الشكر لهذا الرجل الذي دلهم على هذا الطريق.. ويلقي وليد النظرة الأخيرة أمامه وهو يقول اللهم اجمعنا بالشيخ أسامة في الجنة..

ثم تتعالى أصواتهم وهم متماسكين يضع كل واحد منهم يده على عاتق الآخر، يقفون صفًا متماسكًا موحدًا لله رب العالمين..

ها قد اقتربت لحظة بدء الرحلة للجنة.. فلنقف صفًا متماسكًا نلهج بالدعاء والتهليل والتكبير والتحميد.. لنقف صفًا متماسكًا كما وصف الله المؤمنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾.. مقبلين غير مدبرين.. لا إله إلا الله.. محمد رسول الله..

آخر كلمات يقولها البطل المسلم المقبل لله غير المدبر الذي يتقي الموت بصدره.. أستغفر الله..

هؤلاء لا يتقون الموت، هؤلاء خرجوا طلبًا للموت.. فالموت هو الذي يتقيهم.. ويحزن أنه لا بد أن يلاقيهم، ولو كان بيده لطلب لهم الحياة.. فمثل هؤلاء الأبطال تحيا بهم الأمم..

لكن لا مرد لقضاء الله، وهم طلبوا لقاء الله، فلن يكون الموت سوى عبداً من عباد الله.. ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه..

وهكذا افتتح سيف الإسلام أسامة بن لادن القائد الأعلى للقوات الإسلامية المسلحة أول معركة في تاريخ الإسلام الحديث.. وكأن الشيخ أسامة واقف في طرف المجرة.. يلبس لأمة الحرب.. ويقول لفرسانه إذا رأيتم إشارتي فانطلقوا.. ثم يشير لهم فتنطلق الكتيبة الأولى.. وتصدم البرج الأول.. ويكبر الشيخ أسامة.. ويكبر المسلمون معه في أرجاء الكون..

ويعطي الشيخ الإشارة فتنطلق الكتيبة الثانية في الطائرة الثانية.. مروان الشحي وفايز القاضي وأحمد الغامدي وحمزة الغامدي ومهند الشهري..

وتواجه تلك الكتيبة صعوبة في التوجيه.. لكن كتائب المسلمين لا تعرف الصعوبات ولا تعرف المستحيل.. فيحلف مروان والشباب والله إن جند الله لهم الغالبون.. ويلهجون بالدعاء وهم يقودون تلك الطائرة.. يا رب.. يا رب.. يا رب.. بلغنا منازلنا كما بلغت إخوتنا في الكتيبة الأولى..

يتضرعون إلى الله أن لا تنحرف.. فيرحمهم الله ويذلل لهم الطريق ويسلك بهم سبيل المتقين.. ويلهمهم الله أن افعلوا بها هكذا.. فيفعلون فتسير إلى وجهتها.. إلى ركن المبنى.. ويكون الوقت قد فات عليهم حتى يقوموا بإجراءات المغادرة، فلم يكن هناك وقت لتبادل التهاني ولا التبريكات بقرب الوصول للجنة.. ليس ثمة نظرات الفرحة والسعادة.. وترديد التكبير.. لا وقت أكثر من ذلك.. فهم لم يكادوا يجدون وقتًا بعد نفاد الوقت في التغلب على هذه الطائرة العصية.. لا يهم فشوقهم إلى الجنة أشد من بقاء هذه اللحظات..

الحمد لله الحمد لله.. سلكت الطائرة طريقها ودكت الحصن الثاني، وارتاح الأبطال ببلوغ منازلهم، وجعلوا الدنيا تحتار بعدهم، ويردد بعض ضعفاء العقول.. مستحيل! مستحيل! مستحيل أن يفعلها ناس مبتدئون بقيادة الطائرات..!

وما دروا أن الله هو الذي أمرها بما أمر.. وإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون..

فكانت الطائرة بما كانت.. وفازت الكتيبة الثانية ورب الكعبة.. إي والله فازوا ورب الكعبة..

وكبر الشيخ أسامة وكبر المسلمون معه في أرجاء الكون..

ثم يأمر الشيخ الكتيبة الثالثة.. أن عليكم بوكر الشيطان ومجمع قوات الكفر العالمي، فدكوها دكا عسى الله أن ييسر لنا معركة في فلسطين فنتبر ما علونا تتبيرا..

زلزلوا أركان الكفر وصولوا صولة الأبطال شدوا

ويلتقي أزلام الشيطان وفرسان الرحمن في أول مواجهة مع رأس الكفر أمريكا.. لكنها مواجهة صنعها وخطط لها مجاهدون بأسلحة جديدة، فأسقط في يد الكفر ولم يحرك ساكنا.. ودكت صروحه دكا..

أما الكتيبة الرابعة فتتأخر قليلًا.. ليصحو الكفر من سكرته ومن هول ما أصابه.. ليسقطها بطائراته..

ثم يحمد المسلمون ربهم ويخر الشيخ أسامة ساجدًا.. ويطير الأبطال التسعة عشر في طريقهم إلى الجنة وهم ينظرون إلى الأرض.. يتساءلون يا رب متى سيلحق بنا إخواننا؟

وتنتهي أعظم معركة في تاريخ الإسلام الحديث بنصر مؤزر.. هذا ما رأيته في تأمل وجوه هؤلاء الفرسان.. كل واحد منهم يحكي قصة بطولة.. رأيت وجوههم وبكيت.. بكيت أنهم سلكوا طريق الجهاد والشهادة.. ونحن قعود هنا..

وعلمت أن هؤلاء الفرسان لا يستحضرون الجنة والشهادة هكذا لأنهم (ينتحرون)، هم يعلمون أنهم ليسو مجانين وجدوا أنفسهم قد خطفوا طائرات، بل يستحضرون تمامًا أنهم

جنود يفتحون كوة في أسوار العدو، طليعة تهاجم لتدك أسوار العدو، يتصورون أنفسهم أمام هذا الحصن الذي بدا أمام الناس منيعًا لا يقهر، ويريدون أن يدكوه حتى تقتحم الأمة من خلفهم، ويثبتوا للمسلمين أنه يمكن دكه..

يستحضرون أنهم هم الطليعة التي لا تحرق نفسها مثل الياباني المغفل يشعل البنزين بنفسه من أجل ان يكسب عطف الناس، بل تحرق نفسها بثمن باهظ يقوض أركان الطاغية الأول ويدمر صنم العصر أمريكا..

ويستحضرون كلام شيخهم الذي يقول دعوكم من التافهين ابن سعود وحسني وبقية المتخلفين الذين يسمون بهتاناً (ولاة الأمر)، هؤلاء ليسوا إلا أطراف الأخطبوط، عليكم برأس الأخطبوط في نيويورك وواشنطن..

يستحضرون أنهم ينقلون العالم من حالة إلى حالة، حالة يطأطئ فيها المسلمون رؤوسهم ولا يعرف الناس فيها إلا أمريكا الدولة العظمى إلى حالة يعتد فيها المسلم بنفسه وهويته، ويقول نحن كذلك دولة عظمى تتمثل في أسامة..

يستحضرون أنهم قفزة تاريخية هائلة تختصر مراحل من التغيير الاجتماعي، وتنتشل المسلمين انتشالاً من حالة الذل والتبعية والخنوع..

يستحضرون أنهم يختتمون الحلقات الأخيرة من جهد عكفوا عليه شهوراً طويلة بارك الله لهم فيه، وأخذ عنهم العيون والأبصار، ولا يمكن إلا أن يبارك في الباقي فيستبشرون، نعم ويعلمون أن ما يقومون به عين الصواب حقًا ويتمنون لو جمعوا بين الشهادة وبين رؤية ما تصنعه بطولتهم من تدمير لهيبة أعداء الله..

لكن هيهات أن يجمع بينها، فلا بد من الشهادة حتى تتحقق الأخرى..

تأملت هذا المشهد، وتذكرت الشيخ أسامة وهو تخنقه العبرة حين حياهم وحيا أعمالهم، وعلمت أن هذا الرجل الجبل لم يكن ليمسك عبراته وهو يحييهم.. يحيي أبناءه الذين عاش معهم شهوراً طويلة في تربيتهم وتدريبهم وتعليمهم..

اللهم مثلما وفقتهم لدك حصون العدو، ومثلما وفقتهم لانتشال المسلمين من ضعفهم وذلتهم، ومثلما أخذت عنهم العيون والأبصار وأوصلتهم إلى أهدافهم، اللهم فأقر عين شيخنا أسامة بما تمناه عليك أن تتحقق على يديه كرامة تحطيم أمريكا، فيكتب له التاريخ أنه ورجاله الجيل الثاني بعد الصحابة الذين يدمرون إمبراطوريتين في سنين معدودة..

اللهم مثلما وفقتهم وأكرمتهم بالشهادة وطيب الذكر في الدنيا، فبلغنا ما بلغوا وخذ من دمائنا مثلما أخذت من دمائهم..

اللهم كثرت ذنوبنا وعظمت آثامنا، ولا خلاص لنا إلا بشهادة تطهر كل آثامنا ونحن مقبلين غير مدبرين..

اللهم يسر لنا سبيلًا للحاق بإخواننا المجاهدين.. آمين.

٩- آيات الرحمن في غزوة سبتمبر [١].

(بعد مضي عام على الغزوة المعروفة بـ (غزوة سبتمبر)، أحببت أن أذكر بعض آيات للرحمن جل جلاله تجلت وظهرت فيها، وفي ذلك عبرة وعظة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ولست أعني هنا الحديث عن مشروعية العملية من عدمها؛ فإن هذه المسألة قتلت بحثاً، والعملية مضت وانتهت، ولكني أريد أن أذكر ثمارها ونتائجها، وما سأذكره لا يخالف فيه أحد من المنصفين:

الآية الأولى: قوله تعالى ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

فالغزوة قادها تسعة عشر مجاهداً فقط، وأسلحتهم بيضاء (سكاكين ومقصات!)، ومع ذلك دكوا عروش الكفر الاقتصادية والعسكرية. وفي (أمريكا) التي تسمى (القوة العظمى الأولى) والمهيمنة على (النظام العالمي الجديد)!. وإن في هذا لآية عظيمة!.

وقد حصل حوار طريف بين أخوين في هذه المسألة أنقله بالمعنى:

قال أحدهما: وأي نصر في ضرب دولة بطائرات مدنية لم تعد للحروب أصلاً؟!.

فقال الآخر: وكيف حرب أمريكا للمسلمين في أفغانستان والعراق وغيرها؟.

الأول: ماذا تعني؟.

الثاني: هل حرب أمريكا على المسلمين في كل مكان إلا من هذا النوع؟ أليسوا يدكون من يسمون بـ (المدنيين) و (الأبرياء) من (الشيوخ) و (النساء) و (الأطفال) في العراق وأفغانستان والسودان وغيرها بصواريخهم وطائراتهم؟! فالدعوى كلها حرب من الجو، طائرات في طائرات.

---

[١] مقال للشيخ ناصر بن حمد الفهد فك الله أسره.

الأول: ولكن هذه طائرات حربية وتلك مدنية.

الثاني: هل الطائرة إذا كان اسمها (إف ١٥) أو (التورنيدو) يحق لها أن تقتل من يسمون بالمدنيين، وإذا كان اسمها (بوينج) أو (إيرباص) لا يحق لها ذلك؟!.

فالحرب على أحد وجهين: إما المواجهة العسكرية (وجهاً لوجه)، فالأمريكان أجبن خلق الله بشهادة الجميع، وأبعدهم عن المواجهة، و (أنا كوندا) خير شاهد على ذلك!.

فهم يريدونها حرب طائرات، فكلها ضرب من فوق، فهذه كهذه، والبادئ أظلم!

انتهى الحوار مختصراً.

وقد يقول آخر: وما النصر الذي حصل بهذه الضربة؟!.

فالجواب: لو لم يحصل من النصر إلا قلب تاريخهم، وموازينهم، ودراساتهم الاستراتيجية، والعسكرية، ونظامهم الدولي، رأساً على عقب لكفى به!. فالغزوة شكلت منعطفاً تاريخياً عظيماً، أعاد تشكيل كثير من الأفكار والدراسات، فالمتخصصون في العلاقات والأنظمة الدولية يقسمون تكوّن النظام الدولي الحديث إلى مراحل هي إجمالاً:

- مرحلة (١٦٤٨ - ١٩١٤م) وهي مرحلة معاهدة (وستفاليا) وما تلاها، والتي أنهت الحروب والصراعات في أوربا، وكانت نواة تأسيس العلاقات الدولية الحديثة.

- ومرحلة (١٩١٤ - ١٩٤٥م) وهي مرحلة الصراعات والحروب العظمى العالمية.

- ومرحلة (١٩٤٥ - ١٩٩٠م) وهي مرحلة تكون هيئة الأمم، وسيطرة القطبين السوفيتي والأمريكي على العالم، والحرب الباردة بينهما، وسباق التسلح.

– مرحلة ما بعد ١٩٩٠م وهي مرحلة تبدأ مع سقوط الاتحاد السوفيتي وتهاوي الأنظمة الشيوعية تباعاً وانتهاء الحرب الباردة، وتفرد أمريكا بالسيطرة والنفوذ، وابتداء ما يسمى بالنظام العالمي الجديد.

وعند هذه المرحلة ظن بعض كبار مفكري أمريكا بأنها نهاية الصراعات والتقلبات السياسية الكبرى وانتصار الرأسمالية الغربية، وأنه – هاهنا – وقف التاريخ ليشيد بانتصارهم النهائي والأخير:

وألقت عصا التسيار واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

فألف فوكوياما كتابه (نهاية التاريخ) تصور فيه أن العالم قد وصل إلى نهاية التاريخ، إذ ليس بإمكان العقل البشري – كما يزعم – أن يأتي بنظام أفضل من النظام الرأسمالي لأن البديل – الشيوعي – الذي كان يؤمل منه تحقيق السعادة البشرية قد فشل بعد تطبيق دام اثنين وسبعين عاماً، وبذلك فإن النظام الرأسمالي قد أصبح قدر الإنسانية، الذي لا مفر منه، والذي ستعيش في ظله إلى الأبد.

وقال أحد مفكريها: (كانت السياسة الخارجية الأمريكية في الخمسين سنة الماضية قد تكونت استجابة للتهديد الذي يطرحه خصوم هذه البلاد، ففي كل عام منذ (بيرل هاربر) كانت أمريكا مشتبكة إما في حرب أو في مواجهة، والآن – ولأول مرة – (بعد النظام العالمي الجديد) منذ نصف قرن، تحظى الولايات المتحدة بالفرصة لإعادة تركيب سياستها الخارجية متحررة من قيود الحرب الباردة وضغوطها).

ولأنها حظيت بهذه الفرصة – كما يقول – فقد زاد شرها، واستفحل خطرها، وطغى أمرها، فعاثت في الأرض فساداً، تقتل من تشاء من المسلمين، وتأسر من تشاء، وتحاصر من تشاء، وتضرب من تشاء، وكأن المسلمين مجموعة حشرات لا قيمة لدمهم ولا لكرامتهم!. فجاءهم تسعة عشر مجاهداً، صغار السن، من جماعة محاربة في جميع دول العالم، قد شددت

عليها الرقابة، فخيبوا ظنهم، وقلبوا أنظمتهم وسياساتهم، وغيّروا دراساتهم، وأظهروا عوار (رأسماليتهم) و (عولمتهم) و (ديمقراطياتهم) و (حقوق الإنسان عندهم) و (أسطورتهم: السي آي إيه)، وجعلوا ما سماه مفكروهم (نهاية التاريخ)، هو في حقيقته (بداية النهاية) لهم بحول الله وقوته!.

ولأول مرة في التاريخ الحديث يكون المسلمون فاعلين صانعين للأحداث لا منفعلين متأثرين بها!.

وتظهر عظمة هذا الحدث من خمس نواحي:

الناحية الأولى: أنه أعاد الإسلام إلى الواجهة في الحروب مع الكفار، بعد أن كانت القوميات والوطنيات والمصالح هي المحرك للحروب والصراعات، فأخرجت بذلك العداء الصليبي من الكمون إلى الظهور، ومن القوة إلى الفعل.

والناحية الثانية: أنها أبرزت الدور العظيم للجهاد في قلب الموازين العالمية.

والناحية الثالثة: أنها أنهت فكرة تحكم (الدول القومية) في (السياسات) وإعلان (السلم) و (الحرب)، فإدارة هذا الصراع بيد من ليس لهم انتماء قومي وطني معين، بل ينتشرون – كما يقول الأمريكان – في أكثر من ستين دولة، ولا يجمعهم غير الإسلام السلفي الجهادي أو ما يسمونه بـ (الوهابي!)، بل إن السرايا الأربعة التي ضربت أمريكا يقودها أربعة رجال لا تجمعهم (دولة قومية واحدة)؛ فأحدهم من الكنانة، والثاني من الخليج، والثالث من الشام، والرابع من الحجاز.

والناحية الرابعة: أنها جعلت عصر ضرب أمريكا لمن شاءت من المسلمين بدون أي عقاب يولي بلا رجعة إن شاء الله. والناحية الخامسة: أنها بداية السقوط لفكرة (النظام العالمي الجديد)، والذي لم يهنأ الأمريكان به إلا سنوات معدودة، وهي بداية السقوط الكلي لأمريكا إن شاء الله.

الآية الثانية: قوله تعالى ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾.

وهذه من آيات الله العجيبة التي وقع مصداقها في أحداث سبتمبر، وانظر إلى الأجزاء الثلاثة لهذه الآية:

أولاً: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾: فالناظر في حال (أمريكا) يرى أنها قد أمنت على نفسها من (الغزو): (جغرافياً) و (عسكرياً): فالمحيطات التي تحيط بها من جهتين تعزلها عن باقي العالم الذي تقوم (بطحنه) متى شاءت، ولا خطر عليها من (الجيران). وصواريخها عابرة القارات، وقوتها النووية، والعسكرية، وحاملات الطائرات التي تجوب البحار، ومشاريعها في (حرب النجوم) التي تريد من خلالها تحييد القوى النووية المعادية، وغير هذه الأمور، كل هذا سلاح أيقنت معه أنه لا يجرؤ أحد على أن يقول لها: (لا) إذا أمرت!. أو: (لِمَ) إذا فَعَلَت!. ونسجت أساطير (إعلامية) حول مقدرة استخباراتهم، وأقمارهم الصناعية، ومقدرتهم على جمع المعلومات، وخبرتهم في التجسس، والتلصص!!. فبقوتهم العسكرية ظنوا أنه لا توجد دولة تجرؤ عليها!. وبقوتهم الاستخباراتية ظنوا أنهم قد طوقوا الجماعات الإرهابية، فلا تقدر على الحراك!.

ثانياً: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾: ومع هذا الغرور، والصلف، والجبروت، والكبرياء، والغطرسة، أتاهم الله سبحانه من حيث لم يحتسبوا، وضربها في أقل من ساعتين، فحطم ما نسجته أساطيرهم خلال خمسين سنة، وأرغم أنفها في التراب بوسائل بدائية لا تفلح صواريخها ولا حاملات طائراتها ولا قواتها النووية في ردعها.

وممن كانت هذه الضربة؟!.

من عدوها الأكبر الذي حشدت لحربه (استخباراتها) و (أقمارها) و (الخونة) من أتباعها!!.

وكأني بأصحاب تلك الغزوة ينظرون من نوافذ تلك الطائرات – وهم يضربون معاقل (أمريكا) – ويرددون: (بولوا على قوتكم النووية، وأقماركم الصناعية، والسي آي إيه، أيها العلوج)!!.

ثالثاً: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: فمع هذه الضربات دب الرعب في قلوبهم، وقد ظهر هذا لكل من شاهد وجوه الأمريكان أثناءها، وعلى رأسهم طاغيتهم الأكبر (بوش) الذي بقي ساعات ينتقل من مخبأ إلى آخر، وقد كاد أن يضرب الرقم القياسي في سرعة الاختباء لو أنه سلم من منافسة نائبه (تشيني)!!.

الآية الثالثة: قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

فالناظر إلى آثار تلك الضربات المباشرة وغير المباشرة يعلم أن وراءها قدرة فوق قدرة البشر؛ يتيقن معها المؤمن بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

ومع أن الآثار المباشرة التي نتجت عن ضرب صروح الاقتصاد الأمريكي كانت أكبر مما يتصوره العقل، وإذا علمت أن تلك الناطحات مصممة – كما يقول المهندسون – لمقاومة اصطدام طائرات (بوينج٧٠٧) تبين لك هذا الأمر جلياً، فكيف إذا علمت أن مجموعة أخرى من ناطحات السحاب (تعاطفت) مع (الناطحات الأم) فسقطت معها!.

إلا أن مرادنا هنا هو في الآثار غير المباشرة لهذه الرمية؛ فهي التي لا نزال ننهل من معينها إلى اليوم، ومن هذه الآثار:

١ – ما حصل لاقتصاد أمريكا من تدهور وكساد، وانهيارات متتابعة لكثير من الشركات الكبرى إلى هذا الوقت، وانخفاض سعر الدولار، وهرب الاستثمارات منها إلى الخارج، وغير ذلك، مما يؤذن بأفول هذه الدولة عن قريب إن شاء الله لأنها قائمة على الاقتصاد.

٢ – دخول كثير من الكفار في الإسلام، بل تضاعف عدد الداخلين فيه بعد هذه الغزوة أربع مرات كما صرحت بذلك وسائل إعلامهم، حتى بلغ عدد من أسلم في أمريكا وحدها أكثر من أربعة وثلاثين ألفاً حسب تصريح السي إن إن، ودخل كثير من كفار أفريقيا في الإسلام كما أخبرني بعض الدعاة هناك.

٣ – انتشار معرفة الدين الإسلامي في جميع أصقاع المعمورة، حتى أن أكثر من ستة عشر ألف مكتبة عامة في أمريكا وحدها زودت بكتب كثيرة عن الإسلام والمسلمين، وخصصت وزارة الخارجية البريطانية دورات للعاملين فيها لتعريفهم بدين الإسلام، ونفدت نسخ ترجمة القرآن من بريطانيا وفرنسا، وخصص وقتاً أسبوعياً في بعض الدول الاسكندنافية للتعريف بالإسلام أيضاً، وزاد الإقبال على المراكز الإسلامية في اليابان ودول شرق آسيا، ولو أردت أن تجيش جيوشاً من الدعاة والداعيات والمراكز بميزانيات دول لتحقيق هذه النتائج ما تحققت إلا أن يشاء الله، وهذا ما دعا بعض أشد المعارضين للضربات أن يعترف بأن الإسلام كسب بعد هذه الغزوة في أقل من سنة أكثر مما كسبته الدعوة خلال أربعين سنة!!.

هذا بالإضافة إلى إحياء روح الولاء والبراء في نفوس المسلمين، وتعريفهم بواقع معاداة الكفار لهم، فقد أبرزت هذه الضربات العداء الكامن في نفوس الصليبيين، فنبه ذلك من كان غافلاً أو مغفلاً من المسلمين!، وأحيت روح الجهاد في سبيل الله، والآثار كثيرة جداً، ولا تزال تظهر تباعاً، وإنما هذه إشارة إلى بعضها.

الآية الرابعة: قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾.

تغنت العرب منذ القدم بوفاء السموأل، فقالت في أمثالها (أوفى من السموأل)، وقال شاعرهم:

سعيت بمن أحياك من بعد ميتة وأدّى وفاء ما وفاه السموأل

وقال آخر:

جزاء سنمار جزاني على الهوى وكان يمنيني وفاء السموأل

وإنما ضحى السموأل بابنه من أجل أن يحفظ ما اؤتمن عليه! فعظم في عين العرب.. وتالله إنه لوفاء!.

ولكنه يتضاءل حتى يكاد يتلاشى إذا قرنته بوفاء (الملا محمد عمر) حفظه الله وسدده ونصره!. وأين يبلغ وفاء السموأل عنده؟ وإنما هو ابن واحد!. وماذا يساوي أمام التضحية بالسلطان، والملك، والأهل، والبلد، والأمن، وبجميع ما يملك!.

فلئن كان زمننا هذا زمن الخيانات والنفاق، فإن مثال (الملا عمر) الفريد ينقلنا إلى زمن الصحابة وأولئك الأعلام. ولسان حاله يقول:

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

فهذا الوفاء النادر، والثبات العظيم، جاء في وقت قام فيه كثير من الطواغيت بالتقرب إلى الطاغوت الأكبر باصطياد من يشتبه بمجرد سلامه على (إرهابي!)، ويودون لو كان (الفاكس) يرسل (الرجال) كما يرسل (الأوراق) ليقوموا بإرسالهم فوراً إلى الطاغوت الأكبر بلا تأخير!. فنحسب الملا عمر والله حسيبه ممن يصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾.

الآية الخامسة: قول الرسول ﷺ: ((نصرت بالرعب)).

فهذه ما تسمى بأعظم دولة في العالم تحشد سبعة آلاف طائرة حربية في سمائها خوفاً من الساكنين في (كهوف أفغانستان)، وتقوم بوضع (الباتريوت) و (الستينجر) حول مصالحها على مدار اليوم، وتعلن الطوارئ خوفاً من هجمات إرهابية! أكثر من مرة، ويصاب أكثر من ربع سكانها بأمراض نفسية بعد الضربة، ولا يخرج زعيم الاختباء العالمي (تشيني) من مخبأ إلا ليدخل في مخبأ ثاني، ولا يزال مسلسل الرعب مستمراً، ونحسب أن هذا كله من إبرار الله سبحانه لقسم شيخ المجاهدين أبي عبد الله نصره الله بأن لا يهنأ الأمريكان بالأمن؛ فإن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره!.

الآية السادسة: قول الرسول ﷺ: ((واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك)).

ومن يجادل في عظمة هذه الآية؟.

فإن الشيخ المجاهد أبا عبد الله أسامة بن لادن حفظه الله ونصره اجتمعت عليه الأمم من أقطارها، على اختلاف أديانهم، وألوانهم، من صليبيين، ويهود، وهندوس، وبوذيين، ومنافقين، وخونة، وغيرهم، في مشارق الأرض، ومغاربها، بجميع ما بأيديهم مما بلغته علومهم، من الأسلحة، والطائرات، والأقمار الصناعية، وأجهزة التجسس، والمراقبة، ومع أن صورته انتشرت في الأرض انتشار النار في الهشيم، فصار يعرفه القاصي والداني، والصغير والكبير، والمسلم والكافر، والرجل والمرأة، ومع هذا كله لم يعثروا له على أثر، ولا وقفوا له على خبر، ولا يدرى تحت أي سماء هو؟!.

نسأل الله سبحانه أن يحفظه منهم، وأن ينصره عليهم، وأن يقر عيوننا بهزيمة أمريكا وأحلافها!).

١٠- دروس القاعدة وطالبان في فن تلطيش الأمريكان [١].

(ما شاء الله لا قوة إلا بالله.. أعظم الكتاب الروائيين وأخصبهم خيالًا لم يكن ليمكنه أن يتصور مثل هذا السيناريو الذي جرت وفقه الأحداث.. كان حجم التدمير والإذلال الذي أذاقه الشيخ أسامة حفظه الله للأمريكان كبيراً جداً ويفوق الاحتمال، ومع ذلك جاء رد فعلهم باهتاً لا يتناسب مع حجم الأذى الذي لحق بهم..

غرز الشيخ حديدة في رأس الثور فهاج الثور وبدأ ينزف ثم أخذ يرفس برجله، ولم يصب الشيخ بسوء ولله الحمد بل أصاب بعض من مع الشيخ.. ضربهم ضربة موجعة ثم اختفى، فهل هذا جبن؟

كلا، فموسى عليه الصلاة والسلام خرج من مصر خائفاً يترقب، ومحمد ﷺ خرج من مكة مبتعداً عن بطش قريش التي تآمرت به.. نعم المؤمن الموحد يهرب عندما تصل المواجهة بينه وبين الكفر إلى مرحلة الإفناء والإبادة.. وليس هذا جبن بل هو عين الرأي والعقل طالما أنك لم تتخل عن المبدأ ولم تفتر عن المقاومة، فالمسألة هروب مؤقت لتجاوز وتفويت الفرصة على الكفر للقضاء عليك، ثم بعدها يعود المؤمن ويجندل الكفر في التراب كما جندلهم محمد ﷺ في بدر..

أما الكهوف والجبال.. فالكهوف والجبال ارتبطت منذ القديم بالمؤمنين والمؤمنون ارتبطوا بها.. فأصحاب الكهف أووا إلى الكهف، ومحمد بن عبد الله ﷺ قال عن جبل: ((أحد جبل يحبنا ونحبه))، فأي عيب أن نحب الكهوف وتحبنا الكهوف كما أحب أحد نبينا ﷺ.

ضرب الشيخ أمريكا، ثم لما أرادت أمريكا أن ترد الصاع عشرة آصع اختفى الشيخ.. فأكلت أمريكا (تبناً)..

---

[١] للكاتب لويس عطية الله.

كشف اختفاء الشيخ وعدم قدرة أمريكا على معرفة مكانه عن أمور منها:

١ – أن أمريكا لا تعلم السر بل الله يعلم السر وأخفى.

٢ – أن أمريكا ظلت عقوداً تكذب علينا عندما قالت إنها تراقب العالم وكل حركاته وسكناته.

هذا كله لا شيء في مقابل الحادث الآخر الذي كشف حقاً أنناكم كنا حمقى عندما كنا نصدق أن أمريكا (دولة عظمى)، كيف يحدث أن تختفي دولة كاملة في ظل المراقبة الكاملة للأمريكان من الجو على أرض أفغانستان، ومع ذلك تختفي طالبان بكل قواتها!!!

طالبان نجحت بفضل الله في إخفاء حتى الأسلحة الثقيلة!! فأين طائرات البراديتور وأين الأقمار الصناعية الخنفشارية؟.وأين المليارات التي أنفقت على ميزانيات التجسس الأمريكي؟

ما علينا.. الحمد لله.. قال ربنا عن الذين كفروا أنهم ﴿يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾.

عندما بدأت الحرب وقال ابن الفاعلة الأخرق إنه سيبدأ (حرباً صليبية)، ثم من حمقه وحمق من معه من الرقعاء غيروا اسم الحرب أكثر من مرة.. حمدت ربي وقلت في نفسي أبشر بطول سلامة يا شيخ أسامة، فإذا كان أعداؤك مثل بوش ورامسفيلد فلا تقلق، فالأول يشرق (بحتّة بسكويتة)، والثاني أحمق من دغه ومن هبالته ظل يضحك ثلاثة أشهر ثم أخذ ينوح أخيراً..

لعمرك إن فاشوش بن بوش يخالط حكمه نوك كبير!!

ما علينا، نصل إلى ما أردنا الحديث عنه وهو دروس الشيخ أسامة والملا عمر ومن معهما من (الطائفة المنصورة)، واحذر أيها القارئ أن تصدق أنه يوجد في هذا الزمان طائفة منصورة غيرهم ومن على شاكلتهم ممن (يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا)، (هناك بعض الآكلين

بالدين دنيا يجلسون في دروسهم ويزعمون أنهم هم الطائفة المنصورة.. خابوا وخسروا فهلا جاهدوا؟).

قول دروسهم وتعليمهم للأمة حول كيفية (تلطيش) [١] و (تمديس) [٢] الأمريكان، وهي يمكن اختصارها في الدروس التالية:

١ – نزعوا من قلوبهم أي رب سوى الله الكبير المتعال، ولذا لم يخشوا أحداً سواه.

٢ – آمنوا بوعد الله بالنصر إن هم أقاموا الدين كاملاً غير منقوص.

٣ – توكلوا على الله وفعلوا ما قدروا عليه، فأثابهم الله على توكلهم أن جعل بأيدهم (قدرة) عسكرية ورزقهم (عقولاً) نظيفة جعلتهم يستخدمون ما لديهم من أسلحة، ولو كانت مجرد (مشرط لتقطيع الورق) فجعل لهم هيبةً ورعباً في قلوب أعدائهم.

٤ – بدؤوا ضرب الرأس لإيمانهم الشديد أنه لا ينفع قطع ذنب الحية، بل لا بد من قطع الرأس أولاً!! أمريكا وناصيتها نيويورك.. نتج عن ذلك عدة لكمات كان آخرها كول قبل المعركة الأخيرة.

٥ – بعدما غزوهم في عقر دارهم، وعقروهم في نيويورك، توقعوا الأسوأ، فخططوا جيداً للوضع، وكان المجاهدون عندما قرروا الانسحاب قالوا لنا إنه انسحاب تكتيكي وسنعود

---

[١] تلطيش: تكفيخ، أصلها تكفيف من الضرب بالكف، قلبت على التوهم وإرادة التخويف فصارت الفاء خاء تكفيخ!!

[٢] تمديس: جداوية معربة، وتعني الضرب بالمداس، والمداس عند أهل جدة الحذاء –أكرمكم الله–، والحذاء غير (الكندرة)، فالكندرة هي الجزمة نعوذ بالله من الخذلان.. وفي جدة حي قديم اسمه (الكندرة) بفتح الكاف المهملة، ولم نجد لها ذكراً في صفة جزيرة العرب للهمداني، ولم يذكرها قابوس مدري ياقوت في معجم البلدان، ولذا لا نعرف سبب تسميتها بالكندرة.

لنحارب وفق مبدأ حرب العصابات فلم يصدقهم أغلب المسلمين للأسف، ومن أحبهم أصابه الإحباط، وأما المنافقون فلقد رفعوا رؤوسهم فرحاً، والله غالب على أمره، فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً.

٦ – جاءت أمريكا بمخنثيها وأشباه الرجال لأفغانستان، وكانت نكاية المنافقين والمرتدين على المجاهدين أشد من نكاية الأمريكان بهم.. فصبر المجاهدون، ومرت ثلاثة أشهر والمؤمنون منقبضة صدورهم والحزن يكسوها أسفاً على (زوال حكم طالبان)، ونسينا في غمرة الدجل الإعلامي الأمريكي أن الفترة الماضية كانت فترة يتوقف فيها القتال حتى أيام الجهاد ضد الروس سابقاً!!

٧ – كانت فترة التهدئة أعظم نصر يكتبه الله للمجاهدين، وذلك أنه في هذه الفترة تم امتصاص الحنق الأمريكي، وفرح الأمريكان بنصر زائف، وأعلنوا انتصارهم، وهذا في نظري أفضل ما يمكن أن يحدث، فإنك إذا أخذت حجراً وأدميت به رجلاً فتفجر ينبوع الدم من هامته ثم انفجر هو غضباً عليك وأخذ بتلابيبك فإذا لكمك لكمة فتماوت وقتها إذا أردت النجاة.. لأنك إذا لم تتظاهر بالسقوط وتظهر أن لكمته قضت عليك فإنه سوف يقتلك حتماً، لكنك إن سقطت ورآك وظن أنك قضي عليك فسوف ينتهي غضبه ويظن أنه أخذ بثأره منك فيتركك.. فإذا برد فقم وخذ بحق لكمتك منه وزده واحدة صدقة على الجبناء والمساكين..

ويبدو أن هذا ما كان من أمريكا والقاعدة وطالبان.. ظنت أمريكا أنها أخذت بثأرها عندما أزاحت طالبان من الحكم، وما درت أنها خدعت بمجموعة من (حمران العيون) رجال الله الذين لسان حالهم يا خيل الله اركبي..

المهم أنه نفساوياً الآن بدأت الموازين تنقلب على أمريكا، فالآن لا يجد الجندي الأمريكي ذلك التهييج الذي كان يجده قبل خمسة أشهر، الآن لسان حاله السلامة والحرص على الحياة..

عندما بدأت المعارك الأسبوع الماضي في غارديز، وكنت أسمع في الأخبار ومعي رجل عسكري قديم محنك، كانت صيغة الأخبار كالتالي: (القوات الأمريكية ترسل تعزيزات إلى غارديز)، فقلت له: ما معنى هذا الكلام عسكرياً؟ قال لي: عندما تطلب تعزيزات فإن هذا يعني أن قواتك (ماكلة تبن) وتتعرض لهجوم..

فطلب التعزيزات من المهاجم يعني واحداً من أمرين:

١ – أن هجومك تم كسره وتريد قوات جديدة للبدء بهجوم جديد.

٢ – أنك أصبحت في موقف لا تحسد عليه، حيث صرت في موقف الدفاع.

في كلا الحالتين أنت تأكل وتعلف من التبن عندما تطلب (تعزيزات) أثناء معركة عسكرية.

سارت مجريات الأمور بطريقة دراماتيكية مشوقة.. الأمريكان بدؤوا بنفس التمثيلية المملة في تورا بورا.. جيوب لفلول وانظر تعبير (فلول) القاعدة وطالبان!! ثم فجأة يأتي الخبر المفاجئ مقتل عدد من الأمريكان ثمانية أو تسعة وجرح أربعين.. ثم تظهر الفضائح..

أجزم أن رامسفيلد كان يعض المخدة عندما تصله الأخبار!! طلب تعزيزات..!! سننتهي في غضون يومين!! قتلنا أربعمائة منهم!! لم يبق سوى مائتين!! وفجأة (انسحاب ٤٠٠ جندي أو ثلث القوات من أرض المعركة!!).

ثم خبر آخر في جريدة الحياة: وصول ٨٨٠ جندي كندي إلى قندهار!!

تصريحات الجنود الأمريكان الجرحى تدل على مدى انهيار المعنويات لديهم، ومدى ارتفاعها لدى ربعنا في جبال غارديز..

جندي أمريكي يقول كنا نسمع ضحكاتهم عندما نطلق عليهم النار..

ذوقوا يا أولاد الفاعلات قليلاً مما يجب أن تذوقوه من سنين..!

ما علينا، الشيء الغريب في الأحداث مما يدل على أن معركة غارديز ستكون مؤشراً فاصلاً بين ما سبقها وما سيليها من أحداث، هو مسألة (إشكالية المصدر)، صحف اليوم كالحياة والشرق الأوسط كان مصدرها الإخباري هو (مركز الدراسات) الذي يعتبر المصدر المقرب من طالبان والقاعدة..

أخيراً بعد هزيمتنا الإعلامية منذ رمضان رجعنا نكسب إعلامياً، وهذه المرة عن طريق موقع لا يكلف إلا ثمناً بسيطاً..

هزمناهم سابقاً بالأشرطة المسجلة، واليوم بدأنا نهزمهم عبر الإنترنت.. مركز الدراسات أصبح المصدر الإعلامي لكل الدنيا التي تتابع أحداث أفغانستان بعدما ملت الناس من أكاذيب الأمريكان التي لا تنتهي..

سبع طائرات تسقط لا يموت فيها أحد؟؟ مضحكات.. وبسبب غباء رامسفيلد أصبحت المصداقية الأمريكية على المحك بل ذهبت مع الريح..

أظن أني تكلمت كثيراً؟ طيب سلام عليكم).

١١- لماذا أحب أسامة بن لادن؟؟ [١].

(دعوة للذكرى في هذه الأحداث بالذات!!

أنا أقل الناس رؤى في المنام.. تمر سنوات دون أن أرى أي رؤيا ذات معنى..

منذ اختفاء الشيخ أبو عبد الله أسامة بن لادن دعوت الله في نهاية رمضان أن يريني الشيخ في المنام ليطمئن قلبي عليه وعلى إخوانه من المجاهدين.. وقبل أيام رأيت الشيخ في المنام.. كان بخير ويبتسم .. وقال لي: جاءني تيسير علوني وطلب مقابلة.. بشرط أن أضمن له أنه لن يقتله أحد.. فقلت له: الضامن الله.. وابتسم الشيخ وابتسمت أنا!

صحوت من المنام.. وحمدت الله على استجابة دعائي بعد عدة أشهر..

شعرت بسعادة غامرة.. لقد أحببت أبا عبد الله.. أحببته من كل قلبي.. أبو عبد الله يمثل لي رمزاً لكل المعاني الفاضلة في الحياة.. هو رمز للرجولة.. ورمز للشهامة.. رمز للعزة.. ورمز للتضحية.. رمز للبذل في سبيل الله.. رمز للمؤمن الذي يسبق فعله قوله.. والله حسيبه..

لن أكثر من تعداد الرموز.. سأختصر وأقول إن أبو عبد الله شخصية تمثل فيها كل المعاني الجميلة..

أبو عبد الله شكل لنا انقلاباً فكرياً عميقاً..

أسامة قلب المعايير لنا.. وأثبت بالفعل وليس بالقول أنه رجل الأمة الأول بدون منازع.. الرجل الذي تنتظره الأمة منذ سنين طويلة..

وإلى من تغنى بأمجاد صلاح الدين.. أو انتظر صلاح الدين.. صلاح الدين بين أظهركم..

---

[١] للكاتب لويس عطية الله.

وأقول لهم هذا أسامة تفوق حتى على صلاح الدين.. ليست مبالغة.. فنظرة إلى واقع المسلمين في زمن صلاح الدين كفيلة بترجيح كفة أسامة لو عقدنا مقارنة.. ففي زمن صلاح الدين كان الصليبيون يحتلون بيت المقدس وعدد من الأمارات في الشام.. فقط والأمة في زمن صلاح الدين لم تكن مسلوخة عن دينها، فكانت تسمي الصليبين بالإفرنج الكفار..

في زمننا الذي جاء فيه أسامة.. الأمة كلها محتلة، والصليبيون الجدد لا يجرؤ أحد على تسميتهم بالإفرنج الكفار.. بل يسميهم الإعلام المنافق (الأمريكان الأصدقاء)، والأمة مغيبة عن وعيها وتاريخها.. ومنهزمة نفسياً ومحطمة..

مهمة صلاح الدين لم تكن مستحيلة.. فالعراق واليمن والحجاز وكل الجزيرة العربية، وجزء كبير من العالم الإسلامي لم يكن محتلاً، فلم يكن صعباً على صلاح الدين أن يجمع الناس على حرب الصليبين.. فالمعاني الإسلامية ما زالت قائمة، والجهاد لم تتوقف عنه الأمة في تلك الفترة..

أما مهمة أسامة بن لادن فهي مهمة مستحيلة، ولولا أن المؤمن الذي يؤمن بالقرآن لا يعرف المستحيل، لكان مجرد التفكير في مشروع أسامة بن لادن ضرب من الجنون المحض..

وربما يتفلسف متفلسف ويقول ماذا صنع أسامة مقارنة بما صنع صلاح الدين؟

فأقول لهم: إذا كان صلاح الدين حرر المسجد الأقصى من الصليبيين، فإن الأمة وقتها كانت حرة، لم تكن مستعبدة في فكرها ولم تكن تعبد غير الله.. أما أسامة بن لادن فإنه حرر الأمة أولاً من عبادة أمريكا، وكشف سوأة أمريكا، وأظهر كم كنا مخدوعين بها، وكم كنا سفهاء عندما صدقنا ما تقوله أمريكا عن نفسها وعنا.. وهذا الإنجاز إنجاز عظيم ونصر حقيقي لا يمكن تقديره..

وإذا تحررت الأمة أولاً من عبادة غير الله، فإن استرجاع المسجد الأقصى وغيره من المقدسات يصبح مسألة وقت فقط.. أما قبل تحريرها من عبادة الأمريكان فإن الحديث عن تحرير المقدسات والأراضي مجرد أحلام..

يجب أن يدرك إخواني أنني عندما أتحدث عن أسامة فأنا أقصد شيئين:

أسامة بن لادن الرجل.. الإنسان.. الشخصية..

أسامة بن لادن.. الرجل قائد الرجال.. المخلصين الذين معه..

كل شخص ممن مع أسامة مقصود بالطبع في كلامي.. لكنني أخص أسامة بالحديث لأنه هو الرمز الذي يدل عليهم.. فالحزنوي والعمري ومحمد عطا.. والظواهري ومحمد عاطف وأبو غيث والبقية، كل هؤلاء رجال لا تقل أهمية واحد منهم عن الشيخ أسامة نفسه.. لكن لأن الشيخ كان العنصر الجامع لهم جميعاً، وهو باني المشروع الأول لقاعدة الجهاد؛ خصصناه بالذكر اختصاراً وتقديماً لفضله على غيره، مع اشتراكهم كلهم في الفضل والله حسيبهم ولا نزكي على الله أحدا..

أتذكر قبل سنوات طويلة.. وكان الجهاد الأفغاني على وشك النهاية، ولم تفتح كابل بعد.. لمحت الشيخ أسامة في سطح الحرم المكي في العشر الأواخر من رمضان، كان الشيخ يبحث عن مكان يكون قريباً للجلوس والاستماع لدرس الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.. عرفت الشيخ أسامة، ووقتها أصبح مشهوراً بسبب قضية الجهاد الأفغاني.. عندما جلس الشيخ توجهت لمكانه وسلمت عليه وجلست بجواره.. وقلت له: يا شيخ أسامة.. تعلم بارك الله فيك أن العلمانيين يحاربون الإسلام، وأنت تحض الناس على الجهاد، وتعلم أن الشباب لو ذهبوا لأفغانستان يقتلون وتخسر الدعوة الشباب.. كنت صغيراً وقتها.. في المرحلة الثانوية.. ابتسم الشيخ وحمد الله وأثنى عليه، ثم حدثني بكل اهتمام.. وبتفصيل طويل عن أهمية الجهاد، وأن النبي ﷺ حذر الأمة أنها إذا تركت الجهاد فسوف تصبح ذليلة.. كان يسوق لي الآيات والأحاديث، باهتمام.. وكأن إقناعي بالجهاد سوف يغير الدنيا..!

لقد أعطاني قدري واهتم بالحديث معي بطريقة سلبت مشاعري، وصرت أنظر إليه باهتمام.. وحب..

تخيلت نفسي لو كنت مكان الشيخ وجاءني شخص مثلي وقال لي ذلك الكلام.. أتوقع أن ردة فعلي ستكون: أقول يا ولد.. روح ذاكر دروسك أفضل لك..!

اليوم وبعد سنوات طويلة.. أتمنى أن أقابل الشيخ لأذكره بالقصة وأقول له كم كنت أحمقاً يا شيخ عندما طلبت منك أن تتوقف عن إرسال الشباب للجهاد، وأتمنى لو أرسلتني في عملية استشهادية..

سأقول له أريد أن أعمل موظفاً في شركة القاعدة للتوصيل السريع.. خط الرحلات المباشرة.. إلى جهنم..

الرحلة السابقة لجهنم خرج فيها موظفو القاعدة التسعة عشر في أربع طائرات تقوم بتوصيل الأمريكان إلى جهنم.. ليستقبلهم هناك تسعة عشر ملكاً كريماً من خزنة النار..

متى موعد الرحلة القادمة.. أريد أن أكون واحداً من الموظفين الذين يقومون بالسهر والتأكد على ضمان التوصيل السريع والفوري للأمريكان.. إلى..جهنم..

عموماً.. نحن نحب أسامة بن لادن لأننا نعتقد أنه شق لنا طريقاً.. أثبت لنا من خلاله أننا يمكن حقاً أن نطبق الإسلام عملياً.. وأثبت لنا أنه لا شيء مستحيل إذا صدق الإنسان مع الله وعقد العزم على القيام بأوامر الله.. وأعطانا النموذج العملي لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾.

الأمة كانت في نفق مظلم عقوداً طويلة من الزمن.. فاتقى الله أسامة وإخوانه، ففتحوا لنا كوة من ذلك النفق، فرأينا شمس الحقيقة وتنسمنا نسيم الكرامة والعزة، وامتلأت صدورنا بأريج المجد والفخر..

منذ ولادتي وحتى قبل الساعة الثالثة ظهراً يوم ١١ سبتمبر.. لم أشعر بالفخر أبداً.. أتذكر أيام (الفترة الليبرالية) شاهدت فلماً أمريكياً اسمه (يوم الاستقلال).. (independence day).. الفلم كان استرجاعاً تاريخياً ليوم استقلال أمريكا لكن بشكل مختلف.. الفلم تحدث عن غزو من حضارة فضائية من كوكب آخر غير معروف، ثم كيف أن أمريكا استطاعت مقاومة هذا الغزو وحررت الأرض كلها وليس أمريكا فقط، لأن بقية دول العالم في الفلم كانت تتوسل أمريكا أن تحررها من هؤلاء الغزاة.. الفلم كان مكرساً لتعزيز الشعور الوطني الأمريكي، لكن على اعتبار أن الأمريكان كأمة سيعيدون قصة يوم الاستقلال الأولى مرة ثانية بتحرير الأرض كلها من عدو خارجي..

المشهد الذي بقي في مخيلتي مشهد الرئيس الأمريكي الذي بالطبع خاض المعركة بنفسه.. وكان يقول لمن حوله بكل فخر.. إن هذه معركتنا من أجل البشرية كلها.. وهذه المعركة يجب ألا يتخلف عنها أحد لأن مصير الإنسانية كلها معلق بنا..!

أقول المشهد الذي بقي في مخيلتي سنين طويلة.. هو المشهد الذي انتهت فيه المعركة.. ووقف الرئيس الأمريكي يعلن فيه استقلال الأرض من ذلك العدو، ويعيد إعلان استقلال أمريكا كإعلان لاستقلال البشرية كلها..

كان الشعور بالفخر مؤثراً للغاية بالنسبة لهم كأمريكان، ومحبط جداً بالنسبة لي كمسلم ضائع في تلك الفترة يشعر بالتبعية التي هو مرغم عليها للغرب..

لقد تغلغلت في نفسي رغبة عارمة في أن أشعر بنفس ذلك الشعور بالفخر، ولكن كيف؟؟ وكل حياتنا التي نعيشها مجرد مفاوز من الإذلال والاستعباد والإهانات واستلاب الكرامة التي لا تتوقف عند حد..

إن مجرد التخيل أننا يمكن أن نقف يوماً كمسلمين لنشعر بالفخر كان مدعاة للسخرية قبل ظهور جيل أسامة..

لمن لا يفهم معنى الرغبة بالشعور بالفخر، أو الشعور بالعزة.. ليتخيل معي المشهد التالي..

يولد الطفل، ثم يقرأ في القرآن: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾..

يقرأ في التاريخ .. من عبد الله هارون الرشيد.. إلى نقفور كلب الروم..

يقرأ أن امرأة استنجدت بخليفة فأرسل جيشا عرمرماً اجتاح المدينة ورد كرامة المرأة المستنجدة.. قالت وا معتصماه فخرج لنصرتها عشرة آلاف معتصم!

يكبر الطفل ويقرأ في الصحف.. قوات الاحتلال تدمر عشرين منزلاً فوق رؤوس الفلسطينين..

الهندوس يحرقون ١٥٠٠ مسلم..

مذابح للمسلمين في آسام..

الصرب يقتلون ربع مليون مسلم..

ويقرأ أنه قبل خمسين عاماً أباد ستالين عشرين مليون مسلم، ولم يحاسبه أحد بعد أو يحاسب الأمة التي أخرجته للوجود!

ينظر في التلفزيون فيرى معسكراً للصرب وضع فيه المسلمون، وقد بدت عظام صدورهم من الجوع والفاقة..

ربما لا تؤثر فيه هذه المناظر..

لكنه ينظر في التلفزيون فيرى مناظر لأطفال عراقيين يموتون..

أو يشاهد برامج في الجزيرة عن أطفال العراق الذين يموتون بسبب الحصار..

أو يرى صورة إيمان حجو..

أو محمد الدرة يحتمي بوالده..

هؤلاء قريبون منا، وبعضهم يشترك معنا في الأصول القبلية لقبائل العرب!!

إنها أرتال وأكداس من مشاعر المهانة يتغذى بها قلب المسلم وعقله وبصره كل يوم، وكل ليلة، وكل ساعة، وكل دقيقة، وكل ثانية..

هذه المشاعر تسبب له جرحاً غائراً في الكرامة.. والناس عندها نوعين.. يائس يموت في نفسه في اليوم مرات بعدد ما يرى من مشاهد الذل إلى أن يتبلد إحساسه ويستمرئ هذا الذل ويصبح هو القاعدة في حياته.. النوع الثاني عاجز يظن أنه ليس في الإمكان أفضل مما كان، والمحافظة على (المكتسبات) أفضل من خسارة كل شيء.. أي مكتسبات بارك الله فيك وفي عقلك؟

هذا المأزق الشعوري بين التاريخ المسطر بالملاحم العظيمة والفخر والمجد والعزة، وبين مشاهد الإذلال اليومية.. كلها تسبب تلك الهزيمة النفسية التي استمرت كل هذه المدة..

وفي نفس الوقت تجعل المسلم يتوق بشدة لأي مشهد يشعر فيه بالفخر والكرامة والعزة، ولو بإحراق الدنيا كلها من أجل ذلك..

عندما جاء أسامة بن لادن ومن معه وفعلوا ما فعلوا في ١١ سبتمبر.. كنت في الطريق بين مكة وجدة.. أصابتني حالة هستيرية.. مشاعر مختلطة بالفرح والصراخ وكل أشكال الجنون الذي يصيب الإنسان عند شدة الفرح.. صرخت بأعلى صوتي وأنا في السيارة.. الله أكبر الله أكبر.. ولولا أني في طريق سريع لخرجت إلى الشارع.. أقفز و (أنط) مثلما يفعل المشجعون عندما يسجل فريقهم في عالم كرة القدم هدفا..

أتذكر أني صرخت من الفرحة.. الله أكبر.. يوم الاستقلال قادم.. استقلال أمة المسلمين جميعاً من الاحتلال الصليبي الجاثم على صدر الأمة منذ ما يقرب من قرن من الزمان..

لذا أنا أنتظر يوم الاستقلال.. ولهذا ..أنا أحب أسامة بن لادن..).

١٢- المناظرة الكبرى .. القاعدة والحركيون وجهًا لوجه [١].

(سيؤلفون كتباً عني!

لماذا؟ ما هي إنجازاتك اللعينة؟

لا شيء سوى أنني استطعت إثبات أنكم لم تنجزوا شيئا!

وماذا لديك الآن لتقوله؟

ما يقوله أي لويس عطية الله آخر!

المزيد من الإثباتات العقلية والنظرية على صحة خيار المجاهدين من تنظيم القاعدة.. وخطأ خياراتكم..

كان ذلك ختام الحوار العاصف بيني وبين أحد القيادات الحركية التقليدية، والذي سأرمز لاسمه بـ (أبو ياسر).

بدأ الحوار بالشكل التالي:

قال أبو ياسر: لقد كانت ضربة سبتمبر حدثا خطيرا تضررت منه الدعوة كثيرا وألب العالم علينا.

قلت: حسناً لماذا لم تمنعوه؟

قال: وكيف نمنعه؟

قلت: يا أبا ياسر، أنتم جماعات واسعة الانتشار، ولديكم علماء وقيادات ثقافية وحركية وأساتذة جامعات وشخصيات مؤثرة في معظم البلاد العربية، فكيف تسنى لابن لادن أن

---

[١] للكاتب لويس عطية الله.

يصنع التاريخ ويأخذ قلوب الناس ويصبح قطباً في مواجهة الغرب، وكيف تسنى له أن يضع الغرب في مواجهة مكشوفة وعريضة وساخنة مع الإسلام، بينما أنتم مشلولون، حتى الأخبار لا تعرفونها إلا من وسائل الإعلام.

قال: وماذا عسانا أن نفعل أمام هذه الشرذمة من المتهورين؟

قلت: سبحان الله، ها أنت قلت شرذمة من المتهورين، وكأنك تعيد ألفاظاً يستخدمها الإعلام الغربي عندما يصف حربه ضدهم بأنها ضد (فلول القاعدة)، ألم تسألوا أنفسكم كيف يستطيع المتهور أن يصنع التاريخ ويسحب البساط من تحت أقدام الجميع؟

ثم كيف يستطيعون وهم "شرذمة" صغيرة كما في وصفك لهم أن يتصرفوا باسم الإسلام ويصنعوا هذا الاستقطاب العالمي؟

بل كيف يستطيع المتهور أن يخترق أقوى مخابرات في العالم ويدبر تلك العملية المعقدة، بينما هو تحت نظر وبصر ومتابعة العالم، بل وهو محاصر مشرد لا يكاد يحصل على قوت يومه؟

فقال أبو ياسر: اصبر لحظة، نحن لم نجزم بعد بأن ابن لادن وجماعته خلف العملية، ولا تزال هناك دلائل كثيرة على أن جهات أخرى ربما تكون خلفها، وما ذكرته أنت من كونهم محاصرين ومراقبين ومشردين وفقراء، وكون العملية تحتاج إلى دقة متناهية وضبط ونجاح في كل خطوات التنفيذ؛ يكاد يجعل كون ابن لادن وجماعته خلف العمل أمراً مستحيلا.

بل دعني أكرر عليك ما قاله أحد زملائنا الحركيين: أن لو اجتمعت كل الجماعات والحركات الإسلامية، بل والدول الإسلامية ومخابراتها ما استطاعت تنفيذ مثل هذه العملية.

فقلت: هل تريد إفهامي أنك تعتقد أن المسلم يستحيل أن ينجح في عمل معقد كهذا ولا ينجح به إلا الكافر؟

فقال: لم أقل ذلك لكن الحادث كبير وهائل، يكاد يستحيل أن ينفذ دون تواطؤ من السي آي إي أو الموساد أو أمثالهما.

فقلت: لنكن واضحين، فرق بين أن تكون قوة أخرى خلف العمل بالكامل، وبين أن يكون نفذه ابن لادن بتواطؤ من السي آي إي، هل لك أن تختار بينهما؟

فقال: هناك كلام كثير وأدلة على أن الحادث ليس من صناعة ابن لادن والقاعدة، الناس تناقلوا كثيرا من الأدلة، ولخصت الأدلة في كتاب لعلك سمعت عنه.

فقلت: نعم، وذلك الفرنسي الذي كتب كتابه أجزم أنه مجنون أو يطلب شهرة، لكن ها هنا ملاحظتان على كلامك:

أولاً: إذا كان الحال كذلك، فلماذا تلومون ابن لادن إذاً؟ الرجل ليس مسؤولًا حسب زعمك، فلماذا نعتبر ابن لادن تسبب في ضرر للعمل الإسلامي وألّب العالم علينا كما تقول؟

ثانياً: هل تتوقع أن أمريكا تؤلف كل هذه القصة الطويلة العريضة ويظهر ابن لادن بنفسه ويثني على الأسماء المذكورة، ومع ذلك يكون ليس لابن لادن والقاعدة أي دور في الموضوع؟

فقال: المسألة معقدة، يصعب الجزم بهذا أو ذاك، لكن دعنا نقل إن كانت القاعدة خلف العملية، فلا بد من تواطؤ مخابرات عالمية كبرى مثل السي آي إي أو الموساد.

قلت: حسناً.. أنت مستعد أن تتصور أن السي أي آي أو الموساد تتواطأ مع ابن لادن، ولست مستعداً لأن تتصور أن بن لادن وجماعته أو جهة مسلمة تستطيع أن تنجزه لوحدها؟

فقال: لم أقل ذلك، بل قصدت أن السي آي إي أو الموساد ربما اخترقت ابن لادن وجماعته وساقتهم لهذا التصرف وسهلت إنجاح العملية دون أن تتواطأ بشكل مكشوف؟

قلت: يعني أنت إذاً مستعد أن تتصور أن السي آي إي أو الموساد تدير هذا العمل المعقد بكل اقتدار ومع ذلك لا تستطيع الآن أن تعرف مكان بن لادن الآن؟

وسؤال آخر، أنت مستعد أن تتصور أن السي آي إي أو الموساد تدير هذا العمل المعقد بكل اقتدار ولا يتسرب شيء من اختراقها، ولست مستعداً لأن تصدق أن ابن لادن وجماعته يستطيعون أن ينجزوا مثل هذا العمل؟

فقال: أبو ياسر من قال أن أمريكا لا تعلم مكان ابن لادن الآن؟ إذا تصورنا أن العمل من السي آي إي لهدف تحطيم الطالبان والتحكم بآسيا الوسطى ولا أظنك تجهل أن أمريكا لديها هدف استراتيجي في ضمان وصول إمدادات نفط بحر قزوين وتقليل الاعتماد على نفط منطقة الخليج، ولذا فإن من مصلحة أمريكا بقاء ابن لادن لتبرير وجودها المستمر، ولا يوجد وضع مثالي مثل الوضع الحالي، الأمريكان يعلنون أن بقائهم في أفغانستان سيطول! أليس ما حدث هو تحقيق لهدف أمريكا الاستراتيجي الخاص بنفط قزوين؟

أما السؤال الآخر، فنعم هذا عمل هائل لم نتعود أن ينفذه مسلمون، ومن الممكن أن تتكتم أمريكا على عمل هائل مثل هذا مثلما تكتمت على عملية خليج الخنازير.

فقلت: يا أبا ياسر ما قلته للتو هو أحد أكثر الأشياء غير المعقولة التي سمعتها، وأستغرب من هذه العقلية المؤامراتية الخيالية، يعني أنت مستعد أن تتصور هذه المخابرات تدمر البنتاجون ومركز التجارة وتضرب هيبة أمريكا في الصميم بعملية غاية في التعقيد والخطورة عالمياً، وكل ذلك الذي لا يتسرب منه شيء ينجز فقط لتبرير ضرب الطالبان؟ هل كان ضرب الطالبان يستدعي مثل هذا التبرير؟ لو كنت أنت رئيساً لأمريكا أو السي آي إي هل كنت ستختار هذا الخيار لتبرير ضرب الطالبان والقاعدة؟ وأنت مستعد أن يجنح بك

الخيال لكل ذلك ولا تتخيل أو تتصور أن القاعدة تستطيع أن تنجز العمل بكل تفاصيله بمفردها؟

أما بالنسبة للهدف الاستراتيجي، فدعني أتفق معك أن أمريكا لديها هدف فعلاً في مسألة نفط قزوين، لكن هذا الهدف الاستراتيجي منفصل تماماً عما نحن فيه، نحن نتحدث عن عملية ١١ سبتمبر وأنت تستخدم مسألة نفط قزوين كقرينة لتصحيح نظرية المؤامرة وأن أمريكا ضربت نفسها لتأتي إلى أفغانستان..

حسناً هذا خيال جامح، وكون أمريكا تريد نفط قزوين لا يعني أبداً أنها ستضرب نفسها من أجل تحقيق هذا الهدف، بل باعتراف الأمريكان فإنهم كانوا يخططون لحرب طالبان قبل ١١ سبتمبر بمدة طويلة.. بعبارة عامية (ابن لادن تغدى بهم قبل أن يتعشوا به وبطالبان)..

ثم هل تعتقد أن مصداقية أمريكا تبقى مع عدم القبض على ابن لادن أو قتله؟

وإذا كنت فعلاً تعتقد أن أمريكا تعرف مكان ابن لادن ولا تريد القبض عليه، فأنصحك بأكل الفجل، إذ يقال إن له مفعولاً في تصاعد الأبخرة للدماغ حتى (ينعدل) المزاج، هذا ما قاله (بطليموس) في (المجسطي)!

فقال: دعك من السخرية!

قلت: أنا لا أسخر، لكن أنت تتحدث بشيء من التهريف، ولا ينفع معك سوى ما فعله (عليّان) المجنون مع أبي يوسف القاضي، وهل تعرف ما فعل عليان في مناظرته لأبي يوسف القاضي؟

قال: أخبرني.

قلت: إن عليان رأى أبا يوسف يمشي. فقال له يا أبا يوسف مسألة؟ فقال أبو يوسف سل.. فقال عليان: يا أبا يوسف أليس الله قال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ

بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾؟ فقال أبو يوسف: نعم. قال عليان: وأليس الله قال: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾؟ فقال أبو يوسف: نعم. فقال عليان: فمن نذير الكلاب يا أبا يوسف؟ فنظر أبو يوسف متأملاً ومتعجباً! وقال: لا أعلم، أخبرني من (نذير الكلاب)؟ فقال عليان: لا حتى تأمر لي بفالوذج.. فأمر أبو يوسف من يحضر له طلبه، ثم أخذه للمسجد وجلس أبو يوسف وطلابه ينتظرون عليان المجنون حتى يفرغ من الطعام، فلما فرغ قال أبو يوسف: هيه يا عليان، أخبرنا من نذير الكلاب؟ فابتسم عليان ثم أخرج من جيبه (حجرا) وقال: هذا نذير الكلاب يا أبا يوسف!

ضحك أبو ياسر وقال: لنعد إلى ما كنا فيه، ثم أردف: صدقني لا يمكننا تصور أن القاعدة تستطيع أن تنجز هذا العمل لوحدها، وأما مصداقية أمريكا، فنعم تعرضت لتحدي، لكن المكاسب الأمريكية من السيطرة على المنطقة والهيمنة على أواسط آسيا أهم من المحافظة على مصداقية في قتل ابن لادن.

وهم – على كل حال – قد كسبوا مصداقية كبيرة في القضاء على طالبان وحشر أفراد القاعدة في أقفاص جوانتانامو.

فقلت: الإنجليز قالوا: فتش عن المرأة. والقوميون العرب قالوا: فتش عن اليهود.. وجاء وقت الحركيين الإسلاميين ليقولوا: فتش عن الأمريكان!

أما كونك لا يمكنك تصور أن القاعدة يمكنها إنجاز هذا العمل، فهي مشكلتك أنت وحدك ومن جمعتهم في كلمتك (لا يمكننا) ممن هو يحمل نفس المضمون الدماغي..

نستطيع أن نقول حسب كلامك أنك تنتظر حدوث الوقائع لتبحث عن تفسير أمريكي لها، بمعنى تبحث عن تفسير مبني على أن أمريكا خلف كل حدث ولا يمكن أن يحصل شيء خلاف مراد أمريكا؟

حدث سبتمبر نفسه تواطؤ من أمريكا، ترك ابن لادن حياً تواطؤ من أمريكا.. طيب إذا كانت أمريكا لديها هذه القدرة الجبارة في صناعة الأحداث والتحكم بالتاريخ والقدرة على اختراق كل الناس، فلماذا تؤذي نفسها كل هذا الإيذاء وتتسبب في قتل الآلاف وتدمير منشآت تمثل قلب رأسمالية أمريكا وتتعرض لهذا الخطر من أجل تنفيذ مشروع في أفغانستان؟ لماذا لا تشرع فوراً في تنفيذ ما تريد وخلاص؟ ما هي المشكلة في أن تحطم أمريكا طالبان؟ تحالف الشمال مستعد أصلاً للتعاون معها من زمان بل يوجه لها اللوم من سنين.

وما دامت أمريكا مخترقة للقاعدة والطالبان، فقدرتها على تحطيمهم وتحطيم الطالبان لا تحتاج لعملية سبتمبر.

أنت الآن بين خيارين، إما أن تقول إن أمريكا هي التي تحكمت بالأحداث وأن لديها قدرة فائقة تمكنها أصلاً من تحطيم طالبان من دون أن تبحث عن مبرر، أو أن تعترف أن أمريكا فوجئت بالحدث مثلما فوجئ غيرها.

فقال أبو ياسر: لا تلزمني إلزامات لا أقبل بها، أمريكا لديها قدرة فائقة صحيح، لكن تحتاج لمبررات بعض الأحيان؟

قلت: مبررات ماذا، ومن ذا الذي سيقف في وجهها حسب كلامك وتصورك لقوة أمريكا التي تطرحه؟ وهل المبررات تصل إلى حدث بمثل ضخامة وتعقيد حدث سبتمبر؟

شعرت أني أحاصر أبا ياسر، وبدا ذلك من عبارته، حيث قال: لا تفهم من كلامي أني جزمت بذلك، لكن التجربة التاريخية تدل على أن أمريكا مستعدة للتضحية ببعض مواطنيها أو حلفائها من أجل أهداف استراتيجية.

فقلت: (تعلّمني بضب أنا حرَشته؟) أنا مدرك لما تقول لكن ضع في ذهنك أن أحداث سبتمبر أولاً: كارثة وطنية بالحسابات الأمريكية، ثانياً: قتلى بالآلاف، ثالثاً: عمل غاية في التعقيد يحتاج التواطؤ فيه مستويات متعددة يستحيل المحافظة على السرية فيها، كل ذلك

مقابل ماذا؟ تبرير؟ تبرير ماذا؟ من الذي سيرفض إرادة أمريكا في المنطقة؟ المسلمون؟ أنت قلت أنهم عاجزون، الروس، الأوربيون؟ من؟

وللخروج من المأزق قال: دعنا نقول إن السؤال قائم وكفى، ولا نقفل الباب أمام هذا الاحتمال.

فقلت له وقد أردت مجاملته..! يا صديقي إذا جاءتك ركلة من الخلف فلا تنزعج فما زلت في المقدمة..!! وقد فرغنا من أول قضية تناقضت فيها في أول جملة، حيث قررت أن الدعوة تضررت بسبب أفعال (الشرذمة)، ثم ها أنت في النهاية تقول إن القاعدة ربما لم تنفذ العملية لوحدها، والسؤال ما زال قائماً حول وجود أطراف متواطئة لتسهيل العملية سواء بعلم القاعدة أو بدون علمها..

بعد ذلك تحول النقاش إلى جهة أخرى، وهي ماذا لو تقرر نهائياً أن القاعدة وراء العملية بشكل مستقل تماماً:

فقلت: حسناً أفهم من كلامك أنه مجرد تساؤل وليس جزماً، أعني حول قضية من المسؤول عن العملية. لو افترضنا العكس يعني أنه ثبت قطعياً -وسترى ذلك قريباً بإذن الله- أن ابن لادن وجماعته خططوا لهذا العمل ونفذوه بطريقة غاية في الدقة والاستقلالية والسرية دون تدخل ولا تواطؤ من أحد ماذا سيكون موقفك؟

قال أبو ياسر: سنضطر أن نعترف أنه نجاح في تنفيذ عملية معقدة غاية في التعقيد والصعوبة لم نتعود أن يستطيع المسلمون تنفيذ مثلها، لكن هذا الاعتراف لا يعني الموافقة على العمل نفسه.. بعبارة أخرى سنعتبرها إتقاناً منقطع النظير في وسيلة، ولكن لهدف خاطئ بل مدمّر، مدمر للدعوة، للعمل الخيري، متسبب في القضاء على دولة إسلامية ناشئة هي طالبان، مبرر لحملة أمريكية دائمة على الإسلام بحجة الإرهاب.

فقلت: دعنا نكمل الحديث عن الوسيلة أولاً، هل تعتقد أن هذه العملية كان يمكن أن تتم لولا دعم وتوفيق رباني؟

قال: اتفقنا أنها تحتاج عبقرية خارقة في التنفيذ، لكن ماذا تقصد بالدعم الرباني؟ لماذا تفترض أن الله راض عن هذه العملية؟ هذه العملية كما قالت العرب (بقل شهر وشوك دهر) وما زلنا نتلظى بشوكها..

فقلت: أما وقد استشهدت بأمثال العرب، فقد قالوا أيضاً في أمثالهم: (الروم إذا لم تُغزَ غزت)، وما فعل ابن لادن أكثر من أن غزاهم!

وأما كون العملية قد حازت على توفيق رباني، فقل لي: كيف يستطيع هؤلاء بجهد بشري مجرد أن ينفذوا عملاً غاية في التعقيد والتفاصيل، ويستغرق كل هذا الوقت، ويحتاج لحركة بشرية ومالية وتفاصيل لوجستية كثيرة دون أن يكشف شيء من ذلك؟ وكيف تنجح كل حالات الخطف بالتفصيل وتصيب ثلاث منها أهدافها بدقة؟ وكيف ينهار كلا مبنيي مركز التجارة بينما هي مصمّمة على أن تصمد أصلا لحادث اصطدام طائرة؟ هل قرأت القائمة الطويلة التي نشرتها السي إن إن للشروط التي يجب أن تتوفر حتى ينهار مركز التجارة مثلاً وتوفرت كلها في كلا حالتي الطائرتين اللتين ضربتا مركز التجارة؟

فقال أبو ياسر وقد انفرجت أساريره وظن أنه وجد في عبارة (توفيق رباني) ممسكاً: هذه المسائل لا يمكن أن تقول إنها توفيق رباني، الطائرة الرابعة مثلاً لم تصب هدفها، هذا غالباً نجاح في جانب ومشاكل في جانب آخر.

فقلت: يا أستاذنا الكريم، الطائرة الرابعة لم تسقط إلا بعد خطفها، والخطف بحد ذاته حصل، وعدم إصابتها لهدفها لا يأتي شيئاً أمام الإنجاز الهائل في تحطيم مركز التجارة وتهاويه أمام كاميرات التليفزيون.

فقال ليحسم الكلام على مسألة التوفيق الرباني: أعتقد أن الحساب بهذه الطريقة صعب ومسألة التوفيق الرباني مبنية على أن المشروع أو الهدف أمر لمصلحة الإسلام والمسلمين، ونحن نعتقد أن الحادث ضار بالمسلمين ومدمّر لهم كما ذكرت، فكيف يكون فيه توفيق رباني؟

فقلت: حسناً رغم اعترافك بعبقرية العملية وعدم قدرتك في البداية على تصور أن مسلمين فعلوها، ثم عندما تأجل حسم هذه القضية وقلت إن السؤال مازال قائماً، وقلت لك لنقل أن الأدلة ستثبت أنها من فعل مسلمين، فقلت: (سنضطر أن نعترف أنه نجاح في تنفيذ عملية معقدة غاية في التعقيد والصعوبة لم نتعود أن يستطيع المسلمون تنفيذ مثلها)، ومع ذلك لا تريد الاعتراف أن هناك توفيقاً ربانياً لو فعلها مسلمون وفق تشكيكك.

أما نحن فنعتقد جزماً أن الله سبحانه يسر للمجاهدين من تنظيم القاعدة كل السبل حتى نجحوا في دك صروح أمريكا في عقر دارها، ولا نفهم معنى للتوفيق الرباني إذا لم يكن هذا توفيقاً، وقد ظل أحبابنا من تنظيم القاعدة ستة أشهر أو أكثر يقنتون ويدعون الله أن تنجح العملية، أنت محتاج فعلاً لتأمل تفاصيل العملية منذ الإعداد الأولي لها قبل سنتين تقريباً، ثم النجاح المبدع في توجيه الطائرات حتى لحظات ارتطامها بالبرجين..

إن وصف استحالة تنفيذ العملية من قبل مسلمين كما تقولون –ويقيننا مسبقاً بأن المجاهدين هم الذين نفذوها– هو الذي يجعلنا نجزم أن في الأمر توفيق رباني واضح يراه كل مؤمن بالله ورسوله!

لكن هذا يعيدنا لسؤال مهم جداً، وهو كيف ينجح ابن لادن في التحكم بأمريكا واستفزازها ضد الإسلام كله ويصنع هذا الاستقطاب، ولم يفكر أحد أبداً أن يلتفت لكم، فضلاً عن أن يكون لكم دور في منع أمريكا من استهداف الإسلام والدعوة والعمل الخيري؟ لماذا لم تنفع كوادركم الهائلة وعلاقاتكم العريضة وانتشاركم الكبير في منع تداعيات أحداث

سبتمبر؟ لماذا يتفق كل خبراء العالم في السياسة والتاريخ والاجتماع أن ما بعد ١١ سبتمبر مختلف عن ما قبله ولم نسمع عن أحد أشار إليكم ولو بشكل محدود؟

فقال أبو ياسر: أنا لم أرفض الاعتراف بأن العمل كبير وهائل ومفصلي في التاريخ، بل قلت إنه ضار، ولا يتعارض كونه كبيراً وجباراً مع كونه ضاراً.

أنت قلت أن ابن لادن صنع هذا الاستقطاب، حسناً، هل هذا الاستقطاب أفاد المسلمين؟ أم زادهم ضعفا على ضعف؟ بل واستباحتهم أمريكا وظهرت أصوات صقور الإدارة الأمريكية واليهود تطالب بردع المسلمين وتأديبهم بل تجرؤوا وطالبوا بهدم الكعبة! وبعض سفهائهم طالبوا بقصف بلاد الإسلام بالأسلحة النووية حتى يخضع المسلمون فوق ما هم خاضعين، فهذا كله يثبت أن العمل أضر الإسلام والمسلمين.

فقلت: لا بد أن أشيد باعترافك بأن هذا العمل أي ١١ سبتمبر عمل كبير وجبار ومفصلي في التاريخ، وهو اعتراف آخر بعبقرية القاعدة ليس في القدرة على التنفيذ، بل بالقدرة على صناعة حدث جبار وهائل رغم كونها تعيش حصاراً ومتابعة وتآمراً عالمياً ضدها.

فقال: شكراً، وهذه ليس عندي تحفظ عليها ودعنا نتجاوزها، القضية هي أننا نعتقد أن العمل ضار ضرراً كبيراً ومدمراً للدعوة والعمل الخيري، وكما قلت تسبب في إزالة دولة إسلامية فتية من الوجود.

فقلت: يجب أن أعطيك رأيي أولاً في مسألة هل العمل ضار أم غير ضار، أما كونه ضاراً فلا أتفق معك فيها، لأن أكبر مكسب لهذا العمل هو كشف حالة السلم الزائف بين المسلمين والغرب، فهذا السلم لم يكن حقيقياً أبداً منذ نجحوا في تفتيت بلاد الإسلام إلى دويلات وقسموها إلى جمهوريات برسيم وممالك بعر وحنظل وتمر ونفط تابعة لهم، ووضعوا في كل مكان مفصلي في العالم الإسلامي قاعدة عسكرية أو جيشاً لضمان بقاء المسلمين تحت الخضوع.. ثم أنشؤوا سلماً زائفاً، سلم نستمر نحن فيه مستعبدين وهم الأسياد، فإذا

جاء ابن لادن والقاعدة وحاربوا لإخراج هؤلاء العلوج قلتم أضر الدعوة؟ كيف يضر الدعوة والدعوة أصلاً لا تملك حق تقرير مصيرها؟

إذا كان مفهومكم للدعوة هو درس تلقونه في مسجد أو محاضرة في جامعة وأنتم لا تستطيعون أن تتجاوزوا الخطوط الحمر التي حددها الحاكم، فهذه ليست دعوة، هذا تزييف للدين وإلغاء لمعنى قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾، وأنتم عندما تعيشون في هذه الدول القطرية مع الحدود والقيود التي وضعها الحاكم عليكم لا تفيدون الدعوة بل تضرونها من حيث أنكم تكرسون تزييف الإسلام الحقيقي الذي يجب أن نبلغه كاملاً بدون تدخل من حاكم أو أمير أو ملك..

وما فعلته القاعدة هي أنها بدأت جهاداً ليكون الدين كله لله وليس بعضه كما تفعلون أنتم في دعوتكم..

بل الأدهى والأمر أن تصبح هذه الدول القطرية والحدود التي وضعها المستعمر مفاهيم راسخة لدى عدد من مفكريكم حين يتحدثون عن (الوطن) ويقولون لنا أنتم تساومونا وتخيروننا بين (الجهاد) و (الوطن)، فنقول لهم يا مساكين، إن ابن لادن يحب الوطن أكثر منكم، لكن الوطن الذي يدافع عنه ابن لادن ورجاله ليس الوطن الذي تمسك فيه مجندة أمريكية بالبندقية لتحمي أحفاد الصحابة والنفط وإذا اعترض أحفاد الصحابة تخضعهم..

هذا الوطن ليس وطننا، وليس وطن ابن لادن ولا المجاهدين، هذا سجن كبير تسمونه زوراً (الوطن).. أما الوطن الذي ندافع عنه فهو (كل أرض ضج فيها نداء الحق صداحاً مغنى)، وأول أرض يجب أن ندافع عنها بلاد الحرمين.. وهي البلاد التي روى أجدادنا أرضها بدمائهم ليأتي الأمريكان اليوم ويحتلونها؟ ونقف متفرجين نتغنى بأمجاد (الوطن) ونزعم أننا ندافع عن الوطن؟

وهنا أسألك سؤالا أساسياً، بصفتك تشارك في عمل إسلامي حركي عريق، أليست الشمولية والعالمية والسعي لتمكين دين الله في الأرض قضايا محسومة في فكركم وبرنامجكم وخطتكم؟

بدا أبو ياسر واجماً ثم صمت للحظات.. وأجاب: محسومة نعم، لكن تنزيلها على الواقع يحتاج مراعاة لهذا الواقع، وقبل ذلك يحتاج إلى فهم هذا الواقع..

ابتسمت وقلت في نفسي: مرحى، أنا أحب هذا النوع من الإجابات التي تفتح لك أبواباً متعددة أخرى لطرح المزيد من الأسئلة الصعبة.. وهنا بادرت أبا ياسر بالسؤال: حسناً، ما هو تكييفكم لهذا الواقع؟

فقال: الواقع أن المسلمين بمن فيهم الدعاة والعلماء مستضعفون في كل بلاد الأرض، وليس من الحكمة أن يقفز المسلمون للجهاد القتالي قبل أن يستكملوا أدواتهم.

قلت: أنا أريد جواباً أكثر تحديداً في وصف الواقع، نحن لا نريد كلاماً عاماً، نحن نريد جواباً محدداً حول وضع الإسلام عالمياً، من هو الخصم الرئيسي للإسلام كدين ورسالة وما هي شكلية حربه على الإسلام؟ وكيف نجح في تحجيم الإسلام؟

فقال بتذمر: ولماذا تأخذنا للمستوى العالمي؟ دعنا نحسم شؤوننا القطرية والمحلية ثم نفكر بالمستوى العالمي.

قلت: سبحان الله، ألم تقولوا إن عالمية الإسلام جزء لا يتجزأ من فكركم ومبادئكم؟ ثم لماذا تفصل شأنك القطري كما تقول عن الشأن العالمي؟ الله الخالق وضع النفط في أرضنا، فجاء الأمريكان واحتلوا بلادنا، فأصبحنا جزءاً من العالمية شئنا أم أبينا..

ثم لاحظ أن حديثكم عن عالمية الإسلام مخادعة للنفس، فأنتم في الواقع تكرسون مفهوم (الإسلام الإقليمي أو القطري) عندما تطرحون المشكلة بشكل محلي وتريدون تصوير مشكلة

الإسلام على أنه مشكلة قطرية متعلقة بالبلد الفلاني، وأنتم تدركون جيداً أن الإسلام يرفض تماماً كل هذه الكيانات الورقية القائمة في بلاد الإسلام تحت رعاية الغرب، وأنتم بمقولاتكم وخصوصاً الأخيرة منها مثل دعوتكم (للمجتمع المدني) تعلنون بكل صفاقة عن فشل حملكم للدعوة للإسلام كدين عالمي لا يرتبط بالحدود الوهمية التي صنعها المستعمر، بل لا يعترف بها إطلاقا..

إن دعوتكم للمجتمع المدني إعلان هزيمة منكم لكل المبادئ التي كنتم تحملونها عن الإسلام، بل وأصبح بعض مفكريكم يجهل الفرق بين الإسلام السلفي الخالص وأن السلفية كمبادئ هي أفضل ضمانة للمحافظة على حقوق المجتمع وبين مفهوم (المجتمع المدني) الذي يروجون له..

ولستم محتاجين لاستعارة المفاهيم من الليبراليين حتى تتشدقوا بالمجتمع المدني وأنتم لا تدركون حقيقته وأنه في الواقع تكريس لمفهوم الدولة القطرية الذي يرفضها الإسلام من جذورها..

لكن لا تقل لي إن الإسلام السلفي كرس الاستبداد، لأنني سأقول لك إن الإسلام الرسمي الذي تحالف مع هؤلاء السلاطين والملوك الجاثمين على صدورنا ليس هو الإسلام الذي أمرنا الله به والسلفية الحقة بريئة منه..

والحديث عن المجتمع المدني لا نراه إلا هروباً من المسؤولية في تجريم الحاكم إلى الإغراق في الحديث عن تخلف المجتمع ومؤسساته..

بالله عليكم كيف تريدون أن تقيموا مؤسسات المجتمع المدني والحاكم جاثم على صدروكم حتى التنفس لا تستطيعون أن تتنفسوا؟ أخبرني عن تغيير واحد كبير في التاريخ بدأ بمؤسسات المجتمع المدني؟

ولعلمكم فإن المجتمع المدني في أوربا بدأ بعبارة: (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس)!!

فقال أبو ياسر: أما مسألة المجتمع المدني فربما تكون هذه وسيلة لنيل الحقوق، ولسنا نريد استعارة مفهوم المجتمع المدني كاملاً، وأما كلامك عن عالمية الإسلام فكونها كذلك لا يعني أن نفعل ما ليس في طاقتنا، وليس من الحكمة أن يورط الإنسان نفسه أو غيره في ميدان أكبر منه أو عدو أقوى منه.

قلت: سنرجئ الحديث عن المجتمع المدني إلى وقت آخر، لكن يجب أن أقول أنه من الجميل أن تعترف بأن المسألة عجز، لكن سؤالي ليس عن قدراتكم، سؤالي هو عن تكييفكم لمن هو الخصم الأول للإسلام وكيف نجح في تحجيم الإسلام؟

فقال: لا أعتقد أن هناك من يجادل أن أمريكا تدعم وتتبنى إسرائيل ومتربصة بالإسلام والمسلمين وتحاربهم وتحاصرهم بأكثر من صورة، ولا نشكك أبداً بأنها حجمت المشروع الإسلامي من خلال عملائها من الحكام في العالم الإسلامي وسيطرتها على ما يسمى بالمؤسسات الدولية، هذا كله لا نجادل فيه، لكننا نعتقد أن المرحلة مرحلة تربية وتصفية وتأصيل شرعي وحماية المكتسبات الدعوية والخيرية النشيطة في العالم الإسلامي كله.. ولم يخطر ببالنا أن مواجهة أمريكا أولوية أبداً.

قلت: هل المسألة عدم أولوية أو هي عجز واستصغار الذات؟ يعني بعبارة أخرى إن كان استهداف أو مواجهة أمريكا ليس أولوية، فهل هو في برنامجكم مطلب أو خطوة متأخرة وأجلتموه قناعة بضرورة تأجيله حتى تستكمل الاستعدادات، أو هو مشروع لم يرد أصلا في خطتكم؟ ورجاء أريد إجابة هذا السؤال بكل أمانة وتجرد.

استفزت عبارتي الأخيرة أبا ياسر وتضايق منها وقال: لا داعي لأن توصيني على الأمانة والتجرد، دعني أكن صريحاً معك في هذا، ليس لدينا خطة سياسية واضحة فضلاً عن مواجهة أمريكا.. نعم لا توجد أي خطة لاستهداف أمريكا لا حالياً ولا لاحقاً، ولا توجد أي استراتيجية لذلك.. لكن لماذا نستهدف أمريكا أصلاً، حين قلت أنها ليست أولوية قصدت أنها ليست مطلوبة أصلاً، لسنا بحاجة لأن نستهدف أمريكا لا حالياً ولا لاحقاً.

فقلت: أعتذر يا شيخ إن كانت عبارتي مستفزة لكن أنت تعلم مقال الأول:

وجـدال أهـل العلم ليس بضـــائر مـا بـين غـالـبـهـم إلى المـغـلـوب

لكن أخبرني، ماذا تعمل لمواجهة الخطر الأمريكي وتغوّله على الإسلام والمسلمين؟ هل لديك خطة لذلك؟

قال: نستمر في العمل الدعوي والتربوي والإعلامي وإصلاح المسلمين إلى أن ييسر الله لهم أنظمة سياسية صالحة ربما تكون في مستوى مواجهة الكفر العالمي سواء بقتال أو بمواجهة سياسية.

فقلت: هل تدرك أخي أنك بهذا تعترف اعترافين في وقت واحد، أولاً: أنت تعترف أن الجهاد ليس محسوباً في برنامجكم مطلقاً لا حالياً ولا مستقبلاً، وثانياً: أنت تعترف أن ليس لديكم أي خطة لمواجهة عدو الإسلام الأول..

فقاطعني قائلاً: لحظة من قال إن الجهاد غير محسوب، نحن نؤمن بوجوب الجهاد لكن في وقته وظرفه.

هنا وجدت الفرصة سانحة لإمطاره بالأسئلة التي أنا أدرك جيداً أنه سيتحايل على الإجابة عليها..

فقلت: هل لديكم برامج لإعداد كوادركم وتدريبها جهادياً مثلا؟

قال: لا، لكن لا نعتقد أصلاً أننا نحتاج ذلك، نحن نعتقد أن فرضية الجهاد مسألة محسومة في الشرع ولا يسعنا أن نشكك فيها.

قلت: حسناً، أكرر السؤال، هل لديكم برامج لتربية كوادركم جهادياً بمراكز أو معسكرات تدريب، أو أي شيء ينوب عنها، أو على الأقل تربونهم على تصنيف العالم والنظر له من منظار جهادي، وتبشرون بحال ينادي فيها منادي الجهاد؟

فقال: أنت تعلم أن الظروف لا تسمح بذلك مطلقاً، وما يسمى بالتربية الجهادية يفتح علينا أبواباً نحن في غنى عنها الآن.. ونحن في الجملة ضد هذه الأفكار التي غالباً ما تنتهي بتدمير الحركات الإسلامية كما حصل في مصر والجزائر.

فقلت: يعني أنت ترى أن مجرد التربية الجهادية وتعليم الناس أن يحدثوا أنفسهم بالغزو ويتدربوا عند اللزوم للمستقبل وينظروا للعالم بمنظار جهادي مسألة مرفوضة لأنها تجر عليكم تحطيم العمل الإسلامي؟ طيب هل تمنع غيركم من القيام به؟

فقال: نعم، لأنه سيؤدي إلى ضرر كل العمل الإسلامي كما حصل بعد أحداث سبتمبر وكما حصل بعد أحداث مصر والجزائر، والقرآن يقول لمن لم تكتمل أدواته: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾.

قلت: أنت إذاً تقرر من خلال هذا الآية ومن خلال خلط نموذج مصر والجزائر مع نموذج سبتمبر تجميد فريضة الجهاد القتالي سواء مع الأنظمة الطاغوتية في العالم الإسلامي أو مع رؤوس الكفر الصريح إلى أن تكتمل ما أسميتها بالأدوات؟ وتذهبون إلى أبعد من ذلك فتتجنبون التربية الجهادية والتدريب والإعداد حتى لا يفضي إلى هذه النتيجة؟

قال: نعم، ولكن لا تفهم من كلامنا أننا نبطل فريضة الجهاد، بل إننا نعتقد جازمين أن الجهاد فرض ثابت بالكتاب والسنة، ومن شكك في فرضيته أنكر معلوماً من الدين بالضرورة.

قلت: لا تقلق لن أفهم كلامك خطأ، لكننا سنحتاج إلى (نيكولاس فلاميل) آخر و (حجر فيلسوف) جديد حتى نحل المعضلة التي تقولها! إذ يتضح من كلامك أن الاعتقاد

بوجوب الجهاد مسألة نظرية بحتة لا يصلح أن يطبق شيء منها، ولا حتى التربية الجهادية والإعداد والتدريب.. وآيات القتال والتمكين لدين الله في الأرض وأحاديث الحث على الجهاد ووجود طائفة مؤمنة على مر العصور ترفع راية الجهاد واتفاق العلماء على وجوب الإعداد والموتة الجاهلية لمن لم يحدث نفسه بالغزو كلها مسائل مجمدة؟

كنت أعلم أن الكلام عن الجهاد من المضائق لدى (الحركيين) وكثيراً ما يتخبطون فيها، وقد حشر أبو ياسر في الزاوية وتهرب بأن قال: أخشى أن أضطر لتكرار الكلام السابق أعلاه، لكن دعنا نستخدم عبارة أفضل من مجمدة وهي مؤجلة.

فقلت لإتمام الإجهاز على حجته والانتقال لنقطة جديدة: حسناً اتضحت الفكرة هنا، وانتهينا إلى أنكم قد أجلتم أو جمدتم كل المسائل المتعلقة بالجهاد، وهنا ستدخلون في إشكال ليس مع تنظيم القاعدة بل مع الله سبحانه وتعالى.. وأرجو من الله أن يرحمكم..

لكن دعنا نتجاوزها إلى سؤال أكثر دقة، وهو عودة إلى مسألة تكييف الواقع فيما يخص مواجهة العدو الأمريكي.. أنتم جمدتم أو أجلتم كل المشاريع الجهادية وما يتصل بها بناء على فهمكم لواقع أمريكا والعالم الإسلامي وتقديركم لإمكاناتكم.. السؤال المهم هنا ألا تعتبرون نشاط جهة مهمة مثل تنظيم القاعدة جزءًا من هذا الواقع؟ أنتم ترصدون وتحللون واقع أمريكا والعالم الإسلامي، ألا ترون أن من المهم رصد وفهم طبيعة ومنهج واستراتيجية هذا التنظيم ما دام قد ثبت أنه رقم مهم في المعادلة؟

فقال: لا نعتقد أن تنظيم القاعدة يحتاج رصداً خاصاً، فهو تنظيم معروف بتاريخ معروف بأهداف معروفة ونشاط معروف، ويبقى تصور المواجهة العالمية كما هو.

مع كل تقديرنا للتاريخ الجهادي للرموز التي في القاعدة، نؤكد أنه لولا رد الفعل الأمريكي على استفزازات القاعدة لما كان لها ذلك التأثير الكبير.. أي إنسان متهور يستطيع يستفز أمريكا ويستجلب منها رد الفعل هذا.

فقلت: هل أنت متأكد أن أي إنسان متهور يستطيع أن يستفز أمريكا ويستجلب رد فعل هائل مثل الذي حصل بعد أحداث سبتمبر أو حتى بعد كينيا وتنزانيا؟ أليس من العدل والإنصاف أن نتأمل الأحداث قليلاً ونرى تطور عمليات القاعدة من أحداث الصومال وعدن إلى تفجير الرياض والخبر إلى ضربتي كينيا وتنزانيا إلى ضربة المدمرة كول إلى ضربة سبتمبر؟ ضربات متصاعدة بردود أفعال أمريكية متنامية، بكل أمانة هل تأملتم ودرستم سلسلة الأعمال التي نفذتها القاعدة حتى تقول إنه مجرد عمل متهور؟

بل دعني أكون أكثر بساطة في السؤال، هل خطر في بالكم أن لدى القاعدة استراتيجية حقيقية وليس مجرد استفزاز للأمريكان؟

فقال: نحن نشك بوجود استراتيجية بالمعنى الحقيقي لدى القاعدة، وكل الذي نظنه أنهم استلذوا بمسألة تحدي أمريكا لما تجلبه من إثارة للعواطف الإسلامية، والعواطف لا تصنع تغييراً، والعيش في ظروف القسوة والشدة لها طعم ولذة تستهوي البعض.

فقلت: أخي الكريم، هل تقر أنك بذلك تعترف بأنك أنت وجماعتك وتيارك لا تعلمون إلا انطباعات عامة عن القاعدة وليس معرفة بحقيقتها واستراتيجيتها ومنهجها وخطتها؟

فقال: نحن نستقرئ منهجها واستراتيجيتها استقراء، وقد فهمنا أنه تجييش عواطف ضد أمريكا وبس. بمعنى آخر نعتقد أنه لا توجد استراتيجية أصلاً، بل هو حماس مدفوع بالحقد على أمريكا وافق هوى عند جماهير المسلمين.

فقلت: ألا تعتقد أن هذا دليل على ضعفكم أنتم وليس دليلاً على ضعف القاعدة؟ أنت قبل قليل اعترفت أنه ليس لديكم برنامج ولا استراتيجية لا محلية ولا عالمية، وأنكم تكررون منهج تربية وأسلوب دعوة عفى عليه الزمن.. أسألك سؤالا صريحا، هل فكرتم في جماعتكم أو تياركم أن تدرسوا ظاهرة القاعدة وابن لادن دراسة مستفيضة؟ أو هل ذهبتم لأبعد من ذلك وأرسلتم من طرفكم مندوبين يسألون القاعدة عن منهجهم؟

فقال: الجواب الصريح هو لا هذا ولا هذا، لم ندرس ظاهرة القاعدة دراسة مستفيضة ولم نرسل مندوبين للحديث مع القاعدة.

أما إرسال مندوبين فمسألة محفوفة بالمخاطر، وأما الدراسة المستفيضة فقلت لك إننا ربما نستغني عنها باستقراء الأحداث.

فقلت بامتعاض: يا أخي أنتم جماعة وتيار مسؤول ولستم بقالة أو مدرسة ابتدائية، الأحداث التي نسبت للقاعدة والتداعيات التي تلتها أحداث لا يجادل أحد أنها جسام، هل يستطيع أحد أن يزعم أنه يستطيع الحكم على القاعدة واستراتيجيتها ولم يتقدم بدراسة مستفيضة حتى للأحداث المنسوبة إليها وتداعياتها؟

دعني أكن أكثر وضوحاً، هل أعددتم دراسات أو نظرات في أحداث سبتمبر وتداعياتها بشكل شمولي، بغض النظر عن القاعدة واستراتيجيتها؟ هل نشرتم بين كوادركم أو حتى للجمهور شيئاً من ذلك؟ لم أطلع ولم أسمع عن دراسة من أمثالكم عن أحداث سبتمبر.

فقال محاولاً الدفاع: نحن نتابع الأحداث عن كثب، لكن الحقيقة أنه لا دراسة مستفيضة ولا دراسة غير مستفيضة، نحن نرصد مثل غيرنا ونقرأ الجرائد ونتابع الأخبار ولدينا تصور عام وكنا ولا نزال لا نعتقد أننا بحاجة لهذه الدراسة.

التداعيات واضحة ولا تحتاج لبحث، قمع أمريكي وغطرسة، القضاء على دولة إسلامية فتية مثل طالبان، حشر أفراد القاعدة في أقفاص جوانتانامو، الحصار على العمل الإسلامي الخيري وقائمة كبيرة من الخسائر في المشروع الإسلامي.

فقلت: يهمني من كلامك نقطتان، أولاً: تقر بشكل واضح تماماً أنكم لم تفكروا حتى بدراسة مستفيضة لأحداث سبتمبر وتداعياتها فضلاً عن أن تدرسوا ظاهرة القاعدة.

ثانياً: أنكم تقبلون منهجياً أن تحكموا على الأمور دون دراسة منهجية.

بالله عليك، ألا تسألون أنفسكم وأنتم جماعات فيها عقليات كبيرة وأساتذة جامعات ومفكرين ومثقفين لماذا تقبلون لأنفسكم أن تحكموا على أمور عظيمة بانطباعات وآراء مجالس مثل كل الناس؟ ما فائدة الجماعة إذا؟ هل أعتبر هذا اعترافاً منكم يضاف لاعترافك الأول أنكم ليس لديكم منهجية التعامل مع الأحداث على طريقة الدراسة والتأني في الحكم؟ رجاء تعطيني الإجابة بصراحة وأمانة كما أجبت في المرة الماضية..

فقال: أعتقد أني كنت أميناً جداً معك في إجاباتي ولا داعي لتوصيني بهذه الطريقة، أنا أعترف أننا لا نتعامل بمنهجية الدراسة والمعلومات ولا الرصد الاستراتيجي. هذه ليس عندي إشكال أعترف لك بها وهي عيب معروف فينا لا ننكره، لكن هذا لا يجعل ابن لادن والقاعدة على صواب بالضرورة.. خذ مثلاً مسألة بسيطة جداً، لماذا تفرد ابن لادن بهذا القرار الكبير وهو مواجهة أمريكا؟

فقلت: حسناً خرجنا منك باعترافين مهمين: الأول قلت فيه أنكم ليس عندكم سياسة ولا برنامج سياسي واضح، والآن تقول إنكم لا تعتمدون على الدراسات في تحديد مواقفكم.

بصراحة سؤالك الأخير يعكس تماماً هذا الاعتراف لديكم.. لكن بغض النظر عن كون سؤالك يعكس اعترافك، ألا تلاحظ أن سؤالك عن تفرد ابن لادن غريب وأنت تعترف بأن المسلمين ضعفاء ومتشرذمين وليس لهم كيان، بل وتعترف بأنكم أنتم الحركيون المنظمون ليس لديكم دراسات ولا منهجية في معرفة الأمور..

إذا كان حال المسلمين بهذا السوء والضعف والتشرذم وانعدام التنظيم والمرجعية فمن هي الجهة التي يستشيرها ابن لادن وما هو المبرر المنطقي أو الشرعي له أن يستشيرها؟ ثم كيف يستشير في عمل حساس وخطير كهذا دائرة واسعة مثل دوائر الجماعات الإسلامية التي لا تمسك سراً؟ وما هو الأساس الشرعي الذي تلزمه به أن يستشير؟

فرد موضحاً: أنا لم أقصد أن يستشير الجماعات أو التيارات الحركية، أنا قصدت يستشير العلماء المعروفين والمفكرين الثقات.. يصعب أن نقول إنه يجب شرعاً أن يستشير لكن القضية منطقياً مقبولة.. وغياب المرجعية صحيح لكن على الأقل يستأنس برأي من يوثق به ويمكن الوصول إليه من المشايخ والعلماء والمفكرين.

فقلت: حسنا يا أبا ياسر، هذه المسألة من شقين لا بد من توضيحهما، الأول: من هم أهل المشورة؟ والثاني: هل استشار ابن لادن أم لم يستشر؟

إذا كنت تقصد بسؤالك مثلاً لماذا لم يستشر ابن لادن بعض الشيوخ المحددين في ذهنك مثل الشيخ سفر الحوالي أو الشيخ سلمان العودة، فسأقول لك إن هذين الشيخين رغم جلالة قدرهما في العلم إلا أنهما ليسا من أهل المشورة. قد تسألني لماذا؟ فأقول لك لأن الخلاف معهما في الأصل، وهو قضية الجهاد ذاتها، فهؤلاء الشيوخ منذ بدء المشروع الجهادي كانوا ينصحون الشباب بعدم الذهاب إلى أفغانستان منذ أيام الجهاد ضد الروس، فكيف تفترض من الشيخ أن يستشيرهما وأمثالهما وهم أصلاً يرفضون المبدأ بالكلية ويقولون بتجميد أو تأجيل مشروع الجهاد.

وأما الشق الثاني، فلماذا تفترض أنه لم يستشر؟ إن كان هذا هو المقصود فقد حصل والشيخ استشار فعلاً من يمكن الوصول إليه ويوثق برأيه وعلمه.

لكن حتى هذه لو لم يفعلها فليس عليه غبار ولا مأخذ إذا وضعنا في الاعتبار اعترافك بتشرذم العمل الإسلامي والحصار الأمني على العلماء والدعاة واتفاقنا على غياب المرجعية، والشيخ من حرصه بادر باستشارة عدد من الموثوقين وعزم على العمل بناء على رأيهم وتأييدهم، ولظروف المصلحة وحماية هذه الأسماء لم يعلن الشيخ عنها ولا يتوقع منهم أنفسهم أن يعلنوا أن الشيخ استشارهم.. وما دامت هذه السرية أمر متوقع فكيف تجزم بأن الشيخ لم يشاور، خاصة أنك وافقت أنك لا تطالبه بمشاورة الجماعات الإسلامية؟

وأضيف لاستكمال الصورة أن هذه الاستشارة من الشيخ لمن استطاع أن يصل إليه من العلماء والمفكرين هي إضافة لاعتماده الكامل على مشورة مجلس شورى القاعدة الذي فيه الكثير من الخبرات الشرعية والثقافية والفكرية والعسكرية.

ويبدو أن الجواب كان مفاجئاً لأبي ياسر فقال متعجباً: طيب كيف يشيرون عليه بمثل هذا الرأي وقد جر المسلمين إلى هذه المواجهة التي لم تجبني لحد الآن عن آثارها المدمرة؟

فقلت: سمعت منك قبل قليل إقراراً بأنكم تقيسون الأمور قياساً انطباعياً بلا دراسات ولا منهجية.. ما دام حصل هذا الإقرار فهل توافقني أن قياس المكاسب والخسائر في عملية كبيرة مثل هذه يجب أن يبنى على تعامل منهجي؟

دعنا من عجزكم وفشلكم كجماعة من ذلك، أنت شخصياً على المستوى الشخصي هل خطر في بالك طريقة منهجية لتقويم مثل هذه العملية بمقياس تاريخي سياسي استراتيجي؟

ألا توافقني أن التقويم يحتاج إلى تكييف الواقع الإسلامي ونقاط ضعفه وقوته، تكييف حقيقة العدو وتحديده وتحديد نقاط ضعفه وقوته، دراسة طبيعة الحدث نفسه، وهل كان مجرد ضرب عمارات أو كان أعمق من ذلك؟

هل كان هناك مكاسب حاول الإعلام العربي والعالمي طمسها لكن لا يمكن إنكارها؟ أو إننا أصلا لا نستطيع إدراكها لأن مجال قياسنا مرتبط بنشاط العمل التنظيمي فقط؟

هل عدت إلى الوراء وحاولت أنت شخصياً دراسة ظاهرة القاعدة وماذا تريد بالضبط من ضرب أمريكا بهذه الطريقة وهل للقاعدة استراتيجية واضحة تقيم تصرفاتها على أساسها؟

ولأنه كان تحت الضغط دائماً، فقد قرر أبو ياسر الهجوم هذه المرة.. فقال: لماذا نحاول أن نضخم القاعدة أكثر من اللازم بهذا الكلام الكبير؟ لماذا نفترض أن لديهم استراتيجية وأهداف واضحة وسياسات وإلخ؟ لماذا تطالبني شخصياً بكل ذلك حتى أستطيع أن أجيب

على السؤال؟ المكاسب والخسائر في نظري واضحة، أنا عددت لك الخسائر الهائلة أعطني مكسباً واحدًا؟

فقلت: ذكرت لك سابقاً المكسب العظيم في إنهاء حالة السلم الزائف بين المسلمين والغرب، وأضيف هنا أن الفرق بيني وبينك أني لست أسيراً للعمل التنظيمي الحركي التربوي الذي يحصر المكاسب والخسائر في قضايا محدودة جداً.

قبل أن أبين لك استراتيجية القاعدة أجيبك ببساطة على قدر سؤالك، هل تمكنتم من ملاحظة هذه الصحوة الإسلامية الهائلة على مستوى العالم الإسلامي كله في قضية الهوية؟ ألم تلاحظ اعتداد المسلمين بهويتهم بسبب التحدي الأمريكي لهم واستهدافهم في اسمهم؟

هل تمكنتم من ملاحظة أثر تهاوي برجي التجارة أمام شاشات التلفاز وتكرار ذلك عشرات المرات على هيبة أمريكا؟

هل تمكنتم من ملاحظة أن المسلمين أدركوا أن بإمكانهم بدون سلاح متقدم ولا قنابل ذرية أن يفعلوا الأفاعيل في خصمهم فقط بالإيمان وحسن التخطيط والإتقان في العمل؟

هل تمكنتم من ملاحظة تصاعد رمزية القاعدة وابن لادن في أذهان كل المسلمين وتحولهم لند حقيقي للولايات المتحدة؟

هل خطر في بالكم أن الذي تطور في عمله من الصومال وعدن إلى الرياض والخبر إلى كينيا وتنزانيا إلى ضرب المدمرة كول إلى أحداث سبتمبر حتماً لديه خطوة قادمة متصاعدة مثل تصاعد هذه الخطوات؟

هل رأيتم مدى جاهزية أعداد كبيرة من المسلمين لمواجهة أمريكا والاستشهاد في معركة معها؟

هل رأيتم كيفية شعور المسلمين بأنهم لم يعودوا عاجزين أمام ما حصل في فلسطين وأن أمريكا تستحق ضربة ثانية من ابن لادن؟

هل أدركتم أن المسلم صار بإمكانه أن يفكر بأن أمريكا دولة عاجزة لم تستطع منع أحداث سبتمبر ولم تتمكن لحد الآن من ضمان منع ضربة أخرى وأنها لا تزال تعيش رعب (جاك الذيب جاك أخيّه)؟ وأنهم الآن مخيرين بين (جدع وخصاء)!

فقال أبو ياسر: هذا الكلام الذي تقوله ربما يكون صحيحاً، لكنه عام يصعب قياسه وتحديده كمكسب محدد، وبإمكان كل زاعم أن يزعمه.

فقلت: أما كونه عام ويصعب قياسه وتحديده فكلام صحيح وغير صحيح، صحيح من جهة أن هذه الأمور لا يمكن قياسها بعدد أو بكتلة أو برقم أو بحجم على كل حال، وغير صحيح من جهة عدم إمكان تقدير هذا التحول مطلقاً، لأن التحولات التي أشرت إليها كلها يمكن تقديرها ولا يجادل في حصولها في المجتمعات الإسلامية إلا مكابر.. حتى الصحف الغربية أكدت حصول هذه الأمور، بل إن هناك من عمل دراسات وإحصائيات اقتربت من تحديدها رقمياً.

فقال أبو ياسر: حسناً، بغض النظر عن هذه الأمور التي يصعب قياسها، كيف تريد أن تضع هذه المكاسب أو الإنجازات المزعومة في سياق استراتيجية القاعدة إن كان هناك فعلاً استراتيجية للقاعدة؟

قلت: القاعدة وضعت هدفاً واضحاً وتصوراً واضحاً لأدواتها ووسائلها، ووضعت خطة محددة بمراحل محددة، ووضعت سياسات تضبط أساليب عملها..

لقد قررت القاعدة في وقت مبكر أن أمريكا معضلة أمام ظهور الإسلام كقوة، وأن كل طواغيت العرب والمسلمين سيتعرضون للشلل بعد ضعف أمريكا أو تفككها، ولذلك كان

من الواضح عند القاعدة أن يكون هدفها تفكيك أمريكا أو انهيارها أو على الأقل إرهابها وإبعادها بشكل جبري عن العالم الإسلامي.

وأما الأدوات فقد تم اختيارها بناء على فهم الواقع الإسلامي والعالمي فهماً جيداً، وتصور الخصم والثغرات البنيوية فيه، وفهم القاعدة لنفسها وظروفها، وكانت أعظم حيلة لجأت إليها القاعدة هي في تحويل أدوات الخصم وقدراته ضده خاصة في مجال استخدام رد الفعل الأمريكي على استفزازات القاعدة في تجييش المسلمين ضد أمريكا بل وتجنيدهم مع القاعدة.

وأما الخطة فقد وضعت مسألة حسم الأمر مع أمريكا كآخر مرحلة سبقتها مرحلة إثبات الوجود في بيان إخراج القوات الصليبية من جزيرة العرب، ثم مرحلة تهييج الأمريكان لأجل تشغيلهم أداة علاقات عامة لتجييش الناس ضد أمريكا من جهة، وتجنيد الكوادر مع القاعدة مباشرة من جهة أخرى، ثم مرحلة الحسم وهي مرحلة الضربات في داخل أمريكا والتي بدأت بغزوة سبتمبر ويفترض أن تتلوها ضربات لاحقة تحطم النفسية الأمريكية منها تنهار الدولة.

واستفادت القاعدة من ظروف أفغانستان وحماية الطالبان استفادة قصوى، ودربت آلاف الكوادر على الجهاد.

أما السياسات فالقاعدة واضحة تماماً في أنها ملتزمة بالإسلام السلفي الجهادي وليس عندها أنصاف حلول ولا براغماتية، وهي واضحة في أنها تركز على الهدف فقط ولا تشغل نفسها بأمور أخرى، وواضحة في أنها لا تدخل في خلافات ولا مهاترات مع قوى إسلامية أخرى، وواضحة في أنها تتمسك بخطتها ولا تستدرج لردود أفعال.

هذا ليس إلا ملخصاً لاستراتيجية القاعدة، وإلا لو أردنا الكتابة في هذا الموضوع بالتفصيل لما وسعته كتب، لكن ربما ستجد غنية في مقال (الجهاد عبقرية وإلهام.. القاعدة نموذجاً).

فرد متهكماً!: كأنك تتحدث عن منظمة أكبر من الدول، بينما نحن لا نرى إلا مجموعة مختبئة خلف الجبال ليس لديها من مقومات الحياة شيء يذكر، فكيف تعطيها هذا الوصف العظيم؟

الجماعات الإسلامية الموجودة رغم اختراقاتها للمؤسسات التعليمية والاقتصادية بل وحتى العسكرية، يستحيل أن تقترب لهذا الوصف الذي وصفته، ألا ترى أنك تبالغ؟

فقلت: هذه مشكلتكم، أنتم تحكمون على العالم من خلال تجربتكم الحركية الجامدة البيروقراطية المعقدة تنظيمياً، ولذلك يصعب عليكم فهم الطريقة التي استطاعت بها القاعدة أن تنتج عملاً جباراً.. تجربتكم تحول فيها التنظيم إلى أداة تعطيل بدلاً من أن يكون أداة تنسيق وترتيب وتكامل وإنضاج وإنجاح..

القاعدة حلت هذه المشكلة حلاً سهلاً بحيلتين: الأولى: أنها ألغت فكرة التنظيم الهرمي والارتباط التنظيمي في بنية واحدة، وأحدثت محله فكرة الجامعة أو الكلية التي تخرج الكوادر، ومن ثم تطلق هذه الكوادر لتعمل بخطة شبه معلنة وتجعل قدرات وعلاقات القاعدة تحت تصرفها.

الثانية: أنها تخلصت من مشكلة أن الانتماء يعني الانعزال عن المجتمع، ودربت كوادرها على الذوبان في المجتمعات، وجعلت برنامجها المعلن جزءًا من تطلع المجتمع، وبذلك حولت طبيعة المجتمع وكثيراً من قدراته تلقائياً لخدمة أهدافها.

هاتان الميزتان لا تحتاجان لعبقرية للتفصيل في تنفيذهما، كل الذي تحتاجه هو فهم أصل الفكرة.

تنظيماتكم أخي الكريم قلبت الفكرة وجعلت التنظيم سبباً في تجميد الكوادر وتعطيل القدرات والكفاءات الإسلامية المنتمية لكم، لم تطلقوا هذه الكفاءات لتتصرف بحرية ولم توفروا لها البرنامج المتكامل المبني على استراتيجية واضحة.

هل تعرف أخي كيف تختار القاعدة القيادات؟ إنهم ليسوا مثلكم يختارون الأكثر (طاعة وانضباطاً) لمن هم فوقهم من قيادات حركية، إنهم يختارون قياداتهم بناء على تصرفاتهم في المعارك الحقيقية، لأن الإنسان في وقت المعركة تنتفي من نفسه نوازع الدنيا ويخرج أفضل ما لديه إذا كان ممن يريد الله والدار الآخرة..

ومشكلتكم الأسوأ أنكم تقومون الآخر بناء على تجربتكم التنظيمية المتخلفة.

أخي الكريم، هل سألت نفسك كيف تمكنت القاعدة من التطور إلى أن وصلت إلى تنفيذ هذه العملية المعقدة في قلب أمريكا بكل إتقان ودقة؟

لاحظ أن القاعدة محاصرة وتعيش تحت مؤامرة عالمية، وليست حرة طليقة مثل معظم تنظيماتكم.

فقال أبو ياسر وكأن الكلام السابق كله لم يصنع شيئاً معه: مع احترامي للاستراتيجية التي تطرحها وتنسبها للقاعدة، هل تعتقد القاعدة أو قياديها أن الأمة مستعدة في وضعها الضعيف الحاضر المتخلف من حيث القوة والتطور واللحاق بركب الحضارة في وضع يمكنها من مواجهة خصوم الإسلام الكبار وخاصة أمريكا؟

أليس من الأولى أن نمارس الجهاد التربوي والتنموي والتوعوي إلى أن نصل إلى الوضع الذي يمكننا من رفع راية الجهاد صريحة عالية؟

فقلت وقد تملكني الضجر من كلامه: من منعك أن تمارس الجهاد التربوي والتوعوي والتنموي؟ استمر في ممارسة جهادك، ولكن لا تثرب على من يمارس جهاداً حقيقياً وليس مجازياً.

فقال مدافعاً عن رأيه: أنا لا أثرب عبثاً، أنا أقول الأمة غير مهيأة، ولذلك فإن جرها إلى حالة المواجهة بدون أن تكون في حالة استعداد وإعداد ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ يربك الأمة كلها ويفسد أنواع الجهاد الأخرى التي سميتها مجازية.

فقلت: أولاً: أخي الكريم، الآية قالت: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، ولم تلزم بمستوى معين من التمكين والقوة، فأرجو أن لا تكون قصدت الاحتجاج بها شرعاً لأنه لا يصح الاحتجاج بها بتلك الطريقة.

ثانياً: ما هو الدليل الشرعي أو المنطقي على أن المسلمين ملزمون أن يستعدوا بمستوى معين قبل أن يواجهوا خصومهم ويمارسون القتال؟ أليس الدليل الشرعي على العكس؟ أليس فقهاء المسلمين متفقين على وجوب دفع الصائل وجوباً فورياً؟ أليس ما تمارسه أمريكا في تثبيت جيوشها في بلاد الحرمين ودعم اليهود في فلسطين وتثبيت عملاء من طغاة المسلمين يمكن تكييفه بالصائل الذي يجب دفعه فوراً بأي وسيلة؟

لكن حتى منطقياً ما هي الاستعدادات التي تريدها حتى يكون المسلمون في وضع يستطيعون فيه مواجهة قوة كبرى مثل أمريكا؟

فقال: يؤسسون دولة مثلاً، دولة الطالبان مثلاً، تتطور وتصبح قوة عالمية، أو يحدثون تغييراً في أحد بلاد المسلمين لصالح الإسلام، بل ربما لن يكونوا بحاجة لمواجهة أمريكا عسكرياً لو حصل ذلك، لأنهم يستطيعون لي ذراع أمريكا اقتصادياً أو سياسياً أو حتى بالدعوة داخل أمريكا. المهم أن يتقوى المسلمون حضارياً قبل أن يدخلوا في مثل هذه المواجهة الخطيرة.

قلت: لو كنت أخي الكريم تتكلم من جهل وعدم متابعة ولا معرفة بالسياسات العالمية والمحلية الحديثة وعن عدم متابعة لنشاط القاعدة لعذرناك في كلامك هذا، لكني أجزم بأنك

على معرفة تامة بأن أمريكا وحلفائها لن يسمحوا أبداً ليس بدولة إسلامية بل حتى ببروز قوة إسلامية داخل أي دولة، وسياستهم معروفة بأنهم سيقمعون أي قوة قبل أن تظهر.

ثم هل تجهل تجربة الحركات الإسلامية خلال الخمسين سنة الماضية؟ هل تجهل ما حصل في السودان والجزائر وتركيا ومصر؟ ألا ترى أن استبعاد الجهاد يقوي كفة أعداء الإسلام لأن المال والإعلام والبطش بيدهم؟ ألا تكفي تجربة السنين الماضية لدحض حجتك وإثبات فشل مشروع الإسلام السياسي الذي يستثنى منه الجهاد؟

ثم لديك مشكلة في فهم آلية تشكل القوة.. القوة يا عزيزي تتشكل من خلال طريقتين الأولى: الحرب وعندما تنتصر في الحرب تمتلك قوة والمنتصرون في الحرب العالمية الثانية هم الذين أصبحوا يملكون القوة.

والثانية: أن يتبرع لك قوي بقوة من عنده، وبهذه الطريقة ستبقى قوتك مرتبطة بالقوي الذي تبرع لك بتلك القوة بسبب مصالحه، وقد علمنا يقيناً أن الغرب لا يسمح أبداً بتشكل قوة إسلامية ليست تحت سمعه وبصره أعني بحيث يديرها عملاؤه.

فقال: لكن الوقت جزء من الحل ولا بد من الصبر، وإذا لم تنجح المسألة في الخمسين سنة الماضية فيجب علينا أن لا نمل ولا نكل ونستمر نحاول.

لكن قل لي كيف تريد للقاعدة أن تواجه بدون دولة وبدون مقدرات مع عدو متمكن وقوي ونفوذه ممتد في كل العالم؟

فقلت: كيف تفكر يا أبا ياسر؟ يا أخي أولاً: ثبت أن القاعدة نجحت، وضربت وضربت وكررت الضربة وهي التي تبادر والأمريكان عليهم رد الفعل ولم تتأثر كوادرها بل تضخمت وكبرت. هذا الكلام لا يحتاج إثبات لأنه أمر حدث فعلاً ويمكننا رصد التطور كما ذكرت لك في ردي السابق.

ثانياً: المشكلة التي تعاني منها أنت وتيارك هي ذات المشكلة التي تخلصت منها القاعدة وقلبت الموزاين وأربكت أمريكا، وهي كونك تقيس وتفكر من خلال النمط الدارج في فهم القوة العسكرية والسياسية والاستراتيجية.

القاعدة لعبت لعبة جديدة تماماً خارجة عن كل قواعد اللعب المعروفة، ولا يستطيع الأمريكان ولا غيرهم تصورها لأنهم مثلك مبرمجون على الأسلوب التقليدي في حسابات القوة والضعف، ومن خلال هذه الحيلة حولت القاعدة قوة الأمريكان إلى أداة ضعف تعمل ضدهم، ومن هنا أصبحت القاعدة تتضخم وتزداد قوتها بعد كل ردة فعل أمريكية.

وأما مسألة تشكيل القاعدة لدولة، فثق تماماً أن القاعدة تسير في الطريق الطبيعي لإنشاء الدول، ولا بد أن تلاحظ أن مصير أمريكا الآن على كف عفريت وانتظار الضربة التالية، وإذا لم تستطع أمريكا الحسم بعد مرور سنة فيجب أن يكون ذهنك متفتحاً بشكل واسع لتقبل فكرة انهيار أمريكا إذا عاجلتها القاعدة بضربات جديدة.. وإذا انهارت أمريكا فهل لديك قدرة على تصور كيف سيكون وضع أحجار الشطرنج التي وضعها الغرب في بلاد المسلمين؟ أظنك لست محتاجا لمزيد من التفصيل أليس كذلك؟

فقال: أنت لا تفتأ تضخم القاعدة وكأنها قوة ملهمة عبقرية لا تخطئ، إلى متى نستمر في هذه المبالغات والتغني بقدرات القاعدة.

فقلت: أولاً: أنا لم أبالغ ولم أتغنى، كل ما قلته حصل ولا تستطيع أنت ولا غيرك نفي أن القاعدة بعد كل ردة فعل أمريكية وتواطؤ عالمي ضدها تأتي بضربة أكبر وأضخم من الأولى وتحظى بتأييد أوسع وأشمل من السابق.

ثانياً: الحديث عن قدرة القاعدة على التعامل مع أمريكا بأسلوب لا تحسن أمريكا التعامل معه ليس كلامي أنا، بل هو كلام استراتيجيين أمريكان أطلقوا على هذا التعبير الحرب غير المتوازية.

وقالوا إن أمريكا لن تعجزها أي قوة في الأرض بالمقاييس المعروفة، فقد تمكنت أمريكا عسكرياً واقتصادياً وسياسياً واستخباراتياً وإعلامياً بل وحتى في فنون الحرب النفسية، لكنها لا تحسن التعامل مع من يستخدم وسائل وأساليب غير معروفة للتجربة الأمريكية. وأطلقوا على هذا النوع من الحرب اسم الحرب غير المتوازية.

وقالوا في تقرير خاص إن هذه الحرب إذا لم يتمكنوا من احتوائها في الضربة الأولى، فستكون هناك نذر انكشاف في القوة الأمريكية واحتمال خسارة حقيقية لأمريكا في هذه الحرب.

صدقني هذا كلام حقيقي في تقرير رفع للرئيس الأمريكي كلينتون قبل أن ينصرف من الرئاسة وليس كلامي أنا.

أسلوب وسياسية واستراتيجية القاعدة تنطبق تماماً على هذا التوقع، ومن هنا نقول لك أن هذا هو الإعداد والقوة.

زم أبو ياسر شفتيه وقال: الغلو يا أخي الكريم وعين الرضا تجعلك تتحدث عن القاعدة بهذا الشكل، بل وصل الأمر ببعض الناس في الإنترنت أن صاروا يشنعون على أهل العلم ويتهمونهم في نياتهم ويصفونهم بالأوصاف البشعة، كل ذلك بسبب الغلو في القاعدة وابن لادن..

فقلت: مثل من يا أبا ياسر؟ فقال: مثل شخص في الإنترنت يرمز لاسمه بـ (لويس عطية الله) بلغ به الحد أن كتب موضوعاً يقول فيه (أسامة بن لادن ﷺ)، وطالب الناس أن يغسلوا أيديهم من شيوخ الصحوة، وكأنه يريد إسقاطهم!

حسناً إذا غسلنا أيدينا من هؤلاء الشيوخ الذين قدموا للدعوة ما قدموا وسجنوا في الله سنوات، فلمن نذهب؟ والمشكلة أن لديه من يطبل له ويصفق له!

ابتسمت ابتسامة عريضة وقلت له: أنا لويس عطية الله!!

علت ملامح الدهشة وجه أبي ياسر ولم ينطق بكلمة..

فقلت: نعم أنا لويس عطية الله، ويبدو أنك لا تقرأ لي جيداً، وإلا ما قلت ما قلت من كلام، فأنا لم أقل (ﷺ)، بل قلت (صلى الله على أسامة بن لادن).. وأنت يا أبا ياسر عربي وتفرق بين الجملتين، فالأولى قد عرفت بين أهل العلم كلفظ ملاصق لذكر النبي ﷺ، والثانية دعاء عادي يصح أن تقوله في حق أي مسلم!

وأما مسألة غسل اليدين من شيوخ الصحوة، فهذا مقتضى ما علمونا هم، فهؤلاء الشيوخ قد تنكبوا طريق الحق الذي أخذناه منهم سنوات طويلة، فإذا حادوا عن المنهج الذي ربونا عليه فلا خير فينا إذا لم نقل في وجوههم ارجعوا إلى الحق.

وأما مسألة إسقاطهم فهذه لا يقوله سوى من لديه خوف داخلي من خطأ يدرك أنه واقع فيه، ومن أنا حتى أسقط هؤلاء الشيوخ؟

وإذا سقطوا فلن يسقطوا بسبب كلامي، بل لأن الله تعالى قال لنا: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾..

سكت أبو ياسر، ثم قال لي وأثر الصدمة بادية على وجهه: كيف تثبت لي أنك فعلاً لويس عطية الله؟

فقلت: حسناً هذه المناظرة سوف أكتبها باسم لويس، وستراها بنفسك وتتأكد أن من كان يتحدث معك هو لويس عطية الله.

ثم سكت برهة وقلت: حسناً دعنا نتوقف الآن عن الحديث عني، ولنكمل حديثنا عن القاعدة.. ما رأيك في آخر كلام قلته؟

فقال أبو ياسر: كلامك الأخير يعني أن القاعدة لديها خطط مستقبلة أخرى وربما ضربات في داخل أمريكا، إذا كان زعمك بوجود استراتيجية صحيحاً فهل خططت القاعدة لطريقة ضبط الخطوات القادمة أو إنها فقط مسكونة بفكرة ضرب أمريكا ودفعها للغضب والانتقام من جديد؟

ألا تعتقد أن القاعدة إذا كانت فعلاً مستعدة بضربات أخرى أو برامج أخرى أنها ستدفع الأمريكان لحملات انتقام من المسلمين ربما يستخدم فيها السلاح النووي أو غيره؟

فقلت: أمريكا تنتقم ممّن؟ أين تضع قنبلتها النووية؟ الطالبان فيما يبدو للأمريكان انتهوا، بن لادن والقاعدة اختفوا، أين توضع هذه القنبلة؟ كيف تنتقم أمريكا؟ كل بلاد العالم متواطئة ومتعاونة معها، أين تنتقم؟ كابل؟ قندهار؟ كلها معاقل للجيش الأمريكي وحلفائه الآن؟.

قال: في أي مدينة إسلامية، في بريدة، في كراتشي، الأمريكان سيفقدون صوابهم بالكامل ويفكرون بطيش وجنون.

قلت: في البدء أنت جعلت أمريكا من أكثر دول العالم قدرة وتخطيطا وهيمنة، والآن تقول يفقدون صوابهم؟ ماذا سيجنون إن ضربوا مدينة إسلامية وبس؟ هل سيقضون على القاعدة وخطر القاعدة؟

يعني على الأقل في حملتهم الأخيرة رغم أنها في الجملة ليست في صالحهم، لكن لها مبرر منطقي أنها قضاء على الدولة التي تؤويهم ومطاردتهم داخل أفغانستان.

إما أن تعتبر الأمريكان أذكياء متمكنين قادرين كما وصفتهم أعلاه وبذلك لن يتصرفوا تصرفاً أرعن وجنوني مثل ضرب مدينة إسلامية، أو تتراجع عن كلامك أعلاه وتقول الأمريكان حفنة مجانين لا يعرفون السياسة ولا الاستراتيجية؟

فقال: قل لي أنت إذا ما الذي تعتقد إذاً سيحصل لو حصلت ضربة أخرى؟ وهل الضربة الأخرى فعلاً هي من برنامج القاعدة؟

أو دعنا نكون أكثر نظاماً في السؤال، ما هي خطط القاعدة المستقبلية؟ وكيف حسبتها على أساس ردود الفعل الأمريكية؟

ضحكت وقلت: أنا لا أستطيع أن أتحدث باسم القاعدة وأنبئ بخططها المستقبلية، لكن هناك كلام شبه أكيد عن ضربة كبيرة قادمة لأمريكا وربما أكبر من ضربة، وربما هناك عمليات في مناطق أخرى غير أمريكا.

لكن القاعدة يبدو لا ترغب أن تعمل شيئاً كبيراً إلى أن تظهر علامات تفكك وانهيار وهزيمة في أمريكا.

في نظري ستشعر أمريكا بشلل كامل لو حصلت ضربة أخرى وسيصاب الشعب الأمريكي بحالة من الإحباط الوطني الذي يشعرهم بأنهم مهزومون، وأن هذا العدو لا يصلح مواجهته بالقوة بل لا بد من الخضوع لمطالبه.

سيناريو آخر هو أن تبدأ جهات أمريكية بالتضايق من سياسة واشنطن وترفض تحمل تبعات تصرفات الحكومة ضد المسلمين.. خذ مثلاً كاليفورنيا تنتج ثلث الناتج القومي لأمريكا، لماذا تتحمل تبعات التصرفات السيئة لواشنطن في العالم الإسلامي؟ لن نستغرب إذا رأينا دعوات في كاليفورنيا بالانفصال أو حتى من جهات أخرى.

سيناريو آخر: أن يتشدد دعاة اليمين في أمريكا للتخلي عن الحريات والديموقراطية وتحويل ولاياتهم إلى ولايات عسكرية بحكم صارم لا يسمح باختراقات أمنية.. أمريكا سيسودها قطعاً حالة من الانهيار النفسي والاقتصادي والشك بذاتها، أوربا والجهات الداعمة لأمريكا ستنسحب خوفاً من أن تصبح هدف القاعدة القادم، الأنظمة الطاغوتية في البلاد الإسلامية ستكون في أضعف ما يمكن بسبب ضعف السيد الأول.

فقال: سبحان الله، تصرون على تضخيم نتائج ما تقوم به القاعدة ونحن نرى أمريكا امتصت ما حصل في سبتمبر وكأن شيئا لم يكن..

ثم ضحك أبو ياسر وأردف: كيف لا تستطيع أن تتحدث باسم القاعدة وأنت (صجّيتنا) كل يوم منزل مقال عن القاعدة؟

ابتسمت وقلت: كيف كأن شيئاً لم يكن؟ هل أذنك في صمم وعينك في عمى عما حصل للاقتصاد الأمريكي؟

ألا ترى حالة الشك والترقب عند الأمريكان والتي تسكتها الحكومة بالمزايدة على محاربة الإرهاب؟

أليست هذه مقدمات واضحة لاستقطاب كبير في المجتمع الأمريكي يخفيه مكارثية محاربة الإرهاب؟

قال: أنا لا أريد أن أظهر بمظهر الذي يدافع عن أمريكا، لكن أمريكا مجتمع ديموقراطي لديه مؤسسات راسخة تستطيع أن تتعامل مع تحديات من أي نوع، لأن العقلية الجماعية عندهم منظمة وتنظر للأمور نظراً علمياً مدروساً، ولا نظن أنهم سيصعب عليهم الصحوة بعد أي هجوم.

فقلت: والله شوف، أصلاً لم يحطم الأمريكان في تعاملهم مع ابن لادن إلا أنهم تُشل عندهم القدرة على التفكير الجماعي إذا استفزوا بالطريقة التي يمارسها تنظيم القاعدة.

لكن حتى لو افترضنا وحصل أن عادوا إلى رشدهم، فلن يكون لديهم خيار إلا التسليم وتنفيذ كل مطالب ابن لادن بطريقة الخائب الضعيف.. إيقاف دعم إسرائيل رفع الحصار عن العراق، سحب قواتهم من بلاد الحرمين والتخلي عن الطواغيت العرب.. ألا ترى هذا نصراً عظيماً للقاعدة؟

قال أبو ياسر: ومن منا يكره هزيمة أمريكا؟ يا رب..

فقلت: يا رب..

انتهى الحوار بهذه الطريقة.. ثم ابتسم أبو ياسر وقال لي مثل المتعجب: بالله أنت لويس عطية الله؟

فضحكت وقلت: نعم والله أنا هو..

وبعد لحظات صمت طويلة وتأمل قلت له على سبيل الدعابة: سيؤلفون كتباً عني هاه؟

فقال لماذا؟ ما هي إنجازاتك اللعينة.. قالها أبو ياسر وهو يضحك..

أخي القارئ.. ارجع لأول المناظرة لتقرأ جوابي على عبارة أبي ياسر الأخيرة..).

١٣- اغسلوا أيديكم منهم [١].

(كنت أظن أن زمن العنتريات قد ولى إلى غير رجعة حتى شاهدت برنامج بلا جدود[٢] البارحة.. نعم بلا جدود بالجيم.. ليس خطأ أنا أقصدها.. فالأبناء قد تخلوا بشكل واضح عن الجدود..

الجدود قاتلوا وحاربوا وغرر بهم وخدعوا من قبل الإنجليز وعملائهم.. فماذا فعلت أنت يا محسن؟ جئت وذكرتنا بهم.. ثم انتقدت من يسير على طريقتهم، ولكنه أذكى من أن يخدع.. أعني مجاهدي هذه الأيام الذين لم تنطل عليهم حيل أمريكا ولا وكلائها الذين قاموا بنفس الدور الذي قام به عبد العزيز مع الإخوان عندما خدعهم وقتلهم بمعونة الإنجليز، قام به فهد بن عبد العزيز مع الشيخ أسامة وأتباعه بمعونة الأمريكان، لكن بفضل الله لم يخدع الشيخ أسامة بل رفع سيف الجهاد فوق الأمريكان ومن يتبعهم.. ولله الحمد والمنة..

انتقد محسن العواجي بطريقة لئيمة للغاية نهج إمام المجاهدين الشيخ أسامة.. والله الموعد يا محسن العواجي.. ولن ينفعه إعلانه أنها تهم تتردد لأن مجرد ذكره لها تشويش وتزييف للحقيقة..

ما رأيت تزييفاً للوعي وتخديراً للأمة مثل الذي حدث البارحة..

---

[١] للكاتب لويس عطية الله.

[٢] يتكلم هذا المقال عن حلقة من حلقات برنامج بلا حدود على قناة الجزيرة والتي ظهر فيها العواجي والحوالي والحضيف!!!!.

محسن العواجي يهذي.. يتحدث عن المجاهدين ويمدحهم ويثني عليهم، ثم يقول ببراءة فاجرة . هناك ثلاث تهم لابن لادن: التكفير واستهداف بلاد المسلمين [١].. والثالثة نسيتها لأني أكره هذا الدجل الذي يمارس علينا باسم الإسلام وأمقته جداً..

حسناً يا محسن، إن كان ابن لادن كفّر فقد كفّر من يحكّم القوانين مفتي البلاد الشيخ ابن إبراهيم رحمه الله، ولو رجعت لكتب أئمة الدعوة لوجدتها طافحة بالتكفير لأفعال أهون بكثير مما نراه اليوم ونشاهده لتغيير وطمس لمعالم دين الله، فهل كان ابن لادن إلا نتاجاً لهذا المنهج الذي سار عليه أهلوكم في نجد؟

بل إن الإمام ابن عبد الوهاب عد من نواقض الإسلام التي اتفقت عليها الأمة قديماً وحديثاً موالاة أعداء الله من المشركين واليهود والنصارى.. ولا أدري ماذا نسمي ما يجري اليوم من فتح بلاد المسلمين لجيوش النصارى تعربد فيها كما تشاء وتحمي من نسميهم زورا وبهتانا ولاة الأمر..؟

هل يعتقد محسن العواجي أن منهج أئمة الدعوة منهج خاطئ حتى يلمز ابن لادن بالتكفير؟

إن محسن في الواقع يعلن أن المنهج الذي سار عليه جمع غفير من علماء نجد منهج تكفيري.. راجعوا كتب أئمة الدعوة واحكموا..

أما التهمة الأخرى فهي التي قال عنها الشاعر:

هل صح قول من الحاكي فنقبله أم أن ذاك أباطيل وأسمار
أما العقول فآلت أنه كذب والعقل غرس له بالصدق إثمار

---

[١] رددنا على هذه التهمة فيما مضى.

أين تتواجد جيوش الأمريكان يا محسن؟ في مدغشقر أم في بوركينا فاسو؟ أليس في بلاد المسلمين.. هل تريد حرباً يا محسن على طريقة البلاي ستيشن أو النينتندو؟

إذا كانت بلاد المسلمين محتلة من قبل الأمريكان ولهم ثلاث قواعد في الخليج كما ذكرت بنفسك، فكيف تريدنا أن ننقل المعركة إلى المريخ؟؟ كيف تفكر.؟ وكيف سيمكن إخراج هذه الجيوش الكافرة بغير حربها في بلاد المسلمين؟

يا ناس يا عقلاء.. الجيوش التي تحتل مكاناً لا توجد طريقة لإخراجها من ذلك المكان سوى بحربها فيه، أو بضرب مركز قوتها الرئيس حتى تسحب جيوشها، فإذا لم تسحبها فلا مناص من خوض تلك الحرب في الأرض المحتلة، وهذا ما فعله ابن لادن، ضرب مراكز القوى في أمريكا وقال لهم أخرجوا جيوشكم من أرض الحرمين، فلم يفعلوا بل شنوا حرباً عليه، فلا بد إذاً من حربهم داخل بلاد الحرمين حتى يخرجوا منها..

يا للعار.. يا للمصيبة.. يا الله أغث المسلمين وارزقهم شيوخا يعقلون..

ثم اعلم يا محسن، أن الشيخ أسامة قال في رسالته الشهيرة إن أي مال عام من أموال المسلمين أو مصلحة عامة لهم لا يجوز مهاجمته ولا تدميره، وأن الحرب لا تخاض سوى ضد الأمريكان، بل وصرح ابن لادن أن أي مسلم في الجيش [١] ليس عدواً للمجاهدين، فنكف عنه ولا نقاتله، بل هو أخ لنا ندعوه لنصرتنا في قتالنا ضد الأمريكان الكفار..

فلتخرس كل الألسنة التي تتكلم عن الشيخ وتفتري عليه..

المبكي أن كل المتصلين كانوا عناتر مزيفة.. وليس فيهم عنترة حقيقي البتة..

هذا الشيخ سفر يهدد ويتوعد أمريكا..

---

[١] سبق التنبيه على هذا.

حسناً يا شيخ سفر، كيف ستنفذ تهديدك ووعيدك لأمريكا وأنت لم تنطق كلمة واحدة تؤيد فيها المجاهدين في حربهم ضد أمريكا.. كيف تريد منا أن نصدق تهديدك لأمريكا وأنت لم تكتب كلمة في دعم وتأييد المجاهدين الحقيقيين الذين لا يوجد سواهم.. أعني الشيخ أسامة بن لادن ومن معه..

الموجع حقاً أن سفر يهدد أمريكا ويتوعدها أنها إذا اقتربت من بلاد الحرمين فسوف يفعل ويفعل.. حسناً يا سفر، ما الفرق بين بلاد الحرمين وفلسطين وأفغانستان؟ وما الفرق بين المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى ومسجد الشيخ حقاني الذي دمره الأمريكان فوق رؤوس المصلين في رمضان؟

وأين ذهب قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ المسَاجِدَ لِلَّهِ﴾؟

أم أننا سنقول.. لقد أخذته وطنيته؟

طيب يا سفر.. يعني أمريكا تضع آلاف القوات في بلاد الحرمين، وتنطلق منها الطائرات لضرب البلاد المسلمة، وتتحكم بسياسية البلد الداخلية والخارجية، وتسيطر على مقدارتها ونفطها، وترغم حكامها على مؤاخاة اليهود باسم شعب المملكة.. كل هذا لا يستوجب جهاداً وأنت لا تعتبر أننا في حرب مع أمريكا بسبب هذا؟

بالله عليك يا سفر.. هل تظن أن أمريكا إذا أرادت تقسيم بلدك ستقسمها باحتلال عسكري ظاهر؟

هؤلاء عملاؤها جاهزون يقسمونها حسب طلب الأمريكان..

إذا استطاعت تمشي سياسية الدولة على الملأ وتنتزع منها دعماً لكل مشاريعها وسياساتها بما في ذلك تغيير المناهج، فلماذا تحتاج لاحتلال من أجل أن تقسم؟

ثم ما هذه العنتريات على أمريكا من وراء الحدود؟

بإمكانكم أن تسموا رامسفيلد بالسفاح وأنتم أمام البيت الأبيض وتسبوا السياسية الأمريكية كلها وتقبحوها في رسالة تنشر في الصحف الأمريكية.

لماذا هذا الهروب من المسؤولية..

مستعد لدفع نصف عمري وفهم كيف يفكر هؤلاء الشيوخ.. عندما يرعدون ويزبدون تهديداً لأمريكا في مجالسهم تحت المكيفات وفوق الفرش الوثيرة، ثم لا يتجرأ أحدهم ويقول نحن مع ابن لادن..

من الذي يحارب أمريكا حقاً يا سفر ويا عواجي ويا حضيف؟؟

من الذي يجلس في الكهوف يتلقى القذائف والأسلحة الفتاكة كل يوم؟

من الذي يقلق أمريكا حقا ويجعلها تعيش رعباً؟

من الذي دمر رموز أمريكا الاقتصادية والعسكرية ومرغ كرامتها في التراب..؟

فعل ذلك والأمة كلها متخلية عنه، وكيف لا تتخلى عنه الأمة وفيها من يطرح التزييف والتخدير بجدارة واحتراف كما فعلتم في البرنامج..

أليس أسامة بن لادن ورجاله؟

لماذا إذا كنتم صادقين في تهديداتكم لأمريكا لماذا لم تنطقوا كلمة تأييد واحد في نصرة هذا الرجل الذي يحارب أمريكا حقا؟

أم أنكم تعودتم على الكلام، فلم يعد في حياتكم سوى الكلام.. وحتى الكلام الذي له قيمة بخلتم به علينا وقلتم كلاماً رخيصاً لا يعني في الواقع أي شيء سوى تهييج جماهيري وعاطفي لا فائدة منه..

قلت أني مستعد لدفع نصف عمري وفهم كيف يفكر الشيوخ.. والآن أنا مستعد لدفع النصف الآخر وفهم معنى عبارة محسن العواجي.. وهو المأخذ الثالث على ابن لادن وهو قوله: التهمة الثالثة أن ابن لادن يقتل الأبرياء وأن محسن ضد قتل الأبرياء في أي مكان..

حسناً يا محسن، أليس مليون طفل عراقي بريئا، فلماذا تقتلهم أمريكا وما زالت تقتلهم، وأين ذهب مبدأ العين بالعين والسن بالسن ومبدأ فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به؟؟

ومن هم الأبرياء الذين قتلوا في مركز التجارة؟ أليسوا تجار أمريكا الذين يجنون لها الأرباح لتقتل بها مسلمين؟ وماذا تقول عن ٤٥ أفغانياً بريئاً قتلوا الأسبوع الماضي على يد الأمريكان.. أليسوا أبرياء وتستحق أمريكا وشعبها الذي أخرج هؤلاء القتلة ألا يستحقون القتل أيضاً..؟

عنتريات جوفاء، وتخدير وتهييج فارغ للأمة بدون أي فكر مقنع ولا تصور صحيح لما يجري..

أمريكا ستقسم السعودية إلى ثلاث كانتونات.. حسناً ماذا ستفعلون؟

قلتم سنخوض حرباً ضدها؟ .. كيف ستخوضون؟ وليس فيكم من يعرف كيف يمسك المسدس فضلاً عن خوض الحرب؟

أم أنكم ستعتمدون على جيش ابن سعود الذي نصفه طباخين ونصفه الآخر مراسلين للشاي والقهوة؟

أليس بدلاً من هذه التهديدات الجوفاء.. أليس العقل والصواب أن تعلنوا صراحة أنكم تؤيدون ابن لادن..؟

صدقوني إن بوش كان يصاب بالإسهال عندما يسمع اسم ابن لادن يتردد في الأنباء، لكنه عندما يسمع هذا الكلام منكم وهذا التهديد الهرائي.. سوف يضرّط بفمه على كلامكم..

لكن لو سمع بوش أن شيوخ السعودية المهمين أعلنوا تأييدهم لابن لادن هنا سوف يضرط من مكان آخر وليس من فمه..

ما لكم كيف تحكمون؟؟ أم لكم كتاب فيه تدرسون غير القرآن الذي أمركم بجهاد الكفار بأموالكم وأنفسكم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون؟ بلى لا نريد جزية نريدهم أن ينقلعوا عن بلاد المسلمين، هذا أقصى ما نريد في الوقت الحالي ولن ينقلعوا إلا بقلعهم بالسلاح فهم كالحشرات التي لا تموت حتى ترش المكان بالمبيد..

واحر قلباه ممن قلبه شبم..!

يا رب متى سينتهي هذا التزييف وهذا الخداع..

هناك كلمة في آخر كلام الحضيف قالها وأعجبتني، عندما قال سنؤيد المجاهدين.. لكني لما أعدت سماع الشريط وقرنتها بما سبق من كلامه قلت وهذا أيضاً تهييج عاطفي لا يبدو مما سبق من كلام أن له حقيقة، وإلا لو كان الحضيف يعني ما يقول فليعلن تأييده للمجاهدين فوراً.. متى سيعلنه الحضيف إذا لم يعلنه الآن.. سينتظر إلى متى؟

إلى أن نرى رامسفيلد يعقد مؤتمراً صحفياً في الرياض يتحدث فيها عن آخر التطورات العسكرية على جبهة مكة، وعن قتلهم (فلول الإرهابيين) في حدود الحرم.!

شكراً يا عواجي على شتم رامسفيلد ووصفه بالسفاح.. لكن ذلك الشتم ليس له معنى إذا لم تعلن تأييدك للمجاهدين وعلى رأسهم الشيخ أسامة بن لادن وأمير المؤمنين الملا عمر.. لأنك إذا كنت تقصد حقاً إهانة رامسفيلد فلتعلن وقوفك مع الذين جعلوا رامسفيلد

يتبول في فراشه عندما ضربوا مقر وزارته البنتاغون.. هنا سوف يشعر رامسفيلد بالإهانة حقاً..

يا شباب المسلمين.. انتهى وقت الصمت والسكوت على هذا التزييف وهذا التزوير للحقائق..

اغسلوا أيديكم من هؤلاء الشيوخ والتزموا الشيوخ الذين أعلنوا تأييدهم للمجاهدين منذ بدء المعركة..

ليس لكم من أحد تثقون فيه بعد الآن سوى شيوخ الجهاد، وأعني بهم تلاميذ الشيخ الإمام سلطان العلماء الشيخ حمود العقلا رحمه الله... من أمثال هؤلاء الشيوخ نسأل الله لهم الثبات [١]..

وآخرون لا تحضرني أسماؤهم الآن، والعلامة التي تعرفونهم بها هي أنهم كتبوا أو قالوا يوماً كلاماً في نصرة المجاهدين.. هؤلاء الذين نثق بهم وهم رموزنا الجدد..

يا شباب الإسلام.. كل من وجد فرصة للالتحاق بصف المجاهدين مع الشيخ أسامة بن لادن فلا يتأخر طرفة عين وأنا أولكم إن شاء الله..).

---

[١] ذُكرَ هنا مجموعةٌ من المشايخ الفضلاء أحببت ألا تُكتب حتى لا نفجع في يوم من الأيام بتغير أحدهم فنقع في نفس المشكلة التي خرجنا منها الآن، ولذا أوصي جميع شباب الأمة بالاهتمام بكتاب ربهم وسنة نبيهم بفهم سلفهم، وأن يقتدوا بمن مات فإن الحي لا تؤمن عليه فتنة. نسأل الله الثبات.

١٤- قدرة القاعدة على امتصاص الضربات [١].

(إنها حرب.. وفي الحرب لا بد من وجود قتلى وأسرى وخونة.. ثم انتصارات..

القوة أو الجيش الذي لا يضع في استراتيجيته العسكرية وقتاً لدراسة كيفية تلقي الضربات وكيفية امتصاصها والتقليل من تأثيرها إلى أقل حد.. جيش لا يفعل ذلك لا يمكنه أن يستمر في الحرب..

كقائد أو مخطط عسكري أنت تتعامل مع مجموعة من العوامل والمؤثرات التي تؤثر على سير الحرب، منها قواتك التي تدخل بها المعركة.. أنت تتعامل مع بشر، والبشر يموتون وتفقد جهدهم في الحرب.. أو يؤسرون ويصبحون بيد العدو، والبشر تعتريهم حالات الضعف البشري، والخوف، والطمع في الدنيا.. والتي تسبب الخيانة في الغالب..

في حالة الحرب (غير المتوازية) التي تشنها القاعدة على أمريكا فإن العنصر الحاسم في النجاح هو في العناصر القتالية التي تخوض بها القاعدة هذه الحرب . . أنت لا تتفوق بالسلاح فعدوك يتفوق عليك فيه بما لا مجال لِلمقارنة، لكنك تتفوق بالرجال المؤمنين بالقضية التي تحارب من أجلها..

عندما يكون لديك قوات من نوعية (محمد عطا) رحمه الله وبقية السرية، فإن النجاح بتوفيق الله في الإثخان في العدو وتكبيده أفدح الخسائر شبه مضمون بحول الله وقوته.. مثقفون، أذكياء، أشداء، منضبطون جداً، حازمون.. شرح الله قلوبهم بالإيمان وغسلهم بنور المحبة، محبة الله ورسوله ونصر هذا الدين..

النتيجة.. حدث تغير وجه العالم بعده.. رغم أن عددهم لم يتجاوز عدد (شباب في رحلة لِلبر)..

---

[١] للكاتب عطية الله.

القاعدة بدون شك حركة عسكرية نشأت في الأصل كاستجابة طبيعية لهموم الأمة..

القاعدة حركة لم تأت من الخارج، بل أفرزتها مظالم الأمة في السنين المتطاولة، بحيث خرج هؤلاء الناس ليرفعوا بالإسلام رأساً بعد أن انخفض به الحكام والمفكرون والمصلحون وكثير من الإسلاميين..

هذا يعني أن القاعدة لن تعاني كثيراً في استقطاب الكثير من المخلصين الذين يحملون أرواحهم وأموالهم وكل ما يملكون على أكفهم ليقولوا للقاعدة: نحن معكم ماذا تريدون منا أن نفعل..

قبل ١١ سبتمبر بمدة لقيت رجلاً عامياً تركياً لكنه مؤمن.. وجلست مع أسرته المكونة من زوجة وبنتين وطفل.. تحدثنا وجاء الحديث عن أسامة بن لادن.. كانت أخبار تلك الأيام تتحدث عن تدمير المدمرة كول.. قال لي ذلك الرجل التركي العامي: إنني مستعد أن أفدي أسامة بن لادن بنفسي وبأسرتي هذه التي تراها أمامك..!

المقصود من هذه القصة أن هذا العامي الذي يحمل هموم أسرة كاملة مستعد للتضحية بتلك الأسرة وبنفسه في سبيل ابن لادن.. لماذا؟ لأنه يرى في أسامة بن لادن البطل الذي يمكنه بالأفعال تخليص أمة المسلمين من الظلم.. فما بالك بكثير من الشباب المسلم الذي لا يحمل مثل هذه الهموم التي تخلد بالإنسان إلى الأرض؟ كم من شباب الإسلام يحمل نفس الشعور، ويتمنى لو أن هناك معسكرات للقاعدة الآن ليتدربوا فيها، ويكونوا جنوداً من جنود قاعدة الإسلام؟

إذا كنت أخي القارئ من الذين أضاء نور الإيمان قلبك وحماك الله من لوثة النفاق، فلا أشك لحظة أنك اليوم من أشد الناس استعدادا لحمل السلاح والقتال إلى جانب تنظيم القاعدة..

إذاً نخرج من هذا كله بنتيجة مهمة للغاية، وهي أن تنظيم القاعدة حركة نفسية واجتماعية قبل أن تكون عسكرية، وهي المعبر الصادق عن هموم الأمة.. وهذه الحركة لم تصنع على عين الغرب، بل صنعت على عين الله عز وجل.. وخرجت من رحم الأمة الأصيل.. من بلاد الحرمين ومصر اليمن والعراق، والشام، منابع العزة والكرامة العربية.. نفس الأرض التي أخرجت الصحابة ليكونوا سادة العالم في فترة وجيزة تخرج مرة ثانية سادة جدد للعالم..

انتظروهم فعصرهم قد أوشك على البدء.. ولذا نعيد ثانية ألا خوف عليهم بإذن الله، وإن الله الذي حماهم من هذا التنين الكاسر أمريكا وأضحك الدنيا على ذلك التنين في تورا بورا وأناكوندا وحفظ قادتهم من الاستئصال.. سينصرهم ويعلي شأنهم قريبا بإذن الله.

ويوم أمس اعترفت النيويورك تايمز بوجود تنظيم ظل للقاعدة ناشطين على مستوى متوسط، وهم غير مرصودين.. ويمكن أن يشكلوا خطراً كبيراً على أمريكا.. هؤلاء هم مدد القاعدة.. ولعلكم سمعتم عن التنظيم الذي سمى نفسه في اليمن (المتعاطفون مع القاعدة)..

لكن ليس كل أيام القاعدة جميلة، فقد مرت القاعدة بمحن وضربات شدت عودها جداً.. جعلتها أصلب من ذي قبل.. والضربة التي لا تكسر الظهر تقويه.. مرت على القاعدة أيام صعبة، ولولا حفظ الله لهذه العصابة وأنه سبحانه يصنعهم على عينه لما بقي لهم قائمة.. بدءاً من الخيانات الداخلية من قبل بعض أقرب المقربين.. وانتهاء بالحرب الشاملة التي توجه لهم هذه الأيام..

أحد المقربين لابن لادن.. من أصهاره.. وكان يعرف الكثير عن ابن لادن وماذا يخطط ابن لادن.. باع القضية منذ سنوات، وكشف لأعداء الشيخ كل شيء تقريباً، فماذا كانت النتيجة؟ تجاوزها أبو عبد الله بفضل الله، ومرت الأمور على خير..

وخانه كذلك شخص كان طياراً مع الشيخ، ثم باع القضية، وتعاون مع الإف بي آي..

ثم شخص آخر كان مسؤولاً ماليا للشيخ أيضاً، ومسؤول عن بعض شركات الشيخ في السودان.. باع القضية أيضاً وتعاون مع إف بي آي، فماذا كانت النتيجة؟ لا شيء تجاوزها أبو عبد الله بفضل الله ومرت الأمور على خير..

وقد قرأت في جريدة الحياة قبل مدة قصة ذلك الطيار في أمريكا وكيف أنه أصبح مهملاً من الإف بي آي وأصبحت نظرة الآخرين له بالخيانة ملازمة لكل من عرفه..

شهدوا ضد مسلم لعدو كافر في الدنيا.. وستكتب شهادتهم ويسألون..

بعد تفجير نيروبي ودار السلام، ألقي القبض على (وديع الحاج) الذي قيل إنه السكرتير الشخصي لأبي عبد الله.. ماذا كانت النتيجة؟ لا شيء تجاوزها أبو عبد الله بفضل الله ومرت الأمور على خير.. ونفذت القاعدة ما هو أشد من نيروبي ودار السلام..

من المضحكات التي أتذكرها أنه بعد إلقاء القبض على وديع الحاج وبدء محاكمته في أمريكا مع ثلاثة من رجال القاعدة.. جلسنا في مجلس مع مجموعة من العوام وكان معنا شخص محب جداً للقاعدة ويدافع عنهم بشراسة، ثم جاءت سيرة المحاكمة في أمريكا لوديع الحاج والعوهلي وخلفان التنزاني، وكان أحد الموجودين يسخر بالقاعدة وابن لادن، وكان يقول اليوم يحاكمون عيال ابن لادن وغداً سوف ترى ابن لادن نفسه خلف القضبان في أمريكا.. كان مريضاً ومهزوماً نفسياً.. فغضب ذلك الرجل وقال له: أنت لا تعرف شيئاً.. ابن لادن أرسل رسالة تهديد للأمريكان وقال لهم إنكم إذا لم تطلقوا سراح الأربعة وحكمتم عليهم بالإعدام (كما كان يتردد في الصحف تلك الأيام) فإنني سوف أقتل ألف أمريكي مقابل كل رجل من رجالي.. بعد انتهاء المجلس أمسكت بذلك الشاب وقلت له من أين أتيت بهذا الخبر؟ قال من راسي.. بس نكاية بالمريض هذاك.. بعد شهرين أو ثلاثة قتلت القاعدة فعلاً أربعة آلاف أمريكي!!! قلت لذلك الشاب عندما لقيته ثانية.. سبحان الله إنك كذبت في نصرة القاعدة فصدقك الله..

رمزي يوسف.. فلان وفلان..

غرق أبو عبيدة البنشيري.. الذي كان القائد العسكري لتنظيم القاعدة قبل أبي حفص.. لم يفت في عضد تنظيم القاعدة..!

ذلك الرجل كان خطراً جداً على الأمريكان.. رحمه الله.. غرق في بحيرة فيكتوريا في أفريقيا..

مقتل أبو حفص المصري..

إنها كتائبٌ تتلو كتائباً، وأسود يخلفون أسوداً.. لذا لا يتأثرون إطلاقاً.. وهذا شيء عجيب فعلاً.. القاعدة شيء غير بشري.. تتشكل بطريقة غريبة.. عندما يموت قائد أو يُؤسر يخلفه قائد آخر فوراً.. ولا كأن شيئا حدث.. حتى إنك لتظن أن القاعدة عبارة عن مجموعة من القادة وليس فيهم جنود البتة.. كلهم قادة.. وكل فرد فيهم عبارة عن جيش بأكمله.. انظروا لعبد الله المهاجر.. خوسية باديلا.. إن صح ما يقوله الأمريكان عنه.. فهذا الرجل ليس بشراً وإنما هو في الواقع مدمرة إسلامية، أو غواصة نووية!!

الشيء الذي لا أستطيع فهمه بالنسبة للقاعدة، هو كيف أنها تعتمد بشكل أساسي على القدرات البشرية، وفي نفس الوقت عندما تختفي تلك القوة البشرية بالقتل أو الأسر أو الخيانة لا تتأثر ولا تضعف، بل تتحمل الضربة بمرونة عالية للغاية..

هناك سر في المسألة يفهمه كل مؤمن بالله ورسوله ويفهم قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾.

لذا يضحك مركز الدراسات على الأمريكان عندما كان يقول أمسكنا أبو زبيدة.. طيب الله يوفقكم.. مثل لهم أبو زبيدة مسرحية كاملة من الرعب منذ إلقاء القبض عليه.. سوف تدمر القاعدة تمثال الحرية.. بسرعة يا رامسفيلد وجه حاملة الطائرات لحماية تمثال الحرية!!

القاعدة سوف تضرب المكان الفلاني.. اجري يا رامسفيلد روح احمي المكان إياه..

لعبةٌ لا تنتهي.. والنتيجة خوفٌ وقلقٌ أمريكيٌ دائم.. حتى صار بوش مثل الراعي الكذاب الذي يحذر كل مرة.. الذئب الذئب.. فيهرع رامسفيلد بحثاً عن الذئب..

لكن في المرة القادمة التي سيأتي فيها الذئب فعلاً لن يتحرك رامسفيلد مثلما حدث في ١١ سبتمبر.. وسيهرب بوش مثلما كان جباناً في ١١ سبتمبر..

لن أطيل.. ما قصدته أن ما تقرؤونه وما تسمعونه عن القبض على مجموعة المغرب، أو القبض على عبد الله المهاجر.. أو القبض على المجموعة الفلانية.. أو ما يقوله الإعلام الأمريكي.. أحبطنا عشرات المحاولات من القاعدة.. هذا كله هراء كامل..

وهو بالدرجة الأولى يخدم القاعدة بشكل كبير جداً، لأنه يبقي زخم المعركة مرتفعاً والنفوس متوترة لأقصى حد.. ويحرم الاقتصاد الأمريكي من الخروج من أزمة الثقة التي تعصف به..

والحقيقة أن القاعدة أيضاً تفتعل بعض الأمور لتشتيت العقل الأمريكي..

تماماً مثلما فعلوا قبل ١١ سبتمبر، عندما مارسوا عملية تضليل وخداع واسعة جداً ونشروا الأخبار بطريقتهم الخاصة لكي يتوقع الأمريكان قرب وجود ضربة في مكان ما من الشرق الأوسط خاصة، ثم لما وقعت الضربة جاءت مفاجئة كالصاعقة..

اعترف بهذا أحد أقطاب السي آي إيه عندما قال لقد تعرضنا لعملية تضليل وخداع واسعة من القاعدة في أنحاء مختلفة من العالم لتوجيه تفكيرنا إلى حماية مصالحنا في الخارج، ثم جاءت الضربة مفاجئة في الداخل..

بهذا الأسلوب تعمل القاعدة.. ولذا أقول إن كل ما تقرؤونه عن عملية المغرب، وعن إلقاء القبض على مجموعة من القاعدة هناك.. في غالبه إما هراء مغربي لكسب العطف الأمريكي لحل قضية الصحراء الغربية، أو أنه عملية قاعدية المقصود منها بالدرجة الأولى إشغال الأمريكان عن الضربة الأهم والأخطر..

وإن فشلت تلك العملية التشتيتيه فإنها قد حققت بدون شك الحد الأدنى من الأهداف، وهو إبقاء وتيرة الحرب مرتفعة وبقاء الأمريكان في حالة المدافع دائماً، وإثبات أن القاعدة ستنجح في المرة القادمة.. تماماً مثل ١١ سبتمبر.. لا تنسوا أن مركز التجارة كان هدفاً لابن لادن ثلاث مرات تقريباً، أولها على يد رمزي يوسف [١]، ثم نجحت المحاولة الثالثة في ١١ سبتمبر..

إذاً فشل عملية لا يعني سوى التخطيط من جديد لتنفيذ عملية جديدة.. هذه هي القاعدة.. وهي تواجه الآن مصاعب كبيرة لكن سيتجاوزها أبو عبد الله بإذن الله.. وتنتهي الأمور إلى خير إن شاء الله تعالى).

---

[١] نقلتُ في أحد الوصايا الشيء الكثير عن رمزي يوسف وذلك في كتاب (تحريض المجاهدين الأبطال على إحياء سنة الاغتيال) وصية بعنوان نماذج مجاهدة في زمن الاستضعاف فاقتدوا بها، وهي في أصلها مقال لأبي عبيد القرشي بعنوان (ثعالب الإسلام).

١٥- دروس من التاريخ تأبى الدروس [١].

(في الوقت الذي كان شيوخنا يعلموننا فيه أن (الأشاعرة والماتريدية مبتدعة ضالون)، كان الشيخ أسامة بن لادن يعلم أتباعه البيع والشراء والتجارة!! لكن على طريقة عبد الرحمن بن عوف عندما باع القافلة بعشرة أضعاف الربح الذي عرضه التجار، التجارة مع الله، وكان أمير المؤمنين الملا محمد عمر يستعد لإلقاء محاضرة طويلة ومفتوحة ستبدأ في ١١ سبتمبر لتستمر إلى هذه اللحظة عنوانها (التوحيد، كمفهوم وتطبيقه عملياً في الحياة).

مرت الأيام ونحن نردد الماتريدية والأشاعرة مبتدعة ضلال، ونتغنى بأمجاد (التوحيد) وتصحيح العقيدة، إلى أن حدثت ١١ سبتمبر وتعلمنا دروساً جديدة لم نكن لنتعلمها لولا ١١ سبتمبر..

اكتشفنا فجأة، أن الموصوفين بأنهم ماتريدية أفهم منا بالتوحيد، اكتشفنا أن الإسلام أوسع مما كنا نظن، وتبين لنا أن هناك معان في التوحيد أهم بكثير من خلافاتنا حول توحيد الأسماء والصفات، اكتشفنا أن توحيد العبادة هو الأصل الذي يجب أن تدور عليه حياتنا، وتعلمنا الطريقة الصحيحة لفهم توحيد الأسماء والصفات..

علمتنا طالبان درساً مبدئياً عجزنا عن فهمه في البداية عندما دمرت بوذا، شكك الكثيرون في مقاصد طالبان من تدمير بوذا، وجهل كثيرون أن طالبان هدمت الأصنام مستندة على جبل التوحيد الشامخ الإمام حمود الشعيبي رحمه الله..

لا بأس طالب التوحيد المبتدئ يحتاج إلى جرعة عملية أكبر، جاءت ١١ سبتمبر فكانت المفاجأة الكبرى!!

محاضرة التوحيد العملي المجانية من الإمام المجاهد أمير المؤمنين الملا محمد عمر نصره الله..

---

[١] للكاتب لويس عطية الله.

لن نسلم مسلماً لكافر ولو انطبقت السماء على الأرض..

الله أقوى وأكبر من أمريكا وهو ناصرنا..

أمريكا لو فعلت ما فعلت فإننا معتصمون بحبل الله ونعتقد أن النصر من عند الله.

إني أنظر لوعدين، وعد الله ووعد بوش، ووعد الله حق، أما وعد بوش فزائل، ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا..

الله أكبر!!

وهكذا استمر الإمام محمد عمر في تعليمنا حقيقة التوحيد، بل وشرح لنا معنى توحيد الأسماء والصفات..

اعتدنا في دروسنا النظرية لتوحيد الأسماء والصفات أن نتقعر في تقرير مسائل نظرية ونردد بدون فهم (نؤمن بما وصف الله نفسه بدون تأويل أو تكييف أو تعطيل)، لكننا جهلنا حقاً المقصد الأساس من توحيد الأسماء والصفات، جهلنا ماذا يريد الله منا حينما يخبرنا أنه سبحانه هو القوي العزيز، وأنه العزيز الحكيم وأنه السميع البصير.

وجهلنا فيما جهلنا أننا يجب أن نفهم حقيقة مشاكل عصرنا، وأهمها على الإطلاق تركنا للجهاد، لكننا استحضرنا معارك ابن تيمية مع الأشعرية والماتريدية وجعلناها أولوياتنا بدلًا من أن نلتفت إلى أن مشكلة عصرنا الأولى هي أن الأمة قاطبة محتلة من الغرب وأن المعركة الأولى التي يجب أن نخوضها هي معركة الجهاد ضد المحتل..

وإذا كانت قضية التأويل والتعطيل أخذت حيزاً كبيراً عالجه ابن تيمية في عصره فلأنها كانت ضرورة في ذلك العصر، لكن ابن تيمية لم يجعلها قضيته الأولى لأنه عندما اقتضى الجهاد أن يجاهد التتار خرج على رأس الجيوش، فأين ابن تيمية من شيوخ هذا العصر الذين ما زالوا ينادون بتأخير مشروع الجهاد والالتفات إلى ما يسمونه زورا (الجهاد العام)؟؟

بل حتى على مبدأ من جعل (العقيدة) اهتمامه الأول جهلنا حقا كيف تكون العقيدة وظننا أن الحروب مع الأشعرية وغيرها من الفرق هي الأصل في حياتنا! ولم نهتم بكيفية تحقيق ما اختلفنا فيه مع الأشعرية في الأسماء والصفات.

إن توحيد الأسماء والصفات على طريقتنا لم يجعلنا أكثر من سوى نسخة محسنة من المستشرقين الذي يعرفون السنة أكثر منا ويخدمونها، لكنهم لا يؤمنون بالإسلام..

إنك حينما تقرر صفة (السمع) لله وتقول نؤمن بأن الله سميع كما يليق بجلاله وعظمته، لا ينفعك إذا لم يؤثر هذا الإيمان في سلوكك ويجعلك تراقب الله في كلامك.

والذي يؤمن بأن الله بصير، لا ينفعه أن يقول نؤمن به كما جاء دون تعطيل ولا تأويل ولا تكييف ولم يتمثل في أفعاله مراقبة الله واستحضاره بأن الله يسمعه ويسجل ما يقول..

والذين يقول بأن الله قوي، لن ينفعه تكلف العبارات إن كان عمليا يتصرف وكأن أمريكا أقوى من الله..

والذي يزعم بأن الله غني، لن ينفعه تكلف العبارات وهو يظن أن الرزق بيد... أو أن الرخاء العالمي يعتمد على أمريكا!!.

والذي يظن أن الله عليم، لن ينفعه تكلف العبارات وهو يبذل جهده كله لمصلحة نفسه ويبحث عن العبارات والمواقف التي ترضي الطاغوت..

فإذا كان المتهمون بالماتريدية قد تمثلوا الإيمان بصفات الله وأسمائه على الحقيقة وفكروا وتكلموا وفعلوا على أساس أن الله سميع بصير قدير قوي عزيز غني رزاق حكيم إليه المصير؛ فهم أهل التوحيد وهم الذين تمثل فيهم تحقيق معنى لا اله إلا الله، وليقل من شاء ما شاء، بل هم الذين حققوا معنى توحيد الأسماء والصفات بالذات رغم أنف من يتطاول عليهم من المتشدقين بالسلفية، وقد جهل أسماء الله وصفاته على الحقيقة حين خالفها في التمثل.

ثم هناك الاختبار الأخير والأصعب في مسألة الإيمان.. الذي يتجسد به التوحيد في أسمى صوره على الإطلاق، والذي ينكشف فيه المنافق كشفاً فاضحاً، وذلك في لحظة المواجهة الحقيقية في اختبار هل يقدم حظ النفس والمال أم يقدم مرضاة الله عليها.. بحيث يقرر الإنسان في لحظة هل يبيع نفسه لله أو لا يبيعها، ولا يمكن بحال أن يختار المرء أن يبيع نفسه لله إلا أن يكون موحداً مؤمناً يعلم أنه يخرج من الدار الدنيا إلى رضا الله مباشرة.. هذا اليقين هو الذي تمثله عمير بن الحمام حين استبطأ المسألة ورأى أن بضع دقائق يأكل بها التمرات حياة طويلة في شقاء الدنيا وتأخر عن نعيم الآخرة ورضا الله.. يا رسول الله ليس بيني وبين ذلك إلا أن آكل هذه التمرات؟ إنها لحياة طويلة!!!

الذي يقرر أن يبيع نفسه وماله واسمه ومهجته وقلبه في سبيل الله هو الذي وصل إلى تحقيق التوحيد، فكيف بمن يفرط بدولة كاملة تحت يديه من أجل رضا الله ..!

هذا هو أمير المؤمنين الملا عمر، وهذا درسه المجاني في حقيقة التوحيد.. لقد كانت أياماً عصيبة، حين جمع خمسة الآف من علماء أفغانستان وطلب منهم المشورة في مسألة الشيخ أسامة بن لادن.. طبعاً لم يكن مطروحاً البتة تسليم ابن لادن لكن الخلاف حول هل يبقى أم يطلب منه أن يغادر أفغانستان.. أتذكر أيام اجتماعات علماء الطالبان، كانت ثلاثة أيام من أصعب الأيام على المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها، كنا نخشى أن يصدر شيء يسوء أهل الإيمان في كل مكان، لكن بحمد الله تجاوزنا المحنة وصدرت توصية الشيوخ لا تلزم الملا بشيء، ولذا اختار الملا بقاء الشيخ أسامة في أفغانستان.. وكان يراجع الملا الإمام مجموعة من الناس يطلبون منه أن يطرد الشيخ فكان يرد عليهم ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

سجل يا تاريخ..

شخصياً أعتقد أنه لم يقف مسلم بعد أبي بكر رضي الله في مثل الموقف الذي وقف فيه الملا، ونجح الملا بدرجة الامتياز مع مرتبة الشرف الأولى بدون منازع في هذا الامتحان

العسير.. لم يسجل في التاريخ أبداً أن دولة كاملة أزيلت بسبب رجل، سجل التاريخ حكاماً يتنازلون عن الحكم لأسباب مختلفة أما أن تزول دولة كاملة بسبب موقفها من رجل واحد فهذا لم يحصل قط، واسألوا إن شئتم الأستاذ المؤرخ بشير نافع..

لماذا وقف الملا هذا الموقف؟ هذا درس مجاني في التوحيد من الملا علمه للأمة قاطبة، مجاني بالنسبة لنا للأسف الشديد لكنه كلف الملا دولة طالبان..

هل الملا عمر هو الوحيد في طالبان الذي يعطينا الدروس المجانية؟ كلا البتة، كلهم أساتذة في التوحيد..

الإمام عبد السلام ضعيف سئل بعد سقوط طالبان وقيل له: هل تشعرون بالندم بسبب موقفكم؟.

قال بكل ثبات وطمأنينة: لا لقد فعلنا مقتضى ما جاء في ديننا، وفعلنا كل ما بوسعنا، ولو قدر لنا أن تعاد الأحداث ثانية لما تغير موقفنا أبداً، هذا هو التوحيد أيها المتشدقون بالتوحيد والعقيدة!

وهؤلاء هم الناس الذي يستحقون بكل جدارة لقب (إمام)، لأن الإمامة في الدين إنما تنال بالصبر واليقين، وهؤلاء القوم كانوا صابرين ومستيقنين والله حسيبهم..

أحد الشيوخ الظرفاء كان يقول لي أيام الأحداث السابقة مازحاً: سأتوقف عن شرح كتاب العقيدة الطحاوية، وأستبدله بكتاب (شرح العقائد النسفية) وهو الكتاب الذي تدرسه طالبان في مدارسها.. هذا كله مزاح وإلا فإننا بحمد الله سلفيون في الأسماء والصفات، لكن طالبان أعطتنا درساً في كيفية التعامل مع مسائل الخلاف التي يسوغ فيها الخلاف، وأن يكون ولاؤنا وبراؤنا في الله مقترناً بالتوحيد وأصل التوحيد الذي هو توحيد العبادة..

وأصبحنا نحن الذين كنا نبدع الأشاعرة والماتريدية في مجالسنا نردد في المجالس نفسها (طالبان لا يحبها إلا مؤمن ولا يبغضها إلا منافق أو كافر بطبيعة الحال)..

إنها دروس عملية ومفارقات عجيبة يقيم الله بها الحجة على عباده، ففي الوقت الذي نرى ذلك الشيخ الذي كتب أمام اسمه (معالي فضيلة الأستاذ الشيخ الدكتور)، نراه يقف إجلالاً وتعظيماً أمام الطاغوت المبدل لشرع الله المستحل للربا الموالي لأعداء الله من يهود وأمريكان، ليمدحه ويثني عليه.

ثم نرى ذلك الشيخ يكتب في طالبان بياناً يفصل فيه عقيدتهم، ويقول إنهم ماتريدية في الأسماء والصفات، وينسى ذلك الشيخ نفسه ليجعلنا نتساءل ونقول في أنفسنا: وبماذا سنصف عقيدتك عندما نراك تزكي الطاغوت وتسبغ عليه من صفات التقديس ما هو كذب أصلاً عندما تزعم أنه أفضل من يطبق الإسلام في هذا العصر وتمدح مبادرة الإخاء مع اليهود!!

في هذا الوقت نفسه نرى من قيل عنهم أنهم ماتريدية في عقيدتهم خلل نراهم يقولون للكفار الأمريكان الذين هم أسياد ذلك الطاغوت الصغير الذي يمدحه ذلك الشيخ المسكين، يقولون لا بملء أفواههم ويقولون لن نسلم مسلماً لكم ولو انطبقت السماء على الأرض!

أليس هذا درساً عملياً لنا لنعرف من الموحد من غير الموحد؟ ومن هو على ملة إبراهيم عليه السلام ومن هو على ملة (بلعام بن باعوراء؟).

لا تستعجلوا الدروس لم تنته بعد..

فالشيخ أسامة بن لادن ومن معه من رجال القاعدة يعطوننا دروساً عملية لا تتوقف في كيفية تحقيق التوحيد في النفوس وفي الحياة، وكيف يقف أحدهم وهو الإمام أحمد الحزنوي رحمه الله، ليعلمنا كيف تكون التضحية والفداء في سبيل الله، وكيف يطبق هؤلاء القوم عملياً

وصف الله للمؤمنين عندما يقول سبحانه: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾.

أي شعور سيصيبك أيها المسلم عندما تسمع أحمد الحزنوي رحمه الله يقول قبل ١١ سبتمبر بأشهر (اللهم خذ من دمائنا حتى ترضى) ثم تعلم أنه ضحى بنفسه في سبيل الله، وتراه وقد ركب الطائرة ليدك صروح الكفر بجسده الطائر مع إخوانه من المجاهدين، أي صدق في العهد أبلغ من هذا الصدق، وأي أساتذة في فن التوحيد هؤلاء الرجال، نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحدا.

اللهم إن عبادك المجاهدين قد بذلوا كل ما لديهم ابتغاء مرضاتك وإيماناً بك وبنبيك ﷺ، اللهم أتمم لهم جهادهم، وأفرغ عليهم صبراً، وأنزل عليهم رحمتك، واخسف بعدوهم وأنزل عليه سخطك وبأسك الذي لا يرد، اللهم انصرهم في الحياة وأثلج صدورهم برؤية دمار وهلاك عدوك وعدوهم يا رب).

١٦ - الخيار الاستراتيجي والتاريخي لمشايخ الصحوة [١].

(في نقاش مع أحد شيوخ الصحوة من قيادات الصف الثاني.. قال لي: إن أمريكا تهاجم السعودية الآن وتنوي تقسيمها، ولذا سنجد أنفسنا مضطرين للتحالف مع ابن سعود لرد هذه المخططات.. قلت للشيخ ... هذا تسطيح وتصوير مخادع للقضية..

فأولاً: أنت تعرف أن ابن سعود لم يكن يوماً عدواً لأمريكا، وعندما غضبت أمريكا على ابن سعود بسبب أن خمسة عشر من منفذي ١١ سبتمبر سعوديون (هم في الأصل أبناء الجزيرة، ولا يستسيغون هذه التسمية لأنها قمة في التبعية لهذه الأسرة المقيتة أهلكها الله) ذهب ابن سعود لأمريكا وقبل أحذية الأمريكان في تكساس حتى يصفحوا عنه وتعهد بأن يتبرع لهم بنصف مليون برميل مجاناً يومياً مع تخفيض الأسعار في الباقي.. وما زال يقدم القربان تلو القربان.. هذا أولاً.

وثانياً: فإن ابن سعود والأمريكان في الواقع أعداء لمسلمين مجاهدين اسمهم تنظيم القاعدة ويرأسهم مجاهد كبير لم نعرف عنه إلا الإخلاص والجهاد والبذل في سبيل الله.. وعلى كلامك فإنك تطلب التحالف مع منافقين تاريخهم أسود من النفاق والطغيان.. هم أتباع أصلًا لكفار شقر الجباه وزرق العيون كان اسمهم الإنجليز يوماً ثم صاروا الأمريكان، ضد مسلمين لم تعرف عنهم سوى صدقهم في الجهاد في سبيل الله.

قال صاحبي: أخرج تنظيم القاعدة من القضية..

قلت: كيف تخرجه وقد أعلن ابن سعود بالعداء لكل أعضاء القاعدة تبعاً لأوامر أمريكا الآمرة لكل البشر بمعاداة تنظيم القاعدة..

---

[١] للكاتب لويس عطية الله.

وإنك على فرض أنك عاديت أمريكا حقاً فإنك ستجد ابن سعود يطعنك في ظهرك إذا تمكنت له الأمور.. كما طعن الإخوان في السبلة وكما طعن غيرهم.. فأنت وكل الشيوخ الذين يفكرون بهذه الطريقة ستكونون كبش فداء في عداء مزعوم لم يكن له نصيب من الواقع أبداً..

وعلى فرض صحة كلامك، فإن أمريكا إذا قررت البطش بابن سعود فستبطش بكم أولًا قبل أن تتخلص من ابن سعود، وإذا قررت أمريكا أن تتخلص من ابن سعود وتقسم البلاد فلن يقف بوجهها ابن سعود أبداً.. ولك في تجربة آل سعود في حرب الخليج عبرة عندما جهزوا ستاً وثلاثين طائرة لنقل أبنائهم ومن يعز عليهم خارج البلاد إذا ساءت الأمور ووصلت لحد دخول جيوش صدام للبلاد..

بهذا التسطيح وبهذا التزييف والخداع يطرح بعض مشايخ الصحوة الذين وثقنا بهم قضية العداء لأمريكا وتقسيم البلد..

سبحان الله.. لقد كنت عرضت عمري كله لأفهم كيف يفكر هؤلاء، والآن أدفع عمري وعمر أخي الأصغر لأفهم كيف أصبح ابن سعود الذي نال أرفع الأوسمة في الولاء لبني الأصفر، كيف أصبح درعاً للأمة في مواجهة أمريكا وكيف يقدم لنا كحليف استراتيجي في مواجهة أمريكا، وهو الذي لم يستمر في الحكم سوى لأن شريان حياته يمتد من واشنطن..

ما فاتني أن أقوله لذلك الشيخ وأجد الفرصة الآن لقوله بعدما شاهدنا مهزلة قناة الجزيرة يوم الأربعاء الماضي في برنامج (بلا حدود)..

إن من يقول هذا الكلام في نظري أحد رجلين: إما ساذج سياسياً جاهل تاريخياً قابل للاستغفال، أو عارف بموقعه وواجبه ومسؤوليته وعارف مع من يجب أن يكون الحلف الاستراتيجي لكنه أضعف من أن يتحمل هذه المسؤولية وأضعف من أن يعترف حتى لنفسه هو أنه عاجز فيمارس الخداع بشعور أو بلا شعور حتى يتخلص من هذه المسؤولية.

وعليه فإننا يجب أن نقول لمشايخ الصحوة: سنتغاضى عن انكشاف حقيقة علمكم (بالسياسة) أو تحايلكم على المسؤولية، وسنتكلم معكم بالسياسة ونضرب مثالاً عملياً حتى تقتنعوا أنكم لا تحسنون من السياسة سوى أبا جاد..

في أي بلد محتل في الدنيا هناك ظاهرة تحدث دوماً بشكل طبيعي.. تخرج حركة مسلحة تسمى (المقاومة المسلحة للاحتلال) هذه المقاومة يستفيد منها مفكرو البلد والمثقفون في ترتيب المطالب.. بحيث عندما يقتنع الخصم المحتل من خلال الضربات العسكرية التي توجهها له المقاومة أنه حان الوقت ليستمع لمطالب المقاومة ويبدأ بالسعي لمعرفتها يجلس معهم للتفاوض.. والعسكريون عادة لا يحسنون الحديث والتفاوض، ولذا يقوم بتمثيلهم المثقفون والمفكرون في المفاوضات مع المحتل، ويسمع المحتل من المفكرين والمثقفين ماذا تريد حركة المقاومة وما هي مطالبها.. فيكونون هم الواجهة الفكرية لحركة المقاومة المسلحة.. هذا يحدث في كل بلد، ولو تابعتم تواريخ الثورات في جميع البلدان لوجدتم جهة فكرية تتبنى أن تكون واجهة للحركة المسلحة.. هذا ما يحدث عادة.. فما الذي حدث في الأحداث الأخيرة؟.

للأسف الشديد لم يعرف مشايخ صحوتنا الدور الذي كان يفترض أن يقوموا به حينما يتبنون فكرياً حركة الشيخ أسامة بن لادن ويطرحون أنفسهم جزءاً من القضية باعتبارهم المفكرين والطليعة الثقافية التي سيمكنها أن تشرح وتوضح للعدو ما هي مطالب بن لادن والأمة.. فهذه الشريحة من شيوخ الصحوة كانت مرشحة بشكل مذهل لهذا الدور، فهي شريحة قد عرف عنها صدق وجهاد سابق إبان حرب الخليج الثانية ولذا وثق فيها كل الناس بمن فيهم الجهاديون.. بدلاً من ذلك قام هؤلاء الشيوخ بطرح أنفسهم بشكل مستقل عن المجاهدين وخطؤوا المجاهدين بشكل يسقطهم فوراً من القضية.. وبدلاً من أن يتقووا بالمجاهدين أضعفوا أنفسهم وأضعفوا المجاهدين.. ولذا لمن لم يفهم حتى الآن لماذا تجرأ عبد الله بن عبد العزيز ورمى بعرض الحائط كل الاتفاقيات السابقة مع العلماء في مسألة رئاسة تعليم البنات، وتجرأ واحتقر الأمة بمصارحته للصيهوني فريدمان بنيته مؤاخاة اليهود، نقول لمن لم يفهم لماذا فعل عبد الله ذلك نقول ببساطة لأن عبد الله ومن وراءه من العلمانيين

أحسوا بأن مشايخ الصحوة أضعف من أن يشكلوا خطراً عليهم.. فهم قد تخلوا عن الحركة الجهادية، وهم في نفس الوقت مستقلين عن العلماء الرسميين، فلم يعد هناك بعبع يخيف آل سعود اسمه (مشايخ الصحوة)..

حسناً هل فات الوقت على مشايخ الصحوة الآن؟.

لا لم يفت الوقت بعد.. نحن لا نطالب مشايخ الصحوة أن يتحولوا ناطقين رسميين لابن لادن ولا أن تصبح مجالسهم مكاتب لتجنيد الناس للقاعدة، فهذا فيه من المحاذير المقبولة عرفاً ونظراً ما فيه، لكننا نطالبهم وبكل ثقة بأن يصبحوا واجهة للفكر الذي يمثل المدرسة النبوية الحقيقية في هذا الزمان وهو الفكر الجهادي.

لم يعد هناك خيار أمام الناس الآن بعد أن جيشت أمريكا العالم وراءها ولبست لأمة الحرب وجاءت بقضها وقضيضها لحرب الإسلام، بحيث تميزت الفساطيط وأصبحت الدنيا فسطاطين فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط كفر ونفاق لا إيمان فيه، وما لم يقف المشايخ بشكل واضح وصريح مع الفكر الجهادي والتنظير الجهادي فسيجدون أنفسهم شاؤوا أم أبوا مع الصف المعادي للجهاد.

ربما يقول قائل: إن الشيخ فلان لو أعلن ذلك فسوف يعاد للسجن.. فأقول: أو يقتل.. فيقال: إن قتل فلن يكون خيراً من حمزة، بل سيكون مثل حمزة، ((ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله))!

وقد قتل حمزة وغيره من الصحابة ووصلنا القرآن كما نزل على محمد.. ولن يضيع الإسلام بموت فلان، بل سيكون موته شهادة في سبيل الله ولا أشرف من هكذا موتة..

وأما السجن.. فلن يستطيع ابن سعود سجن أحد لو كان هذا خيار استراتيجي لكل مشايخ الصحوة.. ابن سعود في وضع لا يحتمل فيه أبداً أن يزج بعشرات من الشيوخ في السجن هل تدرون لماذا؟ لأن هذه الفرصة التي ينتظرها تنظيم القاعدة على أحر من الجمر..

فهذا التنظيم يتمنى أن يخطئ آل سعود مرة أخرى ويسجن الشيوخ الكبار ليقوم بعدها بتحويل الرياض إلى جهنم حمراء.. تنظيم القاعدة على رغم تخلي الشيوخ عنهم إلا أنهم رجال أوفياء، وهم ينتظرون أن يخطئ النظام ثانية ليقوموا بتأديبه، وسيجدون المبرر الذي لن يجرؤ أحد على تخطئتهم فيه..

وحسب معلومات قديمة فإنه عندما سجن الشيوخ سفر وسلمان والعمر في المرة الأولى كانت هناك اجتماعات ومشاورات بين عدد من الجهاديين لدرس الرد على هذه الخطوة من النظام السعودي واختلفوا وقتها، لكن الشيء المؤكد الذي اتفقوا عليه هو توصيل رسالة لنايف مفادها أن أي ضرر يحصل لهؤلاء الشيوخ يعني أننا سنحرق القصور التي تسكنونها ولن تنفعكم أمريكا ولا غير أمريكا.. هذا الكلام قبل أن يتشكل تنظيم القاعدة بصورته الحالية، فكيف سيكون تصرف تنظيم القاعدة الآن لو أخطأ ابن سعود؟ .. لا تنسوا حجم القوة والخبرة التي اكتسبها تنظيم القاعدة من خلال حربه المباشرة مع الأمريكان..

إن الجهاديين وبرغم ما يقال عنهم إلا أنهم يحملون قلوباً كبيرة محبة لله ورسوله ولكل من يرفع راية لا إله إلا الله.. ولذا ينسون الإساءة من أي أحد ويتذكرون أن من كان في عون أخيه كان الله في عونه.. ولذا هم يشكلون صمام أمان لكثير من قضايا الأمة.. ومن مصلحة شيوخ الصحوة على المدى القريب والبعيد أن يقوموا بدعم وتقوية تيار وحركة القاعدة، لأن القاعدة ستكون الذراع الضاربة التي سيتقوى بها الشيوخ أولاً من حيث أن أي عدو يريد النيل من شيوخ الصحوة سيفكر أولاً في أن القاعدة ستنتقم منه فلن يجرؤ على مجرد التفكير بذلك.. وفي نفس الوقت فإن دعم هؤلاء الشيوخ للقاعدة تقوية لها بشكل كبير من حيث أنه في هذه الحالة تتوحد المواقف ويتكون لأهل السنة كيان موحد لأول مرة يعمل بشكلين فكري وعسكري، وهو إن لم يتموضع بشكل دولة واقعية لكنه سيكون موجود افتراضياً وسيمكنه فرض ما يريد بالقوة.. قوة القاعدة العسكرية وقوة شيوخ الصحوة العلمية..

عملياً رجال القاعدة سيرحبون بهذه الخطوة من الشيوخ، والمشكلة ستبقى من شيوخ الصحوة والذين أرجو أن يتخلصوا من الأوهام التي تحيط بهم ويضعوا أيديهم في أيدي إخوانهم من شباب القاعدة.. فبهذه الطريقة سيتوحد الجميع خلف الأهداف الشرعية الكبرى التي جميعنا نتمناها، والتي من أولها أننا بالتوحد سنخرج الأمريكان من جزيرة العرب وسيضعف كل عدو للمسلمين عندما يرى هذا التحالف.

لكننا أمام هذا الطرح نستبعد أن يكون الإقناع والمنطق سبباً في تغيير تصرف مشايخ الصحوة، فالذي لم يطمئنه وعد الله بالجنة والسلامة لمن أدى الأمانة، ولم يخوفه نذير الله بخطر التفريط بالأمانة؛ لن نستطيع أن نطمئنه نحن بضمانات بالسلامة وإقناع بزوال الخطر.. المسألة هزيمة نفسية يصعب انتزاع الإنسان منها..

ثم إننا حين نقول إنها فرصة لهم، فإننا لا نريد أن نكرر كلام بعض السذج من المفكرين المسلمين الذين يقولون دعوا الناس يجربون الإسلام بعد تجارب اليمين واليسار، لأننا نعلم أن المسألة ليست تجربة بل هي مقتضيات نصوص الشريعة، والتي يعني الأخذ بها توفر العزيمة والقناعة وتشرب المسؤولية واليقين بوعد الله، وإنما نسوقها هذا السياق حتى نقيم الحجة أمام الناس فقط.

أخيراً: نهمس في أذهان هؤلاء، أن الدين منصور وراية الله مرفوعة بعز عزيز أو بذل ذليل ولن تقف الدعوة عند أعتاب أبوابهم تنتظرهم، ولن تتعطل المسيرة من أجل تقاعسهم، بل لقد أمِر أمرُ الجهاد وفار التنور ودار دولاب التغيير العالمي الكبير ولن يطول الزمن حتى يسجل التاريخ من كان في أي فسطاط).

١٧- الفاروق أسامة بن لادن [١].

(أياً كانت التفاصيل والخبايا، فإن ما حدث يوم ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ قد شكل علامة فارقة في التاريخ.. لن يعود بعدها إلى ما كان قبلها أبداً.. علامة فارقة ميزت الخبيث من الطيب، وفصلت فسطاط الكفر عن فسطاط الإيمان ووضعتهما في المواجهة، وهي مواجهة ليس لها إلا نتيجة حتمية وحيدة: هي انتصار الإسلام، ولست أدري كيف لا يرى عميان البصيرة ما نرى.

لقد قضى أسامة بن لادن رضي الله عنه على قرون من التزوير والكذب وخفاء المؤامرات وكشف كل شي ليعجل بالإعلان عن حرب لم تتوقف يوماً واحداً طيلة ألف عام.. حرب كانت فتراتها غير المعلنة لا تقل خطورة عن فتراتها المعلنة.. والأخطر أن الأولى كانت دائماً تمهيداً للثانية.

قضى أسامة بن لادن على كل ذلك، وفجر في العلن أحقادهم فأنطقهم بما حرصوا دائماً على إخفائه، ليثبت أن العالم الغربي لم يعد لديه ما يعطيه للبشرية من القيم، بل الذي لم يعد لديه ما يُقنع العالم ولا حتى ضميره باستحقاقه للوجود، بعدما انتهت الديمقراطية وكل فلسفاته وادعاءات حقوق الإنسان فيه إلى ما يشبه الإفلاس..

نعم.. عجّل أسامة بن لادن رضى الله عنه بالمواجهة مهدداً قيادة الرجل الغربي للبشرية ومنذراً أنها أوشكت على الزوال.. لا لأن الحضارة الغربية قد أفلست ماديًا أو ضعفت من ناحية القوة الاقتصادية والعسكرية، ولكن لأن النظام الغربي قد انتهى دوره لأنه لم يعد يملك رصيداً من القيم يسمح له بالقيادة.

---

[١] للدكتور محمد عباس.

وكشف أسامة بن لادن عن حقيقة كانت موجودة دائماً، لكن الغرب وعملاءه من المستغربين في بلادنا طالما أهالوا عليها التراب.. حقيقة أن الناس في كل نظام غير النظام الإسلامي، يعبد بعضهم بعضًا – في صورة من الصور –، وفي المنهج الإسلامي وحده يتحرر الناس جميعًا من عبادة بعضهم البعض، بعبادة الله وحده، والتلقي من الله وحده، والخضوع لله وحده.

بضربة عبقرية أسقط أسامة بن لادن قلعة ظل الشيطان يبنيها ويزينها ألف عام.. سقط التشريع البشري كله.. نعم سقط وهم التشريع البشري كله، والسفاح الغبي جورج بوش وخلفه الغرب الصليبي الصهيوني يتقدم لالتهام العالم الإسلامي كغنيمة حرب.. وهو في حماقته، يشبه من يتقدم من لغم شديد الخطورة شديد الانفجار، على وهم أن عبوة هذا اللغم من المتفجرات فاسدة، وأنه لن ينفجر أبداً، فإذا في وهمه هذا هلاكه.

سقط وهم التشريع البشري كله وعلم من لم يكن يعلم لماذا يحاربون الإسلام والإيمان و (لا إله إلا الله).

سقط وهم التشريع البشري كله ونحن نشاهد كيف اتفق الكافرون مع حكام المسلمين على حرب الإسلام ومحاولة خنقه.. يحاربون الإسلام والإيمان و (لا إله إلا الله).

كانوا – وكان كل أسلافهم من الكفار والمنافقين – يعرفون أن توحيد الألوهية وإفراد الله سبحانه بها، معناه نزع السلطان الذي يزاوله الكهان ومشيخة القبائل والأمراء والحكام والأكاسرة والأباطرة والملوك والرؤساء والأمراء، ورده كله إلى الله.. السلطان على الضمائر، والسلطان على الشعائر، والسلطان على واقعيات الحياة، والسلطان في المال، والسلطان في القضاء، والسلطان في الأرواح والأبدان.. كانوا يعلمون أن (لا إله إلا الله) ثورة على السلطان الأرضي الذي يغتصب أولى خصائص الألوهية، وثورة على الأوضاع التي تقوم على قاعدة

من هذا الاغتصاب، وخروج على السلطات التي تحكم بشريعة من عندها لم يأذن بها الله.. نعم.. كانوا يعرفون المدلول الحقيقي لدعوة (لا إله إلا الله) ماذا تعني هذه الدعوة بالنسبة لأوضاعهم ورياساتهم وسلطانهم، ومن ثم استقبلوا هذه الدعوة – دائماً – ذلك الاستقبال العنيف، وحاربوها هذه الحرب التي يعرفها الخاص والعام..

أعاد أسامة بن لادن رضي الله عنه إلى المسلم إحساس القوة والزهو والتعالي مهما اختلت الموازين في العالم الذي يعيش فيه.. ذلك أن هذا الشعور يمثل الحالة الدائمة التي ينبغي أن يكون عليها شعور المؤمن وتصوره وتقديره للأشياء والأحداث والقيم والأشخاص سواء.

نعم.. إنه يمثل حالة الاستعلاء التي يجب أن تستقر عليها نفس المؤمن إزاء كل شيء، وكل وضع، وكل قيمة، وكل أحد، الاستعلاء بالإيمان وقيمه على جميع القيم المنبثقة من أصل غير أصل الإيمان.

الاستعلاء على قوى الأرض الحائدة عن منهج الإيمان، وعلى قيم الأرض التي لم تنبثق من أصل الإيمان، وعلى تقاليد الأرض التي لم يصغها الإيمان، وعلى قوانين الأرض التي لم يشرعها الإيمان، وعلى أوضاع الأرض التي لم ينشئها الإيمان.

الاستعلاء.. مع ضعف القوة، وقلة العدد، وفقر المال، كالاستعلاء مع القوة والكثرة والغنى على السواء.

الاستعلاء الذي لا يتهاوى أمام قوة باغية، ولا عرف اجتماعي ولا تشريع باطل، ولا وضع مقبول عند الناس ولا سند له من الإيمان.

الاستعلاء الذي يظل واثقاً من النصر مهما تأخر..

الاستعلاء القادر على كشف ما في الواقع من زيوف وعلى استلهام ما في الغيب من حقائق.. وجزء من ذلك وذاك: هو حتمية انتصار الإسلام والمسلمين.

الوهم الغبي المجنون الذي وقع فيه السفاح الغبي المجنون جورج بوش وصبيانه في إسرائيل وعبيده: حكام العالم الإسلامي، هو أن الإسلام دين زائف.. وهذا بالضبط هو اللغم شديد الانفجار الذي سيفجر الحضارة الغربية كلها.. لسبب بسيط وواضح وجلي.. وهو أن ما يظنه القرصان ديناً زائفاً هو الدين الوحيد الصحيح.

المسألة ليست عويصة.. وكل عقل سليم بل كل فطرة تستطيع الوصول إليها دون عناء.. فالسؤال الأول عن قدرة خالق هذا الكون الذي ليس كمثله شيء، إن قوانين الفيزياء والرياضة الآن قبل الأديان شواهد على قدرته ووجوده، فإذا كان موجوداً، فإن الإسلام فقط هو الذي يضع هذا الوجود في إطار جلاله، أما تحريفات الآخرين وتخريفاتهم، حول إله لا يصلح إلا شيخ قبيلة منحرف، يصارع الشيطان فينهزم أمامه، أو يموت ويُقتل، فهو ما لا يقبله أي عقل، فكيف خلق مثل هذا ذرة أو مجرة.

الإشكالية الوحيدة التي نتوقف عندها قليلاً هي أنه ما دمنا قد اقتنعنا أن الله أرسل وحياً للبشر أو رسولاً فلماذا نصدق بعض الوحي ونكفر بعضه، وما دمنا قد آمنا بأن الله قد منّ على البشر بدين، أليست قواعد أبسط درجات المنطق تقول بأن هذا الدين لا يمكن إلا أن يكون واحداً منذ آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ.. ذلك أن الله واحد ولا بد أن يكون دينه واحداً..

هذا التصور البديهي لا يقدمه إلا الإسلام.. الإسلام الذي تعتبره الحضارة الغربية ديناً زائفاً.. ومن أجل ذلك تجترئ عليه وتتقدم الآن لالتهام أهله.. لكن ذلك لم يتم إلا بعد تزوير هائل للتاريخ..

أجل.. لقد زور الغرب التاريخ بنفس المقياس والدرجة التي يظهرها النموذج الوحشي المرعب لاعتبار الطفل الفلسطيني الذي لا يمسك إلا حجراً كرمز لا كسلاح هو رمز للإرهاب والعدوان، بينما الفانتوم التي تقصفه فتقتله وتهدم بيته بما خلفها من ترسانة نووية مجرد دفاع مشروع عن النفس..

نعم.. هذا المثل المروع الرهيب يلخص الأمر كله.. ويكشف عن تاريخ التزوير كله..

هذا هو الميزان الذي وزنوا به والمقياس الذي قاسوا عليه..

وثمة نموذج وحشي آخر لا يقل خطراً ولا دلالة.. وهو ما يفعله الرئيس الأمريكي المجرم جورج بوش والحكومة الأمريكية المجرمة تحت بصر الشعب الأمريكي الذي لا يمكن إلا أن يكون مجرماً.. في أسرى جوانتانامو..

إن هذا الشعب الإرهابي المجرم الذي تنحصر أهم تجاربه في التاريخ في القضاء على أمة والاستيلاء على أرضها، إنما يريد الآن أن يعيد تجربته في العالم كله.. لكنه يبدأ بالعرب والمسلمين.

ولقد ظل هذا التزوير الهائل خفياً عن البعض على الأقل حتى جاء الفاروق أسامة بن لادن ليضع الفارق بين عهدين وبين زمنين.. وليشكل علامة فارقة ينهض بعدها المسلمون بعد طول انهيار.

في تحركات التاريخ الهائلة ليس من المتوقع أن يتغير الحال بين عشية وضحاها.. سوف يستغرق الأمر طويلاً، لكن النتيجة بعده حتمية..

وربما يحق لي أن أختزل النتائج الهائلة لما حدث في ١١ سبتمبر في أمرين:

أولهما: هو الانهيار الكامل والشامل والنهائي للأساس الأخلاقي للحضارة الغربية.. فقد كان أساسا زائفاً.. وخطورة ذلك حتى لو لم يكن الإسلام موجوداً في الساحة، فإن انهيار

المنظومة الأخلاقية لأي حضارة هو المقدمة الحتمية لانهيارها.. بل إنني أكاد أرى نفس ملامح الصدمة عند كل غربي يتمتع بالحد الأدنى الذي لا يكون الإنسان إنساناً بدونه.. أقول إنني أرى نفس ملامح الصدمة التي شاهدناها على وجود الروس بعد انهيار صنمهم المعبود: الشيوعية.

الأمر الثاني: الذي ترتب على أحداث ١١ سبتمبر هو اختلاج العالم الإسلامي وبداية إفاقته من الغيبوبة.. هو إدراكه كم أن الإسلام غال وكم هو صحيح!! .. وكان أسامة بن لادن هو الفاروق الذي ميز بين فسطاطين: إما إيمان وإما كفر.. وربما كان يوجد في العالم الإسلامي قبل ١١ سبتمبر من يلتمس بعض الأعذار للحكام، لكن الفاروق أتى فكشف العورات جميعا، وكشف فيما كشف، أن الإسلام دين شامل، ليس فيه شيء لقيصر. دين شامل، كان من أكبر الأخطاء التي وقع فيها فقهاؤه أن قسموا الفقه إلى فقه عبادات وفقه معاملات.. حتى جاء فاروق العصر فأعاد الصورة إلى ما كانت عليه حيث كل المعاملات عبادة، وأنه لا يجوز لمسلم أن يكون له في حياته ما يخرج عن إطار عبادة الله الواحد القهار.. فالجهاد عبادة .. والتقدم الحضاري عبادة .. وامتلاك السلاح النووي عبادة .. ونشر مكارم الأخلاق عبادة.. وبرامج التلفاز يجب أن تكون عبادة لا عهراً.. والصحف والمجلات لا ينبغي أن تكون نجاسة بل طهرا.. نعم.. فالصدق عبادة والشرف عبادة والعدل عبادة والسعادة عبادة والقضاء على أعداء الله أيضا عبادة..

بهذا التصور فإن الغرب – وعبيده وغلمانه – محكوم عليه بالهلاك حتماً.. نعم.. محكوم عليه بالهلاك حتماً حتى لو لم تتحطم منظومته الأخلاقية.. فأنى له أن يتصدى لأمة كل حياتها عبادة؟!

فضح أسامة بن لادن العهر المتستر، والتدين الزائف، والخيانة المستترة.. وسيظل نداؤه بخروج المشركين والأمريكيين من بلاد الإسلام يدوي في الضمائر حتى يتحقق.. وستظل الأحداث تثبت كل يوم كم كان على صواب.. وأكثر هذه الأحداث قرباً ومباشرة هي النية

الأمريكية لاحتلال العراق، لا لمجرد العراق بل لوضع العالم الإسلامي كله تحت الاحتلال المباشر بتهديد وهيمنة بوش من ناحية وشارون من ناحية أخرى.. نعم.. هو الاحتلال المباشر وليهنأ – بل ليخسأ – الخونة الذين طالما هللوا لدعوة الوحش الغبي المجنون أول مرة.

يضيق الأفق أمام ناظريّ وأنا أبحث عن مخرج..

والمخرج موجود.. لا يحول بيننا وبينه سوى حكامنا..

أتصور.. لو أن العالم الإسلامي يملك زمام أمره.. فيبايع أسامة بن لادن أميراً للمؤمنين.. أتصور كم ستركع أمريكا وقد استولى عليها الروع والفزع.. كيف ستغير – هذه الخسيسة – جلدها لتواجهنا مرة أخرى بجلد السلام المزيف.. حيث ستتذكر ساعتها حقوق الفلسطينيين والمسلمين في كل مكان..

نعم.. المخرج موجود ستتذكر ساعتها حقوق الفلسطينيين والمسلمين في كل مكان..

تغير هذه الخسيسة جلدها لتواجهنا مرة أخرى بجلد السلام المزيف.. لا يحول بيننا وبينه سوى حكامنا..

ولو أن أسامة بن لادن يقود المسلمين لما جرؤت أمريكا ولا إسرائيل ولا الغرب على تجريعنا كل هذا الهوان وكل هذه المذلة.. نعم.. قائد كأسامة بن لادن دون أي أسلحة جديدة.. دون أي جيوش جديدة.. وبالإمكانيات الموجودة فعلاً.. دون أي إضافة.. وعلى من لا يتصور ذلك أن يراجع صمود بضعة آلاف من الشيشانيين أمام ثاني أكبر قوة في العالم وعلى ما تفعله حماس وكتائب القسام [١] في إسرائيل..

---

[١] إن لم تنتبه هذه التيارات الموجودة في فلسطين للمؤمرات المحاكة للقضاء عليها وتطبق منهج الله الواضح الصريح في التعامل معها فستسقط سقوطاً مريعاً!!.

مزق ابن لادن رضي الله عنه الأستار كلها وكشف الحقيقة عارية، فإذا بالغرب عنصري مجرم، وإذا بحكامنا مزيج مذهل من العجز والخيانة والنفاق، وإذا بضباط أجهزة أمننا أكثر شراً حتى من ضباط أمريكا وجنود إسرائيل.. ولقد نجحت هذه الأجهزة – قصمها الله – في أن تفعل بشعوبنا ما لم تنجح فيه أمريكا وإسرائيل..

مزق ابن لادن رضى الله عنه الأستار كلها وكشف الحقيقة عارية، فإذا بالنخبة في بلادنا هي الحثالة وإذا بالعلمانيين زنادقة والتنويريين شياطين والحداثيين خونة..

مزق ابن لادن رضى الله عنه الأستار كلها، وكشف الحقيقة عارية، وسوف تزداد عرياً عند الغزو الأمريكي للعراق – وهو لا محالة قادم [١]– فلن يجد الغرب فرصة كهذه مع حكام كحكامنا ليس هناك على مر التاريخ أغبى ولا أعجز ولا أقصر نظر منهم.

مزق ابن لادن رضي الله عنه الأستار كلها وكشف الحقيقة عارية، وكان لا بد أن يفعل..

فقد كان الغرب طيلة الوقت حية رقطاء تنفث فينا سمها الزعاف.. ونحن نظن أنه إكسير الحياة والتقدم.. لكن ابن لادن حماه الله إن كان حياً وتقبله في الصديقين والشهداء إن كان شهيداً قد كشف كل ذلك..

نعم.. كان أسامة بن لادن رضي الله عنه فارق العصر وفاروقه..).

---

[١] قد وقع الغزو وازداد التمييز والتمحيص والانكشاف والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٨- كوابيس أمريكا [١].

(بدأت الحملة الصليبية المعلنة على الأمة الإسلامية وطليعتها المجاهدة تتأجج كالنار على الهشيم.. فبعد أفغانستان وصلت الحمم الصليبية للعديد من الدول الأخرى كجنوب الفليبين واليمن.. وأمام هذه التطورات كان لزاماً على الحركات المجاهدة قاطبة أن تتكيف وتتعاطى إيجابيا معها في خطوات مدروسة وفعالة حتى تذيق أمريكا العلقم وترجعها من حملتها مهزومة مدحورة.

ومن باب معرفة مكامن الضعف عند العدو ينبغي الاطلاع على ما كتبه المحللون الاستراتيجيون الغربيون من دراسات حول الثغرات الأمنية والأخطار، الحقيقي منها والمتوهم، والتي تهدد أمن وأمان المجتمع الأمريكي.. لا بد إذن من دراسة هذه المخاوف بعناية لأنها غالباً ما تشير إلى مواطن الضعف في الأمن القومي الأمريكي.

من المعلوم أن أمريكا تنفق على أمنها القومي سنوياً أكثر من كل أعدائها والدول الغير الحليفة لها مجتمعين، كما يتعدى الإنفاق العسكري السنوي لأمريكا ما ينفقه كل أعضاء حلف الناتو مجتمعين زائد إنفاق اليابان والكيان الصهيوني وكوريا الجنوبية.. ومع ذلك فإن الدراسات حددت العديد من الاحتمالات المرعبة لدى مسؤولي الأمن القومي الأمريكي، والتي يزيد من احتمال وقوعها العجرفة والطيش الأمريكي في التعامل مع الأعداء والمحايدين والحلفاء على حد سواء.

إن الكوابيس التي تؤرق أمريكا كثيرة، من بينها أعمال لا يستطيع القيام بها سوى مجموعات منظمة على مستوى عالي من الاحترافية، لكن من بينها كذلك أعمال يستطيع القيام بها أشخاص عاديون نسبيا.

---

[١] لأبي عبيد القرشي.

ويمكن تلخيص الكوابيس الأمريكية فيما يلي:

١ - حصول الحركات المجاهدة على أسلحة الدمار الشامل:

إن هذا الشبح سيستمر دوماً في إرهاق كاهل أمريكا، حتى وإن كان الكثير من أبناء الحركة الإسلامية، لضيق الأفق ربما، ينظرون إلى هذا الخيار على أنه ضرب من الخيال.

فالحقيقة غير ذلك إذ أن كميات كبيرة من المواد الصالحة لصناعة القنبلة النووية تعتبر مفقودة كل عام وبشكل خاص من البلدان التي كانت ضمن الاتحاد السوفييتي السابق.

ومعلوم أن كمية المواد المشعة اللازمة لصناعة قنبلة نووية ليس ضخماً، إذ يتراوح بين ٢٠ كغ للبلوتونيوم المشع و ٤٠ كغ إذا تم استعمال اليورانيوم المخصب.

وحتى المهارة اللازمة لم تعد مقتصرة على مهندسين من الطراز العالي، فأي طالب جامعي بارع في العلوم الفيزيائية يمكنه القيام بذلك.

وعلى كل فإن الدراسات التي أجريت في هذا الشأن كلها أجمعت على أن حصول الحركات المجاهدة على أسلحة الدمار الشامل هو الكابوس الأكبر الذي تواجهه أمريكا مما يعني أن هذا الاحتمال وارد حقا.

ففي دراسة أجراها وليام بوتر مدير مركز للدراسات المتعلقة بمنع انتشار الأسلحة الفتاكة في كاليفورنيا بعد زيارة لعشرة مراكز روسية لتخزين المواد النووية سنة ١٩٩٨، توصل فيها إلى أن العديد من البنايات المخصصة لتخزين كميات ضخمة من البلوتونيوم واليورانيوم المخصب والتي تكفي لتصنيع قرابة سبعين ألفاً من القنابل النووية.. لا تتوفر على حراسة مسلحة، ولا على محيطات آمنة، ولا على كاميرات مراقبة، ولا على معدات للكشف عن الإشعاع عند الدخول والخروج من هذه المراكز.

وسبق أن بقيت بناية في موسكو تحوي ١٠٠ كيلو غرام من اليورانيوم المخصب دون حراسة، لأن ميزانية المعهد النووي لم تكن كافية لتوفير مبلغ الحراسة.

بل وحتى إذا لم تتوفر الحركات المجاهدة على التقنية اللازمة للحصول على المواد المشعة وتركيبها، فإن هناك فرصاً حقيقية للحصول على قنبلة نووية جاهزة تماماً، ففي سنة ١٩٩٧ أكد الجنرال ليبيد وهو المستشار الأمني للرئيس الروسي السابق بوريس يلتسن أن الاتحاد السوفيتي سبق وأن صنع في السبعينات عدداً لا بأس به من القنابل النووية الجاهزة والتي لا يتعدى حجمها حجم حقيبة صغيرة، وكانت هذه الحقائب في ملكية الاستخبارات السوفييتية لكن بعضها اختفى بعد تفكك الاتحاد السوفييتي دون تفسير.

إن مهمة الحركات المجاهدة في هذا الشأن صعبة للغاية، ولكنها ليست مستحيلة، فالمنطق السائد في هذه الأمور كما في غيرها هو منطق البيع والشراء.

وترتعد فرائص المسؤولين الأمريكيين أكثر أمام الفرص السانحة التي توفرها العولمة لمن يريد إدخال هذا النوع من الأسلحة إلى أمريكا، ففي سنة ١٩٩٦ دخل ٢٥٤ مليون شخص و٧٥ مليون سيارة و٣.٥ مليون شاحنة إلى أمريكا قادمين من المكسيك، وعلى النقط الثمانية والثلاثين الرسمية للعبور لم يفتش سوى ٥ في المائة من هذا المجمل الضخم.

إنها بالفعل أرقام تدعو إلى التأمل.

٢ – عودة الحياة إلى الجهاد البحري:

من المعلوم أن أمريكا حتى وقبل أن تصبح قوةً عالميةً كانت دوماً تركز على حرية الملاحة البحرية، وذلك لتصريف منتوجاتها عبر البحار والاستفادة اقتصادياً من ذلك بشكل كبير.

وزاد من حدة حساسية أمريكا تجاه هذه النقطة التوجه الرأسمالي الذي تتبناه أمريكا والذي يجعل كبار الرأسماليين هم الموجهون الحقيقيون للسياسة الأمريكية، وبالتالي يحرصون أبلغ الحرص على تدفق سلعهم عبر العالم دون قيد أو شرط.

وبعد الهجوم الجريء ضد المدمرة كول، افتتحت صفحة الجهاد البحري من جديد، فقد كانت هذه العملية بالفعل نقلة نوعية في العمل الجهادي والذي تبين من خلالها كيف أن التضحية وكلفة لا تتجاوز الخمسة آلاف دولار أديا إلى تدمير بارجة تبلغ قيمتها البليون دولار.

ومنذ ذلك الحين وفرضية لجوء المجاهدين إلى الجهاد بحراً يؤرق مضجع أمريكا، ويزيد الطين بلة بالنسبة لها أن أغلب المضايق والطرق التجارية الهامة تتحكم فيها دول مسلمة (البسفور، الدردنيل، جبل طارق، قناة السويس، مضيق ملكا، مضيق هرمز، باب المندب)، كما أن رصيد المسلمين الطويل عبر التاريخ في القتال بحراً وإنهاك التجارة الصليبية يزيد من احتمال عودة الحياة لهذا النوع من الجهاد.

وقد سبق حتى لأمريكا أن احتكت بمجاهدي البحر المسلمين، والتي تسميهم في عرفها قراصنة، لما احتجزت سفينتين أمريكيتين من طرف مجاهدين ليبيين سنة ١٨٩٨ مما دفع بالأمريكيين لقصف مدينة بنغازي حينها واستهداف المدنيين العزل.. وما أشبه الليلة بالبارحة.

لقد بدأ هذا النوع من الجهاد يعود إلى الحياة مرة أخرى ولو على استحياء في جنوب الفليبين والأرخبيل الإندونيسي، مما جعل مسلمي هذه الدول على أعلى قائمة الاستهداف الأمريكي، ولعل هذا كذلك من بين الأسباب التي تدفع أمريكا لاستهداف الصومال، خاصة وأن لا دولة مركزية تحكمه وله موقع استراتيجي على باب المندب، وبالتالي يتحكم في مدخل البحر الأحمر، فإذا انبعث الجهاد البحري مرة أخرى في هذا البلد فسيكون لذلك أثراً مدوياً على التجارة العالمية.

من المفارقات كذلك التي تبين مدى خوف أمريكا من هذا الخيار، ما وقع لأفراد الجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية من بطش منقطع النظير في معظم الدول الأوروبية لورود إشاعة لدى الأمريكيين تقول بأن هذه الجماعة تفكر في إحياء الجهاد البحري ضد السفن

الأمريكية في مضيق جبل طارق، مما يبين مدى تضايق الأمريكيين الشديد من هذا الاحتمال.

٣ – التعرض للمنشآت والناقلات النفطية:

إن أمريكا تنعمت في العقود الماضية برخاء كبير، وقد ساهم في ذلك السياسات الانبطاحية للدول النفطية العربية والتي عملت على تدفق النفط العربي لأمريكا بثمن بخس دراهم معدودات للبرميل، ومن المعلوم أن الاقتصاد الأمريكي لن يتحمل بحال من الأحوال غلاء أسعار النفط بعد أن استلذ استهلاكه بذلك الثمن الزهيد، ولا سيما بعدما أصابه الركود على إثر غزوة ١١ سبتمبر.

كما أنه من البديهي أن أسعار النفط تقفز في مرات عديدة لمجرد إشاعات غير مؤكدة.

وهناك من الخبراء الأمريكيين من يخشى من فرضية تعرض الجماعات المجاهدة لمنشآت أو ناقلات نفطية تدميراً وتفجيراً، مما سيترك الأثر البليغ على أسعار النفط وخاصة إذا تكرر هذا النوع من الأعمال بشكل منهجي.

٤ – الجهاد عبر الإنترنت:

بالرغم من أن الحركات الجهادية تفضل إلى حد الآن اللجوء إلى العمليات العسكرية التقليدية، فإن الجهاد عبر الإنترنت في نظر الأمريكيين قد يصبح خياراً جدياً لتلك الحركات مستقبلاً وذلك للأسباب التالية:

أولاً: يمكن الهجوم على شبكة الإنترنت عن بعد بسرية تامة.

ثانياً: لا تكلف الأجهزة اللازمة للهجوم عبر الإنترنت الشيء الكثير.

ثالثاً: لا يستلزم الهجوم مهارة استثنائية.

رابعاً: لا يستلزم الهجوم الجهادي عبر الإنترنت عدداً كبيراً للقيام به.

أما الأهداف التي قد تستهدفها الحركات المجاهدة فهي تتراوح في نظر الخبراء الأمريكيين بين الشبكات الضخمة للكهرباء مروراً بمحطات الطاقة النووية والمؤسسات المالية وصولاً إلى شبكة ٩١١ للمكالمات المستعجلة.

قد ينظر البعض بعين الريبة والشك إلى جدوى هذا العمل، لكن يكفي الاطلاع على الأضرار التي طرأت جراء هذه العمليات في عقد التسعينات: ففي سنة ١٩٩٤ هجم اثنين من قراصنة الكمبيوتر على الشبكة المعلوماتية للقاعدة الجوية في نيويورك وسيطرا عليها بالكامل لمدة أسبوعين، وفي نفس السنة نجح قرصان روسي في الرابعة والعشرين من عمره في سحب مبلغ ١٠ مليون دولار من البنك الأمريكي (Citibank) ولم يتم القبض عليه إلا بسبب خطئه في صرف مبالغ كبيرة دفعة واحدة، أما في سنة ١٩٩٨ فقد اضطربت شبكة ٩١١ للمكالمات المستعجلة في مدينة ميامي الأمريكية مما خلف العديد من الخسائر بعد هجوم من طرف قرصان سويدي لم يكن قد تجاوز بعد طور المراهقة.

كما أن الإحصائيات التالية تبين مدى تطور هذا الاتجاه مستقبلاً، فحسب تصريح لرئيس لجنة حماية البنية التحتية الأساسية في أمريكا، يرى هذا الأخير أن المعرفة اللازمة للقرصنة عبر الإنترنت ازدادت بشكل مخيف، فبعد أن كانت هذه المعرفة منحصرة في بضعة آلاف من الخبراء في الثمانينات، صارت في متناول ١٧ مليون شخص في ١٩٩٦ ثم ١٩ مليون شخص على أقل تقدير في ٢٠٠١.

وبموازاة ذلك فإن عدد فيروسات الكمبيوتر تزايد من خمسة في الثمانينات إلى الآلاف سنة ١٩٩٦، وهذا العدد مرشح للتضاعف ليعد بعشرات الآلاف سنة ٢٠٠١.

وحسب وكالة الدفاع عن الشبكات المعلوماتية الأمريكية فقد عرفت وزارة الدفاع ٢٥٠٠٠٠ محاولة لاختراق شبكتها سنة ١٩٩٥ فقط، وقد تضاعف هذا الرقم بحلول سنة

٢٠٠٠م، كما تبين في استطلاع أجرته مؤسسة حماية الكمبيوتر بمساعدة (F.B.I) سنة ١٩٩٨ أن الهجمات على شبكة الإنترنت في أمريكا زادت ب٢٢ في المائة منذ ١٩٩٦. وهذا رغم أن خمس الهجمات فقط هو الذي يتم إعلانه للسلطات.

إن الاقتصاد الأمريكي يتحول يوماً بعد يوم نحو اقتصاد معلوماتي أساساً، وتجدر الإشارة إلى أن الأرباح المستخلصة من تكنولوجيا المعلومات تشكل ثلث النمو الاقتصادي في أمريكا لسنة ٢٠٠٠، وهو ما يجعل احتمال هجمات مركزة متتالية ذات تأثير لا يستهان به.

ومن الأشياء التي تقلق الرسميين الأمريكيين كذلك أن شبكة الإنترنت صارت مصدراً كبيراً لتعليم "الإرهابيين" ما لم يكونوا يعلموه، فالشبكة تعج بالكتب المتخصصة في صناعة القنابل ككتاب "The Jolly Roger Cookbook"، وكتابي "The Terrorist Handbook" و "Anarchist's Cookbook" المتخصصان في الإجابة على الأسئلة المتعلقة بتصنيع واستعمال طيف متنوع من المتفجرات.

٥ – التقاء مصالح الجماعات المجاهدة وعصابات الجريمة المنظمة:

وهذا كذلك كابوس يقلق أمريكا، وخاصة فيما يتعلق بتهريب الأسلحة وتزوير العملة الأمريكية، فخلال عقد التسعينات انتبهت السلطات الأمريكية إلى عملية تزوير واسعة النطاق والتي شملت الورقات المالية من صنف ١٠٠ دولار، والتي كان تزويرها عالي الجودة واستفاد منها العديد من المنظمات المعادية لأمريكا عبر العالم.

وقد حاولت أمريكا تغيير معالم الورقة النقدية مراراً دون جدوى، فقد استمر المزورون في عملهم متسببين في أضرار لا حد لها للخزينة الأمريكية.

وتخاف الدوائر الأمنية الأمريكية من أن تركب الجماعات المجاهدة هذه الموجة فتتمكن من تمويل عملياتها بمبالغ ضخمة، وفي نفس الوقت تتسبب هذه الجماعات بشكل مباشر

في إضعاف الثقة في العملة الأمريكية على المستوى الدولي، مما يؤدي إلى تقلص قيمتها مع الوقت.

بل إن العديد من الدراسات أشارت إلى أن أضراراً كبيرة قد تصيب الاقتصاد الأمريكي بأعمال ولو صغيرة مادامت مستمرة، خصوصاً إذا تم انتقاء الهدف والاعتماد على نوعية الأداء.

لقد أفلحت المخاوف المذكورة آنفاً وغيرها في إصابة أمريكا بعقدة "الفوبيا" أي الخوف المهووس، رغم كل الميزانيات الضخمة التي تصرفها سنويا لحماية نفسها..

وقد يؤدي تنفيذ هذه التهديدات إلى تحويل هذه الفوبيا من هذيان لأمريكا في المنام إلى كوابيس تعيشها في اليقظة).

١٩- أسامة بن لادن رضى الله عنه الويل لأمة خذلتك [١].

(خذلناك يا حبيبي.. خذلناك..

لم نكن في مستواك..

كنت أشاهد الشريط الأخير في التلفاز يوم الأربعاء الماضي، فهزني الروع والخوف إذ أتابع هالة النور والإيمان حول وجهك، فأكاد أصرخ:

هذا هو الإسلام الذي نزل على محمد ﷺ.. هذا هو الإيمان حقاً.. فماذا نحن إذن.. ماذا نحن.. ماذا نحن.. ماذا نحن.. وكيف نظن أننا مؤمنين!!

خذلناك..

خذلناك وأنت نور الحق السابغ علينا من عصر النبوة.. فخذلنا النبوة..

خذلناك وأنت طهر الصحابة القادم إلينا من عصر الصحابة.. فخذلنا الصحابة..

خذلناك يا إمام وأنت فخر الأئمة..

خذلناك.. وسوف يكتشفون بعد عام أو بعد ألف عام أن منهجك هو الصواب وأن طريقك هو الصحيح.. لا لمجرد الفوز بالآخرة فقط.. بل للمحافظة على الدنيا أيضاً..

لكننا على الرغم من ذلك خذلناك..

خذلناك فلم ننصرك.. ولم ننصر الله.. فأنى ينصرنا..

خذلناك يا حبيبنا..

خذلناك..

---

[١] للدكتور محمد عبَّاس.

خذلناك وخذلوك يا سبط سيد الخلق وأشرفهم..

خذلك من هو من نسل يزيد..

خذلوك يا مهجة.. خذلوك يا فلذة.. خذلوك يا سويداء..

والويل لقوم خذلوك..

كنت أتابع التلفاز بقلب واجف..

كنت أنتظرك يا حبيبي.. ويا حبيب كل مؤمن..

أعترف لك..

كنت أتلمس من الكلمات كلمة ومن الحروف حرفا ومن الخلجات خلجة كي أطمئن أن وجودنا الدنيوي مازال يشرف بوجودك..

أعترف لك..

رغم أنني أتجلد أمام الناس.. وأمام القراء.. فأهتف فيهم كلما انفطرت قلوبهم إشفاقاً وتحناناً وقلقاً: أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم؟

أهتف فيهم بذلك وقلبي واجف، يدعو الله أن يحفظك للمسلمين..

في يوم الأربعاء ذاك – أمس الأول – كانت المرة الأولى التي يبدر فيها بالتصريح لا بالتلميح أنك قائد غزوتي نيويورك وواشنطن..

وكان دليلي منذ البداية: (إن قالها فقد صدق وإن فعلها فقد أصاب)..

الشريط الذي أذاعته قناة الجزيرة يوم الأربعاء الماضي يحتوي على وصية أحد منفذي الهجمات وهو عبد العزيز العمري الملقب بأبو العباس الجنوبي..

تسمرت أمام التلفاز يا قراء..

تسمرت..

تخيلت للحظة أنني أنا الحي مجرد جماد وصورة.. وأنه وهو الصورة يعج حياة ونوراً ونبلاً وإيمانا..

أي رجل هذا..

أي رجل..

أي جيل ربيت يا أسامة بن لادن..

أي جيل..

إنه في عمر أبنائي..

علمني يا بني.. علمني يا بني.. علمني يا بني.. بل يا سيدي ويا مولاي يا مولاي يا مولاي..

أصرخ في نفسي:

هل كنت تظن أن لديك قلما وأنك تكتب.. جف قلمك..

هل كنت تظن أن لديك صحفاً وتقرأ.. طويت الصحف..

هل كنت تظن أن لديك لساناً لتتكلم.. خرست الألسنة..

هذا هو الدين الذي أنزل على محمد ﷺ..

نعم..

هذا هو الدين الذي أنزل على محمد ﷺ..

فماذا نحن.. ماذا نحن.. ماذا نحن.. ماذا نحن.. ماذا نحن.. ماذا نحن.. ماذا نحن..

امدد يدك إلي يا بنيّ.. خذ بيدي فإني هالك..

علمني يا بني فأنا جاهل من قوم جذورهم في الجهل عريقة..

علمني يا بني المقدام على الاستشهاد فرحاً فرح عريس يزف إلى عروسه..

علمني فأنا من قوم يشتكون كثيراً إذا ما ازداد القيظ قليلاً وينفد صبرهم إذا ما توقفت أجهزة التكييف..

علمني كيف اندفعت إلى لهيب النار والانفجار فرحاً مسروراً..

علمني أنك كنت تستنقذ نفسك من نار الآخرة بنار الدنيا..

علمني فأنا من قوم يختنقون إذا ما زادت الرطوبة قليلاً وارتفعت نسبة بخار الماء..

علمني كيف واجهت بخار الفولاذ إذ ينصهر..

علمني فأنا من قوم يشكون الضجر وهم لا يستنكفون من إتيان متع الدنيا حلالها وحرامها..

أما أنت فلم تشك ضجراً قط.. كان قلبك مشغولاً بذكر الله.. ومطمئناً به..

فعلمني..

علمني..

علمني..

أعترف..

كانت حساباتي العقلية تستبعد – ولا تنفي – أن يكون تنظيم القاعدة وراء ما حدث في ١١ سبتمبر فكتبت في ١٤ سبتمبر ٢٠٠١..

(كان تقديري للأمر أن ما حدث هو خطة لم يعرف لها التاريخ مثيلاً.. وأنه – كما يقولون – أنجح (عملية إرهاب..!) في التاريخ.. وأن التخطيط كان عبقرياً والنجاح في التنفيذ كان مذهلاً.. والإعداد كان طويلاً ومضنياً.. وحجم الاختراق للمؤسسات الأمريكية كان هائلاً..

كان العبقري في الأمر أكثر من أي شيء آخر هو اكتشاف وتر أخيلوس الأمريكي.. الجزء الهش غير المحصن.. والذي يمكن النيل من أمريكا بإصابته.. وهو ليس جزءًا بعرض الإصبع كما في أخيلوس.. بل مساحة شاسعة تغطى أمريكا كلها وامتداداتها في الخارج..

نعم كان العبقري كشف هشاشة أمريكا وإمكانية إصابتها في مقتل..

كل العملية كان عبقرياً.. ابتداء من التمرن على قيادة الطائرات إلى اختراق الشفرة إلى معرفة الأماكن التي تضرب.. إلى التزامن الأسطوري.. وعلى سبيل المثال فإن الاصطدام بناطحات السحاب لم يكن ليأتي بهذا الأثر المدمر لو حدث الارتطام أعلى قليلاً أو أوطى قليلاً مما حدث.. وأن حدوثه بين الطابق الثمانين والخامس والثمانين قد خلخل هذه الأدوار وترك خمسة وعشرين طابقاً غير مستقرة.. لتهوى هذه الطوابق العليا الخمسة والعشرين بكل ثقلها على باقي الأدوار الثمانين كمطرقة ضخمة فتدكها دكا..

وعلى سبيل المثال أيضاً فإن الطائرة التي ارتطمت بالبنتاجون لم ترتطم بأي مكان فيه.. بل ارتطمت بمقر مكاتب القيادة.

الخطة عبقرية والتخطيط متقن والاختراق هائل والتنفيذ مذهل، وكنت أرى أن المسلمين هم آخر المشتبه فيهم.. ليس لأنهم يفتقدون العبقرية والذكاء.. ولكن لأن أمريكا – راعية العالم الحر تحاصرهم وتقف دونهم، فلا تسمح حتى لحلفائها بتجاوز نقاط معينة في العلم

والتكنولوجيا.. ولنتذكر مرة أخرى الطائرة المصرية التي أسقطوها، لأنهم اكتشفوا أن بعض خبرائها قد تجاوزا معرفة المسموح لهم به.

هذا هو الشق الأول في الأمر..

الشق الثاني: أن كفاءة العملية تبدو كما لو أنها عملية دولة وليست عملية أفراد أو منظمات.. لكن.. يستبعد هذا الافتراض أن مثل هذه الدولة ستمحى من الوجود محوا إذا ما تم اكتشافها..

الشق الثالث: أن عملية كهذه من يقدر عليها ليس لديه الدوافع لتنفيذها ومن لديه الدواعي لا يقدر..

فإذا استبعدنا المسلمين – ولو مؤقتاً – لا تبقى لدينا سوى جهات قليلة تستطيع القيام بهذا العمل الخارق.. (وفرق بين الخارق والأخرق!)..

وفي كل الاحتمالات وأياً كان من قام بالعملية فإن الإسلام حاضر، ذلك أن قدرة الأبطال الاستشهاديين في فلسطين هي التي كشفت للعالم القدرة المذهلة الكامنة في الجسد البشري لشهيد..

وأياً كان من قام بالعملية، فقد كان الإسلام معلمه وأستاذه.. وذلك يكشف جزءاً من الرعب الذي يحيط بهم الآن..

وأيا كان من قام بالعملية فهي تهمة لا ننكرها وشرف لا ندعيه..

إننا ضد قتل المدنيين – والعسكريين أيضاً [١]– في أي مكان في الدنيا، لكننا لا يمكن أن نندد بقتل خمسة آلاف ممن قتلوا منا ثمانية ملايين ونصف المليون.. ولا يمكن أن نستنكر أن اليد التي امتدت بالخنجر وذبحتنا قد أصابها – أثناء عملية الذبح وبسببها – خدش..!!

وبعد ذلك.. عندما بدأ فقهاء السلاطين، بل فقهاء الشياطين في إصدار الفتاوى ضد غزوة ١١ سبتمبر كتبت أقول أنه إذا غمّ علينا من أمور الفقه أمر فإننا سنستفتي فيه الشيخ أسامة بن لادن لا فقهاء الشياطين.. وأنه هو الذي يحكم عليهم وليسوا هم الذين يحكمون عليه.. وأنه إن قال أنه فعلها فقد صدق وإن كان قد فعلها فهو الصواب.

وكتبت: (من خلال هذا كله نستطيع القول أن أسامة بن لادن، حتى لو كان هو المسؤول عما حدث في ١١ سبتمبر، ليس إرهابياً..

لقد حاول القيام بما عجزت عنه جيوش أنفقت على السلاح في العشرة أعوام الأخيرة فقط ألف مليار دولار..

جيوش لم تطلق منها رصاصة واحدة لحماية الأمن القومي.. بل كانت كل جهودها لتهديده.

حاول القيام بما لم يقم به حكام وكان واجبهم أن يقوموا به.

حاول القيام بما كان يجب أن تقوم به شعوب فلم تقم به.

حاول أن يقوم بدور أمة..

---

[١] ليس في ديننا هذا التقسيم مدني وعسكري، إنما الوارد في ديننا: (حربي ومعاهد ومستأمن وذمي)، وقد ذكرنا كلام ابن القيم رحمه الله.

أنفق ثروته كلها: وهي مئات الملايين من الدولارات على الجهاد في سبيل الله، مرة ضد طواغيت الإلحاد المجاهر ومرة ضد الوثنية التي روّمت الكنيسة.

أنفق المال في سبيل الله وكان ذلك غريبا على حكام تعودوا أن يسرقوا مال الله..

جهز المجاهدين من ماله فقاتلوا وقتلوا وقُتلوا في سبيل الله..

جيوشنا كانت تقتل شعوبنا في سبيل الغرب..

ولو أن الجيوش كانت تواجه جيوشا لكان من الواجب اتباع قوانين الحرب وعدم التعرض للمدنيين..

لكننا كنا إزاء وضع غير طبيعي، لفرد يواجه القراصنة الذين حولوا حكام بلاده إلى نخاسين، فكان من الطبيعي أن يكون رد الفعل غير طبيعي..

إنني يا قراء أصل إلى الحد الأقصى.. وأفترض أن المجاهد أسامة بن لادن هو الذي قام بأحداث ١١ سبتمبر..

لكنني بالرغم من ذلك ما زلت أشك كثيراً أنه فعلها.. لكنني وقد وصلت للحد الأقصى فلم يعد الولوج في غيره ذا أهمية..

فلنتجاوز الآن عن أن الحكام لم يكونوا مجبرين عما فعلوا.. لأن أقل قدر من التعاون والاتحاد كان كفيلاً بردع أمريكا وإسرائيل..

لكنهم لم يفعلوا..

تصرف كل حاكم بدولته كما يتصرف الطفل الفاسد المدلل بدمية يعبث بها، فإذا ما أراد أحد أن يأخذها منه دمرها تدميرا..

كانت غاية كل حاكم أن يستمر في ملكه.. مهما كانت النتائج وخيمة.. وأدرك الغرب هذا وشجع عليه.. وصارت كلمة الوحدة بين بلاد المسلمين أبغض الكلمات عند الحكام.. وارتضوا الشرذمة حتى تداعت علينا الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها.. وليس ثمة وجاء إلا وحدة الأمة.. لكن خضوعهم للبيت الأبيض والشيطان أهون عليهم من الخضوع لله..

في ظل هذا الوضع المأساوي أتي أسامة بن لادن فهاله ما رأى..

فلنواصل الافتراض إذن.. ولنقل أن أسامة بن لادن هو الذي فعلها ثم هرب إلى أفغانستان..

فهل يسوغ هذا لأمريكا.. أقوى وأغنى دولة في العالم أن تهاجم بهذه الوحشية أفقر دولة في العالم.. وأن تقتل منها حتى الآن آلاف المدنيين انتقاماً لرعاياها المدنيين!!..

مئات سوف يصبحون ألوفاً..

هل يسوغ ذلك الإجرام الأمريكي والذي تبدى في قصف محطات الكهرباء في بلد يعاني من الجفاف والمجاعة وهي تعلم أنه يعتمد في إمداداته من المياه علي المضخات الكهربائية..

هل يسوغ ذلك الإجرام الأمريكي بقصف مخازن الغلال التابعة للأمم المتحدة حتى تتحكم بغلالها وحدها في الشعب الأفغاني فتجوع من تشاء وتطعم من تشاء..

وهل يسوغ ذلك الإجرام الأمريكي بإلقاء مساعداتها الغذائية في المناطق التي تعتزم إنزال قوتها البرية فيها، وذلك حتى يتدافع الناس إليها فيطهروها بأجسادهم من الألغام، حتى يتمتع القرصان الأمريكي بالأمان حين ينزل..

هل..

وهل..

وهل..

وبعيداً عن أحكام الشريعة الإسلامية، فهل تنصاع أمريكا للقانون الدولي، إن بوش الأب متهم بارتكاب جرائم حرب بحكم محكمة أمريكية لجرائمه في العراق، فهل تسلمه أمريكا للعراق كي يحاكم فيها..

وهل يسلمون المجرم شارون..

بل هل يسلمون ذلك الجنرال الفرنسي الذي اعترف أنه قتل مئات الجزائريين من التعذيب.؟).

كتبت ذلك، وجاءني عتاب من جهات عديدة، يعاتبني لأنني أستكثر شرف القيام بغزوة ١١ سبتمبر على تنظيم القاعدة، وراح يؤكد لي مسؤولية تنظيم القاعدة عنها، وقلت لهم أنني ألزم نفسي بما يقوله الملا عمر والشيخ أسامة بن لادن رضي الله عنهما.. وكنت أقول، أنني لا أرفض الفكرة مطلقاً، وأن الفكرة الأقرب للتصور في ذهني أن تنظيم القاعدة هو الذي قام بها: لأنه لا يمكن أن يتوفر في كل الدنيا استشهاديون إلا بين المسلمين، لكنني في نفس الوقت لم أبرئ جهات أمريكية من المشاركة بالصمت، وكنت أعني بذلك أن جهة ما داخل المؤسسة الأمريكية الحاكمة قد اكتشفت العملية وتركتها تكتمل كي تستغل الفرصة، ليس ضد المسلمين وحدهم، ولكن ضد جزء في المؤسسة الأمريكية نفسها.

في قضية اغتيال السادات ثبت أن مباحث أمن الدولة علمت قبل الاغتيال بساعات ثلاث، ولا أتصور في أي جزء من عالمنا العربي أن تصل أجهزة أمننا المخترقة بالكامل إلى معلومة لا تعلمها المخابرات الأمريكية.. نستطيع القول إذن أن المخابرات الأمريكية علمت

بخطة البطل الشهيد خالد الإسلامبولي قبل تنفيذها بوقت كان كافياً لإفشالها، لكنها لم تفعل، وأن هذا لا ينال من بطولة خالد الإسلامبولى قيد أنملة، لكنه يدين أمريكا.

وفي قضية محاولة اغتيال جمال عبد الناصر في المنشية، أعترف أنني ظللت فترة طويلة ميالاً إلى تصديق القصة الرسمية، إلى أن جلست مع الوزير أحمد طعيمة، وزير الأوقاف في العهد الناصري، وأحد الضباط الأحرار، وسألت الرجل عن حادث المنشية (نشرت الواقعة كلها منذ أعوام).

وراح الرجل يؤكد لي القصة الرسمية، والرجل شديد الإعجاب بجمال عبد الناصر، شديد التدين، وشديد الإدانة للإخوان المسلمين، وعلى الرغم من هذا كله فقد كانت روايته لي عن حادث المنشية، وتأكيده للرواية الرسمية، هي بداية الخيط الذي جعلني أشك في هذه الرواية.

باختصار شديد، كان أحمد طعيمة على علاقة شخصية حميمة بأحد التجار، وكان هذا التاجر عضواً في الإخوان المسلمين، وكان معجباً بعبد الناصر، فأبلغ الوزير طعيمة بأسماء عشرة أشخاص جرى الاقتراع بينهم لتنفيذ عملية الاغتيال، وهرع أحمد طعيمة – والرواية على لسانه والرجل ما يزال حياً – إلى جمال عبد الناصر وأبلغه بالأسماء العشرة، وطلب منه اعتقالهم على الفور، بعد أسبوع قابل صديقه التاجر مرة أخرى، فسأله مندهشاً لماذا لم يتم القبض عليهم، يقول أحمد طعيمة أنه هرع إلى جمال عبد الناصر مغاضباً ومتسائلاً لماذا لم يتم القبض على المتآمرين، فأجابه جمال عبد الناصر بأنه لا يستطيع القبض على أناس لم يرتكبوا بعد أي جريمة.

كان الوزير أحمد طعيمة في غاية الانفعال وهو يسرد الواقعة مؤكداً لي أن جمال عبد الناصر قد تصرف مثل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أبى حبس من توعده بالقتل.

وأضاف أنه بعد أن حدثت المحاولة في المنشية راجع أسماء المقبوض عليهم فوجدها هي الأسماء التي أبلغ بها عبد الناصر.

وما لم ينجح فيه أصدقائي من الإخوان المسلمين نجح فيه الوزير أحمد طعيمة، فقد أصبحت ميالاً بعدها لرواية الإخوان المسلمين.

لقد استحال عليّ أن أصدق أن نظاماً عسكرياً – مهما بلغ حماس أنصاره له – يقدر على الارتفاع لمستوى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.. استحال عليّ ذلك، كما استحال عليّ أن أفهم كيف لم يصحح الوزير طعيمة خطأه خاصة بعد ما رآه من تصرفات الثورة مع المعتقلين بعد ذلك.

كان التصور المنطقي أن جهاز الأمن تابع المؤامرة وحاصرها، وتركها تجرى وفق خطته، تنفيذاً لأغراضه.

لقد أطلت في هذه الواقعة كي أكشف للقارئ كيف يمكن لسلطة ما أن تدع مؤامرة ضدها تنفذ خدمة لأغراض السلطة نفسها.

والآن نعود إلى غزوة ١١ سبتمبر..

نعود إلى تصريح أوجع القلب لأحد الأمراء..

فقد (نقلت وكالة الأنباء السعودية عن الأمير سلطان بن عبد العزيز قوله عشية الذكرى الأولى لاعتداءات ١١ سبتمبر، أن أفرادًا من السعوديين وغيرهم خرجوا عن الملة الإسلامية وخرجوا عن الوطنية يتحملون مسؤوليتهم هم وليس نحن، إنهم حاربوا بلدهم قبل غيره والكل يعلم ماذا عملوا في المملكة العربية السعودية.

وتابع أن بعض هذه المجموعات التي ذهبت لتدافع ضد الشيوعية في أفغانستان وانقلبوا رأسًا على عقب، فكانوا مجرمين ومخربين وليسوا صالحين، وهذه حقيقة، ولذلك نحن في

المملكة العربية السعودية لم نؤوي مجرماً ولم نؤوي إرهابياً، بل بالعكس ديننا يمنعنا من هذا وعروبتنا تمنعنا من هذا.

وأكد أن السعودية قيادة وشعباً ضد الإرهاب وضد الإجرام وأن الإسلام ينبذ هذه الأعمال ويشجبها، وأن كل عمل إرهابي أو إجرامي يعتبر مخالفاً للشريعة الإسلامية ومخالفاً للمنطق الإنساني للبشر.

وأضاف أن المملكة تألمت ألماً شديداً لحادث يوم الحادي عشر من سبتمبر المؤلم للإنسانية كلها، ووصفه بأنه يوم مشؤوم لأنه قتل فيه أبرياء ليس لهم ذنب بأي حال من الأحوال).

من الناحية الفقهية فإنني واحد ممن يرون الأمر واضحاً لا لبس فيه..

ولكنني لن أتشبث برأيي..

سأفترض حسن النية.. وسأفترض أن هناك خلافاً فقهياً..

سأفترض أن الإمام أبي حنيفة يختلف مع الإمام الشافعي.. وليس مع الإمام رامسفيلد أو كونداليزا..

عندها ستظللنا القاعدة الفقهية: لا اختلاف فيما فيه خلاف..

لماذا ورط الأمير نفسه في هذه الفتوى حتى أنه يتهم أعظم من فينا وأشرف من فينا بأنهم خرجوا على الملة الإسلامية..

نعم..

لقد اتهمهم بالخروج من الملة..

إذن..

فقد باء بها أحدكما..

باء بها أحدهما..

باء بها أحدهما..

فانظر أيها الأمير: أنت.. أيهما؟!

يا سمو الأمير [١]:

الويل لك وقد خذلته..

الويل..

ويل الدنيا والآخرة..

ووالله.. إني لأكاد أراها خلف حجب الغيب..

أن يعاقبك الله بغير قصدك.. وألا ينيلك مأربك.. وأن يقصيك عما خذلته من أجله ويحرمك منه..

أعلم أن شياطين واشنطن لا يرضون منك من التعبد لهم أقل..

لكن.. هل فكرت في الله..

ينفجر الألم في القلب..

أستعيد الذكرى..

وثمة أمير كالأمير يجمع نساء أهل البيت أمامه بعد أن قتل أباهم: سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين رضي الله عنه.. يجمعهن يزيد أمامه ويروعهن ويهددهن أن يبيعهن سبايا..

---

[١] قريباً سيعلم هذا المجرم الخائن جواد تحت رجله أم حمار!!!.

يجمعن يزيد ورأس سيد الشهداء أمامه يعبث برمحه في الشفتين الشريفتين..

ينفجر الألم..

هو أيضاً اتهم سيدنا ومولانا وابن سيدنا ومولانا بالخروج من الملة..

هو أيضاً..

أقسم بجلال وجهك يا رب.. أن يزيد وإن كان لا يقل خيانة لله والرسول فقد كان أقل حماقة..

ذلك أنه فعل ما فعل من أجل عرشه ودنياه لا من أجل عرش غيره ودنيا سواه..

خذلوك يا حفيد الرسول ﷺ كما خذلوا الحسين..

خذلوك..

خصمهم يوم القيامة فيك جدك..

خصمهم يوم القيامة فيك جدك..

خصمهم يوم القيامة فيك جدك..

خذلوك..

تباً لقوم خذلوك..

كان بعض الأمة قلوبهم معك وسيوفهم عليك..

وكان جل الأمة يكتفي بأن ينصرك بقلبه..

ولم تكن نصرة القلب تؤمن من خوف أو تغنى من جوع ولم تكن بمانعة جحيم الصواريخ والطائرات والقنابل السجادية أطلقها عليه مسيخ هذا العصر الدجال..

بوش..

نعم..

مسيخ دجال.. من دخل جنته هلك ومن دخل ناره نجا..

فاهنأ يا حبيبي بالنجاة وليدخل ولاة أمورنا جنته..

جنة مسيخ دجال..

نحن نفهم أن يفتي الأمراء في القمار وفي الخمور وفي القصور.. في الغلمان وفي الجواري.. وربما في البورصة والجواهر وماركات السيارات.. أما أن يفتوا في الدين.. وأن يخرجوا أعظم شهداء العصر من الدين كله..

فإذا تركنا الإمام أبي حنيفة والشافعي ومالك وابن حنبل ورجعنا إلى ما يقوله إمام الكفر شوارزتسكوف في مذكراته عن حرب الخليج وهو يصف الأمير القائد العربي لقوات التحالف فيتهمه بالجهل المطبق والغباء المطلق.. ويصف ساخراً كم كان عبئاً عليه أثناء ضرب العراق بغبائه وجهله.. يصف ذلك فيقول عن الأمير: (إنه لا يعرف الفرق بين الواقي الذكرى والكلاشينكوف.. كما أن كل خبراته في أسلحة المدرعات والطيران لا تتجاوز خبراته أيام كان طفلاً.. خبراته في الطائرات والدبابات اللعب.. التي كان يلهو بها وهو طفل!!).

لماذا ورط الأمير نفسه في هذه الفتوى إذن!!

الويل – يا حبيبي – لمن خذلوك..

غداً يحيق بهم وببلادهم ما حاق بأفغانستان والعراق وفلسطين..

غداً يفقدون ما خانوا الله كي يحافظوا عليه..

كان الأمر في البداية أيسر لكنه كل يوم يزيد صعوبة..

كان تجنب وجود إسرائيل كلها في إطار الممكن الإسلامي، لكنهم كانوا قد أقصوا الإسلام.. ولو أنهم تركوا الأمر للاستشهاديين أيامها لفر اليهود من بلاد لا تحمل لهم إلا الموت.. إنهم يكادون يفعلونها اليوم لولا خيانة الحكام وتقاعس الأمة.. يكادون يفعلونها وهم أقوى من دول المسلمين قاطبة فكيف لا نتصور أنهم كانوا سيهربون أيامها وهم شراذم عصابات..

كان تجنب هزيمة ٦٧ أكثر صعوبة.. لكنه كان ممكناً.. لكن.. كيف كان يمكن والسلاح الرئيسي مقصى: الإسلام.

حتى تدمير العراق عام ٩١ كان من الممكن تجنبه لولا السعودية ومصر..

وكان تجنب تدمير أفغانستان وهزيمة طالبان وحصار أسامة بن لادن ممكنا لولا خيانة الحكام ووهن الأمة وغش الأئمة..

الآن..

يقولون أن لا قبل لهم بأمريكا وأنهم لا يستطيعون منعها.. يقولون أن لا قبل لهم بها.. وأن بلادهم عورة وما هي بعورة بل إنهم هم العورة.. وإلا فليفسروا لنا كيف أذل حزب الله إسرائيل وكيف أذل الشيشان روسيا وكيف أذل أسامة بن لادن أمريكا.[1]

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَاذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً ۝ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا

[1] حزب الشيطان وليس حزب الله، واقرأ في ذلك كتاب (حزب الله رؤية مغايرة).

ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيراً ۝ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً ۝ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ۝ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً﴾ [الأحزاب: ١٣ - ١٧].

نعود إلى غزوة ١١ سبتمبر..

لكنني قبل أن أعود إليها أريد أن أنبه القراء إلى نقطة في المنهج..

ففي امتحانات الدراسات العليا للأطباء عند التخصص الدقيق يأتون بمريض يمتحنون الطبيب عليه تمهيداً لمنحه الشهادة العليا.. فإذا ما اقتصر هذا الطبيب على ذكر تشخيص مرض المريض فقط فإنه يرسب على الفور حتى لو كان التشخيص صحيحاً.. لأن معنى ذلك أنه لم يتبع المنهج العلمي الصحيح.. ولا بد لهذا الطبيب كي ينجح أن يذكر التشخيص في ثلاثة بنود: التشخيص المبدئي، ثم التشخيصات الأخرى المحتملة، ثم التشخيص النهائي.

وثمة جملة مشهورة في هذا الصدد يقولها الأساتذة لمن يتورط في التشخيص الواحد:

You have no right to be right!!

وتعني ليس لديك الحق في الوصول إلى التشخيص الصحيح قبل أن تمر بالاحتمالات الأخرى..

كل الاحتمالات يجب أن تكون في مجال تفكير الطبيب الحاذق كي يصل إلى التشخيص الصحيح..

ونفس الشيء ينطبق على الفكر وعلى السياسة.. وعلى غزوة ١١ سبتمبر..

نعود إلى غزوة ١١ سبتمبر..

ونعيد التركيز على الثوابت:

إن كان الشيخ أسامة بن لادن قالها فقد صدق..

وإن كان فعلها فقد أصاب..

ليس هناك ما نخجل منه بل هناك ما قد نشرف به..) [١].

[١] ليس هناك أدنى شك لدى المجاهدين أو المقربين منهم أن المجاهدين هم من قام بهذه الغزوات وهم يفتخرون ويحق لهم ذلك بهذا الفتح العظيم.

٢٠- بعد تفجيرات الرياض سنخبركم عن سر من أسرار تنظيم القاعدة![1]

(عفواً.. لكننا اليوم سنكتب بلسانٍ صريح!.

سبق وأن كتبت سلسلة – غير مطولة – عن استراتيجية تنظيم القاعدة وذلك قبل الحرب الأمريكية على العراق بثلاثة أشهر عبر زاويتي بالجريدة، ولقد تطرقنا في تلك السلسلة بالحديث عن أهداف التنظيم وشرعية تلك الأهداف من منظور التنظيم وفصلنا في مفهوم التحريض الشرعي الذي ينتهجه التنظيم كأداة فاعلة في كسب المتعاطفين معه، منطلقين في ذلك من منهج قرآني كما في قوله تعالى: ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَاسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَاساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً﴾.

ومن خلال قراءاتنا في الحركات الإسلامية عموماً والقاعدة خصوصاً، فلا بأس أن نتبرع عبر هذه السلسلة ليس بترويج فكر هذا التنظيم الذي لا يحتاج أصلاً إلى ترويج حيث أنه مروج ومتغلغل في مجتمعنا الإسلامي شئنا ذلك أم أبينا، ولكننا سنعمد إلى أسلوب العرض المحايد كما عودناكم لتتضح الصورة للجميع.. وننوه بأنه كما أن ناقل الكفر ليس بكافر، فكذلك ناقل الإرهاب ليس بإرهابي!

بداية.. وبما أننا تحرشنا بمفهوم الإرهاب في السطر السابق، دعوني أوضح للجميع بأن ليس الأغلبية ولكن جميع من ينتمي إلى المنهج الجهادي وبلا استثناء لا يستنكفون ولا يتضايقون أبداً من إطلاق خصومهم عليهم لقب الإرهابيين!!.

---

[1] للكاتب محمد المليفي.

بل ولا أبالغ بالقول بأن أصحاب هذا المنهج يرون هذا المسمى وذلك اللقب شرفاً عظيماً لهم وثناء مقذعاً يستحق من يناديهم به أن يحثوا على وجهه التراب تطبيقاً للنص النبوي: ((إذا سمعتُم المدَّاحِين فاحثوا في وجوههم التُراب))..!

ولأن النبي صلوات الله وسلامه عليه لا يريد من أتباعه أن يفتنهم مديح المادحين فيعجبون بأنفسهم، فكذلك أصحاب المنهج الجهادي ربما يفتتن البعض منهم بهذا المديح فيجعله يعجب بنفسه كثيراً.. وربما يؤدي بعد ذلك إلى تقاعسه عن الاستمرارية بالقتال بكل أشكاله وأنواعه، لأنه وبحسب ذلك المفهوم الذي التصق فيه من قبل خصومه قد أدى الذي عليه من الجهاد والذي يتمثل في إرهاب عدو الله ورسوله كما في منطوق الآية الكريمة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾.

إذن قبل أن نتجاوز هذه النقطة، يجب أن نتفق على أن لقب الإرهاب والإرهابيين ليس بشتيمة وسبة وانتقاص كما يتخيله البعض، ولكنه لقب رفعة وكرامة وعزة لا يستحق أن يناله ويتمسى به وينادى به إلا من أستكمل عُدة الجهاد في نفسه وماله وقلبه.. فصار حقاً من أولئك الذين يرهبون بأنفسهم ﴿عَدُوَّ اللَّهِ﴾.. وآخر أبيات لـ شاعر تنظيم القاعدة يقول فيها مفتخراً بأنه إرهابي:

بتوجيهاتِ بنْ لادِنْ نواصِلُ دربَ منهاتن
لِنُرغِمَ أنفَ أمريكا ونقطعَ شرَّها الشائنْ

إلى أن يقول:

أنا يا بوشُ إرهابي حديدَ الظفرِ والنابِ
جمعتُ اليومَ أصحابي لنمحوَ ليلَك الداكِنْ

سبق وأن كتبنا بأن هدوء القاعدة هو هدوء ما قبل العاصفة.. لأن هؤلاء الناس وباختصار شديد لن تهدأ أرواحهم إلا بأحد أمرين اثنين لا ثالث لهما حسب معطياتهم الأيديولوجية، فإما النصر بإقامة الدولة الإسلامية المتمثلة في عقولهم وحسب معتقدهم، وإما الموت واللحاق بمن سبقهم على هذا المنهج..

فإذن أعداء هؤلاء وخصومهم هم حقاً في ورطة حقيقية، لأنهم وبرغم كل إمكانياتهم العسكرية والمتمثلة بانصهارهم بالبوتقة الأمريكية حتى صاروا جزءاً منها فلهم ما لها وعليهم ما عليها.. تتمثل ورطتهم بأنهم باتوا في مواجهة من يحرصون على الموت أكثر من حرص الطرف الآخر على الحياة.. إنها حقاً معضلة!.

ولن تنتهي إلا عن طريق زعزعة قناعات هؤلاء الإرهابيين في شرعية ما يقومون به وترويضهم وإقناعهم على أن يحرصوا على الحياة الدنيا أكثر من حرصهم على الموت من أجل الآخرة!

تفجيرات الرياض الأخيرة ثم ما تبعها من تفجيرات الدار البيضاء، وبغض النظر عن صلتهما ببعضهما البعض أو عدم صلتهم، إلا أننا أمام تألق جديد لهذا المنهج ومن يتبناه برغم استماتة أمريكا وكل حلفائها وأتباعها على سحقه وبتره واقتلاعه من جذوره.. فهو شبح لا تؤثر فيه القنابل العنقودية، ولا الذكية ولا حتى المتوسطة الغباء..! لأنها لم تستطع أن تطوله حتى في جبال تورا بورا المكشوفة، فكيف لها أن تجتثه في قلب المدن..! فهو كائن يتكاثر بالساعات لا بالأيام والشهور والسنوات.. وهو كما قلنا سابقاً شبح لا تعلم في أي جحر مختبئ ولا تستطيع أن تشمه ولا تراه.. فقط تستطيع أن ترى آثاره المخيفة..!

ومن البساطة بمكان أن يظن البعض أن هؤلاء الإرهابيين مجرد متحمسين، والصحيح أن هؤلاء أصحاب ولاء شديد لمعتقدهم، ويرون أن الخيانة.. كل الخيانة في عدم بذل الغالي والنفيس لهذا المعتقد الذين يعتقدونه.. سر الأسرار في يوم الثُلاثاء المقدس!..

بعد الهدوء المصطنع لتنظيم القاعدة انتعش مجدداً أتباع هذا التنظيم بتفجيرات الرياض الثلاثة في يوم الثلاثاء الفائت، والذي صادف مولد النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. ورغم أني أعلم بتبديع المنهج الجهادي للاحتفال بالمولد النبوي حيث أنهم أصحاب عقيدة وهابية سلفية قحة، إلا أنهم ربما أرادوا أن يحتفلوا بالمولد النبوي على طريقتهم الخاصة..!

وعودة إلى يوم الثلاثاء.. فإن القاعدة أرادت أن تعلن مبدئياً ومنذ أول شعلة بارود انفجرت بالمباني السكنية للأجانب عن تبنيها لهذه العملية الضخمة، لأنها وباختصار شديد قد تمت في الساعات الأولى ليوم الثلاثاء..! إنه ثلاثاء القاعدة!!

تعالوا نتذكر معاً:

عملية الخُبر الشهيرة.. تمت في يوم الثلاثاء.

غزوة سبتمبر الكبرى كما يسمونها تمت في يوم الثلاثاء!

المتأثرين بالقاعدة – أنس وجاسم – أرادوا أن يعلنوا علاقة عمليتهم الفيلكاوية بالقاعدة فأوقعوا عمليتهم الإرهابية في حق المارينز "المسالمين" في يوم الثلاثاء!

المتأثر الآخر – سامي – لم يستطع أن يتجاوز يوم الثلاثاء للقيام بعمليته الهجومية في الدوحة!

الهجوم على المعبد اليهودي في تونس بجربا أيضاً تم يوم الثلاثاء.

الهجوم على المدمرة كول كان في يوم الثلاثاء!

ضرب الناقلة الفرنسية أيضاً يوم الثلاثاء!

تفجيرات الملهى الليلي بإندونيسيا والذي يرتاده أغلب السياح من الأمريكان كان في يوم الثلاثاء!

ولكن ربما يقفز أحدهم ويقول: لكن هل نسيت أن تفجيرات السفارة الأمريكية بنيروبي ودار السلام كان يوم الجمعة وليس الثلاثاء؟!

فنقول: كان هذا استثناء من القاعدة – والله أعلم –، لأن القاعدة تعلم أن داخل هاتين السفارتين وخارجهما مسلمين أيضاً، فكان أنسب وقت للتفجير هو ظهر يوم الجمعة، لحظة انشغال المسلمين بخطبة الجمعة لكي لا يصيب الموت إلا الأمريكان ومن بقى معهم وترك فضيلة الجمعة وفضل أن يقضي وقت الفريضة مع الأمريكان لا في المسجد مع المسلمين!).

٢١- لماذا هدأت (القاعدةُ) يا أسامة!؟ [١]

(عندما زارني رئيس المتابعة الأخبارية بالشرق الأوسط في جريدة نيويورك تايمز وأعني به الصحافي الأمريكي (Craig s. smith) بمنزلي قبل تقريباً شهرين وأجرى معي لقاءً صُحافياً نُشر في تلك الجريدة الأمريكية، سألني كريغ: هل بظنك أن القاعدة قد استنفدت كل ما لديها وهي الآن عاجزة عن فعل أي شيء شبيه أو قريب من أحداث سبتمبر؟!

قلت له: لو أني أخبرتك بقدرات القاعدة أكون قد انتقلت من عالم التحليل والاستقراء إلى عالم الهراء والكذب والادعاء! وهذا الجواب لا يستطيع أن يجيبك عليه إلا أسامة ومن حوله من قيادات القاعدة..!

فقال الأمريكي: لا بأس حاول أن تجيب عليه تحليلياً، والحقيقة أن وجهة نظرك تشبعني وتكفيني ما دام الجواب النهائي لن أجده إلا عند أسامة..!!

قلت: دراستي لمنهج القاعدة جعلتني أخرج بنتيجة مفادها أن قيادات هذا التنظيم تفكر من خلال المنهج القرآني، والمنهج القرآني يحث على التعبئة النفسية قبل أي قتال مع العدو.. وهذا هو الذي تستميت القاعدة في تنفيذه، وأول من يساعدها في تحقيق التعبئة النفسية ضد أمريكا هي أمريكا!!

وسأجيبك عن كيف ذلك قبل أن تسألني: يا أيها الأمريكي (المعاهد!!) يجب أن تعلم بأن فلسفة الجهاد في الإسلام ليست معقدة البتة عند كل من يريد أن يموت في سبيل الله من المسلمين، وهي لا تحتاج إلى الانخراط في تنظيم معين أو جماعة محددة، وهذه البساطة وعدم التعقيد التي خلقها الإسلام للانخراط في ركيزة (الجهاد) ومن ثم الموت في سبيل الله

---

[١] للكاتب محمد المليفي.

التي يعقبها السعادة الأبدية الكبرى هي أحد أسباب تنامي القوة لكل من يحمل فكرة الجهاد ضد أعداء الإسلام..

بل إن الإسلام عندنا يحث على الجهاد في سبيل الله والانخراط بالقتال ضد أعدائه بمجرد أن تصبح مسلماً من فورك، وحتى لو لم تسجد أو تصلي لله ركعة واحدة!! فالإسلام يقوم على أن (كل مسلم مقاتل وليس كل مقاتل مسلم!)، وتنظيم القاعدة منتبه وواع لتلك الحقيقة ويستغلها جيداً..!

فقال الأمريكي متعجباً: هل الإسلام يقول أسلم ثم قاتل!؟

قلت: نعم، وإياك أن يخدعك أحد ويقول لك أن هذا إسلام خاص في القاعدة، ولكنه منصوص عليه من أمير المسلمين كلهم وهو الرسول محمد ﷺ، ففي الحديث الصحيح الذي ينقله للمسلمين أوثق العلماء عندهم وهو البخاري، وكذلك الإمام أحمد يقول: سمعت البراء رضي الله عنه يقول: أتى النبي ﷺ رجل مقنع بالحديد، فقال: يا رسول الله، أقاتل أو أسلم؟ قال: ((أسلم أولًا ثم قاتل))، فأسلم ثم قاتل فقتل، فقال رسول الله ﷺ: ((عمل قليلًا وأجر كثيرا)). ولقد نص العلماء على أنه لم يصلِ ولم يزكِ، وإنما بمجرد أن أسلم وانخرط بالجهاد ثم قُتل صار شهيداً عند الله.

ثم قلت له: هذه البساطة المتعمدة في المنهج الإسلامي في تجميع القوة ضد أعدائه، هي من أهم أسباب تنامي القوة ليس عند القاعدة فحسب ولكن عند كل الجماعات الجهادية في العالم.. وهي من أهم الأسباب التي تسهل إعادة عملية ترتيب الصفوف والقدرة على امتصاص الضربات الموجهة لهم ولو كانت قاسية كما رأى العالم أجمع، ولكن تبقى (القاعدة) وبغض النظر عن اتفاقنا معهم أو اختلافنا في أطروحاتهم، تبقى متميزة عن كل الحركات الجهادية والتي بات اسمها العصري (الإرهابية) باستغلالها للمنهج القرآني في التعبئة للقتال ضد من يعتقدون أنهم أعداء للإسلام، وهو عن طريق منهج (التعبئة النفسية) قبل أي عملية ضد أمريكا..!

ومنهج التعبئة النفسية التي سارت عليه القاعدة من قبل هو الذي يجعلني أظن بل أجزم أن هدوء القاعدة الحالي ليس عجزاً كما تتخيله أو تتمناه أمريكا وحلفاؤها، وإنما هو تكتيكاً خطيراً يقوم على منهجية (التعبئة النفسية) التي تخطط له القاعدة.

وأنوه بأن الذي يدفع تلك التعبئة النفسية إلى الذروة ويحققها لها بالمجان هي أمريكا بنفسها كما نوهت في بداية حديثي..!

فقال متعجباً: أمريكا تساعد القاعدة ضد نفسها؟

قلت له: نعم، وأقسم بالله على ذلك..!).

شعر في الإمام أسامة بن لادن

للشعر أهمية بالغة في مسيرة الجهاد، كما له أهمية أيضاً في الفت من عضد أعداء دين الله، ولذا كان النبي ﷺ يأمر الشعراء بهجاء أعداء الله كما في حديث البراء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لحسان رضي الله عنه: ((اهجُهُم – أو هاجهم – وجبريل معك))، وعن سعيد بن المسيّب قال: مرَّ عمر في المسجد وحسان يُنشد، فقال: كنتُ أُنشدُ فيه وفيه من هو خيرٌ منك. ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أُنشدك بالله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: ((أجب عني، اللهم أيده بروح القدس))؟ قال: نعم.

ولذا كان لشيخنا الحبيب النصيب الأوفى من شعرائنا المخلصين، ونحن نحثهم على المزيد من ذلك، بل نقول لهم إن قولكم الشعر في هذه المرحلة هو إحدى الواجبات الشرعية الملقاة على عواتقكم، وهو أمر يسير فلا تبخلوا على إخوانكم.

تقول عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: ((اهجوا قريشاً فإنه أشدُّ عليهم من رشق النبل)). فأرسل إلى ابن رواحة فقال: ((اهجهم)) فهجاهم فلم يُرض، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه قال حسان: قد آن لكم أن تُرسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنَبه، ثم أدلع لسانه فجعل يحركه فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينّهم بلساني فري الأديم، فقال رسول الله ﷺ: ((لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً، حتى يلخِّص لك نسبي))، فأتاه حسان ثم رجع فقال: يا رسول الله قد لخَّص لي نسبك، والذي بعثك بالحق، لأسلنَّك منهم كما تُسلُّ الشعرة من العجين. قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: ((إن روح القُدُس يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله)). وقالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: ((هجاهم حسان فشفى واشتفى)).

نريد الشعر الإسلامي الموزون الذي يرفع همة المسلمين ويذكر محاسن المجاهدين ويذب عن أعراضهم، نريد الشعر الذي يحطم من معنويات الكافرين ويذكر عوارهم.

شعرٌ يموتُ وآخرٌ يتسكَّع ... وإلى الفُتات على الموائد يُسرعُ
هذا يمُدُّ على السحاب جناحَهُ ... وسواه في حمأ الرذيلة يرتعُ
هل يستوي الشّعران شعرٌ مؤمن ... ومُدجَّجٌ بالكفر لا يتورع
هل يستوي السيفُ الذي هتك الدُّجى ... والآخر المتزلِّفُ المتصنِّعُ
هل يستوي البحران هذا ماؤه ... عذبٌ وذاك الآسنُ المستنقع
ومن الغرابة أن هذا رائجٌ ... تغدو به صحف الزمان وترجع
وله من العشّاق ألف قبيلةٍ ... وله من الأبواق جيش مُفزع
يحثو بأحضان الكبار مؤدباً ... وإذا مشوا أوقتْ إليه الأصبع
إن شرَّقوا فالشرق أقدس قبلةٍ ... أو غرَّبوا فالغربُ نعم الموضعُ
والشعر مرآة الشعوب فإن سمت ... فالشعر أسمى ما يقالُ ويُبدعُ
وإذا أضاعت في الوحول جبينها ... فالشعر منها عند ذلك أضيعُ
والشعرُ صوت الحق في آفاقنا ... لو كان من ثدي الحقيقة يرضع
والشعر قنديل الهداية تارةً ... والشعر إعصارٌ يهزُ ويصرعُ
لكنَّنا نأبى القصيدة حرةً ... ونودّها حملاً يطيع ويسمع
ونودُّها في القصر جاريةً إذا ... دُعيت فلا تأبى ولا تتمنّعُ
إن القصائد كالرجال فبعضُهم ... شُمُّ الأنوف وبعضهم متمِّيع
ولقد تموت إذا تموتُ شهيدةً ... ويزورها المطرُ الحنونُ فتمرعُ
وقصائدٌ مثلُ العرائس مهرها ... غالٍ وأخرى ليس فيها مطمعُ
فوق النجوم تعيش بعضُ قصائدٍ ... والبعضُ في عفن القمامة يقبعُ
وأجلُّهنَّ قصيدةٌ عربيةٌ ... فيها من الإسلام شمسٌ تسطعُ
تأبى على أهل الغرور غرورَهم ... وتشدُّ من أزر الضعيف وتمنعُ

وتثورُ في وجه الطغاةِ وتنبري ... للظالمين تؤزُّهُم وتُزعزعُ
وإذا أصاب المسلمين مُصيبةٌ ... فهي التي من أجلهم تتوجَّع
وهي التي تأسو الجراح بليلهم ... والفجرُ من جُرح القصيدة يطلُعُ
وهي التي تنهلُّ في صحرائهم ... مطراً وتحفرُ في الصخور وتزرعُ
حَسْبُ أنها لا تنحني ... إلاَّ لجبَّار السماء وتركعُ [1]

[1] إنها الصحوة (٩ - ١١).

١ - ماذا فعلت بنا يا أسامة:

ماذا فعلت بنا يا أسامة ... فالكل يرمي علينا سهامه
وصرنا نلامُ ومهما فعلنا ... فبأي عذرٍ نردُ الملامة
فأنتَ تُقاتلُ جيشَ الصليبِ ... ونحنُ نُهرولُ خلفَ الحَمامة
ولما ارتضينا بسلم مُذلٍ ... بَغوا واستباحوا لديني حرامه
وأنتَ تقودُ أسودُ الوَغى ... ونحنُ نُقلِدُ فعلُ النَعامة
قعدنا لنبكيَ مثل النِساءِ ... على ما يدورُ بأرض الشهامة
وبالأمسِ كنا نُعَدُ رجالاً ... وكدنا نصدقُ تلكَ العلامة
فنزهو بطول الشوارب منا ... وصوت غليظ وعرضٌ وقامة
حتى أتيت فصُغتَ المعاني ... فبدّلَ كلُ دَعيٌ كلامه
لأنَ الرجولة قولٌ وفعلٌ ... وأن الرجولة تعني الكرامة
وأنَ الرجولة توحيدُ ربٍ ... بكل العبادةِ ثمَ استقامة
وأنَ الرجولة حبٌ لدين ... يكون الجهاد بأعلى سنامه
وأنَ الرجولة زُهدٌ وتركٌ ... لدُنيا وجَاهٍ رفيع مقامه
وأنَ الرجولة عزمٌ وصبرٌ ... على النازلاتِ وعسرُ الإقامة
وأنَ الرجولة كرٌ وفرٌ ... ونَصرٌ منَ اللهِ يُرجَى تمَامه
وأن الرجولة ثوبٌ ولحيهْ ... ونورٌ يفوقُ بياضَ العُمامة
فهل بعدَ تلك الفعالِ فعالٌ ... ومن ذا يطالك قدراً وهامة
أعيدوا كتابة كلُ المعاجم ... فإن الرجولة تعني أُسامة

٢- خالد العصر. لأبي سعد الأزدي:

الله أكبر كم في النصر من شرف ... يا خالد العصر جدد خالد السلف
ذكر أسود الشرى أن المجال لها ... وللشياه مرىء التبن والعلف
حطم قيوداً شديداً شد موثقها ... وخاطب الظلم بالتعنيف والصلف
وازأر تخر لك الأبطال من فرق ... وأمر تطع ببليغ الشوق واللهف
واضرب بسيفك بتاراً له شرر ... يظل من برقه الرعديد كالسعف
زلزل عروش دعاة السوء أخزهم ... وابتع رضى الله لا تحزن ولا تخف
وقد جيوشك لا تعبأ بصولتهم ... عضباً حديد الظباة سامي الهدف
مستمسكاً بعرى التوحيد مهتدياً ... لا بهراء التائه الخرف
ولا تهولنك أمريكا وقوتها ... ما أمر قوتها إلا إلى الضعف
واعلم بأنك منصور إذا صلحت ... منك الطوية فاجهد ثم لا تقف
أنت الإمام الذي طابت خليقته ... أحبه كل مهدي الصراط وفي
إذ قمت قام بحمد الله قائمنا ... توجت قومتكم لله بالحلف
إن خضت معركة شعواء مرعبة ... تدثر الغمر في أهليه باللحف
إن غربوك عن الأوطان ما ضعفت ... منك العزيمة هل في النأي من أسف
وراية المجد في يمناك ناصعة البياض ... والجمع فيكم جد مؤتلف
في غمرة الحرب يغشاك النعاس ... بها أمنا وخصمك يصلى حامي الرضف
وسيف غيرك يشكو غمده مللا ... وغمد سيفك يشكو قسوة الألف
(أسامة) العز من صولاتكم رجفت ... أرض الإباء ابتهاجاً أي مرتجف
فقد هوى بك يا رمز الجهاد لمن ... ضلوا السبيل هويا خائر الجرف
وبايعتك يمين المجد قائلة ... لا أستقيل على اللأواء والشظف
وليشهد الكون أني خالص لكم ... ما دمت من طاعة الرحمن في كنف

٣- فجّرهم. لجرير النيربين:

فجّرْ حوشاً.. واصفعْ بوشاً ... واقهر أمريكا
وارمِ جيوشاً.. تحمي جحوشاً ... أُمَرا ومُلوكا

فجّرْ جحراً.. صار وكراً ... للأمريكانِ
دمرهم لا تخشَ نُكراً ... من صنمٍ فاني

فجّرْهمْ في عقر حصنٍ ... عزلوهُ وحموهْ
ظنّوا أسوارَه قدْ تغني ... في دفعِ المكروهْ

فجّرْهمْ واجعلهمْ عِبْرهْ ... فعسى يعتبروا
وعسى يرتحلون بُكرهْ ... أو يمضي القدرُ

فجّرْهمْ واجعلنا نفرحْ ... في يومِ الثــأرِ
وتلذّذْ بدماءٍ تمســحْ ... آلامَ الصـدرِ

كم قتلوا منا أطفالًا ... من دونِ رحمةْ
كم زرعوا فينا الأهوالا ... تزدادُ غُمّـةْ

انظر شعبَ فلسطينْ ... وانظر آلامــه
شحذوا سكينَ شارونْ ... وحَمَوا إجرامَهْ

انظــرْ في أفغانستــانْ ... ما فعل الأنــذال؟!
في كشمير.. في الشيشان ... وكذا في الصومالْ

انظر انظر في العراقْ ... ما فعلَ الكفــرةْ
ما زال الباغي منساق ... في حربٍ قذرةْ

هم من ملؤوا الدنيا رُعباً ... وبغوا في الأرْضِ
هم من قد بادرَنا الحربا ... صارتْ كالفرضِ

هم من زرع الحقد بذورا ... في جوف الكثيرْ
وعلــوا علــوًا كبيــرًا ... ينتظــرُ التتبيـــرْ

أجبرونا أن نكرهَهَمْ ... ونشنُّ الحربــا
أوَ يرجون أن نجعلهمْ ... أحباباً غصبا

ما زال يقهرنا الكفرُ ... أوهانا أو كادْ
حتى طلع علينا فجرُ ... قاعدةِ الجهادْ

أكرمنا اللهُ بأسامةْ ... ذاك القحطاني
كم كنا نرقب أيامهْ ... منذُ أزْمـــانِ

حين انقسم الناس جميعاً ... في فسطاطينِ
لا ثالثَ لهما فنضيــعَ ... ما بيـــنَ بيــنِ

قادَ أسامةُ أهلَ الحــقِّ ... والملا عُمَـــرُ
في عزمٍ وهدىً وصدق ... يشهده البشرُ

ومضى أشبالُ الإسلامِ ... في حزم وثبات
نحو تحطيــم الأصنـــامِ ... وتحريرِ الـذاتْ

نحو تدميــرِ أمريكــا ... وبنــاءِ الإســلامْ
لن نرضى لله شريكاً ... لن نرضى الأوهامْ

لا بد من ضربِ الكفرِ ... حتى ينهارا
لا بد من حرب الشرِّ ... سراً وجهارا

لا بد من سحق جحوشٍ ... نُصبتْ زعماءَ
لا بد من دكِّ عــروشٍ ... حملــت أُمــراءَ

لا بد من تفجيراتْ ... في قلبِ الرياضْ
تقلع دورَ المومسات ... تجعلُها أنقاضْ

انظرْ كيف امتلؤوا خوفاً... والحمد للهْ
صاروا يرتجفون رجفاً ... يبهجنا مرآهْ

انظر بوشا كيف جنانُهُ ... يخفق للصدمةْ
تصطكُّ منها أسنانُه ... فمُهُ كالفقمــــةْ

وانظر ذاك البغل الأحدبْ ... وضعُه لا يُحسدْ
طلـع علينــا أبو متعــب ... يُزبــــدُ يتوعــدْ

يحسبُ أنّا قد نخشاهُ ... نخشى أقزامَـهْ
لم يعلم أنا جئنــاهُ ... ننهــي أيامَــهْ
خلِّ أمريكا تنفعُهُ ... أو تدفـعُ عنــهُ
حين يدركه مصرعُهُ ... هل يهربُ منْهُ

يا خِلّي يا من فجرتَ ... أوكــارَ الأشــرارْ
يا منْ في الجناتِ فُزْتَ ... بالصحب الأبرارْ

ما أحلى ما قد قدمتَ ... في ذكرى المولدْ
ما أبهج ما قد أبدعتَ ... ما يرضي أحمـدْ

يا ربِّ تقبلْ أعمالَ ... قاعدة الجهـــادْ
وانصر يا رب الأبطالَ ... في كل البلاد

٤ - القصيدة السينية. للشيخ أبي قتادة الفلسطيني فك الله أسره:

عادوا الهدى بالشر والإبلاس ... وتكاتفت سدف الظلام تخاسي
وتخايل الكفر اللعين مهددا ... إذ ظن سوءا من ضلال إياس
ومضى يثير ضلاله متبجحاً ... أن الدنا قد مات من إحساس
فأتاهم الأسد الهزبر مزمجراً ... يرمي العوالي طائرات هراس
فتضعضعت أوهامهم وحلومهم ... وتساقطت عليا‌ؤها لأساس
رجم الكبائر فنه وقياسه ... من يبن ديناً همه للراس
فأسامة الليث الموفق خبرة ... ليس الصغار طلابه بمراس
ضحك الأنام بفرحة مهدية ... إذ شاهدوا ما أبغضوه يقاسي
هذي المكارم وردها معصومة ... تروي العطاش بملئها والكاس
والليث أيمن واليمان فعاله ... ظهر المعالي مستقر جلاس
كرم الجدود لا ينبت عن ... حسن المآثر اثقلت برواسي
من يعرف الماضين من أجداده ... يلقى المعالي أشرفت للراس
والخير في عطف الملالي ملتئم ... إن كان ملا الخير مثل إياس
علقت بأهداب النجوم مطيته ... فتيقظت من نومها ونعاس
ذكرى المعالي والمكارم دوحة ... إذ أخمدوها في نفوس الناس
شبه من العلماء باعوا دينهم ... للحاكمين بغير شريعة وسياس
خانوا الأمانة والمواثيق الأولى ... وتنجسوا بالسوء والأرجاس
يا أمة الإسلام ها قد أشرقت ... بسم الهدى والحور والإيناس
وجنان ربي قد أتاكم نورها ... قسمات مشرقها بغير لباس
والمهر بذل للإله وفدية ... وإهانة لمن عتا بمداس
هيا اقبلوا بحراً ونوراً للهدى ... هيا انعشوا من مات من إحساس
هيا اقتفوا آثار من أبصرتموا ... قد عطرت أكتافه بالآس

هيا اثأروا لأحبة وصحابة نجم الهدى رجم العدا والخاسي
هيا الحقوا بالطير خضراً تنعموا لعناق أحمد طيب الأنفاس
والنور والدرر المسبح حولكم نعم الخيام بنورها المقباس
حور وغلمان وأعلاها التي منه المزيد برؤية الأقداس

٥ - وحيد..

وحيدٌ هزني ظلم الأعادي ... وأُحرمُ أن أدوس ثرى بلادي
طريدٌ ما طردت لأجل ذنب ... شريدٌ لا ديار لكي تنادي
تحاول كل أمريكا اغتيالي ... وأدعو الله موتاً في الجهاد
تشير أصابع الأنذال نحوي ... وأُرمى بالجرائم والتمادي
وذاك لأنني بالحق أشدو ... وأطلب عزتي تحت الزناد
وحيدٌ واليهود بكل جيش ... وأدعو الله موتاً في الجهاد
تشير أصابع الأنذال نحوي ... ألوف في ألوف بازدياد
وحيدٌ.. لا فرب العرش عوني ... وحسبي العون من رب العباد

٦ - رسالة إلى بوش. لعلي الهذلي:

مـهـلاً رويـدك عـابـد الـدولار ... لا تحســبن الحرب لعـب قـمـار
لا تحســبن الحـرب إن أوقـدتهـا ... تصــلى لـظـاهـا أمـة المختـار
الحـرب إن أوقـدتهـا طـرنا لهـا ... مـنـا الـفـتى عـن جـحـفـل جـرار
الحـرب نحـن وقـودهـا ونـقـودهـا ... ونســعر الهيجـا عـلى الكفـار
ريـح الـعـبـير لـكـم وأمـا ريحـنـا ... نصــر بحـد الصــارم الـبـتـار
صــوت المدافع والرصــاص أنيســنا ... وأنيســكم عـزف مـن الـقـيـثـار
حـب الحيـاة لكم وأمـا حبنـا للموت ... يحــكــي قصــة الأبــرار
الســاجـدين الراكعين أولي النهى ... الـذاكـريـن الله بالأســحـار
الخـاشــعـين الـقـانـتـين لـربهـم ... أهـل الجهـاد وصــفوة الأخيـار
الحـامـلـين الـروح فـوق أكـفـهـم ... الـبـائـعـين الـروح لـلـجـبـار
شــتــان بين شــهيـدنا وقتيلكم ... فـلـنـا الجـنـان وجـنـدكـم لـلـنـار
إن كـان جمـعـكـم يـؤلـف بـيـنـه ... شــرب الخمور وحـانـة الخمـار
فـجـحـافـل الإيمـان ألـف بـيـنـهـا ... ديـن وحـب الـواحـد الـقـهـار

٧- شهب العز:

هذه القصيدة قيلت تحت القصف في قندهار، تحكي واقع الأمة وتسلط الأعداء من اليهود والنصارى، وكفر الحكام، وتخاذل العلماء، هذبتها الصواريخ، ونقحتها القنابل، نرسلها صواعق تدك عروش الطغيان.. أسأل الله أن ينفع بها.

هِمَمٌ تشـــيِدُ لـلـعـلـى أبـطـالا ... وتُـقِـيـمُ فِي زمـنِ الـنســـاءِ رجـالا
وعـلـى جـبـين الـعـز تَـرفـعُ رايـةً ... وتُعيـد مجـداً قـد مضـــى أطلالا
من لم ينل بالســيفِ نصــراً يُرتجى ... لا لـن يَـنـلـه مـذلـة وســـؤالا
هـاذي رؤوسُ الكفر تبكي حســرةً ... لـتـجُـرَ مـدبـرةً عصـــا الـترحـالا
من كـان يحلُم أن يُـذلـل كُفرهـا ... هـا قـد تحـقـقـت الـرؤى أفـعـالا
ضـــاقت بكم دارُ الســلام وأختها ... جثثـاً رمـت فوق النكـال خبـالا
فقصـــدتُمُ لُجَج البحـار لتســلموا ... من بطش أســـدٍ ملـتِ الإذلالا
فـتـبـعـثرت كـولاً بـكُـم جَـنَـبـاتُـهـا ... كِـلـتُـم وجـبـارَ الـبريـةِ كـالا
فصـــعـدتُمُ عُمقَ الســماءِ وحالكم ... أن الســـمـاء عـنِ المـريـد مُحـالا
لـذتم بمـبـنىً لـلـتـجـارةِ لم يـزل ... في الكفر صـــرحاً شـــامخاً ومآلا
ومعـانقـاً هـامَ الســحـابِ تجبراً ... في الكبر قـد لبِس الطُغى ســربالا
وبفضـــل ربي ثم عزم شـــبيبـةٍ ... زالـت ومن حـاك الـدســائس زالا
فـبِـكُـم هـدمـنـا عـزكـم وبِـعـزنا ... بُنيت على هـام الســحاب جبالا
شُـــهُباً ســتُمْطِرُنا الســماءُ عليكمُ ... حمـمـاً ســيـلـفِـظُـنـا لـكـم زلـزالا
براً وبحراً خلفكم حتى الســمـاء ... هـالـت بهـول فـعـالـنـا الأهـوالا
أيـن المـفـر وكـيـف يـهـدأ روعـكـم ... والـكـفـر لم يخـنـع لـنـا إذلالا
لا لـن ولا لـلـكـفـر أن يـتـمـردا ... لا لـلـدنـيـةِ والمـهـانـةِ لا لا
أهـلُ الصـــلـيـبِ لتقرؤوا إنجيلكم ... ولتـمـعـنوا وصـــفـاً لكم ومقـالا

بـدأت نهـايتكم بفِسْـقٍ فـاحِشٍ ... مـن بـعـد كـفـر بالإلـه تـعـالى
والـرجـمُ حـدٌ لـلـزنى يا دولـة ... صـال الفسـاد على رباكِ وجالا
فـبـنـا رُجِمْتُـم حـكـمـة وعـقـوبـة ... وبـكـم صـعـدنا رفـعـةً وجـلالا
فـإلى متى يا مسـلمون اسـتيقظوا ... ردوا عـلـى أمـم تُـبـاد سـؤالا
أَدمُ الـيـهـودِ الـغـاصـبين محـرمٌ ... ودمُ الأباةِ المسـلـمين حـلالا
أو بعـد أن عـاثَ اليهودُ بقُـدسـنـا ... جعلوا المصـاحف موطئـاً لنعـالا
شـتـموا الإلـه وسـفـهوا بنبينـا ... بـقـروا الحـوامـل يـتـمـوا الأطـفـالا
لم يرعووا عن هتـكِ عرضِ صـغيرةٍ ... صـرخـاتُـها كـادت تـذيـب جبـالا
لم يرعووا عن ضـرب شـيخٍ أشـرقت ... في وجـهـه شمـس الـتـقـى تـتـلالا
مـا فرقوا بالقتـل بين صـغيرنا وكبـ ... ـيرنا أو نسـوةٍ ورجـالا
نقضـوا العـهـود ولم يراعـوا ذمـةً ... نـكـل الـيـهـود بـديـنـنـا إنـكـالا
واليـوم هـا هـم جـاوروا أم القـرى ... مسـتـوطـنـين وفـودهـم تـتـتـالى
لـكـن بمـكـر كـالـذئاب تخـاتُـلـا ... تحـمي الحـمـى وهـى الـردى قـتـالا
أو بعـد هـذا يا حمـاة الـدين هـل ... تُحـيـون في قـتـل الـيـهـود جـدالا
قـام (الرويبضُ) [1] مُفتيـاً بتَفيْهُقٍ ... يبكي ويشـجُـبُ دمعـه هطـالا
أين البكـاءُ على العراق وشـعبهـا ... أو مسـلمي كشـمير أو صـومالا
أو أرض شـيشـان أو القدس التي ... أضـحـت لأحفـادِ القرودِ مجـالا
حتى دموع العين صـارت سـلعةً ... يُعطى على إسـقـاطهـا أموالا
أنـنـامُ عـن آلامِ داءٍ شُـعـوبـنـا ... ونثور إن صـاب اليهود سـعـالا
مـن دلهـم!! مـن راح يـفـرشُ دربهُـم ... مـن لـلـيـهـود ولـلـنصـارى والا
من بـدل الشـرع المطهر مُظهِراً ... حكـم الشـريعـةِ والتوى مُحتـالا
مـن قـال حقـاً لـلبرايا مُخلصـاً ... أقـراهُ ربـطَ الـقـيـد والأغـلالا

---

[1] الرويبض: أحد العلماء أخذ يدعوا على المجاهدين في وقته وقد كثروا لا كثرهم الله الآن.

يا خائن الحرمين وجهُك أسودٌ ... بعها لتجنى ما جنى (ابنُ رغالا) [١]
هل سرهُ أموال أبرهةٍ وهل ... أبقاه عن خطف الردى ما نالا
لُجمت ضراغِمُ بالحديد فأخلدت ... صمتاً وجنّ سكونها الأدغالا
فاستأسد الظبعُ اللئيمُ مُكابراً ... متغطرِساً في غيهِ مختالا
ولسوف يبقى ما بقى في ذلةٍ ... ومهانةٍ سبعُ الدجى الرئبالا
أسفاً على من صاح قبلُ مجاهراً ... سلَ السيوف وهيئ الأبطالا
ومضى على طيفِ الكلامِ مُنمقاً ... خُطَباً تُأجِجُ في الحشى أمالا
قال الجهادُ هو السبيلُ لعزةٍ ... ساقَ النصوصَ ونسقَ الأمثالا
واليومَ لما سُعرت نارُ الوغى ... وحمى الوطيسُ تبدلت أقوالا
مالت لدربِ الصادقين قوافلٌ ... وأخو النفاق لدينهِ خذالا
لو كان درب الصادقين مُيسرٌ ... سهلُ المسالكِ مُعدَمُ الأهوالا
لتخللَ الأفواجَ جُلُ غُثائِنا ... اللصُ والعربيدُ والمحتالا
لكِنّ جنات الإله ثمينة ... قَصُرت لنيلِ وصالها الآمالا
صبراً فلسطيناً ومكةَ إنهُ ... قبلَ الضياءِ لِبدرِنا إهلالا
يا قُدسُ قد حان اللقاءُ لتمسحي ... عنكِ الأسى لِتُبدليهِ دلالا
إن لم نكن نحنُ الذين سنلتقي ... فلسوفَ يُحيي جيلنا أجيالا
ولسوفَ يبزغُ فجرُنا مُتبسِماً ... ولسوفَ يُدبِرُ ليلُهُم رحالا
عُذراً بُحورَ الشعرِ لستُ بقاصِدٍ ... غمرت ضفافُكِ من فمي أوحالا
نجستُ مائكِ باليهودِ وغيرهم ... من بعدِ كان من الصفاءِ زُلالا
لكنَ من فقد المهند كفُهُ ... فلسانهُ السيافُ والخيالا
ولربما ذا السيف يُقرنُ بالعصا ... إن لم يكن متلفتاً صوالا

---

[١] ابن رغال: أبو رغال من دل أبرهة على الكعبة.

٨- أسد الجزيرة. لأبي هلالة:

إلى الشيخ المجاهد أسامة بن لادن وهو يجابه الدنيا وحيداً.. يرفض العار ويشرع هامته للنار..

أرِقتُ وعادني هم وسهدُ ... تَكِرُّ علي خيلهما وتعدو
هي الدنيا.. بها إن فلّ حدٌ ... بساحِ الغدر يعقبه الأحد
زمان القهر علمنا دروساً ... بها يجلي الباغي الرشد قصد
بأن حمى الهدى إن غادرته ... خيول الفتح والفرسان.. لحد
وأن الدين ليس له مكان ... إذا خانته حراس وجند
وكل الناس أشباهٌ ولكن ... يميّز بينها بذلٌ وجهد
وما بسوى الجهاد يعز ركن ... وترتجع الحقوق وتستردُ
بلوتُ الناس أجناساً ونهجاً ... وما كتموه من فعل وأبدوا
فلم يعظم بعيني مثل حرٍ ... يهان به الظلوم المستبدُ
ومني ما شدا - إلا لشهم ... يجاهد مخلصاً - شكر وحمد
(أسامة) والمفاخر ضابحاتٌ ... توالت ليس يحصيهن عد
تجود لذكركم بالدمع عينٌ ... ويدمى يا حبيب الروح خد
لئن كثرت على الدنيا عظام ... فإنك في حماها اليوم فرد
تعودت اغتيال اليأس فينا ... تسيرُ بنا لكل علاً وتغدو
أتيت تطل من مقل الضحايا ... ودون الثأر لم يغللك قيدُ
ولا (ليلى) بك استشرى هواها ... ولا بك أبحرت في الحب (دعد)
مضاؤك في يد الأقدار سيف ... ونهجك في يد الإسلام بند
أيا أسد الجزيرة.. في حماها ... تمادى الجوع والكرب الألدُّ
ومن صحرائها البترول تنمو ... به في الغرب جنات وخلد

وهل ترجى لنجدتها طغاة ... أعز رؤوسها للخصم عبد؟
لها مما تسر به الأعادي ... ولاءآت لها في الشرك بعد
كأن الكفر سيدها المفدى ... وليس لها بدين الله عهد
تحف بها شيوخ مسرجات ... لكل مضلل بهواه تشدو
رجالك يوم زمجرت الرزايا ... عليها باقتحام الموت ردوا
وحشوُ نفوسهم كبر أشم ... وملء صدورهم عزم أشد
على الساحات من دمهم سيول ... وفوق ذرى الجبال الشُمّ وَقْد
ورايات الجهاد (بتورا بورا) ... بها انتفضت قساورة وأسد
من القوم الألى صدقوا ولبّوا ... وجدّ بهم إلى الغايات قصد
فلا من جمعهم عطلت ديار ... ولا جافى مساعي الصيد سعد
جهاداً يا أحبتنا جهاداً ... فما دون امتطاء الهول بد
أعيدوا سيرة العظماء فينا ... فأنتم للعلا والمجد ند
ومن يردي المغير إذا تمادى ... إذا لم توردوه ردى وتردوا؟
وهل يبني بغير الفدي مجد؟ ... وهل يحمى بغير البيض حد؟
لحاها الله أشراراً تناءى ... بها عن ساحة الإيمان طرد
شراذمة التحالف من هوان ... لقعر الخيبة العظمى تردوا
يقودون الغزاة ليحرسوهم ... وعيش الذل خير منه وأد
(لأبرهة) انتخوا (كأبي رغال) ... لهدم (البيت) يرشده ويحدو
أقول ولا أصدق ما أراه ... أهزل ذاك؟ أم يا قوم جد؟
إذا سموا هوان السعي رشداً ... فإن الغي شر منه رشد
فلا لمعت لعزتهم بروق ... ولا دوى لهم بالغيث رعد
قذائفهم يهين مسدديها ... صفا من عزمة الأبرار صلد
سيجلى الأمر والأوطان تدري ... من الأوفى لها ومن الألد؟

وهل يحلو على ضعف صلاح؟ وهل يرجى من الرمضاء برد؟
هب انتصروا فما كل انتصار به يرضى أب ويسر جد
صنوف النصر مثل الناس شتى هزيل بعضها والبعض وغد
لئن حلت بأمريكا الدواهي ودكّ بروجها هدم وهد
فكم أرض قد عاشت عقوداً تروح على زلازلها وتغدو
وكم نار بصدر الكون شبت لها من كفها الحمراء وقد
لها رقصت فلما لامستها مضت بعداوة الإرهاب تشدو
وتعلنها على الإسلام حرباً لها باسم الصليب قوىً وحشد
هو الإرهاب سم من سواها ومنها إن أتى عسل وشهد
ألا يا (بوش) راعتك البلايا وضم شرورك الحمقاء لحد
إذا دانت لك الدنيا وذلت لك الأنذال واستهواك مجد
وعاد الكل طوع يديك يجري وخانت دينها (يمن) و (نجد)
وجهد الغافلين به تناهى لدعم الغزو (برويز) و (فهد)
ولم تنهض لدى الجلى قريش ولا انتفضت من البلوى معد
ولم يوضع بأطراف المواضي للجم غرورك المجنون حد
فخذها أيها الشيطان واسمع كلاماً لم يشب صافيه نقد
بأن الأرض في قدميك ليست حذاء حين تتلفه يجد
عيونك مسها حول شنيع وما.. داء ولكن ذاك عمد
ترى (شارون) في المرعى خروفاً جميع سلوكه عشب وورد
وطفل القدس تحت النار ذئباً يصول على براءته ويعدو
وتهديم البيوت على ذويها صنيعاً حقه شكر وحمد
وأن شرور أهل الغرب خير وأن جنون (إسرائيل) رشد
وأن حياتنا إما تناءى بنا عن منهج الغازين بعد

ظلام دامس وعمى شديد وإرهاب وإجرام وحقد
دم الأسرى على كفيك - مهما تحاول ستره بالزيف - يبدو
وسحق جماجم الأطفال عمداً وما علموا بغدرك واستعدوا
وتزعم أنك الأسمى سلوكاً خسأت فأنت للإجرام جد
فأين تفر من قدر محيق نوازله حداد الناب ربد؟
لأمر الناس إن عزموا مرد وأمر الله ليس له مرد
بمكرك شق للإرهاب ناب لشر الفتك مسنون محد
له منك الرعاية في خفاء ومن فضلات ما تجبيه رفد
فلا تعجب إذا ما قام جهراً لك الصاعات بالأوفى يرد

٩- أسامة.. سم الله وانحر. لجرير النيربين:

اضْـــرِبْ ضَـــرْبَـتَـكَ المـنْـتَـظَـرَةْ ... واقْـتُـلْ مـا شِـئْـتَ مِنَ الكَفَرَةْ
واجـعـلْ مِـنْ أوطـانِي قـبراً ... لجـيـوشِ الـكُـفْـرِ المـنْـدَحِـرَةْ

مِـيـعـادُ الضَّـــربـةِ قـدْ حـانا ... وأوانُ الـنَّـصْـــرِ لـقـدْ آنا
وجـهـادُك (بُـوشَ) الشَّـــيـطـانا ... قـد أيـنـعَ وسـيُـؤتِي ثَمَـرَهْ

قُـمْ سَـــمِّ باللهِ وانْحَـــر ... لا تَـتـوانى.. لا تَـتَـأخَّـرْ
فـالـبـاطِـلُ عَـرْبَـدَ وَتَجَـبَّر ... مـا عُـدْنا نَسـتَـحـمِـلُ بَـطَـرَهْ

كَـرِّرْ يا شـيـخُ ابـنَ لادِنْ ... أمجـادَ غَـزوةِ (مـنْـهـاتِـنْ)
حَطِّمْ هُبَـلَ العصـرِ الشـائِنْ ... واسـحقْ فرعونَ مع السَّـحَرَةْ

كـمْ طـالَ الشَّـوقُ لِحِـطِّـينِ ... وصـلاحِ الـدنـيـا والـديـنِ
سـتُـحَـرِرُ كـلَّ فِـلِسـطـينِ ... رايـاتٌ سُـودٌ مُـنْـتَـظَـرَةْ

الأقصـى يـبـكـي في سِـرِّهْ ... مـن ظُـلْـمِ الـغَـربِ ومِـنْ غَـدرِهْ
مـا زالَ المسـجـدُ في أسـرِهْ ... يشـكـو لـلـعـالَمِ مَـنْ أسـرَهْ

لمْ تَسْـمَـعْ أُمَـمٌ مُـتَّـحِـدَةْ ... لمْ تَـنْـفَـعْ جـامـعـةٌ نَـكِـدَةْ
وَمَضـتْ صُـهيونُ على تُؤَدَةْ ... لِـتُـمَـزِّقَ أشـلاءً نَخِـرَةْ

قـد ضـاعَ الحـقُّ مِـنَ الـعـربِ ... وتَشَـتَّـتَ في كـلِّ الشُّـعَـبِ
مـا بـينَ عـدوٍّ مُـغْـتَصِـبِ ... وتآمُـرِ حُـكّـامٍ فَـجَـرَةْ

لم نَخْسَرْ أقصَانا وحدَهْ فلقدْ أسروا الكعبَةَ بعدَهْ
فمتى يُنجِزُ ربي وَعْدَهْ ويُحَطِّمُ أغلالاً قَذِرَةْ

ومتى تتحررُ أوطاني مِنْ ظلمِ الجلادِ الجاني
ويسيرُ المسْلِمُ بأمانِ لا يخشى مَنْ يقفو أثرَهْ

أصواتُ الكُلِّ تُنَادِيكا وضَحايا الظالِمِ تَرجُوكا
باللهِ دَمِّرْ أمْريكا تدميراً يُرجِعُها نَكِرَةْ

إرهابُكَ شيخي محمودُ ولواء جهادك معقودُ
والنصرُ لجيشِكَ موعودُ واللهُ سينصرُ منْ نصرَهْ

١٠- الله أكبر خربت أمريكا. لعبيد آل رمال الشمري:

سِرْ حيث سارت بك الأيمانُ والقسمُ ... واترك صروحَ بني الرومان تنهدمُ
واسْتَنْطقِ الشعرَ علَّ الشعر ينطقنا ... فطالما أخرَستْ أقلامَنا الثُلَمُ
واسْتَرْقِبِ النَّصرَ فالأسحارُ راحلةٌ ... والفجر من أفق الإشراق يبتسم
واطرب ليومٍ صبيحِ الوجه نحسَبُه ... عيداً إذاً أُسبغت من ربنا النعمُ
إذ أصبح الكفر والطغيان منقعراً ... وسامرتْ أهله بعد الندى النقمُ
من ضربةٍ من سديدِ الرأي صَوَّبَها ... صرحَ الطغاة فما زلَّت به قدمُ
لله دَرُّكِ من أُسد تُغير فدىً ... على العدو فتسطو ثم تنتقمُ
لله دَرُّ هداةٍ طاب مَنهَلُهم ... وِرْدَ الجهاد فكم من وِرْدِهِ رَقموا
إذ سجَّلت عصبة الأبطال منقبة ... تَظل في موجة التأريخ تلتطمُ
أكان يقصِدها الطائي في زمن ... ماضٍ ليشكر ما أبداه معتصمُ
تلك المقالة في بيت أُصرفه ... لعصبة الخير لا يُرضى لغيرهمُ
رمى بِكِ الله " برجيها " فهدَّمها ... ولو رمى بِكِ كُلُّ الخلق ما هدموا
شُهْبُ السَّماء على الشيطا ن مُتْبَعَةٌ ... ثواقبٌ من سماء الحق تقتحمُ
كم قد أقامت لأمريكا مآتمَها ... يبكي الصليب ودمع الكفر ينسجمُ
أتاهمُ الثلاثاءُ النّحسُ مُصطحباً ... سودَ الليالي وفيها الموت والسَّقَمُ
أقول للرُّوم بالأشعار مُرتجزاً ... للحق منتصراً بالله أَعتصمُ
ذوقوا الذي طالما ذُقنا عَلاقِمَهُ ... واسترقبوا صيحةً من بعدها العَدَمُ
واسترقبوا من جيوش الحق مَلحمةً ... تُزلزل الأرض إن هَبُّوا وإن قدموا
تلك الجيوش التي اشتاقَت إلى نُزُلٍ ... عند الإله وبالإيمان تَتَّسِمُ
إن كبروا ارتَجَفَ الرُّومان وارتَعَدَت ... فُرْسُ الأَكاسرِ وانقادت لها الأُمَمُ
من ذا يُقابلها؟ من ذا يُقاتلها؟ ... من ذا يُنازل من بالنصر قد وُسِموا؟

كم مَرَّةٍ حَفِظَ التَّاريخُ عِزَّتَهم ... فما تحمَّلها رَقٌّ ولا قَلَمُ
فالقادسية واليرموك تَسْبِقُهُم ... ومؤتةٌ وتبوك الخير تَقْتَدِم
كم خَبَّأَتْ لجيوش الكفر من بطل ... صَلْبِ الشَّكيمَةِ قد هاجَت به الحِمَمُ
هذا (أُسامَةُ) زءَّآرٌ بساحتهم ... فهل تُنازل ليثَ الغابة الرَّخَمُ؟؟؟
زئيره هَزَّ (أمريكا) بِرُمَّتِها ... فأيقَنَت أنها حقَّاً سَتَنعَدِمُ
فذاك طاعون أمريكا وقاصِمُها ... وذاك طوفانُها أو سيلُها العَرِمُ
الله أكبر أمريكا الدُّنا خَرِبت!! ... من بعد ما غَرَّها التَّمكينُ والقِدَمُ
فلا الصناعة ذادت عن عمائِرِها ... ولا السياسة تحميها ولا النُّظُمُ
ولا الوِلاياتُ والهيئاتُ تجمعها ... ولا الجيوش ولا القوات واللَّغَمُ
ثارت بثورتها الرَّعْنا وما عَلِمَت ... أن الجهاد لأرباب الهُدى شَمَمُ
وأنَّه ذَروةُ الإسلام يَبلُغُها ... من الأنام فتىً جَدَّت بِهِ الهِمَمُ
وأنه مَطْرَبُ الأبطال إن سمعوا ... صَهْلَ الخيول خيولٌ ما لها لُجُمُ
ناشدتُكُم يا ذوي التقوى مُناشدةً ... بالله بارِئِكُم بالله رَبِّكُمُ
أترغبون بأن تؤتى محارِمُكُم ... وأن نَرى الدَّمَ في الأوطان يَنْسَجِمُ
وأن نَرى الكفر يَغشى الأرض أجمعَها ... ويستبيحَكُم الأعدا وينتقموا
دَقَّ الصليبُ نواقيس الحروب لنا ... وأجمعوا أمرَهم بالكيد واجترموا
واستنفروا كلَّ علجٍ من صَليبتهم ... واستنزفوا حقدهم للدين واستهموا
وأجلبوا رَجْلَهُم والخيلَ واجتهدوا ... وأوقدوا نارهم للحرب والتحموا
إن يظهروا فيكُمُ لا يرقبوا بِكُمُ ... إلاًّ ولا ذمماً لو تنفعُ الذِّمَمُ
حلَّت كوارث في الإسلام مؤلمةٌ ... بكى لها عَرَبُ الإسلام والعَجَمُ
(أبو البقاء) بكى من شأن (أندلسٍ) ... حتى القصيدةُ تبكي وهي تُنْتَظَمُ
من شأن طاهرةٍ للعُهْرِ مُكرَهَةٍ ... تقاد قهراً ونار الحزن تضطَرِمُ
وحُزْنِ ثَكلى على الأحباب سامَرَها ... دمع الليالي وفي أحشائها حِمَمُ

ودمعِ طفـلٍ على الأم الحنون بكى ... يحـولُ بينـهـمـا الـطُّغيـانُ والجُرُمُ
وجمعِ شمـلٍ على الإســـلام مُلْتَئِمٍ ... أمسى على (الكفر والتنصير) ينقسمُ
وبلـدةٍ يعتلي النـاقوسُ مســـجـدَهـا ... وفي محـاريبِهـا الصُّـــلبـانَ قـد رَسَموا
فـالـدِّين مُمْتَهَنٌ والعِرْضُ مُنتَهَـكٌ ... والمـالُ منتَهَـبٌ والحقُّ مُهْتَضَـــمُ
يا مُســلِمِيَن هَلِ انْســاخَتْ حَمِيَّتُكُم ... أم حَلَّكُمْ وَهَنٌ أم فيكُمُ صَـــمَمُ
يا ويحنـا أُغْمِـدَت أســـيـاف عِزَّتنـا ... وســـامنا الذُّلَّ عُرْبُ الكفر والعَجَمُ
فهل لهم من بني الإســـلام مُعتَصِـــمٌ ... بالله مـــنـتصـــــرٌ لله يـنـتـقِـمُ
وهــل لهم فــارس في الحرب مَرْتَعُـهُ ... يبلو البلاءَ إذا الأســـيـافُ تَلْتَحِمُ
أين الرجال الأُلى خاضــوا صــبيحَتَها ... يوم النِّزال إذ مــا التَفَّــتِ اللُّجُمُ
أين الأُباةُ أُباةُ الضَّـــيمِ من رفضـــوا ... حُكْمَ الطغـاة وللطغيـان قـد هَـدَموا
لا أَبعَـدَ اللهُ عن عيني قَســـاوِرَةً ... تُحمى بهم حرمـةُ الإســـلامِ والقِيَمُ

١١- أسامة بن لادن. لأحمد سحاب:

تأهب للجهادِ بكل ساحِ ... وكافح فالنجاحُ مع الكفاحِ
هنيئاً يا أسامةُ أيُّ مجدٍ ... حصلتَ عليه من ثمر النجاحِ
هنيئاً.. أي أمٍّ أنجبتكم؟ ... تفاخرُ بالمناقبِ والصلاحِ
ذرى الأمجاد ترزحُ تحتَ رِجلٍ ... سعت للخيرِ في زمن الشِّحاحِ
أردتَ العيشَ في العلياءِ حُراً ... وكنت قرينَها في كل ساحِ
وعُجْباً.. أيُّ خزيٍ خلفته ... جيوشُ العرْبِ من كنز الصحاحِ
تعَذَّر بالتخلف عن ركابٍ ... ولاةُ الظلمِ في زمن التلاحي
تكشفت الرؤوسُ على خواءٍ ... غبيٍّ للأعادي مستباحِ
فما أعذارهم لما تنادت ... شعوبُ الأرض من شتى البطاح؟
وما أعذارهم في يوم حشرٍ ... لربِّ العرشِ في يوم افتضاحِ؟
كأني بالوجوه وقد تلَّوت ... وعَارُ القومِ لا يمحوهُ ماحي
أسامةُ، هذه الراياتُ سوداً ... تثيرُ الرعبَّ في كلِّ النواحي
وخذ أمرَ الجهادِ فذا زمانٌ ... تخاذلَ فيه أصحاب السلاحِ
وقُدْ حرباً على الأعداء تأتي ... فلا تبقي عليهم كالريَّاح
وحرضْ للجهادِ فذاك أمرٌ ... تَنزَّل في الكتابِ من المباحِ
وأثخنْ في العدو بكل وادٍ ... وشتت شملَهم قدرَ المتاحِ
وكن لله، إنَّ الظلمَ أمرٌ ... قصيرٌ سوفَ يمُحى بالصباحِ
على درب الجهادِ لنا طريقٌ ... إذا ما ضاق يغدو لانفتاحِ
فيا لبيكَ يا داعي الجهادِ ... ويا لبيكَ يا دربَ الفلاحِ

١٢- رسالة إلى بوش وبلير:

أيا مُبلغاً (بوشـــاً) و (توني) رســـالةً ... بأن أرســلوا الأبطال منكم وأســرعوا
فـإنا نـتـوقُ إلى لـقـاءٍ بـربـنـا ... ونحســـنُ ضـــرباً للرقـابِ ونُبـدِعُ
وأنا إذا مـتـنـا نصـــيرُ لجـنـةٍ ... وأنتم مصـــيركمُ الشـــجـاعُ الأقرعُ
و (مدريد) هل نَسيتْ نُصيراً وطارقاً ... وســـت قرونٍ ليس لها الأمرُ يرجعُ
و (ســـيدني) ظننتِ بأنك في مأمنٍ ... فو الله لن يهنـا لجنبـكِ مضـــجعُ
ومـالي ومـا (اليـابان) قِـلٌ وذِلـةٌ ... وبالأمس كانت تســتهانُ وتصـــفعُ
فلقـد صـــفعنا من صـــفعها وإنه ... لجـداره من صـــفعنـا متصـــدعُ
فمن أنت يا بوش اليهودِ ومن تكن؟ ... أم كـنـت رباً أم تضـــرُ وتـنـفـعُ؟
بـل أنـت خنزيرٌ بـهِ قومـهُ ابتلوا ... يتلاومون عليـك هم كيف اجمعوا؟
ومن هي أمريكا؟ ومن هم جنودها؟ ... بل جُبْنهم في أحدق العينِ ســاطعُ
وقلوبهم من خوفِ موتٍ تقطعـت ... من صـــيحـةٍ لتكـادُ روحٌ تُنزعُ
إنّا شـــققنا عن صـــدور أشـــدهم ... فإذا القلوبُ لها الحناجرُ موضـــعُ!!
فذاقوا من الصـومالِ ما شـيب الصـبا ... وذاقوا من الأفغـان مـا هو أبشـــعُ
وذاقوا من اليمينين ناراً ســـعيرةً ... فمنها ترى بوشـــاً وشـــيراك يدمعُ
وذاقوا من العشـــرين إلا بواحـدٍ ... مـا لم ترى عينٌ ولا كـان يُسْـــمَعُ
فـلـلـه در أولـئـك الـذيـن رددوا ... إياك نـعـبـدُ نســـتـعـين ونُـرْجَـعُ
ولله درك يا أســـامـة إنـكـم ... لـعـزٌ لـنـا وبـطـولـةٌ ومـراجـعُ
بـل أنـت أجرؤ من تبجح بالعـدا ... وأثبـتُ من لاقى وأدهى وأشـــجع
وأمـا إذا مـا الليـل أرخى ســـدولـهُ ... فشـــيخٌ كريمٌ عـادلٌ متـواضـــعُ
عش يا أســـامـة قـائـداً ومجـاهـداً ... عليـك من الإقـدام تاجٌ مرصـــعُ
وأبشـــر فـإنّا ناصـــروك بـقـوةٍ ... فـمـتى نـراك لـكـي إلـيـك نـبـايـعُ

إنّا مـلأنا الـراشـقـاتِ ذخـيرةً وسـنرشـق أبناء الصـليبَ ونوجعُ
فسـتخسـئي يا دار بوشٍ وتلعني كـمـا لُـعِـنـتْ عـادٌ وهـودٌ وتـبَّـعُ
وبشـري شـارون أنا سـنلتقي ونـذيقـهُ مـا ذاقَ شـيـبٌ ورُضَـعُ

١٣- قصيدة في أحد جنود أسامة.. نعم الأمير محمد عطا. لجرير النيربين:

كان الأستاذ الألماني الذي أشرف على محمد عطا في دراساته العليا يتساءل: لماذا فعلت هكذا يا محمد؟ لماذا؟

لم يدرك هذا البروفيسور العظيم السر الذي كان يدخره هذا التلميذ الوادع المجتهد من خلال تصديره لرسالة تخرجه بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

لماذا.. لماذا (مُحَمَّدْ عَطا) أثرتَ مِنَ اللومِ ما أسْخطا؟
طَعَنْتَ الفِرَنْجَةَ في نَحرِهِمْ وصَيّرتَ أبراجَهمْ غُيَّطا
وأشعلتَ بينَ الحضاراتِ حَرباً تزيدُ ضِراماً وَلَنْ تُضْبَطا
وفي مصرعِ الأبرياءِ وَرِطْتَ فقلْ لي: لماذا؟ .. ومَنْ وَرَّطا؟
(مُحَمَّدُ) هيا أجبْ يا (أميرُ) أزحْ عنْ عُيُونِ الأنامَ الغِطا
نُريدُ جواباً لأستاذِكُمْ إليهِ نَتُوقُ ولنْ نَقْنَطا
أما كان خيراً لمثلِكَ يَبني ويُصْلِحُ ما كادَ أنْ يَسْقُطا
أما كانَ حملُ الشهاداتِ أجدى إذا كنتَ في حُبِّها مُفْرِطا
سلامٌ عليك (محمَّدْ عَطا) حَرِيٌّ بمثلِكَ أنْ يُغْبَطا
مهندِسَ غزوةِ منهاتنٍ وقائدَ أوَّلِ فَوجٍ خَطا
أصبتَ نيويورك في مقتلٍ ومزَّقتَ ثُعبانَها الأرقَطا
وحوَّلتَ زُخْرُفَها عِبْرَةً يباباً وعِمْلاقَها (بُلْعُطا)
فنِعمَ السرايا سراياكُمُ ونعمَ الأميرُ (محمد عطا)
(محمَّد عطا) يا أميراً لركبٍ على سابحاتِ السحابِ امتطى
تقدّمتَهمْ في اعتناقِ المنونِ شديدَ المِراسِ وئيدَ الخُطا

وحـلّـقَ طـائـرُكُـمْ في شمـوخٍ وفي عُـقـرِ أوكـارِهـمْ هَـبـطـا
على صـهواتِ البراذينِ شُـهباً أبـتْ أنْ تُـقَـيَّـدَ أو تُـربَـطـا
تـطيرُ بـعـالي السـمـاءِ تكـادُ لِهـامِ الـطـواغـيـتِ أنْ تَـلْـبِـطـا
عـلامـتُـهـا رجـبٌ وجُمـادى تمـامـاً كمـا النَّصُّ قـد ضُـبـطـا
على متنِهـا صـفوةُ الأصـفيـاءِ وخُـلَّـصُ إخـوانِـنـا الـنُّـشَـطـا
شَـبـابٌ بأشـلائِهِمْ قدْ أضـاؤوا دياجيرَ عـهـدٍ شـديـدِ الـوِطـا
مـنَ الـوَهْـنِ قـد أنـقـذوا أمَّـةً تـكـادُ مـنَ الـقـهـرِ أنْ تُحْبَـطـا
شـبـابٌ بإيمـانِهِـمْ قـد غَـزَوا بـلادَ الخـنـازيـر والـلُّـقَـطـا
بـعـقـرِ ديارِهُـمُ داهمـوهُـمْ فكـادتْ مِنَ الهولِ أنْ تُقْحَطـا
بعـاصـفـةٍ عصـفُـهـا هـادِرٌ كـمـا في أسـاطيرِ مَنْ أَغْلَطـا
تَـدُكُّ ركـائِـزَ قُـوَّتِهِـمْ وَتَـفْضَـحُ مـاذا بهـا منْ خَطـأ
فـراحَ الصـنـاديـدُ قُـوَّادُهُـمْ يَـفِـرُّونَ رُعْـبـاً كَـزُغْـبِ الـقـطـا
ولمْ يـدرِ (بـوشٌ) بأيِّ الجُـحُـورِ سـيـدرِكَ مـأمَـنَـهُ الأحـوطـا
وأُخْـفـيَ (ديـكٌ تشـيـني) ولـولا الـفضـائِـحُ عُـلِّـبَ أوْ حُـنِّـطـا
وبالَ بسـروالِـهِ رامسِـفـيـلـدُ وراحَ يُـمَـثِّـلُ مُسـتـعـبـطـا
وراحـتْ تَخِـرُّ الجبـاهُ سـجـوداً وتـدعو على الكفرِ أنْ يُكْشَـطـا
وتَـلـهـجُ ألسِـنَـةُ المـؤمـنـينَ وترجـو لهـمْ مِـنْ جَـزيـلِ العـطـا
(مُحَمِّـد عَـطـا) مِنْ وراءِ البحـارِ سـتبقى المثـالَ ولـنْ تُـغْـمَـطـا
سـتبقى لنـا أسـوةً يا (أميرُ) لِـنَـنْـفـضَ عـنَّـا هـوانَ الـوِطـا
سـتبقى وإخوانُـكَ الشـهـداءُ بلاءً على الكفرِ قـدْ سُـلَّـطـا
ويبقى الجهـادُ بكـمْ مـاضـيـاً كما قدْ مضـيتمْ، ولن يَشـطـطا
كما شَـطَّ عنهُ مشـايخُ سـوءٍ يُـريـدونـهُ قـزمًـا أشْمـطـا
فَـبُـورِكَ مَـنْ نـفَّـذَ الهـجـمـاتِ وبُـورِكَ مَـنْ كـانَ قَـدْ خَـطَّـطـا

وبُـورِكَ مَـنْ مَـوَّلَ الـعـامـلـيـنَ عليهـا، ومَنْ حَضَّ أو نَشَّـطـا
وأكْـرمَـنـا اللهُ مِـنْ بَـعـدِهـا بأُخـرى وأُخـرى عـلـيـهـمْ تَـطـا
إلى أنْ تُـدَكَّ صـروحُ الـطـغـاةِ وتُمـحـى (الـولايـاتُ) أو تَـفْـرُطـا
(مُحمّـد عَطـا) أنـتَ أُسْـوةُ جيـلٍ على مَنْهَجِ السـالكينَ خَطـا
حـيـاتُـك للهِ كـانـتْ، وكـانَ مـاتُـكَ فـيـهِ كـمـا اشْـتَرَطـا
وكـانَ الخـلـودُ لأمـثـالِـكُـمْ مِنَ العـامـلينَ.. مِنَ النُّشَـطـا
فَـمِـثْـلُـكَ مَـنْ قـلـبُـهُ بالإلـهِ تَـعَـلَّـقَ حُـبّـاً ومـا فَـرَّطـا
ومِـثْـلُـكَ مَـنْ قُـرْبُـهُ مُـبـتـغـاه يَـنـالُ رِضـاه ولَـنْ يَسـخـطـا
ومِـثْـلُـكَ حُـقَّ لـهُ أنْ يـفـوزَ بإذنِ الإلـهِ بخـيرِ عَـطـا

١٤- وما أدراك ما تورا:

سل تورا بورا وما أدراك ما تورا ... هل أزهق النفس من قد عانق الحورا
أسد على السفح ما هانت وما فتئت ... تقدم المجد تلو المجد مسطورا
من كل أبلج ما لانت عزيمته ... من كثرة الإفك أو من قاله زورا
لما رأوا عروة للدين قد نقضت ... وحارب الدين من لا يبصر النورا
هبوا لنصرة دين الله في فئة ... يقودها الليث غضباناً ومأجورا
تلك العمائر ما قامت لصولتهم ... شهب تسوم زعيم الكفر تدميرا
هذا الجهاد تخلت عنه أمتنا ... كان الجهاد وظل اليوم منصورا
لقد رزئنا بشيخ لا كفاء له ... شيخ الجهاد فأمسى الدين موتورا
مضى الشعيبي سيف قام قائمه ... لينصر الحق لا ليبرر الجورا
الخير من أمة الإسلام مبعثه ... سيخلف الله مقتولاً ومأسورا
الشيخ بالقول والأفعال نعرفه ... كذا المواقف لا ما قيل دكتورا
كيف الجدال وقد قامت لنا أمم ... تقاتل الدين طرداً عنه تنفيرا
أيبتغي المجد أشياخ بذي كنب ... فيه المطارف والديباج منثورا
في مجلس لذوي السلطان قد خشعوا ... يرجون بالذل أن يعطوها الدورا
ألم يروا كيف كان الكهف منقبة ... لأهله سورة أعظم بها سورا
ما ضر جمعهم ما سر جمعكم ... الدين يرفعهم إن كابدوا البورا
يا من تخذل قوماً أقسموا فوفوا ... أن يمسي الكفر مهزوماً ومدحورا
دعهم فإنك في غيبوبة طمست ... حتى اتخذت كتاب الله مهجورا
أين المفر من القرآن يأمركم ... أن تثخنوا الكفر لا أن يبقى موفورا
يجلو السلاح عن الإسلام غمته ... كالشهب يجلو من الظلماء ديجورا
عضوا على الحق لا تعدوا كتائبه ... الحق بالسيف والإنصاف بالشورى

١٥- لنا ذكرى بسبتمبر لنا:

لنا ذكرى بسبتمبر بها تاريخنا يفخر
لها في ذوقنا طعم كطعم الشهد والسكر
لها نفح كنفح المسـ ـك والريحان والعنبر
وتاج فوق هامتنا عليه روائع الجوهر
أيا شهراً أزال الغم عن أوطاننا أشهر
غزونا فيه أمريكا بزلزال لها دمر
بيوم يذهل الأبصا ر قان فاقع أحمر
عبوس كالح بالشر يشبه ساعة المحشر
أحال نهارها ليلاً وليل الكفر قد أسهر
قطعنا من ديار الكف ـر وحبل وريدها الأبهر
نطحنا ناطحات السحـ ـب نطح الموج إذ يهدر
تركناها كثيباً كال ـمهيل الهائل المنظر
تركنا أرضها قاعاً كمثل الصفصف القرقر
وجلل جوها رهج وبحر قد طما أغبر
ونقع ثار حتى حا م فوق الكوكب الأزهر
فليست شمسها تبدو وليس نهارها يسفر
ولو أبصرت ما أبصـ ـرت إلا صيحة صرصر
وأشلاء ممزقة ونهراً من دم ينهر
وتنوراً يذيب الصخـ ـر والفولاذ قد سجر
وأفواجاً تهيم على الـ ـوجوه كئيبة المنظر
بلا سمع ولا عقل ولا رأي ولا تبصر
وتركض ركض قطعان بلا فكر إلى المنحر

كليل خطوها تعدو ذليل وجهها المغبر
ألا يا منظراً ما كا ن أحلى منه ما أنضر
ألا يا سؤتا يا بو ش تبكي كالفتاة البكر
ويبحث عنك شعبك في نواحي الأرض والأبحر
وأنت مخبأ في شق أرض لائذ في جحر
ربوع للربا عادت ربى مهجورة تصفر
فسحقاً يا قلاع السح ت هذي حيلة المضطر
ويا أمجادنا خطي ويا تاريخنا سطر
ويا ثارات أمتنا ويا إسلامنا فاثأر
فمنهاة وأمريكا فدى نعليك يا ابن الدر
وكبر يا أخا الإسلا م رتل سورة الكوثر
ويا سحقاً لمن شجبوا وتباً للذي أنكر
سلاطين مسلطة على الإسلام ما أقدر
إذا ما صال واحدهم على أصحابه عنتر
ولكن إن دعا الداعي على أعدائه كالهر
ومشيخة على أفوا ههما الشيطان قد أصدر
وعلمها ولقنها فتاوى لا تساوي البعر
لهم في (الإمبسي) أجر يقدره ولي الأمر
فيعميه ويخرسه ويفعل فيه فعل الخمر
وبرميل على قطر من التسمين قد قطر
تنفخ من تنعمه كنفخ اللي للبنشر
تفجر من غزير الشح م حتى جلده قشر
كإلية مسلح الخرتي ت شدق فم له أبخر

عميل خائن العينيـ ـن عبد خالص للكفر
يوقع كلما طلبوا ويبصم طائعاً بالعشر
مخضبة براجه من الإبهام للخنصر
يذكر أهل أندلس بني العباد والجهور
وفرعون بحوض النيـ ـل نال السبق للمنكر
إذا ما قيل من للديـ ـن كان لحربه الأجدر
له طبالة حمقى تسمى شيخة الأزهر
تجير شرع خالقنا لترضي طغمة العسكر
وزيدي على صنعا ء أشعث أشهب المنظر
يذكرنا بأبرهة لحرب الله قد جمهر
وخنزير على الأردنِّ فرخ من بني الأصفر
شريف أيما شرف زنيم الفكر والعنصر
عميل صاغراً عن صا غر عن صاغر أصغر
وبرويز بأرض السنـ ـد ما أخزاه ما أحقر
أما في قومه رجل يعجل نتنه للقبر
أولئك من عبيد الغر ب للتمثيل ليس الحصر
وأقوام بأمصار يعز العد ما أكثر
تهانينا لأمريكا وعقبى للفنا الأكبر
تهانينا من الأعما ق يا بوش ويا بولر
وأمريكا وزمرتها بشر كل سبتمبر

١٦- لله درك يا أسامة:

لله درك يا أسامة ... في جبين العز شامة
شامخاً كالطود فينا ... ما حنى للكفر هامة
لقّن الباغين درساً ... شاهراً فيهم حسامه
معلناً صوتاً يدوي ... ليس للكفر شهامة
ليس للباغين عهد ... كيف والبغي تنامى
ليس نرضى اليوم ذلاً ... أو نطأطئ كالنعامة
نحن في الحرب أسود ... لسنا نرضى بالسلامة
بل إلى الجنات نمضي ... نبذل الروح علامة
عصبة الله قامت ... ما ترى فيها السآمة
نكّست رايات كفر ... أعقبت فيهم ندامة
فاعتلى فيهم صياح ... أوقفوا زحف أسامة
قد غدوت اليوم رمزاً ... لله درك يا أسامة

١٧- رويدك يا أسامة من تنادي؟

رويدك يا أسامة من تنادي؟ ومن تبغيه ينفر للجهادِ
أتبغي حاكماً يقضي الليالي مع القينات في حمرِ النوادي
يهب لنصرة الإسلام كلا وربي لا حياة لمن تنادي
تنادي المسلمين؟ فإن قومي يفوقون الحصى في كل وادي
كمثل الذر لكنا وربي غثاءٌ ليس ترهبنا الأعادي
لدينا يا أسامة طائراتٌ وأسلحة وأنواع العتادِ
فما أغنت بأزمتنا ولكن رأينا الكفر يمرح في البلادِ
نساء الروم جاءتنا لتحمي رجالاً في الحواضر والبوادي
رويدك إننا في السلم أسدٌ وعند الحرب نصبح كالجرادِ
رويدك لا صلاح الدين فينا وما من خالدٍ أو من زيادِ
غرقنا في الحياة حياة دنيا تناسينا أخي دار المعادِ
أأترك منصباً أفنيتُ عمري على تحصيله وهجرت زادي
ويترك صاحبي زوجاً حنوناً يطيب بقربها سَمَرُ الودادِ
ويترك ثالثٌ ابناً وبنتاً هما أغلى من الذهب القلادِ
ويترك رابعٌ سوقاً وبيعاً ويترك خامسٌ زرع الحصادِ
ونذهب يا أسامة في فيافٍ يبيدُ بها أولوا العقل الرشادِ
فديتك يا أسامة والقوافي سلاحي ضد أرباب الفسادِ
فديتك لست أقوى غير هذا وبعض القول أوقع من زنادِ
أحبك يا أسامة مثل نفسي بلى والله حبك في ازديادِ
فداك الخائنون ولاة أمرٍ يبيعون البواقي بالنفادِ
وراء الكفر قد لهثوا جميعاً عبيدٌ يا أسامة للأعادي

يُـقَضُّـــون الـلـيـالي في مـلاءٍ وَيَقْضُـــون النهـار على الوســـادِ
وقـد نهـبـوا مـن الأمـوال مـا لـو تـــوزع عـــم أنحـــاء الـــبـــلادِ
ألا خـابـوا ورب الـبـيـت طـراً كمـا خـابـت قـديمـاً قومُ عـادِ
وســـوف يُقَرّعون السـنَ سـنـاً إذا وقـفـوا لـدى ربُّ الـعـبـادِ

١٨- إرهابكم محمود. لجرير النيربين:

إرهـابُكـمْ يا شـيـخَـنـا محـمـودُ ... بـلْ فرضُ عينٍ ليس عنـه مَحيـدُ
بـل ذُروةُ الإسـلامِ مـا تـدعو لـه ... يا شـيـخنـا، لـو يفقـهُ المفؤودُ
يا أيهـا البطـل الـذي شُـدَّتْ لـه ... أرواحُـنـا فـلـه الـولاءُ وَطِـيـدُ
أحييـتَ آمـالَ العبـادِ فـأنْـتَ في ... ليـلِ الظلامِ خلاصُـنـا المنشـودُ
وبعثْـتَ من أعمـاقِ أعظمِ أُمَّـةٍ ... رُوحَ الجهـادِ كمـا الصـبـاحُ يعودُ
فلَكـمْ مِـنَ الـرحمنِ كـلُّ معـونـةٍ ... ولكمْ علينـا النصـرُ والتـأييـدُ
شـيخي أسـامةُ أيها البطلُ الذي ... دَوَّخْـتَ أمـريـكـا وأنـتَ وحـيـدُ
إرهـابُكمْ نطقـتْ بـهِ الآياتُ بـلْ ... لا يعتريـهِ مـدى الزمـانِ جُحودُ
في سـورةِ (الأنفالِ) جاءَ مُشَـرَّعاً ... فَـلْـيَـخْـنَـسِ الإنـكـارُ والتـنـديـدُ
فلهمْ (أَعِدّوا) [١] مـا اسـتطعتمْ قوةً ... كـي ترهبوا أعـداءَكـمْ وتسـودوا
وكـذا (براءةُ) أعلنتْهـا (غِلْظـةً) [٢] ... فـ (اغلُظْ عليهمْ) [٣] فالعدوُّ عتيدُ
واتركْ سـبيلَ اللينِ والحُسـنى لِمنْ ... أغـراهُ عـن طـلـبِ الجـهـادِ قُـعـودُ
فـالـلـينُ في الـتـبـلـيـغِ أولَّ مَـرَّةٍ ... أمـا الـعـتـاةُ فَبِشِـدَّةٌ ووعـيـدُ
(قولا) [٤] إلى فرعونَ (قولاً ليّنـاً) ... مـا دامَ ينفعُـهُ، فـلا تَشْـديـدُ
أمـا إذا اسـتعلى وصـالَ مُعانِداً ... فَـ (اطْمِسْ على أموالهم) [٥] لِيَبيدوا

---

[١] ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾ (الأنفال).

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً...﴾ (التوبة).

[٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ...﴾ (التوبة).

[٤] ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه).

[٥] ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (يونس).

لا خيرَ في دِينٍ يكونُ إمامُهُ (بوشٌ) وتهدينا إليه (يهودُ)
هذي قوى الأحزابِ، وحَّدَ صَفَّها رأسٌ صليبيٌّ هناك حقودُ
(بوشٌ) أتى بحكومةٍ حربيةٍ لأبيهِ في حَرْبٍ مضتْ تمهيدُ
ورثَ العداوةَ كابِراً عن كابرٍ ولهُ بتاريخِ الطغاةِ جدودُ
جمعتْ جيوشُ الكفرِ أعتى قوةٍ فيها لآلاتِ الدمارِ حُشودُ
ولطالما خدعوا الشعوبَ بأنها من أجلِ ردعِ الروسِ، لا تهديدُ
حتى إذا وصلوا إلى غاياتِهِمْ كُشِفَ القناعُ وأُعلنَ المقصودُ
ومضى التحالفُ مثلَ وحشٍ كاسرٍ شرسٍ وليس لما أعدَّ حدودُ
فيه (الصليبيون) وحَّدَ بينهمْ شوقٌ إلى (النسرِ النبيل) جديدُ
وكذا الشيوعيون حيث تدافعوا نحو الهروبِ وجيشُهمْ مطرودُ
وكذاك بوذيون طاحَ إلهُهُمْ في (باميانَ) مُدَمَّرٌ مَوْءُودُ
وكذاك عبادُ العجولِ، وليتَهمْ كالعجلِ، لكنْ في الغباءِ هنودُ
وكذاك رافضةٌ مجوسٌ شيعةٌ تاريخُهمْ في طعنِنا معهودُ
وكذاك أصحابُ الشِّمالِ تحالفٌ من بأسِ أصحابِ اليمينِ طريدُ
وكذاك أصحابُ النفاقِ تربَّعوا فوق الكراسي حاكمٌ رِعْديدُ
أو شيخُ سُوءٍ قد تدلَّى بَطْنُهُ أو بوقُ إعلامٍ لهُ الترديدُ
حشدٌ لإبليسَ اللعينِ مُهَيَّؤٌ للأعورِ الدجالِ وهو يعودُ
قالوا على الإرهابِ حربٌ لا على دينٍ سماويٍ لهُ التمجيدُ
قالوا على أهلِ التطرفِ حَرْبُنا فهمُ العدوُّ الأوَّلُ المقصودُ
من بعدِهِمْ تأتي المناهجُ حيثُ في تغييرِها سيُكَشَّفُ المجهودُ
وتُعَدَّلُ الآياتُ في القرآنِ إنْ عُنفاً حَوَتْ ويَنُوبُها التجديدُ
وسيُجعلُ الإسلامُ أطوعَ مِلَّةٍ تُلوى معَ (الدجَّالِ) حيثُ يُريدُ
قالوا (صليبيون) ثم تراجعوا في ظاهرٍ، والفِعلُ ثَمَّ أكيدُ

لا.. لا نحاربُ دينَكمْ، إن شِئْتُمُ صُمْنا، [١] وإن صيامَنا لفريدُ
لا.. لن ندمِّرَ كعبةً خُدَّامُها (آلُ السُّعودِ)، فجدُّهُمْ مَسعودُ [٢]
أنحاربُ الإسلامَ جهراً هكذا أبداً، معاذَ اللهِ، ذاك أكيدُ
لكنْ سنسعى في اجتثاثِ أُصولِهِ ونجفِّفُ الينبوعَ حيث يجودُ
لم لا فهرمجدونُ [٣] قد أزِفتْ كما تروي لنا التوراةُ والتلمودُ
من بعدِها يأتي (أميرُ سلامِنا) [٤] ذاك المسيحُ الأعورُ المصفودُ
وندمِّرُ الأقصى لننصبَ هيكلاً في حُكْمِهِ كلُّ الشعوبِ عبيدُ
هي خطةٌ رُسِمتْ بكلِّ عِنايةٍ حتى تسودَ العالمينَ يهودُ
تنفيذُها يحتاجُ كلَّ مكيدةٍ واللهُ فوقَ الكائدين يكيدُ
مهلاً.. (نبوءةُ دانيالَ) [٥] لنا بها بُشرى، وربُّ العالمينَ شهيدُ
فـ (الكبشُ) فيها (طالبانُ)، وإنَّما (بوشٌ) بها (تَيسٌ) عليهِ سفودُ
يا ربِّ حطِّمْ (قَرْنَهُ)، عجِّلْ لنا فرجاً، فهذا يومُك المشهودُ

---

[١] وقد أعلن هذا الصيام نجاسة (بابا الفاتيكان) في يوم عيد الفطر.

[٢] جدهم الأعلى هو سعود بن مقرن (ماك رن) بين الياس (الياهو) بن مرخام (مردخاي).

[٣] يؤمن بالهرمجدون كل رؤساء أمريكا حتى بوش، والدعاية لهرمجدون علنية في الغرب، لكن الحديث عنها محظور في الشرق المسلم وخصوصاً في برامج قناة الجزيرة.

[٤] أمير السلام عند اليهود هو المسيح الدجال، وعملية السلام التي أطلقها بوش الأب هي العملية التي تنتهي بتتويج أمير السلام.

[٥] تتحدث نبوءة دانيال الثالثة باختصار عن كبش له قرنان والقرن الأعلى هو الطالع أخيراً (الإمارة الإسلامية وركناها طالبان والقاعدة، والقاعدة أعم للعالم ونشأت بعد طالبان)، يقف عند نهر أولاي (جيحون) يقهر كل أعدائه، ثم يعدو عليه تيس معز (بوش وتحالفه)، يأتي من جهة الغرب يطير فوق الأرض، فيكسر قرنا الكبش، وبعد أن يطرح التيس الكبش أرضاً يتعظم جداً، فينكسر قرنه العظيم ويتدمر التيس ويخرج منه أربعة قرون، رابعها باختصار الدجال.

شـــيخي أســـامـةُ يا مُجَـدِّدَ دَرْبِنـا ... دربِ الجـهـادِ، وإنَّـهُ الـتـجـديـدُ
جـدَّدْتَ تاريخَ (الغُلامِ) [١]، وجَدَّدُوا ... هـمْ (ذا نُواسَ) وأُوقِـدَ (الأُخـدودُ)
وظَـهَـرْتَ في زَمَـنٍ تـطـاولَ لـيـلُـهُ ... والـنـاسُ فـيـهِ غـافـلـونَ هُـجـودُ
هذي (الدهيماءُ)[٢] التي انقسمَ الورى ... فيـهـا لفســطـاطَينِ وَهْيَ تَميـدُ
فســطـاطُ إيمـانٍ وآخـرُ لـلنِّـفـا ... قِ، ولـيـسَ ثَمَّـةَ ثالـثٌ مـوجـودُ
جَيْشَ (الموالي)[٣]منْ (خُراسانَ) انْطَلِقْ ... ولْـتـعـلُ راياتٌ لـديـكـمْ ســـودُ
وَلْتمضِ في (ســنةٍ ونصــفٍ) فاتحاً ... للقدس، هذا ما الحديث يفيد [٤]
وَلْتضْـرُبِ اسـتعلاءَ (عادٍ) [٥] بعدما ... عـادتْ هنـاك وليسَ ثَمَّـةَ (هُودُ)
فلقدْ أُصـيبَ الكفرُ في (سـبتمبرٍ) ... في مقتلٍ، والسـهمُ فيه سـديدُ
إن لم يكنْ (بُرجا التجارةِ) عندَهُمْ ... هـدفـاً فكيفَ الاقتصـادُ يَبيـدُ
وكـذاك (بنتـاغونُهُمْ)، وهو الـذي ... مـا زالَ وكـراً لـلشـرورِ يـقـودُ
إرهـابُهُـمْ مـلأَ الـبـلادَ جـرائـمـاً ... وبـهِ الأذى والبطشُ والتشـريـدُ
إرهـابُهُمْ قَـدْ طبَّقَ الـدنيـا فهـلْ ... تـقـوى عـلـيـهِ حمـامـةٌ ووُرودُ
لا لـيـسَ إرْهـابا ولـكـنَّ اسْمَـهُ ... الإجـرامُ في الـقـرآنِ يا مـنـكـودُ

---

[١] قصة الغلام المؤمن وأصحاب الأخدود ذكرت في سورة البروج والأحاديث.

[٢] فتنة الدهيماء أو الغربية تدوم ثمانية عشر عاماً (بدأت بغزو العراق للكويت وهروب جابر إلى الروم والبدء بالنظام العالمي الجديد)، وتنجلي حين تنجلي، وقد حسر الفرات عن كنز الذهب، كلما قيل انقضت تمادت، حتى يصير الناس إلى فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذلك فانتظروا الدجال من يومه أو من غده.

[٣] ((إذا قامت الفتن بعث الله بعثاً من الموالي هم أكرم العرب نسباً يؤيد الله بهم الدين)) ابن ماجه.

[٤] الحديث معروف.

[٥] ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى﴾ (النجم). وتلك الأولى أول الزمان وهذه الثانية آخر الزمان.

تباً لمنْ في (جِحْرِ ضَبٍ) [١] أولجوا ... رأساً غبياً شأنُهُ التقليدُ
شيخي أسامةُ قد زها إرهابُكمْ ... ورجاؤنا يا شيخُ منهُ مَزيدُ
إرهابُكمْ هذا حميدٌ فاضِلٌ ... فيه السماحةُ والندى والجودُ
ماضٍ إلى يومِ القيامةِ ليسَ مِنْ ... وَقْفٌ لَهُ، فلواؤهُ مَعْقُودُ
واللهِ ما عِشْنا بلا إرهابِنا ... فهوانُنا في العالمينَ مَديدُ
واللهِ ما دُمْنا نُداهِنُ مَنْ بَغَوا ... في حقِّنا فطريقُنا مسدودُ
واللهِ لنْ نقضي على إرهابِهِمْ ... ما لمْ نَقُمْ في مثلِهِ ونزيدُ
سِرْ يا أسامةُ باسمِ رَبِّ مُحَمَّدٍ ... فالنصرُ في راياتِكُمْ موعودُ

---

[١] ((لتتبعن سنن من كان قبلكم...)) الحديث.

١٩- بتوجيهات بن لادن:

بتوجيهاتِ بنْ لادِنْ نواصِلُ دربَ منهاتن
لِنُرغِمَ أنفَ أمريكا ونقطعَ شرَّها الشائنْ

أنا يا بوشُ إرهابي حديدَ الظفرِ والنابِ
جمعتُ اليومَ أصحابي لنمحوَ ليلَك الداكِنْ

شبابٌ تابعَ الوحيا وفَرْضَ جهادِهِ أحيا
ثلاثاً طلَّقَ الدنيا طلاقاً حكمُهُ بائنْ

شبابٌ باعَ واستبشرْ فما أبطا ولا استأخَرْ
غداً معراجُه الأكبرْ إلى فردوسِهِ الفاتِنْ

غداً يا بوشُ تلقونا جزاءَ صنيعكم فينا
هجوم سوف تنسونا به أيام منهاتن

بأسلحة تفجركم وأهوال تدمركم
غداً يا بوش موعدُكم تذكر أيها الماجن

كما انحزتم لشارون ليبطش في فلسطين
تحاربُ ألفَ مليونِ لتحميَ ذلك الراعنْ

كما عثتم بأوطاني ودمرتم خراساني
وكشميري وشيشاني وكلَّ ثرىً لنا ساخنْ

كما بغدادَ دمرتمْ وأحرقتم وفجرتمْ
بجيش كاسحٍ سِرتمْ ليسحقَ شعبنا الآمن

كما دُسْتُمْ مساكيني وقطعتم عرى الدينِ
وجرجرتم ملايييني إلى المستنقع الآسن

كما دنستم الكعبة بجيشٍ شاهرٍ صُلْبَهْ
وحُكَّامٍ جَثَتْ قُرْبَهْ وفهدٌ خادمٌ سادنْ

بشرع الغرب قد شرعوا ومن ظلماته ابتدعوا
عن الأوطان ما دفعوا كما قد تدفعُ الداجن

كما اشتهرت جرائرُكُمْ كما انعدمتْ ضمائركمْ
كما انغرست خناجرُكمْ بظهر مريضنا الواهنْ

سنقتلكم بلا رحمة سنقلب عيشَكم غُمّة
سينسى "رامسفيلدُ" اسمه وينكر جيشَه الطاحن

سيدركُ أننا أمة لها في العالم القمة
ستهتكُ حالكَ الظلمة برمحٍ نافذٍ طاعنْ

ستحيي كل آمالي وترفع شأن أجيالي
وتسحق كل دجالِ عميلٍ مجرمٍ خائن

أسامةُ.. آنَ تصلا وأن تحيي لنا الأملا
فحطِّمْ سيدي هبلا وضرّجْ جبهة الكاهن

أتى "صَفَرٌ" فهلْ نصبرْ على أعدائِنا أكثرْ
فَسَمِّ شيخَنا وانحرْ وآذنْ شيخنا آذنْ

بإذنِ اللهِ تقتدرُ أيا شيخي وتنتصر
وأمريكا ستندحرُ ولن يبقى بها ساكنْ

٢٠ - أسامةُ يا حيّاك ربي وسلّما، لأبي محمد المري:

هذه أبيات جادتْ بها القريحة بعد رؤية الشيخ المجاهد أسامة بن لادن في قناة الجزيرة في الشريط الأخير الذي بدد أحلام أهل الكفر وشد عزائم أهل الإسلام:

أســـامـةُ يا حيّـاك ربي وســلّما ... وأكـرمـكَ المـولى الـكـريمُ وأنـعَـمـا
ودُمْـتَ لـنـا حـتى نـرى بـكَ عِـزّةً ... ودُمْـتَ لنـا حتى نرى بـكَ مَغنمـا
فـنِـعْـمَ مـلـيٌّ أنـتَ لا نَـعِـمَ الْـمَـلا ... ونِـعْـمَ جـهـادٌ عُـدْتَ فـيـهِ مُجَرّمـا
ونِـعْـمَ وإنّ الـنّـعْـمَ فـيـكَ قـلـيـلـةٌ ... وأَنَى لـنِـعْـمٍ أنْ تُـعـادِلَ أنـعُـمـا
فقـدْ بَـدَأَ الإســلامُ بالعَوْدِ بَعْـدَمـا ... رَفَعْتُمْ شِـــعـاراً كـادَ يُمْحَى لَـهُ سُمـا
بِمِـثْـلِ الـذي تَـرْجُـوهُ لا أمَّ لِـلْـفَـتَى ... ومـا أنـتَ فيـهِ فَلْيَـكُ القلـبُ مُغْرَمـا
ولَـمّـا بَـرَزْتُمْ في الجـزيـرةِ عـادَ مِـنْ ... مُحَيّـاكُمُ فينـا الســرورُ فـأبْسَـــمـا
ووالله إنّ الـرُوحَ فـيـنـا تَجَـدّدَتْ ... وكادتْ بما أبْدَيْتَ تَسْـمُو إلى السّـما
وزالَ أســىً ممـا يَسُـــوءُ سَمـاعُـه ... وكـانَ مِـنَ الإعـلامِ غَـيْـبـاً مُـرَجّمـا
وراوَدَنا حُـزْنٌ عـلـيـنـا وفَـرْحَـةٌ ... بِكُمْ فَشُـــعُورٌ مِثْلُـهُ مـا تَقَـدّمـا
فـإنّا وقـدْ كـان البـلا وتـكـالـبـوا ... علينـا بني الكفـارِ لم نَرَ مُسْـلِمـا
ولَمْ نَـرَ أرْبابَ الـعـقـيـدةِ حـيـنـمـا ... رَجَـوْناهُـمُ يَحْـمـونَ فـيـهـم لهـا حِمَـى
يُـدينون مـا قـد حـلَّ بالكفرِ كُلّمـا ... رَجَـوْنا مـواقـفَ مِـنْـهُـمُ وَلَـقَـلّـمـا
كـأنّهُـمُ لم يَـعْـرِفـوا قَـطُّ مُـنْـكَـراً ... سِـــواهُ ولا ظُلماً مَضَـــى مِنْهُ أعْظما
فسِـيمَ بنو الإسـلامِ سـوءً وأُسْـلِموا ... وما كان ذو الإســلامِ مِنّا لِيُسْـلما
فكم مسـلمٍ أمسـى صـريعاً ورُمِّلَتْ ... نســاءٌ بلا ذنـبٍ وطِفْـلٍ تَيَتَّـمـا
وكمْ قريـةٍ أضـحـتْ يَبـاباً وكمْ وكمْ ... ولـيـسَ لـنـا حـقٌ بأنْ نَـتَـكَـلّـمـا
فمـا بالُ من قـد كـان بالأمسِ مُعْرِباً ... بمـا دانَـهُ قـدْ أصـبحَ اليومَ أعْجَمـا
أكـانـتْ دِمـاءُ الـكـافـريـنَ عـزيـزةً ... عليكمْ ولَمْ يَعْزِزْ عليكمْ لنـا دِمـا
فـلـعـنـةُ ربي لا تُـغـادِر مُجْـرِمـاً ... ولا عـالمـاً عن كِلْمـةِ الحقِّ أحْجَمـا

٢١- أسامة، شامة العز والكرامة أبو العزمات:

أســـامـة أيهـا الليـث الهصـــور ... بمثلـك يـفـخـر الـرجـل الـغـيـور
ضـــربـت لكـل ذي عقـل مثـالاً ... فـحـار بشـــأنـك الـفـهـم الخبير
نشـــأت مـدللاً في طيـب عيش ... وحولـك مـا تني عنـه الســطور
فشـــاء الله أن تخـتـار هـدياً ... وأن يـلـج الـفـؤاد هـدى ونـور
فـإذ بـك في شـبـاب العمر ترنو ... إلى حـرب ضـــروس تســتـطـير
وتـنـفـق في ســبـيـل الله مـالاً ... يصـــدق قـدر الـرجـل الـقـتـور
فـتـبـذلـه وقـلـبـك مـطـمـئـن ... وعـنـد الله تـدخـر الأجـور
وهمـك في جـهـادك نصـــر دين ... بـه نحـيـا أســـوداً لا نخـور
وإلا فـالمـمـات عـلـى إباء ... ونـعـم المـرتجـى رزق وحـور
ورضـــوان مـن الـرحمـن أعـلـى ... وفـوز -جـل واهـبـه- كـبـير
أريـت الـكـافـريـن بأن فـيـنـا ... قســاورة قـلـوبهـم صـــخـور
وأن بضـــاعـة الـرحمـن أغـلـى ... وأن تجـارة الـدنـيـا تـبـور
ويـوم الهـجـمـة انـكـدرت نجـوم ... لأهـل الـكـفـر وانـتـثـرت بـذور
وبـوش قـد تـكشـــف ناجـذاه ... بـقـلـب حـاقـد ودم يـفـور
يـنـادي حـزبـه هـيـا هـلـمـوا ... إلى الصـــلبـان قـد وجـب النفير
فـألـب حـولـه حـلـفـاً عـظـيـمـاً ... وســيّر جـحـفـلاً لـبـداً يمـور
وبارك فـعـلـه حـكـام ســوء ... فـبـان عـوارهـم وبـدت شـــرور
أفـيـقـوا يا بـني الإســلام طـرا ... وقـومـوا مـن ســبـاتـكـم وثـوروا
أعـيـدوا مجـد أســلاف كـرام ... عـلـى آثارهـم قـدمـاً فسـيروا
وشـــدوا مـن عـزيمـتـكـم وكـونـوا ... كـمـاة في الجـحـافـل تســتـثـير
وطـيروا لـلـمـعـارك في ثـبـات ... كـمـا طـارت إلى القمم النســور
معـارك لـيس يـفـهـمـهـا جـبـان ... ولـكـن جـهـبـذ فـطـن جسـور

فإن أعرضتم فالحرب قامت رحاها رغم أنفكم تدور
وليس يفيدكم في الحرب حزن إذا عم التهالك والثبور
ولكن العقيدة إن تقوت لها في عمق أنفسكم جذور
وكنتم إخوة في الدين حقاً وقد صفت النوايا والصدور
أذقتم طغمة الأوغاد ذلاً وطعم الذل ممجوج مرير
ونحو مجال عزتكم عبرتم كراماً سادة في العبور
بذلت لكم نصائح مشرقات بها عصب الحيارى تستنير
خذوا منها نفائسها وخلوا نقائصها لناظمها تحور

٢٢- فجر أسامة في العلوج فأَطرب:

فجِّر أُسَـــامَـةُ فِي العُلُوجِ فَـأَطْرِبِ ... شَـــرْقَ الـرِّيَاضِ وفِي بِـلاد المِغـربِ
الأرضُ ميـدانٌ، وتلـكَ جيوشـــهُم ... كـرةٌ تـقـلِّبُـهـا بأرض المـلـعـبِ
إن فرقتكم في الخطوب مـذاهـبٌ ... فـأنا أســـامـةُ، والقنـابـلُ مـذهبي
أقســمتُ لا حلمت بأمنٍ أرضـــكم ... حـتى يـراه ثـرى فـلســـطـين الأبي
زيدوا أو انتقصـــوا الصـــراعَ نكلكمُ ... صـــاعًا بصـــاعٍ بالدماءِ مخضَّـــبِ
فـرُّوا، إلى أيِّ الـبـلادِ مـفـرُّكـم؟! ... في الأرضِ أم تسـتعصـمون بكوكبِ
ســينـالكم، مـا كـان أعـددنا لكم ... في الغيبِ من صابِ العذابِ مصوَّبِ

٢٣- قصيدة على لسان الشيخ. لفيصل المبارك:

أنا لا أبيع بضاعة لكن نفسي ... بعتها لله وهو كفاني
سأظل أحفر قبركم وأبيدكم ... حتى تكونوا عبرة الثقلان
أنا سقمكم أنا موتكم أنا نعشكم ... في الحل والترحال
إني قدمت لكم بجيش محمد ... سيفي يحس رقاب من يلقاني
هذي طلائعنا بالموت تبايعت ... فلتستعدي أمة الأوثان
ترنو القلوب لجنة سكانها ... خير الأنام وثلة القرآن
راياتنا سود تلف سماءنا ... موتاً يحدق في بني الصلبان
غزواتنا عبق الشهادة مسكها ... والنصر يأتي سلعة الرحمن
وبها الشهيد يأمنا وكذا بها ... نادى المنادي بيعة الرضوان
نيرانها تحت الرماد وجمرها ... ما إن تهب الريح كالبركان
تفني يهود الغدر تقطع نسلهم ... دنت المنايا أمة العدوان
أين المفر فركبنا مولى الإله ... ويقوده جبريل في الميدان
أنا قادم نحو الوغى لا أبتغي ... إلا الشهادة منحة الرحمن
هذي يميني تحمل القرآن والأكـ ... ـفان حتى تستروا جثماني
قل للطواغيت البغاة تمهلوا ... هذا الوعيد وصولة الفرسان
فلتمرحوا أيامكم معدودة ... وغداً يفجر عرشكم طوفاني

٢٤ - وهذه قصيدة حمزة بن أسامة بن لادن لأبيه ورد أبيه عليه:

أبتاه أين هو المفر ومتى يكون لنا مقر؟

آه أبي كيف ما أبصرت دائرة الخطـر؟

أكثرت ترحالي أبي بين البوادي والحضـر

أكثرت من سفري أبي بين وادي ومنحدر

حتى نسيت عشيرتي وبني العموم والبشـر

ما بال منزلنا اختفى عني فليس له أثـر؟

ما بال أمي لم تعد عجباً هل طاب لها السفر؟

وأخـي الحبيـب فديتـه مر الزمان وما حضـر

لم لا نرى في دربنـا إلا الحواجـز والحفـر

أعرف إن أمريكا أتت تعبث بالخرج والخبر

فهاجـرت مغتربـاً إلى أرض بها النيل انحدر

خرطوم بعد أن فتحت أبوابها أبت لي أن أقر

ثم ارتحلت مشرقاً حيث الرجـال أولي الغـرر

كابول ترفع رأسها رغم الخصاصة والخطر

كابول يبتسم ثغرها تنر وتؤوي من حضر

الشيخ يونس خالص قد بدا ليث يهاب إذا زأر

وأخو الرجولة والإباء أميرنـــا الملا عمـــر

أبي لماذا أرسلوا وابل من القذائف كالمطر

لم يرحموا طفلاً ولا شيخاً يحطمه الكبـــر

أبتاه ماذا قد جرى حتى يلاحقنا الخطر؟

أفداؤك البيـــت العتيـــق جريمـة لا تغتفـــر

اثبت أبي لا تبتغي عرض الحياة من البشر

الخلـــد موعدنـا إذا شاء الإله لنا الظفـــر

قل لي أبـي فيما أرى قول مفيـــد ومختصـــر

هذا هو استفسار حمزة بن لادن لأبيه، فكان رد الشيخ أسامة عليه:

ابني يكفى إني شبعاً بالآهات والحسر

عقد اللسان فمقلتي نبع ووجداني سقر

ماذا أقول ونحن في دنيا التكاسل والبطر

ماذا أقول لعالـم أعمـــى البصيرة والبصر

أمم تبـــاع وتشتـــرى بيـــع السنابـك بالغـــرر

عفواً بني فلا أرى بالدرب غير شديد منحدر

عقد مرت سنواته بين التشرد والسفر

عما تسائلني؟ عن قوم أصابهم الخدر

ها نحن في مأساتنا ذهب الأمان وبقي الخطر

دنيـا الجرائـم بني الطفـل يذبـح فيها كالبقـر

صهيون تقتل إخوتي والعرب تعقد مؤتمر

أذناب أمريكا غدوا عمياً فليس لهم نظر

حبر على ورق فلا صدقوا ولا ظهر الأثر

لم لم يسوقوا قوة تحمي الصغير من الضرر

هذه وربك وصمة كبرى يساق لها الخبر

غدراً يحزم أمره أيـذود عنـا من غـدر

خانوا الرسول وربنا وخانوا الرعية في سحر

إلى متى نقـص الرجـال والخوالـف في غـرر

يجب التحرك كيفما أتى لدفع الضـرر

أقسمت بالله العظيم بأن أقاتل من كفر

مواقف مؤثرة للإمام أسامة بن لادن

أننعم والإســـلام يشـــكو مصـــابه ونضـــحك والرحمن للحق يغضـــب
فقم يا حفيد الصـــحب واثأر لأمةٍ يســـوم لها الباغي وفي المجد يلعب
وقل لبني الإســـلام واصـــرخ بجمعهم ســـأنصـــر دين الله والحقَّ أطلب

(ما زال الساسة وعلماء الدين والنفس والاجتماع وأهل السِّحْر مختلفين في شخصية زعيم تنظيم القاعدة وسبب تعلق الناس الشديد به، فيصفه الساسة بأنه قال ما خَرُس عنه الآخرون، وفعل ما جَبُن عنه الباقون، ويصفه ساسة آخرون بأنه شخص انتهازي أحسن اللعبة أكثر من غيره، وضرب على الجروح فحرّك المشاعر وجيّش العواطف.

وأما علماء الدين فاختلفوا فيه أيضاً، فبعضهم وصفه بالضلال مما أوقع ذلك في حرج كبير، لأن محبة شخصية ابن لادن طغت على الغالبية العظمى من المسلمين، حتى وصلت محبته للطبقة التي لم يظن يوماً من الأيام أن يصل إليها أمثال أسامة وهي طبقة أغنياء البلد، حيث حذرت وكالة رويترز منذ فترة من مشكلة التنامي السريع والكبير لمحبة هذا الزعيم في نفوس أبناء الطبقة الغنية وهي التي تعد أصلاً لقيادات البلدان الإسلامية، بل إن أميراً بحرينياً حارب القوات الأمريكية إلى جانب القاعدة وهو الآن من أسرى المسلمين المعتقلين بكوبا، والبعض الآخر وصفه بالمجاهد الذي رفع راية بقيت سنوات طويلة مطمورة بطين الذل والخنوع، ووصفه بعض الدعاة بالواعظ الذي يحرك القلوب، وبالخطيب الذي يهز النفوس، ووصفه البعض الآخر من هؤلاء الدعاة بأنه هو وأتباعه مرضى فكرياً يجب علاجهم كما قال الدكتور محمد العوضي، ونسي العوضي أنه يترتب على هذا أن ٧٥% من الشعب الكويتي سيصبحون مرضى يجب علاجهم لأنه ظهر في استبيان جريدة الرأي العام الكويتية أن ٧٥% من الشعب الكويتي يعدونه بطلاً يُحتذى به، ومن الذين حذروا منه بصورة أشد الدكتور جاسم المطوع غير أنه اعتذر أخيراً بعد أن بلغ الإنكار عليه درجة كبيرة، والحقيقة أن رجوعه هو تكتيكي فقط وليس عن قناعة حتى لا يخسر جمهوره.

وأما علماء الاجتماع فقد اختلفوا أيضاً فيه، فقال بعضهم إنه يعيش في مرحلة الانتقام من المجتمع بعد أن لفَظَه، وهو يحاول من خلال مثل هذا العمل أن يثبت كيانه ووجوده، بينما خالفهم آخرون فقالوا إن شفقته على المجتمع المسلم وتأثره بالمؤامرات التي تحاك ضده ويأسه من تغيير سريع يقابل هذا الشر الكبير والعاجل هي التي جعلته يقوم بمثل هذا العمل الذي هز العالم.

وأما علماء النفس فكذلك كانوا على خلاف بينهم، فقال بعضهم إنه يعيش في مرحلة شك داخلي خشية على حياته، فتراه يحب الانتقام من المخالف مهما كانت درجة هذا الاختلاف بينهم حتى ولو كان بسيطاً، وتحدث آخرون من علماء النفس المسلمين على خلاف هذا الرأي، فذكروا أن كثرة ما حل بالمسلمين من مصائب غرس في نفسه جرحاً عميقاً صار من خلاله يستشعر بقضايا المسلمين الحية مما جعله يقدم على مثل هذه الأعمال وهو يرى أنه ليس بخير من هؤلاء الضحايا المسلمين وأن ما أصابهم لابد أن يصيبه تطبيقاً لمعنى جسد الأمة الواحد.

وآخر هذه الطُّرَف هو الخلاف بين أصحاب السحر والشعوذة، فقد اتهم ساحر نيجيري ابن لادن بأنه استطاع سحر جماهير العالم من خلال عُقَد وتعاويذ إلى هذه الساعة لم يعرفها هذا الساحر، وقد تمكن من خلالها ابن لادن أن يُسَخِّر له عدداً كبيراً من الأصدقاء من الجن مما أمكنه من التحكم بمشاعر العالم، وتمنى أخيراً ذلك الساحر أن يوافق زعيم تنظيم القاعدة على مبدأ التعاون معه لأن هذا التعاون على حد قوله سيمكن لهما التحكم بالعالم بأسره) [١].

---

[١] نقلاً عن مفكرة الإسلام.

الموقف الأول:

(عندما قررت أمريكا ضرب أفغانستان، وأطلق ابن لادن خطابه الشهير والذي أقسم من خلاله أنه لن تهنأ أمريكا حتى تهنأ فلسطين بالأمن والرخاء، بدأ الشعب الفلسطيني تدب فيه الحياة حتى صارت صور أسامة تعلق على كل باب فلسطيني، وبدأ طلاب المدارس في نزع صور أنديتهم المفضلة من أرديتهم الرياضية، وبدأت الفتيات بنزع صور الفنانات والمغنيات من على صدورهم واستبدلوها بصور ابن لادن، وبينما بدأت القوات الأمريكية بضرب كابل كان ابن لادن في قندهار، وكان يوماً من الأيام يجهز الخطط ويدرس الوضع، فإذا بشاب يحضر له جهاز كمبيوتر محمول، فقال: يا شيخ إني أريد أن أريك شيئاً، فيقول صاحب القصة: فسكت الجميع كلهم ينظرون إلى شيخهم ماذا يقول، فقال أرني إياه، ولكن كعادة ابن لادن، فقد كان لديه إحساس غريب بأي شيء جديد، فكان وجهه قد بدأ بالتغير، فقام هذا الشاب فشغل الجهاز وبينما كان الجهاز يعمل ويُحَمّل كان وجه أسامة يزداد تغير حتى أصبح الجهاز جاهزاً للعمل، فضغط ذلك الشاب على ملف فيديو، وجعل الصوت عالياً، فإذا أول الملف صورة طفل صغير تعلو وجهه البراءة الطفولية التي يتأثر بها كل مؤمن، وإذا بذلك الطفل الصغير يلبس كوفية فلسطينية، ويرفع صورة ابن لادن والتي ظهرت في الشريط وهو يرفع إصبعه فيها، وأخذ الطفل يتحدث بصوت مرتفع ويبكي بكاء يقطع القلوب فيقول: أين وعدك يا أسامة، ثم يكرر: أين وعدك يا أسامة..؟

فما كان من أسامة إلا أن بكى وسُمع له نشيج كنشيج باكٍ على من فقد أحب الناس إلى قلبه حتى أشفقنا عليه، فأخذ يقول الشيخ بصوت مرتفع: وماذا تريد من أسامة أن يفعل وقد اجتمع العالم كله عليه، فما زال يكررها حتى اخضبت لحيته بدموعه، وأشفقنا عليه، فأبكانا معه حتى كان للمجلس عويل كعويل أمٍّ فجعت بفقد ولدها الوحيد، وقد أخذنا الغضب من هذا الأخ الذي أحضر الجهاز، وعاتبناه بنظراتنا على ما فعله مع الشيخ، وما هي إلا لحظات حتى سقط مغشياً عليه، وحُمل إلى بيته وقد أخذ منه البكاء مأخذه، فمرض ثلاثة أيام وكلما استيقظ تذكر صورة ذلك الصبي الذي يبكي فبكى وسمع نشيجه، وصار

يكرر قوله: وما يفعل أسامة وقد اجتمع العالم كله عليه، يقول صاحب هذه القصة: إني والله لا أتذكر من خلال هذه القصة إلا مواقف عمر التي كان يمرض فيها من خلال قراءة أية أو موقف مؤثر[١].

الموقف الثاني:

لما فشل آل سعود من محاولات تسليم الطالبان للإمام أسامة خصوصاً بعد زيارة المذكور تركي الفيصل [٢] (لم ييأس السعوديون وقرروا استخدام وسيلة أخرى ليس لها علاقة بالطالبان وهي الضغط مباشرة على ابن لادن.

---

[١] المصدر السابق.

[٢] لم تتوقف محاولات الحكومة السعودية في الضغط على طالبان بتسليم ابن لادن، ومن أجل ذلك لجأت الحكومة السعودية إلى آخر سهم في كنانتها وهو إرسال أكثر الأمراء السعوديين خبرة بأفغانستان تركي الفيصل. توجه تركي الفيصل بصحبة عبد الله التركي وزير الشؤون الإسلامية وسلمان العمري القائم بالأعمال السعودي في كابل. في قندهار قابل الوفد الملا عمر وطلب تسليم ابن لادن لأمريكا، ودارت بين الوفد السعودي وبين طالبان ملاسنة حادة، قال فيها الملا عمر أنهم إذا كانوا يتحدثون باسم أمريكا فلا يلومونه إذا قال إنه يتحدث باسم ابن لادن. وكانت عبارة ملا عمر هذه من باب الإحراج للوفد الذي طلب تسليم ابن لادن لأمريكا.

وفي اللقاء ادعى تركي الفيصل أنه قَدِمَ بناء على طلب من الملا عمر من أجل استلام ابن لادن، فأنكر ملا عمر وجود هذا الوعد، بل انتقد شرعية مثل هذا الطلب أصلاً، فاشتد النقاش بين الطرفين إلى درجة أن الملا عمر وجه كلاما خشنا للوفد السعودي تردد المترجم في ترجمته فنهره الملا عمر وأصر على ترجمته حرفيا. وقبل أن ينصرف تركي الفيصل طلب منه الملا عمر أن يصطحب معه القائم بالأعمال السعودي لأنه كذا وكذا! وبعد عودة تركي الفيصل إلى الرياض أرسل بطلب اعتذار من الملا عمر،

كانت والدة ابن لادن ممنوعة من السفر وحُرمت من زيارته عندما كان في السودان، وكانت الحكومة السعودية تعلم أنه في أشد الشوق إليها، فعمدت إلى ترتيب زيارة خاصة لوالدته بطيارة خاصة تقلها إلى قندهار من أجل الضغط عليه وابتزازه بها، وفعلاً نقلت والدة أسامة مع زوجها الذي كان من عائلة العطاس وهي عائلة حضرمية معروف، وصلت الأم وقابل أسامة والدته فعلاً بعد أن لم يرها سنين، ولا غرابة أن كان اللقاء عاطفياً رقيقاً، لكن ابن لادن كان واضحاً تماماً أن قضاياه ليست مطروحة للنقاش رغم الابتزاز.

وعادت الوالدة المكلومة بعد أن كحلت عينها برؤية ابنها أسامة لكن لم تحقق لمن أرسلها مع زوجها أي مطلب).

فرفض الملا عمر ورفض إعادة القائم بالأعمال السعودي، فقرر السعوديون إبعاد القائم بالأعمال الأفغاني في الرياض. (انظر السيرة الذاتية).

كلمات وبيانات ولقاءات الإمام أسامة بن لادن

عجبتُ لهم قالوا: تماديتَ في المنى ... وفي المثُل العليا وفي المرتقى الصعب
فأقصر ولا تُجْهد يراعَك إنما ... ستبذر حبَّاً في ثرىً ليس بالخصب
فقلتُ لهم: مهلاً فما اليأس شيمتي ... سأبذر حبَّي والثمارُ من الربِّ
إذا أنا أبلغت الرسالة جاهداً ... ولم أجد السمع المجيب فما ذنبي

استطعت من خلال البحث أن أحصل على كثيرٍ من كلمات ولقاءات الإمام أسامة، وهي قليلة جداً ولكنها واضحة وسهلة (تبين وتوضح منهجه ومبادئه وعقيدته وفهمه لدين الإسلام وكيف يتحرك بالدعوة والجهاد، ورأيه في كثير من القضايا الإسلامية المصيرية والمسائل المهمة، وهذا المنهج جدير بشباب الإسلام أن يتعلموه لأن هذا المنهج أحيا أمةً ميته بكاملها من شرقها إلى غربها كما هو واضح لمن له بصر وبصيرة، وغير مجرى التاريخ الإسلامي وهدم كثيراً من الشبهات التي أفسدت عقيدة شباب الإسلام وحطم أكبر أسطورة كفرية بإذن الله ولقن النصارى الأنجاس درساً مراً قاسياً لن ينسوه أبداً وأذاق الطغاة المتكبرون طعم الذل ومرارة اليأس بإذن الله.

لقد بكوا بكاء اليائسين وهذوا هذيان المجانين..

لقد اعترفوا أن الأمريكان أكبر بكثير من توقعاتهم..

لقد جن جنونهم فبذلوا جبالاً من الأموال، وجيشوا الجيوش لكي تعود لهم هيبتهم أمام العالم التي ظهرت علي صورتها الحقيقية..

لقد ذكرنا بأبطال الإسلام الذين صنعوا دولة الإسلام في المدينة المنورة وصنعوا تاريخنا المجيد..

وذكرنا بصلاح الدين الذي رد الحملات الصليبية التي اجتاحت بلاد الإسلام وحرر الأقصى من عباد الصليب..

وذكرنا بقطز وابن تيمية وغيرهم ممن قاوموا جحافل التتار ومزقوا فلولهم في كثير من المواقع العظيمة..

لقد صنع بهذا المنهج صفحات مضيئات مشرقات ناصعات من الأمجاد والانتصارات والملاحم والبطولات، ستكون نبراساً يقتدي به شباب الصحوة الإسلامية الذين يحبون الحق والتوحيد والجهاد، وستكون غصصاً في حلوق الهمج الرعاع وشيوخهم النواعق الذين حاربوا كتائب التوحيد والجهاد، وستكون تاريخاً مجيداً رائعاً في المستقبل بإذن الله تتغنى به الأجيال القادمة وتفتخر به وتعكف على دراسته وتعليمه للأطفال والنشء، لأن هذه الومضات المشرقات التي صنعها أسامة بن لادن حفظه الله جاءت تنير الطريق في ظلمات الشبهات والمخاوف والوساوس والهزائم النفسية والعقائد المنحرفة، والجراح التي تنزف بالدماء الغزيرة في شتى بقاع الأرض، والأوجاع التي تطفح هنا وهناك في أمة الإسلام، والأنات الكثيرة التي نسمع صداها في أمتنا الإسلامية الذبيحة، وبحر الخيانات والعمالة التي يغرق فيه حكامنا وعلماؤنا، والسراب والوهم والخداع الذي يتعلق به شباب الصحوة الإسلامية نتيجة لأنهم سلموا عقيدتهم وعقولهم وقلوبهم ومناهجهم ومبادئهم لعلماء السلاطين الذين خدروا الأمة عن جهاد الطواغيت والحكام المرتدين..

فجاءت كلماته أملاً في ظلمات اليأس تنير الطريق للتائهين والحيارى، وماءاً عذباً زلالاً بارداً لأنفس عطشى، وقلوب ظمئة من نور الحق في صحراء الشبهات مع حرارة الضلالات المحرقة، وبلسماً يمسح الآلام التي تتفجر من جراحات المظلومين في سجون الطواغيت، وشفاء لصدور المؤمنين والمستضعفين والمغتصبات من المسلمات المجروحات الكرامة والعفة،

وزاداً يقوي عزائم أبطال الإسلام لكي يواصلوا ملاحمهم الرائعة التي فيها إثخان في أعداء الله وقطع رؤوسهم وكسر كبريائهم وغطرستهم ورد ظلمهم وكفرهم عن ديار الإسلام..) [١].

انشر ضياءك مشرقاً متألقاً ... مُتلألئ القسمات حلو المبسمِ
وابعث نداءك عالياً واقرع به ... سمعَ الغُفاةِ الغافلين النوَّمِ
فنداؤك العلوي يخلُقُ هزةً ... بمسامع الصخر الأصم الأبكمِ
صوتٌ من البطحاءِ علوي الصدى ... هزَ الوجودَ فيا عروش تحطمي
وتطلعي يا أرض للنورِ الذي ... دحر الظلام وللضياء تبسمي
هو دعوةُ التوحيد رنَّ أذانُها ... يدعو البرية باسمِ ربٍ أكرمِ
يا من حملت النورَ تفتحُ أعيناً ... عمياً وتهدي للصراطِ الأقومِ
أتهون أمتك التي أوليتها ... نِعَمَ الهداية من كريم مُنعمِ
أتضلُ والقرآنُ مِشعلُ دربها ... يهدي خطاها في الكفاح المظلمِ
لا لن تَذلَ فهذه راياتُها ... رُغمَ العواصفِ والدُجى لم تُحجمِ
ظمأى يُحركها نداؤك كلما ... عصف الطغاةُ بركبها المتقدمِ
أنا مؤمنٌ حطَّمتُ آلهةَ الهوى ... وبنائي الجبارُ لم يتحطَّمِ
سأظلُ في درب العُلا مُستمسِكاً ... بالعروةِ الوثقى التي لم تفصمِ
يا أمةً هبطَ الزمانُ بمجدِها ... ذلاً وكانت في المقامِ الأعظمِ
لا عزَ إلا بالكتاب يقودُنا ... أكرِم بأحسنِ قائدٍ ومُعلِّمِ

وسنذكر الكلمات حسب التاريخ:

---

[١] انظر قراءة في منهج إمام المجاهدين.

١- كلمة للإمام في جلال أباد أيام القتال ضد الاتحاد السوفيتي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي منّ علينا بهذه النعمة العظيمة نعمة الجهاد في سبيل الله، وذروة سنام الإسلام، والتي كان الناسُ قد نسيها في هذا الزمان، هذه الفريضة الغائبة منّ الله سبحانه وتعالى علينا بعد طول عهد بترك الجهاد، وأُخذت مقدسات الإسلام، وسبيت نساء المسلمين، وانتُهكت أراضيهم وأعراضهم، منّ الله علينا بأن رُفعت هذه الراية عالية خفاقة كما رفعها رسولنا ﷺ، فله الحمد والمنة أن منّ علينا بجهاد نكفرُّ به عن سيئاتنا بتخاذلنا في الفترات الماضية لنصرة هذا الدين، والحمد لله الذي منّ علينا بالجهاد في سبيله في أفغانستان كما منّ به على خير الناس رسولنا عليه الصلاة والسلام؛ فقد خرج معلماً إيانا كيف يضحي المسلم في سبيل الله من أجل هذا الدين، وخرج بنفسه يوم أحد دفاعاً عن هذا الدين حتى شُجّ وجهه الشريف وكسرت رباعيته ﷺ نشراً لهذا الذين، وكذلك خرج ﷺ يوم تبوك في الضحّ والحرور اقتداءً لهذا الدين.

ولعظيم منزلة المجاهد في سبيل الله يفتدي رسولنا عليه الصلاة والسلام المجاهد في سبيل الله بأمه وأبيه، حيث يقول عليه الصلاة والسلام: ((ارم سعد فداك أبي وأمي)) يوم الجهاد، الحمد لله على هذا حمداً كثيراً طيباً.

وكنا من فضله سبحانه وتعالى يوم أن علمنا بدخول الروس عام ٩٩ هجرية يوم أن سمعنا في الأخبار أن الروس قد دخلوا ديار المسمين، منّ الله سبحانه وتعالى علينا بأن نفرنا إلى إخواننا في أفغانستان حتى نعينهم وننصرهم ونقوم بالواجب الذي منّ الله به علينا، ثم تتابعت الأحداث بعد ذلك إلى عام ١٤٠٤هـ، وكانت أول معركة نحضرها في أفغانستان، فلما رأينا حال المجاهدين وما هم فيه من ضعف وقلة حيلة لام الإنسان نفسه كيف تأخر كل هذا الوقت عن نصرة المسلمين المجاهدين في سبيله، حتى شعر أنه لا مكفّر أفضل من أن يقتل في سبيله حتى يُكفّر عنه ما تأخر وما توانى في نصرة إخوانه المجاهدين.

وإن كان لي من نصيحة أوجهها لإخواني المسلمين في أنحاء المشرق والمغرب: فإني أنصحهم أن يبادروا ويدركوا الركب لكي يرفعوا ويعينوا على رفع راية الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، فهي خير راية، وخير الناس هم المجاهدون في هذه الأمة، وخير الناس هم أهل بدر وأحد وأهل الحديبية، فضلهم الله سبحانه وتعالى بعظيم هذه المنزلة العظيمة والمكانة، وهو يصف المؤمنين المجاهدين المهاجرين في سبيله بأعظم صفة في سبيل الله بأعظم صفة وهي صفة الإيمان، هذه النعمة الكبرى العظمى صفة الإيمان الحق يصف بها المجاهدين في سبيله سبحانه وتعالى، حيث يقول بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً﴾.

فصفة الإيمان الحق يثبتها سبحانه وتعالى للمؤمنين في سبيله ويثبت لهم صفة الراضون الذين خرجوا في ابتغاء ما عند الله وخرجوا لينصروا دين الله سبحانه تعالى، لأنهم علموا أن مسلماً واحداً قُتل فما كان منهم يوم الحديبية إلا أن مدوا أيدهم يبايعوا رسول الله ﷺ من أجل أن يجاهدوا في سبيل الله ويثأروا لدم مسلم واحد، وعند ذلك أنزل الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سماوات مثبتاً رضاه ورضوانه عن الذين يقاتلون لإعلاء كلمة الحق ويثأرون لدم مسلم واحد، فقال سبحانه وتعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾.

فلا يمكن لمسلم أن يسمع أن مسلماً يُقتل أو يُسلب أو يُنتهك أو يُعتدى على دينه ويقف مكتوف الأيدي كما تقف النساء والخوالف ولا حول ولا قوة إلا بالله..

وهذه الصفة العظيمة يمتدح الله سبحانه وتعالى بها خير الناس محمداً ﷺ وصحبه بعد أن ذم المنافقين القاعدين عن الجهاد في زمانه عليه الصلاة والسلام، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ۝ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

فهو يمتدح خير الناس بالإيمان والجهاد وهما من أعظم صفات هذا الدين الإيمان والجهاد في سبيل الله، وينفي عن القاعدين المنافقين.. ينفي عنهم الفقه وينفي عنهم العلم لأنهم لا يعلمون ما أعد الله سبحانه وتعالى للمؤمنين المجاهدين في سبيله، ولو علموا لخرجوا يجاهدون في سبيل الله.

فأوصي إخواني من المسلمين أن يتداركوا ما فات.. ولا سبيل لإعلاء راية الجهاد ولإعلاء راية الإسلام أفضل وأسرع وأمكن من سبيل الجهاد، ولا يمكن أن يرد بأس الكفار إلا كما علمنا الله سبحانه وتعالى بالآيات البينات الواضحات، حيث يقول سبحانه وتعالى مبيناً أن بالجهاد يكف بأس الذين كفروا فيقول سبحانه: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَاسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَاساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً﴾ فكفى تخاذلاً وخذلاناً من المسلمين.

وقد قامت الراية من فضل الله سبحانه وتعالى أكثر من تسع سنوات، ويحرز المجاهدون فيها النصر بعد النصر بتوفيقه ومنّه وفضله سبحانه وتعالى، فمن فاته ما فات فليدرك ما بقي.

والذين يقفون بجوار هذه الراية راية الجهاد بجوار راية التوحيد يوم يقل الواقفون لا شك ولا ريب أن أجرهم أكبر من الذين يأتون بعد أن يكثر الواقفون بجوار راية التوحيد، فهذا حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه كان من الأوائل الذين وقفوا بجوار راية التوحيد، فوقف يوم بدر وهم خير الناس كما صح عنه ﷺ، ثم بعد ذلك أرسل سر رسول الله ﷺ إلى المشركين في مكة وتلك من الكبائر، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، لقد نافق حاطب، دعني أضرب عنقه. فقال رسول الله ﷺ: ((وما يدريك، لعل الله اطلع على أهل بدر فقال افعلوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم)).

فالوقوف بجوار هذه الراية يوم قل الواقفون له أعظم الأجر الذي يكفر به سبحانه وتعالى عظيم الذنوب والخطايا...) [١].

[١] إلى هنا وانقطع الصوت في الشريط المسجل والموجود في طريق العزة ٣ قسم المرئيات.

٢- رسالة مفتوحة إلى ابن باز ببطلان فتواه بالصلح مع اليهود:

فضيلة الشيخ ابن باز – حفظه الله –، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نحمد الله إليكم الذي أنزل الكتاب آيات بينات، ورفع الذين أوتوا العلم درجات، وأخذ عليهم ميثاقًا بالصدع بالحق وبيانه وحذرهم من المداهنة فيه وكتمانه.

والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد القائل: ((أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)) [حديث صحيح رواه أحمد وغيره].

وبعد..

فإن من المعلوم لديكم ما حبا الله به أهل العلم من منزلة عظيمة، وأعطاهم من مكانة كريمة، ولا غرو في ذلك، فالعلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا عنهم هذا الدين، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وتمييع الظالمين المسرفين، ويمثلون القدوة الحسنة والأسوة المثلى للأمة في النهوض بأعباء الانتصار للحق وإيثاره على ما عند الخلق.

وقد قام العلماء الصادقون من سلف الأمة وخلفها خير قيام بهذه المهمات، وما وقوف سعيد بن جبير في وجه طغيان الحجاج صادعًا بالحق، وتحدي الإمام أحمد بن حنبل لجبروت الحكم والسلطان وصبره في فتنة الخلق بالقرآن، وتحمل ابن تيمية وحسن بلائه في السجن انتصارًا للسنة، إلا نماذج من القيام بواجب النصرة للحق وأهله، قام بها هؤلاء الأئمة الأعلام انتصاراً للحق وغيرة على الدين، رحمهم الله جميعًا.

فضيلة الشيخ؛ لقد أردنا من ذكر ما سبق تذكيركم بواجبكم تجاه الدين، وتجاه الأمة، وتنبيهكم إلى مسئوليتكم العظيمة، فإن الذكرى تنفع المؤمنين..

أردنا تذكيركم في هذا الوقت الذي انتفش فيه الباطل، وعربد المبطلون المضلون، ووئد الحق، وسجن الدعاة، وأسكت المصلحون، والأغرب أن ذلك لم يتم بعد بعلم منكم وسكوت

فقط، بل مُرر على ظهر فتاواكم ومواقفكم، ونحن سنذكركم – فضيلة الشيخ – ببعض هذه الفتاوى والمواقف التي قد لا تلقون لها بالاً، مع أنها قد تهوي بها الأمة سبعين خريفًا في الضلال، كي تدركوا معنا ولو جانبًا من خطورة هذا الأمر والآثار السيئة المترتبة عليه.

وإليكم بعض الأمثلة:

١ – إن مما لا يخفى على أحد المدى الذي وصل إليه انتشار الفساد العارم والذي شمل كافة نواحي الحياة، حيث فشت المنكرات المختلفة التي لم تعد تخفى على أحد، كما فصلت مذكرة النصيحة التي تقدم بها نخبة من العلماء ودعاة الإصلاح، وكان من أخطر ما بينوا هو الشرك بالله المتمثل في التشريع وسن القوانين الوضعية التي تستبيح المحرمات، والتي من أشنعها التعامل بالربا المتفشي ففي البلاد، وذلك من خلال مؤسسات الدولة وبنوكها الربوية التي تزاحم أبراجها مآذن الحرمين، وتعج بها البلاد طولها وعرضها.

ومما هو معلوم بالضرورة أن الأنظمة والقوانين الربوية التي تتعامل بها هذه البنوك والمؤسسات مشرعة من قبل النظام الحاكم ومصدق عليها منه، ومع ذلك لم نسمع منكم إلا أن تعاطي الربا حرام لا يجوز، غير مكترثين بما في كلامكم هذا من التلبيس على الناس، بعدم التفريق بين حكم من يتعاطى الربا فقط، وحكم من يشرع الربا ويقننه.. مع أن الفرق بينهما واضح كبير، فمتعاطي الربا مرتكب لموبقة من أكبر الموبقات، أما مشرع الربا فهو مرتد كافر كفرًا مخرجًا من الملة بعمله هذا، لأنه جعل من نفسه ندًا لله وشريكًا له في التحليل والتحريم – وهذا ما فصلناه في بحث مستقل سينشر قريبًا إن شاء الله –.

ومع أن متعاطي الربا غير المنتهي عنه قد أعلن الله ورسوله عليه الحرب ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، فما زلنا نسمع منكم عبارات الثناء والإطراء لهذا النظام الذي لم يكتف بالإدمان على تعاطي الربا فقط، بل شرعه وقننه وأباحه، وقد قال ﷺ: ((الربا ثلاثة وسبعون بابًا، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه)) [صحيح رواه الحاكم].

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: (فمن كان مقيمًا على الربا لا ينزع عنه، فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه، فإن نزع وإلا ضرب عنقه) [رواه ابن جرير بسنده عن ابن عباس]. هذا فيمن يتعاطى الربا.. فما بالكم بمن يحلل ويشرع الربا!!!!

إن ما تتخبط فيه البلاد من أزمات اقتصادية وسياسية وما انتشر فيها من الجرائم بشتى أنواعها، وبشكل مذهل، ما هو إلا عقوبة من الله، وجزء من الحرب التي أعلنها سبحانه على من لم ينته عن تعاطي الربا ونحوه من المنكرات، والمحق الذي حكم به على الربا ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾.

٢ – وحينما علق الملك الصليب على صدره، وظهر به أمام العالم فرحًا مسرورًا، تأولتم فعله، وسوغتموه مع شناعته وفظاعته، رغم وضوح أن هذا الفعل كفر، والظاهر من حال فاعله الرضا والاختيار عن علم.

٣ – ولما قررت قوات التحالف الصليبية واليهودية الغازية في حرب الخليج – بتواطؤ – مع النظام احتلال البلاد باسم تحرير الكويت سوغتم ذلك بفتوى متعسفة بررت هذا العمل الشنيع الذي أهان عزة الأمة ولطخ كرامتها، ودنس مقدساتها، معتبرة ذلك من باب الاستعانة بالكافر عند الضرورة، مهملة قيود هذه الاستعانة، وضوابط الضرورة المعتبرة.

٤ – ولما قام النظام السعودي الحاكم بمساعدة ودعم رؤوس الردة الاشتراكية الشيوعية في اليمن ضد الشعب اليمني المسلم في الحرب الأخيرة التزمتم الصمت، ثم لما دارت الدائرة على هؤلاء الشيوعيين أصدرتم – وبإيعاز من هذا النظام – "نصيحة!" تدعو الجميع إلى التصالح والتصافح باعتبارهم مسلمين!! موهمة أن الشيوعيين مسلمون يجب حقن دماءهم، فمتى كان الشيوعيون مسلمين؟

ألستم أنتم الذين أفتيتم سابقًا بردتهم ووجوب قتالهم في أفغانستان، أم أن هناك فرقًا بين الشيوعيين اليمنيين والشيوعيين الأفغان؟

فهل ضاعت مفاهيم العقيدة وضوابط التوحيد واختلطت إلى هذا الحد؟.

وما زال هذا النظام يؤوي أئمة الكفر هؤلاء في مختلف مدن البلاد ولم نسمع لكم نكيرًا، وقد قال ﷺ: ((لعن الله من آوى محدثًا)) [رواه مسلم].

٥ – وحينما قرر النظام البطش بالشيخ سلمان العودة والشيخ سفر الحوالي [١]، اللذين صدعا له الشيخان ومن معهما من دعاة ومشائخ وشباب الأمة من البطش والتنكيل.. فك الله أسرهم ورفع عنهم ظلم الظالمين.

---

[١] الكل يعلم إلى أي حدٍ وصل إليه هذين الشيخين من تغير ونكوص من بعد خروجهم من السجن، ويعلم أيضاً مدى الركون إلى الظالمين، وقد ردَّ عليهم وبيَّن خطأهم كثير من علماء المسلمين الصادقين أمثال حمود الشعيبي علي الخضير وناصر الفهد وعبد المنعم مصطفى حليمة (أبو بصير) ويوسف العييري رحمه الله وأحمد الخالدي والسعد والريّس والرشودي والجربوع وغيرهم كثير.

نسأل الله الثبات على الحق وإعادة الزائغ إلى الطريق المستقيم..

وانظر أيها القارئ مدى نصرة الشيخ أسامة لهم وقت حاجتهم ومدى خذلانهم له وقت حاجته!!!، وصدق الكاتب ابن الوالي حين كتب دفاعاً عن المجاهدين:

كتبت مدافعاً عن خير صحبي ... عن الشهداء من أهل المعالي
كتبت مدافعاً عنهم لأني ... سمعت الذم فيهم من حوالي
فصار القوم أصناف فمنهم ... رزين طالب صدق المقال
ومنهم من تعصب دون وعي ... يردد بالسفاهة لا يبالي
يظن الحق كل الحق حصرٌ ... على سلمان أو سفر الحوالي
وما يدري بأن الحق دوماً ... حري بالذي طلب المعالي
حري بالمجاهد في ثغور ... ودرب العز درب للرجال
وإن ترد الحقيقة فاسمعنّي ... جهاد الكفر حل للهوان
وقد رفع اللواء له أسامة ... إمام الحق في هذا الزمان

هذه بعض الأمثلة التي لم نقصد منها الحصر، ولكن اقتضى المقام ذكرها ونحن بين يدي فتواكم الأخيرة بشأن ما يسمى بهتانًا بالسلام مع اليهود والتي كانت فاجعة للمسلمين، حيث استجبتم للرغبة السياسية للنظام لما قرر إظهار ما كان يضمره من قبل، من الدخول في هذه المهزلة الاستسلامية مع اليهود، فأصدرتم فتوى تبيح السلام مطلقًا مقيدًا مع اليهود، فما كان من رئيس وزراء العدو الصهيوني وبرلمانه إلا أن صفقوا لها وأشادوا بها، كما أعلن النظام السعودي عقبها عن نيته في تنفيذ المزيد من التطبيع مع اليهود.

وكأنكم لم تكتفوا بإباحة بلاد الحرمين الشريفين لقوات الاحتلال اليهودية والصليبية، حتى أدخلتم ثالث الحرمين في المصيبة بإضفائكم الشرعية على صكوك الاستسلام التي يوقعها الخونة والجبناء من طواغيت العرب مع اليهود، إن هذا الكلام خطير كبير، وطامة عامة لما فيه من التدليس على الناس والتلبيس على الأمة من عدة جوانب منها:

١ – إن العدو اليهودي الحالي ليس إلا عدوًا مستقرًا في بلاده الأصلية محاربًا من الخارج حتى يجوز معه الصلح، بل هو عدو صائل مفسد للدين والدنيا، وعليه ينطبق كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [١]: (والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط، بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم).

إن الواجب الشرعي تجاه فلسطين وإخواننا الفلسطينين من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، هو الجهاد في سبيل الله وتحريض الأمة عليه حتى تتحرر فلسطين عن آخرها وتعود إلى السيادة الإسلامية.

وفلسطين في غنى عن مثل هذه الفتاوى المخذلة عن الجهاد والمخلدة إلى الأرض، هذه الفتاوى التي تقر احتلال العدو لأقدس مقدسات المسلمين بعد الحرمين الشريفين، وتضفي

---

[١] الاختيارات الفقهية (٣٠٩).

الشرعية عليه، وتدعم بكل قوة مساعي العدو لضرب الجهود الإسلامية المتلهفة لتحرير فلسطين عن طريق الجهاد الذي أكد من خلال عمليات أبطال الحجارة وشباب الجهاد المسلم في فلسطين أنه السبيل الوحيد الناجع في مواجهة العدو والكفيل بتحرير الأرض إن شاء الله.

ونذكركم هنا بفتواكم السابقة في هذا الشأن، لما سئلتم عن السبيل لتحرير فلسطين، فقلتم أنه [١]: (لا يمكن الوصول إلى حل لتلك القضية إلا باعتبار القضية إسلامية، وبالتكاتف بين المسلمين لإنقاذها، وجهاد اليهود جهادًا إسلاميًا حتى تعود الأرض إلى أهلها، وحتى يعود شذاذ اليهود إلى بلادهم).

٢ – هب أن هذا العدو اليهودي عدو يجوز الصلح معه وتوفرت فيه الشروط، فهل ما تقوم به الأنظمة والحكومات الطاغوتية العربية الانهزامية مع اليهود من سلام كاذب مزعوم يعتبر سلامًا تجوز إقامته مع العدو؟ الكل يدرك أنه ليس كذلك، فهذا لسلام المزعوم الذي يتهافت فيه المتهافتون الآن من الحكام والطواغيت مع اليهود ما هو إلا خيانة كبرى تتمثل في توقيع صكوك استسلام وتسليم للقدس وفلسطين كلها من قبل هذه الحكومات لليهود، والاعتراف بسيادتهم عليها إلى الأبد.

٣ – إن هؤلاء الحكام المرتدين المحاربين لله ورسوله لا شرعية لهم ولا ولاية لهم على المسلمين وليس لهم النظر في مصالح الأمة، ولكنكم بفتواكم هذه تعطون الشرعية لهذه الأنظمة العلمانية وتعترفون بولايتها على المسلمين، وهذا ما يتناقض مع عرف عنكم من تكفيرها في السابق، وقد بين لكم ذلك نخبة من العلماء والدعاة في مناشدتهم إياكم سابقًا بالامتناع عن هذه الفتوى، وسنرفق لكم صورة من تلك المناشدة تذكيرًا لكم وتنبيهًا.

---

[١] فتوى ابن باز (٢٨/١).

إن فتواكم هذه كانت تلبيسًا على الناس لما فيها من إجمال مخل وتعميم مضل، فهي لا تصلح فتوى في حكم سلام منصف، فضلاً عن هذا السلام المزيف مع اليهود الذي هو خيانة عظمى للإسلام والمسلمين، لا يقرها مسلم عادي فضلاً عن عالم مثلكم يفترض فيه من الغيرة على الملة والأمة.

إن الواجب فيمن يتصدى للفتوى في قضايا الأمة الخطيرة الكبيرة، أن يكون على علم بأبعادها وما قد يترتب عليها من أضرار وأخطار، لأن العلم بذلك من شروط المفتي التي لا غنى عنها. يقول الإمام ابن القيم [١]: (ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم، أحدهما فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط بها علمًا، والنوع الثاني فهم الواجب في الواقع وهو فهم حكم الله الذي حكمه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الأخر).

وإذا كانت الشروط لازمة للفتوى بصورة عامة، فإنها تتأكد في الفتوى فيما يتعلق بالجهاد والصلح ونحوه، يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله [٢]: (والواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا، دون الذي يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين، فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا).

إن الفتاوى السابقة لو صدرت عن غيركم لقيل بتعمد صاحبها ما تتضمنه من الباطل، ويترتب عليها من أثار وأخطار، ولكنها لما صدرت منكم تعين أن يكون سبب الخلل فيها غير ذلك من الأسباب التي لا ترجع إلى نقص علمكم الشرعي، ولكن لعدم إدراك حقيقة الواقع، وما يترتب على مثل هذه الفتاوى من أثار، مما يجعل الفتوى حينئذ غير مستوفاة

---

[١] إعلام الموقعين (٨٧/١).

[٢] الاختيارات الفقهية (٣١١).

الشروط ومن ثم لا يصح إطلاقها، مما يحتم على المفتي عندئذ أن يتوقف عن الفتوى أو يحيلها حينئذ على المختصين الجامعين بين العلم بالحكم الشرعي والعلم بحقيقة الواقع.

وقد ثبت أن الإمام أحمد بن حنبل كان يتوقف في كثير من المسائل، وقد كان الإمام مالك إذا سئل عن القراءات أحال إلى الإمام نافع رحمهم الله جميعًا.

فضيلة الشيخ؛ إن إشفاقنا البالغ على حال الأمة والعلماء من أمثالكم هو الذي دفعنا لتذكيركم، فإننا نربأ بكم وبأمثالكم عن أن يستغلكم النظام الحاكم هذا الاستغلال الفظيع، ويرمي بكم في وجه كل داعية ومصلح، ويسكت بفتاواكم ومواقفكم كل كلمة حق ودعوة صدق، كما حدث عند ردكم على "مذكرة النصيحة" و"لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية" وغيرها.

فضيلة الشيخ؛ لقد تقدمت بكم السن، وقد كانت لكم أياد بيضاء في خدمة الإسلام سابقاً، فاتقوا الله وابتعدوا عن هؤلاء الطواغيت والظلمة الذين أعلنوا الحرب على الله ورسوله، وكونوا مع الصادقين، وإن لكم في سلف الأمة وخلفها الصالح أسوة حسنة، فقد كان من أبرز سمات العلماء الصادقين الابتعاد عن السلاطين، فقد فر الإمام أبو حنيفة رحمه الله وغيره من العمل مع حكام عصره على رغم استقامتهم الكبيرة على الدين إذا ما قورنوا مع حكام اليوم الذين لا يخفى ما هم عليه من فساد الدين وسوء الحال، وفي زماننا هذا، حينما أدرك العلامة الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله خطورة المسار الذي يمضي فيه النظام السعودي الحاكم وما يترتب عليه من خطر وضرر لمن يشاركه أو يختلط به آثر الفرار بدينه واستقال من رئاسة مجلس القضاء الأعلى.

وقد قال الإمام الخطابي – رحمه الله – في التحذير من الدخول على هؤلاء الحكام: (ليت شعري من الذي يدخل عليهم اليوم فلا يصدقهم على كذبهم، ومن الذي يتكلم بالعدل إذا شهد مجالسهم، ومن الذي ينصح ومن الذي ينتصح منهم) [كتاب العزلة].

وقد صح الحديث: ((من أتى أبواب السلطان افتتن)) فاحذروا فضيلة الشيخ الركون إلى هؤلاء بقول أو عمل ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾، إن من لم يستطع الجهر بالحق والصدع به فلا أقل من أن يمتنع من الجهر بغير الحق، قال ﷺ: ((ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت)) [رواه البخاري].

وأخيرًا: نرجو أن لا تجدوا في أنفسكم من هذا الكلام وتعتبروه خارجًا عن آداب النصح وما تقتضيه من إسرار وعدم إشهار، فالأمر جلل خطير ومهم كبير لا يسوغ عنه السكوت ولا يجوز عنه التغاضي.

وما ذكرناه معلوم لدى أهل العلم، وقد سبقنا إلى تنبيهكم عليه نخبة من علماء ودعاة الأمة، حيث تقدموا لكم بمناشدات عدة في هذا الصدد، منها مناشدتهم إياكم قبل مدة بالامتناع عن الفتوى بجواز هذا السلام الاستسلامي المزعوم مع اليهود، مبينين عدم استيفائه للشروط اللازمة شرعًا، محذرين من المخاطر الجمة الدينية والدنيوية المترتبة عليه، ومن الموقعين على تلك المناشدة الشيوخ الأفاضل – ابن جبرين، عبد الله القعود، حمود التويجري، حمود الشعيبي، البراك، العودة، الخضير، الطريري، الدبيان، عبد الله التويجري، عبد الله الجلالي، عائض القرني، وغيرهم كثير – [١].

وفي حرب اليمن الأخيرة لما صدر منكم الكلام المشار إليه سابقًا، أصدر خمسة وعشرون عالماً فتوى معارضة له مبينة الصواب الشرعي في المسألة، ومن هؤلاء العلماء الأفاضل، المسعري، الشعيبي، الجلالي، العودة، الحوالي، العمر، اليحيى، التويجري.. وغيرهم كثير.

---

[١] أثبتت الأحداث الأخيرة معدن بعض هؤلاء الشيوخ وتغيرهم وخذلانهم للحق بل ونطق بعضهم بالباطل ولا حول ولا قوة إلا بالله نسأل الله الثبات على الحق حتى الممات.

وفي الختام نسأل الله تبارك وتعالى أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، ويرنا لباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، ويحكم فيه بالعدل ويصدع فيه بالحق، وتعلو فيه راية الجهاد خفاقة، لتستعيد الأمة عزتها وكرامتها، وترفع راية التوحيد فيه من جديد فوق كل أرض إسلامية سليبة.. ابتداء بفلسطين ووصولاً إلى الأندلس وغيرها من بلاد الإسلام الضائعة بسبب خيانات الحكام وتخاذل المسلمين.

كما نسأله تعالى أن يولي أمورنا خيارنا ويصرف عنا شرارنا، ونسأله السداد في القول والصواب في العمل والتوفيق لما يحبه ويرضاه في الحياة وحسن الختام عند الممات إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التاريخ ٢٧/ ٠٧/١٤١٥هـ

هيئة النصيحة والإصلاح / مكتب لندن

عنهم: أسامة بن محمد بن لادن.

٣- خطاب الشيخ أسامة إلى الملك فهد (أبي رغال) [١]:

---

[١] ذكرت في كتاب (تحريض المجاهدين الأبطال على إحياء سنة الاغتيال) ص٢٩ تعريفاً بأبي رغال أنقله هنا للفائدة: (لعل أشهر شخص في تاريخ العرب يضرب به المثل في خيانته للأمة هو (أبو رغال) الذي سارع لتقديم خدماته لجيش أبرهة الحبشي الذي غزا جزيرة العرب وتوجه بجيشه إلى الكعبة المشرفة لهدمها ليصرف العرب عن أقدس مقدساتهم، فلما عجز العرب عن مواجهة جيشه وعلموا أنهم لا طاقة لهم به قاطعوه، فانبرى (أبو رغال) يقدم له خدماته، فكان دليله إلى البيت الحرام، وقد هزم الله عز وجل أبرهة وجيشه وحمى بيته المحرم ومات أبو رغال في تلك الغزوة، فكان جزاؤه أن اتخذ العرب قبره مرجماً، فلا يمر على قبره عربي إلا رجمه بالحجارة لخيانته أمته ووقوفه مع عدوها وعدو دينها، وصار العرب يضربون به المثل في الخيانة، حتى قال الشاعر الأموي جرير يهجو الفرزدق:

إذا جاء الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال

وتكرر مثل هذا المشهد التاريخي سنة ٦٥٦ هجرية عندما غزت الجيوش المغولية الأمة الإسلامية، فانبرى الوزير ابن العلقمي وصدر الدين الطوسي يقدمان خدماتهما ومشورتهما لملك المغول (هولاكو) الذي قتل الخليفة ورجال الدولة، ودمر عاصمة الخلافة، وقتل ٨٠٠ألف، وقيل ألف ألف، وقيل ألفي ألف كما ذكر ذلك ابن كثير وأان الأثير رحمهما الله في أبشع حادثة عرفها التاريخ البشري، ليصبح ابن العلقمي وصدر الدين الطوسي رمزين للخيانة والعمالة للعدو الخارجي.

يقول ابن الأثير عند ذكر لأحداث ٦٥٦هـ في كتابه الكامل للتاريخ وهو ممن عاصر وعايش تلك الأحداث: (يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا)، وها هو المشهد يتكرر بتكرار النكبات والهزائم، فلا يظهر على هذه الأمة عدو خارجي إلا ظهر فيها من يشايعه ويقدم إليه خدماته، ويبرر جرائمه ويدافع عن سياساته، ويبشر بفكره، ويدله على عوراتها، أو نقاط ضعفها كما فعل أبو رغال وابن العلقمي وصدر الدين الطوسي من قبل، وقد كان الأول فقيراً والثاني وزيراً والثالث فقيهاً، إلا أنهم جميعاً كانوا من نمط واحد ومن طابور واحد. =

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

إلى ملك نجد والحجاز فهد بن عبد العزيز.. السلام على من اتبع الهدى، وبعد..

فهذه رسالة مفتوحة نبعث بها إليك بعيداً عن ألقاب المجاملات الملكية وألقاب التفخيم، وهي مصارحة لك ببعض ما يمكن التصريح به مما ارتكبته أنت ومن حولك من أمور عظام في حق الله ودينه، وحق عباده وبلاده، وحق حرمه وأمته، فإن وضوح ما سنكتبه لك من حق، وجلاء ما في هذه الرسالة من الصواب، يدفعنا إلى الأمل بأن تخترق ما أحطت به نفسك من حجب عن سماع الحق، وجدر دون وصوله إليك!!

أيها الملك، مناسبة هذه الرسالة هي ما تقوم به أنت والأمراء المتنفذون من خداع للناس ومحاولة للعب على عقولهم وامتصاص لغضبهم عليكم ونقمتهم على حكمكم بما تقومون به من (إصلاحات) هامشية خادعة، تدخل في باب المسكنات والمهدئات الآنية لنقمتهم، ومن ذلك ما قمتم به من تأسيس مجلس الشورى الذي انتظرته الأمة طويلاً!! وخيب آمالها بعد أن وُلد ميتاً، وما قمتم به أخيراً من تعديل وزاري هامشي لم يمس رأس الداء وأساس البلاء الذي هو أنت ووزير دفاعك ووزير داخليتك وأمير الرياض ومن على شاكلتكم!!

ومناسبة هذه الرسالة المهمة لن تدفعنا إلى تخطي جوهر الخلاف معك، وأساس الصراع مع حكمك، وهذا الجوهر والأساس ليس هو ما يتبادر إلى ذهنك مما عملت على إشاعته في عهدك، ومكنت له من بعدك من ظلم للعباد وهضم لحقوقهم، وخاصة العلماء منهم

= وما حدث للأمة في أزمة الخليج الثانية هو مشهد من هذه المشاهد، فجاءنا أبو رغال جديد فأباح جزيرة العرب المخصوصة بعشرات النصوص الشرعية للصليبين والصهاينة، والمصيبة أن ذلك تم تحت غطاء شرعي!!!

إذاً أبو رغال هذه المرة صار ملكاً تحت يده شيوخ يصبغون على أعماله الغطاء الشرعي.

ملاحظة: سبب اشتهار هذه التسمية هو ذكر الشيخ القائد المجاهد أسامة بن لادن لها (في شريطه المدمرة كول) نصره الله هو وإخوانه آمين آمين).

والدعاة والمصلحين والتجار وشيوخ القبائل!! ولا هو ما عرّضت له الأمة عامة من إهانة لكرامتها وتدنيس لمقدساتها وسلب لخيراتها ونهب لثرواتها، ولا هو أيضاً ما شاع في عهدك من الرشاوي والعمولات وانتشر من المحسوبية والفساد الإداري والأخلاقي!! ولا هو كذلك ما قدمت إليه البلاد من انهيار اقتصادي مذهل وصل بها إلى درجة الإفلاس!!

فهذه الأمور المهمة سنعرض لبعضها لاحقاً بعد أن نعرض أولاً لجوهر الخلاف معك وأساسه، الذي هو خروج نظام حكمك عن مقتضيات لا إله إلا الله ولوازمها التي هي أساس التوحيد الفارق بين الكفر والإيمان، لأن كل تلك الأمور ناجمة عن خروجك ونظام حكمك عن مقتضيات التوحيد ولوازمه!!

وبما أننا سنصدر – إن شاء الله – قريباً بحثاً يتناول أوجه هذا الخروج بشكل أكثر تفصيلاً، فإننا سنقتصر في هذه الرسالة الموجزة على بيان وجهين من وجوه هذا الخروج وهما:

أولاً: حكمك بغير ما أنزل الله وتشريعك له:

لقد تواترت نصوص القرآن والسنة وأقوال علماء الأمة على أن كل من سوغ لنفسه أو لغيره اتباع تشريع وضعي أو قانون بشري مخالف لحكم الله، فهو كافر خارج عن الملة. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله في تفسير هذه الآية: (من دعا إلى تحكيم غير الله ورسوله؛ فقد ترك ما جاء به الرسول ﷺ ورغب عنه وجعل لله شريكاً في الطاعة وخالف ما جاء به رسول الله ﷺ فيما أمره الله تعالى به، في قوله ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، وقوله

تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

فمن خالف ما أمر الله به ورسوله ﷺ بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله أو طلب ذلك اتباعاً لما يهواه ويريده؛ فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان من عنقه، وإن زعم أنه مؤمن، فإن الله تعالى أنكر على من أراد ذلك وكذبهم في زعمهم الإيمان لما في ضمن قوله: ﴿يَزْعُمُونَ﴾ من نفي إيمانهم، فإن ﴿يَزْعُمُونَ﴾ إنما يُقال غالباً لمن ادعى دعوى هو فيها كاذب لمخالفته لموجبها وعمله بما ينافيها، يحقق هذا قوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد، كما في آية البقرة، فإذا لم يحصل هذا الركن لم يكن موحداً.

والتوحيد هو أساس الإيمان الذي تصلح به جميع الأعمال وتفسد بعدمه، كما أن ذلك بيّن في قوله تعالى ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾، وذلك أن التحاكم إلى الطاغوت إيمان به) [1].

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله في تفسير هذه الآية: (وقد نفى الله الإيمان عمن أراد التحكم إلى غير ما جاء به الرسول ﷺ من المنافقين كما قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾.

فإن قوله عز وجل: ﴿يَزْعُمُونَ﴾ تكذيب لهم فيما ادعوه من الإيمان، فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به الرسول ﷺ مع الإيمان في قلب عبد أصلاً، بل أحدهما ينافي الآخر.

---

[1] من كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (٣٩٢ - ٣٩٣).

والطاغوت مشتق من الطغيان، وهو تجاوز الحد، فكل من حكم بغير ما جاء به الرسول ﷺ أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول ﷺ؛ فقد حكم إلى طاغوت وحاكم إليه أ. هـ)[1].

ويقول الله عز وجل: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة من ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن أحكام اقتبسها من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد هواه، فسارت في بنيه شرعا متبعاً يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ﷺ فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير). أ. هـ

وهل الياسق هذا إلا مثال متقدم للقوانين التي تحكمها أنت ونظام حكمك ومن على شاكلته من الأنظمة اليوم؟؟

إن تحكيم القوانين الوضعية والتحاكم إليها هو بلا شك عبادة ممن يفعل ذلك لواضع هذه القوانين، واستعباد من مشرعها لمن يتبعونه ويطيعونه في تشريعاته تلك من دون الله.

وهذا المعنى بينه رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم في الحديث الذي أخرجه الترمذي وغيره وحسنه، أن عدي ابن حاتم رضي الله عنه – وكان نصرانياً – سمع النبي ﷺ وهو يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾، فقال: يا رسول

---

[1] من رسالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

الله، إنّا لسنا نعبدهم. فقال رسول الله ﷺ: ((أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟! قال: بلى. قال: فتلك عبادتهم))!

إن عدي بن حاتم رضي الله عنه كان يظن أن العبادة مقتصرة على تقديم الشعائر التعبدية كالصلاة ونحوها، ولما كان النصارى لا يصلون لأحبارهم ورهبانهم ظن أنهم لا يتخذوهم أرباباً، لكن رسول الله ﷺ أزال عنه هذا اللبس وبين له أنهم بطاعتهم إياهم في التحليل والتحريم على وجه مخالف للشرع فقد اتخذوهم أرباباً من دون الله!

وهذا المعنى للعبادة الذي بينه الرسول ﷺ لعدي بن حاتم رضي الله عنه هو الذي أجمعت عليه الأمة وتواتر عن العلماء الأئمة الذين سنذكر بعض أقوالهم فيما يلي باختصار:

يقول بن حزم عن قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: لما كان اليهود والنصارى يحرمون ما حرم أحبارهم ورهبانهم ويحلون ما أحلوا كانت هذه ربوبية صحيحة وعبادة صحيحة وعبادة صحيحة قد دانوا بها، وسمى الله تعالى هذا العمل اتخاذ أرباب من دون الله عبادة وهذا هو الشرك من دون الله بلا خلاف) [١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن أورد حديث عدي بن حاتم السابق: (وكذلك قال أبو البختري، أما إنهم لم يصلوا لهم ولو أن يعبدوهم من دون الله ما أمروهم، ولكن أطاعوهم فجعلوا الحلال حراماً والحرام حلالاً فأطاعوهم؛ فكانت تلك الربوبية... فقد بين النبي ﷺ أن عبادتهم إياهم كانت في تحليل الحرام وتحريم الحلال، لا أنهم صلّوا لهم وصاموا ودعوهم من دون الله، فهذه عبادة الرجال، وقد ذكر الله أن ذلك شرك بقوله: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾) [٢].

---

[١] الفصل (٣/٦٦).

[٢] مجموع الفتاوى (٦/٦٧).

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مبوباً حديث عدي السابق: (من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله؛ فقد اتخذهم أرباباً) أ. هـ [١].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وباتفاق جميع المسلمين؛ أن من سوّغ اتباع غير دين الإسلام واتباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ فهو كافر) أ. هـ [٢].

ويقول رحمه الله: (فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده؛ فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته دونه) [٣].

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (مفتي المملكة سابقاً) رحمه الله: (إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين في الحكم به بين العالمين والرد إليه عند تنازع المتنازعين).

ويقول في رسالة وجهها إلى أمير الرياض (في وقته) بشأن القوانين الوضعية التي يتحاكم إليها في الغرفة التجارية بالرياض وبيان أنها كفر ناقل عن الملة: (واعتبار شيء من القوانين للحكم بها ولو في أقل القليل لا شك أنه عدم رضا بحكم الله ورسوله، ونسبة حكم الله ورسوله إلى النقص وعدم القيام بالكفاية في حل النزاع وإيصال الحقوق إلى أربابها، وحكم القوانين إلى الكمال وكفاية الناس في حل مشاكلهم، واعتقاد هذا كفر ناقل عن الملة، والأمر كبير مهم وليس من الأمور الاجتهادية).

---

[١] عن حاشية كتاب التوحيد (١٤٦).

[٢] عن الفتاوى (١٢/٥٢٤)

[٣] الفتاوى (٣/٩١).

(وتحكيم شرع الله وحده دون كل ما سواه شقيق عبادة الله وحدة دون ما سواه، إذ مضمون الشهادتين أن الله هو المعبود وحده لا شريك له، وأن يكون رسوله هو المتبع المحكِّم ما جاء به فقط، ولا جردّت سيوف الجهاد إلا من أجل ذلك والقيام به فعلاً وتركاً وتحكيماً عند النزاع) [١].

ويقول العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في (أضواء البيان): (تحكيم النظام المخالف لتشريع خالق السموات والأرض في أنفس المجتمع وأموالهم وأعراضهم وأنسابهم كفر بخالق السموات الأرض، وتمرد على نظام السماء الذي وضعه مع خلق الخلائق كلها وهو أعلم بمصالحها، سبحانه وتعالى أن يكون معه مشرع آخر علواً كبيراً ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَاذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾) [٢].

ويقول الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله في تعليق على كتاب التوحيد، في شأن مُحكِّم القوانين الوضعية: (فهو بلا شك كافر مرتد إذا أصرّ عليها ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله، ولا ينفعه أي اسم تسمى به، ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام والحج ونحوها) أ. هـ [٣].

ويقول الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله في تحكيم القوانين الوضعية: (فهذا الفعل إعراض عن حكم الله ورغبة عن دينه، وإيثار لأحكام الكفار على حكم الله سبحانه، وهذا كفرٌ لا يشك أحد من أهل القبلة على اختلافهم في تكفير القائل به والداعي إليه) أ. هـ [٤].

---

[١] عن الفتاوى الشيخ (١٢/٢٥١).

[٢] أضواء البيان (٤/٨٤).

[٣] من فتح المجيد شرح كتاب التوحيد هامش (٣/٢٩٦).

[٤] من عمدة التفسير (٤/١٥٧).

هذه أدلة من الوحي صحيحة، ونقولٌ عن العلماء صريحة في محل النزاع، تقطع الخلاف وتسكت ،الجدل وتخرس المكابرة، ولولا مخافة التطويل لاسترسلنا في هذه الأدلة والنقول، فهذا الموضوع يشكل الموضوع الرئيسي في القرآن الكريم كله، ولكن نظن أن فيما ذكرنا كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

بقي أن نذكرك بما تمارسه أنت ونظام حكمك من تحكيم لهذه القوانين الكفرية وتعطيل لأحكام الله الشرعية. إن الإنسان العادي – فضلاً عن الباحث المدقق – لا يجد عناء في إثبات أنك ونظام حكمك مشرعون ومحكِّمون للقوانين الوضعية وملزملون الناس بالتحاكم إليها، فنظرة خاطفة على لوائح المحاكم التجارية والقوانين التي تشّرع وتبيح المعاملات الربوبية في البنوك وغيرها، وقانون العمل والعمال، وقانون الجيش العربي السعودي، وغير ذلك من القوانين الكفرية التي تؤكد المدى الذي وصل إليه تحكيم هذه القوانين الكفرية من التوسع والنفوذ داخل البلاد.

وقد ذكرت مذكرة النصيحة وجود عشرات الهيئات القانونية التي تحكم بين الناس بالقوانين الوضعية التي تسوسون بها البلاد والعبد في الداخل، ناهيك عما يحكم البلاد في علاقتها الخارجية من تلك القوانين التي نأخذ مثالاً لها التزامكم بالتحاكم إلى هيئة تسوية المنازعات بين دول مجلس التعاون الخليجي، فهذه الهيئة التي تتحاكم إليها الدول المتنازعة الأعضاء في المجلس وفي مقدمتها دولة المقر (السعودية) هيئة قانونية كفرية وضعية مما لا يدع مجالاً للشك، فقد نصحت مبينة مصادر أحكامها وقوانينها في المادة التاسعة من نظامها الأساسي قائلة: (تصدر الهيئة توصياتها وفتاويها وفقاً لـ:

١ – أحكام النظام الأساسي لمجلس التعاون.

٢ – والقانون الدولي.

٣ – والعرف الدولي.

٤ – ومبادئ الشريعة الإسلامية، على أن ترفع تقاريرها بشأن الحالة المطروحة عليها إلى المجلس الأعلى لاتخاذ ما يراه مناسباً).

أي استهزاءٍ هذا بدين الله وأي احتقار لشريعته؟؟؟

أما اكتفيتم من الكفر والضلال بأن جعلتم شريعة الله السماوية وأحكامه القرآنية في آخر قائمة مصادر أحكامكم وقوانينكم مقدماً عليها حثالة أفكار البشر الوضعية وعادات وأعراف الأمم الجاهلية وأحكام النظم القانونية الكفرية حتى جعلتموها تحت رحمة مجلسكم الأعلى ليتخذ منها ما يراه مناسباً لهواه؟؟؟

ماذا يقول حماة الدين وحراس العقيدة ودعاة التوحيد في التحاكم إلى مثل هذه الهيئات والمحاكم يا "خادم الحرمين"؟!

إن الإجابة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، لا تقبل التلكؤ ولا التلعثم ولا المراوغة ولا المداهنة، كما بيّنا فيما سبق، إنه كفر بواح مخرج من الملة بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

وهذه بعض فتاوى العلماء الأعلام، تبين وجود هذه القوانين من جهة وحكمها الشرعي من جهة أخرى:

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله عن قوانين المحاكم التجارية في رسالة وجّهها إلى أمير الرياض في وقته: (وقد انتهى إلينا نسخة عنوانها نظام المحكمة التجارية بالمملكة العربية السعودية، ودرسنا قريباً نصفها فوجدنا ما فيها نظماً وضعية قانونية لا شرعية... واعتبار شيء من القوانين للحكم بها ولو في أقل القليل لا شك أنه عدم رضا بحكم الله ورسوله... واعتقاد هذا كفرٌ ناقلٌ عن الملة) أ. هـ [١].

---

[١] من فتاوى الشيخ (١٢/٢٥١).

ويقول رحمه الله في رسالة وجهها إلى رئيس المحكمة العليا بالرياض في شأن قانون (نظام العمل والعمال) الذي يحمكه مكتب العمل والعمال وما يجب على المحاكم الشرعية تجاهه: (من محمد بن إبراهيم إلى حضرة فضيلة رئيس المحكمة العليا بالرياض، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فقد اطلعنا على خطابكم حول المعاملات التي ترد من مكتب العمل والعمال، والذي يتعّين اتباعه في مثل هذا إنما أحيل للمحكمة للبت فيه وإنهائه، فعلى المحكمة النظر فيه لأنه من صميم عملها، أما إذا أحيلت المعاملة لإنفاذ توجيه من مكتب العمل ثم تعاد إليه لينهيها بموجب تعليمات ونظم ما أنزل الله بها من سلطان؛ فلا يسوغ للمحكمة الالتفات لمثل هذا التوجيه لأن ذلك يعد من المحكمة موافقة بل مساعدة على التحاكم بغير ما أنزل الله) أ. هـ رئيس القضاء ٢٣/ ١٠/١٣٧٩هـ [١].

وفي نفس الموضوع (نظام العمل والعمال) كتب الشيخ العلامة عبد الله بن حميد رئيس القضاء رحمه الله رسالته المعروفة في بيان أن التحاكم إلى قوانين هذا النظام كفرٌ عن الملة.

هذه بعض الفتاوى التي تثبت وجود هذه القوانين من جهة وتبين الحكم الشرعي لها من جهة أخرى، ولا داعي للاستطراد فالأمر واضح جلي.

ومما هو معروف أن هنالك فَرْقا جلياً بين من يرتكب كبائر من قبيل أكل الربا مع اعتقاده بحرمتها، وبين من يشرّع قوانين تبيح تعاطي هذه الكبائر، فالذي يتعاطى الربا مثلاً وهو مقر بحرمته مرتكبٌ لكبيرة من أكبر الكبائر والعياذ بالله، لكن الذي يشرّع ويقنن القوانين التي تبيح الربا فهو كافرٌ مرتد!!

---

[١] من فتاوى الشيخ (١٢/٢٥١).

ولسنا بحاجة إلى تنبيه الناس إلى أبراج البنوك الربوبية التي تزاحم مآذن الحرمين الشريفين وتعمل بقوانينكم الوضعية.

إن قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ حكم منه تعالى بنفي الإيمان عمّن لم يحكّم شرعه مستسلماً منقاداً، وقد أكد سبحانه هذا الحكم بأدوات التأكيد المختلفة، وفي مقدمتها قسم بنفسه سبحانه وتعالى، وهذه الآية مع ما سبق من بيان النبي ﷺ لعدي بن حاتم في آية ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ تدحض أية شبهة وتقطع أي متعلق يمكن أن يتشبث به المخالف.

الوجه الثاني: موالاة الكفار ومعاداة المسلمين.

ليست هنالك سمة للسياسة الخارجية في نظام حكمكم أبرز من ربطكم إياها بمصالح الدول الغربية والصليبية والأنظمة الطاغوتية في البلاد الإسلامية، ومثبت هذه الحقيقة لا يحتاج إلى كثير عناء، فالقاصي قبل الداني يعرف مدى هذا الارتباط..

فنظام حكمكم الذي يتبجح بحماية العقيدة وخدمة الحرمين هو الذي أعلن عن دفع أربعة مليارات من الدولارات مساعدة للاتحاد السوفيتي السابق الذي لم يغسل بعد يديه الملطخة بدماء الشعب المسلم في أفغانستان، وذلك سنة ١٩٩١م!!

ونظام حكمكم حارس العقيدة السمحة فهو الذي دفع قبل ذلك آلاف ملايين من الدولارات للنظام النصيري السوري سنة ١٩٨٢م، مكافأة له على ذبح عشرات الآلاف من المسلمين في مدينة حماة..

وهو كان يدعم الموارنة النصارى من حزب الكتائب اللبناني ضد المسلمين هناك..

ونظام حكمكم (الرشيد!) هو الذي دفع مليارات الدولارات للنظام الطاغوتي الذي يطحن الإسلام والمسلمين في الجزائر..

ونفس النظام هو الذي دعم بالمال والسلاح المتمردين النصارى في جنوب السودان..

ومع كل هذه العظائم الجمّة في حق الملة والأمة، فإن نظام حكمكم أفلح إلى حين في مخادعة بعض الناس وتضليلهم عن هذه الحقائق، إلا أن الله أبى إلا أن يكشف حقيقتكم بأحداث اليمن الأخيرة التي مزقت آخر الأقنعة التي كنتم تتموهون بها وتضللون الناس من ورائها، فقد كان دعمكم السياسي والعسكري للشيوعيين اليمنيين القاصمة التي قصمت ظهركم سياسياً الحالقة التي حلقت مصداقيتكم إسلامياً..

إن أحداث اليمن أوقعتكم في تناقض فظيع، أظهر أن دعمكم للمجاهدين الأفغان ليس حباً في الإسلام، ولكن حماية للمصالح الغربية التي كان يهددها كسب الروس للمعركة هناك، وإلا فإن الشيوعي الأفغاني لا يختلف عن الشيوعي اليمني، والمسلم اليمني لا يختلف عن المسلم الأفغاني أيضاً، فكيف نفسر دعمكم للمسلمين ضد الشيوعيين في أفغانستان، ودعمكم ضد المسلمين في اليمن؟؟؟؟.

هذا التناقض لا يمكن أن يفهمه إلا من علم أن سياستكم مملاة عليكم من الخارج من قبل الدول الغربية الصليبية التي ربطتم مصيركم بمصالحها، ولذا فما تقومون به أحياناً من دعم لبعض القضايا الإسلامية ليس دافعه – كما بينا – حب القضايا الإسلامية ومناصرة أهلها، بل دافعه الحقيقي هو حماية مصالح الدول الغربية الكافرة التي قد تلتقي مع تلك القضايا الإسلامية، كما حصل في أفغانستان.

والدليل على ذلك أن القضايا الإسلامية التي تتعارض مع المصالح الغربية، وقفتم فيها لدعم تلك المصالح على حساب أصحاب القضايا المسلمين، فهذا شعب الصومال المسلم قد وقفتم ضد مصالحه مع السياسة الأمريكية وبذلتم في ذلك مال الأمة المغصوب، ورجالها

المكرهين، وقبل ذلك وبعده ها هي قضية فلسطين أم القضايا الإسلامية، قد باركتم مسيرة التطبيع والتركيع والتضييع التي تسيّر فيها، ومضيتم في مسلسل السلام والاستسلام المفروض فيها، وتطوعتم بدفع جزء كبير من تكاليف العملية رغم الضائقة الاقتصادية التي تمر بها البلاد، حيث تبرعتم بمائة مليون دولار لسلطة ياسر عرفات العلمانية التي جيء بها لتمارس ما عجزت عن تحقيقه سلطات الاحتلال اليهودي من قمع ضد الشعب الفلسطيني المسلم، ومحاربة لحركاته الجهادية وفي مقدمتها حركة المقاومة الإسلامية (حماس).

ولم يمنعكم من دعم سلطة عرفات واستقباله في الرياض موقفه العدائي منكم إبان حرب الخليج ودعمه الواضح لصدام حسين، فقد بلعتم منه تلك الإهانة مراعاةً لخاطر الراعي الأمريكي لمسيرة السلام المزعوم!!

ولا غرو في ذلك، فحتى لو لم تكن على قناعة شخصية بعملية السلام المزعوم، فليس أمامك إلا الاستجابة لأوامر ولي أمرك الأمريكي!

أو ليس الرئيس الأمريكي كلينتون هو الذي لما زار البلاد رفض أن يزورك في الرياض، وأصر على أن تأتيه صاغراً ذليلاً في القواعد الأمريكية في حفر الباطن؟!

الرئيس الأمريكي بتصرفه ذلك أراد أمرين!

أولهما: أن يؤكد أن زيارته أساساً هي لقواته المرابطة في تلك القواعد!!.

وثانيهما: أن يلقنك درساً في الذلة والمهانة حتى تعلم أنه ولي أمرك حقيقةً حتى داخل مملكتك المزعومة، التي ليست في الحقيقة أكثر من محمية أمريكية يسري عليها القانون الأمريكي!!

إن مما لا شك فيه ولا نزاع بين العلماء أن موالاة الكفار ومناصرتهم ضد المسلمين تعتبر ناقضاً قطعياً من نواقض الإسلام، وقد ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد

الوهاب في نواقض الإسلام العشرة، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾.

وقد جعل تعالى اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ابتغاء للعزة عندهم، من خصائص المنافقين، قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ۝ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾.

وموالاة الكفار كما قال أهل العلم هي إكرامهم والثناء عليهم والنصرة والمعاونة لهم على المؤمنين والمعاشرة وعدم البراءة منهم ظاهراً، فهذه ردّة من فعلها يجب أن تجرى عليه أحكام المرتدين، كما يدل على ذلك الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة المقتدى بهم، ولله در القائل:

ومن يتول الكافرين فمثلهم ... ولا شك في تكفيره عند من عقل
وكل محب أو معين وناصر ... ويظهر جهراً للوفاق على العمل
فهم مثلهم في تكفير من ريبة ... وذا قول من يدري الصواب من الزلل

فماذا يقول أهل العقيدة النقية والتوحيد الخالص أيها الملك في أفعالكم الكفرية؟

وبماذا يجادل الذين يدافعون عنكم بالباطل؟!

﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾.

والآن وبعد أن تبين خروج نظام حكمك عن مقتضيات كلمة التوحيد وعقيدته السمحة التي تتشدق دائماً بدعوى حمايتها، تعال لنقوِّم بكل موضوعية إنجازاتك في المجال الدنيوي بعد أن كشفنا حقيقتكم بالميزان الشرعي، وسنناقش معك ذلك في النقاط التالية:

أولاً: الوضع الاقتصادي:

لا شك أنك تدرك معنا أن البلاد ترقد على بحيرة من النفط تمثل ربع احتياطي العالم من هذه المادة التي لا تخفى أهميتها، وتدرك معنا أيضاً أن البلاد تنتج ثلث إنتاج منظمة الأوبك، وتدرك معنا أن كذلك أن متوسط الدخل اليومي للبلاد خلال الأعوام الماضية كان يساوي مائة مليون دولار يومياً من عائدات النفط، فضلاً عن احتياطي مالي كان يقدر مع بداية توليك الحكم بمائة وأربعين مليار دولار، أي أكثر من احتياطي الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا مجتمعة في ذلك الوقت.

لقد كانت البلاد في ظل المعطيات الاقتصادية السابقة وقلة عدد السكان نسبياً أن تشكل ظاهرة اقتصادية مناهضة للحس الاقتصادي السليم عند بعض من ظنوا أنه لن يأتي اليوم الذي ينهار فيه اقتصاد البلاد لتصبح من أكثر الدول مديونية في العالم، لكن سياستك الانتحارية خيّبت آمال هؤلاء وغيرهم، فلم يكد يمضي عقد من الزمان على توليك الحكم، حتى انقلبت كل الموازين وتبدل كل شيء، فأصبحت البلاد مدينة بما يناهز ثمانين بالمائة من مجمل دخلها، وتحول المواطن من صاحب أكبر احتياط مالي إلى أحد أكثر المواطنين ديناً في العالم، وألقى الوضع الاقتصادي المنهار بكل ثقله على حياة المواطنين والمقيمين الذين أثقلت كواهلهم الضرائب والمكوس وخنق جيوبهم غلاء الماء والكهرباء والغذاء، حيث ارتفعت أسعار هذه المواد بشكل جنوني لم يسبق له مثيل!

ولم يكن وضع التعليم بمنأى عن الكارثة، حيث تعاني المدارس من اكتظاظ كبير في الفصول يعاني من نتيجة الطلاب والأساتذة وأولياء الأمور، وزاد من سوء الوضع عجز الوزارة عن صيانة الفصول الموجودة بالفعل، فضلاً عن عجزها عن بناء فصول جديدة!

وليس وضع المستشفيات بأحسن من وضع للمدارس، حيث عجزت الدولة حتى عن صيانة المستشفيات التي تحوّل كثير من أجنحتها إلى ما يشبه مسالخ بشرية فيظل عدم توفر الدواء والعلاج والعناية الطبية المطلوبة، ناهيك عن عجز الوزارة عن بناء مستشفيات جديدة.

ومما زاد وضع البلاد سوءاً على سوء تفشي البطالة بين صفوف الشباب والخريجين من أصحاب الشهادات الجامعية، حيث يقدر عدد العاطلين من هؤلاء ممن أعياهم توفير فرصة العمل بمائة وخمسين ألف، يزداد عددهم كل عام، ويتقلص سوق العمل وينكمش أمامهم على الدوام بفعل الأزمة الاقتصادية الحالية التي تزداد سوءاً على سوء.

ومع اشتداد هذه الأزمة وتفاقم الأوضاع سوءاً، لا تستحي أنت ونظام حكمك أن تدعوا الناس إلى الاقتصاد في الاستهلاك في الطاقة وغيرها، في الوقت الذي كان سلوككم أسوأ قدوة للمواطنين تشجعهم على مزيد من البذخ والتبذير، فكيف تدعون الناس إلى الاقتصاد في الطاقة، والكل يرى قصوركم الساحرة منارةً مكيّفة بالليل والنهار؟!.

إن حجم إنفاقكم من مال الأمة العام على تلك القصور والدور داخل البلاد وخارجها، حجم مذهل ومخيف، فهو يقدر بآلاف الملايين من الدولارات، والحديث عنه يطول، والمتحدث لا يدري من أين يبدأ، أيبدأ من مدينة جدة والجزر الصناعية الساحرة التي أقمت عليها هناك أفخم القصور على أوسع الأراضي على الساحل؟؟ أم يبدأ بالرياض التي لم تكتف ببناء القصور على ظهر أرضها حتى بنيت تحتها؟؟ أم يبدأ في قصورك في منى والطائف والهدا والشفا ومكة المكرمة والمدينة المنورة وبقية مدن البلاد؟ أم يترك كل هذا ويبدأ بقصورك في بقية العواصم والمنتجعات الغربية؟ تلك القصور التي لم تدخل كثيراً منها فيما مضى من عمرك ولن تدخلها على غالب الظن فيما تبقى منه!!

لو كان هذا الكلام من غيرنا لظننت أنه يمكن أن تكذّبه، ولكنك تعرف محدثيك، وأنهم من أدرى الناس بهذه الحقائق التي لم تعد تخفى العامة فضلاً عن الخاصة (ولا ينبئك مثل خبير).

لقد كان من ولعك ومن حولك ببناء القصور وكنز المال والتنافس بينكم سبباً رئيساً وراء انصراف كثير من جهدكم ووقتكم في هذا السبيل، حيث مزق التنافس بينكم علاقاتكم الداخلية بعد أن أثار حفيظة بعضكم وهيّج غضبه ما استأثرت به أنت والمقربون إليك من الامتيازات المادية، فصدق قوله ﷺ: ((تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي وإن لم يعطَ سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش) [رواه البخاري].

إن هذا الإسراف والإنفاق من مال الأمة العام واهتمامكم بمصالحكم الشخصية وتنافسكم في ذلك كان أحد أبرز الأسباب التي قادت البلاد إلى هاوية الإفلاس التي وصلت إليها بفضل سياستكم (الرشيدة!) ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾.

إن الأزمة الاقتصادية الحالية وما تنذر به من أخطار ويترتب عليها من آثار، لم تأت بدون مقدمات وأسباب، بل كانت محصلة جملة من التصرفات والسياسات القاتلة التي ارتكبتها أنت والمتنفذون من عائلتكم الحاكمة.

ومن أهم هذه الأسباب، فضلاً عما أشرنا إليه من البذخ والإسراف الذي تمارسونه هو:

١ – دوركم في تدهور أسعار النفط:

لقد بدأت أسعار النفط في التدهور منذ عقد الثمانينات، غير أن آثار هذا التدهور لم تظهر بشكل علني على اقتصاد البلاد إلا في عقد التسعينات، حيث كنتم دائماً تلجؤون إلى احتياطي البلاد المالي لتغطية عجز الميزانية المستمر في سياسةٍ حمقاء استنزفت احتياط البلاد المالي ولم تقدم أي حل للأزمة التي تتفاقم يوماً بعد يوم!!

وللتذكير، فإنك تعلم أن التبعية المطلقة من قِبلِكم لسياسات الدول الغربية وتوجيهاتهم لكم بدعم صديقكم السابق صدام حسين بخمسة وعشرين مليار دولار وبزيادة الإنتاج لتخفيض الأسعار، لإلحاق الضرر بإيران أثناء حربها معه، كان لها دور كبير في تدهور أسعار النفط إلى المستوى الحالي الذي يخدم المستهلكين الغربيين، ومع أن الغرب حريص على عدم قتل الدجاجة السعودية التي تبيض لهم الذهب الأسود، فإنهم أشد حرصاً على أن يبقى سعر هذا البيض متدنياً إلى أدنى حد ممكن.

٢ – عدم العمل الجاد على إيجاد مصادر دخل أخرى:

مع أنه من المعلوم أن النفط مصدر عائدات معرض للنضوب وتقلب الأسعار دائماً، ومع أن البلاد مؤهلة لتطوير مصادر دخل أخرى كثيرة ومتوفرة، إلا أن نظامكم فشل في تطوير تلك المصادر، وظلت البلاد معتمدة بشكل شبه كلي على عائدات النفط فقط.

٣ – الإنفاق الجنوني على قوات الحلفاء في حرب الخليج:

رغم الضائقة المالية التي كانت تمر بها البلاد أثناء حرب الخليج، ورغم أن تدمير قوات وشعب العراق المسلم كان هدفاً للدول الغربية قبل غيرها، إلا أن دول التحالف وجدت فرصة سانحة لابتزازكم واستغلال مشاعر خوفكم وجبنكم، فأصرت على أن تشددوا فاتورة الحرب بشكل شبه كامل، حيث صرفتم على تلك الحرب حوالي ستين مليار دولار ذهب منها حوالي ثلاثين مليار في الجيب الأمريكي وحوالي نصف ذلك المبلغ إلى بقية الحلفاء، وصرف الباقي في عمولات وصفقات ورشاوى محلية.

ولم تقف تكاليف الحرب عند هذا الحد فقط، بل دفعكم ولاؤكم لدول الحلفاء إلى عقد صفقات أخرى كانت مكافأة لها بعد الحرب، حيث كلفت هذه الصفقات حوالي أربعين مليار دولار ثمناً وهمياً لصفقات عسكرية ومدنية مع الأمريكان لوحدهم، فضلاً عن عقد شراء طائرات التورنيدو البريطانية الذي جاء مجاملة لرئيس وزراء بريطانيا جون ميجر دون أن تكون هناك طاقة بشرية في جيش البلاد لاستخدام هذه الطائرات، كما ثبت أثناء حرب

الخليج، فضلاً عن عدم كفاءتها، كما شهدت بذلك اللجنة الفنية في الجيش، وسنفصل هذا الموضوع لاحقاً.

وبدلاً من وضع سياسة ناجعة لتلافي الموقف وتدارك الوضع الاقتصادي المنهار، اتخذت ونظام حكمك سياسات اقتصادية انتحارية زادت الطين بلة، ومن هذه السياسات:

١ – القضاء على رصيد الدولة المالي في الخارج:

سبق أن ذكرنا أن أرصدة الدولة في الخارج كانت تقدر بمائة وأربعين مليار دولار مع بداية توليك للحكم، وكان دخلها السنوي في ذلك الوقت يقدر بسبعة وتسعين مليار دولار. ولك أن تتصور معنا درجة السفه في الإنفاق إذا تذكرت أن هذا الاحتياط قد قضي عليه تماماً بعد سبع سنوات فقط من ذلك التاريخ.

٢ – الاقتراض الربوي من البنوك المحلية والعالمية:

رغم ما في الربا من الوعيد الشديد ومبارزة الله بالحرب ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَاذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، ورغم ما أثبته الواقع من أن نظام القروض الربوية التي تقدمها البنوك لا تزيد الفقير إلا فقراً يوماً بعد يوم، رغم كل ذلك فإنك ونظام حكمك أغرقتم البلاد في بحر من الديون التي ليس في الأفق مؤشر على إمكانية التخلص حتى من فوائدها الربوية في ظل عجز الدولة عن تسديد مجرد تلك الفوائد الربوية.

وكمثال على حجم تلك الديون، ففي سنة ١٤١١هـ الموافق ١٩٩١ م لوحدها التجأتم إلى اقتراض عشرات مليارات الدولارات من البنوك المحلية والعالمية، وقد حلت هذه الديون بفوائدها الربوية المركبة سنة ١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٤م دون أن تتمكن الدولة من الوفاء بالتزاماتها لأصحابها، مما يعني أن تسديد مجرد الفوائد الربوية سيبقى يثقل كاهل ميزانية الدولة، ناهيك عن تسديد أصل الدين، وتركتم بذلك مستقبل البلاد ومستقبل أجيالها

القادمة مرهوناً بأيدي المؤسسات الدولية التي لا تقف سيطرتها على المجال الإقتصادي للبلدان المدينة فقط، بل تتعداه إلى السيطرة على القرار السياسي لهذه البلدان.

هذا فضلاً عن مائتي مليار ريال ديون لأكثر من ثلاثة آلاف تاجر ومقاول على الحكومة لا زالت تماطلهم في تسديدها.

لقد حطمتم بتصرفاتكم تلك كل الأرقام القياسية في التبذير والإسراف من المال العام، ففتم بذلك من قِبلكم وفتّم من بعدكم، فهنيئاً لكم على ذلك!

وهذا غير مستغرب منكم، فأمثالكم لا يهمهم مستقبل بلادهم وشعوبهم بقدر ما تهمهم تلبية شهواتهم الذاتية ونزواتهم الآنية.

لقد غاب عنكم وأنتم تمارسون هذه التصرفات المصير المرعب الذي صار إليه شاه إيران وماركوس الفلبين وتشاوسيسكو رومانيا وغيرهم من مصاصي دماء شعوبهم غير المكترثين بمصير بلادهم.

إن البلاد حقيقةً تمر بأخطر أزماتها الاقتصادية التي مرت بها حتى الآن، فقد كانت الأزمة الأولى سنة ٨٤/ ١٣٨٥هـ - ٦٤/ ١٩٦٥م بسبب فوضوية إدارة الملك سعود التي انتهت بعزله، وكانت الثانية سنة ١٤٠٦هـ الموافق ١٩٨٦م بسبب الانهيار المفاجيء في أسعار النفط.. وإذا كانت الأزمة الأولى قد حُلت بعزل الملك سعود وحاشيته، والثانية قد تجاوزتها البلاد بلجوئها إلى احتياطها المالي الضخم آنذاك، فإن الأزمة الحالية وفي ضوء القضاء التام على رصيد الدولة المالي من جهة، وفقد مصداقيتها المالية في الداخل والخارج من جهة أخرى، تبدو غير مبشرة بالانفراج في المستقبل المنظور.

لقد كان عجزك عن معالجة الأزمة في الوقت الذي كانت البلاد تملك احتياطياً يُقدر بمائة وأربعين مليار دولار، وليس عليها أية ديون، أقوى دليل على فشلك في معالجتها بعد القضاء على ذلك الاحتياطي وغرق البلاد في بحر متلاطم من الديون الربوية. قال الشاعر:

فمن خـانـه التـدبير والأمر طـائعٌ فلن يحســن التـدبير والأمر جـامحُ

ولم يعد يجدي هنا ما تقوم به وسائل إعلامك من تضليل للناس وتلبيس عليهم، وإيهامهم بأن الأزمة أوشكت على الانفراج، فكذبُ هذه الوسائل الإعلامية وخداعها لم يعد ينطلي على الأمة التي وصل بها الوعي مرحلة لم تعد تصدق معها مثل هذه الأكاذيب المفضوحة.

إنك بإهدارك لأموال الأمة، وإسرافك في تبذيرها، وكذبك عليها بعد ذلك، فقد جمعت بين الخصال التي حكم الله على صاحبها بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ هذا إذا كان إنساناً عادياً، أما إذا كان ملكاً، فالملك الكذّاب أشد عقوبة عند الله من غيره من الناس، كما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وجاء فيه: ((ثلاثةٌ لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم، شيخٌ زانٍ، وملكٌ كذّاب، وعائلٌ مستكبر)).

وفي ضوء المعطيات الواقعية السابقة يبدو الحل الذي انتهت به أزمة الملك سعود، وهو خلعه من الملك أفضل الحلول الجذرية المطروحة.

وقبل ذلك تبقى الحلول الترقيعية أمامكم مريرة وقاسية من جهة، وغير ناجعة ولا فعّالة من جهة أخرى، فهل ستعمدون إلى تخفيض الريال مثلاً؟

قد يرجع عليكم هذا الإجراء بانفراج مؤقت، غير أن هذه الخطوة لها آثار سياسية أخطر من آثارها الاقتصادية، فهل ستجازفون بمكانتكم الطامحة إلى زعامة مجلس التعاون وتخفضون الريال مقابل عملات الدول الأخرى؟!

طموحكم السياسي وحبكم للزعامة يمنعكم من ذلك، خاصة أن زعامة هذه الدول هي ما تبقى لديكم من حلم زعامي عريض تبدد بعدم تحقيقكم أية مكانة معتبرة في العالم العربي والإسلامي الذي كانت البلاد يوماً من الأيام تتحدث باسمه وتتولى زعامته في عهد الملك فيصل.

فهل ستزيدون من الضرائب والمكوس على المواطنين والمقيمين بتوفير مزيد من المال لخزانة الدولة المفلسة؟!

قد تنجح هذه الخطوة بتوفير قدر من السيولة لا شك، لكن ذيولها السياسية قد تمنعكم من المضي فيها إلى النهاية، لأن المواطن قد يسكت مضطراً عن تبذير مال الأمة العام من قِبلكم، ولكنه لن يسكت وهو يرى الضرائب والمكوس التي جُبيَت من عرق جبينه تُصرف في لذات وشهوات المستهترين والمتنفذين من الأسرة الحاكمة!!

يبقى أمامك حل آخر وهو بيع مؤسسات الدولة للقطاع الخاص، ومع أنكم قطعتم خطوات في هذا المجال، إلا أن هناك صعوبات تعترضكم ونحن نقدرها من جهتنا، فالإحراج والإهانة التي تلحقكم ببيع هذه المؤسسات التي تعتبرونها من أثاث بيتكم الخاص، وما يؤذن به بيع هذا الأثاث علانية من مستوى إفلاسكم هي أمور مقدرة ومعتبرة من قبل من يعرفون حرصكم على الأبّهة والظهور والإستكبار والغرور!!

إن مشكلتكم أن هذه الحلول الجزئية مع مرارتها وقسوتها هي أحلى الأمرين بالنسبة لكم، لأن الحلول الجذرية تعني أول ما تعني القضاء على أسباب الأزمة، وعلى رأس هذه الأسباب وجودكم في الحكم، فالمعادلة الصعبة أن يكون بقاؤك سبب فنائك واستمرارك سبب انتهائك.

ثانيًا: الوضع العسكري:

لعلك تتفق معنا أن جيش البلاد ظل لعقود من الزمن يستحوذ على ثلث ميزانية الدولة، في حين أن دولة نووية مثل فرنسا تنفق على جيشها ٤ % فقط من ميزانيتها، وتتفق معنا كذلك أن الجيش رغم الأرقام الفلكية التي صُرفت عليه ما هو في الحقيقة إلا أكوام من السلاح والعتاد الذي ليست له طاقة بشرية تستخدمه، ولا غرو في ذلك، فما صُرف على هذا الجيش لم يصرف لتقويته وإعداده، بل صُرف ليشكل مصدر رزق للأمراء المتنفذين،

وليكون مضخة تعويضات لحماة عرشكم وأوليائكم الغربيين الذين عُقدت كثير من الصفقات أداءً لضريبة الذل والتبعية لهم.

وكمثال على ذلك شراء سبعين طائرة من نوع إف ١٥ من أمريكا دعماً لجورج بوش في حملته الإنتخابية بعد حرب الخليج، وكذلك جاءت صفقات أسطول طائرات الخطوط الجوية السعودية وصفقات توسعة الهاتف جبراً لخاطر كلينتون الذي انكسر بدعمكم لمنافسه جورج بوش، وكذلك شراء ٤٨ طائرة تورنيدو من بريطانيا لنفس الأسباب.

وإذا أدركنا ما وراء هذه الصفقات، أدركنا سر أداء وزير الدفاع المخزي أثناء حرب الخليج..

إن سلاح الجو الذي يملك خمسمائة طائرة مقاتلة لم يسجل طوال هذه الحرب أي عمل يُذكر باستثناء إسقاط طائرتين عراقيتين ليس لهما أي غطاء جوي.

أما البحرية التي تمتلك ثلاثين بارجة منها عشرين قاذفة صواريخ، فلم تطلق أية طلقة طوال مدة الحرب.

ولم يكن سلاح البر بأحسن حالاً من سابقيه، فلكي يجهز لواء مدرعات واحد، أُضطرت البلاد أن تحضر الفرق التقنية اللازمة من الباكستانيين.

وهكذا ذهبت مئات المليارات من الدولارات التي صُرفت على هذا الجيش أدراج الرياح!!

إن الإنسان ليصاب بالذهول والدهشة عندما يترك المجال للأرقام تتحدث عن إنفاقات وزارة الدفاع التي يجلس على عرشها أقدم وزير دفاع في العالم الأمير سلطان الذي يتولاها منذ اثنين وثلاثين عاماً، وكأنه لا زال يطالب بإتاحة الفرصة له لإثبات كفاءته بعد الفشل الذريع الذي مُني به وكشفته حرب الخليج.

ولكي نتصور جانباً من الصورة المذهلة لإنفاقات هذه الوزارة يكفي أن نعرف أن المواطن في الجزيرة العربية تحمّل من الإنفاق على الجيش أكثر مما تحمله المواطن في عشر دول أخرى، هي الولايات المتحدة الأمريكية، ألمانيا إيطاليا، مصر، رومانيا، بولندا، أسبانيا، الإكوادور، الأورجواي، وأيرلندا، فقد صرف المواطن في الجزيرة سنة ١٩٩٢م أكثر مما صرف المواطن في هذه الدول مجتمعة، مع العلم أن من بينها دولاً نووية وأعضاء في حلف شمال الأطلسي.

ويتضح جانب آخر من هذه الصورة المذهلة عندما نعلم أن الفرد في القوات المسلحة في الجزيرة العربية أنفق عليه أكثر مما أنفق على الفرد العسكري في تسع دول مجتمعة هي: الولايات المتحدة، ألمانيا بلجيكا، الأرجنتين، الصين، إيران، العدو الصهيوني كوريا الجنوبية، وتنزانيا.

أليس من حقنا أيها الملك أن نسألك أين ذهبت كل هذه المبالغ؟

لا عليك في عدم الإجابة، فإذا عُلمت نسبة العمولات والرشاوي التي تحصل عليها والأمراء المتنفذين وعلى رأسهم وزير الدفاع سلطان مع شركات الأسلحة ومقاولات بناء المدن والقواعد العسكرية، فلن نتعب أنفسنا في السؤال عن مصير باقي المبالغ المصروفة، فلم يعد خافياً أنكم وتلك الشرذمة من الأمراء المتنفذين تستولون من كل صفقة على نسبة ما بين ٤٠ – ٦٠ % من قيمتها!!

والنسبة الكبرى من الأموال المتبقية تصرف في بناء قواعد وتجهيزات لا يتناسب حجمها الضخم وتجهيزاتها العالية مع عدد وكفاءة جيش البلاد، الشيء الذي ينبئ أنها بُنيت لا لهذا الجيش، ولكن لتستخدم من قبل القوات الأمريكية والغربية التي ترابط في كثير منها الآن.

هل ما زال العراق بعد تدمير قواته وتجويع شعبه المسلم يشكل خطراً فعلياً على عرشكم؟!

كل الحقائق تشهد بغير ذلك، وتؤكد أن الخطر الذي ترابط هذه القوات من أجل دفعه ليس خطراً وهمياً من عراق مدمّر جائع!!

بل هو الخطر الإسلامي في الداخل كما يقوله الخبراء بناء على ما تعيشه البلاد من صحوة إسلامية مباركة ومتصاعدة في جميع القطاعات المدنية والعسكرية.

ومهما يكن فليس هناك أي مسوغ لإبقاء جيش البلاد في حالة العجز والقصور التي يعيشها، في حين يفترض فيه حماية بلاد المسلمين والدفاع عن قضاياهم فضلاً عن حماية البلاد المقدسة، فمن غير المعقول السكوت عن تحويل البلاد إلى محمية أمريكية يدنسها جنود الصليب بأقدامهم النجسة حمايةً لعرشكم المتداعي وحفاظاً على منابع النفط في المملكة.

وفي ضوء الواقع الحالي أيها الملك، أليس من حق الأمة أن تتساءل عن الذي يتحمل زعزعة الأمن وإثارة الإضطراب؟!

أهو النظام الذي أسلم البلاد لحالة العجز العسكري المزمن ليسوغ استجلاب القوات الصليبية واليهودية لتدنس الأماكن المقدسة؟؟

أم هو الداعية الذي يدعو لإعداد الأمة وتجييشها لتتولى بنفسها شرف حماية دينها والدفاع عن مقدساتها والذب عن أرضها وعرضها؟!

والحق أن اللوم في هذا المجال كله يقع عليك أنت ووزير دفاعك دون أفراد الجيش والحرس الذين يشهد لكثير منهم بالصلاح والشهامة والشجاعة ولكن ليس لهم من الأمر شيء، فقد كان خوفكم من أي عمل إصلاحي يُحتمل أن يقوموا به دافعاً لكم إلى تهميش كثير من ضباطهم وجنودهم، وزرع الجواسيس بين صفوفهم، وكان خوفكم من أي تنسيق محتمل بين الأسلحة المختلفة (البرية والبحرية والجوية) للقيام بأي عمل إصلاحي ضدكم سبباً وراء منعكم أي تنسيق أو حتى تعارف كافٍ بينهم، مع ضرورة التنسيق لأي عمل عسكري ناجح، فكان ثمن محافظتكم على عرشكم ودفعكم لأوهام الخوف التي تلاحقكم هو ما لحق بالبلاد والعباد من عار وشنار بسبب حرب الخليج!!

الخلاصة والاستنتاجات:

لقد ثبت لنا مما سبق أيها الملك، أن نظامكم قد ارتكب من نواقض الإسلام ما يبطل ولايته عند الله، ويثبت عليه من الفشل الذريع والفساد الشنيع ما يوجب عزله عند الناس، فهو بتشريعه للقوانين الوضعية الكفرية وإلزامه الناس بالتحاكم إليها، وبموالاته ومناصرته للكفار ضد المسلمين؛ قد ارتكب من نواقض الإسلام ما يوجب عزله والقيام عليه.

وبفساده الذريع وفشله الشنيع في مجالات الدفاع والاقتصاد وغيرها، أثبت عملياً عدم أهليته لأن يتولى تسيير أمور البلاد، حتى ولو لم يكن على ما هو عليه من انتقاض الإسلام والردة عن الدين.

لقد جمعت أيها الملك على الناس أعظم ما يستعاذُ من الشر وهو الكفر والفقر.

ومن جملة ما سبق يتضح: أن خلاف الأمة التي يتقدمها العلماء والدعاة المخلصون والتجار وشيوخ القبائل مع نظام حكمكم ليس خلافاً عارضاً ولا نزاعاً عابراً، بل هو صراع متأصل بين منهجين، ونزاع عميق بين عقيدتين، صراع بين المنهج الرباني المتكامل الذي أسلم الأمر لله في جميع شأن منهجه ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ منهج لا إله إلا الله محمد رسول الله بكل دلالاتها ومقتضياتها، وبين المنهج العلماني الصارخ، منهج ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾.

وبناءً على ما تقدم، فإن ما تقوم به الأمة وفي صدارتها العلماء والمصلحون والتجار وشيوخ القبائل ضد نظام حكمكم لن يدخل قطعاً في باب الخروج المحظور على الحكام، لأن نظام حكمكم فاقد للمشروعية كما بينا، والمعدوم شرعاً كالمعدوم حساً، كما قرر أهل العلم، والحاكم إذا ارتد وجب الخروج عليه بإجماع الأمة.

لكن هذا أيضاً لا يعني أن كل تصرف من هذا القبيل يكون صواباً بالضرورة، فلكل مرحلة من مراحل التغيير مقومات عملها ووسائله وأهدافه، وتحديد ذلك لا يمكن باجتهاد شخصي متعجل، أو قرار فردي مُستفَز، بل يتم من قِبل قيادات الأمة من العلماء الصادقين والدعاة المصلحين الذين أثبتت المحن والابتلاءات جدارتهم وأهليتهم للتصدر لمثل هذه الأمور العظام.

ولا شك أنه في مقدمات واجبات المرحلة الحالية الصدع بالحق والجهر به وبيان معاني ومقتضيات لا إله إلا الله وما يترتب على الخروج عنها حتى تكون الأمة على بصيرة من دينها ووعي من أمرها.

وبعيداً عن هذا وذاك، فإننا نرى أيها الملك أن من مصلحتك الشخصية ومن مصلحة عائلتك ومن حولك، وقد تقدمت بك السن ودب إليك المرض وحاصرتك الأزمات الداخلية والخارجية، أن تجنب الأمة والبلاد والعباد مزيداً من العناء والشقاء والأزمات والاضطرابات، وأن تقدم استقالتك فتريح وتستريح، وتترك الأمة تمارس حقها بواسطة أهل الحل والعقد في اختيار من ينقذها من هذه الهاوية التي قدتها إليها، بعد أن انقطع الأمل في أن تصلح من حالك بعد أن تقدمت بك السن وشخت، فقديماً قال الشاعر:

فإنّ سِـــفَاهَ الشـــيخِ لا حِلمَ بعده فلن يحســـن التـدبير والأمر جـامحُ

ولعلك تتذكر في هذا المقام أن الملك سعود عُزل في ما هو دون ما أنت عليه من الفساد بعشرات المرات، وقد كنتَ وقتها في صدارة من سعوا في عزله، وحسناً فعلت يومها، وليتك تفعل اليوم، ولا تقتصر في ذلك على مجرد الاستقالة الشخصية، فلا بد من إقالة كل من كان له دور من وزرائك وحاشيتك فيما آلت إليه الحال، فكما تحملت سيئة تسليطهم على رقاب العباد ومصالح البلاد، فحاول أن تكون لك مزية تخليصها من شرّك وشرهم، وخاصةً وزير دفاعك الفاشل الذي لم يتولَ أمراً وأتى منه بخير، سواءً كان أمراً سياسياً أو إدارياً، فقد

فجر ملف الحدود مع قطر، وكاد أن يشعلها حرباً ضروساً مع اليمن، هذا زيادة على فشله في إدارة وزارة الدفاع والطيران والخطوط الجوية التي أفلست على يديه.

وغير مجدية في هذا المقام التعديلات الوزارية الترقيعية التي تأتي في النهاية بوزراء مربوطين بفلك الفساد الكامن في أساس ورأس النظام الحاكم، ويدورون حوله لا يملكون من الأمر شيئاً، إذ على افتراض حسن نيتهم وسعيهم في الإصلاح، فإن هامش صلاحياتهم المحدود وسلطتك المطلقة فوقهم لا تتيح لهم فرصة أي إصلاح، فلا يستقيم الظل والعود أعوج.

وهذه المطالب بالاستقالة والإقالة ليست مطالب تعجيزية، فهي نفس ما دعوت إليه وقمت به وإخوانك بشأن الملك المخلوع سعود في السابق.

وقبل أن نضع القلم نطلب منك أن تفكر مليّاً وتراجع نفسك كثيراً أمام هذه الحقائق قبل أن تأخذك العزة بالرفض، وتتخذ قرارك بمعاقبة كل من سعى في إيصال هذه الرسالة إليك، وعكر مزاجك بها، كما فعلت مع كثير من عرائض ومذكرات النصح التي رُفعت إليك، والتي كان من أشهرها مذكرة النصيحة التي جاءتك حافلة بأهم المطالب الإصلاحية، مبينة الداء واصفة الدواء بدقة العالم وحرارة الداعية وإشفاق الناصح في أدب جم ووقار عظيم، ولم يكن منك إلا أن تجاهلت النصح وتغافلت عن الناصحين، بل وقررت عقاب صفوة الأمة من العلماء والدعاة والمصلحين الذين رفعوها إليك، وأجلبت عليهم بخيلك ورجلك من سدنة نظام حكمك وزبانيته وهيئاته السلطانية وحاشيته من المخدوعين والمتمالئين، فاستصدرت الفتاوى التي ترمي بكل إفك وتقذف بكل بهتان تلك النخبة من أبناء الأمة والصفوة من علمائها التي لا زالت مرابطة بكل صبر وثبات في زنازين سجونك ووراء قضبانها الحديدية.. نسأل الله أن يفك أسرهم ويسهل أمرهم ويثبتنا وإياهم على طريق دعوته وسبيل التمكين لدينه ﴿حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾.

ونسأله أن يعيننا على الوفاء بما عاهدناه عليه من الثأر لدينه، والانتقام لأوليائه عامة وللذين يتعرضون لأنواع التعذيب والبطش على أيدي جلادي سجونكم خاصة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أسامة بن محمد بن عوض بن لادن

التاريخ: ٥/ ٣ / ١٤١٦هـ

الموافق: ٣/ ٨ /١٩٩٥م.

٤ - إعلان الجهاد على الأمريكيين المحتلين لبلاد الحرمين:

بسم الله الرحمن الرحيم

((أخرجوا المشركين من جزيرة العرب))

رسالة من أسامة بن محمد بن لادن إلى إخوانه المسلمين في العالم كافة وجزيرة العرب خاصة..

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

الحمد لله القائل: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

الحمد لله القائل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

والصلاة والسلام على عبده ورسوله القائل: ((إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه)). [رواه أبو داود والترمذي والنسائي].

أما بعد: فلا يخفى عليكم ما أصاب أهل الإسلام من ظلم وبغي وعدوان من تحالف اليهود والنصارى وأعوانهم، حتى أصبحت دماء المسلمين أرخص الدماء، وأموالهم وثرواتهم نهباً للأعداء، فها هي دماؤهم قد سُفكت فلسطين، والعراق، وما زالت الصور الفظيعة لمجزرة قانا في لبنان عالقة بالأذهان، وكذلك المجازر في طاجكستان، وبورما، وكشمير، وآسام، والفلبين، وفطاني، والأوجادين، والصومال، وإريتريا، والشيشان، وفي البوسنة والهرسك، حيث جرت مذابح للمسلمين هناك تقشعر لها الأبدان، ويهتز من هولها الوجدان، وذلك على مرأى ومسمع من العالم أجمع، بل وبتآمر واضح من أمريكا وحلفائها بمنعهم السلاح عن المستضعفين هناك تحت ستار الأمم المتحدة الظالمة، فانتبه أهل الإسلام إلى أنهم الهدف الرئيسي لعدوان التحالف اليهودي الصليبي، وزالت كل تلك الدعايات الكاذبة عن حقوق الإنسان تحت الضربات والمجازر التي ارتُكبت ضد المسلمين في كل مكان.

وكان آخر هذه الاعتداءات أن أصيب المسلمون بمصيبة من أعظم المصائب التي أصيبوا بها منذ وفاة النبي ﷺ ألا وهي احتلال بلاد الحرمين – عقر دار الإسلام، ومهبط الوحي، ومنبع الرسالة، وبها الكعبة المشرفة قبلة المسلمين أجمعين –، وذلك من قبل جيوش النصارى من الأمريكيين وحلفائهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

في ظلال هذا الواقع الذي نعيشه، وفي ظل الصحوة المباركة العارمة التي شملت بقاع العالم، والعالم الإسلامي خاصة، ألتقي اليوم معكم بعد طول غياب فرضته الحملة الصليبية الظالمة التي تتزعمها أمريكا على علماء الإسلام ودعاته خشية أن يحرضوا الأمة الإسلامية ضد أعدائها تأسياً بعلماء السلف رحمهم الله كابن تيمية والعز بن عبد السلام.

وهكذا قام هذا التحالف الصليبي اليهودي بقتل واعتقال رموز العلماء الصادقين والدعاة العاملين – ولا نزكي على الله أحداً –، فقام بقتل الشيخ المجاهد عبد الله عزام، واعتقال الشيخ المجاهد أحمد ياسين في مسرى النبي عليه الصلاة والسلام، والشيخ المجاهد عمر عبد الرحمن في أمريكا، كما اعتقل بإيعاز من أمريكا عدد كبير جداً من العلماء والدعاة والشباب

في بلاد الحرمين من أبرزهم الشيخ سلمان العودة والشيخ سفر الحوالي [١] وإخوانهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد أصابنا بعض ذلك الظلم بمنعنا من الحديث مع المسلمين، ومطاردتنا في باكستان والسودان وأفغانستان؛ مما أدى إلى هذا الغياب الطويل، ولكن بفضل الله تيسر وجود قاعدة آمنة في خراسان، فوق ذرى الهندوكوش، تلك الذرى التي تحطمت عليها - بفضل الله - أكبر قوة عسكرية ملحدة في الأرض، وتلاشت عليها أسطورة القوى الكبرى أمام صيحات المجاهدين - الله أكبر -.

واليوم من فوق نفس الذرى من أفغانستان نعمل على رفع الظلم الذي وقع على الأمة من التحالف اليهودي الصليبي، وخاصة بعد احتلاله مسرى النبي عليه الصلاة والسلام واستباحته بلاد الحرمين، ونرجو الله أن يمن علينا بالنصر، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وها نحن اليوم نبدأ منها الحديث والعمل والتذاكر لبحث سبل الإصلاح لما حل بالعالم الإسلامي عامة، وببلاد الحرمين خاصة، ونريد أن نتدارس السبل التي يمكن بسلوكها إعادة الأمور إلى نصابها، والحقوق إلى أصحابها، بعد أن أصاب الناس ما أصابهم من خطب عظيم وضرر جسيم في أمور دينهم ودنياهم، أصاب الناس بجميع فئاتهم، أصاب المدنيين كما أصاب العسكريين ورجال الأمن، أصاب الموظفين كما أصاب التجار، وأصاب الصغار والكبار، أصاب طلاب المدارس والجامعات كما أصاب المتخرجين من الجامعات العاطلين عن العمل، وهم بمئات الألوف، بل أصبحوا يشكلون شريحة عريضة في المجتمع.

أصاب أهل الصناعة كما أصاب أهل الزراعة، وأصاب أهل الحضر والمدر، كما أصاب أهل البادية والوبر، والكل يشتكي من كل شيء تقريباً، وبات الوضع في بلاد الحرمين أشبه ببركان هائل يكاد أن ينفجر فيقضي على الكفر والفساد مهما كانت مصادره، وما انفجارا

---

[١] سبق التنبيه على موقف هذين الشيخين مؤخراً.

الرياض والخبر إلا نذر لهذا السيل الهادر الذي تولد عن المعاناة والكبت المرير، والقهر، والظلم الفادح والبغي المذل والفقر.

وقد شُغل الناس بأمور معاشهم شغلاً عظيماً، الحديث عن التردي الاقتصادي وغلاء الأسعار وكثرة الديون وامتلاء السجون هو حديث الجميع، فحدث عنه ولا حرج، فهؤلاء موظفون من ذوي الدخل المحدود يحدثونك عن ديونهم بعشرات ومئات الألوف من الريالات، ويشتكون من التدني الهائل والمستمر لقيمة الريال الشرائية مقابل معظم العملات الرئيسية، بينما يحدثك كبار التجار والمقاولين عن ديونهم بمئات وآلاف الملايين من الريالات على الدولة، وقد بلغت الديون الداخلية للمواطنين على الدولة أكثر من ثلاثمائة وأربعين ألف مليون من الريالات، تزداد يومياً بسبب الفوائد الربوية، ناهيك عن ديونها الخارجية، والناس يتساءلون أحقاً نحن أكبر دولة مصدرة للنفط، بل ويشعرون أن هذا عذاب من الله عليهم لأنهم سكتوا عن ظلم النظام وتصرفاته غير الشرعية ومن أبرزها عدم التحاكم إلى شرع الله، ومصادرة حقوق العباد الشرعية، وإباحة بلاد الحرمين للمحتلين الأمريكيين، وإيداع العلماء الصادقين ورثة الأنبياء السجون ظلماً وعدواناً.

هذا المصاب العظيم قد تنبه له أهل الفضل والخير من المختصين في أمور الدين، كالدعاة والعلماء، وكذلك من المختصين في أمور الدنيا كالتجار والاقتصاديين والوجهاء، فبذلت كل فئة جهدها للتحرك السريع لتدارك الموقف.

والجميع مجمع على أن البلاد تسير نحو هوة سحيقة ومصيبة فظيعة لا يعلم مداها إلا الله، وعلى حد تعبير كبار التجار (إن الملك يقود البلاد إلى ستين داهية)، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كما أن العديد من الأمراء يشاركون الشعب همومه ويعبرون في مجالسهم الخاصة عن اعتراضهم على ما يجري في البلاد من إرهاب وقمع وفساد.

وإن تنافس الأمراء المتنفذين على المصالح الشخصية قد دمر البلاد، وأن النظام قد مزق شرعيته بيده بأعمال كثيرة أهمها:

١ – تعطيله لأحكام الشريعة الإسلامية، واستبدالها بالقوانين الوضعية، مع دخوله في مواجهة دامية مع العلماء الصادقين والشباب الصالحين، ولا نزكي على الله أحداً.

٢ – عجزه عن حماية البلاد وإباحتها السنين الطوال لأعداء الأمة من القوات الصليبية الأمريكية التي أصبحت السبب الرئيسي في نكبتنا بجميع نواحيها، وبخاصة الاقتصادية نتيجة الإنفاق الثقيل عليها بغير حق، ونتيجة للسياسات التي تفرضها على البلاد وخاصة السياسة النفطية حيث تحدد الكمية المنتجة من البترول والسعر بما يحقق مصالحهم الاقتصادية ويهمل مصالح البلاد الاقتصادية، ونتيجة لصفقات الأسلحة باهظة التكاليف التي تفرض على النظام حتى أصبح الناس يتساءلون: ما فائدة وجود النظام إذاً؟.

فبذلت كل فئة جهدها للتحرك السريع لتدارك الموقف، وتلافي الخطر، فنصحوا سراً وجهراً، ونثراً وشعراً، زرافات ووحدانا، وأرسلوا العرائض تتلوها العرائض، والمذكرات تتبعها المذكرات، وما تركوا سبيلاً إلا ولجوه ولا رجلاً مؤثراً إلا وأدخلوه معهم في تحركهم الإصلاحي، وقد كانوا متوخين في كتاباتهم أسلوب الرفق واللين بالحكمة والموعظة الحسنة داعين إلى الإصلاح والتوبة من المنكرات العظام والمفاسد الجسام التي شمل فيها التجاوز مُحْكَمَات الدين القطعية وحقوق المواطنين الشرعية.

ولكن – للأسف الشديد – لم يجدوا من النظام إلا الصدود والإعراض، بل والسخرية والاستهزاء، ولم يقف الأمر عند حد تسفيههم فقط، بل تعززت المخالفات السابقة بمنكرات لاحقة أكبر وأكثر، كل ذلك في بلاد الحرمين!

فلم يعد السكوت مستساغاً، ولا التغاضي مقبولا.

ولما بلغ التجاوز ما بلغ، وتعدى حدود الكبائر والموبقات، إلى نواقض الإسلام الجليات، قامت مجموعة من العلماء والدعاة الذين ضاقت صدورهم ذرعاً بما أصم آذانهم من أصوات الضلال، وغشي أبصارهم من حجب الظلم، وأزكم أنوفهم من رائحة الفساد، فانبعثت نذر الرفض، وارتفعت أصوات الإصلاح داعية لتدارك الموقف، وتلافي الوضع، وانضم إليهم في ذلك المئات من المثقفين، والوجهاء، والتجار، والمسؤولين السابقين، فرفعوا إلى الملك العرائض والمذكرات المتضمنة المطالبة بالإصلاح، ففي سنة ١٤١١هـ إبان حرب الخليج رفعت إلى الملك عريضة وقعها حوالي أربعمائة شخصية من هؤلاء تدعوه لإصلاح أوضاع البلاد، ورفع الظلم عن العباد [١]، غير أنه تجاهل النصح، واستهزأ بالناصحين، وظلت الأوضاع تزداد سوءاً على سوء.

وحينئذ أعاد هؤلاء الناصحون الكرة من جديد بمذكرات وعرائض أخرى كان من أهمها مذكرة النصيحة التي سُلمت للملك في محرم ١٤١٣هـ، والتي شخصت الداء ووصفت الدواء، في تأصيل شرعي قويم، وعرض علمي سليم، فتناولت بذلك الفجوات الكبرى في فلسفة النظام، ومواضع الخلل الرئيسية في دعائم الحكم، فبينت ما يعانيه رموز المجتمع وقياداته الداعية للإصلاح – كالعلماء والدعاة وشيوخ القبائل والتجار والوجهاء وأساتذة الجامعات– من تهميش وتحييد، بل ومن ملاحقة وتضييق.

وأوضحت حالة الأنظمة واللوائح في البلاد، وما تضمنته من مخالفات شملت التحريم والتحليل تشريعاً من دون الله.

وتعرضت لوضع الإعلام في البلاد الذي أصبح وسيلة لتقديس الأشخاص والذوات، وأداة لطمس الحقائق، وتزييف الوقائع والتشهير بأهل الحق، والتباكي على قضايا الأمة لتضليل الناس دون عمل جاد، وتنفيذ خطط الأعداء لإفساد الناس وإبعادهم عن دينهم،

---

[١] العريضة اشتهرت باسم (خطاب المطالب) وهو موجود على موقع الحركة الإسلامية للإصلاح وهو موجود أيضاً في اسطوانات طريق العزة رقم ١.

وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

وتطرقت إلى حقوق العباد الشرعية المهدورة والمصادرة في هذه البلاد.

وتناولت الوضع الإداري، وما يحكمه من عجز، ويشيع فيه من فساد.

وأبانت حالة الوضع المالي والاقتصادي للدولة، والمصير المخيف المرعب الذي ينتظره في ظل الديون الربوية التي قصمت ظهر الدولة، والتبذير الذي يبدد أموال الأمة إشباعاً للنزوات الشخصية الخاصة! ثم تُفرض الضرائب والرسوم والمكوس وغير ذلك على الشعب! وقد قال ﷺ عن المرأة التي زنت وتابت وأقام عليها الحد: ((لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغُفِرَ له)) [رواه أحمد]. مما يبين عظم ذنب صاحب المكس، بينما لا زال بعض الناس يدعون على المنابر لصاحب المكس، المجاهر بكبيرة الربا المشرّع لها، وذلك كفرٌ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكشفت عن حالة المرافق الاجتماعية المزرية داخل البلاد، والتي استفحلت بعد المذكرة وتفاقمت، وبخاصة خدمات المياه أهم مقومات الحياة.

وعرضت حالة الجيش وما كشفته أزمة الخليج، من قلة أفراده، وضعف إعداده، وعجز قائد قوَّاده، رغم ما أنفق عليه من أرقام فلكية لا تعقل ولا تخفى!

وعلى مستوى القضاء والمحاكم بينت المذكرة تعطيل العديد من الأحكام الشرعية واستبدالها بالقوانين الوضعية.

وعلى صعيد سياسة الدولة الخارجية كشفت المذكرة ما تميزت به هذه السياسة من خذلان وتجاهل قضايا المسلمين، بل ومن مناصرة ومؤازرة الأعداء ضدهم وليست (غزة – أريحا) والشيوعيون في جنوب اليمن عنا ببعيد، وغيرهما كثير.

ولا يخفى على أحد أن تحكيم القوانين الوضعية، ومناصرة الكافر على المسلم معدودة في نواقض الإسلام العشرة، كما قرر ذلك أهل العلم، وقد قال تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى أيضاً: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء: ٦٥].

ومع أن المذكرة عرضت كل ذلك بلين عبارة، ولطف إشارة، مذكرة بالله، واعظة بالحسنى، في أسلوب رقيق ومضمون صادق، ورغم أهمية النصيحة في الإسلام، وضرورتها لمن تولى أمر الناس، ورغم عدد ومكانة الموقعين على هذه المذكرة، والمتعاطفين معها، فإن ذلك لم يشفع لها، إذ قوبل مضمونها بالصد والرد، وموقعوها والمتعاطفون معها بالتسفيه والعقاب والسجن.

وهكذا ظهر بكل وضوح حرص الدعاة والمصلحين على سلوك سبل الإصلاح السلمية حرصاً على وحدة البلاد، وحقناً لدماء العباد.

فلماذا يوصد النظام جميع سبل الإصلاح السلمية ويدفع الناس دفعاً نحو العمل المسلح وهو الباب الوحيد الذي بقي أمام الناس لرفع الظلم وإقامة الحق والعدل..؟! ولمصلحة من يقحم الأمير سلطان والأمير نايف البلاد والعباد في حرب داخلية تأكل الأخضر واليابس، ويستعين ويستشير من أشعل الفتن الداخلية في بلاده، وجيّش أبناء الشعب من الشرطة لإجهاض الحركة الإصلاحية هناك، وضرب أبناء الشعب بعضهم ببعض، وبقي العدو الرئيسي في المنطقة وهو التحالف اليهودي الأمريكي في أمن وأمان، بعد أن وجد أمثال هؤلاء الخائنين لأمتهم ينفذون سياساته لاستنزاف طاقات الأمة البشرية والمالية داخلياً.

وهذا الذي يستشيره وزير الداخلية الأمير نايف لم يتحمله الشعب في بلده لشدة قذارته وبغيه على شعبه، فأقيل من منصبه هناك، ولكنه جاء ليجد صدراً رحباً لدى الأمير نايف للتعاون على الإثم والعدوان، فملأ السجون بخيرة أبناء الأمة، وذرفت لذلك العيون، عيون الأمهات اللواتي سُجن أبناؤهن بغير حق ظلماً وزوراً وبهتاناً، فهل يريد النظام أن يضرب

الشعب من المدنيين والعسكريين بعضهم ببعض كما حصل في بعض البلدان المجاورة؟! لا شك أن هذه سياسة العدو التحالفي الإسرائيلي الأمريكي وهو المستفيد الأول من ذلك.

ولكن بفضل الله فإن الغالبية العظمى من الشعب من مدنيين وعسكريين [١] متنبهون لهذا المخطط الخبيث، ويربؤون بأنفسهم أن يكونوا أداة لضرب بعضهم بعضاً، تنفيذاً لسياسة العدو الرئيسي التحالف الأمريكي الإسرائيلي عبر وكيله في البلاد النظام السعودي.

ولذا اتفق الجميع على أنه (لا يستقيم الظل والعود أعوج)، فلا بد من التركيز على ضرب العدو الرئيسي الذي أدخل الأمة في دوامات ومتاهات منذ بضعة عقود بعد أن قسمها إلى دول ودويلات، وكلما برزت حركة إصلاحية في الدول الإسلامية دفع هذا التحالف اليهودي الصليبي وكلاءه في المنطقة من الحكام لاستنزاف وإجهاض هذه الحركة الإصلاحية بطرق شتى وبما يتناسب معها، فأحيانا يجهضها بجرها إلى الصدام المسلح محدداً الزمان والمكان لهذه المعركة فيقضي عليها في مهدها.

---

[١] جاءت الأحداث الأخيرة بما فيها من فتن انساق العسكريون فيها وراء نايف وأصبحوا جنداً مُحضرين لهؤلاء الطواغيت، فقتلوا الكثير من خيرة شباب الأمة، وسجنوا العلماء وأهانوهم، وقد كُتبت عدة بحوث في هذا الأمر من أجل أن يتراجع هؤلاء الجنود، ولا زالت الصيحات تلو الصيحات تقول لهم لا تكونوا أداة بيد الطواغيت، ولكن الكثير منهم مستمر في غيّه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن ضمن البحوث في ذلك التالي:

١ – الباحث عن حكم قتل أفراد وضباط المباحث.

٢ – الآيات والأحاديث الغزيرة على كفر قوات درع الجزيرة.

٣ – رسالة إلى عسكري.

٤ – التحفة السنية في تحريم الدخول في العسكرية.

٥ – كشف شبهات المجادلين عن عساكر الشرك وأنصار القوانين.

٦ – مسائل مهمة في أحوال جيوش الأمة.

وأحياناً يطلق عليها رجاله من وزارة الداخلية والذين تخرجوا من كليات شرعية ليشوشوا على المسيرة الإصلاحية وليشتتوا الأمة والشعب عن هذه المسيرة، وأحيانا يستزلون أقدام بعض الصالحين للدخول في حرب كلامية مع علماء ورموز الحركة الإصلاحية ليستنزف طاقة الجميع ويبقى الكفر الأكبر مسيطراً على الأمة مظللاً لها، وتستمر المناقشات في الفروع بينما توحيد الله بالعبادة والتحاكم إلى شريعته مغيب عن الواقع، وفي ظل هذه المناقشات والردود يلتبس الحق بالباطل وكثيراً ما تنتهي إلى عداوات شخصية يتحزب الناس مع هذا أو ذاك مما يزيد الأمة انقساماً وضعفاً إلى ضعفها، وتغيب الأولويات في العمل الإسلامي، فينبغي التنبه إلى هذه الحيل الشيطانية وأمثالها التي تنفذها وزارة الداخلية.

والصواب في مثل هذه الحالة التي نعيشها هو كما قرره أهل العلم، ومن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو تكاتف جميع أهل الإسلام للعمل على دفع الكفر الأكبر الذي يسيطر على بلاد العالم الإسلامي، مع تحمل الضرر الأدنى في سبيل دفع الضرر الأكبر ألا وهو الكفر الأكبر.

وإذا تزاحمت الواجبات قدم آكدها، ولا يخفى أن دفع هذا العدو الأمريكي المحتل هو أوجب الواجبات بعد الإيمان، فلا يُقدم عليه شيء كما قرر ذلك أهل العلم، ومن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال [١]: (وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين، فواجب إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يُشترط له شرط، بل يُدفع بحسب الإمكان).

فإذا تعذر دفع هذا العدو الصائل إلا باجتماع المسلمين بقضهم وقضيضهم وغثهم وسمينهم، كان ذلك واجباً في حقهم مع التغاضي عن بعض القضايا الخلافية والتي ضرر التغاضي عنها في هذه المرحلة أقل من ضرر بقاء الكفر الأكبر جاثماً على بلاد المسلمين، ولذا قال شيخ الإسلام مبيناً هذه المسألة منبهاً على أصل عظيم ينبغي مراعاته وهو العمل

---

[١] كتاب الاختيارات العلمية، ملحق بالفتاوى الكبرى: (٤/ ٦٠٨).

على دفع أعظم الضررين بالتزام أدناهما واصفاً حالة المجاهدين والمسلمين وإن كان فيهم عسكر كثير الفجور، فإنه لا يعفى من ترك الجهاد ضد العدو الصائل.

فقال رحمه الله بعد أن ذكر شيئاً من أحوال التتار وما هم عليه من تبديل شرائع الله: (فإن اتفق من يقاتلهم على الوجه الكامل فهو الغاية في رضوان الله وإعزاز كلمته وإقامة دينه وطاعة رسوله ﷺ، وإن كان فيهم من فيه فجور وفساد نية بأن يكون يقاتل على الرياسة أو يتعدى عليهم في بعض الأمور وكانت مفسدة ترك قتالهم أعظم على الدين من مفسدة قتالهم على هذا الوجه؛ كان الواجب أيضاً قتالهم دفعاً لأعظم المفسدتين بالتزام أدناهما، فإن هذا من أصول الإسلام التي ينبغي مراعاتها، ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم كما أخبر بذلك النبي ﷺ، لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار أو مع عسكر كثير الفجور فإنه لا بد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضرراً في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين وإقامة أكثر شرائع الإسلام، وإن لم يمكن إقامة جميعها، فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه)[1].

وبرغم أن المفاسد العظام قد فشت، والمنكرات الجسام قد طغت، ولا ينكر وجودها أعمى أو أصم، ناهيك عن أن ينكرها سميع بصير، حتى وصلت إلى الظلم العظيم وهو الشرك بالله ومشاركة الله في تشريعه للناس، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، فشرعت التشريعات الوضعية تبيح ما حرم الله كالربا وغيره حتى في البلد الحرام عند المسجد الحرام، حيث إن بنوك الربا تزاحم

---

[1] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٠٦).

الحرمين مجاهرة لله بالحرب معاندة لأمر الله القائل: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا...﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقد توعد الله سبحانه وتعالى صاحب كبيرة الربا في كتابه الكريم بوعيد لم يتوعده أحداً من المسلمين في كتابه فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَاذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩]. هذا للمسلم المرابي، فكيف لمن جعل من نفسه نداً لله وشريكاً يشرع ويحلل لعباد الله ما حرم ربهم عليهم، برغم ذلك كله نرى الدولة تستزل أقدام بعض الصالحين من العلماء والدعاة، وتجرهم بعيداً عن إنكار المنكر الأعظم والكفر الأكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والذي ينبغي في مثل هذه الحالة أن يبذل الجميع قصارى الجهد في تحريض وتعبئة الأمة ضد العدو الصائل والكفر الأكبر المخيم على البلاد والذي يفسد الدين والدنيا ولا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، ألا وهو التحالف الإسرائيلي الأمريكي المحتل لبلاد الحرمين ومسرى النبي عليه الصلاة والسلام، وتذكير المسلمين بتجنب الدخول في قتال داخلي بين أبناء الأمة المسلمة؛ وذلك لما له من نتائج وخيمة، من أهمها:

١ - استنزاف الطاقات البشرية حيث إن معظم الإصابات والضحايا ستكون من أبناء الشعب المسلم.

٢ - استنزاف الطاقات المالية.

٣ - تدمير البنية التحتية للدولة.

٤ - تفكك المجتمع.

٥ - تدمير الصناعات النفطية حيث إن تواجد القوات العسكرية الصليبية والأمريكية في دول الخليج الإسلامي براً وجواً وبحراً هو الخطر الأعظم والضرر الأضخم الذي يهدد أكبر احتياطي بترولي في العالم، حيث أن هذا التواجد يستفز أهل البلاد ويعتدي على دينهم

ومشاعرهم وعزتهم، وقد دفعهم نحو الجهاد المسلح ضد الغزاة المحتلين، وإن انتشار القتال في تلك الأماكن يعرض البترول لمخاطر الاحتراق مما يؤدي للإضرار بالمصالح الاقتصادية لدول الخليج ولبلاد الحرمين بل وأضرار جسيمة للاقتصاد العالمي.

ونقف هنا وقفة ونهيب بإخواننا أبناء الشعب المجاهدين بأن يحافظوا على هذه الثروة، وبأن لا يقحموها في المعركة لكونها ثروة إسلامية عظمى وقوة اقتصادية كبرى هامة لدولة الإسلام القادمة بإذن الله، كما نحذر وبشدة الولايات المتحدة الأمريكية المعتدية من إحراق هذه الثروة الإسلامية في نهاية الحرب خوفاً من سقوط هذه الثروة في أيدي أصحابها الشرعيين وإضراراً منها بمنافسيها الاقتصاديين في أوروبا والشرق الأقصى، وبخاصة اليابان الذي يعتبر المستهلك الرئيسي لبترول المنطقة.

٦ – تقسيم بلاد الحرمين واستيلاء إسرائيل على الجزء الشمالي منها حيث إن تقسيم بلاد الحرمين يعتبر مطلباً ملحاً للتحالف اليهودي الصليبي؛ لأن وجود دولة بهذا الحجم وهذه الطاقات تحت حكم إسلامي صحيح قادم بإذن الله يمثل خطورة على الكيان اليهودي في فلسطين، حيث إن بلاد الحرمين تمثل رمزاً لوحدة العالم الإسلامي نظراً لوجود الكعبة المشرفة قبلة المسلمين أجمعين، وكذلك فإن بلاد الحرمين تمثل قوة اقتصادية هامة في العالم الإسلامي؛ لوجود أكبر احتياطي بترول في العالم فيها، كما أن أبناء الحرمين يرتبطون بسيرة أجدادهم من الصحابة رضوان الله عليهم ويعتبرونها قدوة لهم ومثلاً في إعادة مجد الأمة، وإعلاء كلمة الله من جديد، بالإضافة إلى وجود عمق استراتيجي ومدد بكثافة بشرية مقاتلة في سبيل الله في اليمن السعيد، وقد قال ﷺ: ((يخرج من عدن أبين اثنا عشر ألفا ينصرون الله ورسوله، هم خير من بيني وبينهم)) [رواه أحمد بسند صحيح]. مما يسبب خطورة على تواجد التحالف اليهودي الصليبي في المنطقة.

٧ – وإن أي قتال داخلي مهما تكن مبرراته مع وجود قوات الاحتلال الأمريكي يشكل خطأ كبيراً، حيث إن هذه القوات ستعمل على حسم المعركة لصالح الكفر العالمي.

إخواننا في القوات المسلحة والحرس الوطني والأمن حفظكم الله ذخراً للإسلام والمسلمين[١]:

يا حماة التوحيد وحراس العقيدة، يا خلف أولئك السلف الذين حملوا نور الهداية ونشرَوهُ على العالمين، يا أحفاد سعد بن أبي وقاص والمثنى بن حارثة الشيباني والقعقاع بن عمرو التميمي، ومن جاهد معهم من الصحابة الأخيار.. لقد تسابقتم للانضمام إلى الجيش والحرس رغبة في الجهاد في سبيل الله (لتكون كلمة الله هي العليا)، ولتذودوا عن حياض الإسلام وبلاد الحرمين ضد الغزاة والمحتلين وذلك ذروة سنام الدين، إلا أن النظام قلب الموازين، وعكس المفاهيم، وأذل الأمة وعصى الملة، ففي الوقت الذي لم تسترجع الأمة بعد قبلتها الأولى، ومسرى نبيها عليه الصلاة والسلام بعد الوعود التي قطعها الحكام منذ ما يقرب من نصف قرن باسترجاعها حتى ذهب ذلك الجيل، وجاء جيل جديد تبدلت معه الوعود وسُلِمَ الأقصى لليهود، ولا زالت جراحات الأمة تنزف دماً هناك منذ ذلك الوقت، رغم هذا كله، إذ بالنظام السعودي يفجع الأمة بما تبقى لها من مقدسات مكة المكرمة والمسجد النبوي بأن جلب نساء جيوش النصارى للدفاع عنه، وأباح بلاد الحرمين للصليبيين – ولا عجب في ذلك بعد أن لبس الملك الصليب – وفتحها بطولها وعرضها لهم، فامتلأت بقواعد جيوش أمريكا وحلفائها؛ لأنه أصبح عاجزاً أن يقف بدون مساعدتهم، وأنتم أعلم الناس بهذا التواجد وحجمه وأهدافه وخطورته، فخان بذلك الأمة، ووالى الكفار وناصرهم وظاهرهم على المسلمين.

---

[١] هذا نداء قديم للشيخ أسامة يستحث فيه نخوة هؤلاء العسكر لنصرة دين الله قبل أن تنكشف لهم حقيقة دولتهم (آل سعود)، أما وهم الآن ممن يحمي الأمريكان ويذود عنهم ويدافع عنهم وينصر الطواغيت الشرقيين منهم الغربيين الأصليين منهم والمرتدين؛ فقد قرر الشيخ في كذا شريط وكذا بيان أن من يناصر هؤلاء الكفار ولو بكلمة فهو كافر مرتد حلال الدم والمال، وقد بُحثت المسألة كما قدمنا في حاشية سابقة والله المستعان.

ولا يخفى أن ذلك معدود في نواقض الإسلام العشرة، وقد خالف بإباحته الجزيرة العربية للصليبيين الوصية التي أوصى بها رسول الله ﷺ أمته وهو على فراش الموت حيث قال: ((أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)) [رواه البخاري]. وقد قال أيضاً: ((لئن عشت إن شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب)) [صحيح الجامع الصغير].

وإن الادعاء بأن تواجد القوات الصليبية على أرض الحرمين ضرورة ملحة ومسألة مؤقتة للدفاع عنها قضية قد تجاوزها الزمن، وخاصة بعد تدمير العراق تدميراً وحشياً أصاب البنية العسكرية والمدنية، وأظهر مدى الحقد الصليبي اليهودي على المسلمين وأطفالهم، وبعد الإصرار على عدم استبدال تلك القوات الصليبية بقوات إسلامية من أبناء البلاد وغيرهم.

ثم إن هذا الادعاء أزيل من أساسه وهدمت أركانه بعد التصريحات المتتالية لأئمة الكفر في أمريكا، وكان آخرها تصريح وزير الدفاع الأمريكي وليام بيري بعد انفجار الخبر للجنود الأمريكيين هناك بأن وجودهم في بلاد الحرمين إنما هو لحماية المصالح الأمريكية.

وقد ألف الشيخ سفر الحوالي – فرج الله عنه [1]– كتاباً من سبعين صفحة، ساق فيه الأدلة والبراهين على أن تواجد الأمريكيين في الجزيرة العربية هو احتلال عسكري مخطط له من قبل.

وإن هذا الادعاء هو خدعة أخرى يريد النظام أن تنطلي على المسلمين كما انطلت خدعته الأولى على المجاهدين الفلسطينيين وكانت سبباً في ذهاب المسجد الأقصى، وذلك أنه لما هب الشعب المسلم في فلسطين في جهاده الكبير ضد الاحتلال البريطاني عام ١٣٥٤هـ الموافق لعام ١٩٣٦ م، عجزت بريطانيا أن تقف أمام المجاهدين أو أن توقف

---

[1] ها هو الشيخ لا ينسى أن يذِّكر بقضية علماء الإسلام في الوقت الذي خذلوه واتهموه ورموه بكل الأوصاف السيئة وإن كان ذلك بإسلوب ذكي قد يضحكون به على السذج والمغفلين من شباب الإسلام والله المستعان.

جهادهم، ثم أوحى إليهم شيطانهم أنه لا سبيل إلى إيقاف الجهاد المسلح في فلسطين إلا بواسطة الملك عبد العزيز والذي في استطاعته خداع المجاهدين، وقد قام الملك عبد العزيز بمهمته تلك حيث أرسل ابنيه فالتقيا مع قادة المجاهدين في فلسطين وأبلغاهم بتعهد الملك عبد العزيز بضمان وعود الحكومة البريطانية بأنها ستخرج إذا أوقفوا الجهاد وستلبي مطالبهم، وهكذا تسبب الملك عبد العزيز في ضياع القبلة الأولى للمسلمين، ووالى النصارى ضد المسلمين، وخذل المجاهدين بدلاً من تبني قضية المسجد الأقصى، ونصرة المجاهدين في سبيل الله لتحريره.

واليوم يحاول ابنه الملك فهد أن تنطلي الخدعة الثانية على المسلمين، ليذهب ما تبقى لنا من مقدسات، فكذب على العلماء الذين أفتوا بدخول الأمريكان، وكذلك على الجمع العظيم من علماء وقيادات العالم الإسلامي في مؤتمر الرابطة في مكة المكرمة بعد أن استنكر العالم الإسلامي دخول القوات الصليبية بلاد الحرمين بحجة الدفاع عنها، حيث قال لهم إن الأمر يسير، وأن القوات الأمريكية وقوات التحالف سوف تخرج بعد بضعة أشهر، وها نحن اليوم ندخل في السنة السابعة بعد مجيئهم [١]، والنظام عاجز عن إخراجهم، ولا يريد أن يعترف لشعبه بعجزه، فاستمر يكذب على الناس، ويدعي أن الأمريكيين سيخرجون، وهيهات هيهات، فإن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، والسعيد من اتعظ بغيره.

وبدلاً من أن يدفع النظام الجيش والحرس ورجال الأمن لمواجهة المحتلين، جعلهم حماة لهم، إمعاناً في الإذلال ومبالغة في الإهانة والخيانة ولا حول ولا قوة إلا الله.

ونذكر أولئك النفر القليل من الجيش والشرطة والحرس والأمن الذين يستزلهم النظام، ويضغط عليهم ليعتدوا على حقوق المسلمين ودمائهم بقوله تعالى في الحديث القدسي: ((من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)) [رواه البخاري]، وقوله ﷺ: ((يجيء الرجل آخذاً بيد

---

[١] واليوم وصلنا للسنة الثالثة عشرة ولا زالوا يسرحون ويمرحون على أرض محمد ﷺ، ولكن جند الإسلام قادمون وللبلاد مطّهرين وللكافرين مخرجين بحول الله وقوته.

الرجل، فيقول: يا رب هذا قتلني، فيقول الله له: لم قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لك، فيقول: فإنها لي، ويجيء الرجلُ آخذاً بيد الرجل، فيقول: أي ربِ إن هذا قتلني، فيقول الله: لم قتلته؟ فيقول: لتكون العزة لفلان، فيقول: إنها ليست لفلان، فيبوء بإثم)) [رواه النسائي بسند صحيح]، وفي لفظ عن النسائي أيضاً: ((يجيء المقتول يوم القيامة متعلقاً بقاتله، فيقول الله، فيمَ قتلت هذا؟ فيقول: في ملك فلان)).

واليوم قد بدأ إخوانكم وأبناؤكم من أبناء الحرمين الجهاد في سبيل الله لإخراج العدو المحتل من بلاد الحرمين، ولا شك أنكم ترغبون في القيام بهذه المهمة لإعادة العزة للأمة وتحرير مقدساتها المحتلة، غير أنه لا يخفى عليكم أن المرحلة تستدعي اتباع أساليب قتالية مناسبة نظراً لعدم التوازن بين قواتنا النظامية المسلحة وقوات العدو، وذلك بواسطة قوات خفيفة سريعة الحركة، تعمل في سرية تامة، وبعبارة أخرى شن حرب عصابات يشارك فيها أبناء الشعب من غير القوات المسلحة.

وتعلمون أنه من الحكمة في هذه المرحلة تجنيب قوات الجيش المسلحة الدخول في قتال تقليدي مع قوات العدو الصليبي، ويستثنى من ذلك العمليات القوية الجريئة التي يقوم بها أفراد من القوات المسلحة بصورة فردية، أي بدون تحريك قوات نظامية بتشكيلاتها التقليدية، بحيث لا تنعكس ردود الأفعال بشكل قوي على الجيش ما لم تكن هناك مصلحة كبيرة راجحة، ونكاية عظيمة فادحة في العدو، تحطم أركانه وتزلزل بنيانه، وتعين على إخراجه مهزوماً مدحوراً مقهوراً، مع الحذر الشديد من أن تسفك في ذلك دماء مسلمة.

والذي يرجوه إخوانكم وأبناؤكم المجاهدون منكم في هذه المرحلة هو تقديم كل عون ممكن من المعلومات والمواد والأسلحة اللازمة لعملهم، ويرجون من رجال الأمن خاصة التستر عليهم، وتخذيل العدو عنهم، والإرجاف في صفوفه، وكل ما من شأنه إعانة المجاهدين على العدو المحتل.

وننبهكم إلى أن النظام قد يلجأ إلى افتعال أعمال ضد أفراد القوات المسلحة أو الحرس أو الأمن، ويحاول نسبتها للمجاهدين؛ للوقيعة بينهم وبينكم، فينبغي تفويت هذه الفرصة عليه.

وفي الوقت الذي نعلم أن النظام يتحمل المسؤولية كاملة في ما أصاب البلاد وأرهق العباد، إلا أن أساس الداء ورأس البلاء هو العدو الأمريكي المحتل، فينبغي تركيز الجهود على قتله وقتاله وتدميره ودحره والتربص به والترصد له حتى يهزم بإذن الله تعالى.

وستأتي المرحلة – بإذن الله – التي تقومون فيها بدوركم بحسم الأمور لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، والضرب بيد من حديد على المعتدين، وإعادة الأمور إلى نصابها، والحقوق إلى أصحابها، والقيام بواجبكم الإسلامي الصحيح، وسوف يكون لنا حديث مستقل بإذن الله حول هذه القضايا.

أخي المسلم في كل مكان، وفي جزيرة العرب خاصة: إن الأموال التي تدفعها ثمناً للبضائع الأمريكية تتحول إلى رصاصات في صدور إخواننا في فلسطين، وغداً في صدور أبناء بلاد الحرمين.

إننا بشراء بضائعهم نقوي اقتصادهم، بينما نزداد نحن فقراً وضنكاً.

أخي المسلم في بلاد الحرمين: هل يُعقل أن تكون بلادنا أكبر مُشتري للسلاح في العالم من أمريكا، كما أنها أكبر شريك تجاري للأمريكان في المنطقة، الذين يحتلون بلاد الحرمين، ويساندون بالمال والسلاح والرجال إخوانهم اليهود في احتلال فلسطين، وقتل وتشريد المسلمين هناك؟!.

إن حرمان هؤلاء المحتلين من العوائد الضخمة لتجارتهم معنا، إنما هو مساعدة هامة جداً في الجهاد ضدهم، وهو تعبير معنوي هام في إظهار غضبنا عليهم وكرهنا لهم، ونكون بذلك

قد ساهمنا في تطهير مقدساتنا من اليهود والنصارى، وأرغمناهم على مغادرة أراضينا مهزومين مدحورين، مخذولين بإذن الله.

وننتظر من النساء في بلاد الحرمين وغيرها أن يقمن بدورهن في ذلك بمقاطعة البضائع الأمريكية.

وإذا تضافرت المقاطعة الاقتصادية مع الضربات العسكرية للمجاهدين، فإن هزيمة العدو تكون قريبة بإذن الله، والعكس صحيح، فإذا لم يتعاون المسلمون مع إخوانهم المجاهدين ويشدوا من أزرهم بقطع التعامل الاقتصادي مع العدو الأمريكي، فإنهم بذلك يدفعون إليه بالأموال التي هي عماد الحرب وحياة الجيوش، وبذلك يطول أمد الحرب، وتشتد الوطأة على المسلمين.

إن كل أجهزة الأمن والاستخبارات في العالم لا يمكنها أن ترغم مواطناً على شراء بضائع أعدائه.

فالمقاطعة الاقتصادية لبضائع العدو الأمريكي هي سلاح فعال للغاية لإضعاف العدو والإضرار به، ومع ذلك فهو سلاح لا يقع تحت طائلة أجهزة القمع.

وقبل الختام لنا حديث هام، وهامٌ جداً مع شباب الإسلام، رجال المستقبل المشرق لأمة محمد عليه الصلاة والسلام، حديثنا مع الشباب عن واجبهم في هذه المرحلة العصيبة من تاريخ أمتنا، هذه المرحلة التي لم يتقدم فيها لأداء الواجبات في جميع الاتجاهات إلا الشباب حفظهم الله، فبعد أن تردد بعض الذين يشار إليهم بالبنان عن أداء الواجب للذود عن الإسلام، ولإنقاذ أنفسهم وأموالهم من الظلم والبغي والقمع والإرهاب الذي تمارسه الدولة، مع استخدام الإعلام لتغييب وعي الأمة، تقدم الشباب حفظهم الله لرفع راية الجهاد عالية خفاقة ضد التحالف الأمريكي اليهودي الذي احتل مقدسات الإسلام – في الوقت الذي تقدم غيرهم؛ نتيجة لإرهاب الدولة لهم، أو من زلت أقدامهم طمعاً في دنيا فانية، تقدموا

ليضفوا الشرعية على هذه الخيانة العظمى والمصيبة الكبرى على احتلال بلاد الحرمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله -.

ولا غرو ولا عجب من هذا الإقدام، وهل كان أصحاب محمد ﷺ إلا شباباً، وهؤلاء الشباب هم خير خلف لخير سلف، وهل قتل فرعون هذه الأمة أبا جهل إلا الشباب؟.

يقول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: إني لفي الصف يوم بدر، إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فَتَيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عم، أرني أبا جهل، فقلت: فما تصنع به؟ قال: أُخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، قال: والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، قال: وغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه، قال: فابتدراه بسيفيهما، فضرباه حتى قتلاه.

الله أكبر.. هكذا كانت همم الفتيان رضي الله عنهم، وهكذا كانت همم آبائنا، فهذان فَتَيان صغيرا السن كبيرا الهمة والجرأة والعقل والغيرة على دين الله، يسأل كل واحد منهما عن أهم مقتل للعدو ألا وهو قتل فرعون هذه الأمة وقائد المشركين في بدر أبي جهل، وكان دور عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه هو دلالتهما على أبي جهل، وهذا هو الدور المطلوب من أهل المعرفة والخبرة بمقاتل العدو، بأن يرشدوا أبناءهم وإخوانهم إليها، وبعد ذلك سيقول الشباب كما قال سلفهم: "والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا".

وفي قصة عبد الرحمن بن عوف مع أمية بن خلف يظهر مدى إصرار بلال رضي الله عنه على قتل رأس الكفر، حيث قال: "رأس الكفر أمية بن خلف.. لا نجوت إن نجا".

وقبل أيام.. نقلت وكالات الأنباء تصريحاً لوزير الدفاع الأمريكي الصليبي المحتل، قال فيه إنه تعلم درساً واحداً من انفجاري الرياض والخبر، وهذا الدرس هو عدم الانسحاب أمام الإرهابيين الجبناء.

فنقول لوزير الدفاع إن هذا الكلام يضحك الثكلى التي مات وحيدها، وظاهر منه حجم الخوف الذي يعتريكم، فأين هذه الشجاعة الزائفة في بيروت بعد حوادث التفجير عام ١٤٠٣هـ الموافق لعام ١٩٨٣ م والتي جعلتكم شذر مذر وقطعاً وأشلاءً بمقتل ٢٤١ جندياً أغلبهم من المارينز، وأين هذه الشجاعة الزائفة في عدن بعد حادثي انفجار جعلاكم تخرجون لا تلوون على شيء في أقل من أربع وعشرين ساعة.

ولكن فضيحتكم الكبرى كانت في الصومال، فبعد ضجيج إعلامي عنيف لعدة أشهر عن قوة أمريكا بعد الحرب الباردة، وتزعمها للنظام العالمي الجديد، دفعتم بعشرات الألوف من القوات الدولية منها ثمانية وعشرون ألف جندي أمريكي إلى الصومال.

ولكن بعد معارك صغيرة، قُتل فيها بضع عشرات من جنودكم، وسُحل طيار أمريكي في أحد شوارع مقديشو، خرجتم منها مهزومين مدحورين تحملون قتلاكم، وتجرون أذيال الخيبة والخسران والهوان، ولقد ظهر كلينتون أمام العالم يتهدد ويتوعد بأنه سينتقم، بينما كان ذلك التهديد تمهيداً للانسحاب، وقد أخزاكم الله وانسحبتم، وظهر جلياً مدى عجزكم وضعفكم، ولقد كان منظركم وأنتم تنهزمون في هذه المدن الإسلامية الثلاث (بيروت، وعدن ومقديشو) يدخل السرور على قلب كل مسلم، ويشفي صدور قومٍ مؤمنين.

وأقول: لئن كان أبناء بلاد الحرمين قد خرجوا لقتال الروس في أفغانستان والصرب في البوسنة والهرسك، وهم يجاهدون اليوم في الشيشان وقد فتح الله عليهم ونصرهم على الروس المتحالفين معكم، ويقاتلون بفضل الله أيضاً في طاجكستان..

أقول: لئن كان أبناء الحرمين عندهم شعور وإيمان بضرورة الجهاد ضد الكفر في كل مكان، فهم أكثر ما يكونون عدداً وقوة وحماسة على أرضهم التي ولدوا عليها للدفاع عن أعظم مقدساتهم – الكعبة المشرفة، قبلة المسلمين أجمعين – ويعلمون أن المسلمين في العالم أجمع سينصرونهم ويؤازرونهم في قضيتهم الكبرى، قضية كل المسلمين، ألا وهي تحرير مقدساتهم، وأن هذا هو واجب كل مسلم في العالم.

وأقول لك يا وليام: إن هؤلاء الشباب يحبون الموت كما تحبون الحياة، وقد ورثوا العزة والإباء والشجاعة والكرم والصدق والإقدام والتضحية كابراً عن كابر، وإنهم لصبرٌ في الحرب صدقٌ عند اللقاء، وقد ورثوا هذه الصفات عن أجدادهم في الجاهلية وجاء الإسلام فأقر تلك الأخلاق وكمّلها، كما قال رسول الله ﷺ: ((إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق)) [صحيح الجامع الصغير].

وعندما أراد الملك عمرو بن هند أن يذلّ عمرو بن كلثوم أخذ عمرو بن كلثوم السيف وقطع رأس الملك، رافضاً للذل والهوان والضيم، وأنشد قصيدة منها:

إذا ما المَلْكُ سَامَ الناسَ خسفاً ... أبينا أن نُقِرَّ الذلَ فينا
بأي مشيئة عمرو بنَ هندٍ ... تريدُ بأن نكون الأرذلينا
بأي مشيئة عمرو بنَ هندٍ ... تطيعُ بنا الوُشَاةَ وتزدْرينا
فإن قناتنا يا عمرو أعيت ... على الأعداء قبلك أن تلينا

هؤلاء الشباب يؤمنون بالجنة بعد الموت، ويؤمنون بأن الأجل لا يقدمه إقدامهم على القتال ولا يؤخره تأخرهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً..﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ويؤمنون بحديث رسول الله ﷺ: ((يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله

لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلام وجفت الصحف)) [صحيح الجامع الصغير].

ويتمثلون قول الشاعر:

إذا لم يكن من الموت بدٌ فمن العجز أن تموت جباناً

وقول الآخر:

من لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحدُ

هؤلاء الشباب يؤمنون بما أخبر الله به ورسوله ﷺ عن عظيم أجر المجاهد والشهيد، حيث يقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤ - ٦]، ويقول تعالى أيضاً: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

ويقول رسول الله ﷺ: ((إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماءِ والأرض)) [صحيح الجامع الصغير]، ويقول أيضاً: ((أفضل الشهداء الذين إن يلقوا في الصف لا يلفتون وجوههم حتى يُقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العلا من الجنة، ويضحك إليهم ربك، وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه)) [أخرجه أحمد بسند صحيح]، ويقول أيضاً: ((الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم مسّ القرصة)) [صحيح الجامع الصغير]، ويقول أيضاً: ((إن للشهيد عند الله خصالاً: أن يُغفر له من أول دفعة من دمه، ويُرى مقعده من الجنة، ويُحلى حلية الإيمان، ويُزوج من الحور العين، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويُزوج اثنتين وسبعين من الحور العين، ويُشفع في سبعين إنساناً من أقاربه)) [أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح].

هؤلاء الشباب يعلمون أن أجرهم في قتالكم مضاعف عن أجرهم في قتال غيركم من غير أهل الكتاب، ولا همّ لهم إلا دخول الجنة بقتلكم، لا يجتمع الكافر وقاتلُه في النار.

وهم يرددون ويرتلون قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤]، وقول رسول الله ﷺ وهو يحرض المسلمين في بدر ((والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة))، وقوله لهم بعد ذلك: ((قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض))، وهم يرتلون أيضاً قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ...﴾ [محمد: ٤].

وهؤلاء الشباب لا يحبون الكلام معكم، والعتاب لكم، لسان كل واحد منهم يقول لكم:

ليس بيني وبينكم من عتاب سوى طعن الكلى وضرب الرقابِ

وهم يقولون لك ما قال جدهم أمير المؤمنين هارون الرشيد لجدك نقفور عندما تهدد وتوعد المسلمين في رسالته إلى هارون الرشيد، فرد عليه هارون الرشيد برسالته التي جاء فيها: (من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، الجواب ما ترى لا ما تسمع)، ثم سار بجيوش الإسلام إلى ملاقاة نقفور وجيشه، فهزم الله نقفور هزيمة منكرة.

فهؤلاء الشباب الذين تقول عنهم إنهم جبناء، يقولون لك: (لا يُقَعْقَعُ لنا بالشِّنان ولا يُلَوَّحُ لنا بالسِّنان، والجواب ما ترى لا ما تسمع).

فهم يتنافسون على قتلكم وقتالكم، كتنافس الأوس والخزرج في قتال المشركين، وقد قال أحدهم:

جيش الصليب غدا هباءً يوم فجرنا الخُبَر

بشبابِ إسلامٍ كُمَاة لا يهابون الخطر

إن قِيلَ يقتلكَ الطُغاةُ يقول في قتلي ظَفَرْ

أنا ما غدرت بذا المليكِ إذ بقبلتنا غَدَرْ

وأباحَ ذا البلدَ الحرامَ لِشَرِ أنجاسِ البشر

أقسمت بالله العظيم بأن أقاتلَ من كَفَر

وهم قد حملوا السلاح على أكتافهم عشر سنوات في أفغانستان، وهم قد عاهدوا الله على أن يستمروا في حمله ضدكم حتى تخرجوا خائبين مهزومين مدحورين – بإذن الله – ما دام فيهم عرق ينبض أو عين تطرف، ولسان حالهم يقول:

غداً ستعلم يا وليام أي فتىً يلقى أخاك الذي قد غرَّه العصبُ
فتىً يخوض غمار الحرب مبتسماً وينثني وسنان الرمح مُختضبُ
لا أبعد الله عن عيني غطارفةً إنساً إذا نزلوا جناً إذا ركبوا
ليوثُ غابٍ لكن لا نيوبَ لهم إلا الأسنة والهندية القضبُ
والخيل تشهد لي أني أكفكفها والطعن مثل شرار النار يلتهبُ
والنقع يوم طراد الخيل يشهد لي والطعن والضرب والأقلام والكتبُ

وإن شتمك أحفاد الصحابة رضي الله عنهم بوصفهم بالجبن، وتحديك لهم بعدم الخروج من بلاد الحرمين، فيه عدم اتزان، وتظاهر بالجنون دواؤه عند شباب الإسلام، حيث يُقال فيهم:

فدت نفسي وما ملكت يميني فوارس صدَّقوا فيهم ظنوني
فوارس لا يملون المنايا وإن دارت رحى الحرب الزَبُونِ
وإن حمي الوطيس فلا يبالوا وداوَوْا بالجنونِ من الجنونِ

وإن إرهابنا لكم وأنتم تحملون السلاح على أرضنا هو أمر واجب شرعاً ومطلوب عقلاً، وهو حق مشروع في أعراف جميع البشر، بل والكائنات الحية، ومثلكم ومثلنا كمثل أفعى دخلت دار رجل فقتلها، وإن الجبان من يترككم تمشون على أرضه بسلاحكم آمنين مطمئنين.

وهؤلاء الشباب يختلفون عن جنودكم، فمشكلتكم هي كيفية إقناع جنودكم بالإقدام إلى الحرب، أما مشكلتنا فهي كيفية إقناع شبابنا بانتظار دورهم في العمليات والقتال.

فلله درُ هؤلاء الشباب، فهم أهلٌ للمدح والثناء، حيث وقفوا لنصرة الدين يوم أضلت الدولة كبار الناس، واستزلتهم لإصدار فتاوى ليس لها سندٌ في كتاب الله، ولا في سنة نبيه ﷺ بتسليم اليهود المسجد الأقصى وإباحة بلاد الحرمين لجيوش النصارى، وإن ليَّ أعناق النصوص لن يغير من هذه الحقيقة شيئاً، ففيهم – أي في ذم القاعدين – وفي مدح المجاهدين يقول الشاعر:

كفرت بكل من عذلوا وعن درب الهدى عدلوا

ومن بِنَديّهم والنار تزحف يكثر الجـــدلُ

ومن بالوهم رغم التِيه ظنوا أنهم وصلوا

وأكبرتُ الذين مضوا وعما شقّ ما سألوا

وعن غاياتهم رغم اعتساف الدرب ما نكلوا

ومن دمهم أُضيئت في دياجي الحَيْرَةِ الشُّعَلُ

أنا ما زال جرح القدس في جنبيّ يعتملُ

ووقد مُصابها كالنار في الأحشاء يشتعلُ

أنا ما خنتُ عهد اللهِ لما خانت الدول

وقد قال جدهم عاصم بن ثابت رضي الله عنه عندما طلب منه الكفار المفاوضة وعدم القتال:

ما علَّتِي وأنا جَلْدٌ نابلُ والقوس فيها وَتَرٌ عنابلُ
الموت حقٌ والحياةُ باطلُ إن لم أقاتلكم فأمي هابلُ

وإن الشباب يعتبرونكم مسؤولين عن كل ما يقوم به إخوانكم اليهود في فلسطين ولبنان من قتل وتشريد وانتهاك لحرمات المسلمين، حيث إنكم تمدونهم بالمال والسلاح جهاراً نهاراً، وإن أطفال العراق والذين قد مات منهم أكثر من ستمائة ألف [١] بسبب نقص الغذاء والدواء نتيجة حصاركم الظالم على العراق وشعبه هم أطفالنا، فأنتم تتحملون بذلك مع النظام السعودي دماء هفؤلاء الأبرياء، كل ذلك يجعل كل عهد لكم معنا منقوضاً، فإن رسول الله عليه الصلاة والسلام اعتبر صلح الحديبية لاغياً بعد أن ساعدت قريش بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ، فقاتل قريشاً وفتح مكة، وقد اعتُبِر العهد مع بني قينقاع منقوضاً؛ لأن يهودياً منهم آذى امرأة في السوق، فكيف بقتلكم مئات الألوف من المسلمين، واستباحتكم لمقدساتهم!

وبذلك يظهر أن الذين يزعمون أن دماء جنود هذا العدو الأمريكي المحتل لبلاد المسلمين معصومة، إنما يرددون مُكرهين ما يمليه النظام عليهم خوفاً من بطشه وطمعاً في السلامة، والواجب على كل قبيلة في جزيرة العرب أن تجاهد في سبيل الله وتطهر أرضها من هؤلاء المحتلين.

وعَلِمَ الله أن دماءهم مهدورة، وأموالهم غنيمة، ومن قتل قتيلاً فله سَلَبُه.

---

[١] قد وصل العدد في إحصائية قبل حرب العراق الأخيرة إلى مليون وسبعمائة واثنين وثلاثين ألفاً ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد قال تعالى في آية السيف: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ...﴾ [التوبة: ٥].

والشباب يعلمون أن هذه المهانة التي لحقت بالمسلمين باحتلال مقدساتهم لا تزول ولا تدك بغير الجهاد والمتفجرات، وهم يرددون قول الشاعر:

جُدُرُ المذلة لا تُدَك بغير زخات الرصاصِ

والحر لا يُلْقِي القيادَ لكل كَفَّارٍ وعاصي

وبغير نَضْحِ الدم لا يُمْحَى الهوانُ من النواصي

وأقول لشباب العالم الإسلامي الذين جاهدوا في أفغانستان والبوسنة والهرسك بأموالهم وأنفسهم وألسنتهم وأقلامهم، بأن المعركة لم تنتهِ بعد، وأذكرهم بحديث جبريل مع رسول الله ﷺ بعد غزوة الأحزاب (فلما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة لم يكن إلا أن وضع سلاحه، فجاءه جبريل، فقال: أوضعت السلاح؟ والله إن الملائكة لم تضع أسلحتها بعد، فانهض بمن معك إلى بني قريظة، فإني سائرٌ أمامك أُزلزلُ بهم حصونهم، وأقذف في قلوبهم الرعب، فسار جبريل في موكبه من الملائكة ورسول الله ﷺ على أثره في موكبه من المهاجرين والأنصار...) [رواه البخاري].

وهؤلاء الشباب يعلمون أن من لم يُقتلَ يموت، وإن أشرف ميتة عندنا هي القتل في سبيل الله، ويرددون قول جدهم الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وخاصة بعد ما قُتل الأبطال الأربعة الذين فجروا الأمريكيين في الرياض، أولئك الشباب الذين رفعوا رأس الأمة شامخاً، وأذلوا أعداءها من الأمريكيين المحتلين بعمليتهم الشجاعة تلك:

يا نفسُ إلا تُقْتَلي تموتي ... هَذي حِيَاضُ الموتِ قد صُلِيْتِ

وما تمنيت فقد أُعطِيتِ ... إن تفعلي فعلهما هُديتِ

وقول جعفر رضي الله عنه:

يا حبذا الجنة واقترابها طيّبةٌ وباردٌ شرابها
والرومُ رومٌ قد دنا عذابها عليّ إن لاقيتها ضِرَابُهَا

وأما عن أمهاتنا وأخواتنا ونسائنا وبناتنا، فهن يتخذن من الصحابيات الجليلات رضي الله عنهن قدوة لهن بعد رسول الله ﷺ، ويقتبسن من سيرتهن الجرأة والتضحية والإنفاق لنصرة دين الله عز وجل، ويتذكرن جرأة وصلابة فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها في الحق أمام أخيها عمر بن الخطاب قبل أن يسلم، وتحديها له بعدما علم بإسلامها بقولها له: (أرأيت إن كان الحق في غير دينك يا عمر)، ويتذكرن موقف أسماء بنت أبي بكر يوم الهجرة، حيث شقت نطاقها نصفين وعلقت بأحدهما السفرة التي أخذها رسول الله ﷺ وأبو بكر معهما في رحلتهما إلى المدينة، وسميت بذلك ذات النطاقين، ويتذكرن موقف نسيبة بنت كعب وهي تدافع عن رسول الله ﷺ يوم أُحد حتى أصابها اثنا عشر جرحاً بينها جرحٌ أجوفٌ في عاتقها، ويتذكرن بذل الصحابيات وإنفاقهن لحليهن لتجهيز جيوش المسلمين الغازية في سبيل الله، وقد ضربت نساؤنا في هذا العصر مثلاً رائعاً في الإنفاق في سبيل الله، وفي تحريض أبنائهن وإخوانهن وأزواجهن على الجهاد في سبيل الله، وذلك في أفغانستان، وفي البوسنة والهرسك، والشيشان وغيرها.

فنسأل الله أن يتقبل منهن ويفرج عن أبنائهن وآبائهن وأزواجهن وإخوانهن، وأن يزيدهن إيماناً ويثبتهن على هذا الطريق، طريق التضحية والفداء لتكون كلمة الله هي العليا.

وإن نساءنا لا يرثين إلا الرجال المقاتلين في سبيل الله، كما قيل:

ولا تَرْثِيْنَ إلا لَيثَ غَاب شجاعاً في الحروب الثائراتِ
دعوني في الحروبِ أمت عزيزاً فموت العز خيرٌ من حياتي

وهن يحرضن إخوانهن على الجهاد في سبيل الله متمثلات قول الشاعر:

تَأَهَّبْ مثل أُهْبةَ ذي كفاح ... فإن الأمر جَلَّ عن التَلاح
دعوني في الحروبِ أمت عزيزاً ... فموت العز خيرٌ من حياتي
أتتركنا وقد كَثرت علينا ... ذئاب الكفر تأكل من جناحي
ذئاب الكفر ما فتئَت تُؤَلِّبْ ... بني الأشرار من شتَّى البِطاح
فأين الحر من أبناء ديني ... يذود عن الحَرائر بالسلاح
وخير من حياة الذل موتٌ ... وبعض العار لا يمحوه ماحِ

إخواننا المسلمين في العالم أجمع: إن إخوانكم في بلاد الحرمين وفلسطين يستنصرونكم، ويطلبون منكم مشاركتهم في جهادهم ضد أعدائهم وأعدائكم من الإسرائيليين والأمريكيين بالنكاية فيهم بكل ما من شأنه أن يخرجهم مهزومين مدحورين من المقدسات الإسلامية، كلٌ بحسب استطاعته، قال تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

فيا خيل الله اركبي، وهذا أوان الشد فاشتدوا، اعلموا أن اجتماعكم وتعاونكم من أجل تحرير مقدسات الإسلام هو خطوة صحيحة نحو توحيد كلمة الأمة تحت راية كلمة التوحيد.

ولا يسعنا ونحن في هذا المقام إلا أن نرفع أكف الضراعة، سائلين المولى عز وجل أن يرزقنا السداد والتوفيق في الأمر كله.

اللهم إن علماء الإسلام الصادقين وشباب الأمة الصالحين قد وقعوا في الأسر، اللهم فرج عنهم، اللهم ثبتهم، اللهم اخلفهم في أهلهم بخير..

اللهم إن أهل الصليب قد جاؤوا بخيلهم ورجلهم، واستباحوا بلاد الحرمين، وإن اليهود يعيثون فساداً في المسجد الأقصى مسرى رسول الله ﷺ اللهم شتت شملهم، وفرق جمعهم، وامنحنا اللهم أكتافهم، اللهم زلزل الأرض من تحت أقدامهم، اللهم إنّا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم أرنا فيهم يوماً أسوداً، اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك..

اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم..

اللهم أنت عضدنا، وأنت نصيرنا، بك نجول، وبك نصول، وبك نقاتل، حسبنا الله ونعم الوكيل..

اللهم هؤلاء الشباب قد اجتمعوا لنصرة دينك ورفع رايتك، اللهم أمدهم بمدد من عندك واربط على قلوبهم..

اللهم ثبت شباب الإسلام، وسدد رميهم، اللهم ألف بين قلوب المسلمين، ووحد بين صفوفهم، ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يُعز فيه أهل طاعتك، ويُذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، ويُنهى فيه عن المنكر.

وصلِ اللهم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٥ - لقاء مع قناة الجزيرة عام ٩٨:

نص مقابلة جمال إسماعيل مراسل الجزيرة سابقاً مع الشيخ أسامة بن لادن:

يقول جمال إسماعيل: في مكان ما من جبال ولاية هلمند الجنوبية في أفغانستان نرحب بضيفنا الشيخ أسامة بن محمد بن لادن، فأهلاً ومرحباً به.

سؤال:

أولاً وفي البداية نسأل من هو أسامة بن لادن وماذا يريد؟

الشيخ أسامة:

الحمد لله، أسامة بن محمد بن عوض بن لادن، من الله علي أن ولدت من أبوين مسلمين، في جزيرة العرب في الرياض في حي الملز عام ١٣٧٧ هجرية، ثم من الله علينا أن ذهبنا إلى المدينة بعد الولادة بستة أشهر، ومكثت بقية عمري بعد ذلك في الحجاز بين مكة والمدينة وجدة.

أبي الشيخ محمد بن عوض بن لادن من مواليد حضرموت، ذهب للعمل في الحجاز منذ أكثر من سبعين سنة، ثم فتح الله عليه بأن شرف بما لم يشرف به أحد من البنائين وهو بناء المسجد الحرام الذي فيه الكعبة المشرفة، ثم قام ببناء المسجد النبوي في المدينة المنورة، ثم لما علم أن الحكومة الأردنية قد أنزلت مناقصة لترميم قبة الصخرة، جمع المهندسين وطلب منهم أن يضعوا سعر التكلفة بدون أرباح.

فقالوا له نحن نضمن الربح مع سعر التكلفة، فقام رحمه الله بتخفيض سعر التكلفة حتى يضمن رسو المناقصة عليه، فكان أن رسا عليه العطاء.

وكان من فضل الله عليه أنه كان يصلي أحياناً في المساجد الثلاثة في يوم واحد.

ولا يخفى أنه كان أحد المؤسسين للبنية التحتية في المملكة العربية السعودية، وبعد ذلك درست في الحجاز ودرست الاقتصاد في جامعة جدة أو ما يسمى بجامعة الملك عبد العزيز، وعملت مبكراً في الطرق في شركة الوالد عليه رحمة الله، رغم أن الوالد توفي وكان عمري عشر سنوات.

هذا باختصار عن أسامة بن لادن. أما ماذا يريد؟

الذي نريده ونطالب به هو حق لأي كائن حي، نحن نطالب بأن تحرر أرضنا من الأعداء وأن تحرر أرضنا من الأمريكان، فهذه الكائنات الحية قد زودها الله سبحانه وتعالى بغيرة فطرية، ترفض أن يدخل عليها داخل.

فهذه أعزكم الله الدواجن، لو أن الدجاج دخل عليها مسلح عسكري يريد أن يعتدي على بيتها فهي تقاتله وهي دجاجة، فنحن نطالب بحق لجميع الكائنات الحية، فضلاً عن الكائنات الإنسانية البشرية، فضلاً عن المسلمين.

الذي حصل على بلاد المسلمين من اعتداء خاصة على المقدسات المسجد الأقصى حيث قبلة النبي ﷺ الأولى، ثم استمر العدوان من التحالف اليهودي الصليبي الذي تتزعمه أمريكا وإسرائيل، حتى أخذوا بلاد الحرمين ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فنحن نسعى لتحريض الأمة كي تقوم بتحرير أرضها، والجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى لتحكم الشرع وتكون كلمة الله هي العليا.

سؤال:

حدث مؤخراً هجوم مشترك أمريكي بريطاني على العراق. أولاً كيف تقيمون مثل هذا الهجوم؟ وثانياً ردود الفعل التي صدرت حتى الآن الإسلامية والعربية لم تكن كما يقال بمستوى هذا الهجوم أو بمستوى ما يتطلع إليه شعب العراق من الرد على هذا الهجوم، ما موقفكم من هذا؟؟

الشيخ أسامة:

الحمد لله. الهجوم الأخير الذي حصل قبل أيام على العراق، قادته أمريكا وبريطانيا، أكد معاني كثيرة خطيرة ومهمة، ونحن لن نتحدث هنا عن الخسائر المادية والبشرية ومن قتل من إخواننا المسلمين من الشعب العراقي، وإنما نتحدث عن دلائل هذا الهجوم..

العراق تتهمه أمريكا بأنه استخدم الغازات السامة ضد شعبه وضد الأكراد، وتتهمه أمريكا باستخدام أسلحة فتاكة ضد إيران، ولكن الملفت للنظر الذي ينبغي أن يتوقف الناس عنده، أن أمريكا لم تتحدث عنه في تلك المرحلة بهذا الكلام، بل كانت تؤيده وتدعمه عبر وسطاء لها وعملاء في المنطقة، ولكن لما أصبح العراق قوة يعمل لها حساب في المنطقة، وأصبح أكبر قوة عربية في المنطقة تهدد الأمن اليهودي والأمن الإسرائيلي المحتل لمسرى نبينا عليه الصلاة والسلام، من هنا بدأت تنبش هذه الأشياء، وتدعي أنها تحاسب عليها وتقول: صحيح أن هناك أسلحة فتاكة وأسلحة دمار شامل في إسرائيل، ولكن إسرائيل لا تستخدمها، إنما العراق استخدمها! هذا الكلام مردود.

أمريكا هي التي تمتلك هذا السلاح وهي التي ضربت شعوباً في أقصى المشرق في ناجازاكي وهيروشيما، بعد أن استسلمت اليابان وبدأت الحرب العالمية تنتهي، مع ذلك أصرت أمريكا على ضرب الشعوب عن بكرة أبيها، بأطفالهم ونسائهم وشيوخهم وكبارهم.

الحقيقة هنا ينبغي أن نستشعر أن أي هجوم اليوم على أي دولة في العالم الإسلامي إنما المهاجم الحقيقي هو إسرائيل، ولكن خشية أن يستيقظ الناس وتبدأ حركات شعبية ضخمة تسقط الأنظمة العميلة التي تواطأت من أجل كراسيها عن نصرة الإسلام والمسلمين، وقد قطع مشاعر هذه الشعوب إلى حد بالنسبة لأمريكا، فاستطاع اليهود أن يوجهوا النصارى من أمريكان وبريطانيين من قيام بالواجب في ضرب العراق، وتدعي أمريكا أنها تحاسبه وتحاكمه، ولكن الصواب أن السلطة الإسرائيلية السلطة اليهودية التي تنفذت داخل البيت الأبيض كما هو أصبح واضحاً على الملأ، وزير الدفاع يهودي، وزيرة الخارجية الأمريكية يهودية، مسؤولو سي أي إيه والأمن القومي، كبار المسؤولين يهود.

إنهم ساقوا النصارى لقصقصة أجنحة العالم الإسلامي، والمستهدف في الحقيقة هو ليس صدام حسين، وإنما المستهدف هو القوة الناشئة في العالم الإسلامي والعربي، سواء ضربوا الشعب العراقي أو كما فعلوا من قبل في محاصرة ليبيا، أو عندما ضربوا مصنع الشفاء في السودان وهو مصنع أدوية.

مسألة أخرى من دلالات هذا الحدث الظاهر، أكدت بشكل واضح جلي ينبغي للمسلمين وكل عاقل بعده ألا يذهب إلى الأمم المتحدة، أما المسلمون فشرعاً لا يجوز أن يتحاكموا إلى هذه الأنظمة الكفرية الوضعية، ولكن نقول عن العقلاء من غير المسلمين ألا يذهبوا، فهذه كوريا الشمالية، هل يوجد عاقل ولو كان كافراً يذهب إلى القاضي في هذه المحافل؟!

إن كان الحكم علينا ضربنا ضرباً شديداً موجعاً تحت ما يسمى زوراً وبهتاناً بالشرعية الدولية، وإن كان الحق لنا تستخدم أمريكا حق الفيتو. فلا يذهب إلى هناك عاقل ولو كان كافراً.

والذين يكثرون الحديث عن الأمم المتحدة وقرارات الأمم المتحدة فربما هم لا يفهمون دينهم أو هم يريدون أن يخذلوا أو يخدروا الأمة بتعليق آمالهم على سراب، وأوهام ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سؤال:

هذا الهجوم الأمريكي البريطاني على العراق هل ترون أنه يزيد من شعبية وتأييد الجماعات المعادية لأمريكا؟ أم أنه سيعمل على إرهابها وإخضاعها وجعلها تخشى أن تقوم بأي عمل من الأعمال العسكرية وغيرها من الأعمال ضد الولايات المتحدة ومصالحها؟

الشيخ أسامة:

الحمد لله. الذي ينبني على ما سبق وهذا السؤال هو آن الأوان للشعوب المسلمة أن تدرك بعد هذه الهجمات أن دول المنطقة هي دول ليست ذات سيادة، فأعداؤنا يسرحون ويمرحون في بقاعنا وفي أراضينا وفي أجوائنا، يضربون دون أن يستأذنوا أحداً وخاصة في هذه المرة.

لم تستطع أمريكا وبريطانيا أن يحشدوا معهم أحداً في هذه المؤامرة الفاضحة المكشوفة، ولم يعد هناك في أيديهم القدرة.

الأنظمة الموجودة إنما هي متآمرة متواطئة، وفقدت القدرة على القيام بأي عمل ضد هذا الاحتلال السافر.

فينبغي على المسلمين وبخاصة أهل الحل والعقد، وأهل الرأي من العلماء الصادقين والتجار المخلصين وشيوخ القبائل أن يهاجروا في سبيل الله ويجدوا لهم مكاناً يرفعوا فيه راية الجهاد، ويعبؤوا الأمة للمحافظة على دينهم ودنياهم، وإلا سيذهب عليهم كل شيء.

فإذا لم يعتبروا مما أصاب إخواننا في فلسطين بعد أن كان الشعب الفلسطيني مشهوراً بنشاطه وزراعته التي يصدرها، وحمضياته وصناعة الصابون والنسيج، أصبح ذلك الشعب وهم إخواننا مشردين مطرودين في كل أرض، وأصبحوا في الأخير أجراء عند اليهودي المستعمر، من شاؤوا أدخلوه ومن شاؤوا منعوه بأزهد الأسعار.

فهذا الأمر خطير، وإذا لم نتحرك وقد اعتدي على البيت العتيق وعلى قبلة ألف ومائتي مليون مسلم فمتى نتحرك؟! هذا أمر عجيب ينبغي السعي فيه.

أما من يظن أن هذا الضرب يرغم الحركات الإسلامية فهو واهم..

فنحن كمسلمين نعتقد أن الآجال معلومة محدودة، لا تتقدم ولا تتأخر منذ أن كنا في بطون أمهاتنا، وأما الأرزاق فهي بيد الله سبحانه وتعالى، وهذه الأنفس الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقها، والأموال هو الذي رزقها ثم اشتراها بالجنة فعلام يتأخر الناس عن نصرة الدين؟!

سؤال:

بعد الهجوم الأمريكي البريطاني هل تتوقعون أن يكون هناك هجوم مماثل على أفغانستان، خاصة أن وزير الدفاع الأمريكي وليم كوهين صرح بعد الهجوم على أفغانستان في الصيف الماضي أن هذا الهجوم ليس نهاية المطاف في الحرب ضد الإرهاب كما يسمونها، وأن واشنطن قد تشن هجمات صاروخية جديدة على أفغانستان لإيوائها جماعات تتهمها الإدارة الأمريكية بالإرهاب؟

الشيخ أسامة:

إذا علمنا الأصل، وأن هناك حملة مستمرة للحروب الصليبية اليهودية على الإسلام، فإن من الطبيعي جداً أن نتوقع ضربات أخرى على كل من يرفع راية الإسلام، فإن أمريكا

واليهود يسعون لضربه، وإن كان هناك عجز وقصور في تطبيق الشريعة عند بعض الدول التي رفعت هذه الراية.

لكن مجرد التوجه نحو السعي لتطبيق الشريعة فهذا كاف لاستجلاب القصف واستجلاب الضرب.

فماذا فعلت السودان حتى يضرب أكبر مصنع للدواء فيها؟!

ولا يخفى عليكم أن المصنع كان ينتج دواء الملاريا بنسبة كبيرة، والملاريا داء منتشر في السودان وضحاياه بعشرات الآلاف سنويا، لا لشيء إلا لأن السودان كان قد أعلن أنه يريد تطبيق الشريعة، وهو لم يكمل بعد ما نواه ومع ذلك قصف.

وأما طالبان فبفضل الله سبحانه وتعالى عليهم هداهم الله إلى السداد والصواب، وأنقذوا جهاد أمة كادت أن تضيعه أمريكا بما يسمى بالحكومات الموسعة والعريضة بدعمها لحكومة نجيب وغيره.

فنتوقع أن يضرب أي كيان يدافع عن الإسلام، وبالتالي نتوقع أن يضرب طالبان، إلا أنه من الممكن أن يعجل من هذا الضرب إذا تورط الرئيس الأمريكي كلينتون في جريمة أخلاقية أخرى، فيمكن أن يعجل، وأصبح العالم الإسلامي وبلاد المسلمين وشعوب الأمة، كأنما هي إزار يستر عورات هؤلاء المجرمين وهذه الفضائح.

سؤال:

بعد الهجوم الأمريكي الأول على أفغانستان في الصيف الماضي ورد في وكالات الأنباء أو في تصريحات لكم أو لأنصاركم أنكم سترددون على هذا الهجوم، لكن إلى الآن لم يقع أي رد ولم نسمع بأي رد. ترى في حال حصول هجوم أمريكي جديد على أفغانستان هل نتوقع أن نسمع رد فعل عملي وماذا سيكون هذا الرد؟

الشيخ أسامة:

نحن واجبنا والذي قمنا به هو أن نحرض الأمة على الجهاد في سبيل الله، ضد أمريكا وضد إسرائيل وضد أعداء الله، ومازلنا في هذا الخط نحرض الناس.

وما حصل بفضل الله سبحانه وتعالى من تحرك شعبي في هذه الشهور الأخيرة يبشر في الاتجاه الصحيح لإخراج الأمريكان من بلاد المسلمين.

نحن ونظراً للظروف التي تحيط بنا، وعدم القدرة على الحركة خارج أفغانستان لمزاولة أعمالنا ما تيسر لنا، لكن بفضل الله نحن شكلنا مع عدد كبير من إخواننا الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين، ونعتقد أن كثيراً من هؤلاء أمورهم تسير بشكل جيد، ولديهم حركة واسعة نرجو الله أن يفتح عليهم في المستقبل في نصرة الدين والانتقام من اليهود والنصارى وأمريكا.

سؤال:

هذه الجبهة الإسلامية العالمية مضى على تشكيلها قرابة سبعة أشهر أو ثمانية أشهر، وحتى الآن لم يسمع لها أي صوت غير البيان الذي أشرتم إليه أو المؤتمر الصحفي الذي عقدتموه في مدينة خوست في الصيف الماضي، هل تعتبر هذه الجبهة مجمدة عملياً الآن؟

الشيخ أسامة:

هي غير مجمدة، وأفرادها من جنسيات مختلفة متعددة جداً، وعندهم نشاط واسع في الحركة، وليس بالضرورة أن يعلنوا عن أي عمل قاموا به، مع العلم أن هذه الأشهر لا تعتبر كبيرة في سبيل إنهاض الأمة ومقاومة أكبر عدو في العالم.

سؤال:

الولايات المتحدة حذرت رعاياها في دول الخليج وفي المنطقة بشكل عام من عمليات ستقومون بها أنتم وأنصاركم خاصة في شهر رمضان الحالي. أولاً ما مدى جدية مثل هذه التحذيرات بالنسبة للرعايا الأمريكان، وهل تستهدفون الرعايا الأمريكان بشكل عام أم القوات الأمريكية المتواجدة في الخليج وفي بعض المناطق الإسلامية الأخرى؟

الشيخ أسامة:

سمعت هذا الخبر قبل أيام في الإذاعات، وهو مبشر على نهوض الأمة بفضل الله سبحانه وتعالى. ولكن ما مدى جدية هذه التهديدات، إذا عرفت من يهدد لاستطعت أن أقول، لكن إلى الآن لم أعرف من هو الذي قام بهذا الجهد المبارك، لكن نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقهم ويفتح عليهم، وأن يمنحهم رقاب الأمريكان وغيرهم.

ولكن عن الفتوى السابقة لدينا تقسيم مختلف عما يدعيه الكفار، وإن كانوا هم يدعون دعاوى يمشون بخلافها.

نحن نفرق بين الرجل وبين المرأة والطفل والشيخ الهرم، أما الرجل فهو مقاتل سواء حمل السلاح أو أعان على قتالنا بدفعه الضرائب وجمعه المعلومات فهو مقاتل، أما ما ينشر بين المسلمين من أن أسامة يهدد بقتل المدنيين، فهم ماذا يقتلون؟!

في فلسطين يقتلون الأطفال وليس المدنيين فقط، بل الأطفال، فأمريكا استأثرت بالجانب الإعلامي وتمكنت بقوة إعلامية ضخمة، وهي تكيل بمكيالين مختلفين في أوقات حسبما يناسبها.

فالمستهدف حسب ما ييسر الله للمسلمين، كل رجل أمريكي هو عدو سواء كان من الذين يقاتلوننا قتالاً مباشراً أو من الذين يدفعون الضرائب، ولعلكم سمعتم هذه الأيام أن نسبة الذين يؤيدون كلينتون في ضرب العراق تقريباً ثلاثة أرباع الشعب الأمريكي!

فشعب ترتفع أسهم رئيسه عندما يقتل الأبرياء، شعب عندما يقترف رئيسه الفواحش العظيمة والكبائر تزيد شعبية هذا الرئيس؛ شعب منحط لا يعرف معنى للقيم أبدا.

سؤال:

البنتاغون الأمريكي نشر تقارير عن صحتكم وذكر أن هذه التقارير منسوبة لجهات باكستانية واستخبارية تفيد بأنكم تعانون من مرض عضال وأنكم قد لا تعمرون سوى خمسة أو ستة أشهر حسب هذه التقارير، أولاً ما مدى صحة هذه التقارير؟، ثانياً ما الهدف من نشرها في هذه الظروف وبعد نشر التحذيرات للرعايا الأمريكان من إمكانية قيامكم بعمليات أنتم وأنصاركم؟

الشيخ أسامة:

أما من ناحية الصحة فلله الحمد والمنة نشكره دائماً، وأنا أتمتع بصحة جيدة جداً بفضل الله، وكما ترى فنحن هنا في الجبال نتحمل هذا البرد القارس، ونتحمل في الصيف حرارة المنطقة، وبفضل الله ما زالت هوايتي المفضلة ركوب الخيل، وإلى الآن بفضل الله أستطيع أن

أسير على الخيل مسافة سبعين كيلومتراً دون توقف بفضل الله سبحانه وتعالى، فهذه إشاعات مغرضة لعل الغرض منها محاولة التثبيط لمعنويات المسلمين المتعاطفين معنا، ولعل الغرض منها تهدئة روع الأمريكان من أسامة، وأنه لا يمكن أن يفعل شيئا.

لكن الأمر ليس متعلق بأسامة، هذه الأمة من ألف ومائتين مليون مسلم لا يمكن قطعاً حتماً أن تدع بيت الله العتيق لهؤلاء المجرمين من اليهود والنصارى، فالأمة بإذن الله متواصلة ونحن مطمئنون أنهم سيواصلون الجهاد والضرب المؤلم للأمريكان وأعوانهم بإذن الله.

سؤال:

في العشرين من شهر أغسطس الماضي عندما وقع القصف الأمريكي على أفغانستان قيل إنكم كنتم تحضرون اجتماعاً في منطقة خوست التي تعرضت للقصف الصاروخي الأمريكي وأن هذا القصف الصاروخي تم توقيته بحيث تكونون في الاجتماع، أولاً هل كنتم في ذلك الاجتماع وهل كان هناك اجتماع أصلاً؟.

والمسألة الأخرى: قيل أن رسالة وصلتكم من دولة مجاورة (يقصد بها باكستان) تطلب منكم الخروج من ذلك المكان مباشرة، لاحتمال تعرضه للقصف. ما مدى علاقتكم بباكستان؟ وكيف تقيمون موقفها منكم، وهل تظنون أن باكستان يمكن أن تتعاون مع الولايات المتحدة في توجيه ضربة لكم؟

الشيخ أسامة:

الحمد لله. المعلومات التي كانت عند الأمريكان ظاهر بفضل الله أنها كانت معلومات خاطئة، لم أكن في خوست أصلاً ولا حتى في كل الولاية، لم أكن موجوداً فيها أصلاً، بل كنت على بعد بضع مئات من الكيلو مترات من هذا المكان.

وأما ما قيل عن معلومات وصلتنا، فنحن بفضل الله سبحانه وتعالى وجدنا شعبا متعاطفاً معطاء في باكستان فاق جميع حساباتنا بتعاطفه معنا، ونرجو الله أن يتقبل منه، وتصلنا

معلومات من أحبائنا ومن أنصار الجهاد في سبيل الله ضد الأمريكان، الشعب والناس في باكستان أعطوا معياراً واضحاً لمدى البغض والكره للغطرسة الأمريكية على العالم الإسلامي.

وأما ما ذكرتم بالنسبة لباكستان فهناك أجنحة متعاطفة مع الإسلام ومتعاطفة مع الجهاد في سبيل الله، وهناك أجنحة (قليلة هي بفضل الله) ولكن مع الأسف ما زالت تتعامل مع أعداء الأمة من هؤلاء الأمريكان.

سؤال:

تقصدون على الصعيد الرسمي؟

الشيخ أسامة:

أقصد الحكومة، نعم أجنحة داخل الحكومة.

سؤال:

ذكرتم قبل قليل كلاماً عن مصنع الدواء السوداني الذي تعرض أيضاً للقصف الأمريكي في نفس اليوم، الولايات المتحدة الأمريكية تتهمكم بأنكم على علاقة تمويل بهذا المصنع وأنكم كنتم ترغبون في استخدامه لإنتاج أسلحة كيماوية أو بيولوجية لاستخدامها ضد مصالح ورعايا أمريكان. هل لكم أي علاقة تمويل مباشرة أو غير مباشرة بهذا المصنع؟

الشيخ أسامة:

كما ذكرنا الأحداث الأخيرة سواء قصف أفغانستان أو قصف السودان أو العراق أو تهديد ليبيا بالقصف، كل هذا يظهر أن الذي يحكم العالم اليوم هو شريعة الغاب، شريعة صاروخ كروز، والقصف عن بعد من قبل هؤلاء الجبناء.

فجميع من له أدنى معرفة وأدنى عقل يعرف أن مصنع الدواء في السودان كان مصنع دواء، وإلا لمات من أهل الخرطوم عشرات الآلاف.

أنا ليس لي صلة به ولا أعرف المالك الذي يسمى إدريس، ليس هناك معرفة سابقة، ولكن الثابت أن أمريكا تفعل ما تشاء وتريد من الناس أن تقتنع بجبروتها.

سؤال:

نشر في بعض الصحف العربية والأجنبية أيضاً مواضيع حول سعيكم لامتلاك سلاح نووي أو كيماوي أو بيولوجي، وخاصة عن طريق بعض التجار من وسط آسيا أو بقية دول الاتحاد السوفيتي السابق، خاصة وأن الإدارة الأمريكية في سجل الاتهامات الذي اتهمتكم به والبالغ حوالي ٢٣٥ اتهاماً سجلت هذه الاتهامات وأنكم تسعون جادين لامتلاك مثل هذه الأسلحة؟

الشيخ أسامة:

نحن كما ذكرت نطالب بحقوقنا، نطالب بإخراج الأمريكان من العالم الإسلامي وعدم سيطرتهم عليه، ونعتقد أن هذا حق الدفاع عن النفس هو حق لكل البشر، ففي وقت تخزن إسرائيل فيه المئات من الرؤوس النووية والقنابل النووية، ويسيطر فيه الغرب الصليبي على هذا السلاح بنسبة كبيرة، لا تعتبر هذه تهمة بل هو حق ولا نقبل من أحد أن يوجه تهمة لنا.

يعني كما تتهم رجلاً كيف يكون فارساً شجاعاً مقاتلاً، تقول له لماذا أنت كذلك؟!

فلا يتهمه بذلك إلا رجل مختل غير عاقل.

وإنما هذا حق، ونحن أيدنا وهنأنا الشعب الباكستاني عندما فتح الله عليهم وامتلكوا هذا السلاح النووي، نعتبر هذا من حقوقنا وحقوق المسلمين، ولا نلتفت لمثل هذه التهم من قبل أمريكا.

سؤال:

هل يعني هذا تأكيداً للاتهامات من أنكم تسعون للحصول على السلاح؟

الشيخ أسامة:

هذا ليس تهمة، هذا واجب على المسلمين أن يملكوه، وأمريكا تعلم اليوم أن المسلمين يملكون هذا السلاح بفضل الله سبحانه وتعالى.

سؤال:

الاتهامات التي وجهتها لكم الإدارة الأمريكية المتعلقة بقضايا كما يقولون بدعم الإرهاب ودعم جماعات إرهابية وغيرها، هل أنتم على استعداد لمواجهة مثل هذه الاتهامات والمحاكمة في دول أخرى أو في محكمة محايدة؟

الشيخ أسامة:

هناك طرفان في الصراع، الصليبية العالمية والمتحالفة مع الصهيونية اليهودية والتي تتزعمها أمريكا وبريطانيا وإسرائيل، والطرف الآخر هو العالم الإسلامي، فمن غير المقبول في مثل هذا الصراع أن يعتدي ويدخل على أرضي وممتلكاتي ومقدساتي وينهب بترول المسلمين، ثم عندما يجد أي مقاومة من المسلمين يقول إن هؤلاء إرهابيون! هذا يعني حماقة أو أنهم يستحمقون الآخرين.

نحن نعتقد أن من واجبنا شرعاً أن نقاوم هذا الاحتلال بكل ما أوتينا من قوة، ونعاقبه بنفس الطريقة التي هو يستخدمها ضدنا.

سؤال:

لكن حكومة طالبان أعلنت أنها مستعدة أو أنها ستسعى لمحاكمتكم في حال وجود أو ورود أي أدلة قطعية من أي دولة أو أي جهة حول الاتهامات التي وجهت لكم من هذه الدول. هل تقبلون بمحاكمة وفق القوانين التي تطبقها طالبان ووفق الشريعة الإسلامية؟

الشيخ أسامة:

نحن خرجنا من بلادنا جهاداً في سبيل الله سبحانه وتعالى، وقد من الله سبحانه وتعالى علينا بهذه الهجرة المباركة، رغبة في السعي لتحكيم الشريعة والتحاكم إلى الشريعة فهذا مطلبنا، ونحن خرجنا من أجله، فأي محكمة شرعية تطبق الشريعة الإسلامية بعيداً عن الضغوط التي يمارسها أهل الأهواء هو هدفنا ونحن مستعدون في أي وقت لأي محكمة شرعية، يقف فيها المدعي والمدعى عليه، أما إذا كان المدعي هو الولايات المتحدة الأمريكية فنحن في نفس الوقت ندعي عليها بأشياء كثيرة، وبعجائب الأمور التي اقترفتها في بلاد المسلمين.

لكن الأمريكان قاتلهم الله عندما طلبوني من الطلبة رفضوا التحاكم إلى شريعة الله، وقالوا نحن نطلب شيئاً واحداً أن تسلموا أسامة بن لادن فقط.. يتعاملون مع الناس كأنهم عبيد أو غلمان لكبريائهم، نرجو الله أن يذلهم.

سؤال:

التفجيرات التي حدثت ضد السفارات الأمريكية في شرق إفريقيا في نيروبي ودار السلام في الصيف الماضي تأخر ردكم في الإعلان عنها، كما أن هناك اتهامات وجهت لكم حتى من خلال الاعترافات التي نشرت عن طريق بعض الصحف الباكستانية والعالمية والمنسوبة لمحمد صادق هويدا الذي اعتقل في باكستان وسلم للولايات المتحدة الأمريكية والسلطات الكينية، ادعى هو عليكم أنكم أنتم أعطيتموه أوامر وأنكم أنتم طلبتم منه تنفيذ هذه التفجيرات، ما حقيقة موقفكم من هذه التفجيرات وما علاقتكم بمحمد صادق هويدا؟

الشيخ أسامة:

السؤال طويل.. المهم هنا بالنسبة للتفجيرات في شرق إفريقيا أنها بفضل الله سبحانه وتعالى أدخلت السرور على المسلمين في العالم الإسلامي، والمتابع للصحافة أو الإعلام العالمي وجد مدى تعاطف العالم الإسلامي لضرب الأمريكان، وإن كان هناك من أسفوا لمقتل بعض الأبرياء من أهل تلك البلاد، لكن الواضح هو الموجة العارمة من الفرح والسرور التي عمت العالم الإسلامي، لأنهم يعتقدون أن اليهود وأمريكا قد بالغوا في التعسف وفي احتقار المسلمين، وعجزت الشعوب عن أن تحرك الدول الإسلامية لأن تدافع عنها أو أن تثأر لدينها.

فلذلك هذه الأفعال هي ردود أفعال شعبية بحتة من شباب قدموا رؤوسهم على أكفهم يبتغون رضوان الله سبحانه وتعالى، أنا أنظر بإجلال كبير واحترام إلى هؤلاء الرجال العظام على أنهم رفعوا الهوان عن جبين أمتنا، سواء الذين فجروا في الرياض أو تفجيرات الخبر أو تفجيرات شرق إفريقيا وما شابه ذلك، أو إلى إخواننا الأشبال في فلسطين الذين يلقنون اليهود دروساً عظيمة في كيف يكون الإيمان وكيف تكون عزة المؤمن.

ولكن للأسف بعد تلك العمليات الجريئة في فلسطين، اجتمع الكفر العالمي، والمحزن أن يجتمعوا على أرض الكنانة في مصر، وجاؤوا بعملائهم من حكام المنطقة من حكام العرب

بعد أن ضحكوا على الأمة أكثر من نصف قرن، وكلما اجتمع ملك مع رئيس قالوا اجتمعوا من أجل قضية فلسطين، وبعد مرور نصف قرن أضحت الصورة الجلية أنهم جاؤوا لا لينصروا المجاهدين، وإنما جاؤوا ليدينوا أولئك الأشبال الذين قتل آباؤهم وقتل إخوانهم وسجنوا وعذبوا واضطهدوا وهم يدافعون عن دينهم يريدون أن يجلوا الكفار منها.

فكما يقال من المعضلات توضيح الواضحات، فلا أدري ماذا ينتظر الناس بعد هذه العمالة الواضحة البينة، والاستفزاز الذي يمارسه حكام العرب لصالح اليهود وأمريكا؟!.

سؤال:

لكن الولايات المتحدة تقول إنها على قناعة ولديها أدلة على تورطكم بهذه العمليات، وحتى الآن لم تكشف هي عن هذه الأدلة، غير أنه في التحقيقات يقال إن شخصاً كان من جماعتكم أو من أنصاركم اعترف للمخابرات الأمريكية بأشياء كثيرة عن تنظيمكم وعن علاقتكم بالعمليات حتى عن تفجير مبنى التجارة الدولي في نيويورك؟

الشيخ أسامة:

ادعاءات أمريكا كثيرة، ولكنها على افتراض صحتها لا تعنينا في شيء.. هؤلاء يقاتلون ويقاومون الكفر العالمي، فما الذي يغضب أمريكا عندما تعتدي على الناس والناس يقاومونها؟!

لكن ادعاءاتها مع ذلك أيضاً باطلة، إلا إذا قصدت أن لي صلة بتحريضهم فهذا واضح، وأعترف به في كل وقت وحين، أتى كثير من الناس بفضل الله كان منهم الإخوة الذين نحسبهم شهداء، الأخ عبد العزيز المعثم الذي قتل في الرياض ولا حول ولا قوة إلا بالله، والأخ مصلح شمراني، والأخ رياض الهاجري، نرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبلهم جميعاً والأخ خالد السعيد، فهؤلاء اعترفوا أثناء التحقيقات أنهم تأثروا ببعض الإصدارات والبيانات

التي ذكرناها للناس ونقلنا فيها فتاوى أهل العلم بوجوب الجهاد ضد هؤلاء الأمريكان المحتلين، فكما ذكرت من قبل ما الخطأ في أن تقاوم المعتدي عليك؟!

جميع الملل هذا جزء من كيانها، هؤلاء البوذيون، هؤلاء الكوريون الشماليون والفيتناميون قاتلوا الأمريكان..

هذا حق مشروع، فبأي حق الإعلام العربي والإسلامي يطارد المجاهدين الذين اقتدوا بسيد الأنام عليه الصلاة والسلام الذي جاء في الصحيح عنه: ((والذي نفس محمد بيده، لوددت لو أغزو فاقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل)) فهذه أمنية لنا أن نجاهد في سبيل الله.

وقد ذكرت من قبل مع بعض الجهات الإعلامية الغربية أنه شرف عظيم فاتنا أن لم نكن قد ساهمنا في قتل الأمريكان في الرياض، نعم فهذه التهم باطلة جملة وتفصيلاً، إلا إذا قصدت بالصلة التحريض، فهذا صحيح أنا حرضت الأمة على الجهاد، نعم وكثير من إخواننا ومن علماء المسلمين حرضوا على الجهاد.

سؤال:

محمد صادق هويدا ادعى أنه تدرب في معسكراتكم وأنه كان على علاقة شخصية بكم، ما مدى صحة ادعاءاته والأقوال المنسوبة له في بعض وسائل الإعلام؟

الشيخ أسامة:

الذي أعرفه أنه في معسكرات الجهاد في أفغانستان أن من الله علينا بأن ساهمنا في فتحها أيام الجهاد ضد الاتحاد السوفيتي، وقد تدرب في تلك المعسكرات أكثر من خمسة عشر ألف شاب بفضل الله سبحانه وتعالى، معظمهم من بلاد العرب وبعضهم من إخواننا من العالم الإسلامي.

فأما ما يقال إنني كلفته بالقيام بهذا التفجير فإني أعتقد جازماً أن هذا وهم، ومغالطة ترتكبها الحكومة الأمريكية وليس عندها أي دليل، وعلى افتراض أن الأخ هويدا قال هذا الكلام فيكون تحت التعذيب وأخذت منه اعترافات بالقوة، كما لا يخفى أساليب التعذيب في باكستان أو في شرق إفريقيا أو المخابرات الأمريكية.

سؤال:

لكن أيضاً محمد صادق هويدا ادعى عليكم أيضاً أنكم أعطيتم أوامر باغتيال الشيخ عبد الله عزام في بيشاور في العام ١٩٨٩، وأنه كان هناك صراع على قيادة العرب أو الأفغان العرب كما يسمونهم أي المجاهدون العرب في أفغانستان، ما مدى صحة هذه الادعاءات وما موقفكم منها، وكيف يمكن أن تصفوا علاقتكم بالشيخ عبد الله عزام لحين قتله؟

الشيخ أسامة:

الشيخ عبد الله عليه رحمة الله هو رجل بأمة، أظهر بوضوح بعد أن اغتيل رحمه الله مدى العقم الذي أصاب نساء المسلمين من عدم إنجاب رجل مثل الشيخ عبد الله رحمه الله، فأهل الجهاد الذين جاؤوا وعاشوا تلك المرحلة يعلمون أن الجهاد الإسلامي في أفغانستان لم يستفد من أحد كما استفاد من الشيخ عبد الله عزام، حيث أنه حرض الأمة من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب على الجهاد.

الشيخ عبد الله عزام في فترة من ذلك الجهاد المبارك زاد نشاطه مع إخواننا المجاهدين في فلسطين وبالذات حماس، وبدأت كتب الشيخ تدخل داخل فلسطين لتحريض الأمة على الجهاد وخاصة كتاب آيات الرحمن، وبدأ الشيخ ينطلق من الجو الذي ألفه الإسلاميون من جو المساجد والقوقعة الضيقة والإقليمية من داخل مدينته وانفتح لتحرير العالم الإسلامي، فعند ذلك وكنا وإياه في مركب واحد كما لا يخفى عليكم مع أخينا وائل جليدان، فعملت مؤامرة لاغتيال الجميع وكنا نحرص كثيراً على ألا نخرج مع بعضنا، وكنت دائماً أطلب من الشيخ عليه رحمة الله، أن يبقى بعيداً عن بيشاور في (معسكر صدى) نظراً لزيادة المؤامرات

وخاصة بعد أن اكتشفنا في مسجد سبع الليل قبل أسبوعين أو أسبوع من اغتيال الشيخ قنبلة.

واليهود كانوا أكثر المتضررين من تحرك الشيخ عبد الله، فالمعتقد أن إسرائيل مع بعض عملائها من العرب هم الذين قاموا باغتيال الشيخ عبد الله، أما هذه التهمة نعتقد أنها من تقولات اليهود والأمريكان وبعض عملائهم، وهي أدنى من أن يرد عليها، ولا يعقل للإنسان أن يقطع رأسه، ومن عاش الساحة يعلم مدى الصلة القوية بيني وبين الشيخ عبد الله عزام رحمه الله، وهذه ترهات يذكرها بعض الناس ولا أساس لها من الصحة.

ولم يكن هناك تنافس، فالشيخ عبد الله عزام عليه رحمة الله كان يجاهد في باب الدعوة والتحريض، ونحن كنا في جبال بكتيا في الداخل، وهو يرسل لنا الشباب ونأخذ بتوجيهاته وبما يأمرنا به عليه رحمة الله.

ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبله شهيداً وابنيه محمد وإبراهيم وأن يعوض الأمة بمن يقوم بالواجب الذي كان يقوم به.

سؤال:

بعد القصف الصاروخي الأمريكي على أفغانستان أمر الرئيس الأمريكي بيل كلينتون بحرب اقتصادية أو مالية ضدكم وضد المؤسسات المالية والتجارية التي تديرونها، أو تتعاملون معها، وقيل إن مرحلة تجفيف الينابيع والمصادر المالية بدأت ضدكم. هذا الأمر ألا يمكن أن يضع مواردكم المالية في أضيق حدودها، ويمكن أن يسبب لكم متاعب مالية ويسبب انفضاض أنصاركم عنكم في المرحلة القادمة؟

الشيخ أسامة:

الحرب سجال يوم لنا ويوم علينا، أمريكا مارست ضغوطاً شديدة جداً على نشاطاتنا منذ وقت مبكر، وأثر ذلك علينا وقد استجابت بعض الدول التي لنا فيها أملاك وأموال

وأمرتنا بالكف عن العداء لأمريكا، ولكن اعتقادنا أن هذا واجب علينا، وهو تحريض الأمة فاستمرينا في التحريض وبفضل الله سبحانه وتعالى واصلنا، ونحن الآن لنا بضع سنين.

الضغط الأمريكي لم يبدأ في الحقيقة مع القصف الأخير، ولكن بعض الدول العربية مارست علينا ضغوطاً اقتصادية ومنعتنا من حقوقنا وضيقت علينا ومنعت حتى أهلنا أن يدفعوا إلينا أموالنا، وهم في ذلك يقتدون بعبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين ويقتدون بالمنافقين الذين قال الله سبحانه وتعالى فيهم: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴾، فعاقبهم الله سبحانه وتعالى الآن وهم يعيشون في تضييق أشد من تضييقهم علينا.

وأما نحن فكما صح عن رسول الله ﷺ: ((من بات آمناً في سربه، معافى في بدنه، حائزاً قوت يومه؛ فقد جمعت له الدنيا بحذافيرها))، فوالله الذي لا إله إلا هو نشعر أن الدنيا بحذافيرها معنا والمال ظل زائل، لكننا نخاطب المسلمين أن يبذلوا أموالهم في الجهاد ومع الحركات الجهادية خاصة التي تفرغت لقتال اليهود والصليبيين.

سؤال:

أعلنتم الدعوة للجهاد ضد اليهود وضد الأمريكان في فبراير من عام ١٩٩٨ في الفتوى التي صدرت في تلك الفترة، ولكن هذا الإعلان بدأ يتزامن مع توجه عديد من الحركات الإسلامية التي مارست العمل المسلح إلى العودة عن هذا العمل المسلح كما نسمع حالياً في الجزائر، وكما شاهدنا في كثير من الدول العربية من أن الحركات الإسلامية بدأت تتجه للتعاطي مع البرلمانات وما يسمى باللعبة الديمقراطية، ألا ترون أنكم بالدعوة للجهاد وفي هذا الوقت أنكم تسيرون ضد التيار الذي تسير فيه الحركات الإسلامية الأخرى؟

الشيخ أسامة:

الحمد لله. نعتقد أن الجهاد فرض عين اليوم على الأمة، ولكن ينبغي التفريق بين الحكم والقدرة على القيام به، ففي أي بلد توفرت المقومات اللازمة من العدد والعدة وما يلزم لأركان الجهاد أن تقوم فعند ذلك يجب على المسلمين في ذلك المكان أن يشرعوا بالجهاد ضد الكفر الأكبر المستبين، ولكن في بعض البلدان قد يكون ظهر لبعض الناس أن المقومات قد اكتملت، وبعد فترة من الزمن أخذوا الخبرة والتجربة وظهر لهم أن المقومات لم تكتمل، فعندئذ فهم مأمورون في هذه الحالة بالعفو والصفح ولكن من الذي يحدد هذه المقومات؟ هل هم الذين ركنوا إلى الدنيا أم هم الذين لم يأخذوا حظاً من العلم الشرعي؟

وإذا ما تيسر لهم أن يأخذوا حظاً من العلم العسكري فالصواب في هذه المسألة أن الجهاد رغم أنه فرض عين قد يسقط أحياناً للعجز لكن لا يسقط الإعداد الحقيقي لاستكمال العدد والعدة.

أما ما انتشر بين المسلمين اليوم من القول أن الجهاد ليس وقته الآن، فهذا الكلام إذا لم يقيد فهو غير صحيح.. كثير من طلبة العلم يقولون إن الجهاد ليس وقته الآن، وهذا في الحقيقة مغالطة شديدة، إذا لم يقيد.. أما إذا قيل فرض عين اليوم فيجب علينا أن نسعى بكل ما أوتينا من قوة لاستكمال العدد والعدة والمقومات، فالكلام هنا يستقيم.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا الموطن يبين أن الذي يفتي في أمور الجهاد هو الذي له علم بالدين الشرعي وله علم بالجهاد وأصول الجهاد، وأن يكون مارس الجهاد.

ولكن لما غاب الجهاد عن الأمة زمناً طويلاً نشأ لدينا جيل من طلبة العلم لم يخوضوا معامع الجهاد وتأثروا بالغزو الإعلامي الأمريكي الذي غزا بلاد المسلمين.. فهو دون أن يخوض حرباً عسكرية قد أصيب بالهزيمة النفسية، يقول لك: صحيح أن الجهاد لازم لكن لا نستطيعه، لكن الصواب أن الذين من الله سبحانه وتعالى عليهم بالجهاد كما حصل في

أفغانستان أو في البوسنة أو الشيشان، ونحن من الله علينا بذلك، فنحن على يقين أن الأمة اليوم تستطيع بإذن الله سبحانه وتعالى أن تجاهد ضد أعداء الإسلام وبخاصة ضد العدو الأكبر الخارجي التحالف الصليبي اليهودي.

وأشير هنا إلى مسألة أن بعض الشباب -نرجو الله أن يحفظهم ويبارك فيهم- يتأثرون بقعود بعض الكبار، ويظنون أن هؤلاء الكبار الذين يشار إليهم بالبنان ما قعدوا إلا لأنهم يعلمون مصلحة، وعند التحقيق في الأمر نجده ليس كذلك قطعاً، فليس بالضرورة أن يكون تأخر الذي يشار إليه بالبنان ناتج عن معرفة بالمصلحة، فعند تدبر كتاب الله عز وجل نجد أن الخيار رضي الله عنهم وأرضاهم قد عاتبهم الله سبحانه وتعالى على التأخر، فإذا الخيار الأبرار الأطهار رضي الله عنهم أصابهم هذا الداء، داء التأخر عن الجهاد، فكيف تزعم اليوم لكبارنا أنهم يتأخرون لمصلحة؟!

الله سبحانه وتعالى في سورة الأنفال قال مخاطباً نبيه ﷺ هو وخير الناس رضي الله عنهم: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾. هذا الوصف جاء لخيار الناس رضي الله عنهم أهل بدر، فهو داء يصيبنا..

هذا كعب بن مالك رضي الله عنه كما حديثه في الصحيحين البخاري ومسلم حديث طويل يقول: يوم تبوك تخلفت وما كنت أيسر حالاً مني يومذاك، وما ملكت راحلتين إلا في تلك الغزوة، وقلت لنفسي اليوم أتجهز، ويمضي اليوم ولم يجهز من أمري شيء، ويقول نادى رسول الله ﷺ بالجهاد عندما أينعت الثمار وكنت إليها أصعر (أي أميل إلى الثمار)..

فالإنسان بشر تتجاذبه أثقال الأرض وهو من هو رضي الله عنه؟ من السابقين الذين أخذوا بيعة العقبة الكبرى المباركة التي منها انطلقت دولة الإسلام في المدينة المنورة، تأخر غزوة ثم جاء في حديثه الطويل أنهم كانوا ثلاثة كما في كتاب الله: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾، والروايات من السيرة أن الذين خرجوا إلى تبوك ثلاثون ألفاً.

كم عدد ثلاثة من ثلاثين ألفاً، رقم لا يذكر اليوم! إنسان عسكري أو قائد عسكري في الجيش تقول له: تخلف عندك ثلاثة من ثلاثين ألفاً رقم ما يذكر.. لكن لعظيم الذنب أنزل الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سماوات قرآناً يتلى إلى يوم القيامة في حساب هؤلاء.

فيقول كعب بن مالك رضي الله عنه فلما ضاقت علي الأرض بما رحبت تسورت حائطاً لابن عمي أبو قتادة وكان أحب الناس إلي، وقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟

أمر خطير جداً، أراد أن يطمئن على إيمانه.. على أعظم ما يملك في الوجود.. حب الله وحب الرسول عليه الصلاة والسلام، وإلا لا معنى لوجودنا بغير حبهما، حب الله وحب الرسول ﷺ.

قال: لم يجبني، قال: فناشدته الثانية قال لم يجبني، قال: فناشدته الثالثة، قال: لم يجبني.

فلم يستطع أبو قتادة رضي الله عنه أن يثبت له محبته لله ورسوله عليه الصلاة والسلام.. كيف يثبتها وهو قاعد مع الخوالف، وهذا دين الله قد جاءت الأخبار أن الروم يريدون أن يعتدوا عليه في تبوك.. هذا رسول الله ﷺ خرج في الحر والحرور لنصرة الدين وأنت جالس عن نصرته، فكيف يثبت له..!

فلم يثبت له محبة الله والرسول عليه الصلاة والسلام ولم ينفها عنه، ولكنه قال: الله ورسوله أعلم.

فيقول كعب بن مالك: فتوليت وفاضت عيناي..

وحق له، أحب الناس إليه لم يستطع أن يثبت له هذا الأمر العظيم.

فالشاهد من قولنا هذا الجهاد اليوم هو متعين على الأمة، وقد يسقط للعجز، لكننا نحن نعتقد أن الذين خاضوا الجهاد في أفغانستان من أكثر ما يتوجب عليهم، لأنهم علموا أنه

بإمكانيات ضعيفة وعدد قليل من الـ RPJ، عدد قليل من ألغام الدبابات، عدد قليل من الكلاشينات.. تحطمت أكبر أسطورة عسكرية عرفتها البشرية، وتحطمت أكبر آلة عسكرية، وزال من أذهاننا ما يسمى بالدول العظمى، ونحن نعتقد أن أمريكا أضعف بكثير من روسيا.

ومما بلغنا من أخبار إخواننا الذين جاهدوا في الصومال وجدوا العجب العجاب من ضعف الجندي الأمريكي ومن هزالة الجندي الأمريكي ومن جبن الجندي الأمريكي، ما قتل منهم إلا ثمانون ففروا في ليل أظلم لا يلوون على شيء بعد ضجيج ملأ الدنيا عن النظام العالمي الجديد..

فهذا اعتقادنا.. يسع الناس إذا اتقوا الله عز وجل الذي يعلم أن باستطاعته أن يجاهد، والذي يعلم طاقته الآن ما تزال يحتاج إلى استثمار يعمل على استثمار المقومات والله أعلم.

سؤال:

المبلغ الذي رصدته الإدارة الأمريكية للقبض عليكم أو الإدلاء بأي معلومات تفيد القبض عليكم واعتقالكم وهو خمسة ملايين دولار، البعض يظن أن هذا المبلغ قد يكون مغرياً للبعض من أنصاركم، وكما يدعون ليدلوا بمعلومات حولكم أو من يرافقونكم، ألا تخشون الخيانة من أي طرف؟

الشيخ أسامة:

الحمد لله، يعني أنت أتيت وما ترى ما عندنا، هؤلاء شباب نرجو الله أن يحفظهم ويتقبلهم ويتقبل من قتل منهم شهيداً طيلة هذا الجهاد المبارك.. هم تركوا الدنيا وجاؤوا إلى هذه الجبال وإلى هذه الأرض، تركوا أهلهم وتركوا آباءهم وأمهاتهم وتركوا جامعاتهم، وجاؤوا هنا تحت القصف وتحت قصف الكروز وقصف الأمريكان، وقد قتل بعضهم كما علمتم من إخواننا ستة من الإخوان العرب، وأحد إخواننا الترك.. نرجو الله أن يتقبلهم جميعاً شهداء، كان منهم أخونا صديق من مصر، وأخونا حمدي من مصر، وثلاثة من إخواننا من

اليمن منهم أخونا بشير، وأخ آخر اسمه سراقة، أخونا أبو جهاد أيضاً، وكذلك أخونا من المدينة المنورة صلاح مطبقاني.. هؤلاء تركوا الدنيا وجاؤوا إلى الجهاد.

فأمريكا لأنها تعبد المال تظن أن الناس هنا على هذه الشاكلة، والله ما غيرنا رجلاً واحداً من مكانه بعد هذه الدعايات، والذي نظنه في إخواننا نحسبهم على خير وهم كذلك، والله حسيبهم.

سؤال:

الآن أنتم متواجدون على الأرض الأفغانية وتقيمون في مناطق تابعة للحكومة الأفغانية (حركة طالبان). ما هي طبيعة العلاقة بينكم وبين هذه الحركة والحكومة الأفغانية، هل أنتم تبع لها أم أنكم تعملون باستقلالية في عملكم وتصرفاتكم ولكن ضمن الأرض الأفغانية؟

الشيخ أسامة:

ذكرت أننا كنا في حزن شديد أثناء اختلاف الفصائل الأفغانية والمجاهدين، ولكن من الله سبحانه وتعالى على الأمة بحركة طالبان وجاءت وأنقذت هذا الجهاد من المخطط الأمريكي الذي كان خلف نجيب وكان يضغط على المجاهدين عبر باكستان لتشكيل حكومة علمانية فيها خمسون في المائة من الشيوعيين السابقين وبعض الذين درسوا في الغرب والبقية من الأحزاب الأفغانية الجهادية السبعة، والحمد لله أن وفق لمجيء هذه الحركة وجاءت في وقت قد بلغ السيل الزبى وبلغ التعب بالناس مبلغه، وكثر قطاع الطرق للأسف الشديد، واستطاع الأمريكان وحلفاؤهم أن يقسموا أفغانستان إلى خمس دويلات، وأنتم في باكستان لا شك أنكم تتابعون ذلك.

فكان هناك دولة في المشرق أو ما يسمى حوزة شرق (جلال أباد) وتشمل ولايات ننجرهار، كونار لغمان، بقيادة حاجي قدير، وفي الغرب دولة أخرى حوزة غرب، بقيادة محمد إسماعيل خان، الذي كان لديه ولايات هيرات، نيمروز، فراه، بادغيس، وأيضاً حكومة

أخرى مستقلة حقيقة عن أفغانستان، وفي الشمال الدولة التي يدعمها الشيوعيون من قبل وهو دوستم، وكان له هناك بعض الولايات في الشمال، كان هناك دولة لأحمد شاه مسعود ونجيب وسياف، ومن المستغرب أن المسلمين في كل مرة يضحك عليهم، يعني كيف يمكن أن نصدق حكومة تقوم في كابل في هذا الحي، نجيب الشيوعي الذي قتل من المسلمين سبعين ألفاً وبجواره أحمد شاه مسعود وحكومة مشتركة بكل ما تحمل الكلمة من معنى، ويوقع نجيب على ميزانيتها، نجيب الشيوعي الرئيس السابق.. ثم يقال لنا نحن لسنا شيوعيين ولسنا مع الشيوعيين!

هذه في الحقيقة كانت حكومة مشتركة بدعم من أطراف خارجية، ونجيب فيها، وفي الجنوب كانت دولة طالبان من ولاية قندهار وزابل وهلمند، فكانت هناك خمس دويلات في هذه الدولة الصغيرة، فضلاً عن قطاع الطرق الذين يعتبرون دويلات داخل الدولة..

فمن الله على المسلمين بمجيء حكومة طالبان، وكان هناك ليس قوى دفع من الخارج كما يصورها الإعلام الغربي الصليبي، وإنما قوة سحب من الداخل، الناس ملت من قطاعي الطرق ومن أخذ الإتاوات والمكوس، فأي قبيلة لها طلبة علم لهم صلة بالطالبان فكانوا هم يذهبون ويطلبون من الطلبة أن يأتوا إلى هذه الولاية أو تلك، ولذلك نرى أن المهندس حكمتيار مكث أربع سنوات على حدود كابل وبدعم من باكستان حتى يتقدم أمتار لأخذ كابل ولم يستطع، ومعلوم أن الحزب الإسلامي برئاسة حكمتيار هو أفضل الأحزاب الأفغانية من حيث القوة والترتيب والتنظيم والانتشار في داخل أفغانستان ولم يستطع أن يتقدم، وفي المقابل معلوم عن الطلبة هم صغار سن في الجملة وكثير من صغارهم لم يشاركوا في قتال، ولكن بسبب السحب الداخلي من الشعب بعد أن وصل إلى دور برز فيه اليأس من الأعمال السابقة فتح الله عليهم.

فنحن ننصح المسلمين في داخل أفغانستان وفي خارجها أن ينصروا هؤلاء الطلبة، وننصح المسلمين في الخارج أن كثيراً من الجهد إن كان بعيداً عن وجود الدولة الإسلامية فلن يأتي

بالثمرة المرجوة الكبيرة، فهذا نبينا محمد ﷺ مكث ثلاثة عشر سنة يدعو في مكة المكرمة، وكانت المحصلة بضع مئات من المهاجرين رضي الله عنهم، فلما وجدت دولة المدينة على صغرها في خضم دولة الفرس ودولة الروم وفي خضم عبس وذبيان وغطفان وقبائل العرب المجاورة والأعراب التي تنهش هذه الدويلة، ومع ذلك قام الخير..

فنحن ندعو المسلمين أن ينصروا هذه الدولة بكل ما أوتوا من قوة، من قوة بإمكانياتهم وأفكارهم وبزكواتهم وبأموالهم التي هي بإذن الله اليوم تمثل راية الإسلام، وأن أي اعتداء من أمريكا اليوم على أفغانستان هو ليس على أفغانستان في ذاتها وإنما على أفغانستان رافعة راية الإسلام في العالم الإسلامي، الإسلام الصحيح المجاهد في سبيل الله، فعلاقتنا بفضل الله تعالى معهم قوية جداً ووطيدة، وهي علاقة عقدية قائمة على معتقد وليس مواقف سياسية أو تجارية، ساهمت كثير من الدول وحاولت أن تضغط على الطالبان ترغيباً وترهيباً ولكن الله سبحانه وتعالى ثبتهم.

سؤال:

لكن ما هي صحة الأخبار التي تحدثت عن استعداد أو إمكانية قيام حركة أو حكومة طالبان بتسليمكم لأي دولة في حال توجيه اتهامات رسمية مع وجود أدلة؟

الشيخ أسامة:

فيما سمعت أن الطلبة نفوا مثل هذا الكلام، وهو كلام غير صحيح فيما نعلم والله أعلم.

سؤال:

تحدثتم قبل قليل عن مشاركتكم في الجهاد الأفغاني، وأن بعض الدول خاصة دول الخليج شجعت المجاهدين بل دعمتهم وقدمت لهم، ومن الدول الأخرى التي قدمت دعماً في ذلك الوقت ضد الاتحاد السوفيتي الولايات المتحدة الأمريكية، وسائل الإعلام الغربية والعالمية تتحدث عن وجود صلة لكم مع الإدارة الأمريكية أو المخابرات الأمريكية أثناء الجهاد ضد

الاتحاد السوفيتي.. ما هي حقيقة هذه العلاقة إن كانت موجودة وما هو موقفكم منها، وهل صحيح أنه كان لهم أي جهد في تنمية نشاطاتكم ضد الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت؟

الشيخ أسامة:

عودة إلى سؤالكم السابق لسؤالكم هذا، نحن هنا لا نعمل بصفة مستقلة، بل نحن في دولة لها أمير مؤمنين، ملزمون شرعاً بطاعته فيما ليس فيه مخالفة لله سبحانه وتعالى، ونحن ملتزمون بهذه الدولة، وندعو الناس لنصرتها، ونقدر كما ذكرنا الخلط الذي تمارسه أمريكا، هي تريد أن تضرب دولة الإسلام في أفغانستان ولكنها ترفع شعار ضرب أسامة بن لادن، لكن هذا الأمر لن ينفعها، أما نحن فبإذن الله قد خرجنا ونحن نعلم هذا الطريق منذ البداية، ولا تخيفنا بفضل الله سبحانه وتعالى صواريخ أمريكا، ولكننا نحذرهم من أي ضرب لهذا الشعب لأنه اعتداء على دولة الإسلام.

ولظروف كثيرة في أفغانستان هناك رأي للطلبة ألا نتحرك من داخل الأراضي الأفغانية ضد أي دولة أخرى، وهذا كان قرار أمير المؤمنين كما هو معلوم، ولكن التحريض بفضل الله نحن نقوم به، وليس واقفاً على جهدنا المحدود في هذه المرحلة، وبفضل الله نحن مطمئنون إلى أن الأمة تسير بخطى حثيثة نحو العمل الجهادي ضد أمريكا وهو كما ذكرت.

سؤال:

ذكر في وسائل الإعلام العالمية عن دعم أمريكا للجهاد الأفغاني ضد الاتحاد السوفيتي الذي شاركتم أنتم في هذا الجهاد بنفسكم ومالكم، وكما ذكر أيضاً في وسائل الإعلام العالمية أنكم كنتم على صلة أو أن الاستخبارات الأمريكية كانت هي التي تمول نشاطكم وتدعمكم في هذا الجهاد، ما هي حقيقة هذه الادعاءات وما صحة الصلة بينكم وبين أمريكا في ذلك الوقت؟

الشيخ أسامة:

هذه محاولة للتشويه من الأمريكان. الحمد لله الذي رد كيدهم إلى الوساوس، وكل مسلم منذ أن يعي التمييز وفي قلبه بغض الأمريكان وبغض اليهود والنصارى هو جزء من عقيدتنا وجزء من ديننا، ومنذ أن وعيت على نفسي وأنا في حرب وفي عداء وبغض وكره للأمريكان، وما حصل هذا الذي يقولونه قط.

أما أنهم دعموا الجهاد أو دعموا القتال، فهذا الدعم عندما تبين لنا في الحقيقة هو دعم من دول عربية، وخاصة الدول الخليجية لباكستان حتى تدعم الجهاد، وهو لم يكن لوجه الله سبحانه وتعالى وإنما كان خوفاً على عروشهم من الزحف الروسي، وأمريكا في ذلك الوقت كان كارتر لم يستطع أن يتكلم بكلمة ذات شأن إلا بعد مرور بضع وعشرين يوماً في عام ١٣٩٩ هجرية الموافق من عشرين يناير ١٩٨٠، قال إن أي تدخل من روسيا إلى منطقة الخليج فإن أمريكا سوف تعتبره اعتداءً عليها، لأنه محتل لهذه المنطقة، محتل للبترول، فقال نحن نستخدم القوة العسكرية إذا حصل هذا التدخل، فالأمريكان يكذبون إذا زعموا أنهم تعاونوا معنا في يوم من الأيام، ونحن نتحداهم ليبرزوا أي دليل، وإنما هم كانوا عالة علينا وعلى المجاهدين في أفغانستان، ولم يكن أي اتفاق، وإنما كنا نحن نقوم بالواجب لنصرة الإسلام في أفغانستان.. وإن كان هذا الواجب يتقاطع بغير رضانا مع مصلحة أمريكية.

عندما قاتل المسلمون الروم، ومعلوم أن القتال كان شديداً بين الروم والفرس وكان دائماً، ولا يمكن لعاقل أن يقول إن المسلمين عندما بدؤوا بالروم في غزوة مؤتة كانوا هم عملاء للفرس، وإنما تقاطعت المصلحة، يعني قتلك الروم وهو واجب عليك كان يفرح الفرس، لكن بعد أن هم أنهوا الروم بعد عدة غزوات بدؤوا بالفرس، فتقاطع المصالح لا يعني العمالة، بل نحن نعاديهم من تلك الأيام، ولنا محاضرات بفضل الله سبحانه وتعالى منذ تلك الأيام في الحجاز ونجد بوجوب مقاطعة البضائع الأمريكية وبوجوب ضرب القوات الأمريكية وبوجوب ضرب الاقتصاد الأمريكي منذ أكثر من ١٢ سنة.

سؤال:

هناك تقارير منشورة في وسائل الإعلام العربية والعالمية عن وجود نشاط لبعض أتباعكم وأنصاركم في بعض الدول العربية ومنها اليمن على سبيل المثال، ما صحة هذه التقارير؟

الشيخ أسامة:

نحن صلتنا بالعالم الإسلامي في كل مكان منه، سواء في اليمن أو في باكستان أو في أي مكان آخر.. نحن جزء من أمة واحدة، وبفضل الله الذين اقتنعوا وتحفزوا للجهاد في كل يوم يزداد عددهم، وأعدادهم مبشرة، لنا أنصار في اليمن وفي غير اليمن، في اليمن تربطنا علاقات قوية وقديمة بفضل الله سبحانه وتعالى فضلاً عن أن جذورنا، أي جذور الوالد من اليمن.

سؤال:

قبل شهرين تقريباً اعتقلت السلطات الألمانية شخصاً يدعى ممدوح محمود سالم، يقال إنه كان المدير المالي لكم، وسلمته ألمانيا قبل أيام للولايات المتحدة الأمريكية، وهذا الشخص متهم بأنه كان يدير أعمالكم التجارية. ما مدى العلاقة التي تربطكم بهذا الشخص، وما مدى تأثير اعتقاله وتسليمه للسلطات الأمريكية على نشاطاتكم أو تمويلكم؟

الشيخ أسامة:

أخونا ممدوح والمعروف بين الشباب باسم أبي هاجر رجل من خيرة من عرفنا من الرجال، كان حافظاً لكتاب الله سبحانه وتعالى، أعطاه الله صوتا جميلاً وهو إمامنا في بيشاور، ولا يخفى على أحد، وكان في تلك الفترة يقوم بأعمال إغاثية متعاوناً مع بعض الهيئات الإسلامية الإغاثية في بيشاور، كما لا يخفى عليكم.

الصلة به قديمة ومن تلك الأيام، لكن نحن نتابع الأخبار العالمية وأنهم يلقون القبض على عدد من الشباب منهم أبو عبيدة، ومنهم خالد الفواز، ومنهم ممدوح وغيرهم، وهذا في الحقيقة لمحاولة تغطية الفشل الأمريكي الذي أصابهم بعد حادثي نيروبي ودار السلام، وخاصة حسبما نشرت التقارير الاستخبارية العالمية أنها كانت ضربة مؤلمة، ولم يأخذوا مثلها منذ تفجير مقر المارينز في لبنان، حيث أن سفارة أمريكا في نيروبي كانت عبارة عن ست سفارات أمريكية مركبة، ومنها انطلق الغزو الأمريكي إلى الصومال، وقتل من إخواننا ونسائنا وأبنائنا في الصومال ١٣ ألفاً، بل تحت راية الأمم المتحدة، وذكرت الأخبار بالصور أنهم كانوا يشوون إخواننا الصوماليين كما تشوى النعاج ولا حول ولا قوة إلا بالله.. ولم يتكلموا عن مدى الوحشية أو عن الاعتداء وغير ذلك، وإنما اللوم يأتي دائماً على المسلمين إذا دافعوا عن أنفسهم.

ومن هناك ومن بضع عقود تدار المؤامرات الأمريكية لتقسيم السودان وتنطلق من نيروبي، والذي دبر الأمر في تلك الدولة هي السفارة الأمريكية كما هو معلوم، وأكبر مركز

للمخابرات الأمريكية في شرق إفريقيا هو تلك السفارة، ومن فضل الله على المسلمين كانت ضربة موفقة كبيرة جداً، كانوا أهلاً لها حتى يذوقوا مما ذقناه في صبرا وشاتيلا وفي دير ياسين وقانا وفي الخليل وغيرها.

الشاهد هو أن الأخ ممدوح هو أخ كريم وفاضل، لكن والحق يقال أنه ليس له صلة بأي شيء مما اتهم فيه، وصلاتنا به للأسف مقطوعة بعد خروجنا، وقد التزم بأعمال أخرى مدنية ليست لها صلة بنا بتاتاً، فهو ظلم مركب عليه، كما اتهموا الشيخ عمر عبد الرحمن وهو رجل مسن قد ذهب بصره ومن كبار علماء المسلمين نرجو الله أن يفرج عنه، وهذه الاتهامات محاولة للتغطية على الفشل الذي وقعت فيه السي أي إيه.

سؤال:

علاقاتكم بالتنظيمات الإسلامية الأخرى في الوطن العربي كيف تصفونها، في الوقت الحاضر؟ وما هي حقيقة موقف الجماعة الإسلامية في مصر من الجبهة الإسلامية العالمية وهل انسحبت منها؟

الشيخ أسامة:

بفضل الله سبحانه علاقتنا بالجماعات الإسلامية بالجملة علاقات جيدة وحسنة، ونحن نتعاون معهم على البر والتقوى لنصرة هذا الدين، كل في المجال الذي فتح الله سبحانه وتعالى عليه به، ونحن ندعو المسلمين وخاصة العاملين للإسلام أن يترفعوا عن المشاكل الجزئية، واستطاعت للأسف شياطين الجن والإنس وبخاصة من الصليبيين أن يصرفوا الدول فضلاً عن الجماعات الصغيرة فيها إلى مشاكل إقليمية، فتجد أن مصر لها مشاكل مع ليبيا، والسعودية مع اليمن، وكذلك الجماعات تعيش في مشاكل ضيقة في الجملة إلا من رحم الله، بينما يقترب الكفر الأكبر والتحالف الصليبي الأمريكي يمزق العالم الإسلامي، وينهب ثروات المسلمين بشكل لم يسبق له مثيل.

وأما بخصوص الشطر الثاني من السؤال حول الجماعة الإسلامية في مصر وانسحابها من الجبهة الإسلامية العالمية، فنحن تربطنا بإخواننا في الجماعة الإسلامية علاقات قوية بفضل الله سبحانه وتعالى منذ أيام الجهاد، وكنا نقاتل في خنادق واحدة ضد الاتحاد السوفيتي، وكان لهم موقف مشرف ومؤيد في التوقيع على الفتوى التي تهدر دم الأمريكان واليهود، فهم وقعوا على الفتوى، ولكن حصل هناك لبس في مسألة إدارية عند تصدير الفتوى، جاء إصدار الفتوى موافق تاريخياً لنشوء الجبهة، فحصل لبس عند الناس أن الجماعة الإسلامية هي جزء من الجبهة الإسلامية العالمية، لذلك اضطرت الجماعة لتوضيح موقفها وأنها وقعت على الفتوى لكنها ليست جزءً من الجبهة الإسلامية العالمية.

سؤال:

الأهداف التي ترونها لأنفسكم في النهاية: ما هي هذه الأهداف وما هي الرسالة التي تريدون أن توجهوها للعالم العربي والإسلامي بشكل عام؟

الشيخ أسامة:

الحمد لله، كما ذكرت أننا نعتقد اعتقاداً جازماً وأقول ذلك لشدة ما تمارسه الأنظمة والإعلام علينا، يريدوا أن يسلخونا من رجولتنا، نحن نعتقد أننا رجال ورجال مسلمون، ينبغي أن نذود عن أعظم بيت في الوجود، الكعبة المشرفة، وأن نتشرف بالذود عنها، لا أن تأتي المجندات الأمريكيات من اليهوديات والنصرانيات يذدن عن أحفاد سعد والمثنى وأبي بكر وعمر، والله لو لم نكن قد أكرمنا الله بالإسلام لأبى أجدادنا في الجاهلية أن تأتي هؤلاء ويأتي هؤلاء الهنود الحمر بحجة هذه الدعوة، وهي دعوى لم تعد تنطلي على الأطفال.

وقد قال الحكام في تلك المنطقة أن مجيء الأمريكان لبضعة أشهر، وهم كذبوا في البداية والنهاية، وثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة كما ذكر رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام، منهم ملك كذاب..

ومرت الأشهر ومرت السنة الأولى والثانية ونحن الآن في السنة التاسعة [١] والأمريكان يكذبون الجميع، يقولون نحن لنا مصالح في المنطقة ولن نتحرك قبل أن نطمئن عليها، يعني أن العدو يدخل يسرق مالك وأنت تقول له أنت تسرق يقول لك لا هذه مصلحتي.. فيغالطوننا بالألفاظ، فالحكام في تلك المنطقة وقع على رجولتهم شيء، لعل رجولتهم سلبت ويظنون أن الناس نساء.

ووالله إن النساء الحرائر من المسلمين يأبين أن يدافع عنهن هؤلاء المومسات من الأمريكان واليهوديات، فهدفنا العمل بشرع الله سبحانه وتعالى والذود عن الكعبة المشرفة، هذه الكعبة العظيمة، وهذا البيت العتيق، الله سبحانه وتعالى جعل وجود البشر في هذه الأرض على توحيده بالعبادة، ومن أعظم العبادة بل أعظم العبادات بعد الإيمان الصلاة كما في الصحيح: ((رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد))، فالله سبحانه وتعالى لا يقبل منا صلاة مكتوبة إذا لم نتجه نحو هذا البيت العتيق، والله سبحانه وتعالى اختار له خير الناس بعد نبينا، أبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام وابنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام.

وهذا هدفنا أن نحرر بلاد الإسلام من الكفر، وأن نطبق فيها شرع الله سبحانه وتعالى حتى نلقاه وهو راضٍ عنا.

وأما رسالتي إلى المسلمين فنقول لهم: إن الدين والدنيا إذا لم نتبع أمر الله سبحانه وتعالى فستذهب، ولا يبقى لنا دين ولا دنيا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأما الدين فنحن نرى الكفر الأكبر في بلاد الإسلام، ونرى الكفار وقد استحلوا بلادنا.

وهناك فرق بين القاضي الذي يحكم في مسألة واحدة بغير الشرع، وإنما بهوى، وبرشوة، أو يخاف من السلطان إن حكم على أحد من أقربائه، والذي يصدر منه مخالفة للشرع، أو

---

[١] والآن نحن في السنة الثالثة عشرة ولا زال بعض المشايخ والعلماء يلبّس على الأمة بأنهم معاهدون وذمّيون!!!!.

نحوه؛ فهذا كفر لأن الله سبحانه وتعالى سماه كفراً، لكنه لا يخرج من الملة، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، فهذا الذي قال عنه الشيخ محمد بن إبراهيم.

أما الذي وضع قوانين بدل شريعة الله حتى يتحاكم الناس إليها؛ فهذا كفر أكبر يخرج من الملة، وللأسف هذا انتشر انتشاراً واسعاً في العالم الإسلامي.

أما من ناحية الدنيا، فهذا البترول كان يؤخذ بمبالغ زهيدة، ففي دول الخليج وفي السعودية شركة أرامكو وفي فترة مبكرة في عهد الملك فيصل كان لا يدفع للمملكة من البترول إلا بضع وسبعون سنتاً للبرميل الواحد، يعني أقل من دولار، ثم شاء الله سبحانه وتعالى أن قامت الحرب ضد اليهود في عام ١٩٧٣، وقطع العرب البترول فكسبوا أيضاً في دنياهم وارتفعت الأسعار إلى أن وصلت إلى ما يقرب من أربعين دولاراً للبرميل الواحد، ووصلت إلى ستة وثلاثين في الثمانينات، ثم قام الأمريكان باحتلالهم وضغطهم على دول الخليج وإجبارها على زيادة حجم إنتاجها النفطي ومن عرضها له في السوق، مما أدى إلى نزول الأسعار..

فنحن نتكلم عن أكبر سرقة عرفتها البشرية في التاريخ، يمكن أن نوضح هذا من خلال الخريطة: (هنا فتح الشيخ أسامة خريطة كانت معه يبين فيها ما قال عنه أكبر سرقة عرفتها البشرية وكانت فيها المعلومات التالية:

سعر البترول المفترض حالياً: ٣٦×٤=١٤٤ دولار.

سعر البترول حالياً: ٩ دولار.

حجم السرقة الأمريكية في كل برميل: ١٤٤ - ٩=١٣٥ دولار.

الإنتاج اليومي من البترول للدول الإسلامية: ٣٠٠٠٠٠٠٠٠ برميل يومياً.

حجم السرقة اليومي: ١٣٥×٣٠٠٠٠٠٠٠٠=٤٠٥٠ مليون دولار يومياً.

حجم السرقة السنوية: ٤٠٥٠×٣٦٥=١.٤٧٨.٢٥٠ مليون دولار.

حجم السرقة الكلية خلال ٢٥سنة: ١٤٧٨٢٥٠×٢٥=٣٦ تريليون دولار.

حجم ما يطالب به كل مسلم أمريكا من سرقتها: ٣٦ تريليون ÷١٢٠٠ مليون مسلم =٣٠.٠٠٠ دولار لكل مسلم).

سعر البترول وصل إلى أربعين دولار، لو أخذنا متوسط السعر ٣٦ دولار للبرميل الواحد، فكما هو معلوم الأسعار الآن هي تسعة دولارات للبرميل، وهو أقل سعر للبرميل منذ ربع قرن، ومعلوم أن البترول هو السلعة الأساسية، والصناعات الأخرى متفرعة عنه، فلا معنى لوجود السيارات الفارهة بهذا الحجم ووجود كثير من الصناعات بهذا الحجم إلا وهي متفرعة عن البترول، فنجد أن الدول الصناعية رفعت أسعار السلع إلى ثلاثة أو أربعة أضعاف على الأقل، بينما للأسف البترول نزل سعره أربع مرات للأسفل، في حين أنه كان ينبغي رفعه أربع أضعاف أو خمسة على الأقل.

فمن هنا عندما كان البترول سعره ٣٦ دولاراً، فلو رفعنا سعره أربع مرات يكون عندنا ١٤٤ دولار للبرميل الواحد، في حين أن سعره الحالي هو تسعة دولارات، فحجم السرقة والخسارة في كل برميل من التي تسرقها أمريكا وحلفاؤها هو ١٤٤-٩=١٣٥ دولار حجم السرقة للبرميل الواحد.

وإذا علمنا أن أوبيك أو الدول الإسلامية وحدها في أوبيك تنتج وتصدر ٢٥ مليون برميل في اليوم الواحد، وأن الدول الإسلامية خارج الأوبيك تنتج وتصدر خمسة ملايين برميل يومياً، فالإجمالي عندنا هو ٣٠ مليون برميل يومياً، وإذا ضربنا هذا العدد بالرقم أعلاه لحجم السرقة في البرميل الواحد يومياً، يكون حجم السرقة في اليوم الواحد أربعة مليارات وخمسين مليون دولار يومياً.

وهذا الحجم لم تشهد له البشرية مثيلاً، ويكفي للتدليل على حجم هذه السرقة أن هذا المبلغ يكفي لإعاشة شعب في السودان من ثلاثين مليون شخص مدة أربعة أعوام، ويكفي لإعاشة شعب مثل اليمن بشماله وجنوبه مدة سنتين، إذ أن ميزانية اليمن هي مليارا دولار سنوياً، وأما بالنسبة للمملكة فخمسة أضعاف هذا الرقم أو أربعة أضعافه وقليل يساوي ميزانية المملكة السعودية.

وإذا حسبنا كم حجم السرقة في سنة فيكون عندنا تريليون و٤٧٨ مليار دولار، فإذا حسبنا حجم السرقة خلال ربع قرن فيكون عندنا ٣٦ تريليون دولار، حجم السرقة الذي سرق من المسلمين فقط على مستوى البترول فضلاً عن المعادن الأخرى في بلاد المسلمين..

ولو قسمنا هذا المبلغ على عدد المسلمين الآن في العالم البالغ ألفا ومائتي مليون مسلم، فيكون لكل مسلم طفلاً كان أو شيخاً في ذمة أمريكا وحلفائها ثلاثون ألف دولار ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بينما شعوب العالم الإسلامي ترزح تحت الفقر والمرض والجوع..

كيف نتخيل سرقة يوم واحد ماذا كانت يمكن أن تفعل في شعب مثل إخواننا في بنغلاديش الذين هم في مهب السيول والفيضانات في كل عام، والأمراض منتشرة فيهم وفي كثير من الشعوب الإسلامية!

فلذلك أمريكا لا ترغب في كل من يقول كلمة الحق ضدها، وتريد منه أن يسكت لحجم السرقة الضخم الذي تسرقه.

والمؤسف أن أمريكا استطاعت أن تدخل دول الخليج نتيجة الاحتلال في دوامة الديون، فرغم انخفاض الأسعار تلزمهم أمريكا بأن يشتروا أسلحة لا قبل لهم بها ولا حاجة لهم بها، جديدة وقديمة، خردة من عند الأمريكان يلزمون دول الخليج بشرائها، ولما نفد الاحتياطي أصبحوا يلزمونهم الشراء بالدين..

فاليوم كما في التقارير الموثقة من مراكز الدراسات في الجزيرة العربية وفي رسالة موجهة من الدكتور عبد العزيز الدخيل (وهو رئيس أحد مراكز الدراسات الاقتصادية) إلى أمراء البلاد يتحدث عن حجم الدين الخارجي والداخلي وهو ما يساوي تقريباً مائتي مليار دولار، ولو سألنا عن نسبة خدمة الربا وأقلها عشرة في المائة فيكون مطلوباً عشرين مليار دولار ضريبة الدين فقط، فضلاً عن سداد أصل الدين، في حين أن دخل دول الخليج، مثل الكويت، هي أيضاً في نفس المشكلة، الدخل من البترول، إذا اقتطعنا تكلفة الإنتاج، واقتطعنا ما ينبغي لإعادة الصيانة والاستثمار في مجال البترول فدولة مثل المملكة يكون ناتجها من البترول يساوي ١٦ مليار دولار فقط، وتحتاج إلى عشرين مليار دولار لخدمة الديون.

فالأمريكان أدخلوا دول المنطقة في دوامة الديون التي لا يمكن أن يخرجوا منها إلا بالرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، وأن يعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، فإذا عبدوه حق العبادة فهو الذي يدفع الخوف وهو الذي يطعم الناس من جوع سبحانه وتعالى.

مسألة أخرى هنا أيضاً، أقول لإخواننا الذين ركنوا إلى الخوف وعزفوا عن الصدع بالحق وينتظرون أن تمر العاصفة، ها هي مرت سنوات وبدأت تمر العقود والحملة الصليبية لم تنته، أقول لهم إننا في هذا الزمن أقول إن الأمريكان يساومونا على السكوت، وأمريكا وبعض عملائها في المنطقة ساوموني أكثر من عشر مرات على إسكات هذا اللسان السليط، قالوا اسكت ونرجع لك الجواز، ونرجع لك أموالك وبطاقة الهوية، لكن بشرط أن أسكت.

وهؤلاء يظنون أن الناس يعيشون في هذه الدنيا من أجل الدنيا، وهم نسوا أنه لا معنى لوجودنا إن لم نسع لنيل رضوان الله سبحان وتعالى.

وهذا الرسم يوضح كثافة السكان حسب أعمارهم:

(هنا فتح الشيخ أسامة بن لادن رسماً بيانياً كان بحوزته وفيه الرسم التالي: هنا يجب أن تضع الرسم البياني)

فالناس منذ الولادة وحتى العاشرة هم أكبر قطاع في المجتمعات السوية، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم من ستين إلى سبعين، وفي هذا الزمن ضاقت الشريحة المعطاءة لخدمة الدين وخاصة في الجهاد، وكما هو معلوم فإنه من سن الولادة وحتى الخامسة عشرة يكون الإنسان غير مكلف ولا يعي الأحداث العظام، ومن سن ٢٥ فما فوق يكون الإنسان دخل في التزامات أسرية، تخرجه من الجامعة والتزامات الوظيفة ولديه زوجة وأولاد، فعقله يزداد نضجاً، لكن قدرة العطاء تصبح ضعيفة جداً: أترك الأولاد لمن؟ من يصرف عليهم؟ وهكذا..

ففي الحقيقة نجد أن الشريحة من خمسة عشر إلى خمسة وعشرين هي الشريحة التي لديها قدرة على العطاء والجهاد، وهذا الذي لاحظناه في الجهاد في أفغانستان، معظم المجاهدين من هذا السن، فعندما دخل الأمريكان في محرم من أول سنة ١٤١١ هجرية، هؤلاء الصغار ما كانوا يعون الحدث، وصدرت للأسف فتاوى، الدولة، ودول الخليج ساهمت في الضغط على هؤلاء العلماء لإصدار مثل هذه الفتاوى التي زعموا أنها مؤقتة.

وقد حدثنا من نثق به من هؤلاء العلماء أمثال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في مجلسه وفي بيته، قال نحن لم نصدر فتوى، وإنما بعد أن أدخلت الدولة الأمريكان جمعونا وقالوا لا بد أن تصدروا فتوى، وإلا فإن الشباب سوف يقاتلون هذه القوات الأمريكية، وتحدثت معه طويلاً في وجوب إصدار فتوى لإخراجهم، فتوى من هيئة كبار العلماء، فقال لي بوضوح ويشهد الله الذي لا إله إلا هو قال: يا أسامة، ليس من حقنا في هيئة كبار العلماء أن نصدر فتوى من عند أنفسنا، وإنما إذا أحيلت إلينا من المقام السامي (على حد تعبيره) نحن نصدر فيها. فهذا حالنا للأسف الشديد..

فهذه الشريحة من ١٥ – ٢٥ عاما عندما سكت الناس لم يعلموا حقيقة الأمر، فنحن الآن مرت علينا تسع سنوات منذ الغزو، وهذه الشريحة بالكامل، إلا الذين عمرهم أكثر من

ستة عشر عاماً ووصلت إلى سن ٣٤ عاماً، فهم دخلوا في الشريحة التي نضجت عقلياً ولا تستطيع أن تعطي، والشريحة الصغيرة التي تستطيع أن تعطي الناس متوقفون الآن عن تبيين الوضع لها.. فإن سكتنا فسيصبح حالنا كما صار الحال في الأندلس، تمضي عشر سنوات ثم يتبلد الحس تدريجياً.

أمر خطير، يجب على الناس أن يبذلوا ما يستطيعون في تحريض الأمة بكل ما يستطيعون بألسنتهم وأقلامهم وبأنفسهم، ونحن بفضل الله قمنا بهذا الواجب اعتقاداً منا بأنه متعين علينا، ونحن مستمرون فيه حتى نلقى الله سبحانه وتعالى.

وفي الختام: أوجه نصيحة إلى جميع المسلمين بأن يتدبروا كتاب الله سبحانه وتعالى، فهو المخرج، وهو الذي انتشلنا من الجاهلية المنتنة في تلك العصور المظلمة، فدواؤنا في الكتاب والسنة، عندما يقرأ الإنسان القرآن يتعجب لقعود كثير من الناس، هل هم لا يقرؤون القرآن أم أنهم يقرؤون ولا يتدبرون..

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ مِنْهُمْ: أي منهم في الكفر فيصبح كافراً.

ثم في الآية التي تليها يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾.

فأرجو إخواني المسلمين أن يقرؤوا القرآن وأن يقرؤوا تفسير هذه الآيات، وهي كثيرة جداً في كتاب الله سبحانه وتعالى، والتي حذرنا الله فيها من الولاء للكفار.. فليقرؤوا مختصر تفسير ابن كثير للشيخ محمد نسيب الرفاعي.

وأقول إن العالم الصليبي قد أجمع على أكل العالم الإسلامي، وقد تداعت علينا الأمم، ولم يبق لنا بعد الله سبحانه وتعالى إلا الشباب الذين لم تثقلهم أدران الدنيا، فالله سبحانه وتعالى علمنا كيف نرد الذين يتحججون في تأخير الجهاد، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾.

لولا أخرتنا إلى أجل قريب هو الذي نصاب به اليوم.. فالذي أيقن أن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة خير وأبقى هذا الذي يستجيب لأمر الله سبحانه وتعالى.

وفي الآيات التي مرت معنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ يبين ابن كثير، يقول إن المسلمين اكتشفوا المنافقين يوم دافعوا ووالوا بني قينقاع من اليهود. واليوم حكام العرب يوالون اليهود والنصارى على الملأ، وما زال الناس يمدحون أعداء الإسلام والمسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فينبغي وقفة جادة صادقة نبتغي بها رضوان الله سبحانه وتعالى، وأن هذه الحياة الدنيا هي متاع الغرور، وعلى كل مسلم يستطيع أن ينفر بنفسه فعليه أن ينفر ويسأل عن مواطن الجهاد والإعداد في سبيل الله حتى يلقى الله سبحانه وتعالى وهو راض عنه، وأحرض نفسي والمؤمنين بقول القائل بعد هذه المصائب العظام:

تأهب مثل أهبة ذي كفاح ... فإن الأمر جل عن التلاحي
سألبس ثوبها وأذود عنها ... بأطراف الأسنة والصفاح
أتتركنا وقد كثرت عليها ... ذئاب الكفر تأكل من جناحي
ذئاب الكفر ما فتئت تؤلب ... بني الأشرار من شتى البطاح
فأين الحر من أبناء ديني ... يذود عن الحرائر بالسلاح
وخير من حياة الذل موت ... وبعض العار لا يمحوه ماحي

أسأل الله العلي العظيم أن يمن على المسلمين بعودة إلى دينه الكريم، وأن ينصر الشباب الذين خرجوا جهاداً في سبيله يبتغون رضوانه، ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم انصرنا على الأمريكان وإسرائيل ومن والاهم، إنك على كل شيء قدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهى.

٦ - أول تصريح بعد غزوتي نيويورك وواشنطن:

إن الحمد لله، نحمده ونستعين به ونستغفره، ونستعيذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد..

فها هي أمريكا قد أصابها الله في مقتل من مقاتلها فدمر أعظم مبانيها، فلله الحمد والمنة.

وها هي أمريكا قد امتلأت رعباً من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها، فلله الحمد والمنة.

فما تذوقه أمريكا اليوم هو شيء يسير مما ذقناه منذ عشرات السنين، فإن أمتنا منذ بضع وثمانين عاماً تذوق هذا الذل وتذوق هذه المهانة، فيقتل أبناؤها وتسفك دماؤها ويعتدى على مقدساتها وتقتل بغير ما أنزل الله، ولا سامع ولا مجيب.

فلما أن وفق الله سبحانه وتعالى كوكبة من كواكب الإسلام، طليعة من طلائع الإسلام فتح الله عليهم، فدمروا أمريكا تدميرا -أرجو الله سبحانه وتعالى أن يرفع قدرهم وأن يرزقهم الفردوس الأعلى- فلما رد هؤلاء عن أبنائهم المستضعفين وعن إخوانهم وأخواتهم في فلسطين وفي كثير من بلاد الاسلام صاح العالم بأسره، صاح الكفر وتبعه النفاق.

مليون طفل من الأطفال الأبرياء يقتلون إلى هذه اللحظة التي أتحدث فيها، يقتلون في العراق بلا ذنب جنوه، ولا نسمع منكر، ولا نسمع فتوى من علماء السلاطين.

وفي هذه الأيام تدخل الدبابات والمجنزرات الإسرائيلية لتعيث في فلسطين فسادا، في جنين وفي رام الله وفي رفح وفي بيت جالا وغيرها من أرض الإسلام، ولا نسمع من يرفع صوتاً أو يحرك ساكناً، فإذا جاء السيف بعد ثمانين عاماً على أمريكا ظهر النفاق برأسه يتحسر ويتحسس على هؤلاء القتلة الذين عبثوا بدماء وأعراض ومقدسات المسلمين.

فهؤلاء أقل ما يقال فيهم أنهم فسقة، اتبعوا الباطل، نصروا الجزار على الضحية، نصروا الظالم على الطفل البريء، فحسبي الله عليهم وأرانا الله سبحانه وتعالى فيهم ما يستحقون.

أقول إن الأمر واضح وجلي، فينبغي على كل مسلم بعد هذا الحدث وبعد أن تحدث كبار المسؤولين في الولايات المتحدة الأمريكية ابتداء برأس الكفر العالمي بوش ومن معه، وقد خرجوا برجالهم وخيلهم، وقد ألبوا علينا حتى الدول التي تنتسب إلى الإسلام، على هذه الفئة التي خرجت بدينها إلى الله سبحانه وتعالى، تأبى أن تعطي الدنية في دينها، خرجوا يريدون أن يحاربوا الاسلام و.. على الناس باسم الإرهاب.

شعب في أقصى الأرض في اليابان، قتل منه مئات الألوف، صغاراً وكبارا، فهذه ليست جريمة حرب.. هذه مسألة فيها نظر.. واليوم في العراق، مسألة فيها نظر..

أما عندما قتل منهم بضعة عشر في نيروبي ودار السلام قصفت أفغانستان وقصف العراق ووقف النفاق بأسره خلف رأس الكفر العالمي، خلف هبل العصر، أمريكا ومن معها.

فأقول أن هذه الأحداث قد قسمت العالم بأسره إلى فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط كفر أعاذنا الله وإياكم منه.

فينبغي على كل مسلم أن يهب لنصرة دينه، وقد هبت رياح الإيمان، وهبت رياح التغيير لإزالة الباطل من جزيرة محمد ﷺ.

وأما أمريكا فأقول لها ولشعبها كلمات معدودة: أقسم بالله العظيم الذي رفع السماء بلا عمد، لن تحلم أمريكا ولا من يعيش في أمريكا بالأمن قبل أن نعيشه واقعًا في فلسطين، وقبل أن تخرج جميع الجيوش الكافرة من أرض محمد ﷺ.

والله أكبر والعزة للإسلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

٨- رسالة إلى الشعب الباكستاني..

(بعد مظاهرات يوم الجمعة ٣/ ٧/ ١٤٢٢هـ والتي قتلت فيها الحكومة بعض المتظاهرين):

(قال تعالى: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾.

إلى إخواننا المسلمين في باكستان، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد بلغني بمزيد من الأسف نبأ قتل بعض إخواننا المسلمين في كراتشي وهم يعبرون عن رفضهم لعدوان قوات أمريكا الصليبية وحلفائها على أراضي المسلمين في باكستان وأفغانستان، نسأل الله أن يتقبلهم في الشهداء، وأن يلحقهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وأن يرزق أهليهم الصبر والسلوان، ويبارك لهم في أبنائهم وأموالهم، ويجزيهم عن الإسلام خير الجزاء، ومن ترك منهم أبناء فهم أبنائي وأنا لهم كفيل بإذن الله تعالى.

ولا عجب أن تهب الأمة المسلمة في باكستان دفاعاً عن إسلامها، فإنها تعتبر خط الدفاع الأولى عن الإسلام في هذه المنطقة كما كانت أفغانستان هي خط الدفاع الأول عن نفسها وعن باكستان أمام الغزو الروسي قبل أكثر من عشرين سنة.

وإننا لنرجو أن يكون هؤلاء الإخوة من أول الشهداء في معركة الإسلام في هذا العصر ضد الحملة الصليبية اليهودية الجديدة التي يقودها كبير الصليبيين (بوش) تحت راية الصليب، هذه المعركة التي تعد واحدة من معارك الإسلام الخالدة.

ونحن نحرص إخواننا المسلمين في باكستان أن يدفعوا بكل ما يملكون ويستطيعون القوات الصليبية الأمريكية عن غزو باكستان وأفغانستان، فإن النبي ﷺ قال: ((من لم يغز أو يجهز غازياً أو يخلف غازياً في أهله بخير؛ أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة)) [رواه أبو داود].

وأبشركم أيها الإخوة أننا ثابتون على طريق الجهاد في سبيل الله اقتداءً برسول الله ﷺ مع الشعب الأفغاني المؤمن البطل، وتحت قيادة أميرنا المجاهد المعتز بدينه: أمير المؤمنين الملا محمد عمر. نسأل الله أن ينصره على قوى الكفر والطغيان، وأن يحطم الحملة الصليبية اليهودية الجديدة على أرض باكستان وأفغانستان.

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

أخوكم في الإسلام أسامة بن محمد بن لادن.

٨- ثاني تصريح غزوتي نيويورك وواشنطن:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له.

أما بعد:

في غمرة الأحداث الهائلة، وبعد تلك الضربات العظيمة التي ضربت أميركا في أهم مقاتلها في نيويورك وواشنطن، ثارت ضجة إعلامية هائلة لم يسبق لها مثيل نقلت آراء الناس حول هذه الأحداث، فانقسم الناس إلى قسمين: قسم يؤيد هذه الضربات ضد الجبروت الأميركي، وقسم آخر استنكر هذه الضربات، وبعد ذلك بقليل بعد أن شنت الولايات المتحدة الأميركية تلك الحملة الظالمة على الإمارة الإسلامية في أفغانستان، انقسم الناس أيضا إلى قسمين: قسم أيد هذه الحملات الظالمة وقسم أنكرها ورفضها.

وهذه الأحداث العظام التي قسمت الناس إلى قسمين تهم المسلمين بدرجة كبيرة جداً، حيث يترتب عليها من الأحكام الشيء الكثير وهي ذات صلة قوية بالإسلام ونواقضه؛ لذا كان لا بد للمسلمين أن يفهموا طبيعة هذا النزاع وحقيقة هذا الصراع ليسهل عليهم أن يحددوا من أي الصفوف يكونون.

حيث قامت مظاهرات عارمة في المشرق الإسلامي، من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، من إندونيسيا والفلبين وبنغلاديش والهند وباكستان، مروراً بالعالم العربي، وانتهاء بنيجيريا وموريتانيا، فهذا يدل على طبيعة هذه الحرب وعلى أن هذه الحرب هي حرب دينية في الأساس.

فأهل المشرق هم المسلمون، تجاوبوا وتعاطفوا مع المسلمين ضد أهل المغرب وهم الصليبيون، فالذين يحاولوا أن يغطوا هذه الحقيقة الواضحة الجلية التي أجمع العالم بأسره في

تصرفاته على أنها حرب دينية إنما هم يخادعون الأمة دون أن يصرفوها عن حقيقة هذا الصراع.

وهذه الحقيقة مثبتة في كتاب الله سبحانه وتعالى وفي سنة رسولنا عليه الصلاة والسلام، فلا يمكن بحال من الأحوال تناسي هذا العداء بيننا وبين الكفار، فالعداء عقائدي، فلا بد من الولاء مع المؤمنين وأهل لا إله إلا الله، ويجب التبرؤ من أهل الشرك والكفر والإلحاد (حسبي الله عليهم جميعا).

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ فالمسألة مسألة ملة، مسألة عقيدة، لا كما يصورها بوش وبلير بأنها حرب ضد الإرهاب، فقد ألقي القبض من قبل على كثير من اللصوص ينتمون إلى هذه الأمة لم يتحرك أحد، ولكن هذه الجماهير المتحركة من أقصى المشرق إلى المغرب لا تتحرك لأجل أسامة، وإنما تتحرك لأجل دينها، لأنها تعلم أنها على الحق وأنها تقاوم أشد وأشرس وأخطر وأعنف حملة صليبية على الإسلام منذ أن بعث محمد عليه الصلاة والسلام؛ فبعد هذا الأمر الواضح البين الجلي لا بد للمسلم أن يدري وأن يتعلم أين يقف من هذه الحرب.

فهذا بوش بعد أن تكلم الساسة الأميركيون وبعد أن طفحت الصحف والقنوات الأميركية بالحقد الصليبي الواضح والظاهر في هذه الحملة تعبئ على الإسلام وأهله، لم يترك بوش المجال للظنون واجتهادات الصحف، وإنما خرج على الملأ لينطق بوضوح أن هذه الحرب هي الحرب الصليبية، تلفظ بهذه الكلمة أمام العالم أجمع ليؤكد هذه الحقيقة.

فأين يذهب أولئك الذين يزعمون أن هذه الحرب ضد الإرهاب، وأي إرهاب هذا الذي يتحدثون عنه في وقت تنخر فيه الأمة منذ عشرات السنين ولا نسمع لهم صوتاً ولا يتحرك منهم متحرك، فإذا قامت الضحية لتنتقم لأولئك الأطفال الأبرياء في فلسطين والعراق وجنوب السودان والصومال وفي كشمير وفي الفلبين قام علماء السلاطين وقام المنافقون يدافعون عن الكفر الظاهر (حسبي الله عليهم أجمعين).

فالعوام قد فقهوا المسألة، وهؤلاء مازالوا يجاملون هؤلاء الذين تواطؤوا مع الكفار على تحذير الأمة عن القيام بواجب الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا، فالحق الذي لا لبس فيه أن بوش قد حمل الصليب ورفع رايته عالياً، ووقف في أول الطابور؛ فكل من يقف خلف بوش في هذه الحملة فقد ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام العشرة التي أجمع أهل العلم على أن موالاة الكافرين ومظاهرة الكافرين على المؤمنين من نواقض الإسلام الكبرى ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولننظر إلى هذه الحرب التي قامت قبل أيام على أفغانستان، هي مفردة مستقلة نادرة، أم أن هذه الحرب هي حلقة من سلسلة طويلة من الحروب الصليبية ضد العالم الإسلامي..

فمنذ الحرب العالمية الأولى التي انتهت قبل أكثر من ٨٣ عاماً، وسقط العالم الإسلامي بأسره تحت أعلام الصليب تحت الحكومة البريطانية وتحت الحكومة الفرنسية وتحت الحكومة الإيطالية، تقاسموا هذا العالم بأسره، وسقطت فلسطين تحت الإنجليز، ومنذ ذلك التاريخ إلى اليوم أكثر من ٨٣ عاماً يسام إخواننا وأبناؤنا وإخواننا في فلسطين سوء العذاب، وقد قتل منهم مئات الألوف، وعوق مئات الألوف..

ثم لننظر إلى الأحداث القريبة.. فلننظر إلى الشيشان، أمة مسلمة تقدم عليها هذا الدب الروسي صاحب العقيدة النصرانية الأرثوذكسية، أباد شعباً بأكمله وشردوا إلى الجبال وأكلتهم الثلوج والأمراض، ولم يتحرك أحد ولا حول ولا قوة إلا بالله..

ثم حرب إبادة في البوسنة على مرأى ومسمع من العالم أجمع، بل في قلب أوروبا عدة سنوات يقتل إخواننا وتنتهك أعراض نسائنا ويذبح أطفالنا في الملاذات الآمنة للأمم المتحدة، وبعلم الأمم المتحدة وبتعاون الأمم المتحدة.

إن الذين يحيلون مآسينا اليوم ويريدون لنا أن يحلوها في الأمم المتحدة إنما هم منافقون يخادعون الله ورسوله ويخادعون الذين آمنوا، وهل مآسينا إلا من الأمم المتحدة، من الذي

أصدر قرار التقسيم عام ١٩٤٧ لفلسطين أباح بلاد الإسلام لليهود الأمم المتحدة في قرارها في ٤٧ ..

فهؤلاء الذين يزعمون بأنهم زعماء للعرب وما زالوا في الأمم المتحدة هم كفروا بما أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام، الذين يحيلون الأمور إلى الشرعية الدولية هم كفروا بشرعية الكتاب الكريم وبسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام..

فهذه هي الأمم المتحدة التي عانينا منها ما عانينا، فلا يذهب إليها مسلم بحال من الأحوال، ولا يذهب إليها عاقل، وإنما هي أداة من أدوات الجريمة تذبح كل يوم ولا تحرك ساكنا.

إخواننا في كشمير منذ أكثر من ٥٠ عاماً يسامون سوء العذاب، يذبحون ويقتلون ويعتدى على أعراضهم ودمائهم ودورهم، ولا تحرك ساكنا الأمم المتحدة..

واليوم بدون أن يثبت أي دليل تسوق الأمم المتحدة القرارات المؤيدة لأميركا الظالمة الجابرة المتجبرة على هؤلاء المستضعفين الذين خرجوا من حرب ضروس على يد الاتحاد السوفيتي.

ولننظر إلى حرب الشيشان الثانية التي ما زالت قائمة إلى اليوم، شعب بأكمله تعاد عليه الحروب مرة أخرى من هذا الدب الروسي، وتتحرك الهيئات الإنسانية حتى الأميركية تطالب الرئيس كلينتون بأن يوقف الدعم عن روسيا، ولكن كلينتون يقول إن إيقاف الدعم عن روسيا لا يخدم المصالح الأميركية.

وبوتين قبل عام طالب الصليب وطالب اليهود بأن يقفوا معه، ويقول لهم ينبغي عليكم أن تقفوا معنا وأن تشكرونا لأننا نقوم بحرب ضد الأصولية الإسلامية.. بكل هذا الوضوح يتكلم الأعداء، وزعماء المنطقة يناورون ويستحون من أن ينصروا إخوانهم، والأشد من ذلك أنهم يمنعون المسلمين من نصرة إخوانهم.

ولننظر إلى موقف الغرب وإلى موقف الأمم المتحدة في أحداث إندونيسيا عندما تحركوا لتقسيم أكبر دولة في العالم الإسلامي من حيث تعداد السكان، هذا المجرم كوفي عنان يتكلم على الملأ ويضغط على حكومة إندونيسيا ويقول لها أمامك ٢٤ ساعة لقسم وفصل تيمور الشرقية عن إندونيسيا وإلا سوف نضطر لإدخال قوات عسكرية لفصلها بالقوة. وكانت القوات الصليبية الأسترالية على الشواطئ الإندونيسية، وفعلاً دخلت لفصل تيمور الشرقية جزء من بلاد العالم الإسلامي.

فينبغي أن ننظر إلى الأحداث على أنها حلقة مستقلة، بل هي حلقة في سلسلة طويلة من المؤامرات، هي حرب إبادة بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

في الصومال تحت حجة إعادة العمل قتل ١٣ ألف من إخواننا، في جنوب السودان قتل مئات الألوف، ولكن عندما ننتقل إلى فلسطين وإلى العراق فحدث ولا حرج..

أكثر من مليون طفل قتلوا في العراق، ومازال القتل مستمراً، وأما ما يجري هذه الأيام في فلسطين فحسبي الله ونعم الوكيل..

إن الذي يجري لا تحتمله أمة من الأمم، لا أقول من أمم البشر بل من الكائنات الأخرى من الحيوانات لا يحتملون هذا الذي يجري.

حدثني من أثق به أنه رأى جزاراً ينحر بعيراً أمام بعير آخر، فما كان من البعير الآخر إلا أن سار واضطرب وهو يرى الدماء تخرج من أخيه البعير، فهاج وقضم هذا الرجل من يده وخلع يده منه وكسرها.. فكيف للأمهات المستضعفات في فلسطين أن يتحملن قتل أبنائهم أمام أعينهم من اليهود العتاولة الجلاوزة بدعم أميركي بالطائرات الأميركية وبالدبابات الأميركية!

إن الذين يفرقون بين أميركا وإسرائيل هم أعداء حقيقيون للأمة، هم خونة، خانوا الله ورسوله، وخانوا أمتهم، وخانوا أمانتهم.. يخدرون الأمة.

لا ينبغي بحال من الأحوال النظر إلى هذه المعارك على أنها معارك جزئية، بل إنها جزء من حلقة من سلسلة عظيمة، هي الحرب الصليبية الشديدة الشرسة الشنعاء.

فينبغي على كل مسلم أن يقف تحت راية لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأذكركم بحديث رسولنا عليه الصلاة والسلام لابن عباس رضي الله عنه قال: ((يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)).

وأقول للمسلمين الذين بذلوا ما يستطيعون خلال هذه الأسابيع، أقول لهم ينبغي أن تواصلوا المسيرة، فإن وقوفكم معنا يشد من أزرنا ويشد من أزر إخوانكم في أفغانستان، وزيدوا من البذل في مكافحة هذا الإجرام العالمي الذي لم يسبق له مثيل.

وا إسلاماه.. أيها المسلمون هبوا إلى نصرة دينكم فإن الإسلام يناديكم..

وا إسلاماه.. وا إسلاماه.. وا إسلاماه..

ألا هل بلغت اللهم فاشهد، ألا هل بلغت اللهم فاشهد، ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٩- مقابلته مع مراسل قناة الجزيرة تيسير علوني:

النص الكامل للقاء الصحفي مع الإمام أسامة بن لادن الذي أجراه تيسير علوني ولم تنشره قناة الجزيرة، وقد أجري اللقاء في ٢١ أكتوبر تشرين الأول ٢٠٠١م:

تيسير علوني:

سؤال يتردد على ألسنة الكثير من الناس في مختلف أنحاء العالم، وتدعي الولايات المتحدة بأن لديها دلائل مقنعة على تورطك في أحداث نيويورك وواشنطن، فما ردكم على هذه الادعاءات؟

الشيخ أسامة بن لادن:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وأما وصفها لهذه الأعمال بالإرهاب، فهو وصف باطل، فهؤلاء الشباب الذين فتح الله عليهم ونقلوا المعركة إلى قلب أمريكا، ودمروا أبرز معالمها، معالمها الاقتصادية، ومعالمها العسكرية، ذلك بفضل الله سبحانه وتعالى، كانوا يقومون بذلك - مما فهمنا وهو ما حافظنا عليه من قبل - هو دفاعا عن النفس.. دفاعاً عن إخواننا وأبنائنا في فلسطين وتحريراً لمقدساتنا، فإن كان التحريض على ذلك إرهاباً، وإن كان قتل الذين يقتلون أبناءنا إرهاباً، فليشهد التاريخ أننا إرهابيون.

تيسير علوني:

طيب يا شيخ، المراقب لتصريحاتكم ولبياناتكم قد يربط بين القسم الذي أدليتم به مؤخراً، قلتم حرفياً: (أقسم بالله العظيم الذي رفع السماء بغير عمد، لن تهنأ أمريكا بالأمن ما لم نعشه واقعاً في فلسطين) فمن السهل على أي متابع للأحداث أن يربط بين ما حصل من اعتداءات إرهابية في نيويورك وواشنطن وقسمكم هذا، فما رأيكم في هذا الاستنتاج؟

الشيخ أسامة بن لادن:

الربط سهل، من حيث أننا حرضنا على ذلك فنحن حرضنا منذ سنين، وأصدرنا بيانات وأصدرنا فتاوى في هذا الباب، وغير ذلك أيضاً من التحريض المستمر في لقاءات كثيرة ونشر في الإعلام، فإن قصدوا أو قصدتم أن هناك صلة نتيجة التحريض فهذا صحيح، فنحن نحرض والتحريض متعين اليوم، وقد كلف الله سبحانه وتعالى به خير البشر محمداً ﷺ وقال سبحانه: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَن يَكُفَّ بَاسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللهُ أَشَدُّ بَاساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾. فكف بأس الكفار سبيله القتال والتحرير. فهذا الربط صحيح أننا حرضنا على قتال أمريكان واليهود، فهذا صحيح.

تيسير علوني:

شيخ أسامة بن لادن.. تنظيم القاعدة يواجه الآن دولة تتسيد العالم عسكرياً وسياسياً وتكنولوجياً، بأي منطق يمكن لتنظيم القاعدة، التي لم تصل بالتأكيد إمكاناته المادية إلى الإمكانات التي تملكها الولايات المتحدة، بأي منطق يمكن لتنظيم مثل القاعدة هزيمة أمريكا عسكريا؟

الشيخ أسامة بن لادن:

الحمد لله، أقول أن المعركة ليست بين تنظيم القاعدة والصليبية العالمية، المعركة بين الإسلام بين أهل الإسلام والصليبية العالمية، وهذا التنظيم بفضل الله سبحانه وتعالى كان مع إخواننا المجاهدين الأفغان، وكان الناس يقولون مثل هذا الكلام وأشد منه، كيف لكم أن تهزموا الاتحاد السوفيتي؟ والاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت كان قوة عظيمة جداً ترعب العالم بأسره، وحلف الناتو (حلف شمال الأطلسي) يرتعد خوفاً من الاتحاد السوفيتي...

فأين تلك القوة التي مُنّ بها علينا وعلى إخواننا المجاهدين وأصبح الاتحاد السوفيتي بفضل الله أثراً بعد عين، لم يعد هناك الاتحاد السوفيتي، تقسم إلى دويلات كثيرة وبقيت روسيا، فالذي مدنا بمدد من عنده سبحانه وتعالى، وثبتنا سبحانه وتعالى إلى أن انهزم الاتحاد

السوفيتي هو قادر سبحانه وتعالى أن يمدنا مرة أخرى بمدد من عنده لهزيمة أمريكا على نفس الأرض بفضل الله سبحانه وتعالى، ومع نفس الأقوام، فذلك فضل الله سبحانه وتعالى.

فنحن نعتقد أن هزيمة أمريكا هو أمر ممكن بإذن الله سبحانه وتعالى، وهو أيسر علينا بإذنه سبحانه وتعالى من هزيمة الاتحاد السوفيتي سابقاً.

تيسير علوني:

كيف تفسرون ذلك؟ لماذا هو أيسر؟

الشيخ أسامة بن لادن:

جربنا من إخواننا الذين خاضوا قتالاً مع الأمريكان، على سبيل المثال في الصومال، لم نجد هناك قوة تذكر، هناك هالة ضخمة جداً على أمريكا والولايات المتحدة، بها ترعب الناس قبل أم يخوضوا قتالاً، فجرب إخواننا الذين كانوا هنا في أفغانستان وفتح الله عليهم مع بعض المجاهدين في الصومال، فخرجت أمريكا تجر أذيال الخيبة والهزيمة والخسران، لا تلوي على شيء، خرجت بأسرع مما كان يتصور، ونست كل ذلك الضجيج الإعلامي الضخم عن النظام العالمي الجديد، وعن أنها هي سيدة ذلك النظام، وأنها تفعل ما تريد، نفت كل هذه الترهات ولمت جيشها انسحبت مهزومة بفضله سبحانه وتعالى.

فجربنا القتال ضد الروس من ٧٩ إلى ٨٩ عشر سنوات بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم واصلنا ضد الشيوعيين في أفغانستان، واليوم نحن في نهاية الأسبوع الثاني، شتان شتان بين المعركتين، وبين هذه الفئة وتلك، فنرجو الله سبحانه وتعالى أن يمدنا بمدد من عنده وأن يكسر أنف أمريكا راغمة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تيسير علوني:

طيب يا شيخ، على ذكر الأرض تحديداً، قلتم (نهزم على هذه الأرض) ألا ترون أن وجود تنظيم القاعدة على أفغانستان يكلف الشعب الأفغاني ثمنا باهظاً؟

الشيخ أسامة بن لادن:

يعني هذه النظرة جزئية، ونظرة غير مكتملة، من زاوية واحدة، عندما جئنا إلى أفغانستان وجئنا لنصرة المجاهدين عندما دخل الروس في عام ١٣٩٩ للهجرة الموافق ٧٩ ميلادي، الحكومة السعودية طلبت رسمياً منا بأن لا ندخل إلى أفغانستان، لأن دخولي إلى أفغانستان نظراً لقرب الأسرة من النظام السعودي هناك، كانت الرسالة بالأمر أن أسامة لا يدخل إلى أفغانستان ويبقى عند المهاجرين في بشاور، لأن الروس لو مسكوا أو أسروا أسامة فهذا سيكون دليل علينا أننا نحن ندعم المجاهدين ضد الاتحاد السوفيتي، ويومها العالم كله يرجف من الاتحاد السوفيتي، فلم أبال بهذا المنع، وفي ذلك ضرر عليهم من وجهة نظرهم هم.

فلما جئنا إلى الأفغان في المرة الأولى تحملنا ما تحملنا رغبة في إحياء النفس المسلمة، وحفظ الأطفال وإضرار المسلم هنا ونصرة للدين، فهذا واجب على المسلمين جميعاً، لا نقول أنه واجب فقط على الأفغان، وإذا قمت أو قام أخواني الذين جاؤوا للجهاد بهذا الواجب لنصرة إخواننا في فلسطين، فلا يعني أن أسامة فقط يتحمل هو لوحده، واجب على الجميع وعلى الأمة بأسرها أن تتحمله في سبيل الله، والجهاد متعين اليوم علينا وعلى الأفغان وعلى غيرهم، فصحيح أنهم يتحملون ولكن هذا واجب شرعي، فينبغي عليهم وعلى الآخرين التحمل هذا في سبيله.

وإضافة إلى ذلك أن الذي يخف هذا الضرب على الأفغان بسببنا فقط، رغم أن السبب ليس شخصي، فأمريكا لم تأخذ أموالي ابتداء ولا آذتني بشيء وإنما نظراً لتحريضنا ضد اليهود والأمريكان دفاعاً عن أمة الإسلام جاء هذا الكلام منهم.

لكن معلوم أن أمريكا ضد قيام أي دولة إسلامية، وقد صرح أمير المؤمنين في أكثر من مناسبة، وصرح كثير من كبار الطلبة، أنهم مقصودون لدينهم، لا لمجرد وجود أسامة بن لادن، وكما قال جاء البريطانيون وهجموا على أفغانستان قبل أن يوجد أسامة بن لادن، ثم جاء الروس قبل أم نجيء، والآن جاء الأمريكان، فنرجو الله أن يهزمهم كما هزم حلفائهم من قبل.

تيسير علوني:

عودة إلى ما حصل من اعتداءات في نيويورك وواشنطن، ما هو تقيمكم لما حصل؟ أثره على أمريكا وأثره على العالم الإسلامي؟ السؤال من شقين لو سمحتم.

الشيخ أسامة بن لادن:

أقول، الأحداث التي حصلت يوم الثلاثاء في الحادي عشر سبتمبر على في نيويورك وواشنطن، هذا حدث عظيم جداً بجميع المقاييس، وتداعياته إلى اللحظة لم تنته وما زالت مستمرة، ولئن كان سقوط الأبراج وعلى رأسها التوأم هو حدث ضخم جداً إلا أن ما تبعه من أحداث – سنتحدث عن التداعيات الاقتصادية – فهي ما زالت مستمرة، فحسب اعترافاتهم هم أن نسبة الخسارة في سوق والستريت بلغت ١٦%، وقالوا هذا الرقم قياسي لم يحصل من قبل قط، منذ أن فتحت السوق قبل أكثر ٢٣٠ سنة ما حصل هذا الانهيار الضخم، رأس المال المتداول في هذه السوق يبلغ أربعة تريليون دولار، فإذا ضربنا ستة عشر في المائة في أربعة تريليون دولار حتى نعلم حجم الخسارة التي أصابت أسهمهم يبلغ ٦٤٠ مليار دولار خسارتهم بفضل الله سبحانه وتعالى، وهذا الرقم يساوي ميزانية السودان مثلاً لمدة ٦٤٠ عام. هذا خسروه بفضل الله نتيجة ضربة من توفيق الله تمت في ساعة.

الدخل القومي الأمريكي اليومي هو ٢٠ مليار، وهم في الأسبوع الأول ما اشتغلوا شيئاً قط نتيجة الصدمة النفسية، هم إلى اليوم هذا هناك ما يذهبون إلى العمل من هول الصدمة.. فلو ضربت ٢٠ مليار في أسبوع تصل إلى ١٤٠ مليار، وهي أكثر من ذلك، وتضيفها إلى

٦٤٠ (مليار) – نكون وصلنا كام؟ انتقضنا على ٨٠٠ (مليار) تقريباً، خسارة المباني والعمائر – قلنا أكثر من ٣٠ (مليار) ثم سرحوا إلى اليوم هذا، أو قبل يومين، من شركات الطياران أكثر من ١٧٠.٠٠٠ موظف – أعطوهم فصل شغل – تسريح من أعمالهم سواء شركات الطيران الناقلة أو المصنِعة.

فذكرت تحليلات ودراسات أمريكية أن ٧٠ % من الشعب الأمريكي إلى اليوم يعانون من الاكتئاب ومن الاضطرابات النفسية بعد حادثي البرجين وضرب وزارة الدفاع – البنتاجون بفضل الله سبحانه وتعالى.

شركة واحدة من شركات الفنادق المشهورة الأمريكية – إنتركونتيننتال فصلت عشرين ألف موظف بفضل الله سبحانه وتعالى.

والتداعيات لا يستطيع أحد أن يحدد قيمة هذه الأموال من ضخامتها وكثرتها وتشعباتها، وهي في ازدياد بفضل الله سبحانه وتعالى.

فالشاهد، المبلغ يصل على أقل تقدير إلى أكثر من تريليون دولار بفضل الله سبحانه وتعالى في هذه الضربات الموفقة المباركة نرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل الإخوة في الشهداء وأن يرزقهم الفردوس الأعلى.

ولكن أقول حدثت هناك تداعيات أخرى خطيرة جداً، أعظم وأكبر وأخطر من سقوط الأبراج، وهو هذه الحضارة الغربية التي تتزعمها أمريكا، تحطمت قيمها وتحطمت تلك الأبراج المعنوية الهائلة التي تتحدث عن الحرية وعن حقوق الإنسان وعن الإنسانية، أصبحت هباء منثورا.

وظهر ذلك جلياً، عندما تدخلت الحكومة الأمريكية ومنعت وكالات الإعلام من نقل كلمات لنا لا تتجاوز بضع دقائق، لأنهم شعروا بأن الحقيقة بدأت تظهر للشعب الأمريكي، وأننا على الحقيقة لسنا إرهابيين بالمعنى الذي يريدونه، ولكن لأننا يُعتدى علينا في فلسطين

وفي العراق وفي لبنان وفي السودان وفي الصومال وفي كشمير وفي الفلبين وفي كل مكان، وأن هذا رد فعل من شباب الأمة على اعتداءات الحكومة البريطانية (ربما – فلتة لسان ويقصد الأمريكية)، لذلك صرحوا بهذا التصريح وأمروا بهذا الأمر ونسوا كل ما ذكروا عن الرأي والرأي الآخر وهذه الأمور.

فأقول إن الحرية والحريات في أمريكا وحقوق الإنسان قُدمت إلى المقصلة إلى غير رجعة إلا أن تستدرك سريعاً، فالحكومة ستُدخل الشعب الأمريكي والغرب عموماً سيدخل في حياة خانقة، في جحيم لا يحتمل بسبب أن قيادات الحكومات هناك هم على صلة وثيقة، وتحت النفوذ واللوبي الصهيوني، يخدمون مصالح "إسرائيل" التي تقتل أبناءنا وأطفالنا بغير حق من أجل أن يبقوا هم على سدة الحكم.

تيسير علوني:

بالنسبة لأثر هذه العمليات على العالم الإسلامي، تضاربت الأقوال هناك من أن فرحة سادت لدى كثيرين في العالم الإسلامي، وتسمعون أنتم التصريحات الرسمية وتصريحات من يستطيع التصريح، يقولون دائماً أن هذه اعتداءات إرهابية، مدنيين أبرياء نحن لا نقبل بها، هذه تتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وما إلى ذلك، فما هو تقييمكم لما حصل من خلال رصدكم ومتابعتكم لما يجري في العالم الإسلامي من خلال الشبكة التي تملكونها وتديرونها في مختلف أنحاء العالم؟

الشيخ أسامة بن لادن:

أقول إن الأحداث أثبتت بشكل كبير جداً مدى الإرهاب الذي تمارسه أمريكا على العالم، فصرح بوش أن الناس لا يمكن أن يكون هناك إلا قسمان: قسم هو بوش ومن معه، وأي دولة لا تدخل مع حكومة بوش مع الصليبية العالمية، هي بالضرورة مع الإرهابيين، فأي إرهاب أظهر وأوضح من هذا الإرهاب؟ فاضطرت كثير من الدول التي لا تملك من أمرها شيئاً يذكر إلى مجاراة هذا الإرهاب العالمي الشديد، واضطروا في البداية إلى أن يجاملوه ويقولوا

نحن معك، وهم يعلمون جميعاً علم اليقين أننا ندافع عن إخواننا وأننا ندافع عن مقدساتنا، ولذلك تصريحات الزعماء سواء الغربيين أو الشرقيين في المنطقة، قالوا إنه لا بد من حل المشاكل والبذور الأساسية للإرهاب.. فما هي هذه المشاكل؟ قالوا قضية فلسطين.

إذن نحن أصحاب قضية عادلة، ولكن خوفاً من أمريكا لم يستطيعوا أن يقولوا نحن أصحاب قضية عادلة، يقولون عنا أننا إرهابيون ولكن حلوا قضية فلسطين

وبناءً على ذلك، على هذه الضربات ومن تداعياتها تحرك بوش وبلير قالوا حان الآن الوقت لإقامة دولة مستقلة لفلسطين.. سبحان الله منذ عشرات السنين ما حان الوقت إلا بعد هذه الضربة!

فهم لا يفقهون غير لغة الضرب وغير لغة القتل، فكما يقتلوننا لا بد أن نقتلهم حتى يحصل هناك توازن في الرعب.

هذه أول مرة يقترب ميزان التوازن في الرعب بين الطرفين بين المسلمين والأمريكان في هذا العصر الحديث.

كان الساسة الأمريكيون يفعلون بنا ما يشاؤون، وتمنع الضحية من أن تصيح أو تتأوه، تدمير للمسلمين، ثم يخرج علينا كلينتون ويقول أن من حق "إسرائيل" أن تدافع عن نفسها بعد مجزرة قانا (عام ٩٦)، حتى لم يسمحوا بمجرد التوبيخ للإسرائيليين.

وعندما زار الرئيس الجديد بوش وكولن باول وزير الخارجية، ما زالوا في الشهور الأولى من حكمهم، قالوا سوف ننقل السفارة الأمريكية إلى القدس، والقدس ستبقى عاصمة أبدية لـ "إسرائيل"، وصفق لهم الكونجرس ومجلس النواب، فهذا نفاق ليس بعده نفاق، وهذا ظلم واضح بيّن، فهم لا يفقهون إلا إذا وقع الضرب على رؤوسهم، فمن فضل الله سبحانه وتعالى انتقلت المعركة إلى داخل أمريكا، وسنسعى إلى المواصلة فيها بإذن الله حتى يتم النصر أو نلقى الله سبحانه وتعالى دون ذلك.

تيسير علوني:

طيب يا شيخ، أنا أرى أن إجاباتكم تقودنا دوماً إلى الحديث عن فلسطين والقضية الفلسطينية، فدعنا نقود السؤال: بياناتكم الأخيرة، أو بالتحديد بيان صدر منذ سنوات يدعو إلى قتال اليهود والصليبيين، نحن نذكر طبعاً أن عنوان كان موجوداً عليه بين قوسين جملة من الحديث الشريف ((أخرجوا المشركين من جزيرة العرب))، وكان تركيزكم على إخراج الأمريكيين من جزيرة العرب، لكن بدأنا نرى في الآونة الأخيرة تبديلاً في أولوياتكم، وضعتم قضية فلسطين أو ما تسموها أنتم "قضية الأقصى" في المقدمة وأعدتم قضية الحرمين إلى المقام الثاني إن صح التعبير، فما تعليقكم على ذلك؟

الشيخ أسامة بن لادن:

أقول لا شك أن الجهاد فرض عين لتحرير الأقصى ولإنقاذ المستضعفين في فلسطين وفي لبنان وفي العراق وفي جميع بلاد الإسلام، ولا شك أن تحرير جزيرة العرب من المشركين أيضاً هو كذلك فرض عين، لكن في مسألة تقديم أو بعض الكلام أنه يقال أن أسامة الآن وضع قضية فلسطين فهذا غير صحيح، فللعبد الفقير محاضرات ١٤٠٧ هجرية تحث المسلمين على المقاطعة الاقتصادية ضد البضائع الأمريكية، وكنت أقول إن أموالنا يأخذها الأمريكان ويعطوها لليهود، فقتلوا فيها أخواتنا في فلسطين، فهذا فرض عين، وهذا فرض عين، وفروض عيان كثيرة في الجهاد ككشمير وغيرها.

وفي الجبهة التي أنشأت قبل بضع سنين كان عنوانها – مسمى الجبة – الجبهة الإسلامية ضد اليهود والصليبيين، وذكرنا لهذين الحدثين أو لهاتين القضيتين من باب الأهمية، فأحياناً قد تتوفر مقومات في إحدى القضيتين تدفع بها أكثر من غيرها، فنتحرك بهذا الاتجاه دون إهمال للاتجاه الآخر.

تيسير علوني:

ما هي المقومات التي دفعت بكم إلى قضية فلسطين؟

الشيخ أسامة بن لادن:

ففي المرحلة الأخيرة قيام الانتفاضة المباركة الأخيرة – انتفاضة رجب – ساعدت على الدفع في هذا الاتجاه، فهذا كان من أكبر الأسباب التي ساعدت في هذه القضية، ودفعنا بهذا أو ذاك، إنما نحن نسعى في واجب إلى واجب والانتقال من واجب إلى ما هو آكد منه لا حرج فيه شرعاً، وكلها يخدم بعضه بعضا، فضرب الأمريكان لقضية فلسطين يخدم ضربهم لقضية الحرمين والعكس بالعكس، ضرب الأمريكان، يعتبرون هم خط دفاعي لليهود في مناطق تبوك والمنطقة الشرقية، فلا تعارض بن الأمرين.

تيسير علوني:

يا شيخ، الآن بالنسبة لليهود والصليبيين أو الصليبيين واليهود كما تقولوا أنتم، أنتم أفتيتم بوجوب جهاد اليهود والصليبيين، فنحن نرى أن بعض الفتاوى الأخرى صدرت عن علماء آخرين، قد يكون هناك من يؤيدكم ولكن بالتأكيد هناك من علق أو من عارض فتاواكم هذه.

بعضهم قال: على أي أساس شرعي يمكن أن نقتل اليهودي لدينه، لأنه يهودي، أو الصليبي أو النصراني لأنه نصراني فقط؟ فاختلفت فتاواكم يعني لا يوجد فيها تنسيق مع فتاوى بقية العلماء؟

الشيخ أسامة بن لادن:

الحمد لله، أقول إن هذه الأمور قد صدرت فيها فتاوى كثيرة، ومن المسلمين في باكستان صدرت فتاوى كثيرة للعلماء، كان من أبرزهم مفتي نظام الدين وفي بلاد العرب، خاصة في بلاد الحرمين صدرت فتاوى كثيرة ومؤكدة ومتكررة كان من أبرزها فتوى حمود بن عبد الله

بن عقلة الشعيبي – نرجو الله أن يبارك في عمره [١] –، وهو من كبار العلماء في تلك الديار في بلاد الحرمين، يؤيد بوجوب قتال الأمريكان وقتال الإسرائيليين في فلسطين ويبيح دمائهم وأموالهم، كذلك صدرت فتوى للشيخ سليمان العلوان، وكذلك صدر كتاب لأحد طلبة العلم في حقيقة الحروب الصليبية الجديدة، وفند فيه مزاعم الذين يزعمون أن هذا القتال لا يصح ومن زعم الجواز الشرعي، قال إن هناك مفاسد أيضاً فند فيه، نعم فاطلعت عليه فجمع جمعاً جيداً موفقاً، نرجوه الله أن يبارك فيه [٢].

تيسير علوني:

وماذا عن قتل المدنيين الأبرياء؟

الشيخ أسامة بن لادن:

قتل المدنيين الأبرياء كما تزعم أمريكا ويزعم بعض المثقفين، كلام عجيب جداً، يعني من الذي قال أن أبنائنا والمدنيين عندنا غير أبرياء ودمهم مباح؟ ولو بدرجة ما؟ وإذا قتلنا المدنيين عندهم صاحت الدنيا علينا من مشرقها إلى مغربها وألبت أمريكا حلفاءها وعملاءها وصبيان عملائها.. من الذي قال أن دماءنا ليست دماء ودماءهم دماء؟ من الذي أفتى بهذا؟ من الذي يقتل في بلادنا منذ عشرات السنين؟ أكثر من مليون طفل، أكثر من مليون طفل ماتوا في العراق وما زالوا يموتون، فلمَ لم نسمع فارق أو مستنكر ولا من يوافي ولا من يعزي؟

---

[١] مات الإمام حمود الشعيبي رحمة الله عليه في شهر ذي القعدة من عام ١٤٢٢هـ نسأل الله أن يرفع درجته في المهديين وأن يحشره مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً. آمين.

[٢] هذا المؤلَف للشهيد بإذن الله الشيخ يوسف العييري نسأل الله أن يتقبله وأن يرحمه وقد سمى نفسه في هذا الكتاب بقاهر الصليبين صلاح الدين الأيوبي.

وقد صح عن النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: ((دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)). هذا في هرة فكيف بملايين المسلمين الذين يقتلون؟

أين المثقفون؟ أين الكتاب؟ أين العلماء؟ أين الأحرار؟ أين من في قلوبهم ذرة من إيمان؟ كيف هؤلاء يتحركون إذا قتلنا المدنيين الأمريكان ونحن كل يوم نقتل، كل يوم في فلسطين يقتل الأطفال؟!

هناك خلل عظيم جداً عند الناس، لا بد من وقفة قوية واضحة ومراجعة للحسابات، ولكن طبيعة البشر يميلون مع القوي من حيث لا يشعرون، فهم إذا تكلموا علينا يعلمون أننا لا نرد عليهم، وإذا وقفوا في صف الحكومات والأمريكان يشعرون بشيء من حيث لا يشعرون..

وقديماً قام ملك من الملوك العرب –كما جاء في أيام العرب – وقتل رجلاً من العرب، فالناس ألفت أن الملوك تقتل البشر، فترصد أخو المقتول لهذا الملك وقتله، فلما المظلوم ولي الدم انتصر لأخيه عاتبه الناس، قال تقتل ملكاً من أجل أخيك؟

ومن الذي قدم الملك؟! هذه نفس وهذه نفس والنفوس تتكافأ، ودماء المسلمين تتكافأ..

ففي ذلك العصر كانت الدماء متكافئة، فقال هذا الرجل وكان حليماً، قال: أخي ملكي – هذا الّي أنتم شايفينه ملكي –.

ونحن جميع أبنائنا في فلسطين هم ملوكنا، نقتل ملوك الكفر وملوك الصليبيين والمدنيين الكافرين مقابل ما يقتلون من أبنائنا، وهذا جائز شرعاً وجائز عقلاً.

تيسير علوني:

إذاً أنتم تقولون هذا من باب المعاملة بالمثل، يقتلون أبرياءنا فنقتل أبرياءهم؟

الشيخ أسامة بن لادن:

ونقتل أبرياءهم، ويكون جائز شرعاً وجائز عقلاً، لأن الذين تكلموا في هذا الأمر بعضهم تكلم من منطلق شرعي.

تيسير علوني:

ما هو دليلهم؟

الشيخ أسامة بن لادن:

أنه لا يجوز، وذكروا دليلاً، أن الرسول عليه الصلاة والسلام منع من قتل الأطفال والنساء، وهذا صحيح ثابت على النبي عليه الصلاة والسلام.

تيسير علوني:

هذا ما نسأل عنه بالضبط؟

الشيخ أسامة بن لادن:

ولكن هذا النهي عن قتل الأطفال الأبرياء ليس مطلقاً، وهناك نصوص أخرى تقيده، فقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ قال أهل العلم صاحب الاختيارات وغيره من أهل العلم وابن القيم والشوكاني وغيرهم كثير والقرطبي رحمه الله في تفسيره: أن الكفار إذا تقصدوا أن يقتلوا لنا نساء أو أطفال، فلا حرج أن نعاملهم بالمثل، ردعاً لهم أن يعيدوا الكرة لقتل أطفالنا ونسائنا، فهذا من الناحية الشرعية.

وأما الذين يتكلمون دون علم بالشريعة، ويقولون: هذا طفل لا ينبغي أن يقتل.. وعلماً أن هؤلاء الشباب الذين فتح الله عليهم لم يتعمدوا قتل الأطفال، وإنما ضربوا أكبر مركز للقوة العسكرية في العالم – البنتاجون، الذي هو أكثر من أربعة وستين ألف موظف – مكان عسكري ومركز فيه القوة والخبرة العسكرية.

تيسير علوني:

وماذا عن الأبراج التجارة العالمية؟

الشيخ أسامة بن لادن:

الأبراج التجارة العالمية – الذين ضُربوا فيها وقتلوا فيها هم قوة اقتصادية وليسوا مدرسة أطفال وليس سكن، الأصل أن الذين هم في هذه المراكز رجال، يدعمون أكبر قوة اقتصادية في العالم تعيث في الأرض فسادا.

فهؤلاء لا بد أن يقفوا وقفة لله سبحانه وتعالى ويعيدوا الحسابات، لا بد أن يعيدوا هذه الحسابات، فنحن نعامل بالمِثل: الذين يقتلون نساءنا وأبرياءنا نقتل نساءهم وأبرياءهم إلى أن يكفوا عن ذلك.

تيسير علوني:

الآن شيخ أسامة، أجهزة الإعلام في كل مكان، وأجهزة الاستخبارات أيضاً تتحدث عن أنكم تديرون شبكة واسعة جداً، واسعة النطاق، تنتشر في أربعين أو خمسين دولة حسب بعض الأقوال، وأن إمكانات تنظيم القاعدة المالية إمكانات ضخمة جداً، وأنتم تستخدمون هذه الإمكانات في الكثير من ما نفذ من عمليات، وتدعمون حركات إسلامية، أو حركات تسمى في أماكن أخرى إرهابية.. السؤال الموجه لكم، ما هو مدى ارتباط تنظيم القاعدة، وجود تنظيم القاعدة بشخص أسامة بن لادن؟

الشيخ أسامة بن لادن:

الحمد لله، أقول بالنسبة لما ذكرتم، وأكرر ما ذكرته من قبل، أن الأمر لا يخص العبد الفقير ولا يخص تنظيم القاعدة، نحن أبناء أمة إسلامية قائدها محمد ﷺ، ربنا واحد سبحانه وتعالى، ونبينا واحد عليه الصلاة والسلام، وقبلتنا واحدة، ونحن أمة واحدة، ولنا كتاب واحد، هذا الكتاب الكريم والسنة المطهرة عن نبينا عليه الصلاة والسلام ألزمتنا شرعا بأخوة

الإيمان، فكل المؤمنين إخوة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، فليست المسألة كما يصورها الغرب أن هناك تنظيم خاص باسم كذا، هذا الاسم قديم جداً ونشأ بدون قصد منا، كان الأخ أبو عبيدة عليه رحمة الله البنشيري كوّن معسكر لتدريب الشباب للقتال ضد الاتحاد السوفيتي الباغي، الغاشم، الملحد، الإرهابي حقيقة للآمنين، فهذا المكان كنا نسميه القاعدة كقاعدة تدريب ثم نما هذا الاسم، أما نحن غير منفصلين عن الأمة، نحن أبناء أمة ونحن جزء لا يتجزأ منها، وما هذه المظاهرات العارمة من أقصى المشرق من الفلبين إلى ماليزيا إلى إندونيسيا إلى الهند وباكستان وموريتانيا، إلى.. أنه نحن نتحدث عن ضمير الأمة، هؤلاء الشباب الذين ضحوا بأنفسهم – نرجو الله أن يتقبلهم في نيويورك وواشنطن– هؤلاء هم المتحدثون على الحقيقة لضمير الأمة، وهم ضميرها النابض الذي يرى أنه لا بد من الانتقام من الظالم، من الباغي، من المجرم، من الإرهابي على الحقيقة الذي يرهب الآمنين، فليس كل إرهاب مذموم، فهناك إرهاب مذموم، وهناك إرهاب محمود..

لو نأخذ بقولهم، فالمجرم اللص يشعر بالإرهاب من الشرطي – من البوليس، فهل نقول لشرطي أنت إرهابي أرهبت اللص؟ لا، فهذا إرهاب البوليس للمجرمين إرهاب محمود، وإرهاب المجرم للآمنين إرهاب مذموم.

فأمريكا تمارس الإرهاب المذموم، هي و"إسرائيل"، ونحن نمارس الإرهاب المحمود الذي هو يردع هؤلاء عن قتل أطفالنا في فلسطين وغيرها.

تيسير علوني:

طيب شيخ أسامة، ما هي إستراتيجية تنظيم القاعدة في الدول العربية، الملاحظ أن بعض الدول العربية علقت على ما حصل في نيويورك وواشنطن، علقت تعليقاً مؤيداً للاتهامات الأمريكية لكم بالوقوف وراء ما حصل في نيويورك وواشنطن، بعض الدول العربية أشد شططاً في تعليقها، مثلاً تعليق وزير الداخلية السعودي الأخير الذي حذر منكم شخصياً

وحذر من اتباع نهجكم ومن اتباع ما تقولونه، فهل لديكم استراتيجية خاصة بالدول العربية؟ وما هو ردكم على التصريح الأخير لوزير الداخلية السعودي؟

الشيخ أسامة بن لادن:

أؤكد أننا جزء من هذه الأمة، وأن هدفنا هو نصرة أمتنا والسعي لرفع الظلم والذل والهوان والخنوع عنها، ورفع الأحكام الوضعية التي فرضتها أمريكا على عملائها في المنطقة، لتُحكم هذه الأمة بكتاب ربها الذي خلقها سبحانه وتعالى.. فاستمعت إلى طرف من كلام وزير الداخلية، واتهمنا بالاسم بشكل مباشر وقال إن هؤلاء يكفرون المسلمين، معاذ الله، فإننا نعتقد أن المسلمين مسلمون ولا نكفر أحداً إلا إذا ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، إن كان عالماً بأن هذا ناقض للإسلام، أو من معلوم من نواقض الدين بالضرورة.

لكن نقول عموماً، همنا أن تجتمع هذه الأمة على كلمة سواء تحت كتاب ربنا سبحانه وتعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وأن تتحرك هذه الأمة لقيام الخلافة الراشدة مع الأمة الإسلامية عموماً التي بشرنا رسولنا عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح أن الخلافة الراشدة ستعود بإذن الله سبحانه وتعالى، والمطلوب من الأمة أن توحد جهودها في هذه الحملة الصليبية، فهذه أشد وأعنف وأشرس حملة صليبية تقوم على العالم الإسلامي منذ فجر التاريخ العالم الإسلامي، فقد مرت حروب صليبية سابقة ولكن لم يسبق لمثل هذه الحملة مثيل.

وقد صرح بوش بلسانه (Crossade الحرب الصليبية)، فالغريب أننا نقوّل ما لم نقل، ويصدق بعض الناس، يقال أننا كما ذكر وزير الداخلية، نكفر المسلمين، معاذ الله من ذلك، وبوش عندما يقول، يلتمسون له الأعذار، يقول ما قصدنا حرب صليبية، هو قال أنها حرب صليبية..

فصورة العالم اليوم (منقسمة) إلى قسمين، وقد أصاب بوش عندما قال: "إما معنا أو مع الإرهاب"، أي إما مع الصليبية أو مع الإسلام، بوش صورته اليوم، هو في أول الطابور يحمل الصليب الضخم الكبير ويسير، وأشهد بالله العظيم، أن كل من يسير خلف بوش في خطته هو قد ارتد عن ملة محمد ﷺ، وهذا الحكم هو من أوضح الأحكام في كتاب الله وفي سنة الرسول ﷺ، وقد أفتى كما ذكرت المشايخ من قبل، والدليل على ذلك قوله سبحانه وتعالى مخاطباً المؤمنين قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. قال أهل العلم: (الذي يتولى الكفار قد كفر).

ومن أعظم معالم الولاية المناصرة بالقول وبسنان وبالبيان، فالذين يسيرون خلف بوش وفي حملته ضد المسلمين، قد كفروا بالله ورسوله سبحانه وتعالى.

ويقول أيضاً في الآية التي تليها سبحانه وتعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دائرة فَعَسَى اللّهُ أَن يَاتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾.

ويقول: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره وغيره: كان كثير من الصحابة لا يعلمون أن رأس النفاق منافق كافر، عبد الله بن أبي بن سلول، فلما وقع ما وقع بين المسلمين واليهود من خلاف، أراد رسول الله ﷺ أن يعاقب اليهود، تحرك رأس النفاق ووقف مع صف اليهود وحال بين رسولنا عليه الصلاة والسلام وبين اليهود، فهذه الآيات نزلت فيه وفي أمثاله.

فالذين يتولون الذين كفروا، قد كفروا بالله سبحانه وتعالى ورسوله.

وتزيد الآية التي تليها تعقيباً على ما فات، لأن هذا الذي تولى الكافرين قد ارتد، فجاءت الآية: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَاتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

فأقول للمسلمين: فليحذروا أشد الحذر من موالاة اليهود والنصارى، ومَن زلت قدمه بكلمة فليتق الله ويجدد إيمانه وليتوب مما فعله.

تيسير علوني:

حتى الكلمة؟

الشيخ أسامة بن لادن:

حتى الكلمة، الذي يواليهم بكلمة يقع في الردة.. ردة جامحة ولا حولا ولا قوة إلا بالله.

تيسير علوني:

ولكن قسم كبير جداً من الأمة..؟

الشيخ أسامة بن لادن:

ليس قسم كبير، هذا حكم الله سبحانه وتعالى وبيّن واضح في كتابه الكريم، وهو من أوضح الأحكام.

تيسير علوني:

الحكومات العربية والإسلامية؟

الشيخ أسامة بن لادن:

الكل، لا يضرنا أن تقول عمر أو زيد، اعرف الحق، تعرف أهله، لا تعرف الحق بالرجال، هذا كتاب الله سبحانه وتعالى، من الثوابت عندنا، لو تمالأت الدنيا على تغيير أي شيء فيه لا يضيرنا ولا يغير من قناعتنا شيئا، هو إما حق أو باطل إما إسلام وإما كفر.

تيسير علوني:

هل من ممكن أن تحدد لو سمحتم، ألا يمكن التماس العذر لبعض الدول التي قد تعتبر مغلوبة على أمرها، دعنا نأخذ دولة قطر مثلاً. دولة قطر دولة صغيرة، قال وزير خارجيتها في إحدى المرات، أنني محاط بدولة عظمى ممكن أن تمحني من الخارطة بكل سهولة، لذلك مضطر للتحالف مع الأمريكان وغير الأمريكان، ألا يمكن التماس العذر لدولة قطر؟ مثل الكويت مثلا؟ مثل البحرين؟

الشيخ أسامة بن لادن:

في هذه الأمور، في أمور الإسلام هذه وفي أمور قتل المؤمنين والمسلمين، هذا الذي يفعله هؤلاء الناس ويتحججون بالإكراه ليس هو من الإكراه المعتبر شرعاً.. هذا الإكراه لا يعتبر شرعاً.. لو جاء الآن أمير قطر وأمر رجلاً عنده أن يقتل ابنك، فجئنا إلى هذا العسكري، لماذا قتلت ابن الأخ تيسير، فيقول: إنني مكره، أنت يا تيسير تعرف معزتك عندي ولكن أنا مكره، فتضيع دماء الناس بهذه الحجج، هذا إكراه غير معتبر شرعاً، ليس نفس هذا العسكري بأفضل من نفس ابنك، هو يقتل مظلوماً، أما ليس له الحق أن يعين ظالم على قتل ابنك، فهذا إكراه غير معتبر شرعاً.

تيسير علوني:

ما هو تعليقكم على ما يقوله صمويل هانجتينتون وأمثاله من حتمية صراع الحضارات؟ ترديدكم الدائم لكلمة الصليبية والصليبين يشير إلى أن أنكم تؤيدون هذه المقولة بحتمية صراع الحضارات؟

الشيخ أسامة بن لادن:

أقول لا شك في ذلك، فهذا أمر واضح مثبت في الكتاب والسنة، ولا يصح لمؤمن يدعي الإيمان أن يكذب هذه الحقائق.. قال بها عمرو أم لم يقل بها، المعتبر عندنا ما جاءنا من كتاب الله ومن سنة رسولنا عليه الصلاة والسلام، ولكن اليهود وأمريكا جاؤوا بخرافة يروجونها على سذج المسلمين، وتبعهم للأسف حكام المنطقة وكثير من مَن ينتسبون الثقافة بالدعوة إلى السلام والسلام العالمي، هذه الخرافة لا أساس لها بتاتاً.

تيسير علوني:

السلام؟

الشيخ أسامة بن لادن:

السلام الذين يدعونه هو لتخدير الشعوب المسلمة حتى تذبح.. والذبح مستمر، وإذا جئنا ندافع عن أنفسنا، قالوا إننا إرهابيون، والذبح مستمر..

فصح عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيختبئ اليهودي وراء الشجرة والحجر، فيقول الشجر أو الحجر، يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي ورائي تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود)).

من زعم أن هناك سلام دائم مع اليهود فهو قد كفر بما أنزل على محمد ﷺ، فالصراع هو بيننا وبين أعداء الإسلام قائم وإلى قيام الساعة.

وما يسمى من سلام وجائزة السلام، هذه خرافة تعطى لأكبر السفاحين.. هذا بيغين، صاحب مجزرة دير ياسين (١٠/ ٤/١٩٤٨م) أعطي جائزة السلام، هذا الخائن أنور السادات الذي باع الأرض والبلاد وباع القضية وباع دماء الشهداء أعطي جائزة السلام.

فنحن في زمن كما صح عن نبينا عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: ((سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة)).. وهذا للأسف الشديد حال العالم الإسلامي اليوم في قياداته الكبرى وزعامته المعروفة.

فهي خداع، يخادعون الناس ويكذبون على الناس، ولكن بإذن الله فرج الله قريب ونصره الموعود قريب.

تيسير علوني:

فإذن نستطيع أن نستنتج من كلام الشيخ أسامة بن لادن أنه يقيّم هذه الأزمة الراهنة التي تمر فيها أفغانستان والحرب التي تشنها أمريكا ومن حالفها، من أنها تقع دائرة الصراع بين ما تسمونه أنتم الصليبية والإسلام. طيب كيف ترون الخروج من الأزمة الراهنة؟

الشيخ أسامة بن لادن:

نحن في معركة قوية وحاسمة كما ذكرت اليوم بيننا وبين اليهود، وعلى رأسهم "إسرائيل" ومن يدعمها من الصهاينة والصليبيين، فنحن لن نتورع في قتل الإسرائيليين الذين احتلوا مسرى نبينا عليه الصلاة والسلام، والذين يقتلون أطفالنا في المساء والصباح ونساءنا وإخواننا، وكل من يقف في خندقهم فلا يلومن إلا نفسه، فإن قصدت كيف الخروج من المأزق، فهذا الأمر بأيدي الآخرين، أما نحن فاعتدي علينا فواجبنا أولاً رفع الاعتداء، فالذي اعتدى علينا فليرفع الاعتداء.

اليهود بيّن لنا وبشرنا رسولنا عليه الصلاة والسلام، أننا سنقاتلهم بهذا الاسم وفي هذه الأرض، في هذه الأرض المباركة عند مسرى نبينا عليه الصلاة والسلام، فأمريكا أقحمت نفسها وأقحمت شعبها مراراً وتكراراً منذ أكثر من ثلاثة وخمسين سنة، وهي التي اعترفت بإسرائيل، وهي التي دعمتها، وهي التي أرسلت أنشأت جسراً جوياً ١٣٩٣ للهجرة الموافق ١٩٧٣ أيام نكسون من أمريكا إلى تل أبيب بالسلاح والعتاد والرجال، وأسفر على مجريات المعركة، فكيف لا نقاتلها، يجب على كل مسلم أن يقاتلها.

فهي إن أرادت النجاة.. نحن قلنا كلمات بسيطة ولكن أرعبت أمريكا ومحت قيمها، وادعوا ادعاءات مضحكة، قالوا إن في رسائل أسامة شفرات للإرهابيين، فكأننا نعيش في زمن البريد الزاجل، ليس هناك تليفونات، وليس هناك مسافرين، وليس هناك إنترنت، وليس هناك بريد عادي ولا بريد سريع ولا إلكتروني، يعني أشياء مضحكة جداً يستخفوا بعقول الناس، وهي كلمات.. أقسمنا أن أمريكا لن تحلم بالأمن حتى نعيشه واقعاً في فلسطين، هذا فضح الحكومة الأمريكية ووضح أنها هي تعيش عميلة لإسرائيل وتقدم مصلحة "إسرائيل" على مصلحة شعبها.

فالمسألة سهلة، لن تخرج أمريكا من هذه الأزمة إلا أن تخرج من جزيرة العرب وتوقف الدعم عن "إسرائيل"، وتوقف التدخل جميع شؤون العالم الإسلامي، هذه المعادلة لو أعطيناها لأي طفل في أي مدرسة أمريكية لحلها بسهولة في ثوان، ولكن بوش نظراً لعمالته ومن معه لا يستطيعون حلها إلا أن تأتي السيوف على رؤوسهم بإذن الله.

تيسير علوني:

شيخ أسامة، هل لديكم رسالة تودون توجيهها لمشاهديك؟

الشيخ أسامة بن لادن:

أقول بالنسبة لهذه الأزمة، ولهذا الصراع ولهذا القتال بين الإسلام والصليبية، أؤكد أننا سنواصل بإذن الله سبحانه وتعالى هذا الجهاد ونحرض الأمة على ذلك حتى نلقاه وهو راض عنا.

والحرب كما وُعدنا بها وما هي قائمة بالأساس اليوم بيننا وبين اليهود، فأي دولة تدخل في خندق اليهود فلا تلومن إلا نفسها، وإن كان الشيخ سليمان أبو غيث صرح في بعض تصريحاته السابقة، خاصة أمريكا وبريطانية، فهذا ليس للحصر، وإنما إعطاء فرصة للدول الأخرى تراجع حساباتها..

فما شأن اليابان وشأننا! من الذي يدخل اليابان في هذه الحرب الصعبة القوية الشرسة في اعتداء سافر على أبنائنا في فلسطين!

ولن تحتمل اليابان أن تدخل معنا في حرب، فلها أن تراجع نفسها..

ما شأن أستراليا في أقصى الجنوب وحال هؤلاء المستضعفين في أفغانستان! وحال المستضعفين في فلسطين!

ما شأن ألمانيا في هذه الحرب إلا الكفر والصليبية!

هي حرب تتكرر صليبية، كما كانت الحروب السابقة – ريتشارد قلب الأسد وبربروسا من ألمانيا ولويس من فرنسا – كذلك اليوم ومباشرة يوم أن رفع بوش الصليب تدافعت تدافعت الدول الصليبية..

ما شأن الدول العربية في هذه الحرب الصليبية وتدخل سفاراً جهاراً نهارا؟!

هم قد رضوا بحكم الصليب..

كل من يدعم بوش ولو بكلمة، فضلاً عن أن يقدم التسهيلات، وما يسمى تسهيلات، هي خيانة عظمى، يغيرون الأسماء، فيش تسهيلات عسكرية، تتعاون معهم على قتل أبنائنا وتقول لي تسهيلات!

كيف نصدق أن هذا النظام يجمع تبرعات للأبرياء هنا في أفغانستان وهو سبب رئيسي في إباحة بلاد الحرمين للأمريكان ومن حالفهم، كيف نصدقه وهو سبب رئيسي في قتل أكثر من مليون طفل؟!

نقول أليس عند هؤلاء الناس الذين يمشون ويسيرون خلف هؤلاء الحكام أليس عندهم قلوب؟ أليس عندهم إيمان؟! كيف يصح إيمانهم وهم يساعدون هؤلاء الكفرة، الفجرة ضد أبناء لإسلام؟! يساعدونهم ضد أبنائنا في العراق وفلسطين.

أقول كما تدين تدان..

إن الذين يتكلمون عن الأبرياء في أمريكا، لم يذوقوا حرارة فقد الأبناء، ولم يذوقوا أن ينظروا إلى أشلاء أبناءهم في فلسطين وفي غيرها، بأي حق يحرم أهلنا في فلسطين الأمن، تصطادهم طائرات الهليكوبتر في بيوتهم بين نسائهم وأطفالهم؟! كل يوم يشلون الجرحى والجثث، ثم يأتي هؤلاء السفهاء يتباكون على قتلى أمريكا ولا يتباكون على أبنائنا؟! ألا يخشون أن يعاقبوا بمثل هذا العقاب؟!

وقد صح عن نبينا عليه الصلاة والسلام: ((من لم يغز أو يخلف غازياً في أهله بخير، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة)).

فليتقوا الله وليتوبوا وليفكوا الحصار عن هؤلاء الأطفال الأبرياء.

فالغربيون هم أحرار، أوربا أرادت تدخل الحرب، هذا شأنها، أما نحن شأننا أن نقاتل من يقف في خندق اليهود..

وأمريكا وشعب أمريكا هم أحرار، دخلوا في الخندق فليستلموا ما يأتيهم..

وأما نحن، فهذا نحن في عبادة وفي جهاد، صح عن نبينا عليه الصلاة والسلام: ((قيام ساعة في الصف خير من عبادة ستين سنة)). فأي فضل أفضل من هذا؟

في رضوان الله سبحانه وتعالى، نجاهد من أجل دينه، نرجو الله أن يتقبل منا ومنكم.

وأما بالنسبة للمسلمين، فأقول لهم: فليثقوا بنصر الله سبحانه وتعالى، وليستجيبوا لأمر الله سبحانه وتعالى وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام بالجهاد ضد الكفر العالمي، فوالله السعيد من اتخذ شهيداً اليوم، والسعيد من تشرف بأن يقف تحت راية محمد ﷺ، تحت راية الإسلام لقتال الصليبية العالمية، فليتقدم كل امرىء منهم لقتل هؤلاء اليهود والأمريكان، فإن قتلهم من أوجب الواجبات ومن أعظم القربات.

وليتذكروا تعليمات نبينا عليه الصلاة والسلام، فقد قال ﷺ للغلام ابن عباس رضي الله عنهما: ((يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك، لم ينفعونك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك، لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)).

فلا تشاور أحداً في قتل الأمريكان، امض على بركة الله، وتذكر موعودك عند الله سبحانه وتعالى بصحبة خير الأنبياء عليه الصلاة والسلام.

وفي الختام، أوجه نداء إلى إخواننا في باكستان، فإن موقف الحكومة الباكستانية للأسف الشديد وباكستان هي ركن من أركان هذا التحالف المشؤوم، هذا التحالف الصليبي، فتحرك

إخواننا في باكستان بإذن الله سبحانه وتعالى سيؤدي إلى ضربة قوية لهذا التحالف الصليبي المشؤوم، فكل من وقف مع أمريكا – تسهيلات طبية وغير طبية – هذا كفر أكبر مُخرج من الملة، فينبغي على الإخوة في باكستان أن يتحركوا تحركاً جاداً لنصرة دين الله سبحانه وتعالى ولنصرة رسول الله ﷺ، فهذا الإسلام اليوم يناديهم: وا إسلاماه! وا إسلاماه! وا إسلاماه!

ألا هل بلغت، اللهم فاشهد! ألا هل بلغت، اللهم فاشهد! ألا هل بلغت، اللهم فاشهد!

والسلام عليكم ورحمة الله.

١٠- كلمة الإمام بعد ثلاثة أشهر من غزوتي نيويورك وواشنطن:

إن الحمد لله، نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد..

فبعد مرور ثلاثة أشهر على الضربات المباركة ضد الكفر العالمي ضد رأس الكفر أمريكا، وبعد مرور شهرين تقريباً على الحملة الصليبية الشرسة على الإسلام، يطيب لنا أن نتحدث عن بعض دلالات هذه الأحداث.

فهذه الأحداث بينت أموراً كثيرة في غاية الأهمية للمسلمين، فقد اتضح بجلاء أن الغرب عامة وعلى رأسه أمريكا تحمل من الحقد الصليبي على الإسلام ما لا يوصف، والذين عاشوا هذه الأشهر تحت القصف المتواصل من الطائرات الأمريكية بأنواع مختلفة يعلمون ذلك حق العلم.

فكم من قرى أبيدت بدون ذنب، وكم وكم.. لو حسبنا من الملايين الذين شردوا في هذا البرد القارس، هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان تأويهم اليوم الخيام في باكستان لا ذنب لهم، مجرد شبهة، فشنت أمريكا هذه الحملة الشرسة.

ولو كان عند أمريكا من الأدلة ما يصل إلى درجة اليقين أن الذين قاموا بهذا العمل كانوا ينتسبون إلى أوروبا، كالجيش الإيرلندي مثلاً، لكان عندها من السبل الكثير لعلاج هذه المشكلة، ولكن لما كان الأمر مجرد شبهة تشير إلى العالم الإسلامي فظهر الوجه القبيح الحقيقي وظهر الحقد الصليبي علي العالم الإسلامي بوضوح.

وبين يدي هذا الكلام أحب أن أؤكد على حقيقة الصراع بيننا وبين أمريكا، وهو في غاية الأهمية والخطورة، ليس للمسلمين فقط بل للعالم أجمع، فما تتهم به أمريكا هذه الفئة المهاجرة المجاهدة في سبيل الله لا يقوم عليه دليل وإنما هو البغي والظلم والعدوان.

فتاريخ المجاهدين العرب بفضل الله سبحانه وتعالى واضح بين أبيض ناصع، فقد خرج هؤلاء منذ ٢٠ سنة عندما ظهر الإرهاب المذموم الحقيقي على أيدي الاتحاد السوفييتي ضد هؤلاء الأطفال وضد الأبرياء في أفغانستان، ترك المجاهدون العرب أعمالهم وجامعاتهم وأهلهم وعشيرتهم ابتغاء مرضاة الله، نصرة لدين الله ثم نصرة للمستضعفين من أبناء المسلمين، فالذين خرجوا لنصرة المستضعفين لا يعقل اليوم أن يذهبوا لقتل الأبرياء كما يزعم الزاعمون!

فهذا التاريخ.. أمريكا كانت تؤيد كل من يجاهد كل من يقاتل ضد الروس، فلما من الله على المجاهدين العرب أن ينصروا المستضعفين في فلسطين أولئك الأطفال الأبرياء، غضبت أمريكا وقلبت ظهر المجن لكل من قاتل في أفغانستان.

فإن ما يجري اليوم في فلسطين أمر في غاية الوضوح، ومحل اتفاق البشرية منذ آدم عليه السلام، فإن الفطر قد تفسد ويختلف الناس في كثير من الأمور، ولكن هناك بعض الفطر يحفظها الله سبحانه وتعالى من الفساد، إلا من شذت نفوسهم وبلغت مبلغاً عاتياً في الظلم والعدوان، فمن الفطر المتفق عليها أن الناس حتى وإن أصابهم بعض الظلم وبعض العدوان نفوسهم لا تستطيع أن تقتل الأطفال الأبرياء.

وما جرى في فلسطين وما يجري اليوم من قتل متعمد للأطفال هذا أمر في غاية القبح وفي غاية الظلم والعدوان وهو يهدد البشرية جمعاء.

وما عرف التاريخ أن أحداً يقتل الأطفال إلا نادراً، وهو مذهب فرعون، والله سبحانه وتعالى منّ على بني إسرائيل هؤلاء، إذ نجاهم من فرعون ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾. فتذبيح الأطفال أمر اشتهر

به رأس الظلم والكفر والعدوان فرعون، ولكن بني إسرائيل استخدموا نفس الأسلوب ضد أبنائنا في فلسطين، والعالم أجمع نظر وشاهد العساكر الإسرائيليين وهم يقتلون محمد الدرة وغير محمد الدرة كثير.

فالعالم بأسره في شرقه وفي غربه على اختلاف مللة مجرد كون الناس ناساً استنكروا هذا الفعل، ولكن أمريكا سادرة في غيها تؤيد هؤلاء الظلمة هؤلاء المعتدين على أبنائنا في فلسطين، والله سبحانه وتعالى بيّن أن النفس إذا بغت واعتدت ووصلت إلى حد أن تقتل نفساً بغير حق فهذا أمر في غاية البشاعة، ولكن أبشع منه أن يقتل الأطفال الأبرياء، يقول سبحانه وتعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾. فهؤلاء في الحقيقة كأنما قتلوا جميع الأطفال في العالم، إسرائيل ومن ورائها أمريكا.

وما الذي يرد إسرائيل عن قتل أبنائنا غداً في تبوك وفي الجوف وفي حولها من المناطق، وما سيفعل الحكام إذا وسعت إسرائيل من أرضها المطبوعة في كتبهم الظالمة الجائرة الزائفة كما يزعمون، وقالت إن حدودنا إلى المدينة، ماذا سيفعل الحكام وهم يرضخون لهذا اللوبي الصهيوني الأمريكي؟! فلا بد للعقلاء أن يستيقظوا.

وإن ما أصاب محمد الدرة وإخوانه سوف يصيب غداً أبناءهم ونساءهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فالأمر في غاية الخطورة، والإرهاب المذموم تمارسه أمريكا على أبشع صورة في فلسطين وفي العراق، وبوش الأب هذا الرجل المشؤوم كان سبباً في قتل أكثر من مليون طفل في العراق فضلاً عن غيرهم من الناس من الرجال والنساء.

وأحداث ٢٢ جماد الثاني الموافق الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) ما هي إلا رد فعل للظلم المتواصل الذي يمارس على أبنائنا في فلسطين وفي العراق وفي الصومال وفي جنوب السودان وفي غيرها كما في كشمير وآسام.

فالأمر يخص الأمة بأسرها، فينبغي على الناس أن يستيقظوا من رقادهم، وأن يهبوا لإيجاد حل لهذه الكارثة التي تهدد البشر جميعاً.

وأما الذين أدانوا هذه العمليات، فهؤلاء نظروا إلى الحدث بصفة مستقلة ولم يربطوه بالأحداث الماضية والأسباب التي أدت إليه، فنظرتهم قاصرة ولا تنطبق ولا تنطلق لا من أصل شرعي ولا من أصل أيضاً عقلاني، وإنما رأوا الناس ورأوا أن أمريكا والإعلام يذم هذه العمليات فقاموا يذمونها.

وهؤلاء مثلهم كمثل ذئب رأى حملاً، فقال لهذا الحمل – ولد النعجة –: أنت الذي عكرت عليّ الماء في العام الأول، قال: يا هذا، لست أنا. قال: بل أنت. قال: إنما أنا ولدت في هذا العام، قال إذن أمك التي عكرت عليّ. فأكل هذا الحمل، فما كان من هذه الأم المسكينة التي رأت ابنها يمزق بين أنياب هذا الذئب إلا أن دفعتها عاطفة الأمومة فنطحت هذا الذئب نطحة لا تقدم ولا تؤثر، فصاح الذئب وقال انظروا إلى هذه الإرهابية، فقام هؤلاء الببغاوات يرددون ما يقول الذئب ويقولون نعم نحن ندين نطح النعجة لهذا الذئب!

أين أنتم من أكل الذئب لابن هذه النعجة؟!

فإن هذه الضربات المباركة الموفقة إنما هي ردود فعل لما يجري على أرضنا في فلسطين وفي العراق وفي غيرها، وإن أمريكا في مواصلتها لهذه السياسة بمجيء هذا الابن جورج بوش الذي ابتدأ حكمه بغارات جوية عنيفة على العراق أيضاً ليؤكد على سياسة الظلم والعدوان، وعلى أن دماء المسلمين لا ثمن لها، فكان هذا الرد المبارك بفضل الله سبحانه وتعالى.

وهذه الضربات المباركة لها دلالات عظيمة، فقد أوضحت بجلاء أن هذه القوة المتغطرسة المتكبرة هبل العصر أمريكا تقوم على قوة اقتصادية عظيمة، ولكنها هشة ما أسرع أن تهاوت بفضل الله سبحانه وتعالى.

فالذين قاموا بالعمل ليسوا تسع عشرة دولة عربية، ولم تتحرك الجيوش ولا وزارات الدول العربية التي ألفت الخنوع والظلم الذي يصيبنا في فلسطين وفي غيرها، وإنما تسعة عشر من طلاب الثانويات – أرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبلهم – هزوا عرش أمريكا وضربوا الاقتصاد الأمريكي في صميم فؤاده، وضربوا أكبر قوة عسكرية في عمق قلبها بفضل الله سبحانه وتعالى.

فهنا دلالة واضحة على أن هذا الاقتصاد العالمي الربوي الممحوق الذي تستخدمه أمريكا مع قوتها العسكرية لفرض الكفر والإذلال على الشعوب المستضعفة يمكن بسهولة أن يتهاوى، فتلك الضربات المباركة قد ألحقت بأمريكا باعترافهم هم في أسواق نيويورك وفي غيرها أكثر من تريليون دولار خسارة بفضل الله سبحانه وتعالى، وبإمكانيات بسيطة استخدموا طائرات العدو ودرسوا في مدارس العدو فلم يحتاجوا إلى معسكرات تدريب، وإنما فتح الله عليهم وأعطوا هذا الدرس القاسي لتلك الشعوب المتكبرة التي لا ترى للحرية معنى إلا أن تكون للجنس الأبيض، وأما الشعوب الأخرى فيرون أنها ينبغي أن تكون ذليلة مستعبدة لا يحركون ساكناً بل يصفقون لرؤسائهم عندما يضربوننا كما حصل من قبل في العراق.

فأقول: إن القوة العسكرية الأمريكية وإن أظهرت أمريكا استعراضها لهذه القوة في أفغانستان في الفترة الأخيرة وصبت جام غضبها على هؤلاء المستضعفين، فقد أخذنا بفضل الله سبحانه وتعالى دروساً عظيمة ومهمة في كيفية مقاومة هذه القوة المتكبرة.

فعلى سبيل المثال، لو أن خط الجبهة مع العدو يبلغ في طوله ١٠٠ كلم فينبغي أن يكون هذا الخط عريضاً، بمعنى لا نكتفي بخط دفاع بعمق أو بعرض ١٠٠م أو ٢٠٠م أو ٣٠٠م

بل ينبغي أن يعرض هذا الخط إلى عدة كيلومترات وتحفر الخنادق على طول الجبهة وعلى عرضها، فكثافة القصف الأمريكي تستنزف قبل أن تصل إلى نهاية تدمير هذه الخطوط وتكون هناك قوات خفيفة وسريعة للحركة من خط إلى خط ومن حزمة دفاعية إلى حزمة دفاعية.

فاستفدنا هذا بعد القصف الكثيف الذي مارسه الأمريكان على خطوط الشمال وعلى خطوط كابول، وبهذه الطريقة تمر السنوات ولا تستطيع أمريكا بإذن الله سبحانه وتعالى أن تكسر خطوط المجاهدين.

ومن جهة أخرى كما هو معلوم، إن القتال لا بد له من عنصرين، عنصر الأنفس المقاتلة وعنصر المال مثل شراء السلاح، وهذا الأمر مؤكد في كتاب الله سبحانه وتعالى، كما قال سبحانه وتعالى في آيات كثيرة يؤكد على هذا المعنى، منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾. فبالمال والنفس.

فالقاعدة العسكرية الأمريكية وإن كانت المسافة بيننا وبينها بعيدة جداً وأسلحتنا لا تصل إلى طائراتهم، فبالإمكان بواسطة الخطوط الدفاعية العريضة امتصاص هذه الضربات، وطريقة أخرى ضرب القاعدة الاقتصادية التي هي أساس للقاعدة العسكرية، فإذا انتهى اقتصادهم شغلوا بأنفسهم عن استعباد الشعوب المستضعفة.

فأقول: من المهم جداً التركيز على ضرب الاقتصاد الأمريكي بكل وسيلة ممكنة، وهؤلاء الذين يدعون الإنسانية ويدعون الحرية رأينا هنا إجرامهم الحقيقي، فالإنسان تكفيه شظية وزيادة عليه وزنها سبع غرامات، فأمريكا من حقدها على هؤلاء الطالبان ومن حقدها على المسلمين كانت ترمي علي إخواننا في الخطوط قذائف تصل القذيفة الواحدة إلي ٧ أطنان، يا أهل الحساب يعني ٧ آلاف كيلو يعني تساوي ٧ ملايين غرامات بينما يكفي الإنسان ٧ غرامات وزيادة عليه!

وعندما فجر الشباب – نرجو الله أن يتقبلهم شهداء – في نيروبي أقل من طنين قالت أمريكا هذا ضرب إرهابي، وهذا سلاح تدمير شامل، وأما هي تستخدم قذيفتين كل قذيفة ٧ ملايين غرام فهذا لا حرج فيه.

ويطلع علينا وزير الدفاع بعد أن قصفوا قرى بكاملها بدون سبب وإنما من أجل إرهاب الناس وجعل الناس يخافون من استضافة العرب أو الاقتراب منهم، طلع وزير الدفاع وقال هذا من حقنا، من حقهم أن يبيدوا الشعوب طالما أنها مسلمة وطالما أنها غير أمريكية.

هذا هو الإجرام بعينه واضح بيّن، وكل ما تسمعون من قولهم أنه خطأ هذا من الكذب الواضح البيّن.

فقبل أيام ضربوا كما زعموا مواقع للقاعدة في خوست وأرسلوا قذيفة موجهة على مسجد قالوا وقعت بالخطأ، وبعد التحري اتضح أن العلماء في خوست كانوا يصلون صلاة التراويح وكان عندهم اجتماع بعد صلاة التراويح مع البطل المجاهد الشيخ جلال الدين حقاني الذي كان أحد أبرز قيادات الجهاد السابق ضد الاتحاد السوفييتي والذي رفض هذا الاحتلال الأمريكي علي أرض أفغانستان، فقصفوا المسجد والمسلمون في الصلاة فقتل منهم مئة وخمسون ولا حول ولا قوة إلا بالله، وسلم الشيخ جلال نرجو الله أن يبارك في عمره.

هذا هو الحقد الصليبي، فلينتبه الذين يرددون الكلام دون أن ينتبهون إلى عواهنه ويقولون نحن ندين الإرهاب، نحن إرهابنا ضد أمريكا هو إرهاب محمود لدفع الظالم عن ظلمه، لكي ترفع أمريكا دعمها عن إسرائيل التي تقتل أبناءنا.. والأمر واضح بين، ألا تعقلون؟.

أمريكا ورؤساء الغرب كثيراً ما يرددون أن حماس والجهاد في فلسطين وغيرها أيضاً من المنظمات المقاتلة يسمونها منظمات إرهابية، إذا كان الدفاع عن النفس إرهاباً فأي شيء هو المشروع؟، فدفاعنا لا يختلف وقتالنا لا يختلف عن قتال إخواننا في فلسطين كحماس،

نقاتل من أجل لا إله إلا الله لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، ولنرفع الظلم عن المستضعفين في فلسطين وفي غيرها.

فالأمر واضح بين، وما ينبغي لمسلم عاقل أن يقف في ذلك الخندق تحت أي تأويل من التأويلات، فهذه أخطر وأعنف وأشرس حرب صلبية تشن ضد الإسلام، وبإذن الله نهاية أمريكا قريبة ونهايتها ليست متوقفة على وجود العبد الفقير أسامة قتل أم بقي، فبفضل الله قد قامت الصحوة وكانت من مكاسب هذه العمليات.. أرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هؤلاء الشباب في الشهداء وأن يجمعهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

فهؤلاء الشباب قاموا بعمل عظيم جداً، بعمل جليل، جزاهم الله خير الجزاء ونرجو الله أن يكونوا ذخرا لآبائهم وأمهاتهم، فقد رفعوا رأس المسلمين عالياً وأعطوا أمريكا درساً لن تنساه بإذن الله سبحانه وتعالى.

وقد حذرت فيما مضي في لقاء مع قناة ABC أن أمريكا بدخولها في صراع مع أبناء الحرمين سوف تنسى أهوال فيتنام، وهذا الذي كان بفضل الله سبحانه وتعالى، وما خفي كان أعظم بإذنه سبحانه وتعالى.

فمن بلاد الحرمين خرج خمسة عشر شاباً – نرجو الله أن يتقبلهم في الشهداء – من أرض الإيمان، هنالك أعظم كنز للمسلمين حيث يأرز الإيمان كما صح عن نبينا عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة كما تأرز الحية إلى جحرها، وأيضاً خرج اثنان من شرق جزيرة العرب من الإمارات، وخرج آخر من الشام زياد الجراح – نرجو الله أن يتقبله في الشهداء –، وخرج الآخر من أرض الكنانة من مصر محمد عطا فنرجو الله أن يتقبل الجميع شهداء.

فهؤلاء في تصرفهم هذا أعطوا دلالات عظيمة دلالات عظيمة جداً، وبينوا أن هذا الإيمان الذي في قلوبهم يستدعي مقتضيات كثيرة ويستدعي أن تقدم الروح من أجل لا إله

إلا الله، فهؤلاء فتحوا باباً عظيماً للخير والحق، ومن يقول إن العمليات الفدائية الاستشهادية لا تجوز إنما هؤلاء الذين نسمع أصواتهم في الإعلام إنما يرددون شهوات الطغاة شهوات أمريكا وعملاء أمريكا.

أمة من ١٢٠٠ مليون مسلم تنحر من مشرق الأرض إلى مغربها في كل يوم في فلسطين وفي العراق وفي الصومال وفي جنوب السودان وفي كشمير وفي الفلبين وفي البوسنة والشيشان وفي آسام لا نسمع لهم صوتاً، فإذا ما قامت الضحية إذا ما قام المظلوم يقدم نفسه من أجل دينه ارتفعت أصوات هؤلاء، ١٢٠٠ مليون مسلم ينحرون لا حس لهم، فإذا قام رجل ليذود عن هؤلاء قام هؤلاء يرددون ما يشتهي الطغاة، لا عقل لهم ولا فقه لهم.

وفي حديث الغلام والملك والساحر والراهب دليل واضح على تقديم النفس من أجل لا إله إلا الله.

وهنا معنى آخر، أن النصر لا يعتبر فقط بالكسب الظاهر الذي غلب على ذهن الناس، وإنما النصر هو الثبات على المبادئ؛ فأهل الأخدود ذكرهم الله سبحانه وتعالى وخلد ذكرهم في سياق المدح لهم إذ ثبتوا على الإيمان، هُددوا بين الإيمان وبين أن يدخلوا النار، فأبوا أن يكفروا بالله سبحانه وتعالى وأدخلوا النار، وفي نهاية الحديث – حديث الغلام – عندما أمر الملك الظالم أن يقحم هؤلاء في الأخدود، وجاءت تلك الأم المستضعفة تحمل ابنها فلما رأت النار خافت على ابنها وتقاعست فقال لها كما قال عليه الصلاة والسلام: ((اصبري يا أماه فإنك على الحق)).

فهؤلاء لا يقول مسلم بحال من الأحوال ماذا استفادوا؟ ضيعوا أنفسهم.. هذا جاهل جهلاً مركباً، هؤلاء فازوا برضوان الله سبحانه وتعالى وبجنات الخلد التي وعدهم الله سبحانه وتعالى، فليس النصر هو الكسب المادي فقط، وإنما النصر الثبات على المبادئ.

وفي الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام هذا حديث الغلام، عندما أخذ الغلام الحجر وكان ما زال قليل العلم وهو يتردد بين الساحر والراهب، وقطعت الدابة الطريق على الناس، قال: اليوم أعلم أيهما أفضل الراهب أم الساحر، كان من قلة علمه لم يفقه بعد أيهما أفضل وتطمئن نفسه. فسأل الله أن يريه أيهما أفضل، فإن كان الراهب أحب إلى الله سبحانه وتعالى فليقتل هذه الدابة، فأخذ حجراً ورمى الدابة فقتلها، فجاء الراهب إلى الغلام وقال: يا بني، إنك اليوم أفضل مني. هذه الكلمة رغم علم الراهب وجهل الغلام ولكن نوّر الله سبحانه وتعالى قلب هذا الغلام بنور الإيمان، وبدأ يضحي من أجل لا إله إلا الله.

هذه الكلمة العزيزة نادرة ينتظرها شباب الإسلام من علمائهم أن يقولوا لهؤلاء الذين حملوا رؤوسهم على أكفهم من أجل لا إله إلا الله، أن يقولوا لهم قولة ذلك العالم لذلك الغلام إنكم اليوم أفضل منا.

هذه هي الحقيقة، فميزان التفضيل في هذا الدين هو كما في الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام، ميزان الإيمان ليس جمع العلم فقط بل جمع العلم والعمل به، فميزان الإيمان فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن كما قال عليه الصلاة والسلام، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان.

فهؤلاء جاهدوا الكفر الأكبر بأيديهم وأنفسهم -نرجو الله أن يتقبلهم في الشهداء-، هؤلاء، كما قال عليه الصلاة والسلام: سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل - رجل هنا نكرة ولكن نور الله قلبه بالإيمان -، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فزجره فقتله. كما في صحيح الجامع.

هذا فاز فوزاً عظيماً لم يدرك التابعين، بل لم يدرك الصحابة الكرام رضي الله عليهم، وإنما رفعه الله سبحانه وتعالى إلى منزلة سيد الشهداء.

فهذا أمر حض عليه رسولنا – عليه الصلاة والسلام –، فكيف يمكن لمسلم عاقل أن يقول ماذا استفاد هذا، هذا ضلال مبين نسأل الله العافية.

فهؤلاء الفتية فتح الله عليهم أن يقولوا لرأس الكفر العالمي لأمريكا ومن حالفها أنتم على باطل وأنتم على ضلال، وضحوا بأنفسهم من أجل لا إله إلا الله.

فالحديث يطول معنا عن هذه الأحداث العظام، ولكنني أختصر كلامي وأركز على أهمية استمرار العمل الجهادي ضد أمريكا عسكرياً واقتصادياً، وأن أمريكا قد تراجعت بفضل الله سبحانه وتعالى، وأن النزيف الاقتصادي مستمر إلى اليوم، ولكن يحتاج إلى ضربات أخرى، وأن يجتهد الشباب في البحث عن مفاصل الاقتصاد الأمريكي ويضرب العدو في مفاصله بإذنه سبحانه وتعالى.

وقبل الختام، يطيب لي أن أذكر أولئك الأبطال، أولئك الرجال، أولئك العمالقة العظام الذين رفعوا العار عن جبين أمتنا، يطيب لي أن أذكرهم ببعض الشعر مادحاً إياهم وكل الذين يسيرون على درب محمد ﷺ.

وقبل ذلك أؤكد على نقطة، إن هذه المعارك التي تقوم اليوم في أفغانستان على مدار الساعة على المجاهدين العرب خاصة والطالبان أظهرت بوضوح مدى عجز الحكومة الأمريكية ومدى الضعف الأمريكي ومدى هشاشة الجندي الأمريكي، فرغم التطور الهائل في التكنولوجيا العسكرية لم يستطعيوا أن يحدثوا شيئاً إلا باعتمادهم على المرتدين وعلى المنافقين، فما هو الفرق اليوم بين بابريك كرم الذي جاء بالروس لاحتلال بلاده وبين الرئيس المخلوع برهان الدين – والدين منه بريء – أي فرق بين الاثنين؟! هذا جاء بالروس لاحتلال أرض الإسلام، وهذا جاء بالأمريكان لاحتلال أرض الإسلام.

فهذا يدل كما ذكرت بوضوح على ضعف الجندي الأمريكي بفضل الله سبحانه وتعالى، فينبغي أن تغتنم الفرصة ويواصل الشباب الجهاد والعمل ضد الأمريكان.

وأختم بأبيات في ذكر أولئك الأبطال الذين خرجوا من أرض الحجاز من أرض الإيمان من غامد وزهران ومن بني شهر ومن حرب ومن نجد -نرجو الله أن يتقبل الجميع-، والذين خرجوا من مكة المكرمة سالم ونواف الحازمي وخالد المحضار، أو الذين خرجوا من المدينة المنورة تركوا الدنيا ونعيمها من أجل لا إله إلا الله..

إني لأشهد أنهم من كل بتار أحدّ
يا طالما خاضوا الصعاب وطالما صالوا وشدوا
شتان، شتان بين الذين لربهم باعوا النفوسا
الباسمين إلى الردى والسيف يرمقهم عبوسا
الناصبين صدورهم من دون دعوتهم تروسا
إن أطبقت سدف الظلام وعضنا ناب أكول
وديارنا طفحت دماً ومضى بها الباغي يصول
ومن الميادين اختفت لُمع الأسنة والخيول
وعلت على الأنات أنغام المعازف والطبول
هبت عواصفهم تدك صروحه وله تقول
لن نوقف الغارات حتى عن مرابعنا تزول

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١١- مبادرة عبد الله والخيانة العظمى:

الحمد لله القائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين وقائد الغر المحجلين النبي الأمي الأمين، وعلى آله وصحابته الذين حملوا الراية وذادوا عن حياض الإسلام وحمى المسلمين. وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾.

إلى أمة المليار.. أمة الجهاد.. أمة الشهادة والاستشهاد.. إلى الأمة التي جاءت لتكون خير أمة أخرجت للناس.. إلى أمتنا الإسلامية: ما أشبه الليلة بالبارحة، وما أكثر العبر وأقل الاعتبار، وكم تجرعنا كؤوس الذل، وفارقنا الإباء حين تولى أمرنا الأذلاء.

أمتنا المسلمة: إن الذي ينظر بعين البصيرة، ويعي لغة العقل، ويسبر غوائر الأحداث ليعلم علم اليقين أن الأمة قد أفاقت من غفوتها، وعرفت طريقها بعد أن اتضحت لها ملامحه، وبرزت لها علاماته، وعلمت أنه إذا كان الحلْم مفسدة كان العفو مَعْجَزة، وأن الصبر حسنٌ إلا على ما أضر بالدين، والأناة محمودة إلا عند إمكان الفرصة، فانتفضت انتفاضة الأقصى ونطق الحجر في أكف المجاهدين الأبرار الرجال والنساء الصغار والكبار، فحاول اليهود الفرار عبثاً فلم يجدوا لهم ملجأً فأصبحوا مكشوفين من وراء الجدر، يواجهون أجساداً تتفجر تذيقهم الموت، وتطاردهم بالرعب، وتصيبهم بالزلزلة، فصاروا كالحمر المستنفرة، فرت من قسورة.

ثم جاءت غزوة نيويورك تشعل ديار هبل العصر، تدك حصونه، وتفضح كبرياءه، وتبطل سحره، وتعري كل الرايات التي سارت وراءه، وتعلن بداية النهاية له بإذن الله.

إن هذه الأحداث العظيمة هي الجهاد المبارك الذي واصل مسيره نحو الهدف المنشود والخبر الموعود، وجاء ليفضح تلك المقولة الهزيلة والحجة المدحوضة، فهذه المقولة: ماذا عسانا أن نفعل، ليس بأيدينا شيء!!، الأمر ليس لنا!! لم يعد لها مكان ولا يتسع لها قلب ولا يرضاها ضمير حي.

في ظل الأحداث الدامية التي تتعرض لها أمتنا فالكل مطالب اليوم بالجهاد والعمل الجاد، وعلى القيادات الشعبية بجميع شرائحها أن تتحرك لوقف هذا النزيف الهادر، وفضح تلك الخيانات المكشوفة، ومن لم يستطع الحركة من هذه القيادات بسبب ما وقع عليه من ضغط وإرهاب في ظل هذه الأنظمة فلا أقل من أن يفسح المجال لغيره من الطاقات الجريئة والقادرة على التغيير ووضع الأمور في نصابها الصحيح، وليحذر من القعود والتخذيل، وليتجنب عملية التربص المذموم والاحتكار المحرم، فالجهاد الذي أخرج أولئك الفتية الذين استجابوا لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ...﴾الآية [التوبة].. إن هذا الجهاد قادر على إخراج وتحريك غيرهم من أبناء الأمة، فالجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة.

أما نحن كأفراد فأيامنا معدودة، وسنقف بعدها بين يدي الله عز وجل: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ [الزلزلة].

أمتنا المسلمة: لا يزال أبو رغال يتكرر في الأمة منذ قرن من الزمن بشخصه وشخصيته الغادرة، يسعى لكسر الشوكة، وتنكيس الراية، ووأد الجهاد، وإنقاذ الكفر وتثبيت أركانه، وما مبادرة الأمير عبد الله بن عبد العزيز (صهيوأمريكية بثياب الحكومة السعودية) إلا حيلة من حيل أبي رغال، ومؤامرة وصورة من صور الخيانة المتكررة في تاريخ حكام المنطقة تجاه قضايانا بشكل عام وقضية الأقصى بشكل خاص، فهو إن أعلن ذلك فإنما يسير على نهج والده الذي أجهض انتفاضة عام ١٩٣٦م الموافق ١٣٥٤هـ بوعد كاذب منه ومن الحكومة الإنكليزية، فخدع الفلسطينيين وأوقفوا الانتفاضة واستمر الاحتلال الإنكليزي حتى عام

١٩٤٨م/١٣٦٦هـ حين سلمت فلسطين لليهود، وهو بذلك أيضاً يسير على نهج أمثاله من الحكام الخونة الذين سيروا الجيوش السبعة بقيادة الإنكليز تحت قيادة رجل الحكومة الإنكليزية (كلوب باشا)، فقضوا بذلك على التحرك الشعبي الجاد لتحرير فلسطين، فأكملوا المؤامرة، ووقعوا هدنة بوقف القتال وذلك في عام ١٩٤٩م/١٣٦٧هـ، أما خيانتهم العظمى للقضاء على انتفاضة الأقصى الأولى فكانت في أوسلو عام ١٩٩٢م/١٤١٢هـ [١].

---

[١] إلى هنا انتهى نقل صحيفة القدس العربي لهذا الخطاب.

وللفائدة: قال عبد الرحيم محمود في أيام مؤامرات عبد العزيز آل سعود ضد القضية الفلسطينية حين أرسل ممثلاً له والذي قال: (بناء على ما عرفته من صدق نوايا بريطانيا، أستطيع أن أقسم لكم بالله أن بريطانيا صادقة فيما وعدتنا به، وأن بريطانيا تعهدت لوالدي أنها عازمة على حل القضية الفلسطينية).

قال عبد الرحيم محمود:

المسجد الأقصى أجئتَ تزوره ... أم جئتَ من قبل الضياعِ تودِّعه حرمٌ

تباع لكل أوكعَ آبقٍ ... ولكل أفَّاقٍ شريدٍ أربعه

وغداً وما أدناه لا يبقى سوى ... دمعٍ لنا يهمي وسنٍ نقرعه

١٢- رسالة إلى الشعب الأمريكي [١]:

السلام على من اتبع الهدى.. أما بعد:

فإني لكم ناصح أمين.. فأنا أدعوكم إلى سعادة الدنيا والآخرة، وإلى النجاة من حياتكم المادية الجافة البئيسة التي لا روح فيها.. أدعوكم إلى الإسلام الذي يدعو إلى اتباع منهج الله وحده لا شريك له، ويدعو إلى العدل وينهى عن الظلم والإجرام.. كما أني أدعوكم إلى تفهم رسالة غزوتي نيويورك وواشنطن اللتين جاءتا رداً على بعض جرائمكم السابقة، والبادئ أظلم.

إلا أن المتابع لحركة عصابة الإجرام في البيت الأبيض عملاء اليهود الذين يستعدون للهجوم على العالم الإسلامي وتقسميه دون أن تنكروا عليهم، يشعر بأنكم لم تفهموا من رسالة الغزوتين شيئاً؛ لذا فإني أقول لكم - والله على ما أقول وكيل -: فلتزد أميركا أو تنقص من وتيرة هذا الصراع، فسوف نكيل لها بنفس الصاع بإذن الله سبحانه وتعالى.

وأشهد الله أن شباب الإسلام يعدون لكم ما يملأ قلوبكم رعباً ويستهدفون مفاصل اقتصادكم إلى أن تكفوا عن ظلمكم وعدوانكم، أو يموت الأعجل منا.

نرجو الله عز وجل أن يمدنا بمدد من عنده، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

أسامة بن محمد بن لادن.

---

[١] تاريخ هذه الرسالة هو نهاية شهر رجب من عام ١٤٢٣هـ.

١٣- كلمة الإمام بعد مرور سنة على الحملة الصليبية على أفغانستان:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. وبعد:

ففي مثل هذه الأيام قبل عام مضى بدأت الحملة الصليبية الأمريكية التي أعلنها الرئيس الأمريكي وقاد فيها تحالفاً دولياً ضم أكثر من تسعين دولة ضد أفغانستان، وبعد مرور سنة على الحملة الصليبية على أفغانستان، تستعد أمريكا اليوم لجولة جديدة من جولات حربها الصليبية على العالم الإسلامي، وهذه المرة ضد الشعب العراقي المسلم، هادفة إلى إكمال مخططها في تقسيم الأمة وتمزيقها، ونهب ثرواتها وخيراتها، والتهيئة لإقامة دولة إسرائيل الكبرى بعد طرد الفلسطينين منها.

ونحن بهذه المناسبة نريد أن نؤكد على مجموعة من الأمور في النقاط التالية:

أولاً: فشل الحملة الأمريكية في تحقيق أهدافها الرئيسة.

لقد فشلت الحملة الأمريكية في تحقيق أي من أهدافها الرئيسة؛ فعلى صعيد القضاء على القيادات الجهادية فشلت في قتل أو اعتقال أي من قيادات طالبان أو القاعدة أو غيرهم من قيادات المجاهدين.

وعلى صعيد تحقيق الأمن والاستقرار في أفغانستان، فشلت أمريكا في تحقيق ما وعدت به من توحيد البلاد تحت حكومة مركزية واحدة، وتشكيل جيش موحد يحفظ الأمن، ويقضي على سيطرة المليشيات العسكرية؛ فقد كان أبرز نجاح للحملة الأمريكية هو ذلك النجاح منقطع النظير في إعادة تقسيم البلاد إلى (كنتونات) ممزقة مفرقة يتناحر فيها أمراء الحرب وتجار المخدرات السابقين.

وعلى صعيد حقوق الإنسان، فأفضل نموذج قدمته الحملة الأمريكية في هذا المجال هو حرق مئات الأسرى المقيدين في قلعة (جانكي) في مزار شريف بالقنابل العنقودية وقذائف النابالم الأمريكية المحرمة دولياً كما يزعمون، وقتل آلاف آخرين من الأسرى عطشاً واختناقاً في حاويات الموت التي شُحنوا فيها تحت إشراف القوات الأمريكية، هذا فضلاً عن آلاف القتلى من المدنيين من النساء والأطفال والشيوخ الذين حصدتهم القنابل الأمريكية الذكية والغبية على حد سواء.

وعلى صعيد القضاء على المخدرات الذي وعدت به أمريكا، وجعلته هدفاً من أهداف الحرب، فيكفي أن نعلم أن المحصول الأفغاني هذه السنة من الأفيون قد حقق رقماً قياسياً لا عهد له به، وتحت رعاية القوات الأمريكية، والقوات الدولية في أفغانستان، كما صرحت بذلك الأمم المتحدة.

ومثل ذلك يقال في الفشل في أحلام برامج إعادة إعمار البلاد، وما هو على هذه الشاكلة من الوعود الأمريكية المعسولة.

ثانياً: الورطة الأمريكية في أفغانستان.

إن القوات الأمريكية الغازية لأفغانستان قد بدأت الآن تغرق في الوحل الأفغاني بكل معداتها وأفرادها، فمن المفارقات العجيبة أن هذه القوات الصليبية التي جاءت لحماية نظام الحكم في كابل من ضربات المجاهدين، أصبحت – وأمام تعرضها لهجمات المجاهدين المستمرة – هي التي تحتاج لقوات النظام لحمايتها، فمن يحمي من؟!

إن القوات الدولية والأمريكية التي جاءت لحفظ الأمن أصبحت أكبر عبء على الأمن!!

وكما قال أحد المعلقين الأمريكيين، فقد تحولت عملية (العدالة المطلقة) الأمريكية في أفغانستان إلى عملية (للفشل والإحباط المطلق).

إن الاحتلال الأمريكي لأفغانستان لن يكون أحسن عاقبة من الاحتلال السوفيتي إن شاء الله، وهذه الحقيقة بدأت تدركها الإدارة الأمريكية التي تسعى الآن للتغطية على فشلها في أفغانستان بالعمل على لفت الأنظار عن ذلك الفشل بدق طبول الحرب على العراق.

ثالثاً: لا نقيل ولا نستقيل.

لا زال المجاهدون بفضل الله على عهدهم ووعدهم، لا يقيلون ولا يستقيلون، على عهدهم مع الله على الجهاد في سبيله، وعلى وعدهم مع أمتهم ببذل كل غال ونفيس في سبيل تحريرها من كل صور الظلم والقهر، وجميع أشكال التبعية والاحتلال ﴿حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾.

وكل المحن والابتلاءات التي تعرض لها المجاهدون لم تزدهم بفضل الله إلا ثباتاً على الطريق، وتصميماً على الأهداف، وإيماناً بالمنهج، ويقيناً بنصر الله ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾.

رابعاً: نداء إلى الأمة.

إننا في هذه الأوضاع الخطيرة التي تمر بها أمتنا اليوم، بل ويمر بها العالم أجمع، نوجه نداءً إلى هذه الأمة العظيمة التي هي أعظم الأمم.. إلى هذه الأمة المنصورة المرحومة التي لا يزال فيها الخير والخيرون إلى قيام الساعة.. إلى هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس.. إلى هذه الأمة التي لا تزال فيها طائفة منصورة تقاتل على الحق لا يضرها من خذلها ولا من خالفها إلى قيام الساعة..

فيا أمة الإسلام، يا من آمنتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً: إن القضية الآن لم تعد قضية هل الأمة مستهدفة بشكل كامل وشامل، ودون تفريق بين من يسمون بالمعتدلين والمتطرفين، أو بين الحلفاء والأعداء، فقد كفانا العدو مؤونة كشف هذه الحقيقة

بتصريحاته السرية والعلنية التي كشف فيها عن بعض نواياه العدوانية ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾. إن القضية الآن هي كيف نواجه هذا العدوان الصارخ وندافع عن عقيدتنا وشرفنا وكرامتنا فننال شرف الدنيا وفوز الآخرة؟.

إذا أردنا أن يكتب الله لنا النصر ويحقق لنا الظفر في هذه المواجهة فيجب أن نتسلح بعدة أمور في مقدمتها:

١ - الرجوع إلى الله.

إن أول ما يجب علينا هو أوبة صادقة إلى الله، وتوبة نصوح إليه، بالإخلاص في العمل، والصدق في النية، والتجرد للحق، وتحكيم الشرع في كل مجالات أعمالنا ومعاملاتنا، وكل صغير وكبيرة من حياتنا.

إنه يجب علينا أن نعترف بأن ما أصابنا من تسليط العدو كان ببعض ما كسبت أيدينا، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.

٢ - الاعتصام بحبل الله جميعا.

إذا كان من المسَّلم به أن النزاع والاختلاف من أهم دواعي الفشل وذهاب الريح الذي تعاني منه أمتنا اليوم، فإن من المسلَّم به كذلك أن الوحدة والاجتماع والاعتصام بحبل الله هي مفتاح النصر والظفر، وباب السيادة والقيادة.

قال تعالى آمراً بالوحدة والاجتماع: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾، وقال محذراً من الفرقة والنزاع: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

والوحدة التي ندعو لها المسلمين اليوم لا تستلزم بالضرورة رفع الخلاف في كل المسائل الجزئية والقضايا الفرعية، فالخلاف في مثل هذه المسائل لا يمكن رفعه، ولا يضر وجوده، فالوحدة التي نطالب بها هي الوحدة في ثوابت العقيدة، وقطعيات الدين وكليات الشرع.

٣ – استنفار وتفجير طاقات الأمة.

إن أمتنا تزخر بكثير من الطاقات والقدرات، وأهم هذه الطاقات على الإطلاق هو الإنسان المسلم الذي هو وقود المعركة ومحرك الصراع، ولا نقصد بالإنسان هنا فئة الملتزمين والعاملين للإسلام من العلماء والدعاة وأبناء الصحوة والحركات الإسلامية فقط، بل نقصد الشعوب الإسلامية بكل فئاتها الخاصة والعامة، فإذا كان للخواص دورهم الذي لا يقوم به غيرهم، فإن العوام هم وقود المعركة الحقيقي، ومادتها المتفجرة، ودور الخواص هو دور الصاعق والمحرك الذي يفجر هذه المادة.

وهنالك طاقات الأمة المادية والاقتصادية، فأمتنا تعتبر من أثرى الأمم على وجه الأرض، وأكثرها إمكانات، وأزخرها بالموارد التي ظلت مسخرة عقوداً من الزمن لخدمة الأعداء، والتآمر على الأشقاء.

وهنالك الإمكانات العسكرية الضخمة التي تزخر بها البلاد الإسلامية، والتي صدئت في المخازن والمستودعات، ومرت عليها سنوات وسنوات، دون أن تثأر لعرض، أو تذود عن أرض، بل ظلت كابوساً جاثماً على صدور الشعوب، وخنجراً مغموساً في خاصرة الأشقاء.

وهنالك الكثير الكثير من طاقات الأمة ومقدراتها التي آن لها أن تتحرر وتتفجر وتثأر، وتأخذ طريقها في الذود عن العقيدة المستهدفة، والحمى المستباح، والعرض المنتهك، والأرض المغتصبة، والخيرات المستلبة.

وإذا كان للأمة واجباتها الجماعية، ودورها الكلي الذي يتحتم عليها ان تقوم به مجتمعة، فإن هنالك فئات لها دور خاص يجب عليها القيام به بشكل خاص.

وفي مقدمة هذه الفئات فئة العلماء والدعاة الذين هم ورثة الأنبياء، وحملة أمانة العلم وما يترتب على ذلك من واجب الدعوة وفريضة البلاغ، ولذلك رفع الله منزلتهم وأعلى من شأنهم فقال: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.

فيا أيها العلماء الصادقون والدعاة والمصلحون: أنتم الذين يجب أن تتقدموا الصفوف، وتقودوا الأمة، وتوجهوا المسيرة؛ فذلك هو مقتضى وراثتكم للنبوة.

إن واجبكم الأول هو بيان الحق للأمة، والصدع به في وجوه الظلمة دون مواربة أو خوف؛ فذلك هو مقتضى الميثاق الذي أخذه الله عليكم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ..﴾.

إن أهمية وظيفتكم هذه تنبع من خطورة عملية التدليس والتضليل التي يمارسها علماء السلطة وسدنة الحكام من المتاجرين بالدين الذين لبّسوا على الأمة أمرها، وباعوا دينهم بعرض من الدنيا.

إن عليكم أن تؤجلوا كل خلاف يعوق عن العمل، وكل نزاع يؤدي إلى الفشل، وعليكم أن تحسموا الشك باليقين، والتردد بالعزم، وأن تسارعوا وتبادروا، فإن عجلة الأحداث لن تنتظر أحداً.

إننا ونحن نوجه إليكم هذا النداء نستنهض هممكم ونستحث عزائمكم، ندرك تماماً أن هنالك بعض الخلافات في مناهج التغيير بين العاملين للإسلام لا يمكن تجاهلها، ولكن من غير المقبول ولا من المعقول أن نظل حبيسين لبعض الخلاف في المسائل الجزئية والقضايا الفرعية معطلين العمل بمحكمات الدين وكليات الشرع في مثل هذه الفترة العصيبة من تاريخ الأمة.

وإلى جانب فئة العلماء، هناك فئة الشباب المسلم الذين هم قوة التغيير الدافعة عبر تاريخ هذه الأمة، هم وقود المعركة الحقيقي في الحاضر والمستقبل.

فيا شباب الإسلام، يا أحفاد خالد والقعقاع، ويا خلف مصعب بن عمير وأسامة بن زيد ومحمد القاسم ومحمد الفاتح، ويا إخوان محمد عطا ومروان الشحي وزياد الجراح وهاني حنجور وبقية أفراد السرية، ويا رفاق أنس الكندري وجاسم الهاجري: أنتم الذين على قنطرة تضحياتكم ستعبر هذه الأمة إلى ساحة العز وميدان الكرامة، وستسعد البشرية وتُرحم الإنسانية، أنتم فرسان القتال وأبطال النزال، ونحن لن نخاطبكم إلا بما خاطبكم به ربكم عز وجل، ودعاكم إليه، وحرضكم عليه، وهو قتال أعدائه وأعداء دينه قال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾.

والأولوية في هذا القتال وفي هذه المرحلة، يجب أن يكون لأئمة الكفر من الأمريكان واليهود الذين لن ينتهوا عن عدوانهم ولن يكفوا عن تسلطهم علينا إلا بالجهاد، قال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾.

وإياكم أن تنجروا إلى تشتيت جهودكم، وتبديد طاقاتكم في معارك جانبية مع الأذناب والأطراف، بل ركزوا الضرب على رأس الكفر حتى ينهار، وعندما ينهار سوف تتداعى له بقية الأطراف بالانهيار والاندثار والاندحار ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

وهناك فئة الإعلاميين وأصحاب القلم الذين لهم الأثر البارز والدور الكبير في توجيه المعركة، وكسر معنويات العدو، ورفع معنويات الأمة.

لقد آن الأوان لأن يتبوأ الإعلام مكانه الصحيح، ويقوم بدوره المطلوب في مواجهة هذه الحملة الشرسة والحرب الصليبية المعلنة بجميع وسائله المرئية والمسموعة والمقروءة، وعلى رجال الإعلام كتّاباً كانوا أم صحفيين أم محللين أم مراسلين أن يكونوا على مستوى المسؤولية والحدث، وأن يقوموا بدورهم المطلوب في تبصير الأمة، وبيان حقيقة العدو، وكشف مخططاته

وألاعيبه، وأن يقفوا صفاً واحداً بكل توجهاتهم، فالعدو اليوم لا يفرق بين فئة وأخرى، فهدفه القضاء على كل من له علاقة بالعروبة والإسلام.

وهناك فئة التجار وأصحاب الأموال الذين لا يقلون شأناً عن غيرهم في دفع هذه المعركة نحو هدفها المنشود ومطلبها المقصود من التمكين لدين الله في الأرض وتطبيق شرعه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

معاشر التجار وأصحاب الأموال: إن إنفاقكم في سبيل الله اليوم واجب شرعي ومطلب ملح يفرضه عليكم انتماؤكم لدينكم وأمتكم، والمال الذي ستنفقونه وإن قل سيوقف سيلاً جارفاً يريد تدميرنا جميعاً.

معاشر التجار وأصحاب الأموال: إن دينكم اليوم يناديكم، وإخوانكم يستنصرونكم، والله ناظر إليكم فيما استخلفكم فيه: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾.

وهنالك المرأة المسلمة التي لا يقل دورها بحال عن دور الرجال؛ فيا أيتها الزوجة التي تقتفي أثر خديجة رضي الله عنها في الوقوف وراء زوجها في نصرة الحق.. ويا أيتها الأم التي ترتسم خطي الخنساء في التضحية بأبنائها فداء للدين.. ويا أيتها الأخت التي ترتسم خطى الصالحات بدفع إخوانهن إلى ساحات البطولة بكل يقين وثبات، فأنتن اللواتي حرضتن ودفعتن، ومن قبل ربيتن كل الرجال الذين جاهدوا في فلسطين ولبنان وأفغانستان والشيشان، وأنتن اللواتي أخرجتن كوكبة البطولة في غزوتي نيويورك وواشنطن.

وإن كنا ننسى، فلن ننسَ بطولة المرأة الفلسطينية المسلمة على أرض الرباط ومواقفها العظيمة والتي عجز عن مثلها كثير من الرجال، حيث لم تضن بزوج ولا ابن في سبيل نصرة

الأقصى المبارك، بل قدمت نفسها وبذلت روحها لتنضم إلى قوافل الشهداء حية ترزق عند ربها، متجاوزة بذلك كل مغريات الحياة الدنيا وزينتها.

فيا أيتها المرأة المسلمة: إننا ننتظر منك اليوم الكثير، ولن تعدمي وسيلة لنصرة دينك وأمتك وسنة نبيك متى ما صدقت مع ربك.

وفي ختام هذا البيان فإننا:

١ – نهنئ أمتنا الإسلامية بالعمليات البطولية الجهادية الجريئة التي نفذها أبناؤها من المجاهدين البررة في اليمن ضد ناقلة البترول الصليبية، وفي الكويت ضد قوات الغزو والاحتلال الأمريكية.

فقد ضرب المجاهدون بتفجيرهم لحاملة البترول في اليمن الحبل السري وخط التموين والتغذية لشريان حياة الأمة الصليبية، مذكرين الأعداء بثقل فاتورة الدم وفداحة الخسائر التي سيدفعونها ثمناً لاستمرار عدوانهم على أمتنا ونهبهم لخيراتنا وثرواتنا.

كما أكدت عملية الكويت البطولية حجم الخطر الذي يهدد القوات الأمريكية أينما حلت من البلاد الإسلامية، وسيصدر المكتب السياسي بيانين مستقلين للعمليتين ودلالاتهما.

٢ – نجدد وقوفنا مع إخواننا القابضين على الجمر حول بيت المقدس في فلسطين، والمرابطين والمجاهدين في الشيشان وأفغانستان والفلبين وإندونيسيا وكشمير وغيرها، والغرباء الفارين بدينهم في كل مكان، والأحرار من المعتقلين والأسرى في سجون الكفرة والطواغيت.

٣ – نؤكد أن تزامن ضرب هدف عسكري بأهمية قوات المارينز في الكويت، وتفجير هدف اقتصادي بحجم ناقلة بترول في اليمن، وإصدار بيانات مسموعة ومقروءة من قيادات طالبان والقاعدة الذين راهنت أمريكا على القضاء عليهم.. تزامن كل ذلك مع مرور سنة

على بدأ الحرب الصليبية ليس من الصدفة في شيء، وإنما هو رسالة واضحة وقوية لكل الأعداء والأصدقاء على حد سواء، بأن المجاهدين بفضل الله ما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا، وأن الله رد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً.

٤ – أننا ماضون على الطريق، ننتظر إحدى الحسنيين: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾.

ونجدد عهدنا مع الله، ووعدنا للأمة، ووعيدنا للأمريكان واليهود؛ بأنه لن يقر لهم قرار، ولن يهدأ لهم بال، ولن يحلموا بالأمن؛ حتى يرفعوا أيديهم عن أمتنا ويكفوا عن عدوانهم علينا ودعمهم لأعدائنا.

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

أخوكم أسامة بن محمد بن لادن

السبت ٥ شعبان ١٤٢٣هـ

الموافق ١٢أكتوبر٢٠٠٢م.

١٤- إلى شعوب الدول المتحالفة مع أمريكا:

من عبد الله أسامة بن لادن إلى شعوب الدول المتحالفة مع الحكومة الأمريكية الظالمة.. السلام على من اتبع الهدى. أما بعد..

فإن طريق الأمان يبدأ برفع العدوان، وإن من العدل المعاملة بالمثل، وإن ما حدث منذ غزوتي واشنطن ونيويورك إلى يومنا الحالي كقتل الألمان في تونس والفرنسيين في كراتشي وتفجير الناقلة العملاقة الفرنسية في اليمن والبريطانيين والأستراليين في جزيرة بالي وعملية موسكو الأخيرة وقتل المارينز في فيلكا مع بعض العمليات المتفرقة هنا وهناك؛ ما هو إلا رد فعل وتعامل بالمثل، قام بها أبناء الإسلام الغيورون ذوداً عن دينهم واستجابة لأمر ربهم ونبيهم عليه الصلاة والسلام.

إن ما يقوم به بوش فرعون العصر من قتل لأبنائنا في العراق وما تقوم به إسرائيل حليفة أمريكا بقصف المنازل بمن فيها من شيوخ وأطفال ونساء بالطائرات الأمريكية في فلسطين كان كافياً للعقلاء من حكامكم للابتعاد عن عصابة الإجرام هذه، فأهلنا في فلسطين يقتلون ويسامون سوء العذاب منذ قرن من الزمان تقريباً.

فإذا دافعنا عن أهلينا في فلسطين قام العالم واضطرب وتحالف ضد المسلمين تحت مسمى مكافحة الإرهاب بغياً وزوراً، فما شأن حكوماتكم للتحالف مع عصابة الإجرام في البيت الأبيض ضد المسلمين، أما تعلم حكوماتكم أن عصابة البيت الأبيض هم أكبر سفاحي العصر!

فهذا رامسفيلد جزار فيتنام قتل مليونين من البشر فضلاً عن الجرحى، وها هما تشيني وباول فعلا من القتل والدمار في بغداد أكثر مما فعله هولاكو.. فما شأن حكوماتكم بالتحالف مع أمريكا في الهجوم علينا في أفغانستان، وأخص بالذكر بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وكندا وألمانيا وأستراليا!

وأستراليا هي تلك التي حذرناها من قبل من مشاركتها في أفغانستان، فضلاً عن سعيها المذموم في فصل تيمور الشرقية؛ فتجاهلت التحذير إلى أن استيقظت على أصوات الانفجارات في بالي، ثم زعمت حكومتها بهتاناً وزوراً أنهم غير مستهدفين.

فإن ساءكم النظر إلى قتلاكم وقتلى حلفائكم من الرجال في تونس وفيلكا وبالي وكراتشي وعمان، فتذكروا قتلانا من الأطفال في فلسطين والعراق يومياً، وتذكروا قتلانا عن عمد في الأفراح والأعراف في أفغانستان، وإن ساءكم النظر إلى قتلاكم في موسكو فتذكروا قتلانا في الشيشان..

فإلى متى يبقى الخوف والقتل والدمار والتشريد واليتم والترميل حكراً علينا، ويبقى الأمن والاستقرار والسرور حكراً عليكم؟!

هذه قسمة ضيزى، قد آن الأوان أن نستوي في البضاعة؛ كما تَقتلون تُقتلون، وكما تَقصفون تُقصفون، وأبشروا بما يسوءُكم.

إنها هي الأمة الإسلامية وقد بدأت بفضل الله ترميكم بفلذات أكبادها، الذين عاهدوا الله على أن يواصلوا الجهاد بالبيان والسنان، لإحقاق الحق وإبطال الباطل، ما دام فيهم عين تطرف وعرق ينبض.

وفي الختام، أسأل الله أن يمدنا بمدد من عنده لنصرة دينه ومواصلة الجهاد في سبيله حتى نلقاه وهو راض عنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

يوم الأربعاء ٨ رمضان ١٤٢٣ هـ

الموافق ١٣ نوفمبر ٢٠٠٢ م.

١٥- رسالة إلى إخواننا المسلمين في العراق:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

أما بعد..

فإننا نتابع باهتمام شديد وحرص بالغ استعداد الصليبيين للحرب لاحتلال عاصمة الإسلام سابقاً، ونهب ثروات المسلمين، وتنصيب حكومة عميلة عليكم تتبع أسيادها في واشنطن وتل أبيب كسائر الحكومات العربية الأخرى الخائنة العميلة، تمهيداً لإنشاء إسرائيل الكبرى، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

ونرغب أن نؤكد بين يدي هذه الحرب الظالمة، حرب الفجار الكفار التي تخوضها أمريكا بحلفائها وعملائها على عدد من المعاني المهمة:

أولاً: إخلاص النية بأن يكون القتال في سبيل الله وحده لا شريك له، لا لنصر القوميات ولا لنصر أنظمة الحكم الجاهلية التي تعم جميع الدول العربية بما فيها العراق، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾.

ثانياً: نذكر بأن النصر من عند الله وحده تعالى، وما علينا إلا بذل الأسباب بالإعداد والتحريض والجهاد، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

وينبغي المسارعة والتوبة إلى الله تعالى من الذنوب، ولا سيما الكبائر كما قال رسول الله ﷺ: ((اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف وقذف المؤمنات الغافلات)) [متفق عليه]، وكذا سائر الكبائر، كالخمر والزنا وعقوق الوالدين وشهادة الزور.

ثالثاً: المسارعة في الطاعات عموماً، وخاصة كثرة الذكر عند التقاء الزحوف، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (عمل صالح قبل الغزو، فإنكم إنما تقاتلون بأعمالكم).

رابعاً: قد تبين لنا من مدافعتنا ومقاتلتنا للعدو الأمريكي أنه يعتمد في قتاله بشكل رئيسي على الحرب النفسية نظراً لما يمتلكه من آلة دعائية ضخمة، وكذلك على القصف الجوي الكثيف، إخفاء لأبرز نقاط ضعفه وهي الخوف والجبن وغياب الروح القتالية عند الجنود الأمريكيين، فهؤلاء الجنود على قناعة تامة بظلم حكومتهم وكذبها كما أنهم يفتقدون قضية عادلة يدافعون عنها وهم إنما يقاتلون من أجل أصحاب رؤوس الأموال وأرباب الربا وتجار السلاح والنفط بما فيهم عصابة الإجرام في البيت الأبيض، أضف إلى ذلك أحقاداً صليبية وأحقاداً شخصية لبوش الأب، وتبين لنا أيضا أن من أفضل الوسائل الفعالة والمتاحة كتفريغ القوة الجوية للعدو الصليبي من محتواها، هو بإنشاء الخنادق المسقوفة والمموهة بأعداد كبيرة، وكنت قد أشرت إلى ذلك في حديث سابق في أثناء معركة تورا بورا العام الماضي.

تلك المعركة العظيمة التي انتصر فيها الإيمان على جميع القوى المادية لأهل الشر بالثبات على المبدأ بفضل الله سبحانه وتعالى، وسأذكر لكم طرفاً من تلك المعركة العظيمة للتدليل على مدى جبنهم من جهة ومدى فعالية الخنادق في استنزافهم من جهة أخرى..

فقد كان عددنا يصل إلى ثلاثمائة مجاهد، وكنا قد حفرنا مائة خندق منتشرة في مساحة لا تزيد عن ميل مربع، بمعدل خندق لكل ثلاثة إخوة، حتى نتلافى الإصابات البشرية الكبيرة من القصف، وقد تعرضت مراكزنا منذ الساعة الأولى للحملة الأمريكية في العشرين من رجب لعام ألف وأربعمائة واثنين وعشرين للهجرة الموافق السابع من أكتوبر لسنة ألفين

وواحد ميلادية لقصف مركز، ثم استمر ذلك القصف بشكل متقطع إلى منتصف رمضان، وبعدها في صبيحة السابع عشر من رمضان بدأ قصف شديد جداً وخاصة بعد ما تأكدت القيادة الأمريكية بوجود بعض قيادات القاعدة في تورا بورا بما فيهم العبد الفقير والأخ المجاهد الدكتور أيمن الظواهري، وأصبح القصف على مدار الساعة، فلم تكن تمر علينا ثانية بدون طائرات حربية فوقنا ليلاً أو نهاراً، حيث تفرغت غرفة قيادة وزارة الدفاع الأمريكية مع جميع القوى المتحالفة معها لنسف وتدمير هذه البقعة الصغيرة وإزالتها من الوجود، فكانت الطائرات تصب حممها فوقنا وخصوصاً بعد أن أنهت مهماتها الأساسية في أفغانستان، وكانت القوات الأمريكية تقصفنا بالقنابل الذكية والقنابل ذات آلاف الأرطال والقنابل العنقودية وكذلك كانت القنابل الخارقة للكهوف، وقد كانت قاذفات القنابل كطائرات بي اثنين وخمسين تحوم الواحدة منها لأكثر من ساعتين فوق رؤوسنا وترمي في كل دفعة من عشرين إلى ثلاثين قنبلة، وكانت طائرات السي مئه وثلاثين المعدلة ترمينا ليلاً بالأبسطة المتفجرة وغيرها من القنابل الحديثة.

ورغم ذلك القصف الهائل مع الإعلام الدعائي الرهيب الذين لم يسبق لهما مثيل على مثل هذه البقعة الصغيرة المحاصرة من جميع الجهات، بالإضافة لقوات المنافقين التي دفعوها لقتالنا لمدة نصف شهر متصل، والتي صددنا موجاتهم اليومية كلها بفضل الله سبحانه وتعالى وأرجعناهم في كل مرة مهزومين يحملون قتلاهم وجرحاهم، رغم ذلك كله ما تجرأت القوات الأمريكية على اقتحام مواقعنا، فأي دلالة أظهر من ذلك على جبنهم وخوفهم وكذبهم في أساطيرهم المدعاة لقواهم المزعومة.

خلاصة المعركة: الفشل الهائل الذريع لتحالف الشر العالمي بجميع قواه على مجموعة صغيرة من المجاهدين، على ثلاثمائة مجاهد في خنادقهم داخل ميل مربع في درجة حرارة بلغت عشر درجات تحت الصفر، وكانت نتيجة المعركة إصابتنا في الأفراد بست في المائة تقريباً نرجو الله أن يتقبلهم في الشهداء، وأما إصابتنا في الخنادق فكانت بنسبة اثنين في المائة والحمد لله.

فإذا كانت جميع قوى الشر العالمي لم تستطع أن تحقق مرادها على ميل مربع بعدد بسيط من المجاهدين بإمكانيات متواضعة جداً، فكيف يمكن لهذه القوى الشريرة أن تنتصر على العالم الإسلامي؟ فهذا محال بإذن الله إذا ثبت الناس على الدين وأصروا على الجهاد في سبيله.

فيا إخواننا المجاهدين في العراق: لا يهولنكم ما تروج له أمريكا من أكاذيب حول قوتهم وحول قنابلهم الذكية والموجهة بالليزر، فالقنابل الذكية لا أثر لها يذكر في وسط الجبال وفي وسط الخنادق في السهول والغابات، فهي لا بد لها من أهداف ظاهرة، أما الأهداف والخنادق المموهة تمويهاً جيداً فليس للقنابل الذكية ولا الغبية إليها من سبيل إلا بالضرب العشوائي الذي يبدد ذخيرة العدو وأمواله، يبدد ذخيرة العدو ويبدد أمواله سدى، فعليكم بكثرة الخنادق كما جاء في الأثر عن عمر رضي الله عنه قال: (ادّرعوا بالأرض)، أي اتخذوا الأرض درعة. فإن ذلك كفيل بإذن الله وفضله باستنزاف كامل المخزون من قذائف العدو خلال بضعة أشهر. وأما إنتاجهم اليومي فشيء يسير يسهل احتماله بإذن الله.

كما ننصح بأهمية استدراج قوات العدو إلى قتال طويل متلاحم منهك، مستغلين المواقع الدفاعية المموهة في السهول والمزارع والجبال والمدن، وأخوف ما يخافه العدو هو حرب المدن والشوارع، تلك الحرب التي يتوقع العدو فيها خسائر فادحة باهظة في أرواحه.

كما نؤكد على أهمية العمليات الاستشهادية ضد العدو، تلك العمليات التي أنكت في أمريكا وإسرائيل نكاية لم يشهدوها في تاريخهم من قبل بفضل الله تعالى.

كما أننا نوضح أن كل من أعان أمريكا من منافقي العراق أو من حكام الدول العربية وكل من رضي بفعلهم، وتابعهم في هذه الحرب الصليبية بالقتال معهم أو بتوفير القواعد والدعم الإداري أو بأي نوع من أنواع الدعم والمناصرة لهم ولو بالكلام، لقتل المسلمين في العراق؛ عليه أن يعلم أنه مرتد خارج عن الملة حلال المال والدم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

كما نؤكد على الصادقين من المسلمين أنه يجب عليهم أن يتحركوا ويحرضوا ويجيشوا الأمة في مثل هذه الأحداث العظام والأجواء الساخنة لتتحرر من عبودية هذه الأنظمة الحاكمة الظالمة المرتدة المستعبدة من أمريكا وليقيموا حكم الله على الأرض، ومن أكثر المناطق تأهلاً للتحرير: الأردن والمغرب ونيجيريا وباكستان وبلاد الحرمين واليمن.

كما أنه لا يخفى أن هذه الحرب الصليبية تعني في أول ما تعني أهل الإسلام، بغض النظر عن بقاء أو زوال الحزب الاشتراكي وصدام، فيجب على المسلمين عامة وفي العراق خاصة أن يشمروا عن ساق الجد والجهاد ضد هذه الحملة الظالمة، وأن يحرصوا على اقتناء الذخائر والسلاح فهذا أمر واجب عليهم متعين، قال الله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾.

ومعلوم أنه لا يجوز القتال لنصرة الرايات الجاهلية، وكذلك يجب على المسلم أن تكون عقيدته ورايته واضحة في القتال في سبيل الله كما قال رسول الله ﷺ: ((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله)) [متفق عليه].

ولا يضر في مثل هذه الظروف أن تتقاطع مصالح المسلمين مع مصالح الاشتراكيين في القتال ضد الصليبيين مع اعتقادنا وتصريحنا بكفر الاشتراكيين، فالاشتراكيون وهؤلاء الحكام قد سقطت ولايتهم منذ زمن بعيد، والاشتراكيون كفار حيثما كانوا، سواء كانوا في بغداد أو عدن، وهذا القتال الذي يدور أو الذي يكاد أن يدور في هذه الأيام يشبه إلى حد بعيد قتال المسلمين من قبل.

وتقاطع المصالح لا يضر، فقتال المسلمين ضد الروم كان يتقاطع مع مصالح الفرس ولم يضر الصحابة رضي الله عنهم ذلك في شيء.

وقبل الختام: نؤكد على أهمية البشائر ورفع المعنويات والحذر من الإرجاف والتخذيل والتثبيط والتنفير، قال رسول الله ﷺ: ((بشروا ولا تنفروا))، وقال أيضاً: ((لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل)).

وجاء في السير أن رجلا قال لخالد بن الوليد رضي الله عنه يوم اليرموك: ما أكثر الروم وأقل المسلمين. فقال له خالد رضي الله عنه: (بئس ما قلت، إن الجيوش لا تنصر بكثرة العدد وإنما تنهزم بالخذلان) – أو كلمة نحوها –.

وليكن بين أعينكم قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾.

وليكن عتابكم للصليبيين كما قال الشاعر:

ليس بيني وبينكم من عتاب سوى طعن الكلى وضرب الرقاب

وفي الختام: أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله في السر والعلن، والصبر والمصابرة في الجهاد، فإنما النصر صبر ساعة، وأوصي نفسي وإياكم بكثرة الذكر والدعاء قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم، اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم، اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

وصلِّ اللهم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١٦- خطبة عيد الأضحى لعام ١٤٢٣هـ:

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد الذي أنزل على عبده ورسوله آية السيف ليحق الحق ويبطل الباطل، فالحمد لله القائل: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوَهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، والحمد الله القائل: ﴿قَاتِلُوَهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾، والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل: ((بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله تعالى وحده لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم)). والقائل: ((أخرِجوا المشركين من جزيرة العرب)).

أما بعد..

ففي الوقت الذي تسيل فيه دماء المسلمين وتهدر في فلسطين والشيشان والفلبين، وكشمير والسودان، ويموت أطفالنا بسب الحصار الأميركي في العراق، وفي الوقت الذي لم تلتئم جراحنا بعد، منذ الحروب الصليبية على العالم الإسلامي في القرن الماضي، ونتيجة لاتفاقية (سايكس بيكو) بين بريطانيا وفرنسا، والتي أدت إلى تقسيم العالم الإسلامي إلى قطع وأشلاء، وما زال عملاء الصليبيين يحكمونها إلى اليوم، إذ بأجواء اتفاقية سايكس بيكو تطل علينا من جديد، إنها اتفاقية (بوش - بلير) ولكنها تحت نفس الراية ولنفس الغاية، إنها راية الصليب، وغايتها تحطيم ونهب أمة الحبيب ﷺ.

إن اتفاقية (بوش - بلير) تزعم أنها تريد القضاء على الإرهاب، فلم يعد يخفى - حتى على العوام - أنها تريد القضاء على الإسلام، ومع ذلك يؤكد حكام المنطقة في الخطابات والخطب تأييدهم لبوش في محاربة الإرهاب أي في محاربة الإسلام والمسلمين، في خيانة واضحة للملة والأمة معتمدين على مباركة علماء السلاطين ووزراء البلاط، فكما أنه لا يخفى أن الاستعداد الحالي للهجوم على العراق ما هو إلا حلقة في سلسلة الاعتداءات المعدة

لدول المنطقة بما فيها سوريا وإيران، ومصر والسودان، إلا أن التركيز لتقسيم بلاد الحرمين يأخذ نصيب الأسد في خطتهم، مع العلم أنه هدف استراتيجي قديم، منذ أن نقل ولاؤها من بريطانيا إلى الولايات المتحدة منذ ستة عقود، وقد حاولت أميركا قبل ثلاثة عقود تنفيذ هدفها هذا في أعقاب حرب العاشر من رمضان، يوم هدد رئيسها (نيكسون) بغزو بلاد الحرمين على الملأ، ولم يتيسر له ذلك في وقتها بفضل الله، ولكن مع بداية حرب الخليج الثانية أنشأت أميركا قواعد عسكرية مهمة وخطيرة، منتشرة في بلاد الحرمين، وخاصة قرب العاصمة، ولم يبق لهم إلا التقسيم، واليوم يبدو أن الوقت المناسب للتقسيم قد حان في نظرهم، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

فخلاصة الأمر أن استهداف أميركا للمنطقة عموماً وتقسيم بلاد الحرمين خصوصاً ليس سحابة صيف عابرة، وإنما هو هدف استراتيجي لا يغيب عن نظر السياسة الأميركية الماكرة، فماذا أعدت الحكومات في المنطقة لمقاومة هذا الهدف الاستراتيجي العدواني؟ لا شيء يذكر سوى زيادة في الولاء للصليبيين، أضف إلى ذلك اجتماع وزراء الداخلية العرب المنتظم لمحاربة المجاهدين والتضييق على الدعاة والعلماء الصادقين الذين يسعون لتنبيه الأمة وإيقاظها للدفاع عن نفسها.

وإن من أهم أهداف هذه الحملة الصليبية الجديدة تهيئة الأجواء وتمهيد المنطقة بعد التقسيم لقيام ما يسمى بدولة إسرائيل الكبرى، التي تضم داخل حدودها أجزاء كبيرة من العراق ومصر مروراً بسوريا ولبنان والأردن وكامل فلسطين وأجزاء كبيرة من بلاد الحرمين، وما أدراك ما إسرائيل الكبرى، وما سيصيب المنطقة من ويل وثبور.

إن ما يجري لأهلنا في فلسطين ما هو إلا نموذج يراد تكراره في سائر المنطقة على يد التحالف الصهيوأميركي، قتل للرجال والنساء والولدان، وسجون وإرهاب وتهديم للبيوت وتجريف للمزارع، ونسف للمصانع، والناس في خوف دائم ورعب جاثم ينتظرون الموت في كل لحظة من صاروخ أو قذيفة تهدم بيتاً وتقتل أختاً وتئد رضيعة، فماذا نجيب ربنا غداً؟

إن ما يجري هناك لا يحتمله أولو البأس من الرجال، فكيف بحال الأمهات المستضعفات وهن يرين أطفالهن يقتلون بين أيديهن؟ إنا لله وإنا إليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم إني أبرأ إليك من فعل هؤلاء من اليهود والنصارى والحكام الخائنين ومن كان في حكمهم، وأعتذر إليك من فعل هؤلاء القاعدين عن نصرة الدين.

وإن مما يعنيه قيام إسرائيل الكبرى هو خضوع دول المنطقة لليهود وما أدراك ما يهود، يهود افتروا على الخالق فما بالك بالمخلوق؟ يهود قتلة الأنبياء ونقضة العهود، قال الله عنهم: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾.

إنهم يهود أرباب الربا وأئمة الخنا، لن يبقوا لكم شيئاً لا دنيا ولا دين، قال الله عنهم: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾، إنهم يهود يعتقدون ديانة أن الناس عبيد لهم ومن أبى فحده القتل، قال الله تعالى عنهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

هذه بعض صفات اليهود فاحذروهم، وهذه بعض ملامح المخطط الصليبي فقاوموه.

والآن كيف السبيل لكف بأس الكفار وإنقاذ بلاد المسلمين؟

فللإجابة على هذا السؤال أقول – وبالله التوفيق – كما قال العبد الصالح نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾..

فالسبيل لكف بأس الكفار هو الجهاد في سبيل الله كما قال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ المؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَاسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَاساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾.

وابتداءً أبشركم بفضل الله أن الأمة اليوم عندها من الطاقات الهائلة ما يكفي لإنقاذ فلسطين وإنقاذ باقي بلاد المسلمين، ولكن هذه الطاقات مقيدة فيجب العمل على إطلاقها.

كما وأن الأمة موعودة بالنصر، لكن إذا تأخر النصر فبسبب ذنوبنا وقعودنا عن نصرة الله، قال تعالى ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

والأمة موعودة بالنصر أيضاً على اليهود كما أخبرنا رسولنا ﷺ حيث قال: ((لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعالَ فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود)).

ففي هذا الحديث تنبيه أيضاً إلى أن حسم الصراع مع الأعداء إنما يكون بالقتل والقتال، لا بتعطيل طاقات الأمة لعشرات السنين عبر طرق أخرى كخدعة الديمقراطية وغيرها [١].

وبعد هذه المبشرات، أتحدث إليكم عن بعض الأمور التي تساعدنا على الجهاد في سبيل الله، ومنها ذكر بعض الوقائع والحروب التي انتصر فيها المسلمون خلال العقدين الماضيين مما يزيد من ثقة أبناء الأمة بأنفسهم لما لذلك من أهمية في تعبئة الأمة لتدافع عن نفسها ضد التحالف الصليبي الصهيوني، وفي الحقيقة أن الأمة الإسلامية هي القوة البشرية العظمى إن أقامت دين الإسلام حقاً، وهذا ما أثبته التاريخ خلال القرون الماضية وهي قادرة على قتال ومقاومة ما يسمى بالدول الكبرى.

وقبل ذلك سأذكر حادثة ذات صلة بموضوع قتال القوى الكبرى، ذكر أهل السير أن المثنى الشيباني رحمه الله جاء إلى المدينة يطلب مدداً من الخليفة لقتال الفرس، فندب الخليفة عمر رضي الله عنه الناس ثلاثة أيام، فلم يخرج أحد، ففطن عمر رضي الله عنه لما في نفوس

---

[١] أفضل ما كُتب عن الديمقراطية هو كتاب (حكم الإسلام في الديمقراطية والتعددية الحزبية) لأبي بصير عبد المنعم مصطفى حليمة وفقه الله.

الناس من عقدة قتال القوى العظمى، فأمر المثنى أن يحدث الناس بما فتح الله عليه ضد فارس ليزيل ما بأنفسهم، فقام المثنى فتكلم ونشَّط القوم، فكان مما قال: (يا أيها الناس، لا يعظمن عليكم هذا الوجه، فإنا قد تبجحنا فارس وغلبناهم على خير شقي السواد، وشاطرناهم ونلنا منهم، واجترأ من قِبلنا عليهم، ولها إن شاء الله ما بعدها). فتحمس الناس، فقام أبو عبيد الثقفي وعقد له الخليفة اللواء وتتابع القوم رضي الله عنهم.

وأنا أقول متشبهاً بأولئك الكرام: يا أيها الناس، لا يعظمن عليكم هذا الوجه، لا يعظمنّ عليكم وجه أميركا وجيشها، فقد ضربناهم والله مراراً وهزموا تكراراً، وإنهم أجبن قوم عند اللقاء، وقد تبين لنا من مدافعتنا ومقاتلتنا للعدو الأميركي أنه يعتمد في قتاله بشكل رئيس على الحرب النفسية نظراً لما يمتلكه من آلة دعائية ضخمة، وكذلك على القصف الجوي الكثيف إخفاءً لأبرز نقاط ضعفه، وهو الخوف والجبن وغياب الروح القتالية عند الجندي الأميركي، ولولا ضيق المقام لحدثتكم عن ذلك أشياء تكاد لا تصدق في قتالنا لهم في تورا بورا وفي أفغانستان، وأرجو الله أن ييسر وقتاً ونتحدث عن ذلك بالتفصيل.

وابتداءً أذكركم بهزيمة بعض القوى الكبرى على أيدي المجاهدين، فأذكركم بهزيمة الاتحاد السوفيتي سابقاً والذي أصبح أثراً بعد عشر سنين من القتال الضاري على أيدي أبناء الأفغان ومن ساعدهم من أبناء المسلمين بفضل الله.

وكذلك هزيمة الروس في بلاد الشيشان وضرب المجاهدون أروع الأمثلة في التضحية والفداء، فحطم المجاهدون الشيشان مع إخوانهم العرب والأنصار كبرياء الروس، فكبدوهم الخسائر تلو الخسائر، فانسحبوا مدحورين بعد الحرب الأولى.

ثم إن الروس رجعوا مرة أخرى بدعم أميركي، ومازالت روسيا إلى الآن تتكبد الخسائر الفادحة من فئة قليلة مؤمنة نرجو الله أن يثبتهم وينصرهم.

كما أذكركم بهزيمة القوات الأميركية عام ١٤٠٢ للهجرة عندما اجتاح بنو إسرائيل لبنان، فقدمت المقاومة اللبنانية شاحنة مملوءة بالمتفجرات إلى مركز القوات الأميركية (المارينز) في بيروت فقتل منهم أكثر من ٢٤٠ قتيلاً فإلى جهنم وبئس المصير.

ثم بعد حرب الخليج الثانية أدخلت أميركا جيوشها إلى الصومال وقتلوا ١٣ ألفاً من أبناء المسلمين هناك ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعندها وثب أُسْد الإسلام من العرب الأفغان فانبروا لهم مع إخوانهم في تلك الأرض فمرغوا كبرياءها في الطين، فقتلوا منهم ودمروا من دباباتهم وأسقطوا من طائراتهم، ففرت أميركا وحلفاؤها في ليل مظلم لا يلوي أحد على أحد، فلله الحمد والمنة.

وفي تلك الفترة أعد شباب الجهاد عبوات ناسفة ضد الأميركيين في عدن، فانفجرت فما كان من الجبناء إلا أن فروا في أقل من ٢٤ ساعة.

ثم في عام ١٤١٥ للهجرة وقع انفجار في الرياض قتل بسببه أربعة من الأميركيين، وكان رسالة واضحة تبين اعتراض أبناء المنطقة على السياسة الأميركية في دعم اليهود واحتلال بلاد الحرمين.

ثم في العام الذي يليه وقع انفجار آخر في الخبر قتل بسببه ١٩ وجرح أكثر من ٤٠٠، واضطر بعدها الأميركيون لنقل مراكزهم الكبرى من المدن إلى قواعد في الصحراء.

ثم بعد ذلك أيضاً في عام ١٤١٨ للهجرة هدد المجاهدون أميركا على الملأ بضرورة الكف عن مساعدة اليهود والخروج من بلاد الحرمين، فرفض العدو التحذير، وتمكن المجاهدون بفضل الله من صفعه صفعتين عظيمتين في شرق إفريقيا.

ثم حُذرت أميركا مرة أخرى ولم تستجب، فوفق الله المجاهدين في عملية استشهادية عظيمة، فدمرت المدمرة الأميركية (كول) في عدن، فكانت صفعة مدوية في وجه العسكرية الأميركية، كما كشفت العملية عن عمالة الحكومة اليمنية كسائر دول المنطقة.

ثم إن المجاهدين لما رأوا أن عصابة الإجرام الأسود في البيت الأبيض تصور الأمر على غير حقيقته، بل يزعم زعيمهم الأحمق المطاع أننا نحسدهم على طريقة حياتهم، وإنما الحقيقة التي يخفيها فرعون العصر أننا نضربهم بسبب ظلمهم لنا في العالم الإسلامي وخاصة في فلسطين والعراق واحتلالهم في بلاد الحرمين، ولما رأى المجاهدون ذلك قرروا أن يتخطوا التعتيم وينقلوا المعركة إلى وسط أرضه وفي عقر داره، وفي يوم الثلاثاء المبارك في الثالث والعشرين من جماد الثاني لعام ١٤٢٢ للهجرة الموافق للحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ للميلاد، كان التحالف الصهيوأميركي يحصد أبناءنا وأهلنا في أرض الأقصى المبارك فضلاً، بطائرات ودبابات أميركية وأيد يهودية، وأبناؤنا في العراق يقضون نحبهم نتيجة الحصار الظالم من أميركا وعملائها، وفي المقابل كان العالم الإسلامي يعيش في حالة من البعد الشديد عن إقامة الدين حقاً، وبينما الأمور على تلك الحال من الإحباط واليأس والتسويف عند المسلمين – إلا من رحم الله –، ومن الظلم والغرور والعدوان عند التحالف الصهيوأميركي، فقد كانت بلاد العم سام في غيها سادرة، بطغيانها هادرة، مصعرة خدها للناس، تمشي في الأرض مرحاً لا تبالي بأحد، وتظن ألا سبيل إليها، إذ رموا بثالثة الأثافي وما أدراك ما ثالثة الأثافي، عندما وثب شعث الرؤوس مغبرو الأقدام المطاردون في كل مكان، فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى، وربط على عقيدتهم، وكتب الإيمان في قلوبهم، فلم يخشوا في الله لومة لائم، يبتغون ما عند الله تعالى، تأبى نفوسهم أن تنام على الضيم، يريقون ماء الحياة ولا يريقون ماء المحيا، فأغاروا بطائرات العدو في عملية جريئة جميلة ما عرفت البشرية لها مثيلاً، فحطموا أصنام أميركا، فأصابوا وزارة الدفاع في صميم فؤادها، وأصابوا الاقتصاد الأميركي في سويداء قلبه، فأرغموا أنف أميركا في التراب ومرغوا كبرياءها في الطين، فانهار برجا نيويورك، وبذلك الانهيار انهار ما هو أعظم وأضخم، فانهارت أسطورة أميركا العظمى وانهارت أسطورة

الديمقراطية، وظهر للناس أن قيم أميركا في السافلين، وتحطمت أسطورة أرض الحرية وتحطمت أسطورة الأمن القومي الأميركي، وانهارت أسطورة الـ CA، فلله الحمد والمنة.

وكان من أهم الآثار الإيجابية لغزوتي نيويورك وواشنطن أنها كشفت حقيقة الصراع بين الصليبيين والمسلمين، وأظهرت ضخامة العداء الذي يُكنه لنا الصليبيون عندما نزعت الغزوتان جلد الشاة عن الذئب الأميركي وظهر على حقيقته البشعة، واستيقظ العالم أجمع من الرقاد، وانتبه المسلمون إلى أهمية عقيدة الموالاة في الله والمعاداة في الله، وقويت روح الأخوَّة الإيمانية بين المسلمين مما يعتبر خطوة عظيمة نحو توحيد المسلمين تحت كلمة التوحيد لقيام الخلافة الراشدة بإذن الله، وبدا ظاهراً للناس أن أميركا هذه القوة الظالمة يمكن أن تضرب، ويمكن أن تذل وتهان وتقهر، ولأول مرة تعي غالبية الشعب الأميركي حقيقة القضية الفلسطينية وأن ما أصابهم في منهاتن كان بسبب سياسة حكومتهم الظالمة.

وخلاصة الأمر أن أميركا دولة عظمى ذات قوة عسكرية ضخمة وذات اقتصاد عريض، ولكن كل ذلك على قاعدة هشة، لذا فإنه بالإمكان استهداف تلك القاعدة الهشة والتركيز على أبرز نقاط الضعف فيها وإذا ما ضربت في عُشر معشار تلك النقاط، فإنها -بإذن الله- ستترنح وتنكمش وتتخلى عن قيادة العالم وظلمه.

ولقد استطاع عدد يسير من فتية الإسلام رغم وقوف التحالف الدولي ضدهم أن يقيموا الحجة على الناس بوجود القدرة على مقاومة ومقاتلة ما يسمى بالقوى العظمى، واستطاعوا أن يدافعوا عن دينهم وأن ينفعوا قضايا أمتهم أكثر مما فعلته حكومات وشعوب بضع وخمسين دولة في العالم الإسلامي، لأنهم اتخذوا الجهاد سبيلاً لنصرة الدين، وكما قال أبو هلالة:

وللنصر أسباب وللخُسر مثلها ... وكل فريق يورث الخلد رابح
دروب العلا شتى وأقصرها التي ... تريق الدما في جانبيها الزحازح

وأمثال هؤلاء الفتية الأبطال في الأمة كثير – بفضل الله – ولكنهم مقيدون، فينبغي علينا أن نتعاون جميعاً لفك قيودهم لينطلقوا مجاهدين في سبيل الله، لأن الجهاد هو سبيل عز هذه الأمة وأمنها.

وإن القيود والسدود التي تحول بين شباب الأمة وبين انطلاقها للجهاد كثيرة، إلا أننا سنتحدث عن أهمها، وبين يدي ذلك أذكر حديثاً من الصحيحين من اهتدى به سلك ومن ضل عنه هلك، قال رسول الله ﷺ: ((إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد)).

فاعتبروا يا أولي الأبصار، فهذا من أسباب هلاكنا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأذكر كذلك قصة إسلام خالد رضي الله عنه لتتحرر العقول من التبعية العمياء، فقد قيل له بعد أن أسلم متأخراً: (أين كان عقلك يا خالد فلم تر نور النبوة بين ظهرانيكم منذ عشرين سنة؟ فقال: كان أمامنا رجال كنا نرى أحلامهم كالجبال).

قال الإمام أحمد رحمه الله: (من قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال).

وأول هذه القيود والسدود في عصرنا الحاضر هم الحكام وشهداء الزور من علماء السوء ووزراء البلاط وأصحاب الأقلام المأجورة ومن شابههم، فأما الحكام فقد اتفق الناس على عجزهم وخيانتهم، وأما الذين يطالبون الناس بأن يضعوا أيديهم في أيدي هؤلاء الحكام برغم كل ذلك نقول لهم: متى نزعت الشعوب أيديها من أيدي الحكام حتى يُنصحوا بأن يعيدوا أيديهم مرة أخرى؟ فهذا لم يحدث، والنتيجة كما ترون، هيمنة الكفار علينا، وقد قيل:

ومن خانه التدبير والأمر طائع فلن يحسن التدبير والأمر جامح

فخلافنا مع الحكام ليس خلافاً فرعياً يمكن حله، وإنما نتحدث عن رأس الإسلام، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فهؤلاء الحكام قد نقضوها من أساسها بموالاتهم

للكفار وبتشريعهم للقوانين الوضعية، وإقرارهم واحتكامهم لقوانين الأمم المتحدة الملحدة، فولايتهم قد سقطت شرعاً منذ زمن بعيد، فلا سبيل للبقاء تحتها، والمقام لا يتسع لوصف هذا الأمر هنا، ولكن قد ذكرنا أقوالاً لأهل العلم رحمهم الله في البيان السابع عشر الصادر عن هيئة النصيحة والإصلاح.

وبعد ذلك نقول: هل يمكن لمسلم أن يقول للمسلمين: ضعوا أيديكم في يد كرزاي للتعاون في إقامة الإسلام ورفع الظلم وعدم تمكين أميركا من مخططاتها؟ فهذا لا يمكن ولا يعقل، لأن كرزاي عميل جاءت به أميركا، ومناصرته على المسلمين ناقض من نواقض الإسلام العشرة، مخرج من الملة.

وهنا لنا أن نتساءل: ما الفرق بين كرزاي العجم وكرزاي العرب؟ من الذي ثبت ونصب حكام دول الخليج؟

إنهم الصليبيون، فالذين نصبوا كرزاي كابل وثبتوا كرزاي باكستان، هم الذين نصبوا كرزاي الكويت وكرزاي البحرين وكرزاي قطر وغيرها.

ومن الذين نصبوا كرزاي الرياض وجاؤوا به بعد أن كان لاجئاً في الكويت قبل قرن من الزمان ليقاتل معهم ضد الدولة العثمانية ووواليها ابن الرشيد؟

إنهم الصليبيون، وما زالوا يرعون هذه الأسر إلى اليوم، فلا فرق بين كرزاي الرياض وكرزاي كابول ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ﴾، قال تعالى: أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلائِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾.

إن الحكام الذين يريدون حل قضايانا ومن أهمها القضية الفلسطينية عبر الأمم المتحدة أو عبر أوامر الولايات المتحدة، كما حصل بمبادرة الأمير عبد الله بن عبد العزيز في بيروت ووافق عليها جميع العرب والتي باع فيها دماء الشهداء وباع فيها أرض فلسطين إرضاء

ومناصرة لليهود وأميركا على المسلمين، هؤلاء الحكام قد خانوا الله ورسوله وخرجوا من الملة وخانوا الأمة.

كما أقول أيضاً: إن الذين يريدون أن يحلوا قضايانا عبر هؤلاء الحكام العجزة الخونة قد خدعتهم أنفسهم وخادعوا أمتهم، وركنوا إلى الذين ظلموا وضلوا ضلالاً مبنياً، وأحسن أحوالهم أنهم عاجزون فاسقون، فينبغي على المسلمين أن ينصحوهم، فإن لم ينتصحوا فليحذروهم وليحذروا منهم، ويجب على المسلمين أن كذلك يتبرؤوا من هؤلاء الطواغيت، ولا يخفى أن التبرؤ من الطاغوت ليس من نوافل الأعمال، وإنما هو أحد ركني التوحيد فلا يقوم إيمان بغيرهما، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وأما علماء السوء ووزراء البلاط وأصحاب الأقلام المأجورة وأشباههم فكما قيل: لكل زمن دولة ورجال، فهؤلاء هم من رجال الدولة الذين يحرفون الحق ويشهدون بالزور حتى في البلد الحرام، في البيت الحرام، في الشهر الحرام -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، ويزعمون أن الحكام الخائنين ولاة أمر لنا -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، يقولون ذلك من أجل تثبيت أركان الدولة، فهؤلاء قد ضلوا سواء السبيل، فيجب هجرهم والتحذير منهم.

وإنما تركز الدولة على علمائها وتظهرهم في برامج دينية للفتوى من أجل دقائق معدودة يحتاجهم فيها النظام كل مدة لإضفاء الشرعية عليه وعلى تصرفاته.

فما حصل يوم أن أباح الملك بلاد الحرمين للأميركيين، فأمر علماءه فأصدروا تلك الفتوى الطامة التي خالفت الدين واستخفت بعقول المسلمين والمؤيدة لفعله الخائن في تلك المصيبة العظيمة.

والأمة اليوم إنما تعاني ما تعانيه من مصائب وخوف وتهديد من جراء ذلك القرار المدمر وتلك الفتوى المداهنة، ومن قرأ سيرة الأئمة الصادقين في أيام المحن كسيرة الإمام أحمد بن

حنبل وغيره رحمهم الله علم الفرق بين العلماء العاملين والعلماء المداهنين كما في سير أعلام النبلاء وغيرها، وقال الشاعر:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وأما السد الثاني: فهم العلماء والدعاة المحبون للحق الكارهون للباطل القاعدون عن الجهاد، تأولوا تأولاً فصدوا الشباب عن الجهاد -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، هؤلاء رأوا الباطل ينتشر ويزداد، فتداعوا للقيام بواجب نصرة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واهتدى وتفقه على أيديهم خلق كثير، وحسناً فعلوا، وجزاهم الله خيراً على ذلك، إلا أن الباطل يضيق صدره بالحق وأهله، فشرع في مضايقتهم وإخافتهم ومنعهم من الخطب والدروس وفصلهم من وظائفهم، ثم سجن من أصر على مواصلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن هذه الضغوط الشديدة أدت تدريجياً إلى انحراف المسار -إلا من رحم الله-، وهذا أمر بدهي لأن الإنسان لا يستطيع أن يتخذ القرار الصحيح في ظل أوضاع غير صحيحة وخاصة من الناحية الأمنية، قال رسول الله ﷺ: ((لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان)) هذا إذا كان غضباناً، فكيف إذا كان خائفاً؟

فالتخويف الذي تمارسه الدول العربية على الشعب قد دمر جميع مناحي الحياة بما فيها أمور الدين، إذ الدين النصيحة، ولا نصيحة بغير أمن.

وقد قسم الخوف الناس إلى أقسام، وسنتحدث عن بعضهم، فقسم انتكس والتحق بالدولة ووالاها -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، وقسم بدا له أنه لن يستطيع أن يستمر في الدعوة والتدريس ويؤمن معهده أو جمعيته أو جماعته، ويؤمن نفسه وجاهه وماله إن لم يمدح الطاغوت ويداهنه، فتأول تأولاً فاسداً فضلّ ضلالاً مبيناً وأضل خلقاً كثيرا.

وقسم آخر حفظهم الله من مجاراة الحكام الخائنين ومداهنتهم، وحرصوا على البقاء تحت راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد كانت لهم جهود مشكورة في الدعوة إلى الله، إلا أن الضغوط التي سبق ذكرها كانت كبيرة جداً، ولم يهيؤوا أنفسهم لتحملها ومن أهمها تكاليف الهجرة والجهاد، وقد كانت الفرصة متاحة منذ أكثر من عقدين ولم يستفيدوا منها، مما أفقدهم القدرة على اتخاذ القرار الصحيح -إلا من رحم الله- في مثل هذه الأيام العصيبة، ولذا نرى فريقاً منهم ما زالوا إلى الآن لم يتخذوا قرار الجهاد والمقاومة.

إن نصرة الدين وإقامته لها تكاليف عظام وصفات واضحة في كتاب الله وفي سيرة رسول الله ﷺ وفي سيرة الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فمن لم يتصف بهذه الصفات لا يستطيع أن يقوم بنصرة الدين هذه الصفات ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَاتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وفي الخبر الذي دار بين رسول الله ﷺ وورقة بن نوفل، قال ورقة: يا ليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: ((أَوَ مخرجيَّ هم؟)) فقال ورقة: نعم. لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً.

فحال من يريد أن يتحمل الدين بحق، هو العداء من أهل الباطل، لا التعايش -كما نرى ولا حول ولا قوة إلا بالله - مع أهل الباطل، وحال من أراد إقامة الدين هو السعي في نصرته بالنفس والنفيس، كما قال ورقة: إن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، وكذلك كان الحال يوم بيعة العقبة.

فنصرة الدين ليست دروساً تعطى فقط، والدين لا يقوم على فتات أوقاتنا وأموالنا، وإنما سلعة الله غالية، فشتان شتان بين الجلوس وتقديم الدروس وبين تقديم النفوس والرؤوس لنصرة الله.

لذا فإن العباس بن عبد المطلب وقد كان على دين قومه، أراد أن يطمئن على ابن أخيه محمد ﷺ عند الأنصار، فكان مما قاله: فإن كنتم أهل قوة وجلد وبصيرة بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة فإنها سترميكم عن قوس واحدة.

فأقول: هذه الصفات كانت مطلوبة لأهل الإيمان لحفظ رسول الله ﷺ، وهي مطلوبة اليوم أيضاً لحفظ دين رسول الله ﷺ.

ثم بعد أن أنهى العباس كلامه، قال البراء بن معرور من الأنصار: قد سمعنا ما قلت، وإنا والله لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه، ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله.

فأقول هكذا الدين، إنما يقوم بالوفاء والصدق وببذل المهج من أجل المنهج.

ثم لما قاموا للمبايعة، قال أسعد بن زرارة: رويداً يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد المطي، إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو أعذر لكم عند الله، فقالوا: يا أسعد: أمِطْ عنا يدك، فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها.

هكذا كانت صفات الذين يريدون أن يحموا ويقيموا دين الإسلام رضي الله عنهم.

وكذلك اليوم يقول المجاهدون للعلماء والدعاة الذين يحبون الحق ولا يداهنون الباطل.

فأنتم قد رفعتم راية دين الإسلام، وتعلمون أنه دين رسول الله حقاً، وإن حملكم له بحق يعني مفارقة حكومات العرب والعجم في الأرض كافة وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فحافظوا على الراية وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروا راية المدافعة والمقاتلة ولا تحولوا بين شباب الأمة والجهاد في سبيل الله، فهو أعذر لكم عند الله.

والآن نتحدث عن ما هو واجب المسلمين تجاه هذه الحرب الصليبية الصهيونية ضد أمة الإسلام: قال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَاسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَاساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾. إن أوجب الواجبات بعد الإيمان اليوم هو دفع وقتال العدو الصائل، قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وأما دفع العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا، لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه فلا يشترط له شرط).

فالجهاد اليوم متعين على الأمة بأسرها وهي واقعة في الإثم إلى أن تخرج من أبنائها وأموالها وطاقاتها ما يكفي لقيام الجهاد الذي يدفع بأس الكفار عن جميع المسلمين في فلسطين وغيرها، فيجب على المؤمنين أن يجاهدوا لإحقاق الحق وإبطال الباطل، كلٌ بحسب طاقته.

قال رسول الله ﷺ في صحيح مسلم: ((فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة من خردل)).

وهذا الحديث العظيم يشمل جميع المؤمنين، فبما أننا مؤمنون إذن فنحن مجاهدون في سبيل الله لنصرة الدين، فالمؤمن الذي عجز عن الجهاد بيده ولسانه يجب عليه أن يجاهد بقلبه، ومن ذلك أن يستمر في بغض أعداء الله ويدعو عليهم وأن يستمر في موالاة المؤمنين والمجاهدين ويدعو لهم ويستشعر الأخوّة الإيمانية التي تربطه بالمسلمين في جميع مشارق الأرض ومغاربها، وينبغي أن يستشعر أن أهل الإيمان في فسطاط واحد وأن أهل الكفر في فسطاط واحد إلى أن يمن الله على الأمة بدولة تضم المسلمين تحت لوائها بإذن الله، وينبغي أن يحدث نفسه بالجهاد في سبيل الله بيده ولسانه، وهذا أضعف الإيمان، وينبغي عليه مقاطعة بضائع أميركا وحلفائها، وليحذر المؤمن كل الحذر من أن يؤيد الباطل، فإن مناصرة الكافرين على المسلمين – ولو بكلمة – كفر بواح كما قرر ذلك أهل العلم، وليحذر من أن يكون من الذين قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾، أو من الذين قال الله فيهم:

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ المعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَاتُونَ البَاسَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ فلا يجمع بين كبيرة القعود وكبيرة التخذيل.

والجهاد بالنفس اليوم وإن كان متعيناً على الأمة بأسرها إلا أنه في حق الشباب آكد مما هو في حق الكهول والشيوخ، وكذلك الجهاد بالمال المتعين اليوم هو في حق أصحاب الأموال آكد مما هو في حق غيرهم، ومن فضل الله على الأمة اليوم أن شرح الله صدور كثير من شبابها للجهاد في سبيله، والذود عن دينه وعباده، فيجب على الأمة أن تعينهم وتشجعهم وتيسر أمورهم ليدافعوا ويدفعوا عنها الظلم والخزي والإثم، ويجب على الأمة أيضاً أن تحافظ على الجهاد القائم اليوم، وأن تنصره بكل ما أوتيت من قوة، فهو عزيز جداً كما هو في فلسطين والشيشان وأفغانستان، وكشمير وإندونيسيا والفلبين وغيرها من بلاد الإسلام، فإن الجهاد في هذه الدول لم تبق رايته مرفوعة بعد فضل الله، رغم الهجمة الشرسة من الأعداء، إلا ببذل ما لا يوصف، إلا ببذل ما لا يوصف من العناء والدماء والأشلاء، نرجو الله أن يتقبلهم في الشهداء.

وأبشركم أن الجهاد في أفغانستان قائم اليوم بشكل جيد والحمد لله، والأمور تسير نحو الأحسن لصالح المجاهدين بفضل الله، وها نحن في السنة الثانية من القتال ولم تستطع أميركا أن تحقق أهدافها، وإنما تورطت في المستنقع الأفغاني، وأما ما اعتبرته أميركا في الأشهر الأولى للحرب بأنه انتصار بعد أن استولت على المدن نتيجة إخلاء المجاهدين لها، فإنه لا يخفى على الخبراء العسكريين عامة والعارفين بأفغانستان خاصة أنه كان انسحاباً تكتيكياً يتماشى مع طبيعة دولة الطالبان ومع طبيعة الأفغان في تاريخهم الطويل مع حروب العصابات، فلم يكن هناك جيش نظامي لدولة الطالبان حتى يدافع عن المدن، لذا لجأ الأفغان -بعد الله- إلى قوتهم الكامنة في قدراتهم لشن حروب العصابات من عمق جبالهم الوعرة، وبنفس التكتيك الذي قهروا به -بفضل الله- جيش الاتحاد السوفيتي من قبل، فقد ثبت ذلك بعد أن بدأت حرب العصابات وارتفع معدل العمليات إلى عمليتين يومياً، فالأميركيون في ورطة حقيقية اليوم، فلا هم يستطيعون حماية قواتهم ولا قادرين على تشكيل دولة تحمي رئيسها

فضلاً عن أن تحمي الآخرين، فقد تم -بفضل الله- التنسيق مع جميع المجاهدين خلال العام المنصرم، والجميع متحمسون للجهاد ويرونه واجباً عليهم، ولولا قلة الإمكانيات لتيسر رفع عدد العمليات يومياً إلى الحد الذي كانت عليه في الجهاد السابق ضد الروس، وهذا ما لا يحتمله الأميركيون.

لذا فإنه من الواجب المتعين على الأمة اليوم، أن تدعم الجهاد عموماً بما في ذلك فلسطين وأفغانستان، وهذه المحاور من أهم المحاور التي ينبغي التركيز عليها، لاستنزاف اليهود حلفاء الأميركيين ولاستنزاف الأميركيين حلفاء اليهود، وإن هزيمة أميركا في أفغانستان -بإذن الله- تكون بداية النهاية لها، ولن تؤتوا بإذن الله من قبلنا مع إخواننا المجاهدين الأفغان بإذن الله، فنرجو ألا نؤتى من قبلكم.

والأمة اليوم بين يدي يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه العجز ولا البغي، وينبغي أن تتجمع فيه زحوف المسلمين ضد زحوف الكافرين، وينبغي فيه التوبة من الذنوب والكبائر، كما ينبغي على الأمة بين يدي هذا الأمر العصيب الذي هو جِدٌ ليس بالهزل أن تهجر حياة اللهو واللعب والإسراف والترف، وأن تخشوشن وتتهيأ للحياة الحقة، حياة القتل والقتال والضرب والنزال.

وإليكم ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله في فتنة مشابهة لما نحن فيه الآن، فقال: (واعلموا -أصلحكم الله- أن النبي قد ثبت عنه من وجوه كثيرة أنه قال: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة))، فهذه الفتنة قد تفرق الناس فيها ثلاث فرق: الطائفة المنصورة وهم المجاهدون لهؤلاء القوم المفسدين، والطائفة المخالفة وهم هؤلاء القوم ومن تحيز إليهم من خبالة المنتسبين إلى الإسلام، والطائفة المخذلة وهم القاعدون عن جهادهم وإن كانوا صحيحي الإسلام، فلينظر الرجل أيكون من الطائفة المنصورة أم من الخاذلة أم من المخالفة، فما بقي قسم رابع).

ويقول رحمه الله أيضاً: (حتى والله لو كان السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم حاضرين في هذا الزمان لكان من أفضل أعمالهم جهاد هؤلاء القوم المجرمين، ولا يفوت مثل هذه الغزاة إلا من خسرت تجارته وسفِه نفسه، وحُرم حظاً عظيماً من الدنيا والآخرة). انتهى كلامه.

ثم إني أوصي الشباب بالاجتهاد في الجهاد، فهم أول المعنيين بفرضيته اليوم كما أشار إلى ذلك الشاطبي رحمه الله في الموافقات، واعلموا أن استهداف الأميركيين واليهود بالقتل في طول الأرض وعرضها من أعظم الواجبات وأفضل القربات إلى الله تعالى، كما أوصيهم بالالتفاف حول العلماء الصادقين والدعاة المخلصين العاملين، وأوصيهم بالاستعانة على قضاء حوائجهم بالكتمان، ولا سيما في الأعمال العسكرية الجهادية.

وأبشركم عامة وإخواننا في فلسطين خاصة، أن إخوانكم المجاهدين ماضون في طريق الجهاد لاستهداف اليهود والأميركيين، وما عملية (ممباسا) إلا بداية الغيث بإذن الله سبحانه وتعالى، وإننا لن نخذلكم فامضوا وواصلوا القتال على بركة الله، ونحن معكم ماضون مقاتلون بإذن الله.

وقبل الختام، أحرض نفسي وإخواني المؤمنين على الجهاد في سبيل الله بقول القائل:

وإني لمقتادٌ جوادي وقاذف ... به وبنفسي العام إحدى المقاذف
فيا رب إن حانت وفاتي فلا تكن ... على شرجعٍ يعلى بخضر المطارف
ولكن قبري بطن نسر مقيله ... بجو السماء في نسور عواكفِ
وأمسي شهيداً ثاوياً في عصابة ... يصابون في فج من الأرض خائف
فوارس من شيبان ألَّف بينهم ... تقى الله نزالون عند التزاحف
إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى ... وصاروا إلى ميعاد ما في المصاحف

وفي الختام: أوصي نفسي وإخواني المسلمين بتقوى الله في السر والعلن، وكثرة الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بأن يقبل توبتنا ويفرج كربتنا.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يفك أسرانا من يد الأميركيين وعملائهم وعلى رأسهم الشيخان: عمر عبد الرحمن، وسعيد بن زعير [١] وإخواننا في جوانتانامو، وأن يثبت المجاهدين في فلسطين وينصرهم وباقي بلاد الإسلام، وأن ينصرنا على عدونا.

كما أوصي نفسي وإياكم بكثرة الذكر وقراءة القرآن وتدبره ففيه الموعظة والشفاء والهدى والرحمة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

[١] بعد هذه الخطبة أُخرج الشيخ بن زعير ثبّته الله، ثم أُدخل العشرات من العلماء وطلبة العلم والمجاهدين، على رأسهم الشيخ علي الخضير والشيخ ناصر الفهد والشيخ أحمد الخالدي وغيرهم كثير.
ونحن نقول لهؤلاء الطواغيت قريباً ستكون نهايتكم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.
وقد كتبتُ في ذلك كتاباً بعنوان (وجوب استنقاذ المستضعفين من سجون الطواغيت والمرتدين)، وقد نُشر في منبر التوحيد والجهاد وفي كثير من المنتديات الحوارية.

١٧- آخر كلمة للإمام أسامة وهي موجهة إلى شباب الأمة الإسلامية [١].

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فعند الحديث عن الأحوال التي تمر بها الأمة في هذه الأيام وما أصابها من احتلال وظلم وعدوان من القوى الإسرائيلية والقوى الأمريكية، وانحسار ظل الإسلام عن هذه الأرض، ينبغي تلمس هدي محمد ﷺ في إقامة هذا الدين يوم أن بدا غريباً في أول الإسلام.

فإن الناظر في ذلك يرى أن الرسول ﷺ حرص منذ البداية عندما صدع بالدعوة أن يعرض دعوته على القبائل، وإذا نظرنا في أهم العناصر التي كان يدعو القبائل إليها نجدها واضحة جداً:

- أنه كان يدعوهم إلى شهادة التوحيد إلى شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

- والبند الآخر كان يدعوهم إلى الإيواء والنصرة كما ظهر ذلك جلياً في دعوته لبني عامر بن صعصعة لما قالوا له: (إلى أي شيء تدعوا يا أخا العرب؟) قال: ((أدعوكم إلى شهادة ألا إله إلا الله وأني رسول الله، وأن تأووني وتنصروني)).

فها هنا يظهر لنا معلماً واضحاً، أن هذه الدعوة وهذه الكلمة العظيمة لا بد لها من أرض، هذه الشجرة الكريمة لا بد لها من أرض تنبت فيها، وهي التي تقوم بنصرتها وإيوائها.

فمن هنا استمر عليه الصلاة والسلام يبحث عن هذه الأرض، وأثناء ذلك يقوم بالدعوة في مكة فمكث ثلاثة عشر سنة.

---

[١] تاريخ هذه الكلمة هو شهر جمادى أولى من عام ١٤٢٤هـ.

وكل ما عندنا من علم هو جزء يسير من علمه عليه الصلاة والسلام، وهو أفصح العرب الذي أوتي جوامع الكلم، وهو المؤيد بالوحي من فوق سبع سماوات، ومع ذلك كله لم يؤمن له سوى بضعة عشرات من الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

فها هنا يظهر بوضوح أيضاً أن هذه الكلمة رغم قوتها لا بد لها من عناصر أخرى لكي تظلل الأرض، فمكث الحال على ذلك إلى أن يسر الله سبحانه وتعالى أرض المدينة المنورة ويسر الأنصار الأوس والخزرج، فلما احتضنوا الدعوة انتشر الإسلام، وفي خلال بضع سنوات إذا بمئات الألوف قد دخلوا في الإسلام في جزيرة العرب ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

فها هنا معلم كما ذكرت؛ أن الدعوة من غير قوة تبقى منحسرة، ولا بد لها من البحث عن القوة والأرض والنصرة.

وهذا المعنى يظهر في هذه الأيام بوضوح منذ أن انحسرت الدول الإسلامية، وانحسرت دولة الخلافة، وقامت أنظمة تحكم بغير ما أنزل الله -وهي في الحقيقة تحارب شرع الله-، فرغم كثرة الجامعات وكثرة المدارس وكثرة الكتب والخطباء والأئمة والمساجد وحفظة القرآن؛ ولكن الإسلام في انحسار وللأسف الشديد؛ لأن الناس لم يسيروا حسب منهج محمد ﷺ.

فالمنهج كما يبدو لنا ويظهر، وهو في خصال محددة تظهر في نص آخر من نصوص الشريعة، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فهذا النص هو في مثل حالتنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾.

عندما تحصل الردة، ما هي الصفات المطلوبة لإعادة الناس إلى الإسلام؟

فها هنا ذكر صفات ستة:

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، فلا بد أن نتصف بهذه الصفات:

- المحبة العظيمة لله سبحانه وتعالى.
- والذلة على المؤمنين، والتراحم.
- والتناصح بالحسنى وبالمعروف.
- والعزة على الكافرين.

وهذا يظهر بوضوح أهم عروة في الإسلام وهي الولاء والبراء، نوالي المؤمنين ونعادي الكافرين ونكون عليهم أعزة.

- ثم الصفة الخامسة: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾.

فالجهاد في سبيل الله وعدم الخوف من لومة أي لائم هاتان الصفتان في غاية الأهمية لإعادة الناس إلى الدين.

والذين يظنون أنه يمكن أن يعيدوا الناس إلى الدين وأن يقيموا دولة إسلامية بعد أن انحسر ظل الإسلام عن الأرض، فهؤلاء ما فقهوا منهج الله سبحانه وتعالى، فهذه الآية غاية الوضوح والصراحة، ففي حالة الردة لا بد أن تكون المحبة والولاء ظاهرتين عند الناس، ويكون البراء من الكفار ظاهراً، ويكون الجهاد، و ﴿وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ وهي تشمل النصح بكل أنواعه، والأمر بالمعروف بكل أنواعه.

فإذا قمنا بتحقيق هذه الصفات ،وأوجدنا عناصر تتخلق بهذه الصفات؛ فنكون قد أوجدنا القاعدة القوية التي تبدأ في التغيير، وتجاهد في سبيل الله سبحانه وتعالى إلى أن يقوم الحق.

ومن النصوص أيضاً في هذا المعنى، عندنا الحديث عن رسولنا عليه الصلاة والسلام، حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه وهو يقول فيه: ((ن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فكأنه أبطأ بهن فأوحى الله إلى عيسى: إما أن يبلغهن أو تبلغهن)).

فها هنا معنى عظيم جداً في هذا الدين، وهو أن الله سبحانه وتعالى غني حميد عن الجميع، وسنة الاستبدال لا تستثني أحداً، فهذا نبي من أنبياء الله عليه الصلاة والسلام تأخر قليلاً في إبلاغ ما أُمر به، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبي آخر: ((إما أن يبلغهن أو أن يبلغهن)).

فمن نحن حتى نتأخر عن أمر الله سبحانه وتعالى وعن الاقتداء برسوله ﷺ، فإن تأخرنا فسنة الاستبدال قائمة علينا.

فقال عيسى عليه الصلاة والسلام ليحيى: ((إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وأن تأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن! فقال له: يا روح الله! إني أخشى إن سبقتني أو أن أعذب أويخسف بي! فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد، فقعد على الشرفات، فحمد الله وثنى عليه ثم قال: إن الله تعالى أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن، وأولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، فإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق ثم أسكنه دارا فقال: اعمل وارفع إلي! فجعل العبد يعمل ويرفع إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك! وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأمركم بالصلاة، وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا فإن الله عز وجل يقبل بوجهه إلى عبده مالم يلتفت، وأمركم بالصيام، ومثل ذلك كمثل رجل معه صرة مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك؛ وأمركم بالصدقة، ومثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال لهم: هل لكم أن أفتدي نفسي

منكم! فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه؛ وأمركم بذكر الله كثيراً، ومثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا فى أثره فأتى حصناً حصيناً فأحرز نفسه فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله))

ثم يؤكد رسول الله ﷺ ويقول: ((وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن: الجماعة والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله)).

فالشاهد هنا أن الخمس الأول؛ وهي أركان الإسلام، لا تقوم كحكومة ولا تقوم كمنهج للبشر إلا بالخمس الأُخر، كما لا يمكن أن يكون الإنسان في ذاته وفي قلبه ولكن يُحكم بالقوانين الوضعية ولا يعم الإسلام الأرض.

أما الإسلام الذي أنزل على محمد ﷺ وأُمر بإبلاغه؛ هو أن يعم الأرض ويتحاكم إليه، لا أن يبقى في الشعائر التعبدية فقط، فلا بد من هذه الخمس.

وهذه الخمس إذا انتبهنا هي تتفق وتؤكد المعنى الذي جاء في دعوته عليه الصلاة والسلام للقبائل: ((تشهدوا ألا إله إلا الله))، ومقتضيات شهادة لا إله إلا الله: ((وأن تؤوني وأن تنصروني)).

فالإيواء والنصرة هي مرتبطة في هذه الخمس، الإيواء والنصرة لا بد له من جماعة، ولا بد له من سمع وطاعة، ولا بد له من جهاد ولا بد له من هجرة.

فإذا تتبعنا النصوص في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ نجد بوضوح هذه المعاني حيثما تذهب تبرز بقوة على أن السبيل لإقامة الدولة الإسلامية ولنشر الدين لا بد له: من جماعة، وسمع وطاعة، وهجرة وجهاد.

فالذين يريدون أن يقيموا للإسلام شأناً بدون تضحيات الهجرة، وبدون تضحيات الجهاد في سبيل الله، هؤلاء لم يفقهوا منهج محمد ﷺ، وإن فقهوه ولم يعملوا به واشتغلوا بغيره من

الطاعات فهؤلاء يتهربون من تبعات هذه العبادات الثقيلة، فإن الجهاد كرهٌ كما نص على ذلك الله سبحانه وتعالى في كتابه.

فيتضح مما مضى أهمية الجماعة والجهاد.

ونحن في وضع لم يعد لدينا دولة نهاجر إليها، وقد كانت هذه الفرصة متاحة وكانت فرصة نادرة، فمنذ أن سقطت الخلافة حرص الصليبيون على ألا يُمكن أهل الإسلام الصادقين من إقامة دولة، وقدر الله سبحانه وتعالى أن جاءت الأحداث في أفغانستان وهجم الاتحاد السوفيتي، وتنازل الصليبيون عن ذلك الحرص والاهتمام في ظل خوفهم ورعبهم من الاتحاد السوفيتي، فلم يكن هناك بد من دفع الاتحاد السوفيتي إلا بكل شيء، ولو كان بالمجاهدين ولو كان بالأصوليين ولو كان بشباب الإسلام المجاهد.. فَفُتح ذلك الباب، ومضى بضعة عشر سنة..

ولكن للأسف الشديد لم تنهض الأمة بواجبها المطلوب وخاصة العلماء، والدعاة، والخطباء، والجماعات الإسلامية، وإنما الذين جاؤوا إلى أرض الجهاد لنصرة المجاهدين هم نفر بسيط من عامة الشباب من شباب الأمة مع ما قدمه بعض التجار بعضاً من أموالهم، ولكن لم تكن كافية لإقامة دولة قوية.

وكانت الفرصة جيدة جداً لإقامة دولة قوية بعيداً عن التعصبات القطرية والقبلية، وكان إخواننا الأفغان في وضع وفي انشراح وتعاون غير عادي، وكان الوضع يسمح بقوة أن تقوم دولة إسلامية باعتبارات إسلامية لا باعتبارات قطرية وقومية، وللأسف الشديد برغم الصياح الشديد والمناداة وتكرار ذلك والحث والتحريض وخاصة من الشيخ عبد الله عزام عليه رحمة الله ومن غيره من الإخوة، للجماعات وللعلماء وللمفكرين أن اغتنموا هذه الفرصة ولكن لا حياة لمن تنادي، شغل الناس وسحبوا باعتبارات أرضية وباعتبارات قطرية، وكل يريد أن يقيم هو شخصياً دولة الإسلام، فكل جماعة تريد أن تقيم الدولة الإسلامية في أرضها حيث ولدوا، وكأننا أصبحنا أسرى لهذه الأفكار، فمكثت هذه الفرصة بضعة عشر سنة ولم يتحرك

الناس للاستفادة منها، وأذكر ذلك لأقول إن الأمر ليس سهلاً.. الآن أصبحت الظروف أصعب.

ثم يسر الله سبحانه وتعالى بين ذلك وهذا، أن قامت دولة الطلبة، وقام الطالبان، وهذا الصراع الذي حصل بين الأفغان، ومكثوا ست سنوات تقريباً أو أكثر، وأيضاً بقي الناس أسرى لأهوائهم وأسرى للإعلام العالمي الذي شن حملة لا هوادة فيها ضد الطالبان وشوهوا سمعتهم.

والإعلام العالمي قد يلام في تأثيره، أو قد يحمل بعض التأثير على العوام، أما من غير المقبول أن يقول الدعاة والذين تصدروا لنصرة الدين أمام الناس، من غير المقبول أن يقولوا تأثرنا بالإعلام العالمي..

أفغانستان على بعد بضع ساعات من جزيرة العرب مثلاً، أو من أي مكان في أقطار العالم الإسلامي، فهذا التأخر عن نصرة هذه الدولة رغم أن اسمها دولة الطالبان دولة طلبة العلم؛ هو مؤشر على وجود خلل غير عادي إما في فقههم أو في صدقهم -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، فيما يظهر لنا والله أعلم.. فذهبت هذه الدولة وهم لم يحركوا ساكناً.

وأقول: إنني على يقين بفضل الله سبحانه وتعالى أن في الأمة من الطاقات ما يكفي لإقامة الدولة الإسلامية ولإقامة الخلافة الإسلامية، ولكن نحن بحاجة إلى إبلاغ هذه الطاقات أن هذا الأمر واجب عليهم، ونحن بحاجة إلى إبلاغ الطاقات الأخرى المقيدة لهذه الطاقات أنكم تأثمون بتقييد هذه الطاقات، فإذا فقِهَ الشباب وفقِهَ التجار واجبهم، فيمكن أن نقوم بالمهمة ويُرفع الإثم عن باقي الأمة، وأيضاً يُرفع الضنك والأذى الذي يصيبنا.

فنحن نريد الناس الذين -كما لا يخفى - وهم يقولون أن الجهاد لا يحتاج إلى جميع الأمة، وهذه كلمة حق ولكن لم يرد بها الحق، لأنه حق الجهاد لا يمكن أن يستوعب كل الأمة اليوم، ودفع العدو الصائل يندفع بجزء يسير جداً من الأمة، لكن يبقى الحكم أنه فرض

عين، وهم يخالفوننا في إطلاق هذا الحكم.. يقولون نحن لو أرسلنا لكم بضعة آلاف ما تستطيعوا تستوعبوهم! [ويقولون] ليس من المعقول أن نترك كل الثغرات وكلنا نروح للجهاد، فهم هنا يظهر بوضوح لوثة العصر وهي لوثة المادية، لوثة البروز العقلي، فهذه أحكام أجمع عليها الفقهاء من سلف الأمة رحمهم الله، واليوم يخرج علينا فقهاء يعترضون على إجماع الأمة.. إذا تعين الجهاد فهو أولى الأولويات بدون شك كما ذكر شيخ الإسلام: (العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه).

فليس هناك وجه لأن تقول إذا راحوا كلهم لم يستوعبهم الجهاد..! هذا ناتج عن خلل غير عادي في الفقه، وهو ناتج عن ركون إلى الدنيا غير عادي، فالأمر إذا تعين مجرد أن يأتي العدد الذي يكفي لدفع العدو الصائل يصبح تلقائياً الجهاد فرض كفاية، فيبقى الباقون الذين تأخروا في ثغراتهم وتندفع الضرورة بهذا التحرك.

فهذا للأسف من أكبر العوامل المثبطة عند الصحوة الإسلامية وهو يظهر في كتاباتهم وفي رسائلهم وفي لقاءاتهم، ويقولون إن الجهاد عبادة عظيمة ولكن هناك عبادات أخرى!

هؤلاء ما فقهوا منهج محمد ﷺ، وقد ذكرت في قصة كعب بن مالك رضي الله عنه تلك الدروس وتلك العبر بأن كعب عندما جلس وقعد في المدينة رضي الله عنه كان يقوم بكثير من الطاعات وهو في مدينة رسول الله ﷺ، وفي الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام أن طلب العلم في مسجده عليه الصلاة والسلام كالجهاد في سبيل الله، ومع ذلك كله ومع سابقته في الإسلام، وهو من أصحاب بيعة العقبة، وما أدراك ما بيعة العقبة، هي التي تكونت بها الجماعة المسلمة لإقامة الدولة المسلمة، ومع ذلك كله لم يذكر بأي صفة من هذه الصفات لأنه عندما يتعين الجهاد لا مجال للطاعات الأخرى في أن تذكر، وإنما يذكر في مقابل الجهاد القعود والعتاب والتوبيخ.. ولا يقال "جزاه الله خيراً"، "جالس في المدينة حظّه، يصلي في الحرم"، هذا لا يقال.. "يأتي دروس".. نص القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا

وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

إذا تتبعت النصوص في وصف القاعدين تجدها متواترة على هذا المعنى، في أمتنا وفي الأمم السابقة، فقوم موسى لما تأخروا عنه وصفهم الله سبحانه وتعالى أيضاً بالفسق: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾، وكذلك إذا تتبعنا الذين تخلفوا يوم تبوك الله سبحانه وتعالى أيضاً وصفهم بالفسق.

أما اليوم فهناك خلل حاصل في طريقة المحافظة على هذا الدين، وفي تفعيل الطاقات لنصرة هذا الدين، فالآن أصبح الذي يضعف عن نصرة الدين لا يشعر بالإثم، بل هو يشعر أنه في طاعة، ولا يشعر بسوءة هذه الكبيرة العظيمة التي جاء فيها عشرات الآيات تحبذ وتحذر وترغب في هذه الطاعة، وتوبخ من يقعد عنها وتقرعه الذين يركنون إلى الدنيا، ومن كان الذي يُهدَد؟ صحابة رسول الله ﷺ، تهديد تلو التهديد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ﴾ هذا توبيخ ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

هل يجترئ أحد منا اليوم أن يقول لأبيه أو لعمه أو لشيخه: أنت رضيت بالحياة الدنيا؟! هذه فلسطين منذ ثمانين سنة ما أطلقتَ فيها طلقة، ولا غبرت قدمك يوماً من الأيام، فأنت من الذين رضوا بالحياة الدنيا! لا أحد يستطيع أن يقول ذلك.

هناك خلل عام في فهم الصحوة حول الطرق التي يحافَظ بها على الدين، والآيات كما ذكرت في هذا الباب إذا تتبعناها كثيرة.

والشباب الذين هم عندهم القدرة على فداء الدين وعلى التضحية من أجل الدين، للأسف الشديد عندهم خلط في السمع والطاعة لعلماء الإسلام القاعدين، فالقاعد لا يسمع له ولا يطاع، فمن هنا هذه الطاقات تبقى معطلة، ويصرفونهم عن الواجب المتعين

إلى فرض كفاية؛ كطلب العلم.. لو أصبح كل الناس علماء لا يقوم الدين إلا بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد.

فمن هنا نحن بحاجة إلى أن نُفهم الشباب أن قياداتهم العلمية هي راضية بالدنيا، هي تفر من واجب ثقيل، تذمر منه بعض صحابة رسول الله ﷺ، والله سبحانه وتعالى يبين ذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾.

الصحابة رضي الله عنهم لما خرجوا يوم بدر خرجوا على أنهم يأخذون العير تجارة، فلما بلغهم أن قريشاً قد خرجت في ألف فكره بعضهم ذلك، فقال رسول الله ﷺ كما يروي أبو أيوب: ((أشيروا عليّ أيها الناس))، فقال: أظهرنا كُرهنا للقاء العدو، وقلنا يا رسول الله، ما خرجنا لقتال العدو ولا طاقة لنا بهم وإنما خرجنا للعير، فقال: ((أشيروا عليّ أيها الناس))، فكررنا ذلك، فقال: ((أشيروا عليّ أيها الناس))، فتكلم المقداد بن عمرو رضي الله عنه فقال يا رسول الله: إذاً لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾، ولكن نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا فإنا معكم مقاتلون، والله لنقاتلن عن يمينك وعن يسارك، ومن بين يديك ومن خلفك.

فإذا كان الصحابة الكرام الذين عاشوا في جو القتال والجهاد، القتال بين الأوس والخزرج، أصاب منهم الشيء الكثير وهي عبر عشرات السنين، وجاء الإسلام وهم في مطاحنات لها أول ليس لها آخر، وكان القتل أمراً ليس ذي بال كبير عند الأوس والخزرج في الجاهلية، وجاء الإسلام ليحثهم على ذلك الجهاد.

فكيف بنا اليوم تتشابه القلوب وتتواطأ كلها إلا من رحم الله على القعود عن نصرة الله سبحانه.

يجب أن يفهم الشباب أن هناك خللاً كبيراً، وأن هؤلاء لا بد أن نصفهم بالصفات التي وصفهم بها الله سبحانه وتعالى، كل من يقعد عن الجهاد بغير عذر، وصفه في القرآن ظاهر بالذم والفسق ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾.

الذين يرضون بالقعود مع الخوالف فهم لا يفقهون، وإن أخذوا أكبر الشهادات من أفضل الجامعات.. وهم لا يعلمون وإن وجهت إليهم كل أسئلة الفتاوى.. فهذا نص كتاب الله سبحانه وتعالى.

قال سبحانه وتعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ هذا ذمٌ شديدٌ جداً لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد.

﴿رَضُوا﴾ بس هذا هو الذنب.. ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾.

فمفتي الديار، صاحب الكتب التأليفات المصنفات الكثيرة هو لا يفقه، لأن العلم ثمرته خشية الله سبحانه وتعالى.

قالت تلك المرأة لسفيان رحمه الله: يا أيها العالم. قال: إنما العالم من يخشى الله.

فليس العلم هو كثرة الرواية، وإنما العلم هو عبادة الله بما أنزل سبحانه وتعالى والخوف منه وتقواه.

وقال سبحانه وتعالى في آية أخرى بعد هذه الآيات: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ لو كانوا يفقهون وقوِي اليقين في قلوبهم أن ما عند الله سبحانه وتعالى خير لهم من هذه الدنيا لما ركنوا إليها، ولما داهنوا، ولأسرعوا في الخُطى ولتسابقوا في تلك الخيرات إرضاءً لله سبحانه وتعالى.

فأقول ينبغي أن يشرح للشباب هذه المعاني، ولتفك هذه القيود التي تقيدهم من ذلك.

فهذا أخونا أبو العباس طاقة عظيمة، ومثله كثير جداً في بلادنا وفي بلاد الإسلام، ولكنها تُقيد، ولكنه نفع الله به وخرج، وانفكّ من ذلك القيد الذي تلبسه، فلما جاء إلى هنا رأى الأمور على حقيقتها، وقال تلك الوصية البليغة لتنبيه الناس من ذلك الوهم، قال: "ما أنتم فيه من طلب للعلم فهذا أمر عظيم وخير كبير وجزاكم الله خيرا، أما إذا تعين الجهاد فلا ثم لا، إذا تعين الجهاد لا يتزاحم معه شيء".

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (إذا تزاحمت الواجبات قُدِّم آكدها).

فالناس وخاصة أبناء الصحوة وفيهم خير كبير وطاقات هائلة، وهم مستعدون للتضحية، ولكن من المهم أن يُزال عنهم هذا الوباء وأن يزال عنهم هذا الغبش.

من النصوص الأخرى من النصوص التي ينبغي الاقتداء بها في مثل هذه الظروف: هو حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، حيث يصور وضعاً شبيها بوضعنا الحالي، فيقول رضي الله عنه: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاء الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: ((نعم)). فقلت: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: ((نعم، وفيه دخن)) قلت: وما دخنه؟ قال: ((قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر))، فقلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: ((نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها)).

فهذا الوضع كما تلاحظون أن العالم الإسلامي انتشر فيه هذا الشر العظيم، وهو أن الأئمة الذين يدعون الناس إلى جهنم هم أظهر ما يكونون في حكام المنطقة -حكام العالم العربي والإسلامي-، فهم بإعلامهم وأجهزتهم وإفسادهم للبلد فهم يدعون الناس عبر تبنيهم للأفكار الهدامة، وعبر تبنيهم للقوانين الوضعية، والقوانين الكفرية، فهم يدعون الناس في الصباح والمساء إلى أبواب جهنم ولا حول ولا قوة إلا بالله، فالكفر بالله ورسوله عليه الصلاة

والسلام على مرأى ومسمع في الصحف وفي أجهزة التلفاز وفي الروادي والندوات، ولا ينكر عليهم منكر، فهؤلاء الأئمة الذين يدعون الناس إلى جهنم.

ما هو الحل إذا حصل مثل هذا؟

فهذا الصحابي الجليل رضي الله عنه سأل حتى وصل إلى مثل هذه الحالة، فقال: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: ((نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها))، فقال رضي الله عنه: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

فهذا كلام واضح بين لمن يبتعد عن النصرة في مثل هذه الحالة التي نحن نعيشها اليوم.. فيقول: ما تأمرني إن أدركني ذلك؟ فأمره بأمر واحد رغم كثرة الواجبات وأهميتها، ولكن في مثل هذا الوضع هناك أمر واحد يتقدم على جميع الواجبات الأخرى بعد الإيمان.. قال: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: ((تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)).

فهذا الواجب العظيم الذي هو فرض الساعة لا مكان له بين العلماء اليوم ولا يتحدثون عنه، بل شغلوا كل واحد منهم إلا من رحم الله بالتمجيد وبالمدح للأئمة الطواغيت الذين كفروا بالله ورسوله، فبرقيات تذهب من هؤلاء لمدح هؤلاء الحكام الذين كفروا بالله ورسوله ويكفر بالله ورسوله في صحفهم وفي إعلامهم، وبرقيات أخرى من هؤلاء الحكام الذين كفروا إلى هؤلاء العلماء تمدحهم ودلسوا بذلك على الأمة.

فالأمة لم تصب من قبل بمثل هذه الكارثة التي أصيبت بها اليوم، كان يحصل خلل ولكنه جزئي، أما الخلل اليوم فهو قد عمّ الناس مع هذه الثورة الإعلامية وأصبح الإعلام يدخل على كل بيت، وهذه الفتنة ما سلم منها بيت حضر ولا بيت وبر، ما سلم منها أحد، في السابق كان يزلّ العالم وتبقى زلته محدودة في مكان معين، ويفجر الأمير والحاكم ويبقى فجوره محدود وداخل القصر، أما أن يصبح جل الناس أسرى وظائفهم التي هي لهذا الطاغية فهذا ما حصل في تاريخ الإسلام قط.

وكلما حصل انحدار وكل ما حصل بُعد عن دين الله فهناك تلقائية في هذا الدين وفي منهجه القويم المتكامل، يبدأ هناك آخرون في تصحيح المسار ويضحون بأنفسهم، لكن لم حصل قط أن سواد الأمة وأن الفقهاء والعلماء أسرى وظائف عند الطواغيت!

حدثني بعضهم قال: "نحن لا نستطيع أن نقول الحق، لأنا إذا أردنا أن نقول الحق نفكر في هؤلاء الأطفال الذين هم في البيت وهؤلاء النساء، أين يذهبون وأين نذهب نحن..؟

فينبغي على الشباب أن يفهم طبيعة العلاقة اليوم بين موظفي الدولة والحاكم، فكل من هو موظف دولة؛ هو موظف دولة، وما ينبغي للشباب أن يغضب إذا قلنا أن الشيخ الفلاني هو موظف دولة.. نحن لو قدمنا استبيانًا أو أي جهة ما قدمت استبيانًا للناس، في هذا الاستبيان الاسم والعمر والحالة الاجتماعية والوظيفة؛ هل أنت موظف حكومي أم حر أم متكسب كما يقال عندنا أم تاجر؟ أم ما عندك عمل أم متقاعد..؟ فماذا سيكتب من كان هو موظف في الدولة؟

فالوزير سوف يكتب أنه موظف دولة موظف حكومي، والشرطي سوف يقول أنا موظف حكومي، والقضاة سوف يقولون نحن موظفو حكومة، وعلماء دار الإفتاء سيقولون نحن موظفو حكومة..

فهناك خلل في فهم الشباب إذا وصفنا هؤلاء بأوصافهم الحقيقية أنهم موظفو حكومة تراه يغضب!

فهذا خلط عجيب، أنت ترفض أن ننسبهم إلى هذا الحاكم الطاغية، وهم هذا وصفهم وهذه حقيقتهم.

فطريق الحل طريق واضح جداً جداً، بَيّن في كتاب الله وفي وسنة رسول الله ﷺ، فهذه الأمور العظام: حلها بالاجتماع إلى الجهاد، حلها بالجماعة والسمع والطاعة وإقامة الجهاد، فالزم جماعة المسلمين وإمامهم.

وجماعة المسلمين وإمامهم أول واجب عليهم هو دفع الكفر ودفع العدو الصائل، يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَاسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَاساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً﴾ فدفع بأس الكفار هو بالتحريض وبالقتال.

فلماذا الناس لا يهتدون؟ لأن على هذا الطريق دعاة إلى أبواب جهنم:

الحكام وأجهزتهم، يدعون الناس ليلاً ونهاراً، يبتغون إبعادهم عن هذا الطريق المستقيم.

وموظفو الحكومة بعضهم وُظفوا عيناً للصد عن دين الله.

وظيفتهم الدولة بمسميات مختلفة، لكن حقيقة الوظيفة هو موظف ليشهد شهادة الزور..

فوزير الإعلام مثلاً مهمته أن يشهد شهادات الزور هو وجهازه كله، في كل يوم يدلّس على الناس، ويظهر أن البلاد هي أفضل البلاد، وأن الحاكم هذا عبقري ليس مثله شيء، وقس على ذلك.

وكذلك وزير الدفاع يدلس على الناس، ويشهد شهادات الزور ويقول إننا بخير، وإن قواتنا المسلحة جيدة.. ونحن في الحقيقة تحت الاحتلال منذ أكثر من عقد من الزمان، كل العالم يعلم هذا أننا تحت الاحتلال، وأن الطائرات الأمريكية تخرج متى شاءت دون أن تخبر أحداً في الليل أو النهار، ويخرج علينا وزير الدفاع ليقول أنا نحن مستقلون وليس أحد يستخدم أراضينا إلا بإذننا.. فهؤلاء الذين يشهدون شهادة الزور.

وفضل الله الوعي الذي انتشر في الفترة الأخيرة بين الناس أصبحوا يعرفونهم ويعلمون أن هؤلاء موظفو حكومة.

لكن الخطر الذي يأتينا ليس من وزير الداخلية وليس من أتباع وزير الداخلية، فهؤلاء مهما فعلوا لا يستطيعون أن يدلسوا على الناس، فخطر تدليسهم مدفوع، ومعروف لدى

العوام أنهم يكذبون عليهم ويخادعونهم، ولكن الخطر الشديد عندما يأتي الكذب والخداع من أئمة الدين الذين هم ما اتقوا الله سبحانه وتعالى، ويشهدون شهادة الزور في الصباح والمساء يضللون الأمة.

فكيف إذا كانت شهادة الزور في البيت الحرام في مكة المكرمة، عند الكعبة المشرفة! وقد صح عن نبينا محمد ﷺ أنه قال: ((أبغض الناس إلى الله ثلاثة))، فذكر أولهم: ((ملحد في الحرم)). هذا كما في صحيح البخاري رحمه الله.

فهذا من أعظم الإلحاد في الحرم أن تشهد شهادة الزور، تضلل أمة من أجل بضعة دراهم تأخذها في آخر كل شهر.

فلا يختلف أحد في كفر هؤلاء وفي فجورهم وفي إباحتهم للبلاد وإفسادهم للعباد.

ثم تأتي تشهد شهادة الزور في ذلك المكان العظيم في البيت الحرام وفي الشهر الحرام ولا حول ولا قوة لا بالله.

وقد قال ﷺ: ((ألا أنبأكم بأكبر الكبائر؟)) فقال ﷺ: ((الشرك بالله -عافانا الله وإياكم، وعقوق الوالدين -وكان متكئاً فجلس، فقال- ألا وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور)). فما زال يكررها، قال الصحابي: (حتى قلنا ليته سكت).

فهذه شهادة زور تشهد شهادة زور على شبر من الأرض، هي من أكبر الكبائر في أي بقعة من الأرض، فكيف تشهد عند البيت الحرام شهادة الزور في كل جمعة وفي وكل مناسبة لتضلل أمة بأسرها من أجل بضع دراهم ولا حول ولا قوة إلا بالله! فكم هو إثم الذي يشهد هذه الشهادة!

فهؤلاء موظفو دولة، لا يمكن لعاقل أن يرجع إليهم في أمور دينه، فأقل ما يقال فيهم كما يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب للذين يدافعون عن الحكام الطواغيت قال: (أقل أحوالهم أنهم فسّاق).

فهؤلاء أقل أحوالهم أنهم فساق، فينبغي للناس أن يقاطعوهم وأن يهجروهم، فإنه كما يقول ابن عباس رضي الله عنه في الحديث عن رسول الله ﷺ: ((نّ أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله، وشريبه، وقعيده)). فهذا من أول النقص الذي يدخل على الأمة.

فنحن لا نتكلم عن أمور صغائر، وإنما نتكلم عن أكبر الكبائر، الشرك بالله الذي تحكم به البلاد، وموالاة الأعداء الذي هو من نواقض الإسلام.

فإذا لم يحصل للشباب هذا الفهم، للأسف؛ تجد الشاب يأتيك مسرور أنه التقى بالشيخ الفلاني من أئمة الحرم.. ما ينبغي أن تبتسم في وجه هذا الفاسق الذي يضلل الأمة بأسرها..!

فإذا لم حصل هذا الفهم في الصحوة فلن نصل إلى مرادنا في إقامة الحق، فالتبيين والإيضاح للناس أن الأئمة قد ضلوا هذا أمر في غاية الأهمية.

لذلك في الحديث الصحيح عن أبي بكر رضي الله عنه لما سألته المرأة الأحمسية قالت له: (ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح؟ -هذا الإسلام إلى متى يبقى فينا؟- فقال رضي الله عنه لها: بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم). فاستقامة الإمام هي شرط مهم لبقاء الدين.

فالذين يريدون أن يقولوا للناس أن الدين موجود، مع أن الإمام قد كفر بالله ورسوله منذ قرن من الزمان، منذ أن أقيم بقوة الإنجليز، ووالى الإنجليز، وبسلاح الإنجليز، وبذهب

الإنجليز، وعاث في البلاد، وكان من أكبر أسباب سقوط الدولة الإسلامية -الدولة العثمانية-؛ هذا كافر بالله، لا يمكن أن يكون مؤمناً، لا يبقى الدين حاكماً إذا كفر الإمام.

فهذا الفقه لا بد أن يبقى واضحاً جلياً، فعندما يكفر الإمام [يجب أن] ينتفض الناس، لم يعد الإسلام موجوداً، لا بد من الحركة لإقامة إمام يقيم في الناس حدود الله سبحانه وتعالى.

قال: ((تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)).

ومن الخدع التي يستخدمها الحكام في مخادعة الناس، وكأننا قد أظلنا حديث رسول الله ﷺ أو أظلتنا الحالة التي يتحدث عنها حديث رسول الله، وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((سيأتي على الناس سنوات خدّاعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخوّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة. قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة)).

فهذا الزمان كما هو ملاحظ من الخدع التي يستخدمها الحكام سواء حكام العرب وحكام المسلمين أو حكام العالم أجمع.

فمن أظهر تلك العلامات أن يتحدث بوش على أن سفاح العصر شارون يسميه بـ"رجل سلام"، وكذلك حكام المنطقة يخادعوننا، ويوالون الكفار ثم يدعون أنهم ما زالوا على الإسلام.

ومما يزيد في هذا الخداع هو استحداث هيئات غرضها التدليس على الناس، وقد يستغرب الناس عندما نتحدث عن أن بعض الهيئات المنتسبة إلى الشرع والمنتسبة إلى الفقه وإلى العلم أنها تقوم بهذا الدور -من حيث أنها تدري أو لا تدري-، فغرض النظام من إظهار بعض العلماء على شاشات التلفاز وعبر محطات الإذاعات لإفتاء الناس، ليس هذا هو الغرض الأساسي لهذه المهمة، ولو كان كذلك لظهر الصادقون من العلماء على شاشات المحطات

المحلية وغيرها وعلى المحطات الإذاعية المحلية، ولكن الغرض أن هذه الهيئات لها مهمة في الظروف الحرجة وفي ساعات الصفر.

كما رأينا من قبل عندما والى النظام القوات الأمريكية الصليبية وأدخلها إلى بلاد الحرمين، وضج الناس وضج الشباب، فكان صمام الأمان للناس أن هذه الهيئة وأمثالها صدّرت فتاوى بإلحاق الإجازة لتصرف الحاكم، وسموه "ولي الأمر"، وما هو للمسلمين بولي أمر على الحقيقة.. فينبغي الانتباه إلى ذلك

وقد يتعجب الناس، هل يعقل أن هذا الشيخ فلان أو ذلك على جلالة قدره في العلم ورغم كبر سنه، هل يعقل أن يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل؟!

أقول: إن الإنسان ليس بمعصوم، وإذا نظرنا في تاريخنا وفي تاريخ العالم الإسلامي عبر القرون الماضية سنجد أن هذه الحالات تتكرر، وسأذكر مثالاً أو مثالين ليعي الناس هذا الأمر:

- فقد ذكر الإمام الذهبي رحمه الله في سيره، ذكر سيرة علي بن المديني رحمه الله -انظر إلى مقدمة تلك السيرة-، فقال: (علي بن المديني أمير المؤمنين في الحديث)، وذكره ووصفه ومدحه، وذكر أن الناس في علم الحديث عالة عليه، ولكن من باب الإنصاف مع جلالة قدر علي بن المديني -وإذا ذكر لا يذكر علماءنا في هذا العلم بجواره-، ولكنه مع ذلك زل زلة شديدة عندما تعرض لفتنة السلطان، وعندما ضغط عليه أمراء بني العباس وافقهم بضد ما يعتقد وبضد ما كان يُدّرس، وافقهم في تلك الفتنة المضلة الفظيعة.

- وكذلك شيخ المؤمنين في الحديث يحيى بن معين رحمه الله زل نفس الزلة.

وكثير من العلماء في ذلك العصر زلوا هذه الزلة، نتيجة للتهديد بالضرب والسجن، وقد يصل إلى القتل، وما ثبت إلا عدد يسير كما تعلمون، كان منهم إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله. فينبغي التنبه، واقرؤوا هذه السيرة لتروا وتعتبروا بحال الناس.

وقد صح عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان)) هذا إذا كان القاضي غضباناً فينبغي عليه ألا يقضي بين اثنين، فكيف إذا كان خائفاً؟ والخوف أشد وقعاً على النفوس من الغضب. كما يقول ابن القيم رحمه الله: (فمن قصر النهي على الغضب وحده، دون الهم المزعج، والخوف المقلق، والجوع والظمأ الشديد، وشغل القلب المانع من الفهم، فقد قل فقهه وفهمه).

فالناس في بلادنا خائفون من أن يقولوا كلمة الحق، فينبغي التنبه.

وقد صرحوا لنا مراراً كبار العلماء الذين يُشار إليهم بالبنان عن الخوف الذي يخشونه فيما لو صدعوا بالحق، وقد حُدثت من قبل أن أحد كبار العلماء في هيئة كبار العلماء، حدثني عندما كنا نقول لهم: "أنه ينبغي إصدار فتوى بوجوب الإعداد، على التسليم فرضاً بقولكم أن وجود الأمريكان في البلاد ضرورة"، فاعتذر عن إصدار فتوى مع تصريحه في المجلس بأنه حق، وأنه لا بد من أن يكون العمل في الجهاد في البلاد على أبناء البلاد وأن يخرج الأمريكان، قال: "لكن الدولة ما توافق لنا بهذا"، لما قلنا له: "حاولوا عبر هيئة كبار العلماء أن تستصدروا فتوى"، فقال كلاماً وأنا أشكر له مصارحته لي، قال: "ليس في نظامنا في قانون هيئة كبار العلماء أننا نحن الذين نبحث القضية ونصدر فيها فتوى، وإنما تصدر الفتاوى في المسائل التي تحال إلينا من المقام السامي" -على حد تعبيره-.

فينبغي للناس أن تعي هذا الأمر، فإذا استمر هذا الخلط ولم يتميز الولاء للمؤمنين وللدين، ولم يتميز البراء والبراءة من الشرك والإلحاد؛ فلن نجد السبيل الذي نصل به إلى رضوان الله سبحانه وتعالى، فهذا أمر في غاية الأهمية وفي غاية الخطورة، وينبغي على الصادقين من العلماء وطلبة العلم والدعاة أن يوضحوه للناس وللشباب حتى لا يلتبس عليهم الأمر.

فالنظام كما أنه استحدث وزارة للإعلام مهمتها التدليس على الناس، كذلك هو مُفرغ ميزانية مالية ضخمة لهذه الهيئات التي تنتسب إلى الإسلام، مهمتها أن تعطي الشرعية للنظام وأن النظام على حق.

فحتى تتصوروا المسألة، تصور أن مبنى هيئة كبار العلماء هو ملحق بالقصر الملكي، وتصور أن دار الإفتاء في الأزهر هي ملحقة بالقصر الجمهوري التابع لحسني مبارك، ودار الإفتاء في بلاد الحرمين ملحقة بقصر الملك، فهل تذهب وتسأل هذا الرجل الموظف الذي يتقاضى راتباً من الملك تسأله عن حكم الملك، وهل الملك فعلاً والى الكفار وهل الولاء للكفار ناقض من نواقض الإسلام؟!

هذه المسائل واضحة بينة، وإن التبس على بعض الناس لقلة علمهم فيرجع بها إلى الصادقين، فلا تذهب وتسأل موظف عند الملك عن حكم الملك!

فهؤلاء كما ذكرت لا يقاسون بعلي بن المديني رحمه الله، ولا يقاسون بيحيى بن معين رحمه الله.. ومع ذلك كمْ هائل غفير الذين زلوا عندما ضغط عليهم السلطان.

فنأخذ بكلام الإمام علي رحمه الله عندما قال للحارث: (يا حارث، إنه ملبوس عليك، لا يُعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله).

فهذه المسألة حاصل فيها للأسف تقليد كبير، كثير من الشباب يقلدون أمرهم لبعض موظفي الدولة، ويوضع عليهم عباءة ويعطون أسماء كبيرة، وهم في الحقيقة موظفون للدولة عن علم، أضلهم الله سبحانه وتعالى عن علم، ففي كتبهم، وتعلمنا من كتبهم أن من نواقض الإسلام العشرة موالاة الكافرين، ويصارحوننا في مجالسهم الخاصة، ولكن يخافون ويتأولون كما تأول يحيى بن معين رحمه الله، فينبغي الانتباه لذلك.

فمن الأمور المهمة في ميدان النجاح والخروج من هذا التيه؛ النصح للدين، النصح لله، ولرسوله عليه الصلاة والسلام، ولأئمة المسلمين وعامتهم، فمسألة النصيحة في غاية الأهمية، وهي الإطار المهم الذي يحفظ الدين، ولذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام: ((الدين النصيحة)) لأن النصيحة التي هي من أهم وأبرز معالمها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي التي تحافظ على الدين، ولذلك اقتصر الدين بهذه الكلمة ((الدين النصيحة)).

ولكننا في زمن اختلط على الناس فهم الدين، وظنوا أن الدين يقوم بغير النصيحة ويقوم بغير المخاطرة، فنظراً لكثرة الترف الذي أصاب الناس وإلى ركونهم إلى الدنيا وإلى الأرض، والأشد والأنكى أن هذا المرض القاتل يوزعه هؤلاء القاعدون الراكنون إلى الدنيا على الشباب الصادقين الغيورين على دينهم، الذين يريدون أن ينكروا المنكر، ويأمرونهم بعدم إنكار المنكر، وهم في ذلك يتقدمون بآرائهم بين يدي حديث رسول الله ﷺ كما سنذكره بإذن الله تعالى.

فلا يستقيم أمر الدين إلا بالنصح، وإلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحمل كل المخاطر في سبيل ذلك، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: ((أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)) هذا كله حتى يستقيم الدين.

وحال هؤلاء الذين يعرضون أنفسهم للمخاطر من أجل أن يستقيم الدين، كحال أناس في سفينة، والسفينة يسير بها قائدها إلى هاوية سحيقة في مجرى نهر، فهذا يريد أن ينصح القائد، وهؤلاء من خوفهم يقولون له: إذا نصحته سيقتلك لا تنصحه، فالمحصلة أن الجميع سيذهبون إلى تلك الهاوية.

ففي ديننا من التأكيد والحرص على تصحيح المسار، إلى درجة أن تقدم نفسك في سبيل الله لتصحيح المسار، حتى يبقى الناس على الدين، فلذا جاء حديث رسول الله ﷺ: ((سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله)).

فهذا للأسف الفهم الواضح الصريح للحديث، كان علماؤنا ومشايخنا يقومون بتثبيطنا عنه وينهوننا عن أن نفعل مثل هذا، يقولون: ليس من وراءه طائل!! [ففي هذا الفهم] خطر عظيم على دينهم وعلى اعتقادهم، كيف يتقدمون بهذا بين يدي حديث رسول الله ﷺ الواضح الصريح: ((سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه...))!

فقوتنا وسلاحنا للمحافظة على بقاء ديننا، وعلى مقاومة أي محاولة لتحريف الدين داخلية أو نتيجة ضغط خارجي؛ هي الروح الاستشهادية، فالجهاد وما تفرع منه هو السبيل لإحقاق الحق ولإبطال الباطل.

فينبغي على الشباب الذين شرح الله صدورهم لحب الدين وللفداء في سبيل الله ألا يلتفتوا إلى هؤلاء الموظفين، وألا يلتفتوا إلى القاعدين، وألا يلتفتوا إلى الراكنين، فشتان شتان بين علمائنا الذين يشار إليهم بالبنان، [ومن يشار إليهم اليوم]، وإنما يشار إليهم اليوم نتيجة الثورة الإعلامية ونتيجة التقدم الإعلامي الهائل، فالحكومة تنظر في العلماء، فمن رأت فيه موافقة لها ولين ومداهنة؛ سلطت عليه الأضواء، فينشأ الناشئة منذ الصغر ويسمعون "الشيخ فلان أرسل برقية إلى الملك"، و "الملك رد إليه برقية"، ويظهر عن يمين الملك كل يوم اثنين وغيره، فيقع في ذهنه أن هؤلاء أهل الخير والصلاح.

قال أهل العلم: دخول العلماء على السلاطين فيه مضارٌ ثلاث، فمن أعظم مضاره تضليل العامة. فالعامة يقولون: لولا أن هذا الإمام وهذا الملك أو هذا الرئيس على خير لما دخل عليه الشيخ فلان، وهم يتجاهلون أن هذا الذي دخل على الشيخ أو دخل على الملك هو موظف ملحق بالديوان الملكي، أو ملحق بوزارة الداخلية!

ويقول الإمام أحمد رحمه الله: (من قلة فقه الرجل أن يقلَّد دينه الرجال).

فإذ انتبهنا إلى الذين يضعهم الحاكم في طريق الجهاد وحذرنا منهم فبإذن الله سوف نصل إلى طريق الجهاد الذي يُكف به بأس الكفار ويُحق الحق.

فهؤلاء علماء الدولة وعلماء السلاطين ليس في فقههم فقه محمد ﷺ، والفهم لطبيعة منهج الله سبحانه وتعالى.

فلا بد أن يستقر في أذهاننا أن الالتزام بالدين بالضرورة أن يكون هناك معاداة من أهل الباطل، فكما في الحديث الصحيح كما في صحيح البخاري رحمه الله الحديث الذي ترويه

أمنا عائشة رضي الله عنها عندما ذهب رسولنا ﷺ وأمنا خديجة رضي الله عنها إلى ورقة بن نوفل، فلما قص عليه ما قص من بدء الوحي، قال له ورقة بن نوفل: (يا ليتني كنت فيها جذعاً إذ يخرجك قومك). فقال رسول الله ﷺ: ((أو مخرجي هم؟)) قال: (ما جاء رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي). هذا هو فقه محمد ﷺ، فكل من التزم الإسلام حقاً لابد أن يعادى.

وهؤلاء الأنصار رضي الله عنهم لما جاؤوا في يوم العقبة يبايعون رسول ﷺ على الإسلام، فجاء معه العباس –وهو على دينه يوم ذاك، على دين قومه لم يسلم بعد–، فقال: (يا معشر الخزرج، إنكم قد دعوتم محمداً، فإن كنتم أهل قوة وجلد وبصيرة بالحرب واستقلال بمعاداة العرب قاطبة؛ فإنها سترميكم عن قوس واحدة، فأروني رأيكم، وأنتم وأمركم، ولا تَفرَّقوا إلا عن إجماع، فإن أحسن الحديث أصدقه، وأخرى: صفوا لي الحرب كيف تقاتلون عدوكم؟).

فهذا العباس على دين قومه كافراً، ولكن يحتاط لابن أخيه محمد ﷺ، ويفقه أن معنى لا إله إلا الله؛ أن الناس والعالم سيعادي أهلها..

فعند ذلك تكلم عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، فقال: (نحن والله أهل الحرب، وغُذِّينا بها، وورثناها كابراً عن كابر، نرمي بالنبل حتى تفنى، ونطاعن بالرماح حتى تُكسر ثم نمشي بالسيوف نضارب بها حتى يموت الأعجل منا أو من عدونا).

فقال العباس: (هل فيكم دروع؟). قالوا: (نعم، سابلة).

عند ذلك تقدم البراء بن معرور رضي الله عنه وقال: (قد سمعنا ما قلت، وإنا والله لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه، ولكنّا نريد الوفاء والصدق وبذل مُهج أنفسنا دون رسول الله ﷺ).

فهذا هو فهم السلف رضي الله عنهم للالتزام بالدين؛ بذل مُهج الأنفس لله سبحانه وتعالى وفي الدفاع عن دينه وعن رسول الله ﷺ.

وأيضاً مما جاء في ذلك اليوم المبارك يوم العقبة عندما قام الصحابة يريدون أن يبايعوا رسول الله ﷺ، فأخذ بيده أسعد بن زراره وقال: (رويداً يا أهل يثرب، إنّا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجه اليوم مفارقةُ العرب كافة، وقتْلُ خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة؛ فذروه فهو أعذر لكم عند الله).

فهذا هو فهم السلف لمعنى لا إله إلا الله وما تقتضيه لا إله إلا الله من تحكيم في الأرض، ومما سيضطر إلى المواجه مع العدو.

وكما قال المثنى بن حارثة لرسولنا عليه الصلاة والسلام يوم أن عرض عليهم أن يؤمنوا بلا إله إلا الله وأن يحموه ويؤوه، فقال المثنى -وكان مشركاً- يومها قال: (إن هذا أمر تكرهه الملوك).

وفي الحديث الآخر عندما سئل رسول الله ﷺ في سياق السؤال عن أفضل الأعمال حتى في العشر من ذي الحجة، استثنى ووضح لهم أي الأعمال أفضل حتى من العمل في عشر ذي الحجة، فقال ﷺ: ((إلا رجلٌ خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء)).

فأما ما انتشر بين العلماء من السلامة على أنفسهم وعلى أبنائهم وعلى أموالهم وعلى وظائفهم مع بقاء الدين؛ فهذا فهم مغائر لحقيقة لا إله إلا الله ولمعاداة أهل الباطل لها، فهذا التواؤم وهذا التماشي بين العلماء والحكام -الذين كفروا بالله ورسوله- هو وضع خاطئ، ينقلب وينصب في الابتداء على أن العلماء تركوا حقيقة لا إله إلا الله، والالتزام بحقيقة لا إله إلا الله، ومقتضيات لا إله إلا الله.. يداهنون الحكام.

فينبغي الحذر كل الحذر من هؤلاء، لأن النظام وضعهم عن قصد للصد عن سبيل الله.

وقد كان منذ ربع قرن كان الشيخ عبد الله بن حميد عليه رحمة الله لا يذكر بجواره العلماء الآخرون -بعد أن توفي الشيخ محمد بن إبراهيم عليه رحمة الله- في ورعه وفقهه وعلمه وشدته

في الحق، ولكن النظام لا يريد أهل الحق ولا يريد أهل التقى والورع، فما زال يضايق الشيخ عبد الله بن حميد، وأخذ الأضواء عنه بعيداً على عدد من العلماء الآخرين الذين فيهم لين ورقة مع النظام ونوع مداهنة، أضف إلى ما لبّس عليه النظام، وتركوا الشيخ عبد الله بن حميد يضايقونه في عمله إلى أن استقال لما شعر أن الدولة بدأت تبتعد كثيراً، وظهر له أن الدولة توالي الكفار وتبتعد كثيراً عن شرع الله سبحانه وتعالى.

فكذلك الحال اليوم، تُسلط الأضواء الإعلامية على علماء الغرض منهم التدليس على المسلمين.

وفي هذا المجال لا بد من الحديث أننا إذا عرفنا علماء السوء وعلماء السلاطين ينبغي البحث بجد واجتهاد عن الصادقين من العلماء، عن الذين يصدعون بالحق ولا يخافون لومة لائم، فإن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، فينبغي الالتفاف حولهم والتشاور معهم في نصرة لا إله إلا الله والعمل لتحكيم شرع الله سبحانه وتعالى.

والصادقون من العلماء لهم صفات، والصادقون بين الله سبحانه وتعالى صفاتهم في كتابه الكريم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ فمن أبرز صفات الصادقين: صفة الإيمان وصفة الجهاد في سبيل الله.

وهذا المعنى نجده يتكرر، ويقترن الصدق مع الجهاد، ومع النصرة، ومع قول الحق والصدع به، فمن ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الذين يهاجرون، والذين ينصرون الله ورسوله، ويجاهدون في سبيل الله سبحانه وتعالى، وفي التمكين لدين رسوله ﷺ؛ هؤلاء هم الصادقون.

ومن أعظم الجهاد كلمة الحق والصدع بها كما مر معنا في حديث رسول الله ﷺ: ((أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر))، فالعلماء الذين يصدعون بالحق هؤلاء هم الصادقون وهذه صفتهم.

أما الذين يرون أن الحكام قد والوا الكفار ويرون أن الحكام قد حكموا بغير ما أنزل الله، هؤلاء الذين يمدحون الطواغيت؛ ألا يرون أبراج البنوك الربوية؛ التي هي حكم بغير ما أنزل الله وإعراض عن منهج الله بجوار الحرم؟! هذا الإلحاد قرب بيت الله الحرام، والإلحاد في الحرم ليس المقصود فيه فقط الكفر، وإنما كما في الحديث الذي مر معنا في صحيح البخاري ((أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم)) قال أهل العلم: الكبيرة في الحرم تعتبر إلحاداً، وذُكرت هنا بمعنى إلحاد للتشنيع عليها وللتهويل عليها حتى يبتعد الناس عنها.

فأبرز صفات الصادقين: الجهاد باليد وباللسان، وقد يكون اللسان صادقاً وهو يُنكر بقلبه، ولكننا لا نعرفه ولا نتعرف عليه، وإنما نتعرف على الذي ينكر بيده وبلسانه.

وهنا ينبغي أن نؤكد على شباب الصحوة ما مر معنا؛ أن فيهم من الطاقات ما يكفي وزيادة لإقامة الحق ولإقامة دولة الإسلام وإقامة دولة الخلافة، ولكن ينبغي أن يتحرروا ويحرروا عقولهم من التقليد الأعمى، فقد صح عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((لا يكن أحدكم إمعة، يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت))، وإنما المؤمن أُمر أن يكون إذا أحسن الناس أحسن، وإذا أساؤوا اجتنب إساءتهم.

وسأذكر لكم قصة ذات مغزى كبير أن أولي الألباب والنهى إذا قلدوا من أمامهم دون أن يتدبروا، فقد يضيع منهم خير عظيم، بل قد تضيع عليهم الآخرة -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه وعمرو بن العاص، عمرو بن العاص من دهاة العرب وخالد بن الوليد عبقري في الحروب، ومع ذلك تأخر إسلامهما لأكثر من عشرين سنة تقريباً، والنور بين يديهم، ورسول الله ﷺ ثلاثة عشر سنة بين أظهرهم في مكة، ولا يرون هذا النور مع شدة ذكائهم ونباهتهم.. فما هو السبب؟

السبب التقليد الأعمى، كانوا ينظرون إلى أولئك الرجال في قريش -أهل الندوة- ويقتدون بهم، وعطلوا عقولهم، فلما أسلم خالد رضي الله عنه وعمرو بن العاص قبل الفتح بشيء يسير -أي قريباً من عشرين سنة منذ بعثة محمد ﷺ-، فقال له بعض أصدقائه: أين كان عقلك يا خالد ولم تر هذا النور لعشرين سنة؟ فقال كلمة ينبغي التوقف عندها كثيراً للمقلدين، قال: كنا نرى أمامنا رجالاً كنا نرى أحلامهم كالجبال. الوليد بن المغيرة، وعمرو بن هشام، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، والعاص بن وائل السهمي، وأمية بن خلف، وعبد الله بن جدعان.. قومٌ عبؤوا على الناس عقولهم أنهم هم الذين يعرفون الصواب، وكانوا يقودونهم إلى المهلكة في الدنيا والآخرة.

فلما حرر خالد عقله نفع الله به وتفجرت الطاقات، فكان سيفاً من سيوف الله، وفتح الله به أرضاً عظيمة في بلاد فارس وفي بلاد الروم.

فأقول: كثير من الناس عندهم من الطاقات الهائلة، ولكن يعطلها باتباع قاعد، باتباع من رضي بأن يكون مع الخوالف، فلا نجاة لهذه الأمة إلا باتباع المنهج كاملاً، فكما ذكرت الخطر ملازم بصفة دائمة إلى أن يرث الله سبحانه وتعالى الأرض ومن عليها.

ففي هذا الحديث العظيم فقه عظيم جداً، حيث أنه وضح للناس وللمؤمنين أهمية الأولويات في هذا الدين، فرأس الأمر الإسلام، ورأس أركان الإيمان والإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فالإيمان فيه شعب، فما ينبغي بحال إذا غابت الشعبة الأولى وهي أعظمها وأفضلها وأعلاها "شهادة أن لا إله إلا الله" الاشتغال بما دونها، فهي الأساس لهذا الدين، فما يفعل الناس في مثل هذا الزمان وهم يرون بأم أعينهم أن "لا إله إلا الله" بمعناها الذي أنزل على محمد ﷺ قد غُيبت عن حكم الناس في جميع شؤون حياتهم، ويشتغلون بكثير من الشعب مع غياب هذه!

فهذا لا يمكن أن يسمى لمن علم بهذه الحقائق إلا هروباً عن أداء الواجب، بل عن أعظم واجب في الحياة وهو تحكيم شهادة ألا إله الله على كل مؤمن.

ولو قعد الإنسان عن الجهاد واشتغل بإماطة الأذى عن الطريق -وهي شعبة من شعب الإيمان-، وكان الجهاد متعيناً؛ فلا يقال لهذا الذي يعمل بهذه الشعبة وبهذه الطاعة "جزاه الله خيراً"، بل هو في ديننا فاسق من الفاسقين، فارٌ فر عن نصرة لا إله إلا الله ونصرة دين محمد رسول الله ﷺ.

فينبغي الانتباه الشديد إلى هذه الأولوية وهي كما لا يخفى للأسف الشديد غائبة غياباً عظيماً جداً من جميع بلاد الإسلام بدون استثناء.

وأنبه الإخوة كما في حديث رسولنا عليه الصلاة والسلام، عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: ((قال الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه)) فالفرائض والطاعات والعبادات هي بما فرض الله سبحانه وتعالى، وترتيبها كما رتبها الله سبحانه وتعالى، لا بما يتوافق معنا أو بما يتوافق مع أهوائنا وبما يتوافق مع نفوسنا وتثاقلها إلى الأرض.

فعندما تكون الأولوية الأولى لتحكيم لا إله إلا الله، فلا يصح بحال الاشتغال بالطاعات الأخرى على حساب إقامة الدولة الإسلامية وتحكيم شرع الله سبحانه وتعالى.

ومن الأشياء المهمة في هذا؛ أن العلماء الذين تبرزهم الدولة للناس هم يعلمون علم اليقين أن "لا إله إلا الله" لا تحكم الناس، وأن الحكومات قد نقضوا هذه الكلمة العظيمة، ومع ذلك يدلسون على أنفسهم ويخادعون أنفسهم ويخادعون الناس بذكر العبادات والشكاوى للناس في مسائل مع غياب الأصل العظيم، فهم كالذي يبني على غير أساس الناس.

وهؤلاء الذين يفتون؛ يعلمون أن هؤلاء الناس يذهبون يتحاكمون إلى المحاكم التجارية وإلى هيئات فض المنازعات التجارية وفض مشاكل الأطراف التجارية، وهذا حكم بغير ما

أنزل الله، وهو كفر أكبر مخرج من الملة كما لا يخفى على أهل العلم، ومع ذلك لا يتحدثون عن ذلك.

الربا؛ هذه البنوك لا يمكن لعالم صادق أن يقول إن الربا هذا هو كبيرة من الكبائر، فهذل الربا الذي يوجد في بلادنا هو تشريع من دون الله ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾، ومع ذلك يحدثون الناس عن أمور أخرى -هي من شعب الإيمان، ولا شك-، ولكن بعيدة عن أصل القضية، فهذه القضية الكبرى التي من أجلها بُعث الرسل، ومن أجلها أنزلت الكتب لكي تحكم بين الناس، فينبغي الانتباه الشديد إلى ذلك.

ومن المسائل المهمة هنا أيضاً، أن يبتعد الشباب عن أولئك الذين يُظن أنهم من العلماء الصادقين، وأولئك الذين قد ضيعوا الأمانة وخانوا الأمة فيما ائتمنوا عليه، وقد جاء في الحديث عن حذيفة رضي الله عنه وأرضاه قال: ((حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر: حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة، فقال: ((ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر المجل، كجمر دحرجته على رجلك فنفط، فتراه منتبرا وليس فيه شيء)).

وهذا حال كثير من الناس، تظنه على شيء، تظن أن عنده أمانة وسيفتيك بما يرضي الله سبحانه وتعالى، ولكن ليس فيه شيء، كجمر دحرجته على رِجلك.

وفي تكملة الحديث كما يقول عليه رضوان الله نقلاً عن رسولنا عليه الصلاة والسلام: ((حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، حتى يقال للرجل: ما أجلده! ما أظرفه! ما أعقله! وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان)).

فينبغي التمييز بين أهل الأمانة الذين يؤدون ما احتملوا من ميراث النبوة على نبينا أفضل الصلاة والسلام، وبين الذين أخذوا الشهادات العلمية وأخذوا الدين للوظائف يأكلون به من هذه الدنيا على حساب دينهم -ولا حول ولا قوة إلا بالله-.

فخلاصة الأمر في هذا الباب: أن هناك ثوابت عظام لا بد من الانتباه إليها في مسألة الولاء والبراء: أن الأنظمة تسعى جهدها في تمييع الولاء والبراء ولمغالطة الناس في ذلك.

فمن الثوابت أن اليهود والنصارى لن يرضوا عنا كما ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك، فقال: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

ومن الثوابت الواقعية أيضاً أن البلاد محتلة، وإذا احتلت فأوجب الواجبات -بعد الإيمان- دفع العدو الصائل.

فهذه تصريحاتهم المتكررة وهذا الواقع الذي يشهد على حالهم، فقد قال الأمير طلال بن عبد العزيز في لقاء له مع بعض الهيئات العالمية، قال: (نحن لو قلنا للقوات الأمريكية أن اخرجي من بلادنا، هم لا يخرجون). وهذه صراحة وواضحة جداً.

وكذلك وزير خارجية قطر، قال: (نحن لو قلنا للقوات الأمريكية اخرجي من قطر، قال: نحن نُشطب من الخريطة)!

فالبلاد محتلة بكل ما تعني الكلمة من معنى، وما زال الناس يشتغلون بعبادات ونوافل وطاعات بعيدة عن فرض الساعة.

فينبغي التركيز على:

- أن المخرج هو في الجهاد في سبيل الله.
- والحذر من القاعدين.

- وعلى أن الهجرة والجهاد في سبيل الله كلاهما متلازم -في مثل هذه الأوضاع- لإقامة الحق وإبطال الباطل.

والله أعلم.

١٨- كلمات متفرقة من عدة أشرطة مسجلة.

(خرج إليه رجال يؤمنون حقًا أن ما عند الله سبحانه وتعالى خير من هذه الحياة الدنيا الفانية، لا يتكلمون هذا كلامًا فقط، بل يتكلمونه ويؤمنون به، تجذر في قلوبهم حتى أصبح في عقولهم وفي قلوبهم الغيب كالشهادة كأنهم يرون جنان الله سبحانه وتعالى).

(ولن تحلم أميركا مجرد حلم، لن تحلم بالأمن إذا لم نعشه واقعًا حيًا في فلسطين وفي بلاد الحرمين وفي جميع بلاد الإسلام بإذن الله سبحانه وتعالى.

وبشرناكم بفضل الله سبحانه وتعالى منذ أسابيع بأن إخواناً لكم قد خرجوا يحملون رؤوسهم على أكفهم يبتغون الموت مظانّه من أجل رضوان الله سبحانه وتعالى، فأرجو الله سبحانه وتعالى أن يفتح عليهم وأن يسدد رميهم إنه ولي ذلك والقادر عليه).

(فالفرق هائل بين قوتنا العسكرية وعددنا وعتادنا وبين الخصوم هائل جدًا جدًا، ولكن بفضل الله الفرق هائل أيضًا هو في النفسية، في الإيمان واليقين والاعتماد على الله سبحانه وتعالى، الفرق بيننا وبينهم هائلٌ جدًا.. جدًا.. جدًا.. جدًا بفضل الله سبحانه، فنحن نقالتلهم في الحقيقة باعتمادنا على الله سبحانه وتعالى).

(ظهر أبو رغال وأحفاد أبي رغال ظهروا ليبيحوا بلاد الحرمين فتصبح حمى مستباحاً للدبابات الأمريكية، للجنود الأمريكيين، بل للمجندات من اليهود والنصارى، يسرحون ويمرحون على أرض ولد فيها محمد ﷺ، على أرض نزل فيها جبريل الأمين بالقرآن العظيم من السماء على محمد ﷺ.

هذه الأرض شأنها عظيم، فهي أحب البلاد إلى الله سبحانه وتعالى كما صح عن نبينا ﷺ، ولكن قريشاً اليوم لم يلن قلبها بعد على ورثة محمد ﷺ، ورثة محمد ﷺ أقسم بالله العظيم أنهم في سجون جزيرة العرب، في الحائر وفي غيره، والأمريكان يسرحون ويمرحون على أرض محمد ﷺ.

أما في الناس إيمان؟ أما في الناس غيرة على دين محمد ﷺ؟ اللهم إني أبرأ إليك مما صنع أبو رغال وإخوانه وأعوانه) أ. هـ

(وفي الشيشان وما أدراك ما الشيشان، كيف يعود العيد على إخواننا في الشيشان، يعود عليهم ودوي المدافع تزلزل الأرض هناك، قصف ونسف، وتحريق للجسور، وهدم للبيوت، وانتهاك للأعراض، وسفك للدماء.. أصبحت دماء المسلمين أرخص الدماء ولا حول ولا قوة إلا بالله...) أ. هـ

(حاصروا الأطفال في العراق، مات باعتراف النصارى أكثر من مليون طفل ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا أنه ينتسب إلى سعد والمثنى رضي الله عنهما).

(فعندما قام الأطفال وقام الأشبال في فلسطين المحتلة ليذودوا عن مسرى نبينا عليه الصلاة والسلام بعد أن خذلهم الكبار، وبعد أن خذلهم الحكام والرؤساء.. وأن الخيانة قد وصلت في حكام المنطقة إلى النخاع.. أين يجتمعون!! يجتمعون على أرض مصر على أرض الكنانة عند حاكم في شرم الشيخ، لأي شيء؟ لينصروا اليهود لينصروا الظلمة الذين قتلوا المستضعفين من المسلمين).

(كما اتخذ حكام العرب أصحاب البيت الأبيض إلهاً لهم من دون الله، يتبعونه فيما يحلل ويحرم).

(وما ذنب أهل أفغانستان أن يحاصروا من الكفر العالمي ومن الأمم المتحدة التي جميع الأمم العربية والإسلامية شريكة فيها، موافقة على قراراتها).

(اللهم إني أبرأ إليك من فعل هؤلاء الحكام الطغاة الظلمة الذين يحاصرون المسلمين بأيدي الصليبين واتخذوهم أولياء من دون المؤمنين. يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾).

(ولكن إن شاء الله النصر القادم في الحجاز ونجد سينسي أمريكا أهوال فيتنام وبيروت وغيرها).

(... وتبدأ حركات شعبية ضخمة تسقط الأنظمة العميلة التي تواطأت من أجل كراسيها عن نصرة الإسلام والمسلمين، وقد خدرت مشاعر هذه الشعوب إلى حد ما بالنسبة لأمريكا..

وهؤلاء الحكام كفروا بالله العظيم، وإن وصفهم بالإيمان تمييع لمعنى لا إله إلا الله.

فهؤلاء إضافة إلى موالاتهم لليهود والنصارى؛ يحكمون بغير ما أنزل الله، هم في ذلك يستجيبون للضغوط الأمريكية للولايات المتحدة الأمريكية التي جعلت من نفسها نداً لله، وشريكاً تشرع للناس من دون الله، وأصبح حكام المنطقة لا يعبدون رب البيت العتيق، ولكن يعبدون رب البيت الأبيض -عليهم من الله ما يستحقون-؛ فإن وصف هؤلاء بالإيمان تمييع، وأي تمييع لمعنى لا إله إلا الله!).

(بعد أن عرفنا الداء هذا هو الدواء والشفاء في كتاب الله؛ الهجرة والجهاد، أعظم الصفات في كتاب الله إيمان وهجرة وجهاد ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا﴾ يشهد لهم بالإيمان الحق).

(فلا يستقيم أمر الدين إذا لم يهاجر ورثة محمد ﷺ يصدعون بالحق، كما أخرج الرسول ﷺ، كما خرج الصحابة الكرام، وهذه سنة الله في دينه، كل من جاء بالحق يعادى، فالذي لا يعادى ممن ثبت أنهم يوالون الكفار ويحكمون بغير ما أنزل الله فليعلم أنه ليس على الجادة وليس على المنهج..

(ما جاء رجل بمثل ما جئت به إلا عودي) هم لا يرضون بأهل الحق إلا إذا داهنهم أهل الحق ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾، تريد أن تأكل وتشرب معهم وتقوم ببعض العبادات التي لا تتعارض مع منهجهم لا حرج عليك، أما إذا أردت أن يكون الدين كله لله فهذا لا سبيل

إليه إلا بالهجرة والجهاد كما فعل خير الناس ﷺ، تريد أن تأكل وتشرب معهم وتقوم ببعض العبادات التي لا تتعارض مع منهجهم لا حرج عليك).

(فلم يستطع أن يثبت له حب الله ورسوله، كيف يثبتها وهو قاعد مع الخوالف! وهذا دين الله قد جاءت الأخبار أن الروم أرادوا أن يعتدوا عليه في تبوك، وهذا رسول الله ﷺ خرج في الضحى والحرور يريد نصرة الدين، وأنت جالس عن نصرته.. كيف يثبت له!

فلم يثبت محبة الله ومحبة رسوله ﷺ ولم ينفها عنه.. (الله ورسوله أعلم).. (ففاضت عيناي).. وحق له؛ أحب الناس إليه لم يستطع أن يثبت له هذا الأمر العظيم).

(فندعو الشباب إلى أن يقتدوا بمحمد ﷺ فيما جاء عنه من علم، ويتبعوا ما علموا منه من عمل، وأن ينفروا إلى أرض الإعداد، إلى هذه الشعاب الجرداء، حتى تتمحص قلوبهم ويتجذر الإيمان في صدورهم، هؤلاء الرجال يقال فيهم:

ومن القفار الجرد تبزغ ... نبعه الماء القراح
تزهو بألوية الفداء ... وبالبطولات الصحاح
وتقول إن شح العطاء ... فنحن للدين الأضاحي
فالفوز فوز الخاضبين ... جسومهم بدم الجراح
الرافضين بأن تباع ديارهم ... بيع السماح
والعائفين العيش ... عيش المستذل المستباح

فينبغي على المسلمين وأهل الحل والعقد وأهل الرأي من العلماء الصادقين والتجار المخلصين ومن شيوخ القبائل أن يهاجروا في سبيل الله، ويجدوا مكاناً يرفعوا فيه راية الجهاد، ويعبئوا الأمة للمحافظة على دينهم ودنياهم، وإلا فسيذهب عليهم كل شيء.

فنحن ننصح المسلمين في داخل أفغانستان وفي خارج أفغانستان أن ينصروا هذه الطلبة، ونحن ننصح المسلمين في الخارج أن كثيراً من الجهد بعيداً عن وجود دولة للإسلام لا يأت بالثمرة الكبيرة المرجوة، فهذا نبينا محمد ﷺ مكث ثلاث عشرة سنة يدعو في مكة، وكانت المحصلة بضع مئات من المهاجرين رضي الله عنهم، فلما وجدت دولة في المدينة -على صغرها- في خضم دولة الفرس والروم وفي خضم عبس وذبيان وغطفان وفي خضم قبائل العرب المجاورة والأعراب التي تنهش هذه الدويلة بكل ما أوتوا من قوة بإمكانياتهم وبأفكارهم وذكواتهم وأموالهم.. فهي بإذن الله تمثل راية الإسلام).

(فأيقظتم التاريخ بعد رقاده ... فعاد إلى أمجاده يتذكر
فهذا صلاح الدين يحمل سيفه ... تسيل دماء الكفر منه وتقطر
وعادت لنا حطين بعد غيابها ... وعادت إلى الأذهان بدرٌ وخيبر
وذي أمة الإسلام جاش ضميرها ... قد انتفضت تسعى تثور وتثأر
وإخوانكم في الشرق شدُّوا سروجهم ... وكابل شدت والنجائب ضُمَّرُ
ونجدٌ بها هبَّ الشباب مجاهداً ... وفي عدن هبوا وشدوا ودمروا
مدمرةً يخشى أولو البأس بأسَها ... تزيدك رعباً حين ترسو وتبحر
تشقُّ عُباب البحر يحدو مسيرها ... غرور وزهو واقتدار مزور
إلى حتفها تسعى حثيثاً بظلفها ... بوهم كبير كاذب تتدثر
إلى زورقٍ يلهو به الموج يختفي ... مع الموج حيناً ثم يبدو ويظهر
تداعبه الأمواج في كل خفة ... وربَّ خفيف منه يُخشى ويحذر
فلما التقى الجمعان جمعُ محمدٍ ... شهيدان بسم الله هبَّوا وكبروا
وجمعٌ من الكفار جيشٌ يقودهم ... بحقدٍ صليبي المنابع قيصر
ودارت رحى الحرب التي لم تكن ... سوى ثوان رعب بل أقل وأقصر
وكان مع النصر المحقق موعدٌ ... فلم يتقدم لا ولم يتأخر

فطارت رؤوس الكفر في كل وُجهةٍ وأشـــلاؤهـا من حولهـا تتبعثر)

(واليوم حكام العرب يوالون اليهود والنصارى على الملأ، وما زال الناس يمدحون أعداء الإسلام والمسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله).

أتقعـد لا الحكـام ذادوا عن الحمى كبيرهم للكفر يســعى وينصــر
أتـقـعـد لا الـتـجـار أدوا زكـاتهـم لتجهيز جيش بالصـــنـاديـد يزأر
أتقعد لا الأبطال رصـــوا صـــفوفهم ولا القـدس من أيـدي المغيرين حرروا
أتقعـد لا الأشـــبـال داووا جراحهم ولا جـثـث الأطـفـال لـفـوا ودثـروا
فـأين بنو الإســـلام إذ حمي الوغى فـهـلا اســـتـجـابـوا لـلإلـه وشمَّروا

(إلى إخواننا في فلسطين نقول لهم: إن دماء أبنائكم هي دماء أبنائنا، وإن دماءكم دماؤنا، فالدم الدم، والهدم الهدم، ونشهد الله العظيم أننا لن نخذلكم حتى يتم النصر أو نذوق ما ذاق حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

تذكروا هذا التدريب هو الجهاد من أجل لا إله إلا الله، فإن إخوانكم في فلسطين ينتظرونكم على أحرّ من الجمر، وينتظرونكم أن تثخنوا في أميركا وفي إسرائيل، فأرض الله واسعة، ومصالحه منتشرة، فابذلوا أقصى ما تستطيعوه لضربهم لتكون كلمة الله هي العليا).

(عندما تتحدث عن غزوتي نيويورك وواشنطن، تتحدث عن أولئك الرجال الذي غيروا مجرى التاريخ، وطهروا صفحات الأمة من رجس الحكام الخائنين وأتباعهم، بغض النظر عن أسمائهم ومسمياتهم.

تتحدث عن رجال لا أقول أنهم حطموا برجي التجاري ومبنى وزارة الدفاع الأميركية فقط، فهذا أمر يسير، ولكنهم حطموا هُبل العصر وحطموا قيم هُبل العصر..

هؤلاء الرجال العظام جذروا الإيمان في قلوب المؤمنين، وأكدوا عقيدة الولاء والبراء، ونسفوا مخططات الصليبيين وعملائهم من حكام المنطقة عبر عشرات السنين عبر الغزو الفكري لتمييع عقيدة الولاء والبراء.

وإن المقام لا يتسع لذكر هؤلاء الرجال بما هم أهله، والقلم يعجز عن حصر محاسنهم ومحاسن آثار غزواتهم المباركة، إلا أننا نحاول، فما لا يدرك كله لا يترك جله.

محمد عطا: قائد المجموعة من أرض الكنانة من مصر، مدمر البرج الأول، جد واجتهاد وصدق يحمل هموم الأمة، نرجو الله أن يتقبله في الشهداء.

زياد الجراح: نقاء وصفاء من لبنان، من بلاد الشام، من نسل أبي عبيدة بن الجراح، رضي الله عنه.

مروان الشحي: من الإمارات، مدمر البرج الثاني، أرادته الدنيا، ففر منها يبتغي ما عند الله.

هاني حنجور: من أهل الطائف، مدمر مركز الدفاع الأميركي (البنتاجون)، صفاء طاهر وفداء باهر نحسبه والله حسيبه.

أحمد بن عبد الله النعمي: من أبها، من قريش، من آل البيت، من ذرية محمد ﷺ، مجتهد في العبادة، حُبِّب إليه قام الليل، دمث الأخلاق، رأى في المنام أنه رديف رسول ﷺ على فرس وأمره بالنزول ليقاتل العدو ويفتح أرضه.

سطام السقامي: من نجد، من بلاد الحرمين، عزم وحزم، ورجولة وشجاعة، إذا رأيته تتذكر حديث رسول الله ﷺ: ((أشد أمتي على الدجال بنو تميم)).

ماجد بن موقد الحربي: من المدينة المنورة، الإيمان والحياء قريناه، أدب جم وتواضع عظيم.

خالد المحضار: من مكة المكرمة، من قريش، من آل البيت، من ذرية محمد ﷺ، رجل يطلب الشهادة بصدق، نحسبه والله حسيبه.

(ربيعة) نواف الحازمي: من مكة المكرمة، صاحب همة وعزم وصبر وحياء، ممسك بعنان فرسه، يطلب الموت مظانه.

(بلال) -شقيقه- سالم الحازمي: من مكة المكرمة، قذف الله في قلبه الإيمان، فترك كل شيء وشعاره: ((إن الجنة تحت ظلال السيوف)).

فايز القاضي: بني حماد المشهور بـ(أحمد)، بذل وعطاء وتواضع وحياء.

وأما قبائل عسير فلها نصيب الأسد: غامد وزهران وبني شهر..

أحمد الحزنوني الغامدي:

جسور لا يروع عند هم ولا يثني عزيمته اتقاء

إمام وخطيب ومحرض على القتال.

حمزة الغامدي: حب الجهاد ملك عليه فؤاده، مجتهد في العبادة، قيام الليل والذكر وقراءة القرآن، يلتقط الكلمات كما تلتقط (قعيب) التمر.

(عكرمة) أحمد الغامدي: عزيمة غير عادية، صبور ومعطاء.

(معتز) سعيد الغامدي: صاحب عبادة، آمرٌ بالمعروف وناهٍ عن المنكر، جسد في الأرض وقلب يجول مع الطير الخضر المعلقة بعرش الرحمن نحسبه والله حسيبه.

وائل ووليد الصقلي الشهري: صاحبا عبادة وقيام ليل، صاحبا أدب وحياء وجهد، أبوهما تاجر وشيخ قبيلة، أرادتهما الدنيا ففروا منها إلى جبال أفغانستان الوعرة يبتغون ما عند الله.

(عمر) مهند الشهري: دمث الأخلاق، صبور يطلب الشهادة بصدق، نحسبه والله حسيبه.

(الشيخ أبو العباس) عبد العزيز العمري الزهراني: قدوة العلماء المعاصرين وبقية السلف الغابرين، العامل العالم، صان العلم عن وظائف الطغاة وحرره من أن يكون أسيراً لمرتباتهم.

فهؤلاء الرجال أيقنوا أن السبيل لإحقاق الحق وإبطال الباطل هو الجهاد في سبيل الله، وأن كف بأس الكفار يكون بالجهاد في سبيل الله. قال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَاسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَاساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً﴾.

فهؤلاء الرجال أرادوا أن يعدوا جواباً ليوم الحساب، أخرجهم من بيوتهم الإيمان بالله واليوم الآخر واتباع محمد ﷺ، وعلموا أن سيل الأعذار الذي يقدمه المعذرون من الأعراب لا يغني عنهم شيئاً، كيف يصدقونهم والأندلس منذ خمسة قرون لم تعد؟ كيف يصدقونهم وفلسطين منذ تسعة عقود – تقريباً – والإعداد لم ينته؟! كيف يصدقونهم ومعسكرات الإعداد وميادين الجهاد في أفغانستان فتحت لأكثر من عشرين سنة لم يكلفوا أنفسهم هؤلاء أن يغبروا أقدامهم في سبيل الله؟!).

(حفظ أبو العباس القرآن وحفظ صحيحي البخاري ومسلم، وطائفة أخرى من أحاديث رسول الله ﷺ.

نظر في سبب جمع القرآن بين دفتي المصحف، فوجد العمل بالقرآن هو السبب.

لما استحر القتل في الحفظة يوم اليمامة فكان أهل القرآن وأهل الحديث يتسابقون في الذود عن لا إله إلا الله، ويتسابقون في الجهاد في سبيل الله، فشتان شتان بين السلف رضي الله عنهم وبين من يدّعون الانتماء بدون عمل.

قرأ قصة سالم مولى أبو حذيفة رضي الله عنه يوم اليمامة، يوم تصادمت الزحوف وتضعضعت الصفوف، فلما حمل الراية سالم رضي الله عنه قال له بعض القوم: نخشى أن نؤتى من قبلك يا سالم، قال قولته المشهورة التي ترن في أذان أصحاب القلوب الحية، قال: بئس حامل القرآن أنا إن أوتيتم من قبلي.

وهكذا كان أهل القرآن وأهل الحديث..

فترك عبد العزيز الزهراني تصدر المجالس لإعطاء الدروس، وذهب وحمل الراية يوم تحطيم الأصنام في أميركا، ولم يؤتَ المسلمون من قبله، وكان فعله أكثر أثرًا من ملايين الكتب في توظيف عقيدة الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين.

أبو العباس جدد معنى العالم الرباني، وأعاد الأمر إلى أصله كما كان السلف يحتسبون ولا يتوظفون، نفر من الطغاة ووظائفهم، أدرك منهج السلف رضي الله عنهم، وفقه وعلم أن فضل العلم مقيد بالعمل به، فلم يتخذ العلم عملاً، وإنما طلب العلم ليعمل به على بصيرة.

كيف يقعد الشيخ عبد العزيز الزهراني ويحفظ من مورثه خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام حديثه كما في الصحيح: ((والذي نفس محمد بيده، لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا))، كيف يقعد وهو يردد قول رسول الله ﷺ في الحديث نفسه: ((والذي نفس محمد بيده، لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل)).

(اللهم فرج عن علمائنا في كل مكان، فرج عن الشيخ عمر عبد الرحمن في سجون أميركا، اللهم ارحم ضعفه وشيبته، اللهم فرج عن علمائنا في جزيرة العرب وغيرها من البلدان، اللهم فرج عن الشيخ سعيد بن زعير وإخوانه من سجون بلاد الحرمين، اللهم فرج عن شباب الإسلام في كل مكان إنك ولي ذلك والقادر عليه).

الخاتمة

في ختام كتابي هذا، أقول لقرائي الكرام بأني أعلم أني لم أستوفِ كل شيء عن إمامنا، وأن النقص والقصور حاصل، ولكن لعل الجميع يعذرني لعدة أسباب منها:

١ - قلة المصادر.

٢ - بعد الإمام وصعوبة اللقاء به حتى نتمكن من سؤاله عن بعض الأمور.

٣ - مطاردة طواغيت الكفر.

ولكني أحسب أني قد أتيت على كثير من جوانب حياة هذا الإمام العظيم، وأرجو أن أوفق لإضافة كل مفيد مهم عن حياته في طبعات قادمة، وأقبل كل ملاحظة هادفة وتوجيه بناء للرقي بمستوى الكتاب، ولكني في النهاية أقول وأدعو الجميع إلى تأمل هذا الكلام:

(إن البشرية لا تستجيب عادة لمنهج مقروء أو مسموع، إنما تستجيب لمنهج حي متحرك، مجسم، ممثل في حياة جماعة من البشر، مترجم إلى واقع تراه العين، وتلمسه اليد، وتلاحظ آثاره العقول.. إنها تستجيب للمنهج الإسلامي في صورة مجتمع إسلامي..

وعلى ما لقيته البشرية من اللأواء والنصب في هاجرة التيه المقفر الذي سارت فيه بلا دليل..

وعلى كل ما عانته من التجارب القاسية، والتخبط المؤلم، وهي تنهض وتعثر، وتنزف جروحها طوال الطريق..

وعلى كل ما يهدد خصائصها من الدمار، ويهدد حياتها من البوار، في ظل هذه الحضارة المادية التي أقيمت دون علم بالإنسان، ودون مراعاة لخصائصه في كل زمان..

وعلى كل ما يدرك العقلاء فيها من جسامة الخطر الذي يتعرض له وجودها ذاته، وتتعرض له خصائصها الثمينة..

على الرغم من هذا كله، فإنه ليس من عادة البشرية أن تستجيب لمنهج مقروء أو مسموع ما لم يتمثل في صورة مجتمع يعيش بهذا المنهج، ويعيش له، وتتمثل فيه خصائصه ومزاياه..

وألف كتاب عن الإسلام، وألف خطبة في مسجد أو قاعة أو ميدان، وألف فيلم في الدعاية للإسلام، وألف بعثة من الأزهر أو غير الأزهر في كل مكان.. كل أولئك لا يغني غناء مجتمع صغير يقوم في ركن من أركان الأرض، يعيش بمنهج الإسلام، ويعيش لمنهج الإسلام، وتتمثل فيه خصائص هذا المنهج، وتتمثل فيه صورة الحياة في الإسلام.

وأعداء الإسلام العالميون من الصهيونيين والصليبيين المستعمرين يعرفون هذه الحقيقة جيداً، ومن أجل معرفتهم العميقة بهذه الحقيقة هم قد يسمحون بنشر الكتب عن الإسلام -في حدود-، وبإلقاء الخطب عن الإسلام -في حدود-، وبعرض الأفلام عن الإسلام -في ندرة-، وبإرسال البعثات للإسلام -في رقابة-، ولكنهم لا يسمحون أبداً بما لديهم من سلطات عالمية ضخمة خافية وظاهرة بقيام مجتمع إسلامي، ولو صغير في ركن من أركان الأرض، ولو في جزيرة بالمحيط؛ ذلك أنهم يعرفون أن هذه هي الوسيلة الجدية الوحيدة لوجود الإسلام!

وهم قد عانوا من وجود الإسلام طويلاً، إذ حال بينهم وبين أهدافهم الاستعمارية الاستغلالية للوطن الإسلامي وللمجتمع الإسلامي، وما صدّقوا أن أجهزوا -كما يتصورون- على هذا الجبار، فهم يفزعون من شبحه، ولا يريدون له الوجود الفعلي بحال من الأحوال.

ولكن المجتمع الإسلامي -مع هذا كله- هو طريق الخلاص الوحيد للبشرية المهددة بالدمار والبوار..

إنه الاستجابة الوحيدة لنداء الفطرة في ساعة العسرة، والفطرة في ساعة الخطر تتنبه وتعمل، مهما تكن في خمار أو دوار!

إنه ضرورة إنسانية، وحتمية فطرية.. ومن ثم فإن الدوافع لبروزه أقوى من كل قوة معوّقة، أقوى من الصهيونية الماكرة والصليبية المستعمرة، وأقوى من الأجهزة المسلطة في كل زاوية من زوايا الأرض، وأقوى كذلك من جهل أهل الإسلام بالإسلام، وبلادتهم وانغمارهم في التيار الجارف العام.

إنه لا مفر من قيام هذا المجتمع.. المجتمع الإسلامي..

إنه إن لم يقم اليوم فسيقوم غداً، وإن لم يقم هنا فسيقوم هناك، ولا نريد أن نتنبأ عن مكان أو زمان، فنحن – البشر – تقف تقديراتنا دائماً عند ستر الغيب المسدل الذي لا يعلم ما وراءه إلا الله.

إلا أن الذي ينبغي أن يقال هو التحذير من الأمل العريض الذي قد تنشئه في بعض الصدور!

إن حتمية قيام هذا المجتمع بوصفه ضرورة إنسانية لإنقاذ الإنسانية، وبوصفه الترجمة العملية للمنهج الإلهي الذي لا بد غالب..

إن هذه الحتمية ليس معناها أن الطريق إليه نزهة مريحة، ولا أنه هناك على قيد خطوات..

كلا، إن حتمية الميلاد لا تغني من آلام المخاض!

والطريق إلى المجتمع الإسلامي طويل وشاق، ومليء بالأشواك.. وأعسر ما في هذا الطريق هو أن نرتفع نحن بتصوراتنا، وبأفكارنا، وبأخلاقنا، وبسلوكنا –ثم بواقعنا الحضاري المادي–

إلى مستوى الإسلام، ولكنه -بعد هذا كله- ضرورة إنسانية، وحتمية فطرية، ولا بد له من ميلاد، ولا بد للميلاد من مخاض، ولا بد للمخاض من آلام..)[1].

ربنا إياك ندعو ربنا ... آتنا النصر الذي وعدتنا
إننا نبغي رضاك إننا ... ما ارتضينا غير ما ترضى لنا
أنفساً طاهرةً طُهر الحرم ... تملأُ التاريخ مجداً وكَرَمْ
وافيات بالعهود والذممْ ... راقيات للمعالي والهممْ
العُلا إن العُلا ... واجباتُ المسلم
خير عالم خلا ... كان فينا ينتمي
للعُلا فإننا ... أمةُ التقدمِ
للعُلا وها أنا ... بحياتي ودمي
يا شباب العالم المحمدي ... ينقص الكون شبابٌ مهتدي
فأروه دينكم ليقتدي ... دين عقل وضمير ويدِ
يا شباب العزمات المبرمة ... عرفوا الكون العلا والمكرمة
عرفوا الكون الهدى والمرحمة ... عرفوا الكون النفوس المسلمة
إننا الطهر الأماجيد الألى ... نزلت فينا السما مذ أنزلا
ذلك القرآن أخلاقاً على ... كوكب الأرض محمد العُلا
ليس كالمسلم في الخلق أحد ... ليس خلق اليوم بل خلق الأبد
إنما الإسلام في الصحرا امتهد ... ليجيء كل مسلم أسد
في ضميري دائماً صوت النبي ... آمراً: جاهد وكابد واتعب
صائحاً: غالب وطالب وادأب ... صارخاً: كن أبداً حراً أبي
كن سواءً ما اختفى وما علن ... كن قوياً بالضمير والبدن
رب بالإسلام قد هديتني ... رب من نورك قد آتيتني

---

[1] الإسلام ومشكلات الحضارة (١٨٥ - ١٨٧).

فعلى العهد ما أحييتني أحرس الكنز الذي وهبتني
أو أموت دونه موت البطل ثابتاً أحيا بقلب من جبل
نيراً أحيا بروح من شغل جاهداً أحيا بجسم من عمل

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الله أكبر
خربت أمريكا

الله أكبر خربت أمريكا [١]

سِرْ حيث سارت بك الأيمانُ والقسمُ ... واترك صروحَ بني الرومان تنهدمُ
واسْتَنْطقِ الشعرَ علَّ الشعر ينطقنا ... فطالما أخرَستْ أقلامَنا الثُلَمُ
واسْتَرْقِبِ النَّصرَ فالأسحارُ راحلةٌ ... والفجر من أفق الإشراق يبتسم
واطرب ليومٍ صبيحِ الوجه نحسَبُه ... عيداً إذاً أُسبغت من ربنا النعمُ
إذ أصبح الكفر والطغيان منقعراً ... وسامرتْ أهله بعد الندى النقمُ
من ضربةٍ من سديدِ الرأي صَوَّبَها ... صرحَ الطغاة فما زلَّت به قدمُ
لله دَرُّكِ من أُسد تُغير فدىً ... على العدو فتسطو ثم تنتقمُ
لله دَرُّ هداةٍ طاب مَنهَلُهم ... وِرْدَ الجهاد فكم من وِرْدِهِ رَقموا
إذ سجَّلت عصبة الأبطال منقبة ... تَظل في موجة التأريخ تلتطمُ
أكان يقصِدها الطائي في زمن ... ماضٍ ليشكر ما أبداه معتصمُ
تلك المقالة في بيت أُصرفه ... لعصبة الخير لا يُرضى لغيرهمُ
رمى بِكِ الله " برجيها " فهدَّمها ... ولو رمى بِكِ كُلُّ الخلق ما هدموا
شُهْبُ السَّماء على الشيطا ن مُتْبَعَةٌ ... ثواقبٌ من سماء الحق تقتحمُ
كم قد أقامت لأمريكا مآتمَها ... يبكي الصليب ودمع الكفر ينسجمُ
أتاهمُ الثلاثاءُ النّحسُ مُصطحباً ... سودَ الليالي وفيها الموت والسَّقَمُ
أقول للرُّوم بالأشعار مُرتجزاً ... للحق منتصراً بالله أعتصمُ
ذوقوا الذي طالما ذُقنا عَلاقِمَهُ ... واسترقبوا صيحةً من بعدها العَدَمُ
واسترقبوا من جيوش الحق مَلحمةً ... تُزلزل الأرض إن هَبُّوا وإن قدموا
تلك الجيوش التي اشتاقَت إلى نُزُلٍ ... عند الإله وبالإيمان تَتَّسِمُ

---

[١] من شعر عبيد آل رمال الشمري.

إن كبـــــروا ارتَجَفَ الرُّومان وارتَعَدَت ... فُرْسُ الأَكـاســـرِ وانقـادت لهـا الأُمَمُ
من ذا يُقـابلهـا؟ من ذا يُقـاتلهـا؟ ... من ذا يُنـازل من بالنصـــر قـد وُسِموا؟
كـم مَـرَّةٍ حَـفِـظَ التَّـاريـخُ عِـزَّهَـم ... فـمـا تحـمَّـلـهـا رَقٌّ ولا قَـلَـمُ
فـالقـادســـيـة واليرموك تَسْـــبِقُهُم ... ومـؤتـةٌ وتـبـوك الخـير تَـقْـتَـدِم
كم خَبَّـأَتْ لجيوش الكفر من بطـل ... صَـلْبِ الشَّـكيمَةِ قد هاجَت به الحِمَمُ
هـذا (أُســـامَـةُ) زءَّآرٌ بســـاحتهم ... فهـل تُنـازل ليـثَ الغـابـة الرَّحَمُ؟؟؟
زئـيره هَـزَّ (أمـريـكـا) بِـرُمَّـتِـهـا ... فـأيقَـنَـت أنهـا حقَّـاً سَـــتَنعَـدِمُ
فـذاك طـاعون أمريكـا وقـاصِـــمُهـا ... وذاك طوفـانُهـا أو ســـيلُهـا العَرِمُ
الله أكـبر أمـريكـا الـدُّنا خَـرِبـت!! ... من بعـد مـا غَرَّهـا التَّمكينُ والقِـدَمُ
فلا الصـــنـاعـة ذادت عن عمـائِرِهـا ... ولا الســـيـاســـة تحميهـا ولا النُّظُمُ
ولا الـوِلايـاتُ والهـيـئـاتُ تجـمـعـهـا ... ولا الجـيـوش ولا الـقـوات والـلَّـغَـمُ
ثارت بثورتهـا الرَّعْنـا ومـا عَلِمَـت ... أن الجـهـاد لأرباب الهُـدى شَمَـمُ
وأنَّـه ذَروةُ الإســـلام يَـبـلُـغُـهـا ... مـن الأنام فـتىً جَـدَّت بِـهِ الهِـمَـمُ
وأنـه مَـطْـرَبُ الأبـطـال إن سمـعـوا ... صَـــهْـلَ الخيول خيولٌ مـا لهـا لُجُمُ
ناشـــدتُكُم يا ذوي التقوى مُناشـــدةً ... بالله بارِئِـكُـم بالله رَبِّـكُـمُ
أتـرغـبـون بأن تـؤتـى محـارِمُـكُـم ... وأن نَرى الـدَّمَ في الأوطـان يَنْسَـــجِمُ
وأن نَرى الكفر يَغشـى الأرض أجمعَها ... ويســـتبيحَكُم الأعـدا وينتقـمـوا
دَقَّ الصـــلـيـبُ نواقيس الحروب لنـا ... وأجمـعـوا أمـرَهـم بالـكـيـد واجـتـرمـوا
واســـتنفروا كـلَّ علجٍ من صَـــليبتهم ... واســـتنزفوا حقدهم للدين واســـتهموا
وأجلبوا رَجْلَهُم والخيـلَ واجتهـدوا ... وأوقـدوا نارهـم لـلـحـرب والـتـحـمـوا
إن يـظـهـروا فـيـكُـمُ لا يـرقـبـوا بِـكُـمُ ... إلاًّ ولا ذمـاً لـو تـنـفـعُ الـذِّمَـمُ
حلَّـت كوارث في الإســـلام مؤلمـةٌ ... بكى لهـا عَرَبُ الإســـلام والعَجَمُ
(أبو البقاء) بكى من شـــأن (أندلسٍ) ... حتى القصـــيـدةُ تبكي وهي تُنْتَظَمُ

من شـــأن طـاهرةٍ للعُهْرِ مُكرَهَـةٍ تـقـاد قـهـراً ونار الحزن تضـــطَرِمُ
وحُزْنِ ثَكلى على الأحباب ســـامَرَها دمع الليـالي وفي أحشـــائهـا حِمَمُ
ودمعِ طفـلٍ على الأم الحنون بكى يحـولُ بـيـنـهـمـا الـطُّـغـيـانُ والجُرُمُ
وجمعِ شمـلٍ على الإســـلام مُلْتَئِمٍ أمسـى على (الكفر والتنصير) ينقسـمُ
وبلـدةٍ يعتلي النـاقوسُ مســـجـدَهـا وفي محـاريبِهـا الصُّـــلبـانَ قـد رَسَموا
فـالـدِّين مُمْتَهَنٌ والعِرْضُ مُنتَهَـكٌ والمـالُ منتَهَـبٌ والحقُّ مُهْتَضَـــمُ
يا مُســـلِمِيَن هَلِ انْســـاخَتْ حَمِيَّتُكُم أم حَلَّكُمْ وَهَنٌ أم فيكُمُ صَـــمَمُ
يا ويحنـا أُغْمِـدَت أســـيـاف عِزَّتنـا وســـامنـا الـذُّلَّ عُرْبُ الكفر والعَجَمُ
فهل لهم من بني الإســـلام مُعتَصِـــمٌ بالله مـنـتصـــرٌ لله يـنـتـقِـمُ
وهـل لهم فـارس في الحرب مَرْتَعُـهُ يبلو البلاءَ إذا الأســـيـافُ تَلْتَحِمُ
أين الرجال الأُلى خاضـــوا صـــبيحَتَها يـوم النِّزال إذ مـا التَـقَّـتِ اللُّـجُـمُ
أين الأُباةُ أُباةُ الضَّـــيمِ من رفضـــوا حُكْمَ الطغـاة وللطغيـان قـد هَـدَموا
لا أَبعَـدَ اللهُ عـن عـيني قَســـاوِرَةً تُحمى بهم حرمـةُ الإســـلامِ والقِيَمُ

المقدمة

الحمد لله مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعزُّ من يشاء، ويُذلُّ من يشاء، بيده الخير إنه على كل شيء قدير، الحمد لله الخافض الرافع، والمعطي المانع، والقابض الباسط، الحمد لله الجبار القهار كاسر الأكاسرة، قاصر القياصرة، مذلّ الطواغيت الجبابرة، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله القائل: ((إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه)) [١].

أما بعد..

فمنذ أن نويت إصدار هذا الكتاب وأنا أبحث وأنقب وأقرأ وأكتب، حتى اجتمع لدي رصيد هائل من المعلومات حول إمبراطورية الشر (أمريكا) الآيلة إلى السقوط الرهيب قريبًا بإذن الله، وقد أيقنت بأن هذه الدولة العظمى ستسقط كما سقطت إمبراطوريات عظمى قبلها، كانت (أمريكا) قد خلفتها واستولت على مستعمراتها وغنائمها على طريقة القرصنة المعروفة التي تأسست على ضوئها الولايات المتحدة الأمريكية [٢]:

"فمن قصص المغامرات التي أعجبت الولايات المتحدة: قصة القرصان الشهير الكابتن "مورغان" – الذي تمكنت أسرته في عصور لاحقة من العثور على كنزه واستعملته في رأس مال بنك مورغان العتيد –، وكان الإعجاب الأمريكي بمورغان استيعابًا لفلسفة ذلك القرصان الذكي، وجوهرها يظهر في مقولته:

"إن القرصان العادي هو الذي يغير على السفن المسافرة ويقتل ركابها الأبرياء وينهب حمولاتها من الأشياء والنقود، وأما القرصان الذكي فإنه لا يغير إلا على سفن القراصنة

---

[١] رواه البخاري في صحيحه.

[٢] مقال "الإمبراطورية على الطريقة الأمريكية" جريدة السفير (لبنان) السبت، ١ آذار مارس ٢٠٠٣م.

الآخرين، بل ينتظرهم قرب مكامنهم عائدين محملين بالغنائم، مجهدين من القتل والقتال، ثم ينقض عليهم محققا جملة أهداف:

– يحصل على كنوز عدة سفن أغار عليها القرصان العادي في رحلة شاقة وطويلة، لكن القرصان الذكي يحصل عليها جاهزة بضربة واحدة.

– لا يرتكب بالقرصنة جريمة، لأنه نهب الذين سبقوا إلى النهب، وقتل الذين سبقوا بالقتل وعليه فإن ما قام به لم يكن جريمة وإنما عقاب عادل، ولم يكن قتلًا وإنما هو القصاص حقا.

– إن القرصان الذكي بهذا الأسلوب يصنع لنفسه مكانة وهيبة تذكرها تقارير النهار وتتذكرها حكايات الليل! " أ.هـ.

ولعل القارئ للتاريخ المعاصر يدرك كيف أنه في قرنين من الزمان (١٣ – ١٤ الهجريين) (١٩ – ٢٠ الميلاديين) سقطت دول وإمبراطوريات كبرى عديدة، وهي إمبراطوريات أوروبية كأسبانيا والبرتغال، وبريطانيا، وفرنسا، وهولندا، وألمانيا، وإيطاليا، وكذلك الإمبراطورية الروسية (أسرة رومانوف)، والإمبراطورية النمساوية الهنغارية (أسرة هابسبورغ)، ودولة خلافة (آل عثمان)، واليابان، وقبل الأخير الاتحاد السوفيتي.

وأمريكا قد جمعت كل العوامل والأسباب التي أدت إلى سقوط تلك الدول العظمى وسيصيبها بحول الله وقوته ما أصاب من خلفتهم بالأمس، وهذه سنة لا تتبدل – أعني سنة المداولة –، فالله أمرنا أن نسير في الأرض وأن نتدبر التاريخ ونستفيد من دروسه وأحداثه، فحين تذهب إلى التاريخ تتلقى منه تلقي التلميذ المتعلم وليس تلقي التلميذ المتحجر المكابر، يَرُوعُك أنك تقرأ نفسك ومجتمعك وأحداث عصرك في بعض صفحاته، وتكاد تحس بأن ما يدور حولك ليس إلا آخر طبعة من كتاب التاريخ، وأن الذين يظنون أنفسهم آخر

حلقات التاريخ – أي أفضلها – أو يظنون أنفسهم خارج دائرة التاريخ.. هؤلاء وأولئك قوم مخدوعون، يمتازون بالغباء الشديد والسذاجة المفرطة [١].

اقـرؤوا الـتـاريـخ إذ فـيـه الـعـبر ضـــلَّ قـومٌ لـيس يـدرون الخـبر

وكثير من المسلمين مع الأسف لا يقرؤوون تاريخ هذا القرن فضلاً عن قراءتهم لتاريخهم المشرق البعيد، ففي التاريخ القريب عام ١٩٩٢م – ١٤١١هـ كان هناك قوة عظمى في السياسة الدولية تسمى الاتحاد السوفيتي، أما سنة ١٩٩٤م – ١٤١٣هـ فقد انهار الاتحاد السوفيتي وتشرذم وتحول إلى خمس عشرة جمهورية [٢]

قبلها بعامين كان الاتحاد السوفيتي يجوب العالم رائحاً غادياً يوزع القروض والسلاح والنفط والغذاء على حلفائهِ في العالم، وكانت موسكو نقطة المركز بالنسبة لكثير من الدولِ، لا بل لكثير من الشعوب والأمم، بعدها بعامين أصبحت موسكو عاصمة دولة متهالكة ورثت عن الاتحاد السوفيتي الديون والمصائب والعجز الدولي والمحلي، وأصبحت شوارع موسكو تعج بالجريمة والمتسولين والبغايا والمافيا واليأس، كيف حدث كل ذلك؟ ولماذا؟ وفي لحظة تاريخية؟ وهل ما حدث في الاتحاد السوفيتي (وهو جلل) من الممكن أن يحدث في قوى دولية أخرى؟ هل من الممكن أن يحدث للولايات المتحدة؟

سؤال مشروع.. ما الذي حدث للجيش الأحمر الذي كان يرعب المارة في شوارع براغ وبودابست وبوخارست وكراكوف وكييف ويريفان وغيرها من المدن المكتظة بالملايين من

---

[١] "أسباب سقوط ثلاثين دولة" لعبد الحليم عويس.

[٢] بعد سقوط العدو الأحمر – الاتحاد السوفيتي – أعلنت أمريكا عن طريق مجلس حلفها الأطلسي – الناتو – على لسان خافير سولانا الأمين العام للحلف في تلك الفترة في عام ١٤١٢هـ: "أن العدو الذي يهددنا جميعا ويهدد حضارتنا بعد العدو الأحمر هو العدو الأخضر – أي الإسلامي – ولا بد من التعاون والاتحاد بين دول الحلف وحلفائهم ضد هذا العدو المشترك".

الناس؟ تحول إلى دعابة ومادة للتهكم ومرتعاً خصباً للمافيا التي تنهب مستودعات سلاحه وتبيعها بكميات ضخمة وبأسعار خيالية في أصقاع شتى من الأرض.

ما الذي حدث للترسانة النووية السوفيتية ولأسلحة الدمار الشامل السوفيتية وللسلاح الكيماوي والبيولوجي السوفيتي؟ فرّ كثير من العاملين فيها وهم الآن يقدمون خدماتهم لمن يدفع أكثر، وهم الآن يبيعون كل شيء بحوزتهم: الخبرة والسلاح الكيماوي والبيولوجي والتدريب والمهارات وغير ذلك.

ما الذي حدث لحلفاء الاتحاد السوفيتي السابقين؟ كيف تعايشوا مع الانكشاف السياسي والانكشاف العسكري؟ هل يحدث للولايات المتحدة ما حدث للاتحاد السوفيتي؟ هل ستسقط أمريكا؟ هل سنردد قريباً "الله أكبر.. خربت أمريكا"؟.

لقد قام نفوذ السوفيت على شبكة من المؤسسات السياسية والعسكرية والثقافية والحزبية والشبابية والاقتصادية الضخمة، وعلى مستوى دولي، وكان لهذه المؤسسات حضورها النفسي الكبير في نفوس عدد كبير من الدول والشعوب.

كان الاتحاد السوفيتي الأب والراعي لحلف وارسو الذي يضم القيادات العسكرية لكل الدول التي تحكمها الأحزاب الشيوعية، وقد تدخل الحلف في عدة أقطار أوروبية لنصرة الأحزاب الشيوعية الحاكمة فيها وحقق عدة انتصارات في هذا المجال، وكانت منظمة الكومنترن تضم كل الأحزاب الشيوعية في العالم، وكان لها مؤتمراتها ومهرجاناتها شبه السنوية التي تعقد في موسكو، وكان دور هذه المنظمة تنظيم وتمويل وتوجيه النشاط الحزبي الشيوعي في كل أنحاء العالم، وكان يحضر هذه المؤتمرات مندوبون من كل أنحاء الأرض، وكانت من ضمن الوفود أعداد من اليمن والبحرين والسعودية تحضر المؤتمرات وتحصل على التوجيه والتمويل وتعود لأقطارها لمزاولة نشاطها السياسي.

وكانت هناك منظمة الكوميكون – أي المنظمة الاقتصادية – التي تقوم بالإشراف وإدارة المعونات الاقتصادية السوفيتية لحلفاء الاتحاد السوفيتي التي تزودهم بالنفط والسلاح والغذاء وغير ذلك تحت مظلة الاتفاقات الثنائية.

وكانت هناك المنظمات الشبابية التي تشرف على نشاط الشبيبة الشيوعية في كل أنحاء العالم، ولها ميزانيات ضخمة وإدارة كبيرة وأجهزة تنفيذية ضخمة تنظم المباريات العالمية والمعسكرات والمهرجانات وغير ذلك.

أما حركة النشر التي تقوم بها دار التقدم في موسكو فكانت استثنائية في نشاطها، ولقد نشرت هذه الدار مئات الكتب والدراسات الاختصاصية عن العالم العربي وعن الخليج والجزيرة العربية خصوصاً، وكانت دراسات عميقة في معالجاتها، بل إنها أكثر عمقاً من التي كانت تصدر في أوروبا والولايات المتحدة.

ولقد نشط كُتَّاب الاتحاد السوفيتي في تفسير تاريخ الأقطار العربية وتاريخ الجزيرة العربية وشعوبها وظهور الإسلام في الجزيرة العربية والمراحل التي مرت بها الأمة العربية وشعوب الجزيرة العربية والإسلام، وكان لهم في هذه المجالات آراء خطيرة وجريئة تأثرت بها النخب العربية والمثقفون العرب، وكان النفوذ السوفيتي أعمق – نوعياً – وعلى مستوى دولي (رسمي وشعبي) من النفوذ الأمريكي اليوم، ومع ذلك انهار الاتحاد السوفيتي وذاب مثل فص الملح، ألا يمكن أن يحدث نفس الشيء للنفوذ الأمريكي؟ [١].

وبعد هذا كله نتساءل: أين هي منظومة الاتحاد السوفيتي؟ أين الأنظمة الموالية لموسكو؟ ألم تسقط بسقوطها؟ ألم تكن الأعلام الحمراء ترفرف على أسوار عواصم كثيرٍ من الدول؟.

لقد انهارت كلُّها.. سُنّةَ الله في الظالمين..

---

[١] انظر مقال "هل ستنهار الولايات المتحدة كما انهار الاتحاد السوفيتي" للنفيسي.

أين الملوك ذوو التيجان من يمنٍ ... وأين منهم أكاليلٌ وتيجانُ
وأين ما شاده شدَّادُ في إرمٍ ... وأين ما ساسه في الفرس ساسانُ
وأين ما حازه قارون من ذهب ... وأين عادٌ وشدادٌ وقحطانُ
أتى على الكل أمرٌ لا مرد له ... حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلكٍ ومن مَلِكٍ ... كما حكى عن خيال الطيفِ وسنانُ
دار الزمان على دارا وقاتله ... وأمَّ كسرى فما آواه إيوانُ

يقول سيد قطب رحمه الله [1]: "وهل يحمد الله على نعمة أجل من نعمة تطهير الأرض من الظالمين، أو على رحمة أجل من رحمته لعباده بهذا التطهير؟ لقد أخذ الله قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط كما أخذ الفراعنة والإغريق والرومان وغيرهم بهذه السنة – سنة الاستدراج –، ووراء ازدهار حضارتهم ثم تدميرها ذلك السر المغيب من قدر الله، وهذا القدر الظاهر من سنته، وهذا التفسير الرباني لهذا الواقع التاريخي المعروف.

ولقد كان لهذه الأمم من الحضارة وكان لها من التمكين في الأرض وكان لها من الرخاء والمتاع ما لا يقل إن لم يزد في بعض نواحيه عما تتمتع به اليوم، أمم مستغرقة في السلطان والرخاء والمتاع، مخدوعة بما هي فيه، خادعة لغيرها ممن لا يعرفون سنة الله في الشدة والرخاء..

هذه الأمم لا تدرك أن هناك سنة ولا تشعر أن الله يستدرجها وفق هذه السنة، والذين يدورون في فلكها يبهرهم اللألاء الخاطف، ويتعاظمهم الرخاء والسلطان، ويخدعهم إملاء الله لهذه الأمم وهي لا تعبد الله أو لا تعرفه، وهي تتمرد على سلطانه، وهي تدعي لأنفسها خصائص ألوهيته، وهي تعيث في الأرض فساداً، وهي تظلم الناس بعد اعتدائها على سلطان الله.

---

[1] انظر "في ظلال القران" سورة الأنعام آية (٤٤ – ٤٥).

ولقد كنت في أثناء وجودي في الولايات المتحدة الأمريكية أرى رأي العين مصداق قول الله سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، فإن المشهد الذي ترسمه هذه الآية مشهد تدفق كل شيء من الخيرات والأرزاق بلا حساب لا يكاد يتمثل في الأرض كلها كما يتمثل هناك!

وكنت أرى غرور القوم بهذا الرخاء الذي هم فيه، وشعورهم بأنه وقفٌ على الرجل الأبيض وطريقة تعاملهم مع الملونين في عجرفة مرذولة، وفي وحشية كذلك بشعة، وفي صلف على أهل الأرض كلهم لا يقاس إليه صلف النازية الذي شهر به اليهود في الأرض كلها حتى صار عَلَماً على الصلف، العنصري.. بينما الأمريكي الأبيض يزاوله تجاه الملونين في صورة أشد وأقسى وبخاصة إذا كان هؤلاء الملونون من المسلمين.

كنت أرى هذا كله فأذكر هذه الآية، وأتوقع سنة الله وأكاد أرى خطواتها وهي تدب إلى الغافلين ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وإذا كان الله قد رفع عذاب الاستئصال بعد بعثة رسول الله ﷺ، فهناك ألوان من العذاب باقية، والبشرية وبخاصة الأمم التي فتحت عليها أبواب كل شيء تذوق منها الكثير، على الرغم من هذا النتاج الوفير ومن هذا الرزق الغزير.

إن العذاب النفسي والشقاء الروحي والشذوذ الجنسي والانحلال الخلقي الذي تقاسي منه هذه الأمم اليوم ليكاد يغطي على الإنتاج والرخاء والمتاع، وليكاد يصبغ الحياة كلها بالنكد والقلق والشقاء، ذلك إلى جانب الطلائع التي تشير إليها القضايا الأخلاقية السياسية التي تباع فيها أسرار الدولة وتقع فيها الخيانة للأمة في مقابل شهوة أو شذوذ، وهي طلائع لا تخطئ على نهاية المطاف، وليس هذا كله إلا بداية الطريق، وصدق رسول الله ﷺ قال: ((إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج))، ثم تلا:

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [رواه ابن جرير وابن أبي حاتم].

غير أنه ينبغي مع ذلك التنبيه إلى أن سنة الله في تدمير الباطل أن يقوم في الأرض حق يتمثل في أمة، ثم يقذف الله بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، فلا يقعدن أهل الحق كسالى يرتقبون أن تجري سنة الله بلا عمل منهم ولا كد، فإنهم حينئذ لا يمثلون الحق ولا يكونون أهله، وهم كسالى قاعدون، والحق لا يتمثل إلا في أمة تقوم لتقر حاكمية الله في الأرض، وتدفع المغتصبين لها من الذين يدعون خصائص الألوهية... هذا هو الحق الأول، والحق الأصيل.. ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾..".

والسؤال: أليست أمريكا على وشك الانهيار والخراب؟ هل ستسقط الأنظمة الموالية لواشنطن بسقوطها؟ أليس وقت حرق الأعلام الأمريكية في كل العالم قد آن؟. هل سنقرأ حلف الناتو تاريخاً كما نقرأ اليوم تاريخ حلف وارسو؟

هل كان الثعلب العجوز اليهودي هنري كيسنجر – وزير خارجية أمريكا الأسبق – واعياً حين قال: "نحن الآن في نقطة يصبح معها الفشل في العراق كارثة للغرب، لأن هذا سيشجع كل العناصر المتطرفة، وكل الذين يعتقدون بأن الغرب في حالة تراجع، ومن هنا تنبع أهمية التعاون بين أوروبا وأمريكا في العراق".

أمريكا لم تعتبر بدروس الاتحاد السوفيتي، ولها أمثال ما للسوفيت.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾.

هذه الآية تلفت نظر الكفار للاعتبار من دمار السابقين، ثم تلوي أعناقهم إلى مصارع الغابرين قبلهم في شدة وعنف، وهي لفتة عنيفة مروعة، فيها ضجة وفرقعة، وفيها مشهد للذين من قبلهم، يدمر عليهم كل ما حولهم، وكل ما لهم، فإذا هو أنقاض متراكمة، وإذا هم

تحت هذه الأنقاض المتراكمة، وذلك المشهد الذي يرسمه التعبير مقصود بصورته هذه وحركته، والتعبير يحمل في إيقاعه وجرسه صورة هذا المشهد وفرقعته في انقضاضه وتحطمه!

وعلى مشهد التدمير والتحطيم والردم، يلوح للحاضرين من الكافرين، ولكل من يتصف بهذه الصفة بعد، بأنها في انتظارهم.

هذه الوقعة المدمرة التي تدمر عليهم كل شيء وتدفنهم بين الأنقاض: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾.

وتفسير هذا الأمر الهائل المروع الذي يدمر على الكافرين وينصر المؤمنين هو القاعدة الأصيلة الدائمة... [١].

إن أمريكا اليوم تواجهها أخطار عدة، بدءاً بتنظيم القاعدة والمسلمون من ورائه – وهو الخطر الأول –، ودخول أمريكا إلى أعماق بلاد المسلمين في حرب مكشوفة مع الإسلام والمسلمين، وتفككها الداخلي، وانحطاطها الأخلاقي...

وتبقى هذه كلها أسباباً لتحقق سنة الله في الظالمين، والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً، ولا يُرد بأسه عن القوم المجرمين.

كتبه أبو جندل الأزدي
فارس بن أحمد آل شويل الزهراني
بتاريخ ١٠/ ١/ ١٤٢٥هـ
جزيرة العرب

---

[١] انظر "في ظلال القرآن" لسيد قطب سورة محمد آية (١٠).

أمريكا والحضارة المزعومة

يقول الشيخ عبد الله عزام رحمه الله [١]: "خلاصة أمريكا عبارة عن مجموع اللصوص والأشرار في أوروبا الذين نبذهم مجتمعهم فهاجروا، عبارة عن شذاذ الآفاق هاجروا إلى العالم الجديد بعد أن اكتشفها كولمبس، ووجدوا شعباً يعيش في أرض جديدة، فبدؤوا به تمزيقاً وتقتيلاً وأفنوه، ولم يبق منه إلا بضعة ملايين، سواء من الهنود الحمر أو من الأسبانيين في كولورادو وأنديانا وغيرها، أبقوا بقية باقية عبارة عن ماذا؟ عبارة عن متاحف، عبارة عن قطع قديمة يراها الزائرون لأمريكا".

إبادة الهنود الحمر وحضارتهم

الأمة الأمريكية تشكلت على دماء وعظام وأراضي وأملاك أكثر من ١٠٠ مليون قتيل ومعذب من الهنود الحمر – سكان أمريكا الأصليين –، وحتى يومنا هذا لا تزال المطبوعات الأمريكية تحاول إيهام الجميع بأن الفضل في إعمار أمريكا يعود إلى المستوطنين البيض، لكن الواقع أن أغلب الأراضي كانت تستثمر من قبل الهنود الحمر أنفسهم حتى قبل قدوم البيض، أما البيض فقد قاموا بدور المحتلين واللصوص وقطاع الطرق، الذين بنوا رفاهيتهم على دماء ومعاناة عشرات الملايين من الهنود الحمر والعبيد.

أكد منير العكش الباحث في علوم الإنسانيات [٢]: "أن الإمبراطورية الأمريكية قامت على الدماء وبنيت على جماجم البشر، فقد أبادت هذه الإمبراطورية الدموية ١١٢ مليون إنسان (بينهم ٥.١٨ مليون هندي أبيدو ودمرت قراهم ومدنهم)، ينتمون إلى أكثر من ٤٠٠ أمة وشعب، ووصفت أمريكا هذه الإبادات بأنها أضرار هامشية لنشر الحضارة، وخاضت أمريكا في إبادة كل هؤلاء البشر وفق المعلوم والموثق ٩٣ حرباً جرثومية شاملة، وتفصيل هذه

---

[١] كتاب في ظلال سورة التوبة.

[٢] في كتابه "أمريكا والإبادات الجماعية".

الحروب أورده الكاتب الأمريكي هنري دوبينز في كتابه "أرقامهم التي هزلت" في الجزء الخاص بأنواع الحروب الجرثومية التي أبيد بها الهنود الحمر بـ ٤١ حرباً بالجدري، و٤ بالطاعون، ١٧ بالحصبة، و١٠ بالأنفلونزا، و٢٥ بالسل والديفتريا والتيفوس والكوليرا، وقد كان لهذه الحروب الجرثومية آثاراً وبائية شاملة اجتاحت المنطقة من فلوريدا في إلى الجنوب الشرقي إلى أرغون في الشمال الغربي، بل إن جماعات وشعوب وصلتها الأوبئة أبيدت بها قبل أن ترى وجه الإنسان الأمريكي الأبيض.

ووصل الأمر إلى تباهي الأمريكان بهذه الوحشية والدموية، فها هو وليم برادفورد حاكم مستعمرة بليتموت يقول: "إن نشر هذه الأوبئة بين الهنود عمل يدخل السرور والبهجة على قلب الله، ويفرحه أن تزور هؤلاء الهنود وأنت تحمل إليهم الأمراض والموت، وهكذا يموت ٩٥٠ هندي من كل ألف، وينتن بعضهم فوق الأرض دون أن يجد من يدفنه إنه على المؤمنين أن يشكروا الله على فضله هذا ونعمته".

تاريخ الإبادات الجماعية:

نظراً لحاجة الأمريكان للأيدي العاملة بنظام السخرة لاستغلال الثروات التي ورثوها عن الهنود، عدلوا عن جزء من إستراتيجيتهم في القتل، بالإبادة عن طريق نظام السخرة للهنود.

ففي عام ١٨٤٦م احتلت جيوش الأمريكان كاليفورنيا، وتقول الإحصائيات أنهم تمكنوا من إبادة ٨٠ % من هنود كاليفورنيا بالسخرة حيث نشط بجانب ذلك التجارة بالأطفال والنساء.

وفي عام ١٨٣٠م سن الكونجرس الأمريكي قانون ترحيل الهنود قسراً، وأصبح من حق المستعمر الأمريكي أن يطرد الهندي من أرضه ويقتله إذا أراد، ويومها حصدت قوات الجيش النظامي الأمريكي من لم يمت من ٥ شعوب هندية كاملة (الشيروكي – والشوكتو – والشيسكومسو – والكريك – والسيميتول) بعد تهجيرهم قسراً إلى مناطق موبوءة بالكوليرا.

وفي حملة ١٧٧٦م على هنود الشيروكي تم إحراق المدن الهندية، وأتلفت المحاصيل الزراعية، ومن بقي من هنود الشيروكي هجروا إلى الغابات ليقتلوا، ولم تمض ثلاث سنوات حتى أصدر جورج واشنطن أوامره للجنود بأن يحيلوا مساكن هنود الأوروكو إلى خراب ومحوها من على وجه الأرض، ولذلك أطلق هنود السينيكا على أبي الجمهورية الأمريكية "جورج واشنطن" اسم "هدام المدن"، فبموجب أوامره تم تدمير ٢٨ مدينة من أصل ٣٠ مدينة كاملة لهنود السينيكا وحدهم من البحيرات الكبرى شمالاً وحتى نهر الموهوك، وفي فترة قياسية لا تزيد عن خمس سنوات، وهذا ما تم أيضاً بمدن الموهوك، والأنونداغا، والكايوغا، حتى أن أحد زعماء الأروكوا قال لجورج واشنطن ذات لقاء في عام ١٧٩٢م: (عندما يذكر اسمك تلتفت نساؤنا وراءهن مذعورات وتشحب وجوههن، أما أطفالنا فإنهم يتلببون بأعناق أمهاتهم من الخوف).

ومضى الآباء المؤسسون جميعاً على خطى جورج واشنطن، فحتى توماس جيفرسون الملقب برسول الحرية الأمريكية وكاتب وثيقة استقلالها أمر وزير دفاعه بأن يواجه الهنود الذين يواجهون التوسع الأمريكي بالبلطة، وأن لا يضع هذه البلطة حتى يفنيهم، فقال له: "نعم إنهم قد يقتلون أفراداً منا، ولكننا سنفنيهم ونمحو آثارهم من الأرض".

وعام ١٦٣٣م كان هنود النارغنستس قد تعرضوا لحرب بالجدري، حيث قدم إليهم الأمريكان هدايا مسمومة بجراثيم الجدري، وعندما أقام الهنود محاكمة للكابتن جون أولدام بتهمة القتل الجماعي وأعدموه، انتقمت أمريكا بإبادة هنود النارغنستس عام ١٦٣٧م بحرب الجراثيم.

وفي عام ١٦٣٦م تظهر أول وثيقة تثبت استخدام الأمريكان للسلاح الجرثومي عمداً، وقد كتب القائد الإنجليزي العام اللورد "جفري أمهرست" إلى هنري بواكيه "يطلب منه أن يجري مفاوضات مع الهنود ويقدم لهم بطانيات مسمومة بالجدري، وأجاب بواكيه: "سأحاول

جاهداً أن أسمهم ببعض الأغطية الملوثة التي سأهديهم بها، وسآخذ الاحتياطات اللازمة حتى لا أصاب بالمرض".

وببطاطين ومناديل تم تلويثها في مستشفى الجدري انتشر الوباء بين أربعة شعوب هندية (الأوتاوا – ينيغو – والمايامى اليني – ونايبه)، وأتى على أكثر من مائة ألف طفل وشيخ وامرأة وشاب، ولطالما وصفت وثيقة (أمهرست) بأنها "حجر رشيد" الحرب الجرثومية، وهناك وثيقة تتحدث عن إهداء أغطية مسمومة بالجدري لهنود "المندان" في فورك كلارك، وقد نقلت هذه الأغطية إلى ضحاياها في ٢٠ حزيران يونيو ١٨٣٧م من حجر عسكري لمرض الجدري في سان لويس على متن قارب اسمه "القديس بطرس"، فحصدت كذلك في أقل من سنة واحدة مائة ألف طفل وشيخ وامرأة وشاب [١]، وبعد حوالي ١٥ سنة كانت كل الولايات المتحدة تتساءل عن أفضل وسيلة للقضاء على هنود كاليفورنيا، فمع الاستيلاء على هذه الولاية الواسعة من المكسيك وجدت أمريكا نفسها أمام مهمة جديدة وصفتها إحدى صحف سان فرانسيسكو كما يلي: "إن الهنود هنا جاهزون للذبح وللقتل بالبنادق أو بالجدري... وهذا ما يتم الآن فعلاً" [٢].

وفي تلك الفترة كان تسميم الهنود بجراثيم الجدري خطة منظمة تمارسها الدول وبعض الشركات التجارية المختصة، ويتسلى بها المستوطنون في حفلات تسلية وُصِفت [٣]: "بأنها تستخدم الجراثيم من أجل الإبادة المطلقة لهذا الجنس اللعين" [٤].

---

[١] وهذه أقل التقديرات تواضعاً لعدد الضحايا راجع (SON OF MORNING STAR) (١٦).

[٢] راجع صحيفة DAILY ALTA بتاريخ ٦ آذار مارس ١٨٥٣م وكتاب روبرت هيرز بعنوان: (THE DESTRACTION OF THE CALIFORNIAN INDIANS) (٢٥١) كالفورنيا الهندية.

[٣] افتتاحية في san Francisco bulltien (نشرة سان فرانسيسكو).

[٤] المقالة منشورة بتاريخ ١٠ تموز يوليو ١٨٦٠م، في كتاب هيرز عن تدمير الهنود (٢٥٣، ٢٥٥).

وحشية الأمريكي الأبيض:

قال أحد الأطباء الأمريكان البيض أشهر أطباء عصره في عام ١٨٥٥م: "إن إبادة الهنود الحمر هو الحل الضروري للحيلولة دون تلوث العرق الأبيض، وأن اصطيادهم اصطياد الوحوش في الغابات مهمة أخلاقية لازمة لكي يبقى الإنسان الأبيض فعلاً على صورة الله".

ويجذب السياق نفسه "فرانسيس ياركين" أشهر مؤرخ أمريكي في عصره فيقول: "إن الهندي نفسه في الواقع هو المسؤول عن الدمار الذي لحق به، لأنه لم يتعلم الحضارة ولا بد له من الزوال... والأمر يستأهل".

إبادة وطمس الحضارة الهندية:

دأبت هوليود على هدم الحضارة الهندية وطمس معالمها، عبر تصويرها بالوحشية والهمجية والدموية القائمة على التمثيل بالإنسان الأبيض الذي أتى يعلمهم الحضارة، وكل هذا محض افتراء على الحضارة الهندية التي استقبلت الإنسان الأبيض وأنقذته من الموت المحدق وعلمته زراعة الأرض وعمارتها وكيفية استغلال ثروات الطبيعة في البلاد الهندية.

التمثيل بجثث الهنود:

لقد ارتكب الإنسان الأمريكي والإنجليزي الأبيض جريمة سلخ فروة الرأس في كل حروبه ضد الهندي، وذلك على النقيض مما تروج له هوليود والرسميون والإعلاميون وأكاديميو التاريخ المنتصر، فقد رصدت السلطات الاستعمارية مكافأة لمن يقتل هندياً ويأتي برأسه، ثم اكتفت بعد ذلك بسلخ فروة الرأس، إلا في بعض المناسبات التي تريد التأكد فيها من هوية الضحية، ولعل أقدم مكافأة على فروة الرأس بدلاً من كل الجمجمة تعود إلى عام ١٦٦٤م، وفي ١٢ أيلول سبتمبر من ذلك العام، حيث رصدت المحكمة العامة في مستعمرة ماسوسيتش مكافأة

مختلفة لكل من يأتي بفروة رأس هندي مهما كان عمره أو جنسه، وتختلف المكافآت بحسب مقام الصياد، ٥٠ جنيهاً إسترلينيا للمستوطن العادي، و٢٠ جنيهاً لرجل الميليشيا العادي، و١٠ جنيهات للجندي، ثم تغيرت التعريفة في عام ١٧٠٤م فأصبحت مائة جنيه لكل فروة رأس، ومن المفارقات أن المكافآت المتواضعة التي رصدت كانت لفروة رأس الفرنسي عام ١٦٩٦م وهي ٦ جنيهات، حتى أن المغامر "لويس وتزل" يروى أن غنيمته من فرو رؤوس الهنود لا تقل عن ٤٠ فروة في الطلعة الواحدة، ويعتبر "وتزل" من أبطال التاريخ الأمريكي وما يعرف بعمالقة الثغور!!.

وبدءاً من "وتزل"، صار قطع رأس الهندي وسلخ فروة رأسه من الرياضات المحببة في أمريكا، بل إن كثيراً منهم يتباهى بأن ملابسه وأحذيته مصنوعة من جلود الهنود، وكانت تنظم حفلات خاصة يدعى إليها علية القوم لمشاهدة هذا العمل المثير – سلخ فروة رأس الهندي –، حتى أن الكولونيل جورج روجرز كلارك في حفلة أقامها لسلخ فروة رأس ١٦ هندي طلب من الجزارين أن يتمهلوا في الأداء وأن يعطوا كل تفصيل تشريحي حقه لتستمتع الحامية بالمشاهد [١]، وما يزال كلارك إلى الآن رمزاً وطنياً أمريكياً، وبطلاً تاريخاً، وما يزال من ملهمي القوات الخاصة في الجيش الأمريكي.

ومع تأسيس الجيش الأمريكي أصبح السلخ والتمثيل بالجثث تقليداً مؤسساتياً رسمياً، فعند استعراض الجنود أمام وليم هاريسون – الرئيس الأمريكي فيما بعد – بعد انتصار ١٨١١م على الهنود استعرضوا التمثيل بالضحايا، ثم جاء الدور على الزعيم الهندي "تكوميسه"، وهنا تزاحم صيادو الهنود والتذكارات على انتهاب ما يستطيعون سلخه من جلد هذا الزعيم الهندي أو فروة رأسه، ويروي جون سغدن في كتابه عن "تيكوميسه" كيف شَرَطَ الجنود المنتشون سلخ جلد الزعيم الهندي من ظهره حتى فخذه.

---

[١] راجع اليوميات في (مجموعة ميشجان التاريخية الأصلية: Michigan pioneer and historical colloction) العدد ٩، ١٨٨٦م، (٥٠١، ٥٠٢).

وكان الرئيس أندره جاكسون الذي صورته في ورقة العشرين دولار من عشاق التمثيل بالجثث، وكان يأمر بحساب عدد قتلاه بإحصاء أنوفهم المجدوعة وآذانهم المصلومة، وقد رعى بنفسه حفلة التمثيل بالجثث لـ ٨٠٠ هندي يتقدمهم الزعيم "مسكوجي"، وقام بهذه المذبحة القائد الأمريكي جون شفنغتون، وهو من أعظم أبطال التاريخ الأمريكي، وهناك الآن أكثر من مدينة وموقع تاريخي تخليداً لذكره ولشعاره الشهير "اقتلوا الهنود واسلخوا جلودهم، لا تتركوا صغيراً أو كبيراً، فالقمل لا يفقس إلا من بيوض القمل".

بل إن الأمر وصل كما يقول الجندي الأمريكي "أشبري" إلى حد التمثيل بفروج النساء ويتباهى الرجل بكثرة فروج النساء التي تزين قبعته وكان البعض يعلقها على عيدان أمام منزله.

ثم اكتشف أحد صيادي الهنود إمكانية استخدام الأعضاء الذكرية للهنود كأكياس للتبغ، ثم تطورت الفكرة المثيرة من هواية فردية للصيادين إلى صناعة رائجة، وصار الناس يتهادونه في الأعياد والمناسبات، ولم تدم هذه الصناعة طويلاً بسبب قلة عدد الهنود حيث وصلوا في عام ١٩٠٠م إلى ربع مليون فقط) [١].

يقول هيكل [٢]: (يتنبه الهنود الحمر من سكان أمريكا الأصليين إلى أن المهاجرين البيض الذين نزلوا على شواطئهم لم يعد يكفيهم ما امتدت إليه أيديهم من ذهب وجواهر، وما خطفوه من بنات ونساء! – وإنما هم الآن ينصبون خياماً على الأرض، ويدقون ويحفرون، وقد جاءوا بآلات وبذور – وإذن فهي إقامة وليست زيارة، ويورد "جاك بيتي" وهو محرر كتاب "العملاق"، واحداً من تقارير شركة "فرجينيا" مكتوباً سنة ١٦٢٤م، ومرسلاً إلى جمعية المساهمين بها في لندن، وفيه بالنص:

---

[١] لمزيد من التفاصيل راجع stand hoig في كتاب the sand creek massacars.

[٢] انظر كتاب "كلامٌ في السياسة الزمن الأمريكي من نيويورك إلى كابل وبالعكس".

"إن الخلاص من الهنود الحمر أرخص بكثير من أية محاولة لتمدينهم فهم همج، برابرة، عراة، متفرقون جماعات في مواطن مختلفة، وهذا يجعل تمدينهم صعباً، لكن النصر عليهم سهل، وإذا كانت محاولة تمدينهم سوف تأخذ وقتاً طويلاً، فإن إبادتهم تختصره، ووسائلنا إلى النصر عليهم كثيرة؛ بالقوة، بالمفاجأة، بالتجويع، بحرق المحاصيل، بتدمير القوارب والبيوت، بتمزيق شباك الصيد، وفي المرحلة الأخيرة المطاردة بالجياد السريعة والكلاب المدربة التي تخيفهم لأنها تنهش أجسادهم العارية".

تجارة الرقيق في أمريكا [١]

كان الأفارقة بالنسبة للأمريكان أمثال هارون ليبتس اليهودي لا يختلفون عن الحيوانات أو الدواب، ففي القرن السابع عشر كان نظام تجارة اليهود بالزنوج يقوم على النحو التالي:

١- أقيمت على الأراضي الأفريقية محطات لمندوبي تجار الرقيق لم تكن لتتورع عن استخدام شتى الأساليب (العنف - السكر - الخداع) للقبض على الزنوج وتكبيلهم بالسلاسل والأغلال.

٢- من الولايات المتحدة الأمريكية تأتي السفن المحملة بالكحول، وما أن تفرغ حمولتها من "الماء الناري" حتى تعبأ عنابرها بالأرقاء المساكين، وكان الطعام والماء الذي يقدم لهم من خلال شق ضيق لا يتسع لمرور الإنسان، وقبيل إقلاع السفينة نحو أمريكا كان الربابنة - تجار الرقيق يصفون حسابهم مع المندوبين - تجار الرقيق، حيث كانوا يدفعون لقاء كل زنجي ٤٠٠ ليتر من الكحول المخلوط - على شكل روم في أغلب الأحيان - أو ٤٠ كغ من البارود، أو حتى ١٨ - ٢٠ دولاراً كنقود.

٣- بعد وصول سفن تجار الرقيق إلى أمريكا، كان الزنوج يباعون في شتى أنحاء البلاد عبر شبكة من التجارة المتنوعة، حيث كان سعر الزنجي الواحد يصل إلى الألفي دولار، ولم

---

[١] انظر بحث "لهذا كله ستنقرض أمريكا"، يقول الباحث: "إن التكديس الأول لرأس المال الذي سمح للولايات المتحدة بتطوير اقتصادها بنجاح إنما جاء من تجارة الرقيق واستغلال العبيد ونهب أموال الهنود الحمر وأراضيهم، وليست الخرافات عن المستعمرين الأمريكيين الذين استصلحوا الأراضي بعرق جبينهم إلا ادعاء كاذب، مثلها مثل خرافات الديمقراطية الأمريكية، القسم الأكبر من الأراضي تم استصلاحه من قبل الهنود لا البيض، وحتى في الأراضي التي بدأ المستعمرون البيض العمل فيها من الصفر، كان الفضل في استصلاحها يعود للعبيد".

يأت منتصف القرن الثامن عشر إلا وكان ١٦% من سكان الولايات الشرقية الأمريكية عبيداً – زنوجاً.

كان تجار الرقيق الأمريكان يعزون سبب غلاء أسعار الزنوج بالنسبة لتلك الفترة إلى ارتفاع معدل الوفيات في الطريق من أفريقيا إلى الولايات المتحدة، وبالفعل فإن معطيات المصادر التاريخية تدل على أن نسبة الزنوج الذين كانوا يصلون من أفريقيا إلى الشواطئ الأمريكية سالمين لم تكن تزيد غالباً على العشرة بالمئة، فخلال الفترة ما بين ١٦٦١م – ١٧٧٤م نقل من أفريقيا إلى الولايات المتحدة حوالي المليون من الأرقاء الأحياء، بينما قضى تسعة ملايين في الطريق، ولم يكن دخل تاجر الرقيق الأمريكي من هذه العملية يقل حسب أسعار منتصف القرن الثامن عشر عن المليارى دولار، وهو رقم فلكي بالنسبة لتلك المرحلة.

المذابح الأمريكية في كوريا [١]

ما كادت الحرب الباردة تبدأ حتى شرعت القوات العسكرية الأمريكية تقترف جرائم الحرب، الواحدة تلو الأخرى، ولا سيما خلال أول مواجهة بين المعسكرين الشرقي والغربي، التي جرت على أرض كوريا، وكان الجنرالات الأمريكيون يتبجحون بما ارتكبته أيديهم، حتى أن الجنرال لي مي كيرتز (Curtis LeMay) كان يفتخر بأنه دمر كل مدينة ليس في كوريا الشمالية العدوة لأمريكا فحسب، وإنما كذلك كل مدينة في كوريا الجنوبية حليفة أمريكا، وقد اجتهد الأمريكيون في إقامة المذابح للمدنيين لمجرد الشبهة في التعاطف مع الشيوعيين، وكان أبرز هذه المذابح ما حصل في مجزرتي (نوجن- ري "و" "ديجون") (Nogun-ri و Daejon)، والتي قتل فيها الآلاف ظلماً بذريعة التمرد داخل أحد السجون - وهي ذاتها الذريعة التي تم ترويجها لقتل المسلمين داخل سجن القلعة الأفغاني [٢] -، كما تم إلقاء آلاف الأطنان من القنابل التقليدية والكيماوية على المدن والمنشآت الصناعية والسدود في محاولة مجنونة لكسب الحرب عن طريق إيذاء المدنيين، في مخالفة صريحة ومتعمدة لاتفاقات جنيف التي تدعي أمريكا زوراً الالتزام بها.

وتمثل المحطة الكورية فصلاً آخر من فصول توحش القوة الأمريكية في العالم، ويكفي في هذا السياق أن نشير إلى وصف المفكر الأمريكي ناعوم تشومسكي للمجازر التي تمت على أيدي القوات الأمريكية في كوريا والعديد من دول أمريكا الجنوبية، حيث يقول:

"... عندما دخلت قواتنا كوريا عام ١٩٤٥م عزلت حكومة ذات شعبية معادية للفاشية وقاومت الاحتلال الياباني، وأشعلنا حرباً ضروساً سقط خلالها مائة ألف قتيل.. وفي إقليم واحد صغير سقط ٣٠٠٠٠ - ٤٠٠٠٠ قتيل في أثناء ثورة الفلاحين".

---

[١] انظر كتاب " أمريكا والإبادات الجماعية" لمنير العكش.

[٢] قلعة جانجي بمزار شريف.

اليابانيون ينضمون لقائمة الشعوب المتوحشة [١]

في أربعينات القرن العشرين دخلت اليابان أطلس الشعوب المتوحشة، ففي رسالة وزعتها القيادة الأمريكية على المسئولين أكدت فيها "أن جمجمة الياباني متخلفة عن جمجمتنا – الأنجلوساكسون – أكثر من ألفي سنة"، بينما قال العسكريون الأمريكان: "إن اليابانيين ليس فيهم طيارون مؤهلون وقادرون على التصويب في اتجاه الهدف لأن عيونهم مشوهة ومنحرفة"، ويدل هذا دلالةً واضحة على عنصريتهم البغيضة.

ويروي مراسل حربي في أمريكا [٢]: " لقد قتلنا الأسرى بدم بارد، ومحونا المستشفيات من الوجود، وأغرقنا مراكب الإنقاذ، وقتلنا المدنيين وعذبناهم، وأجهزنا على الجرحى وقدناهم إلى حفر جماعية، وهناك في الهادي سلقنا لحم جماجم أعدائنا – اليابانيين – لنصنع منها دعايات تذكارية توضع على الطاولات، وتهدى إلى الأحباب، أو صنعنا من عظامهم سكاكين لفتح الرسائل".

وقد لاقت هذه الرسائل ترحيباً كبيراً لدى الشعب الأمريكي، حتى أن مجلة لايف نشرت في عام ١٩٤٤م موضوعاً عن الحرب مزيناً بصفحة كاملة لصورة صبية شقراء مبتسمة وهي تقف إلى جانب جمجمة يابانية أرسلها إليها خطيبها من الجبهة!!.

لم تظهر البشاعة الأمريكية خلال الحرب العالمية الأولى، وذلك لقصر المدة التي دخلت فيها أمريكا الحرب ضد ألمانيا وحلفائها والتي لم تتعد العام الواحد، لكن ما إن جاءت الحرب العالمية الثانية حتى اقترفت الجيوش الأمريكية العديد من جرائم الحرب وضد المدنيين العُزَّل بشكل خاص.

---

[١] انظر كتاب " أمريكا والإبادات الجماعية" لمنير العكش.

[٢] مقالة له في (مجلة "أتلانتيك" الشهرية) atlantic monthly.

فقد شارك الأسطول الجوي الأمريكي عبر ما يسمى بالقصف السجادي في تدمير العديد من المدن المكتظة بالسكان والتي لا تمثل أي قيمة عسكرية تذكر، وما تدمير مدينتي روتردام في هولندا ودرسدن في ألمانيا سوى نموذج للهمجية الأمريكية، والتي لا تعرف مكانًا للقيم في منظوماتها العسكرية.

وبلغت هذه الهمجية ذروتها حين تم ضرب مدينتي هيروشيما وناجازاكي اليابانيتين – اللتين لا قيمة عسكرية لهما – بالقنبلة النووية، والتي خلفت دماراً شاملاً لا يمكن وصفه في صفوف المدنيين العزل إضافة إلى المنشآت والبيئة الطبيعية؛ وهذا مما يخالف كل قوانين الحرب – الطاغوتية – التي تدعي أمريكا بهتاناً اتباعها.

وفي أربعينيات القرن الماضي، وتحديدًا مع بدء نشوب الحرب الأوروبية عام ١٩٣٩م، حيث تبنت القوة الجوية الملكية والقوة الجوية للجيش الأمريكي أسلوب القصف الاستراتيجي والتدمير الواسع للمدن باستعمال القنابل الحارقة، أمر الجنرال جورج مارشال – رئيس الأركان الأمريكي آنذاك – مساعديه بتخطيط هجمات حارقة على المدن اليابانية الكثيفة السكان، ومن ثم انطلقت ٣٣٤ طائرة أمريكية لتدمر ما مساحته ١٦ ميلًا مربعًا من طوكيو بواسطة إلقاء القنابل الحارقة، مما أدى إلى مقتل ١٠٠ ألف شخص وتشريد مليون نسمة، بينما وصلت درجة حرارة الماء في القنوات إلى درجة الغليان، وذابت الهياكل المعدنية، وتلاشت الأجساد في ألسنة من اللهب، ولم تكن طوكيو وحدها هي التي تعرضت لتلك الهجمات الأمريكية الوحشية، فقد تكرر هذا السيناريو في ٦٤ مدينة يابانية أخرى، فضلًا عن دك هيروشيما وناجازاكي بقنبلتين ذريتين حصدتا عشرات الآلاف من الأرواح، وأهلكتا الزرع والضرع، رغم أن الحرب كانت قد وضعت أوزارها بالفعل!!

حرب فيتنام.. نموذج الدموية الأمريكية [١]

وجاءت حرب فيتنام لتكشف أكثر من أي وقت مضى وحشية وقبح الطوية الأمريكية، فقد عرفت هذه الحرب حضوراً قوياً لوسائل الإعلام وخاصة الأمريكية منها، ورغم أن الحضور الإعلامي بقي مدجناً لوقت طويل حيث كان يسير وفق مزاج القادة العسكريين، إلا أن هول الفظائع التي قام بها الجنود الأمريكيون وكثرتها وتكرارها المتعمد جعل الكيل يطفح، فبدأت الأنباء تتسرب إلى العالم الخارجي بأن حرب فيتنام هي حرب إبادة ضد الشعب الفيتنامي الأعزل الذي كان يموت دون حتى أن يدري لماذا!

وظلت القوات الأمريكية فيما بين ١٩٦٥م و ١٩٧٥م ترمي ملايين الأطنان من القنابل الكيماوية المسماة (Agent Orange) وتعني: (قنابل العامل البرتقالي) والتي لم تكتف بقتل مئات الآلاف من البشر، بل وتسببت في قتل كل أشكال الطبيعة في العديد من المناطق الفيتنامية، ولجأ الطيران الأمريكي مراراً وتكراراً إلى القصف السجادي الذي يعتبر ممنوعاً في قوانين الحرب لديهم، لدرجة أن القصف الأمريكي ضد مدينتي هانوي وهايفونغ سنة ١٩٧٢م يعتبر حالة دراسية لنموذج القصف السجادي الممنوع دولياً، كما أن مجزرة ماي لاي التي حصلت في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٦٩م والتي اعترفت بها القيادة الأميركية واعتقلت مرتكبها الملازم "كالي" على مضض ليتم إطلاق سراحه فيما بعد، أكدت للعالم أجمع ماهية "الحرب العادلة" الأمريكية وحقيقتها الشيطانية.

الفيتناميون نمل أبيض:

وبعد أقل من عقدين مضيا على نشر صورة الحسناء الأمريكية والجمجمة اليابانية التي أرسلها لها خطيبها الأمريكي من على الجبهة في مجلة لايف، وصف الجنرال "وستمورلند"

---

[١] انظر كتاب " أمريكا والإبادات الجماعية " لمنير العكش.

الشعب الفيتنامي بالنمل الأبيض، والنملة البيضاء أخطر حشرة يخشى الأمريكي أذاها..!!، وكان "هيوه مانكه" رئيس قسم المتطوعين الدولية في شهادة له أمام الكونجرس ١٩٧١م قد أكد على عزم القوات الأمريكية على إبادة فيتناميي الجبل، فقال: "إننا سنحل مشكلتهم كما فعلنا مع الهنود"، بينما قال "ماكسويل تايلور" وهو يصف الفييتكونغ في شهادة له أمام الكونجرس: "إن الفيتناميين ليسوا بأفضل من قمل يغزو جلد الكلب".

وكانت قناة التاريخ (history) التليفزيونية الأمريكية قد عرضت في ٣ تموز ١٩٩٦م شكلاً حياً من مشاهد السلخ في فيلم وثائقي بعنوان "قيام العنقاء"، نرى فيه الجنود الأمريكان في فيتنام وهم يقطعون رؤوس الفييتكونغ ويعرضونها في مهمة أشرفت عليها وكالة الاستخبارات المركزية في أواخر عام ١٩٦٧م، وأطلقت عليها اسم "العنقاء" (operation phoenix)، وقد أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية أن عدد ضحايا عملية العنقاء وحدها وصل إلى (٢٦٣٦٩) قتيل، و (٣٣٣٥٨) معتقل، بينما يؤكد روي بروسترمن "أستاذ القانون في جامعة واشنطن أن عملية العنقاء شملت "فيتنام – والفلبين – والسلفادور"، وبلغ عدد ضحايا فيتنام وحدها في الفترة بين ١٩٦٨م – ١٩٧١م، ما يزيد عن ٤٠ ألف قتيل، وأكثر الضحايا كانوا من المدنيين والمعتقلين جزاء التعذيب.

ويروي "بارتون" أحد ضباط عملية العنقاء في شهادته أمام الكونجرس عام ١٩٧٣م: "كنت أنظر في قضية مشتبه، يقول أحد عملائي أنه متعاطف مع الفييتكونغ، وكان التحقيق يجرى في مجمع بالتجسس المضاد لفرق المارينز، وحين دخلت لمتابعة ما يجري كان الرجل قد فارق الحياة بعد أن دكوا في فتحة أذنه سيخاً حديدياً طوله ٦ بوصات اخترق دماغه وقتله.. لقد كانت حرب إبادة منظمة".

وتصف مجلة (كنتري سباي) (country spy) في عددها ربيع صيف ١٩٧٥م عملية العنقاء بأنها أكبر برنامج للقتل الجماعي المنظم يشهده العالم منذ معسكرات الموت النازية، فتقول: "في ١٦ آذار مارس ١٩٦٨م دخلت مجموعة من الكتيبة ١١ إلى قرية (ماي لاي)

فقتلت ٣٤٧ عجوزاً وامرأة وطفلاً رضيعاً، ثم إن المشاة أحرقوا البيوت والأكواخ بمن فيها من البشر، وهنأ الجنرال "وستمولند" هذه المجموعة لعملها "الممتاز"، وفي يوم المجزرة نفسه هاجمت مجموعة أخرى من الكتيبة قرية (ماي خه٤) وفتحت نيرانها على طريقة الكابوي، وفي هذه المجزرة تولت مجموعة صغيرة من الجنود تكويم الجثث".

وفي اليوم التالي زحفت هذه المجموعة عبر شبه جزيرة "باتنغن" جنوب بحر الصين، وراحت تحرق كل قرية تعبرها وتقتل كل ما يدب فيه الروح من الجواميس والخنازير والبط والدجاج والبشر وتدمر المحاصيل، وقال أحد جنود هذه المجزرة: "ما فعلناه هنا ليس استثناء، لقد فعلناه في كل مكان" وقال آخر: "لقد كنا نتسلى".

وعن مذبحة (ماي لاي) يروي سيمور هيرش الكاتب الأمريكي [١]: "أن الطيار هيو تومسون كان يحلق بطائرته الهليوكوبتر الصغيرة صباح ١٦ آذار مارس ١٩٦٨م فوق منطقة ماي لاي، وما إن اقترب من قرية سونغ ماي حتى رأى الأرض مزروعة بالقتلى والجرحى من دون إشارة تدل على وجود قوة معادية في المنطقة التي تقع داخل فيتنام الجنوبية الحليفة التي تستضيف الجيش الأمريكي والضحايا كلهم من مواطنيها، وظن الطيار أن أفضل ما يستطيع فعله هو تحديد المكان بالدخان حتى يسرع الجنود على الأرض للنجدة والمساعدة، وكان أول ما فعل أن حدد مكان فتاة مصابة بطلقات في بطنها ومبطوحة على حافة السياج فيما كان نصفها السفلي فوق حقل الأرز، ولدهشته فإن الجنود أسرعوا إلى الفتاة ليجهزوا عليها لا ليسعفوها، فقد أفرغوا في رأسها عدة طلقات".

ويقول أحد مساعدي تومسون: "إن الجثث كانت كالنمل، كأن هناك من سمم مياه الشرب، وكأن كل من في القرية شرب من هذه المياه المسمومة وسقط صريعاً، لقد استغرق دفن القتلى أكثر من خمسة أيام"!!.

---

[١] الكلام عن المذبحة مقتبس من كتابيه (كفر أب)، (مي لي) (my lai4 – cover up).

وكان جوزيف ستريك قد أجرى لقاءات مطولة مع جنود هذه المذابح لتوثق لعام ١٩٧١م، فقال فردانو سمبسون: "كانوا يمثلون بالجثث وبكل شيء، كانوا يشنقونها أو يسلخونها، وكانوا يستمتعون بذلك، يستمتعون بكل معنى الكلمة، وكانوا يتلذذون بقطع حناجرهم".

وهذه مجزرة أخرى لم يكن أحد يذكرها لولا أن بطلها أصبح عضواً في مجلس الشيوخ، وقد ارتكبها السيناتور "بوب كيري" في شباط فبراير ١٩٦٩م، عندما كان ضابطاً بحرياً متطوعاً في حرب فيتنام ونال جزاء بطولتها وسام النجم البرونزي، ويروي "غيرهارد كلان" أحد الذين شاركوا في هذه المجزرة كيف كان أن السناتور بوب كيري الذي كان يعده الحزب الديمقراطي لخوض انتخابات الرئاسة المقبلة قادهم في تلك الليلة إلى قرية ثونه فونغ حيث جمعوا ١٣ امرأة وطفلاً وأطلقوا عليهم النار بدم بارد، وكيف أنهم بعد سقوط القتلى سمعوا طفلاً يبكي بين الضحايا فعاجلوه بالرصاص الكثيف، وقال إنهم بينما كانوا في طريقهم إلى مكان المجزرة مروراً بكوخ فيه عجوزان وثلاثة أطفال، فطعنوهم جميعاً بالسكاكين ثم قطعوا حناجرهم" [١].

ويؤكد الراهب البوذي الفيتنامي ثيتش ثين هاو أن "حرب فيتنام تسببت بحلول منتصف عام ١٩٦٣م في مقتل (١٦٠) ألف شخص، وتعذيب وتشويه (٧٠٠) ألف شخص واغتصاب ٣١ ألف امرأة، كما نزعت أحشاء (٣٠٠٠) شخص وهم أحياء، وأحرق (٤٠٠٠) حتى الموت، ودمر ألف معبد، وهوجمت ٤٦ قرية بالمواد الكيماوية السامة".

كما أدى القصف الأمريكي لهانوي وهايفونغ عام ١٩٧٢م إلى إصابة أكثر من (٣٠) ألف طفل بالصمم الدائم.

---

[١] "النيويورك تايمز" في أواخر نيسان ٢٠٠١م.

وبينما عانى الأمريكيون بعد الحرب من فقد (٢٤٩٧) جنديًا - بحسب أحد التقديرات -، كانت العائلات الفيتنامية تكافح للتكيف مع فقد (٣٠٠) ألف فيتنامي، فضلًا عن أن عدد القتلى في فيتنام بلغ ٤ ملايين شخص، إلى جانب عدة ملايين آخرين من المعوقين والمصابين بالعمى والصدمات والتشوه، مما حول فيتنام إلى ساحة كبرى للقبور ومبتوري الأعضاء والأرض المسممة واليتامى والأطفال المشوهين" [١].

ويصف المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي أساليب أمريكا، فيقول: "ولم تكن الأساليب طبيعية جداً، فلم يكن عمل القوات التي حركناها في نيكاراجوا أو عمل وكلائنا الإرهابيين في السلفادور أو جواتيمالا هو القتل العادي، ولكن كان بصفة رئيسية القسوة والتعذيب السادي: تعليق النساء من أقدامهن بعد قطع أثدائهن وفض بكارتهن، وقطع رؤوس الناس وتعليقها على خوازيق، ورطم الأطفال بالحوائط...، وبين عامي ١٩٥٢م و ١٩٧٣م ذبحت الولايات المتحدة زهاء عشرة ملايين صيني وكوري وفيتنامي ولاووسي وكمبودي، ويمتد السجل الأسود ليشمل التواطؤ الأمريكي الواضح في المجازر الإندونيسية والحروب ضد الفقراء في أمريكا الوسطى (نيكاراغوا والسلفادور وغواتيمالا وهندوراس)، والذي أسفر عن مقتل مئات الآلاف بواسطة الأسلحة الأمريكية وتسهيل وتوفير التدريب وتقديم المشورة الأمريكية في الاضطرابات المدنية، وهو نفس السيناريو الذي كررته السياسة الأمريكية الرعناء في أفريقيا حين سعت إلى تأجيج واستمرار الصراع الدامي في أنجولا وموزمبيق وناميبيا وغيرها من دول القارة السمراء.

---

[١] تؤكد مجلة نيويورك تايمز في مقالة نشرت في ١٩٩٧/١٠/٨م أن العدد الحقيقي للضحايا الفيتناميين بلغ ٦,٣ مليون قتيل، وفي بعض التقارير تم إثبات إنه بين عامي ١٩٥٢م - ١٩٧٣م، قتل الأمريكيون زهاء عشرة ملايين صينيي وكوري وفيتنامي وروسي وكمبودي، وفي غواتيمالا قتل الجيش الأمريكي أكثر من ١٥٠ ألف مزارع في الفترة ما بين ١٩٦٦م و ١٩٨٦م.

كما امتدت التدخلات غير المشروعة للقوات الأمريكية إلى مساندة ودعم أعمال القمع التي ارتكبها الطغاة الذين دعمتهم أمريكا عبر العقود المختلفة (سوموزا وبينوشيت وماركوس وموبوتو وباتيستا وداييم وكي وري ودوفاليه وسوهارتو وسافيمبي وغيرهم)، ويكفي في هذا السياق أن نشير إلى مثال واحد – من بين أمثلة عديدة –، حيث قام الجنود الذين دربتهم الولايات المتحدة عام ١٩٨١م بذبح نحو (١٠٠٠) فلاح أعزل، و (١٣٩) طفلًا في جواتيمالا، كما قتل الجيش الأمريكي المدرب في جواتيمالا أكثر من (١٥٠) ألف فلاح خلال الفترة من عام ١٩٦٦م إلى ١٩٨٦م.

أمريكا و"الحرب القذرة" لجنوب الفليبين

عملت المخابرات المركزية الأمريكية على الاعتماد على مانيلا كقاعدة إقليمية في منطقة جنوب شرق آسيا التي تجمعها رابطة آسيان منذ السنوات الأولى لتأسيس دولة الفليبين وحتى عام ١٩٩٢م على الأقل، وكانت منذ وقت مبكر تتبع تفاصيل تحركات الحكومة الفليبينة، فالمخابرات الأمريكية لا تعمل في جمع المعلومات فحسب، ولكنها تقوم بعمليات تخريب وتدخل في سيادة الفليبين وقراراتها وسياساتها القومية، وقد أكد وكلاء المخابرات السابقين استغلال القسم السياسي في السفارة الأمريكية والغطاء الدبلوماسي في تسيير أعمالها، كما تستغل المخابرات الأمريكية مؤسسات أمريكية أخرى في الفليبين لأعمالها الإقليمية، ولما كانت المقاومة الفلبينية مستعرة – ولا سيما مقاومة المسلمين هناك – خاصة بعدما رفض الأهالي استبدال استعمار بآخر أكثر دموية.

حينها لجأت القوات الأمريكية إلى وحشية منقطعة النظير حيث لم تفرق بين مسن وامرأة ورضيع حسب الشهادات المتواترة الكثيرة، والتي انتهت بعد ثلاث سنوات إلى إبادة مئات الآلاف من المدنيين العزل [١].

---

[١] للاستزادة حول موضوع المسلمين في الفلبين يرجع لرسالة باسم (الفلبين ومخالب الصليب) من إصدار مركز مورو للإعلام الإسلامي.

دعم الولايات المتحدة لليهود الصهاينة [١]

الدعم السياسي:

١- بعد إعلان وعد بلفور المشؤوم في ٢ نوفمبر ١٩١٧م قال الرئيس الأمريكي ولسن في بيان للشعب الأمريكي: "أنا مقتنع بأن دول الحلفاء بالاتفاق مع حكومتها وشعبها قد اتفقت على أن ترسي في فلسطين أسس كومنولث يهودي".

٢- في ١١ سبتمبر عام ١٩٢٢م: قرر مجلس الشيوخ والنواب الأمريكي في جلسة مشتركة إظهار العطف في إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

٣- في ١١ مايو عام ١٩٤٢م: عقد المؤتمر الصهيوني العالمي في فندق بولتيمور في نيويورك واتخذ قراراً بتحويل فلسطين إلى دولة يهودية، وإجلاء العرب - المسلمين - عنها إذا عارضوا ذلك، وأسرع الرئيس الأمريكي روزفلت وأعلن تأييده القرار اليهودي.

٤- في ١٦ مارس ١٩٤٥م: اجتمع الرئيس الأمريكي روزفلت مع الزعيم الصهيوني د. ستيفن وايز، وخوّله أن يقول أن الرئيس قد أوضح موقفه إزاء الصهيونية في خطاب كتب في أكتوبر ١٩٤٤م، هذا الخطاب كان قد أرسله الرئيس إلى النائب الديمقراطي عن ولاية نيويورك بمجلس الشيوخ واجنر، وتضمن موافقة الرئيس الكاملة على برنامج الحزب الديمقراطي عام ١٩٤٤م، وهو البرنامج الذي أيد حرية الهجرة اليهودية دون قيد أو شرط إلى فلسطين وإقامة دولة يهودية.

٥- في ١٦ أغسطس ١٩٤٥م: أعلن الرئيس الأمريكي ترومان في مؤتمر صحفي تأييده للسماح بدخول أكبر عدد ممكن من اليهود إلى فلسطين.

---

[١] هذه الإحصائية أجراها أحد الباحثين ونشرت على الشبكة العنكبوتية.

٦- في ٣١ أغسطس ١٩٤٥م: بعث الرئيس الأمريكي ترومان برسالة إلى رئيس الوزراء البريطاني كلمنت أتلي يطلب فيها السماح لمائة ألف آخرين من اليهود الناجين من خطة الإبادة النازية المدعاة في أوروبا بدخول فلسطين.

٧- في ٥ يونيو ١٩٤٦م: قام ترومان رئيس الولايات المتحدة بحثّ رئيس الوزراء البريطاني اتلي على قبول المائة ألف شخص المشردين في فلسطين، وعرض استخدام السفن الأمريكية في المساعدة على توفير وسائل الانتقال اللازمة لهم.

٨ - في ١٤ أكتوبر ١٩٤٦م: أصدر الرئيس الأمريكي ترومان بياناً يدعو إلى هجرة يهودية كبيرة إلى فلسطين دون انتظار التوصل إلى تسوية دائمة لمستقبل انتداب فلسطين.

٩- في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م: بذلت الولايات المتحدة جهوداً مكثفة في الضغط على عدد من الدول لحملها على التصويت إلى جانب تقسيم فلسطين وخصوصاً مندوبي هايتي وليبريا وسيام، ولولا تحول هذه الدول من الرفض إلى الموافقة لفشل اقتراح التقسيم.

١٠- في ١٤ مايو ١٩٤٨م: عند إعلان قيام الكيان الصهيوني سارع بعد عشر دقائق الرئيس الأمريكي ترومان بالإعلان عن اعتراف الولايات بهذا الكيان وتأييده.

١١- ٢٩ مايو ١٩٦٥م: قررت لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الأمريكي خفض ما تسهم به الولايات المتحدة في ميزانية وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين بنسبة ٥%.

١٢- ١٢ يونيو ١٩٦٦م: طلبت الحكومة الأمريكية من الأمم المتحدة وقف تقديم المساعدات إلى اللاجئين الفلسطينيين الذين يتلقون تدريباً عسكرياً وشطب أسمائهم من قائمة الأشخاص الذين يحصلون على مساعدات من وكالة إغاثة اللاجئين.

١٣- ٢ أغسطس ١٩٦٦م: أعلن الرئيس جونسون أن سياسة الولايات المتحدة تقوم على تأييد أمن إسرائيل والإبقاء على الوضع الراهن في الشرق الأوسط.

١٤- ٣ أكتوبر ١٩٦٦م: الولايات المتحدة تقدم مشروع قرار لمجلس الأمن يدعو فيه كلاً من سوريا وإسرائيل إلى الامتناع عن اتخاذ أي إجراء من شأنه زيادة حدة التوتر في منطقة الشرق الأوسط، وقد استخدم الاتحاد السوفيتي حق الفيتو لنقض القرار، وقال المندوب السوفيتي إن الفقرة التي تضمنها مشروع القرار ودعا فيها الحكومة السورية إلى تعزيز ما تتخذه من تدابير لمنع وقوع حوادث تشكل انتهاكاً لاتفاقية الهدنة العامة من شأنها تشجيع إسرائيل على السير في طريقها العدواني، وتزيد الموقف تعقيداً في منطقة الشرق الأوسط.

١٥- ١٣ يوليو ١٩٦٨م: استثنى الكونجرس الأمريكي إسرائيل من الإجراءات النامية التي ستتخذ للحد من المساعدات العسكرية والاقتصادية للدول التي تستخدم المساعدات في شراء الأسلحة الحديثة.

١٦- ٦ مارس ١٩٧٢م: اعترف مساعد وزير الدفاع الأمريكي أن هناك اعتبارات استراتيجية هي التي دعت إلى اختيار اليونان كقاعدة للأسطول السادس، وأنه بدون ذلك ستتعرض إسرائيل لخطر بالغ.

١٧- في يوليو ١٩٧٢م: أقر المؤتمر القومي للحزب الديمقراطي البرنامج السياسي للحزب، وقد تضمن البرنامج التعهد بإمداد إسرائيل بالطائرات والمعدات العسكرية الأخرى التي تحتاج إليها للمحافظة على قوتها الرادعة، وتعهد الحزب في برنامجه بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل.

١٨- ٤ يوليو ١٩٧٢م: وجه الرئيس نيكسون رسالة إلى المنظمة الصهيونية الأمريكية قال فيها إنه قد أشار بوضوح خلال محادثاته مع القادة السوفيت إلى التزام الشعب الأمريكي بضمان بقاء إسرائيل.

١٩- ١٧ أغسطس ١٩٧٢م: أكد البيان السياسي للحزب الجمهوري الأمريكي أن الحزب يؤيد حق إسرائيل وشعبها في الحياة وتعهد الحزب بأن الولايات المتحدة ستواصل العمل من أجل الحيلولة دون قيام عدم توازن عسكري يعرض السلام للخطر في المنطقة وذلك عن طريق تزويد إسرائيل بالمساعدات الضرورية لأمنها.

٢٠- ٧ فبراير ١٩٧٣م: وافق ٨٠ % من أعضاء الكونجرس الأمريكي على مشروع قانون يقضي بحرمان الاتحاد السوفيتي من التمتع بحقوق الدولة الأكثر رعاية، إلا في حالة إلغاء الضرائب على هجرة اليهود السوفيت لإسرائيل.

٢١- في يونيو ١٩٧٥م: وافق مجلس النواب الأمريكي بأغلبية ٢١ صوتاً ضد ٨ أصوات على تعديل يلغي بمقتضاه اعتماد مبلغ ٢٢/٣ مليون دولار من المخصصات الأمريكية التي تقدم لمنظمة العمل الدولية، واحتجاجها على التحرك المضاد لإسرائيل الذي تقوم به المنظمة الدولية.

٢٢- ١٧ يوليو ١٩٧٥م: وافق مجلس الشيوخ الأمريكي على مشروع قرار ينتقد بشدة الجهود التي تبذل من جانب بعض الدوائر لطرد إسرائيل من الأمم المتحدة.

٢٣- ٢٣ أغسطس ١٩٧٥م: قدم ٥٠ عضواً من أعضاء الكونجرس مذكرة يعلنون فيها معارضتهم لطرد أو وقف عضوية إسرائيل في الجمعية العامة.

٢٤- ١٩ يناير ١٩٧٦م: أرسلت الحكومة الأمريكية إلى الكونجرس مشروع قانون يحظر على جميع الشركات التي تعمل في الولايات المتحدة الاشتراك في مقاطعة إسرائيل.

٢٥- ٩ يوليو ١٩٧٦م: أعلن هنري كيسنجر أن الولايات المتحدة تؤيد شرعية الغارة الإسرائيلية على مطار عنتيبي لإنقاذ الرهائن المحتجزين.

٢٦- ٢٦ سبتمبر ١٩٧٨م: صرح المسؤولون في وزارة الخارجية الأمريكية بأن معدل هجرة اليهود السوفيت خلال هذا العام ارتفع إلى ٢٠ ألف يهودي سنوياً في أعقاب التعديل في اتفاقيات التجارة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة والذي ربط بين الهجرة لليهود السوفيت إلى فلسطين المحتلة وحصول الاتحاد السوفيتي على تسهيلات تجارية.

٢٧- ١ يناير ١٩٧٩م: نشرت الحكومة البريطانية الوثائق السرية الخاصة بانتهاء فترة الانتداب البريطاني على فلسطين عام ١٩٤٨م، وقد أوضحت اضطرارها إلى التخلي عن فلسطين بسبب فشلها في إثبات سياسة مؤيدة للعرب في مواجهة الولايات المتحدة والحلفاء الغربيين.

٢٨- يناير ١٩٧٩م: أكد الرئيس الأمريكي خلال اجتماعه مع زعماء الطائفة اليهودية الأمريكية أن الولايات المتحدة لا تزال على رفضها إجراء أية اتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية.

٢٩- ٧ يونيو ١٩٨٢م: قررت مجموعة عمل أمريكية برئاسة نائب الرئيس الأمريكي استبعاد فرض عقوبات ضد إسرائيل.

٣٠- ١٢ يونيو ١٩٨٢م: صرح الكسندر هيج وزير الخارجية الأمريكية بأن الولايات المتحدة لا تطالب إسرائيل بانسحاب فوري من لبنان.

٣١- ١٥ أكتوبر ١٩٨٢م: قررت الولايات المتحدة وقف مساهمتها في ميزانية الوكالة الدولية للطاقة الذرية لوقف عضوية إسرائيل بها.

٣٢- ١١ ديسمبر ١٩٨٢م: أكد المتحدث باسم الخارجية الأمريكية أن العلاقات بين الولايات المتحدة وإسرائيل لا تزال وثيقة وأنه لا توجد أزمة ثقة بين البلدين.

٣٣- ٢١ فبراير ١٩٨٣م: طالب الرئيس الأمريكي ريغان الدول العربية بقبول إسرائيل كأمر واقع.

٣٤- ١٩ أكتوبر ١٩٨٣م: هددت الولايات المتحدة بالانسحاب من الأمم المتحدة ووقف مساهمتها المالية في المنظمة الدولية إذا رفضت الجمعية العامة قبول أوراق اعتماد المندوب الإسرائيلي.

٣٥- ١٩ أكتوبر ١٩٨٣م: أعلنت الحكومة الأمريكية أنها قررت توثيق علاقاتها بإسرائيل وإغلاق كافة ملفات الخلافات معها حول الدور الإسرائيلي في لبنان.

٣٦- ١٢ نوفمبر ١٩٨٣م: أكد الرئيس ريغان للرئيس الإسرائيلي التزام واشنطن الذي لا يتزعزع بأمن إسرائيل.

٣٧- ٤ ديسمبر ١٩٨٣م: أكد الرئيس الأمريكي ريغان أن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية تزداد قوة وتعهد بوقوف أمريكا بجانب إسرائيل عند أي تهديد لأمنها.

٣٨- ٢٠ سبتمبر ١٩٨٤م: هددت الولايات المتحدة بالانسحاب من الاتحاد البرلماني الدولي إذا أصدر الاتحاد قراراً يعتبر الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية.

٣٩- ١ أكتوبر ١٩٨٤م: وافقت اللجنة الفرعية للعلاقات الخارجية في الكونجرس الأمريكي على مشروع قرار بنقل السفارة الأمريكية ومقر السفير الأمريكي في فلسطين المحتلة من تل أبيب إلى القدس في أقرب وقت ممكن.

٤٠- ٢٨ أكتوبر ١٩٨٤م: أبلغ الرئيس ريغان مؤتمراً لليهود الأمريكيين بأن إسرائيل حليف استراتيجي وصديق مقرب لأمريكا، وأدان الذين يساوون بين جمال الصهيونية وقبح العنصرية، وقال إنه بقيام إسرائيل تمكن اليهود من إعادة قيام حكمهم الذاتي في أرضهم التاريخية.

٤١- ١٥ مايو ١٩٨٥م: أكد وزير الخارجية الأمريكي استمرار معارضة واشنطن لإنشاء دولة فلسطينية مستقلة.

٤٢- ١٦ فبراير ١٩٨٧م: وقع الرئيس الأمريكي ريغان تشريعا يعطي لإسرائيل مزايا الدول الأعضاء في حلف الأطلنطي دون أن تكون عضواً في الحلف.

٤٣- ١٦ فبراير ١٩٨٨م: أعلن المتحدث باسم البيت الأبيض الأمريكي أن السياسة الأمريكية ما زالت تتمثل في الدعوة إلى التنازل عن الأرض مقابل السلام في فلسطين المحتلة.

٤٤- ١٧ مايو ١٩٨٨م: أعلن الرئيس الأمريكي ريغان ووزير خارجيته جورج شولتز في بيانين منفصلين أن أية تسوية سلمية لنزاع الشرق الأوسط يجب أن تلتزم بمبدأ الأرض مقابل السلام.

٤٥- ٢٧ يوليو ١٩٨٨م: وافق مجلس الشيوخ الأمريكي على قرار يتيح للولايات المتحدة نقل سفارتها في إسرائيل من تل أبيب إلى القدس.

٤٦- ٢٨ يوليو ١٩٨٨م: وافق مجلس الشيوخ الأمريكي على تعديل يقضي بتخصيص اعتمادات لبناء مبنيين للسفارة الأمريكية في فلسطين المحتلة أحدهما في تل أبيب والآخر في القدس.

٤٧- ٥ أكتوبر ١٩٨٨م: قررت الحكومة الأمريكية منح الحصانة الدبلوماسية لأعضاء بعثة مكتب المشتريات العسكرية الإسرائيلي في واشنطن.

٤٨- ٢ نوفمبر ١٩٨٨م: صرّح أحد مساعدي الرئيس الأمريكي المنتخب جورج بوش بأن الأخير يرى أن التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل هو مفتاح السلام في الشرق الأوسط.

٤٩- ٢٢ يونيو ١٩٨٩م: أكد الرئيس الأمريكي جورج بوش لأعضاء الكونجرس المؤيدين لإسرائيل تأييد الولايات المتحدة المطلق والثابت لدولة إسرائيل.

٥٠- ٧ فبراير ١٩٩٠م: حث الرئيس الأمريكي جورج بوش الاتحاد السوفيتي على تطبيع العلاقات مع إسرائيل والسماح بنقل اليهود السوفيت إلى إسرائيل عبر رحلات جوية مباشرة بين موسكو وتل أبيب.

٥١- ٢٢ فبراير ١٩٩٠م: أيد ٨٤ عضواً من أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي (١٠٠ عضو) مشروع قرار يدعو إلى الاعتراف بمدينة القدس عاصمة لإسرائيل.

٥٢- ٣ أبريل ١٩٩٠م: أعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش تأييده القوي لهجرة اليهود السوفيت، ووصفها بأنها الخروج الذي يشهده العصر الحديث لليهود، وبأنها حدث كبير لكل من يبتهج من أجل حرية الإنسان، وتعهد بالاستمرار في القيام بكل ما هو ضروري لتمكين اليهود السوفيت من الوصول إلى إسرائيل بما في ذلك الضغط من أجل تنظيم رحلات جوية مباشرة لنقلهم.

٥٣- ٢٣ أبريل ١٩٩٠م: وافق مجلس النواب الأمريكي على اعتبار القدس عاصمة لإسرائيل.

٥٤- ١٨ يونيو ١٩٩٠م: أقر مجلس النواب الأمريكي قراراً كان قد وافق عليه مجلس الشيوخ يقضي بمطالبة الدول الأعضاء في الأمم المتحدة بإلغاء قرارها الخاص بمساواة الصهيونية بالعنصرية.

٥٥- ١٩ يونيو ١٩٩٠م: اتخذ الكونجرس الأمريكي بمجلسيه الشيوخ والنواب قراراً مشتركا يطالب الحكومة الأمريكية بدعوة الدول الأعضاء في الجمعية العامة للأمم المتحدة باتخاذ إجراء فوري لإلغاء قرارها الصادر عام ١٩٧٥م والذي يعتبر الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية.

٥٦- ١٢ ديسمبر ١٩٩٠م: أعلنت الإدارة الأمريكية أن موسكو ستحصل على قرض بمليار دولار بعد أن سمحت بهجرة ٣٦٠ ألف يهودي سوفيتي في العام الماضي.

٥٧- ١٩ يونيو ١٩٩١م: قرر مجلس النواب الأمريكي وقف المساعدات العسكرية الأمريكية للأردن إلا إذا اعترف الأردن بإسرائيل والتزم بإجراء مفاوضات مباشرة معها.

٥٨- ١٤ يوليو ١٩٩٣م: قال وزير الدفاع الأمريكي: "إن الإدارة الأمريكية ملتزمة بمساعدة إسرائيل على مواجهة التهديدات وعازمة على تقوية الشراكة الاستراتيجية الأمريكية الإسرائيلية كي تكون إسرائيل - على حد زعمه — آمنة".

٥٩- أكتوبر ١٩٩٥م: وافق مجلسا الشيوخ والنواب الأمريكان على قانون ينص على أن من حقائق السياسة الخارجية الأمريكية ضرورة بقاء القدس عاصمة موحدة لإسرائيل، وأنه لا بد من نقل السفارة الأمريكية إلى المدينة بحلول مايو ١٩٩٩م.

٦٠- ١٤ فبراير ١٩٩٧م: أثار نتنياهو ما تردد عن مشروع بيع نحو ١٠٠ طائرة أمريكية (أف ١٦) (للعربية السعودية)، واعتبر أن إتمام هذا المشروع من شأنه الإخلال بالتوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط، فأكد كلينتون لنتنياهو أن واشنطن سترد على مطلب محدد من الرياض لما يضمن الحفاظ على مصالح إسرائيل، وجدد بهذه المناسبة التزام أمريكا وتصميمها الأكيد على ضمان أمن الدولة العبرية كما أشار كلينتون بأن التعاون العسكري الكبير والقديم بين واشنطن والرياض قد ساهم في الحفاظ على أمن إسرائيل.

٦١- ٢٨ ابريل ١٩٩٨م: أشاد كلينتون بحرارة بإسرائيل في الذكرى الخمسين لإعلانها، وقال في احتفال أقيم في حدائق البيت الأبيض: "لقد عشنا إحدى اللحظات المجيدة في تأريخنا بأننا كنا أول من اعترف بإسرائيل".

٦٢- ١٦ يونيو ١٩٩٨م: قال كلينتون: - على إثر عملية للمجاهدين الفلسطينيين - "إنني وباسم جميع الأمريكيين أعبر عن تعاطفي مع الشعب الإسرائيلي الذي كان مرة أخرى صباح اليوم هدفاً لعمل إرهابي مشين"!!.

٦٣- ٢٣ فبراير ١٩٩٩م: اعتبر ازريك مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأوسط والذي كان يتحدث في ندوة أعدها المجلس اليهودي للشؤون العامة: "أن تحقيق السلام بين سوريا وإسرائيل يخدم المصالح الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة".

استخدام الولايات المتحدة لحق الفيتو [١] دعمًا لليهود الصهاينة:

١- عام ١٩٦٧م: استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو في مجلس الأمن التابع لهيئة الأمم المتحدة للحيلولة دون نص قرار وقف إطلاق النار أثناء حرب يونيو على انسحاب القوات المتحاربة إلى خطوط الهدنة السابقة.

٢- ١٠ سبتمبر ١٩٧٢م: الولايات المتحدة تستخدم حق الفيتو ضد قرار تقدمت به كل من الصومال وغينيا ويوغسلافيا يطالب بوقف العمليات الحربية في الشرق الأوسط بعد شكوى سوريا ولبنان.

٣- ٢٦ يوليو ١٩٧٣م: الولايات المتحدة تعترض على مشروع قرار تقدمت به الهند واندونيسيا وبنما وبيرو والسودان ويوغسلافيا وغينيا يعلن الأسف على احتلال إسرائيل للأراضي العربية.

---

[١] الفيتو هو النقض، وحق الفيتو المراد به: الحق الذي تمتلكه الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن لنقض أي قرار يصدره المجلس ولو كان بالإجماع.

٤- ٢٥ يناير ١٩٧٦م: استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو على قرار تقدمت به باكستان وبنما وتنزانيا ورومانيا في ٢٣ يناير ينص على حق الشعب الفلسطيني في ممارسة حق تقرير المصير وفي إقامة دولة حرة في فلسطين وفقاً لميثاق الأمم المتحدة، وضرورة انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة منذ يونيو ١٩٦٧م.

٥- ٢٥ مارس ١٩٧٦م: استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو ضد قرار تقدمت به مجموعة من دول العالم الثالث يطلب من إسرائيل الامتناع عن أية أعمال ضد السكان العرب في الأراضي المحتلة.

٦- ٢٩ يونيو ١٩٧٦م: استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو ضد قرار تقدمت به كل من جويانا وباكستان وبنما وتنزانيا يؤكد حقوق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير والعودة إلى وطنه وحقه في الاستقلال والسيادة.

٧- ٣٠ ابريل ١٩٨٠م: استخدمت الولايات المتحدة الفيتو ضد مشروع قرار تقدمت به تونس ينص على ممارسة الشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة.

٨- ٢٠ يناير ١٩٨٢م: استخدمت الولايات المتحدة الفيتو ضد مشروع قرار يقضي بفرض عقوبات على إسرائيل لضمها مرتفعات الجولان السورية.

٩- ٢٠ ابريل ١٩٨٢م: استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو ضد مشروع قرار عربي بإدانة حادث الهجوم على المسجد الأقصى

- ٩ يونيو ١٩٨٢م: استخدمت الولايات المتحدة الفيتو ضد مشروع قرار أسباني بإدانة الغزو الإسرائيلي للبنان.

١١- ٢٥ يونيو ١٩٨٢م: استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو ضد مشروع قرار فرنسي في مجلس الأمن بشأن لبنان.

١٢- ٦ سبتمبر ١٩٨٤م: فشل مجلس الأمن في إصدار قرار يؤكد أن نصوص اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩م تطبق على الأقاليم المحتلة في لبنان بسبب اعتراض الولايات المتحدة.

١٣- ١١ مارس ١٩٨٥م: استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو ضد مشروع قرار لبناني في مجلس الأمن يدين الممارسات الإسرائيلية في الجنوب اللبناني.

١٤- ١٣ سبتمبر ١٩٨٥م: استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو ضد مشروع قرار مجلس الأمن بإدانة الممارسات الإسرائيلية القمعية ضد الفلسطينيين في الأراضي المحتلة.

١٥- ١٧ يناير ١٩٨٦م: استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو في مجلس الأمن الدولي ضد مشروع قرار يطالب إسرائيل بسحب قواتها من لبنان.

١٦- ٣٠ يناير ١٩٨٦م: استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو ضد مشروع قانون لمجلس الأمن يدين الانتهاكات الإسرائيلية لحرمة المسجد الأقصى ويرفض مزاعم إسرائيل باعتبار القدس عاصمة لها.

١٧- ٧ فبراير ١٩٨٦م: استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو في مجلس الأمن لمنع إصدار قرار يدين اختطاف إسرائيل لطائرة الركاب الليبية.

١٨- ١٨ يناير ١٩٨٨م: استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو ضد مشروع قرار في مجلس الأمن يستنكر الاعتداءات الإسرائيلية على جنوب لبنان ويطالبها بوقف جميع أعمال التعدي على الأراضي اللبنانية وجميع الإجراءات ضد المدنيين.

١٩- ١ فبراير ١٩٨٨م: استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو ضد اقتراح في مجلس الأمن يطالب بالحد من عمليات الانتقام الإسرائيلية ضد الفلسطينيين في الأراضي المحتلة.

٢٠- ١٥ ابريل ١٩٨٨م: استخدمت الولايات المتحدة الفيتو ضد قرار لمجلس الأمن يدين إسرائيل لاستخدامها سياسة القبضة الحديدية تجاه الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي المحتلة في أعقاب طردها ٨ فلسطينيين.

٢١- ١٠ مايو ١٩٨٨م: استخدمت الولايات المتحدة الفيتو لنقض قرار مشروع في مجلس الأمن الدولي لإدانة الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان.

٢٢- ١٤ ديسمبر ١٩٨٨م: استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو لمنع استصدار قرار من مجلس الأمن الدولي بإدانة الاعتداء الإسرائيلي الجوي والبري على الأراضي اللبنانية.

٢٣- ١ فبراير ١٩٨٩م: أوقفت الولايات المتحدة جهود مجلس الأمن الدولي لإصدار بيان يسجل رفضه لممارسات إسرائيل في الأرض الفلسطينية المحتلة ويدعوها إلى الالتزام باتفاقية جنيف الخاصة بحقوق المدنيين في زمن الحرب.

٢٤- ١٨ فبراير ١٩٨٩م: استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية حق النقض الفيتو ضد مشروع قرار لمجلس الأمن الدولي بإدانة إسرائيل لانتهاكات حقوق الإنسان في الأراضي الإسلامية المحتلة.

٢٥- ٩ يونيو ١٩٨٩م: استخدمت الولايات المتحدة الفيتو في مجلس الأمن ضد مشروع قرار لدول عدم الانحياز يدين إسرائيل لسياستها القمعية في الأراضي المحتلة.

٢٦- ٧ نوفمبر ١٩٨٩م: استخدمت الولايات المتحدة الفيتو للاعتراض على قرار مجلس الأمن يدين الممارسات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة.

٢٧- ١ يونيو ١٩٩٠م: استخدمت الولايات المتحدة حق النقض الفيتو ضد مشروع قرار في مجلس الأمن الدولي قدمته دول عدم الانحياز بإرسال لجنة دولية إلى الأراضي المحتلة لتقصي الحقائق حول الممارسات القمعية الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني.

الدعم المالي والاقتصادي الأمريكي لليهود الصهاينة:

١- حصلت إسرائيل من الولايات المتحدة خلال الفترة ١٩٤٨م. ١٩٦١م على مليون دولار.

٢- حصلت إسرائيل عام ١٩٦٢م على مبلغ (١٣/٢) مليون دولار من الولايات المتحدة.

٣- حصلت إسرائيل عام ١٩٦٣م على مبلغ (١٣/٣) مليون دولار من الولايات المتحدة.

٤- حصلت إسرائيل عام ١٩٦٥م على مبلغ (٢/٩) مليون دولار من الولايات المتحدة.

٥- ٢٦ يوليو ١٩٦٦م: منحت وكالة التنمية الدولية الأمريكية قرضاً قيمته ١٠ ملايين دولار لإسرائيل لمساعدتها على مواجهة نفقاتها من النقد الأجنبي.

٦- ٢ أكتوبر ١٩٦٦م: وافقت الحكومة الأمريكية لبنك التصدير والاستيراد على منحه قرضاً لإسرائيل قيمته ستة ملايين من الدولارات لشراء آلات ومعدات من الولايات المتحدة.

٧- ٦ سبتمبر ١٩٧١م: قدم البنك الأمريكي للتصدير والاستيراد ٥.٥ مليون دولار قرضاً لإسرائيل.

٨ - ١٥ فبراير ١٩٧٢م: تم توقيع اتفاق أمريكي إسرائيلي تضمن الولايات المتحدة الأمريكية بمقتضاه قرضاً قيمته ٥٠ مليون دولار ستحصل عليه إسرائيل من مؤسسات الادخار والقروض الأمريكية الخاصة.

٩- ١١ مارس ١٩٧٢م: أعلن سيسكو مساعد وزير الخارجية الأمريكية أن المعونة التي قدمتها حكومة نيكسون لإسرائيل في أربع سنوات تجاوزت المعونة التي أعطتها لها جميع

الحكومات الأمريكية مجتمعة منذ سنة ١٩٤٨م، إذ بلغت (١١٨٢) مليون دولار لإسرائيل للمساعدة على توطين اليهود السوفيت بها.

١٠- ١٦ مايو ١٩٧٢م: وافق مجلس النواب الأمريكي بأغلبية ٣٠٥ أصوات ضد ٦٥ على مشروع قرار بتخويل وزارة الخارجية الأمريكية تقديم ٨٥ مليون دولار لإسرائيل للمساعدة على توطين اليهود السوفيت بها.

١١- ١٤ يوليو ١٩٧٢م: وقع الرئيس نيكسون قانوناً باعتماد ٨٥ مليون دولار لإسرائيل لتمويل عملية إعادة توطين اليهود المهاجرين إليها من الاتحاد السوفيتي.

١٢- ٣٠ سبتمبر ١٩٧٢م: أعلن بنك فرست بنسلفانيا الأمريكي أنه قدم مبلغ ١٦ مليون دولار مساهمة في رأسمال أول بنك أمريكي إسرائيلي وذلك بنسبة ٦/٤١ %.

١٣- ٩ مارس ١٩٧٣م: أعلنت الحكومة الأمريكية موافقتها على منح إسرائيل مبلغ ٥٠ مليون دولار؛ لتخفيف وطأة نفقات الدفاع على الاقتصاد الإسرائيلي.

١٤- ٦ أبريل ١٩٧٣م: تم في واشنطن التوقيع رسمياً على اتفاقية قرض أمريكي لإسرائيل بمبلغ ٣٠ مليون دولار للمساعدة في توطين اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفيتي.

١٥- ١٩ ديسمبر ١٩٧٣م: وافق مجلس النواب ومجلس الشيوخ الأمريكي في اجتماع مشترك على اعتماد مبلغ ٦٧.٥ مليارات دولار للمساعدات الخارجية لعام ١٩٧٤م، منها ٦.٢ مليار دولار اعتمادات جديدة لإسرائيل.

١٦- ١٣ أغسطس ١٩٧٤م: خفضت لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الأمريكي مبلغ ٧٢٥ مليون دولار من ميزانية المعونة الخارجية لسنة ١٩٧٥م التي طلبت الحكومة اعتمادها، بينما أضافت نحو ٢٥٠ مليون دولار معونة اقتصادية لإسرائيل.

١٧- ٣٠ سبتمبر ١٩٧٤م: وافق مجلس الشيوخ الأمريكي على مشروع قرار تقدم به السناتور الديمقراطي والترمونديل بزيادة المساعدات الاقتصادية لإسرائيل إلى ٢٥٠ مليون دولار مقابل ٥٠ مليون دولار في العام الماضي.

١٨- ٤ ديسمبر ١٩٧٤م: وافق مجلس الشيوخ الأمريكي بأغلبية ٤٦ صوتا ضد ٤٥ صوتاً على اعتمادات المساعدات الخارجية التي تبلغ قيمتها ٦٧.٢ مليار دولار، وينص المشروع على تخصيص مبلغ ٥.٦٣٩ مليون دولار لإسرائيل غير المساعدات العسكرية التي تبلغ ٢.٢ مليار دولار.

١٩- ٣١ ديسمبر ١٩٧٤م: وقع الرئيس الأمريكي فورد على قرار يسمح للحكومة بإنفاق جزء من اعتمادات المعونة الأجنبية منها ١٥٠ مليون دولار كمساعدات امن لإسرائيل.

٢٠- ٢٦ نوفمبر ١٩٧٥م: وقعت الولايات المتحدة وإسرائيل اتفاقية تمنح واشنطن تل أبيب بمقتضاها مساعدات اقتصادية قيمتها ٥٠ مليون دولار.

٢١- ٢٧ سبتمبر ١٩٧٦م: وافق الكونجرس الأمريكي على قانون المساعدات الخارجية للعام المالي ١٩٧٧م: حيث تحصل بموجبه إسرائيل على ٧٣٥ مليوناً مساعدات و١٠٠٠ مليون كقروض عسكرية لمبيعات السلاح.

٢٢ - ٤ أغسطس ١٩٧٧م: أصدر الرئيس كارتر قانون المساعدات الأجنبية العسكرية الأمريكية الذي تحصل إسرائيل بمقتضاها على ١٧٨٥ مليون دولار من مجموع المساعدات التي تبلغ ٣٢٠٠ مليون دولار خلال السنة المالية ١٩٧٨م.

٢٣- ٥ سبتمبر ١٩٧٧م: وقعت الولايات المتحدة وإسرائيل اتفاقية تحصل بمقتضاها إسرائيل على ٧٥٨ مليون دولار خلال عام ١٩٧٨م على شكل قروض ومنح.

٢٤- ١٧ أكتوبر ١٩٧٨م: وقع الرئيس جيمي كارتر على قانون للمساعدة الخارجية يقضي بتقديم ٩.١ مليارات دولار خلال السنة المالية ١٩٧٩م وستحصل إسرائيل منها على ٧٨٥ مليون دولار.

٢٥- ٢ يناير ١٩٧٩م: أعلن جيمس شلزلنجر وزير الطاقة الأمريكي أن الولايات المتحدة ستزود إسرائيل بالبترول إذا تأثر وضعها نتيجة أحداث إيران.

٢٦- ٣٠ مايو ١٩٧٩م: اقر الكونجرس الأمريكي بأغلبية ساحقة برنامج المساعدات الأمريكية لمصر وإسرائيل الذي تبلغ قيمته ٥ آلاف مليون دولار على هيئة قروض ومنح اقتصادية وعسكرية تقدم على مدى ثلاث سنوات.

٢٧- ١٣ ديسمبر ١٩٧٩م: طالب السناتور الأمريكي إدوارد كيندي بزيادة المساعدات المالية (لإسرائيل) بمقدار ٣٥٠ مليون دولار، وقال: "إن إسرائيل لم تخيب ظن الولايات المتحدة، ولذلك يجب مساعدة إسرائيل أكثر لأنها تعتبر من المصالح القومية الأمريكية المهمة.

٢٨- ٢١ يناير ١٩٨٢م: نفت الخارجية الأمريكية أنباء تأخير تقديم مساعدات اقتصادية لإسرائيل وقالت: "إن واشنطن تتعامل مع إسرائيل بكرم زائد".

٢٩- ١١ نوفمبر ١٩٨٣م: خص الكونغرس الأمريكي إسرائيل بمساعدات أمريكية تزيد بنحو ١٢٥ مليون دولار عن العام الماضي.

٣٠- ٢٧ فبراير ١٩٨٤م: وافقت لجنة المساعدة بمجلس النواب الأمريكي على منح إسرائيل مساعدات اقتصادية في عام ١٩٨٥م تقدر بـ (١.١) مليار دولار بزيادة ٢٥٠ مليون دولار عما اقترحته الحكومة الأمريكية.

٣١- ٢٨ فبراير ١٩٨٤م: قررت لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الأمريكي عدم ربط المساعدات الأمريكية لإسرائيل بقبولها لمبادرة الرئيس ريغان للسلام في الشرق الأوسط.

٣٢- ٨ أغسطس ١٩٨٤م: وافقت اللجنة الفرعية للاعتمادات بمجلس النواب الأمريكي على المعونات الاقتصادية لإسرائيل بمقدار (٢.٣) مليار دولار لعام ١٩٨٥م.

٣٣- ٢٠ سبتمبر ١٩٨٤م: أقر مجلس الشيوخ الأمريكي الاتفاقية الخاصة بإقامة منطقة للتجارة الحرة بين الولايات المتحدة وإسرائيل وذلك بأغلبية ٩٦ صوتاً ضد لا شيء.

٣٤- ٢٥ سبتمبر ١٩٨٤م: وافق مجلس النواب الأمريكي على قرار بخفض نسبة ٢% على البرنامج المقترح للمساعدات الأمريكية الخارجية باستثناء إسرائيل.

٣٥- ٨ أكتوبر ١٩٨٤م: تعهد الرئيس الأمريكي ريغان بالتعاون مع الحكومة الإسرائيلية من أجل إنعاش الاقتصاد الإسرائيلي ووافق على منحها معونة إضافية للعام الحالي مقدار مليار ونصف مليار دولار.

٣٦- ٢٤ أكتوبر ١٩٨٤م: تعهد الرئيس الأمريكي على اعتبار كافة المساعدات الأمريكية المخصصة لإسرائيل في هذا العام ومقدارها (٦.٢) مليار دولار منحاً لا ترد.

٣٧- ٢٩ مارس ١٩٨٥م: أقرت لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي مبلغ ٣ بليون دولار لإسرائيل.

٣٨- ١٤ مايو ١٩٨٥م: وافق مجلس الشيوخ الأمريكي على تقديم ٥.١ مليار دولار معونة إضافية اقتصادية لإسرائيل إلى جانب ١.٢ مليار دولار معونة اقتصادية أصلية و ١.٨ مليار دولار منحة عسكرية لا ترد.

٣٩- ٨ يوليو ١٩٨٥م: وافق مجلس النواب الأمريكي على تجميد حجم المساعدات الأمريكية لدول العالم باستثناء إسرائيل.

٤٠- ٣١ يوليو ١٩٨٥م: وافق مجلس النواب الأمريكي على مشروع المساعدات الخارجية الأمريكي للعامين الماليين القادمين وبلغ ١٢.٧ مليار دولار خصص ٥.١ مليار دولار كمساعدات اقتصادية لإسرائيل.

٤١- ١٧ ديسمبر ١٩٨٥م: وافقت الولايات المتحدة على تقديم مساعدات لإسرائيل خلال العام القادم تبلغ ٣ مليارات و١٠٠ مليون دولار.

٤٢- ١٦ سبتمبر ١٩٨٦م: أقرت لجنة الاعتمادات التابعة لمجلس الشيوخ الأمريكي الاعتمادات الخاصة بالمساعدات الخارجية الأمريكية للعام القادم، وبلغت ١٣ مليار دولار كمساعدات اقتصادية وعسكرية من بينها ٣ مليارات دولار لإسرائيل.

٤٣- ١٥ أكتوبر ١٩٨٦م: وافق مجلس النواب الأمريكي على منح إسرائيل مبلغ ٣ مليارات دولار.

٤٤- ٢٣ أكتوبر ١٩٨٦م: أبلغت الولايات المتحدة إسرائيل قرارها بمنحها مساعدات اقتصادية إضافية خلال السنوات القادمة تتراوح بين ٣٠٠ و٤٠٠ مليون دولار في السنة.

٤٥- ٦ أغسطس ١٩٨٧م: وافقت لجنة الاعتمادات المالية بمجلس النواب الأمريكي على عدم تخفيض المساعدات الأمريكية لإسرائيل بحيث تحصل على ٣ مليارات دولار من مجموع حجم المساعدات التي خصصتها.

٤٦- ٢٥ مايو ١٩٨٨م: وافق مجلس النواب الأمريكي على برنامج المساعدات الخارجية الأمريكية لعام ١٩٨٩م والذي يتضمن مساعدات لإسرائيل قدرها ٣ مليارات دولار، منها ١.٨ مليار مساعدات عسكرية ١.٢ مليار دولار مساعدات اقتصادية.

٤٧- ٨ مايو ١٩٨٩م: أعلنت الحكومة الأمريكية أنها خصصت ٣ مليارات دولار مساعدات اقتصادية وعسكرية لإسرائيل للعام المالي الذي يبدأ في أول أكتوبر ١٩٨٩م.

٤٨- ٨ مايو ١٩٨٩م: وافقت اللجنة الفرعية التابعة للجنة المساعدات الخارجية في مجلس النواب الأمريكي على المساعدات الاقتصادية والعسكرية لإسرائيل، والتي تبلغ ٣ مليارات دولار.

٤٩- ٢٩ يونيو ١٩٨٩م: وافق مجلس النواب الأمريكي على مشروع قانون المعونات الخارجية الأمريكية للعامين القادمين بحجم ٢٣ مليار دولار تحصل إسرائيل منها على ٣ مليارات دولار في شكل معونات عسكرية واقتصادية.

٥٠- ٣١ أكتوبر ١٩٨٩م: ذكر راديو إسرائيل أن الإدارة الأمريكية حولت إلى إسرائيل المساعدات المالية النقدية غير العسكرية وقيمتها مليار و١٣٠ مليون دولار.

٥١- ٢٠ نوفمبر ١٩٨٩م: وافق الكونجرس الأمريكي على الشكل النهائي لبرنامج المساعدات الخارجية التي تبلغ ١٤.٦ مليار دولار تشمل تقديم ٣ مليارات دولار لإسرائيل.

٥٢- ٢٤ مايو ١٩٩٠م: وافق مجلس الشيوخ الأمريكي على قرار يمنح إسرائيل مساعدة تبلغ ٤٠٠ مليون دولار لمساعدتها على استيعاب المهاجرين اليهود السوفيت.

٥٣- ٢٦ مايو ١٩٩٠م: وافق الرئيس الأمريكي جورج بوش على اعتماد المساعدات الخارجية الإضافية التي تشمل حوالي ٤٠٠ مليون دولار لإسرائيل لمساعدتها على استيعاب المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفيتي.

٥٤- ٢١ يونيو ١٩٩٠م: وافقت لجنة الاعتمادات بمجلس النواب الأمريكي على مشروع المساعدات الخارجية الأمريكية للسنة المالية التي تبدأ في أول أكتوبر ١٩٩٠م بحيث تحصل إسرائيل على ١.٨ مليار دولار كمساعدات عسكرية و ١.٢ مليار دولار كمساعدات اقتصادية.

٥٥- ٢٥ أكتوبر ١٩٩٠م: وافقت لجنة مشتركة للكونجرس الأمريكي بمجلسيه على قانون المساعدات الأمريكية للعام القادم والتي تبلغ ١٥.٥ مليار دولار، ويقضي القانون بمنح إسرائيل نصيب الأسد في المساعدات الخارجية الأمريكية مليار و٧٠٠ مليون دولار معدات عسكرية ومساعدات عسكرية واقتصادية.

٥٦- ٢٨ مايو ١٩٩١م: وقع الرئيس بوش على مرسوم بتقديم مساعدات عاجلة لإسرائيل تبلغ قيمتها ٦٥٠ مليون دولار أقرها الكونجرس.

٥٧- ٢١ مارس ١٩٩٣م: أكدت إدارة كلينتون أنها ستواصل تقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية بمعدلاتها الحالية والبالغة ٣ مليارات دولار للسنة المالية ١٩٩٤م وللسنوات المقبلة.

٥٨- ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٠م: صادق الكونغرس الأمريكي على منح الكيان الصهيوني مساعدات مالية بقيمة مليارين و٨٢٠ مليون دولار معظمها مخصصة للأغراض العسكرية.

الدعم العسكري الأمريكي لليهود الصهاينة:

١- ١٩ ابريل ١٩٦٥م: وصلت إلى حيفا شحنة من الصواريخ الأمريكية - هوك - المضادة للطائرات.

٢- ٢٥ أغسطس ١٩٦٦م: وقعت الولايات المتحدة اتفاقية مع إسرائيل تقضي بتزويدها بمادة اليورانيوم اللازمة لمفاعلها الذري.

٣- ٣٠ مايو ١٩٦٧م: اعترف المتحدث الرسمي باسم وزارة الدفاع الأمريكية بأن شحنات من الذخيرة تنقل بالطائرات من ترسانات الجيش الأمريكي إلى إسرائيل مباشرة.

٤- ٢٤ أكتوبر ١٩٦٧م: أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية رسمياً أن الولايات المتحدة قررت إعادة إرسال الأسلحة إلى إسرائيل.

٥- ٩ أكتوبر ١٩٦٨م: أعلن الرئيس الأمريكي جونسون أنه سمح بإجراء مفاوضات بشأن احتمال بيع طائرات حربية أسرع من الصوت إلى إسرائيل.

٦- ٢٦ ديسمبر ١٩٦٨م: أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية بلاغاً يتضمن قرار تسليم ٥٠ طائرة فانتوم لإسرائيل في نهاية ١٩٦٩م وخلال عام ١٩٧٠م.

٧- ٢٢ أكتوبر ١٩٧٠م: أعلنت المصادر الرسمية في البنتاغون أن الحكومة الأمريكية قررت إمداد إسرائيل بحوالي ٢٠٠ دبابة طراز (أم - ٦٠ أ) وهي أحدث دبابات القتال في الجيش الأمريكي، و ١٨ طائرة فانتوم، وبطاريات مدفعية وعتاد حربي آخر.

٨ - ٥ ديسمبر ١٩٧١م: وافقت لجنة الاعتمادات التابعة لمجلس النواب الأمريكي على اعتماد مبلغ ٣٠ مليون دولار في شكل قروض لتمويل إمداد إسرائيل بالأسلحة.

٩- ٢٣ مايو ١٩٧٢م: خصصت لجنة العلاقات الخارجية لمجلس الشيوخ مبلغ ٣٠٠ مليون دولار لتشتري بها إسرائيل السلاح، وذلك من أصل ٥٥٠ مليون دولار تم رصده للقروض العسكرية خلال سنة ١٩٧٣م.

١٠- ٣١ يوليو ١٩٧٢م: وافق مجلس الشيوخ الأمريكي بأغلبية ٧٥ صوتاً ضد ٩ أصوات على تعديل قانون الاعتماد الخاص بشراء الأسلحة بهدف السماح ببيع الأسلحة لإسرائيل بقروض وذلك حتى ٣٠ سبتمبر ١٩٧٢م.

١١- ٢٧ سبتمبر ١٩٧٣م: وافق مجلس الشيوخ الأمريكي على مد فترة التفويض الممنوح للرئيس نيكسون لإعطاء إسرائيل تسهيلات ائتمانية لشراء السلاح إلى ما بعد ديسمبر ١٩٧٣م.

١٢- ١٤ أكتوبر ١٩٧٣م: أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن الولايات المتحدة بدأت في إمداد إسرائيل بالعتاد العسكري الثقيل.

١٣- ١٦ أكتوبر ١٩٧٣م: أعلنت المصادر العسكرية الأمريكية أن الولايات المتحدة في سباق مع الزمن لإرسال المساعدات العسكرية إلى إسرائيل تعويضاً عن خسائرها الجسيمة في الحرب القائمة في الشرق الأوسط.

١٤- ١٨ أكتوبر ١٩٧٣م: طلب الرئيس الأمريكي نيكسون من الكونغرس الموافقة على اعتماد جديد لبرنامج ضخم من المساعدات العسكرية لإسرائيل يصل في مجموعه إلى ٢٢٠٠ مليون دولار.

١٥- ٢١ أكتوبر ١٩٧٣م: أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية أن الجسر الجوي الأمريكي من السلع والإمدادات لإسرائيل مستمر دون توقف وذلك رغم الاتفاق على وقف إطلاق النار.

١٦- ١٧ ديسمبر ١٩٧٣م: وافق مجلس الشيوخ الأمريكي على اعتماد معونات عسكرية لإسرائيل قيمتها ٢٢٠٠ مليون دولار، مع إعفاء إسرائيل من ١٥٠٠ مليون دولار من ثمن الأسلحة.

١٧- ١٤ يوليو ١٩٧٤م: وافقت الولايات المتحدة على ضمان قرض لإسرائيل قيمته ٣٠٠ مليون دولار يقوم بتمويله الأفراد والمؤسسات المالية في الولايات المتحدة للإسهام في تغطية المشتريات الدفاعية الإسرائيلية.

١٨- ٥ يونيو ١٩٧٥م: وافق مجلس الشيوخ الأمريكي بأغلبية ٦٨ صوتاً ضد ٢٢ صوتاً على تجديد القانون الخاص بالسماح ببيع أسلحة أمريكية إلى إسرائيل بالقروض.

١٩- ٢٩ يناير ١٩٧٥م: أقرت لجنة الشؤون الخارجية التابعة للكونجرس الأمريكي مشروع قانون بمساعدات عسكرية واقتصادية قدرها ٣٨٠٠ مليون دولار منها ٢٢٠٠ دولار لإسرائيل.

٢٠ - ٢٧ إبريل ١٩٧٦م: أبلغت وزارة الدفاع الأمريكية الكونجرس أنها ستبيع لإسرائيل صواريخ أرض - جو قيمتها ٣٧.٩ مليون دولار.

٢١- ٢٧ إبريل ١٩٧٦م: وافق الكونجرس على مشروع المساعدات العسكرية للشرق الأوسط ومن بينها المساعدات الإضافية لإسرائيل والتي تبلغ ٥٠٠ مليون دولار.

٢٢- ٢ يونيو ١٩٧٦م: وافق مجلس النواب على مشروع المساعدات العسكرية الأمريكية الخارجية الذي تضمن منح إسرائيل ٤٠٠٠ مليون دولار في صورة مساعدات وقروض طويلة الأجل.

٢٣- ٢٧ سبتمبر ١٩٧٦م: وافق الكونجرس الأمريكي على قانون المساعدات الخارجية للعام المالي ١٩٧٧م حيث تحصل بموجبه إسرائيل على ٧٣٥ مليون دولار مساعدات و١٠٠٠ مليون كقروض عسكرية لمبيعات السلاح.

٢٤- ١٤ أكتوبر ١٩٧٦م: اعترف الرئيس الأمريكي فورد أنه تجاوز وزارتي الخارجية والدفاع عندما اتخذ قرار تزويد إسرائيل بصفقة الأسلحة الجديدة المتطورة.

٢٥- ٦ فبراير ١٩٧٧م: قررت وزارة الخارجية الأمريكية زيادة المساعدات العسكرية والاقتصادية التي كانت حكومة الرئيس السابق فورد قد أقرتها لإسرائيل وذلك بمقدار ٣٠٠ مليون دولار.

٢٦- ١٣ يونيو ١٩٧٧م: وافقت لجنة الاعتمادات التابعة لمجلس النواب الأمريكي على تقديم ٧٨٥ مليون دولار مساعدات دفاعية لإسرائيل وذلك في إطار برنامج المساعدات الخارجية للسنة المالية الجديدة ١٩٧٨م.

٢٧- ٢١ يوليو ١٩٧٧م: أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن الولايات المتحدة ستقدم معونة عسكرية لإسرائيل تقدر قيمتها بحوالي ٢٥٠ مليون دولار.

٢٨- ٤ أغسطس ١٩٧٧م: أصدر الرئيس الأمريكي كارتر قانون المساعدات الأجنبية العسكرية الأمريكية الذي تحصل إسرائيل بمقتضاها على ١٧٨٥ مليون دولار من مجموع المساعدات التي تبلغ ٣٢٠٠ مليون دولار خلال السنة المالية القادمة ١٩٧٨م.

٢٩- ٥ أكتوبر ١٩٧٨م: أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن الحكومة الأمريكية التزمت خلال الـ ١٢ شهر الماضية بالحد الأقصى لمبيعات الأسلحة لدول العالم المختلفة باستثناء ١٧ دولة وقد حصلت إسرائيل على ١.٧ مليار.

٣٠- ١٦ أغسطس ١٩٨١م: قررت الولايات المتحدة استئناف شحن الطائرات (إف - ١٦) إلى إسرائيل.

٣١- ٢٨ نوفمبر ١٩٨٣م: اتفق الرئيس الأمريكي رونالد ريغان وإسحق شامير رئيس وزراء إسرائيل على إقامة لجنة عسكرية أمريكية إسرائيلية مشتركة تكون مهمتها التخطيط لإجراء مناورات عسكرية مشتركة ووضع الخطط العسكرية والعمل على تخزين الأسلحة الأمريكية في إسرائيل.

٣٢- ٢٧ فبراير ١٩٨٤م: وافقت لجنة المساعدات بمجلس النواب الأمريكي على منح إسرائيل مساعدات اقتصادية في عام ١٩٨٥م تقدر بـ (١.١) مليار دولار بزيادة ٢٥٠ مليون دولار عما اقترحته الحكومة الأمريكية، وكذلك مساعدات عسكرية تقدر بـ (١.٤) مليار دولار.

٣٣- ١٤ مايو ١٩٨٥م: وافق مجلس الشيوخ الأمريكي على تقديم (١.٨) مليار دولار إلى إسرائيل كمنحة عسكرية لا ترد.

٣٤- ٢١ يوليو ١٩٨٥م: اعترف الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون بأنه بحث استخدام القنابل الذرية الأمريكية لإنقاذ إسرائيل من الدمار أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

٣٥- ٥ مايو ١٩٨٦م: وقعت إسرائيل والولايات المتحدة على اتفاقية انضمام إسرائيل إلى مشروع حرب الكواكب الأمريكي.

٣٦- ٥ ديسمبر ١٩٨٨م: ألغت الحكومة الأمريكية الحظر الذي فرضته على تزويد إسرائيل بالقنابل العنقودية.

٣٧- ٢١ يونيو ١٩٩٠م: وافقت لجنة الاعتمادات بمجلس النواب الأمريكي على مشروع المساعدات الخارجية الأمريكية للسنة المالية التي تبدأ في أول أكتوبر ١٩٩٠م بحيث تحصل إسرائيل على (١.٨) مليار دولار كمساعدات عسكرية.

٣٨- ٢٢ أكتوبر ١٩٩٠م: وافقت لجنة الاعتمادات بمجلس الشيوخ الأمريكي على اقتراح بتفويض الرئيس الأمريكي جورج بوش بمنح إسرائيل مساعدات عسكرية تصل قيمتها إلى ٧٠٠ مليون دولار كحد أدنى خلال تسعة أشهر.

٣٩- ٤ مايو ١٩٩١م ذكرت صحيفة واشنطن بوست الأمريكية أن البيت الأبيض وافق على منح إسرائيل ٨٠٠ مليون دولار مساعدات عسكرية إضافية.

٤٠- ١٦ يوليو ١٩٩٣م: لخص وزير الدفاع الأمريكي وسائل التعاون العسكري بين المؤسستين العسكريتين الأمريكية والإسرائيلية بما يلي:

- استمرار تقديم المساعدات العسكرية إلى إسرائيل كل عام ٣ مليارات دولار، ومساعدات تلميحية أخرى.

- المحافظة على تفوق إسرائيل النوعي والمتطور.

- إقامة ترتيبات أمنية ملموسة، واتصالات عسكرية.

- إقامة مناورات عسكرية مشتركة وبصورة دورية.

- المحافظة على وجود عسكري أمريكي قوي في المنطقة.

- العمل مع إسرائيل على منع انتشار الأسلحة النووية والبيولوجية والكيمياوية في المنطقة.

٤١- ٣١ أكتوبر ١٩٩٨م: وافقت الولايات المتحدة في مذكرة وقعتها على مساعدة إسرائيل على التصدي لأي خطر تشكله صواريخ ذاتية الدفع وأسلحة الدمار الشامل.

وجاء في مذكرة التفاهم: ستنظر الولايات المتحدة نظرة تتسم بخطورة خاصة إلى التهديدات المباشرة لأمن إسرائيل من نشر صواريخ ذاتية الدفع متوسطة المدى أو أكثر في المنطقة، وفي حالة حدوث مثل هذه التهديد فإن حكومة الولايات المتحدة ستتشاور فوراً مع حكومة إسرائيل بشأن ما يمكن أن تقدمه لإسرائيل من مساعدة أو دعم دبلوماسي.

٤٢- ١٣ مارس ١٩٩٩م: أبقى وزير الدفاع الأمريكي وليام كوهين على احتمال أن تزيد الولايات المتحدة مساهمتها في مشروع صواريخ (ارو) الإسرائيلي الذي يتكلف ١٥ مليار دولار.

٤٣- ١٤ مارس ١٩٩٩م: قال كوهين وزير دفاع الولايات المتحدة إن مساعدات جديدة قيمتها ١.٢ مليار دولار وعدت بها بلاده إسرائيل لمساعدتها في تنفيذ عمليات إعادة نشر القوات في الضفة الغربية.

٤٤- ١٤ مارس ١٩٩٩م: أعلنت واشنطن في سبتمبر ١٩٩٨م أنها عرضت بيع طائرات (إف - ١٥) و٦٠ طائرة (إف - ١٦) لإسرائيل مقابل خمسة مليارات دولار.

٤٥- يوليو ١٩٩٩م: قال كلينتون: "إنه يخطط لرفع المعونة العسكرية السنوية الأمريكية خلال العقد الجديد تدريجياً من ١.٨ مليار دولار إلى ٢.٤ مليار دولار دفعة واحدة لتغطية تكلفة نشر القوات تنفيذاً لاتفاقيات السلام بين إسرائيل والفلسطينيين إلى جانب توفير ذخيرة وطائرات هليكوبتر وتطوير أنظمة دفاع صاروخي".

٤٦- ١٦ يناير ٢٠٠٠م: أعلنت سلطات الاحتلال الصهيوني أن واشنطن وافقت على تزويدها بخمسين مقاتلة حديثة من طراز (إف - ١٦) الأمريكية الصنع، وأشارت إذاعة الكيان الصهيوني أن العقد قابل للمرونة إذ إنه يتضمن إمكانية بيع الكيان الصهيوني ٦٠ مقاتلة أخرى من الطراز نفسه.

٤٧- ٢٥ يوليو ٢٠٠٠م: كشف تحقيق أمريكي أُجري أخيراً أن سلاح الليزر الذي أعده الجيش الأمريكي لحماية المستوطنات الصهيونية في شمال فلسطين المحتلة من صواريخ الكاتيوشا هو سلاح في غاية الخطورة على الإنسان.

جرائم أمريكا في العراق [١]

بعد اجتياح الطاغوت صدام حسين للكويت – سواء بمؤامرة مدبرة أم بحماقة بعثية – في عام ١٤١١هـ – ١٩٩١م تمت العملية الحربية الواسعة النطاق ضد العراق، والتي شارك فيها ٤٥٠ ألف عسكري وعدة آلاف من وحدات العتاد المعاصر، والتي انتشرت في كل جزيرة العرب ثم فُرض الحصار على العراق إلى أن جاءت حرب الخليج الثالثة مطلع هذا العام ١٤٢٤هـ، وقد أدى الحرب والحصار إلى إبادة جماعية لأهل العراق ودخل هذا الملف إلى ملفات أمريكا السوداء؛ فقد دفعت حرب الخليج الثانية بركان الحقد الأمريكي ليتدفق على العرب والمسلمين، فأمريكا استغلت الفرصة السانحة للإجهاز على الشعب العراقي دون هوادة في غياب كاميرات الصحافة، خاصة وأن النظام العراقي الكافر لم يسمح للصحفيين بتغطية سوى العاصمة بغداد خوفاً من أن يكونوا جواسيس.

---

[١] انظر كتاب "التنكيل بالعراق العقوبات والقانون والعدالة" لمؤلفه الإنجليزي جيف سيمونز... يقول هذا المؤلف: "إلى المليون طفل عراقي الذين قتلتهم الحرب البيولوجية الأمريكية في عقد التسعينيات، وإلى مئات الآلاف الآخرين الذين سيلحقون بهم في الأشهر والسنوات القادمة "... كما ورد قول نعوم تشومسكى عن هذا الكتاب: "... (التنكيل بالعراق) سجل حافل بالجرائم الرهيبة المستمرة، يصدم القارئ، ومن شأنه أن يُشعرنا جميعا بالعار.."، وقول النائب البريطاني توني بن: " إنه سجل متّقد بالغضب، وأكاديمي موثّق في آن معا"..، وقول رامسي كلارك: "... إن مبادئ القانون والعدالة تدين بقوة هذه العقوبات وتعتبرها إجرامية"..، وقول هوك ستيفنز: "... وصف مدمر... لقد نجح المؤلف من خلال وثائقه الوفيرة وبسطها بأسلوب ساخط لاذع في تسليط ضوء قوي على أكثر جرائم الإبادة الجماعية وحشية في القرن العشرين..".

كما صرخ مؤلف الكتاب بقوله: " إنني أشعر بالعار المتسم بالعجز إزاء ما حكمت به حكومتي والمتواطئون معها في الإبادة الجماعية، أولئك المشلولون نفسياً، ومن ينقلون الشعور بالذنب..".

وهكذا فبينما كانت أمريكا تستعمل الصواريخ "الذكية" في ضرب البنى التحتية المدنية العراقية حتى توهم الرأي العام بالابتعاد عن إيذاء المدنيين، كانت تستعمل القصف السجادي المتوحش في المدن العراقية الأخرى، فقد ذكرت صحيفة التايمز البريطانية بعد إعلان وقف إطلاق النار، لتوضيح مدى المجازر والإرهاب الذي ارتكب في العراق حيث جاء فيها: "كانت الحرب نووية بكل معنى الكلمة، وجرى تزويد جنود البحرية والأسطول الأمريكي بأسلحة نووية تكتيكية، لقد أحدثت الأسلحة المتطورة دمارًا يشبه الدمار النووي، واستخدمت أمريكا متفجرات الضغط الحراري المسماة (BLU –82) (بلو)، وهو سلاح زنته ١٥٠٠ رطل وقادر على إحداث انفجارات ذات دمار نووي حارق لكل شيء في مساحة تبلغ مئات الياردات.

وقد سئل كولن باول حينذاك والذي كان رئيساً لأركان الجيش الأمريكي عن عدد القتلى العراقيين، فقال: "لست مهتماً به إطلاقاً" لم يكن مهما عند كولن باول أن مائتي ألف عراقي قتلوا في هذه الحرب، ناهيك عن مئآت الآلاف الذين قتلوا جرّاء الحصار الظالم.

يقول ليسلي ستال: " سمعنا أن نصف مليون طفل عراقي قد ماتوا نتيجة العقوبات ضد العراق أقصد أكثر من الأطفال الذين ماتوا في هيروشيما... هل الثمن يستحق ذلك؟".

وهذا سؤال وجهه هذا المذيع للسفيرة الأمريكية في الأمم المتحدة إذ ذاك ووزيرة الخارجية في عهد كلينتون مادلين أولبرايت، فكانت إجابتها: "إننا نعتقد أن الثمن يستحق ذلك" [1].

---

[1] مقابلة في برنامج "٦٠دقيقة" التلفزيون ١٢ أيار مايو ١٩٩٦م، وصدق الله إذ يقول في هؤلاء الصليبيين: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ۝ اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝ لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾.

هذه هي الحرب التي أطلق عليها الأمريكان الحرب النظيفة، لأنها تقوم على استراتيجية التصويب العسكري الدقيق باستخدام أجهزة التسلح الإلكتروني!.

فقد أسقط بين ١٦ كانون الثاني يناير و ٢٧ شباط فبراير من عام ١٩٩١م ما زنته زهاء ثمانية وثمانين ألف طن من القنابل على العراق، أي ما يعادل القوة التفجيرية لسبع قنابل ذرية من قنابل هيروشيما.

وهكذا تعرض العراق أثناء الحرب إلى ما يعادل قنبلة ذرية واحدة كل أسبوع، أي إلى نطاق من الدمار ليس له مثيل في تاريخ الحروب، وفضلاً عن ذلك في حين تركزت القدرة التدميرية المخيفة للقنبلة الذرية في موقع واحد، فإن الصواريخ والقنابل وزعت على العراق برمته.

واستعملت "قوات التحالف" – ولا سيما الولايات المتحدة – مجموعة متنوعة واسعة من الأسلحة في حرب الخليج، بعضها تقليدي (غير أنه محسَّن)، وبعضها غير مجرَّب نسبياً واستعملت لقدرتها على تدمير المدرعات والدفاعات الأخرى، ويشير أحد التخمينات إلى أن الدبابات الأمريكية أطلقت ما بين خمسة آلاف وستة آلاف قذيفة يورانيوم ناضب، وأطلقت الطائرات عشرات الآلاف من هذه القذائف، وذكر أن هذه الأسلحة سببت موت زهاء خمسين ألف طفل عراقي "الأشهر الثمانية الأولى من عام ١٩٩١م نتيجة الإصابة بأمراض مختلفة منها السرطان وعجز الكلية وأمراض داخلية لم تكن معروفة من قبل".

واستعمل النابالم أيضاً لحرق الجنود العراقيين في الخنادق، وكان قد قُدِّمَ طلب منح براءة اختراع النابالم – وهو اليوم يعد سلاحاً بشعاً – في الولايات المتحدة في ١ تشرين الثاني نوفمبر ١٩٤٣م ثم استعمل ضد الألمان واليابانيين في الحرب العالمية الثانية، وضد الكوريين والفيتناميين بعدئذ.

إن آثار النابالم الذي طُوِّر كثيراً معروفة جيداً تنتشر المادة على مساحة واسعة في كتل من الهلام المشتعل بدرجات حرارة تفوق ٨٠٠ درجة مئوية، ويكاد يستحيل إطفاء النوع "المحسن" من النابالم، ولا يمكن إزالته بسهولة عن اللحم البشري، وتشمل النتائج الموثقة جيداً: الحروق العميقة، والجلطة الموقعية، والنخر، والالتهاب الرئوي، وضربة الشمس، والتسمم، وعدوى أول أوكسيد الكربون، مع النتائج المترتبة عليها من الندب والعَوَق.

ويحتمل أن الأمريكيين كما في الحروب السابقة استعملوا أيضاً أجهزة الفوسفور الأبيض الحارقة، التي تسبب بقاء المواد الكيميائية الحارقة نشيطة في اللحم البشري لساعات عدة أو حتى لأيام عدة.

وذكر مراقبون كثيرون أن الصراع في الخليج عام ١٩٩١م لم يكن حرباً بالمعنى التقليدي، إذ طيلة المرحلة الأكثر حسماً فيه – من بداية الغارات الجوية في ١٦ كانون الثاني يناير إلى بداية الهجوم البري لـ "قوات التحالف" في ٢٤ شباط فبراير – حلقت طائرات "قوات التحالف" (الأمريكية غالباً) فوق العراق كله وقصفت كما شاءت – بلغ مجموع الطلعات الجوية أكثر من مائة ألف طلعة بحلول نهاية شباط فبراير–، وأقر على نطاق واسع أن الغارات الجوية لـ "قوات التحالف" على العراق كانت "... تكاد تشبه إضاءة المصباح في المطبخ ليلاً فتنطلق الصراصير مسرعة فنقتلها"، كما استشهد به النائب العام الأمريكي الأسبق رامسي كلارك أنه قبل انتهاء الحرب سبب القصف مقتل ستة آلاف إلى سبعة آلاف مدني

ووصف كلارك نفسه حالة البصرة – التي تعرضت إلى قصف طائرات بي ٥٢ الواسع – بأنها "مأساة بشرية ومدنية.. ذات مدى مذهل".

ولم يظهر الإعلام الغربي اهتماماً بالدمار الشامل في القرى والمدن والصحراء أو بالتأثير في البشر لقنابل روك أي العنقودية التي تحتوي الواحدة منها على ٢٤٧ قنبلة يدوية ضد الأفراد تنفجر إلى آلفي شظية عالية السرعة كالموسى تمزق الأشخاص، ولا تميز بين الجندي

والمدني، ويقول العراقيون إن القنابل العنقودية استعملت ضد "العجلات المدنية وسيارات الأجرة والحافلات وسيارات نقل البضائع".

كما لم يهتم الإعلام الغربي بالدمار الواسع الذي أحدثته متفجرات الوقود التي ألقيت لإحداث كرات نارية ضخمة على المواقع العراقية مسببة كما يقول خبير الأسلحة مايكل كلير "مستويات شبه نووية من التدمير من دون إثارة اشمئزاز الناس".

وكتب جون الزار من صحيفة لوس أنجلس تايمز يقول: إن العراقيين كانوا مثل قطيع من الغنم أخرج من حظيرته.. كانوا مصعوقين ومرتعبين، استيقظوا فزعين فارين من خنادق النار، كانوا يذبحون واحداً بعد الآخر على أيدي مهاجمين لا يستطيعون رؤيتهم أو فهمهم، ومزقت بعضهم انفجارات قذائف مدفعية عيار ثلاثين ملم.

وكما قال الطيار الأمريكي رون بالاك: " عندما عدت جلست على جناح الطائرة ورحت أضحك ربما كنت أسخر من نفسي.. أتسلل إلى هناك وأضرب هنا وأضرب هناك، اقترب رجل مني وربّت كل منا على ظهر الآخر.. ثم قال: "يا إلهي ظننت أننا قصفنا مزرعة بدا وكأن أحداً قد فتح بوابة حظيرة الخراف".

وكان الضابط براين ووكر يتطلع إلى المزيد من القتال من النوع نفسه: لا يوجد ما يمكن أن يخرجهم من مكانهم مثل الآباتشي سيكون الأمر مثل صيد البط [١].

واستعملت قذائف اليورانيوم الناضب والنابالم والقنابل العنقودية ومتفجرات الوقود – الهواء (ذات النطاق النووي) والقنابل التقليدية التي ألقت طائرات بي ٥٢ كميات كبيرة

---

[١] نشر مقطع في جريدة "الأنديبندت" في ١٩٩١/٢/٦م عن الكولونيل (ريتشارد وايت) الطيار الأمريكي الذي ذكر أن جنديًا أمريكيًا آخر قال: "لا شيء ممكن أن يمحيهم كما محي الأباتشي، سوف تكون مصيدة للبط"، في تقرير لرؤية: "طيار الأباتشي يقوم بهجوم على الأرض ماحق".

منها، وأسقطت البحرية الأمريكية وحدها أكثر من ٤٤٠٠ قنبلة عنقودية، وألقت القوة الجوية الأمريكية آلافاً كثيرة أخرى من هذه القنابل.

وإضافة إلى ذلك ألقت طائرات جاكوار الهجومية آلافاً كثيرة أخرى من هذه القنابل، وإضافة إلى ذلك ألقت طائرات جاكوار الهجومية البريطانية آلاف القنابل العنقودية من طراز بي أل ٧٥٥ المصممة لتقطيع أوصال البشر في الميدان إلى قطع صغيرة، كما استعملت الجيوش الأمريكية والبريطانية قاذفة الصواريخ من طراز MLRS، وكل عربة من هذا النوع تستطيع إطلاق اثني عشر صاروخاً لمسافة تزيد على عشرين ميلاً، ويطلق كل صاروخ من هذا النوع ثمانية آلاف قنبلة يدوية مضادة للأفراد تنتشر على منطقة هدف مساحتها ستون ايكراً.

وفي المراحل الأخيرة من الحرب أطلق الجيش الأمريكي عشرة آلاف قذيفة، في حين أطلقت القوات البريطانية ٢٥٠٠ قذيفة أخرى، وتسرب تقرير من وكالة الاستخبارات الدفاعية الأمريكية قدر الإصابات بحوالي ٤٠٠ ألف إصابة.

وفي ٤ شباط فبراير ١٩٩١م دمر جسر في الناصرية، وقتل ٤٧ مدنياً، وأصيب أكثر من ١٠٠ شخص في عملية قصف جوي لمنطقة مدنية.

وعندما فجر الجسر سقط في ملجأ العامرية في بغداد أكثر من ٤٠٠ مدني بين رجل وامرأة وطفل في عملية بشعة أحيطت بتغطية إعلامية واسعة، حيث هاجمت طائرة من نوع الشبح في حوالي الرابعة والنصف صباحاً الملجأ بصاروخ موجه بالليزر، محدثاً فتحة في السطح والسقف وانفجر في مستشفى الملجأ، وبعد أربع دقائق وجه صاروخ آخر عبر الفتحة نفسها التي أحدثها الصاروخ الأول، وأغلق انفجار الصاروخ الثاني الأبواب الفولاذية التي يبلغ وزنها ٦ أطنان وسمكها نصف متر، وأحرق مئات عدة من الأشخاص في الطابق الأعلى تبخر الكثيرون منهم بالحرارة التي بلغت درجتها آلافاً عدة والمتولدة من الانفجار، وكان مصير مئات عدة من الأشخاص الغليان حتى الموت في مياه المراجل الضخمة المدمرة في الانفجار.

لا يعرف على وجه التأكيد عدد المدنيين الذين قتلوا في ملجأ العامرية، في تلك الليلة كان السجل المدون لأسماء الأشخاص الذين احتموا بالملجأ من القصف الليلي قد أودع في الملجأ نفسه ولم يعد له أثر، ولكن ما هو معروف أنه قبل ١٣ شباط فبراير ١٩٩١م وقع أكثر من ١٥٠٠ شخص أسماءهم في السجل كل ليلة، وعثر بعد المجزرة على أحد عشر شخصاً قذف بهم خارج الملجأ، وبعد ساعات عدة مرعبة استخرجت من البناية البقايا السوداء المشوهة لأربعمائة وثلاثة أشخاص، وقدر أن مئات عدة من الأشخاص قد احترقوا وتبخروا ولم تعد ثمة وسيلة لتحديد هويتهم أو حتى عددهم، ووصف شهود منهم تام داليل العضو العمالي في البرلمان البريطاني آثار النساء والأطفال المتفحمة على جدران الملجأ: "تفحمت طبعات أقدام وأيد صغيرة على الجدران والسقوف، وانطبعت على جدران الطابق الأسفل عند علامة الماء في الخزانات المتفجرة آثار اللحم البشري على ارتفاع خمسة أقدام".

وقدرت إحدى الدراسات أن استبدال المنشآت العراقية التي دمرت أثناء الحرب يكلف زهاء ٢٠٠ مليار دولار، ومن هذه المنشآت:

- محطات توليد الطاقة الكهربائية ونظم نقل القدرة الكهربائية.
- منشآت تصفية المياه والخزانات ونظم توزيع المياه.
- البدالات الهاتفية ومحطات التقوية.
- المنشآت اللاسلكية ونظم البث.
- معامل تصنيع الغذاء ومخازن الغذاء، ومنشآت توزيع الغذاء، ومعامل الحليب المجفف ومعامل المشروبات.
- مواقع الري.
- منشآت تلقيح الحيوانات.

- الحافلات ومرائب الحافلات والقطارات والسكك الحديدية.

- الجسور والطرق ومعابر الطرق السريعة.

- آبار النفط ونظم ضخ النفط وأنابيب النفط ومصافي النفط ومنشآت خزن النفط ومحطات الوقود وعجلات نقل الوقود.

- محطات معالجة مياه المجاري وشبكات التخلص من مياه المجاري.

- مصانع النسيج.

- مصانع تجميع السيارات.

- الجامعات والكليات.

- المستشفيات والمستوصفات.

- أمكنة العبادة.

- المواقع الأثرية.

ويشير أحد التقديرات أنه دمر ما قد يبلغ ٢٠ ألف بيت وشقة ووحدة سكنية، واستهدفت ودمرت آلاف المراكز التجارية، ومنها الدكاكين والمتاجر والمصارف والمكاتب والفنادق والمطاعم البنايات العامة الأخرى، وكان أحد الأهداف الرئيسية للحملة الأمريكية المتواصلة، التي امتدت إلى تدمير المدارس والمساجد والكنائس والسيارات الخاصة والجرارات وسيارات الأجرة ومعاهد البحوث ومنشآت تصفية المياه... إلخ.

"إرهاب البلد كله، وقتل الناس وتدمير الممتلكات، ومنع الحركة، وإحباط معنويات الناس، وفرض الإطاحة بالحكومة العميلة التي تمردت على سيدها".

وأدى التدمير الواسع للبنى التحتية المدنية حتماً إلى وقوع عدد كبير من القتلى، ولا سيما بين صغار السن والمسنين والمرضى، وقبل انتهاء الحرب وقبل أن تزيد العقوبات الطويلة حجم الخسائر قدر الهلال الأحمر الأردني أن ١١٣ ألف مدني عراقي قتلوا، منهم ٦٠ % أطفال[١].

ولم يكن للتدمير العشوائي للمساجد والمدارس ودور المرضى ومعاهد المعوقين وملاجئ المدنيين والمنشآت الزراعية علاقة بإخراج القوات العراقية من الكويت، بل استهدف كل شيء له صلة بتدمير البنية الاجتماعية للعراقيين.

ويشير أحد التقارير إلى أن القصف دمر ٣٥٠ مخزناً وسوقاً تجارياً، و١٢٠ مزرعة، و ٦٨ مصرفاً، و ١٥٧ مركزاً لخدمات الماء والكهرباء، و ٦٤٦ مدرسة ابتدائية وثانوية، و ١٦ جامعة وكلية و ٢٨ مستشفى، و ٤٥ مركزاً صحياً، ومنشآت اقتصادية واجتماعية كثيرة أخرى، منها المختبرات والمذاخر والصيدليات وسلوات الحبوب ومواقع أثرية قديمة.

لقد انتهكت القوات بقيادة الولايات المتحدة في العراق أحكاماً كثيرة في القانون الدولي – الوضعي – بما في ذلك ميثاق الأمم المتحدة وميثاق لاهاي وميثاق جنيف وميثاق نورمبورغ وقوانين الصراع المسلح التي تتشدق بها أمريكا [٢].

ويعبر عضو البرلمان البريطاني بول فلن عن رأي واسع الانتشار عندما قال: "أن أحدث التقديرات يشير إلى مقتل ١٠٠ ألف إلى ٢٠٠ ألف عراقي وإصابة ٣٠٠ ألف إلى ٧٠٠ ألف"، وذكرت التقديرات البريطانية التي وردت بعد الحرب مباشرة أنه قتل زهاء ١٠٠ ألف

---

[١] ولا يفوت القارئ الكريم أن الحصار والدمار الذي حل بالعراق قد نُفذ من قِبَل دول الجوار وبالأخص دول الخليج؛ حيث القواعد العسكرية وحاملات الطائرات، وجنود الصليب الذين توافدوا إلى أرض الجزيرة غزاةً تحت مظلة فتوى العلماء الرسميين للدولة السعودية.

[٢] كل هذه المواثيق والاتفاقيات لا شرعية لها، وهي طاغوتية يجب الكفر بها والتبرؤ منها، ونحن حين نذكرها إنما نحتج عليهم بما يزعمون الالتزام به.

جندي عراقي، وقدر خبير عسكري فرنسي عدد القتلى العراقيين بحوالي ١٥٠ ألفاً، وقد أظهرت حالة بيث أوزبورن دابونت الخبيرة السكانية في مكتب إحصاء السكان الأمريكي، الحساسية الأمريكية إزاء نطاق الهجوم، إذ بذلت جهود لطردها عندما نشرت بحسن نية تقديراتها الخاصة بأن ١٥٨ ألف عراقي قتلوا في الحرب والأحداث التي أعقبتها مباشرة.

ومهما كانت الأرقام الدقيقة للإصابات، فلا ريب أن الشعب العراقي نفسه قد أصيب بكارثة مريعة، وبسبب احتمال بلوغ عدد القتلى والجرحى مئات الألوف فإن عدد من ثكلوا وكابدوا الحزن بلغ حتماً مئات الآلاف غيرهم، وبسبب التدمير الواسع لبنى العراق الاقتصادية والاجتماعية الأساسية – إزالة وسائل الحياة الضرورية — لا بد أن يرتفع عدد الإصابات المدنية إلى ملايين عدة.

لقد أحدثت هذه الحرب البشعة – الحرق وتقطيع الأوصال والموت اختناقاً ودفن الأحياء وتمزيق الأجساد قطعاً صغيرة والتسبب في الإصابة بالعمى وغير ذلك – المجزرة المتوقعة باستخدام آليات القتل المعروفة إلى جانب آليات أخرى، ربما لم تكن متوقعة على نطاق واسع، فعلى سبيل المثال: أطلق الغبار المشع من قذائف اليورانيوم الناضب بكميات كبيرة، والذي يعرف أنه يسبب عجز الكلية والسرطان وأمراضاً أخرى.

وكشف تقرير أعده فريق من المحامين واختصاصي الصحة العامة من هارفرد صدر في تشرين الأول أكتوبر ١٩٩١م أن وفيات الأطفال دون سن الخامسة في العراق قد تضاعفت ٥ مرات تقريباً منذ حرب الخليج، وأن زهاء مليون طفل يعانون سوء التغذية، وأن ما يصل إلى ١٠٠ ألف طفل يواجهون الموت جوعاً، واستناداً إلى تقرير الفريق فإن الأطفال يشبهون الناجين من قنبلة هيروشيما، ويتصفون بالخمول، ويفتقرون إلى الإحساس.

وعلق الدكتور ماغن راوندالن مدير برنامج بحوث الأطفال في مركز علم نفس الأزمات في جامعة بيرغن بالنرويج بقوله: "إن الأطفال يشبهون "الأموات الأحياء" وأنهم " فقدوا مشاعرهم كافة، وهم لا يتمتعون بحياتهم".

وأشار بحث نشره مركز التوثيق "ستتشنغ لاكا" في أمستردام في حزيران يونيو ١٩٩٤م أن ذخيرة اليورانيوم الناضب قد "نجحت في تجارب ميادين القتال في العراق"، وأن تجهيز القوات الأمريكية باليورانيوم الناضب أرخص طريقة للتخلص من النفايات النووية، ومرة أخرى يؤكد تعاظم الأدلة بتزايد انتشار الأمراض المرتبطة بالإشعاع بين سكان العراق: "أن النوع الجديد من الموت البطيء الذي نقلته أكثر الحروب تسميماً في التاريخ يشمل ما يقدر بثمانمائة طن من غبار وجزئيات اليورانيوم الناضب المستمر في الهبوب عبر شبه الجزيرة العربية لعقود عدة في المستقبل تكفي لجعل هذه العملية معروفة جيداً في السجلات الطبية".

وقدر مكتب السكان الأمريكي في كانون الثاني يناير ١٩٩٢م أن معدل عمر العراقيين قد هبط ٢٠ سنة للرجال و١١ سنة للنساء [١]، وأسهم التلوث الإشعاعي في هذا الوضع. لم تُستعمل القنابل النووية في العراق، غير أن المفاعل النووي العراقي قد قُصف مُطلقاً إشعاعات في الفضاء، وضَمِن استعمال ذخيرة اليورانيوم الناضب بقاء الأحجام الكبيرة من المواد المشعة سمة دائمة للبيئة العراقية.

لم يكن اليورانيوم الناضب الملوث الوحيد الذي أصاب الشعب العراقي، فهناك أيضاً تقارير علمية من مصادر عراقية تشير إلى أن "قوات التحالف" استعملت مواد كيميائية سامة، وذكر تقرير مفصل صدر عن الجمعية العراقية لحماية البيئة وتحسينها، وهي منظمة غير حكومة، أن القوات بقيادة الولايات المتحدة لجأت إلى الحرب الكيميائية في حرب الخليج، ويضيف التقرير أن نماذج فحصت من النبات والماء والدم والبول كشفت عن وجود مواد سامة جداً من الميوتوكسينات لا يعود أصلها إلى المنطقة، والمعروف أن سموم الثريكوثيسين تسبب التقيؤ والإسهال وتسارع دقات القلب ونزف الدم والاستسقاء والأذى

---

[١] نحن لا نشك أن الأعمار بيد الله سبحانه وتعالى ولكن نشير هنا إلى ما تسببت فيه أمريكا من شيوع الأمراض الفتاكة والمهلكة للحرث والنسل.

للجلد والاضطرابات العصبية والدوار والموت بين البشر، أما في المناطق التي لم تتعرض للقصف فقد غابت الأدلة على وجود هذه السموم.

ووصف شاهد عيان عراقي دخاناً أصفر كريه الرائحة ظهر بعد هجوم صاروخي، وعانى ضحايا الهجمات الكيميائية من آلام في الصدر والمعدة والتقيؤ مع الدم والدوار وتلف البصر وتقرح الجلد وأعراض أخرى، وعانى الضحايا الذين احتوت نماذج دمهم على سم (تي) - وسم (هـ ت - ٢) من التقيؤ والحمى والصداع وتورم العينين وآلام الصدر.

وأُطلقت كميات كبيرة من المواد الملوثة عندما قصفت المعامل الصناعية ومحطات توليد الطاقة الكهربائية والمنشآت النفطية أثناء الحرب، وقصفت حوالي ٢٠ محطة طاقة رئيسة وأكثر من مائة محطة طاقة ثانوية وعشرات المنشآت الصناعية بين ١٧ كانون الثاني يناير و٢٨ شباط فبراير ١٩٩١م.

وقصفت مواقع كثيرة غير مرة وعلى سبيل المثال، قصف كل من مصفا الدورة (بغداد) ومصفا نفط المشال (بيجي) مرتين، وقصفت كل من شركة نفط الجنوب ومصافي النفط في البصرة مرات عدة، وقصفت شركة نفط الشمال (كركوك) في ١٣ غارة جوية.

وسبب قصف آبار النفط ومنشآت نفطية أخرى تلوثاً واسعاً في الهواء وفي البصرة وحدها سبب القصف احتراق ١.٤٤ مليون برميل نفط، و ١٢.٦ مليون برميل منتجات نفطية، و١.١٣ مليون متر مكعب من الغاز الطبيعي، وفي الأنبار احترق ٢٤٠ ألف برميل نفط فضلاً عن ٧٢ ألف طن من الكبريت لإنتاج أكاسيد الكبريت، وفي التأميم احترق ٣٠ مليون متر مكعب من غاز كبريتيد الهيدروجين في حين احترق ٢.٨ مليون برميل من المنتجات النفطية في مصفى بيجي بمحافظة صلاح الدين وفي هذا الموقع، ومواقع أخرى كثيرة، رصدت تركيزات عالية من الملوثات الجوية والأرضية.

وأشار أحد التقديرات إلى تدمير ١٦١٣ هكتاراً من الأرض الزراعية، ولوحظت كثافات عالية من الهيدروكربونات في مساحات واسعة تبعد مئات الأميال عن الحرائق التي سببها القصف، وقد ربط بين المستويات العالية من التلوث الجوي التي تشمل مزائج من منتجات الكبريت المعقدة، هيدروكاربونات ومنتجات النيتروجين ومخلفات حرة ومركبات عطرية... إلخ، وبين أمراض نباتية وحيوانية غير مألوفة (مسببة على سبيل المثال، تدمير آلاف أشجار الاوكالبتوس وزهاء ١٢٠ ألف نخلة)، فضلاً عن التدهور المفجع في صحة السكان المدنيين العراقيين.

إن التدمير العسكري للبنى الأساسية الاجتماعية وحرمان العراق بعد ذلك من وسائل إعادة التعمير كافة أديا حتماً إلى رقم متصاعد من الإصابات المدنية التي بلغت في أحد التقديرات ٢٠٠ ألف قتيل بحلول نهاية ١٩٩١م.

يقول رامسي كلارك المدعي العام الأمريكي السابق: "بوصفي محامياً.. أعتبرُ الحصار بوضوح جريمة ضد الإنسانية في ضوء روح نورمبرغ، وسلاحًا للتدمير الشامل، إنه يهاجم تلك الفئات الأكثر ضعفًا في المجتمع.. الرضع والأطفال المصابون بأمراض مزمنة والمسنون والحالات الطبية الطارئة".

ويعترف هوهنفيلنر بأن تبني "الخط المتشدد نحو العراق جعل النساء والأطفال والمجموعات الضعيفة الأخرى من مثل المعوقين والمسنين رهائن أمر مشكوك فيه، لذا واجهت وقتاً عصيباً جداً" غير أن نهج اللجنة لم يتغير.

فقد كانت أمريكا تجادل مثلاً في جدوى السماح بإرسال كرات تنس الطاولة "إننا لا نعتقد أن هذه حاجة مدنية أساسية".

لقد أدى تشدد أمريكا البالغ في لجنة العقوبات التي تدعمها لندن كما هو متوقع إلى عدد ضخم من حالات الرفض الانتقامية التي بدت حمقاء، ومنها الحالات التالية:

- ٦ شباط فبراير ١٩٩٢م: رفضت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واليابان السماح بشحنة كرات تنس الطاولة من فيتنام.

- ٣ نيسان أبريل ١٩٩٣م: رفضت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واليابان السماح بشحنة من كرات تنس الطاولة وملابس الأطفال وملابس للكبار وأقلام رصاص وماسحات وكمية من مبراة الأقلام ودفاتر مدرسية من باكستان.

- ٤ آب أغسطس ١٩٩٢م: رفضت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واليابان السماح بشحنة دراجات أطفال.

- ١٧ أيلول سبتمبر ١٩٩٣م: رفضت الولايات المتحدة وبريطانيا مواد تكفين، وأطلقت الشحنة بعدئذ، ثم رفضت إجازة التصدير بموجب تعليقات جديدة من وزارة التجارة والصناعة البريطانية وأعيدت عملية تقديم الطلبات من جديد.

- ٢٦ نيسان أبريل ١٩٩٢م: رفضت الولايات المتحدة السماح بإرسال مواد كيميائية لتعقيم المياه.

- ١٤ آب أغسطس ١٩٩٣م: رفضت الولايات المتحدة وبريطانيا طلبا من اليابان لتجهيز مواد اتصالات للاستعمال بين المستشفيات وعربات الإسعاف وبين الأطباء.

- ١٢ كانون الأول ديسمبر ١٩٩١م: رفضت الولايات المتحدة السماح بإرسال شحنة ورق لأطباء المستشفيات.

كما رفضت اللجنة أيضا طلبات مختلفة لتجهيز منسوجات إلى العراق ومنها خيوط لحياكة ملابس الأطفال على أساس أن هذه المواد من مدخلات الصناعة، ويبدو أنه تقرر حرمان العراق من صناعة المنسوجات لئلا يهدد السلم والأمن في المنطقة!!، ورفضت الولايات المتحدة طلبًا من شركة "سي، أي، أس" الفرنسية لتجهيز العراق بـ ١٢٠٠ كلغ

من النايلون لتنقية الطحين، وكان الغرض الوحيد منه أن يستعمل في فلترات مطاحن الحبوب لتنقية الطحين من المواد المغشوشة والحجارة والمواد الغريبة الأخرى قبل خبزه، وبالروح العقابية الانتقامية نفسها رفضت لجنة العقوبات عددًا من طلبات تجهيز العراق بالغراء لاستعماله في صنع الكتب المدرسية والدفاتر التي يحتاج إليها التلاميذ في المستويات التعليمية كافة، ولم تمنح الإجازة لأن الغراء الذي يستعمل أيضًا في دروس الأعمال الفنية المدرسية والتعليم المهني من مدخلات الصناعة، كما لم يسمح بتصدير ١٢٠ طنًا من اللباد الصوفي باعتباره من مدخلات الصناعة غير المبررة تمامًا مثل أشرطة الكاسيت الفارغة التي لم يسمح لها للسبب نفسه؛ ولذا فإن اللجنة صريحة في تصميمها على حرمان العراق من أية فرصة لبناء قاعدته الصناعية، وهو شرط لرفع الحظر على مبيعات النفط لتعمير الاقتصاد والخدمات الاجتماعية الأساسية.

ومرة أخرى ظهر نمط شائع، فقد صوتت الولايات المتحدة في حزيران يونيو ١٩٩٣م ضد تصدير ٢٠٠ طن من البوليستر والأكريليك المستعملين في إنتاج المنسوجات لأنها من مدخلات الصناعة.

وحظرت الولايات المتحدة تصدير ٦٦ حاوية غرانيت للمستشفيات ومراكز الرعاية الصحية باعتبار أن هذه المادة ليست أساسية.

إن ما ارتكبه الغرب ويواصل ارتكابه بحق أطفال العراق هو من جرائم الإبادة الجماعية في القرن العشرين؛ وقد انتبه كثيرون منا إلى ما كان يرتكب عندما ذكر فريق هارفرد الدراسي في تقريره عام ١٩٩١م أن "١٧٠ ألف طفل دون الخامسة في الأقل سيموتون في السنة القادمة" (أي عام ١٩٩٢م) نتيجة الحرب والحظر الاقتصادي.

وأشار أحد التقديرات إلى تدمير ٢٠٥ روضة أطفال، و ١٧٦٧ مدرسة ابتدائية في أنحاء العراق أثناء القصف.

وقدمت البعثة العراقية الدائمة وثيقة إلى مكتب الأمم المتحدة في جنيف إلى مركز حقوق الإنسان بعنوان "تأثير الحظر على الأطفال العراقيين في ضوء ميثاق حقوق الطفل" واختتمت الوثيقة (الفقرتان ٢١، ٢٢) بالسطور الآتية:

"إن شعب العراق ولا سيما أطفاله، يواجهون التدمير بسلاح فتاك شأنه شأن أي سلاح للتدمير الشامل ألا وهو سلاح الحظر الاقتصادي الذي ذهب مليون شخص، نصفهم نساء وأطفال، ضحايا له في السنوات الأربع الماضية. (التي أعقبت الحصار الجائر).

إن هذا التدمير شكل من الإبادة الجماعية لشعب العراق وهو جريمة دولية يعاقب عليها بموجب القانون الدولي [١] بغض النظر إن ارتكبت في زمن الحرب أو السلم... وهذه الأعمال ترتكب بلا ريب عمدا عن طريق فرض ومواصلة الحظر الاقتصادي الذي لم يعد يمكن تبريره".

وقالت منظمة الغذاء والزراعة التابعة للأمم المتحدة في تقرير لها عن محنة المدنيين العراقيين المتفاقمة عام ١٩٩٥م: "توفي أكثر من مليون عراقي بينهم ٥٦٧ ألف طفل كنتيجة مباشرة للعقوبات الاقتصادية... وأكثر من ١٢بالمئة من الأطفال الذين شملهم المسح في بغداد مصابون بالهزال و٢٨ بالمئة منهم مصابون بعوق النمو الطبيعي، و٢٩ بالمئة وزنهم أقل من الوزن الطبيعي" [٢].

وينبغي ألا يعتقد أن السياسة الأمريكية انحراف منعزل وغامض وابتعاد متعذر التفسير عن معايير اللياقة والعدل.

---

[١] ونحن لا نقر بهذا القانون الكفري الطاغوتي، ولكن ننقل التقرير كما ورد ليُعلم مدى الإجرام الأمريكي المستنكر حتى على مستوى الأعراف الدولية..!!

[٢] victoria brittain: in: indpendendnt (london) :١٩٩٥/١٢/٤ (مقالة: النصر البريطاني في الاندبنت اللندنية).

إن النهج الأمريكي الذي يسبب الإبادة الجماعية تجاه المسألة العراقية نموذج واضح الاستراتيجية، ولا علاقة له بإخراج النظام العراقي الطاغوتي من الكويت [١]، إذ تحقق ذلك قبل زمن بعيد، ولا علاقة له بانتهاك النظام العراقي لحقوق الإنسان، بل هو حساب أناني للمنافع الاستراتيجية، ولا علاقة له بتحديد مواقع أسلحة التدمير الشامل حتى رولف ايكيوس اعترف أنه لم يبق شيء يكشف في ذلك الميدان.

إن الأهداف الأمريكية بسيطة وواضحة، وهي أهداف دينية توراتية، وإحكام للقبضة العسكرية والتجارية على منطقة غنية بالنفط وتطوير استراتيجية متعددة الوجوه تستمر في ردع أي تحد فعال للهيمنة الأمريكية، ليس في منطقة الخليج فحسب، بل في كل مكان أيضاً.

---

[١] حرب الخليج الثانية لم تكن لتحرير الكويت كما يظن بعض المغفلين، بل هي لاحتلال منابع النفط في المنطقة، وقد لعبت أمريكا لعبتها ونجحت في ذلك، كما لعبت تلك اللعبة أيضاً في البلقان، فحين أراد الأوربيون أن تتوحد عملتهم (اليورو) أشعلت أمريكا في وسط أوروبا حرب البلقان ضد يوغسلافيا بعد تدشين التعامل باليورو بثلاثة أشهر، رغم اعتراض فرنسا وألمانيا، وذلك لزعزعة ثقة المستهلك في العملة الجديدة، فلم تكن حرب البلقان دفاعاً عن مسلمي كوسوفا كما زعمت أمريكا، بل كانت دفاعاً عن مكاسب الدولار، ولم تكن هذه الحرب أيضاً ضد سلوبدان مليسوفتش الذي نال خلال إبادته لمسلمي البوسنة أقوى الدعم الأمريكي، بل إن هذه الحرب كانت ضد اليورو. ولمزيد الفائدة اقرأ حلقات "صعود أمريكا إلى الهاوية" المنشورة في مركز الدراسات والبحوث الإسلامية.

جرائم أمريكا في عراق اليوم

لا يخفى على أحد اليوم ما تفعله أمريكا في العراق من حرب صليبية قتلت فيها عشرات الألوف وانتهكت كل الحقوق والحريات التي تتشدق بها، فقد روى جنود أمريكيون يخدمون في العراق في مقابلات نشرتها صحيفة ايفنينغ ستاندارد مساء الخميس ٢٠ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ [١] كيف قاموا بإطلاق النار على أشخاص باللباس المدني وكيف أجهزوا على جرحى أو تركوا جنوداً عراقيين يحتضرون في ساحة المعركة [٢]، وقال الكابورال مايكل ريتشاردسون (٢٢ عاما) من فرقة المشاة الأمريكية المتمركزة حاليا في الفلوجة (٥٠ كلم إلى غرب بغداد): "لم يكن هناك أي إحراج في إطلاق النار على أشخاص لا يرتدون اللباس العسكري، كنت أضغط بكل بساطة على الزناد... فإذا كانوا موجودين هنا فذلك يعني أنهم أعداء، سواء أكانوا باللباس العسكري أم بدونه بعضهم كان باللباس والبعض الآخر لا".

وأكد الجندي أنطوني كاستيلو من جهته: "كنا نقوم بمهمتنا فإذا كان يتواجد مدنيون بين المقاتلين فذلك يعني أنهم كانوا في المكان غير المناسب في الوقت غير المناسب، وكانوا يعتبرون بمثابة أعداء" [٣].

---

[١] عن موقع " مفكرة الإسلام ": الجمعة ٢٠ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ تحت عنوان: " مارينز أمريكان يروون قصصاً بشعة عن ذبحهم نساء وقتلهم مدنيين وأسرى بالعراق".

[٢] جنود صدام لا يمثلون إلا البعث ونظامه؛ فهم جندٌ للطاغوت يقاتلون في سبيله، وقد سلط الله عليهم الجنود الأمريكان، وكما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ وانظر بيان الشيخ أبي محمد المقدسي فك الله أسره "لم نُصدم بصدام".

[٣] الأمريكان لا يفرقون بين مدني وعسكري في حروبهم، فأين العلماء والمشايخ الذين لا زالوا يفرقون بين المدنيين والعسكريين الأمريكان؟!!.

ويؤكد الجنود في حديثهم عن معركة وقعت في جنوبي بغداد بدون توضيح تاريخها، إن ٧٠ % من حوالي ٤٠٠ مقاتل من الجانب العراقي كانوا يرتدون اللباس المدني، وقال السرجنت جون ميدوز (٣٤ عامًا) إن الجيش الأمريكي كان قد وزع منشورات قبل بضعة أيام تدعو المدنيين إلى تجنب المنطقة.

وأكد السرجنت أن "جميع الأشخاص الذين تواجدوا هنا كانوا والحالة هذه مقاتلين"، مضيفًا أن جنود المارينز أطلقوا في ذلك اليوم النار على نساء وقتلوا أشخاصاً كانوا مطروحين أرضاً، وقال: "إن الأسوأ هو إطلاق النار على شخص ثم المجيء لمساعدته".

واستطرد ريتشاردسون قائلًا: "إنكم لا تريدون أسرى حرب لأنكم تكرهونهم كثيراً خلال المعركة ويرعبونكم، ولا تريدون أن يعيشوا"، وأوضحوا أيضًا أنهم أطلقوا النار على مدنيين في سيارات تخوفاً من أن يهاجموهم.

وقال السرجنت ميدوز: "عندما كانوا يلوحون بأعلام بيضاء قيل لنا بأن نوقفهم على بعد ٤٠٠ متر وأن نأمرهم بخلع ملابسهم وبالتقدم، وكان معظمهم ينصاع للأوامر".

وروى ميدوز بدون توضيح التاريخ: "كنا نعلم أن جنوداً آخرين كان لهم متاعب مع عراقيين كانوا يحملون أعلاماً بيضاء لكنهم أطلقوا النار بعد ذلك على رجالنا... كانوا يستخدمون سيارات للاقتراب منا، كانوا من الرجال والنساء والأطفال، وفي ذلك اليوم أطلقنا النار على سيارات عديدة".

وقال الكابورال ريتشاردسون: "في الليل تفكرون بجميع أولئك الناس الذين قتلتموهم، ولا تستطيعون إخراج ذلك من رأسكم، ولا يوجد أي وسيلة لنسيان ذلك، فنحن ما زلنا هنا ونحن هنا منذ وقت، ومعظم الناس يرحلون بعد المعارك ولكن ليس نحن".

وأوضح السرجنت ميدوز أن الرجال "رأوا أطباء نفسيين والقيادة تلقت رسائل تقول بأنه ينبغي إخراج هؤلاء الرجال من هذا الوضع لكن شيئاً لم يحدث"...

المحتل في العراق يغتصب النساء والأطفال [١]:

اتهمت لجنة حقوق الإنسان في العراق السبت ٦/١٤/ ٢٠٠٣م قوات الاحتلال الأمريكي والبريطاني باغتصاب العشرات من نساء وأطفال العراق وقتل مئات العراقيين بعد اعتقالهم، وذكرت اللجنة في رسالة موجهة إلى المنظمة العربية لحقوق الإنسان، حصلت وكالة أنباء قدس برس على نسخة منها السبت ٦/١٤/ ٢٠٠٣م، أنها سجلت "٥٧ حالة اغتصاب لنساء عراقيات على يد القوات الأمريكية والبريطانية، فضلاً عن تسجيل ٢٧ حالة اغتصاب لأطفال، منهم إحدى عشرة حالة على يد القوات البريطانية، وثلاث حالات على يد القوات الدنماركية".

وأكدت اللجنة في رسالتها أن عدد العراقيين المعتقلين الذين نفذت فيهم القوات الأمريكية والبريطانية عقوبة الإعدام بلغ حتى اليوم ٢٩١ شخصًا.

وأشارت الرسالة إلى أنه تم إعدام عدد من هؤلاء "فور اعتقالهم، خصوصا في مدينة راوة والنهروان وبعقوبة والموصل وتكريت والضلوعية، وأن "بعض هذه الإعدامات تمت في مناطق حجز المعتقلين في أبو غريب والتاجي والرشيد".

كما أكدت اللجنة أن "القوات الأمريكية والبريطانية هدمت منازل عراقيين، بحجة البحث عن مقاومين"، مشيرة إلى أنها سجلت أكثر من ٣٠٠ حالة لهدم منازل تعود لمدنيين عراقيين.

وناشدت اللجنة المنظمة العربية لحقوق الإنسان "بالتدخل وفضح هذه الجرائم الشائنة والمنافية لكل الأعراف والاتفاقيات"، وقالت في رسالتها: "إننا ندعوكم لفضح هذه الأعمال الوحشية بكل ما أوتيتم من قوة، كما ندعوكم لإرسال لجنة تحقيق خاصة لتشاهدوا بأعينكم

---

[١] شبكة إسلام أون لاين.نت.

كيف تم إعدام المعتقلين ودفنهم في مقابر جماعية أمريكية وبريطانية، تضم رفات مواطنين عراقيين لا تتم الإشارة إليها".

واتهمت اللجنة "جهات أجنبية في مجال حقوق الإنسان" بالتورط "في تقديم بيانات زائفة ومهادنة للمحتل"، لكنها لم تحدد في رسالتها ماهية هذه الجهات.

الأمريكان أخرجوا الأيتام من دار الرحمة [١]:

فرت من دار الأيتام بعد أن اقتحمها اللصوص.. ثم هامت على وجهها في شوارع بغداد حتى اختطفها مسلحون واغتصبوا براءتها.. والآن تتساءل عن مصير جنين يئن في أحشائها، لكن المحتلين لم يجيبوها ربما لانشغالهم ببقية إجراءات "تحرير" الشعب العراقي!

بدأت زينب بنت الخامسة عشرة ربيعًا تجتر ذكرياتها الأليمة في حديثها فقالت: "بعد أن كسر اللصوص دار الأيتام التي كنا فيها لسرقتها، خرجت منها، ولم أكن أعلم إلى أين أذهب؟ أو ماذا سيكون مصيري؟ خرجت ومعي أكثر من ١٠٠ بنت، وبدأنا نفترق شيئًا فشيئًا حتى بقيت لوحدي، بقيت أكثر من ثلاث ليالٍ وحيدة أنام في أماكن مخفية حتى لا يراني أحد".

ومضت زينب تقول: "وأثناء تجوالي بحثًا عن الطعام في شوارع بغداد قام ٤ رجال مسلحون بخطفي.. اغتصبوني وضربوني ضربًا مبرحًا، وأنا الآن حامل في الشهر الثاني، ولا أعلم كيف سيكون مصير طفلي، لأني بلا معيل، وأنام في أحد الزوارق على شاطئ دجلة، وأعاني من آلام شديدة في بطني، والناس عندما يمرون يسخرون مني ويسبونني، وأحيانًا أسمع منهم كلامًا مؤلما".

---

[١] شبكة إسلام أون لاين. نت الثلاثاء ٢٠٠٣/٦/١٠م.

وبدأت الدموع تتساقط من عينيها وهي تقول: "ما هو ذنبي؟ فأنا ضحية من قاموا بالاعتداء علي، لقد صرخت بأعلى صوتي، والناس تتفرج، ولم يتقدم أحد لإنقاذي، لأنهم كانوا مسلحين، لماذا أدفع أنا ثمن استهتارهم وإجرامهم؟ ليس لي مكان آوي إليه، وليس لدي نقود لشراء الطعام، أينما أذهب يطردني الناس".

زينب ليست الضحية الوحيدة للوضع الأمني المتردي في العراق منذ سقوطه بأيدي قوات الاحتلال الأنجلو أمريكية، فقد قام الأمريكان واللصوص على حد سواء باقتحام العديد من دور الأيتام وطردوهم منها إلى شوارع بغداد وأزقتها للتسول والبحث في القمامة عن طعام.

صبي لم يتجاوز الحادية عشرة، اسمه أسعد قال: "أخرجتنا القوات الأمريكية من دار الرحمة التي كنا نسكن فيها، ومعظمنا أيتام، وليس لنا أقرباء، ومنذ ذلك الوقت وأنا أتسول في الطرقات، وأحيانًا يقوم بعض الناس بالإحسان عليّ ببعض الطعام" [١].

وتابع قائلاً: "حين يأتي الليل أنام قرب أحد الفنادق، لأني أخاف الليل، خاصة أن إحدى العصابات التي تتجول في الشوارع ليلاً قامت بخطف زميلي مصطفى الذي كان معي في دار الرحمة، ولا أعرف إلى أين أخذوه؟ أو ماذا فعلوا به؟".

---

[١] كل مسلم يعلمُ عن هذه الجرائم والمآسي، ثم يسكت ولا يتحرك ولا يقدم ما يستطيعه؛ فهو شريكٌ في الإثم، ولا تظن نفسك أيها القارئ المسلم أنكَ غير مسؤولٍ عن سكوتك وعدم جهادك للأمريكان، وعن سكوتك وعدم جهاد للحكام الخونة الذين باعوا العباد والبلاد للصليبيين، وعن سكوتك وعدم فضحك لعلماء السوء الذين خانوا الله ورسوله والمؤمنين وأفتوا بأن الحكامَ المرتدين ولاة أمرٍ، وبأن الصليبيين معاهدون!! ومستأمنون!! وذميون!!

في المسلمين العيب لا الإسلام ... في الدافنين رؤوسهم كنعام
في الموكلين الأمر غير ولاته ... في الراقصين على هوى الحكام

أَحَـلَّ الْكُفْرُ بِالْإِسْـلَامِ ضَـيْمًـا ... يَقُولُ بِـهِ عَلَى الـدِّينِ النَّحِيـبُ
فَـحَـقٌّ ضَـائِـعٌ وَحِمًى مُـبَـاحٌ ... وَسَـيْفٌ قَـاطِعٌ وَدَمٌ صَـبِيـبُ
وَكَمْ مِنْ مُسْـلِمٍ أَضْـحَى سَـلِيبًا ... وَمُسْـلِمَـةٍ لَهَـا حَرَمٌ سَـلِيـبُ
وَكَمْ مِنْ مَسْـجِـدٍ جَعَلُوهُ دِيرًا ... عَلَى مِحْرَابِـهِ نُصِـبَ الصَّـلِيـبُ
دَمُ الْخِـنْـزِيـرِ فِـيـهِ لَهُـمْ خُـلُـوفٌ ... وَتَحْرِيقُ الْمَصَـاحِفِ فِيـهِ طِيـبُ
أُمُـورٌ لَـوْ تَأَمَّـلَـهُـنَّ طِـفْـلٌ ... لَطَفِـلَ فِي عَوَارِضِـهِ الْمَشِـيـبُ
أَتُسْـبَى الْمُسْـلِمَـاتُ بِكُـلِّ ثَغْرٍ ... وَعَيْشُ الْـمُسْـلِمِينَ إِذًا يَطِيـبُ
أَمَـا لِلَّهِ وَالْإِسْـلَامِ حَـقٌّ ... يُـدَافِعُ عَنْـهُ شُـبَّـانٌ وَشِـيـبُ
فَقُـلْ لِـذَوِي الْكَرَامَـةِ حَيْـثُ كَـانُوا ... أَجِـيـبُـوا اللَّهَ وَيْحَـكُـمُـوا أَجِـيـبُـوا

جرائم أمريكا في أفغانستان

بعد قيام دولة الإسلام في أفغانستان وإيوائها للمجاهدين من أنحاء الأرض، فكر أعداء الله الصليبيون في شن حملتهم الصليبية الجديدة، وأعدوا العدة لمعركتهم تلك قبل أن تأتي غزوات نيويورك وواشنطن، فجاءت الضربات المباركة لتبعثر أوراقهم وخططهم، يقول الشيخ أسامة بن لادن في مقابلته مع تيسير علوني: "إن أمريكا ضد قيام أي دولة إسلامية، وقد صرح أمير المؤمنين في أكثر من مناسبة، وصرح كثير من كبار الطلبة، أنهم مقصودون لدينهم، لا لمجرد وجود أسامة بن لادن، وكما قال: جاء البريطانيون وهجموا على أفغانستان قبل أن يوجد أسامة بن لادن، ثم جاء الروس قبل أن نجيء، والآن جاء الأمريكان فنرجو الله أن يهزمهم كما هزم حلفاءهم من قبل".

نقلت صحيفة (ضرب مؤمن) الإسلامية الباكستانية عن وزير الخارجية الباكستاني الأسبق نياز زينك أن مسؤولين كباراً في الحكومة الأمريكية أبلغوه في منتصف شهر يوليو تموز من عام ٢٠٠١م بأن الولايات المتحدة ستتخذ إجراءات عسكرية ضد أفغانستان بحلول منتصف شهر أكتوبر تشرين أول ٢٠٠١م، وقال الوزير الباكستاني السابق إن المسؤولين الأمريكيين أبلغوه بالخطة أثناء انعقاد مؤتمر لدول مجموعة الاتصال الخاصة بأفغانستان الذي عقد تحت رعاية الأمم المتحدة في برلين.

وقال نواز: إن المسؤولين الأمريكيين أبلغوه أنه إذا لم يتم تسليم ابن لادن على الفور فإن الولايات المتحدة ستقوم بعمل عسكري لاعتقاله أو قتله هو والملا عمر زعيم حركة طالبان، ويشير المسؤول الباكستاني إلى أن الهدف الأوسع من تلك العملية سيكون إسقاط حكومة طالبان وتنصيب حكومة انتقالية من الأفغان المعتدلين من الممكن أن يتزعمها ملك أفغانستان السابق ظاهر شاه.

وأوضح المسؤول الباكستاني السابق أن واشنطن ستشن عملياتها من قواعد في طاجكستان حيث يقيم عدد من المستشارين الأمريكيين بالفعل.

وقال إن أوزبكستان ستشارك في العمليات، وأن سبعة عشر ألف جندي روسي يقفون في حالة استعداد، مشيراً إلى أن العمليات العسكرية ستتم قبيل سقوط الثلوج في أفغانستان بحلول منتصف أكتوبر تشرين أول على أكثر تقدير.

وشكك المسؤول الباكستاني السابق في إمكانية تراجع الولايات المتحدة عن خططها، حتى إذا تم تسليم ابن لادن على الفور من قبل الإمارة الإسلامية.

وقد نقلت (البي بي سي) هذا التقرير عن دبلوماسي باكستاني سابق قوله: بأن الولايات المتحدة كانت تخطط لعمليات عسكرية ضد أسامة بن لادن وحركة طالبان حتى قبل وقوع هجوم نيويورك وواشنطن" [١].

إن ذبح أهل الإسلام هو من أهم الأعمال لهؤلاء الصليبيين وعلى رأس جدول أعمال الصليبية المعاصرة كما كان لدى الصليبية القديمة، فقد ارتكبت أمريكا جرائم فظيعة في أفغانستان كان أبرزها مجزرة "قلعة جانجي" التي تم فيها قصف الأسرى بالطائرات والصواريخ الأمريكية، لأن أحد عناصر وكالة المخابرات الأمريكية قُتل في اشتباك مع أسير من طالبان[٢].

وحين تراجعت القوات الإسلامية تكتيكياً، بدأت أمريكا وعملاؤها المحليون في اقتراف جرائم الحرب ضد المدنيين العزل من البشتون والباكستانيين والعرب، وكان سقوط مزار شريف مناسبة لإبراز الوحشية الأمريكية مرة أخرى، لدرجة أن مبعوث الاتحاد الأوروبي إلى

---

[١] حقيقة الحرب الصليبية الجديدة (٥٠٤٩) للشيخ يوسف العييري رحمه الله وتقبله في الشهداء.

[٢] اقرأ قصة هذه المجزرة بقلم المجاهد عبد الهادي العراقي تحت عنوان" القصة الكاملة لملحمة الشهداء المنسيين.. في (قلعة جانجي)

أفغانستان الألماني كلوس بيتر كلايبر شبه معتقل طالبان – على حد تعبيره – قرب مزار الشريف بمحتشد "أوسشويتز" النازي الشهير أيام الحرب العالمية الثانية، حيث حشد الآلاف في ظروف مأساوية، وتوفي عدد غير محدد منهم – رحمهم الله – بسبب سوء التغذية والمرض، علاوة على أن الكل رأى كيف قصفت الطائرات الأمريكية سجن القلعة من كل جانب تحت ذريعة التمرد، وهي الذريعة القديمة ذاتها التي استخدمت في بعض مجازر أمريكا في كوريا كما تقدم.

ثم بعدها جاءت موجة القصف الهمجي للقرى والمدن الأفغانية، وخاصة حينما يتعلق الأمر بأعراس وأفراح يقوم بها الأهالي المسلمون، فتنقلب أفراحهم أتراحاً عندما تنهال عليهم القذائف من كل جانب، في خطة مبرمجة ووحشية من التقتيل والتدمير ضد المدنيين المسلمين، ليقال بعدها: إن الطائرات الأمريكية إنما أخطأت هدفها أو كانت في حالة دفاع عن النفس.

يقول الشيخ أسامة بن لادن نصره الله [١]: "وهؤلاء الذين يدعون الإنسانية ويدعون الحرية رأينا هنا إجرامهم الحقيقي، فالإنسان تكفيه شظية وزيادة عليه، تكفيه شظية وزيادة عليه وزنها سبع غرامات، فأمريكا من حقدها على هؤلاء الطالبان ومن حقدها على المسلمين كانت ترمي على إخواننا في الخطوط قذائف تصل القذيفة الواحدة إلى ٧ أطنان، يا أهل الحساب يعني ٧ آلاف كيلو يعني تساوي ٧ ملايين غرامات بينما يكفي الإنسان ٧ غرامات وزيادة عليه.

---

[١] انظر كلمة الشيخ بعد ثلاثة أشهر من غزوتي نيويورك وواشنطن في كتاب "أسامة بن لادن.. مجدد الزمان وقاهر الأمريكان" (٤٣٣).

وعندما فجر الشباب – نرجو الله أن يتقبلهم شهداء – في نيروبي أقل من طنين قالت أمريكا هذا ضرب إرهابي، وهذا سلاح تدمير شامل وأما هي تستخدم قذيفتين كل قذيفة ٧ ملايين غرام فهذا لا حرج فيه.

ويطلع علينا وزير الدفاع بعد أن قصفوا قرى بكاملها بدون سبب وإنما من أجل إرهاب الناس وجعل الناس يخافون من استضافة العرب أو الاقتراب منهم، طلع وزير الدفاع وقال: هذا من حقنا، من حقهم أن يبيدوا الشعوب طالما أنها مسلمة!! وطالما أنها غير أمريكية!!، هذا هو الإجرام بعينه واضح بيّن وكل ما تسمعون من قولهم أنه خطأ هذا من الكذب الواضح البيّن.

فقبل أيام ضربوا كما زعموا مواقع للقاعدة في خوست وأرسلوا قذيفة موجهة على مسجد قالوا وقعت بالخطأ، وبعد التحري اتضح أن العلماء في خوست كانوا يصلون صلاة التراويح وكان عندهم اجتماع بعد صلاة التراويح مع البطل المجاهد الشيخ جلال الدين حقاني الذي كان أحد أبرز قيادات الجهاد السابق ضد الاتحاد السوفييتي والذي رفض هذا الاحتلال الأمريكي على أرض أفغانستان، فقصفوا المسجد والمسلمون في الصلاة فقتل منهم مئة وخمسون ولا حول ولا قوة إلا بالله وسلم الشيخ جلال نرجو الله أن يبارك في عمره".

ويقول أيضاً [١]: "وقد تعرضت مراكزنا منذ الساعة الأولى للحملة الأمريكية في العشرين من رجب لعام ألف وأربعمائة واثنين وعشرين للهجرة الموافق السابع من أكتوبر لسنة ألفين وواحد ميلادية لقصف مركز، ثم استمر ذلك القصف بشكل متقطع إلى منتصف رمضان، وبعدها في صبيحة السابع عشر من رمضان بدأ قصف شديد جداً، وخاصة بعد ما تأكدت القيادة الأمريكية من وجود بعض قيادات القاعدة في تورا بورا بما فيهم العبد الفقير والأخ المجاهد الدكتور أيمن الظواهري، وأصبح القصف على مدار الساعة فلم تكن تمر علينا ثانية

---

[١] رسالة الشيخ إلى المسلمين في العراق انظر كتاب "أسامة بن لادن.. مجدد الزمان وقاهر الأمريكان" (٥٥٤).

بدون طائرات حربية فوقنا ليلًا أو نهارًا، حيث تفرغت غرفة قيادة وزارة الدفاع الأمريكية مع جميع القوى المتحالفة معها لنسف وتدمير هذه البقعة الصغيرة وإزالتها من الوجود، فكانت الطائرات تصب حممها فوقنا وخصوصًا بعد أن أنهت مهماتها الأساسية في أفغانستان، وكانت القوات الأمريكية تقصفنا بالقنابل الذكية، والقنابل ذات آلاف الأرطال والقنابل العنقودية، وكذلك كانت القنابل الخارقة للكهوف، وقد كانت قاذفات القنابل كطائرات بي اثنين وخمسين تحوم الواحدة منها لأكثر من ساعتين فوق رؤوسنا وترمي في كل دفعة من عشرين إلى ثلاثين قنبلة، وكانت طائرات السي مائة وثلاثين المعدلة ترمينا ليلًا بالأبسطة المتفجرة وغيرها من القنابل الحديثة".

وكشفت مجلة النيوزويك (٢٠٠٢/٨/٢٧م) جرائم الحرب في أفغانستان، وكيف أن أكثر من ٣٠٠٠ أسير في طالبان استسلموا لقوات التحالف الشمالي كانوا قد حُشروا مرضى ويتضورون جوعًا في مرفق يتسع لـ٨٠٠ شخص فقط، وكيف أن المئات منهم ماتوا خنقًا في حاويات معدنية مختومة أثناء نقلهم إلى المعتقلات!.

وإذا كانت النيوزويك ترددت في تحميل مسؤولية تلك الجرائم للجيش الأمريكي؛ فإن روبرت فيسك بيَّن بوضوح كيف أن الولايات المتحدة تقوم بتوظيف القتلة والمجرمين (المعروفين) للعمل لصالحها، وأن ذلك "عمل روتيني" بحسب تعبير فيسك.

وقد أفرد تشومسكي في كتابه الأحدث: "الحادي عشر من أيلول سبتمبر" ساحة للحديث عن الأوضاع المأساوية التي عاشها المدنيون الأفغان في ظل الحرب الأمريكية؛ ففي البدء طلبت واشنطن من حليفها الباكستاني قطع إمدادات الوقود وتقليص عدد قوافل الشحن التي تؤمن جزءًا مهمًا من الغذاء والمؤن للأفغان، وفي الوقت ذاته أوقف "برنامج الغذاء العالمي" التابع للأمم المتحدة نشاطاته نحو ثلاثة أسابيع متوالية بُعيد الغزوات.

اليورانيوم أيضًا في أفغانستان [١]:

استخدمت أمريكا نوعاً آخر غير اليورانيوم المنضب في ضربها لأفغانستان أخطر منه بكثير، حيث وجهت ستة آلاف قذيفة تحتوي على اليورانيوم العادي الأكثر إشعاعاً وخطراً من اليورانيوم المنضب، وهذا ما اتضح من خلال العينات التي أخذها البروفيسور آصف دراكوفيتش مدير المركز الطبي لأبحاث اليورانيوم في واشنطن لأفغان يقيمون في مناطق مختلفة من شمال وشرق وجنوب ووسط أفغانستان، وقد أثبت تحليلها أن أجساد الأفغان المصابين تحوي نسبة يورانيوم تصل إلى ما بين مائتين إلى أربعمائة وستين ضعفاً مما وجد في أجساد العراقيين، وأنه (أي آصف دراكوفيتش) أرسل فريقاً طبياً تابعاً له ثلاث مرات إلى أفغانستان لتقصي الحقائق الطبية حول المسألة، وأن لديه الآن سبعاً وستين عينة يحتفظ بها في أحد المعامل بحاجة إلى مبلغ خمسين ألف دولار لاستكمال تحليلها بعدما أنفق ما كان يملكه خلال السنوات الماضية على أبحاث أخرى بعدما سرحته الإدارة الأمريكية من وزارة الدفاع عام ١٩٩٨م عندما أخذ صوته يرتفع في المحافل الدولية محذراً من مخاطر استخدام الأسلحة التي تحتوي على اليورانيوم حتى على الجنود الأمريكيين الذين يشاركون في المعارك والذين يستنشقون غبار اليورانيوم الذي يتمركز استنشاقه في الرئة والنخاع والعظام، ويسبب أمراض السرطان وسرطان الدم والكبد بل ويغير الجينات الوراثية للإنسان.

ورغم أن البروفيسور (دوج روكي) الرئيس السابق لمشروع اليورانيوم المنضب في وزارة الدفاع الأمريكية قد أكد في حوار سابق معه إصابة حوالي مئتي ألف جندي أمريكي بأعراض مرض

---

[١] مقال لأحمد منصور نُشر في "الأسبوع العربي" العدد ١٨٤ تاريخ ٢٠٠٢/١١/١٦م نقلاً عن مجلة الوعي العدد ٢٠١، يقول أحمد منصور: "حقائق مذهلة تلك التي ذكرها البروفيسور آصف دراكوفيتش مدير المركز الطبي لأبحاث اليورانيوم في واشنطن حينما التقيت به يوم الأربعاء الماضي من خلال برنامجي (بلا حدود). وهذا المركز الذي يديره يعتبر المركز الوحيد في العالم الذي تتركز أبحاثه حول أضرار اليورانيوم على الإنسان، والتي قضى البروفيسور دراكوفيتش ثلاثين عاماً من حياته يبحث فيها، وهو الذي اكتشف مرض حرب الخليج، ويعتبر من أبرز العلماء السابقين في الجيش الأمريكي"

حرب الخليج مات خمسة عشر ألفاً منهم، ولا يزال الكثيرون يعانون في انتظار الموت هو واحد منهم، إلا أن دراكوفيتش الذي كان رئيساً لوحدة العلاج الذري لمستشفى المحاربين القدماء حتى العام ٩٨م أكد أن الذين يتلقون العلاج الذري من الأمريكيين يصلون إلى ثمانين ألفاً، فيما يتراوح عدد البريطانيين المصابين بين عشرة آلاف وخمسة عشر ألف جندي، وهي أعداد تعتبر ضخمة، وتعتبر خسارة أمريكية حقيقية في حرب خرجت منها وهي تعتقد أنها لم تفقد سوى بضعة عشر جندياً.

وما لم يقله دراكوفيتش على الهواء وقاله لي في الساعات المطولة من النقاش التي دارت بيني وبينه قبل وبعد البرنامج: أن هناك تغيراً في الجينات الوراثية للمصابين أدى إلى أن كثيرين منهم ولد لهم أطفال مشوهون، وأذكر أن مجلة لايف الأمريكية المصورة الشهيرة نشرت في عدد لها عام ١٩٩٦م، وهو وقت مبكر بعد الحرب، صوراً لأبناء محاربين ممن شاركوا في حرب الخليج بعضهم دون أيد.

لكن الخطر الأكبر سيكون لدى هؤلاء الذين شاركوا في أفغانستان حيث أطلقت الولايات المتحدة ستة آلاف صاروخ موجه تحتوي على اليورانيوم العادي، وقد أبلغني الدكتور دراكوفيتش أن قذائف اليورانيوم التي استخدمت ضد العراق لا تزيد عن خمسة كيلوغرامات، أما التي استخدمت في أفغانستان فتصل إلى ألفي رطل، وقال: "لك أن تتخيل حجم الخراب الذي سوف تسببه ليس للإنسان فقط، وإنما للأرض والحياة والبيئة خلال ملايين السنين القادمة".

وإذا كان العراقيون قد ارتفعت نسبة تشوه المواليد لديهم إلى نسبة غير مسبوقة، ومن أعلى النسب في العالم، فإن المشكلة هي أن الأجيال الخمسة القادمة سوف تعاني بشكل أكبر، وسوف يصل الأمر إلى حد تفشي السرطان في الناس مثل الطاعون، لا سيما وأن كل معطيات الحياة هناك ملوثة.

وقد أطلعني البروفيسور دراكوفيتش على نتائج أبحاثه الأولى حول أفغانستان والمقرر أن تنشر في مجلة طبية عالمية متخصصة، كذلك أطلعني على تقرير انتهى منه مركزه فقط في الثالث من أكتوبر الماضي يثبت فيه التدمير المتعمد والعشوائي للحياة في أفغانستان، وهذا ما جعل الأمراض تتفشى في الجنود وأن كثيرين منهم يعودون من أفغانستان مرضى وسط حالة تكتم شديدة.

ومما ذكره لي دراكوفيتش في نقاش معه أن اليورانيوم الذي تعرضت له أفغانستان يعادل ألفاً وأربعمائة مرة ما تعرضت له العراق، وإذا كان ما تعرض له العراق يعادل سبع مرات ما تعرضت له كل من هيروشيما ونجازاكي من جراء القنبلة النووية الأمريكية فإن ما تعرضت له أفغانستان بحسبة بسيطة يعادل ما تعرضت له مدينتا هيروشيما وناجازاكي بحوالي عشرة آلاف ضعف، ولهذا ترفض أمريكا بل تحارب كل الأبحاث العلمية وكل العلماء الذين يحاولون كشف الحقيقة.

أمريكا وجرائمها مع أسرى المسلمين:

وأثناء حرب أمريكا الظالمة في أفغانستان أسرت بالتعاون مع عملائها في باكستان وتحالف الشمال في أفغانستان عشرات من شباب الإسلام، ونكلت بهم أشد النكال على مرأى ومسمع من العالم، "فقد سمع العالم عبر الإذاعات وشاهد عبر الفضائيات وقرأ من خلال الصحف ما يجري لمجموعات من الشباب المسلم الذين أسرتهم واختطفتهم الولايات المتحدة الأمريكية بذلك الأسلوب الهمجي الذي استهانت فيه بكل الشرائع السماوية، وانتهكت حقوق الإنسان – المزعومة – التي تتشدق بها في كل محفل.

إن الأساليب التي مارستها أمريكا مع هؤلاء الأسرى والمخطوفين من وضع السلاسل الحديدية بالأيدي والأرجل، والتخدير، والاستهانة بشعائرهم الدينية عندما حلقوا لحاهم، وأساليب أخرى من التعذيب الجسدي والنفسي، والتي سمعها العالم وشاهدها عبر وسائل

الإعلام؛ لا تليق حتى بالحيوانات ولا تستعمل إلا مع الوحوش في الغابات عند محاولة اصطيادها.

فلم يعد خافياً أن ما يجري مع هؤلاء الأسرى والمخطوفين يقصد به إذلال الشعوب عامة والإسلامية خاصة، وأن ممارسات بهذه الصورة لا يمكن أن تفهم إلا أن المقصود إهانة أكثر من مليار وثلث المليار من المسلمين.

إن ما جرى في أفغانستان من تقتيل للأبرياء وفتك بالضعفاء وقتل للأسرى وصمة عار في جبين الدولة والمجتمع والحضارة التي أنتجت مثل هذه السلوك الذي لا ينتمي إلا لسلوك القرون الوسطى في التاريخ الأوربي، وإنه لمن العجيب أن يقف أحد أعمدة الإدارة الأمريكية وهو وزير الدفاع دونالد رامسفيلد أمام أجهزة الإعلام بكل جرأة يعطي تعليمات لجنوده بـ "أنه لا يريد أسرى وإنما القتل والدمار، وأن يصرح بكل عنجهية أن قتل المدنيين لا بد منه لحرب الإرهاب، وأن يبخل حتى بالأسر الوحشي على أسرى ومخطوفي جوانتانامو عندما صرح أمام العالم بأنهم لا يستحقون الأسر وإنما حقهم القتل" [١].

---

[١] انظر مقال " ممارسات أمريكا ضد أسرى المسلمين" ويمكنك معرفة المزيد عن أسرى غوانتانامو عبر موقع "أسرى المسلمين" على شبكة الإنترنت.

مجازر الأمريكان في الصومال

بحلول عام ١٩٩٣م بين ١٤١٢هـ - ١٤١٤هـ قتل الجيش الأمريكي الآلاف من المسلمين في الصومال قال الشيخ أسامة بن لادن في خطبة عيد الأضحى ١٤٢٣هـ [١]: "بعد حرب الخليج الثانية أدخلت أميركا جيوشها إلى الصومال وقتلوا ١٣ ألفاً من أبناء المسلمين هناك، ولا حول ولا قوة إلا بالله".

---

[١] انظر كتاب "أسامة بن لادن.. مجدد الزمان وقاهر الأمريكان" (١٩٦).

شركات النهب الأمريكية

تقوم الشركات الأمريكية العملاقة بنهب ثروات وخيرات البلدان النامية بالتعاون مع طواغيت هذه البلدان مما يؤدي إلى موت عشرات الملايين من سكان البلدان النامية بسبب الجوع والأمراض الناجمة عنه حيث يدل بيان اليونسيف الرسمي على أن نصف مليون طفل يموت سنوياً بسبب أزمة الديون.

وبين أهم وسائل ضخ موارد البلدان لأخرى إلى أمريكا تأتي الشركات المتعددة الجنسيات، التي تعتبر من حيث قوتها المالية وأبعادها، إمبراطوريات حقيقية، وتكاد هذه الشركات أن تتطابق مع مصطلح كبريات الشركات الأمريكية، ذات الفروع في عشرات من بلدان العالم، وتتمتع هذه الشركات بقدرات اقتصادية هائلة، حيث تنتج أكثر من نصف الناتج الوطني الإجمالي أما مواردها المالية الخاصة بها فأضخم بـ ٣ إلى ٥ مرات من موارد المصارف المركزية والمنظمات المالية الدولية في العالم الغربي.

وتقوم الشركات المتعددة الجنسيات بضخ موارد البلدان الأخرى لصالح أمريكا، إما على شكل الإشراف على الموارد الهامة للبلدان، التي تقوم فيها الفروع التابعة لها، وإما على شكل نقل الرساميل والسلع إلى أمريكا عبر نظام ما يعرف باسم أسعار التحويل أو أسعار النصب والاحتيال في الحقيقة.

جرائم أمريكية أخرى في الـ ١٠٠ عام الماضية

١- في أبريل عام ١٩١٦م: قامت مشاة البحرية الأمريكية بقمع انتفاضة في الدومينكان ثم احتلت البلاد بالكامل في بداية مايو واستمر الاحتلال ثمان سنوات.

٢- ٥ يونيو ١٩٣٣م: وقع عبد الله السليمان وزير مالية النظام السعودي ولويد هاملتون على إعطاء حق امتياز التنقيب عن النفط في الجزيرة ليتم بيع ثروة البلاد وأرضه للولايات المتحدة الأمريكية.

٣- في مايو ١٩٤٥م: قصف الطيران الأمريكي مدينة (درسدن) الألمانية رغم أن الزحف الروسي كان قد تجاوزها ولم تعد لهذا السبب تشكل هدفاً عسكرياً، وقد أدى القصف إلى قتل ١٥٠ ألف شخص مدني، كما تخرب ٦٠ % من أبنيتها.

٤- أوائل ديسمبر سنة ١٩٤٣م: البحرية الألمانية تغرق الباخرة الأمريكية (اس اس جون هارفي) (S/S John Harvey) في عرض البحر وتبين أنها كانت محملة بمائة وخمسين طناً من غاز الخردل، فهلك من جراء انتشار هذا الغاز في جو المنطقة ومياهها خمسة وسبعون بحاراً، إضافة إلى خمسة وأربعين طناً من الأسماك طفت على وجه المياه.

٥- ٢٨ سبتمبر ١٩٤٥م: صادق الرئيس الأمريكي الأسبق ترومان على قرار إنشاء قاعدة جوية للقوات الأمريكية في الظهران لتكون أول تواجد عسكري أمريكي في الجزيرة.

٦- استولى الأمريكيون سنة ١٩٤٦م على مائتين وخمسين ألف طن من غاز (التابون) الفتاك في منطقة (جيورجيان) في النمسا، وبدل إتلافها تم نقلها سراً إلى الولايات المتحدة.

٧- عام ١٩٤٩م الولايات المتحدة تشعل حرباً أهلية في اليونان ذهب ضحيتها ١٥٤ ألف شخص، أودع حوالي ٤٠ ألف إنسان في السجون، و٦ آلاف أعدموا بموجب أحكام عسكرية، وقد اعترف السفير الأمريكي الأسبق في اليونان (ماكويغ) بأن جميع الإعمال

التكتيكية والتأديبية الكبيرة التي قامت بها الحكومة العسكرية في اليونان في الفترة ما بين عام ١٩٤٧م - ١٩٤٩م كانت مصدقة ومهيأة من واشنطن مباشرة.

٨- ٣ مارس ١٩٤٩م: وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تنفذ انقلاباً عسكرياً في سوريا بقيادة حسني الزعيم وقد تم التخطيط للانقلاب في السفارة الأمريكية في دمشق.

٩- ١٤ أغسطس ١٩٤٩م: قامت مجموعة من الضباط السوريين بتوجيه من السفارة الأمريكية في دمشق بمحاصرة بيت حسني زعيم وقتله بعد أن تمرد على أوامرهم.

١٠- ٢٦ يونيو ١٩٥٠م: تدخلت الولايات المتحدة عسكريا ضد كوريا الشمالية لصالح كوريا الجنوبية.

١١- ١٠ مارس ١٩٥٢م: الولايات المتحدة تدعم الجنرال (باتيستا) للقيام بانقلاب ضد الحكم الجمهوري في كوبا. وبعد استيلائه على السلطة فرض على البلاد حكماً دكتاتورياً متخلفاً ومرتبطاً بالولايات المتحدة.

١٢- ٩ أغسطس ١٩٥٣م: تنفذ وكالة المخابرات المركزية انقلاباً ضد حكومة مصدق الوطنية في إيران قام بالتخطيط والتنفيذ (كيم روزفلت) حفيد (تيودور روزفلت) رئيس الولايات المتحدة في سنوات ١٩٠١م - ١٩٠٩م.

١٣- ٢٧ يونيو ١٩٥٤م: نفذت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية انقلابا عسكرياً في غواتيمالا بعد أن قامت طائراتها بقصف العاصمة وبعض المناطق بطائرات (ب - ٢٦).

١٤- ٢٥ يوليو ١٩٥٨م: تم احتلال لبنان عسكرياً من قبل الأسطول السادس الأمريكي لتأييد حكومة كميل شمعون على إثر قيام الانقلاب العراقي في اليوم السابق.

١٥- ١٦ أبريل ١٩٦١م: الولايات المتحدة تحاول غزو كوبا بواسطة بعض المنفيين الكوبيين بمساندة الطائرات الأمريكية وبدعم مباشر، والعملية سميت (معركة خليج الخنازير) والتي فشلت فشلاً ذريعاً.

١٦- ١ نوفمبر ١٩٦٣م: قتلت المخابرات الأمريكية (نيجو دين ديم) رئيس وزراء فيتنام الجنوبية عميلها السابق.

١٧- عام ١٩٦٤م: قامت الولايات المتحدة الأمريكية بالأعمال العدوانية المسلحة ضد لاوس بهدف دعم الحكومة الموالية لها، وشارك في هذا العدوان ٥٠ ألف جندي وضابط من الجيش الأمريكي و١٥٠٠ طائرة و ٤٠ سفينة حربية، واستخدمت أمريكا أيضاً السلاح الكيماوي بصورة كبيرة.

١٨- ٢٨ أبريل ١٩٦٥م: الولايات المتحدة تتدخل عسكرياً في (الدومينكان) على إثر قيام حركة ثورية في البلاد.

١٩- ١ مايو ١٩٦٥م: نقلت السفن والطائرات الأمريكية ١٧٠٠ من مشاة الأسطول و٢٥٠٠ من الجنود إلى الدومينيكان.

٢٠- ٤ مايو ١٩٦٥م: أمر جونسون بإرسال ١٤ ألف جندي لاحتلال سان دو منجو إلى أجل غير مسمى.

٢١- ١٢ أبريل ١٩٦٦م: رفضت الولايات المتحدة الموعد النهائي (أول أبريل ١٩٦٧) الذي حدده الجنرال ديجول لسحب القوات الأمريكية وعددها ٢٦ ألف جندي من فرنسا.

٢٢- عام ١٩٦٨م: دبرت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (سي آي إيه) انقلاباً عسكرياً يقوده (سوهارتو) ضد رئيس إندونيسيا (سوكارنو) الذي قاد البلاد نحو التحرير من

اليابانيين ومن ثم الهولنديين، وقد تبع هذا الانقلاب حفلات إعدام راح ضحيتها مليون شخص.

٢٣- ٤ أبريل ١٩٦٨م: المخابرات المركزية الأمريكية تقتل الثائر مارتن لوثر كنج المناضل من أجل حقوق المظلومين.

٢٤- عام ١٩٦٩م: قُتِلَ (كولبي) كبير ممثلي وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في فيتنام شخصياً، وفق برنامج فينيكس (أي التصفية الجسدية)، ١٨٠٠ شخص شهرياً في فيتنام الجنوبية، وبلغ مجموع ما قتله ٤٠ ألف شخص.

٢٥-٢٠ أبريل ١٩٧٠م: هاجم (٣٢) ألف جندي من القوات الأمريكية مدعمين بـ (٥٠٠) طائرة أمريكية و ٤٠ سفينة حربية تابعة للأسطول السابع الأمريكي الأراضي الكمبودية.

٢٦- ٥ سبتمبر ١٩٧٣م: وجه الرئيس الأمريكي (نيكسون) تحذيراً إلى الدول المنتجة للبترول في الشرق الأوسط من أن (سياسة الربط بين زيادة أسعار البترول ومحاولتهم استخدام البترول لأغراض سياسية قد تؤدي إلى فقدهم أسواقهم).

٢٧- ١١ سبتمبر ١٩٧٣م: المخابرات المركزية الأمريكية تنفذ انقلاباً ضد (سلفادور الليندي) في تشيلي، وكانت نتيجة الانقلاب مقتل (سلفادور الليندي)، وإعدام ٣٠ ألفا، واعتقال ١٠٠ ألف.

٢٨- ٨ سبتمبر ١٩٧٤م: كشف وليام كولب مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الدور الذي لعبته المخابرات الأمريكية للتخلص من الرئيس الليندي، وذكر أن حكومة نيكسون سمحت بإنفاق أكثر من ٨ ملايين دولار على أوجه نشاط المخابرات الأمريكية في شيلي في الفترة من عام ١٩٧٠م إلى ١٩٧٣م وذلك لعرقلة أعمال حكومة الليندي.

٢٩- منتصف عام ١٩٧٥م: الكونغرس الأمريكي يعد خطة لاحتلال آبار النفط في منطقة الخليج، وقد تمثلت الخطة على نقاط هي:

أ- الاستيلاء على المنشآت النفطية.

ب - حماية هذه المنشآت بضعة أسابيع أو شهور أو سنوات.

ج - ترميم الموجودات والمعدات المتضررة بسرعة.

د - تشغيل جميع المنشآت النفطية بدون مساعدة المالك.

٣٠- ٢٣ يونيو ١٩٧٧م: رفضت لجنة الاعتمادات بمجلس الشيوخ الأمريكي وقف إنتاج قنبلة (النيترون) وهي قنبلة خطيرة تقتل البشر دون أن تلحق أضرارا بالمنشآت أو المباني.

٣١- ١٤ يوليو ١٩٧٧م: وافق مجلس الشيوخ الأمريكي على إنتاج قنابل النيترون التي أكد الرئيس الأمريكي كارتر أن تطوير إنتاجها سيكلف الخزانة الأمريكية ٤٦ مليون دولار من هذا التاريخ وحتى عام ١٩٨٠م.

٣٢-٢٠ أكتوبر ١٩٧٧م: أعلن جيمي شليزنجر وزير الطاقة الأمريكي أن الولايات المتحدة ربما يتعين عليها اللجوء يوماً ما إلى حماية مصادر البترول في منطقة الشرق الأوسط وأن على الشعب الأمريكي أن يقدر الحاجة بضمان نوع من الأمن الفعلي لهذه المصادر وهي الحاجة التي يمكن وصفها بأنها ضرورة عسكرية.

٣٣- ٢ أكتوبر ١٩٧٨م: اعترف الرئيس الأمريكي لأول مرة باستخدام الولايات المتحدة للأقمار الصناعية في التجسس على الاتحاد السوفيتي وبعض الدول الأخرى.

٣٤- عام ١٩٧٨م: وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تقتل (٩١١) شخصاً في غايانا من جماعة (معبد الشمس) في مذبحة مروعة ادعت وكالة المخابرات الأمريكية أنها حادث انتحار جماعي.

٣٥-٢٠ يناير ١٩٧٩م: طلبت الحكومة الأمريكية من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية إعداد دراسة شاملة حول الحركات الإسلامية في جميع أنحاء العالم.

٣٦- ٩ أغسطس ١٩٧٩م: صرح بريجنسكي مستشار الرئيس الأمريكي للأمن القومي أن الولايات المتحدة بدأت منذ عامين في تشكيل قوة التدخل السريع بهدف حماية مصالحها ومصالح حلفائها بصورة فعالة في المناطق التي تنشب فيها الاضطرابات.

٣٧- في أكتوبر عام ١٩٧٩م: قتلت المخابرات المركزية الأمريكية (باك جون في) رئيس جمهورية كوريا الجنوبية.

٣٨- ٥ ديسمبر ١٩٧٩م: أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية أن حاملة الطائرات الأمريكية (كويتي هوك) ترافقها ٥ سفن حربية للحراسة قد وصلت إلى منطقة الخليج التي توجد فيها من قبل حاملة الطائرات الأمريكية (ميسواي) على رأس قوة طوارئ ويوجد على ظهر الحاملتين ١٣٣ طائرة تستطيع الوصول إلى مدخل الخليج.

٣٩- ١٢ ديسمبر ١٩٧٩م: تتجمع في بحر عمان أضخم قوة بحرية أمريكية منذ الحرب العالمية الثانية وقالت وزارة الدفاع الأمريكية أن سفينة إصلاح تابعة للبحرية الأمريكية قد انضمت للأسطول الأمريكي في بحر عمان.

٤٠- ٣٠ مارس ١٩٨٠م: اغتالت المخابرات المركزية الأمريكية (المونسينور روميرو) رئيس أساقفة السلفادور بينما كان يرعى قداساً كنسياً.

٤١- ١٢ يونيو ١٩٨١م: وافق مجلس النواب الأمريكي على استخدام الأموال الفيدرالية في تطوير وإنتاج قنبلة النيوترون.

٤٢- يونيو ١٩٨١م: وافقت الحكومة الأمريكية على استراتيجية عسكرية جديدة تقضي بضرورة أن تكون القوات الأمريكية على استعداد لشن حربين كبيرتين في آن واحد إحداهما في أوروبا والثانية في الشرق الأوسط مثلاً.

٤٣- آب ١٩٨١م: قامت طائرات الأسطول السادس الأمريكي في خليج سرت باعتداء على طائرتي حراسة ليبيتين أسقطتهما.

٤٤- ٢٦ نوفمبر ١٩٨١م: وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تجند المرتزقة بالاشتراك مع المخابرات الأفريقية الجنوبية الذين تمولهم أمريكا، وترسلهم تحت غطاء فريق لعبة الركبي للقيام بانقلاب عسكري في جزر سيشل.

٤٥- ديسمبر ١٩٨١م: قامت كتيبة (أتلاكاتل) المتوحشة، والمرتبطة بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية بحفلة قتل ١٠٠٠ شخص مع عمليات اغتصاب وحرق في السلفادور.
٤٦- ٢٥ فبراير ١٩٨٢م: قررت الإدارة الأمريكية اتخاذ خطوات لمقاطعة البترول الليبي وفرض حظر على بيع المعدات البترولية والإلكترونية لليبيا.

٤٧- ٧ يونيو ١٩٨٢م: تتمكن الولايات المتحدة من إيصال دميتها حسين حبري إلى الحكم بعد أن أنفقت أكثر من ١٠ مليارات دولار، وعلى إثر ذلك تعرض الناس في تشاد إلى تنكيلات دامية.

٤٨- أثناء التدريبات الواسعة النطاق لقوات الانتشار السريع الأمريكية (برايت ستار) في عام ١٩٨٢م - ١٩٨٣م قامت الطائرات الاستراتيجية القاذفة للقنابل ب - ٥٢ بالقصف الإرهابي على مقربة من الحدود الليبية.

٤٩- ٢٥ أكتوبر ١٩٨٣م: قامت القوات الأمريكية بهجوم على غرينادا إحدى أصغر دول العالم، فقد انتهكت سيادتها بوحشيةٍ حاملةً الدمار والموت للسكان الآمنين الذين نهضوا للدفاع عن وطنهم واحتلت الجزيرة، وقد أطلقت الإدارة الأمريكية كذبة تقول أن الطلاب الأمريكيين تعرضوا للخطر وذلك لتبرير عدوانها على الجزيرة.

٥٠- ٦ أبريل ١٩٨٤م: رفض مجلس الشيوخ الأمريكي مشروع قانون يلزم الحكومة الأمريكية بوقف العمل في إقامة قواعد حربية ومنشآت عسكرية في هندوراس لاستخدامها ضد الثوار في السلفادور وضد حكومة نيكاراجوا التي تعترف بها الحكومة الأمريكية.

٥١- ٢٢ مايو ١٩٨٤م: أبلغ الرئيس الأمريكي ريغان (فهد بن عبد العزيز) أن الولايات المتحدة تبحث القيام بعمل عسكري إذا دعت الضرورة لحماية ناقلات البترول في الخليج، وأنه سيصبح ضروريًا حينئذ إعطاء أمريكا حق العمل من قواعد (سعودية).

٥٢- ٢٤ يوليو ١٩٨٤م: أعلن البنتاغون أن طائرات أمريكية مقاتلة قامت بمناورات جوية فوق خليج سرت قرب الساحل الليبي دون أي اعتراض من القوات الليبية!!.

٥٣- ١٣ يونيو ١٩٨٥م: أكد تقرير للجنة تصفية الاستعمار التابعة للأمم المتحدة أن الولايات المتحدة ودولاً غربية أخرى تساعد جنوب أفريقيا في برنامجها الخاص بإنتاج أسلحة نووية.

٥٤- ١٣ يونيو ١٩٨٥م: وافق مجلس النواب الأمريكي على تقديم مساعدات للمتمردين في نيكاراجوا تقدر بحوالي ٢٧ مليون دولار.

٥٥-٢٠ يونيو ١٩٨٥م: وافق مجلس النواب الأمريكي على استئناف إنتاج الأسلحة الكيماوية بعد حظر ١٦ عاماً.

٥٦- ٢٨ يونيو ١٩٨٥م: وافق مجلس النواب الأمريكي على قانون يخول الرئيس ريغان الحق في التدخل عسكرياً ضد نيكاراجوا.

٥٧- ٧ يناير ١٩٨٦م: فرضت أمريكا مجموعة من العقوبات الاقتصادية ضد ليبيا وإنهاء العلاقات الاقتصادية معها.

٥٨- ٢٤ يناير ١٩٧٦م: أجرى الأسطول السادس الأمريكي مناورات استفزازية جوية وبحرية بالبحر المتوسط قبالة الساحل الليبي.

٥٩- ٢١ مارس ١٩٨٦م: أجرت الولايات المتحدة خامس جولة من مناوراتها الاستفزازية العسكرية أمام السواحل الليبية، وأعلنت عن إغراق سفينة حراسة ليبية وقصف قاعدة صواريخ سام ٥ ليبية قرب مدينة سرت الليبية ودمرت سفينتين أخريين.

٦٠- ٢٨ مارس ١٩٨٦م: وافق مجلس الشيوخ الأمريكي على تقديم ١٠٠ مليون دولار مساعدات للمتمردين في نيكاراجوا.

٦١- ٢٢ أبريل ١٩٨٦م: استخدمت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا حق (الفيتو) في مجلس الأمن ضد مشروع قرار لحركة عدم الانحياز يدين الغارة الأمريكية على ليبيا.

٦٢-١٠ يوليو ١٩٨٦م: كشفت وزارة الدفاع الأمريكية عن اعتزامها إقامة منشآت جديدة لتخزين الأسلحة النووية في ٢٦ قاعدة جوية في أوروبا والشرق الأقصى.

٦٣- ٢٩ سبتمبر ١٩٨٦م: استخدمت الولايات المتحدة الفيتو في مجلس الأمن ضد مشروع قرار يطالبها بإنهاء مساعدتها للمتمردين في نيكاراجوا.

٦٤- ٧ أبريل ١٩٨٧م: أعلن مساعد وزير الدفاع الأمريكي لشؤون الأمن الدولي أن القوات الأمريكية في هندوراس ستبقى هناك إلى أجل غير مسمى.

٦٥- ٦ يونيو ١٩٨٧م: انضمت حاملة الطائرات الأمريكية (ساراتوجا) و١٤ سفينة حربية إلى الأسطول الأمريكي في الخليج.

٦٦- ١٧ يونيو ١٩٨٧: قررت الولايات المتحدة تعزيز وجودها العسكري في الخليج بست سفن حربية أخرى تقودها بارجة ضخمة.

٦٧- ١١ مارس ١٩٨٨م: أصدر الرئيس الأمريكي ريغان قراراً بوقف المدفوعات الشهرية الأمريكية لبنما مقابل استخدام واشنطن لقناة بنما إلى جانب عقوبات تجارية أخرى بهدف حرمان حكومة بنما من الأموال السائلة.

٦٨- ١٥ مارس ١٩٨٨م: أرسلت الولايات المتحدة وحدة عسكرية من قوات البحرية الأمريكية لحماية المؤسسات الأمريكية وأكثر من ٥٠ ألف أمريكي في بنما.

٦٩- ١٧ مارس ١٩٨٨م: أرسلت الولايات المتحدة أربع كتائب عسكرية قوامها ٣٢٠٠ جندي إلى هندوراس بعد ساعات من إعلان واشنطن عن تعرض هندوراس لغزو من قبل نيكاراجوا.

٧٠- ٢ أبريل ١٩٨٨م: قررت وزارة الدفاع الأمريكية إرسال تعزيزات عسكرية إضافية إلى بنما لتوفير الأمن اللازم للقوات الأمريكية في منطقة قناة بنما ولحماية الرعايا المدنيين والمصالح الأمريكية.

٧١- ١٨ أبريل ١٩٨٨م: دمرت السفن الحربية الأمريكية رصيفين بتروليين عائمين تابعين لإيران في جنوب الخليج وأغرقت للإيرانيين ٣ سفن حربية وأصابت فرقاطتين أخريين.

٧٢- ٢٦ أبريل ١٩٨٨م: مدد الرئيس ريغان الحظر التجاري الذي فرضته أمريكا على نيكاراجوا لمدة عام رابع.

٧٣- ٣ يوليو ١٩٨٨م: أسقطت وحدات الأسطول الأمريكي في الخليج طائرة ركاب مدنية إيرانية لقي ركابها جميعهم (٢٩٨) مصرعهم.

٧٤- ٢٠ ديسمبر ١٩٨٩م: قامت القوات الأمريكية بغزو بنما بأمر من الرئيس الأمريكي جورج بوش لاعتقال الجنرال مانويل نوريجا لمحاكمته في الولايات المتحدة.

٧٥- عام ١٩٩٠م: الولايات المتحدة توقف المساعدات العسكرية والاقتصادية عن الباكستان للاشتباه في أن إسلام آباد تطور أسلحة نووية.

٧٦- في أغسطس عام ١٩٩٦م: وقع الرئيس الأمريكي (بل كلينتون) القانون الذي صدقه الكونغرس الأمريكي حول العقوبات ضد إيران وليبيا، والذي عرف بقانون (دماتو)، ويهدف هذا القانون إلى فرض عقوبات على الشركات النفطية الأجنبية التي تستثمر في إيران أو ليبيا أكثر من أربعين مليون دولار سنوياً.

تلك كانت بداية أمريكا..

وذلك هو تأريخها الأسود ووجهها القبيح..

وهذا هو حاضرها المليء بالجرائم والإفساد في الأرض..

إن مثل هذه الأمة لحريّة بالسقوط والانهيار، وهو ما تلوح بوادره في الأفق، وله أسباب كثيرة نستعرض أهمها في الفصل القادم بإذن الله.

أسباب خراب أمريكا

من يقرأ التاريخ يجد أن التاريخ يعيد نفسه، وأن سنة الله ماضية في الأفراد والشعوب والأمم والدول والحضارات:

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ۝ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۝ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾.

ويقول سبحانه: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

والله كثيراً ما يذكّرنا في كتابه بالأمم الغابرة لأخذ الدروس والعبر في واقعنا، فيقول تعالى ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

ويقول سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

ويقول عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

ومن ينظر لحال أمريكا يجد أنها قد جمعت من عوامل السقوط والخراب والانهيار ما يؤذن بأفولها وزوالها، لتصبح تاريخاً أسودًا في صفحات التاريخ العريض، فهي قد "جمعت الأسباب الكونية لسقوط الدول، وهذه الأسباب على قسمين: عوامل ذاتية، وعوامل خارجية.

فأما العوامل الذاتية: فقد تخلت أمريكا عن المبادئ التي تدعي أنها قامت عليها، والدولة التي تتخذ أسسًا لها من المبادئ ثم تتخلى عنها تنهار سريعًا، كما يسقط البنيان إذا اختلت أساساته المادية، ونحن نرى كيف تنازلت أمريكا عن قوانين الحريات الشخصية، وتخلت عن القيم الأمريكية، وأعرضت عن القانون الدولي – الذي يراه المسلم طاغوتًا يجب الكفر به – وعن هيئة الأمم المتحدة التي لم تكن غير آلةٍ لتنفيذ سياسات أمريكا وحلفائها.

كما أن أمريكا جمعت ألوان الفساد الداخلي من انتشار الجريمة، وشيوع الفواحش وألفتها واستمرائها، وتشريعها بالقوانين، وعملت كالذي عمله قوم لوط وأفحش، وجمعت ذنوب الأمم السابقة وزادت على كل أمة منها، ولو نظرت في تاريخ الأمم السابقة وجدت أنها لم تسقط ولم تزل إلا بعد انتشار الفواحش والذنوب.

وأما الظلم فحدث ولا حرج، فلم يعرف التاريخ المعاصر أظلم من أمريكا ولا أطغى، ومن سنن الله الكونية أن من نازعه الكبرياء والعظمة قصمه الله وأهلكه، ومن تسلط على العباد بالظلم أعاد الله عليه عاقبة ظلمه، والعدل أساس الملك والممالك، والدولة الظالمة أسرع الدول سقوطًا.

يقول شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله [١]: "وأمور الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل الذي يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم

---

[١] مجموع الفتاوى (٨٤/٢٨).

تشترك في إثم، ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام..

وذلك أن العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها من خَلاق – أي في الآخرة –، وإن لم تقم بالعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة".

ويقول أيضاً: "فإن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ولهذا يروى: الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة"[١].

وأما العوامل الخارجية: فقد سلط الله على أمريكا فئة مؤمنة مجاهدة، جمعت قدر الاستطاعة أسباب النصر، وقد وعد الله المؤمنين بالنصر على الكافرين، والنصر وإن تأخر إلا أن نهايته هزيمة دولة الكفر، ولا يلزم من الهزيمة سقوط الدولة في الأصل، إلا أن هذا في أمريكا متلازمٌ بسبب طبيعة الوضع الدولي، ووضع أمريكا.

كما أن أعداء أمريكا كثر، وإذا شعروا بضعفها فستبدأ كثير من صور تصفية الحسابات"[٢].

وسأكتفي هنا بالإشارة إلى أهم ثلاثة أسباب لخراب وسقوط أمريكا، مع التنبيه إلى أهمية الأسباب الأخرى التي لم اذكرها هنا؛ كالدعاء عليها ومقاطعة منتجاتها الكبيرة والصغيرة..

---

[١] مجموع الفتاوى (٢٨/٦٢ – ٦٣).

[٢] انظر التقرير الذي أعده مركز الدراسات والبحوث الإسلامية بعنوان "نزيف الخسائر الأمريكية" (٥–٦).

السبب الأول لخراب أمريكا
تنظيم القاعدة والحرب غير المتوازية

بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وتفككه وانتهاء الحرب الباردة، وبعد حرب الخليج الثانية التي خططت أمريكا أغلب فصولها في الظلام وخرجت منها دون خوض حرب حقيقية، ظنت أمريكا أنها هيمنت على العالم وأصبحت القوة التي لا تنافسها أي قوة أرضية سواء من الناحية العسكرية أو الاقتصادية أو السياسية أو الاستخباراتية، وبدأت أمريكا تبحث عن عدو جديد وخطر آخر غير الخطر الأحمر، فوجدت بغيتها في الإسلام والذي تسميه بالخطر الأخضر.

فقد أعلنت عن طريق مجلس حلفها الأطلسي – الناتو – على لسان خافير سولانا الأمين العام للحلف في تلك الفترة في عام ١٤١٢هـ: "أن العدو الذي يهددنا جميعًا ويهدد حضارتنا بعد العدو الأحمر هو العدو الأخضر – أي الإسلامي –، ولا بد من التعاون والاتحاد بين دول الحلف وحلفائهم ضد هذا العدو المشترك".

ثم قامت أمريكا بكل صلفٍ بالضغط على أصدقائها لخدمة أهدافها دون مقابل، وجرت الحلفاء للصومال لتحقق هدفاً آخر وهو السيطرة على القرن الأفريقي الغني باليورانيوم والمعادن الأساسية، مما سيمكنها من السيطرة على مضيق باب المندب لتجعل ممرات النفط – شريان حياة أوروبا – تحت سيطرتها بعد أن سيطرت على المنابع بشكل كامل ودون منافس بعد حرب الخليج، ولتستطيع عن طريق هذا الغزو أيضاً تكوين خط خلفي لنصارى السودان لتمكينهم من الاستقلال إلى غير ذلك من الأهداف [١]..

---

[١] "حلفاء أمريكا – إيطاليا وفرنسا وألمانيا... – لم يكونوا ليعينوا أمريكا على لف حبل المشنقة حول أعناقهم بعد أن طردتهم من مستعمراتهم الأفريقية واستحوذت هي على كل خيراتها وجاءت بحرب الصومال لتكمل على البقية الباقية من أفريقيا، فلم تبد أغلب دول أوروبا وعلى رأسها هذه الدول

فبدأ في الوقت نفسه تنظيم القاعدة بدراسة وضع المنطقة والعالم، وكيفية الخروج من هذا المأزق التاريخي، فكان اتخاذ قرار تحطيم المشروع الأمريكي وإخراجها من بلاد المسلمين بل ورفع يدها عن التحكم في العالم أجمع.

وكما هو معلوم أن التنظيم والإعداد والتخطيط أساس لنجاح أي مشروع جماعي، فهو يحقق استثمار أفضل الطاقات ويختصر الزمن والمسافات، فمن يريد تحقيق أهدافه الكبرى لا بد من توفر عدة عوامل ذاتية للوصول إليها، ومن جمع هذه العوامل يوفقه الله عز وجل إلى أفضل النتائج وأقواها وأسرعها والعكس صحيح، وأحسب أن تنظيم القاعدة قد جمع من الصفات والمزايا ما يجعله أفضل وأمثل من يمثل هذا النوع من الحروب الجديدة – الحرب غير المتوازية – التي تُعتبر أخطر وأكبر تهديد للولايات المتحدة الأمريكية وهي بإذن الله ستؤدي في النهاية إلى خراب وخلخلة أمريكا وانزوائها على نفسها.

الثلاث أي تعاون عملي مع أمريكا رغم حضورها في الميدان وتأخرها في التدخل، وكانت جيوش هذه الدول تغض الطرف عن تحركات المجاهدين في عملياتهم ضد الغزاة الأمريكان في الصومال بعد أن عرفوا عدم استهداف المجاهدين لهم، فخرجت أمريكا على إثر ذلك تجر أذيال الهزيمة وفرح الأوروبيون بذلك وأخفوا فرحتهم لفشل هذا المخطط القاتل لهم". انظر دراسة "صعود أمريكا إلى الهاوية" التي نشرها مركز الدراسات والبحوث الإسلامية.

صفات تنظيم القاعدة [١] المتميزة:

١- أنه "ليس تكويناً نشازاً متكلفاً مصنوعاً بدعم جهات سياسية نفعية، بل هو طبيعة الدين الإسلامي التي تدعو للاستعلاء والدفاع عن الإسلام، وهو أيضاً إفراز طبيعي لحالة الاحتقان والغضب في العالم الإسلامي، ولا يستطيع أحد أن يزعم أن هذا التنظيم صنيعة أي أحد من الأعداء إلا جاهل أو عاجز عن تصور وجود عمل مستقل عن دعم سياسي خارجي.

٢- التنظيم ليس جماعة معزولة مرفوضة من المجتمعات رافضة لها، بل إن مشروع تنظيم القاعدة يقف على منصة قوية من المشاعر الاجتماعية المبتهجة بهذا المشروع والمفتخرة به والمسرورة بأعماله السابقة والمتطلعة لأعماله اللاحقة.

هذه المنصة الاجتماعية توفر للتنظيم حاضناً طبيعياً يوفر عليه تكتيكات وأساليب مكلفة دون هذا الاحتضان.

٣- التنظيم ليس مجرد كيان كلاسيكي متطور في وسائل السرية والانضباط كما هي حال التنظيمات الناجحة في العالم، بل هو أقرب إلى مفهوم مدرسة تخرج الآلاف من المؤمنين بالمشروع الجهادي وتبثهم في المجتمعات وتستفيد منهم بطريقة تتناسب مع توجهات المجتمع المسلم من جهة ومع واقع العالم الغربي من جهة أخرى، مما يعطيهم مظلة طبيعية تحميهم أمنياً واجتماعياً.

---

[١] قال سيف العدل المصري أحد قيادي تنظيم القاعدة: " تنظيم قاعدة الجهاد المعروف باسم (القاعدة): هو تنظيم الأمة الإسلامية، وهو ينطلق من عقيدتها، ويدافع عن مصالحها، فعناصر القاعدة هم من أبناء الأمة الذين يدينون بالإسلام دينًا، كما أن كافة إمكانيات القاعدة المادية وغيرها هي خلاصة مدخرات الأمة التي تتقرب بها إلى الله تعالى.." " تحت ظلال الرماح (٢٤) من إصدارات مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ".

٤- يؤمن التنظيم بأن التخطيط يجب أن يكون على أساس استراتيجي فيه فهم للذات والبيئة والخصم والهدف.

ولم يعد سراً أن التنظيم قد حدد هدفاً هو تدمير أو إضعاف أو تفكيك أمريكا، ولا يعتبر التنظيم هذا المطلب مسألة خيالية رغم قوة الخصم الهائلة والقصور الكبير في قدرات الذات، وينفذ التنظيم من أجل حل هذه الإشكالية حيلة معقدة هي تحويل قوة وقدرات الخصم ضده ويبني معظم الاستراتيجية على ذلك.

٥- استفاد ويستفيد التنظيم من إشكال أساسي في المجتمع الأمريكي، هو كثرة الثغرات البنيوية بسبب طبيعته المنفتحة التي جعلته خصماً مكشوفاً لمن أراد أن يحسن استغلالها ضده، هذه الثغرات لا يمكن إقفالها إلا إذا تحول الكيان الأمريكي لكيان عسكري مغلق بدين واحد وجنس واحد وهو أمر مستحيل.

وقد أشار رئيس الـ(سي آي إي) في استجوابه من قبل الكونجرس إلى أنه لا يمكن ضمان أمن المجتمع بزيادة الحصار على الحريات المدنية إلا بالوصول إلى حالة مجتمع لا يستحق الدفاع عنه.

٦- استفاد ويستفيد التنظيم من طبيعة النفسية الأمريكية حين تُستفز في هويتها وتتصرف على شكل رد الفعل الانتقامي (الكاوبوي) بدلاً من أن تتمهل وتدرس القضية قبل أن تستجيب، ونجح التنظيم في استدراج الماكينة الأمريكية الهائلة لتخدمه كشركة علاقات عامة بعد ضربات كينيا وتنزانيا، كما نجح في استدراجها بعد ضربات سبتمبر لأجل أن تبدو كما لو كانت تحارب الإسلام ومن ثم يُجيش العالم الإسلامي كله ضد أمريكا.

٧- يعتمد التنظيم على التربية الإسلامية الجهادية التي تجمع بين الانضباط والطاعة للقيادة والثقة المطلقة بتوفيق الله والاستعداد الكامل للموت في سبيل الله والصبر وطول

النفس، ولعل هذه الصفات في أفراد التنظيم والتي يصعب على الأمريكان إدراكها كان ركناً رئيسياً في تحول تنظيم القاعدة لخصم حقيقي لأمريكا في هذه الحرب غير المتوازية.

٨- يعتمد التنظيم مبدأ المبادرة والفعل بدلاً من رد الفعل، ويعد الخطوة التالية قبل أن ينهي الخطوة الحالية، ولا يقبل التنظيم بأن يُستجر إلى رد فعل على هجوم يتعرض له يربك خطته.

ولذلك لم يكترث التنظيم بالضربات التي وجهت لأفغانستان بعد حوادث كينيا وتنزانيا، ولم يتحمس كثيراً للرد على الضربات الأخيرة، لأن الخطوة التالية معدة سلفاً ويجب أن تنفذ في وقتها.

٩- يؤمن التنظيم بالاستفادة من أي فرصة سياسية أو أمنية توفرها الصراعات أو المشاكل العالمية، ويرى سرعة التصرف لاغتنامها دون التفريط بما يعتبره التزامات دينية.

١٠- ابتعد التنظيم عن الاستعجال في مواجهة الأنظمة المرتدة الحاكمة لبلاد المسلمين أخذاً بما تجيزه له السياسة الشرعية من تأجيل هذه المواجهة مادام منشغلاً بعدو آخر يُعتبر استهدافه أكبر نجاحاً بالنظر إلى الظروف الواقعية، ويؤمن التنظيم أن كل هذه الأنظمة تابعة لأمريكا وستتهاوى مباشرة إذا انهزمت أمريكا وبذلك يمكن مواجهتها في ظرف أفضل" [١].

ولذا يقول سيف العدل في بعض مذكراته: "فالقارئ للتاريخ والدارس للتجارب يدرك أن الأمة تختلف وتنقسم على نفسها إن كان العدو من جلدتها، ولكنها تجتمع وتتحد إن كان العدو من خارجها، هذه الحقيقة أفقهها جيداً، فقد فشلت الحركات والشعوب الإسلامية في تغيير الأنظمة المؤلفة من أبناء جلدتها، رغم كثرة التجارب والتضحيات وبذل الدماء الطاهرة في شتى بقاعها (مصر، سوريا، ليبيا، المغرب العربي، السودان، الصومال، اليمن ودول أسيا الإسلامية،... إلخ)، لكنها نجحت تماماً في حشد الطاقات وتوحيد الجهود لطرد

---

[١] انظر مقال "قراءة لمستقبل المعركة بين فاروق العصر أسامة وأمريكا" بتصرف يسير.

المستعمر والغازي الأجنبي في شتى بقاعها (مصر، سوريا، ليبيا، المغرب العربي، السودان، الصومال، اليمن ودول أسيا الإسلامية،... إلخ)، و ستنجح الأمة اليوم كذلك بإذن الله في قتال الغزاة الجدد وطردهم من بلاد المسلمين تحت راية الله تعالى لا راية الأنظمة والحكام".

تعريف الحرب غير المتوازية

جاء في تقرير استراتيجي لرئاسة أركان الحرب الأمريكية بتوقيع رئيسها الجنرال شيلتون وهو يحاول تعريف الحرب غير المتوازية ما يلي: "الحرب غير المتوازية هي محاولة طرف يعادي الولايات المتحدة أن يلتف من حول قوتها ويستغل نقط ضعفها، معتمداً في ذلك على وسائل تختلف بطريقة كاملة عن نوع العمليات التي يمكن توقعها، وعدم التوازي يعني أن يستعمل العدو طاقة الحرب النفسية وما يصاحبها من شحنات الصدمة والعجز لكي ينتزع في يده زمام المبادرة وحرية الحركة والإرادة، وبأسلوب يستخدم وسائل مستحدثة، وتكتيكات غير تقليدية وأسلحة وتكنولوجيات جرى التوصل إليها بالتفكير في غير المتوقع وغير المعقول، ثم تطبيقه على كل مستويات الحرب من الاستراتيجية – إلى التخطيط – إلى العمليات – بعرض أفق عليه بدائل طار إليها خيال لا يخطر على البال منطقياً ولا يطرح نفسه عملياً في التقديرات التي نستطيع تصورها".

ثم يضيف لفليس في مدخل التقرير الإستراتيجي: "إن القوة العسكرية الأمريكية لن تواجه في الغالب – وفي المستقبل المنظور – صراعات عسكرية يحكمها التوازن لصالحنا أو ضدنا، وإنما هي – وذلك ما نستطيع تأكيده – سوف تواجه مخاطر يوجهها ويقوم بها خصوم لا يملكون فرصة للتوازن ضد القوة الأمريكية، ويكون عماد تحديهم استعمال أشكال من الحرب لا تتوقعها الولايات المتحدة ولم تستعد لها، وهنا تظهر الضرورة الحيوية للاستعداد لحرب من نوع جديد يقوم على عدم التوازي بدلاً من عدم التوازن الذي اتبعناه حتى الآن وحشدنا أقصى الإمكانات والكفاءات لمواجهته".

بعد هذا المدخل إلى نظرية الحرب غير المتوازية يبدأ صلب التقرير بطرح مجموعة ملاحظات تضع أسساً – هجومية أو دفاعية – لنوع الحرب الجديدة:

– فيها أنه لا بد من إدراك أن هذا النوع من الحرب ليس مقيداً بمذاهب في الحرب مصنفة، وإنما هو يلتقط الوسائل التي يفكر فيها بمصادفات الظروف، لكنه عندما يقابلها بالمصادفة يدرسها بعناية وذلك يجعل التنبؤ المسبق بأعماله مهمة شاقة وعسيرة!

– وهذا النوع من الحرب بطبيعته جاهز لأعلى درجة من المخاطرة لأن الخسارة بالنسبة إليه في الحالتين واحدة، وبالتالي فإن أعلى المخاطر تتساوى عنده مع أقلها!

– وهذا النوع من الحرب بضروراته يدور في سرية شديدة تمرس عليها عدو قادر على العمل تحت نظام دولة لها سلطتها ولها مؤسساتها، وبالتالي فإن هذا العدو استوعب وهضم أساليب العمل في الظلام أمام خصم هو بأوضاع الدولة وأسباب الشرعية، ويخوض المواجهة وسط حالة انكشاف كامل.

– وهذا النوع من الحرب يمارس دوره بخلطة مزيج قوي المفعول بين ما هو مادي وما هو نفسي وذلك أكثر ما يخدمه في الأساليب غير المتوازية التي يستعملها.

– والعدو في هذا النوع من الحرب يمتاز بروح معنوية عالية لدى أفراده، وتكنولوجيا متقدمة في عملياته، واستعداده لأقصى المخاطر يجعل ما لا يجوز التفكير فيه وارداً، كما يجعله ممكناً حتى ولو كان في المقاييس الطبيعية من المستحيلات أو من ضروب الجنون.

– وهذا النوع من الحرب يقتضي إرادة قوية وتنظيماً حديدياً وصبراً يرقبُ على مهل، لأنه ليس رد فعل يتحتم عليه – لدواع كثيرة – أن يواجه فعلاً حيث يتوقع الطرف الآخر أن يجيء زماناً أو مكاناً".

الحرب غير المتوازية قبل غزوتي نيويورك وواشنطن

من يقرأ تاريخ العقد الأخير والعمليات التي وقعت فيه يجد الجرأة والابتكار والإتقان والتصاعد للعمليات النوعية التي تمثل الحرب غير المتوازية والتي نفذها تنظيم القاعدة وهي كما يلي [١]:

غزوة مركز التجارة العالمي الأولى:

بعد سقوط كابل وما تبعه من فتن ساهمت أمريكا في إشعالها بشكل وفير، قرر المجاهد الكبير "رمزي يوسف" فك الله أسره الذهاب إلى رأس الكفر أمريكا والقيام بعملية جبارة تخر بها أمريكا على ركبتيها وبدأ التحضير لعملية تهديم مركز التجارة العالمي، وفي صبيحة يوم ٢٦ فبراير ١٩٩٣م انفجرت شاحنة مفخخة داخل مركز التجارة العالمي بنيويورك، زعزعت

---

[١] قال الشيخ أسامة بن لادن: ".. وفي تلك الفترة – فترة قتال المجاهدين للأمريكان في الصومال – أعد شباب الجهاد عبوات ناسفة ضد الأمريكيين في عدن، فانفجرت فما كان من الجبناء إلا أن فروا في أقل من ٢٤ ساعة، ثم في عام ١٤١٥هـ وقع انفجار في الرياض قُتل بسببه أربعة من الأمريكيين وكان رسالة واضحة تبين اعتراض أبناء المنطقة على السياسة الأمريكية في دعم اليهود واحتلال بلاد الحرمين، ثم في العام الذي يليه وقع انفجار آخر في الخبر قتل بسببه ١٩ وجرح أكثر من ٤٠٠، واضطر بعدها الأمريكيون لنقل مراكزهم الكبرى من المدن إلى قواعد في الصحراء، ثم بعد ذلك أيضاً في عام ١٤١٨هـ هدد المجاهدون أمريكا على الملأ بضرورة الكف عن مساعدة اليهود والخروج من بلاد الحرمين، فرفض العدو التحذير، وتمكن المجاهدون بفضل الله من صفعه صفعتين عظيمتين في شرق إفريقيا، ثم حُذِّرت أمريكا مرة أخرى ولم تستجب، فوفق الله المجاهدين في عملية استشهادية عظيمة، فدمرت المدمرة الأمريكية "كول" في عدن، فكانت صفعة مدوية في وجه العسكرية الأمريكية، كما كشفت العملية عن عمالة الحكومة اليمنية كسائر دول المنطقة". انظر كتاب "أسامة بن لادن.. مجدد الزمان وقاهر الأمريكان" (١٩٦).

العملية إحدى بنايات مركز التجارة العالمي ذي المائة وعشرة طوابق والتي تعتبر رمز الغنى والقوة لدى أمريكا، ودمرت أسطورة سلامة الأمريكيين من الهجمات في بلادهم.

كانت الحصيلة ٦ قتلى و١٠٤٢ جريح، وهو أكبر عدد عالجته المستشفيات دفعة واحدة منذ قيام الحرب الأهلية الأمريكية وقبل غزوة نيويورك، وقد أرسل جهاز الإطفاء لمدينة نيويورك ٧٥٠ سيارة إطفاء لمركز التجارة العالمي لبثت هناك أكثر من شهر مما يبين حجم الخسائر، ومع ذلك لم تكن الخسائر في حجم طموحات رمزي يوسف، إذ كانت العملية مصممة لتدمير المركز عن آخره مع حصيلة تناهز ربع مليون ضحية وذلك لمعاقبة أمريكا على تدخلاتها الدموية المتكررة في الشؤون الإسلامية.

لم يكن الخلل من جهة تصميم القنبلة، فقد كان رمزي يوسف يؤمن بالإتقان، وكانت القنبلة التي صممها لتفجير مركز التجارة العالمي فريدة من نوعها، لدرجة أن الـ (إف. بي.آي) لم يجد لها سوى مثيل واحد بعد دراسة سجل (٧٣٠٠٠) انفجار حدث في أمريكا منذ ١٩٢٥م، وقد وصل الـ (إف.بي.آي) إلى نتيجة أن هذه القنبلة أكبر قنبلة وزناً وتدميراً استعملت داخل الولايات المتحدة الأمريكية في تاريخها، وفعلاً عِوَض عن أن تنفجر القنبلة التي صممها بسرعة ٣٠٠٠ قدم في الثانية كما هي عادة القنابل الشديدة التفجير، انفجرت قنبلة رمزي يوسف ١٥٠٠٠ قدم في الثانية، وهي شدة كان يمكن لمركز التجارة العالمي أن يخر بها من السقف لو وضعت الشاحنة المفخخة في مكان آخر تحت أحد الأعمدة، وحتى في المكان التي وضعت فيه الشاحنة كان من الممكن أن تقتل الآلاف لو انفجرت قبيل المساء عند خروج العاملين.

لم يكد يصل المساء حتى كان رمزي يوسف يستقل طائرة في اتجاه باكستان، ولولا الأخطاء الأمنية التي ارتكبها بعض المساعدين في العملية لما عرفت أمريكا إلى اليوم من المسؤول وراءها، ومع ذلك ورغم معرفة الـ (إف.بي.آي) بتورطه، بعد مرور شهرين على العملية لم يستطع عملاء هذا الجهاز أن يحصلوا سوى على فتات من المعلومات عن شخصه.

كان رمزي يوسف كثير الاحتياط وقد قضى عملاء الـ (إف.بي.آي) مئات الساعات داخل الطائرات المتوجهة إلى باكستان دون جدوى [١].

عملية عدن:

في عدن أعد الشباب المجاهد للجيش الأمريكي بعض العبوات الناسفة التي أرعبت الأمريكان وأرهبتهم، وخرجوا خلال ٢٤ ساعة يجرون أذيال الهزيمة ولله الحمد.

عملية الرياض:

في يوم الاثنين ١٤١٦/٦/٢٠هـ قام أربعة من المجاهدين (رياض الهاجري، عبد العزيز المعثم، مصلح الشمراني، خالد السعيد) [٢] في حي العليا بمدينة الرياض بتفجير مجمع للأمريكان قتل بسببه أربعة من الأمريكيين.

عملية الخبر:

بعد مقتل أبطال عملية الرياض بـ ٢٥ يوماً في يوم الثلاثاء ١٤١٧/٢/٩هـ نُسف مجمّع للأمريكان في الخبر، وقتل فيه ١٩ أمريكيًا، وجرح نحو أربعمائة على ما أعلنته وسائل الإعلام

---

[١] انظر مجلة الأنصار العدد الخامس مقال: " ثعالب الإسلام " لأبي عبيد القرشي.

[٢] قامت الحكومة السعودية المرتدة بتنفيذ حكم الإعدام بهؤلاء الأبطال في ١٤ محرم ١٤١٧هـ الموافق ٣١ مايو ١٩٩٦م نسأل الله تعالى أن يرحمهم رحمةً واسعة، وأن يكتبهم في زمرة الشهداء، ويُسكنهم فسيح جناته.

الأمريكية، والعميلة والعدد أكبر من ذلك بكثير، اضطر الأمريكان بعدها إلى نقل قواعدهم إلى أماكن بعيدة في الصحراء.

غزوتي كينيا وتنزانيا:

في عام ١٤١٨هـ بعد تهديدات متتابعة من المجاهدين لأمريكا، ومطالبة لها بكف أذاها عن المسلمين في فلسطين، وإخراج جيوشها من أرض الحرمين، وبعد إعراض من حامية الصليب؛ أعلن الشيخ أسامة أنه سيضرب أمريكا خلال أسابيع، وتحسب الأمريكان لها في كل مكان متوقع، وجاءتهم الضربة مفاجئة في مكان لم يحتسبوه ولم يتوقعوه، وضربها المجاهدون (عزام المكي، ومحمد العوهلي وأحمد عبد الله) ضربتين عظيمتين في شرق أفريقيا، في سفارتيها بكينيا وتنزانيا (نيروبي ودار السلام)، بشاحنتين محملتين بالمتفجرات.

وقد أثبت تنظيم القاعدة من خلال العمليتين أن لديه القدرة اللوجستية والفنية والبشرية على تنفيذ مهمات خاصة ومعقدة، وأنه استطاع استغلال عنصر المفاجأة إلى أقصاه، كما أنه استطاع كذلك التنسيق بين الحادثتين وبكمية تدمير هائلة.

غزوةٌ بحرية ضد مدمّرة أمريكية "كول":

وفي ضربة غير مسبوقة، وفق الله المجاهدين لضرب المدمرة الأمريكية "كول"، والتي كان مجرد وجودها قرب بلد من بلاد المسلمين اعتداءً عسكريا لا يقل عن إعلان الحرب، وكان الإعلام العسكري الأمريكي يصورها بصورة الجيش الذي لا يُقهر، والمدمِّرة التي لا تُدمَّر.

ففي الثاني عشر من شهر أكتوبر عام ٢٠٠٠م، وبينما كانت شواطئ عدن تفتح ذراعيها لاستقبال المدمرة الأمريكية "كول"، والتي تبلغ حمولتها ٨٦٠٠ طن، وتنقل طاقماً من ٣٥٠ شخص، ويبلغ ثمنها ما يزيد على بليون دولار.. بينما كانت ترسو هذه المدمرة الأمريكية في

الميناء البحري تتزود بالوقود وبعض الخدمات، انطلق نحوها قارب بسيط من صنع محلي يقوده مجاهدان (حسان الطائفي ونبراس اليمني) زُوّد بموتور.. والقارب لم يكن متجهًا نحو المدمرة ليؤدي التحية العسكرية أو يبتهج لاستقبال المدمرة الأمريكية، أو ليتسول أصحابه بعض النقود من راكبي المدمرة، حيث الفقر الشديد في اليمن وفي مدينة عدن.. القارب كانت له مهمة محددة قد كلف بها هي تدمير المدمرة!!!.

وقد كان، فقد أحدث الانفجار فجوة في المدمرة يتراوح قطرها بين ستة أمتار و١٢ متراً، وسبب أضراراً فادحةً في داخلها، قتل على إثره ١٧ من البحارة الأمريكيين وجرح أكثر من ثلاثين آخرين.

فضرب المدمرة لم يتم بصاروخ عابر للقارات، أو غواصة نووية، أو حتى زورق عسكري صمم لحماية السفن، أو طراداً عسكرياً صُمم لمهاجمتها، ولم يتم صناعة القارب في مصانع حربية متقدمة، بل ربما لم تكلف العملية برمتها أكثر من خمسة أو عشرة آلاف من الدولارات، لتنفق الولايات المتحدة مئات الملايين من الدولارات في نُظم الحماية وسحب السفينة ورفع الاستعدادات، إضافة إلى ما لحق سمعتها العسكرية وسمعة أسلحتها ومدمراتها التي بدت وكأنها لعب أطفال.

وقد أرغمت هذه الغزوة الولايات المتحدة الأمريكية أكبر قوة عالمية على أن تجر مدمرتها تحت جنح الظلام، وتسلك بها مسالك شتى، لا تعلن عن خط سيرها.. لا، بل ترفع درجة استعداداتها في قواتها البحرية المتواجدة في الخليج وتمنع سفنها من المرور في قناة السويس.

وكان تدمير المدمرة كول، هدمًا لتلك الأسطورة العسكرية الأمريكية [١]، كما كان بيانًا واضحًا لعمالة الحكومة اليمنية، التي أقرت وجود مثل هذه القوة في بلاد المسلمين، وطاردت من قام بالعملية، كما شاركتها الحكومة السعودية العميلة في مطاردة المشتبه فيهم بسبب العملية، وفي تسليم من أمسكوه بهذه التهمة، ومازالوا يتابعون المشاركين في تلك العملية ويتهمون بها كل من لا تهمة له عندهم من الشباب المجاهد. وقد حان حَينُ العملاء بإذن الله.

وكانت عملية كول بمثابة الاختبار الحقيقي للقدرة الأمريكية، ويمكن اعتبارها توطئة مناسبة لعملية الحادي عشر من سبتمبر "غزوتي نيويورك وواشنطن" المباركة [٢].

---

[١] ربما لو تحدث أحد من منفذي العملية قبل تنفيذها لأحد من أصحاب النظريات والاستراتيجيات وأولئك الذين يرون في الولايات المتحدة الأمريكية قوةً لا تُقهر، ربما قابلوا محدثهم بتهكم شديد واستهجان أشد وسارعوا باتهامه على الفور بأنه مختل عقليا.

[٢] انظر مقال "غزوة ١١ سبتمبر، المستحيل إذا صار ممكنًا" لأبي عبيد القرشي، ومقال "ضرب المدمرة كول" لرفاعي طه والذي نشره المرصد الإعلامي الإسلامي في يوم الثلاثاء ١١ شعبان ١٤٢١هـ الموافق ٧ نوفمبر ٢٠٠٠م.

يقول الشيخ رفاعي طه فك الله أسره: "إن كل قوي له نقاط ضعف وكل ضعيف له نقاط قوة، وربما لو أحسن الضعفاء استثمار نقاط قوتهم ووجهوها حيث مكامن الضعف عند الأقوياء ربما استطاعوا أن يحققوا نصراً محتماً..

وهناك كثير من نقاط الضعف عند الأقوياء التي ينبغي أن نلتفت لها، منها ما هو متعلق بإمكانياتهم، ومنها ما هو متعلق بطبيعة حياتهم، فهؤلاء الذين كرسوا كل جهودهم ليحيوا حياة رغدة سعيدة ليسوا على استعداد أن يخوضوا حربًا طويلة ومتسعة باتساع الكرة الأرضية، وانتشار مصالح العدو فيها تنغص عليهم حياتهم وتفقدهم أمنهم في حلهم وترحالهم، وهم أحرص الناس على حياة، وكلما نجحت القوى الشعبية الإسلامية مع كثرة عددها في إشعار هؤلاء القوم أن أعمالهم الإجرامية في بلادنا لن تمر بدون عقاب إن لم يكن اليوم فغداً، وأن تَوَقُّع هذا العقاب في كل وقت ممكن، فإن هذه القوى العدوانية لن تستطيع أن تتحمل حياة الرعب والترقب والانتظار.. =

الإعداد للإغارة على أمريكا:

قبل أربعة أشهر من الغارة المباركة على أمريكا وصل إلى قندهار المدير التنفيذي (...) لمجموعة الطيارين بقيادة أبو عبد الرحمن المصري (محمد عطا)، وصدرت له الأوامر واضحة (...)، فمنذ ما يربو على عام ونصف من هذا التاريخ والشباب في الخارج (أبو عبد الرحمن المصري: محمد عطا، القعقاع الإماراتي: مروان الشحي، طارق اللبناني: زياد الجراح) وهم يدرسون ويستطلعون الأهداف، وانضم لهم تباعاً هاني حنجور (عروة الطائفي) وهو آخر من أُرسل من الطيارين، فقد كان طياراً حاصلاً على دورات من قبل في الطيران، وكان عروة ممتازاً في القيادة ولهذا أُختير لضرب البنتاجون.

أُختير محمد عطا رحمه الله أن يكون قائد العملية ومبرمجها، فهو مهندس قدير وشخصية ذات التزام ديني منضبطة تماماً، كما أنه نموذج حي للصفاء والنقاء، ورغبته وحرصه على الشهادة كان يبصرها الشباب في عينيه.

كما وصل المدير التنفيذي إلى أفغانستان ليأخذ باقي العناصر التي تم إعدادها للقيام بعملية الخطف، أي أن المهمة في طورها الأخير، والشيخ أسامة قد أعلن في أكثر من مناسبة أن هناك سلسلة عمليات كبيرة خلال شهر.

= إن ضرب المدمرة كول بوصفه هدفاً عسكرياً حصيناً أضاف بعداً آخر، فضرْبُ الأهداف التي اصطلح على أنها مدنية استطاعت الآلة الإعلامية الضخمة للغرب أن تجعله عملاً مداناً عند البعض، في حين أن استهداف المدمرة هو عمل أكثر إيلاماً بالنسبة للولايات المتحدة، وهو في نفس الوقت لا يستطيع أحد حتى من القوى الكفرية نفسها إدانته واستعمال ذريعة مهاجمة المدنيين، وهم يعنون بالطبع المدنيين من غير المسلمين، أما المسلمون فلا بأس أن يقتل أطفالهم ونساؤهم وشيوخهم في فلسطين والشيشان وغيرهما!!!".

طلب محمد عطا من القيادة في أفغانستان أن تقوم بتحديد عدد من الأهداف الأمريكية اليهودية تحت رمزيات محددة (السلطة التشريعية، والسياسية، والاقتصادية والعسكرية)، وطلب محمد عطا من القيادة أن يترك اختيار الأهداف النهائية بعد ذلك له، واختار محمد عطا الأهداف مراعياً أن تكون الصبغة اليهودية بادية عليها، وأن تسمح النواحي الفنية للطيران بضربها والوصول لها بدقة، وتُرك له تحديد الوقت المناسب لنجاح العملية.

وتم اختيار الأهداف الأربعة والتي تحمل في طياتها الهوية اليهودية، فمركز التجارة أكبر المؤسسات المالية التي يسيطر بها اليهود على العالم، حيث يحتوي على أرقى الكوادر المالية التي تدير من خلاله سياسات العالم المالية، وهو رمز الاقتصاد الأمريكي بل والعالمي، أما الكونجرس فلا يخفى على أحد الدور الذي لعبه في دعم اليهود، بدأ بقراره المشئوم بالموافقة على وعد بلفور عام ١٩٢٢م، ومن وقتها وإلى اليوم وكل القرارات التي تخرج منه تصب في صالح اليهود، فهو المؤسسة التشريعية التي تمنح وتمنع وتؤيد وترفض وتصدر القرارات والسياسات التي تستعبد بها شعوبنا الإسلامية، وهي تمثل الرمز السياسي في العملية، أما البنتاجون رمز القوة والحصن الحصين فهو المؤسسة العسكرية العملاقة التي تدعم اليهود ليل نهار مسجلة لهم تفوقاً عسكرياً على كل التجمعات العربية المسماة جيوشاً، ويرتعد حكام العرب عندما يرون اسمه مكتوباً في جملة مفيدة.

إذاً لقد بلغت الفكرة منتهاها وتحولت إلى خطة مكتملة تحددت فيها المهام، فأبو عبد الرحمن المصري والقعقاع الإماراتي سيضربان برجي مركز التجارة العالمي لينهار معه الاقتصاد العالمي، أما طارق اللبناني فمهمته توجيه صفعة على وجه الكونجرس الكالح وسياساته العدوانية، وأما عروة الطائفي لمهارته وبراعته في الطيران فعليه دك أركان البنتاجون وتوجيه لكمة تهز كيانه وتطعن كبرياءه وتحط من هيبته، وبفضل الله وتوفيقه تحقق المراد وجاءت الطعنة النجلاء في كبد أمريكا.. وأصبح الأمر تاريخاً.

قبل العملية بأشهر قليلة اختار الشيخ أسامة مجموعة من خيرة شباب الجزيرة العربية [١]، وعزلهم في أحد البيوت، وبدؤوا تدريباً على أعمال القتال القريب واستخدام الأسلحة البيضاء أشرف عليهم فيه الأخ (...، كما حصلوا على دورات التنفيذ وإعادة تدريب ومراجعة على المسدسات استعداداً للعملية، كما حصلوا على دورات سمليتور (محاكاة الواقع) بالكمبيوتر على غرفة القيادة في الطائرة والأجهزة بها وكيفية عملها تحسباً لأي ظرف، وكانت نماذج الأسلحة التي ستخطف بها الطائرات مبتكرة وبسيطة.

ولم يخطر على بال أحد أن تتحول أدوات مدنية بسيطة لأسلحة فتاكة مثلها في ذلك كفكرة تحويل الطائرات المدنية إلى أسلحة استراتيجية، لقد اختارها الشيخ أبو حفص – رحمه الله وتقبله في الشهداء – بعناية وحذر (أمشاط حلاقة – قصاصات أظافر كبيرة الحجم بدلت السكين بها بآخر قوي مشارط جراحية، هذه هي الأدوات التي خطفت بها الطائرات)، وقد نجحت جميعها في عبور التفتيشات في جميع المطارات وقد نفذ السفر بها مجموعة أخرى من الشباب لا يعرفون عن الأمر شيئاً.

---

[١] في مقال بعنوان "من يكره أمريكا؟" بقلم: كليمنت ليبوفيتر جاء فيه وهو يصف أبطال غزوتي نيويورك وواشنطن قبل معرفة مدبري العملية: "الإرهابيون لا أحد يعرف حتى الآن هوية أولئك الإرهابيين، والمنظمات التي ينتمون إليها، ودوافعهم الرئيسية... وعلى أية حال، نحن نعرف عنهم ما يلي:

– أنهم يؤمنون إيماناً قوياً بقضيتهم.

–وقضيتهم ترتبط بإدراكهم للمعاناة والآلام الرهيبة وغير العادلة التي تعرضت لها شعوبهم.

–وهم مثاليون ومستعدون للتضحية بأرواحهم من أجل ما يرون أنه يخدم مصلحة شعبهم.

–وفي هذا السياق – وهو سياق لا عقلاني ومحزن للغاية، وكنهٌ حقيقي – فهم صفوة الصفوة في المجتمع.

– وهم ينتمون لطراز من الناس يقبل من أجل مصلحة الشعب أن يتم حقنه بجرثومة مرض عضال، حتى تتم تجربة أمصال مجهولة الفعالية في أجسامهم.

– وهم ليسوا من النوع الأناني، بل يمتازون بالإيثار وحبهم غير المحدود للآخرين".

وشيئا فشيئاً كمل الأمر وأصبح لدينا عدد من الطيارين جاهزين للعمل، وتم ترتيب سفر مجموعة الخطف..

مع بداية شهر جماد الثاني المتوافقة مع نهاية شهر أغسطس بدأ المجاهدون في أفغانستان ترتيباتهم الأمنية استعداداً لسماع خبر الهجوم الذي بات وشيكاً، تتابع وصول الكوادر والطاقات المتابعة للاتصالات، وهذا معناه قرب وقوع الهجوم، لقد تحدد يوم الثلاثاء الموافق ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، قلب أحد مخططي العملية ورقة تقويم أم القرى ليرى أي تاريخ يوافق ذلك اليوم، فوجده ٢٣ جمادى الآخرة لعام ١٤٢٢هـ، وكان مكتوب في أسفلها (صدق المرء نجاته) فاستبشر بها خيراً.

وكانت مهمة المجاهدين في تلك الفترة هي الاستعداد لتلافي رد الفعل الأمريكي على الغارة المباركة التي سيسجلها التاريخ للإسلام، ليكون المسلمين هم أول من أغاروا على الأمريكان في عقر دارهم [١].

---

[١] قال الشيخ أسامة بن لادن: "..ثم إن المجاهدين لما رأوا أن عصابة الإجرام الأسود في البيت الأبيض تصور الأمر على غير حقيقته، بل يزعم زعيمهم الأحمق المطاع أننا نحسدهم على طريقة حياتهم، وإنما الحقيقة التي يخفيها فرعون العصر أننا نضربهم بسبب ظلمهم لنا في العالم الإسلامي وخاصة في فلسطين والعراق واحتلالهم في بلاد الحرمين، ولما رأى المجاهدون ذلك قرروا أن يتخطوا التعتيم وينقلوا المعركة إلى وسط أرضه وفي عقر داره.

وفي يوم الثلاثاء المبارك في الثالث والعشرين من جماد الثاني لعام ١٤٢٢ للهجرة الموافق للحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م، كان التحالف الصهيوأمريكي يحصد أبناءنا وأهلنا في أرض الأقصى المبارك حصداً، بطائرات ودبابات أمريكية وأيد يهودية، وأبناؤنا في العراق يقضون نحبهم نتيجة الحصار الظالم من أميركا وعملائها، وفي المقابل كان العالم الإسلامي يعيش في حالة من البعد الشديد عن إقامة الدين حقاً، وبينما الأمور على تلك الحال من الإحباط واليأس والتسويف عند المسلمين – إلا من رحم الله –، ومن الظلم والغرور والعدوان عند التحالف الصهيوأمريكي، فقد كانت بلاد العم سام في غيها

سادرة، بطغيانها هادرة، مصعرة خدها للناس، تمشي في الأرض مرحاً لا تبالي بأحد، وتظن ألا سبيل إليها إذ رموا بثالثة الأثافي وما أدراك ما ثالثة الأثافي، عندما وثب شعث الرؤوس مغبرو الأقدام المطاردون في كل مكان، فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى، وربط على عقيدتهم وكتب الإيمان في قلوبهم فلم يخشوا في الله لومة لائم يبتغون ما عند الله تعالى، تأبى نفوسهم أن تنام على الضيم، يريقون ماء الحياة ولا يريقون ماء المحيَّا، فأغاروا بطائرات العدو في عملية جريئة جميلة ما عرفت البشرية لها مثيلاً، فحطموا أصنام أمريكا، فأصابوا وزارة الدفاع في صميم فؤادها، وأصابوا الاقتصاد الأمريكي في سويداء قلبه، فأرغموا أنف أمريكا في التراب، ومرغوا كبرياءها في الطين، فانهار برجا نيويورك.

وبذلك الانهيار انهار ما هو أعظم وأضخم، فانهارت أسطورة أمريكا العظمى وانهارت أسطورة الديمقراطية، وظهر للناس أن قيم أميركا في السافلين، وتحطمت أسطورة أرض الحرية وتحطمت أسطورة الأمن القومي الأمريكي، وانهارت أسطورة الـ "سي آي إيه"، فلله الحمد والمنة.

وكان من أهم الآثار الإيجابية لغزوتي نيويورك وواشنطن أنها كشفت حقيقة الصراع بين الصليبيين والمسلمين، وأظهرت ضخامة العداء الذي يُكنُّه لنا الصليبيون عندما نزعت الغزوتان جلد الشاة عن الذئب الأمريكي وظهر على حقيقته البشعة، واستيقظ العالم أجمع من الرقاد، وانتبه المسلمون إلى أهمية عقيدة الموالاة في الله والمعاداة في الله، وقويت روح الأخوَّة الإيمانية بين المسلمين، مما يعتبر خطوة عظيمة نحو توحيد المسلمين تحت كلمة التوحيد لقيام الخلافة الراشدة بإذن الله.

وبدا ظاهراً للناس أن أمريكا هذه القوة الظالمة: يمكن أن تضرب، ويمكن أن تذل وتهان وتقهر، ولأول مرة تعي غالبية الشعب الأمريكي حقيقة القضية الفلسطينية وأن ما أصابهم في منهاتن كان بسبب سياسة حكومتهم الظالمة.

وخلاصة الأمر أن أمريكا دولة عظمى ذات قوة عسكرية ضخمة وذات اقتصاد عريض، ولكن كل ذلك على قاعدة هشة، لذا فإنه بالإمكان استهداف تلك القاعدة الهشة والتركيز على أبرز نقاط الضعف فيها، وإذا ما ضربت في عُشر معشار تلك النقاط، فإنها – بإذن الله – ستترنح وتنكمش وتتخلى عن قيادة العالم وظلمه.

ولقد استطاع عدد يسير من فتية الإسلام رغم وقوف التحالف الدولي ضدهم أن يقيموا الحجة على الناس بوجود القدرة على مقاومة ومقاتلة ما يسمى بالقوى العظمى، واستطاعوا أن يدافعوا عن دينهم،

غزوتي نيويورك وواشنطن:

(الساعات والأيام الأولى للغزوتين؛ حريق أمريكي وعالمي.. الكل يعرفون لكن المفاجأة تقع.. الإعلان الرسمي التطبيقي للحرب غير المتوازية ولعصرها).

يقول خبراء في الشئون العسكرية: إن ما شهدته الولايات المتحدة هو بمثابة تعبير بارز عن مفهوم الحرب غير المتوازية التي هي حرب القرن الواحد والعشرين.

"لعدة ساعات بعد صواعق النار والدمار التي انقضت على نيويورك وواشنطن صباح يوم الثلاثاء ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، ظهر الرئيس الأمريكي مأخوذاً بالصدمة ومذهولاً حتى تمالك نفسه – بعد ساعات – ليصف ما جرى بأنه "إعلان حرب على الولايات المتحدة الأمريكية".

ولم يكن هناك عذر لجورج بوش إلا أن يقال: "إنه كان رجلاً لم يتابع أو لم يستوعب موضوعاً عرض عليه ونوقش أمامه يخص أمن الولايات المتحدة ومصلحتها"، ثم إن الموضوع لم يعرض ولم يناقش فقط – وإنما طرحت في شأنه استراتيجيات وسياسات تحدد وسائل مواجهته والتعامل معه عندما يجيء –، وكان الراجح لدى الجميع أنه سوف يجيء لأنه شكل التحدي القادم وفق كل التقديرات لحسابات المستقبل عن الأمن والمصلحة.

وعندما استفاق جورج بوش من الصدمة والذهول ثم وصف ما جرى بأنه إعلان حرب وأجرى تصرفاته على هذا الأساس؛ فقد كان الرئيس الأمريكي قائداً خسر معركة توقعها وأعد نفسه لها، واتخذ من الإجراءات ما هو كفيل بمواجهتها، ونتيجة قصوره أو نسيانه في اللحظة الحاسمة جاءت خسائره مروعة، فقد فقدت الولايات المتحدة الأمريكية آلافًا من

وأن ينفعوا قضايا أمتهم أكثر مما فعلته حكومات وشعوب بضع وخمسين دولة في العالم الإسلامي، لأنهم اتخذوا الجهاد سبيلاً لنصرة الدين". انظر كتاب "أسامة بن لادن.. مجدد الزمان وقاهر الأمريكان" (١٩٦).

مواطنيها، وأهدرت عشرات البلايين من ثروتها، وضيعت جزءاً كبيراً من كبريائها وهيبتها، وتلك بالنسبة لقوة عظمى في زمانها كارثة بلا حدود، وخصوصاً أنها القوة الأرضية الأعظم الفريدة في زمانها والمتفردة بالسيطرة على نظام العالم أو المصممة على هذا التفرد.

والواقع أن الرئيس الأمريكي في تلك اللحظة الرهيبة من حياة شعبه ظل عشر ساعات كاملة –من العاشرة صباحاً حتى الثامنة مساءً – بعيداً عن مكتبه ومركز قيادته راكباً طائرة هائمة في الأجواء، متردداً بين المطارات المدنية والعسكرية، عاجزاً عن حزم أمره، ولم تبق أحواله في هذه الساعات الحرجة سراً، لأن طائرته التي كان يستقلها من فلوريدا كان عليها مجموعة من صحفيي "القرعة" – اختيار من يرافق الرئيس من ممثلي الإعلام الذين يتعهدون بإتاحة ما لديهم لزملائهم لتظل الفرصة مفتوحة للكل سفرة بعد سفرة على طائرة الرئاسة –، ومع أن هؤلاء الصحفيين تعهدوا بألا يكتبوا حتى لا يتعرضوا للحرمان من فرصهم إذا حل عليهم النصيب فإن رواياتهم الآن متداولة بالتفصيل داخل قاعات التحرير في فضائيات وصحف نيويورك بالذات، وبين الروايات أن الرئيس بوش تلقى ما سمع وانتابته حالة من عدم التصديق تعثر معها لسانه وشحب وجهه، بينما هو وسط جمع من أطفال مدرسة كان يزورها في فلوريدا.

وضاعف من اضطراب الرئيس أنه في تلك اللحظة تلقى أنباء تقول أنه شخصياً مطلوب ومهدد، وأن إحدى الطائرات "القذائف" تبحث عنه، وتحول الرجل الذي يملك وحده مفتاح القوة النووية الأمريكية في ثانية من رئيس للعالم إلى أسير في عُهدة حرسه الخاص.

فقد صمم الحرس ألا يعود الرئيس إلى واشنطن إلا بعد أن ينجلي الموقف وتنطفئ آخر إشارة حمراء فوق العاصمة، ولأنه لم يكن ممكناً أن يتوقف الرئيس في فلوريدا – ويبين تردده –، فإن الطائرة قامت من فلوريدا قاصدة لويزيانا كأنها نزهة في الأجواء رغم أن أربع طائرات مقاتلة صعدت وراءها إلى الجو لحراستها، واتصل ديك تشيني برئيسه المعلق بين السماء والأرض فإذا الرئيس يعتذر لنائبه بأنه يريد المجيء بأقصى سرعة إلى واشنطن لكن هؤلاء

الرجال يمنعونه بداعي الحرص على الولايات المتحدة أولاً وليس على شخصه فحسب، ويرد ديك تشيني: "إنه إذا كان قرار الرئيس أن لا يجيء على الفور إلى واشنطن فقد يكون المناسب أن يذهب إلى قيادة القوات الجوية في نبراسكا. فهناك مقر قيادة احتياطي رئاسي، ووجود الرئيس فيه الآن يبدو اختياراً لأقرب مقر قيادة من مكان وجوده.

وتتوجه طائرة جورج بوش إلى نبراسكا ويتصل به كثيرون من أركان حكمه وقادة حزبه يزعجهم تأخيره وهو يتعلل بالخطر والحرس، حتى كلمته والدته بربارا بوش تقول له ما معناه: "أن كل امرأة في أمريكا زوجةً وأماً وأختاً وبنتاً يطمئنها أن تجد الرجل المسئول عن كل الرجال والنساء على الوطن في مكتبه يؤدي واجبه، وهي كأم لرئيس وزوجة لأب سبق الابن في الرئاسة تفضل أن تراه تحت الخطر في هذه اللحظة بأكثر مما تريد أن تراه بعيداً عن قيادته!".

واستطاع حزم الأم أن يهزم حرس الرئيس، وهكذا عاد جورج بوش من غيبته الوجودية! إلى مقر قيادته في البيت الأبيض.

وخلال الأربع والعشرين ساعة التالية نزلت دموعه أمام كل الناس وعلى شاشات التليفزيون خمس مرات، قيل بعدها أن البكاء طهر وثبت قلبه.

والمثير للدهشة أن أقرب رجال الرئيس كانوا في مواقعهم وداخل مكاتبهم أثناء غيبته، ولكنهم تحرجوا من الظهور علنًا – بدموع أو بغير دموع – لكي يرى الشعب الأمريكي أن هناك من يدير الأزمة على القمة.

والذي حدث أن نائب الرئيس ديك تشيني دخل مكتبه ليجد مسؤول الأمن بالبيت الأبيض يطلب إليه أن ينزل إلى خندق الطوارئ المبني تحت مقر الرئاسة الأمريكية والمجهزة لمقاومة ضربة نووية. وتردد تشيني لكن قائد حرس البيت الأبيض هدد بحمله حملاً إلى حيث أمانه، وروى تشيني نفسه أن ضباط الحرس حملوه بحيث لم تعد قدماه تلامسان الأرض، وقد

قبل مسايرتهم حتى وقف على قدميه ثم رضخ لما طلبوه منه فهو في الحالتين داخل البيت الأبيض، فوق السطح أو تحت السطح في مكانه.

وقد لحقته على الخندق كونداليزا رايس مستشارة الرئيس للأمن القومي، واتصل به هناك زعيم الأغلبية الجمهورية في مجلس الشيوخ يسأله: "لماذا لا يظهر ليطمئن الناس"، وكان رد تشيني "إنه يقصد تقليل الظهور عمداً حتى لا يسبب إحراجاً للرئيس الغائب"، ثم يضيف نائب الرئيس: "إنه لا يريد أن يكرر الغلطة التي تصرف بها الكسندر هيج وزير الخارجية عندما وقع اعتداء على حياة رئيسه رونالد ريجان ونقل إلى المستشفى بعد إصابته بثلاث طلقات نارية، ودخل غرفة العمليات وخضع للتخدير، وعندما بدأ الكلام في قاعة المؤتمرات الصحفية بالبيت الأبيض عن فراغ في السلطة، إذا ألكسندر هيج يهرول مسرعاً، ينتفض انفعالاً ويتصبب عرقاً ليصيح: "إنه المسؤول عن كل شيء هنا الآن". وكانت تلك نهاية ألكسندر هيج بعد أن خرج رئيسه من غرفة العمليات وزال عنه تأثير التخدير! وراحت نانسي ريجان تقول لزوارها: "إن مساعدي الرئيس ريجان حاولوا أن يرثوه وهو ما زال على قيد الحياة!".

ويظهر أن نفس الحرج الذي أصاب تشيني وصل إلى كولين باول وزير الخارجية كما وصل إلى دونالد رامسفيلد وزير الدفاع.. وهكذا بدت القمة الأمريكية طوال عشر ساعات فراغاً من ملامح وصوت سلطة سياسية ومعنوية توحي بالثقة وتقود بعيداً عن الضياع أو الانفلات.

وعلى أي حال فإنه في ذلك المناخ الذي شاع فيه الاضطراب وانعزل فيه الرئيس وأقطاب إدارته – على الأقل بالمكان –، توالت القرارات بعصبية زادت من تأثير الصدمة أكثر مما ساعدت على استيعابها، فقد صدر على سبيل المثال أمر بإغلاق المجال الجوي الأمريكي كله، وظل الإغلاق كاملاً خمسة أيام كان الدواء فيها أكثر خطراً من الداء كما حدث لشركات الطيران الأمريكية التي تقدر خسائرها يوم الصدمة الأولى بستة بلايين دولار.

والأغرب من ذلك أن الرئيس الأمريكي وأركان حكمه لم يكونوا وحدهم فيما تصرفوا به، وإنما كانت المصيبة أكبر لدى المسؤولين عن وضع القرار الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية، وفيهم من كانوا في المسؤولية قبل الرئيس، ومعه وبعده، لأنهم أقطاب المؤسسات الدائمة المسئولة وفيها مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض، ووزارتا الدفاع والخارجية، وهيئة أركان الحرب المشتركة، ووكالات المخابرات العسكرية والعامة، إلى جانب إدارات التخطيط الاستراتيجي للدولة القائدة للنظام الدولي في هذه اللحظة من التاريخ.

كانت مسؤولية هؤلاء جميعاً أفدح من التقصير أو النسيان، لأنهم – وليس غيرهم – الذين فكروا وقدورا وخططوا ورسموا شكل التحدي القادم على أمن ومصلحة الدولة الأمريكية، ووصلوا في تحديد ذلك الخطر إلى درجة اختيار اسم يطلقونه عليه وهو الحرب غير المتوازية" [١].

ركائز الاستراتيجية الدفاعية الأمريكية تدمرت بالغزوتين:

لم يستطع الاتحاد السوفيتي السابق ولا أية دولة معادية النيل من ركائز الاستراتيجية الدفاعية الأمريكية وهي:

١- الإنذار المبكر.

٢- الهجوم الوقائي.

٣- مبدأ الردع.

في حين استطاع تنظيم القاعدة النيل منها كلها بجدارة وإتقان.

---

[١] انظر كتاب "كلامٌ في السياسة" لمحمد حسنين هيكل.

أما الركيزة الأولى وهي الإنذار المبكر، فإن تنظيم القاعدة بغزوتي نيويورك وواشنطن دخل تاريخ الهجمات المفاجئة الناجحة، والتي تعتبر قليلة في التاريخ، من قبيل الهجوم الياباني على بيرل هاربور الأمريكي سنة ١٩٤١م، والهجوم النازي المفاجئ على الاتحاد السوفييتي سنة ١٩٤١م، والاجتياح السوفييتي لتشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨م، إضافة إلى عبور خط بارليف الصهيوني سنة ١٩٧٣م.

بل وقد تعدى في وجعه كل هذه الهجمات، لأنه يدفع أمريكا لأن تجعل جميع أفراد مجتمعها جاهزين نفسياً وعملياً لكافة الافتراضات، وهي مسألة باهظة الثمن اقتصادياً ونفسياً، خاصة لمجتمع لم يتعرض لآثار حرب منذ الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١م – ١٨٦٥م)، وإذا كان الجيش الأمريكي نفسه والذي يفترض فيه الجاهزية التامة، قد تعرض لحادث المدمرة كول فإن إعداد مجتمع بأكمله لمواجهة مثل هذه الهجمات يظهر بعيد المنال.

أما فيما يخص الهجمة الوقائية وهي الركيزة الثانية للاستراتيجية الدفاعية الأمريكية، فإنها تعرضت كذلك للاهتزاز؛ فهي تابعة للركيزة الأولى ومرهونة بوقوعها، وحتى إذا افترضنا أن الإنذار المبكر حصل في وقته، فإنه يصعب جداً تسديد أي ضربة وقائية ناجعة لتنظيم سريع المناورة والتحرك ولا يملك مقرات دائمة.

أما الركيزة الثالثة وهي الردع، فإن هذا المبدأ يسقط مطلقاً مع أناس لا يحرصون على الحياة، بل ويتعطشون للشهادة.

ومبدأ الردع يقوم على أساس وجود طرفين يحرصان على بقاء واستمرار مصالحهما، وإذا كان هذا الأمر ناجحاً بين الدول فإنه غير ناجح البتة مع تنظيم لا توجد له مقرات ثابتة ورساميل في أبناك الغرب ولا يعتمد على مساعدات دول بعينها.

إذن فهو يملك استقلالية القرار ويبحث عن المواجهة أصلاً.

فبماذا يردع أمثال هؤلاء إذا كان الموت أسمى أمانيهم..!

بالإضافة إلى تدمير تلك الركائز، فإن تنظيم القاعدة سبب أكبر هزيمة نفسية للأمريكيين في تاريخهم، وأفضل وسيلة لتحقيق الهزيمة النفسية هي كما بين أحد الاستراتيجيين الغربيين، الضرب في المكان الذي يشعر فيه العدو بالراحة والثقة [١].

نزيف الخسائر الأمريكية بعد الغزوتين:

"إن الإحساس بالإحباط فيها – بعد دقائق – زاد على كل ما راكمته حرب كوريا وحرب فيتنام على الأعصاب الأمريكية طوال عشرين سنة!، والخسائر المادية على مدى الأسبوع الأول من العملية تساوي تكاليف الحرب العالمية الثانية، وقد دفعتها أسواق العالم

---

[١] انظر مقال "حروب الجيل الرابع" لأبي عبيد القرشي.

يقول وزير الدفاع الأمريكي في مقال له في مجلة "فورين أفيرز" في شهر صفر ١٤٢٣هـ الموافق لمايو ٢٠٠٢م، بعنوان "تحويل المؤسسة العسكرية بعد ضربات سبتمبر": "لقد بات علينا الإدراك بأن الأمور لم تعد على ذلك القدر من الوضوح الذي كانت تتسم به في السابق، فالتحدي الذي نواجهه حالياً صعب ومعقد، حيث يتعين علينا أن ندافع عن بلادنا ضد عدو مجهول، وغير محدد، وغير مرئي، وغير متوقع..".

وقال: "بات من الضروري التخلي عن برامج تسليحية عدة تعود في جذورها التطويرية والإنتاجية إلى أيام الحرب الباردة" – ثم عدد كل برامج الدفاع الأمريكية الاستراتيجية تقريباً –، وقال: "لقد أثبتت أحداث ١١ أيلول الماضي أن الإرهابيين لم يرتدعوا بالترسانة الأمريكية الضخمة من الصواريخ البالستية الاستراتيجية العابرة للقارات، ولهذا يتعين علينا الآن أن نعمل على صوغ وسائل وأساليب جديدة من الردع، وأنماط جديدة من القدرات الهجومية والدفاعية على حد سواء".. – وهذه الوسائل التي يختصرها الوزير بالتعبير الثلاثي الجديد الذي سيقوم عليه ركائز القوة العسكرية والمفاهيم الاستراتيجية الأمريكية مستقبلاً هي: "تقليص القوات النووية، وتطوير القدرات الهجومية التقليدية، واستكمال إطار القدرات الدفاعية الشاملة" – وقال: "إن الهدف الأول من صدورها هو رغبة إدارة بوش برسم الخطوط العامة التي تعتزم السير عليها خلال المراحل التالية المفترضة من حربها المعلنة ضد الإرهاب".

وكان النصيب الأكبر منها خسائر السوق الأمريكية، وتقديرها الأولى (٢ تريليون دولار)، نصف إجمالي الدخل القومي الأمريكي في تلك السنة، والتضحيات من أرواح البشر بضربة واحدة أكثر مما تكبدته أمريكا في أي معركة عسكرية خاضتها، ولم يكن هناك جبهة ولا ميدان قتال ولا تحركات جيوش تهيء نوعاً من الإنذار المبكر – وعلى سبيل المثال فهي أكثر من كل الخسائر البشرية المصرية في معارك سنة ١٩٦٧م" [١].

فالضربات التي ألحقها المجاهدون بأمريكا لم تكن خسائرها المباشرة وحدها هي المؤلمة، بل إن تراكم الخسائر وتضخمها الذي سيستمر معهم إلى الانهيار بإذن الله تعالى، هي التي أخضعت وسوف تخضع الأمريكان أكثر لما يريده العالم منهم، فإما أن يحافظوا على وحدة بلادهم ويحافظوا على أكبر قدر من مصالحهم ويعلنوا هزيمتهم وحاجتهم لمساعدة العالم لهم، أو يواصلوا العنجهية والصلف والتسلط وحشد العالم ضدهم واستنزاف مقدراتهم وإنهاك اقتصادهم المريض ليصلوا في النهاية إلى الانهيار والتفكك الحقيقي بعد انهيار القيم والحرية والديمقراطية والمبادئ التي طالما تشدقوا بها بعد الضربات المباركة [٢].

وتشير المعلومات والبيانات التي تنشر يوماً بعد يوم عن الخسائر التي تكبدها الاقتصاد الأمريكي منذ غزوتي نيويورك وواشنطن التي وقعت في الحادي عشر من سبتمبر، إلى أنها خسائر ضخمة ومتصاعدة، فاقت كل التوقعات السابقة، بل إنها الأسوأ في تاريخ أمريكا.

---

[١] انظر كتاب "كلامٌ في السياسة" لمحمد حسنين هيكل.

[٢] انظر دراسة "صعود أمريكا إلى الهاوية".

١١ سبتمبر.. بداية مسلسل الخسائر:

استهدفت الضربات التي وقعت في أماكن متفرقة من الولايات المتحدة الأمريكية أكبر رموز الهيمنة الأمريكية العسكرية (وزارة الدفاع)، والاقتصادية (مركز التجارة العالمي)، ولذلك فإن آثار هذا العمل غير المسبوق من نوعه تتنوع بين آثار سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، ونركز هنا على الآثار الاقتصادية التي بدأت في الظهور مع بداية دوي هذه التفجيرات المباركة، وأخذت وما زالت تتفاعل داخل مختلف أركان الاقتصاد الغربي..

آثار الغزوة اقتصاديًا:

لحقت الأضرار بأسواق المال – سواء في الولايات المتحدة أو في أسواق المال العالمية – جراء وقوع ضربات المجاهدين في الحادي عشر من سبتمبر قبل بدء التعامل في بورصة نيويورك، وهو ما منع فتح التعامل في هذه البورصة، وأجبر ذلك معظم أسواق المال العالمية على الإغلاق؛ خوفًا من حدوث انهيار في أسعار الأسهم، بسبب القيام بعمليات بيع جماعية من جانب حملة الأسهم؛ خوفًا من تحمل خسائر أكبر في المستقبل.

وكانت خطورة إغلاق أسواق المال في أمريكا على أسواق المال الأخرى بسبب تتابع توقيتات الافتتاح في هذه الأسواق، حيث تبدأ التعاملات في طوكيو عقب إغلاق بورصة نيويورك، ثم تبدأ بورصة لندن بعد الإغلاق في طوكيو، وهو ما أثار مخاوف انتقال الهزات إلى هذه الأسواق بالتتابع؛ ولذلك كان الإغلاق هو الحل الأفضل.

ولحقت الأضرار بأسواق نيويورك التجارية "نايمكس" وبورصة السلع الأولية "نايبوت"؛ حيث تم تعليق التداول في هذه الأسواق على بعض أهم السلع في العالم، وهي السكر الخام والبن والكاكاو والقطن وعصير البرتقال.

وتأثرت أسواق الصرف في جميع أنحاء العالم وخاصة سعر صرف الدولار الذي تراجع أمام اليورو والين؛ حيث قفز اليورو إلى ٩٧.٥ سنتًا مقابل الدولار، وهبط الدولار مقابل الين الياباني ليصل إلى حوالي ١٢١ يناً.

وحدثت قفزة في سوق السندات الأمريكية وفي أسواق الذهب العالمية، حيث تعتبر سندات الخزانة الأمريكية والذهب الملاذ الآمن للمستثمرين في حالة حدوث الأزمات، وقد زاد سعر أوقية الذهب في السوق العالمي بحوالي ٢٠ دولارًا دفعة واحدة، ثم أعقبها تذبذبات في السعر عاد بعدها السعر للاستقرار ولكن عند مستوى مرتفع.

وتأثرت أسواق النفط وخاصة بالنسبة للعقود الآجلة – تعاقدات أكتوبر ٢٠٠١م – حيث وصل سعر البرميل إلى حوالي ٣١ دولارًا، ولكن هذا السعر أخذ في التراجع التدريجي عقب إعلان دول أوبك بما فيها دول الخليج استعدادها لزيادة إمدادات النفط، وبسبب تراجع الطلب العالمي على النفط في أعقاب توقف حركة الطيران التجارية في الولايات المتحدة الأمريكية إلا أنه بصيغة عامة ظل في معدلات عالية.

وتعرضت شركات التأمين العالمية وشركات إعادة التأمين للأزمات، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية؛ وذلك بسبب التزامها بضرورة دفع التعويضات للشركات وجميع الجهات والأفراد الذين تأثروا بهذا الحادث، ويقدر الخبراء هذه المبالغ بقيمة أولية تصل إلى حوالي ١٥ مليار دولار، متمثلة في المطالبات المطلوب دفعها من قبل شركات التأمين فقط، ويضاف إلى ذلك تعرض هذه الشركات إلى مزيد من الخسائر في المستقبل ؛ بسبب التحول من شراء أسهم هذه الشركات بعد تأثرها إلى شراء أسهم شركات أخرى، وخاصة شركات البترول الذي يرجح البعض احتمالات ارتفاع أسعاره في ظل هذه الظروف، وكذلك ارتفاع أسعار منتجات البترول في الأسواق الأمريكية، ويدللون على ذلك بما حدث من ارتفاع في أسعار البنزين الذي ارتفع بمعدل ٥ دولارات للجالون الواحد في الولايات المتحدة الأمريكية، ويرجحون استمرار هذا الارتفاع لفترة قادمة.

وتعرضت شركات الطيران والسياحة حول مختلف دول العالم لآثار سلبية، وتراجع أعداد المسافرين لفترة قد تطول حتى يعود الاطمئنان والهدوء إلى العالم، وهذه الآثار تتفاقم في ظل وجود رد عسكري أمريكي واسع النطاق على بعض الدول، كما تأثرت معظم الشركات والمصالح التي يرتبط عملها بعمل شركات الطيران والسياحة وخدماتها.

في أمريكا وحدها تراجع قطاع الطيران بنحو ٣٢.٢ % في الأسبوع التالي للأحداث، وهذا يعني خسارة ٦٠ مليون راكب بالنسبة لسنة ٢٠٠١م.

ومع أن التباطؤ بدأ قبل ١١ سبتمبر، إلا أن الهجمات على نيويورك وواشنطن والخوف من ركوب الطائرات يفسر الهبوط الحاد في الشهور الأخيرة من العام الماضي.

واستمر الضغط على الدولار الأمريكي، خاصة مع طرح الاتحاد الأوروبي اليورو في التعاملات اليومية للمواطنين، ومع اتجاه اليورو للتحسن أمام الدولار والإقبال على اتخاذ اليورو كعملة للاحتياط في العديد من دول العالم خشية تأثرها بسبب تراجع سعر صرف الدولار.

وشهدت بورصة "وول ستريت" في الأسبوع الأخير من نوفمبر ٢٠٠١م هبوطاً حاداً ونزيفاً مستمراً لخسائر الأسهم لم تشهد له مثيلاً منذ إنشائها قبل ٢١٠ أعوام مع معاناة الأسهم الممتازة من أكبر هبوط منذ الكساد الكبير في الثلاثينيات من القرن الماضي وذلك مع تزايد المخاوف من حرب طويلة على الإرهاب وعلامات على مزيد من التباطؤ للاقتصاد الأمريكي.

وتم إلغاء ما يقارب من ١٠٠ ألف وظيفة، حيث ألغت الشركات الجوية الأساسية الست ما مجموعه ٥٨ ألف وظيفة في الأسبوعين التاليين للغزوات فقط، ولهذا تفشت البطالة لتبلغ نسبة ٦% من مجمل القوى العاملة، ويعتبر هذا أيضاً رقماً قياسياً لم يسبق له مثيل منذ ٢٠ عامًا.

كما حدثت فوضى إدارية عارمة جعلت جميع المرتبطين بعقود مع مركز التجارة العالمي يلجؤون إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه والفرار ببقية أموالهم وبيع كل أسهمهم المالية لتوقعهم أن هذه الأسهم آيلة للسقوط.

لحقت الخسائر كذلك بقطاع السياحة حيث انحسرت وفود السائحين في أمريكا، وشغرت أكثر من ٥٠ % من غرف الفنادق الكبرى رغم أنها خفضت أسعارها بنسبة ٤٠%، ثم جاء وباء الجمرة الخبيثة فألغى كثيراً من المؤتمرات واللقاءات التجارية وأصبحت الفنادق تواجه مأزقاً إضافياً ليس في نيويورك وحدها وإنما في كل المدن الكبرى من شيكاغو إلى لوس أنجلوس إلى هيوستون وميامي.

وتضاعفت خسائر البريد بمؤشرات أعلى إلى أن بلغت ملياراً ونصف المليار دولار حيث تناقصت خدمات البريد بنسبة ٥. ٦ % وهي أدنى نسبة تهبط إليها خدمات البريد منذ الكساد الكبير الذي شهدته الثلاثينيات.

وقد بلغ العجز التجاري ٥٠٤ مليار دولار، في حين كان متوقعاً أن يصل العجز في الميزانية عام ٢٠٠٢م إلى ١٥٨ مليار دولار فقط، بمعنى أن العجز المزدوج – عجز في ميزانية الدولة الفيدرالية وعجز في الميزان التجاري بين أمريكا والعالم – وصل إلى الرقم القياسي ٦٦٢ مليار دولار عام ٢٠٠٢م، أي ما يعادل ٦.٤% من الناتج الإجمالي المحلي، وهذا يبين أن الاتجاه العام يميل إلى الركود.

كما حدث تغير كبير في الميزانية الفيدرالية من فائض بلغ ١٢٧ مليار دولار عام ٢٠٠١م، وصل في عام ٢٠٠٣م إلى عجز قياسي قيمته ٣٠٠ مليار دولار، يعادل ٢،٧٥% من الناتج الإجمالي المحلي.

كذلك تقلصت البرامج الخدماتية المختلفة لعدد من الولايات، حيث نقل تقرير لصحيفة نيويورك تايمز صورة قاتمة للوضع في الولايات الأمريكية، عندما أشار إلى أن حاكم ولاية ميسوري أمر بإزالة ثلث المصابيح الكهربائية توفيراً في النفقات.

ولكن تراجع الدولار أمام اليورو هو ما تنظر إليه أوروبا بقلق، إذ إن اقتصادها يعتمد على التصدير لأمريكا، وكل هبوط في قيمة الدولار يرفع أسعار البضائع المنتجة في أوروبا، وكل زيادة في قيمة اليورو مقابل الدولار بنسبة ١٠% تضرب أرباح الشركات الأوروبية بنسبة ٤%.

بما مضى يتضح أنه بعد الغزوة المباركة دخل رأس المال الأمريكي إلى طريق مسدود بعد أن فقد مصداقيته أمام العالم من جهة، وبعد أن أصبحت الحكومة عاجزة عن استعادة زمام المبادرة لإنعاش الاقتصاد من جهة أخرى.

تراجع الاستثمارات الأجنبية في الولايات المتحدة الأمريكية:

اعترفت إحصائية لوزارة التجارة الأمريكية في ٢٠٠٣/٦/٢٦م بتراجع الاستثمارات الأجنبية للعام الثاني على التوالي بنسبة تزيد علي النصف، حيث تراجع إجمالي الاستثمارات العالمية في الولايات المتحدة بنسبة ٦٤ % لتصل إلى ١.١٤٧ مليار دولار أمريكي.

وأشارت الإحصائية إلى أن التراجع في الإنفاق في عام ٢٠٠٢م يجسد الضعف المستمر في الاقتصاد الأمريكي وفي الاقتصاديات الأجنبية والتراجع في عمليات الاندماج والشراء في مختلف أنحاء العالم.

وأشارت كذلك إلى أن اليابان احتفظت العام الماضي بمركزها كأكبر مستثمر آسيوي في الولايات المتحدة، تليها بفارق كبير أستراليا ثم سنغافورة، وأوضحت الإحصائية أن اليابان

كانت قد ضخت نحو ٣.٤٣ مليار دولار أمريكي العام الماضي ٢٠٠٢م مقارنة بنحو ٥.٣٤ مليار دولار في عام ٢٠٠١م، أي بفارق يزيد عن المليار ونصف.

فيما ضخت أستراليا ١.٦٥ مليار دولار في عام ٢٠٠٢م مقارنة بنحو ٤. ٨٤ مليار دولار في عام ٢٠٠١م، أي بفارق يزيد عن الثلاثة مليارات دولار.

وتزايدت عمليات بيع سندات الخزانة الأمريكية، وتزايدت احتمالات انزلاق الاقتصاد الأمريكي نحو الركود في أعقاب التقارير التي أشارت إلى تراجع جميع القطاعات الاقتصادية رغم قيام بنك الاحتياط الفيدرالي بخفض معدل الفائدة أكثر من ١٢ مرة من تاريخ ١١ سبتمبر، بالرغم من ضخ الحكومة بمزيد من الأموال لتحقيق السيولة في الأسواق.

وقد انعكست خسائر الاقتصاد الأمريكي سلباً على مناخ الاستثمار في الولايات المتحدة، وتراجعت معدلات الإنفاق الاستهلاكي نتيجة إحجام المستهلكين عن إنفاق أموالهم ولجوئهم إلى الادخار في ظل الأوضاع الاقتصادية غير المستقرة، وانعكس تراجع الثقة في مناخ الأعمال والإنفاق الاستهلاكي سلباً على أرباح وأسعار أسهم الشركات الأمريكية الكبرى.

كما شهدت شركات التكنولوجيا الأمريكية تراجعاً حاداً نتيجة تقلص معدلات الطلب والإنفاق الاستهلاكي.

إفلاس الشركات الأمريكية:

في الفترة من ١١ سبتمبر ٢٠٠١م وحتى ١١سبتمبر ٢٠٠٢م انهارت وأفلست مجموعة كبيرة من الشركات الأمريكية، قدرت بـ ٦٠ ألف شركة وقد تم تسريح ما لا يقل عن ١٤٠ ألف عامل أمريكي في نفس الفترة، وفقاً لتقرير صحيفة "وول ستريت جورنال"، وما زال

مسلسل الانهيارات والإفلاسات مستمراً حيث يسجل قطاعا الطيران الأمريكي والتأمين أعلى معدلات الإفلاس والتسريح للعمال.

وإليك أشهر الشركات التي أفلست بعد غزوتي نيويورك وواشنطن:

- الشركة العملاقة المتحكمة في الطاقة "إنرون".
- شركة "وورلد كوم" للاتصالات.
- شركة "كاربت إنك" لصناعة أرضيات ملاعب الجولف.
- شركة "ميديكال ليندر" للخدمات المالية للمؤسسات الصحية.
- شركة "أوكوود هومز" ثاني أكبر شركة للمباني الجاهزة.
- شركة "برجراين سيستمز" للبرامج.
- شركة "بلانيت هوليوود".
- مجموعة "يو. إس آيروايز".
- شركة "باسيفك كروسنج" للاتصالات.
- شركة "إكس أوكومينكشنز" للاتصالات وخدمات الإنترنت.
- شركة "متروكول" للاتصالات.
- شركة "آرثر اندرسون" للتدقيق المحاسبي بسبب فضيحة شركة "إنرون".

وتستمر موجة الإفلاس بين الشركات الأمريكية، فقد سجلت حالات الإفلاس في الولايات المتحدة ارتفاعها خلال النصف الأول من عام ٢٠٠٢م لتسجل رقماً قياسياً جديداً في حالات الإفلاس.

وقد أدت حالات الإفلاس التي شهدها النصف الأول من ذلك العام والذي تضمن شركات كبرى مثل "إنرون" إلى وضع أصول قيمتها ٢٦٠ مليار دولار تحت الحراسة القضائية لسلطات التفليسة والتصفية، وبلغ عدد الشركات المسجلة في بورصة نيويورك التي أشهرت إفلاسها خلال الشهور الستة الأولى من عام ٢٠٠٢م (٢٥٥) شركة.

وما نطالعه كل يوم من أخبار عن إفلاس كبرى الشركات الأمريكية، إنما هو بسبب تلاعب هذه الشركات في بياناتها، والذي تمثل في تقليل النفقات الحقيقية وتضخيم الإيرادات الحقيقية، ومن ثم إظهار أرباح وهمية وبالتالي يستفيد مديرو هذه الشركات نتيجة تضخيم مكافآتهم السنوية ومكافآت نهاية الخدمة، في الوقت الذي لا يبالون فيه بالخسائر التي تلحق بحملة الأسهم وأصحاب المعاشات من جراء إفلاس الشركات أو هبوط أسعار الأسهم في البورصة.

وبحلول نهاية عام ٢٠٠٢م أعلنت شركتا طيران عملاقتان إفلاسهما وهما:

- شركة "يونايتد إيرلاينز" الشركة الأم لشركة "يونايتد إيرلاينز".

- شركة "يو اس إيروايز" الجوية الأمريكية وتعد سابع شركة طيران أمريكية، كما أنها تشغل رقم ١٤ في قائمة كبرى شركات الطيران العالمية وتخدم أكثر من ٢٠٠ موقع داخل الولايات المتحدة.

كما شهد العام ٢٠٠٢م توقف الكثير من الشركات عن العمل، فقد توقفت شركة طيران أمريكية صغيرة هي "ميدواي إيرلاينز" عن العمل وسرحت جميع موظفيها البالغ عددهم ألفاً وسبعمائة موظف.

وقال مسئولو شركة "دلتا إيرلاينز"، ثالث أكبر شركة طيران في العالم إنه من المحتمل أن تستمر الشركات في تسريح أعداد من الموظفين، وتوقع "جوردون بيتون" رئيس شركة "كونتيننتال" أن يفقد مابين مائة ومئتي ألف موظف يعملون بشركات الطيران حول العالم وظائفهم بسبب الكارثة ويعتقد المحللون أن خسائر قطاع النقل الجوي في الولايات المتحدة قد تبلغ سبعة عشر مليار دولار في ٢٠٠١م.

وقد نجم عن مسلسل الإفلاس هذا:

– انخفاض سعر الدولار أمام العملات الأجنبية، فمنذ بداية العام الحالي انخفض الدولار بنحو ١٢ % أمام اليورو، كما انخفض بنحو ٦ % أمام الجنيه الإسترليني، وبالنسبة نفسها تقريبا أمام الين الياباني، كما بينا سابقاً.

– التراجع الحاد في أسعار الأوراق المالية في البورصة "وول ستريت" وغيرها من أسواق المال الأمريكية.

– فقد المستثمرين ثقتهم في الاقتصاد الأمريكي.

– اتجاه البطالة نحو التزايد بسبب إفلاس بعض الشركات وتقليص حجم الأعمال في البعض الآخر، فطبقاً لأحدث البيانات ارتفعت البطالة في أمريكا في شهر مايو ٢٠٠٢ م إلى ٦ % لتسجل أعلى مستوى لها منذ أكثر من سبع سنوات.

– أن كثيراً من البنوك المركزية بدأت تعيد النظر في اقتناء المعدن الأصفر "الذهب" إلى خزائنها كاحتياطي بعد التخلي عن هذه السياسة في السبعينيات من القرن الماضي حيث

قامت كثير من البنوك المركزية ببيع احتياطياتها من الذهب بعد أن فقد بريقه كمستودع للقيمة [١].

العمليات التي تلت غزوتي نيويورك وواشنطن:

كانت عمليات القاعدة قبل غزوتي نيويورك وواشنطن تتم بمعدل عملية نوعية كل عامين، وأما بعد ذلك التاريخ فقد فتح الله باب الجهاد، وصار المعدل: عمليّتين في العام الواحد أو أكثر، وإن كان حجم "غزوتي نيويورك وواشنطن" من الضخامة بحيث لم يتنبّه أكثر الناس إلى التكثيف الّذي تلاها، لعدم وقوع عمليّات في حجمها إلى الآن ثم توالت الأحداث وازدادت العمليات النوعية إلى عملية في كل ثلاثة أشهر.

لقد قال خبير دولي في شؤون الإرهاب أنه يتوقع أن تشن منظمة القاعدة هجوماً كل ثلاثة أشهر عام ٢٠٠٤م، محذراً في الوقت نفسه من العدد المتزايد من المجموعات الصغيرة المنتشرة في العالم والمرتبطة بشبكة أسامة بن لادن، وقال روهان جوناراتنا مدير قسم بحوث الإرهاب بمعهد الدراسات الدفاعية والاستراتيجية في سنغافورة: "مع تراجع ذكرى هجمات ١١ سبتمبر أيلول، فإنه من المرجح أن يشهد الغرب هجوماً مدمراً آخر في دولة غربية"، وأضاف جوناراتنا في مؤتمر عقد بسنغافورة أن "العالم يواجه اليوم تحدي مواجهة الإرهاب المتشابك"... ورأى جوناراتنا أن "بروز عدد من المجموعات الصغيرة التي تنفذ عمليات إرهابية في أماكن متفرقة من العالم يعتبر من أعظم إنجازات أسامة بن لادن"، وأضاف أن "الصلة بالقاعدة لم تعد أمراً محورياً، لكنها مهمة بوصفها مصدر الإلهام العقائدي نظراً لأن

---

[١] انظر "نزيف الخسائر الأمريكية"، وهو تقرير يستعرض الخسائر الأمريكية اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وعسكرياً منذ غزوتي نيويورك وواشنطن وحتى أحداث العراق الأخيرة!! أعده مركز الدراسات والبحوث الإسلامية. وانظر أيضاً كتاب "غزوة ١١ سبتمبر رؤية متكاملة للحدث الذي هز العالم" من إصدار مجلة الأنصار.

الجماعات الإقليمية، على غرار تلك الموجودة في جنوب شرقي آسيا، تحارب كلا من حكوماتها والولايات المتحدة وحلفاءها على الصعيد العالمي" [١].

إن غزوتي نيويورك وواشنطن هي الضربة التي أصابت التنين في عينيه فأفقدته القدرة على النظر وصار ينفخ النار في جميع الاتجاهات، بينما الغلام المؤمن مستمر في ضرب التنين بالسهام في كل مكان من جسده، حتى تصل المعركة إلى لحظة الحسم عندما يوجه الغلام السهم إلى قلب التنين ثم يثبت السهم فيه فيسقط التنين.. ليرتقي الغلام المؤمن على ظهره مستبشراً بنصر الله له.. ويسقط مع التنين كل الخوف والرعب الذي كان يصيب الناس منه، ويسقط معه سدنته وكهنته الذين كانوا يستغلون الناس من خلال قوة التنين.. وبعد سقوط التنين يسقط في يد الذين عبّدوا الناس للتنين من دون الله، فيقوم الغلام ويرفع الأذان في أنحاء القرية... [٢]

وأكتفي هنا بذكر سرد لغزوات الحرب غير المتوازية طلباً للاختصار وهي كالآتي [٣]:

---

[١] سنغافورة – وكالات الأنباء: "خبراء القاعدة ستشن هجوماً كل ٣ أشهر عام ٢٠٠٤م".

[٢] انظر مقال "مؤامرة بين بن لادن والتاريخ" للأستاذ لويس عطية الله.

[٣] "تحاول الحكومة الأمريكية أن تحافظ على ثقة المستهلك الأمريكي وإعادة ثقة المستثمر الأجنبي، فهي تحرص على التعتيم على أي أعمال تحصل ضد المصالح الأمريكية داخل أراضيها سواءً من المجاهدين أو من اليمينيين الأمريكيين، فمثلاً قالت عن إسقاط المجاهدين لطائرة أمريكان إيرلاينز فوق حي كوينز في نيويورك في السادس والعشرين من شعبان عام ١٤٢٢هـ الموافق للثاني عشر من نوفمبر لعام ٢٠٠١م، والذي قتل على إثرها ٢٦٥ راكباً إضافة إلى سكان في نفس الحي، قالت الإدارة الأمريكية نقلاً عن – شهود عيان بالطبع – بأن السبب في سقوطها هو أنها فقدت إحدى محركاتها مما سب تحطمها فوق الحي السكني، وقالت عن إحراق ثاني أكبر مصفاة لتكرير النفط في ولاية تكساس بأن الحادث عرضي ولم يتم بفعل فاعل، وقدر الله أن يكتشف ركاب رحلة باريس ميامي محاولة عبد الجبار المعروف بـ "رتشرد ريد" لتفجير الطائرة فوق المحيط في أول شوال لعام ١٤٢٢هـ أواخر ٢٠٠١م، إلا أن السلطات الأمريكية

أخفت كل شيء عن الحادثة وكأن شيئاً لم يكن، فهي تخشى من تداعيات إخفاقها عن اكتشاف كيف تم تهريب المتفجرات وأين رجال الأمن والأجهزة الأمنية؟ فلم تكتشف العملية إلا في الدقائق الأخيرة من قبل راكبة بجوار عبد الجبار، وأخفت كذلك تطورات اكتشافها لمحاولة أحد المجاهدين تهريب المتفجرات بنفس طريقة عبد الجبار في شهر يناير ٢٠٠٢م، وأغلق على إثر ذلك مطار سان فرانسيسكو وسلم الله البطل بعدما تمت مصادرة حذائه والمتفجرات بداخلها.

وكذبت حينما نسبت تفجير المجاهدين للمدرسة التقنية في نيويورك في حي منهاتن إلى سخان ماء أدى إلى تدمير ثلاث طوابق في منتصف صفر لهذا العام الموافق لأبريل ٢٠٠٢م وعتمت عليه إعلامياً وبثت صوراً للمبنى المجاور له الذي أصابته بعض الأضرار، وكذبت أيضاً بنسبة انفجار مجمع لشقق التمليك في ضاحية لوس أنجلس في أول شهر محرم ١٤٢٣هـ الموافق لمنتصف شهر مارس ٢٠٠٢م إلى أنبوب غاز، الذي قال عنه المسئولون بأنهم اعتقدوا أن الانفجار زلزال كبير، وكذب إعلان الحكومة روبرت فراكو رئيس كتيبة مطافئ لوس أنجوس حينما قال بأن المسئولين يشككون أن الغاز الطبيعي قد يكون سبب الانفجار، والغريب أن حادثاً عرضياً أدى إلى اصطدام عبارة بجسر كولورادو تسبب بانهياره.

إلا أن الأمن في الولايات المتحدة لم يكن مهدداً من قبل المجاهدين وحدهم حتى تستطيع الحكومة إخفاء كل الحوادث ذات الدوافع السياسية والدينية عن الرأي العام الداخلي والعالمي، فقد أخفت سلطات الأمن الأمريكية تفاصيل ودوافع قبضها على جماعة مسلحة تطلق على نفسها "المشروع السابع" وكانت هذه الجماعة عازمة على السيطرة على شمال ولاية مونتانا الغربية، وقد تم العثور لدى خمسة من رجال الجماعة على مقطورات بطول ٣.٧ متر مليئة بالذخائر والمتفجرات والبنادق والقنابل والملابس الواقية كما صرح بذلك عمدة مقاطعة فلاتيهد جيم دو بونت، كما حاولت مجموعة يمينية أخرى في ولاية شيكاغو تخزين مادة السيانيد السامة في مخزن في نفق تحت مدخل ركاب لمحطة القطار في وسط الولاية، وأخفت اكتشافها عن خطة لمليشيات مسلحة في ميشيغان لتفجير بنايتين حكوميتين، وأخفت عملية للمتطرفين أحبطت في ميسوري لشن هجوم على قواعد عسكرية كانت على وشك الوقوع ضد قاعدة فورت هود بتكساس في يوم فتحها للزوار، وأخفت أيضاً خطط المليشيات في كاليفورنيا لتفجير مستودع لغاز الروبان، وأخفت أسباب حريق مصنع الكيماويات في تكساس الذي نفذته جماعة من السود تعاني من الاضطهاد الأبيض، وأكثر الخطط إثارة لرعب الأمريكان عندما

- إسقاط طائرة أمريكان إيرلاينز فوق حي كوينز في نيويورك في السادس والعشرين من شعبان عام ١٤٢٢هـ الموافق للثاني عشر من نوفمبر لعام ٢٠٠١م والذي قتل على إثرها ٢٦٥ راكباً إضافة إلى سكان في نفس الحي.

- غزوة بالي في إندونيسيا والتي قُتل فيها أكثر من ٢٠٠ صليبي.

- غزوة جربة في تونس في معبد يهودي قتل فيه ٢٠ يهودي ألماني.

- غزوة فيلكا في الكويت.

- استهداف الناقلة الصليبية الفرنسية في اليمن.

- غزوة مومباسا في كينيا ضد اليهود والتي ضرب فيها الفندق وأُستهدفت الطائرة اليهودية بصاروخين ولكنها نجت.

- ضرب فندق ماريوت في عاصمة إندونيسيا.

- غزوات شرق الرياض والتي استهدفت ثلاث مجمعات صليبية يقطنها أمريكان وغربيون.

- إطفاء الكهرباء في شمال أمريكا وجنوب كندا.

- إطفاء الكهرباء في بريطانيا.

- غزوة اسطنبول ضد المعابد اليهودية.

اكتشفوا خطة معدة في طورها الأول لمليشيات فلوريدا لتدمير مشروع للطاقة النووية، وقبل هذا كله فقد تم إخفاء نتائج البحث والتحري عن مصدر الجمرة الخبيثة بعدما قادت التحقيقات رجال الأمن إلى وسط مختبر البنتاغون لتطوير هذه الأسلحة". انظر دراسة "صعود أمريكا إلى الهاوية".

- غزوتي اسطنبول ضد المصرف البريطاني والقنصلية البريطانية والتي قُتل فيها القنصل البريطاني.

- غزوة بدر الرياض "مجمّع المحيا".

- غزوة مبنى الأمم المتحدة في بغداد والتي قتل فيها "سيرجو دي ميلو" مبعوث كوفي عنان.

- غزوة الناصرية ضد الصليبين الإيطاليين.

- غزوة الدار البيضاء.

- محاولتي اغتيال أخطر حليف لأمريكا برويز مشرف.

- غزوة مدريد ضد ثلاث قطارات والتي راح ضحيتها ٢٠٠ قتيل وأكثر من ١٥٠٠ مصاب وجريح.

السبب الثاني لخراب أمريكا
دخول أمريكا المكشوف إلى العمق الإسلامي

إن دخول الولايات المتحدة الأمريكية إلى أعماق بلاد الإسلام لهو النهاية والفخ الرهيب الذي أراد الله أن تكون نهاية أمريكا فيه بعد ارتكابها لغلطة العمر هذه التي ستعجل بهلاكها ودمارها بإذن الله الكبير المتعال

ومن يقرأ التاريخ المعاصر يجد أن هتلر مثلاً وقع في غلطة عمر تاريخية؛ فحين سقطت له فرنسا واستسلمت له بسرعة مذهلة، ودخل الجيش الألماني لاحتلال باريس في يونيو ١٩٤٠م، وتلا ذلك أن إيطاليا دخلت الحرب، واعتقاد هتلر أن الحلفاء هزموا، وأن سقوط فرنسا لا بد من أن يتبعه استسلام بريطانيا، كان من المفترض أن هتلر يغزو بريطانيا عبر بحر الشمال – خطة أسد البحر – ومن ثمّ يكون النصر النهائي الذي يمكنه من الإرث الإمبراطوري الأعظم، لكن الزعيم الألماني أدولف هتلر ارتكب في تلك اللحظة الفارقة غلطة عمره، فقد تحول عن عملية "أسد البحر" إلى عملية غيرها في الشرق هي عملية "بربروسا" – غزو الاتحاد السوفيتي –، وبها فإن هتلر لم يغرز في فيافي الثلوج الروسية فحسب، وإنما ضاعت على ستالين كذلك مزايا سياسة الصبر التي كان يلتزمها، وبدلًا من أن يصبح وارثاً إمبراطورياً، وجد نفسه يدافع عن حياته ذاتها.! وانتهت الإمبراطورية الألمانية وهي لم تزل فتية بسبب هذا الخطأ التاريخي..

وهنا أمريكا حين دهمها الخطر الأول – الحرب غير المتوازية – ووصل ذروته وقمته بصواعق غزوتي نيويورك وواشنطن ووصل الاستفزاز للأمريكان منتهاه، وفي حالة الذهول والصدمة والرعب التي عاشوها تلك الساعات – كما مر معنا من قبل –؛ وقع رأس الصليب في الفخ ليتلفظ وعلى الملأ وأمام الجماهير بأن ما حدث هو "إعلان حرب" وأنها "حرب صليبية جديدة".

ولقد أفادنا الأعداء بتدخلهم كثيراً، وغالباً ما كان لتدخلهم فضل - بعد فضل الله - في إيقاظ الضمير الإسلامي أو إعلان الجهاد العام أو إظهار "صلاح دينٍ" أو "سيف دينٍ " مما من شأنه أن يجمع المسلمين تحت راية واحدة [١].

وهذا الأمر موجود حتى لدى الكافرين، فالأميرال ستيفن لوس دعا هو وضباط البحرية الأمريكية دعوة تنادي بضرورة أن تتحول الولايات المتحدة إلى دولة حرب، لأن الحرب تجربة ليس لها نظير في تمتين وحدة الشعوب، وكشف صلابة معدنها، وتنشيط هممها، وتفتيح عقولها، وداعيها إلى حُسن استغلال مواردها المادية والمعنوية [٢].

ثم تقع أمريكا في الفخ الآخر لتواجه الحرب غير المتوازية "بالياء" بحرب غير متوازنة "بالنون"، وتدخل إلى العمق الإسلامي في حرب مكشوفة مع الإسلام والمسلمين [٣]، بداية ببلاد أفغانستان الصامدة، ووصولاً إلى العراق الأبية، وربما انتهاءً بجزيرة العرب الطاهرة.

وهذا ما يريده قادة الجهاد والمجاهدين، وقد قالها قديماً الإمام عبد الله عزام رحمه الله في كتاب "جهاد شعب مسلم" وهو يتحدث عن الاتحاد السوفيتي يقول: "لو استطعنا أن نستدرج روسيا ونضطرها إلى زيادة قواتها في داخل أفغانستان إلى نصف مليون جندي - وهذا نفس الرقم الذي استعملته أمريكا في فيتنام -، فهذا يعني أن نفقات روسيا يومياً في أفغانستان ستصل إلى مائتين وخمسين مليون دولار، وهذا يعني كذلك أن روسيا ستدفع في أفغانستان بكل جنودها الاحتياطيين المعدين لآسيا، وهذا الرقم لا يتحمله الاتحاد السوفيتي،

---

[١] أسباب سقوط ثلاثين دولة لعبد الحليم عويس.

[٢] انظر مقال الإمبراطورية على الطريقة الأمريكية لهيكل.

[٣] دخول أمريكا المكشوف إلى جزيرة العرب بعد حرب الخليج الثانية وانتهاء الحرب الباردة أتى عليها بحرب جديدة - الحرب غير المتوازية -، واستمرار وتصاعد عمليات الحرب غير المتوازية إلى أن وصلت إلى قمتها في غزوتي نيويورك وواشنطن جعل أمريكا تغيب في مستنقع كبير لن تخرج منه بإذن الله إلا مهزومة ذليلة وهو عمق بلاد المسلمين - أفغانستان - العراق - جزيرة العرب - الفلبين... إلخ.

وليس من المتوقع أن ترتكب روسيا هذا الخطأ، ولكننا يجب علينا أن نخطط لعمليات عسكرية قاصمة تضطر روسيا لمضاعفة قواتها وخسائرها ولإضعاف إرادتها القتالية، وإقناع الولايات الإسلامية في بخارى وطشقند بضعف روسيا أمام حرب العصابات الطويلة الأمد".

يقول مستشار الأمن القومي لرئيس الولايات المتحدة برجينسكي على عهد كارتر وهو يتحدث عن غلطة الاتحاد السوفيتي: "... فهم حين دخلوا أضروا باقتصادهم وأرهقوا سلاحهم وأضعفوا معنويات جنودهم وأضروا بهيبتهم، وذلك أدى في النهاية إلى تمزق الإمبراطورية السوفيتية".

وقد أدلى الجنرال دوغلاس ماك آرثر القائد العام لقوات الحلفاء في آسيا قديماً بنظرية تُنسب إليه حتى هذه اللحظة مؤداها: "أن الولايات المتحدة في آسيا تستطيع فقط أن تكون دولة بحر ولا يصح لها أن تنزل على البر الآسيوي وتخوض فيه إلى العمق، لأن ذلك يفرض عليها أعباءً لا تقدر عليها وتضحيات لا داعي لها، لأن العمق الآسيوي بلا نهاية بالبشر، والموارد، وبالعقائد، والأفكار، وبناءً على ذلك فإن ما تستطيعه الولايات المتحدة وتقدر عليه بلا تكاليف تُذكر أو تضحيات لا تحتمل هو التمركز على الجزر المقابلة لشواطئ آسيا، والتدخل عند اللزوم بالأساطيل أو بالطائرات من قواعد تلك الجزر أو من حاملات الطائرات".

وهناك رأي تاريخي أمريكي يحذر من الدخول إلى العمق الإسلامي؛ فبعد احتلال جزر المحيط الهادئ من هاواي إلى الفلبين قرب شواطئ آسيا، وبعد المناقشات المحتدمة التي جرت في واشنطن حول الخطوة التالية لهذا الاحتلال، وبعد ارتفاع النداءات التي تطالب بالدخول إلى إندونيسيا، يقوم الرئيس الأمريكي "تيودور روزفلت" [1] – وهو من دعاة التوسع والانتشار – بطرح رأي آخر يدعو إلى التروي بناءً على أسباب عرضها من بينها:

---

[1] تولى رئاسة أمريكا في عام ١٩٠١م وهو قبل فرانكلين روزفلت.

– أن إندونيسيا ليست جزيرة واحدة أو اثنتين أو ثلاثاً، وإنما آلاف الجزر، واحتلالها جميعاً عبء ثقيل لا نحتاج إلى حمله، واحتلال بعضها دون البعض الآخر يعرض مواصلاتنا الداخلية لمخاطر تنتج عنها خسائر في الأرواح لا نريدها!.

– أن إندونيسيا بلد مسلم ودخولها يضع التوسع الأمريكي في صراع مع دين لا نعرف عنه ما فيه الكفاية، فنحن نعرف المسيحية بمذاهبها المتعددة لكننا بالنسبة للإسلام سوف نواجه خصما لا نفهمه" [١].

وقد استطاع المجاهدون بفضل الله عز وجل جر أمريكا إلى أن تدخل في عمق المسلمين أفغانستان في الوقت الذي حددوه لها لكي يتعاملوا معها بشكل أقرب على أرض الواقع التي يُحسنون التحرك فيها وخبروها وخبرتهم وكان لهم فيها تجربة مع عدو أشد من العدو الأمريكي وهو الاتحاد السوفيتي، خصوصاً أن المجاهدين كان لهم تجربة سابقة مع الجندي الأمريكي في أرض الصومال تبين فيها مدى هشاشة وجبن وخور الجندي الأمريكي مقارنة بالروسي [٢] فكان من الضروري إدخال أمريكا إلى أعماق بلاد الإسلام بشكل مكشوف

---

[١] "الإمبراطورية على الطريقة الأمريكية" لهيكل جريدة السفير "لبنان" السبت، ١ آذار مارس ٢٠٠٣م.

[٢] يثير "ماكس بوت" المحلل السياسي الأمريكي في مقالته "نحو إمبراطورية أمريكية" المنشورة في مجلة المحافظة إلى "أن الجندي الأمريكي لم يعد على استعداد للتضحية بنفسه في سبيل الدفاع عن الإمبراطورية الأمريكية بنفس درجة نظرائه البريطانيين مثلاً في القرن التاسع عشر، وأنه لن يكون له قبل بالأعباء الإمبراطورية الأمريكية".

وهنا تثور مشكلة تعبئة الشعب الأمريكي، لا سيما الجنود الأمريكيين الذين تعودوا على نمط التدخل الرخيص وعلى الحروب التي تتم إدارتها "عن بعد" بأقل خسائر في الصفوف الأمريكية.

ومن جهة أخرى، فإن الاستعداد النفسي لا يقتصر على الخسائر المادية التي قد تحيق بالكيان الإمبراطوري أثناء قيامه بمهامه، ولكنها أيضًا تتعلق بتحمل التكاليف التي ستستتبعها إعادة الترتيب للنظام الدولي بشكل يتماشى مع تحقيق المصالح الإمبراطورية، وهو أمر مشكوك به فيما يتعلق باستعداد

لاستنزافها وإنهاكها مع استمرارية ضربها الضربات القاتلة بطريقة الحرب غير المتوازية وهذا يجمع على أمريكا نوعين من الحروب (حرب العصابات [١] والحرب غير المتوازية) حتى لا

الشعب الأمريكي لتحمل مثل هذه التكاليف؛ "فالشعوب الديموقراطية لا تتمتع بالصبر" كما يشير مايكل إجناتييف، الأستاذ بجامعة هارفارد.

وعلى العكس من ذلك تهدف القوة الإمبراطورية الأمريكية للقيام بالأعمال العسكرية المتعلقة بـ "إعادة النظام"، ومن ثم الانسحاب وإلقاء عبء إعادة البناء على ما يسميه إجناتييف بـ"الأوربيون الإنسانيون". فهي إمبراطورية تتسم بكونها "إمبراطورية متعجلة"، وإن كانت تتشابه مع نظيرتها الأوربية في بقاء السلطة الحقيقية على المناطق التي تقوم بالتوسع بها – من كوسوفا والبوسنة، إلى أفغانستان والعراق – في المركز في واشنطن.

[١] **حرب العصابات:** عُرفت بأنها حرب الضعيف ضد القوي.. وحرب الألف طعنة.. وحرب ضرب المؤخرات.. وحرب اضرب واهرب.. وحرب البرغوث والكلب؛ فالبرغوث دائماً يلسع الكلب ويُحدث به جروحاً ويهرب فيقوم الكلب بعضِّ نفسه وهرش جلده ثم يعود إليه البرغوث ويلسعه مرةً أخرى وهكذا دواليك حتى يفقد توازنه وينهكه ويقتله.. وحرب الحاضر الغائب أي أنك موجود وغير مرئي.. وحرب الشعب.

مراحل حرب العصابات: قسم قادة هذا النوع من الحرب مراحلها إلى ثلاثة مراحل رئيسية لابد من إعطاء كل مرحلة حقها في الاستراتيجية والتكتيك، فلا يمكن أبداً تحديد نهاية هذه المراحل بحدود زمنية، والذي يحدد نهاية المرحلة والدخول في الأخرى هو الانتهاء منها على الوجه الأكمل، وتتميز كل مرحلة عن المراحل الأخرى بسمات عسكرية وسياسية واقتصادية وإعلامية تخضع للمناورة والتغير بحسب المرحلة، إلا أن الأساس العقدي لا يخضع للمناورة في أي مرحلة من هذه المراحل، لأنه هو الدفاع لحرب العصابات في مراحلها الثلاث، وهذه المراحل هي:

– مرحلة الاستنزاف (الإنهاك) الدفاع الاستراتيجي: وهي أطول المراحل وأكثرها عنفاً ومعاناة للطرفين.. والنصر فيها لمن صبر، وفي هذه المرحلة لا بد أن تكون قواعد رجال العصابات قواعد متنقلة وغير ثابتة وخفيفة التجهيز حتى لا تعيق التنقل والمناورة، ولا بد لرجال العصابات أن يستخدموا الضربات العسكرية

يبقى لأمريكا فرصة لالتقاط الأنفاس، بل يكون همهم الرئيس هو الدفاع عن أنفسهم ومصالحهم [١]...

ومتى ما وضعت عدوك في موقف المدافع وليس المبادرة والهجوم؛ فهذا يعني انتصارك عليه وهزيمته المحققة بإذن الله بعد مدة من الزمن، وأمريكا الآن في حربها المعاصرة تدافع عن نفسها على قاعدة "خير وسيلة للدفاع الهجوم".

قال الله سبحانه وتعالى" ﴿ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ يقول سيد قطب رحمه الله [٢]: " قاعدة في علم القلوب وفي علم الحروب.. أقدموا واقتحموا.. فمتى دخلتم على القوم في عقر دارهم انكسرت قلوبهم بقدر ما تقوى قلوبكم، وشعروا بالهزيمة في أرواحهم وكتب لكم الغلب عليهم...".

فقط لتحطيم هيبة النظام وترويج الدعايات ضده وتشجيع الناس على المقاومة لمعاونة رجال العصابات، ولا بد من نشر تفاصيل المعارك على أكبر قطاع ممكن بين الناس لاجتذاب تأييد الناس وعونهم.

– مرحلة التوازن: وهي بداية التمركز واستخدام الأسلحة الثقيلة بعد أن يعيدوا تشكيلاتهم العسكرية بأسلوب شبه نظامي، وبعد أن يتمكنوا في المرحلة الأولى من تحقيق موطئ قدم وأرض محررة.

– مرحلة الحسم: تنظيم القوات واحتلال المدن وهذه المرحلة هي المرحلة الأخيرة في حرب العصابات.

انظر للاستزادة رسالة "هكذا نرى الجهاد ونريده" و"سلسلة الحروب الصليبية على العراق" وسلسلة "علوم عسكرية" في نشرة معسكر البتار.

[١] يقول عبد الباري عطوان في مقال له بعنوان "العراق أخطر من فيتنام": "هنيئاً للرئيس بوش على هذه الرؤية السياسية غير المسبوقة، وشكراً لمستشاريه الذين حققوا للشيخ أسامة بن لادن حلمه التاريخي في جر أمريكا ومحاربتها على أرضه، أرض العرب والمسلمين، بدلًا من أن يحاربها على أرضها وعلى بعد عشرة آلاف كيلومتر".

[٢] انظر "في ظلال القرآن" سورة المائدة آية (٢٣).

وبعد أن غزا المجاهدون أمريكا في عقر دارها في نيويورك وواشنطن كان المتوقع من أمريكا أن ترد بقنابل نووية أو ما شابه ذلك كما فعلت مع اليابان حين ضُرب ميناء بيرل هاربر عام ١٩٤١م، لأن عقلية (الكابوي) لا تستطيع أن تضبط نفسها وتتصرف بحكمة، ولأنها استفزت استفزازاً شديداً، وقد قال الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون: "على أعداء الولايات المتحدة أن يدركوا أننا نتحول إلى حمقى إذا قربت مصالحنا !!"، ولذا كان المجاهدون يتعاملون معها كما يتعامل من يصارع الثيران "الماتادور"، فهو يضرب الثور في رأسه ثم يتحرك هنا وهناك ليبطل اندفاع الثور الهائج وينهك قواه بحركة سريعة وخفيفة وذكية ثم يعود لاستفزازه مرة أخرى وهكذا..

وهذا الثور الهائج تحرك وحرك كل الثيران معه، مما جعله مكشوفاً أمام الجماهير والشعوب المسلمة، فأمريكا اليوم تتخبط في كل ميدان على المستوى السياسي والعسكري والاقتصادي والأمني، وهذا كله كفيل بإذن الله تعالى بانهيارها قريباً، فهي دخلت في نفق مظلم لا مجال لها للتراجع.

ويصف هذا هنري كيسنجر في كتابه "هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية" فيقول: "أمريكا لا تمتلك سياسة خارجية عاقلة مبنية على معرفة بطبيعة وبنية دول العالم وشعوبها وخصائصها، بل هي تتصرف بلا دراسة وبارتجال، وتستعدي الجميع، ولا تأخذ بعين الاعتبار مصالح الآخرين والمشكلات المعقدة التي تعيشها المجتمعات.." مشيراً إلى "اتسام السياسات المتعجلة بالاضطراب والارتباك، والمراوحة بين الالتزام الأيديولوجي والبراغماتية، فمرة وبلا مقدمات تتقدم المصالح القومية الآنية على مصلحة بناء دور أمريكي قائد للعالم مستقر وثابت بدون أن تأخذ بخلفية القيم الأيديولوجية، وأخرى تتصرف باستحضار تلك القيم بعيداً عن البراغماتية..".

ويرى "أن العجرفة في سياساتها الخارجية ستقودها حتماً إلى عزلة، وأن التورط العسكري المستعجل سيجرها إلى مستنقعات استنزاف لن تخرج منها بسلامة".

ويؤكد هذا الرأي الكاتب الأمريكي جيم هوجلاند في مقال له بصحيفة واشنطن بوست الأمريكية حينما قال: "بأن البيت الأبيض في ظل رئاسة بوش لا يستطيع أن يحكم العالم"، وقال: "إن هناك فرقاً كبيراً بين الزعامة والإدارة، مشيراً إلى أن بوش مدير وليس زعيماً، وأن استمراره في الحكم ينذر بنهاية الأسطورة الأمريكية بوصفها القوة الوحيدة في العالم ولن يصبح العالم أحادي القطبية في ظل هذه الإدارة الأمريكية".

وقد أثبتت التجارب التاريخية المعاصرة لأفغانستان أنها مقبرة الغزاة والمعتدين، فكل من غزاها مريداً السيطرة عليها رجعت النتيجة عليه وخرج منها وهو يجر أذيال الهزيمة مع فقدانه للسيطرة والهيمنة وتفكك إمبراطوريته، ومن أعظم الأدلة على ذلك وأبينها تفكك قوة بريطانيا بعد غزوها لأفغانستان في مطلع القرن الرابع عشر الهجري – تسعينيات القرن التاسع عشر الميلادي –، وتفكك الاتحاد السوفيتي بعد غزوه لأفغانستان مطلع القرن الخامس عشر الهجري – تسعينيات القرن العشرين –.

كما أثبتت التجارب التاريخية المعاصرة للأمريكان أنهم هُزموا في كل الحروب البرية التي خاضوها "فيتنام – الصومال – أفغانستان – العراق..." وتكبدوا فيها خسائر فادحة اضطروا بعدها كما في تجربة فيتنام والصومال للخروج وهم يجرون أذيال الهزيمة.

وقد تبين بجلاء ما كان يقوله بعض المحللين من أن أمريكا قوة بحرية وجوية في الأصل ولا تمتلك تقاليد عريقة في حرب المشاة [1]، والناظر في تجارب أمريكا الماضية يجد أن هزائمها

---

[1] يقول حازم المدني في كتاب "هكذا نرى الجهاد ونريده": "صحيح أن العدو يمتلك قدرة جوية هائلة، وتفوقاً يصعب علينا إدراكه، إلا أنه من خبرة الحروب السابقة فهذا السلاح لا يحقق تقدمًا على الأرض بدون قوات برية، وهذه نقطة الضعف الأولى للعدو.

أما نقطة ضعفه الرئيسية فتكمن في طبيعة الجندي الأمريكي أو ما يسمى بالمارينز والكمندوز، فهذا الجندي برغم التدريبات الدعائية غير جاهز للحرب والقتال، ومن خلال التجارب السابقة فهو مؤهل لاستلام أرض خالية من الرجال والسلاح.. ولإيضاح ذلك باختصار نقول: لقد خسرت الولايات

في كوريا وفيتنام وقعت نظرًا لأن أعدائها بذكائهم منعوها من استخدام أساطيلها البحرية والجوية – وهذا ما يجري حالياً في أفغانستان والعراق –، بينما انتصارها على اليابان في الحرب العالمية الثانية تم في الأساس بحريًا، أما ألمانيا فقد كانت منهكة أصلاً بمعارك على جبهات ممتدة من روسيا إلى شمال أفريقيا مرورًا بالبلقان، ولذلك وجد التدخل الأمريكي المتأخر ضد ألمانيا ابتداء من ١٩٤٣م أجواء ممهدة لانتصاره، ومع ذلك فيرجع سبب انتصار أمريكا على ألمانيا والنيل من التجمعات السكانية – كما هي العادة الغير المعلنة لأمريكا – ، وما تدمير مدينة "دريسدين" الألمانية سنة ١٩٤٤م والتي لا تمثل أي قيمة عسكرية سوى دليل إضافي على ذلك، وقد ظهر عيب المشاة الأمريكيين في المعارك القليلة التي خاضوها ضد الجيش الألماني وخاصة في معركة "بولجي" ١٩٤٤م، والتي ذاق فيها الجيش الأمريكي الويلات [١].

أما عن اختيار أماكن تدخل الجنود الأمريكيين فحدث عن غباء الاستراتيجية الأمريكية ولا حرج، فعوضاً عن الاقتصار على أفغانستان والتركيز على إحراز نصر فيها – خاصة وأنه

المتحدة الأمريكية جميع المعارك البرية التي دخلتها ضد المسلمين في الصومال، وكذلك العمليات الأربعة التي نزلت فيها على الأرض في أفغانستان، وهي عمليه إنزال على بيت أمير المؤمنين، عملية استعراضية مصورة لاحتلال مطار سفار جنوب قندهار، عملية جبل ملك على الإخوة البلوش، عملية الإنزال في شاهي كوت.. فقد فشلت كل العمليات ومنيت القوات الأمريكية بخسائر تخجل من ذكرها، لأنها ستدخل موسوعة جينس للأرقام القياسية..".

[١] قد يعترض البعض بما حدث ضد الجيش العراقي في حرب الخليج الثانية، وهذا اعتراض باطل لأن انتصار أمريكا في تلك الحرب كان على جيش منسحب لا نية له في خوض القتال، ومع ذلك دُمر عن آخره في مجزرة لا شرف فيها لأمريكا على الإطلاق، ولم تظهر في تلك الحرب قيمة المشاة الأمريكيين لأن أغلب العمليات كانت من نصيب الطيران الحربي.

انظر مقال انظر مقال "حَصَادٌ مُرٌ.. الحملة الصليبية بعد ستة أشهر" مجلة الأنصار، العدد السادس. لأبي عبيد القرشي.

بعيد المنال بإذن الله –، تدخل الأمريكيون في مناطق أخرى كجنوب الفليبين وجورجيا وهو ما لن يتسبب سوى في جلب مشاكل إضافية للجيش الأمريكي، فجنوب الفليبين بؤرة توتر قديمة جدًا قاتل المسلمون فيها الغزاة المتتابعين منذ خمسمائة سنة، ومن بينهم الأمريكان الذين أتوا في بداية القرن العشرين بعد سيطرتهم على الأرخبيل الفليبيني دون هوادة، وقتالهم هو قتال من أجل دينهم وبقائهم في أرضهم ولذلك فإنهم لن يخضعوا أبدًا لهذا الغزو الجديد.

أما إرسال الجنود الأمريكيين إلى جورجيا فهو كذلك خطأ استراتيجي أمريكي، فالشيشانيون الذين يخوضون كذلك حربًا من أجل البقاء أذاقوا روسيا الويل بعد محاولاتها المضنية للقضاء على كيانهم، لن يضرهم كيد الأمريكان شيئًا بعد ما اشتد عود جهادهم المبارك، بل يمكن القول أن التدخل الأمريكي في جورجيا قد يأتي بآثار معاكسة، إذ أن روسيا تعد دولة جورجيا حديقة خلفية لها، وسعت كثيرًا لإخضاعها بعد انفصالها عن الاتحاد السوفيتي السابق، بل ودعمت الأبخاز المسلمين في حربهم الانفصالية عن جورجيا كخطوة لإضعاف نظام الحكم فيها، وإرجاعه لصف روسيا، إذن الوضع الجورجي الداخلي هش أصلاً، وقد يتسبب التدخل الأمريكي الأرعن في نتائج عكسية لمصلحته، وذلك عبر تقوية الممر الشيشاني – الأبخازي، وخفض روسيا للتوتر في الشيشان إلى حين يتلقى الأمريكان درسًا لن ينسوه.

أما التركيز على اليمن والصومال فهو كذلك خطأ استراتيجي، فالحمية القبلية في هذين البلدين قوية للغاية والسلاح المنتشر بين سكانها – ٦٠ مليون قطعة سلاح لدى الأهالي في اليمن وحدها –، يمنع أي حملة صليبية على الحركات الإسلامية من أن تحقق أهدافها، وقد جربت أمريكا التدخل في الصومال وخرجت تجر أذيال الخيبة، وأما اليمن فلم تستطع أي قوة استعمارية إخضاعه عبر التاريخ لصعوبة تضاريسه ومقاومة أهله، والتاريخ سيكرر نفسه لا محالة لمن لم يقرأ التاريخ، وهو حال عصابة البنتاجون [١].

---

[١] انظر المرجع السابق.

كما أثبتت التجارب التاريخية المعاصرة انتصار طلائع الأمة المجاهدة في أراضي المسلمين، بل وحتى على أرض الصليبيين على أعدائها في العقدين الماضيين، وذلك باتخاذها أسلوب حرب العصابات ضد أقوى وأحسن الجيوش تسليحاً وتدريباً "الاتحاد السوفيتي في أفغانستان – أمريكا في الصومال – روسيا في الشيشان – اليهود في فلسطين – الصرب في البلقان".

فقد انتصر المجاهدون في أفغانستان على الاتحاد السوفيتي الذي دخلها عام ١٩٧٩م بأكثر من (١٠٠٠٠٠) جندي، وانتصروا في الصومال على الأمريكيين بعد أن دخلت أمريكا بـ (٤٠٠٠٠) جندي، وانتصروا في حرب الشيشان الأولى ١٩٩٤م – ١٩٩٥م بعد ما اجتاحت روسيا أرض الشيشان بـ (١٠٠٠٠٠) جندي مقابل (١٣٠٠٠).

ومنذ أن دخلت أمريكا إلى أفغانستان رأى أكثر المحللين السياسيين والخبراء العسكريين أن هزيمة الأمريكان في هجمتها هذه من الأمور الحتمية، ولكن أمريكا برغم ذلك كانت مصرة على موقفها لسببين رئيسين:

١- إثبات قدرتها للعالم على تدمير ومحو من يعاديها.

٢- جعل العالم تحت قيادتها وخاصة الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن [١].

ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.. يقول المؤرخ الأمريكي بول كنيدي [٢] في كتابه "نشوء وسقوط القوى العظمى": "كان انتصار أية قوة كبرى في هذا العصر أو انهيار قوة أخرى، هو دائماً نتيجة قتال طويل قامت به قواتها المسلحة، كما كان أيضًا نتيجة الاستغلال الفعال بشكل نسبي لموارد الدولة الاقتصادية المنتجة في وقت الحرب... إن الثروة

---

[١] انظر مقال "بوادر هزيمة أمريكا في أفغانستان يعد تمهيداً لكسر شوكتها" لحامد مختار.

[٢] بول كيندي هو أحد أبرز المؤرخين الأمريكيين – مدير دراسات الأمن العالمي في جامعة ييل في ولاية كونتيكت الأمريكية – صاحب كتاب "نشوء وسقوط القوى العظمى" الذي تناول فيه نشوء وسقوط الإمبراطوريات خلال الخمسمائة عام الماضية.

مطلوبة في العادة لدعم القوة العسكرية، والقوى العسكرية مطلوبة في العادة لجلب الثروة وحمايتها، بيد أنه إذا تم تحويل نسبة كبيرة للغاية من موارد الدولة وتخصيصها للأغراض العسكرية بدلاً من تخصيصها لتحقيق الثروة، فإنه من المرجح أن يؤدى ذلك إلى إضعاف القوة الوطنية على المدى الأطول".

ويقول: "إن الحروب ونفقاتها الباهظة لعبت دوراً أساسياً في سقوط كثير من القوى العظمى خلال الخمسمائة سنة الماضية".

والسؤال: ماذا حققت أمريكا في أفغانستان في المجال الإداري والسياسي والأمني والعسكري والاقتصادي والاجتماعي؟ هل يكفيهم الإتيان بحكومة عميلة في أفغانستان؟

إن التاريخ الأفغاني يذكر أن الإنجليز استخدموا شاه شجاع عام ١٨٨٦م عميلاً لهم وقت هجومهم على أفغانستان، وكذلك الروس الشيوعيون استخدموا ببرك كارمل عميلاً لهم وقت غزوهم لأفغانستان عام ١٩٧٨م، ولكن لم يستطع الإنجليز ولا الروس حراسة عملائهم أو توفير الأمن لهم، حيث قتل شاه شجاع من قبل المجاهدين وأطيح ببرك كارمل وأزيح عن السلطة.

ولعل الأمريكان يدركون هذا الأمر جيدًا، لذا عملوا على توفير حراسة أمريكية لرئيسهم المعين كرزاي.. فإذا كان هذا هو وضع رئيس الإدارة الذي يعيش في أحضان الأمريكان، فماذا يكون وضع بقية أعضاء إدارته الذين عينهم الأمريكان مثله، وماذا يكون الوضع الأمني لبقية الشعب؟.

ولن يكون العميل كرزاي أوفر حظًا من أسلافه "شاه شجاع" أو "ببرك كارمل" [١].

---

[١] انظر المرجع السابق.

إن ما يزيد من معدلات الإحباط للأمريكان تزايد العمليات الجهادية ضد قواتهم والهجوم المتكرر الذي أصبح بشكل شبه يومي على قواعدهم ومعسكراتهم، وارتفاع معدل سقوط الطائرات التابعة للجيش الأمريكي [١]، وقد اضطروا كثيرًا في الفترة الأخيرة بالاعتراف بالهجمات التي يشنها المجاهدون، ولكن يمنعهم الكبر من ذكر أعداد القتلى والجرحى في صفوفهم، وإنه لمن العجب أن تعترف أمريكا مثلاً بسقوط طائرة ثم تعلن بكل بجاحة أن لا إصابات..!! ويعترفون بوقوع الصواريخ على معسكراتهم ولكن أيضًا دون وقوع أية خسائر، فالجندي الأمريكي لا يموت ولا يجرح ولا يصاب وإن احترقت به طائرته وسقط من السماء، وهو أيضًا لا يموت ولا يجرح ولا يصاب وإن سقطت صواريخ المجاهدين فوق رأسه.. إنه الجندي الذي لا يموت..!! وإن مات فيموت بنيران صديقة..!!

كذلك يتبين الفشل الذريع للحملة الأمريكية في عدم تمكن الأمريكان من القضاء أو القبض على مسؤولي الطالبان أو القاعدة، وذلك بحفظ الله تعالى للمجاهدين، وكلما خرج بيان أو تسجيل للملا عمر أو الشيخ أسامة أو لأحد القادة اسودت وجوه الأمريكان ونُكست رؤوسهم وشعروا بالخزي والهزيمة، حتى أن أحدهم قال بعد ظهور أحد أشرطة الشيخ أسامة حفظه الله: "إن بقاء ابن لادن وظهور صوته في هذا الشريط يُعد انتكاسة للأمريكان".. والحق ما شهدت به الأعداء.

يقول بول كيندي [٢]: "أعتقد أن ما تواجهه الولايات المتحدة هي صعوبات لا يستهان بها في أفغانستان، ولا بد أنكم تعلمون أنه في الصحافة ووسائل الإعلام الأمريكية معظم اهتمامنا ينصب على العراق، وأن هناك اهتمام أقل بأفغانستان".

---

[١] تحاول أمريكا إخفاء هزيمتها في أفغانستان ولكن التقارير الخاصة بالإمارة الإسلامية طالبان تبين مدى هزيمة أمريكا وانتصار المجاهدين ولله الحمد.

[٢] انظر موقع الجزيرة نت برنامج بلا حدود حلقة بعنوان "مستقبل الإمبراطورية الأمريكية" بتاريخ ٢٠٠٣/١١/٢٦م.

أحمد منصور: يعني من خلال تتبعي لكتاباتك، لاحظت أن هناك عوامل مشتركة في عملية سقوط القوى العظمى، في ظل العوامل المشتركة هذه التي عادةً ما تؤدي إلى سقوط أو أفول القوى العظمى، ما مدى تطابق بعض هذه العوامل على الواقع الأمريكي الحالي؟

بول كيندي: أعتقد أن ربما هناك ثلاثة عوامل في سقوط وأفول القوى العظمى، إحداها أشرت إليها في برنامجك الآن، وشددت عليها في كتابي، وهي فقدان الإنتاجية والقدرة التنافسية الاقتصادية، وتجاوز بلدان أخرى للبلد المعني اقتصادياً.

العامل الثاني أو السبب الثاني هو: الهزيمة العسكرية في الميدان، الهزيمة التي تلحق بجيشك، وربما تعرض بلدك لغزو وفتح عسكري.

العامل الثالث هو: الأصعب من ناحية تقييمه والتوصل إلى استخلاصات ونتائج حوله، لأنه يتعلق بالمعنويات وبالأفكار، وكيف تقرر أنك لا تريد بعد الآن أن تبقى كقوة كعظمى، ولو راجعنا الأمور وتذكرنا أن هناك قوى إمبريالية عظيمة مثل البرتغال التي حكمت معظم أرجاء إفريقيا، مثل السويد التي غزت معظم أنحاء أوروبا، بعد مدة من الزمن تخلفوا اقتصادياً، وأُلحِقت بهم خسائر عسكرية في الميدان، ولكن شعوبهم قالت لهم لا نريد أن نبقى إمبراطوريات، ونحاول السيطرة على حياة الآخرين على بعد آلاف الأميال، نريد فقط أن نعود إلى بلدنا ونبقى برتغاليين أو سويديين، ولو أن أي من مشاهديكم زار السويد أو البرتغال يرى أنهم من بين أكثر الشعوب سعادة ورضا بين أمم الأرض، لأنهم مقتنعون الآن وقانعون..." أ.هـ

ثم من مكر الله بأمريكا وكيده لها أن دخلت أمريكا في العراق "وموضوع العراق ومشهد العراق ومشهد العقدة العراقية والغطرسة الأمريكية ضد العراق، مشهد غير مفهوم.. يعني بعبارة أخرى لو أنك كنت تتخيل نفسك تشاهد مشهداً يتحدث عن صراع بين قوتين إحداهما عبارة عن رجل واحد يمسك بندقية، والأخرى عبارة عن جيش من المدرعات وبدأت المعركة واستمرت مدة طويلة، والبطل الذي هو صاحب البندقية لم يمت، والمدرعات لم تنهزم،

ثم فجأة ظهر لك في المشهد.. حدث غريب وهو أن جيش المدرعات التفت إلى مجموعة أخرى من الفرسان بعيداً هناك وتوجه لهم يقاتلهم وترك البطل صاحب البندقية! ثم جلس البطل جانباً وأخذ يشجع الفرسان على الصمود والقتال.. ماذا ستقول في هذا المشهد؟ ستقول إن مشهد ظهور الفرسان في وقت العقدة الفنية وشدة الحرب يعني شيئاً من اثنين، إما أن جيش المدرعات غبي للغاية، أو أن مُخرج المشهد يريد حدثاً قادماً، حيث قرر هزيمة جيش المدرعات، ولم يقرر هزيمة البطل، ولذا أظهر الفرسان في تلك اللحظة الحرجة لكي يشد انتباه جيش المدرعات ويأخذه بعيداً عن البطل ثم يورطه في القتال مع الفرسان، وهنا سيضع لك المخرج الحبكة النهائية للقصة وهي أنه في لحظة انشغال جيش المدرعات بالقتال مع الفرسان سيقوم البطل صاحب البندقية بتوجيه طعنة خلفية للجيش ويقتل قائدهم بطلقة واحدة، ثم سيصبح جيش المدرعات بين فكي كماشة لينهزم!! رغم أنه جيش مدرعات في مقابل قوات لا تذكر في موازين القوى.. ستقول حسناً المخرج في كل الأحوال يريد هزيمة جيش المدرعات، فأقول لك نعم، ولذا هو يجعل جيش المدرعات يتصرف بشيء من الغباء وعدم التفكير العميق، فالفرسان لم يكن لديهم مشكلة مع جيش المدرعات، لكنهم عندما أُجبروا سوف يقاتلون بدون شك.. والمخرج جعل جيش المدرعات يتصرف بحيث بدلاً من أن ينهي مشكلته مع البطل جعله ينجح في تجميع عدوين ضده في نفس الوقت، ولذا أخذ البطل يصرخ في الفرسان يقول لهم لا تخافوا من جيش المدرعات فهم جبناء ولم يستطيعوا قتالي وأنا لوحدي فقاوموهم كما فعلت أنا..." [١].

"والله لو بذلنا كل حيل الدهاة وأهل المكر والخديعة من أجل أن نجر أمريكا وعبيدها ليصبحوا في وضع يقلب الدنيا عليهم لما استطعنا لكنه مكر الله، والله خير الماكرين.

فأمريكا دخلت العراق ليس بتحدي المسلمين فحسب بل بتحد للعالم كله، ودخلت وهي مراهنة أنها ستكسب كسباً تاريخياً، وتستقر لها الأمور، ويقدم لها الشعب العراقي

---

[١] انظر مقال "مؤامرة بين بن لادن والتاريخ" للأستاذ لويس عطية الله.

الشكر الجزيل ويستمتع باستعمارها له، وظنت أمريكا أنها بهذا الرهان ستتخلص من ورطة مخالفة دول العالم، وستقول لهم: ألم أقل لكم أني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم منكم بالعراق وحقيقته [١].

وحين سقطت بغداد ذلك السقوط الدراماتيكي، ظن الكثير أن الرهان الأمريكي نجح، وأن أمريكا ستبصق على فرنسا وألمانيا وغيرها من الدول التي رفضت الموافقة على فعل الأمريكان.

لكنه مكر الله الذي كان استدراجاً رهيباً حتى وقعوا في الفخ والمحرقة الدائمة، وهم ينظرون فلا هم الذين يستطيعون البقاء في هذه المحرقة وليس لديهم المخرج الذي يستطيعون منه الهروب، فيشمت بهم العالم كله شر شماتة وتنهار هيبتهم.

وكل ناظر بمنظار تاريخي عميق يكاد يدرك أن المشهد الآن هو مشهد الفريسة في الهدف، فالأمريكان في حالة من الحرج تاريخياً جعلتهم وكأنهم "ريم على القاع بين ألبان والعلم" في مرمى ضربات المجاهدين.

---

[١] هذا الاحتلال العسكري المباشر يفتح الأبواب للإدارة الأمريكية لتطبيق سياساتها التغييرية بشكل مباشر، ويدل كذلك على استعجال الإدارة الأمريكية ورغبتها بالحصول على النتائج بسرعة، ولعلنا نَلْمَحُ في ذلك عدم القدرة على الانتظار وهذا ما يخبئ ضعفاً في الإرادة وقصراً في النظر، لأنه لم يراع نتائج احتلال الدول الاستعمارية للعالم الإسلامي في القرن السابق، ولم يراع التطور الذي حصل لدول العالم الثالث –كما يقال– من حيث الوعي والاعتزاز بالمبادئ وخاصة عند المسلمين، ويمكننا أن نزعم أن من أسباب قصر النظر هذا العقيدة الأصولية التي يتبناها أكابر القادة في الإدارة الأمريكية، والهروب إلى الأمام من آثار أزمة الغزوتين والكساد الاقتصادي في أمريكا.

فالأمريكان وقعوا في فخ صنعته يد الله بأيدي المجاهدين، فهم الآن مثل الذي يمشى على خيط رفيع لو ضربته ضربة معلم سقط فيها سقطةً مدوية، وإذا سقط الأمريكان تساقطت بعدهم لبنات النظام الدولي..

والسؤال هو: كيف وقعت أمريكا في هذا الوضع الحرج بحيث سيؤدي ضربهم لتفكك النظام الدولي؟

القضية كلها في خطأين تاريخيين، الخطأ الأول المواجهة العالمية مع الإسلام تحت مسمى الإرهاب، والخطأ الثاني دخول العراق.

فأمريكا تصرفت في ردها على عملية سبتمبر تصرف الانتقام ضد الإسلام كله، وجر عليها هذا التصرف ما جر من ويلات ومشاكل، وعاش المجتمع الأمريكي حالة ذعر مستمر، وتغيرت طريقة حياته كلها وتغير نظامه وقانونه وتجارته واقتصاده.

ورفض هذا الوضع كثير من الأمريكان، لكن الإرهاب الفكري والسياسي على طريقة المكارثية منعهم من التصريح برفضهم؛ حتى لا يصنفوا داعمين لابن لادن، فبقوا صامتين على حنق مثل صمت القرشيين على الصحيفة الظالمة في مقاطعة بين هاشم، ثم بلغ الغرور ببوش وفريقه مبلغه، فارتكب الخطأ الثاني بمخالفة دول الغرب في غزو العراق.

وقبل وخلال الحرب على العراق صنعت أمريكا مكارثية أخرى باعتبار من يرفض الحرب على العراق مدافعاً عن صدام حسين، حتى احتقن المجتمع الأمريكي، وأصبح يعيش حياة مصطنعة وشعارات تمثيلية، وأصبح الأمريكان بين رعبين، رعب القاعدة الذي صبحهم ومساهم، ومكارثية الحكومة.

ثم بدأت الحلقات ترتخي باندلاع الجهاد في العراق وبدأ الجمهور الأمريكي يتجرأ، لكن الزخم العام لا زال زخماً مكارثياً ولا زال المجتمع الأمريكي يعيش التمثيلية الكبيرة بتضخيم مزاعم الوطنية الكاذبة والمصطنعة.

وهم ما زالوا يتبعون أمر بوش وما أمر بوش برشيد.

الحاصل أن هناك أربع حقائق ظهرت بعد كل ما حدث وهي:

الحقيقة الأولى:

أن انهيار نظام صدام ذلك الانهيار الدرامي كان نعمة على الأمة، لأنه بين أن المواجهة لم تكن لتحصل بالحسابات البشرية العادية.

أعني: أن الناس ظنوا أن الجيش العراقي سيصمد، ويقع الأمريكان في حرج ثم ينهزم الجيش وينتهي الحرج، حتى لو طال الصمود، ويكون الفخر للجيش وصدام، لكن مثل ما قال العلامة الشيخ يوسف العييري رحمه الله، أراد الله أن ينهار صدام انهياراً مذلاً حتى لا يتعلق أحد بصدام ولا البعثية، وحتى لو قدر لصدام أن يخرج مرة أخرى لن يخرج إلا براية دينية.

المهم أنه لو صمد النظام العراقي لتعاملت أمريكا مع القضية تعاملاً طبيعياً وأخذت حذرها في احتلال أكثر تدريجية للعراق، لكن انهيار النظام أدى لتحملها مسؤولية البلد كله، حتى تقع في الفخ الكبير، ثم اتخذت أكثر القرارات حماقة في تاريخ الحروب مثل قرار حل الجيش وكل المؤسسات العسكرية والمدنية.

ومن تكامل التقدير الإلهي أن أصبح المثلث السني من حظ الأمريكان والنصف الشيعي من حظ الإنجليز حتى يكون المتورط الأكبر هم الأمريكان.

الحقيقة الثانية:

أن الجهاد اشتد بطريقة خيالية حتى تحول الآن إلى ثقافة على الأقل في المثلث السني، فضرب الأمريكان يعتبر في صلب الوجدان، وصار الجهاد قضية يتسابق عليها الناس ويحمون المجاهدين، فالبيئة صارت تحمي المجاهدين إلى درجة أن يتحرك المجاهدون بما يشبه الحرية،

وبريمر والمجلس الانتقالي يعيشون حياة أخطر من حياة المجاهدين، بل ويُقتلون مثل ما قتلت عقيلة الهاشمي والحكيم وكاد يقتل آخرون.

المهم أن الجهاد صار في الوجدان، وصار فخراً ووسام شرف، وعدم المساهمة في الجهاد مباشرة يعني على الأقل دعمه وحمايته، وتوفير الملجأ لأبنائه وتوفير الدعم اللوجستي للمقاتلين، حتى أصبح المجتمع عملياً شبه مغلق ضد المحتل.

وضرب فندق الرشيد الذي نزل فيه ولفويتز [١] دليل على أنه جهاد مدعوم داخلياً، لأن الاختراق الحاصل والوصول إلى عمق مجمع القيادة الأمريكية له دلالاته الكبرى في تبيان حقيقة الدعم الشعبي السني للمجاهدين.

ولا ننسى بالطبع أن جهود تنظيم القاعدة في تحويل العراق إلى مسرح عمليات ضد الأمريكان قد آتت أكلها، وظهرت العمليات النوعية التي لا يشك أحد أنها إما من تنفيذ القاعدة أو أنها تحمل ملامح الاستراتيجية القاعدية في توجيه الضربات للوجود الأمريكي والدولي في العراق.

فأصبح الأمريكيون بين فكي كماشة المجاهدين العراقيين المحليين، والمجاهدين الدوليين من أعضاء تنظيم القاعدة.. ويا لها من خيبة للأمريكان ما بعدها خيبة أخزاهم الله.

وقد اعترف بعض العسكريين الأمريكيين بمشاعر ممزوجة بالأسى والمهانة بأن القيادة الأمريكية ارتكبت أفدح الأخطاء حينما جعلت القوات الأمريكية في وضع يشبه وضع البط في برميل تصلهم طلقات المجاهدين فتقتل منهم ولا يستطيعون التصرف حيال هذا الوضع[٢].

---

[١] وكذلك محاولة اغتيال جون أبي زيد مؤخراً، والعمليات الواسعة والمتفرقة في أنحاء العراق.

[٢] رصدت دراسة حديثة أعدها باحثون في مركز المنظور السياسي للدراسات والاستشارات في بريطانيا بعد اعتقال صدام حسين: "أن الأحداث في العراق تتسم بالسرعة والتأزم وتعقد الموقف يوما بعد يوم،

الحقيقة الثالثة:

هي أن أمريكا دخلت العراق معاندة للعالم على طريقة النظام العالمي الذي صنعته، ومراهنة على نجاح مجازفتها بحيث أنها تستطيع أن تحافظ على هذا النظام العالمي من خلال نجاح هذه المجازفة، بحيث تحتل العراق بجدارة وتسيطر عليه، ويفرح الشعب العراقي بالاحتلال، فتعود أمريكا لأوربا وبقية دول العالم وتقول: ألم اقل لكم أني أعلم منكم؟

ولم تضع أمريكا ما يسمى بـ "الخطة ب" لأنها ضمنت النصر والتمكين في العراق، لكن الذي حصل هو العكس الورطة بعينها وبأسوأ صورها..

فالإدارة الأمريكية عاجزة إلى حد كبير عن السيطرة على الأوضاع في العراق والتي تتسم بالانفلات الأمني والفوضى السياسية والتدهور الاقتصادي بشكل لم يكن يتصوره أحد، ولا حتى الإدارة الأمريكية ذاتها التي بنت خططها على توقعات حالمة لم يتحقق منها شيء على أرض الواقع، بل إن مسار الأحداث يسير باتجاه إرباك المشروع الأمريكي ويزيد من تعقيد مأزق الإدارة الأمريكية محليا ودولياً.

وتعتبر الدراسة أن المقاومة المسلحة تعتبر من أهم عوامل تقويض المخطط الأمريكي الذي اندفع صقور الجمهوريين بتصميم وتفاءل لتنفيذه، وأن استمرار المقاومة وتوسع رقعة أعمالها والتحام قطاعات أكبر من المجتمع بها والنجاح في إيجاد واجهة سياسية لها يمكن أن تفلح في تغيير الاستراتيجيات الأمريكية، وأن تسقط نظريات الترويج لهيمنة القوة العظمى وسيكولوجيات القوة وغيرها من الكتابات التي قدمت لمخطط الهيمنة الأمريكية التي رسمه قادة الإدارة الأمريكية الحالية.

وبحسب الدراسة فإن المقاومة العراقية تشهد تطورا ملحوظاً في أدائها برهنت عليه العمليات الأخيرة التي استهدفت الطائرات والتي كبدت قوات الاحتلال عشرات القتلى والجرحى، كما أنها نجحت في خلخلت توازن القوات الأمريكية وأفقدتها صوابها مما جعلها تتصرف بوحشية ضد الأهالي كرد فعل على الهجمات المتواصلة، مما عمق من حالة الكره الشعبي للاحتلال والمطالبة بإنهائه..".

والآن الأمريكان مثلهم كمثل الذي (بلع الموس)، فإذا حاول إخراجه قص بلعومه وإذا أدخله قص معدته.

وأمام هذه الورطة الحقيقة أصبحت الإدارة الأمريكية إدارة تبريرات بعدما بدأت مشروعها في احتلال العراق، ووقعت في الورطة ثم اعترفت أخيرا بأن الحرب لم تنته!! فصارت تبحث عن الذرائع والتبريرات، وبعدما تبين للعالم أن غزوها العراق كان حماقة كبرى صارت إدارة بوش تقول تبريرًا للوضع: بالعكس لقد نجحنا ونقلنا المعركة لأرض الإرهابيين!! وهذا أفضل من أن يأتوا إلى أرضنا يقاتلوننا!!

فعلق أحد البريطانيين بقوله: إن هذه حماقة كبرى! وإلا متى كان العراق أرضاً للإرهابيين سوى بعد الحرب؟

الحقيقة الرابعة:

الحقيقة الرابعة والتي هي أم الحقائق هي ضربة سبتمبر المباركة، تلك الضربة التي أصابت بؤرة التوازن الهش بين الإسلام والعلمانية الرأسمالية العالمية، فكشفت حقيقة التفاهم الكاذب وخلقت حالة الاستقطاب والاحتقان الهائلة، وبينت أن تبادل المصالح والتجارة لا يكفي لإخفاء المستور من البرزخ الكبير بين الثقافات ولا ينفع لمنع الصدام الحتمي بين الحضارات.

ولذلك لا يمكن أن يُنظر لمسألة دخول أمريكا للعراق مسألة مستقلة، بل يجب أن ينظر إليها ضمن تسلسل الحقائق الأربع، لنخرج باستنتاج خطير هو أن أمريكا التي تمثل نفس قيادة تنظيم النظام العالمي نفسها تمشي على الحبل الممدود وعلى وشك السقوط في أي لحظة!

وأين؟!

في أهم وأكثر المناطق حساسية واضطراباً في العالم.

ولذا فإن الورطة الأمريكية في هذه البقعة بالذات تصنع نتيجة مزدوجة، حيث تصيب النظام الدولي في أعلاه وفي أسفله.. في أعلاه ستطرد أمريكا من العراق مهانة، ليس من العراق وحده مثلما حصل في فيتنام والصومال، بل ستطرد من قيادة النظام الدولي؛ لأن طردها من العراق يعني خسارة مخزية للرهان بعد أن طنطنت سنين على سيادة الأمم المتحدة.

وفي أسفل النظام الدولي سيكون طرد الأمريكان بمثابة شاحن للقناعة في أذهان العرب والمسلمين أن بإمكانهم مثلما طردوا السيد المتغطرس، أن يطردوا عبيده، بل إن ذلك من باب أولى، لأن العبيد مجرد عبيد، إذا طرد سيدهم فلن يجدوا ملتجأ، وستسري روح التمرد على الأنظمة الكرتونية التي اعتمدت اعتماداً رئيسياً على النظام الدولي القائم حاليًا.

فهل سيتحرك الغرب من غير أمريكا لنجدتهم؟

أبداً لأن طرد الأمريكان سيكون بمثابة الرادع لكل من يحدث نفسه من دول الغرب بنجدة الخونة والمنافقين، وبذلك تتعرض ميكانيكية النظام الدولي للشلل، هذه الميكانيكية التي ضمنت النظام القُطري العربي العميل، وضمنت هيمنة الغرب وعبودية العرب، وضمنت أن تتربع أمريكا فوق الجميع.

وما إن تنشل هذه الميكانيكية حتى يبدأ تشكل نظام دولي جديد تفرضه هذه الروح الجديدة، روح احتقار الحدود والجنسيات والأنظمة الكرتونية المصطنعة.

فالعراقي الذي طرد أمريكا من بلاده لن يكون عاجزاً هذه المرة عن أن يطرد ابن صباح ولا أن يجتاح الأردن، فلن يوقفه شيء عن الانتقام على أقل تقدير ممن ساعدوا على استباحة دمه كل هذه السنين.

والروح التي ستسري عند الأردنيين لن تكون روح الدفاع عن الأردن، بل ستكون روح الترحيب بالمجاهدين الأبطال والمتمردين على الملك الخائن.

نعم ستنهار روح الولاء للدول القطرية، وقل مثل هذا في بلاد الحرمين وكل مكان من المشرق والمغرب" [١].

يقول المؤرخ الأمريكي بول كيندي حول تأثير النفقات العسكرية على أميركا في ظل تورطها في أفغانستان والعراق في حلقة "بلا حدود" حين سأله أحمد منصور [٢]: بروفيسور كيندي، آمل أن يكون سؤالي قد وصلك حول النفقات العظمى التي أنفقتها الإمبراطوريات، والتي كانت سبباً رئيسياً في سقوطها، وحجم ما تنفقه أميركا الآن في ظل تورطها في العراق وأفغانستان؟

فأجاب: "إنه سؤال مهم جداً، وفي كتابي "نشوء وسقوط القوى العظمى" تحدثت عن تاريخ خمسمائة عام من القوى العظمى التي ارتقت وسقطت، مثل أسبانيا، وفرنسا، بريطانيا العظمى، كلها صعدت وارتقت، وبلغت ذروتها، وبعدها آلت إلى السقوط بعد فترة من الزمن.... إنها عانت من تدهور اقتصادي، بلدان أخرى أصبحت أكثر إنتاجاً وأكثر غنىً، وإذن هذه البلدان كان بإمكانها أن تنشئ جيوشاً وقوات بحرية وأساطيل وقوى.. قوات جوية أكبر، إذن عندما ننظر إلى حالة الولايات المتحدة اليوم، وهي تنفق أكثر من أي دولة أخرى على الجانب العسكري، حقيقة إن ذلك يذكرنا بحال أسبانيا في أيام الملك "فيليب الثاني"، وفرنسا أيام الملك "لويس الرابع عشر"، إذ تبدو وكأنها تنفق أكثر مما ينبغي، ودرس التاريخ يعلمنا إن المنفقين الكبار يوماً ما سوف ينفقون أكثر مما يستطيعون تحمل أعباءه".

---

[١] انظر مقال "إعادة تشكيل النظام الدولي.. المشهد كما ترسمه ريشة بن لادن" للأستاذ لويس عطية الله.

[٢] انظر موقع الجزيرة نت برنامج بلا حدود حلقة بعنوان "مستقبل الإمبراطورية الأمريكية" بتاريخ ٢٠٠٣/١١/٢٦م.

ويقول أيضاً: "القوى الكبرى التي تمر بفترة هبوط نسبي، تواجه ذلك بشكل تلقائي بإنفاق أكبر على الأمن، وبذلك تحول الموارد المتاحة عن الاستثمار وتزيد من معضلتها طويلة الأمد".

ويقول هنري كيسنجر – وزير خارجية أمريكا الأسبق والخبير الأمريكي الأبرز في شئون الشرق الأوسط –: "أياً كانت وجهة النظر حول أصل الحرب في العراق، وأنا من الذين أيدوها، فنحن الآن في نقطة يصبح معها الفشل في العراق كارثة للغرب، لأن هذا سيشجع كل العناصر المتطرفة، وكل الذين يعتقدون بأن الغرب في حالة تراجع، ومن هنا تنبع أهمية التعاون بين أوروبا وأمريكا في العراق"..

وصرح "بأن البعض قد يخطئ في التصور أن أمريكا ستنسحب من العراق، قد يكون المكوث في العراق سيئاً وخطيراً، ولكن الانسحاب هو البديل الأسوأ لأنه يعني هزيمتنا أمام العالم الإسلامي...".

لقد تحولت عمليات المقاومة العراقية من كونها إزعاجاً تكتيكياً إلى كونها عبئاً استراتيجياً على أمريكا، وهذا ما أكده بيتر فيفر عضو مجلس الأمن القومي السابق في البيت الأبيض، حين علق على إسقاط طائرة شينوك الأمريكية بقوله: "هذا الحادث يعتبر مهماً استراتيجياً ليس فقط بسبب حجم الخسائر البشرية، بل أيضا لأنه تضمن تصعيداً خطيراً في مستويات القتل.." [١].

"كان بالإمكان أن يتحقق الحلم الأمريكي كما يراه رامسفيلد وعصابته؛ يصحو الناس من نومهم فيجدوا وضعاً جديداً في الشرق الأوسط، وأمام الآلة العسكرية الأمريكية يخضع الجميع.. كان من الممكن أن يصبح الوضع كما تخيله رامسفيلد إلا أن المقاومة العراقية جاءت في وقتها المقدر لها لتنهي المشروع الأمريكي.

---

[١] انظر تقرير "هل تنجح أمريكا في الخروج من العراق؟" في موقع مفكرة الإسلام على الشبكة.

وليس هذا حلماً أو أمنيةً نتمناها فحسب، بل هي حقيقة اعترفت بها الصحف الأمريكية، فقد كشفت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية أن أعباء احتلال العراق ستبدأ في استنزاف قدرة الجيش الأمريكي على نشر قوات قتالية مدربة في مختلف أنحاء العالم خلال عدة أشهر، مشيرة إلى أن إدارة جورج بوش الرئيس الأمريكي تلقت تحذيرات تشير إلى تدهور صناعة النفط العراقية بما لا يمكن التعويل عليه كثيراً في إعادة الاعمار.

وقالت الصحيفة إن احتلال العراق سيعمل على المدى الطويل في إرباك حياة الآلاف من أسر العسكريين، وستعرض نظام الاحتياط المعمول به في الجيش لخطر شديد إضافة إلى أن ذلك سيحد من النزعة العالمية في السياسة الخارجية الأمريكية.

وذكرت الصحيفة في مقال افتتاحي لها أن هذه المعادلة الصعبة تعد إحدى العواقب الوخيمة لخوض الولايات المتحدة للحرب على العراق بطريقة منفردة، وذلك إضافة إلى القتلى والجرحى الذي يتساقطون يوميا في العراق.." [١].

وقد صرح الجنرال "وليام ناش" الذي شارك في حرب فيتنام، وفي حرب الخليج الثانية، وتقاعد بعد قيادته للقوات الأمريكية في البوسنة بأنه: "رغم الاختلافات بين الحربين الفيتنامية والعراقية، إلا أنهما يشتركان في كونهما مستنقعا للقوات الأمريكية".

وفي تقرير آخر [٢] عن خسائر قوات الاحتلال الأمريكي في العراق وفق ما أعلنه دكتور ويليام وينكيفويرد مساعد وزير الدفاع الأمريكي لشئون الصحة جاء فيه:

- حوالي ١٢٠٠ جندي في القواعد الأمريكية يعانون من أمراض نفسية نتيجة الحرب.

---

[١] انظر مقال "الإمبراطورية الأمريكية تنهار على أسنة المقاومة العراقية".

[٢] أعدته شبكة "سي. إن. إن" الإخبارية ونقلته عنها جريدة الأسبوع المصرية في عددها بتاريخ ١٩ يناير ٢٠٠٤م.

- أكثر من ٤٠٠ جندي يعانون من اضطرابات عقلية.

- أكثر من ١٠ آلاف جندي تم إجلاؤهم من الأراضي العراقية بسبب الإصابات.

- وقوع ٢١ حالة انتحار بين الجنود الذين شاركوا في حرب العراق عام ٢٠٠٣م فقط [١].

[١] لمزيد الفائدة اقرأ الفصل الثاني من تقرير "نزيف الخسائر الأمريكية" الذي أعده مركز الدراسات والبحوث الإسلامية.

السبب الثالث لخراب أمريكا
التفكك الداخلي والانحطاط الأخلاقي

أمريكا هي أم الكفر والشرك، أم العصابات والمافيا، وأكبر مصدر للأفلام الخبيثة في العالم، وأكبر دولة تتواجد فيها قنوات الجنس، وأكثر من ينشر مواقع الإباحية في الإنترنت، وأمهات الشركات المصدرة للخمور والدخان توجد في أمريكا، وأكبر مصانع للأسلحة التي فتكت بالبشرية كما مر هي المصانع الأمريكية.

أمريكا أخذت الرقم الأول من حيث عدد دور الدعارة، والزنا، واللواط، والسحاق، والشذوذ، وأندية العري، وحمل السفاح، ومواليد الزنا، وزنا المحارم، واللقطاء، وجرائم السرقة، والاغتصاب، وقنوات الانحلال، والتفسخ الأخلاقي، وشرب الخمور، وأندية اللهو والميسر والقمار، والرقص، والفسق.

وقد نطق أحد الكهان الأمريكان "د. رايت" في المجلس التشريعي في ولاية كانساس بقلب مفجوع: "يا إلهي، ارحمنا؛ إننا نتعبد آلهة كاذبة ونعتبر ذلك تنوعاً ثقافياً، ولقد شرعنا اللواطة واعتبرنا ذلك تسامحاً، ونحن نقتل الأطفال في رحم أمهاتهم ونعتبر ذلك حقاً في الإجهاض، ونحن نربي الشباب على الفسق والفجور ونعتبر ذلك تربية تقدمية، ولقد غرقنا حتى آذاننا في الصور الخلاعية والعبارات الفاجرة ونعتبر ذلك حرية في التعبير إننا نسخر من تراث أسلافنا الروحي نعتبر ذلك ثقافة عاقبنا يا إلهي، طهرنا من كل هذه الأدران".

يقول سيد قطب رحمه الله [١]: "بالنظر إلى الواقع في حياة المجتمعات التي "تحررت!" من قيود الدين والأخلاق والحياء في هذه العلاقة، يكفي لإلقاء الرعب في القلوب لو كانت هنالك قلوب!

---

[١] في ظلال القرآن تفسير آية ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا﴾ من سورة النساء.

لقد كانت فوضى العلاقات الجنسية هي المعول الأول الذي حطم الحضارات القديمة حطم الحضارة الإغريقية، وحطم الحضارة الرومانية، وحطم الحضارة الفارسية؛ وهذه الفوضى ذاتها هي التي أخذت تحطم الحضارة الغربية الراهنة؛ وقد ظهرت آثار التحطيم شبه كاملة في انهيارات فرنسا التي سبقت في هذه الفوضى؛ وبدأت هذه الآثار تظهر في أمريكا والسويد وانجلترا، وغيرها من دول الحضارة الحديثة.

وقد ظهرت آثار هذه الفوضى في فرنسا مبكرة، مما جعلها تركع على أقدامها في كل حرب خاضتها منذ سنة ١٨٧٠م إلى اليوم، وهي في طريقها إلى الانهيار التام، كما تدل جميع الشواهد.

وهذه بعض الأمارات التي أخذت تبدو واضحة من بعد الحرب العالمية الأولى: "إن أول ما قد جر على الفرنسيين تمكن الشهوات منهم: اضمحلال قواهم الجسدية، وتدرجها إلى الضعف يومًا فيومًا؛ فإن الهياج الدائم قد أوهن أعصابهم، وتعبد الشهوات يكاد يأتي على قوة صبرهم وجلدهم، وطغيان الأمراض السرية قد أجحف بصحتهم.

فمن أوائل القرن العشرين لا يزال حكام الجيش الفرنسي يخفضون من مستوى القوة والصحة البدنية المطلوب في المتطوعة للجند الفرنسي، على فترة كل بضع سنين لأن عدد الشبان الوافين بالمستوى السابق من القوة والصحة لا يزال يقل ويندر في الأمة على مسير الأيام.. وهذا مقياس أمين، يدلنا كدلالة مقياس الحرارة – في الصحة والتدقيق – على كيفية اضمحلال القوى الجسدية في الأمة الفرنسية.

ومن أهم عوامل هذا الاضمحلال: الأمراض السرية الفتاكة؛ يدل على ذلك أن كان عدد الجنود الذين اضطرت الحكومة إلى أن تعفيهم من العمل، وتبعث بهم إلى المستشفيات، في السنتين الأوليين من سني الحرب العالمية الأولى، لكونهم مصابين بمرض الزهري، خمسة وسبعين ألفا.

وابتلي بهذا المرض وحده ٢٤٢ جندياً في آنٍ واحد في ثكنة متوسطة.

وتصوّر – بالله – حال هذه الأمة البائسة في الوقت الذي كانت فيه – بجانب – في المضيق الحرج بين الحياة والموت، فكانت أحوج ما تكون إلى مجاهدة كل واحد من أبنائها المحاربين لسلامتها وبقائها، وكان كل فرنك من ثروتها مما يضن به ويوفر، وكانت الحال تدعو إلى بذل أكثر ما يمكن من القوة والوقت وسائر الأدوات والوسائل في سبيل الدفاع، وكان – بجانب آخر – أبناؤها الشباب الذين تعطل آلاف منهم عن أعمال الدفاع، من جراء انغماسهم في اللذات، وما كفى أمتهم ذلك خسراناً، بل ضيعوا جانباً من ثروة الأمة ووسائلها في علاجهم، في تلك الأوضاع الحرجة.

يقول طبيب فرنسي نطاسي يدعى الدكتور ليريه: "إنه يموت في فرنسا ثلاثون ألف نسمة بالزهري، وما يتبعه من الأمراض الكثيرة في كل سنة، وهذا المرض هو أفتك الأمراض بالأمة الفرنسية بعد حمى الدق، وهذه جريرة مرض واحد من الأمراض السرية التي فيها عدا هذا أمراض كثيرة أخرى".

والأمة الفرنسية يتناقص تعدادها بشكل خطير؛ ذلك أن سهولة تلبية الميل الجنسي، وفوضى العلاقات الجنسية والتخلص من الأجنة والمواليد، لا تدع مجالًا لتكوين الأسرة، ولا لاستقرارها ولا لاحتمال تبعة الأطفال الذين يولدون من الالتقاء الجنسي العابر؛ ومن ثم يقل الزواج، ويقل التناسل، وتتدحرج فرنسا منحدرة إلى الهاوية.

سبعة أو ثمانية في الألف هو معدل الرجال والنساء الذين يتزوجون في فرنسا اليوم، ولك أن تقدر من هذا المعدل المنخفض كثرة النفوس التي لا تتزوج من أهاليها، ثم هذا النزر القليل من الذين يعقدون الزواج، قلّ فيهم من ينوون به التحصن والتزام المعيشة البرة الصالحة، بل هم يقصدون به كل غرض سوى هذا الغرض حتى إنه كثيراً ما يكون من مقاصد زواجهم أن يحللوا به الولد الذي قد ولدته أمه قبل النكاح! ويتخذوه ولداً شرعياً!

فقد كتب "بول بيورو": "من العادة الجارية في طبقة العاملين في فرنسا أن المرأة منهم تأخذ من خدنها ميثاقًا قبل أن يعقد بينهما النكاح، أن الرجل سيتخذ ولدها الذي ولدته قبل النكاح ولداً شرعياً له، وجاءت امرأة في محكمة الحقوق بمدينة سين فصرحت إنني كنت قد آذنت بَعْلِي عن النكاح بأني لا أقصد بالزواج إلا استحلال الأولاد الذين ولدتهم نتيجة اتصالي به قبل النكاح، وأما أن أعاشره وأعيش معه كزوجة، فما كان في نيتي عند ذاك، ولا هو في نيتي الآن، ولذلك اعتزلتُ زوجي في أصيل اليوم الذي تم فيه زواجنا، ولم ألتق به إلى هذا اليوم، لأني كنت لا أنوي قط أن أعاشره معاشرة زوجية.

قال عميد كلية شهيرة في باريس لبول بيورد: "إن عامة الشباب يريدون بعقد النكاح استخدام بغي في بيتهم أيضًا، ذلك أنهم يظلون مدة عشر سنين أو أكثر يهيمون في أودية الفجور أحراراً طلقاء، ثم يأتي عليهم حينٌ من دهرهم يملون تلك الحياة الشريدة المتقلقلة، فيتزوجون بامرأة بعينها، حتى يجمعوا بين هدوء البيت وسكينته، ولذة المخادنة الحرة خارج البيت".

وهكذا تدهورت فرنسا، وهكذا هزمت في كل حرب خاضتها، وهكذا تتوارى عن مسرح الحضارة ثم عن مسرح الوجود يوماً بعد يوم حتى تحق سنة الله التي لا تتخلف، وإن بدت بطيئة الدوران في بعض الأحيان! بالقياس إلى تعجل الإنسان!

أما في الدول التي لا تزال تبدو فتية، أو لم تظهر فيها آثار الدمار واضحة بعد، فهذه نماذج مما يجري فيها – ثم ذكر من الحالات حالة السويد وضرَبَ لذلك الأمثلة والإحصاءات والأرقام –، ثم قال: "والحال في أمريكا لا تقل عن هذه الحال، ونذر السوء تتوالى، والأمة الأمريكية في عنفوانها لا تتلفت للنذر، ولكن عوامل التدمير تعمل في كيانها، على الرغم من

هذا الرواء الظاهري، وتعمل بسرعة، مما يشي بسرعة الدمار الداخلي على الرغم من كل الظواهر الخارجية [١]!!!

لقد وُجِدَ الذين يبيعون أسرار أمريكا وبريطانيا العسكرية لأعدائهم، لا لأنهم في حاجة إلى المال، ولكن لأن بهم شذوذًا جنسيًا، ناشئًا من آثار الفوضى الجنسية السائدة في المجتمع.

وقبل سنوات وضع البوليس الأمريكي يده على عصابة ضخمة ذات فروع في مدن شتى، مؤلفة من المحامين والأطباء – أي من قمة الطبقة المثقفة – مهمتها مساعدة الأزواج والزوجات على الطلاق بإيجاد الزوج أو الزوجة في حالة تلبس بالزنا، وذلك لأن بعض الولايات لا تزال تشترط هذا الشرط لقبول توقيع الطلاق! ومن ثم يستطيع الطرف الكاره أن يرفع دعوى على شريكه بعد ضبطه عن طريق هذه العصابة متلبسًا، وهي التي أوقعته في حبائلها!

كذلك من المعروف أن هناك مكاتب مهمتها البحث عن الزوجات الهاربات والبحث عن الأزواج الهاربين! وذلك في مجتمع لا يدري فيه الزوج إن كان سيعود فيجد زوجته في الدار أم يجدها قد طارت مع عشيق، ولا تدري الزوجة إن كان زوجها الذي خرج في الصباح سيعود إليها أم ستخطفه أخرى أجمل منها أو أشد جاذبية، مجتمع تعيش البيوت فيه في مثل هذا القلق الذي لا يدع عصبًا يستريح!!!

وأخيرًا يعلن رئيس الولايات المتحدة أن ستة من كل سبعة من شباب أمريكا لم يعودوا يصلحون للجندية بسبب الانحلال الخلقي الذي يعيشون فيه.

---

[١] سيد قطب رحمه الله يتحدث هنا قبل أكثر من أربعة عقود ويقول هذا الكلام، وسترى بعد قليل من الأرقام والإحصاءات والتقارير ما يجعلك توقن بإذن الله بزوال هذه الإمبراطورية التي جمعت كل جرائم الأمم السابقة والتي عاقب الله على آحادها فكيف بها وقد اجتمعت في أمريكا؟!.

وقد كتبت إحدى المجلات الأمريكية منذ أكثر من ربع قرن تقول: "عوامل شيطانية ثلاثة يحيط ثالوثها بدنيانا اليوم، وهي جميعها في تسعير سعير لأهل الأرض...

أولها: الأدب الفاحش الخليع الذي لا يفتأ يزداد في وقاحته ورواجه بعد الحرب العالمية الأولى بسرعة عجيبة.

والثاني: الأفلام السينمائية التي لا تذكي في الناس عواطف الحب الشهواني فحسب، بل تلقنهم دروسًا عملية في بابه.

والثالث: انحطاط المستوى الخلقي في عامة النساء، الذي يظهر في ملابسهن، بل في عريهن، وفي إكثارهن من التدخين، واختلاطهن بالرجال بلا قيد ولا التزام..

هذه المفاسد الثلاث فينا إلى الزيادة والانتشار بتوالي الأيام، ولا بد أن يكون مآلها زوال الحضارة والاجتماع النصرانيين وفناءهما آخر الأمر، فإن نحن لم نحد من طغيانها، فلا جرم أن يأتي تاريخنا مشابهًا لتاريخ الرومان، ومن تبعهم من سائر الأمم، الذين قد أوردهم هذا الاتباع للأهواء والشهوات موارد الهلكة والفناء، مع ما كانوا فيه من خمر ونساء، أو مشاغل رقص ولهو وغناء".

والذي حدث أن أمريكا لم تحد من طغيان هذه العوامل الثلاثة، بل استسلمت لها تمامًا وهي تمضي في الطريق الذي سار فيه الرومان!

ويكتب صحفي آخر عن موجة انحراف الشباب في أمريكا وبريطانيا وفرنسا، ليهون من انحلال شبابنا! يقول: "انتشرت موجة الإجرام بين المراهقين والمراهقات من شباب أمريكا، وأعلن حاكم ولاية نيويورك، أنه سوف يجعل علاج هذا الانحراف على رأس برنامج الإصلاح الذي يقوم به في الولاية، وعمد الحاكم إلى إنشاء المزارع والإصلاحيات التهذيبية والأندية الرياضية... ولكنه أعلن أن علاج الإدمان على المخدرات – التي انتشرت بصفة خاصة

بين طلبة وطالبات الجامعات ومنها الحشيش والكوكايين! - لا يدخل في برنامجه، وأنه يترك أمره للسلطات الصحية!"...

وقد قررت لجنة الأربعة عشر الأمريكية التي تعنى بمراقبة حالة البلاد الخلقية أن ٩٠ % من الشعب الأمريكي مصابون بالأمراض السرية الفتاكة - وذلك قبل وجود المركبات الحديثة من مضادات الحيويات كالبنسلين والاستريبتومايسين -، وكتب القاضي لندسي بمدينة "دنفر" أنه من كل حالتي زواج تعرض قضية طلاق [1]!

وكتب الطبيب العالم العالمي ألكسيس كاريل في كتابه "الإنسان ذلك المجهول": "بالرغم من أننا بسبيل القضاء على إسهال الأطفال والسل والدفتريا والحمى التيفودية... إلخ، فقد حلت محلها أمراض الفساد والانحلال، فهناك عدد كبير من أمراض الجهاز العصبي والقوى العقلية... ففي بعض ولايات أمريكا يزيد عدد المجانين الذين يوجدون في المصحات على عدد المرضى الموجودين في جميع المستشفيات الأخرى، وكالجنون، فإن الاضطرابات العصبية وضعف القوى العقلية آخذ في الازدياد، وهي أكثر العناصر نشاطًا في جلب التعاسة للأفراد، وتحطيم الأسر... إن الفساد العقلي أكثر خطورة على الحضارة من الأمراض المعدية، التي قصر علماء الصحة والأطباء اهتمامهم عليها حتى الآن!.. هذا طرف مما تتكلفه البشرية الضالة، في جاهليتها الحديثة، من جراء طاعتها للذين يتبعون الشهوات ولا يريدون أن يفيئوا إلى منهج الله للحياة..."أ.هـ.

هنا نترك الأرقام تتحدث:

---

[1] الإحصاءات الجديدة مفزعة ومقززة وهي تدل على الزيادة الرهيبة والمطردة في كل جريمة.

عصابات القتل والجريمة في أمريكا:

في لوس أنجلوس وحدها ٨٠٠ عصابة قتل، وتضم هذه العصابات ٩٠ ألف عضو، ونسبة الجريمة التي ترتكبها هذه العصابات ٣٥ % من الجرائم العامة و ١١٣ مدينة في ٣٢ ولاية يتواجد وكلاء للعصابتين المعروفتين في كاليفورنيا (بلوودس) و (غريبس) [١].

جاء في تقرير رسمي صدر عام ١٩٨٩م بعنوان (ضحايا العنف في القوانين الأمريكية): تحدث أحد كاتبي التقرير (ليونارد جيفري) عن أن في أمريكا ٥٥٠٠ عصابة مسلحة معروفة تنتشر اليوم، وبعضها منظم وله أفرع في كل الولايات المتحدة، وتقوم هذه العصابات أو الميليشيات بـ ٢٥ ألف عملية قتل في السنة، والقتلى معظمهم من السود، وأخذت هذه الميليشيات تبني دولها وقوانينها الخاصة بها داخل الولايات المتحدة، وهي محمية بكميات كبيرة من الأسلحة المتطورة، وأكد كثير من المطلعين أنهم يملكون كميات وافرة من أسلحة الدمار الشامل تفوق الخيال [٢].

---

[١] النبأ – العدد ٣٧ – ١٤٢٠هـ.

[٢] يقول ميتشيل هاميرز أحد خبراء الجامعة الأمريكية في واشنطن: "إن الإرهاب الداخلي يشكل تهديدا متزايد وهو أكثر تنظيما في أوساط الميليشيات... إنهم لا يستعملون فقط قنابل بسيطة كتلك التي استخدمت في أوكلاهوما سيتي، ولكن مخازنهم تتضمن أسلحة دمار أكثر تطورًا من الأسلحة الكيماوية أو البيولوجية المعروفة، وفي جلسة خاصة للكونجرس الأمريكي في مايو من عام ١٩٩٥م حذر ثلاثة من كبار المسئولين الأمريكيين من تعاظم خطر الإرهاب المحلي مشيرين إلى أن الرعايا الأمريكان أصبحوا يواجهون خطر الإرهاب المحلي أكثر من الإرهاب الخارجي المدعوم خارجيًا.

أهم الميليشيات الأمريكية [١]:

١- ميليشيا ولاية أريزونا. واسمها الرسمي (منظمة أبناء الحرية)، ومن أهداف هذه الميليشيا فصل ولاية أريزونا عن الولايات المتحدة، وميليشيا ولاية كولورادو اسمها الرسمي (حراس الحريات الأمريكية)، ولهذه الميليشيا جريدة ودار نشر من مطبوعاتها النظام العالمي الجديد، وترسل هذه الميليشيا مستشارين عسكريين لمساعدة الميليشيات في الولايات الأخرى، وتحمّل هذه الميليشيا اليهود مسؤولية فساد النظام البنكي العالمي.

٢- ميليشيا ولاية فلوريدا. تتكون هذه الميليشيا من ٦ ميليشيات فرعية ولها جنود في كل مقاطعة ومدينة في ولاية فلوريدا، ولها جيش وجهاز حكومي وجهاز قضائي على رأسه المحكمة الدستورية التي أرسلت أخيرًا أوامر إلى المسؤولين في المقاطعة لإطاعة قوانينها.

٣- ميليشيا ولاية ايداهو. الذي من قادتها الكابتن (صمويل شيرود) الذي يقول: "ستشهد أمريكا الحرب الأهلية مرة أخرى، ونحن هنا في ولاية ايداهو سنبدأ بالهجوم على مبنى برلمان الولاية ونقتل كل النواب رميا بالرصاص".

٤- ميليشيا ولاية أنديانا. ترأس هذه الميليشيا جنرالة سابقة بالجيش الأمريكي تدعى (ليندا طومسون)، وعندها مكتب محاماة في أنديانا بوليس عاصمة الولاية، وهي تدعو للهجوم على الكونغرس واعتقال أعضاء الكونغرس وتدميرهم.

٥- ميليشيا ولاية ميتشيجان. اشتهرت هذه الميليشيا بسبب أن منفذي الهجوم على المبنى الفيدرالي عام ١٩٩٥م في أوكلاهوما هم من أعضائها، وهي من أقوى الميليشيات وأكثرها عدداً من أقوال زعيمها (القس نورمان): "سيذهب الآلاف من جنودنا بملابسهم

---

[١] انظر مقال "الأمريكيون تعالٍ على الشعوب وانتهاك للحقوق منذ التأسيس".

العسكرية، وكامل أسلحتهم لتقديم إنذار إلى الرئيس الأمريكي وهذه ستكون بداية الثورة الأمريكية الثانية.

٦- ميليشيا ولاية ميسوري. ولهذه الميليشيا فروع في خمس مقاطعات، وهي ترشح أعضائها في الانتخابات المحلية لعُمد المدن واللجان التعليمية.

٧- ميليشيا ولاية مونتانا. وهي واحدة من أكبر الميليشيات الأمريكية، وتملك هذه الميليشيا دبابات وعربات مصفحة، ومدافع مضادة للدبابات، وتتدرب على حرب العصابات، وتطالب هذه الميليشيا بفصل الولاية عن باقي الولايات، وتصدر هذه الميليشيا مجلات وجرائد تتحدث عن عظمة الجنس الآري.

٨- ميليشيا ولاية نيوهاميشير. وتعتمد هذه الميليشيا على الأسلحة الفردية، واستراتيجيتها العسكرية تقوم على حرب العصابات، وتدعو إلى المواجهة المباشرة مع القوات الحكومية، ويوجد كذلك ميليشيات صغيرة لا يتسع المجال لذكرها لكنها تشكل حالة ضاغطة على النظام الفيدرالي الأمريكي، وتهدد بتفجير الوحدة الداخلية وتفكيك الولايات المتحدة.

القتل بالأسلحة النارية في أمريكا:

كتب أحد كبار صحافيي نيويورك متعجبًا: هناك حرب حقيقية في شوارع الولايات المتحدة.

ويسقط قتلى بالرصاص ما يقارب ٤٥ ألف شخص كل تسعة عشر شهرا، وهو العدد نفسه الذي سقط خلال تسعة أعوام من حرب فيتنام، ففي عام واحد قُتل بالأسلحة النارية فقط (٣٨٣١٧) شخصاً في الولايات المتحدة أي قتيل واحد لكل ربع ساعة و١٠٥

أشخاص في اليوم الواحد، و ٧٠ % من جرائم القتل في أميركا تتم باستخدام المسدسات أي (١٥) ألف سنوياً [١].

اغتصاب الفتيات في أمريكا:

تشير الإحصاءات أن واحدة من كل ثلاث فتيات في سن ١٤ سنة معرضة للاغتصاب، ويوجد بأمريكا نصف مليون عملية اغتصاب سنويا، وأن ٦١ % من البنات الأمريكيات فقدن بكارتهن قبل سن ١٢ سنة [٢].

وفي إحصائية أخرى أنه في أمريكا نسبة إمكان اغتصاب المرأة ما بين واحدة إلى خمس والتقديرات المحافظة، واحدة إلى سبع، أي أنه من بين كل (خمس نساء) إلى (سبع نساء) تكون إحداهن تعرضت للاغتصاب، أو ستتعرض له في حياتها.

وعدد المغتصبات اللاتي سجلن حوادث اغتصابهن عند الشرطة في عام ٩٦ م كان (٩٠٤٣٠)، أما اللاتي لم يسجلن حادثة الاغتصاب فيقدرن بـ (٣١٠٠٠٠) حالة، وسبب عدم الشكوى اليأس من إمكان الشرطة أن تعرف أو تساعد، وعدم جدوى التقرير، كما أن عدداً كبيراً، لا يحببن أن يسجل عليهن في البوليس ذلك.

وهناك نوع آخر من الجرائم، وتسمى الجريمة المسكوت عنها، وهي تحرش أرباب العمل أو المديرين أو المدرسين بالنساء اللاتي يقعن تحت نفوذ رجال متنفذين، وفي العادة لا تسجل هذه الجرائم بسبب خوف المرأة على وظيفتها، أو طمعها في تعويض، أو صعوبة الإثبات، وأشهر الحوادث التي كشف عنها – منذ نحو ثلاثة أعوام –، فقدت اشتكت إحداهن رجلاً

---

[١] النبأ – العدد ٣٧ – ١٤٢٠هـ.

[٢] الأسرة – العدد ١٧ – ١٤١٥ هـ.

من رجال (الكونجرس) من "أوريجون"، وحين اشتهر أمره سجلت عليه ٢٦ امرأة، شكاوى من هذا النوع، ممن سبق أن عملن معه في الكونجرس وخارجه.

وقد بلغت جرائم الاغتصاب عام ١٩٩٥م أكثر من ٩٧ ألف جريمة [١].

وفي استطلاع آخر يظهر فيه أن ١ من كل ٧ أمريكان (أي ٣٩. ٤ مليون شخص) تعرض لهجوم مباشر أو سوء معاملة لأغراض جنسية.

---

[١] كتاب الإحصاء الوطني الصادر عام ١٩٩٧م، عن إدارة الاقتصاد والإحصاء في مصلحة التجارة الأمريكي.

٧٨ حالة اغتصاب كل ساعة في أمريكا [١]:

في كل دقيقة في الولايات المتحدة الأمريكية، هنالك ١.٣ حالة اغتصاب لنساء بالغات، وتغتصب ٧٨ امرأة في كل ساعة في الولايات المتحدة الأمريكية وهكذا في كل يوم هنالك ١٨٧١ امرأة بالغة تغتصب في أمريكا أي ما يعادل ٥٦٩١٦ امرأة شهرياً.

---

[١] انظر موقع أخبار الجريمة على شبكة الإنترنت، جاء في كتاب "لهذا كله ستنقرض أمريكا" ما يلي: (تعود بداية الثورة الجنسية الجماعية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية إلى الخمسينات والستينيات، وكان باكورتها صدور مجلة (بليبوي) الخلاعية – الجنسية في عام ١٩٥٣م، وفي البداية لم يكن الناشر هيو هيفنر – يهودي الأم – واثقاً بنجاح المجلة في "أمريكا البوريتانية" في الخمسينات، وقد اعترف فيما بعد: "في العدد الأول، الذي أعددته في شقتي في شيكاغو، لم أذكر حتى عنوان المجلة، لم أكن واثقاً من إمكانية إصدار العدد الثاني لكن النجاح كان منقطع النظير".

لم يمض من الوقت إلا القليل حتى أصبح ناشر أول مجلة خلاعية جماهيرية واحداً من أغنى الناس في أمريكا، ودخل "اسمه قائمة أوسع الناس نفوذاً في عصرنا الحالي".

وفي غضون فترة قصيرة غصت أمريكا بملايين المجلات والصحف من نوع "بليبوي"، لا بل وتبزها فساداً وانحلالاً ولقيت الثورة الجنسية الدعم والتأييد من كل وسائل الإعلام البارزة في أمريكا وأوروبا، باستثناء قلة منها كان يوحي للأمريكيين والأوروبيين بأن "حرية الجنس" هي الشيء الأهم، الذي يحتاجه الإنسان المعاصر، وبأن جميع من يعيش حسب مبادئ الايطيقا المسيحية إنْ هم إلا أعداء التقدم، الذين لا يفقهون في متع الحياة شيئاً.

وهكذا أصبح البيزنيس الخلاعي الجنسي أحد الفروع الجبارة في الاقتصاد الغربي، وإلى جانب بيوت الدعارة وتنظيم القوادة ظهرت آلاف مخازن الجنس والخلاعة والمسارح الجنسية والسينما الجنسية، ففي منتصف الثمانينيات وصلت قيمة المنتجات الخلاعية في الولايات المتحدة إلى ٧ مليار دولار، وبين فروع الصور الخلاعية برزت بخاصة صور الأطفال الخلاعية، حيث يصبح الصغار ضحايا العمليات الجنسية ففي كل عام يستقطب هذا البيزنس في الولايات المتحدة حوالي ٦٠٠ ألف طفل، من سن الثالثة حتى الثامنة عشرة، أما حجم الدخل السنوي فيتراوح بين ٢ – ٣ مليار دولار.

وقد أثبتت الدراسات أن ٩٠ % من كل حالات الاغتصاب يخطط لها سابقاً؛ ففي ٨٧ % من حالات الاغتصاب إما أن يحمل المعتدي سلاحاً أو يهدد الضحية بالموت إذا قاومته.

ونتج عن الدراسة التي أجريت في إحدى الجامعات الأمريكية سنة ١٩٩٨م أن ٢٥% من الإناث اللاتي أجريت عليهن الدراسة إما أنهن تعرضن للاغتصاب أو أنهن تعرضن إلى محاولة اغتصاب.

ومن ناحية أخرى تبين أن ٥٠ % من رجال الجامعة اعترفوا بأنهم قد قاموا بإجبار النساء على ممارسة الجنس.

وفي دراسة أخرى قال ٥١ % إنهم سيقومون بالاغتصاب إذا ما تأكدوا بأنهم سينجون من العقوبة.

وفي بعض الاستبانات الأخرى تبين أن ٧٥% من الرجال و٥٥% من النساء كانوا يشربون الكحول أو يتعاطون المخدرات قبل حادثة الاغتصاب.

وقد تبين أن نسبة التحرش الجنسي في الولايات المتحدة الأمريكية هي العليا بين الأمم المتقدمة صناعياً في العالم وفي عام ١٩٩٠م، تعدى عدد حالات الاغتصاب في الولايات المتحدة الأمريكية ١٠٠٠٠٠ حالة اغتصاب ولأول مرة في تاريخ أمريكا، وارتفعت نسبة الاغتصاب أربع مرات بالمقارنة مع نسبة الجرائم الأخرى في السنوات العشر الأخيرة، وأخيراً توصلت بعض الدراسات التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن عدد النساء اللواتي تبلغ أعمارهن ما بين ١٦- ٢٤ عاماً هن أكثر عرضة للاغتصاب بثلاث مرات من النساء الأخريات.

وفي إحصائية أخرى ١٨% (١٧.٧ مليون) من نساء أمريكا تعرضن للاغتصاب أو لمحاولة الاغتصاب، أكثر من النصف تحت سن ١٧ سنة لأول مرة.

وتقدر (جمعية مناهضة اغتصاب النساء) أن ٣٥ حالة تلتزم الصمت مقابل حالة واحدة يبلغ عنها.

الإباحية في أمريكا:

ذكرت وزارة العدل الأمريكية في دراسة لها أن هنالك في الوقت الحاضر في أمريكا وحدها أكثر من ٩٠٠ دار سينما متخصصة في الأفلام الإباحية، وأكثر من ١٥٠٠٠ مكتبة ومحل فيديو تتاجر بأفلام ومجلات إباحية، وهذا العدد يفوق حتى عدد مطاعم ماكدونالدز بنسبة ثلاثة أضعاف.

من المعلوم أن أمريكا هي أولى دول العالم في إنتاج المواد الإباحية، فهي تصدر سنويًا ١٥٠ مجلة من هذا النوع أو ٨٠٠٠ عددًا سنويًا.

وتجارة تأجير الأفلام الإباحية قد زادت من ٧٥ مليون سنة ١٩٨٥م إلى ٦٦٥ مليون سنة ١٩٩٦م.

وفي عملية إحصاء أجرتها مؤسسة زوجبي (Zogby) في مارس عام ٢٠٠٠م وجد أن أكثر من ٢٠ % من سكان أمريكا يزورون الصفحات الإباحية على الإنترنت [١].

وهناك إحصائية أخرى تبين أنه في أمريكا أكثر من مليون ونصف بغية محترفة.

---

[١] تقول "هيلين ستاتسيري" كاتبة أمريكية تعمل في صحيفة متجولة وتراسل أكثر من ٢٥٠ صحيفة التي زارت أكثر بلاد العالم، ومن ضمنها البلاد الإسلامية: "أن الإباحية تهدد المجتمع الأوربي والأمريكي، وتنصح المجتمعات الإسلامية أن تتمسك بتقاليدها".

وفي استطلاع آخر يبين أن ١ من كل ٥ من الأمريكيين رجالًا ونساء لديهم تصورات وتخيلات ذات علاقة بالشذوذ الجنسي.

وأن ٤٢ % من الأمريكيين اعترفوا بأنهم تعرضوا لاعتداءات جنسية شرسة وقاسية.

وأن ٥٠ % من الأمريكان يفهمون أن العلاقة الزوجية على أنها فقط العيش سويا بين الرجل والمرأة (بدون عقد زواج)، و٥٠ % يرون أنه ليس هناك داع للزواج أصلا.

وأن غالبية النساء قلن أنهن يحببن عشاقهن أكثر من أزواجهن بعكس الرجال، فقالوا أنهم يحبون زوجاتهم أكثر من عشيقاتهم.

وأن ثلثي الرجال لهم أكثر من علاقة جنسية واحدة مقابل ٤٠ % من النساء.. وفي أمريكا ٥٢ % لا يعلمون أن ممارسة الجنس قبل الزواج – صح أو خطأ – وأن ٤٣ % من الأمريكان لا يعلمون أن الشذوذ – صح أم خطأ –.

وفي إحصائية أخرى تبين أن نسب أسباب العلاقات الجنسية غير الشرعية بين المتزوجين في أمريكا ٢٤% صداقة، ٢٣% زمالة في مكان العمل، ٧% علاقة مع المدير في مكان العمل، ٢١ % حب قديم، ٢٠ % شخص غريب [١].

---

[١] يقول جورج بالوشي هورفت في كتابه (الثورة الجنسية): (والآن، وبعد أن كادت أذهاننا تكف عن الخوف من الخطر الذري، ووجود (عنصر السترونسيوم ـ ٩٠ المشع) في عظامنا وعظام أطفالنا لا يفتقر العالم إلى عناصر بشرية تقلق للأهمية المتزايدة التي يكتسبها الجنس في حياتنا اليومية وتشعر بالخطر إذ ترى موجة العري وغارات الجنس لا تنقطع ينشغل هؤلاء الناس انشغالاً جاداً بالقوة الهائلة التي يمكن أن تصل إليها الحاجة الجنسية إذا لم يحدها الخوف من الجحيم، أو الأمراض السارية، والحمل... وفي رأيهم أن أطناناً من القنابل الجنسية تتفجر كل يوم، ويترتب عليها آثار تدعو إلى القلق، قد لا يجعل أطفالنا وحوشاً أخلاقية فحسب بل قد تشوه مجتمعات بأسرها. وكتب جيمس رستون في مجلة نيويورك

ويدخل على أمريكا ١٠٥ تريليون دولار من سوق البغاء تقوم عليه المافيا [١].

وفي عام ١٩٩٥م بارك مؤتمر الحاخامات لعموم أمريكا اللواط، وأشار إلى أنه لا يتعارض مع اليهودية.

كما تعتبر مدينة سان فرانسيسكو عاصمة (اللوطية)، ويمثلون ربع ناخبي المدينة [٢]!!.

وفي إحصائية أخرى تبين أنه في أمريكا لوحدها أكثر من ٢٠ مليون شاذ جنسياً [٣].

الحياة الأسرية في أمريكا:

المرأة في أمريكا:

صدر عن معهد الدراسات الدولية حول المرأة، ومقره مدريد، وهو معهد عالمي معترف به، التقرير السنوي المسمى بـ قاموس المرأة، وقد جاء فيه:

تايمز: "إن خطر الطاقة الجنسية قد يكون في نهاية الأمر أكبر من خطر الطاقة الذرية". ويلفت المؤرخ Arnold Toynbee النظر إلى أن سيطرة الجنس يمكن أن تؤدي إلى تدهور الحضارات.

وهذا ما أكده الإسلام من قبل، حيث يقول الرسول ﷺ: "وما تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء".

[١] دخل الدول الإسلامية مجتمعة تساوي ١.٣٣٩ تريليون في السنة.. أي أن سوق البغاء في أمريكا يفوق دخل الدول الإسلامية السنوي مجتمعة بـ ١٦١ مليار دولار.

[٢] المجتمع (٦٣٧/٣٢).

[٣] المجتمع (٣٥٠/١٥).

- في عام ١٩٨٠م: (١/٥٥٣٠٠٠) حالة إجهاض، ٣٠ % منها لدى نساء لم يتجاوزن العشرين عاماً من أعمارهن، وقالت الشرطة: إن الرقم الحقيقي ثلاثة أضعاف ذلك.

- وفي عام ١٩٨٢م: ٨٠ % من المتزوجات منذ ١٥ عاماً أصبحن مطلقات.

- وفي عام ١٩٨٤م: ٨ ملايين امرأة يعشن وحدهن مع أطفالهن ودون أية مساعدة خارجية.

- وفي عام ١٩٨٦م: ٢٧ % من المواطنين يعيشون على حساب النساء.

- وفي عام ١٩٨٢م: ٦٥ حالة اغتصاب لكل ١٠ آلاف امرأة.

- وفي عام ١٩٩٥م: ٨٢ ألف جريمة اغتصاب، ٨٠ % منها في محيط الأسرة والأصدقاء، بينما تقول الشرطة إن الرقم الحقيقي ٣٥ ضعفاً.

- وفي عام ١٩٩٧م: بحسب قول جمعيات الدفاع عن حقوق المرأة اغتصبت امرأة في كل ٣ ثوان، بينما ردت الجهات الرسمية بأن هذا الرقم مبالغ فيه في حين أن الرقم الحقيقي هو حالة اغتصاب كل ٦ ثوان!

- وفي عام ١٩٩٧م: (٦) ملايين امرأة عانين سوء المعاملة الجسدية والنفسية بسبب الرجال، ٧٠ % من الزوجات يعانين الضرب المبرح، و٤ آلاف يقتلن كل عام ضرباً على أيدي أزواجهن أو من يعيشون معهن.

- ٧٤% من العجائز الفقراء هم من النساء، ٨٥% من هؤلاء يعشن وحيدات دون أي معين أو مساعد.

- ومن ١٩٧٩م إلى ١٩٨٥م: أجريت عمليات تعقيم جنسي للنساء اللواتي قدمن إلى أمريكا من أمريكا اللاتينية، والنساء اللاتي أصولهن من الهنود الحمر، وذلك دون علمهن.

- ومن عام ١٩٨٠ إلى عام ١٩٩٠م: كان بالولايات المتحدة ما يقارب مليون امرأة يعملن في البغاء.

- وفي عام ١٩٩٥م: بلغ دخل مؤسسات الدعارة وأجهزتها الإعلامية ٢٥٠٠ مليون دولار.

- وفي الولايات المتحدة فقط ١٤٠٠ ملجأ للنساء المضروبات، أو الهاربات من أزواجهن، وهن اللاتي لا يجدن ملجأ عند أهل أو أقارب.

- من ٩٠-٩٥% من ضحايا العنف العائلي في أمريكا هم من النساء.

ضرب الزوجات في أمريكا:

انتشرت عادة ضرب الرجل زوجته في الغرب على المستويات الاجتماعية والثقافية ودون ضوابط، وتقول الإحصاءات إن في أمريكا كل ١٥ ثانية يضرب أحد الأزواج زوجته ضرباً مبرحاً [١].

عجيبة أمريكا بلد التحرر، فقد أظهرت الدراسات أن أربعة ملايين أمريكية يضربن كل سنة بمعدل واحدة كل ١٥ ثانية [٢].

ونشرت مجلة التايمز تحقيقاً حول حوادث الضرب التي تتعرض لها الزوجات الأمريكيات، فقالت إن من بين ٢٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ زوجة تتعرض للضرب الذي يفضي إلى الموت [٣].

---

[١] الأسرة - العدد ٧- ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م.

[٢] الأسرة - العدد ١٥ - ١٤١٥ هـ.

[٣] الأسرة - العدد ١٧ - ١٤١٥ هـ.

المقتولات في أمريكا من قبل أزواجهن أو أخلائهن:

طبقاً لإحصائيات مكتب التحقيقات الفدرالي، فإن٣٠ % من ضحايا قتل الإناث بالولايات المتحدة الأمريكية في ١٩٩٠م قد قتلن من قبل أزواجهن أو أخلائهن، وقد بلغ ذلك تقريبا ٣٠٠٠ امرأة.

وفي إحصائية أخرى تبين أن ٨٠ % من الأمريكيات يعتقدن أن الحرية التي حصلت عليها المرأة خلال الثلاثين عاما هي سبب الانحلال والعنف في الوقت الراهن، ٧٥% يشعرن بالقلق لانهيار القيم والتفسخ العائلي.

و٨٠ % يجدن صعوبة بالغة في التوفيق بين مسؤولياتهن تجاه العمل ومسؤولياتهن تجاه الزوج والأولاد.

و ٨٧ % لو عادت عجلة التاريخ للوراء لاعتبرن المطالبة بالمساواة مؤامرة اجتماعية ضد الولايات المتحدة وقاومن اللواتي يرفعن شعاراتها [١].

١،٥٢٨،٩٣٠ حالة إجهاض في الولايات المتحدة خلال سنة واحدة [٢].

وفي دراسة أمريكية عام ١٤١٧هـ أشارت إلى أن ٧٩ % من الرجال يقومون بضرب زوجاتهم [٣].

---

[١] البيان ربيع الآخر ١٤٢٠هـ.

[٢] البيان صفر ١٤٢٠هـ.

[٣] الأسرة صفر ١٤٢٠هـ.

وفي تقرير للوكالة الأمريكية المركزية للفحص والتحقيق هناك زوجة يضربها زوجها كل ١٨ ثانية في أمريكا [١].

و٤٢ % من الأمريكيات يتعرضن لتحرشات جنسية في أماكن العمل والدراسة والمنتديات والشوارع.

(جانيس مور) منسقة منظمة التحالف الوطني المنزلي في أمريكا: ٦ ملايين امرأة تضرب في بيوتهن دون أن يبلغن الشرطة أو يذهبن إلى المستشفى، عشرات الآلاف دخلن المستشفيات للعلاج من إصابات تتراوح بين كدمات سوداء حول العين، وكسور في العظام، وحروق، وجروح، وطعن بالسكين، وجروح الطلقات النارية، وبين ضربات أخرى بالكراسي والقضبان المحماة.

و٢٠ % من النساء اللاتي شملتهن الدراسة (دراسة عن النساء المغتصبات في أمريكا) اعترفن أنهن اغتصبن من قبل أصدقائهن.

و٢٤ امرأة جرى الاعتداء عليهن نهارًا في إحدى حدائق نيويورك بالقرب من مبنى هيئة الأمم المتحدة في وقت مؤتمر الأمم المتحدة [٢].

ودلت الإحصاءات الحديثة أن ربع طالبات المدارس الثانوية حبالى، وأن البكارة مفقودة البتة، وفي مدينة (نفز) عاصمة (كولورادو) تبلغ نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية ٤٨ %.

---

[١] الأسرة صفر ١٤٢٠هـ.

[٢] الأسرة شعبان ١٤٢١هـ.

يقول القاضي لندرس: "إنه يسقط في أمريكا مليون حمل، على الأقل، في كل سنة، ويقتل آلاف الأطفال فور ولادتهم".

وفي أمريكا مليون طفل يولدون سنويًا من السفاح.

و٨٥% من الزيجات في الدول الغربية تنتهي بالطلاق.

و٥٤% من المطلقات (الأمريكيات) اعترفن أن لأزواجهن علاقات جنسية مع غيرهن.

و٤٦% من الرجال المطَلِقِين يقولون أن زوجاتهم متهمات بالتورط في علاقات جنسية غير شرعية كانت السبب في طلاقهن.

و٣١ % من الأمريكيين المتزوجين كانت لهم ولا يزالون مرتبطين بعلاقات غير شرعية مستمرة.

و٦٢ % من الأمريكيين اليوم يرون أن العلاقة الجنسية مع شخص آخر غير الزوج أو الزوجة جائزة ومباحة وليس هناك مخالفة لأعراف المجتمع أو أخلاقه في ممارستها.

وجاء في دراسة في أمريكا أن ٢٠ % من الرجال لديه استعداد لإقامة أسرة، ١٣ % من النساء لديهن استعداد لإقامة أسرة [١]، وهذا يعني أن ما نسبته ٨٧ % من النساء و٨٠ % من الرجال لا يريدون ذلك، ولك أن تتخيل هذه النسبة.

---

[١] البيان شعبان ١٤٢١هـ.

وفي دراسة باسم (جهنم شخصية) في مجلة تايم الأمريكية بالنسبة للطفل أو المرأة يعتبر البيت أشد خطرًا من الشارع والعنف المنزلي يسبب في سقوط ضحايا أكثر مما تسببه الأمراض أو حوادث الطريق [١].

وحسب الإحصائيات الأمريكية: ٨٠ % من جرائم القتل هي جرائم عائلية، و (٢٤،٥٠٠) جريمة عائلية في عام ١٩٩٣م، و٤٨ % من الجرائم مسرحها البيت [٢].

يقول كاتب إصلاحي أمريكي: "إن ثلث الطبقة المتزوجة في (نيويورك) لا يلتزمون الوفاء في تبعاتهم الزوجية، بما يتعلق بأخلاقهم وأجسادهم، ولا تختلف (نيويورك) في هذا عن المدن الأخرى".

الأطفال الأمريكيون والفقر:

في تقرير نشر في أمريكا جاء فيه: إن واحداً من بين كل ستة أطفال في أمريكا يعاني من الفقر.

وفي التقرير السنوي لصندوق الدفاع عن الأطفال الأمريكيين والمسمى الكتاب الأخضر: أظهرت إحصاءات الحكومة عن الفقر لعام ١٩٩٩م أن أكثر من ١٢ مليوناً من أطفال أمريكا يعيشون تحت خط الفقر على المستوى الاتحادي؛ أي أقل من (١٣٢٩٠) دولاراً سنوياً لأسرة مكونة من ثلاثة أفراد.

كما أن ٨/٤ % من أطفال المتزوجين كانوا يعانون من الفقر عام ١٩٩٩م، مقارنة مع ٤٢ % من كل الأطفال الذين يعيشون مع أم غير متزوجة.

---

[١] المعرفة صفر ١٤٢١هـ.

[٢] المعرفة صفر ١٤٢١هـ.

وأن اثنتين من بين كل ثلاث أمهات يعملن في وظائف خارج المنزل [١].

الأطفال الذين يموتون بسبب القسوة في الولايات المتحدة [٢]:

ازدياد ضحايا القسوة من الأطفال على الرغم من أن وفيات الأطفال الناجمة عن الإساءة أو إهمال نادرة نسبيًا، فإن معدل ضحايا الأطفال نتيجة القسوة، الذي أكدته وكالة الخدمات الوقائية للطفل (CPS)، زاد بثبات خلال العقد الماضي، وقد ذكر النظام الوطني لبيانات الإهمال والاعتداء على الأطفال (NCANDS) أنه في عام ١٩٩٧م كان هناك ما يقارب (١،١٩٦) طفل ضحية، أو ١.٧ طفل لكل (١٠٠،٠٠٠) في تعداد السكان العام [٣].

وقد ذكرت اللجنة الاستشارية الأمريكية للإهمال والاعتداء على الطفل في "عار أمة الإهمال والاعتداء القاتل على الأطفال في الولايات المتحدة": أن تقديرًا أكثر واقعية لوفيات الأطفال السنوية كنتيجة للإساءة والإهمال، المعروفة وغير المعروفة لوكالات خدمات الطفل الوقائية، كان حوالي (٢٠٠٠)، أو تقريبا خمسة أطفال يوميًا، ويعتقد الخبراء مثل رايان ريني

---

[١] الوعي الإسلامي – العدد ٤٢٨ – ١٤٢٢ هـ.

[٢] يقول غ. سيمبسون طبيب الأطفال في لوس أنجلس: "يجب الاعتراف بأن عمليات العنف الشيطانية تجاه الأطفال تشكل حقيقة مخيفة إنها المشكلة الأكثر حدة، التي يجب على الأطباء لفت انتباه المجتمع إليها"، ففي مطلع التسعينات عرض التلفزيون والإذاعة الأمريكيان ريبورتاجاً يشير إلى أن حوالي الـ ٤٠ ألف طفل يختفون في الولايات المتحدة سنوياً، وحوالي ٥ آلاف جثة يعثر عليها لأطفال مجهولي الهوية، وثم بين المومسات الأمريكيات من يمارسن بيزنيس من نوع خاص، حيث يقوم بعضهن بدور إنجاب الصغار، الذين يباعون إلى عبدة الشيطان من أجل "الصلوات السوداء" في نهاية الثمانينات كان عبدة الشيطان يدفعون ٣ – ٥ آلاف دولار لقاء كل طفل من هذا النوع. انظر كتاب "لهذا كله ستنقرض أمريكا".

[٣] هذا التقدير كان مستندًا إلى تقارير من ٤١ ولاية أبلغت عما مجموعه ٩٦٧ ضحية.

من المركز الوطني لادعاء الاعتداء على الأطفال أن عدد وفيات الأطفال سنويًا بسبب القسوة قد يصل إلى (٥٠٠٠).

والأطفال الصغار هم الأكثر تضررًا إذ يدعم البحث أن الأطفال الصغار جدًا عمر ٥ سنوات وأصغر هم الضحايا الأكثر تكرارًا من ضحايا الأطفال.

وقد وضحت بيانات (NCANDS) لعام ١٩٩٧م من مجموعة ولايات أن الأطفال عمر٣ سنوات أو أصغر يمثلون ٧٧ % من الضحايا، وهؤلاء هم الأكثر تضررًا للعديد من الأسباب التي تتضمن صغر حجمهم وعدم قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم، ويحدث الاعتداء القاتل عادة بإحدى طريقين الاعتداء المتكرر أو الإهمال لفترة زمنية... انتهاك عرض طفل أو في حادثة اعتداء مندفعة واحدة غرق، خنق، أو هزّ الطفل الرضيع، على سبيل المثال.

الأطفال المعاقون في أمريكا:

كشفت إحصائية طبية جديدة أجريت في الولايات المتحدة أن طفلاً واحداً من كل ١٢ طفلاً ومراهقًا، أي حوالي ٥,٢ ملايين، مصابون بإعاقات بدنية أو عقلية، الأمر الذي يعكس الزيادة الحادة في أعداد الصغار المعاقين على مدى العشرة أعوام الماضية.

ووجد الخبراء ضمن مسوحاتهم التي غطت الأطفال من سن الخامسة وحتى الـ٢٠، أن هذه الإعاقات تتراوح في شدتها من الربو الخفيف إلى أمراض عقلية خطيرة أو تخلف عقلي يتطلب عناية خاصة طوال الوقت.

وأظهرت المعلومات وجود زيادة كبيرة في أعداد ومعدلات الإعاقات بين الأطفال، كما زادت مراكز التعليم الخاص بحوالي الضعف عما كان عليه الحال في العقد الماضي، وارتفع

عدد الأطفال المحتاجين للتأمينات الاجتماعية بسبب إصابتهم بإعاقات خطيرة، بشكل كبير[١].

وفي إحصائية أخرى تبين أن ١ من كل ٧ أمريكان تعرضوا لسوء معاملة جسدية في طفولتهم.

وهناك مليون ونصف حالة إجهاض في الولايات المتحدة خلال سنة واحدة [٢].

وفي الولايات المتحدة في عام واحد (٥٦٠٠) طفل دخلوا المستشفى بسبب ضرب أمهاتهم العاملات لهم غالبهم تعرض لعاهات بسب الضرب [٣].

وهناك ١٦.٧ % من الفتيان بين ١٢- ١٧ سنة يعانون من مشاكل ذات علاقة بالمخدرات حسب المسح القومي الأمريكي في ١٩٩٩م [٤].

ونسبة ٦١ % فقدوا عذريتهم (من الأولاد والبنات الأمريكان) قبل بلوغ سن السادسة عشرة، ٢٠ % فقدوا عذريتهم قبل سن الثالثة عشرة.

وهناك ١٣ ألف طفل تتراوح أعماهم بين ٦ - ١٧ كانوا عينة دراسة، ووجد أن الأطفال الأمريكيين هم الأكثر عدوانية وانحرافًا في سلوكهم يليهم أطفال إسرائيل [٥].

---

[١] صحيفة الشعب اليومية ٢٠٠٢/٧/١٦م.

[٢] البيان صفر ١٤٢٠هـ.

[٣] البيان محرم ١٤٢١هـ.

[٤] الاقتصادية ٢٠٠٠/٤/٣٠ ص٦.

[٥] البيان صفر ١٤٢٠هـ.

و٥٨ % من الأمريكيين يرون أن أطفالهم كسالى وأنهم غير مهذبين، و٧٥ % من الأمريكيين يرون أن أطفالهم لا يشعرون بأي مسؤولية ولا يمكن السيطرة عليهم [١].

وهناك ٦ ملايين حالة ضرب شديد من قبل الوالدين في أمريكا، ٣ آلاف منهم يؤدي بهم الضرب إلى الموت [٢].

وهناك ١٢ مليون طفل أمريكي مشرد في ظروف غير صحية [٣].

وفي إحصائية أخرى تبين أنه يباع في أمريكا أكثر من (٥٠٠٠) طفل كل سنة [٤].

في عام ١٩٩٠م اتخذ البرلمان الأوربي قراراً يدين الولايات المتحدة على قيام الأمريكيين، على نطاق واسع، بشراء الأطفال في الأحياء الفقيرة في هندوراس وغواتيمالا، لاستخدام أعضائهم لزراعتها في أجسام أخرى، وهذا ليس بغريب أبداً، فالأنانية الحيوانية والفردانية، التي ينادي بها كثير من الأمريكيين، تسمح تماماً بارتكاب أية جريمة، ما دامت تعود عليه بالفائدة الشخصية [٥].

وفي استفتاء قديم يبين أن أغلب الأمريكيين يربون أبناءهم على الإلحاد والأنانية والتقاعس عن العمل والانصراف إلى التسلية، ففي عام ١٩٧٧م أجرت مجلة "الأبوان" الأمريكية استفتاء بين ٧٧٠٠ أباً وأماً من الولايات المتحدة، وكندا حول القيم الحياتية للأسرة الأمريكية.

---

[١] البيان ربيع أول ١٤٢٠هـ.

[٢] الإصلاح عدد ١٠٤.

[٣] الأسرة رجب ١٤٢٠هـ.

[٤] المجتمع (٤٤/٢٤٩).

[٥] كتاب "لهذا كله ستنقرض أمريكا".

وعلى نتائج هذا الاستفتاء وضعت جداول القيم الحياتية والعائلية الأسباب حسب ترتيب أهميتها في عيون الأمريكيين.

حيث يرى الأمريكيون أن – القيمة – الأهم بالنسبة للأسرة هي تعليم أبنائهما فهم ما هو جيد بالنسبة لهم وما هو سيء، وتربيتهم براغماتيين قادرين على العثور على منفعتهم في كل شيء، حيث تحتل هذه الصفة المرتبة الأولى على سلم القيم الحياتية للأسرة الأمريكية، تليها في المرتبة الثانية فهم أهمية الدراسة للنجاح الحياتي والمنصب لاحقاً، أما بالنسبة للتصورات التقليدية حول سلوك الجنسين فتأتي في نظر الوالدين في سوية التسامح مع الأقليات الجنسية – اللوطيين – إذ تشغل المرتبتين الثالثة والرابعة على سلم القيم.

وبعد التسامح مع اللوطيين يأتي تقدير الوالدين للزواج والأسرة – المرتبة الخامسة –، تليه قيم الصداقة – بالمفهوم البراغماتي – وتربية السلوك الجيد والقدرة على الظهور.

فقط في المرتبة التاسعة (!) يأتي الإيمان بالله، يليه حب العمل والقدرة على القناعة بما تم كسبه.

وفي المراتب الدنيا من سلم القيم، بالنسبة للأسرة الأمريكية، يأتي الشعور الوطني وفهم الأعمال الأدبية والفنية.

وقد بين هذا الاستفتاء أن رفض الطفل إنهاء الدراسة الثانوية يثير قلق الوالدين من الأنانية – أو العلاقات الجنسية الشاذة – أو الزنا أو زواج التجربة – الزواج غير المسجل – أو الطلاق.

وليس بغريب أن ينجب نظام التربية والتعليم الأمريكي أغبياء روحيين، فلا يمكن أن تعثر في أية دولة من دول العالم على مثل ذلك العدد من الحمقى والأغبياء الذي نجده في الولايات المتحدة، أما الإنسان الذي تمكن في هذه الظروف من الحفاظ على مشاعر الطيبة والوجدان، فهو في أفضل الحالات طفيلي وغير قادر عند الضرورة على حماية مشاعره الخيرة، إن

الأمريكيين محدثون في منتهى السأم والملل، فاهتماماتهم تتركز بشكل يكاد يكون تماماً حول أشياء أربعة: المال، المشتريات، السيارات، والجنس، ثم أن ما يقرب من نصف الأمريكيين ممن أنهوا الدراسة الثانوية، أميون، أي لا يتقنون القراءة والكتابة بشكل طبيعي، وقد بين الاستفتاء، الذي جرى على مجموعة كبيرة من طلاب الجامعة الذين كانوا على أبواب التخرج، أن ربعهم لا يعرف متى تم اكتشاف أمريكا بدقة تصل إلى نصف قرن، كما أن ربعهم لا يميز بين مؤلفات كارل ماركس ودستور الولايات المتحدة، أما نسبة العاجزين عن معرفة العام الذي اندلعت فيه الحرب بين الشمال والجنوب، فقد وصلت إلى الأربعين [١].

إنفاق الأمريكيين على القمار:

كشفت الأبحاث أن ٨٠ % من الأمريكيين يعتقدون أن القمار شكل من أشكال التسلية، بينما لا يخجل ٦٠ % منهم من المراهنة.

وينفق الأمريكيون الآن على القمار ٤٨٠ مليون دولار بعد أن كانوا ينفقون عليه ٢٢ بليون دولار عام ١٩٧٦م [٢].

إدمان الكوكايين في أمريكا أو تجربته:

أظهر استطلاع لوزارة الصحة الأمريكية أن مدمني الكوكايين في أمريكا بلغ عام ١٩٨٥م ٥.٨ مليون شخص، بعد أن كانوا ٤.٣ مليون عام ١٩٨٣م، وفي الاستطلاع نفسه تبين

---

[١] انظر كتاب "لهذا كله ستنقرض أمريكا".

[٢] الأسرة – ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

أن ٣٦.٩ مليون أمريكي (أي ١٩ % من حجم السكان) قد جربوا الماريجوانا أو الكوكايين أو مواد أخرى على الأقل مرة واحدة سنة ١٩٨٥م [١].

وفي تقرير آخر يبين أن الإنفاق على المخدرات في أمريكا وحدها يفوق إجمالي الإنتاج الوطني لأكثر من ٨٠ بلداً من البلدان النامية، كما تنتج شركات الخمور في أمريكا ما قيمته أكثر من ٢٤ ملياراً من الدولارات [٢].

وفي إحصائية أخرى تبين أن ١٣ مليون أمريكي يتعاطون الماريونا (نوع من المخدرات) يوميًا، و٨ ملايين أمريكي يتعاطون أقراصًا مخدرة، و٤ ملايين يستخدمون أقراص الكوكايين، وهناك أكثر من ٥٠ مليون أمريكي مدمن على الخمر، وتوصلهم إحصائية أخرى إلى ١٠٠مليون مدمن [٣].

وفي أمريكا ٣٣ % لا يعلمون أن الإفراط في الكحول - صح أم خطأ - و٢٧ % لا يعلمون أن المخدرات - صح أم خطأ -.

كوكايين على الدولارات في أمريكا:

٧٥% من الدولارات المتداولة داخل الولايات المتحدة عليها أثر كوكايين [٤].

---

[١] المجتمع - العدد ٨٠٦ - ١٤٠٧هـ.

[٢] المجتمع (١٥٧/٣٠).

[٣] المجتمع (١٩٩/٤٢).

[٤] النبأ - العدد٤٥ - ١٤٢١هـ.

الطبقية في أمريكا:

في أمريكا ٥.٦ تريليون دولار يمتلكها ١ % من العائلات الأمريكية الأكثر غنى، وهناك ٣٦ مليون أمريكي يعيشون تحت خط الفقر، و١٢ مليون دون مأوى.

وفي تقرير قام بإعداده فريق بحث مقره جامعة جون هبكنز في ميريلاند:Johns Hopkins بـ Maryland بالولايات المتحدة نشرته محطة CNN الإخبارية الأمريكية عن انتشار ظاهرة تجارة الرقيق من النساء، فهناك ٢ مليون امرأة وطفلة يتم بيعهن كعبيد سنويا، ١٢٠ ألف امرأة من أوروبا الشرقية (روسيا والدول الفقيرة التي حولها) يتم تهجيرهن إلى أوروبا الغربية لهذا الغرض الدنيء، ١٥ ألف امرأة أو أكثر يتم إرسالهن إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأغلبهن من المكسيك، ١٦ ألف دولار تباع المرأة القادمة من دول شرق آسيا بأمريكا ليتم استخدامها بعد ذلك في دور الفواحش والحانات.

الإصابة بمرض تليف الأنسجة بأمريكا:

ذكر مركز معلومات صحة المرأة الوطني بالولايات المتحدة في آخر إحصائية له، أن مرض تليف الأنسجة يؤثر في النساء ثلاثة أمثال الرجال، ولكنه يزداد بمعدل ١٥ مرة أثناء سنوات الحمل، ويصبح أكثر شيوعًا في النساء السود، ويقدر أن حوالي ٣٠٠ ألف أمريكي مصاب بهذا المرض، وحوالي ٨٠ % منهم من النساء في مرحلة الشباب.

المؤسسات المدرسية الأمريكية والإجرام:

٣ ملايين عمل إجرامي من كل الأنواع يقترف سنوياً في المؤسسات المدرسية في أميركا مع العلم أن هناك (٨٥٠٠٠) مؤسسة مدرسة في أميركا حالياً [١].

وفي إحصائية تبين أن ٧٠ % من الطالبات في جامعات أمريكا تعرضن لمضايقات جنسية مختلفة خلال فترة الدراسة في الجامعة، و ٩٠ % من اللاتي تعرضن للمضايقة لم يبلغن الشرطة.

وهناك (٥٢٠٠) مدرس أمريكي يتعرض للضرب في الشهر الواحد [٢].

وهناك ٢١ مليون أمريكي لا يستطيع القراءة والكتابة [٣]

طلاب المدارس في أمريكا وحمل المسدسات:

٢٧٠ ألف مسدس يحمله طلاب المدارس المتوسطة والثانوية في الولايات المتحدة [٤].

---

[١] النبأ – العدد ٣٧ – ١٤٢٠هـ.

[٢] النبأ – العدد ٣٧ – ١٤٢٠هـ.

[٣] جاء في كتاب "لهذا كله ستنقرض أمريكا" الآتي: (الأمريكيون في أغلبهم شعب يجمع بينهم قاسم مشترك غريب، فكل قيم حياتهم تتركز على كسب النقود وسباق الاستهلاك، وحوالي ٦٠% من الأمريكيين لا يقرؤون الكتب، وإذا ما قرؤوها فهي في معظمها كتب بوليسية أو خلاعية، وأغلبهم يقضي كل أوقات فراغه أمام التلفزيون، حيث يشاهد الأفلام البوليسية وبرامج التسلية الرخيصة والخالية من أي مضمون.

إن الأمريكيين من الناحية الثقافية هم الشعب الأقل أهمية في العالم فالثقافة بالنسبة لهم ليست جواً روحياً، ولا حاجة داخلية، بل هي نوع من الكماليات، التي يمكن برأيهم الحصول عليها لقاء النقود).

[٤] النبأ – العدد ٣٧ – ١٤٢٠هـ.

المكتئبون في أمريكا:

في دراسة أجراها الباحثون في جامعة واشنطن وخرجت عام ١٩٩٩م تبين أن أكثر من ١٥مليوناً أمريكياً سنوياً يؤثر عليهم الاكتئاب، تشكل النساء نحو ١٠ ملايين منهم [١].

خسائر الاكتئاب في أمريكا:

ذكر تقرير للمعهد الاقتصادي الأمريكي، أن الشركات الأمريكية تخسر ٣٦ مليار دولار سنوياً بسبب إصابة موظفيها بالاكتئاب، وقال المعهد في دراسته: إن الاكتئاب يتحول الآن إلى وباء [٢].

وفي آخر الإحصاءات والشهادات الصادرة عن علماء النفس وغيرهم تؤكد أن من بين كل عشرة أشخاص سبعة يعانون اضطرابات نفسية (من أمريكا).

وتحولت ٧٠ % من مستشفيات أمريكا إلى مصحات عقلية ونفسية.

حتى إن الأرقام التي تنشر عن استهلاك الأدوية المهدئة وارتياد المستشفيات والمصحات النفسية تجعلنا نتخيل أن نصف السكان هناك في العيادة والنصف الآخر في الانتظار!!.

---

[١] المجتمع – العدد ١٣٧٩ – ١٤٢٠ هـ.

[٢] الأسرة – العدد ١٨ – ١٤١٥ هـ.

الوفاة بمرض الإيدز في أمريكا:

تقع في الولايات المتحدة الأمريكية ٥٠ ألف جريمة قتل في العام الواحد، و٣٠ ألف حالة انتحار، وهذا الرقم الرسمي، ولكن الرقم الحقيقي غير المسجل أكبر بكثير، وبلغت حالات الوفاة بمرض الإيدز في أمريكا عام ١٩٩٤م ٢٥ ألف حالة وفاة [١].

عدد المصابين بالإيدز وغيره في أمريكا:

من خلال إحصاء للمصابين بالإيدز في بعض دول العالم جاء فيه: يوجد في الولايات المتحدة ٨٥٠ ألف أمريكي مصاب بالإيدز، وعددهم يزداد بمعدل يبلغ ٤٠ ألف شخص سنوياً [٢].

ويذكر الباحثون أن أكثر من ١٢ مليون أمريكي - ومنهم ٣ ملايين مراهق - يصاب بالأمراض الجنسية في كل عام [٣].

وهناك ٢٥ مليون إنسان مصاب بالهربيس في أمريكا، نصف مليون ينضمون إلى جمعية الهربيس، وربع شباب وشابات أمريكا مصابون بهذا المرض [٤].

---

[١] الأسرة - العدد ١٧ - ١٤١٥هـ

[٢] الحياة العدد ١٣٦٢٣- نقلًا عن ملحق سنوي يصدر عن مجلة البيان / محرم ١٤٢٢هـ.

[٣] مقال نشرته مجلة آم جوبستيت جين Am J obstet Gyn في عام ٢٠٠٠م.

[٤] البيان صفر ١٤١٩هـ.

٢،٢ مليون أمريكي مصاب بالإيدز، و٧ مليون يعتقدون أنهم على خطر كبير من الإصابة بهذا المرض (الإيدز)، ١ إلى ٣ من المصابين لا يمانعون، بل يقولون أنهم راغبون في نقل جرثومة الإيدز إلى أصدقائهم [١].

الأمريكيون ومواجهة السمنة:

ينفق الأمريكيون ٩٣ مليار دولار سنويا لمواجهة الأمراض الناجمة عن زيادة الوزن، ويعاني ١٣ % من الأطفال، و ٦٠ % من البالغين في الولايات المتحدة من السمنة [٢].

وفي إحصائية أخرى تبين أن السمنة أو زيادة الوزن الدهني والخمولِ البدني يؤديان إلى أكثر من (٣٠٠،٠٠٠) حالة موت مبكرة كل سنة في أمريكا، وهي ثاني سبب للوفاة بعد التدخين.

وفي تقرير آخر يبين أن الولايات المتحدة تنفق ٢٣٨ بليون دولار على مرضى البدانة.

العنصرية في أمريكا:

انتقدت منظمة العفو الدولية النظام القضائي الأمريكي وقالت: إنه يتسم بالعنصرية مشيرة إلى أن احتمالات الإعدام للسود أكبر منها للبيض وذكر التقرير [٣]: (في يومنا هذا حياتك أو موتك في الولايات المتحدة استنادًا إلى الجرائم التي ترتكبها مرهون بلون بشرتك

---

[١] يوم أن اعترفت أمريكا.

[٢] الأهرام العدد: ٤٢٥٣٠.

[٣] الاقتصادية ١٤٢٠/٢/٥هـ.

والعرق الذي ينتمي إليه ضحيتك)، ويقول أيضا: "هناك أدلة إحصائية على أن النظام القضائي الأمريكي يرى حياة البيض أغلى من حياة السود".

٦٠ مليون زنجي أزيلوا من أفريقيا عن طريق تجارة الرقيق الأمريكية، ٥٠ مليون توفي قبل وصولهم إلى أمريكا [١].

وهناك ٦٢٧ ألف جريمة عنف عنصري في عام واحد ١٩٩٣م بسبب التفرقة العنصرية مع السود [٢].

الحيوانات أهم من البشر في أمريكا:

فهناك تلفزيون على مدى ٢٤ ساعة في أمريكا خاص بالكلاب وجميع أفلامها عن الكلاب والممثلين والممثلات كلاب والجمهور كلاب [٣].

وحسب إحصائية أخرى [٤]: ٩٢ مليون عدد الكلاب والقطط الأليفة في الولايات المتحدة الأمريكية، و٨ مليار دولار مصروفات الحيوانات الأليفة، ويوجد فنادق للحيوانات في ولاية اللوينز ومطاعم، ٣٩٤ دولارًا للقبر الواحد للكلب أو القط في مقبرة ايلم لون مومريال، ١٨٠ دولارا للنعش [٥].

---

[١] التقديرات من كتاب (الزنجي) الصادر في نيويورك ١٩١٥م.

[٢] البيان شعبان ١٤٢١هـ.

[٣] الإصلاح عدد ٩٣.

[٤] مجلة (يو اس نيوزاند وورلد ريبورت) ١٩٨٥م.

[٥] الإصلاح عدد ٩٧.

الانتحار في أمريكا:

معدل الانتحار بين الشباب الأمريكي أكثر من معدلات الانتحار في أوربا بعشرين ضعفًا، ومن اليابان بأربعين ضعفا، (٣٠٠٠٠) عدد حوادث الانتحار في العام الواحد [١].

وقد تجاوزت حالات الانتحار عام ١٩٩٤م ٣١ ألف حالة [٢].

وتشير إحصائية نشرتها (واشنطن بوست) تؤكد أن ٣ ملايين أمريكي على الأقل بين سن ١٢ و١٧ فكروا في الانتحار خلال عام ٢٠٠٠م، وأن ثلث هذا العدد نفذ الانتحار – أي مليون حالة انتحار نفذت خلال عام واحد في أمريكا –، وهذه الدراسة نُسبت لمكتب الدراسة الأمريكية لشؤون العائلة، وتنص على أن عدد الفتيات اللاتي نفذن عملية الانتحار، أو فكرن بها، نصف عدد الذكور.

و٩ % من الأطفال ما بين سن ١٢ و١٣ عاماً، يفكرون في الانتحار.

الكذب في أمريكا:

في دراسة عينة من الشعب الأمريكي ٩١ % من الذين شملتهم الدراسة قالوا أن الكذب أصبح عادة وسلوكاً مألوفاً في حياتهم اليومية، و٢٠ % اعترفوا أنهم ليس في استطاعتهم الصبر عن الكذب ولو يوماً واحداً، ٧٥% من الأمريكيين يعتقدون أنه لا حرج في الكذب[٣].

---

[١] يوم اعترفت أمريكا.

[٢] كتاب الإحصاء الوطني الصادر عام ١٩٩٧م عن إدارة الاقتصاد والإحصاء في مصلحة التجارة الأمريكي.

[٣] يوم أن اعترفت أمريكا.

جرائم أخرى:

الأمريكان يقولون: ٧٤% منهم لن يتردد في السرقة متى ما رأى أن الفرصة سانحة، و٥٦% منهم يقولون لن أتردد في قيادة السيارة وأنا في حالة سكر، و٥٣ % يقولون لن أتردد في غش زوجي أو زوجتي، و٤١ % يقولون سأستخدم المخدرات للترفيه عن نفسي، و٣١ % سأعرض حياة عشيقي أو عشيقتي لخطر الإصابة بالمرض الذي أعاني منه [١].

وهناك أكثر من ٢٣٠ مليون سلاح ناري يملكه الأفراد في أمريكا.

و٣٥ ألف قتيل أمريكي سنويا رميا بالرصاص [٢].

و٧ مليون سلاح ناري يباع سنويا في أمريكا [٣].

وفي أمريكا ٤ جرائم كل ثانية ما بين خطف وسرقة.

و٨ بلايين دولار قيمة السيارات المسروقة في أمريكا، ١.٤ مليون سيارة تمت سرقتها في ١٩٩٧م، ٢٠٠ ألف تم تهريبها إلى خارج أمريكا [٤].

ونسبة ٧٥% من مجموع جرائم القتل في أمريكا استخدمت المسدسات كوسيلة أساسية.

---

[١] يوم أن اعترفت أمريكا.

[٢] البيان ربيع أول ١٤٢٠هـ.

[٣] البيان ربيع الآخر ١٤٢٠هـ.

[٤] الأسرة ذو القعدة ١٤٢٠هـ.

و٦٠ % من الأمريكان كانوا ضحية للجريمة مرة واحدة في حياتهم على الأقل، ٥٨ % كانوا ضحية للجريمة مرتين أو أكثر، ٣٩ % من الشعب الأمريكي قد مارسوا أنواعًا مختلفة من الجريمة في حياتهم [١].

و٢٥% من سجناء العالم في أمريكا رغم أنهم لا يتجاوزون خمسة في المئة من سكان العالم، و١.٨ مليون سجين في أمريكا والعدد مرشح لتجاوز المليونين بحلول عام ٢٠٠٠ – وقد تجاوزه – [٢].

ويبلغ عدد محال ومتاجر بيع السلاح المسجلة أكثر من ١٠٠ ألف متجر، وقد أثبتت تحقيقات وكالة أمريكية سنوية استخدام ٧٠ ألف قطعة سلاح خلال عام واحدة، وأن ٥٠ ألفاً منها استخدمت في الاعتداء والهجوم على الغير والبقية كانت سبباً في أعمال إجرامية كالقتل والسرقة واعتداءات أخرى.

وفي إحصائيات للحكومة الأمريكية بلغ عدد الجرائم عام ٢٠٠٠م حوالي ٢٦ مليون جريمة، وأما في عام ١٩٩٩م فكانت الجرائم كما يلي:

١- كل ٣ ثوان يحصل جريمة على ممتلك (عقار).

٢- جريمة سرقة كل ١٥ ثانية.

٣- جريمة بشعة كل ٢٢ ثانية.

٤- جريمة قتل كل ٣٤ ثانية.

٥- جريمة اغتصاب كل ٦ دقائق.

٦- جريمة اعتداء جسدي كل ٣٤ ثانية.

---

[١] يوم اعترفت أمريكا.

[٢] البيان صفر ١٤٢٠هـ.

الخاتمة

في ختام كتابي هذا أقول للمسلمين في كل مكان وأخص منهم المجاهدين: إن أمريكا ستنهار – بحول الله وقوته – انهياراً مدوياً، وسيسقط معها نظامها الدولي وكل منظماتها الكافرة: الأمم المتحدة، مجلس الأمن، الجامعة العربية، مجلس التعاون.. وستزول كل الحواجز والعقبات التي تقف في وجه الإسلام.. وعندها سيردد المسلمون:

الله أكبر.. خربت أمريكا..

الله أكبر.. خربت بريطانيا..

الله أكبر.. سقط حلف الناتو..

الله أكبر.. زالت أنظمة الكفر والردة..

الله أكبر.. فُتِحَت أمصارُ المسلمين..

الله أكبر.. قامت دولة الإسلام خلافةً على منهاج النبوة..

وعندها سيردد المجاهدون – جيش الإسلام الحالي – بصوت تسمعه البشرية:

إنا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساء صباحُ المُنْذَرين..

لن تغزوكم أمريكا بعد عامكم هذا، ولكنكم تغزونها..

الآن نغزوهم ولا يغزوننا..

وبعد أن يهدأ الغبار.. وتنقشع العاصفة.. ويمحى من الخارطة اسم أمريكا.. يمكننا أن نقول: لقد أبر الله قسمك يا أسامة..!

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۝ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ۝ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ۝ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ۝ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وأنا أعلم أنه سيخرج بعض المنافقين ممن ملأت الهزيمة نفوسهم بعد كل هذه الدراسات والأرقام والتقارير والنقولات ليقولوا وماذا بعد سقوط أمريكا؟ ومن البديل؟ وهل نحن البديل؟ أم ستخرج الصين أو الهند أو الاتحاد الأوربي؟

ونقول لمثل هؤلاء: إن نبينا محمداً ﷺ وهو يحفر الخندق وقد تحزب عليه الأحزاب حين عرضت لهم صخرة في مكان من الخندق لا تأخذ فيها المعاول، فشكى الصحابة إلى رسول ﷺ، فجاء الرسول ﷺ يقول الراوي البراء بن عازب رضي الله عنهما: وأحسبه وضع ثوبه، ثم هبط إلى الصخرة، فأخذ المعول، فقال: ((بسم الله)) فضرب ضربة، فكسر ثلث الحجر، وقال: ((الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحُمر من مكاني هذا))، ثم قال: ((بسم الله)) وضرب أخرى، فكسر ثلث الحجر، فقال: ((أعطيت مفاتيح فارس، والله، إني لأبصر المدائن وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا))، ثم قال: ((بسم الله))، وضرب ضربة أخرى، فقلع بقية الحجر، فقال: ((الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله أني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا)) رواه أحمد.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: احتفر رسول الله ﷺ الخندق – فذكر الحديث – وفيه: فقال: ((اذهبوا بنا إلى سلمان)) وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها، فقال النبي ﷺ لأصحابه: ((دعوني؛ فأكون أول من ضربها))، فقال: ((بسم الله)) فضربها، فوقعت فلقة ثلثها فقال: ((الله أكبر، قصور الروم وربّ الكعبة)) ثم ضرب أخرى، فوقعت فلقة، فقال: ((الله

أكبر، قصور فارس وربّ الكعبة)) فقال عندها المنافقون: نحن نُخندق وهو يعدنُا قصور فارس الروم رواه الطبراني.

وقال ﷺ وهو في حالة مُطاردة وضيقٍ وشدة لسراقة بن مالك رضي الله عنه: ((كيف بك إذا ألبست سواري كسرى؟)) فلما أتي بهما عمر ألبسهما إياه، وقال: الحمد الله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة.

وأخبرنا النبي ﷺ كما في مسند أحمد بانتشار هذا الدين بقوله: ((ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليلُ والنهار ولا يترك اللهُ بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يُعز الله به الإسلام وذلًا يُذل به الكفر))، وبقوله كما في المسند أيضاً: ((تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت)).

ونحن نقول اليوم أن الجهاد قد علت رايته وانتشرت في أصقاع شتى من المعمورة، ولتعلون رايته في الآفاق حتى يبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الدين وأهله، وذلًا يذل به الشرك وأهله..

ولسوف تملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً..

ويقولون متى هو؟

قل: عسى أن يكون قريباً..

إذا اعتقدنا ما مضى، فلا يهمنا بعد ذلك قول من قال: "إن أمريكا ليست طائرة فتسقط"..!!

والرد على هؤلاء المنهزمين أن نقول لهم: أما أن أمريكا طائرة فلا فليست طائرة ولا تعرف طعم العلو الحقيقي وهي أقل شأنًا من ذلك، وأما أنها ستسقط فنعم، يقينًا لا ريب فيه؛ فسنة الله ماضية، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

أمريكا ما هي إلا سحابة دخان كريه أسود يغطي بسواده ما كدسه الله فيها من عيوب ومخازي، لكن سرعان ما يضمحل ويزول ويغيب عن سماء الحقيقة والعدل والشرف، لتبقى الطائرات الحقيقية والكائنات العلوية السماوية لتنعم بعزة العلو والرفعة، وتتضلع من هواء الكرامة والإباء، بعد أن كدرت عليها تلك السحابة البشعة (أمريكا)، قبل أن تهوي إلى حيث المكان الأليق بالدخان..

يرقى إلى الأوج الرفيع وبعده يهوي إلى قعر الحضيض الداني

أمريكا ستسقط حتمًا رغم انبهار المنبهرين، فإن دوام الحال من المحال، والأيام دول يداولها الله بين الناس، وحق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه.

فهل يظن أولئك المنهزمون أن أمريكا ستدوم؟ هل خرجت عن طور المخلوقات فلا يجري عليها ما يجري على غيرها من خلق الله؟

ما أمريكا إلا دولة أخذت بأسباب القوة المادية فحصلت لها القوة، وتجبرت على العالمين، وستمضي مدة ثم يرجع الأمر إلى ضده وتزول تلك الهيمنة والسلطنة والجبروت.

وستسقط أمريكا أيضًا لأنها ظالمة معتدية باغية وعلى الباغي تدور الدوائر، فظلمها يجرها إلى حتفها ويعرضها لعقوبة الله ومكره، والله يمهل ولا يهمل، وإن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

فسقوط أمريكا أمر متقرر عند من عرف سنن الله في الكون، فكيف إذا انضم إلى ذلك وعد الله سبحانه الذي لا يخلف الميعاد؟!

إن من له أدنى ثقافة شرعية ليتذكر بيسر وعد الله لعباده المؤمنين بظهور المسلمين وأن المستقبل لهذا الدين، يتذكر أن الله ضمن العاقبة للمتقين، وأن هذا الدين سيبلغ ما بلغ الليل والنهار، وغير ذلك من البشائر التي لا يعلم متى تقع إلا الله، وهل ستعقب سقوط أمريكا مباشرة أم لا؟ وهل سيأتي بعد أمريكا من يصنع صنعها ويحذو حذوها في أذية المسلمين؟ كل ذلك من علم الغيب، ولكن المهم أن تلك البشائر حق على حقيقته، وأنها مستلزمة للبشارة بسقوط أمريكا وحلفاء أمريكا وأذناب أمريكا من الطواغيت المرتدي، وهي كذلك مستلزمة لسقوط كل دولة تحاكي أمريكا في عداوة أهل التوحيد ومضادة المجاهدين ومحاربتهم..

فلماذا إذن يتضايق بعض الجهلاء من الحديث عن سقوط أمريكا، هل هو هزيمة نفسية؟ أظن هذا جزءًا من السبب، فإني لم أسمع كلمة قيلت في عصرنا هذا تمثل هزيمتنا النفسية مثل هذه الكلمة.

أم هو محاولة لتثبيط العزائم عن مدافعة أمريكا وقتالها؟ الحقيقة أن هذا السبب في نظري هو أبرز الأسباب التي تشجع أولئك المخذلين لإطلاق مثل تلك العبارات الهزيلة المشبعة بروح الهزيمة والانكسار، فإن أمريكا قد بلغت في نفوسهم مبلغاً عظيماً، وبهرتهم ببهرجها وهيلمانها، فنسوا عظمة الله وقدرته، وظنوا أن لا غالب لها من الناس اليوم.

بل تعاموا عن واقعهم المحسوس القريب الذي أثبت للمتشككين المترددين أن العزيمة والإصرار والصبر مع التوكل على الله والنية الحسنة مع عدم التقصير في الأخذ بالأسباب المادية المتوفرة يعني تحقق النصر المبين والفوز الكبير في الدنيا والآخرة، نعم ربما يتأخر هذا النصر لكنه آت.. وكل آت قريب.

والأهم منه النصر الأكبر على نفوسنا حين ألزمناها درب الجهاد مع مشقته وطوله وتأخر النصر فيه، إنه النصر المعنوي الذي يدندن حوله الدعاة كثيراً لكنه نصر حقيقي ليس بزائف، هو معنوي لكنه لا يعني الرقود، ومعنوي لا يعني ترك الجهاد بل يعني في أبرز صور أحقيته؛

الثبات على درب الجهاد مع تيقن تأخر النصر واستبطائه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

والشاهد أن سُنن الكون ووعد الخالق ومعطيات الواقع تجتمع كلها لتعطينا طمأنينة وثقة بسقوط أمريكا وهزيمتها، طال الزمن أو قصر، فلماذا ننكص عن قتال أمريكا؟ ولماذا نخاف؟ ولماذا نجبن؟ لماذا نحرم الناس من المشاركة في عبادة الله سبحانه بجهاد أمريكا؟ ولماذا نخذلهم ونثبطهم عن ذلك؟

هب أن أمريكا ليست آخر الأعداء وأن سقوطها يعني ظهور عدو جديد يحل محلها في عداوة المسلمين، هل يعني ذلك الاستسلام؟ أم أننا وصلنا في الذل إلى درجة تجعلنا نرضى باستعباد أمريكا خوفًا من استعباد غيرها؟

هل انعدمت الخيارات إلا هذه؟

وهل انحصر تفكيرنا في أي الأعداء أرحم أمريكا أم من بعدها؟

هذا والله الذل الذي ألبسنا الله إياه لما تركنا الجهاد، وإلا فإن الرجل الحر الكافر لا يفكر بهذه الطريقة ولا يرضاها لنفسه بل يقول:

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

فكيف بالرجل المسلم الذي يرجو الله والدار الآخرة؟!

الرجل المسلم الذي يعلم ما أعد الله للشهداء والمجاهدين في سبيله؟!

إن التفكير السليم واليقين التام بوعد الله ونصره والإيمان بأمر الشارع والخضوع له؛ يدفعنا دفعاً لجهاد أمريكا، ومن بعد أمريكا، ومن بعد من بعدها.. حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

هب أننا تركنا جهاد أمريكا والجهاد بعامة والتفتنا لإصلاح دنيانا أو للتربية والدعوة هل سيتركنا عدونا؟ هل سنتمكن من الاستمرار في طريق الدعوة والتربية وعدونا لا يسمح لنا بعيش كريم، فكيف يسمح لنا بحياة يحكمها الدين؟ أي تفكير يقودنا لمثل هذه النتائج؟ وأي عقول تقبل مثل هذه التفاهات؟

إن عزتنا وكرامتنا ورضا الله عنا لا يكون إلا بالرجوع إلى الله سبحانه، والتوبة إليه من الذنوب، وتغيير ما بأنفسنا وتحريرها من حب الدنيا وكراهية الموت، وإلزامها بما تكره من محاب الله، وأول ذلك تحقيق التوحيد وإخلاص العبادة والكفر بالطواغيت والبراءة منهم ومن المشركين، ورفع راية الجهاد في سبيل الله إعلاء لكلمته ونصرة للمستضعفين من المسلمين؛ وحينها تنهزم أمامنا أمريكا وكل من يحاول أن يقلدها.

وسيقول السفهاء من الناس هذه أحلام خيالية غير واقعية؛ فليقولوا ما شاؤوا، فالأمجاد لا يصنعها الواقعيون الذين انحطت هممهم، والمبدعون دائمًا هم أصحاب الطموحات العالية، والناجحون هم الذين يحولون الصعاب إلى دائرة الممكن الواقع، أما الواقعيون فلا يضيفون شيئًا إلى هذا الواقع، بل هم رهن تقلباته وقيد تصرفاته.. هذا كله في عالم الحس والمادة، فكيف إذا كنا مع ذلك نؤمن أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن وعده حق، فهو سبحانه لا يخلف الميعاد!

اللهم عجل بسقوط أمريكا.. وحلفاء أمريكا.. وعبيد أمريكا.. وعبيد عبيدها.. وعبيد عبيد العبيد!!!

الصوتيات المفرغة

بسم الله الرحمن الرحيم

جنسية آل سعود تحت قدمي [١]

الحمد لله الكبير المتعال، الواحد القهار، والعزيز الجبار ذي العز والجلال، غافر الذنب وقابل التوبة شديد العقاب ذي الطور لا إله إلا هو إليه المصير، والصلاة والسلام على من علمنا العز والإباء، ومناجزة الأعداء، والسير في درب الشرفاء، وعدم الخنوع للكافرين الأذلاء؛ محمد بن عبد الله إمام الأتقياء والأنقياء الحنفاء، ورضي الله عن الصحابة الأقوياء، الذين تبرؤوا من كل من خالف الحنيّفية السمحاء، ولو كان من أقرب الأقرباء، فانطلقوا مهاجرين راكبين المخاطر في البحر والصحراء، وقدموا برهانًا لذلك الأشلاء والدماء، وفتحوا الأمصار تلو الأمصار تعبيدًا للناس لرب الأرض والسماء.. أما بعد:

فإني أنا المعتز بالله؛ فارس بن أحمد أبن جمعان بن علي آل شويل الحسني الزهراني الأزدي؛ أعلنها أمام العالم أجمع أن جنسية آل سعود موضوعةٌ تحت قدمي؛ فلست بسعودي ولا أعترف بهذه الجنسية لأحد من الناس، فأنا مسلمٌ من المسلمين.

قرأت التاريخ فلم أجد فيه شيء اسمه جنسية، بل كان المسلم يتحرك في دار الإسلام حيث شاء؛ لاحدود تحده، ولا جوازات تستوقفه، ولا وطن طاغوتي يعبده من دون الله.

وأنا من آباء معروفين، وأسرة معروفة، وهي من القبائل العربية المعروفة من بني حسن إحدى قبائل زهران، وقبيلة زهران تعود للأزد؛ فلست من آل سعود، ولا يحق لآل سعود أن ينسبوا الناس إليهم، والعالم أجمع يشهد أن كل الناس يعودون لبلادهم وأمصارهم، أو قبائلهم وعشائرهم، أو أسرهم، إلا في هذه الدولة المسماة بالسعودية ينسبون الناس فيها لهذه الأسرة

---

[١] أصل هذه المادة بيان صوتي نشره موقع صوت الجهاد في ربيع الأول ١٤٢٥هـ.

الحاكمة الظالمة الغاشمة، وكما قال الله: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[الزخرف: ٥٤].

وأنا أدعو الناس في جزيرة العرب إلى عدم الرضا باستخفاف هذه الأسرة الحاكمة بهم، وإلى تذكر ماضيهم العظيم، وأن يقوموا قومة رجل واحد على هؤلاء الطواغيت الذين أهانوهم وأذلوهم وشوهوا صورتهم أمام الناس.

تُعَيِّرُنا أَنّا قَليلٌ عَديدُنا ... فَقُلتُ لَها إِنَّ الكِرامَ قَليل
وما قَلَّ مَن كانَت بَقاياهُ مِثلَنا ... شَبابٌ تَسامى لِلعُلا وَكُهولُ
وَما ضَرَّنا أَنّا قَليلٌ وَجارُنا ... عَزيزٌ وَجارُ الأَكثَرينَ ذَليلُ
وَإِنّا لَقَومٌ لا نَرى القَتلَ سُبَّةً ... إِذا ما رَأَتهُ عامِرٌ وَسَلولُ
يُقَرِّبُ حُبُّ المَوتِ آجالَنا لَنا ... وَتَكرَهُهُ آجالُهُم فَتَطولُ
تَسيلُ عَلى حَدِّ الظُباتِ نُفوسُنا ... وَلَيسَت عَلى غَيرِ الظُباتِ تَسيلُ
إِذا سَيِّدٌ مِنّا خَلا قامَ سَيِّدٌ ... قَؤُولٌ لِما قالَ الكِرامُ فَعُولُ
وَما أُخمِدَت نارٌ لَنا دونَ طارِقٍ ... وَلا ذَمَّنا في النازِلينَ نَزيلُ
وَأَيّامُنا مَشهورَةٌ في عَدُوِّنا ... لَها غُرَرٌ مَعلومَةٌ وَحُجولُ
وَأَسيافُنا في كُلِّ شَرقٍ وَمَغرِبٍ ... بِها مِن قِراعِ الدارِعينَ فُلولُ
مُعَوَّدَةٌ أَلّا تُسَلَّ نِصالُها ... فَتُغمَدَ حَتّى يُستَباحَ قَبيلُ

فيا قبائل جزيرة العرب؛ إن عزتكم لم تقم إلا بالإسلام، ولن تعود إلا بالإسلام، وها أنتم ترون الكفر البواح من هذه الدول والأنظمة التي تحكمكم؛ فمظاهرة الكافرين على المسلمين، والحكم بغير مانزل به الروح الأمين على قلب رسول الله ليكون من المرسلين، وإباحة جزيرة العرب لليهود والصليبين، ومطاردة واعتقال وقتل عباد الله المؤمنين، وتحليل ماحرم الله أمام الناس أجمعين، وتحريم ما أحل الله للمسلمين: كل ذلك واضح جلي أمام الأعمى والبصير، الصغير والكبير، فلا الدين أبقاه لكم الطواغيت، بل هم يحاربوننا من أجل ديننا، ولا هم حفظوها لكم، بل هم أكبر لصوص عرفهم التاريخ، نهبوا خيرات البلاد وثرواتها، وحطموا

معاش البلاد واقتصادها، وأفسدوا أخلاق الناس وآدابها، وغير ذلك من المصائب التي قاموا بها..

فإلى متى الخوف يا أسود الجزيرة؟ وإلى متى الخنوع يا أبطال الإسلام؟ وإلى متى المهانة يا أحفاد الصحابة من المهاجرين والأنصار؟

وأما أنتم يا آل سعود؛ فأقول لكم:

لا تطمعوا أنْ تُهينُونا ونُكرمَكم ... وأنْ نكفَّ الأذى عنكم وتُؤذُونَا
الله يعلمُ أنَّا لا نُحبكمُ ... ولا نلومكُم إنْ لم تُحبُّونَا
كُلٌّ لَهُ نِيَّةٌ في بُغضِ صاحِبِهِ ... في الله نبغضُكم دوماً وتَقلُونا

والله المستعان وعليه التكلان، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ألقاه: فارس أبن أحمد آل شويل الزهراني
مساء يوم الثلاثاء،
الثالث من جمادى الآخرة، من عام ١٤٢٥ هـ.

وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

نصيحة إلى العساكر

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما أُختلف فيه من الحق بإذنه، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم. وبعد:

إن لعساكر الإيمان وجند الرحمن صفات تميزهم، وخصائص تخصهم؛ وهم الذين يُقاتلون في سبيل الله، ولأجل إعلاء كلمة الله، ولتكون كلمة الذين كفروا السفلى، وهم الذين يُقاتلون للدفاع عن أعراض المسلمين، وعن حرمات المسلمين، وعن أموال المسلمين، وهم الذين يملئون ثغور المسلمين حماية لدار الإسلام ودولة الإسلام، فهم جند التوحيد وعساكر الإيمان، امتدحهم الله بقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فولاؤهم لله ولرسوله وللمؤمنين، وبراؤهم من كل عدو لله ولرسوله والمؤمنين.

وهم الذين لا يتخذون الكافرين أولياء، حتى ولو كان أقرب قريب ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾ فهم حزب الله المفلحون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ۝ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَاتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

وهم الذين يُخاطبهم الله بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾.

وهم الذين يُقاتلون الكافرين الأقرب فالأقرب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنْ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾؛ فيُقاتلون المرتدين والطوائف الممتنعة في بلادنا، ويُقاتلون اليهود والصليبيين ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

وهم الذين يسعون لفكاك أسرى المسلمين من أيدي الصليبيين والمرتدين والطواغيت أجمعين، ويجعلون حديث رسول الله ﷺ نصب أعينهم: ((فكوا العاني)).

وهم الذين يغضبون لحدود الله ولشريعة الله ولرسول الله ﷺ.

أما عساكر الطاغوت والطغيان، وجند الشيطان، فهم على الضد من ذلك..

وجنودنا من قد تقدمَ ذكرهم وجنودكم فعساكرُ الشيطانِ

لا يُقاتلون في سبيل الله، وإنما في سبيل الطاغوت، فهم عيون الطاغوت الساهرة، وجند الطاغوت الحارسة، يغضبون لغضبه، ويفرحون لفرحه، ويسهرون لحمايته، ويُدافعون عنه.

وهم الذين سماهم الله في كتابه بقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾؛ أي طاغوت كان، سواء كان الطاغوت صنماً من حجر، أو شجر، أو قبر، أو ملك، أو حاكم، أو قانون، فهو طاغوت، والذي يُقاتل حماية له ودفاعاً عنه، فهو من الذين يُقاتلون في سبيل الطاغوت، وكل قتال لإعلاء كلمة الكفر، فهو كفر برب الأرض والسماء، من أي شخص كان، ومن أي قُطر كان، ومن أي قبيلة كانت، ومن بطّأ به عمله لم يُسرع به نسبه ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

فجند الطاغوت هم الذين يحمون اليهود والصليبيين من غارات المجاهدين، وهم الذين يُزج بهم في مقدمة الصفوف لكي يكونوا درعاً واقياً لليهود والصليبيين، وجند الطاغوت والطغيان هم الذين يُطاردون المسلمين ويأسرونهم ويُعذبونهم، وهم الذين ينتهكون الحرمات والأعراض، وينهبون الأموال والخيرات، وهم الذين يهدمون المساجد على أهلها، ويُعطلونها من ذكر الله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وجند الطاغوت هم الذين يُعطلون الجهاد، ولا يفرضون الجزية على الكافرين، وهم الذين يمتنعون عن شريعة الله كلياً أو جزئياً.

وأتوجه بالسؤال لعساكر الحكومات المعاصرة، وأخص عساكر ملوك الطوائف في جزيرة العرب، دول الخليج ودولة اليمن: من أي الفريقين أنتم؟

إن كنتم لا تعرفون فها أنا آتيكم بالخبر اليقين، وإني لكم ناصح أمين:

يا أيـهـا الـرجـلُ المـريـدُ نجـاتـهُ اسمـع مـقـالـةَ ناصـــحٍ مـعـوانِ

إن طواغيت الحكم الجاثمين على صدر الأمة في جزيرة العرب هم كفرة مرتدون؛ كفرة لأنهم لا يحكمون بما أنزل الله، وكفرة لأنهم يحتكمون إلى شرائع الكفر الطاغوتية والقوانين الوضعية، من دون شرع الله، وكفرة لأنهم هم أنفسهم يُشرّعون التشريع المضاهي لشرع الله تعالى، وكفرة لأنهم ينسبون لأنفسهم كثيراً من خصائص وصفات الإلهية، وكفرة لأنهم حللوا الحرام وحرموا الحلال، وكفرة لأنهم يُحاربون الله ورسوله والمؤمنين، وكفرة لأنهم يصدون الناس عن دين الله تعالى، وعن التوحيد والإيمان، وكفرة لأنهم يكرهون ما أنزل الله، وكفرة لأنهم يسخرون من دين الله ومن أوليائه، وكفرة لأنهم يُباركون الشرك الأكبر ويُقرونه ولا يُغيرونه ولا يسمحون بتغييره، وأقرب مثال على ذلك ما حدث في المدينة النبوية من قِبَل الروافض الأنجاس، وكفرة لأنهم موالون لأعداء الأمة من اليهود والصليبيين والمرتدين، فهم لأجل هذا كفار مرتدون، لا يشك في كفرهم إلا كل من أعمى الله بصره وبصيرته.

فإن جادلتم أو خالفتم على خصلة من هذه الخصال الكفرية، فإنه لا يمكن أن يحصل خلاف على مجموع هذه النواقض للإيمان، وتبرئة الطواغيت منها؛ ولذا يجب جهادهم وقتالهم وفضحهم والتبرؤ منهم.

قال ابن حجر رحمه الله: (إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها) أهـ.

وقال النووي رحمه الله: (قال القاضي عياض: أجمع العلماء على أن الإمامة لا تُعقد لكافر، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل.

وقال: وكذا لو ترك إقامة الصلاة والدعاء إليها) أهـ.

فلا ترضــوا بســلطانٍ لدينِ الله قد خانا ولم يحكم بتنزيــلٍ بــهِ الرحمنُ أحيــانا
رســـولُ اللهِ أعطـانا دروسُ العزِ إيمـانا من الكفار كم عانى فلم يضعف ولا لانا
وللإيمانِ أنصـــارٌ وقد عـانوا كمـا عـانى على الأخشابِ قد حُملوا وما ذلوا لأعدانا
ونحنُ اليومَ لا نرضى بغيرِ الدينِ ميزانا نُطيعُ اللهَ لا نعصي وإن نُقتل فبشرانا
فعهدُ الكفرِ قد ولّى ويومُ النصرِ قد حانا

إن المسلمين لم يروا فيكم صفة من صفات عساكر الإيمان وجند الرحمن، فأنتم لم تُوجهوا طلقة واحدة في نحر صليبي واحد، بل وضعتم صدوركم دون صدور اليهود والصليبيين والحكام المرتدين، فأين جيوشكم الجرارة، وأين طائراتكم النفاثة، وأين صواريخكم العابرة من اليهود في فلسطين؟! والصليبيين في العراق وأفغانستان؟! بل ومن الصليبيين في جزيرة العرب؟! ألم تُرسلكم حكوماتكم الكافرة ضمن قوات درع الجزيرة لتكونوا درعاً للأمريكان والبريطانيين وغيرهم من الصليبيين؟! ألم تكونوا أكبر داعمٍ وناصرٍ وحامٍ للأمريكان في حربهم على أفغانستان والعراق؟! بل وصل بكم الأمر إلى أن تُطاردوا وتقتلوا وتأسروا كل من يريد قتال وحرب الأمريكان والصليبيين!

أين أنتم من المستضعفين من المسلمين في العراق وأفغانستان وفلسطين والشيشان؟! ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً﴾.

أليس المسلون أمة واحدة ويداً واحدة، يسعى بذمتهم أدناهم؟ أليسوا كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى؟ فأين أنتم من ذلك؟!

ألم تصدوا الناس عن الجهاد؟ ألم تعتقلوا العلماء والمجاهدين والدعاة وتسومونهم سوء العذاب؟

لماذا تُعذبون عشرات الملايين من المسلمين في جزيرة العرب وغيرها من أجل بضع مئات من هذه الأُسر الحاكمة من ملوك الطوائف -والذين تجاوزوا ما فعله ملوك الطوائف السابقين بالأندلس-؟!

هل أنتم تُقاتلون في سبيل الله أم في سبيل هذه الأُسر الحاكمة التي أباحت جزيرة العرب للصليبيين؟!

لماذا تُدخلون الأمريكان والصليبيين إلى جزيرة العرب، وأنتم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال قبل موته: ((أخرجوا المشركين من جزيرة العرب))؟!

إنكم تعلمون كل ذلك، وأنتم أدرى الناس بفساد هؤلاء الحكام وعمالتهم، وأنتم أخبر الناس باستخدام الأمريكان للقواعد العسكرية في بلادكم لدك المسلمين في كل مكان، وأنتم أخبر الناس وأعرفهم بما يجري في السجون على أيديكم وأيدي غيركم، من تعذيب وتنكيل بعلماء وشباب المسلمين، كل ذلك من أجل أنهم يقولون ربنا الله، ويُجاهدون في سبيل الله!

قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في بيان حكم التعاون مع الإنجليز والفرنسيين أثناء عدوانهم على المسلمين: (أما التعاون مع الإنجليز بأي نوع من أنواع التعاون قل أو كثر؛ فهو الردة الجامحة والكفر الصُراح، لا يُقبل فيه اعتذار، ولا ينفع معه تأول، ولا يُنجي من حكمه عصبية حمقاء، ولا سياسة خرقاء، ولا مجاملة هي النفاق، سواء أتانا ذلك من أفراد أو حكومات أو زعماء، كلهم في الكفر والردة سواء...).

إلى أن قال: (ألا فليعلم كل مسلم في أي بقعة من بقاع الأرض، أنه إذا تعاون مع أعداء الإسلام، مستعبدي المسلمين من الإنجليز والفرنسيين وأحلافهم وأشباههم، بأي نوع من أنواع التعاون؛ أنه إن فعل شيء من ذلك، ثم صلى فصلاته باطلة، أو تطهر بوضوء أو غسل أو تيمم فطهوره باطل، أو صام فرضاً أو نفلاً فصومه باطل، أو حج فحجه باطل،

أو أدى زكاة مفروضة أو أخرج صدقة تطوعاً فزكاته باطلة مردودة عليه، أو تعبد لربه بأي عبادة فعبادته باطلة مردودة عليه، ليس له في شيء من ذلك أجر، بل عليه فيه الإثم والوزر.

ألا فليعلم كل مسلم أنه إذا ركب هذا المركب الدنيء؛ حبط عمله من كل عبادة تعبد بها لربه قبل أن يرتكس في حمأة هذه الردة التي رضي لنفسه، ومعاذ الله أن يرضى بها مسلم حقيق بهذا الوصف العظيم، يؤمن بالله وبرسوله، ذلك بأن الإيمان شرط في صحة كل عبادة وفي قبولها، فما هو بديهي معلوم من الدين بالضرورة لا يُخالف فيه أحد من المسلمين) أهـ.

فـابرأ من الطـاغوتِ وابغض أهلـهُ ... واكـفـر بشـــرعِ الـزورِ والـبـهـتـانِ
لا بـد مـن تحـقـيـق هـذا أولاً ... قـبـلَ الصـــلاةِ وتـلـكـمَ الأركـانِ
لا يـقـبـلُ الـديانُ أعـمـالاً لـنـا ... إلا بـتـوحـيـدٍ عـظـيـمِ الشـــانِ
ولـذاكَ يومُ الحشـــرِ يومُ نـدامـةٍ ... عـنـدَ الـطـغـاةِ كـذاكَ والأعـوانِ
عنـدَ الإلـهِ هنـاكَ يلعنُ بعضـــهم ... بـعضـــاً ويـبرأ واحـدٌ مـن ثانِ
لـتـفـارقَ الـطـاغـوتَ تحـقـيـقـاً لمـا ... قـد ضـــاعَ منكَ لصـــحـةِ الإيمانِ
فـاســـعى لـذاكَ الآن قبـلَ فواتـهِ ... واكـفـر بشـــرعِ الكـفـرِ والـطـغـيـانِ
والحق بجنـدِ الحقِ وانصـــر أهلـهُ ... واســـعـى لـرفـعـةِ رايـةِ الإيمـانِ
واعـلـم بأنَ الحـقَ ســـيـلٌ عـارمٌ ... لا يـوقـفـن مـيـاهـهُ الـثـقـلانِ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (من حالف شخصاً على أن يوالي من والاه، ويُعادي من عاداه؛ كان من جنس التتر المجاهدين في سبيل الشيطان، ومثل هذا ليس من المجاهدين في سبيل الله تعالى، ولا من جند المسلمين، ولا يجوز أن يكون هؤلاء من عسكر المسلمين، بل هؤلاء من عسكر الشيطان) أهـ.

أليس هذا هو حالكم؟ حيث توالون وتُعادون في أشخاص الطواغيت الحكام، تُوالون من والوهم، وتُعادون من عادوهم، بغض النظر عن شرعية تلك الموالاة أو المعاداة، تُنتهك

حرمات الأمة، ويُعتدى على مقدساتها، ويُقتل الأطفال والنساء، ويُشتم الله ورسوله، فكل هذا وغيره لا يستدعي موقفاً منكم ولا من حكامكم!

ومع كل ما سبق؛ فأنتم من ضيق على المسلمين بفرض قوانين الطواغيت على المسلمين المستضعفين، وأنتم من يأخذ المكوس والضرائب من المسلمين لكي تذهب إلى جيوب الأمراء الكفرة، المتسلطين على خيراتنا وأموالنا.

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا يدخل الجنة صاحب مكس)) [رواه أبو داوود وأحمد وغيرهما وصححه ابن خزيمة والحاكم]، والمكس: الضريبة التي يأخذها الماكس، وهو العشّار -كما في النهاية لابن الأثير -.

وأنتم من يحمي صروح الربا والغنا والخنى والفساد في البلاد، وأنتم من يُطارد المسلمين الذين يفرون بدينهم من بلادهم إلى أرض الحرمين إلى مكة والمدينة، وتسومونهم سوء العذاب، ثم تقومون بترحيلهم إلى الطواغيت المتسلطين عليهم في بلادهم.

أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس... الحديث)).

وأخرج أحمد والنسائي والترمذي عن سعد رضي الله عنه قال: (خرج إلينا رسول الله ﷺ ونحن تسعة، خمسة وأربعة، أحد العددين من العرب والآخر من العجم، فقال: اسمعوا! هل سمعتم؟ أنه ستكون بعدي أمراء من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس يرد عليّ الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد عليّ الحوض).

وهذا في تصديق ومعاونة الأمراء الظلمة من المسلمين، فكيف بمعاونة الحكام الكفرة الفجرة الظلمة؟!

إنكم تغدون في غضب الله، وتروحون في سخط الله، فقد قال رسول الله ﷺ: ((سيكون في آخر الزمان شرطة يغدون في غضب الله ويروحون في سخط الله)) [أخرجه الطبراني والحاكم، وهو حديث صحيح].

وأنتم أيضاً واقعون في منكرات عظيمة أخرى، وكبائر عظمى، تتشبهون بالكافرين، وتتحاكمون إلى المحاكم العسكرية الوضعية.

يا ناصرَ القانونِ والطغيانِ ... يا حامياً للشركِ والعصيانِ
يا أيها الجنديُ يا سلمَ العدا ... يا حربَ طاغوتٍ على الإيمانِ
يا أيها الشرطيُ اسمع قولتي ... إن كنتَ ترجو الفوزَ والإحسانِ
يا أيها السجانُ عند طغاتهم ... يا حارساً لشريعةِ الطغيانِ
يا من تشدُ القيدَ في زندِ الهدى ... وتريدُ نصرَ شريعةِ القرآنِ
يا أيها الأمنُ الوقائيُ الذي ... يحمي الطغاةَ وينصرُ الأوثانِ
يا من تعينُ مخابراتِ طغاتهم ... يا ماكراً في إخوةِ الإيمانِ
يا من ترومُ حمايةَ الدينِ الذي ... هو لا أشكُ زبالةَ الأذهانِ
يا أمنِ دستورُ الطغاةِ وإفكهم ... يا خاذلاً لشريعةِ القرآنِ
لو كنتَ يا هذا لبيباً عاقلاً ... ما بعتَ دينكَ أرخصَ الأثمانِ
أتبيعُ دينَ الربِ في عليائهِ ... بنخالةِ الأفكارِ والأذهانِ
أتبيعُ تشريعَ الإلهِ وحكمهُ ... بزبالةِ الطاغوتِ والصلبانِ

ثم اعلموا أنه لن ينفعكم اعتذاركم بالجهل أمام الله، ولن ينفعكم علماء السلطان ولا غيرهم، يوم تقفون بين يدي الله، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ۝ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ۝ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنْ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾. وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنْ الْهُدَى

بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَامُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

ولن ينفعكم اعتذاركم بتقليدكم للآباء والأجداد، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ۝ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ۝ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ۝ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ۝ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۝ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

ولن ينفعكم اعتذاركم بالرواتب وغيرها، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ۝ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

إلى متى وهذه الحكومات تُخادعكم وتضحك عليكم بأنكم "مجاهدون"! وإذا قُتلتم تُخبركم بأنكم "شهداء"!، فإن كنتم شهداء لماذا يُغسلونكم ويُكفنونكم ويُصلون عليكم، فالشهداء لا يُغسلون ولا يُكفنون ولا يُصلى عليهم، بل يُدفنون بملابسهم التي قُتلوا فيها.

كان اللقاءُ فكنتَ أولَ واجبٍ ... ودُعيتَ في الدنيا شهيدَ الواجبِ
وخسرت دنياك التي من أجلها ... أنفقتَ دينكَ في سبيل الرّاتبِ
ومضيت في مرضاة طاغوتٍ يرى ... إزهاق نفسك فيه بعضَ الواجبِ
ما أنت إلا النعل أهون مركبٍ ... فإذا تلفت رمتكَ رجلُ الراكبِ
ما ضرَّهُ نعلٌ بنعلٍ تُشترى ... والفأرَ يُبدله بفأرِ تجارِبِ
هل صيغَ قوَّاتُ الطَّوارئ وحدهم ... أم كلّ مرتزقٍ بذاتِ القالبِ
بل قد رأى الجيلُ المجاهدُ مثلهم ... في كلّ شبرٍ حلَّه أو جانبِ

عـملاء أمـريـكـا هـنـالـك واسمـهـم حلف الشـــمـالِ رموهُمُ بكتـائـبِ
وحكومةُ الشـــيشـــانِ قبل الروس قد حملـت على إخواننـا يا صـــاحبي
وليـاســـرٍ في المســـلمين نكـايـةٌ شـــارونُ لم يفعـل كفعـل الخـائـبِ
ومجـاهـدو أرض الجـزيـرة واجـهـوا من دون أمـريـكـا جنود النـائـبِ

إن هذا الكلام أوجهه إليكم جميعاً في كل قطاعاتكم، فقد اشتركتم جميعاً في حربنا، واشتركتم جميعاً في نصرة الحكام والصليبيين، فأنا لكم ناصح أمين، توبوا إلى الله، وعودوا إليه فالأمر جد خطير، إسلام أو شرك، إيمان أو كفر، فإن استمريتم على ذلك فالحجة قد قامت عليكم، والدعوة قد بلغتكم، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

وقد كُتب في حكمكم وحكم عملكم العديد من المؤلفات، فاحرصوا على دينكم، وكونوا من جند الإيمان، وعساكر الرحمن، ولا تكونوا من جند الطاغوت والطغيان أتباع الشيطان.

اللهم يا حي يا قيوم، يا رب العالمين، أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه..

يا ربِ وانصـــر خـيرَ حـزبـيـنـا على حزبِ الضلالِ وعسكرِ الشيطانِ
يا ربِ واجـعـل شـــرَ حـزبـيـنـا فـدىً لخيـارهم ولعســـكرِ القرآنِ

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أهل الجنوب[1]

الخطبة الأولى:

الحمد لله، مالك الملك يؤتي ملكه من يشاء وينزع ملكه ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير إنه على كل شيء قدير، يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ويرزق من يشاء بغير حساب، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذي طورد وأوذي واختفى في الغار وقال الله عنه: ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾، ثم كانت العاقبة له صلوات الله وسلامه عليه، رضي الله عن صحابته الذين آمنوا بما جاء به، وتحملوا أعباء إقامة دولة الإسلام، فأوذوا وعذبوا وطوردوا وهاجروا، كل ذلك من أجل أنهم يقولون ربنا الله، وأقامو دين الله في أنفسهم، وامتدحهم الله بقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾. أما بعد:

إلى أهل جنوب جزيرة العرب خاصة، وإلى أهلنا في جزيرة العرب وإلى المسلمين المظلومين في البلدان عامة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

الله أكبر، الله أعز من خلقه جميعاً، الله أعز مما أخاف وأحذر، أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو، الممسك السماوات السبع أن يقعن على الأرض إلا بإذنه، من شر الطواغيت وجنودهم وأتباعهم وأشياعهم من الجن والإنس، اللهم كن لي جاراً من شرهم، جل ثناؤك، وعز جارك، وتبارك اسمك ولا إله غيرك.

---

[1] أصل هذه المادة خطبة صوتية نشرها موقع صوت الجهاد.

سكتُ فغر أعدائي السكوت وظنوني لأهلي قد نسيتُ

أقول لأهل الجنوب، كل جنوب جزيرة العرب، من الركن اليماني إلى بحر العرب، متجنباً التقسيمات الاستعمارية لبلادنا، إلى كل القبائل الأبية، إلى من رفعهم الله بالإسلام فكانوا أئمة الفاتحين، أقول لهم فخوراً بكوني منهم ومن بلادهم:

أنا ابن الذين استُرضِع الجودُ فيهمُ وقد ساد فيهم وهو كهلٌ ويافعُ
نجومٌ طوالٍ جبالٌ فوارعٌ غيوثٌ هواميعٌ سيولٌ دوافعُ
مضوا وكأنّ المكرماتِ لديهمُ لكثرةِ ما أوصوا بهن شرائعُ
فأي يدٍ في المحلِ مُدت فلم يكن لها راحةٌ من جودهم وأصابعُ
هم استودعوا المعروفَ محفوظُ مالنا فضاع وما ضاعت لدينا الودائعُ
بهاليل لو عاينتَ فيضَ أكُفِهِم لأيقنت أن الرزقَ في الأرضِ واسعُ
إذا خفقت بالبذلِ أرواح جودِهم حداها الندى واستنشقتها المدامعُ
رياحٌ كريحِ العنبرِ الغض في الندى ولكنها يومَ اللقاءِ زعازعُ
هي السمُ ما تنفكَ في كلُ بلدةٍ تسيلُ بهِ أرماحهمُ وهو ناقعُ
أصارت لهم أرضَ العدوِ قطائعاً نفوسٌ لحدِ المرهفاتِ قطائعُ
لكل فتىً ما شاب من روعِ وقعةٍ ولكنهُ قد شبن مِنهُ الوقائعُ

إلى قبائل الأزد العريقة، من قبائل جنوب جزيرة العرب، إلى كل جنوب جزيرة العرب، إليكم يا أهل الخصال الحميدة، إليكم يا من حفظتم وصية رسول الله ﷺ وعملتم بها.. عن عامر بن أبي عامر الأشعري عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ((نعم الحي الأزد والأشعرون لا يفرون في القتال ولا يغلون هم مني وأنا منهم)) [قال الترمذي حديث حسن].

وفي الأثر الموقوف عند الترمذي، عن أنس رضي الله عنه قال: ((الأزد أسد الله في الأرض، يريد الناس أن يضعوهم ويأبى الله إلا أن يرفعهم، وليأتينّ على الناس زمانٌ يقول الرجل: يا ليت أبي كان أزدياً، يا ليت أمي كانت أزدية)).

قال ابن القيم رحمه الله: في قدوم وفد الأزد على رسول الله ﷺ، عن سويد بن الحارث قال: (وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ، فلما دخلنا عليه وكلمناه، أعجبه ما رأى من سمتنا وزينا فقال: ما أنتم؟ قلنا: مؤمنون، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: ((إن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟)) قلنا: خمس عشرة خصلة: خمس منها أمرتنا بها رسلك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا أن نعمل بها، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها الآن، إلا أن تكره منها شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: ((وما الخمس التي أمرتكم بها رسلي أن تؤمنوا بها؟)) قلنا: أمرتنا أن نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله والبعث بعد الموت. قال: ((وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها؟)) قلنا: أمرتنا أن نقول لا إله إلا الله، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت الحرام من استطاع إليه سبيلا، فقال: ((وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية؟)) قالوا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والرضا بمر القضاء، والصدق في مواطن اللقاء، وترك الشماتة بالأعداء، فقال رسول الله ﷺ: ((حكماء علماء، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء))، ثم قال: ((وأنا أزيدكم خمساً فتتم لكم عشرون خصلة، إن كنتم كما تقولون فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غداً تزولون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون)). فانصرف القوم من عند رسول الله ﷺ وحفظوا وصيته وعملوا بها).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده، عن محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه قال: بينا نحن مع رسول الله ﷺ بطريق مكة إذ قال: ((يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب هم خيار من في الأرض))، فقال رجل من الأنصار: ولا نحن يا رسول الله؟ فسكت، قال: ولا نحن يا رسول الله؟ فسكت، قال: ولا نحن يارسول الله؟ فقال في الثلاثة كلمة ضعيفة: ((إلا أنتم)).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((جاء أهل اليمن، هم أرق أفئدة وأضعف قلوباً، والإيمان يمانٍ والحكمة يمانية، والسكينة في أهل الغنم، الفخر والخيلاء في الفدادين من أهل الوبر قِبل مطلع الشمس)).

وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: أشار النبي ﷺ بيده نحو اليمن فقال: ((ألا إن الإيمان ها هنا)).

وعن ابن عباس قال بينما رسول الله ﷺ في المدينة إذ قال: ((الله أكبر.. الله أكبر.. جاء نصر الله والفتح، جاء أهل اليمن))، قيل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: ((قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيمان يمانٍ والفقه يمانٍ والحكمة يمانية)) وفي لفظ: ((جاء أهل اليمن، رقيقة أفئدتهم، لينة طباعهم، سخية قلوبهم، عظيمة خشيتهم فدخلوا في دين الله أفواجا)).

قال أبو عبد الله البخاري رحمه الله: (سميت اليمن لأنها عن يمين الكعبة، والشام لأنها عن يسار الكعبة، فكل ما تيامن من الكعبة فهو يمن).

يقول القرطبي رحمه الله تعالى عن قبائل اليمن في جنوب جزيرة العرب: "﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ كان لهم بلاء في الإسلام في زمن رسول الله ﷺ، وكانت عامة فتوح العراق في زمن عمر رضي الله عنه على يدي قبائل اليمن، هذا أصح ما قيل في نزولها".

وفي مسند الإمام أحمد روي عنه ﷺ: ((إني أجد نَفَس الرحمن من جهة اليمن)). وقد أوله بعض العلماء بالفرج، يُنفس الله به وبأهل اليمن كربات أهل الإسلام.

((إني لأجد نَفَس ربكم من قِبَل اليمن)) قال القرطبي رحمه الله: (فيه تأويلان: أحدهما: أنه الفرج لتتابع إسلامهم أفواجاً، والثاني: معناه أن الله تعالى نفَّس الكرب عن نبيه ﷺ بأهل اليمن وهم الأنصار أي الذين نصروه).

وفي صحيح مسلم، حدثنا أبو الربيع الزهراني، أنبأنا حماد، حدثنا أيوب، حدثنا محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة، الإيمان يمانٍ والفقه يمانٍ والحكمة يمانية)).

وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوباً وأرق أفئدة، الإيمان يمانٍ والحكمة يمانية، رأس الكفر قِبل المشرق)).

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً، وأرق أفئدة، الفقه يمانٍ والحكمة يمانية)).

أقول لتلك القبائل التي جاء منها الطفيل بن عمر الدوسي، ناصراً لدين الله ولرسول الله ﷺ، كما في صحيح مسلم عن جابر: (أن الطفيل بن عمر الدوسي أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هل لك في حصنٍ حصين ومنعة؟ قال: ((حصن كان لدوس في الجاهلية))، فأبى ذلك النبي ﷺ للذي ذخر الله للأنصار، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمر، وقد كان الطفيل بن عمر الدوسي كما قال ابن اسحاق يحدث أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، قالوا له: إنك قدمت بلادنا وإن هذا الرجل وهو الذي بين أظهرنا، فرَّق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين المرء وابنه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وإنما نخشى عليك وعلى قومك ما قد حل علينا، فلا تكلمه ولا تسمع منه، قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله.

قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائمٌ يصلي عند الكعبة، فقمت قريباً منه فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلاماً حسناً، فقلت في نفسي: وا ثَكل أمياه، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان ما يقول حسناً قبلت، وإن كان قبيحاً تركت، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف

لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعنيه، فسمعت قولاً حسناً فأعرض علي أمرك، فعرض علي رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله، إني امرؤ مطاع في قومي، وإني راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام، فادعو الله لي أن يجعل لي آية تكون عوناً لي عليهم فيما أدعوهم إليه، فقال: ((اللهم اجعل له آية)).

قال: فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحادر وقع نور بين عيني مثل المصباح، قلت: اللهم في غير وجهي، إني أخشى أن يظنوا أنها مُثلة وقعت في وجهي لفراقي دينهم، قال: فتحول فوقع في رأس سوطي كالقنديل المعلق وأنا أنهبط إليهم من الثنية حتى جئتهم وأصبحت فيهم، فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخاً كبيراً، فقلت: إليك عني يا أبتِ، فلست مني ولست منك، قال: لم يا بني؟ قلت: قد أسلمت وتابعت دين محمد، قال: يا بني فديني دينك، قال: فقلت: اذهب فاغتسل وطهِّر ثيابك، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت، قال: فذهب فاغتسل وطهر ثيابه، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم.

ثم أتتني صاحبتي (أي زوجتي)، فقلت لها: إليك عني، فلست منك ولست مني، قالت: لم بأبي أنت وأمي؟ قلت: فرق الإسلام بيني وبينك.. أسلمتُ وتابعت دين محمد، قالت: فديني دينك، قال: قلت: فاذهبي فاغتسلي، ففعلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت، ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطؤوا علي).

جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جاء الطفيل بن عمرو إلى النبي ﷺ فقال: إن دوساً قد هلكت، عصت وأبت، فادعُ الله عليهم، فقال النبي ﷺ: ((اللهم اهدِ دوساً وائتِ بهم))، ثم قال: ((ارجع إلى قومك فادعهم إلى الله وارفق بهم))، فرجعت إليهم فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الله، ثم قدمت على رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بخيبر، فنزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس، ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين).

قال ابن إسحاق: (فلما قبض رسول الله ﷺ وارتدت العرب، خرج الطفيل مع المسلمين حتى فرغوا من طليحة، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل، فقال لأصحابه: إني قد رأيت رؤيا فاعبروها لي، رأيت أن رأسي قد حلق، وأنه قد خرج من فمي طائر، وأن امرأة لقيتني فأدخلتني في فرجها، ورأيت أن ابني يطلبني طلباً حثيثاً، ثم رأيته حُبس عني، قالوا: خيراً رأيت، قال: أما والله إني قد أولتها، قالوا: وما أولتها؟ قال: أما حلق رأسي فوضعه، وأما الطائر الذي خرج من فمي فروحي، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تحفر فأغيب فيها، وأما طلب ابني إياي وحبسه عني فأني أراه سيجاهد لأن يصيبه من الشهادة ما أصابني، فقتل الطفيل شهيداً باليمامة وجرح ابنه عمرو جرحاً شديداً، ثم قتل عام اليرموك شهيداً في زمن عمر رضي الله عنهم أجمعين).

إليكم يا من حرص أجدادكم على الدعوة إلى الله والإسلام، إليكم يا أصحاب القلوب الرحيمة، إليكم يا أهل اليُمن والإيمان.. في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: (كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادعُ الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: ((اللهم اهدِ أم أبي هريرة))، فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف، فسمعت أمي صوت خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده وسوله، قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله، أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرا، قال: قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا، قال: فقال رسول الله ﷺ: ((اللهم حبِّب عبيدك هذا (يعني أبا هريرة) وأمه إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين)). فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني).

إلى تلك القبائل التي جاءت إلى رسول الله ﷺ لكي تتعلم الإسلام والسنة.. ففي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ، فقالوا: ابعث معنا رجل يعلمنا السنة والإسلام، قال فأخذ بيدِ أبي عبيدة، فقال: ((هذا أمين هذه الأمة)).

وفي صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، ابعث إلينا رجلاً أميناً، فقال: ((لأبعثنّ إليكم رجلاً أميناً حق أمين حق أمين))، قال: فاستشرف لها الناس، قال: فبعث أبو عبيدة بن الجراح.

وفي صحيح مسلم عن أسير بن جابر أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس القرني، فقال عمر: هل ها هنا أحد من القرنيين، فجاء ذلك الرجل فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد قال: ((إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس، لا يدع باليمن غير أم له، قد كان به بياض، فدعا الله فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم)).

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن خير التابعين رجل يقال له أويس، وله والدة، وكان به بياض، فامروه فليستغفر لكم)).

وفي صحيح مسلم عن أسير بن جابر قال: (كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أوس بن عامر؟ حتى أتى على أويس، فقال: أأنت أويس بن عامر؟، قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن، قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم، قال: لك والدةٌ؟ قال: نعم، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مراد ثم من قرن، كان به برص، فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل))، فاستغفر لي فاستغفر له، فقال له عمر: أين تريد؟ قال الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحب إلي).

إليكم يا من بشركم النبي ﷺ، إليكم يا من أتيتم إلى رسول الله ﷺ لتتفقهوا في الدين وتسألوا عن الإيمان والتوحيد.. ففي صحيح البخاري عن عمران بن حصين قال: (إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم، فقال: ((اقبلوا البشرى يا بني تميم))، قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن، قال: ((اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم))، قالوا: قبلنا، جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان، قال: ((كان الله ولم يكن شيئاً قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء))، ثم آتاني رجل فقال: يا عمران، أدرك ناقتك فقد ذهبت، فانطلقتُ أطلبها فإذا السراب ينقطع دونها، وأيم الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم).

إليكم يا من خرج منكم الهداة المهتدون، يا من كسّر أجدادكم الأصنام وحرّقوها والتي كانت تعبد من دون الله.. في صحيح البخاري عن جرير البجلي رضي الله عنه قال: (قال لي رسول الله ﷺ: ((ألا ترحني من ذي الخُلَصَة))، فقلت: بلى، فانطلقت في خمسين ومائة فارسٍ من أحمُس، وكانوا أصحاب خيل، وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فضرب يده على صدري حتى رأيت أثر يده في صدري، وقال: ((اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً))، قال: فما وقعت عن فرسٍ بعد.

قال: وكان ذو الخلصة بيتاً في اليمن لخثعم وبجِيلة فيه نصب تعبد، يقال له الكعبة، قال: فأتاها فحرقها بالنار وكسرها.

قال: ولما قدم جرير اليمن وكان بها رجل يستقسم بالأزلام، فقيل له إن رسولَ رسولِ الله ﷺ ها هنا، فإن قدر عليك ضرب عنقك، قال: فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير، فقال: لتكسرنها ولتشهدن أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك، قال: فكسرها وشهد.

ثم بعث جرير رجلاً من أحمس يكنى أبا أرطأه إلى النبي ﷺ يبشره بذلك، فلما أتى النبي ﷺ قال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال: فبرّك النبي ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات).

إليكم يا من اعتصمتم بحبل الله جميعاً إليكم، يا من كان أجدادكم لا يبدؤون أحداً بظلم.. فها هم بنو الحارث حين قدموا على رسول الله ﷺ قال لهم: ((بمَ كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟)) قالوا: لم نكن نغلب أحداً، قال: ((بلى))، قالوا: كنا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحداً بظلم، قال: ((صدقتم)).

إليكم يا من قال عنكم نبي الله ﷺ كما في صحيح مسلم، عن ثوبان رضي الله عنه: ((إني لَبِعُقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن)).

إليكم يا من بشرنا رسول الله ﷺ بخروج الجيوش والجنود الناصرة لله ولرسوله من بلادكم.. فقد جاء في مسند الإمام أحمد مرفوعاً عن ابن العباس قال: قال رسول الله ﷺ: ((يخرج من عدن أبين اثنا عشر ألفاً ينصرون الله ورسوله، هم خير من بيني وبينهم)).

وعن ابن حوالة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((سيصير الأمر أن تكونوا جنوداً مجندة، جند بالشام، وجند باليمن وجند بالعراق)).

إليكم يا أصحاب القلوب الطيبة، يا من تخرج من بلادكم الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين.. ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله يبعث ريحاً من اليمن، ألين من الحرير، فلا تدع أحداً في قلبه مثقال حبة أو مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته)).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

يا أهل جنوب جزيرة العرب؛ كونوا أنصار الله، فإن كان أولئك هم آباؤكم وأجدادكم، فها هم اليوم إخوانكم وأبناؤكم المجاهدون الفاتحون الجدد يسطرون أروع الأمثلة في التضحية لهذا الدين.

إن كبروا ارتجف الرومان وارتعدت ... فرسُ الأكاسرِ وانقادت لها الأممُ
من ذا يقابلها؟ من ذا يقاتلها؟ ... من ذا ينازلُ من بالنصرِ قد وسموا؟
كم مرةٍ حفِظ التاريخُ عزتهم ... فما تحملها رَق ولا قلمُ
فالقادسيةُ واليرموكُ تسبقهم ... ومؤتةٌ وتبوك الخيرِ تقتدمُ
كم خبأت لجيوشِ الكفرِ من بطلٍ ... صلب الشكيمةِ قد هاجت بهِ الحِممُ
هذا أسامة زآر بساحتهم ... فهل تنازلُ ليث الغابةِ الرخمُ
زئيره هز أمريكا برمتها ... فأيقنت أنها حقاً ستنعدمُ

خرج منكم أسامة بن لادن، وخرج منكم أبطال غزوتي نيويورك وواشنطن، وخرج منكم من دمّر المدمرة الأمريكية، وخرج منكم أبو الوليد، وأبو علي الحارثي، وخرج منكم من لقّن الصليبين الدروس في مشارق الأرض ومغاربها..

ولئن كان آباؤكم ممن حفظ الله بهم الدين مع أبي بكر الصديق يوم الردة، فنرجو أن تكونوا مثلهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

ولئن كان أجدادكم كسروا الأصنام التي كانت تعبد من دون الله؛ فأنتم أهلٌ لأن تقتدوا بهم، وتدمروا الطواغيت الذين يحكمونكم بغير ما أنزل الله، ويعبّدون العباد لغير رب العباد من الملوك والطواغيت الذين يربضون على صدوركم.

سل الرماح العوالي عن معالينا ... واستشهد البيض هل خاب الرجا فينا
وفتيةٌ إن نَقُل أصغوا مسامعهم ... لقولنا أو دعوناهم أجابونا
قومٌ إذا استُخصموا كانوا فراعنةً ... يوماً وإن حكّموا كانوا موازينا
تدرعوا العقل جلباباً فإن حميت ... نار الوغى خِلتهم فيها مجانينا
إذا ادّعوا جاءت الدنيا مصدِّقةً ... وإن دعوا قالت الأيام آمينا

أقول لكم يا أهل جنوب جزيرة العرب: ها هي بلادكم تقع في وسط العالم، وفيها قبلة المسلمين، وفيها مكة والمدينة، وتحيط بها أهم وأغنى بحار العالم، وأهم المضايق البحرية، وفيها أكبر مخزون نفطي.. فهل ترضون أن يسيطر الصليب ووكلاؤهم على أرضكم، وينهبون أموالكم وخيراتكم ويقتلون أبناءكم؟!

إلى متى وأنتم ساكتون على هذا الظلم والقهر؟

وإلى متى وأبناءكم ونساءكم في سجون طواغيت الجزيرة وغيرها؟

وإلى متى وأشراف أمتكم وخيارهم يطاردون ويهانون؟

وإلى متى وطائرات الصليب تقلع من أرضكم لتدك إخوانكم المسلمين في أفغانستان والعراق وغيرها؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَاتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

أما علمتم أن الصليبين قد رسموا خطتهم، وجعلوا العراق هدفهم التكتيكي، وجزيرة العرب الهدف الاستراتيجي؟ ألم تعلموا بأنهم رسموا صورة لنسر يقف بمخالبه على أرض العراق، وذيله باتجاه تركيا وبلاد القوقاز، وأجنحته مفرودة باتجاه بلاد فارس وخراسان شرقاً، والشام والبحر المتوسط ومصر غرباً، وأما الرأس فهو باتجاهكم أنتم، فهل تريدون أن يصيبكم ما أصاب إخوانكم في مشارق الأرض ومغاربها بسبب سكوتكم عن هؤلاء الطواغيت المتحالفين مع الصليبيين؟

ألم تعلموا أن الصليبيين يريدون لدولة يهود الكبرى أن تتم، وأن الرافضة يحلمون ويعملون لإقامة دولتهم الكبرى، وكفرة الأكراد يريدون قيام دولتهم الكبرى، وأنتم الضحية على كل الأحوال إن لم تتداركوا أمركم وتدعموا إخوانكم المجاهدين في كل مكان؟!

ناشدتكم يا ذوي التقوى مناشدةً ... بالله بارئكم بالله ربكمُ
أترغبون بأن تؤتى محارمكم ... وأن نرى الدم في الأوطان ينسجمُ
وأن نرى الكفر يغشى الأرض أجمعَها ... ويستبيحكم الأعدا وينتقمُ
دقَّ الصليب نواقيس الحروبِ لنا ... وأجمعوا أمرهم بالكيد واجترموا
واستنفروا كل علجٍ من صليبتهم ... واستنزفوا حقدهم للدين واستهموا
وأجلبوا رَجَلهَمَ والخيل واجتهدوا ... وأوقدوا نارهم للحربِ والتحموا
إن يظهروا فيكمُ لا يرقبوا بكمُ ... إلاً ولا ذمماً لو تنفعُ الذممُ
حلت كوارثُ في الإسلامِ مؤلمةٌ ... بكى لها عرب الإسلامِ والعجمُ

أبو البقاء بكى من شأن أندلسٍ ... حتى القصيدةُ تبكي وهي تنتظمُ
من شأن طاهرةٍ للعهرِ مكرهةٍ ... تقاد قهراً ونارُ الحزنِ تضطرمُ
وحزن ثكلى على الأحبابِ سامرها ... دمعُ الليالي وفي أحشائِها حممُ
ودمع طفلٍ على الأمِ الحنونِ بكى ... يحول بينهما الطغيانُ والجُرُمُ
وجمع شملٍ على الإسلامِ ملتئمٍ ... أمسى على الكفرِ والتنصيرِ ينقسمُ
وبلدةٍ يعتلي الناقوسُ مسجدها ... وفي محاريبها الصلبان قد رسموا
فالدينُ ممتهنٌ والعرضِ منتهكٌ ... والمالُ منتهبٌ والحقُ مهتضمُ
يا مسلمين هل انساخت حميتكم ... أم حلَّكم وهنٌ أم فيكمُ صممُ
يا ويحنا أُغمِدت أسياف عِزتنا ... وسامنا الذل عُرب الكفر والعجمُ
فهل لهم من بني الإسلامِ معتصمٌ ... بالله منتصرٌ لله ينتقمُ
وهل لهم فارسٌ في الحربِ مرتعهُ ... يبلو البلاء إذا الأسيافُ تلتحمُ
أين الرجال الأُلى خاضوا صبيحتها ... يوم النزالِ إذا ما التفت اللجمُ
أين الأباةُ أباةُ الضيم من رفضوا ... حكم الطغاة وللطغيانِ قد هدموا

يا أهل جنوب جزيرة العرب، يا أهل جزيرة العرب؛ اعلموا أنكم عمق المجاهدين الاستراتيجي، فأنتم سندهم بعد الله، واعلموا أيضاً أن الحكام الطواغيت عملاء أمريكا يحاولوا أن يحدثوا بيننا وبينكم فجوة، وأن يلصقوا بنا التهم والأكاذيب، فاحذروهم ولا تصدقوهم.

يا أهل الجنوب؛ لا يغرنكم المخذّلون ممن يطعن في المجاهدين ويشكك في جهادهم، ولو كان ممن يلبس لباس العلماء، فالحق وحده هو ما كان مثلما عليه النبي ﷺ وأصحابه.

يا أهلنا في جنوب جزيرة العرب، وكل جزيرة العرب؛ احذروا سحب السلاح منكم، واعلموا أن الحكام الطواغيت عملاء أمريكا ماضون في شرائه منكم، وسن القوانين لكي تمنعكم من حيازته وحمله تحت ذريعة مكافحة الإرهاب، قال تعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ

تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾. فاحذروا ثم احذروا حتى لا تصبحوا قطيعاً من الأغنام يحركها الصليب كيف يشاء..

وهؤلاء الطواغيت:

ذلوا بأسيافنا طول الزمان، فمذ ... تحكموا أظهروا أحقادهم فينا
لم يغنهم مالنا عن نهب أنفسنا ... كأنهم في أمانٍ من تقاضينا
إنّا لقوم أبت أخلاقنا شرفاً ... أن نبتدي بالأذى من ليس يؤذينا
بيضٌ صنائعنا سودٌ وقائعنا ... خضرٌ مرابعنا حمرٌ مواضينا
لا يظهر العجز منا دون نيلِ مُنىً ... ولو رأينا المنى في أمانينا

وأخيراً:

اعلموا أن المجاهدين لا يقاتلون نيابة عنكم، وإنما هم طليعة لكم ولأمتكم، وعليكم أن تسيروا على دربهم، وتكملوا نقصهم، وتسدوا خللهم، وتدعموهم بأموالكم وأسلحتكم ورجالكم، وتؤوهم وتحموهم وتؤازروهم؛ فنصرتهم عليكم واجبة.

اللهم ربّ الأرباب، مجري السحاب، منزل الكتاب، سريع الحساب، هازم الأحزاب، اللهم اهزم أمريكا وحلفائها، اللهم اهزمهم وزلزلهم وانصرنا عليهم، اللهم اشدد وطأتك عليهم، اللهم اقذف الرعب في قلوبهم، اللهم خالف بين كلمتهم، اللهم مزق ممالكهم، وفكك تحالفهم، ودمر عروشهم وأذهب سلطانهم، وأخرجهم من بلاد المسلمين أذلة صاغرين..

اللهم يا رحمن يا رحيم، يا فتاح يا عليم، يا رزاق يا كريم، اللهم افتح للمجاهدين فتحاً عظيما، وانصرهم نصراً مؤزرا، أيدهم بتأييدك، وانصرهم بنصرك، أمددهم بمدد من عندك وجند من جندك، اللهم كن معهم ولا تكن عليهم، ارحم ضعفهم، واجبر كسرهم، وتولّ أمرهم، وقوِّ عزمهم، واجمع على الحق كلمتهم..

اللهم فك أسر المسلمين، اللهم فك أسر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، اللهم فك أسرى كوبا، اللهم فك أسرى الحاير، اللهم فك أسرى الرويس، اللهم فك أسر المأسورين في كل جزيرة العرب.

اللهم صلِّ وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

طلب مناظرة مع سفر الحوالي [١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فأنا العبد المعتز بالله؛ فارس بن أحمد آل شويل الزهراني، أؤكد طلبي مناظرة سفر الحوالي ومحسن العواجي، وذلك للرد على افتراءات محسن العواجي في برنامج (حوار مفتوح) الذي أذيع على قناة الجزيرة.

والمناظرة تكون إما بالكتابة، عبر مواقع الإنترنت الشهيرة، أو بالتسجيل الصوتي، والحجة بالحجة والدليل بالدليل؛ ليتبين المحق من المبطل.

وأول أمر أطلب المناظرة فيه هو كفر الدولة السعودية وردتها، ثم ننتقل بعد ذلك إلى قضية الجهاد عموماً، والجهاد في جزيرة العرب خصوصا، فإن كان هؤلاء دعاة حوار كما يزعمون؛ فليجمعوا أمرهم ثم ليأتوا صفاً.

وأنا لا أقبل المناظرة في سراديب الظلام والسجون، وإنما أقبلها علانية مكشوفة أمام الناس أجمعين، وليس لدي ما أخفيه ولست أخاف أحداً إلا الله سبحانه تعالى.

والله يهدي من يشاء إلى السواء السبيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

[١] أصل هذه المادة بيان صوتي نشره موقع صوت الجهاد في ربيع الأول ١٤٢٥هـ.

الرد على الدعاوى الكاذبة لسفر الحوالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ۖ وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾

والصلاة والسلام على من أشاع عنه المنافقون الشائعات، وافتروا عليه الافتراءات، فصبر على ذلك كله، وأمره الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾.

ثم أما بعد:

فإن ما تناقلته وسائل الإعلام والصحافة من أني أنا (فارس بن أحمد آل شويل الزهراني) سأسلم نفسي إلى طواغيت آل سعود؛ كذب وغير صحيح، ولم أفكر في يوم من الأيام بفضل الله أن أسلم نفسي لأي طاغوت.

بل أذكر أن طواغيت آل سعود عرضوا جوائز لحفل ما، وكانت لي جائزة من تلك الجوائز، قبل ست سنوات تقريباً، فرفضت أن أستلم تلك الجائزة، وحلفت حينها ألّا تمس يدي يد كافر طاغوت، وأسأل الله أن يثبتني على ذلك.

فكيف يقال عني: أني أريد أن أسلم نفسي لطاغوت يريد أن يبطش بي ويودعني زنازينه الظالمة، -كنايف أو محمد بن نايف أخزاهم الله وأذلهم -؟!

حكم سيوفك في رقاب العذّل ... وإذا نزلت بدار ذل فارحل
وإذا الجبان نهاك يوم كريهة ... خوفاً عليك من التحام الجحفل
فاعصِ مقالته ولا تحفل بها ... واقدم إذا حق اللقا في الأول
واختر لنفسك منزلاً تعلو به ... أو مت كريماً تحت ظل القسطل
لا تسقني ماء الحياة بذلة ... بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

وأعلنها عبر هذا البيان:

أني طلبت مرات ومرات مناظرة سفر الحوالي في كفر دولة آل سعود وحكمها بالقوانين الوضعية وموالاتها لكفار الشرق والغرب وإباحتها جزيرة العرب للصليبيين، وغير ذلك من الكفريات، فأعرض عن ذلك وأبى واستكبر.

كما أنه لا صحة لما يقوله عني؛ من تسليمي لنفسي واتصاله معي، فليس بيني وبينه أي معرفة، ولم أقابله في حياتي إلا مرة واحدة حين زار إحدى قبائل زهران قبل سجنه – أي قبل إحدى عشر سنة تقريبا –.

إلا أنه استطاع أن يخرج بعض الأسرى من سجن الرويس من أجل البحث عني والوصول إليّ بأي وسيلة ممكنة، وكان بيني وبين بعض هؤلاء الأسرى بريد سابق، فأرسل لي مقتطفات من كلام سفر الحوالي، على أنه سمع ذلك منه لا غير، ولم يكن هناك طلب صريح بالتفاوض أو التسليم.

وكان ردي على ذلك صريح وواضح منذ البداية، وقد أعلنت ذلك عبر مجلة صوت الجهاد في حينه، ورددت عليه رد الناصح الأمين، وحذرته من المجادلة عن الطواغيت والركون إليهم، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ۝ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن

كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾.

ولكنه أبى كل ذلك، وواصل الاستعطاف والمناورة، لكي يقابلني بأي وسيلة ممكنة، وكانت آخر رسالة أرسلها يخيرني بين ثلاث خيارات:

الأول: مقابلته، ثم بعد ذلك أقابل طواغيت الداخلية، كالمجرم السفاح محمد بن نايف.

الثاني: تسفيري إلى العراق، وهم يقومون بالتنسيق لذلك.

الثالث: مقابلة سفر الحوالي فقط.

ولم أرد على تلك الرسالة.

وقد أعرضت عن ذلك البريد الإلكتروني، ولم أفتحه من فترة طويلة، ولن أفتحه بإذن الله.

وأتحدى سفر الحوالي أو رسله؛ أن يصلوا إلي.

وليطمئن المحبون؛ فأنا حريص في كل تحركاتي واتصالاتي وأتخذ لذلك الاحتياطات اللازمة، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

ولئن قتلت بعد ذلك في غدوة أو روحة، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولن يمنعنا الحذر من العمل، كما قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾.

كما أوصيهم أن يحذروا من المرجفين والمخذلين..

ولم أكن أحرص أن أرد على فلان أو علان، ولكن كما قال رسول الله ﷺ: ((من يعذرني فيمن آذاني في أهل بيتي))، وسفر قد آذاني وافترى عليّ وكذب، كما آذى عباد الله المجاهدين،

والكل يرى دوره الحثيث في تسليم المجاهدين واحداً تلو الآخر، حتى إنه اعترف هو بنفسه بتسليم أكثر من مائة مجاهد.

وأقول لسفر الحوالي:

إن كنت تقول أني أفهم الأدلة، وطالب علم، فلماذا تتهرب من المناظرة بالأدلة الشرعية؟! فالحق بغيتنا، وما قدم إخواننا أرواحهم إلا في سبيل هذا الحق، ونحن على دربهم سائرون بإذن الله.

أما تراجعات السجون ومناظرات المعتقلات؛ فهذا ما لا يقره شرع ولا عقل.

وإني أقولها للجميع:

إني أدين الله بصحة الطريق وسلامة المنهج، وأن العمليات التي قامت وتقوم في جزيرة العرب هي من أعظم القربات وأوجب الواجبات، فجزيرة العرب لا بد أن تبقى خالصة للإسلام، لا يجتمع فيها دينان.

بل إن فقهاء الشافعية يا سفر قد اختلفوا -كما تعلم - في أهل الذمة، هل يمكنون من ركوب بحر القلزم -أي البحر الأحمر- أم لا يمكنون؟ فكيف وطائرات الصليب تسرح وتمرح في جزيرة العرب؟! وبوارج ومدمرات الصليبيين تتحكم في بحارنا ومضايقنا؟!

فيا عجبًا لك يا سفر..

في هذه الحرب الضروس التي نشهدها اليوم بين الإسلام والصليب في أفغانستان والعراق وجزيرة العرب، نراك تقف في صف أعداء المجاهدين وحماة الصليب من الحكام والمرتدين،

ولم نرك للمجاهدين نصرت، ولا للصليبيين جاهدت، ولا لأسرى المسلمين فككت، وإنما جل جهدك هو مطاردة المجاهدين وتسليمهم للطواغيت، كي تقر عين أمريكا وأذنابها!

ولا تخادع نفسك، ولا تخادع المسلمين، فلست من المجاهدين، ولا من أنصارهم.

ونحن هنا – في جزيرة العرب – نعلنها؛ أننا نبرأ من أفعالك وأقوالك وليس بيننا وبينك أي اتصال.

وإني أعلنها صريحة مدوية:

بأن الدولة السعودية دولة كافرة طاغوتية، يجب جهادها، وقتل طواغيتها، والكفر بهم، والبراءة منهم ومن أفعالهم، ليس لهم عهد، وليس لهم بيعة، وليس لهم ذمة، ولا يدخلهم في دائرة الإسلام فتوى من عالم سوء، أو تزكية من منافق عليم اللسان، فالحق ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

وإلى إخواني المسلمين أقول:

التحقوا بركب المجاهدين، ودافعوا عن حرمات المسلمين وأراضيهم وأموالهم، ولا يثنينكم عن الجهاد ومناصرة أهله أقوال المخذلين ولا تراجعات المنتكسين، ومن كان مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة.

كما أنبه المحبين:

أن ما ذكره محسن العواجي في برنامج حوار مفتوح على قناة الجزيرة غير صحيح وكذب صريح، والعواجي أحقر بكثير من أن أتواصل معه أو يكون بيني وبينه رسائل.

وحسبي الله عليهم أجمعين.. حسبي الله عليهم أجمعين.. حسبي الله عليهم أجمعين.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ألقاه: أبو سلمان فارس بن أحمد آل شويل الزهراني
صبيحة يوم الاثنين،
الثامن عشر من شهر جمادى الأولى من عام ١٤٢٥ هـ

المقالات والرسائل والحوارات

الألوية والرايات [١]

تعريف الألوية والرايات:

اللواء اسم لما يكون للإمام، وكان يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه ومن ثم سمي باللواء، والراية اسم لما يكون لقواد الجيوش والحروب، وهي تعقد في طرف الرمح وتترك من غير لوي لتصفقها الرياح.

يقول السرخسي رحمه الله في شرح السير الكبير: "اللواء اسم لما يكون للسلطان، والراية اسم لما يكون لكل قائد تجتمع جماعة تحت رايته"، ويقول أبو بكر ابن العربي رحمه الله: "اللواء غير الراية، فاللواء ما يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه، والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح، وقيل اللواء دون الراية، وقيل اللواء العلم الضخم، والعلم علامة لمحل الأمير يدور معه حيث دار والراية يتولاها صاحب الحرب".

ألوانها:

يستحب أن تحمل الألوية اللون الأبيض، والرايات اللون الأسود، ويجوز غيرها من الألوان، قال ابن عباس رضي الله عنه: "كانت راية رسول الله ﷺ سوداء، ولواؤه أبيض" [رواه الترمذي]، وعن جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ "دخل مكة ولواؤه أبيض" [رواه أبو داود].

يقول السرخسي رحمه الله في شرح السير الكبير: "وإنما استحب في الرايات السواد لأنه علم لأصحاب القتال، وكل قوم يقاتلون عند رايتهم، وإذا تفرقوا في حال القتال يتمكنون من الرجوع إلى رايتهم، والسواد في ضوء النهار أبين وأشهر من غيره خصوصاً في الغبار، فلهذا استحب ذلك.

---

[١] مقال في نشرة معسكر البتار العدد السادس محرم ١٤٢٥هـ.

فأما من حيث الشرع فلا بأس بأن تجعل الرايات بيضاً أو صفراً أو حمراً، وإنما يختار الأبيض في اللواء لقوله ﷺ: ((إن أحب الثياب عند الله تعالى البيض، فليلبسها أحياؤكم وكفنوا فيها موتاكم)).

واللواء لا يكون إلا واحداً في كل جيش، ورجوعهم إليه عند حاجتهم إلى رفع أمورهم إلى السلطان، فيختار الأبيض لذلك ليكون مميزاً من الرايات السود التي هي للقواد".

وقال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد: "وكانت له راية سوداء يقال لها: العقاب، وفي سنن أبي داود عن رجل من الصحابة قال: رأيت راية رسول الله ﷺ صفراء، وكانت له ألوية بيضاء، وربما جعل فجها الأسود".

الأحاديث الواردة فيها:

يقول ابن القيم رحمه الله: "وكان يرتب الجيش والمقاتلة، ويجعل في كل جنبة كفئا لها، وكان يبارز بين يديه بأمره، وكان يلبس للحرب عدته، وربما ظاهر بين درعين، وكان له الألوية والرايات.. وكان يرتب الصفوف ويعبئهم عند القتال بيده، ويقول: "تقدم يا فلان، تأخر يا فلان"، وكان يستحب للرجل منهم أن يقاتل تحت راية قومه".

أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه: باب ما قيل في لواء النبي ﷺ. "أن قيس بن سعد الأنصاري رضي الله عنه، وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ، أراد الحج فرجل".

وتحت باب "أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح" قال: "عن هشام عن أبيه قال: لما سار النبي ﷺ عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً؛ خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران، فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة، فقال أبو سفيان: ما هذه، لكأنها نيران عرفة؟ فقال بديل بن ورقاء: نيران بني عمرو، فقال أبو سفيان: عمرو أقل من ذلك، فرآهم ناس من حرس رسول الله

ﷺ فأدركوهم فأخذوهم، فأتوا بهم رسول الله ﷺ فأسلم أبو سفيان، فلما سار قال للعباس: ((احبس أبا سفيان عند خطم الجبل، حتى ينظر إلى المسلمين)). فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ، تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمرت كتيبة، قال: يا عباس، من هذه؟ قال: هذه غفار، قال: مالي ولغفار، ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك، ثم مرت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك، ومرت سليم فقال مثل ذلك، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها، قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية، فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة.. اليوم تستحل الكعبة. فقال أبو سفيان: يا عباس، حبذا يوم الدمار.

ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب، فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه، وراية النبي ﷺ مع الزبير بن العوام، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال: ((ما قال؟)) قال: كذا وكذا، فقال: ((كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، يوم تكسى فيه الكعبة)).

قال: وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون، قال عروة: وأخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال: سمعت العباس يقول للزبير بن العوام: يا أبا عبد الله، ها هنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية؟".

وأخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب -وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان- ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح له)) وفي لفظ: ((حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم)).

يقول ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد: "فدنا العدو، وانحاز المسلمون إلى مؤتة، فالتقى الناس عندها، فتعبأ المسلمون ثم اقتتلوا والراية في يد زيد بن حارثة، فلم يزل يقاتل بها حتى شاط في رماح القوم وخر صريعاً، وأخذها جعفر، فقاتل بها حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن

فرسه فعقرها ثم قاتل حتى قتل، فكان جعفر أول من عقر فرسه في الإسلام عند القتال، فقطعت يمينه، فأخذ الراية بيساره، فقطعت يساره، فاحتضن الراية حتى قتل وله ثلاث وثلاثون سنة، ثم أخذها عبد الله بن رواحة وتقدم بها وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم نزل، فأتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال: شد بها صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذها من يده، فانتهس منها نهسة، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيا، ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه وتقدم، فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني عجلان، فقال: يا معشر المسلمين؛ اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم وحاش بهم، ثم انحاز بالمسلمين وانصرف بالناس".

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي حازم قال: أخبرني سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: ((لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)).

قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: ((أين علي بن أبي طالب؟)). فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: ((فأرسلوا إليه)).

فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: ((انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم)).

وفي زاد المعاد: أن النبي ﷺ "حين انصرف من خيبر إلى وادي القرى وكان بها جماعة من اليهود، وقد انضاف إليهم جماعة من العرب، فلما نزلوا استقبلهم يهود بالرمي، وهم على غير تعبئة فعبأ رسول الله ﷺ أصحابه للقتال وصفهم، ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة

وراية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سهل بن حنيف، وراية إلى عباد بن بشر، ثم دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم وحسابهم على الله، فبرز رجل منهم فبرز إليه الزبير بن العوام فقتله، ثم برز آخر فقتله، ثم برز آخر فبرز إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله، حتى قتل منهم أحد عشر رجلا، كلما قتل منهم رجل دعا من بقي إلى الإسلام، وكانت الصلاة تحضر ذلك اليوم، فيصلي بأصحابه، ثم يعود فيدعوهم إلى الإسلام وإلى الله ورسوله، فقاتلهم حتى أمسوا، وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا ما بأيديهم، وفتحها عنوة، وغنمه الله أموالهم، وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيرا".

وفيه أيضاً: أنه حين قدم عليه ﷺ وفد صداء لما انصرف من الجعرانة؛ بعث بعوثاً وهيأ بعثاً استعمل عليه قيس بن سعد بن عبادة، وعقد له لواء أبيض ودفع إليه راية سوداء، وعسكر بناحية قناة في أربعمائة من المسلمين.

الفوائد والأحكام المستفادة:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري: "وفي هذه الأحاديث استحباب اتخاذ الألوية في الحروب، وأن اللواء يكون مع الأمير أو من يقيمه لذلك عند الحرب".

وقد تقدم حديث أنس: "أخذ الراية زيد بن حارثة فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب.." الحديث.

وقال الشافعي رحمه الله في كتاب الأم: "وجعل النبي ﷺ للمهاجرين شعاراً وللأوس شعاراً وللخزرج شعاراً، وعقد النبي ﷺ الألوية عام الفتح، فعقد للقبائل قبيلة قبيلة، حتى جعل في القبيلة ألوية كل لواء لأهله، وكل هذا ليتعارف الناس في الحرب وغيرها وتخف المؤنة عليهم باجتماعهم وعلى الوالي كذلك؛ لأن في تفريقهم إذا أريد والأمر مؤنة عليهم وعلى

واليهم، وهكذا أحب للوالي أن يضع ديوانه على القبائل، ويستظهر على من غاب عنه، ومن جهل ممن يحضره من أهل الفضل من قبائلهم".

وقال الشوكاني رحمه الله عن القتال تحت راية قومه في كتاب نيل الأوطار: "إنما كان ذلك مشروعاً لما يتكلفه الإنسان من إظهاره القوة والجلادة إذا كان بمرأى من قومه ومسمع، بخلاف ما إذا كان في غير قومه، فإنه لا يفعل كفعله بين قومه، لما جبلت عليه النفوس من محبة ظهور المحاسن بين العشيرة وكراهة ظهور المساوئ بينهم، ولهذا أفرد صلى الله عليه وآله وسلم كل قبيلة من القبائل التي غزت معه غزوة الفتح بأميرها ورايتها كما يحكي ذلك كتب الحديث والسير".

ويقول ابن القيم رحمه الله عن فقه قصة وفد صداء: "فيها استحباب عقد الألوية والرايات للجيش، واستحباب كون اللواء أبيض، وجواز كون الراية سوداء من غير كراهة".

مما تقدم يتبين لنا أهمية الرايات، وحرص النبي ﷺ عليها، بل وتضحية جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه بنفسه من أجل ألا تسقط راية الإسلام، كما مر أنه قاتل بها حتى قطعت يمينه، فأخذ الراية بيساره، فقطعت يساره، فاحتضن الراية حتى قتل، ولذا سمي جعفر الطيار، وأيضاً تنافس الصحابة أيهم يعطى الراية -يوم خيبر- دليل على أهميتها وشرفها ومنزلتها في النفوس، وإعطاء الرسول ﷺ الراية لأحد أصحابه دليل على محبة الله ورسوله له، ومحبته لله ورسوله.

والراية لها جانبان: الجانب الحسي وهو ما سبق في التعريف، والجانب المعنوي وهو المنهج الذي تحمله والهدف والغاية الذي تريد الوصول إليه من نشر للإسلام ورفع للظلم ومدافعة للكافرين الأصليين منهم والمرتدين، وهي عنوان وشارة لأي دعوة؛ فبها تتبين الدعوات، وتتمايز الصفوف.

وقد حرص الإسلام على وضوح المنهج وصفاء الراية من أي شائبة أو اعوجاج، فعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيسيرون إليكم على ثمانين غاية. قلت: وما الغاية؟ قال: الراية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا، وفسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها دمشق)) [رواه أحمد].

قال ابن حجر رحمه الله في فتح الباري: "غاية أي راية، وسميت بذلك لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف".

فالراية غاية للمتبعين، يقفون حيث وقفت، فالقتال مربوط بالراية التي يُقاتل تحتها، فهي تحدد المقصد؛ لأن السائر تحتها سيتحرك حيث تحركت، ويقف حيث وقفت، ويمتثل أوامرها بالصدور والورود، لا يتعداها ولا يخالفها في صغير ولا كبير؛ فنحن نستطيع الحكم على الراية بمعرفة الغاية، ونعرف الغاية بمعرفة الراية، لأن الراية الظاهرة هي مظهر المقصد الخفي، والغاية المعلنة باللفظ والتصريح هي التي تحدد لنا الراية التي يقاتل المرء تحتها.

فلا بد أن تكون الراية خالية من الجاهلية والعصبية، وأن تكون واضحة غير عمّية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات؛ مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية، يغضب للعصبية، أو يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية، فقتل، فَقِتْلَةٌ جاهلية)) [رواه مسلم].

والمقصود بالعمية كما قال النووي رحمه الله: "قالوا هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه، كذا قاله أحمد بن حنبل والجمهور، قال إسحاق بن راهويه، كتقاتل القوم للعصبية" أ. هـ.

يقول أبو قتادة الفلسطيني فك الله أسره في مقالات بين منهجين: "العمية من العمى، وهي الغواية والضلال، كالقتال في العصبية والأهواء، وحكى بعضهم فيها ضم العين "عُمية".

وسئل أحمد بن حنبل رحمه الله عمن قتل في عمية؟ قال: الأمر الأعمى للعصبية لا تستبين ما وجهه.

قال أبو إسحاق: إنما معنى هذا في تحارب القوم وقتل بعضهم بعضا، يقول: من قتل فيها كان هالكاً. قال أبو زيد: العمية: الدعوة العمياء فقتيلها في النار، وقيل: العمية: الفتنة، وقيل الضلالة.

فالراية العمية إذاً على معنيين:

المعنى الأول: الراية التي لا وضوح فيها فهي غير بينة ولا واضحة، وإنما انساق المرء فيها كالدابة لا يدري فيما يتقاتل الناس عليه، ولا على أي شأن يتقاتلون، ولذلك هي راية لم يستبن المرء أمرها، ولم يتحقق من أهدافها.

المعنى الثاني: الراية البينة الضلالة، التي لا تقاتل على الإسلام ولكنها تنتصر لمعاني الجاهلية، كالتعصب للقبلية أو العصبة أو الوجهة دون هدي من كتاب أو سنة، ويلتحق بهذه الراية الرايات البدعية لأنها رايات غواية وضلال ليس عليها نور الهدي النبوي، ولا الحق مسفر بوجهه علينا.

فمن قتل تحت هاتين الرايتين فهو على سبيل هلكة وفي النار، والحديث إنما هو تحذير للمسلمين أن لا يقاتلوا إلا من أجل إسلامهم ودينهم، وأن لا يفرطوا بأرواحهم في سبيل الهوى والشهوة والحزبية والعشائرية والقطرية، وليس في الحديث بيان حال من قاتل تحت راية كفرية شركية فإن من قاتل تحت راية الشرك مشرك، ومن قاتل تحت راية الكفر كافر" أ. هـ.

ولذا لا يجوز الوقوف تحت رايات وألوية وأنظمة الكفر والردة، وإن حملت اسم الله، وذلك لمعرفتنا بمنهجها وكفرها وخيانتها وعمالتها.

ويقول سيد قطب رحمه الله: "لقد ضمن الإسلام للبشرية أعلى أفق في التصور، وأقوم منهج في الحياة، فهو يدعو البشرية كلها أن تفيء إليه.

وما كان تعصباً أن يطلب الإسلام وحدة البشرية على أساسه هو لا على أي أساس آخر، وعلى منهجه هو لا على أي منهج آخر، وتحت رايته هو لا تحت أية راية أخرى؛ فالذي يدعوك إلى الوحدة في الله، والوحدة في الأرفع من التصور، والوحدة في الأفضل من النظام، ويأبى أن يشتري الوحدة بالحيدة عن منهج الله والتردي في مهاوي الجاهلية؛ ليس متعصباً أو هو متعصب، ولكن للخير والحق والصلاح والجماعة المسلمة التي تتجه إلى قبلة مميزة يجب أن تدرك معنى هذا الاتجاه.

إن القبلة ليست مجرد مكان أو جهة تتجه إليها الجماعة في الصلاة، فالمكان أو الجهة ليس سوى رمز؛ رمز للتميز والاختصاص، تميز التصور، وتميز الشخصية، وتميز الهدف، وتميز الاهتمامات وتميز الكيان.

والأمة المسلمة اليوم بين شتى التصورات الجاهلية التي تعج بها الأرض جميعاً، وبين شتى الأهداف الجاهلية التي تستهدفها الأرض جميعاً، وبين شتى الاهتمامات الجاهلية التي تشغل بال الناس جميعاً، وبين شتى الرايات الجاهلية التي ترفعها الأقوام جميعاً؛ الأمة المسلمة اليوم في حاجة إلى التميز بشخصية خاصة لا تتلبس بشخصيات الجاهلية السائدة، والتميز بتصور خاص للوجود والحياة لا يتلبس بتصورات الجاهلية السائدة، والتميز بأهداف واهتمامات تتفق مع تلك الشخصية وهذا التصور، والتميز براية خاصة تحمل اسم الله وحده، فتعرف بأنها الأمة الوسط التي أخرجها الله للناس لتحمل أمانة العقيدة وتراثها.

إن هذه العقيدة منهج حياة كامل، وهذا المنهج هو الذي يميز الأمة المستخلفة الوارثة لتراث العقيدة، الشهيدة على الناس، المكلفة بأن تقود البشرية كلها إلى الله، وتحقيق هذا المنهج في حياة الأمة المسلمة هو الذي يمنحها ذلك التميز في الشخصية والكيان، وفي الأهداف والاهتمامات، وفي الراية والعلامة، وهو الذي يمنحها مكان القيادة الذي خلقت له، وأخرجت للناس من أجله، وهي بغير هذا المنهج ضائعة في الغمار، مبهمة الملامح، مجهولة السمات مهما اتخذت لها من أزياء ودعوات وأعلام".

ويقول أيضاً: "يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته، لواء التقوى في ظل الله.. وهذا هو اللواء الذي رفعه الإسلام لينقذ البشرية من عقابيل العصبية للجنس، والعصبية للأرض، والعصبية للقبيلة، والعصبية للبيت، وكلها من الجاهلية، وإليها تتزيا بشتى الأزياء، وتسمى بشتى الأسماء، وكلها جاهلية عارية من الإسلام.

وقد حارب الإسلام هذه العصبية الجاهلية في كل صورها وأشكالها؛ ليقيم نظامه الإنساني العالمي في ظل راية واحدة، راية الله..

لا راية الوطنية ولا راية القومية ولا راية البيت ولا راية الجنس؛ فكلها رايات زائفة لا يعرفها الإسلام.

قال رسول الله ﷺ: ((كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان)).

وقال ﷺ عن العصبية الجاهلية: ((دعوها فإنها منتنة)).

وهذه هي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي".

فبايعهم على الموت [١]

في العام السادس الهجري وفي شهر ذي القعدة خرج النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم متجهين إلى مكة لأداء العمرة، وكان معه ألف وخمسمائة، كما في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه، وعنه فيهما: "كانوا ألفاً وأربعمائة"، وفيهما عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه: "كنا ألفاً وثلاثمائة"، قال قتادة: "قلت لسعيد بن المسيب: كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان؟ قال: خمس عشرة مائة. قال: قلت: فإن جابر بن عبد الله قال: كانوا أربع عشرة مائة، قال: يرحمه الله أوْهَمَ، هو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة". يقول ابن القيم رحمه الله: "وقد صح عن جابر القولان".

بعث النبي ﷺ بين يديه عيناً له من خزاعة يخبره عن قريش، حتى إذا كان قريباً من عسفان، أتاه عينه، فقال: إني تركت كعب بن لؤي قد جمعوا لك الأحابيش، وجمعوا لك جموعا، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك، واستشار النبي ﷺ أصحابه، وقال: ((أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم، فإن قعدوا، قعدوا موتورين محروبين، وإن يجيؤوا تكن عنقاً قطعها الله، أم ترون أن نؤم البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه؟)) فقال أبو بكر رضي الله عنه: الله ورسوله أعلم، إنما جئنا معتمرين، ولم نجئ لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت، قاتلناه، فقال النبي ﷺ: ((فروحوا إذاً)).

فلما اقترب من مكة وفزعت قريش لنزوله، أحب رسول الله ﷺ أن يبعث إليهم رجلاً من أصحابه، فدعا عمر بن الخطاب ليبعثه إليهم، فقال: يا رسول الله؛ ليس لي بمكة أحد من بني كعب يغضب لي إن أوذيت، فأرسل عثمان بن عفان، فإن عشيرته بها، وإنه مبلغ ما أردت، فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان، فأرسله إلى قريش، وقال: ((أخبرهم أنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عمارا، وادعهم إلى الإسلام))، وأمره أن يأتي رجالاً بمكة مؤمنين،

---

[١] مقال في مجلة صوت الجهاد العدد الثالث عشر صفر ١٤٢٥هـ.

ونساء مؤمنات، فيدخل عليهم، ويبشرهم بالفتح، ويخبرهم أن الله عز وجل مظهر دينه بمكة، حتى لا يستخفى فيها بالإيمان.

فانطلق عثمان، فمر على قريش، فقالوا: أين تريد؟ فقال: بعثني رسول الله ﷺ أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، وأخبركم أنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عمارا، فقالوا: قد سمعنا ما تقول، فانفذ لحاجتك، وقام إليه أبان بن سعيد بن العاص، فرحب به، وأسرج فرسه، فحمل عثمان على الفرس، وأجاره، وأردفه أبان حتى جاء مكة، وقال المسلمون قبل أن يرجع عثمان: خلص عثمان قبلنا إلى البيت وطاف به، فقال رسول الله ﷺ: ((ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون))، فقالوا: وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص؟ قال: ((ذاك ظني به، ألا يطوف بالكعبة حتى نطوف معه)).

واختلط المسلمون بالمشركين في أمر الصلح، فرمى رجل من أحد الفريقين رجلاً من الفريق الآخر، وكانت معركة، وتراموا بالنبل والحجارة، وصاح الفريقان كلاهما، وارتهن كل واحد من الفريقين بمن فيهم، وبلغ رسول الله ﷺ أن سفيره عثمان قد قتل، فقال: ((لا نبرح حتى نناجز القوم))، وعزم على القتال، ودعا إلى البيعة، فثار المسلمون إلى رسول الله ﷺ وهو تحت الشجرة، فبايعوه على ألا يفروا - وفي رواية على الموت [1]-، فأخذ رسول الله ﷺ بيد نفسه، وقال: ((هذه عن عثمان)).

وكان عمر آخذاً بيد رسول الله ﷺ للبيعة تحت الشجرة، فبايعه المسلمون كلهم إلا الجد بن قيس.

وكان معقل بن يسار آخذاً بغصنها يرفعه عن رسول الله ﷺ، وكان أول من بايعه أبو سنان الأسدي.

---

[1] انظر فتح الباري (٦/ ١١٧).

وبايعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات، في أول الناس، وأوسطهم، وآخرهم.

نعم، من أجل رجل واحد ثار المسلمون وتبايعوا على الموت أو على عدم الفرار، وأنزل الله فيهم آيات تتلى إلى يومنا هذا، وسميت تلك البيعة ببيعة الرضوان، وبشرهم الله بالجنة، وكانوا خير أهل الأرض كما في صحيح البخاري: ((أنتم اليوم خير أهل الأرض)).

وها نحن اليوم في جزيرة العرب يتجبر طواغيت آل سعود ويتجرأ جند الطاغوت أعوان الصليبيين على قتل القائد المجاهد خالد حاج وأخيه إبراهيم المزيني، ووالله لن تذهب دماؤهم هدرا وسنأخذ بثأرهم، وإني على يقين بأن المجاهدين قد عزموا على مناجزة القوم، وعلى عدم الفرار، بل وعلى الموت؛ عسى الله أن يرضى عنهم، والأيام حبلى، فدماء المجاهدين (خالد حاج – يوسف العييري – تركي الدندني – أحمد الدخيل... وغيرهم) لن تذهب بالمجان، بل ستبقى وقوداً للمعارك، وزاداً للطريق، ونوراً للمجاهدين، وناراً على المرتدين والصليبيين.

يقول ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد: "كان النبي ﷺ يبايع أصحابه في الحرب على ألا يفروا، وربما بايعهم على الموت، وبايعهم على الجهاد كما بايعهم على الإسلام، وبايعهم على الهجرة قبل الفتح، وبايعهم على التوحيد، والتزام طاعة الله ورسوله، وبايع نفراً من أصحابه ألا يسألوا الناس شيئا".

والبيعة على الموت من الأمور المشروعة كما مر، وقد ذكر ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (٧/ ١١ – ١٢) قصة عكرمة بن أبي جهل يوم اليرموك فقال: "قال سيف بن عمر عن أبي عثمان الغساني عن أبيه. قال: قال عكرمة بن أبي جهل يوم اليرموك: قاتلت رسول الله ﷺ في مواطن وأفر منكم اليوم؟ ثم نادى: من يبايع على الموت؟ فبايع عمه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحا، وقتل منهم خلق، منهم ضرار بن الأزور رضي الله عنهم.

وقد ذكر الواقدي وغيره أنهم لما صرعوا من الجراح استسقوا ماء، فجيء إليهم بشربة ماء، فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر، فقال: ادفعها إليه، فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر فقال: ادفعها إليه، فتدافعوها كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعاً ولم يشربها أحد منهم، رضي الله عنهم جميعا".

وقد أوردت هذه القصة لتأكيد مشروعية البيعة على الموت، فقد عقدت هذه البيعة على مرأى ومسمع أكثر من ألف من الصحابة، بينهم مائة من أهل بدر، وقائد الجيش يومئذ خالد بن الوليد، ولم ينكر أحد منهم على عكرمة بل أقروه على فعله.

يقول ابن كثير رحمه الله: "قال سيف بن عمر بإسناده عن شيوخه: إنهم قالوا كان في ذلك الجمع –جيش المسلمين باليرموك– ألف رجل من الصحابة منهم مائة من أهل بدر".

يقول سيد قطب رحمه الله: "هذا الدرس –بيعة الرضوان– كله حديث عن المؤمنين، وحديث مع المؤمنين؛ مع تلك المجموعة الفريدة السعيدة التي بايعت رسول الله ﷺ تحت الشجرة، والله حاضر البيعة –بعلمه– وشاهدها وموثقها، ويده فوق أيديهم فيها؛ تلك المجموعة التي سمعت الله تعالى يقول عنها لرسوله ﷺ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾.. وسمعت رسول الله ﷺ يقول لها: ((أنتم اليوم خير أهل الأرض))..

وإنني لأحاول اليوم من وراء ألف وأربعمائة عام أن أستشرف تلك اللحظة القدسية التي شهد فيها الوجود كله ذلك التبليغ العلوي الكريم من الله العلي العظيم إلى رسوله الأمين عن جماعة المؤمنين..

أحاول أن أستشرف صفحة الوجود في تلك اللحظة وضميره المكنون، وهو يتجاوب جميعه بالقول الإلهي الكريم، عن أولئك الرجال القائمين إذ ذاك في بقعة معينة من هذا الوجود..

وأحاول أن أستشعر بالذات شيئاً من حال أولئك السعداء الذين يسمعون بآذانهم، أنهم هم، بأشخاصهم وأعيانهم، يقول الله عنهم: لقد رضي عنهم، ويحدد المكان الذي كانوا فيه، والهيئة التي كانوا عليها حين استحقوا هذا الرضا: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾.. يسمعون هذا من نبيهم الصادق المصدوق، على لسان ربه العظيم الجليل..

يا لله! كيف تلقوا -أولئك السعداء- تلك اللحظة القدسية وذلك التبليغ الإلهي؟

التبليغ الذي يشير إلى كل أحد، في ذات نفسه، ويقول له: أنتَ أنت بذاتك يبلغك الله لقد رضي عنك، وأنت تبايع تحت الشجرة! وعلم ما في نفسك فأنزل السكينة عليك!

إن الواحد منا ليقرأ أو يسمع: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.. فيسعد. يقول في نفسه: ألست أطمع أن أكون داخلاً في هذا العموم؟

ويقرأ أو يسمع: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.. فيطمئن. يقول في نفسه: ألست أرجو أن أكون من هؤلاء الصابرين؟

وأولئك الرجال يسمعون ويبلغون.. واحداً واحداً.. أن الله يقصده بعينه وبذاته، ويبلغه: لقد رضي عنه! وعلم ما في نفسه، ورضي عما في نفسه! يا لله! إنه أمر مهول!

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾..

علم ما في قلوبهم من حمية لدينهم، لا لأنفسهم، وعلم ما في قلوبهم من الصدق في بيعتهم، وعلم ما في قلوبهم من كظم لانفعالاتهم تجاه الاستفزاز، وضبط لمشاعرهم، ليقفوا خلف كلمة رسول الله ﷺ طائعين مسلمين صابرين.

فأنزل السكينة عليهم.. بهذا التعبير الذي يرسم السكينة نازلة في هينة وهدوء ووقار، تضفي على تلك القلوب الحارة المتحمسة المتأهبة المنفعلة برداً وسلاماً وطمأنينةً وارتياحاً".

وإنني أسأل كل مسلم يقرأ هذا الكلام، فأقول:

أين نحن من الشيخ عمر عبد الرحمن في سجون أمريكا؟

وأين نحن من المجاهد رمزي يوسف، والمجاهد أبي هاجر العراقي في سجون أمريكا؟

وأين نحن من أسرانا في غوانتانامو؟

وأين نحن من علماء المسلمين المأسورين في سجون الطواغيت والمرتدين؟

وأين نحن من بقية المستضعفين من المسلمين الذين يقبعون خلف الأسوار؟

يا لله بيعةٌ على الموت وعلى عدم الفرار من أجل رجل واحد -عثمان بن عفان- من رسول الله ﷺ!! وقتلانا اليوم وأسرانا بالمئات والآلاف ولا تتحرك فينا شعرةٌ ولا نبايع لله بيعة صادقة نكفر بها خطايانا!!

أين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه؟

أين شباب الإسلام؟

أين الذين يثأرون لدينهم ولعرضهم ولإخوانهم ولأمتهم؟

حُورب ديننا، وسُبَّ ربُنا سبحانه وتعالى ونبينا ﷺ، وأُخذت ديارنا، ونحن سادرون غافلون مشغولون!! وأُخذت أموالنا ونحن لاهون!! وقُتل أبطالنا وأخيارنا ونحن ساكتون!!

فإلى متى يا أمة الإسلام؟ إلى متى؟ إلى متى؟!!.

برامج ما نريكم إلا ما يرى آل سعود
وما يهديكم آل سعود إلا سبيل الرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معز من أطاعه، ومذل من عصاه، قاهر الجبابرة، وقاصر القياصرة، وكاسر الأكاسرة، والمنتقم من الطواغيت، سنة الله ولن تجد لسنة الله تحويلاً، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، والصلاة والسلام على خير خلق الله، إمام المجاهدين، والقائل للطواغيت جئتكم بالذبح، والقائل أنا الضحوك القتَّال. وبعد:

فمن يتأمل واقعنا الحالي وما يفعله طواغيت هذا الزمن مع أهل الحق من المجاهدين يجد الظاهرة الفرعونية التي قد انغرست فيهم تظهر بجلاء في عدة جوانب سنأتي على بعضها في هذا المقال، فهم الآن قد انتفشوا وشنوا حملتهم وبدؤوا يحاربون أهل الحق تحت شعارات معينة استطاعوا أن يجيشوا لها جيوشاً من جنودهم المحضرين (السحرة، الشيوخ، الكتَّاب، الصحفيون، الإعلاميون)، وهم مع ذلك لا يستطيعون مواجهة الحق بالحجة، ولا يستطيعون مواجهته بالبرهان ولا بالحوارات التي هي على الهواء مباشرة مع من يخالفهم، وإنما يعملون الحوارات مع من يسير على ركابهم وخُطاهم في قنواتهم المتعددة التي يملكونها، مثل (غصب ١: القناة الأولى، وغصب ٢: القناة الثانية، وغصب ٣: قناة العربية، وغصب ٤: قناة المجد، وغصب ٥: قناة الإم.بي.سي.. وغيرها عشرات القنوات)، والإذاعات المسموعة، والصحف (الشرق الأوسط، عكاظ، الحياة، الوطن، الرياض، البلاد، الجزيرة...)، وغيرها من الوسائل الإعلامية الضخمة، إضافة إلى الشيوخ الذين هم بالدرزن يقفون في نفس المضمار ليؤدوا المهمة على أكمل وجه، من خلال المنابر والمحاضرات والمواعظ والأشرطة... إلخ.

أقول: إن هؤلاء جميعاً لا يستطيعون أن يحاوروا أهل الحق الحوار الصحيح الذي يُبنى على أصول شرعية وعلمية صحيحة، وهم يعلمون ذلك، ويعجزون عن الإجابة على أسئلة المجاهدين الأحرار، وهي أسئلة جوهرية طُرحت في بحوث شرعية مؤصلة منشورة في مواقعهم

على الشبكة العنكبوتية وفي غيرها، وقد سمعوا بياناتهم ونداءاتهم، ولكنهم أعجز من أن يجيبوا بصراحة وحيادية لأن مطرقة الطاغوت ستطرقهم!

ومن الأسئلة التي يتم طرحها الأسئلة التالية:

ما حكم الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله، وعطلوا العمل بالحدود والأحكام الشرعية؟!

وما حكم الحكام الذين يحتكمون إلى شرائع الكفر الطاغوتية من دون شرع الله؟!

وما حكم الحكام الذين يُشرعون التشريع المضاهي لشرع الله تعالى، وينسبون لأنفسهم كثيراً من خصائص وصفات الإلهية؟!

وما حكم الحكام الذين حللوا الحرام وحرموا الحلال؟!

وما حكم الحكام الذين يحاربون الله ورسوله والمؤمنين وبأساليب مختلفة ومتنوعة، منها ما يكون بالترغيب ومنها ما يكون بالترهيب؟!

وما حكم الحكام الذين يصدون الناس عن دين الله تعالى، وعن التوحيد الخالص ويمكرون بالليل والنهار من أجل أن يتحقق لهم ذلك؟!

وما حكم الحكام الذين يكرهون ما أنزل الله من الدين والتوحيد والجهاد؟!

وما حكم الحكام الذين يسخرون من دين الله ومن أوليائه؟!

وما حكم الحكام الذين يباركون الشرك الأكبر ويقرونه ولا يُغيرونه، ولا يسمحون بتغييره؟!

وما حكم الحكام الذين هم داخلون حتى العظم في موالاة أعداء الأمة من اليهود والنصارى وفي خدمتهم وخدمة مصالحهم والذود عنهم؟!

وهذه الأوصاف مجتمعة بأكملها في طواغيت آل سعود!!.

فهم – أي طواغيت آل سعود – يضيقون ذرعاً ممن يسألهم هذه الأسئلة الجوهرية العلمية، ويظهرون على حقيقتهم الفرعونية في صورة الطاغية، في صورة المستبد، الذين يهددون تهديداً واضحاً صريحاً: (أنكم لئن اتخذتم إلهاً غيرنا لنجعلنكم من المسجونين).

إذاً آل سعود هو الرب لهؤلاء؛ لأن الحب والبغض فيهم، والولاء لهم والبراء ممن عاداهم، والتسبيح بحمدهم في كل حين، والانقياد لأوامرهم، والسير خلفهم في حملتهم على الإسلام والمسلمين... إلخ.

فهم قد عبدوا آل سعود ربهم وإلههم، ولا يُسمح لأي إنسان أن يخالف ذلك الرأي أو أن يتخلى عنه، مهما ملك من أدلة وحجج وبحوث وأشرطة وما شابه ذلك؛ ولذلك هم يدعون المجاهدين ويدعون الصادقين من الأمة إلى التخلي عن قناعتهم، إلى التخلي عن يقينهم، إلى مخالفة أدلتهم وبراهينهم، إلى عدم الاعتقاد بأن الله هو ربنا وإلهنا، وفي المقابل الإيمان بأن إلههم وربهم هو (آل سعود)، وإن لم يصرحوا بذلك، فكلامهم ونقاشهم يدل على ذلك.

وهؤلاء الجند المحضرين (السحرة، الشيوخ، الكتَّاب، الصحفيون، الإعلاميون) يجادلون عن هؤلاء الطواغيت بكل ما أوتوا، وكما قال الله عز وجل: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾.

فمن لم يفعل ما يريدون فسوف يضعونهم في السجون، وسوف يعذبونهم وسوف يقولون؛ "لا حوار مع هؤلاء إلا بالبندقية والسيف".. هذا هو الأسلوب الذي يتقنه الفراعنة، أسلوب التهديد والوعيد، أسلوب البطش والتعذيب، البطش بالمخالف وتعذيبه ولو كان الحق معه.

وهذا هو الأسلوب نفسه الذي يتقنه الطغاة في كل زمان ومكان عندما ينهزمون في المواجهة الفكرية وفي المواجهة العلمية وتتلاشى مزاعمهم أمام الجمهور وأمام الحق الواضح، فإنهم يستخدمون سلاح البطش والعدوان والتنكيل والسجن والتعذيب، ويقولون كما قال

فرعون لموسى عليه السلام بعد أن حاوره وهزمه قال: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾.

وهذا هو المنطق الفرعوني الذي نراه الآن في البرامج الحوارية التي تُبث على مدار الساعة وهم يتحاورن مع أنفسهم لا مع الخصم، ويستطيع أي متابع لهذه البرامج أن يسميها (برامج ما نريكم إلا ما يرى آل سعود، وما يهديكم آل سعود إلا سبيل الرشاد)، فهم لا يسمحون لمن يخالفونهم الرأي بحرية التعبير أو حرية النقاش، أو أن يظهروا معهم في قنوات مستقلة على الهواء مباشرة، بل هم أعجز عن ذلك، وأنا أتحدى هؤلاء أن يخرجوا في برنامج مع الدكتور سعد الفقيه مثلاً، أو الدكتور المسعري، أو المقدسي، أو هاني السباعي، أو... أو يذهبوا للقاء أسامة بن لادن ويحاوروه ويسجلوا ذلك، لكي تتضح الحقائق إن كانوا يريدون الحق، والقائمة طويلة، لأنهم يعلمون أن عوراتهم ستنكشف ولذا يفضلون البقاء دون فضيحة!

بل لو تأملتم في حقيقتهم وفي واقعهم تجدون أنهم حتى في برامجهم الحوارية هم فيما بينهم على اختلاف تام، فالعواجي حين خرج في قناة الجزيرة انتقد المحققين والقضاة ووزير الشؤون الإسلامية والمفتي وغيرهم، وبرأ طواغيت آل سعود، وفي اليوم الثاني يخرج مجموعة مشايخ البريك وراشد الزهراني على قناة غصب ١ والعيدي والسدلان على قناة الإم. بي. سي، ليوجهوا النقد للعواجي ومن معه ومن هو على شاكلته، ويخرج الحوالي لكي يشكو من وزير الشؤون الإسلامية على منع محاضرته، وبعد أيام يخرج الوزير في قناة العربية ليكذب الخبر.. فهذا حالهم؛ اتفاق على أمر واحد فقط، وهو حرب كل من هو ضد آل سعود سواء من المجاهدين أو من أهل الإصلاح. وأما في غير ذلك فهم كالضرائر المتنافرات.

فمكان المجاهدين وأهل الإصلاح بالنسبة لهؤلاء ليس الحياة مع الناس، إنما مكانهم في أقبية السجون وظلام الزنازين، وإلا فلماذا يضعون المجاهدين والعلماء في السجون إذا أصروا على مخالفتهم؟

لماذا لا يدَعونهم يعيشون مع الناس؟

لماذا لا يدَعونهم يدعون إلى منهجهم وإلى ما عندهم من أفكار؟

ولماذا لا يجعلونهم يُسمعون الناس حججهم وبراهينهم ويسمعون أيضاً حجة الطواغيت ويناقشونها ثم يتبعون الحجة الصحيحة؟

وإذا كان هؤلاء الطواغيت على حق فلماذا يخشون المجاهدين؟

إذا كانوا متكاتفين كما يقولون (حكومة وشعباً!)، ويرددون ذلك على مسامعنا دائماً، فلماذا كل هذا الخوف من مقال يُكتب في المنتديات الحوارية أو نشرة؟

لماذا كل هذا الرعب والخوف من إذاعة بشاشة سوداء (الإصلاح)، وهم يملكون كل ذلك الكم الهائل من القنوات والصحف والمشايخ... إلخ؟

إن كانوا على حق كما يزعمون وأنهم متماسكون حكومة وشعباً!! فلماذا تهتز عروشهم حين يخرج الإمام أسامة على قناة الجزيرة؟.

إن هذه الأمور لا يقبلها الطواغيت والفراعنة في كل زمن، أي طاغية لا يقبل هذا، حتى لو زعم أنه موضوعي وواقعي، وأنه صاحب سعة صدر، وأنه يقبل المخالف، وأن أبوابه مفتوحة، وأنه ديمقراطي.. فهذه مجرد شعارات للتلميع وتحسين الصورة، وإلا فالواقع أن هؤلاء ليس لديهم إلا التهديد بالسجون.

ولكن تهديد الفراعنة في كل زمن لن يثنِ أهل الحق عن إيمانهم وعن دعوتهم وعن جهادهم، حتى وإن نكص الناكصون وارتدوا على أدبارهم، وحتى ولو ضلل الإعلامُ الجمهورَ ببعض الأكاذيب والتلبيسات، فالحق لن ينهزم، ولن تقذف كل هذه الأمور الخوف إلى قلوب أهل الحق، فهم يوقنون أن الله معهم يسمعهم ويراهم ويحفظهم وينصرهم، ولذا هم يبقون ثابتين على الحق رغم التهديد والوعيد.

أقول: إن الفراعنة لا مانع لديهم في حملاتهم الإعلامية أن يتناقضوا في تصريحاتهم لمن يخالفهم كما تناقض فرعون الأول حين قال لموسى ومن معه بعد إرساله في المدائن حاشرين: ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۝ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ۝ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾، فهم (الفراعنة) يعللون ذلك (أي تعبئتهم العامة) بأن أهل الحق هم السبب، ومع تقليل الطواغيت وتحقيرهم وتهوينهم لأهل الحق بقولهم (شرذمة، وفئة ضالة، وأفراد وعصابات، قليلون) ومعنى شرذمة أي جماعة متقطعة متشرذمة متفرقة لا أصل لها ولا وطن ولا جامع يجمعها، وأيضاً هم قلة لا يشكلون رأي الأغلبية وليس معهم من يؤيدهم، ولو كانوا على حق وصواب لما كانوا شرذمة قليلين..

أقول: بعد هذه التعبئة على أهل الحق يقع الفراعنة دائماً في التناقض الظاهر الصريح، وهو قولهم بعد ذلك بأن أهل الحق والجهاد لهم ولملائهم لغائظين ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾، والمعنى أنهم أغاظوهم جميعاً وملؤوا قلوبهم غيظاً، بسبب مخالفتهم لهم في دينهم، وخروجهم على حكمهم وقوانينهم وأنظمتهم، وتحررهم من سيطرتهم واستعبادهم.

وهذا اعتراف من الفراعنة أياً كانوا بأن أهل الحق المجاهدين خطرون ومزعجون لهم ولنظامهم ولدولتهم، ويشكلون خطراً مباشراً.

فإذا كانوا شرذمة قليلين، لا وزن لهم ولا قيمة، فكيف يكونون غائظين لدولة كبيرة؟

وكيف يكونون خطرين على دولة كبيرة؟.

ولماذا كل هذا الحذر؟

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ والمعنى نحن جميعاً حذرون منهم، حاذرون لهم، منتبهون لمشكلتهم، حريصون على التخلص منهم، مدركون لخطرهم.

وتأمل كلمة ﴿حَاذِرُونَ﴾ فهي جمعٌ مفرده (حاذر)، وهو اسم فاعل للفعل الرباعي (حاذَرَ)، وهو يدل على المبالغة في الحذر.

وهذا تناقضٌ آخر يقع فيه الفراعنة؛ فإذا كانوا شرذمة قليلين، فلماذا كل هذا الانشغال بهم والاستنفار لهم والحذر منهم؟.

إن اتهام فرعون لموسى عليه السلام ومن آمن معه بأنهم شرذمة قليلون، وتهوين شأنهم وتحقيرهم، هو نفس منطق كل الطواغيت المتجبرين، حيث يتهمون الذين يخالفونهم بأنهم شرذمة قليلون، وأنهم أقلية لا قيمة لهم ولا وزن، وأن الأغلبية معهم، وأنه على هؤلاء المخالفين (الأقلية!) أن تنحاز إليه (الأغلبية!) وأن تتخلى عن ما هي عليه!.

وقد تابعت الحوار الذي أجراه المجادل عن الطواغيت عائض القرني مع الشيخين علي الخضير وناصر الفهد، فوجدت أنه يصب في صالح هذه الحرب الإعلامية التي يشنها فراعنة العصر في حربهم على الإسلام والمسلمين وطليعتهم المجاهدين كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۝ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ۝ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾، فهم في حملتهم الإعلامية يريدون أن يؤثروا على الرأي العام، وأن يستقطبوا الناس إلى جانبهم، وأن ينفروا الناس من المجاهدين وذلك بإطلاق الأوصاف المنفرة مثل (خوارج، تكفيريين، الفئة الضالة... وشرذمة)، وأن المجاهدين يريدون استغلال الدين لمصالحهم الشخصية، وأنهم مخربون ومفسدون يريدون تخريب الوطن والقضاء على منجزات الفراعنة وملأهم الكبيرة!.

فهم (الفراعنة) تكفلوا بمواجهة الجهاد والمجاهدين، ولو بطرقهم النجسة الخسيسة، وقد حشدوا وحشروا له السحرة والجند من مختلف المدائن، وظنوا أنهم سيقضون على المجاهدين، ولكن سيأتي ميقات اليوم المحتوم حين تأتي المعركة الحاسمة المثيرة بين سحرة آل سعود (السحرة، الشيوخ، الكتَّاب، الصحفيين، الإعلاميين، والعساكر) وبين المجاهدين حين تتخلص البلاد والعباد من الفراعنة وملأهم.

ومن يتأمل قصة موسى عليه السلام مع فرعون وصراع الحق مع الباطل يجد التشابه بين حملته الإعلامية التي شنها على موسى عليه السلام والحملة الإعلامية التي يشنها آل سعود

على المجاهدين لكي يشوهوا صورتهم وينفروا الناس عنهم، ولذا تجدهم يتولون بركنهم، ويقولون: "مغرٌر بهم، جهلةٌ، لا علماء بينهم، ولا أهداف لهم، ويقتلون المسلمين... إلخ".

ولا يكتفون بالاتهامات، وإنما يخطون خطوات أخرى في تهييج الملأ الذين من حولهم الذين يتولون إدارة شؤون الحكم ومن ثم التأثير على الشعوب، والملأ عادةً ما يحرصون على البقاء مع الطغاة والتخندق في خندقهم لكسب المصالح وجني المكاسب، ويحرصون أيضاً على الوقوف أمام كل من يخالف الطغاة بحق أو بباطل.

وهؤلاء الطواغيت كما كان سلفهم فرعون يلمسون بخبثهم هذا الجانب النفسي عند الملأ، فيقولون لهم إن هؤلاء المجاهدين بدعوتهم وبعملياتهم العسكرية ومن خلال مواقعهم يريدون أن يخرجوكم من أرضكم ويسقطوا الحكم، ومعنى ذلك أن الوزارات ستذهب والمناصب والأموال والجاه، بل وربما يدوسكم الناس بأقدامهم، أي أنتم المهددون من قِبَل هؤلاء بدعوتهم وجهادهم، فمناصبكم ووزاراتكم ومراكزكم وأموالكم في خطر مباشر، فإن سكتم على هؤلاء المجاهدين وتركتموهم يتصلون بالناس ويدعونهم إلى أفكارهم وإلى مبادئهم فسوف يُطاح بكم وسوف يخرجونكم من أرضكم ويطردونكم من هذه البلاد، بل سيقتلونكم شر قِتلة، فمن مصلحتكم أنتم أن تقفوا أمام هؤلاء، ومن مصلحتكم أن تشنوا حملة مضادة لهم.

وبذلك يضمن طواغيت آل سعود بخبثهم انحياز الملأ المتنفذين والإعلاميين والمفكرين والشيوخ... إلخ، ويضمنون وقوفهم إلى جانبهم وأنهم لن يفكروا في السير مع المجاهدين أو أهل الإصلاح، ولو ثبت لهم وتبين لهم باليقين القاطع أنهم على الحق.. هكذا يفعلون.

ولذا بعد أن يؤثر هؤلاء الطواغيت على الملأ هذا التأثير، ويوحون إليهم بهذا الإيحاء لكي يتم التقارب فيما بينهم، لحساسية وخطورة ما سيقدم عليه آل سعود، ولنية المجاهدين بهم، ومتى أحس الطاغية بالخطر يحس أنه بحاجة إلى أن يتقرب إلى حاشيته وأعوانه وضباطه.. فيتظاهر أنه ديمقراطي، وأنه يشاورهم ويفعل كل هذه الأمور لمصلحة البلاد والعباد، فيتظاهر

أنه يشاركهم في الحكم والقرار والقيادة والتوجيه، ويعلن أنه يحترم رأيهم ويأخذ به وينفذ أمرهم، ولذا يقول لهم (فماذا تأمرون)..

ومنذ متى يأمر الملأ هؤلاء المتنفذين يأمرون آل سعود؟ ومنذ متى يسمعون الاقتراحات؟ ومنذ متى يطلبون الأوامر من هؤلاء؟ ومنذ متى ينفذون أوامر هؤلاء الملأ؟.

إنها لعبة الفراعنة وقت اهتزاز العروش، كما لعبها فرعون الأول يلعبها فراعنة آل سعود هذه الأيام، لأن العروش اهتزت والكروش ارتجت، وهذا النفاق الذي يلعبونه مع هؤلاء هو خبثٌ ومكرٌ في استقطاب هؤلاء حولهم لخطورة ما هم فيه، ولنية الصعاليك بهم، والنتيجة أن هؤلاء سيصدقونهم في كلامهم، ويظنون أيضاً أنهم يمكنهم أمر آل سعود، وأن آل سعود بحاجة الآن إلى أوامرهم، وأنه أيضاً ستنفذ أوامرهم، ولا مانع لديهم من خروجهم في القنوات الفضائية ويشيرون ويأمرون ويقولون (حشمنا فيهم كبير وننخاهم.. كما فعل العواجي).

وهل يأمر مثل هؤلاء إلههم وربهم؟

الجواب: لا لكن هكذا أوهمهم طواغيت آل سعود!.

ولذا بدأ هؤلاء الملأ بطرح المقترحات وذكر الوسائل التي يمكن من خلالها القضاء على هؤلاء المجاهدين.

أقول: حين صارت قضية المجاهدين مع آل سعود شغل الناس الشاغل، وحديثهم في مجالسهم، ومحل نظراتهم وتحليلاتهم، وصار تحديد موعد المعركة مع آل سعود موضع اهتمام الناس؛ قلت في نفسي إنه المشهد ذاته يتكرر، صراع موسى عليه السلام مع فرعون وسحرته، إذ في ذاك الزمن صارت قضية موسى مع فرعون هي شغل الناس الشاغل، وحديثهم في مجالسهم، ومحل نظراتهم وتحليلاتهم سواء كانوا مصريين أو إسرائيليين، وصار تحديد موعد المعركة موضع اهتمام الناس، ينتظرون تجميع السحرة وقدومهم إلى العاصمة، وهم يتلهفون

للموعد المثير كما هو الآن، وعامة الناس مع من غلب كما هو معروف في التاريخ ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾.

وقام الولاة في كل المدائن والأقاليم بتجميع السحرة وحشدهم وإيفادهم إلى فرعون، واجتمعوا لحرب موسى.. وأراد فرعون أن يزيد في حماس السحرة للمعركة والمباراة مع موسى، وأن يعمق ولاءهم له، فاجتمع بهم في لقاء خاص ومغلق وتحدث لهم عن موسى، وكرَّر على مسامعهم اتهام موسى بأنه ساحر وأنه يريد تخريب البلاد والعباد كما قال تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾، وأنهم إذا قضوا عليه فإنهم سيخلصون البلاد والعباد من فتنة موسى!.

ولك أن تقارن بين الموقفين والحالين، وتتأمل ما يفعله سحرة آل سعود سواء كانوا السحرة الحقيقيين أو سحرة البيان والفضائيات.

وهذا التبرير والتعليل الفرعوني هو ذاته الذي نسمعه اليوم من كل طاغية في حربه على المجاهدين والصادقين من أمة محمد ﷺ، فهو (الطاغية) يقدم نفسه للناس على أنه المؤمن الصالح المتدين، الحارس على العقيدة والإيمان، والغيور على الأخلاق، والمهتم بالفضائل، والحريص الراغب على النمو والتقدم والازدهار والأمن، بينما تجده في المقابل يقدم خصومه من أهل الحق من الدعاة والمجاهدين والعلماء الربانيين على أنهم مفسدون في الأرض، ومخربون للمنشآت، وضالون مضلون، أعداء الأمة والدين والوطن، وحلفاء الشيطان، ورؤوس الفتنة والضلال، ولذا يجب القضاء عليهم والتخلص منهم قبل تحقيق أهدافهم الشيطانية.

يقول سيد قطب رحمه الله (في ظلال القران ٥/ ٣٠٨٧): (فهل هناك أطرف من أن يقول فرعون الضال الوثني، عن موسى رسول الله عليه السلام: إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد!

أليست هي بعينها كلمة كل طاغية مفسد عن كل داعية مصلح؟

أليست هي بعينها كلمة الباطل الكالح في وجه الحق الجميل؟

أليست هي بعينها كلمة الخداع الخبيث لإثارة الخواطر في وجه الإيمان الهادئ؟

إنه منطق واحد، يتكرر كلما التقى الحق والباطل، والإيمان والكفر، والصلاح والطغيان، على توالي الأزمان واختلاف المكان، والقصة قديمة مكرورة، تُعرض بين الحين والحين).

وأنا أقول: هل هناك أطرف من أن يتهم نايف بن عبد الإنجليز المجاهدين بأنهم يريدون استهداف المعتمرين؟

وهل هناك أطرف من أن يقال بأن المجمعات الصليبية هي مجمعات للمسلمين وأن الناس كانوا يصلون التراويح بعد منصف الليل؟

وهل هناك أطرف من أن يقال بأن آل سعود الذين قتلوا المسلمين في أفغانستان والعراق والسودان واليمن ووالوا الصليبين في ذلك هم حماة الدين والعقيدة، بينما المجاهدين الذين لقنوا الكافرين الدروس تلو الدروس، ودافعوا عن المسلمين في أفغانستان والبوسنة والهرسك وكشمير والشيشان.. يقال عنهم بأنهم يكفرون المسلمين ويقصدونهم بالقتل؟!

إن الطواغيت – أينما كانوا وفي أي زمن عاشوا – يسلكون طريق فرعون في محاربة الحق وقتل أهله وأنصاره وقادته ورجاله، وهم يحاولون إشراك غيرهم من الشعوب في تحمل هذه الجريمة وهذا الإثم والوزر والدم، فيعملون استفتاءات، ويعدون الاستبيانات، ويجرون اللقاءات والمقابلات، ويخرجون بما شاؤوا من قرارات.

أخيراً: أيها الناس، إن هذه الدولة (دولة آل سعود) للسقوط أقرب منها للبقاء، وإني واثق أن سحل هؤلاء قد اقترب، فمن كان منكم شانقاً لأحد منهم أو ساحباً؛ فلا يفعل ذلك إلا بأمعاء سعد البريك وعائض القرني ومحسن العواجي وسليمان العيدي ومحمد العوين وحامد الغامدي، وكل أعضاء هيئة كبار العملاء... إلخ، والقائمة طويلة لا تخفى عليكم، وليحد أحدكم شفرته وليعذب الطواغيت في سلخه ونحره؛ جزاءً وفاقاً، والجزاء من جنس العمل.

اللهم متعنا بهلاك الطواغيت، اللهم رب الأرباب، ومجري السحاب، ومنزل الكتاب، وسريع الحساب، وهازم الأحزاب، اهزم أمريكا وحلفائها، اللهم اهزمهم وزلزلهم وانصرنا عليهم، اللهم مزقهم كل ممزق، اللهم أصبهم بقارعة من قوارعك، اللهم اشدد وطأتك عليهم..

اللهم انصر عبادك المجاهدين، اللهم سدد رميهم وسهامهم، اللهم ارحم ضعفهم، واجبر كسرهم، وتول أمرهم، وقوِّ عزمهم، واجمع كلمتهم، ووحد صفهم، واحفظ قادتهم، اللهم أنزل عليهم سكينتك، واربط على قلوبهم، وأفرغ عليهم صبراً، وثبت أقدامهم وانصرهم على القوم الكافرين..

آمين يا رب العالمين.

كتبه أبو جندل الأزدي

٢٧/ ٩/ ١٤٢٤ هـ

في بطن أحد أودية جزيرة العرب

مناظرة.. بين السيف والقلم
لزين الدين عمر بن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

لما كان السيفُ والقلمُ عُدَّتي العمل وَالقَوْل، وَعُمْدتي الدُّوَل، فإنْ عَدِمَتهما دولَةٌ فلا حَوْلَ، وَزُكْني إسنادِ المُلْك المعربَيْنِ عن المخفوضِ والمرفوع، وَمُقَدِّمَتَي نتيجة الجدلِ الصادر عنهما المحمولُ والموضوع، فكَّرْتُ أيهما أعظمُ فخراً وأعلى قدراً، فجلستُ لهما مجلسَ الحُكْمِ والفتوى، ومثلتُهما في الفكرِ حَاضِرَيْنِ للدعوى، وسوّيت بين الخصمينِ في الإكْرَام، واستنطقتُ لسانَ حالِهِمَا للكلام.

فقال القلم:

بسم الله مجريها ومُرْساها، والنهار إذا جَلاّها والليل إذا يغشاها، أما بعد حمد الله خالق القلم، ومشرفه بالقسَم، وجاعله أول ما خلق، جَمّل الورق بغصنه كما جَمّل الغصن الورق.

والصلاة على القائل: ((جفت الأقلامُ))، فإن للقلم قصَبُ السباق، والكاتِبُ بسبعة أقلام من طبقات الكتاب في السبع الطباق، جَرَى بالقضاء والقدر، ونَابَ عن اللِّسان فيما نهى وأَمَرَ، وطالما أربى عَلَى البِيض والسُّمْر في ضرابها وطعانها، وقاتل في البعد والصوارم في القُرْبِ ملء أجفانها، وماذا يُشْبِهُ القلم في طاعة ناسه؟ ومشيه لهم على أمِّ راسه؟

قال السيف:

بسم الله الخافض الرافع، ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ﴾، أما بعد حمد الله الذي أنزل آيةَ السيفِ فعظَّمَ بها حرمة الجَرْح وآمن خيفةَ الخيف، والصلاة على الذي نفذَّ بالسيف سطور الطروس، وخدمته الأقلام ماشية على الرؤوس، وعلى آله وصحبه الذين أُرْهِفَتْ سيوفهم، وبُنِيَتْ بها على كسر الأعداء حروفهم:

فإن السيف عظيم الدولة، شديد الصّولة، محا أسطار البلاغة، وأساغ ممنوع الإساغة، من اعتمد على غيره في قهر الأعداء تعب، وكيف لا وفي حَدِّه اَلْحَدُّ بين الجدِّ واللِعبِ؟!

فإن كان القلم شاهداً، فالسيف قاض، وإن اقتربت مجادلته بأمر مستقبل قطعَهُ السيف بفعل ماض، به ظهرَ الدينُ، وهو العُدّة لقمع المعتدين، حَمَلَتْهُ دون القلم يد نبيّنا، فَشَرُف بذلك في الأمم شرفاً بيّناً، الجنة تحت ظِلاله، ولا سيما حين يُسَلُّ، فترى وَدْقَ الدم يخرج من خلاله، زُينت بزينة الكواكب سماء غِمدة، وصدَقَ من قال "السيف أصّدَقُ أنْباءٍ من ضده"، لا يعبثُ به الحاملُ، ولا يتناوله كالقلم بأطراف الأنامَل، ما هو كالقلم المشَبَّه بقوم عرُوًّا عن لبوسهم، ثم نُكسوا كما قيل على رُؤوسهم، فكأن السيف خُلِق من ماءٍ دافق، أو كوكب راشق مقدراً في السّرْد، فهو الجوهر الفَرْد، لا يُشترى كالقلم بثمن بخس، ولا يبلى كما يبلى القلم بسواد وطمس، كم لقائمه المنتظر، من أثرٍ في عينٍ أو عينٍ في أثر، فهو في جراب القوم قَوامُ الحرب، ولهذا جاء مطبوع الشكل داخل الضرب.

فقال القلم:

أَوَمَنْ يُنَشَّأُ في الحلية وهو في الخصام غيرُ مُبينٍ، يُفاخرُ وهو القائمُ عن الشِمال، وأنا الجالس على اليمين؟! أنا المخصوصُ بالرأي، وأنت المخصوص بالصَّدَى، أنا آلة الحياة، وأنت آلة الردى، ما لِنْتُ إلا بعد دخول السعير، وما حُدّدت إلا عن ذنبٍ كبير، أنت تنفع في العمر ساعة، وأنا أُفني العُمْرَ في الطاعة، أنت للرَّهَب، وأنا للرَّغَب، وإذا كان بَصَرُك حديداً فبصري ماءُ ذهب، أين تقليدُكَ من اجتهادي، وأين نجاسة دمك من تطهير مِدادي؟

قال السيف:

أمثلك يُعَيِّرُ مثلي بالدماء؟! فطالما أمرتُ بعض فراخي -وهي السكين- فأصبحت من النفاثات في العقد يا مسكين، فأخلَتْ من الحياة جُثمانك، وشقّت أنفك وقطعت لسانك.

ويلك! إن كنت للديوان فحاسِبٌ مهموم، أو للإنشاء فخادمٌ لمخدوم، أو للتبليغ فساحر مذموم، أو للفقيه فناقص في المعلوم، أو للشاعر فسائل محروم، أو للشاهد فخائف مسموم، أو للمعلم فللحيّ القيُّوم.

أمَّا أنا فلي الوجه الأزهر، والحلية والجوهر، والهيبة إذ أُشْهَر، والصعود على المنبر، ثم إني مملوك كمالك، فإنك كناسك، أسلك الطريق وأقطع العلائق.

فقال القلم:

أما أنا فابن ماءِ السماءِ، وأليف الغدير وحليف الهواء، أما أنت فابن النار والدخان، وناثرُ الأعمار، وخَوَّان الإخوان، تفصل ما لا يُفصل، وتقطعُ ما أمر الله به أن يُوصَل، لا جرم أن صَعَّرَ السيف خده وصقل قفاه، وسُقيِ ماءً حميماً فَقَطّع مِعَاه..

يا غُرَاب البين، ويا عُدَّة الحَيْنِ، ويا مُعْتَلّ العين، ويا ذا الوجهين، كم أفنيت وأعدمت؟ وأرملْتَ وأيْتَمْتُ؟

قال السيف:

يا ابن الطين! ألست ضامراً وأنت بطين؟! كم جَرَيت بعكس، وتصرفت في مكس، وزَوَّرْت وحرفت، ونكّرت وعرّفت، وسَطّرت هجواً وشتما، وخلّدت عاراً وذمًّا، أبشر بفرط رَوْعتك، وشدة خِيفتك، إذا قِسْتَ بياض صحيفتي بسواد صحيفتك، فألِنْ خطابك فأنت قصير المدة، وأحسن جوابك فعندي حِدّه، وأقلل من غلظتك، وجبهك، واشتغل عن دم في وجهي بقبيح في وجهك، وإلا فأدنى ضربةٍ مني تروم أرومتك، فتستأصلكَ وتجتثُّ جرثومتَك، فسقياً لمن غاب لك عن غابك، ورعياً لمن لو أهاب بك لسلخ إهابك.

فلما رأى القلمُ السيفَ قد احتد، ألان له من خطابهِ ما اشتد..

وقال:

أما الأدب فيؤخذ عنِّي، وأما اللطف فيُكتسب منِّي، فإن لِنْتَ لنتُ، وإن أحسنتَ أحسنتُ، نحن أهل السمعِ والطاعةِ، ولهذا نجمعُ في الدواةِ الواحدةِ منَّا جماعة، وأما أنتم فأهلُ الحدةِ والخلافِ، ولهذا لا يجمعون بين سيفين في غلاف.

قال السيف:

أمَكْراً ودعوى عِفّة؟ لأمرٍ ما جدع قصير أنفه! لو كنتَ كما زعمتَ ذا أدبٍ، لما قابلتَ رأسَ الكاتبِ بعُقدةِ الذنَبِ، أنا ذو الصِّيت والصوتِ، وغِراري لسانَ مشرَفِي يرتجل غرائب الموت، أنا مِن مارجٍ مِن نارٍ، والقلم من صلصالٍ كالفخارِ، وإذا زعم القلمُ أنه مثلي، أمرتُ مَنْ يدقُ راسه بنعلي.

فقال القلم:

صَهْ! فصاحبُ السيفِ بلا سعادةٍ، كأعزل.

قال السيف:

مهْ! فقلمُ البليغِ بغير حظٍ مغزل.

فقال القلم:

أنا أزكى وأطهر.

قال السيف:

أنا أبهى وأبهر.

فتلا ذو القلم لقلمه:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:١].

وتلا صاحب السيف لسيفه:

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢].

فتلا ذو القلم لقلمه:

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:٣].

قال:

أما وكتابي المسطور، وبيتي المعمور، والتوراة والإنجيل، والقُرآن ذو التبجيل، إن لم تكف عنِّي غرْبك، وتُبعد مني قُرْبك، لأكتبنكْ من الصُّمِّ والبُكم، وَلأُسطرنّ عليك بِقلمي سجلاً بهذا الحكم.

قال السيف:

أما ومَثْني المتين، وفتحي الْمُبين، ولساني الرطبين، ووجهَيّ الصُلبين، إنْ لم تغبْ عن بياضي بسوادك، لأمسَنَّ وجهك بمدادك، ولقد كسبت من الأسد في الغابة، توقيع العين والصلابة، مع أني ما ألوتُكَ نصحاً أفنضرب عنكم الذكر صفحاً؟

قال القلم:

سَلِّم إن كنتَ أعلى فأنا أعلم، وإن كنتَ أحلى فأنا أحلم، وإن كنت أقوى فأنا أقوم، أو كنت ألوىَ فأنا ألوم، أو كنت أطرى فأنا أطربُ، أو كنت أغلى فأنا أغلب، أو كنت أعتى فأنا أعتبُ، أو كنت أقضى فأنا أقضب.

قال السيف:

كيف لا أفْضُلك، والمقرُّ الفلانيُّ شادٌّ أزري.

قال القلم:

كيف لا أفْضُلك وهو (عزَّ نصرهُ) ولي أمري؟

قال الحَكمُ بين السيفِ والقلمِ:

فلما رأيتُ الحجَّتيْن ناهضتين، والبيِّنتيْن بينتيْن مُتعارضتين، وعلمتُ أنَّ لكلٍّ واحدٍ منها نسبة صحيحة، إلى هذا المقرَّ الكريم، ورواية مُسْندة عن حديثه القديم، لطَّفتُ الوسيلة، ودقّقتُ الحيلة، حتى رددْتُ القلم إلى كنَّه، وأغمدتُ السَّيف فنام ملء جفنه، وأخّرْتُ بينهما الترجيح، وسكتُّ عمّا هو عندي الصّحيح، إلى أن يحكم المقرُّ بينهما بعلمه، ويسكِّن سورة غضبهما الوافر ولجاجهما المديد ببسط حلمه.

قال أبو جندل الأزدي:

بعد هذه المناظرة الرائعة المثيرة تأملت التاريخ الإسلامي، فوجدتُ أن الذي يرفعُ القلمَ دونَ سيفٍ يذِلّ، والذي يرفعُ السيفَ دونَ قلمٍ يضلّ ويزلّ، ومن يرفعهما معاً فإلى مبتغاه يهتدي ويصل.

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية إذ قال: "لا يقوم الدين إلا بكتابٍ يهدي، وسيفٍ ينصر، وكفى بربك هادياً ونصيراً".

والله أكبر، والعزة لله وللإسلام..

اللهم انصر المجاهدين الموحدين في كل مكان.. اللهم احفظ إخواننا المجاهدين المطاردين في كل مكان.. اللهم فك أسرانا وأسرى المسلمين في كل مكان.. اللهم دمر أمريكا والصليبيين واليهود وطواغيت العرب والعجم في كل مكان..

أبو جندل الأزدي

بتاريخ ٩/ ١٠/ ١٤٢٤هـ

إلى بنتي خديجة وابني سلمان

من فارس بن أحمد آل شويل، إلى ابني المظلوم سلمان وابنتي المظلومة خديجة..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

فلتعلما يا فلذات كبدي أن قلبي يتفطر عليكما، ويشتاقُ لرؤيتكما، ويحنُّ لملاعبتكما، ولكنْ فرّق بيننا الطواغيت من آل سعود..

يا أحبائي.. حرمني منكم الكفار (آل سعود)..

نعم يا خديجة ويا سلمان؛ فرّق بيننا هؤلاء الكفار.. إنهم يحاربوننا لأنا أردنا جهاد الصليبيين من الأمريكان، ولذا طاردونا وآذونا وقتلوا إخواننا وفرّقوا بينهم وبين أطفالهم إلى يوم القرار..

أراك هجرتني هجراً طويلاً ... وما عودتني مِنْ قبلُ ذاكا
عهدتك لا تطيق الصبر عني ... وتعصي في ودادي من نهاكا
فكيف تغيرت تلك السجايا ... ومن هذا الذي عني ثناكا
فلا والله ما حاولت غدراً ... فكلُّ الناس يغدرُ ما خلاكا

إن غيابي عنكما يا خديجة ويا سلمان؛ هو فرارٌ بديني من آل سعود ومن خلفهم الأمريكان، والذين يريدون منّي أن أستسلم لهم ومن ثَمّ يفتنوني عن ديني..

والسبب يا فلذات كبدي هو ديني وإيماني وجهادي ليس إلا.. ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

إنني حين رأيتكم يوم الأربعاء الماضي (٤/ ٦/١٤٢٥ هـ) على واجهة جريدة "عكاظ" قبل نهاية مهلة الطواغيت فرحتُ كثيراً وسجدت لله شكراً، فأنا لم أركم منذ سنة ونصف..

وتذكرت حينها قصة يعقوب عليه السلام حين فقد أبناءه يوسف وأخاه، فقال كما حكى الله عنه: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَاتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۝ قَالُوا تَاللّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ۝ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

نعم يا خديجة ويا سلمان؛ فصبرٌ جميل عسى الله أن يأتيني بكم جميعاً إنه هو العليم الحكيم..

نعم يا خديجة ويا سلمان؛ لقد توليت وقلت يا أسفى على خديجة وسلمان.. يا أسفى على خديجة وسلمان.. يا أسفى على خديجة وسلمان.. وابيضت عيناي من الحزن وأنا كظيم.. أكظم دمعتي وعبرتي حتى لا يراني أحدٌ، وأتجلد أمام مَنْ حولي حتى لا يبكوا معي..

نعم يا خديجة ويا سلمان؛ إنكم معي في كل لحظة وما نسيتكم والله..

نعم يا خديجة ويا سلمان؛ إنما أشكو بثي وحزني إلى الله.. أشكو بثي وحزني إلى الله.. أشكو بثي وحزني إلى الله..

نعم يا خديجة ويا سلمان؛ إني لم أيأس من روح الله، بل كلي رجاء أن أراكم في يوم من الأيام، إما في الدنيا على نصرٍ وعزةٍ، وإما في دار النعيم في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر..

يقول صاحب الظلال رحمه الله: (﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.. الذي يعلم حاله، ويعلم ما وراء هذه الأحداث والامتحانات، ويأتي بكل أمر في وقته المناسب، عندما تتحقق حكمته في ترتيب الأسباب والنتائج.

هذا الشعاع من أين جاء إلى قلب هذا الرجل الشيخ -يعقوب عليه السلام-؟

إنه الرجاء في الله، والاتصال الوثيق به، والشعور بوجوده ورحمته..

ذلك الشعور الذي يتجلى في قلوب الصفوة المختارة، فيصبح عندها أصدق وأعمق من الواقع المحسوس الذي تلمسه الأيدي وتراه الأبصار.

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾..

وهي صورة مؤثرة للوالد المفجوع.. يحس أنه منفرد بهمه، وحيد بمصابه، لا تشاركه هذه القلوب التي حوله ولا تجاوبه، فينفرد في معزل، يندب فجيعته في ولده الحبيب يوسف.. الذي لم ينسه، ولم تهوّن من مصيبته السنون، والذي تذكره به نكبته الجديدة في أخيه الأصغر فتغلبه على صبره الجميل: يا أسفا على يوسف!

ويكظم الرجل حزنه ويتجلد، فيؤثر هذا الكظم في أعصابه حتى تبيض عيناه حزناً وكمداً.. وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم..

ويبلغ الحقد بقلوب بنيه ألا يرحموا ما به، وأن يلسع قلوبهم حنينه ليوسف، وحزنه عليه ذلك الحزن الكامد الكظيم، فلا يسرّون عنه، ولا يعزونه، ولا يعللونه بالرجاء، بل يريدون ليطمسوا في قلبه الشعاع الأخير: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾.

وهي كلمة حانقة مستنكرة.. تالله تظل تذكر يوسف، ويهدك الحزن عليه، حتى تذوب حزناً أو تهلك أسى بلا جدوى، فيوسف ميئوس منه قد ذهب ولن يعود!

ويرد عليهم الرجل بأن يتركوه لربه، فهو لا يشكو لأحد من خلقه، وهو على صلة بربه غير صلتهم، ويعلم من حقيقته ما لا يعلمون.. قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾.

وفي هذه الكلمات يتجلى الشعور بحقيقة الألوهية في هذا القلب الموصول؛ كما تتجلى هذه الحقيقة ذاتها بجلالها الغامر، ولألائها الباهر..

إن هذا الواقع الظاهر الميئس من يوسف، وهذا المدى الطويل الذي يقطع الرجاء من حياته فضلاً على عودته إلى أبيه، واستنكار بنيه لهذا التطلع بعد هذا الأمد الطويل في وجه هذا الواقع الثقيل.. إن هذا كله لا يؤثر شيئاً في شعور الرجل الصالح بربه، فهو يعلم من حقيقة ربه ومن شأنه ما لا يعلم هؤلاء المحجوبون عن تلك الحقيقة بذلك الواقع الصغير المنظور!

وهذه قيمة الإيمان بالله، ومعرفته سبحانه هذا اللون من المعرفة؛ معرفة التجلي والشهود وملابسة قدرته وقدره، وملامسة رحمته ورعايته، وإدراك شأن الألوهية مع العبيد الصالحين.

إن هذه الكلمات: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ تجلو هذه الحقيقة بما لا تملك كلماتنا نحن أن تجلوها، وتعرض مذاقاً يعرفه من ذاق مثله، فيدرك ماذا تعني هذه الكلمات في نفس العبد الصالح يعقوب..

والقلب الذي ذاق هذا المذاق لا تبلغ الشدائد منه –مهما بلغت– إلا أن يتعمق اللمس والمشاهدة والمذاق!

ولا نملك أن نزيد، ولكننا نحمد الله على فضله في هذا، وندع ما بيننا وبينه له يعلمه سبحانه ويراه..).

يا خديجة ويا سلمان.. إن غيابي عنكم وأنا عزيزٌ كريمٌ، خيرٌ من قربي منكم وأنا ذليلٌ خانع -هذا طبعاً إن قربوني، وإلا فقتلي وإبعادي مِن قِبلهم محققٌ لو تمكّنوا مني، والتجارب القريبة خير برهان-..

نعم يا خديجة ويا سلمان؛ إن العزة والكرامة لها ثمن وضريبة لا بد أن تُدفع، ولعل منها غيابي عنكم وغيابكم عني.. ولكن طعمها جميلٌ جداً، لا يُحسه كثيرٌ ممن حولكم لأنهم رضوا حياة الذل والمهانة، ولم يذوقوا طعم العز والكرامة..

نعم يا خديجة ويا سلمان؛ ما كان قلبي يا أحبائي قاسياً.. بل هو من ألين القلوب وأرقها تجاهكم، ولكن طواغيت آل سعود هم السبب فلا تنسوا هذا.. تذكروه دائماً..

إن الذي طاردني هم آل سعود، والذي فرّق بيننا هم آل سعود، والذي يتّمكم هم آل سعود، والذي قتلني إن قُتلت هم آل سعود..

فلا تنسوا أن تثأروا لدينكم ولإخوانكم من أطفال المسلمين والذين هم في مثل حالكم.. لا تنسوا أطفال الشيخ عيسى العوشن، ولا تنسوا بنت الشيخ معجب الدوسري، ولا تنسوا هاجر ووصايف بنات المجاهد عبد العزيز المقرن، ولا تنسوا أبناء وأطفال المجاهد فهد الدخيل، ولا تنسوا أطفال المجاهد خالد السبيت، ولا تنسوا بنات الشيخ يوسف العييري، ولا تنسوا أطفال الشيخ أحمد الدخيل، ولا تنسوا أطفال المجاهد إبراهيم الريس، ولا تنسوا أطفال إبراهيم الدريهم وعامر الشهري وبقية مجاهدي جزيرة العرب، ولا تنسوا ترويع آثار وروان وعبد الله أبناء المجاهد صالح العوفي، ولا تنسوا مليون وسبعمائة ألف طفل عراقي شارك في حصارهم وقتلهم آل سعود، ولا تنسوا أطفال الأفغان الذين شارك آل سعود في قتلهم ودك بيوتهم وقراهم بالطائرات الأمريكية التي خرجت من جزيرة العرب، ولا تنسوا أطفال شباب المسلمين المأسورين في سجون آل سعود، ولا تنسوا بقية أطفال المسلمين في كل مكان ممن تجرعوا مرارة الطواغيت وظلمهم..

إن آل سعود يا خديجة ويا سلمان كذبوا علينا وافتروا، فاتهمونا بقتل المسلمين، ونحن لم نقتل إلا الأمريكان والصليبيين، واتهمونا بقتل المعاهدين - أي الأمريكان!! -، وجزيرةُ العرب يا أحبائي لا يجتمع فيها دينان، وأمرنا رسول الله ﷺ بإخراج المشركين منها، فقال: ((أخرجوا المشركين من جزيرة العرب))، والأمريكان يا أبنائي ليسوا معاهدين بل هم حربيون، واتهمونا بتكفير المسلمين، ومعاذ الله أن نكفر المسلمين؛ فنحن لا نكفر إلا من كفره الله ورسوله ممن ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام، كمظاهرة الكافرين على المسلمين، كما يفعل آل سعود مع الأمريكان، واتهمونا بأمور أخرى كثيرة وهم فيها كاذبون، كما فعل الطواغيت على مر التاريخ مع الأنبياء والمرسلين ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

يا خديجة ويا سلمان.. لقد سالت دموعي على الورق وأنا أكتب رسالتي هذه لكم، فتذكروها دائماً..

الله الله في دينكم.. الله الله في أمتكم.. الله الله في أُمكم.. الله الله في جدكم وجدتكم.. الله الله في كل مؤمنٍ فناصروه.. الله الله في كل كافرٍ فعادوه وأبغضوه..

أخيراً يا خديجة ويا سلمان:

لئن لم نلتق في الأرض يوماً ... وفرّق بيننا كأسُ المنون
فموعدنا غداً في دار خُلدٍ ... بها يحيا الحنونُ مع الحنونِ

ولا أنسى أمكم الحبيبة التي وقفت معي مواقف عظيمة لا زلت أذكرها.. ولتعلمي يا أم سلمان أني أخصك بالدعاء في كل ليلة في سجودي بأن يشرح صدرك، وأن يربط على قلبك، وينزل عليك السكينة.. والثبات الثبات يا أم سلمان.. ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.. واحرصي على تربية أولادي كما كنت أعلمك وأوصيك..

وأُعزّي والدي وأهلي في وفاة جدتي رحمها الله وأسكنها فسيح جناته..

وسلامي لوالدي ووالدتي وإخواني وأخواتي وعشيرتي وقبيلتي ولجميع المسلمين..

اللهم ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً..

أودعكم.. أستودع الله دينكم وأماناتكم وخواتيم أعمالكم..

أبوكم المظلوم المشتاق لكم

فارس بن أحمد آل شويل

بعد منتصف ليلة الجمعة ١٣/ ٦/ ١٤٢٥هـ

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مشاعر أسير تجاه أولاده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فأنا الأسير الفقير الكسير/ فارس بن أحمد آل شويل.. أكتب كلماتي هذه إلى ابنتي الحبيبة (خديجة) وابني الحبيب (سلمان).. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وأخبركم أني بخير وعافية ولله الحمد، وفي شوقٍ عظيم لكما، فكم دمعت عيني عليكما، وكم حزنت من أجلكما، وكم من عبرات وزفرات وآهات خرجت حين أفكر فيكما، فقد حال طغاة آل سعود بيننا فحرموني منكما وحرموكما مني..

لا زال في سمعي رنين حديثكما ومقالكما حين كنتما لا تدركان أين أنا ولماذا هذا البعد والغياب عنكما، فتقولان قبل سنين: (أبي متى تأتي إلينا، أبي لماذا لا تأتي عندنا، أبي أين أنت، ولماذا أنت هنا..؟)، وغيرها من الأسئلة التي كانت تقع على نفسي كالسياط، وكما قال من هو مثل حالي:

جاءت تسائلني الصغيرة ... عن أبيها أين غاب
هل في البحار أم القفار ... أم ارتقى فوق السحاب
جاءت تقول لِمَ وكيف ... فإن لي معه عتاب
لِمَ ليس يأتي كي نراه ... كيف لم يبعث خطاب
أفلا يحبُّ لنا السعادة ... كيف ما هذا الغياب
كفكفت دمعًا قد جرى ... متسائلًا كيف الجواب
كيف الإجابة يا صغيرة ... كيف قد عظم المصاب

نعم.. كيف الإجابة؟

فقد كنتما صغيريني لا تدركان بعض الأمور، ولم يكن من وقت يكفي للجلوس معكما لبيان الحال، فالطغاة يعطون الأسرى ساعة في الشهر ليبقى الأسير مع أهله وأقاربه، فلا يدري بمن يبدأ أو مع من يتكلم، ولا يستطيع ملاعبة أولاده وإشباع مشاعرهم ورغائبهم وتعويض بعض ما فاتهم، وهكذا إلى اليوم..

نعم يا خديجة ويا سلمان، ألتقيكم في السنة الواحدة ثمان إلى عشر مرات.. فقط، وكل مرة حدود الساعة.. وما تفعل الساعة لمن يلتقي أهله!

هذا وقد ذهبت السنة الأولى من سجني ولم يسمحوا لي بالزيارة، وذهبت ثلاث سنوات أخرى أيضاً بلا زيارة لامتناعي عنها احتجاجاً على ظلم السجان وقهره.. بمعنى أني لأكثر من تسع سنين ونصف من سجني لم ألتقيكم إلا حوالي ثمانين إلى مائة ساعة فقط، أي حوالي أربعة أيام..

وقد مرت الأعياد تلو الأعياد، اثنان وعشرون عيداً لم أركم ولم أتكلم معكم ولم أسمعكم.. لأن الطاغيت (محمد بن نايف) لا يسمح للأسرى في الأعياد إلا باتصال خمس دقائق لمعايدة الأهل، وتذهب مع الكبار، ويقال لهم سلموا على الصغار وبلغوهم المعايدة..

ابنتي خديجة ابني سلمان.. أعلم حجم المعاناة والألم والتعب الذي تلاقونه وتواجهونه حين تسافرون للزيارة، فالمسافة بعيدة أكثر من (١٢٠٠ كم)، والسفر قطعة من العذاب، ويمنع صاحبه من الطعام والشراب والنوم، ومع كل هذا التعب والسفر والأرق لا تجلسون معي إلا ساعة.. ثم تذهبون وفي نفوسكم من الحسرة والشوق وألم الفراق..!

ولذا كم من مرات بكيت عقب فراقكم وتوديعكم، بل ومرضت مرات وأصبحت طريح الفراش، فأنا أبوكم، أريد راحتكم، لا إتعابكم..

وأريد الجلوس معكم، وسماع ما عندكم، ومعرفة عاداتكم وطباعكم وتطلعاتكم..

أريد ملاعبتكم، ومطاردتكم، ومسابقتكم، ومصارعتكم ومطارحتكم..

أريد حملكم على ظهري والدوران بكم وسماع ضحككم وصياحكم..

كم انشغل فكري فيكم وفي شؤونكم وأموركم، فلا أدري كيف تقضون أوقاتكم، وما حالكم مع الصلاة والقرآن، وماذا تقرؤون، ولمن تسمعون، وكيف أخلاقكم وسلوككم..

ولكني أقول دائماً: الله خليفتي فيكم؛ فلن يضيعكم، فهو الذي خلقكم، وأنشأكم، ورزقكم، وحفظكم وعافاكم.. وأتذكر قول الله: ﴿الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

ابنتي خديجة ابني سلمان.. لقد فرّق الطاغية (محمد بن نايف) بيني وبين أمكم، وحال بيننا، وهدم بيتنا، فرمّل أمكم، ومنعني من كل أمر تجاهكم؛ طمعاً من أن ألين له أو أخضع أو أركع..

نعم منعني من إجراء وكالة لأي أمر يتعلق بكم أو بأمكم، ولم يسمح إلا بوكالة الطلاق فقط!

ولذا عشتم ظروفاً صعبة، فأنا أسير عاجز، لا أستطيع فعل شيء تجاهكم غير الدعاء لكم..

لقد سدّ الطرق كلها في وجهي، حتى ضاقت السبل على أمكم، لقد حاولت مراراً الإصلاح، ولكن الحملات الإعلامية الجائرة، وعدم المعيل لكم، وبقاء أمكم لسنوات بلا مصروف، لا من قريب ولا من بعيد، واستغلال المباحث لضعاف النفوس والجلهة والحمقى

ممن حولكم لكي يحولوا بيني وبين أمكم، ومنعي من مقابلة أمكم بكل الطرق، والإرجاف الذي حصل من النساء الجاهلات التي لا يخافين الله ولا يتقينه، وغير ذلك من الأسباب، كل ذلك كان كفيلاً بهدم بيتنا..

لقد حاولت شراء بيت لكم فلم أستطع، وكذلك السيارة..

لقد فارقت أمكم وأنا أبكي، وكانت مصيبة عليّ عظمى، فقد عشنا حياة طيبة سعيدة مليئة بالحب والخير، وكانت لي خير معين، ووقفت معي مواقف لا أنساها لها..

نعم لقد بكيت لفراقها، لا جزعاً ولا سخطاً، وإنما بكاء الحب والرحمة والذكريات.. لقد بقيت أياماً وأنا أبكي، بل وأشهق عليها، ولزمت الفراش، وكانت هي أيضاً تبكي لفراقنا..

ولكنها رحلة صعبة.. انتفش فيها الطغاة وظلموا وبغوا، وشنوا الحملات التي خضع لها رجال وشيوخ وعلماء ودعاة؛ فكيف بامرأة ضعيفة لا حيلة لها!

نعم يا خديجة ويا سلمان.. لقد أرادوا الدخول عليّ من هذا الباب، وحاولوا الإغراء والإغواء لكي ينتزعوا مني موقفاً مؤيداً لهم، فطلقت الدنيا كلها، ورفضت كل ذلك، فلن أبيع آخرتي بدنيا غيري، ولن أرقع دنياي بتمزيق ديني..

وكما قال القائل:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

ولو أن أمكم عرفت حقيقة القصة وتفاصيل المشهد وأبعاد المؤامرة لما فارقتني، والحمد لله على كل حال، فله ما أعطى وله ما أخذ، وكلٌ بأجلٍ مسمى..

وحين حصل ما حصل، حرصت على الخروج بأقل الخسائر، فأنا وأمكم وأنتما ضحايا طغيان (محمد بن نايف)، فلا داعي للمشاكل بيننا، ولا داعي للخصومة والشكاوى.. ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾.

فلن تسمعوا مني في أمكم ما تكرهون، بل أوصيكم ببرها والإحسان إليها والقيام بها، والدعاء لها، والسمع لها والطاعة في غير معصية الله..

ابنتي خديجة ابني سلمان.. حين جاء هذا العيد عيد الأضحى عام (١٤٣٥) لم أستطع الاتصال بكم ولا سماعكم ولا رؤيتكم، كحال الأعياد السابقة، أنشدت هذه الأبيات التي أحفظها:

يا رب هذا العيد وافى والنفوس بها شجون

لبس الصغار جديدهم فيه وهم يستبشرون

بجديد أحذية وأثواب لهم يتبخترون

ولذيذ حلوى العيد بالأيدي بها يتخاطفون

وهناك خلف الباب أطفال لنا يتساءلون

أمي صلاة العيد حانت أين والدنا الحنون؟

إنا توضأنا -كعادتنا- وعند الباب (أمي) واقفون

زفرت تئن وقد بدا في وجهها الألم الدفين

ورنت إليهم في أسى واغرورقت منها العيون

العيد ليس لكم أحبائي فوالدكم سجين

أضحى هناك مصفداً في القيد يقبع في السجون

وضعوه في زنزانة صمّاء يعمرها السكون

ضربوه أدموا وجهه ورموه مخنوق الأنيـن

ابنتي خديجة ابني سلمان.. لئن فقدتموني هذه السنين ولا يمكنكم رؤيتي إلا لوقت يسير، فهذا حال الدنيا، فهي حال ابتلاء واختبار وامتحان للآخرة..

ثم إنكم لو التفتم يمنة وميسرة لرأيتم أحوال الناس المختلفة، فهناك أطفال فقدوا الآباء للأبد، فلا لقاء إلا في الآخرة، وهناك أطفال فقدوا الأمهات للأبد كذلك، وهناك أطفال فقدوهما معاً، وهناك آباء فقدوا الزوجات والأطفال جيعاً وهناك أمهات فقدوا الأزواج والأطفال جميعاً وهناك أباءٌ وأمهات فقدوا أطفالهم جميعاً أو بعضهم، وهكذا من الصور المختلفة والأمثلة الحقيقية الواقعية.. فلا تحزنوا ولا تيأسوا، عسى الله أن يجمعني بكم جميعاً إنه هو العليم الحكيم..

ابنتي خديجة ابني سلمان.. لقد حاول الطغاة ومنهم (محمد بن نايف) تصويرنا كالغيلان والوحوش، وتصوير أنفسهم كالحملان الوديعة، كما قال الشاعر:

الحـاكـم المـغـتـال طـفـلٌ وادعٌ والمـودعـون بسـجـنـه غـيـلان

ولذا يصورون أنفسهم وهو يبتسمون، وهم يمسحون دموع بعض الكبار أو الصغار، أو غير ذلك من اللقطات التي تظهرهم في مظهر الرحماء المتواضعين المهتمين بشؤون الناس، وهم في الحقيقة طغاة عتاة قساة لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، وأكبر دليل على ذلك قصتي وقصة أمكم وقصتكم، فنحن عائلة هدموا بيتنا بإشراف مباشر من (محمد بن نايف)، ولسنا وحدنا، فهناك مئات الآلاف من الضحايا لإجرام (محمد بن نايف) وسجونه، فهناك آلاف البيوت هدمها، ورُملت النساء، ويتم الأطفال، وحيل بين الأزواج وزوجاتهم، ومارس معهم سياسة تنكيل في كل شيء، حتى الزيارة الخاصة للأزواج لا تكون إلا مرة واحدة في

الشهر ولثلاث ساعات فقط، نعم لثلاث ساعات فقط! مع انتهاك سافر فاضح وصارخ لحقوق النساء في التفتيش أثناء دخولهن لزيارة أزواجهن..

نعم يا خديجة ويا سلمان.. مئات الآلاف من الضحايا والثكالى واليتامى بسبب طغيان الطغاة واستبداد المستبدين، فلسنا وحدنا، بل نحن مثال واحد لمأساة كبيرة في مملكة الاستعباد، فكم من دموع سالت لآلاف الأمهات، وكم من آهات وزفرات خرجت لآلاف الآباء، وكم من حسرات ومرارات لآلاف الزوجات، وكم من حنين وأنين لعشرات الآلاف من الأطفال، كم يتساءلون ويستفهمون عن آبائهم وأين هم ولماذا وكيف ومتى، وكم من آلام وأوجاع ودمار وضياع لآلاف الأسرى الذين تم فقارهم وقهرهم ونهرهم وسلبهم لحريتهم وكرامتهم وأبسط حقوقهم إرضاء للبيت الأبيض الأمريكي.. نعم قدمونا قرباناً للبيت الابيض الأمريكي..

ابنتي خديجة ابني سلمان.. لم يكفِ (محمد بن نايف) أن حال بيني وبين أمكم، بل واصل استكباره أن يمنعني من زوجتي التي قبلت بي واستعدت للزواج بي وتمت أمورنا وحصلت الإجابة والقبول ووصل المهر ولم يبقَ إلا الوكالة لإخراج الأوراق اللازمة للزيارة، ونحن الآن لأكثر من ثلاث سنوات ونصف.. ومع كل الأمور التي حصلت من كسر ليد جدتكم، وأنف عمكم (محمد)، وضربي وسحبي مع خروج جدتكم لمرات في أشرطة مرئية وفي بيانات عدة تطالب بدخول زوجتي التي رأيتموها ومررتم عليها وجلست معكم، ومع مطالبتي المستمرة لإتمام أمر دخول زوجتي علي وتمكيني من الاتصال بها، إلا أنه يقف بشكل مباشر حجر عثرة دون دخول زوجتي، ويمنعني من اللقاء بها والاتصال بها، وكأن قضايا البلد ومشاكل ومصائبه انتهت حتى يتفرغ لمنعي من دخول زوجتي!

ولا تفسير لذلك إلا الطغيان والاستكبار في الأرض بغير الحق والإجرام، فالشيخ ناصر الفهد حوالي عشر سنوات لم يرَ زوجته، والشيخ سليمان العلوان بقي ست سنوات لم يرَ زوجته، ربما زادت عن ذلك بعد فراقي له، والشيخ أحمد الخالدي لأكثر من عشر سنوات

يريد الزواج ويمنع منه، والأخ صالح الجديعي لعشر سنوات يريد الزواج ويمنع منه، وغيرهم كثير وكثير جداً..

ابنتي خديجة ابني سلمان.. لا شك عندي أن (محمد بن نايف) وأباه وعائلته يتمنون يغمضون أعينهم ثم يفتحونها فلا يروني، فلا شك عندي أنهم لولا اعتبارات عدة لحفروا الأرض ودفنوني حياً ورموني من قمة جبل أو من طائرة ليتخلصوا مني، ولكن الله خيرٌ حافظ وهو أرحم الراحمين..

والسبب أن كشفت الحقيقة وأظهرت الحق، بأن شعب مخدوع ومضحوك عليه وملعوب عليه لعقود وعقود من الزمن يتم استعباده باسم الشرع، والشرع من براء، وقد بينت ذلك وفصلته مؤخراً بأقلامهم وأوراقهم وتحت نظرهم وسمعهم، بل وساقوني لذلك سوقاً، ومكروا مكراً ومكر الله مكراً وهو خير الماكرين..

وكانوا كعنز السوء التي قال عنها حسان بن ثابت:

ولا تك كالشـــاة التي كان حتفها بحفر ذراعها فلم ترض محفرا

وذلك أن شاةً أراد أهلها ذبحها فلم يجدوا سكيناً لذلك، فبينما هم كذلك إذ حفرت بظلفها في الأرض، فأظهرت سكيناً مدفوناً تحت التراب، فأخذوا السكين وذبحوها بها، فقالوا (عنز السوء حتفها في ظلفها).

وكذلك من أخرجني للمحكمة والمحاكمة هو كعنز السوء، فقد مكنني مما كان مستحيلاً بالنسبة لمن هو في مثل حالي ومكاني، فرددت عليهم في أكثر من أربعمائة صفحة وسميتها (الجواب المسدد لمن بدل دين الرسول محمد ﷺ عائلة آل سعود الضالة: خيانة شرع وخداع شعب وإذلال أمة)، فكم كنت أتمنى الرد على أكاذيبهم وافتراءاتهم ومزاعمهم ودعاويهم منذ سجني، ولكن لا حيلة؛ فلا أوراق ولا أقلام، والتفتيش في الطريق دخولاً وخروجاً، وبعد تسليمي للرد إلى محكمتهم الجاهلية سربه من موظفينهم إلى العالم، فالحمد لله الذي كاد لي.

ابنتي خديجة ابني سلمان.. إن جيلي والأجيال التي تلته هي أجيال النصر، قد أدركت الحقيقة وفهمت اللعبة ووعيت الخديعة الكبرى التي انطلت على كثير ممن قبلنا لظروف وأسباب مختلفة، ولا شك عندي بأن المرحلة القادمة مرحلة تغيير كبرى، وخصوصاً في جزيرة العرب، فالبركان سينفجر، والطوفان سيتحرك، ولن يبقَ في وجهه أحد يستعبد الناس ويخدعهم ويضحك عليهم، ونقمة الله وغضبه وعقابه لا بد أن يقع على الطغاة المستكبرين في الأرض بغير الحق، وسنة الله لا تتغير ولا تتبدل، والله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته..

ولذا أقول لكم هنا قفوا.. نعم قفوا عن القراءة، واذهبوا وتوضؤوا ثم توجهوا للقبلة، ارفعوا أيديكم وقولوا:

رباه إن الظلم دمّر عيشتي ... وقضى على وتري وحطم عودي
رباه إن الظالمين استكبروا ... في الأرض لم يدعوا لأي عهود
رباه لا تحلم عليهم وانتصر ... خذهم كعاد قبلهم وثمود
رباه عبدٌ قد دعاك بمهجةٍ ... حرىً وقلبٍ ثاكلٍ منكود
إن كنت في عجزٍ فإنك قادر ... فاثأر لركني الواهن المهدود
رباه مالي غير بابك منفذ ... فافتحه لي في دربي المسدود
ربّ ارضَ عني واحبُني منك الرضا ... فرضاك عندي غاية المقصود

آمين.. آمين.. آمين يارب العالمين.

ابنتي خديجة ابني سلمان.. أستودع الله دينكم وأماناتكم وخواتيم أعمالكم، وإلى لقاء قريب وقد رحل الطغاة إلى مزبلة التاريخ غير مأسوف عليهم.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبه أبوكم
فارس بن أحمد آل شويل الحسني الزهراني الأزدي
في سجن الحائر الجائر!.

لقاء مع الشيخ أبي جندل الأزدي [١]

المحاوِر:

بادئ ذي بدئ، نرحب بالشيخ أبي جندل الأزدي ونحييه، ونود منه في بداية هذا اللقاء أن يبين لنا سبب كتابته باسم أبي جندل الأزدي والجنوح عن التصريح بالاسم الصحيح، لأن البعض يُلبس عليهم بعض المخذلين بأن شيوخ المجاهدين مجاهيل ويكتبون بأسماء مستعارة، فلو ذكرت سبب ذلك ليتضح للقرّاء.

الشيخ:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أمرنا بحمده، وزادنا من فضله ورفده، وصلاته وسلامه على رسوله وعبده، وعلى آله وصحبه من بعده أما بعد:

فأرحب بإخوتي في مجلة (صوت الجهاد)، أحيي مجاهديهم، وأحيي قادتهم على أرض جزيرة العرب، من المحيط الهندي وبحر العرب جنوباً، إلى بادية الشام وريف العراق شمالاً، ومن خليج فارس شرقاً، إلى بحر القلزم (الأحمر) غرباً، كما أحيي بقية المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

أما بالنسبة للكتابة بالاسم المستعار وعدم الكشف عن شخصيتي الحقيقية فأقول: إن الجميع يعلم أن المجاهدين وقادة المجاهدين في حالة حرب مع الصليبيين واليهود (أمريكا وبريطانيا...) وأذنابهم المرتدين (الوكلاء) الذين يتواجدون في بلادنا ويحكموننا غصباً وقهراً وظلماً، ويعلم كيف أن هؤلاء الطواغيت قد تفننوا في إتقان وضع القيود والحواجز التي تمكنهم من السيطرة عند حدوث أي طارئ، وتمكنهم من قهر وإذلال الشعوب المسلمة، فنحن إذاً

---

[١] لقاء أجرته مجلة صوت الجهاد مع الشيخ تقبله الله (لقاء مع مجاهد – العدد العاشر) في ذي الحجة ١٤٢٤ هـ.

في حالة حرب واضحة يعرفها الجميع ويدركون أبعادها، لذا لا بد من أن يمارس قادة المجاهدين وشيوخهم كل الوسائل المشروعة في التخفي والتنكر والتمويه والتورية، فالمجاهدون يتدربون على تزوير الوثائق (دورة التحرير من قيود الطواغيت)، وذلك ليتمكنوا من تخطي عقبة القوائم السوداء وحواجز المطارات، لأنهم لا يعترفون أصلاً بوجود هذه التقسيمات الجغرافية للعالم الإسلامي، لأنهم يدركون أنها حواجز مصطنعة صنعها المستعمر انطلاقاً من قاعدة (فرِّق تسد)..

وكذلك تجدهم دائماً في ميدان المعارك لا يستخدمون أسماءهم الحقيقية إطلاقاً، فمثلاً الشيخ الإمام أسامة بن لادن في فترة من الفترات كان يُعرف بأبي القعقاع في مأسدة الأنصار وجاجي، وأيضاً بأبي عبد الله، وبأبي العصا لحمله عصاه باستمرار، حتى أن الأفغان ينادونه (أبو عصا)، أيضاً الشيخ الدكتور أيمن الظواهري كان يعرف باسم معتز -على ما أذكر-، والقائد الكبير محمد عاطف أبو سنة -إلى أن قتل رحمه الله وتقبله في الشهداء- لم يشتهر إلا باسم أبي حفص المصري، وسامر السويلم إلى يومنا هذا لم يشتهر إلا باسم خطاب، كذلك المهندس طلعت فؤاد قاسم إلى يومنا هذا لم يشتهر إلا باسم أبي طلال القاسمي [1]، وعبدالباسط كريم -فك الله أسره- عُرف واشتهر باسم رمزي يوسف، وغيرهم من القادة الكبار، من أمثال حبيب الشيخ أسامة وهو: علي أمين الرشيدي المكنى بأبي عبيدة البنشيري -تقبله الله شهيداً-، والشيخ يوسف العييري -رحمه الله وتقبله شهيداً-، كتب كتباً كثيرة بأسماء مستعارة، منها البتار وصلاح الدين وأبوقتيبة المكي، والقارئ المجاهد أبو هاجر العراقي -فك الله أسره-، والشيخ الهُمام البطل أبو محمد المقدسي عاصم البرقاوي -فك الله أسره- حين كتب كتاب الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية نشره -وهذا في البداية- باسم أبي البراء النجدي، والشيخ أبو قتادة عمر محمود أبو عمر -فك الله أسره-، وأبوبصير عبد

---

[1] فك الله أسره إن كان حياً وتقبله الله شهيداً إن كان قد قُتِل، لأن أخباره انقطعت منذ تسليمه إلى طواغيت مصر قاتلهم الله.

المنعم مصطفى حليمة -حفظه الله-، والقائمة طويلة، وإذا كنتم عرفتم الأسماء الحقيقية لمن تقدم، فسيأتي اليوم الذي تعرفون من هو أبو جندل الأزدي، أسأل الله الثبات حتى الممات.

والسؤال: هل ضر أولئك القادة والشيوخ والعلماء أن تسموا في فترة من الفترات بأسماء مستعارة؟، ثم هم اليوم يُعرفون للقاصي والداني وللعدو والصديق، فهلّا رد مخالفوهم عليهم وعلى أشرطتهم ومقالاتهم وكتبهم وبحوثهم؟

واتركوكم من أبي جندل إلى أن تعرفوه في يوم من الأيام، إما بعد مقتله شهيداً بإذن الله، أو عند أسره أسأل الله -ألا يمكن الطواغيت منّا-، أو عند تغير الحال قريباً بإذن الله وهذا فألي.

وكما قيل (اعرف الحق تعرف أهله)، وَ (الرجال يعرفون بالحق ولا يعرف الحق بالرجال)، وأظن أن من الأسباب التي تجعل قادة المجاهدين وشيوخهم يستخدمون الأسماء المستعارة أنهم يعيشون في بلدان تمارس قمعاً فكرياً من قِبل هذه الأنظمة البطاشة -كما سماها الشيخ أسامة بن لادن -، فكل معارض لها تسجنه وتقتله وتطارده، فكيف بمن يرى ويقول بأن هذه الأنظمة أنظمة كافرة لا شرعية لها، ويجب الخروج عليها، هل تتوقعون من هذه الأنظمة غير الحبس والبطش والقتل؟!

ولذا لجؤوا إلى الكتابة بالاسم المستعار حتى حين، وذلك للنجاة من هؤلاء الطواغيت هذا أولاً، والثاني للاستمرار في العطاء لمواجهة حملات الصليب والردة.

وأظن أن هذين المطلبين التخفي من أنظمة الكفر البطاشة والاستمرار في العطاء هي من المطالب المشروعة التي لا غبار عليها، وقد تجاوزت الأمة هذه المسألة -وهي المطالبة بالكشف عن هوية الكاتب-، ثم مع وجود وسيلة الشبكة المعلوماتية وانتشارها بين الناس أصبح من المألوف لهم الكتابة بالاسم المستعار وكسب الثقة في الكاتب من خلال الطرح المتواصل.

وأخيراً أقول:

لا تحقرنَّ الرأي وهْو موافق حُكْمَ الصواب، وإن أتى من ناقص
فالدُّرّ وهْو أَعَزّ شيء يُقْتَنى ما حَطّ رُتْبَتَه هوانُ الغائص

المحاوِر:

ما الأسباب والأمور الموجبة للجهاد على أرض الجزيرة العربية؟

الشيخ:

الأسباب الموجبة للجهاد في جزيرة العرب كثيرة جداً، وكل سبب يُعتبر أحد مفاتيح الصراع التي لو لم يتوفر منها إلا هو لكفى به سبباً موجباً للجهاد، إذ أعداء الله قد كشروا عن أنيابهم وأظهروا نواياهم وكشفوا مخططاتهم.

فإخراج المشركين من جزيرة العرب سبب رئيس في قيام الجهاد في جزيرة العرب، والأدلة على ذلك كثيرة ومتوافرة، والبحوث في ذلك منتشرة لا تخفى على كل ذي لب، لو لم يكن منها إلا حديث النبي ﷺ: ((أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)) لكفى، وإني لأتعجب ممن لا زال يطنطن حول أن هؤلاء معاهدون وذميون... إلخ، وسأورد هنا تعريفاً للذمي وأريد من القارئ أن يطبقه على الأمريكان: (هو الكتابي (يهودي أو نصراني) وكذلك المجوسي، واختُلف في غيرهم الذي يقيم بدار الإسلام (عدا جزيرة العرب)، ويلتزم بأحكام الإسلام في المعاملات ويدفع الجزية عن يدٍ وهو صاغر) ولن أطيل في الحديث هنا ولكن على القارئ أن يحكم.

كيف وقد اجتمع مع ذلك أن الحرب الصليبية الجديدة بمراحلها التي تمت أفغانستان ثم العراق ثم... ثم... كلها انطلقت من جزيرة العرب، من قاعدة الخرج وقاعدة العُديد والكويت... إلخ، فهل هؤلاء ذميون يا عقلاء؟!

يقول الإمام حمود العقلا الشعيبي رحمه الله في كتابه القول المختار في حكم الإستعانة بالكفار: (ولما رأيت بعض الحكومات – التي تدعي الإسلام – في الجزيرة العربية قد تجاهلت مدلول هذه النصوص، فسهلت الطريق لدخول اليهود والنصارى إلى الجزيرة، ومكنتهم من الإقامة فيها، وتكديس ترسانات أسلحتهم المتنوعة فيها لإرهاب المسلمين، وتهديد استقرار الشعوب العربية المسلمة، ومهاجمتهم بالأسلحة الفتاكة، واستمرار الهجمات والضربات العسكرية عليهم من وقت لآخر... رأيت لزاماً عليّ أن أبين هذه الحقيقة وفق ما يفهم من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فكتبت هذا البحث المختصر وضمنته بعضاً من النصوص الواردة في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة في هذا الشأن، كما ذكرت فيه جملة من أقوال علماء الأمة الذين أدوا الأمانة ووفوا بالعهود التي أخذها الله عليهم، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً).

ويقول رحمه الله: (لقد اتفق من يعتد بقوله من فقهاء الأمة وعلمائها على أنها لا تجوز إقامة اليهود والنصارى والمشركين في جزيرة العرب، لا إقامة دائمة ولا مؤقتة، ما عدا أن بعض العلماء يرى جواز إقامتهم ثلاثة أيام للضرورة، ولا يجوز لمسلم أن يأذن لهم في دخولها للإقامة. معتمدين على الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ والآثار الثابتة عن الصحابة رضوان الله عليهم – ثم أورد تلك النصوص، ثم قال –: هذه النصوص وغيرها مما لم أورده تدل دلالة قاطعة على أنه لا يجوز لليهود والنصارى وغيرهم من الكفار أن يبقوا في جزيرة العرب، وهي كما ترى في مكان من حيث الصحة والصراحة ووضوح المعنى، والإحكام بحيث لا يمكن الطعن فيها بالتضعيف، أو التأويل، أو دعوى النسخ؛ وذلك أنها مخرجة في الصحيحين وبعضها في المسند وبعضها في السنن، وقد اتفق العلماء على أن ما اتفق على إخراجه البخاري وَمسلم رحمهم الله أنه يفيد العلم اليقيني، لأن الأمة تلقته بالقبول والتصديق، فلا مجال للطعن فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، وأما عدم جواز تأويلها فذلك لأجل صراحة ألفاظها ووضوحها وكونها نصاً في الموضوع لا يحتمل لفظها معنى غير المعنى الظاهر منها؛ وما كان كذلك فلا يصح تأويله عند علماء الأصول وغيرهم من العلماء، إنما الذي

يجوز تأويله من النصوص هو الذي يكون لفظه محتملاً لمعنيين فيرجح أحدهما لأجل قرينة تحف به، أما كونها محكمة وغير قابلة للنسخ فلأجل أن النبي ﷺ أمر وأوصى بإخراجهم من جزيرة العرب في آخر حياته كما روى الإمام أحمد عن عائشة أنها قالت: "كان آخر ما عهد به رسول الله ﷺ أنه قال: ((لا يترك بجزيرة العرب دينان))، وكما قال الإمام مالك رحمه الله في الموطأ: أنه سمع عمر يقول: (كان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أنه قال: ((قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يبقين دينان بأرض العرب))، فإذا كان الأمر كذلك فدعوى النسخ غير واردة لمعرفة تأخر تأريخ تكلمه ﷺ بذلك...) أ. هـ.

ومن الأسباب الموجبة للجهاد: إزالة أنظمة الكفر والردة التي حكمت بغير بما أنزل الله، وعطلت العمل بالحدود والأحكام الشرعية، واحتكمت إلى شرائع الكفر الطاغوتية من دون شرع الله، وشرّعت التشريع المضاهي لشرع الله تعالى، ونسبت لنفسها كثيراً من خصائص وصفات الإلهية، وحللت الحرام وحرّمت الحلال، وحاربت الله ورسوله والمؤمنين بأساليب مختلفة ومتنوعة ترغيباً وترهيباً، وصدّت الناس عن دين الله تعالى، وعن التوحيد الخالص بمكر الليل والنهار من أجل أن يتحقق لهم ذلك، وكرهت ما أنزل الله من الدين والتوحيد والجهاد، وسخِرتْ من دين الله ومن أوليائه، وباركت الشرك الأكبر وأقرّته ولم تُغيره، أو حتى سمحت بتغييره، ودخلت حتى العظم في موالاة أعداء الأمة من اليهود والنصارى، وخدمتهم وخدمت مصالحهم وذادت عنهم... إلخ، ولكل فقرة من هذه الفقرات عشرات الأدلة من الكتاب والسنة، فكيف بها وقد اجتمعت كلها في هذه الأنظمة الكافرة؟

ومن الأسباب الموجبة للجهاد: استنقاذ أسرانا من سجون هؤلاء الطواغيت في جزيرة العرب، وقد كتبت في ذلك كتاباً بعنوان (وجوب استنقاذ المستضعفين من سجون الطواغيت والمرتدين)، وذكرت فيه عشرات القصص لما يجري لإخواننا المأسورين فك الله أسرهم يقول الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾.

يقول سيد قطب رحمه الله: (وكيف تقعدون عن القتال في سبيل الله واستنقاذ هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان؟

هؤلاء الذين ترسم صورهم في مشهد مثير لحمية المسلم، وكرامة المؤمن، ولعاطفة الرحمة الإنسانية على الإطلاق..

هؤلاء الذين يعانون أشد المحنة والفتنة؛ لأنهم يعانون المحنة في عقيدتهم، والفتنة في دينهم، والمحنة في العقيدة أشد من المحنة في المال والأرض والعرض، لأنها محنة في أخص خصائص الوجود الإنساني، الذي تتبعه كرامة النفس والعرض وحق المال والأرض).

وقال العز بن عبد السلام رحمه الله: (وإنقاذ أسرى المسلمين من أيدي الكفار من أفضل القربات، وقد قال بعض العلماء: إذا أسروا مسلماً واحداً وجب علينا أن نواظب على قتالهم حتى نخلصه أو نبيدهم، فما الظن إذا أسروا خلقاً كثيراً من المسلمين؟!).

ومن الأسباب الموجبة للجهاد: إقامة دولة الإسلام، واستعادة أموال المسلمين المنهوبة، والدفاع عن أموالنا وعن أعراضنا وعن أراضينا وعن بحارنا، وقبل ذلك عن ديننا، وهذه كلها من جهاد الدفع، ولذا علينا أن نحرك أمتنا المسلمة لكي تذود عن كل ما سبق، والله أعلم.

المحاوِر:

اشتهر في الإنترنت كتابكم النافع (الباحث عن حكم قتل أفراد وضباط المباحث)، فهل لك أن تحدثنا باختصار عن الحكم الشرعي لمواجهة المباحث؟ وهل لك أن توجز لنا المسألة بارك الله فيك؟ مع ذكر سبب التأليف؟

الشيخ:

بالنسبة لكتاب (الباحث عن حكم قتل أفراد وضباط المباحث) بطبعته الأولى والثانية فهو من أشهر الكتب التي تم تداولها في الإنترنت مع كتاب (الكواشف الجلية في كفر الدولة

السعودية) وكتاب (أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان)، وقد أثار هذا الكتاب بفضل الله عز وجل ردوداً طيبة بين طلبة العلم وشباب الإسلام، وأثار أيضاً ردوداً عنيفة بين أنصار الطواغيت، حتى إن بعض مشايخ الكويت اجتمعوا بصباح الأحمد في الكويت لمناقشته كما ذكر ذلك محمد العوضي في جريدة الراية الكويتية، حيث قال تحت عنوان: (خواطر قلم: دوام الظلم.. شر! كان الدكتور طارق الطواري والدكتور عادل الصبيح يستعدان للقاء الشيخ صباح الأحمد بخصوص التجاوزات التي دفعت بعض الشباب الكويتي المظلوم إلى أن يستفتي بعض أساتذة الشريعة عن حق الإنسان في أخذ مظلمته بيده مادياً إذا لم يجد من ينصفه من خصمه، وانتشرت مذكرة (الباحث في جواز قتل المباحث) وكادت الفاس تقع في الرأس، دخل الدكتوران على الشيخ صباح ومعهما أدلة وصور ومذكرات خطيرة تنذر بخطر وفتنة تمزق الدولة بسبب ممارسات أمن الدولة، وأعطى الشيخ صباح أوامره لفتح ملف التحقيق في هذه الانتهاكات.

قبل خمسة أيام لقيت الشاب (ف) المعذب البريء، وسألته هل رجعت إلى دراستك، قال لا، قلت سأذهب إلى وزير التربية لموضوعك..

أما المذكرة الخطيرة التي بدأت تنتشر في الخليج وسحبت من الإنترنت (الباحث في قتل المباحث)، فقد أعطيت وزير الأوقاف عبد الله المعتوق نسخة منها قبل أن يكون وزيراً بشهور لنقضها كما يقوم الدكتور الطواري بتفنيدها).

(لم نرَ أي رد أو تفنيد!!).

وجاء في جريدة الجزيرة في حوار أجرته – حسب زعمها مع تكفيري تائب!!!: (والكتب التي توزع بشكل كبير كتاب الباحث في حكم قتل أفراد وضباط المباحث الذي يجيز قتل رجال الأمن).

والكتاب فعلاً انتشر انتشار النار في الهشيم، وأثار بلبلة في أوساط المباحث، وبدأ كثير منهم يخاف من القتل، وهو كما تعلمون يبين حكم المباحث ويشرح طبيعة عملهم وعمل الجيوش المعاصرة، وحكمهم في كتاب الله وفي سنة محمد ﷺ، وَإجماعات أهل العلم، كما يبين بعض المسائل مثل مسألة العدو الصائل، ومسألة مداهمة المنازل، وفيه بعض الوصايا القيمة للمجاهدين، وكان سبب تأليفه ما جرى من مطاردات للمجاهدين في أرجاء الجزيرة العربية وبالذات حدث الشفا في شهر رمضان من عام ١٤٢٣هـ، فوضحت حكمهم من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وكلام فقهاء وعلماء المسلمين، وقد ذكرت ما يقرب من عشرين دليلاً على ذلك، ثم أكدت على قاعدتين مهمتين في الحديث في مثل هذه المسائل وهما:

القاعدة الأولى: (أن تبين الموانع إنما يجب في المقدور عليه، ولا يجب في الممتنع أو المحارب)، وبعبارة أخرى: (أن الفرد في الطائفة الممتنعة عند القدرة له حكم رؤوس الطائفة).

القاعدة الثانية: (أن شروط التكفير وموانعه وأسبابه لا تثبت وتعتبر إلا بدليل شرعي معتبر)، أو بمعنى آخر: (المانعية والشرطية وكذلك السببية لابد لإثباتها واعتبارها دليل شرعي)، فالموانع والشروط والأسباب كل ذلك من الأحكام الشرعية الوضعية التي وضعتها الشريعة بتوقيف.

ونقلت كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٣٠) والذي يقول فيه عندما سئل عن عسكر التتار وحكم جهادهم: (فهؤلاء القوم المسؤول عنهم عسكرهم مشتمل على قوم كفار من النصارى والمشركين، وعلى قوم منتسبين إلى الإسلام وهم جمهور العسكر ينطقون بالشهادتين إذا طُلبت منهم، ويعظمون الرسول، وليس فيهم من يُصلي إلا قليل جداً، وصوم رمضان أكثر فيهم من الصلاة، والمسلم عندهم أعظم من غيره، وللصالحين من المسلمين عندهم قدر، وعندهم من الإسلام بعضه، وهم متفاوتون فيه، لكن الذي عليه عامتهم والذي يُقاتلون متضمن لترك كثير من شرائع الإسلام أو أكثرها، فإنهم أولاً يوجبون الإسلام ولا يُقاتلون من تركه، بل من قاتل على دولة المغول عظموه وتركوه

وإن كان كافراً عدواً لله ورسوله، وكل من خرج عن دولة المغول أو عليها استحلوا قتاله وإن كان من خيار المسلمين.

فلا يُجاهدون الكفار، ولا يُلزمون أهل الكتاب بالجزية والصغار، ولا ينهون أحداً من عسكرهم أن يعبد ما شاء من شمس أو قمر أو غير ذلك، بل الظاهر من سيرتهم أن المسلم عندهم بمنزلة العدل أو الرجل الصالح، والكافر عندهم بمنزلة الفاسق في المسلمين..!

وكذلك عامتهم لا يحرمون دماء المسلمين وأموالهم، إلا أن ينهاهم عنها سلطانهم؛ أي لا يلتزمون تركها، وإذا نهاهم عنها أو عن غيرها أطاعوه، لكونه سلطاناً لا بمجرد الدين، وعامتهم لا يلتزمون الواجبات، ولا يلتزمون الحكم بينهم بحكم الله، بل يحكمون بأوضاع لهم توافق الإسلام تارةً وتخالف أخرى..!

وقتال هذا الضرب واجب بإجماع المسلمين، وما يشك في ذلك من عرف دين الإسلام وعرف حقيقة أمرهم، فإن هذا السلم الذي هم عليه ودين الإسلام لا يجتمعان أبداً) أ. هـ.

وقد نبهت إلى أن أمراء الجهاد والمجاهدين قد يرون أنه من باب السياسة الشرعية أن لا يكون هؤلاء الجند هدفاً دائماً للمجاهدين إلا في حالة الدفاع عن النفس، وأن يكون العمل كله موجهاً إلى رؤوس الكفر وأئمة الطغيان أصحاب القرار مثل الرؤساء وكبار الوزراء وما شابه ذلك... فدول الردة هذه بقاءها مرتبط بإلههم أمريكا، فمتى سقطت سقطوا؛ فلذا توجه الجهود على إمام الكفر الكبير، ويأتي دور هؤلاء، وهو خلاف ليس في أصل المشروعية وإنما في التكتيك العسكري وبمن نبدأ أولاً، ولا ينكر على من قاتلهم واستهدفهم ولكن من عُرف من الجنود أو من ذوي الرتب الصغيرة بشدة عدائه للإسلام والمسلمين، وبأذاه الشديد للمسلمين: يُقصد بعينه ويُزال لتزول معه فتنته للعباد، ولا يتشفع له كونه جندي أو من ذوي الرتب الصغيرة، فكم من صاحب رتبة صغيرة اشتدت فتنته على العباد أكثر من أسياده وزعمائه الكبار..!

ولو تأملتم حال أفغانستان والشيشان والعراق... لرأيتم أن هناك عدوٌ خارجي (الصليب وأهله) وعدوٌ داخلي (أنظمة الردة وأنصارها)، وفي كل الميادين تجدون استهداف هذا وذاك ولا بد، ولم ينكر هذا أحدٌ فكذلك الحال في جزيرة العرب.

والكتاب يقع في (١١٠) صفحات، وكنت أتمنى ممن يخالف في مثل هذا المسألة أن يقوم بكتابة ردٍ علمي مؤصلٍ مبني على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولكن للأسف ليس لدى شيوخ آل سلول إلا الصياح والتشغيب والقمع الفكري لكل مخالفيهم، وصكوك الرحمة والغفران للطواغيت وأنصارهم، وصكوك اللعنة والجحيم لمن خالف آل سلول، حتى إن مفتيهم أصدر فتوى في الكتاب ورد عليه في سطرين بأنْ قال كما في جريدة الرياض العدد (١٢٨٤١) ما يلي: (هذا باطل وكذب وافتراء على الله، هذه المقالة لا تصدر من قلب فيه إيمان)!!.

وأنا أسأل كل من يقرأ هذه المجلة: هل من المقبول أن يقومَ شخصٌ بالرد على كتابٍ يقع في (١١٠) صفحات في سطرين؟!! ويحكم على المؤلف بالكفر وعدم الإيمان بدون تبين شروط وانتفاء موانع؟ وهل نحن الذين نكفر بلا علم وبرهان أم هم شيوخ السلطان؟

وهذا الموقف يذكرني بموقف ذلك الشيخ السلطاني الآخر والذي ذكر قصته أبو قتادة فك الله أسره إذ قال في مقالات بين منهجين المقال رقم (٩): "ألف بعض الشباب الموحد كتاباً سماه (الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية) (ويقصد به الشيخ الصادع بالحق أبا محمد المقدسي فك الله أسره، وقد ألفه في عام ١٤١٠هـ وسنه في ذاك الوقت ٣٢ سنة تقريباً)، وبجهود بعض الشباب المجاهد دخل هذا الكتاب أرض الجزيرة، وتداوله الناس، وحاول بعض الأذكياء أن يقدمه هدية لبعض الشيوخ -شيخ علم لا شيخ عشيرة- ليطلع عليه، ويفيد منه، وإذا كان له بعض الملاحظات لينتفع كاتبه بها فليذكرها، قال الراوي: دخلت على الشيخ في مجلسه، وناولته الكتاب، نظر الشيخ إلى طرته (عنوانه)، انتفض الشيخ، أرغى وأزبد، شتم وقذف، غضب غضبة لم تعهد منه، ثم ركض إلى التلفون قائلاً:

الآن سأتصل بوزارة الداخلية، وأخبر الوزير بهذا الكتاب ليقضي عليه، قام الحضور وهدؤوا الشيخ، وخففوا من غضبه، ومارسوا كل أصناف المهدئات حتى سكن غضب الشيخ، جلس الشيخ على المقعد الوثير ثم توجه إلى الحضور قائلاً: من كان منكم يعرف مؤلف الكتاب فليخبره أني أحكم عليه أنه كافر بالله العظيم، قولوا له: إنك بتأليف هذا الكتاب كفرت بالله العظيم، قال الراوي: وجم الحضور لهول المفاجأة، ودارت بهم رؤوسهم، لكن ردهم لرشدهم شاب جريء، هذا الشاب توجه لشيخ العلم، وعلم الدنيا سائلاً: شيخنا هل قرأت الكتاب من قبل؟ رد الشيخ قائلاً: لا، لم أقرأه، ولا أريد قراءته!!! وانتهت الحكاية المرسلة.

نعم إنها سلفية، ولكنها سلفية زادت إلى أركان الإيمان ركناً جديداً، هو الإيمان بكل سلفي حتى ولو كان كافراً، حتى لو كان هذا السلفي هو آل سعود، لأن آل سعود من أصحاب: (العقيدة الصحيحة)، وتستطيع أن تنطقها: العكيدة الصحيحة" أ. هـ

ومن العجائب أن شيوخ آل سلول لطالما صاحوا وأرغوا أن التكفير لا يكون إلا من كبار العلماء!!!

وعندما خرج اللص الجاهل سلطان بن عبد الإنجليز وَكَفَّر الشيخ أسامة لم يقولوا كلمتهم تلك!! وكذلك عندما خرج التالف نايف وكفر كل أعضاء تنظيم القاعدة لم يتحرك هؤلاء الشيوخ العُجز ولم ينبسوا ببنت شفة!!.

تتمة اللقاء في العدد القادم..

تتمة اللقاء مع الشيخ أبي جندل اللأزدي[١]

المحاور:

نستكمل في هذا العدد بقية اللقاء مع الشيخ أبي جندل الأزدي سائلين الله لنا وله التوفيق والثبات، وأن ينفع بهذا اللقاء كلّ من قرأه أو سمعه..

س: يعترض البعض على الجهاد في الجزيرة العربية بحجة أن الناس غير مهيئين لقيام الجهاد وغير مستعدين لمساعدة المجاهدين فما الرد الشرعي على مثل هذا؟

الشيخ:

من غير المستغرب أن تخرج رؤوس النفاق والقاعدين عند بدء مسيرة الجهاد، فسيخرج عليك مَنْ يقول: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾.

وآخر يقول: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾..

وثالث يقول: ﴿غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ﴾..

ورابع يقول وهو يخشى على صحتكم من الطقس والتضاريس ﴿لاَ تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ ولا في البرد، وانتبهوا فأمامكم السجون..

---

[١] مجلة صوت الجهاد (العدد الحادي عشر) محرم ١٤٢٥ هـ.

وعاشر يحلفُ بالله: ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾..

ومائة يقول لك: ﴿ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي﴾..

بل وسيحلفون بالله: ﴿إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۝ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾..

وسيحلفون بالله: ﴿لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾، وإذا صدر منهم الكلمات الخطيرة والبيانات المناصرة للطواغيت والمجادلة عنهم وأتيت معترضاً عليهم فسـ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ إلخ.

وهؤلاء ينطبق فيهم قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَسْتَاذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ۝ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ۝ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ .

فعلى المجاهدين وقادتهم ألا يعوّلوا عليهم في عملهم وجهادهم، بل يسيروا بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَاذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾.

ثم إني أقول: إن غير المهيأ يحتاج إلى تهيئة، والتهيئة تمر بمراحل وخطوات، والمجاهدون وقادتهم لهم أكثر من عشرين عاماً وهم يعدون الأمة ويدربون شباب الإسلام، وأصدروا الكتب والبيانات والأشرطة والأفلام المرئية والأشرطة المسموعة إلخ، بل أقولها وأنا مطمئن

لذلك: إن أكثر شعب مر بمرحلة التوعية والتبصير هم أهل جزيرة العرب، بل والواقع والتجربة تُثبت أن أكثر من تمرد على الكفر العالمي هم أبناء جزيرة العرب..

وهذا الذي جعل الشيخ أسامة يقول: (ولكن إن شاء الله النصر القادم في الحجاز ونجد سينسي أمريكا أهوال فيتنام وبيروت وغيرها)، وأيضاً حين قال: (إن أمريكا بدخولها في صراع مع أبناء الحرمين سوف تنسى أهوال فيتنام، وهذا الذي كان بفضل الله سبحانه وتعالى وما خفي كان أعظم بإذنه سبحانه وتعالى).

وبما أن كفر طواغيت الخليج قد بان للقاصي والداني، فلا تنتظر من أهل جزيرة العرب إلا التمرد عليهم والانتقام منهم، وهذا يصدقه ما قاله ابن خلدون رحمه الله عن طبيعة العرب في المقدمة: في الفصل السابع والعشرون في: (أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصيغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة، والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض؛ للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة، فقلما تجتمع أهواؤهم، فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم، وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة الوازع عن التحاسد والتنافس؛ فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله يذهب عنهم مذمومات الأخلاق ويأخذهم بمحمودها ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق؛ تمّ اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك، وهم مع ذلك أسرع الناس قبولاً للحق والهدى، لسلامة طباعهم من عوج الملكات، وبراءتها من ذميم الأخلاق، إلا ما كان من خلق التوحش القريب المعاناة المتهيئ لقبول الخير ببقائه على الفطرة الأولى وبعده عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات، فإن كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم) .

المحاورِ:

ما هي نظرتك لأثر التراجعات الأخيرة على شباب الجزيرة؟ وهل أحدثت التراجعات ذلك الأثر الذي كان يؤمله آل سلول؟

الشيخ:

يقول أحد خبراء الإرهاب الدولي وهو أمريكي: (إن مشكلة هؤلاء الناس أننا إذا أردنا أن نسيطر على أعضاء أي جماعة نسيطر على زعمائها، وبذلك نستطيع السيطرة على كل أفرادها؛ إلا هؤلاء، إذا تغيرت قياداتهم غيروها ووضعوا قيادات أخرى على نفس المنهج وأكملوا أعمالهم التي يعتقدونها!) أ. هـ.

أولاً أقول: إن هذه القضية أخذت قسطها الوافي من الردود والتفنيد والبيانات، وقد انتهى مفعولها بسبب المضادات الحيوية التي قدمها المجاهدون وقادتهم وغيرهم من الصادقين للمسلمين، وأظن أن آل سلول أرادوا أن يعملوا بالقاعدة المشهورة (لا يفل الحديد إلا الحديد)، ولكن بعبارة (لا يفل الدين إلا الدين)، فلما رأوا أن دعوة المجاهدين لها أرضية قوية في نفوس المسلمين بسبب انطلاقها من آيات وأحاديث بينات واضحات، ولما كان لهؤلاء العلماء فك الله أسرهم دورٌ يُشكرون عليه في تبصير الناس؛ أرادوا أن يُظهروهم كمتراجعين حتى يضربوا الصالحين بالصالحين، ولا أريد الإطالة في هذا الموضوع.

ثانياً: إذا أصرّ المجادل عن الطواغيت عايض القرني على إلزامنا بتصديق وزارة الداخلية؛ نقول هذا يدعونا لأن نصدقهم في دعواهم عليه قبل عقد من الزمان، فإذا صدقناهم في ذلك تبين لنا أنه فاسقٌ ماجنٌ، وهذه الصفة تطعن وتنسف شهادته ومقابلاته من أصلها، وتُلزم إمامه (أبا رغال) أن يقيم عليه الحد، ولا يجوز إسقاط الحد عنه، لا من حاكم ولا من غيره، وإذا كان الله عز وجل قد أبطل شهادة القاذف فمن باب أولى من فعلَ فِعلَه –على حد زعمهم– كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ

الْفَاسِقُونَ﴾ يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية وهو يعدد الأحكام التي تؤخذ منها: (أنه ترد شهادته أبداً... أن يكون فاسقاً ليس بعدل، لا عند الله ولا عند الناس).

ولذا أقول -والله أعلم-: أن هذه التراجعات قد أتت على عكس ما كان يؤمله آل سلول -عليهم من الله ما يستحقون وأرانا الله فيهم يوماً أسودا-، وقد كفانا الشيخ عبد الله الرشيد في رده القيم هشيم التراجعات.

المحاوِر:

ما هي آخر إصدارات الشيخ أبي جندل الأزدي؟

الشيخ:

آخر الإصدارات هو كتاب (قصص تاريخية للمطلوبين)، وقد ذكرت فيه أكثر من (١٦) قصة من التاريخ للأنبياء والرسل والصحابة والتابعين والعلماء والصالحين والذين كان يطلبهم الطواغيت والظالمون ففروا منهم واختفوا عنهم، وأن ذلك من الدين والإيمان كما بوَّب البخاري رحمه الله في صحيحه: (باب من الدين الفرار من الفتن)، لا كما يزعم شيوخ البلاط الملكي، وذلك تسلية لأحبتي المطلوبين في كل مكان من الأرض، وإن كان سبب التأليف هو الـ (٢٦) حماهم الله من شر طواغيت آل سلول وأذنابهم.

المحاوِر:

نصيحة توجهها لأهل الجزيرة العربية في ظل هذه الهجمة الشرسة من قبل الصليبيين:

الشيخ:

أقول لأهلنا في جزيرة العرب: إن بلادكم تقع في وسط العالم، وفيها قبلة المسلمين، وفيها مكة والمدينة، وتحيط بها أهم وأغنى بحار العالم، وأهم المضايق البحرية، وفيها أكبر مخزون نفطي، وفيها قبل كل ذلك أنتم أبناء الفاتحين الأُول، فأنتم أبناء وأحفاد المهاجرين والأنصار،

منكم خرج الصحابة يفتحون الأمصار تلو الأمصار، ومنكم أيضاً خرج الفاتحون الجُدد، خرج منكم الإمام قائد المجاهدين أسامة بن لادن، ومنكم خرج خطاب، وأبو الوليد، وأبو علي الحارثي، وأبو عمر السيف، ومنكم خرج كوكبة غزوتي نيويورك وواشنطن الذين دكَّوا أنف راعية الصليب، وما زال الأبطال يخرجون السرية تلو السرية والكتيبة تلو الكتيبة..

فهل ترضون أن يسيطر الصليب ووكلاؤهم على أرضكم وينهبون أموالكم وخيراتكم ويقتّلون أبنائكم؟

إلى متى وأنتم ساكتون على هذا الظلم والقهر؟

وإلى متى وأبناؤكم ونساؤكم في سجون طواغيت الجزيرة؟

وإلى متى وأشراف أمتكم وخيارهم يُطاردون ويهانون؟

وإلى متى وطائرات الصليب تقلع من أرضكم لتدك إخوانكم المسلمين في أفغانستان والعراق وغيرها؟.

أما علمتم أن الصليبيين قد رسموا خطتهم وجعلوا العراق هدفهم التكتيكي وأنتم الهدف الإستراتيجي؟

ألم تعلموا بأنهم رسموا صورةً لنسرٍ يقفُ بمخالبه على أرض العراق، وذيله باتجاه تركيا وبلاد القوقاز، وأجنحته مفرودة باتجاه بلاد فارس وخراسان شرقاً، والشام والبحر المتوسط ومصر غرباً، وأما الرأس فهو باتجاهكم أنتم، فهل تريدون أن يصيبكم ما أصاب إخوانكم في مشارق الأرض ومغاربها بسبب سكوتكم عن هؤلاء الطواغيت المتحالفين مع الصليبيين؟!

ألم تعلموا أن الصليبيين يريدون لدولة يهود الكبرى أن تتم، وأن الرافضة يحلمون ويعملون لإقامة دولتهم الكبرى، وكفرة الأكراد يريدون قيام دولتهم الكبرى، وأنتم الضحية على كل الأحوال إن لم تتداركوا أمركم وتدعموا إخوانكم المجاهدين في كل مكان..!

يا أهل جزيرة العرب، يا شباب الإسلام.. ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، و ﴿خُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾، و ﴿اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾.

واعلموا أنكم عُمق المجاهدين الاستراتيجي، فأنتم سندنا بعد الله، واعلموا أيضاً أن الطواغيت يحاولون أن يُحدثوا بيننا وبينكم فجوةً وأن يُلصقوا بنا التهم والأكاذيب؛ فاحذروهم ولا تصدقوهم.

يا أهلنا في جزيرة العرب (كل جزيرة العرب).. احذروا قوانين سحب السلاح منكم، واعلموا أن الطواغيت ماضون في شرائه منكم وسن القوانين لكي تمنعكم من حيازته وحمله تحت ذريعة "مكافحة الإرهاب" قال تعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾؛ فاحذروا ثم احذروا حتى لا تصبحوا قطيعاً من الأغنام يحركها الصليب كيف يشاء.

وأخيراً: اعلموا أن المجاهدين لا يقاتلون نيابةً عنكم، وإنما هم طليعةٌ لكم ولأمتكم، وعليكم أن تسيروا على دربهم، وتكملوا نقصهم، وتسدوا خللهم، وتدعموهم بأموالكم وأسلحتكم ورجالكم، وتؤوهم وتحموهم وتؤازروهم؛ فنصرتهم عليكم واجبة. والله أعلم.

المحاوِر:

بعد طلب حكومة آل سلول المفاوضات مع المجاهدين عبر قنواتها (العواجي وأمثاله)، فهل ترى من المصلحة للمجاهدين القبول بمبدأ المفاوضات في الوقت الراهن؟

الشيخ:

أظن أن قاعدة الجهاد صاحبة الخبرة الطويلة والمعرفة بكل تجارب المجاهدين المعاصرة، وقد أثبتت التجربة في مصر واليمن والجزائر... إلخ أن فتح مجال نقاش هذه المسألة يؤدي إلى الإضرار بالمجاهدين دائماً، ولعل تجربة الفقعسي -فك الله أسره- خير دليل على أن هؤلاء المفاوضين لا يملكون من أمرهم شيئاً، والعواجي يُعتبر الناطق الرسمي لمحمد بن نايف وليس الوسيط، أضف إلى ذلك أن الكافر المرتد ليس له إلا العودة إلى الإسلام أو القتل والذبح كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((من بدَّل دينه فاقتلوه)) [رواه البخاري].

وإذا كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد قاتل مانعي الزكاة من أجل الامتناع عن الزكاة فقط، قال كما روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله)). فقال: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها". قال عمر رضي الله عنه: "فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه، فعرفت أنه الحق".

فعلى المجاهدين أن يقولوا بصوت عالٍ كما قال أبو بكر رضي الله عنه:

والله لنقاتلنّ الصليبيين المتواجدين على أرضنا والسارقين لأموالنا والقاتلين لإخواننا..

ووالله لنقاتلنّ من حكمَ بغير بما أنزل الله، وعطّل العمل بالحدود والأحكام الشرعية..

ووالله لنقاتلنّ الطواغيت الذين يحتكمون إلى شرائع الكفر الطاغوتية من دون شرع الله..

ووالله لنقاتلنّ الذين يُشرّعون التشريع المضاهي لشرع الله تعالى وينسبون لأنفسهم كثيراً من خصائص وصفات الإلهية..

ووالله لنقاتلنّ الذين حللوا الحرام وحرموا الحلال..

ووالله لنقاتلنّ الذين يحاربون الله ورسوله والمؤمنين..

ووالله لنقاتلنّ الذين يصدون الناس عن دين الله تعالى، وعن التوحيد الخالص ويمكرون بالليل والنهار من أجل أن يتحقق لهم ذلك..

ووالله لنقاتلنّ الذين يكرهون ما أنزل الله من الدين والتوحيد والجهاد..

ووالله لنقاتلنّ الذين يسخرون من دين الله ومن أوليائه..

ووالله لنقاتلنّ الذين يباركون الشرك الأكبر ويقرونه ولا يُغيرونه، ولا يسمحون بتغييره..

ووالله لنقاتلنّ الذين هم داخلون حتى العظم في موالاة أعداء الأمة من اليهود والنصارى وفي خدمتهم وخدمة مصالحهم والذود عنهم..

وأوصيهم أن يسيروا في طواغيت الجزيرة كسيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في المرتدين في زمنه، إذ أوصى كما في البداية والنهاية (٦/ ٣١٩): (كتب أبو بكر الصديق إلى خالد بن الوليد حين جاءه أنه كسر طليحة ومن كان في صفه وقام بنصره، فكتب إليه:

"ليزدك ما أنعم الله به خيراً، واتق الله في أمرك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، جُدَّ في أمرك ولا تلن، ولا تظفر بأحد من المشركين قتل من المسلمين إلا نكلت به، ومن أخذت ممن حاد الله أو ضاده ممن يرى أن في ذلك صلاحاً فاقتله".

فأقام خالد ببزاخة شهراً يصعد فيها ويصوب ويرجع إليها في طلب الذين وصاه بسبيهم الصديق، فجعل يتردد في طلب هؤلاء شهراً يأخذ بثأر من قتلوا من المسلمين الذين كانوا بين أظهرهم حين ارتدوا، فمنهم من حرقه بالنار، ومنهم من رضخه بالحجارة، ومنهم من رمى به من شواهق الجبال؛ كل هذا ليعتبر بهم من يسمع بخبرهم من مرتدة العرب رضي الله عنه).

وقال ابن كثير رحمه الله أيضاً: (قال الثوري: عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: (جاء وفد بُزَاخة من أسد وغطفان إلى أبي بكر يسألونه الصلح، فخيَّرهم بين الحرب المْجْلِيَة والسلم المخْزِيَة، فقالوا: هذه المْجْلِيَة قد عرفناها، فما المخزية؟. قال: تُنْزَع منكم الحَلْقَة والكُرَاع، ونَغْنَم ما أصبنا منكم، وتَرُدُّون علينا ما أصبتم منا، وتَدُون قتلانا وتكون قتلاكم في النار، وتتركون أقواماً يتبعون أذناب الإبل حتى يُرِيَ الله خليفة رسوله والمهاجرين أمراً يعذرونكم به).

فعَرَض أبو بكر ما قال على القوم، فقام عمر فقال: قد رأيت رأياً وسنشير عليك، أما ما ذكرت من الحرب المجلية والسلم المخزية فَنِعْم ما ذكرت، وأما ما ذكرت أن نغنم ما أصبنا منكم وتردون ما أصبتم منا فنِعْم ما ذكرت، وأما ما ذكرت تدون قتلانا وتكون قتلاكم في النار، فإن قتلانا قاتلت فقُتِلت على أمر الله، أجورها على الله ليس لها ديات). قال: فتتابع القوم على ما قال عمر. أهـ. رواه البرقاني على شرط البخاري.

قال ابن كثير رحمه الله: ورواه البخاري من حديث الثوري بسنده مختصرا). أهـ.

وما أجمل قول الشاعر:

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها ... إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا

إن العدو وإن أبدى مودته ... إذا رأى منك يوماً فرصة وثبا

المحاوِر:

بعد المعارضة الشديدة من قبل بعض طلبة العلم للمشروع الجهادي في جزيرة العرب، فهل ترى أنه من المصلحة بحث ومراجعة هذه القضية مع قيادة المجاهدين كما يقول البعض؟

الشيخ:

يا ليت هؤلاء المعارضين يقومون بإعداد الدراسات الاستراتيجية والبحوث الشرعية لمشروعهم الذي يستندون إليه، حتى يقتنع الطرف الآخر بما يقولون.

وأقول: إذا اختلف الناس فليرجعوا إلى قادة المجاهدين لحسم خلافهم، ثم إن المسائل العسكرية لا يبتُّ فيها إلا قادة المجاهدين وليس غيرهم، ورحم الله ابن القيم يوم قال في الفوائد: (فالمجاهدون وأهل الثغور هم المهديون، فإذا ما اختلفت الآراء وافترقت السبل، فالهداية في ترسّم خطاهم، واقتفاء آثارهم، والنزول عند رأيهم؛ ذلك أن لأهل الجهاد من الهداية والكشف ما ليس لأهل المجاهدة ممن هم في جهاد الهوى والشيطان، لأنه لا يوفق في جهاد العدو الظاهر إلا من هو لعدوه الباطن قاهر؛ من هنا يكون المولى عز وجل قد علق الهداية بالجهاد، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادا، ومن ترك الجهاد، فاته من الهدى بحسب ما عطل منه).

وفي الختام: أكرر شكري لكم، وأرجو أن أكون وفقت في إصابة الحق، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاوِر:

نشكر للشيخ أبي جندل تفاعله معنا، والله نسأل أن يحفظه من كلِّ سوء ومكروه، وأن يقيه كيد الطواغيت.

ونعد قراءنا الكرام في العدد القادم بلقاء مع الشيخ سعود العتيبي حفظه الله، والذي يعد أحد المطلوبين في قائمة الـ٢٦ الأخيرة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حوار مع الشيخ أبي جندل الأزدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

بدايةً أشكر كل القائمين على (منبر التوحيد والجهاد) على جهودهم الطيبة في نصرة دين الله عز وجل ونصرة المجاهدين، كما أشكرهم على ترتيبهم لهذا اللقاء الذي أرجو أن نُوفق فيه إلى قول الحق الذي يرضي الله سبحانه وتعالى.

وأقول: حين وصلتني أسئلة اللقاء رأيت أن كل واحد منها يحتاج إلى رسالة مستقلة للإجابة عليه، لأنها أسئلة في صميم الواقع الذي نعيشه، ولكن سنحاول التسديد والمقاربة في الإجابة على أسئلة هذا اللقاء، فإن أصبنا فمن توفيق الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان.

عبارة "نحن دعاة لا قضاة"..

المحاورِ:

شيخنا الفاضل.. عبارة كثيراً ما تتردد على الألسنة، حتى أنها تكاد أن تصبح منهجاً عند عدد من الحركات الإسلامية – دعاة وأفراد –، وهي قولهم "نحن دعاة لا قضاة"، فهلا قمتم بتوضيح الدور الحقيقي الواجب على الجماعات الإسلامية الاضطلاع به، وما هو حدود ذلك للشباب المسلم؟

الشيخ:

للإجابة على هذا السؤال أود أن أقدم بمقدمة، وهي أنه من المقررات في ديننا أنه لا يجوز لأحد أن يقدم رأيه أو قوله بين يدي الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، مهما كان، سواء من عالم أو ملك أو وزير، كما قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (يوشك أن ينزل عليكم حجارة من السماء، أقول قال رسول الله ﷺ، وتقولون قال أبو بكر وعُمر؟!).

وكما قال الله عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قال الإمام أحمد رحمه الله عند هذه الآية: (عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ويذهبون إلى رأي سُفيان.. والله يقول وتلا الآية.).

وقال أيضاً: (لا تقلدني ولا تُقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخُذ من حيث أخذوا) يعني من الكتاب والسُنَّة.

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: (إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة رضي الله عنهم فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين فهم رجال ونحنُ رجال).

وقال الإمام مالك رحمه الله: (كلنا رادٌ ومردودٌ عليه إلا صاحب هذا القبر) يعني النبي ﷺ.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: (إذا صح الحديث فهو مذهبي)، وقال: (إذا خالف قولي قول رسول الله ﷺ، فاضربوا بقولي عُرض الحائط).

وقال: (أجمع المسلمون على أن من استبانت له سُنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد).

وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله: (عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومن فقد الدليل ضلّ السبيل).

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب رحمهم الله: (بل الفرض والحتم على المؤمن إذا بلغه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وعلم معنى ذلك في أي شيء كان، أن يعمل به ولو خالفه من خالفه، فبذلك أمرنا ربنا تبارك وتعالى ونبينا ﷺ).

فهذه الآثار كلها تدل بوضوح على تقديم قول الله سبحانه وتعالى وقول رسول ﷺ على كل قول، وكل هؤلاء الأئمة العظام نصوا على ذلك، ومسألة التقليد من أخطر المسائل التي عوّقت كثيراً من شباب الإسلام، حتى وقع بعضهم في شرك الطاعة ولا حول ولا قوة بالله، بأن اتخذوا الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله عز وجل، فيقدم آراءهم وأقوالهم على الوحيين.

ففي الحديث عن عدي بن حاتم: (أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. فقلت: له إنا لسنا نعبدهم. قال: ((أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟)) فقلت: بلى. قال: ((تلك عبادتهم))). [رواه أحمد والترمذي وحسنه].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مجموع الفتاوى (٧/ ٧٠): (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله، فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل؛ فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركاً مثل هؤلاء.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحليل الحلال وتحريم الحرام ثابتاً لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص؛ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب كما ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: ((إنما الطاعة في المعروف))، وقال: ((على المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية))).

وقال أيضاً في مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧): (وقد قال عدي بن حاتم للنبي ﷺ: (ما عبدوهم. قال: ((أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم؛ فكانت تلك عبادتهم إياهم)).

قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾.

فالرسول وجبت طاعته؛ لأنه من يطع الرسول فقد أطاع الله، فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، ومن سوى الرسول من العلماء والمشايخ والأمراء والملوك إنما تجب طاعتهم إذا كانت طاعتهم طاعة الله، وهم إذا أمر الله ورسوله بطاعتهم فطاعتهم داخلة في طاعة الرسول، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، فلم يقل وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولي الأمر منكم، بل جعل طاعة أولي الأمر داخلة في طاعة الرسول وطاعة الرسول طاعة لله، وأعاد الفعل في طاعة الرسول دون طاعة أولى الأمر؛ فإنه من يطع الرسول فقد أطاع الله).

وقال أيضاً في مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٦٦): (وفي حديث عدي بن حاتم وهو حديث حسن طويل رواه أحمد والترمذي وغيرهما، وكان قد قدم على النبي ﷺ وهو نصراني، فسمعه يقرأ هذه الآية، قال: فقلت له: أنا لسنا نعبدهم. قال: ((أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه)) قال: فقلت: بلى. قال: ((فتلك عبادتهم)).

وكذلك قال أبو البختري: أما إنهم لم يصلوا لهم، ولو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم، ولكن أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه وحرامه حلاله، فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية.

وقال الربيع بن أنس: قلت لأبي العالية: كيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل؟ قال: كانت الربوبية أنهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به ونهوا عنه، فقالوا: لن نسبق أحبارنا بشيء، فما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقولهم. فاستنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، فقد بين النبي أن عبادتهم إياهم كانت في تحليل الحرام وتحريم الحلال، لا أنهم صلوا لهم وصاموا لهم ودعوهم من دون الله، فهذه عبادة للرجال وتلك عبادة للأموال، وقد بينها النبي، وقد ذكر الله أن ذلك شرك بقوله: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾).

بعد هذه النقول نأتي إلى ما ذكرتموه في سؤالكم عن عبارة (دعاة لا قضاة):

يقول الشيخ أيمن الظواهري في كتابه القيم الرائع (الحصاد المر: الإخوان المسلمون في ستين عاماً) والذي تسبب في نقمة الإخوان عليه قال في صفحة (١٣٠): (إن جماعة الإخوان المسلمين من الناحية الشرعية -باستثناء الأستاذ سيد قطب رحمه الله وقلة ممن لا يمثلون الرأي الرسمي في الجماعة- حرصت على ألا يكون لها موقف واضح من تكفير الطاغوت، بل أغلقت باب النقاش في هذا الأمر بتبنِّها مبدأ (دعاة لا قضاة) الذي أعلنه المرشد الثاني حسن الهضيبي).

وقال في صفحة (٣٦): (ولم يكتف الإخوان بهذا التمييع العقائدي بأقوالهم ومواقفهم، بل أصّلوا هذه الميوعة تأصيلاً شرعياً وجعلوها من عقائدهم عندما أعلن مرشدهم الثاني حسن الهضيبي مبدأ "دعاة لا قضاة" وألف كتاباً ينهى فيه أتباعه عن الخوض في مسألة الحكم الشرعي في الواقع الذي يواجهونه.

وكان عاقبة هذا الخلل الشرعي أن دخلت حشود الإخوان السجون والمعتقلات مرة تلو أخرى، ليخرج بعضهم من السجون وكل منهم قاض يحكم على غيره بالكفر دون ضابط ولا وازع).

ثم بين سبب ذلك بقوله: (وكل هذه الضلالات يحمل وزرها قادة الجماعة الذين لم يبصروا أتباعهم بحكم الواقع الذي يواجهونه، قال رسول الله ﷺ: ((كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته)) الحديث، متفق عليه.

وقال رسول الله ﷺ: ((ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً)) الحديث، رواه مسلم.

فهل يعتبر الإخوان بهذا؟، وهل تعتبر بقية الجماعات الإسلامية بهذا؟، قال تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾).

إذاً عرفنا القائل لهذه العبارة والظروف والأسباب التي خرجت فيها..

وأقول للقراء الكرام: لو أن شخصاً دخل مسجداً فوجد غالب المصلين لا يُحسنون الصلاة، فهذا لا يقيم ركوعها وهذا يختلسها اختلاساً، وآخر يُكثر الحركة... إلخ، فهل يجوز لهذا الشخص أن يقول: (مادام أن الناس هكذا في صلاتهم إذاً لا نصلي)؟!!.

ولو أن آخر خرج للجهاد في سبيل الله فرأى بعض التصرفات الخاطئة والتجاوزات في بعض المسائل... إلخ، فهل يجوز له أن يلغي من قاموسه الجهاد؟ وهل يجوز له أن يتبرأ من الجهاد والمجاهدين؟. الجواب لا شك أنه لا يجوز له ذلك، ولو كان من كان..

فكذلك هنا في مسائل التكفير، إذا حصل أن أتباع الهضيبي أخطؤوا أو أفرطوا أو فرّطوا؛ لا يجوز له أن يلغي حكماً شرعه الله عز وجل وقرّره، ووُضعت له الشروط والموانع والأسباب والضوابط، واتفق عليه علماء المسلمين على مر العصور.

وقد ذكرنا ذلك في كذا موضع أنه: (ليس من موانع التكفير المعتبرة كون المكفِرين لا يقدرون على ترتيب آثار الكفر على من كفروه، كإقامة حد الردة، أو تغير الحاكم الكافر ونحوه، فهذه شبه يطنطن بها مرجئة العصر (كما طنطن بها بعض كبار مرجئة العصر)، وقد تعلق بذلك وقلدهم به سفهاؤهم وجهالهم، وهي من سفسطتهم وجدالهم بالباطل، إذ لو التزموا ذلك لأبطلوا به جميع الأحكام الشرعية؛ إذ يلزمهم ما دمنا عاجزين عن إقامة حد الزنا على من ثبت عليه الزنا بالبينة أو الاعتراف أو نحوه أنه ليس بزانٍ، وليبحث له عن أخرى!!

وما دمنا عاجزين عن إقامة حد القتل على القاتل فإنه ليس بقاتل، ومن ثم فلا دية عليه ولا كفارة ولا توبة!!

وما دمنا عاجزين عن إقامة حد القطع على السارق فلا يحل لنا أن نسميه سارقاً، إذ ما الفائدة من ذلك -كما يقولون-؟! فلنسمه إذن أميناً ولنسلطه على أموال الناس!!

وما دمنا غير قادرين على تغيير المنكرات الظاهرة، فلا يحل لنا أن نعرّف بها أو نحذر منها أو نسميها منكراً، وما لم تكن منكراً فهي حتماً معروف.. وهكذا..

وفي هذا من الباطل ما يلزم منه فتح أبواب الفساد والإلحاد، وتسويغه وتهوينه على العباد، والحق والصواب في هذا هو ما أمرنا الله تعالى به في محكم كتابه بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا

اسْتَطَعْتُمْ﴾، وقال تعالى عن شعيب: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ..﴾. ومنه وضع الفقهاء قاعدتهم الفقهية المعروفة في أن (الميسور لا يسقط بالمعسور).

فإذا عجز المسلمون في وقت من الأوقات عن الخروج على الحاكم الكافر وتغييره، فلا يعني هذا أن يتركوا تكفيره، بل هذا حكم شرعي يستطيعونه، فيجب عليهم أن يتقوا الله فيه، وفي غيره مما هو من آثار تكفير الحكام ويستطيعونه؛ فيجتنبوا نصرته وتوليه والتحاكم إلى أحكامه الكفرية، ولا يولونه أمر دينهم، ولا يجعلون له عليهم سبيلا، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، ولا يدخلوا في بيعته أو يقاتلوا تحت رايته، أو يعينوه على باطله أو يظاهروه على مسلم.. إلى غير ذلك مما يملكون فعله ويقدرون عليه.

وأيضاً فإن معرفة كفر الحاكم مدعاة إلى العمل الجاد والإعداد الذي يمكن في يوم من الأيام من تغييره، بخلاف من كان الحاكم عنده مسلماً، فإنه لن يرفع بذلك رأساً، ولن يفكر يوماً ما بالإعداد الجاد لتغييره كما هو واقع مرجئة العصر في هذا الزمان.

فاختلاف الحكم على الحاكم عند كل فريق؛ هو الفرقان والميزان الذي يزن سلوك كل فريق ويميز توجهه وصبغته، ما بين موحد كافر بالطاغوت معادٍ له، أو مجتنب على أقل الأحوال، وما بين مبايع له مناصر، أو مجادل عن باطله مهون من كفرياته.. وواقعنا وواقع خصوم هذه الدعوة أكبر شاهد على هذا.

فليتدبر المنصف أحوال الموحدين وسلوكهم ودعوتهم ومنهاجهم في واقع اليوم، ثم لينظر في واقع الخوالف الذين ناموا في أحضان الطواغيت ورضعوا من ألبانهم، وسلطوا ألسنتهم وأقلامهم على كل من خرج عليهم أو نازعهم، بلسانه أو سنانه).

يقول ابن القيم رحمه الله في نونيته:

الكفر حقّ الله ثم رسوله ... بالنص لا بقول فلان
من كان رب العالمين وعبده ... قد كفّراه فذاك ذو كُفران

إذاً الذي أمرنا بالدعوة هو الذي أمرنا بتحكيم شرع الله، وبقتال من أبى ذلك من الطواغيت، وبإقامة الحدود الشرعية، وبأطر الناس على الحق أطراً؛ فنحن إذاً دعاة ونحن قضاة، ونحن من أمة ابتعثها الله لتخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وكل ذلك وفق أدلة الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، لا بفهم الخلف.

ومثل مسائل الإيمان والكفر للعلماء فيها كتب وأبحاث ينبغي ربط شباب الأمة بها، حتى لا يقعوا في الإفراط أو التفريط في الغلو أو الإرجاء.

ومن الكتب الجيدة في هذا الباب كتاب (الرسالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير)، وكتاب (قواعد التكفير)، وغيرها كثير بفضل الله سبحانه وتعالى، فينبغي على شباب الإسلام دراسة مثل هذه المسائل، وألا يبقوا في تخبط وتيه كما قال الشاعر:

يوماً بحزوى، ويوماً بالعقيق، وبال ـــــعذيب يوماً، ويوماً بالخليصاء
وتارة تنتحي نجداً، وآونة شعب الغوير، وطوراً قصر تيماء

وللهضيبي أيضاً عبارة أخرى استحسنها البعض لعل من المناسب الحديث حولها، وهي عبارة:

(أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم، تقم لكم على أرضكم):

يقول الشيخ أبو قتادة فك الله أسره في مقالاته المقال رقم (١١): (إن كثيراً من الفضلاء تأثروا بالمنهج الصوفي في التغيير والحركة، وقلنا لعل أوضح عبارة أطلقت في هذا الزمان عبرت عن هذا المنهج الصوفي هي الكلمة التي صارت شعارا لبعض التجمعات والتنظيمات الإسلامية، هذه العبارة هي: "أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم، تقم لكم على أرضكم".

وكذلك مثل هذه العبارة أصحاب دعوة التصفية والتربية، بالمفهوم التربوي الذي يطرحه أتباع هذه الشعارات، وقد استساغ بعضهم أن يسمي بعض الجماعات أو الشخصيات بأنه سلفي العقيدة، إخواني الطريقة، وهو لفظ شاع وانتشر للدلالة على بعضهم بأنه لم يتلبس بالسلفية الشاملة، فإننا نستطيع بكل جرأة أن نسمي أصحاب هذا الشعار: "أقيموا... تقم... " وهم أصحاب التغيير عن طريق التصفية والتربية أنهم: سلفية العقيدة، صوفية المنهج.

هذا مع تنبيهنا الضروري على أن هذه الثنائية المتناقضة لا وجود لها على أرض الواقع، إذ لا يمكن للرجل أن يكون سلفياً في عقيدته كما يزعمون وإخوانياً في طريقته ومنهجه، كما أنه لا يمكن كذلك أن يكون سلفياً في عقيدته وصوفياً في طريقته ومنهجه، والسبب الذي يستدعي هؤلاء القوم إلى هذا التقسيم الخرافي، هو أنهم لم يفهموا من السلفية إلا شيئاً جزئياً في البناء الشامل للمنهج السلفي، مثل ظنهم أن السلفي هو من يعتقد بمنهج الأسماء والصفات الإلهية على طريقة الأوائل من أئمتنا، فظنهم هذا يدعوهم أن يقولوا عن فلان أنه سلفي في عقيدته (عقيدة الأسماء والصفات) وإخواني الطريقة والمنهج، مع أن السلفي لم يكن يوماً من الأيام شعاره الذي يتميز به عن غيره هو موضوع عقيدة الأسماء والصفات فقط، بل السلفي هو ذلك الشخص الذي يحمل المنهج الشامل في عقيدة التوحيد بشقيها: توحيد الشرع وتوحيد القدر، ويحمل المنهج الشامل في توحيد الاتباع، كما بسط هذا في مواطن عديدة من كلام الأئمة الهداة، كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وغيره..

العبارة المصيبة "أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم" هذا الشق من العبارة يبين لنا أن المكلف بإقامة دولة الإسلام هو القلب (انتكاسة نحو الداخل)، مع أن الواجب أن نقيم دولة الإسلام بجوارحنا، أي عن طريق حركة الجوارح التي تؤثر في حركة الحياة، أي أن نقيمها في الخارج، وكان لنا أن نحسن الظن بهذه العبارة البدعية الضالة، لو لم يأت الشق الثاني جازماً لنا أن لا نحمل معناها إلا على هذا المعنى البدعي الضال، فلو قال القائل: أقيموا الدولة في قلوبكم (بإرادتكم الجازمة) لتقيموها (بجوارحكم العاملة) في أرضكم، لقلنا له صدقت، ولما عدت أن تكون هذه الكلمة مفسرة لحركة الحياة القدرية، ولن تكون بحال من الأحوال شعاراً لمنهج

شرعه صاحبه لينصح به أتباعه بسلوكه واتباعه، لكن الشق الثاني حدد لنا المراد بما تقدم من الفهم المنحرف، لأنه قال: "تقم على أرضكم". ولو سألناه من سيقيمها لنا على الأرض؟ فلن يكون الجواب أبداً نحن، لأننا نحن مكلفون فقط بأن نقيمها في قلوبنا، بل الجواب المجزوم بقوله هو: الله.

وهذا الجواب مع ضلاله الشرعي ومخالفته لأمر الله، إلا أنه للأسف يستهوي بعض الناس حين يظن أن في ذلك تعظيماً لشأن الله تعالى، وما دروا أنه استخفاف بتوحيد الله سبحانه وتعالى، وهو جواب جبري يناقض توحيد القدر.

وأوصل إليها -كما تقدم-: الضلال في توحيد الشرع حين جعل أن حركة الجوارح ليست هي المطلوبة في الشريعة بل المكلف بذلك هو القلب. وهو قول مذهب أهل الإرجاء الضال.. فالعبارة كما هي عند أصحابها: أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم (إرجاء بدعي) تقم لكم على أرضكم (جبر بدعي).

ومن عجائب العصر أن القرضاوي في إحدى حلقات الشريعة والحياة قال: "نريد أن تقوم دولة الإسلام بشرط ألا تراق قطرة دم"!!!.

وأنا أقول لكل قارئ يحترم عقله وعقول الآخرين: ألم تُرق الدماء في إقامة دولة الإسلام الأولى في عهد نبينا محمد ﷺ؟ وفي عهد أبي بكر الصديق؟ وفي عهد عمر بن الخطاب؟ وفي عهد عثمان بن عفان؟ وفي عهد علي بن أبي طالب؟ -رضي الله عنهم أجمعين-، وفي العهود التالية لهذه العهود؟

إن هذا المنهج الضال هو الذي عوق شباب الإسلام وعوق طاقاتهم الجبارة.

يقول الشيخ أبو بصير وفقه الله في كتاب حكم الإسلام في الديمقراطية (٢٧٢): (الشيخ (يعني القرضاوي) لا يمانع طريق الجهاد والقوة، لكن بشرط أن لا تُراق قطرة دمٍ واحدةٍ؛ فهو

يفترض الشيء ثم يشترط له المستحيلات، فكيف يكون جهاد وقتل وقتال من دون أن تراق قطرة دم واحدة؟!!

والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ [التوبة:١١١]..!

وهل الإسلام وصل إليك يا دكتور –هذا الدين الذي تنقض عراه بمذاهبك الجديدة عروة عروة– من دون أن تراق قطرة دم واحدة، أو يُقتل أحد في سبيل الله..؟!

أتريد المجد والسؤدد لهذا الدين من دون أن تضحي في سبيل الله بقطرة دم واحدة..!

إنه والله البخل الذي ليس بعده بخل!!

أترى يا دكتور تدافع الحق مع الباطل من دون إراقة دماء..؟!

أين قراءاتك عن التاريخ والسير.. أين أحاديثك الأولى أيام العز والشباب عن الجهاد والاستشهاد.. أم أنه الفقه الجديد الغريب الذي ينسخ ما قبله، والذي فاجأت به الجميع..؟!!). أ. هـ.

وهناك كمٌ هائل من الغثاء والأقوال المعارضة لكتاب الله عز وجل ولسنة محمد ﷺ نطق بها بعض المشهورين في العصر الحاضر تستدعي النقد والرد على أصحابها، حتى ولو كانوا أكثر منّا علماً وأكبر منّا سناً، وألا نقدم أقوالهم وآراءهم على كلام الله ورسوله.

ذكر الذهبي في ميزان الاعتدال: (أنه ذكر لعمرو بن عبيد (إمام من أئمة المعتزلة) حديثاً يخالف هواه، رواه الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ، فقال عمرو: لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذّبته، ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدقته، ولو سمعت ابن مسعود يقوله لما قبلته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله عز وجل يقول هذا لقلت: ليس على هذا أخذت ميثاقنا). أ. هـ

وأوصي القراء أن يقرؤوا كتاب (الحصاد المر) لكي يعلموا حقيقة مواقف الإخوان المسلمين تجاه كل القضايا المعاصرة، وأن يتحرروا من التقليد المقيت، وأن يرقوا إلى المستوى المطلوب منهم، وأن ينصروا دين الله عز وجل. والله أعلم.

الجمع بين قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾، وما جرى على المجاهدين في أفغانستان من محن..

المحاورِ:

مع اشتداد الهجمة على المجاهدين في شتى أصقاع الأرض، ومع اتساع رقعتها واشتداد شراستها.. بتنا نلمس الحيرة في نفوس عدد من المسلمين مما يجري من أحداث وفتن، فها هي الأحداث تسير متسارعة جداً بعد أحداث الثلاثاء المبارك، فمن إنهاء حكم دولة الإسلام في أفغانستان، إلى استشهاد أو اعتقال عدد من المجاهدين الأخيار، إلى اكتشاف الخلايا المجاهدة هنا وهناك وما يترتب على ذلك من مطاردات أو اعتقالات وتعذيب.. فكيف لنا أن نوفق بين أن تلك العصبة المؤمنة في أفغانستان قد خرجت لنصرة دين الله وقد أصابها ما أصابها، وبين قول الله عز وجل: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾؟

الشيخ:

إجابة على هذا السؤال أقول:

أولاً:

أن نصرَ الله آتٍ لا محالة وأن التمكين لدين الله عز وجل قادمٌ بعزٍّ عزيز أو بذلٍّ ذليل، هذا وعدُ الله عز وجل، إذ يقول سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾، ويقول: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، ويقول تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي

الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾، ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾، وغيرها من الآيات الكثيرة الدالة على هذه الحقيقة.

وأما أحاديث رسول الله ﷺ فهي كذلك متوافرةٌ على هذه الحقيقة، منها ما رواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: ((إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لها منها))، وقوله ﷺ كما جاء في مسند الإمام أحمد: ((ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليلُ والنهار، ولا يترك اللهُ بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يُعز الله به الإسلام وذلاً يُذل به الكفر))، وقوله عليه الصلاة والسلام كما في المسند أيضاً: ((تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت)).

يقول سيد قطب رحمه الله في تفسيره لأواخر سورة الصافات: (إن وعدَ الله واقعٌ وكلمةَ الله قائمةٌ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ هذه هي الحقيقة في كل دعوة لله يخلص فيها الجند ويتجرد لها الدعاة، أنها غالبة منصورة مهما وُضعت في سبيلها العوائق وقامت في طريقها العراقيل، ومهما رصد لها الباطل من قوى الحديد والنار وقوى الدعاية والافتراء، وقوى الحرب والمقاومة، وإن هي إلا معارك تختلف نتائجها ثم تنتهي إلى الوعد الذي وعده الله لرسله والذي لا يخلف، ولو قامت قوى الأرض كلها في طريقه؛ الوعد بالنصر والغلبة والتمكين، هذا الوعد سنةٌ من سنن الله الكونية، سنةٌ ماضيةٌ كما تمضي هذه الكواكب والنجوم في دورتها المنتظمة، وكما يتعاقب

الليل والنهار في الأرض على مدار الزمان، وكما تنبثق الحياة في الأرض الميتة ينزل عليها الماء، ولكنها مرهونةٌ بتقدير الله يحققها حين يشاء..

والمؤمن يتعامل مع وعد الله على أنه الحقيقة الواقعة، فإذا كان الواقع الصغير في جيلٍ محدود أو رقعة محدودة يخالف تلك الحقيقة فهذا الواقع هو الباطل الزائل الذي يُوجد فترة في الأرض لحكمة خاصة، لعل منها استجاشة الإيمان وإهاجته لتحقيق وعد الله في وقته المرسوم.

وحيث ينظر الإنسان اليوم إلى الحرب الهائلة التي شنها أعداء الإيمان على أهل الإيمان في صورها المتنوعة من بطشٍ ومن ضغطٍ ومن كيدٍ بكل صنوف الكيد، في عهود متطاولة بلغ بعضها من عنف الحملة على المؤمنين أن قُتلوا وشردوا وعذبوا وقطعت أرزاقهم وسلطت عليهم جميع أنواع النكاية، ثم بقي الإيمان في قلوب المؤمنين يحميهم من الانهيار، ويحمي شعوبهم كلها من ضياع شخصيتها وذوبانها في الأمم الهاجمة عليها، ومن خضوعها للطغيان الغاشم إلا ريثما تنقض عليه وتحطمه..

حين ينظر الإنسان إلى هذا الواقع في المدى المتطاول يجد مصداق قول الله تعالى، يجده في هذا الواقع دون الحاجة إلى الانتظار الطويل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ۝ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

وعلى كل حال، فلا يخالج المؤمن شكٌ في أن وعد الله هو الحقيقة الكائنة التي لا بد أن تظهر في الوجود..

إن وعد الله قاطعٌ جازمٌ ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.. بينما يشاهد الناس أن الرسل منهم من يقتل ومنهم من يُلقى في الأخدود ومنهم من يُستشهد ومنهم من يعيش في كربٍ وشدةٍ واضطهاد، فأين وعد الله لهم بالنصر في الحياة الدنيا؟ ويدخل الشيطان في النفوس من هذا المدخل، ويفعل بهم الأفاعيل!

ولكن الناس يقيسون بظواهر الأمور ويغفلون عن قيمٍ كثيرةٍ في التقدير!!

إن الناس يعيشون فترةً قصيرةً من الزمان وحيز محدود من المكان، وهي مقاييس بشرية صغيرة، فأما المقياس الشامل فيعرض القضية في الرقعة الفسيحة من الزمان والمكان، ولا يضع الحدود بين عصر وعصر ولا بين مكان ومكان، ولو نظرنا إلى قضية الاعتقاد والإيمان في هذا المجال لرأيناها تنتصر من غير شك، وانتصار الاعتقاد هو انتصار أصحابها، فليس لأصحاب هذه القضية وجود ذاتي خارج وجودها، وأول ما يطلبه منهم الإيمان أن يفنوا فيها ويختفوا هم ويبرزوها) أ. هـ.

ثانيًا:

ما جرى من أحداث في السنتين الأخيرة هي من نعم الله عز وجل على أمة الإسلام وذلك أنه تمايزت الصفوف، وتمحص المؤمنون، وعُرف العدو من الصديق، والصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، وانكشفت الأقنعة والحجب عن أنظمة الكفر والردة، وتبين للمسلمين عداوة الغرب الصليبية لهم... إلخ، ووالله لو لم تحدث هذه الأحداث لاحتجنا إلى عقود من الزمن حتى يصل الناس إلى ما وصلوا إليه في هذين العامين.

وأما ما جرى لدولة الإسلام في أفغانستان فهو بالمقاييس العسكرية ليس بهزيمة بل هو تكتيك تقتضيه المرحلة، إذ من المعروف لدى كل متابع لأفغانستان أنهم إنما انتصروا على الاتحاد السوفيتي بعد توفيق الله عز وجل لهم بهذا النوع من الحروب وهو (حرب العصابات)، جاء في سلسلة الحروب الصليبية على العراق التي نشرها مركز الدراسات والبحوث الإسلامية:

(وحرب العصابات هي حرب ثورية تجند سكان مدنين أو على الأقل جزء من السكان ضد القوى العسكرية المغتصبة، وهي حرب بأبسط الأشكال وأرخص الأدوات من قبل طرف ضعيف وفقير ضد خصم قوي يتفوق في العدة والعتاد سواء كان هذا الخصم خارجياً أو داخلياً، وتشن هذه الحرب من قبل قوات مقاتلة تستخدم أساليب حرب العصابات المتصفة تكتيكياً بالمفاجأة والسرعة والعمل العنيف والخداع، وينطلق رجال العصابات في

هجماتهم من داخل المناطق التي يسيطر عليها العدو، وتسليح العصابات يتكون من الأسلحة الخفيفة والمتفجرات والألغام والقنابل اليدوية والصواريخ المضادة للآليات، ولا يوجد على رجل العصابات قيود في تسليحه، فهو يستخدم السلاح المتاح أمامه لإنهاك العدو دون الحاجة للظهور أمامه للمنازلة، فأسلوب العصابات وإن كان استراتيجياً هو أسلوب دفاعي، إلا أنه تكتيكياً أسلوب هجومي بحت، فلا يوجد لرجل العصابات خطط تكتيكية للدفاع، فهو ليس بحاجة لمثل هذه الخطط لأنه لا يدافع عن منطقة محددة، فهو حر في التسليح والتحرك).

وجاء أيضاً: (ولكن المهم في أسلوب حرب العصابات أن يلتزم رجال العصابات بمرحلية هذه الحرب، ولحرب العصابات ثلاث مراحل لابد من إعطاء كل مرحلة حقها في الاستراتيجية والتكتيك، فلا يمكن أبداً تحديد نهاية هذه المراحل بحدود زمنية، والذي يحدد نهاية المرحلة والدخول في الأخرى هو الانتهاء منها على الوجه الأكمل، وتتميز كل مرحلة عن المراحل الأخرى بسمات عسكرية وسياسية واقتصادية وإعلامية تخضع للمناورة والتغير بحسب المرحلة، إلا أن الأساس العقدي لا يخضع للمناورة في أي مرحلة من هذه المراحل، لأنه هو الدفاع لحرب العصابات في مراحلها الثلاث، وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى: مرحلة الاستنزاف، وهذه المرحلة هي أطول مراحل حرب العصابات، لأنها المرحلة التي يركز رجال العصابات فيها على ضربات صغيرة وسريعة وكثيرة في كافة الاتجاهات أو على أكبر رقعة يمكن نشر العمليات عليها للاستغلال في استنزاف العدو واستنفاره في كل مكان، وهي لا بد أن تخضع لسياسة (اضرب واهرب) أو (القتل بألف جرح) أي إنهاك العدو بضربات صغيرة على مدى طويل حتى يسقط من الإعياء.

وفي هذه المرحلة لا بد أن تكون قواعد رجال العصابات قواعد متنقلة وغير ثابتة وخفيفة التجهيز حتى لا تعيق التنقل والمناورة، ولا بد لرجال العصابات أن يستخدموا الضربات العسكرية فقط لتحطيم هيبة النظام وترويج الدعايات ضده وتشجيع الناس على المقاومة

لمعاونة رجال العصابات، ولا بد من نشر تفاصيل المعارك على أكبر قطاع ممكن بين الناس لاجتذاب تأييد الناس وعونهم.

ولا بد في هذه المرحلة من مراعات هذه التكتيكات لتؤدي المرحلة هدفها بأكبر قدر من الخسائر في صفوف العدو وأقل قدر من الخسائر في صفوف رجال العصابات، ونذكر هنا بعض سمات هذه المرحلة خشية الإطالة:

١. إنهاك العدو بضربات مستمرة وطويلة (وخزات الإبر).

٢. العمل على مؤخرة العدو.

٣. إقامة القواعد الآمنة غير الدائمة.

٤. توسيع مناطق الحرب باستمرار لإجبار العدو على التبعثر وجعله ضعيفاً في كل مكان، لوضع العدو أمام معضلة كبيرة تتمثل بالتبعثر لحماية كل الأهداف، الأمر الذي يضعفه في كل مكان أو التجمع للحصول على القوة الأمر الذي يفقده السيطرة على مناطق شاسعة تسقط بيد العصابات وتزيدها قوة.

٥. عدم التمسك بالأرض والمواقع القتالية.

٦. الحفاظ على القوة الذاتية وتنميتها وتحطيم قوة العدو مادياً ومعنوياً.

٧. تأمين التنسيق بين عمل العصابات وعمل القوات النظامية التي تشن حرب الحركة إذا وجدت.

٨. الاستمرار في الضرب في الزمان والمكان لخلق حالة انعدام الأمن.

٩. التلاحم مع السكان.

١٠. امتلاك زمام المبادرة وذلك بشن الهجمات في الزمان والمكان والكيفية التي تناسب رجال العصابات، وعدم الانجرار لاستفزاز العدو وخوض المعركة في الزمان والمكان الذي يريده العدو.

١١. لا بد أن تتسم الهجمات بالمباغتة والعنف، فالمفاجأة والسرعة والحسم، أمور مهمة في تكتيك العصابات. التحدي والإصرار على هزيمة الخصم في الميدان لا يناسب هذه المرحلة بالنسبة لرجل العصابات، ما يناسب هذه المرحلة هو الضرب والانسحاب، فالاندفاع والتهور لا يخدمان رجال العصابات في هذه المرحلة، ولابد أن يتعلم الجميع كيف يفر.

١٢. التركيز على الكمائن بكافة أشكالها وباستخدام كل الأساليب، وضرب العدو أثناء الحركة فهو أضعف ما يكون إذا كان متحركاً.

١٣. المرونة في التجمع والتحرك.

١٤. الاعتماد على المناطق الوعرة التي تؤمن الحماية.

١٥. ضرورة رفع مستوى الاستخبارات لتأمين رجال العصابات، مع الاعتماد في هذا المجال على تعاون السكان.

١٦. الاعتماد على سلاح الفكر والتوعية السياسية لتعديل موازين القوى.

١٧. لا بد من الحذر من حصار العدو والانسحاب فوراً مهما كلف الأمر عند الشعور بالحصار.

١٨. هجمات رجال العصابات في هذه المرحلة تكون بالأسلوب الصامت الحذر، ومحاولة تشتيت انتباه العدو بإثارة ضجة في جهة والهجوم في جهة معاكسة أخرى.

١٩. يجب إتقان التخفي في الحركة والإمداد ومهارة الدخول بين السكان.

٢٠. لا بد من الابتعاد عن الروتين أو التكرار في التحرك أو الهجوم، ولا بد من الحرص على مغايرة الأساليب.

٢١. يجب أن يكون هناك اكتفاء ذاتي من قبل رجال العصابات من حيث المعيشة، فعليهم ببذل مجهوداتهم الذاتية للكسب لتكون لهم غطاء فيفترقون للكسب ويجتمعون للقتال.

هذه هي بعض سمات المرحلة الأولى من مراحل حرب العصابات، وكما قلنا سابقاً أنها أطول وأهم مراحل العصابات، ولا يمكن التحول منها إلى المرحلة الثانية إلا بعد ضمان اكتمالها بشكل تام.

المرحلة الثانية: مرحلة التوازن، وهي المرحلة التي يحاول رجال العصابات فيها أن يعيدوا تشكيلاتهم العسكرية بأسلوب شبه نظامي، بعد أن يتمكنوا في المرحلة الأولى من تحقيق موطئ قدم وأرض محررة، وبعد التأكد من حاجتهم وقدرتهم على الانتقال للمرحلة الثانية، يكون الانتقال وتغيير التشكيلات وزيادة في التسليح ليصلوا إلى الأسلحة الثقيلة ووضع خطوط قتال بتشكيلات شبه نظامية، حتى يتوصلوا في آخر هذه المرحلة إلى تشكيلات نظامية، فيتمكنوا من التوسع للانتقال إلى المرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة: مرحلة الحسم، وهذه المرحلة هي المرحلة الأخيرة في حرب العصابات، وهي مرحلة يبدأ فيها رجال العصابات من إعادة تشكيل قواتهم إلى قوات نظامية بعد أن يتم تشكيل هيكلية حكومتهم، يرافق ذلك حملة إعلامية وسياسية لبداية هذه المرحلة، لتصل إلى حشد القوات النظامية من الطرفين وشن حرب نظامية يتم فيها القضاء المبرم على قوات العدو بالأسلوب النظامي بعد أن أنهكته الحرب في المرحلتين الأولى والثانية).

(أسلوب حرب العصابات أوقع في صفوف الصليبيين وعملائهم في أفغانستان خسائر أكبر بكثير من أسلوب الحرب النظامية، وهو أيضاً أقل خسائر في صفوف المجاهدين والمدنيين من الأسلوب النظامي).

(وقد هَزم الفيتناميون على مر ١٢ عاماً هزموا الجيش الأمريكي بعد أن كبدوه ما يقرب من ٦٧ ألف قتيل قبل أن يعلن هزيمته رسمياً، وكان قادة الفيتناميين يفتخرون ويرددون الطرفة القائلة بأنهم خاضوا الحرب ولم يستطع الجيش الأمريكي أن يدمر لهم دبابة واحدة، في إشارة إلى أن الجيش الأمريكي أعلن هزيمته وخرج من الحرب في المرحلة الأولى من مراحل حرب العصابات، قبل أن يملك الفيتناميون الأسلحة الثقيلة، وبالفعل لم تدمر دبابة واحدة للفيتناميين لأنهم لم يصلوا إلى مرحلة امتلاك السلاح الثقيل، فإذا كانت المرحلة الأولى في فيتنام كبدت الجيش الأمريكي هذه الخسائر فكيف لو أن الجيش الأمريكي أصر ولم ينسحب حتى دخل في المرحلة الثانية والثالثة؟.

وبنفس الأسلوب تعامل الأفغان مع الاتحاد السوفييتي وخاضوا حرب عصابات ضده على مر ١٠ سنوات تكبد أكبر جيش في العالم آنذاك خسائر فادحة في المرحلة الأولى من الحرب، وأعلن الجيش الأحمر انسحابه وهزيمته في أفغانستان قبل أن تنتقل الحرب إلى مرحلتها الثانية على جميع قطاعات أفغانستان، حيث كان هناك قطاعات مثل جلال آباد وخوست وقندهار وغيرها تحولت أثناء وجود السوفييت إلى المرحلة الثانية، إلا أن التحول بشكل كامل لم يحصل إلا بعد انسحاب السوفييت، لتنتقل الحرب إلى المرحلة الثانية ضد حكومة نجيب الشيوعية لمدة سنتين ونصف تقريباً، ثم حصل الانهيار في الحكومة الشيوعية ليكون الحسم خلال شهرين فقط).

ثم السؤال الذي أطرحه على كل القراء:

ماذا حققت أمريكا وحلفائها في أفغانستان؟

هل مكنت لنفسها هناك بدولة قوية متماسكة؟

هل اعتقلت الملا محمد عمر أو الإمام أسامة بن لادن أو الدكتور أيمن الظواهري أو أي أحد من القيادات المشهورة؟ حفظهم الله أجمعين.

ألا تسمعون الأخبار والتقارير هذه الأيام التي تقول بعودة الطالبان وسيطرتها على أجزاء كبيرة من أفغانستان؟

ألم ينتشر قبل فترة في وسائل الإعلام محاولات أمريكا وكرزاي إجراء المفاوضات مع الطالبان؟ ماذا يعني هذا غير الهزيمة لأمريكا؟!!.

ألم يقل مايرز رئيس هيئة الأركان الأمريكي: إن ما نواجهه في أفغانستان شبيهٌ بما نواجهه في العراق؟!.

ثالثًا:

النصر الكبير الذي نتمناه ونحبه كما قال الله عز وجل: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ وهو إقامة الخلافة الإسلامية وتحكيم شرع الله عز وجل وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد..

قد يتأخر لأسباب وحكم، نذكر منها ما ذكره سيد قطب رحمه الله إذ يقول: (والنصر قد يبطئ لأن بنية الأمة المؤمنة لم تنضج بعد نضجها، ولم يتم بعد تمامها، ولم تحشد بعد طاقاتها، ولم تتحفز كل خلية وتتجمع لتعرف أقصى المذخور فيها من قوى واستعدادات، فلو نالت النصر حينئذ لفقدته وشيكاً لعدم قدرتها على حمايته طويلاً..

وقد يبطئ النصر حتى تبذل الأمة المؤمنة آخر ما في طوقها من قوة، وآخر ما تملكه من رصيد فلا تستبقي عزيزاً ولا غالياً، لا تبذله هيّناً رخيصاً في سبيل الله..

وقد يبطئ النصر حتى تجرب الأمة المؤمنة آخر قواها، فتدرك أن هذه القوى وحدها بدون سندٍ من الله لا تكفل النصر..

إنما يتنزل النصر من عند الله عندما تبذل آخر ما في طوقها ثم تكل الأمر بعدها إلى الله..

وقد يبطئ النصر لأن البيئة لا تصلح بعد لاستقبال الحق والخير والعدل الذي تمثله الأمة المؤمنة، فلو انتصرت حينئذ للقيت معارضة من البيئة لا يستقر معها قرار، فيظل الصراع قائماً حتى تتهيأ النفوس من حوله لاستقبال الحق الظافر ولاستبقائه.

من أجل هذا كله، ومن أجل غيره مما يعلمه الله، قد يبطئ النصر، فتتضاعف التضحيات وتتضاعف الآلام، مع دفاع الله عن الذين آمنوا وتحقيق النصر لهم في النهاية، وللنصر تكاليفه وأعباؤه حين يتأذن الله به بعد استيفاء أسبابه، وأداء ثمنه، وتهيؤ الجو حوله لاستقباله واستبقائه..

وقد يبطئ النصر لتزيد الأمة المؤمنة صلتها بالله، وهي تعاني وتتألم وتبذل، ولا تجد لها سنداً إلا الله ولا مُتوجَهاً إلا إليه وحده في الضراء..

وهذه الصلة هي الضمانة الأولى لاستقامتها على النهج بعد النصر عندما يتأذن به الله.. فلا تطغى ولا تنحرف عن الحق والعدل والخير الذي نصرها الله به..

وقد يبطئ النصر لأن الأمة المؤمنة لم تتجرد بعد في كفاحها وبذلها وتضحياتها لله ولدعوته، فهي تقاتل لمغنم تحققه، أو تقاتل حمية لذاتها، أو تقاتل شجاعة أمام أعدائها، والله يريد أن يكون الجهاد له وحده وفي سبيله، بريئاً من المشاعر الأخرى التي تلابسه.

وقد سئل رسول الله ﷺ: الرجل يقاتل حمية، والرجل يقاتل شجاعة، والرجل يقاتل ليُرى، فأيها في سبيل الله؟ فقال: ((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)).

كما قد يبطئ النصر لأن في الشر الذي تكافحه الأمة المؤمنة بقية من خير يريد الله أن يُجرد الشر منها ليتمحض خالصاً، ويذهب وحده هالكاً، لا تتلبس به ذرة من خير تذهب في الغمار..

وقد يبطئ النصر لأن الباطل الذي تحاربه الأمة المؤمنة لم ينكشف زيفه للناس تماماً، فلو غلبه المؤمنون حينئذ فقد يجد له أنصاراً من المخدوعين فيه، ولم يقتنعوا بعد بفساده وضرورة زواله، فتظل له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تنكشف لهم الحقيقة، فيشاء الله أن يبقى الباطل حتى يتكشف عارياً للناس ويذهب غير مأسوف عليه من ذي بقية). أ. هـ.

وهذا مصداق قول الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾.

الواجب تجاه مشايخنا وإخواننا في الأسْر..

المحاوِر:

طريق الجهاد الذي يسلكه الشباب الطاهر المتوضئ ضد قوى الكفر العالمية لا بد له من تبعات، وها قد قتل من قتل من إخواننا المجاهدين – نسأل الله عز وجل ان يتقبلهم شهداء عنده–، وأسر عدد من إخواننا، وما تزال عصابة منهم تنكي في الكافرين بفضل الله ومنته.. ويتساءل العديدون من الغيورين؛ عن الواجب تجاه مشايخنا وإخواننا الأسرى، وهل من خطوات عملية يمكن الشروع بها في سبيل نصرتهم وفكاك أسرهم؟

الشيخ:

بالنسبة لهذا السؤال كتبت فيه كتاباً وهو (وجوب استنقاذ المستضعفين من سجون الطواغيت والمرتدين)، وقد تكلمت حول الهجمة الشرسة على شباب الإسلام وحملة الاعتقالات التي يواجهونها، وذكرت الأدلة من كتاب الله عز وجل ومن سنة النبي ﷺ وأقوال فقهاء المسلمين، إلا أني مع ذلك أرقب النصر والفجر قريباً بإذن الله، وما هذه الأحداث إلا ارهاصات لهذا النصر ومقدمات له.

ولا ننسى أن نذكر القراء أن رسول الله ﷺ وصحابته أوذوا وعذّبوا، وطوردوا، وسُجنوا، وهاجروا من ديارهم إلى المدينة وإلى الحبشة، واستمروا على ذلك سنوات، فأنزل الله بعد انتصارهم قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٢/ ٣١٢): (ينبه تعالى عباده المؤمنين على نعمه عليهم، وإحسانه إليهم، حيث كانوا قليلين فكثّرهم، ومستضعفين خائفين فقواهم ونصرهم، وفقراء عالة فرزقهم من الطيبات، واستشكرهم فأطاعوه وامتثلوا جميع ما أمرهم.

وهذا كان حال المؤمنين حال مقامهم بمكة، قليلين مستخفين مضطهدين يخافون أن يتخطفهم الناس من سائر بلاد الله من مشرك ومجوسي ورومي وكلهم أعداء لهم لقلتهم وعدم قوتهم، فلم يزل ذلك دأبهم حتى أذن الله لهم في الهجرة إلى المدينة فآواهم إليها وقيض لهم أهلها، آووا ونصروا يوم بدر وغيره، وواسوا بأموالهم وبذلوا مهجهم في طاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ.

قال قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلاً، وأشقاه عيشاً، وأوجه بطوناً، وأعراه جلوداً وأبينه ضلالاً، من عاش منهم عاش شقياً، ومن مات منهم رُدي في النار، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلاً من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منزلاً منهم، حتى جاء الله بالإسلام فمكن به في البلاد، ووسع به في الرزق، وجعلهم به ملوكاً على رقاب الناس، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم؛ فاشكروا الله على نعمه فإن ربكم منعم يحب الشكر، وأهل الشكر في مزيد من الله). أ. هـ.

وأما الخطوات العملية فيمكن ذكر بعضها كالتالي:

١- استنقاذ أسرى المسلمين من المشركين والكافرين بالقتال واستخلاص المعتقلين بالشوكة وإعداد القوة لذلك، باعتباره من أفضَل الجهاد في سبيل الله تعالى.

وهذا يقدره أمراء الجهاد باختيارهم للمكان والزمان المناسب، بحيث لا يترتب على ذلك مفسدة أعظم.

قال ابن العربي المالكي رحمه الله في معرض حديثه عن الأسرى المستضعفين من المسلمين في تفسيره أحكام القرآن (٢/ ٤٤٠): (إن الولاية معهم قائمة، والنصرة لهم واجبة بالبدن بألا يبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم؛ إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم، حتى لا يبقى لأحد درهم، كذلك قال مالك وجميع العلماء، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حلّ بالخلق في تركهم إخوانهم في أمر العدو، وبأيديهم خزائن الأموال، وفضول الأحوال، والعدة والعدد، والقوة والجلد).

والأدلة على ذلك مذكورة في كتاب (وجوب استنقاذ المستضعفين..).

٢- استنقاذ أسرى المسلمين من المشركين والكافرين بدفع الفدية لإطلاقهم.

ويُنفَق من بيت مال المسلمين إن كان موجوداً على فكاك الأسرى، وهو في الحقيقة ليس موجوداً فيُنفق على ذلك من أموال المسلمين، أي أنه واجب على أصحاب الأموال والتجار وغيرهم الإنفاق من أجل فكاك الأسرى.

ففي مصنف ابن أبي شيبة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (لأن أستنقذ رجلاً من المسلمين من أيدي الكفار أحب إليّ من جزيرة العرب)، وفي المصنف أيضاً عنه رضي الله عنه أنه قال: (كل أسير من المسلمين كان في أيدي المشركين ففكاكه من بيت مال المسلمين).

وإن كان هذان الأثران ضعيفين إلا أن العَمَل عليهما عند أهل العلم كما ذكرناه في كتاب (وجوب استنقاذ المستضعفين..).

٣- المفاداة بأسرى الكافرين، أي بأن نأسر من الكفار وبالذات الرموز المهمة، ثم نطالب بفكاك أسرانا مقابل فك أسراهم.

يعني مثلاً يؤسر بعض الجنرالات من الأمريكان أو السفراء والضباط... إلخ، ويقال لأمريكا فكي أسر العالم عمر عبد الرحمن مقابل هذا الأسير وأسرى جوانتانامو مقابل هؤلاء... وهكذا.

وأظن أن الإخوة الطالبان بدؤوا بهذا العمل، ولديهم أسرى بالعشرات من الأمريكان، فيا ليتهم يقوموا بتصويرهم وإظهارهم على الشاشات والمطالبة بالمفاداة، عسى أن يكون قريبا..

وأما الأسرى لدى المرتدين، ففي مسألة المفاداة بالأسرى خلاف لأن المرتد أحكامه تختلف عن الكافر الأصلي، والحديث يقول: ((من بدل دينه فاقتلوه)).

٤- التعريف بقضيتهم وإعلان أمرهم وإشهار مظلمتهم وذكر محاسنهم ومناقبهم وجهادهم.

ويستفاد لتحقيق ذلك من الشبكة العنكبوتية ووسائل الإعلام على تنوعها، وكل وسيلة جائزة يمكن من خلالها إيصال صوت المستضعفين إلى من يعنيه أمرهم، وهنا نؤكد على دور الخطباء الصادقين والدعاة المخلصين في نشر هذه القضية، كذلك الدور المنوط بالأعضاء في المنتديات الحوارية على الشبكة فهم قادرون على صنع البنرات والفلاشات وما شابه ذلك.

٥- الدعاء لأسرى المسلمين والإكثار والإلحاح على الله في القنوت وعلى المنابر وفي الصلوات، وسائر مواطن الإجابة الواردة في سنة النبي ﷺ.

فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يخص الأسرى بالدعاء، ويسمي بعضهم بأسمائهم، ويدعو بالهلاك على أعدائهم، كما في الصحيح عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم أنه كان إذا رفع رأسه من الركعة الأخيرة يقول: ((اللهم نجِّ عياش بن أبي ربيعة، اللهم نج سلمة بن هشام، اللهم نج الوليد بن الوليد، اللهم نج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف)).

فاللهم نج أسرى المسلمين في أمريكا، ونجهم في جوانتانامو، ونجهم من سجون طواغيت العرب والعجم، اللهم اشدد وطأتك على أمريكا وعلى طواغيت العرب والعجم، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف.. آمين.

التيار الجهادي في الجزيرة العربية -بعد مقتل الدندني والعييري- هل هو في صعود أم في انحسار..

المحاوِر:

بعد اعتقال عدد من علمائنا المجاهدين في أرض الحجاز، وبعد استشهاد الشيخين يوسف العييري وتركي الدندني -كذا نحسبهما عند الله- وعدد من إخواننا الأبطال، وبعد المطاردات، والاعتقالات، والتضييقات، وبعد إحباط عدد من العمليات -كما يزعمون- هل ترون أن مسيرة التيار الجهادي المبارك -بإذن الله- في أرض الحرمين في صعود وتبلور، أم أنه -لا قدر الله- في انحسار وكمود؟

الشيخ:

ما جرى ويجري في جزيرة العرب هو من أشد المراحل التي تمر عليها وعلى أهلها، وذلك أن دولة آل سعود تخلى عنها السيد وهو أمريكا، وأحست بالغرق الذي أجمع عليه حتى سحرة آل سعود الكفرة أقنعوا الأمراء بأنهم زائلون وكل مؤشرات وعوامل السقوط تدل على ذلك، وسيكون قريباً بإذن الله.

والغريق كما هو معروف يتصرف تصرفات ويضرب ضربات غير مدروسة يظن أنها ستنقذه، وهي في الحقيقة تؤدي إلى سرعة هلاكه وغرقه وغرق من يريد إنقاذه..

فالدور المطلوب من المجاهدين هو اتقاء ضربة الغريق، إما بالالتفاف على هذا الغارق وضربه في قفاه ضربة قاضية، أو ضربات متتالية تؤدي إلى خروج الروح منه أو الابتعاد عنه حتى يغرق كلياً وتخرج روحه..

ووالله إني أقولها تحقيقاً لا تعليقاً؛ إن هذه الدولة إلى زوال قريب مصحوب باللعنة والمقت والغضب والانتقام، وسترون ذلك خلال أسابيع أو أشهر معدودة، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

أما سؤالكم عن استشهاد الشيخين العييري والدندني رحمهما الله وتقبلهم في الشهداء، فهذا هو الطريق، وقد ذكرنا في كذا موضع أنه لا بد من التفريق بين جمال الأفكار وبين الواقع، فالناس (حين يتحدثون عن الجهاد في سبيل الله تعالى، فهذه كلمة جميلة وجميلة جداً -الجهاد في سبيل الله تعالى-، ولكن واقع الجهاد ليس جميلاً كله في كل أحداثه، فالجهاد ليس هو هذه الخطب الرنانة، وليس هو تلك الكلمات الجميلة، وليس كله غنائم وسبايا، وليس كله نصرٌ مؤزر، وليس كله خطبٌ نارية، بل فيه موت الحبيب، وفيه جرح الصديق، وفيه تطاير الأشلاء وفقد المال، وفقد المعيْن، وبمعنى آخر فيه جانب من المشقة، بل المشقة العظيمة).

فالنبي ﷺ حين جاهد فقد عمه وأحبابه وأصحابه، ومع ذلك مضى في طريقه لأن هؤلاء بإذن الله من أهل الجنان لا يجدون ألم الطلقات إلا كألم القرصة، ويأمنون من فتنة القبر، ومن فتنة الفزع الأكبر، ويزوجون باثنين وسبعين حورية و... إلخ من الأجور.

وكما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

اللهم أحينا أعزاء كرماء وأمتنا شهداء.. آمين.

أما مسيرة الجهاد، فهي في صعود وتبلور ونمو، وما يقال في وسائل الإعلام ليس بصحيح، فالأعداد التي انضمت لمسيرة الجهاد زادت بنسبة كبيرة جداً، والناس يقومون بإيواء المجاهدين ونصرتهم وإخفائهم ونقلهم والدعاء لهم، ووالله لقد قابلنا كبار السن والعجائز وسمعنا عن قصص للنساء والأطفال، أغلبهم متعاطفون مع المجاهدين.

وهذا ما أقلق نايف وزبانيته، أن كثيراً من المجاهدين مختفون عن أنظارهم لم يستطيعوا القبض عليهم، ولعلكم ترون مدى تعاطف كتاب المنتديات ومدى حبهم للمجاهدين، وترون البحوث الشرعية الكثيرة التي صدرت في الفترة الأخيرة وهي تضبط مسيرة الجهاد، وترون القوائم البريدية والفلاشات التي تحض على الجهاد والاسطوانات على اختلافها وتنوعها والروابط الصوتية في نصرة المجاهدين، وهذه نقلة كبيرة ونوعية للجهاد والمجاهدين وما يجري الآن سيزول قريباً بإذن الله.

كذاك الدّهر دولته سجال ... فيوم من مساءة أو سرور
لبّث قليلاً تأتك الحلائب ... يحملن آساداً عليها القاشب
كتائب يتبعها كتائب

ولعل من المفيد أن نوصي الجميع بالاستعداد للفوضى والتوحش القادم بالتسلح والتموين والتخزين والبدء بالإعداد والتعود على شظف العيش وشراء المستلزمات الضرورية، وللحركة الإسلامية للإصلاح نشرات طيبة في هذا المجال.

ومن تأمل التاريخ تأملاً بعيداً عن بعض المؤثرات يجد أنه لما سقطت دول الخلافة الإسلامية عمت البلاد فوضى لفترة من الزمن، مثل ما حدث عند سقوط خلافة بني أمية، إذ قتل في يوم واحد أكثر من مئة ألف من بني أمية، ونُبشت قبور خلفائهم، فلماذا نستبعد حدوث هذا مع آل سعود؟ أي لا نستبعد حدوث قتل رهيب لأمراء آل سعود ومن يحميهم، ولا نستبعد نبش مقبرة العود في الرياض وإخراج الملوك والعبث والانتقام من جثثهم، كل هذا لا يُستغرب حدوثه.

يقول الشيخ أبو قتادة وهو يتحدث عن الواجب علينا بعد انفراط العقد وسقوط الدول وما هو الدور المطلوب منا كمسلمين في مقالاته المقال رقم (٤٨):

١- بناء تنظيمات مسلحة، قادرة على الترقي عن مرحلة شوكة النكاية إلى شوكة التمكين، وهي وإن كانت هذه التنظيمات تحمل من اسمها: القلة وعدم الانتشار، إلا أنها حتى تقود هذا التوحش ثم تعيد صياغته من جديد فإنها بحاجة إلى السلاح والقدرة على إدارة التوحش، أو بمعنى آخر على إدارة الفوضى.

وهذه التنظيمات وإن كانت في كثير من البلاد في هذا الوقت ليست بقادرة على تحقيق تقدم نوعي، أو حتى كمي، فإن وجودها قد يزدهر بدخول عوامل جديدة على هذه المعادلة الخاسرة، ثم لأن هذه التنظيمات هي الخط الرئيسي في الدفاع عن إسلام الأمة وتوحيدها، ثم هي بنكايتها الضعيفة تعطي هامشاً جديداً لحركات البلاغ والدعوة في داخل مجتمعاتنا المتحولة، فانشغال حكومات الردة بالأعنف وهم حركات الجهاد المقاتلة يشغلهم عن الوعاظ والمدرسين ومشايخ التربية، وخطباء المساجد عملاً بالقاعدة العقلية: (ارتكاب أخف الضررين). وهذه التنظيمات واجبة القيام على الأمة أصلاً.

٢- التوحش أو الفوضى ستعم العالم، وخاصة في بلادنا، أما الغرب فهم موصوفون أصلا بالقدرة على قيام هذه الإدارة في بلادهم تاريخياً، وهو المقصود بقول عمر بن الخطاب: "وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة" [والحديث في صحيح المسلم]، هذا التوحش -أو الفوضى- القادم على العالم سيجزئ الدولة الواحدة إلى تجمعات صغيرة تختلف من تجمع لآخر من حيث رابطتها، فبعضها قبلي، وبعضها فكري، وبعضها مذهبي، وبعضها طائفي، كما كنا نرى في لبنان وأفغانستان والصومال، وكما سنراها لاحقاً في كثير من البلاد، إما بصورة جماعية وهو الأقوى نظراً، وإما على تتابع في سقوط متتالي..

هذا التوحش يوجب علينا تعلم فن وعلم إدارة هذا التوحش، وهو سلاح ذو حدين -أقصد التوحش-، إما أن يجتثنا أو نفيد منه، وإفادتنا منه تكون بسبب ضعف المركزية مما يجعل لحركات الجهاد هامشاً من الحركة غير المراقبة، من تدريب وإعداد وتنظيم، كما حصل في أفغانستان، وها هنا لا بد من أمر، وهو التنبيه على ضلال دعوة بعض قادة الحركات المهترئة بوجوب الحفاظ على النسيج الوطني، أو اللحمة الوطنية، أو الوحدة الوطنية، فعلاوة على أن هذا القول فيه شبهة الوطنية الكافرة، إلا أنه يدل على أنهم لم يفهموا قط الطريقة السننية لسقوط الحضارات وبنائها.

ثم هذا التوحش يوجد للغرباء مأوى يستترون فيه بعيدا عن طلبات اللجوء إلى بلاد الغرب، هذا إذا استطاعت حركات الجهاد أن توجد لها مكانا في قطعة الجبن المتناثرة.

٣- القدرة على إعادة التشتت إلى لحمة جديدة تحمل صورة الإسلام الصحيحة، وهذا يستدعي وجود قادة لهم النظر الثاقب في الإدارة والحرب، وحتى أقرب الصورة أكثر فإن القارئ الباحث يستطيع أن يستطلع شيئاً ما هو مقبل من خلال معرفته معرفة حقيقية لواقع المجتمع الإسلامي قبل الحروب الصليبية وخلالها وبعدها، فإنه قد يعيد التاريخ نفسه إذا وجدت نفس المعطيات، والمعطيات متشابهة ها هنا وليست متطابقة).

الواجب في التعامل مع سدنة الطاغوت ومشايخ السلاطين..

المحاوِر:

في أعقاب غزوتي نيويورك وواشنطن بدأت هجمة شرسة من عدد من أهل العمائم واللحى على المجاهدين الأبرار، وقد ازدادت الهجمة شراسة وضراوة في أعقاب تفجيرات الرياض والدار البيضاء، حتى وصل الأمر ببعضهم برمي أولئكم المجاهدين بالكفر، وعدد منهم صور المجاهدين بأنهم أناس يعانون من أمراض إجتماعية أو فشل في الحياة، وآخرون رموهم بأنهم جهلة لا يتصلون للعلم الشرعي بصلة، وآخرون قالوا "إلا السعودية"! وهذا غيض من فيض! فما هو الواجب في التعامل مع أمثال أولئك، سيما وأن عدداً منهم لإظهار براءته من المجاهدين أخذ يكيل المدح والإطراء للطواغيت -ولا حول ولا قوة إلا بالله-؟

الشيخ:

أما عن الأحداث الأخيرة، فيعلم الجميع أن المجاهدين رماهم الناس عن قوس واحدة، وتكالبت عليهم قوى الشرق والغرب، وتبرأ منهم أهل البدعة والفرقة والشقاق، لكنها إرهاصات النصر إن شاء الله تعالى.

فنوصي الشباب المجاهد ونقول له: إياكم والوهن والنكوص والتبديل والتغيير، وإياكم ثم إياكم أن يأتيكم الموت وقد بدلتم وغيرتم..

فمن سنن النصر أن يفترق الناس إلى فريقين، وينقسم الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط كفر لا إيمان فيه. وهذا لا يحصل بدون محنة وبلاء وعذاب ومشقة، ومثل هذه الفتن تكشف الحقائق وتكشف الرجال.

جاء في كتاب (الإبانة الكبرى) لابن بطة (٢/ ٧٦٩) الخبر التالي: (قال الرجل لسعيد ابن المسيب رحمه الله تعالى: يا سعيد، في الفتنة يتبين لك من يعبد الله ممن يعبد الطاغوت).

وقد أراد الله عز وجل لهذه الأحداث أن تحدث لكي يزداد التمحيص ويزداد التمييز، وقد ذكرنا -كما مر معنا- أن من حكم إبطاء النصر أن الباطل الذي تحاربه الأمة المؤمنة لم ينكشف زيفه للناس تماماً، فلو غلبه المؤمنون حينئذ فقد يجد له أنصاراً من المخدوعين فيه، ولم يقتنعوا بعد بفساده وضرورة زواله، فتظل له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تنكشف لهم الحقيقة، فيشاء الله أن يبقى الباطل حتى يتكشف عارياً للناس ويذهب غير مأسوف عليه من ذي بقية..

فلعل البعض لم ينكشف لهم زيف آل سعود ولم يكونوا مقتنعين بفسادهم وضرورة زوالهم، فأراد الله عز وجل انكشاف هذه الحقائق، وقد ذكرنا في كذا موضع حقيقة هؤلاء الشيوخ وأنهم سدنة للحكام، ولعلنا ننقل بعض ما ذكرناه لتعم الفائدة:

يقول الشيخ المجاهد أيمن الظواهري نصره الله في كتاب (الولاء والبراء عقيدة منقولة وواقع مفقود) (٢٣ ـ ٢٦): (أعوان الحكام: من العلماء الرسميين والصحافيين والإعلاميين والكتاب والمفكرين وغيرهم من الموظفين الرسميين الذين يتلقون رواتبهم في مقابل نصرة الباطل وتزيينه ومعاداة أهل الباطل وتشويههم.

وهذه الفئة هي أعلى الفئات صوتاً في الموالاة للحكام العملاء والقوات الصليبية الغازية لديار الإسلام، أو أهل الذمة كما يفترون، لكنهم -للأسف- هربوا من سؤال في غاية الخطورة والحرج: من يدفع الجزية لمن؟

وهذه الفئة بأخلاطها المختلفة اتبعت أسلوباً من التلفيق العقائدي بين العقائد المنحرفة التي نبذها أئمة الإسلام سلفاً وخلفاً (أهل السنة والجماعة)، فهذه الفئة جمعت بين:

١. عقيدة الإرجاء في أفضح صورها -بلا حياء- في إسباغ الشرعية على أسوأ صور الانحلال والتبعية والفساد والنهب الذي تمثله الأنظمة الحاكمة المرتدة الخارجة على الشريعة.

٢. بالإضافة إلى تبنيها لمنهج الخوارج في تكفير وتفسيق وتبديع واستباحة دماء وحرمات المجاهدين العاملين للإسلام.

فمفتي الديار المصرية وهو الموظف الرسمي في الحكومة المصرية الذي يتلقى راتبه منها ليؤدي عمله الذي استأجروه عليه؛ وهو إسباغ الشرعية على النظام العلماني الباطش بالمسلمين الموالي لليهود، في صورة تتفوق في غلوها على أشد عتاة غلاة المرجئة الأوائل، هو نفسه الذي أفتى المحكمة العسكرية العلمانية بإعدام المجاهدين الخمسة أبطال الإسلام في مصر -محمد عبد السلام فرج، وعبد الحميد عبد السلام، وخالد الإسلامبولي، وحسين عباس وعطا طايل- الذين قتلوا أنور السادات، الذي وقع أربع اتفاقيات مع إسرائيل تعهد فيها بالاعتراف بدولة إسرائيل واستيلائها على فلسطين، وعدم الاعتداء عليها أو مساندة أية دولة تعتدي إسرائيل عليها، بل ونزع سلاح سيناء ضماناً لأمن إسرائيل، إلى غير ذلك من الاتفاقات السرية.

وأشهر هذه الاتفاقات هي اتفاقية السلام مع إسرائيل في عام ١٩٧٩ التي نصت على إنهاء الحرب بين مصر وإسرائيل إلى الأبد، ومنعت مصر من مساعدة أية دولة تتعرض لعدوان إسرائيل، بل ودعت إلى التطبيع مع إسرائيل في كل المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية، ثم أصدر الأزهر فتوى يبارك فيها هذه الاتفاقية، ويقرر فيها أنها تتفق مع الشريعة!!.

ونوع آخر من المفتين يدعون إلى طاعة أولياء الأمور، وفي نفس الوقت يعتبرون المجاهدين دعاة فتنة، وهم قد أجازوا الاستعانة بالأمريكان، وباعتبار جيوشهم الجرارة التي سدت الأفق وأساطيلهم الجبارة التي ضاق عنها البحر والتي بلغت مئات الألوف من الجنود الغزاة من المستأمنين!! ولا ندري من الذي يؤمن من؟؟

وصدرت منهم فتاوى جماعية بجواز الاستعانة بالقوات الأمريكية لمواجهة النظام البعثي العراقي بدعوى الضرورة، بل وأسبغوا الشرعية على وجود جحافل الكفار الغازية لأقدس

بقاع المسلمين، وقد مر على وجود هذه القوات حتى الآن قرابة اثني عشر عاماً بعد انسحاب العراق واستسلامه، قتلت فيها تلك القوات -بالحصار- قرابة مليون ونصف مليون طفل في العراق دون أن ينطق هؤلاء الموظفون بكلمة واحدة في هذا الشأن.

والأمر ليس أمر استعانة بقوات الكفار ضد قوات صدام البعثية، بل الأمر أمر احتلال لمنابع النفط في جزيرة العرب.. فلم يكن هناك ضرورة لإحضار الأمريكان، فإن جيوش الدول العربية والإسلامية كان فيها الكفاية والغنى لحماية الكويت أو تحريرها.

ولكن هؤلاء الحكام لا إرادة لهم، بل هم صنيعة المخططات البريطانية التي رسمت لهم حدودهم، ونصبتهم على عروشهم، ثم ورث الأمريكان النفوذ البريطاني، وأصبح لهم الأمر والنهي على كل حكام الجزيرة العربية وسائر العالم العربي.

إذن فقد جاء السادة ليدافعوا عن ممتلكاتهم، وليس لهؤلاء الشيوخ والملوك شأن بأمن الجزيرة العربية أو الدفاع عنها.

والآن وبعد أن استسلم العراق، وفرض الحظر الجوي على نصف أراضيه، واستقل الشمال الكردي عن حكومة بغداد، وفرضت لجان التفتيش عليه، وألزم بدفع التعويضات، بعد كل هذا لا يزال الوجود العسكري الصليبي على جزيرة العرب في ازدياد، بل إنهم يعدون لحملة جديدة على العراق ينتظر لها أن تقتل مئات الآلاف من المسلمين، حتى يستولوا على نفط العراق.

ثم سيتحولون بعد ذلك إلى -كما صرحوا في الكونجرس- إلى السعودية لتقسيمها، ثم إلى مصر وهي الجائزة الكبرى على حد تعبيرهم.

إذن المسألة ليست مسألة استعانة، بل المسألة مسألة احتلال وسلب ونهب وسيطرة وقهر من الصليبيين على المسلمين في أقدس أراضيهم؛ جزيرة العرب.

وهؤلاء الحكام ما هم إلا طلاء باهت على جدار الوجود الأمريكي، ثم يأتي -بعد ذلك- علماء السلطان ليوقعوا على الفتاوى المحولة لهم من المقام السامي، التي تبيح هذا الاستيلاء وهذا النهب وهذا التسلط الصليبي بل وهذا السفك لدماء المسلمين في العراق.

ثم يفتي المفتي العام للسعودية -أيضاً- بجواز الصلح مع إسرائيل لأن الذي عقده معهم هو ولي أمر المسلمين (ياسر عرفات).

وبعض المنتسبين إلى الدعوة في الكويت صرخوا بعد قتل المجاهدين للأمريكان في فيلكا، وانتفضوا غاضبين للتعدي على الصليبيين الذين وصفوهم بأهل الذمة، ونسوا أن أهل الذمة يعيشون تحت ظل سلطان المسلمين، ويدفعون لهم الجزية، وتجري عليهم أحكام الإسلام، بينما هؤلاء المشايخ وأمرائهم يعيشون تحت قهر الصليبيين وفي سلطانهم، ويلجؤون إلى حمايتهم ويدفعون لهم الأموال الباهظة طوعاً وكرهاً حتى يرضوا عنهم، ولا يستطيعون أن يخالفوا إرادتهم قيد أنملة.

فمن في ذمة من؟ ومن يدفع الجزية لمن؟ ومن في قهر من؟

ونسوا أيضاً أن الكويت من جزيرة العرب، ولا يجوز بقاء اليهود والنصارى فيها أصلاً.

وكل هؤلاء -الذين يقطعون الطريق إلى الله- يأمرون الناس بطاعة أولئك الخارجين على الشريعة في ترك الجهاد الواجب، فارتكبوا بذلك عدة مصائب:

أ. أعانوا على استمرار استيلاء الكفار على بلاد الإسلام.

ب. ثبطوا الناس عن الجهاد العيني المفروض عليهم.

ت. أضفوا الشرعية على الحكومات الباطلة الخارجة على الشريعة.

ث. سبوا المجاهدين وافتروا عليهم.

ومن الحيل التي يسوقها هؤلاء دعواهم أن الجهاد حق وواجب، وأنه طريق الخلاص، ولكن ليس الآن وقته، فالمرحلة الآن مرحلة الإعداد، والمرحلة الآن مرحلة التفرغ للدعوة، إلى آخر هذه الدعاوى.

ويجادلون عن هذه الشبهة جدالاً شديداً، ولكنهم يتهربون من السؤال المحرج الخطير:

لماذا بعد كل هذه العقود من المذلة لم تعدوا شيئاً؟ ومتى سينتهي هذا الإعداد؟

ولا جواب عندهم، لأن الإعداد عندهم لا نهاية لمدته. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [التوبة].

وليتهم حتى أصلحوا عقائد الناس، وبينوا لهم عقيدة التوحيد الصافية كما أنزلت على النبي ﷺ، وكما نقلها السلف الصالح، ولكنهم -وللأسف- يبدون بعضها ويخفون كثيراً منها، فجل كلامهم في التوحيد ينصب على العامة والضعفاء، أما خروج الحكام الطواغيت عن الإسلام وموالاتهم لليهود والنصارى فلا يتطرقون إليه.

ومن العجب أن بلاد الإسلام واقعة تحت النفوذ الأجنبي منذ عقود، وليس الوجود العسكري الاحتلالي الصليبي الحالي نتيجة مفاجأة أو انقلاب طارئ في السياسة الدولية، بل هو ثمرة سياسة مستمرة من التبعية للغرب تمتد لما يزيد عن مائة عام، ومع ذلك لم نسمع من هؤلاء عن هذه المصيبة شيئاً إلا نادراً وبإشارات عابرة وبعيدة.

وتارة يشغبون بقولهم إن المجاهدين لا يقدرون المصالح والمفاسد، وأن ما جلبوه من المفاسد أكثر مما حققوه من المصالح، ولكنهم لا يجيبون على السؤال المحرج:

حسناً، وما هو الأسلوب الجهادي الذي تقترحونه والذي يحقق المصالح ويتجنب المفاسد؟

والجواب عندهم هو: ترك الجهاد.

وإذا سألتهم: لو فرضنا أن المجاهدين لم يقوموا بواجبهم، وانضموا إلى صفكم؛ صف القاعدين التاركين للجهاد تحت شتى المبررات، فهل كان أعداء الأمة سيتوقفون عن عدوانهم؟ وهل كان الفساد والإفساد سينحسر؟ وهل كان اليهود سيرحلون عن فلسطين؟ وهل كانت إسرائيل ستكف عن مخططها لتهويد فلسطين وهدم المسجد الأقصى والسعي لإقامة إسرائيل الكبرى؟ وهل كان العلمانيون سيكفون عن زيغهم وتضليلهم؟ وهل كان مروجو الفاحشة سيتوبون ويتعففون؟ وهل كان الطواغيت الحاكمون سيتركون كراسيهم ويفتحون أبواب السجون ويكفون جلاديهم عن تعذيب شعوبهم؟ وهل وهل وهل؟

ثم يضيفون إلى هذه الشبهات مزيداً من السحب والحجب، فيخاطبون الشباب بقولهم: لماذا لا تنشغلون بطلب العلم؟ لماذا لا تنشغلون بمحاورة الكفار ومجادلتهم؟ لماذا لا تنشغلون بإنشاء المدارس ورعاية الأيتام ومداواة المرضى؟ لماذا لا تنشغلون بالدعوة إلى العقيدة الصحيحة؟

وليتهم صدقوا في دعوتهم لتصحيح العقيدة.

وحقيقة دعوتهم هي: لماذا لا تنشغلون عن الجهاد؟؟

إنه مرض فقدان المناعة العقائدي الفكري، فلنحذره أشد الحذر، فإن عاقبته الضياع والخسران والذل والاستسلام.

وحاصل دعوتهم تثبيط المجاهدين عن الجهاد، وإخلاء الميدان من الشباب المجاهد حتى يأمن الغزاة المعتدين من أية مقاومة أو تدافع، ولذلك فإن أعداء الإسلام ينظرون إليهم في رضا ويشيرون على حكوماتهم بإفساح المجال لهم) أ. هـ

وللإمام المجاهد أسامة بن لادن محاضرة طويلة بخصوص هذا الشأن موجودة بأكملها في الكتاب الجديد (أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان)، ولأبي قتادة الفلسطيني فك

الله أسره كلام رائع وجميل حول سدنة الحكام هؤلاء نقلته كاملاً في كتاب (تحريض المجاهدين الأبطال على إحياء سنة الاغتيال).

الاجتماع مع الرافضة والعلمانيين بدعوى الحوار الوطني..

المحاور:

في الأيام القليلة الماضية قام عدد من أهل العلم من المحسوبين على الصحوة بالاجتماع مع العلمانيين والرافضة وغيرهم من أهل الضلال، بدعوى الحوار الوطني والإصلاح! فهل ترون أن الإصلاح ممكن أن يتم بأمثال هذه الحوارات؟ وهل إصلاح أمثال هذه الأنظمة ممكن أن يكون بأمثال هذه الطرق؟

الشيخ:

من المقدمات المهمة في هذا الباب أن نتذكر أن الحي لا تؤمن عليه فتنة، فقد ينتكس وينكص على عقبيه، بل قد يرتد عن دين الله عز وجل، وهذا الأمر لا يختص بأحد دون أحد، قال الله عز وجل عن أحد كبار العلماء ممن قيل أنه يعلم اسم الله الأعظم: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف ١٧٥ . ١٧٦].

وقال تعالى في حق خيرة خلقه وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ...﴾ الآيات. [الأنعام: ٨٨-٨٩].

وهذا عبد الله بن سعد بن أبي السرح الذي كان من كتبة الوحي، وكان يكتب للنبي ﷺ ثم ارتد على عقبيه، فأمر رسول الله ﷺ بقتله ولو وجدوه متعلقاً بأستار الكعبة.. ثم إنه تاب

ورجع إلى الإسلام عام الفتح، أحضره عثمان بن عفان -وكان أخاه من الرضاعة- إلى النبي ﷺ فبايعه.. وقصته برواياتها المختلفة بسطها وتكلم على فوائدها شيخ الإسلام في الصارم المسلول.

والشاهد منها أن كونه من كتبة الوحي عند النبي ﷺ لم يمنع من كفره وردته لما أتى بسببها..

وهذا سعد بن عبادة رضي الله عنه عندما قال على رجل يظهر الإسلام لسعد بن معاذ رضي الله عنه: لا تقتله ولا تستطيع أن تقتله. قال أسيد بن حضير رضي الله عنه: إنك منافق تجادل عن المنافقين. وأقره النبي ﷺ على هذه الكلمة كما جاء ذلك في الصحيحين.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لحاطب بن أبي بلتعه رضي الله عنه: "دعني أضرب عنق هذا المنافق"، وفي رواية: "فقد كفر". فقال رسول الله ﷺ: ((إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)).

مع أن باب التأويلات والمبررات مفتوحة على مصراعيها لسعد بن عبادة ولحاطب ولغيرهم رضي الله عنهم، إذا كانت كما يريد مشايخ ومرجئة العصر الحاضر فهم أحد المؤسسين للدولة الإسلامية في المدينة:

أ. فلماذا لم يقل الصحابة رضي الله عنهم كيف يسب أسيد بن حضير عالماً من علماء الصحابة ومجاهداً كبيراً فلحوم العلماء مسمومة وعادة منتقصيهم معلومة؟.

ب ولماذا لم يقل الصحابة رضي الله عنهم أن ما فعله سعد بن عبادة رضي الله عنه يتضمن مصلحة كبيرة عظيمة ويدفع مفسدة كبيرة.. كيف هذا؟

ت. ولماذا لم يقل الصحابة رضي الله عنهم بأن هذا الرجل الذي دافع عنه رئيس لقبيلة فهو يدافع عنه دفعاً لتهييج قبيلته ضد الإسلام والمسلمين ودولة الإسلام ويحافظ على الدعوة ويؤلف قلوب القبيلة على الدولة الإسلامية؟.

ث. ولماذا لم يقل الصحابة رضي الله عنهم أن هذا الرجل كان ظاهرة الإسلام يصلى ويصوم ويجاهد مع المسلمين فحاله يلتبس على المسلمين؟.

ج. ولماذا لم يقل الصحابة رضي الله عنهم أن سعد بن عبادة وإن كان أخطأ إلا أن له جبالاً من الفضائل وهذه زلة عالم ولا يصح هذا القول ضد عالم له فضائل لمجرد زلة واحدة لم تتكرر ولا يصح تتبع زلات وسقطات العلماء؟.

ح. ولماذا لم يقل الصحابة رضي الله عنهم لعل سعد بن عبادة وإن كان أخطأ إلا أنه متأول والتأويل يمنع من التوصيف الشرعي للفعل والعقوبة؟.

خ. ولماذا لم يقل الصحابة رضي الله عنهم يجب على أسيد بن حضير ألا يتسرع هكذا ويلتمس له ألف عذر قبل أن يرمي مجاهداً كبيراً قامت دولة الإسلام على تضحياته بمثل هذا الوصف الشنيع؟. لم يقولوا كل هذا لم؟

لأنهم لم يتعلموا نظريات المصالح الظاهرة الجزئية السطحية، ولم تنقلب مرآة بصيرتهم وتسود حتى يرى الحق باطلاً والباطل حقاً، والبدعة سنة والسنة بدعة، والتوحيد شركاً والشرك توحيداً، والفساد مصلحة والمصلحة فساداً، بل إنهم يعلمون أن التوحيد أصفى من العسل المصفى، وأرق من الماء الزلال، وأنقى من اللبن في الضروع، وإن قطرة من الموالاة وشائبة من مدح الطاغوت لعلها لمصلحة الدعوة تكدر صفوه وتذهب بنقائه.

سلمان الفارسي وبلال بن رباح وصهيب الرومي رضي الله عنهم لما قالوا لأبي سفيان: (لم تأخذ سيوف الله من عدو الله مأخذها). قال أبو بكر الصديق: (أتقولون هذا لسيد قريش؟) فقال له رسول الله ﷺ: ((إن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك)).

فماذا يقول المشايخ وطلبة العلم لو قلنا للداعية الكبير والمشهور: إنك منافق تجادل عن الطواغيت، أو قلنا للعالم الكبير: لأن كنت أغضبت المجاهدين المؤمنين أولياء الله بمدحك للطاغوت لقد أغضبت ربك..؟؟!!.

هذا ما ذكرته في كتاب (الآيات والأحاديث الغزيرة على كفر قوات درع الجزيرة).

وأما اللقاء الوطني للحوار الفكري، الذي عقد بالرياض برعاية المرتد عبد الله بن عبد العزيز، في الفترة من ١٥ ـ ١٨/ ١٤٢٤/٤ هـ الموافق ١٥ ـ ١٨/ ٢٠٠٣/٦ م وحضره بعض الرموز مثل سلمان العودة وعائض القرني وعوض القرني إلخ، القائمة والتقوا مع بعض أعدائهم بالأمس أمثال ربيع المدخلي وفالح الحربي وحسن الصفار الرافضي... إلخ، فلا أجد أفضل رداً على سلمان العودة أفضل من قوله في كتابه سلسلة الغرباء (٢/ ٦٤) طبعة دار ابن الجوزي عام ١٤١١ هـ:

(قد تجتمع بعض الفرق على الكفر الصريح الواضح الذي لا شك فيه؛ كاجتماع الأحزاب القومية والوطنية على أساس الرابطة القومية، وإنكارها للأخوة الإيمانية، ومنحها حق التشريع والسلطة للبشر من دون الله، وإهانتها للإسلام وأهله، وكاجتماع بعض أصحاب الطرق الصوفية على زعمائهم المدّعين لأنفسهم رتبة أعلى من رتبة النبوة؛ بل والمدّعين حلول الإلهية فيهم، والناسخين للتكاليف عن أتباعهم ومريديهم، والزاعمين الأخذ عن الله بلا واسطة.

وهذه الراية وتلك تجمع المنافقين نفاقًا اعتقاديًا، ممن يحادون الله ورسوله، وممن لا يستحي من التصريح بالردة والخروج عن الدين -وعامة القادة المتبوعين منهم كذلك-؛ كما تجمع الرعاع والدهماء ممن يلتفون حولها رغبة أو رهبة خاصة حين تملك القوة والسلطان، أو تكون على علاقة بمن يملك القوة والسلطان ممن لا يَعُون من الأمر شيئًا، ولا يفهمون من أصول الفرق التي ينتسبون إليها شيئًا، وليس لديهم استعداد -أصلاً- لسماع شيء من تلك

الأصول، أو مناقشتها، أو قبولها، فهم مشغولون بهمومهم اليومية عن ذلك، ولكنهم في الجملة مصلُّون، مقيمون للشعائر الظاهرة.

ومثل هذه التجمعات هي تجمعات كفرية من حيث المبدأ الذي تقوم عليه، والراية التي تقف تحتَها، والقيادات الواعية التي تسيِّرها، لكن لا يلزم من ذلك كفر كافة أفرادها؛ بل ربما وُجدت أغلبية مسلمة مغفلة تحت زعامة أقلية علمانية كافرة داخل حزب أو حركة أو طائفة أو نحلة أو بلد، ولو سَبَرْتَ أحوال كثير من هؤلاء الأتباع المغفلين؛ لوجدت حرجًا عظيمًا في وصفهم جميعًا بالكفر، ولوجدت لهم تأويلات إن كان لا يمكن أن تنطلي على العالم أو طالب العلم أو العاقل الحصيف، فمن الممكن أن يغتر بها أمثالهم من غوغاء الناس الذين لا يتبصرون في أمورهم، إضافة إلى رقة دينهم، وضعف يقينهم، وإيثارهم العاجل على الآجل، والتكفير لابد أن يكون بأمر واضح غير ملتبس.

ومن الأمثلة على ذلك: الاتجاهات القومية في العالم الإسلامي؛ فإنك إذا استبعدتَ غير المسلمين أصلاً من دعاة القومية، واستبعدتَ مَن علم نفاقهم الاعتقادي علمًا أكيدًا من أفكار ومبادئ أعلنوها وصرحوا بها؛ وجدتَ بعض من يحملون أفكارًا قومية، ويرددون بعض المصطلحات الشائعة في تلك الأوساط، ويُحْسَبون -عند عامة الناس- من أصحاب الاتجاهات القومية؛ وجدتهم ملتزمين بالشعائر، غير قائلين بقول لا يحتمل تأويلاً غير الكفر).

لمحة موجزة عن مؤلفات الشيخ..

المحاوِر:

صدر لكم عدد من الكتب والأبحاث.. فهل لكم أن تعطونا لمحة موجزة عن كل واحد منهم؟ وما هي مؤلفاتكم القادمة بإذن الله؟

الشيخ:

صدر لي بفضل الله عز وجل إلى الآن ستة مؤلفات، أولها: كتاب (الباحث عن حكم قتل أفراد وضباط المباحث) وفي النية إصدار طبعة جديدة للكتاب بحول الله وقوته مزيدة ومنقحة، وهذا الكتاب انتشر انتشار النار في الهشيم، وأثار بلبلة في أوساط المباحث، وبدأ كثير منهم يخاف من القتل، وقد حمَّله من منبركم المبارك ما يزيد على السبعة الآف إلى يومنا هذا، وهو كما تعلمون يبين حكم المباحث ويشرح طبيعة عملهم وعمل الجيوش المعاصرة وحكمهم في كتاب الله وفي سنة محمد ﷺ وإجماعات أهل العلم كما يبين بعض المسائل مثل مسألة العدو الصائل ومسألة مداهمة المنازل وفيه بعض الوصايا القيمة للمجاهدين، وكان سبب تأليفه ما جرى من مطاردات للمجاهدين في أرجاء الجزيرة العربية وبالذات حدث الشفا في شهر رمضان من عام ١٤٢٣ هـ.

وثانيها: كتاب (تحريض المجاهدين الأبطال على إحياء سنة الاغتيال) وهذا الكتاب واضح من عنوانه، أوردت فيه الأدلة من الكتاب والسنة وكلام فقهاء المسلمين على مشروعية الاغتيالات لأئمة الكفر، ثم ذكرت فيه أسباب الاغتيالات وطرقها ووسائلها والأهداف المقترحة للبدء بها... إلخ ثم ختمته كالمعتاد بوصايا لتاج رؤوسنا المجاهدين الأخيار نصرهم الله.

وثالثها: كتاب (الآيات والأحاديث الغزيرة على كفر قوات درع الجزيرة) وهو بحثٌ في كل ممتنع نصر طواغيت الصليب والردة، وهذا الكتاب جاء مع بدء وأثناء حرب العراق

الأخيرة من عام ١٤٢٤ هـ، وذلك أن قوات درع الجزيرة انطلقت من دول الخليج إلى الكويت لمساندة الصليبين في حربهم للعراق، فوضحت حكمهم من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وكلام فقهاء وعلماء المسلمين، وقد ذكرت ما يقرب من عشرين دليلاً على ذلك، ثم أكدت على قاعدتين مهمتين في الحديث في مثل هذه المسائل وهما:

١. القاعدة الأولى: (أن تبين الموانع إنما يجب في المقدور عليه، ولا يجب في الممتنع أو المحارب)، وبعبارة أخرى (أن الفرد في الطائفة الممتنعة عن القدرة له حكم رؤوس الطائفة).

٢. القاعدة الثانية: (أن شروط التكفير وموانعه وأسبابه لا تثبت وتعتبر إلا بدليل شرعي معتبر)، أو بمعنى آخر (المانعية والشرطية وكذلك السببية لابد لإثباتها واعتبارها دليل شرعي)، فالموانع والشروط والأسباب كل ذلك من الأحكام الشرعية الوضعية التي وضعتها الشريعة بتوقيف.

ورابعها: كتاب (نصوص الفقهاء حول أحكام الإغارة والتترس) وهذا الكتاب جاء بعد غزوات الرياض والدار البيضاء والشيشان، وذلك أنه خرجت رؤوس شيوخ الحكومات المعاصرة يجرمون هذه العمليات بحجج واهية لمن بصره الله، وقد ذكرت نصوص فقهاء المسلمين على امتداد القرون، حتى يعلم المجاهدين أن كل فقهاء المسلمين يؤيدون ما قاموا به من أعمال وأن هؤلاء الموظفين (كما سماهم الإمام أسامة بن لادن) من خطباء وإعلاميين شهداء زور وعملاء لدى هذه الحكومات لن يخرجوا عن سياستها أبداً، فليزد المجاهدون من هذه الأعمال حتى تنكشف الغمة عن المسلمين.

وخامسها: كتاب (وجوب استنقاذ المستضعفين من سجون الطواغيت والمرتدين) وهذا الكتاب يتحدث عن مسألة فكاك الأسرى من الطواغيت عموماً، وأنه واجب ملقىً على كواهل المسلمين لا يعذرون بترك أسراهم، وبينت فيه واقع السجون في الدول العربية المرتدة بذكر قصص وآهات من داخل هذه السجون، ثم ذكرت الأدلة من الكتاب والسنة على فكاك الأسرى، ثم أتبعت ذلك بذكر أقوال علماء وفقهاء المسلمين في فكاك الأسرى، ثم

ذكرت فيه مواقف تاريخية مشرّفة لخلفاء وقادة المسلمين في فكاك الأسرى، ثم ختمته كالمعتاد بوصايا للمجاهدين.

وآخرها وما أدراك ما آخرها: كتاب (أسامة بن لادن مُجدد الزمان وقاهر الأمريكان) وهو كتاب ضخم حول الإمام العظيم والمجاهد الكريم أسامة بن لادن -نصره الله-، ولعلي أن أكون قدمت بعض الوفاء لهذا الرجل الذي أحبه الملايين، وقد ذكرت فيه اسم الإمام أسامة ونشأته وأسرته، ثم ذكرت أقوال العلماء وطلبة العلم فيه، وأقوال المشاهير والمثقفين، وأقوال الكفار (الحق ما شهدت به الأعداء)، ثم إحصاءات وأرقام حوله، ثم أعقبت ذلك بذكر التُهم والشائعات مع الرد عليها، ثم بينت جهاده، وتكلمت عنه وعن القيادة ومدى الخلل الحاصل لدى المسلمين في اتخاذ القيادة، ثم ذكرت الاستراتيجية التي يسير عليها باتخاذ الحرب غير المتوازية في حربه مع أمريكا، وأتبعت ذلك بمقالات حول الإمام أسامة بن لادن وتنظيمه، ثم شعر في إمامنا -شرح الله صدره-، ثم ذكرت موقفين مؤثرين لهذا الإمام، وقبل الأخير ذكرت كل ما تسنى لي من كلمات وبيانات ولقاءات لهذا الإمام، بعد هذا المشوار الطويل ختمت الكتاب، نسأل الله أن يطرح له ولما قبله القبول والبركة وأن يجعل ذلك في موازين حسناتنا وحسنات كل من نشره وطبعه ووزعه.

وهناك إصدارات أيضاً من الله عليّ بأن جمعتها ثم قمت مع بعض الأخيار بنشرها وتوزيعها بكثافة في كل أرجاء الجزيرة العربية، وقد ساعد في ذلك الكثير من الإخوة ممن لا نعرفهم جزاهم الله خيراً في نشرها ونسخها، وهي اسطوانات طريق العزة ١ وطريق العزة ٢ وطريق العزة ٣.

أما عن ما أنوي القيام به في المستقبل بحول الله وقوته، فالقضايا التي تدور في البال كثيرة جداً، ولكن أشد ذلك إلحاحاً عليّ هو إصدار طريق العزة رقم ٤، وأما المؤلفات فلعلي أن أكتب كتاباً بعنوان (إتحاف البشر بذكر مناقب الملا محمد عمر)، وإخراج كتاب (وصايا

للمجاهدين)، هذا ما أفكر فيه في هذا الوقت، والله أعلم بما سيجد من قضايا نسأل الله التوفيق والإعانة.

التفريق بين الدولة السعودية الأولى والدولة السعودية الثالثة..

المحاور:

كثير من الناس يخلطون في حديثهم ما بين الدولة السعودية المعاصرة وما بين تلك الدولة السعودية الأولى، فتراهم يزكون الأخيرة بأفعال الأولى، أو يحملون الأولى أخطاء الأخيرة.. فهل من فوارق بين الدولتين؟ وهل يعد صوابا الجمع بين الدولتين في بوتقة واحدة؟

الشيخ:

هناك فروقات مهمة لكل متابع وقارئ للتاريخ، فالدولة الأولى تختلف تماماً عن الدولة الثالثة، إذ الأولى نشرت دعوة محمد بن عبد الوهاب وحاربت الشرك وأقامت شرع الله..

يقول محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في رسائله الشخصية (٢٥٢): (لست ولله الحمد أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضربنّ الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يقول إلا الحق...).

يقول الشيخ الأسير أبو محمد المقدسي فك الله أسره في كتاب الكواشف الجلية (١٠): (أكثر من كتبوا عن هذه الدولة الخبيثة (أي المعاصرة) التي أفسدت على الناس دينهم... اما شيعة رافضة، أو شيوعيون ملاحدة، حتى توهم كثير من السذج والبسطاء والمغفلين أنه لا يعاديها أو يتبرأ منها إلا أعداء الشريعة والدين، فأنا أبرأ إلى الله تعالى من هؤلاء وهؤلاء ومن

معتقداتهم الضالة الكافرة، وأصرح بعقيدتي عقيدة أهل السنة والجماعة ما كان عليه النبي ﷺ والسلف الصالح من صحابته وتابعيهم من خير القرون، أصرح بهذا لكي أسد الطريق على علماء السوء علماء آل سعود من قذفني بشيء من هذا أو غيره..

وأيضاً لكي لا يفرح بكتابي هذا أعداء الله وأعداء الدين من الروافض والشيوعيين أو تقر لهم به عين، فما لأجلهم كتبته ولا لسواد أعينهم ولا لحولها...

أولئك الذين لا يفرقون بين آل سعود اليوم فجّارهم وكفّارهم، وبين أولئك الأوائل منهم الذين نصروا دعوة التوحيد، ولا يفرقون بين علماء السوء اليوم وبين محمد بن عبد الوهاب وأولاده في الأزمنة الغابرة..

فليشرقوا وليغصوا بباطلهم، فلا نعمة لهم ولا كرامة وإن شاركونا العداوة والبغضاء لحكم آل سعود.. فلسنا من الغباوة ممن يضيع عمره في نصرة عدو على عدو، أو كافر على كافر، ولا ممن يكون أداة وبوقاً للطواغيت.

نسأل الله العافية والثبات وحسن الخاتمة، هو حسبنا، ونعم الوكيل).

ومن المهم التنبيه على أن الأحكام والقواعد الشرعية ثابتة، وإنما التغير في البشر، فمن أصبح من الناس مؤمناً مطبقاً لشرع الله عز وجل أتت الأحكام الشرعية الثابتة بنصرته وموالاته والذب عنه، فإذا أمسى ذلك الإنسان كافراً أتت الأحكام الشرعية الثابتة بالبرآة منه والعداء له، وغير ذلك من الأحكام.

إذاً أحكامنا الصادرة تجاه أي شخص تنبني على إيمانه أو كفره، إسلامه أو شركه.. فقريش فيها المسلم المناصر لدين الله، وفيها الكافر عدو الله ورسوله والمؤمنين، وكذلك آل سعود من الأولين والآخرين، وأي أسرة أو قبيلة أو مجتمع فيهم المؤمن الصادق وفيهم المنافق وفيهم الكافر، فربما نثني على شخص صباح هذا اليوم لما أظهره لنا من إيمان وإسلام ونلعنه في مساء نفس اليوم لما أظهره من كفر وشرك..

(وهذه البديهية التي نسيها الناس إما جهلاً أو بسبب التعصب والتباغض والأهواء اليوم مستفيضة أمثلتها على مر التاريخ، وفي التاريخ الإسلامي سيرة وسلفاً إلى يومنا هذا، وسيبقى هكذا سنة من سنن الله تعالى..

فسحرة فرعون جاؤوا رؤوساً للكفر يقولون لفرعون: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾، فكان لهم حكم شرعي هو البراء منهم ومنابذتهم مع فرعونهم.

وأمسوا بعد اللقاء بين فرعون ورسول الله موسى عليه السلام شهداء من أفضل شهداء الحق يقولون: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فصار حكمهم حكم كل مؤمن من الولاء، وحقوقه والصحابة قبل إسلام أحدهم كان له حكم من البراء، وبعد إسلامه حكم من الولاء، وبعض من أسلم ارتد فاستحق البراء والقتال، وبعضهم عاد فأسلم وحسن إسلامه فاستحق الولاء والنصرة وهكذا.

فهذا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كان باغياً على علي رضي الله عنه يجب قتاله مع الإمام الشرعي، فلما صالحه الحسن رضي الله عنه واجتمع عموم أهل الإسلام على معاوية عنه صار خليفة شرعياً يجب قتال الخارجين عليه من البغاة والخوارج، وهكذا..). انظر كتاب (أفغانستان والطالبان ومعركة الإسلام اليوم).

والسؤال: هل يجوز لأحد اليوم أن يثني على حكومة الملك حسين وابنه عبد الله في الأردن مثلاً بأفعال دولة الإسلام الأولى لأنهم على حد زعمهم من آل البيت؟؟!!

وهل يجوز لأحد أن يحمل جرائم وكفر دولة الأردن على زعمهم هم على دولة الإسلام الأولى؟؟!!

إن هذا المنهج منهج أعوج لا يستقيم، وأظن أن الفكرة وصلت إلى أذهان القراء.

أما الدولة السعودية المعاصرة فكل مطلع يعلم أنها (صيغت صياغة إنجليزية، وحُميت بحماية أمريكية، فأوفدوا واستقدموا ورحبوا واستقبلوا وهيؤوا ومكنوا لقوى الكفر كلها على أرض جزيرة الإسلام ليدنسوها بكفرهم وصلبانهم وعهرهم وسكرهم.

فالقواعد العسكرية الأمريكية الكبرى على أرض الجزيرة، وقد ازداد حجمها وحكمها وأمرها وسطوتها بعد أزمة الخليج واستقدام فهد بن سعود لأكثر من نصف مليون جندي أمريكي لحمايته وعائلته وقصوره وملكه وعرشه، وما زال آلاف الجنود الأمريكيين مرابطين مستقرين على أرض الجزيرة، وما قاعدة سلطان (العار) بالخرج إلا مثال واضح لذلك الاستيطان، ثم أصبحت هذه الجزيرة تستقدم العمالات الوافدة من مختلف الجنسيات والديانات من الهندوس والبوذيين وغيرهم، وأصبحت المجمعات السكنية الضخمة لهؤلاء الكفار وسط أحياء المدن الكبرى كالرياض و الدمام وجدة والطائف وأبها وغيرها، وأصبحت شطآنها الذهبية منتجعاً للعرايا من نساء أمريكا وأوربا وغيرهم بحماية من جنود ابن سعود، والويل كل الويل لمن يعرض لهم أو يضايقهم أو يفتي بعدم جواز دخولهم وتدنيسهم طهر الجزيرة.

وقد دأب عبد العزيز بن سعود من أول أيامه على استقدام أولياء نعمته من الإنجليز ثم الأمريكان، ويستقبلهم في قصره الخاص، وأباح لهم أرض الجزيرة يصورون ويتجولون، ثم سلمهم أعظم صفقة تجارية في التاريخ -كما سيأتي-، وللتدليل على صحة هذا انظر الكتاب الذي أصدرته بفخر واعتزاز الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة والذي عنوانه (المملكة العربية السعودية.. في عيون أوائل المصورين) الذي أعده وليام فيس وجيليان غرانت، ودبج بمقدمة لأمير الرياض سلمان في صفحة (١٢)، ما يلي: (بدأ أوائل الرحالة من الوصول إلى نجد في هذه الفترة، وهم تواقون لخلق اتصال مع الأمير عبد العزيز آل سعود في الرياض وكان من هؤلاء الدنماركي (باركلي رونكيار) في عام ١٣٣١ هـ، والبريطانيون جيرارد يشمان في نفس العام، ووليام شكسبير عام ١٣٣٣ هـ، وهاري سان جون فيلبي عام ١٣٣٦ هـ، وبصراحة يقول الكاتب في نفس الصفحة: (إنهم مدفوعون

بالتشجيع الرسمي لنشاطاتهم السياسية) يعني الجاسوسية على الدولة العثمانية في ضيافة الأمير عبد العزيز.

ثم أصبح قصر عبد العزيز بن سعود مركزاً لهؤلاء الجواسيس ومقراً لهم يستقبلهم ابن سعود للود القديم بينه وبينهم.

وفي صفحة (١٤) من الكتاب السابق: (ترسخت بحلول أوائل الخمسينيات من القرن الماضي "الثلاثينيات من القرن الميلادي" مكانة الرياض كعاصمة للمملكة العربية السعودية، وقد تعاقب على زيارتها العديد من الدبلوماسيين الذين كان الملك عبد العزيز آل سعود يستضيفهم في قصر الضيافة بالبديعة على الضفة الغربية لوادي حنيفة، وكان من بين أولئك جيرالد دي غاوري وهو المبعوث البريطاني الخاص لدى الرياض خلال الحرب العالمية الثانية وأندرو رايان...) ويذكر أسماء عدة.

وفي صفحة (١٥) من الكتاب: (قام المكتشفون الأمريكيون لحسن الحظ -لاحظ لحسن الحظ- بالتقاط صور ممتازة ليس للمنطقة الشرقية وحدها، وإنما للرياض وجدة والطائف ونجد والحجاز، وكان من بين أبرز مصوري أرامكو ماكس ستاينكي وفلويد أوليفار وجو ماونتين وأيلو باتيجل (والمشهور بلقب القرصان)) ثم ينشر الكتاب صورهم.

وللعلم فإن صورة هذا الأخير الملقب بالقرصان يظهر فيها شبه عاري وهو يلبس الصليب وعليه آثار الكهنوت النصراني الصليبي.

هذه هي البداية فما عسى أن يكون الحال الآن!

الحال الآن هو ما عبر عنه سفير السعودية في واشنطن بندر بن سلطان، حيث شبه جزيرة العرب المباركة بامرأة بغي عاهر، والأمريكان بالفحل النهم لمضاجعتها لكنها تمتنع من خلع ملابسها، فيأتي دوره هو كوسيط قواد بينها وبين من يزني بها!

في مجلة النيوزويك تاريخ ٩/ ١٩٩١/١٢ م مقال بعنوان أنبوب إلى الرياض الوسيط الأمير السعودي بندر يرسم دوراً ملكياً جديداً. يقول بندر صفحة ٢٤ من المجلة: (العرب يبدون مثل المرأة التي تنام معك في الفراش لكنها لا تريد أن تخلع ملابسها، شخص ما يجب أن يساعدهما ليفهما بعضهما بعضاً). انظر رسالة (الخصائص الشرعية للجزيرة العربية).

إذاً لا بد من التفريق بين دولة نصرت دين الله وأخرى ارتكبت النواقض تلو النواقض، وعلى كل مريد للحق أن يقرأ كتاب (الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية)، وكتاب (النظام السعودي في ميزان الإسلام)، الأول لأبي محمد المقدسي، والثاني للحركة الإسلامية للإصلاح، ففيها تفصيل وإسهاب في كفر هذه الدولة عجل الله برحيلها.. آمين.

الأحداث على الجبهة العراقية..

المحاوِر:

فيما يخص الأحداث على الجبهة العراقية.. كيف تقرأون الأحداث هناك؟ وما هي نصيحتكم للشباب المتحمس للجهاد في تلك الجبهة؟

الشيخ:

لا أظنه يخفى على كل متابع للعراق الورطة الكبرى والمستنقع الرهيب الذي تورطت فيه أمريكا، فهي حتى لو لم تأتها أي ضربة للمجاهدين -كما هو متوقع بإذن الله- فهي خاسرةٌ مهزومة بحول الله وقوته، فقتلاها بالعشرات، وأنابيب النفط لم تستطع حمايتها، وجنودها في وضع نفسي رهيب ومعنويات منهارة، بل بدأ بعضهم بالانتحار وبعضهم بدفع مبالغ للمهربين لتهريبه خارج العراق، حتى أن تومي فرانكس قال: "أنهم يواجهون ٢٥ عملية يومياً"، وهذا قبل شهر من الآن، وهذا كله من مكر الله عز وجل بهذه الدولة المستكبرة والتي ظنت وقالت من أشد منا قوة؟!!.

وما يسرنا ويفرحنا في الجبهة العراقية هو التواجد المكثف لطلائع الجهاد والمجاهدين، فقد جاء في مفكرة الإسلام: (قالت وكالة الأنباء الفرنسية: إن نشاط مجموعات وهابية سلفية مناهضة بشدة للولايات المتحدة تزايد في العراق في الفترة الأخيرة، مستفيدة من الخوف لدى السنة من المد الشيعي الذي ظهر بعد سقوط نظام صدام حسين).

وجاء فيها أيضاً: (حذر الحاكم المدني الأمريكي في العراق بول بريمر يوم السبت مما أسماه التهديد الذي يشكله تنظيم القاعدة وتنظيمات أخرى على القوات الأمريكية في العراق).

فمن نعم الله عز وجل أن طلائع الجهاد في كل مكان هي حديث الناس في القنوات الفضائية والجرائد والمجلات، وهذا يدل على مدى التأثير الذي تُحدثه هذه الطلائع في صفوف أعداء الله من نكاية وتدمير، فلا يكاد تمر ساعة إلا وخبر عملية يأتي إما من أرض الرافدين (العراق) أو من أرض خراسان (أفغانستان) أو القوقاز (الشيشان) أو الجزائر أو كشمير أو غيرها من الأراضي الملتهبة تحت أقدام الطواغيت، فالحمد لله على نعمائه.

وأما الدور المنوط بشباب الإسلام في العراق فهو الإثخان في أعداء الله الأمريكان والتحالف وكذلك المرتدين الذين يتعاونون مع الأمريكان، وإيصال صوتهم وأخبارهم إلى وسائل الإعلام، وليحرصوا على الترتيب والتنظيم والسرية، كما أوصيهم بالثبات، وذكر الله كثيراً، وطاعة الله والرسول في كل صغيرة وكبيرة، وعدم التنازع والخلاف فيصابوا بالفشل وذهاب الريح، وأوصيهم بالصبر..

أسأل الله أن يفرغ عليهم صبراً ويثبت أقدامهم وأن ينصرهم على القوم الكافرين آمين.

وأما من يريد الذهاب إلى العراق من شباب الإسلام، فلا أجد وصية له أفضل مما نُشر في سلسة الحرب الصليبية على العراق حين طُرح السؤال العشرون:

(وهل يمكن الوصول إلى العراق؟).

(الجواب: نعم يمكن الوصول إلى أي مكان في العراق لمن عزم على الوصول، ولا يوجد مستحيل، العراق لها حدود طويلة مع جيرانها تعادل ٣٧٠٠ كلم تقريباً، تحدها تركيا وسوريا والأردن والسعودية والكويت وإيران، لا نتصور أبداً أن يتعذر الدخول عن طريق كل هذه الدول إلى العراق، وهناك طرق مسلوكة حتى الآن للدخول إلى العراق لا نرى أبداً أن تذكر حفاظاً عليها، ولا يمكن للصليبيين وأعوانهم مهما فعلوا أن يغلقوا كل المنافذ، فأثناء تكالب مائة دولة على أفغانستان لم يتمكنوا من إغلاق حدودها حتى الآن، ولن يستطيعوا بإذن الله تعالى أن يفعلوا ذلك، لا في أفغانستان ولا في العراق أيضاً.

علماً أن الغزاة إذا سيطروا على بغداد وبدأت عملية تنصيب حكومة عسكرية صليبية، أو حكومة عراقية عميلة، فإن هذا الإجراء سيفتح الحدود العراقية من جميع الدول المجاورة، وستشهد العراق تدفقاً بشرياً هائلاً من جميع المنظمات والجهات الحكومية والتجارية الرسمية وغير الرسمية، وهذا الأمر سيتيح الدخول لكل من أراد بكل سهولة.

ونحن نقول باختصار هنا أن الدخول إلى العراق يحتاج إلى التنبيه على أمور هي:

أولاً: وجود مندوب في الطرف العراقي يستقبل من أراد العبور، ومن ثم يوجهه إلى الأماكن الآمنة التي سبق إعدادها، وهذا المطلب يعد أهم المطالب، ويلزم منه الاستطلاع الجيد داخل العراق للوصول إلى أفضل الأماكن أمناً ليتم نقل من دخل إليه، ثم توجيهه بعد ذلك حسب اعتبارات عسكرية.

ثانياً: ترتيب أمر المعبر الحدودي، فإذا كان المعبر رسمياً أو غير رسمي -أي تهريب-، لا بد من التأكد منه، وذلك بمعرفة عدم ممانعة الدولة التي سيعبر منها إلى العراق، ولا نعني بأن من أراد أن يعبر لابد بأن يأخذ الإذن الرسمي من تلك الدولة، ولكن لا بد من التأكد أن الدولة تقبل أن يدخل شخص بهذه الصفة وهذه الجنسية إلى العراق إن كان العبور رسمياً، أما إذا كان غير رسمي فلا أهم من التحرك عن طريق التهريب الأقل خطراً، ولا يمكن معرفة الطريق الأقل خطراً إلا بالاستطلاع والدراسة، وعلى كل حدود يوجد من المهربين لا يحصيهم

إلا الله تعالى، فالاستفادة منهم أمر مطلوب ولو لأول مرة، بعد الاستطلاع الجيد للمعبر يتم من خلاله تحديد النوعية المناسبة من الشباب الذين يناسبون للعبور، فمثلاً الجنسية أو اللياقة البدنية أو حتى اللون والهيئة، فلابد من وجود النوعية التي تناسب المعبر، وعلى كل من أراد أن يعبر أن يعد نفسه لجميع الافتراضات التي تواجهه في الطريق، وغالباً لا يكون هذا الإعداد إلا عن طريق مسؤول التهريب.

ثالثاً: الحفاظ على سرية المعبر والعاملين عليه، ولا يمكن أن يتم الحفاظ عليه حتى يمنع عبور الشباب الذين لم يتم التأكد منهم أمنياً، لأن أجهزة المخابرات في كل دولة تسعى جاهدة لاختراق الشباب ومعرفة طرق التهريب لتتمكن من الإيقاع بالشباب، لذلك لا يرسل عبر المعبر إلا من تم التأكد منه بشكل كامل بأنه مأمون من الناحية الأمنية، وكل من وصل إلى المعابر دون تزكية مؤكدة فلا يناسب إدخاله مهما كان حاله حفاظاً على غيره من الشباب.

إضافة إلى ذلك حتى الشباب الذين يريدون العبور لا بد أن يكون حرص القائمين على التهريب بالغاً في إخفاء اسم مكان التهريب أو موقعه أو أي معلومات عنه، كما يجب على الشباب عدم الحرص على معرفة مثل هذه المعلومات التي تضر ولا تنفع، فلو قبض على أحد فإنه ربما لا يصبر على عدم الاعتراف من أين وكيف دخل ومن ساعده على ذلك، لذلك لا بد من الحرص على إخفاء موقع المكان أو اسمه لكل من أراد أن يدخل منه إلى العراق.

كما يجب على العاملين على التهريب تغيير أسلوب التهريب وطرقه بين الفترة والأخرى حتى ولو لم يشعروا بخطر أمني، حيث إنه بالإمكان تغيير الأسلوب الأول إلى أسلوب آخر ثم العودة إليه بعد فترة.

هذه في ظننا بعض الأمور التي يجب مراعاتها للوصول إلى العراق).

حول أسلمة عدو الله صدام حسين وحزبه..

المحاوِر:

في الآونة الأخيرة كثر الحديث عن أسلمة حزب البعث وعدو الله صدام حسين.. وما ذلك -غالباً- إلا حماسة لأي جهة تعادي أمريكا -دمرها الله-، فما هي نصيحتكم في ذلك؟ وما هو الميزان الصحيح الذي توزن به هذه القضايا؟

الشيخ:

قد يؤيد الله عز وجل في مرحلة من المراحل هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم، ولكن هذا لا يجعلنا أن نصفه بغير الفاجر وبأنه لا خلاق له، وهذا ما ذكره النبي ﷺ كما جاء في الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

فنحن نفرح أن يكثر أعداء أمريكا، ولكن لا نتنازل عن المبدأ الصحيح في وصف هؤلاء بالكفر أو الفسوق أو الفجور كل بحسبه، فكوريا الآن تعادي أمريكا وهذا يُفرحنا ولكن لا يجعلنا نوالي الكوريين الكفار وننناصرهم، ونحن أيضاً لا تتغير أحكامنا بحسب المصالح كما يفعل البعض حين كان صدام يقاتل إيران وصفوه بصلاح الدين وحامي حمى الإسلام وبوابة الشرق إلخ، وتغاضوا عن جرائمه وبعثيته وكفره، فلما جاءت أحداث حرب الخليج الثانية بدؤوا يذكرون ما سكتوا عنه بالأمس، فكفروه وذكروا أن حزب البعث حزبٌ كافر وأن صدام كافر إلخ.. نحن لسنا من هؤلاء، بل مواقفنا في تقويم الأشخاص والجماعات والدول هو كتاب الله وسنة محمد ﷺ بفهم سلف الأمة، وعلماؤنا الصادقون بينوا حكم صدام وحكم حزب البعث من أيام قتاله مع الرافضة، وبعد أحدث الخليج الثانية، وأيضاً في حرب الخليج الثالثة.

ولعل من المفيد للأمة أن نذكر بعض أقوال هؤلاء العلماء الأجلاء وهم ما بين طريد وأسير وقتيل -نسأل الله أن يرحم ميتهم ويفك أسيرهم ويؤوي طريدهم-:

أولاً: يقول الشيخ عبد الله عزام رحمه الله في كتاب القومية (١٤): (اعتناق مبادئ القومية العربية وغير العربية كالكردية والإيرانية كفر ينقل عن الملة ويخرج من الإسلام، فمن اعتنق مبادئ القومية فإنه يخرج من الإسلام، فلا تؤكل ذبيحته، ولا تنكح البنت القومية، ولا يزوج القومي من بنات المسلمين، ولا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه، ولا يقبر في مقابر المسلمين، ولا يرد عليه السلام، ولا يترحم عليه إذا مات -فلا نقول يرحمه الله-، ولا يرث الشاب القومي من أبيه المسلم، ولا يرثه أبناؤه إن كانوا مسلمين ويخالفونه في مذهبه القومي، وإذا اعتنق الشاب القومية وهو متزوج مسلمة فتطلق منه وتحرم عليه وإذا بقيت على صلة به، فالصلة الجنسية بينهما زنا، وأولادهما أولاد زنا، وعورة المرأة المسلمة أمام الفتاة القومية كعورتها أمام الرجل فلا يحل لها كشف رأسها أمام الفتاة القومية، والمرأة إذا اعتنقت القومية وهي متزوجة مسلماً ينفسخ العقد حالاً.

أ. سيقول أناسٌ: إن بعضهم يصلي ويصوم أحياناً..

فنقول: إن الصلاة والصيام لا يقبلان مع فساد العقيدة والشرك، فلقد كان الجاهليون يصلون ويحجون ويدعون ولكن الله رد أعمالهم كلها لأنها ليست مبنية على إيمان بالله وبرسوله وبدينه، ولأن الأفعال الصالحة لا تقبل من الكفار.

ب وسيقول آخرون: إن كثيراً من الحزبيين منتفعون من أجل المناصب والأموال يقبلون على الحزب..

فنرد عليهم: نحن لا نعلم الغيب، ونجري أحكامنا على الظاهر، ونحاسبهم على ما يخرج من أفواههم، وندع قلوبهم إلى الله عز وجل.

فالقاعدة العامة أن القومي كافر، والاستثناء إنما هو استثناء من عموم القاعدة، فلا يثبت إلا بدليل قوي يرجح على الأصل، أي أننا إذا تأكدنا من شاب أنه يكره القومية ويحب انتهاءها ويقاوم في الواقع انتشارها فإننا نحكم له بالإسلام.

ولا بد من معرفة أن هؤلاء المنتفعين هم أنصار الكفر، بهم ينتشر وعلى أكتافهم يقوم.

ت. وسيقول فريق ثالث: إن معظم الأفراد جهلة بالحكم الشرعي..

فنرد عليهم: الجاهل يعلم ويبين له الحكم، فإن أصر فإنه يحكم عليه بالكفر.

فإذا كتب بعض العلماء الذين يوثق بدينهم مقالات أو كتباً في تكفير القوميين، فإن هذا يكفي في التبليغ ولم يبق الجهل عذراً بعد البيان).

وقال في ظلال سورة التوبة (٥٩): (أنا لا أحب طبعاً أن ينتصر الخميني على صدام مع أنني أعتقد أن صدام كافر خارج من الملة.. على كل حال صدام خارج من الإسلام من زمان، لأنه بعثي ومن دعاة الحزب البعثي، واتخذ النصراني الكافر إماماً له (ميشيل عفلق)، ولا يقول عنه إلا الأستاذ المعلم والأب القائد، ويقول: "إني أجلس بين يدي الأستاذ القائد ساعة أو ساعات فأستلهم روحاً لستة أشهر قادمة"، فهذا كفر يخرج من الملة.

ثم أي بعثي يدعو إلى البعثية ويحاول نشرها ويظن أو يعتقد أن حزب البعث بديل عن الإسلام وأن القومية العربية هي محور التجمع للعرب وأحسن من الإسلام؛ فهذا خارج من الملة، وطبعاً حزب البعث يرى أن العروبة وكما قالوا من خلال إذاعة دمشق:

آمنت بالبعث رباً لا شريك له وبالعروبة ديناً ما له ثاني

وكما هم يقولون: العروبة عندنا دين، نحن القوميون العرب!

القوميون العرب مثل البعثيين.. دين، لكل عصر نبوته -كما يقول محمود تيمور-، ونبوة هذا العصر هي القومية العربية، ويجب على العربي أن يؤمن بالعروبة إيمان المسلم بالقرآن.

فهؤلاء كفار..

فهو جمع حوله مجموعة من البعثيين المنتفعين وصاروا يطبلون ويزمرون له، فرفع هذا وسلم هذا وزارة وسلم هذا.. سماه شاعر الحزب، وسمى هذا بطلاً، وهذا سلموه إدارة الجامعة إلى آخره..

حتى قال شفيق الكمالي شاعر حزب البعث ينشد لصدام حسين هذا البيت:

تبارك وجهك القدسي فينا كوجه الله ينضح بالجلال

فهؤلاء تعدونهم مسلمين؟! وتعد الشيعة كفاراً؟

لا، هؤلاء كفار قبل الشيعة، فالذي يريد أن يتكلم عن الشيعة يجب أن يتكلم عن حزب البعث، مفهوم..؟

كلهم سواء، لكن خطر الشيعة فعلاً على العالم العربي أكثر من حزب البعث، وأخطر من صدام، لأن صدام غداً يموت وحزب البعث يندثر كله، مثل البثرة في جلد الأمة الإسلامية سرعان ما يلفظها الجلد ويعافى منها، أما الشيعة عقيدة، تريد أن تنشر عقيدتها بالدم والضحايا، فإذا أضفت إلى هذا أن حافظ أسد كافر بإجماع الأمة خارج من الإسلام لأنه من النصيرية، وأن النصيرين يمسكون بسوريا، وأضف إلى هذا أن (أمل) الآن تمسك لبنان، الشيعة، وأضف إلى هذا في تركيا أكثر من ثلاثة ملايين نصيري في جنوب تركيا، شمال سوريا، وأضف إلى هذا حوالي ثلاثة عشر مليون شيعي في باكستان يتسلمون مناصب هامة، فهم يريدون أن تتم الحلقة التي تأخذ بخناق العالم الإسلامي بأهل السنة، فإذا سقط صدام ولا نحب أن يسقط مع اعتقادنا الجازم بكفره.. لا نحب أن يسقط، إذا سقطت العراق خلاص ذهبت الجزيرة وذهبت الأردن، لأنها ماذا تحتمل؟! وسورية الشيعة، ولبنان شيعة، يصبح الهلال الخصيب كله بالإضافة إلى الجزيرة العربية، أضف إلى هذا الشيعة الذين في شرق الجزيرة العربية متحفزون ومتعاطفون مع الشيعة في إيران).

ثانياً: ويقول الإمام أسامة بن لادن نصره الله في رسالته إلى أهل العراق في الحرب الأخيرة: (ولا يضر في مثل هذه الظروف أن تتقاطع مصالح المسلمين مع مصالح الاشتراكيين في القتال ضد الصليبيين مع اعتقادنا وتصريحنا بكفر الاشتراكيين، فالاشتراكيون وهؤلاء الحكام قد سقطت ولايتهم منذ زمن بعيد، والاشتراكيون كفار حيثما كانوا، سواء كانوا في بغداد أو عدن، وهذا القتال الذي يدور أو الذي يكاد أن يدور في هذه الأيام يشبه إلى حد بعيد قتال المسلمين من قبل.

وتقاطع المصالح لا يضر، فقتال المسلمين ضد الروم كان يتقاطع مع مصالح الفرس ولم يضر الصحابة رضي الله عنهم ذلك في شيء).

ويقول في شريط المدمرة أثناء حديثه عن حصار العراق: (فلأن كان زعيمهم قد كفر بالله ورسوله واتخذ البعث له إلهاً من دون الله).

ثالثاً: يقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني فك الله أسره في كتاب الجهاد والاجتهاد تأملات في المنهج (٥٥): (ثم كيف يريدون منا أن نقبل ما يفعله سلفيو (آخر زمن) من موالاتهم لصدام البعثي الكافر ضد الشيعة الروافض، يرفعون صدام وحزبه إلى مقام صلاح الدين، وحربه إلى قادسية سعد بن أبي وقاص، ثم بسبب غزوه للكويت يعود صدام إلى حظيرة بعثيته وكفره).

ويقول في كتاب الجرح والتعديل: (صدام حسين التكريتي البعثي الكافر اللعين.. صدام حسين، هذا الرئيس الذي تزيد أفعاله ضد المسلمين أفعال الصليبيين في بلاد الإسلام).

ويقول في مقالاته المقال رقم (٩٧): (عدو الله ميشيل عفلق من أكابر المجرمين وهو أحد مؤسسي حزب البعث المرتد، وقد زعم النظام البعثي في بغداد أنه أسلم آخر عمره وسمى نفسه بأبي محمد، وللأسف صدقه بعض المغفلين وطبلوا لهذا وزمروا).

رابعاً: يقول الشيخ أبو محمد المقدسي فك الله أسره في مقاله (لم نُصدم بصدام): (لم نصدم بصدام لأننا لم نكن نعقد عليه وعلى جيشه الآمال كما كان حال غيرنا.. فقد كنا نعرف ونعلن أن المعركة التي خاضها جيشه ومنذ اللحظة الأولى ليست بمعركتنا، ومن ثم فهزيمته ليست هزيمتنا، ولم يكن شيء من معارك الطواغيت وجيوشهم -ولن يكون في يوم من الأيام- معركة لنا، حتى وإن كانت في وجه أعدائنا اليهود أو الصليبيين أو غيرهم، وعليه فهزائمهم لا تعنينا وليست هزائم لنا..

فالبراءة من هؤلاء الطواغيت وأنصارهم وجيوشهم وأعمالهم من لوازم وأركان التوحيد عندنا، ونحن نفقه ما جاء في كتاب ربنا ونقول كما علمنا: ﴿أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

لم نصدم بهزيمة جيش صدام، لأن نظام البعث نظام طاغوتي كافر نعرف حكمه وحاله من قبل، ولم تتغير نظرتنا إليه في يوم من الأيام أو في حرب من الحروب التي خاضها تبعاً لاستصلاحات كان يغير كثير من الناس نهجهم وعقيدتهم لأجلها.. نظام صدام نظام مجرم طاغوتي وجيشه جيش كافر، وقد كان هذا النظام كافراً عندنا قبل أن يبيد إخواننا المسلمين الأكراد في حلبجة وغيرها بالكيماوي، وكان كذلك عندنا يوم كان يقاتل رافضة إيران وقبل ذلك وبعده، ولم نشاهد وجه طاغوته على صفحة القمر ليلة البدر كما شاهده غيرنا في أحلام اليقظة، ولم نكن بحمد الله ممن طبل له وزمر يوم كان يقاتل الرافضة لأننا كنا نعلم أنه ما كان يقاتلهم لسواد عيون السنة بل ليحفظ عرشه وطغيانه..

لم نصدم بكفر صدام وجرائمه وباطله الذي لم يكتشفه بعض الناس إلا بعد تسلطه عليهم واحتلاله لبلادهم ولم يكتشفه آخرون إلا بعد سقوط نظام حكمه؛ فهذا ليس بجديد بل هو بيّن معروف لكل صاحب بصيرة استبان سبيل المجرمين، وإنما صدم به من كان ينهى عن تعلم أحكام التكفير أو الخوض بها ويقولون: ماذا تستفيدون من تكفير الحكام؟؟ ونحو ذلك من سقيم الأقوال والأفهام..

ولذلك لم نطبل من قبل لصدام أو نزمر كما طبل ورقص وزمر غيرنا ممن يبنون مواقفهم ومناهجهم على اليافطات المزخرفة والعناوين البراقة التي يرفعها الطواغيت في مناسبات شتى ليموهوا بها على الطغام؛ فيغتر بها السفهاء، بل يغتر بها ويا للأسى كثير من المنتسبين للدعوة والعلم؛ أليس قد زعم بعضهم آنذاك أن في رقبة كل مسلم دين للعراق الأبي وقيادته الفذة!!

أو ليس قد سئل رأس من رؤوس العلم عن كفر صدام فقال: "لا نقدر على تكفيره؛ أليس يسمي شوارعه ومدارسه ومعاركه بالأسماء الإسلامية ولم يعلن برائته من دين الإسلام في يوم من الأيام"!

ومن كفّره من رؤوس الدعوة والإفتاء ممن يشار إليهم بالبنان لم نسمع بتكفيرهم له إلا بعد اجتياحه للكويت وتهديده للنظام السعودي، أما قبل ذلك فأمثلهم طريقة من كان يراه وغيره من طواغيت الكفر يطوف ببيت الله الحرام، فيزعم الإنكار بقلبه ولا ينبس ببنت شفة ما دام ولاة الأمر والخمر راضين.. فيا حسرة على علم يُباع ويشترى..

لم نصدم بهزيمة صدام وجيشه ولم نحزن لذلك، لأن نظام البعث نظام كافر ذاق منه المسلمون الويلات، وأعرف الناس به إخواننا مسلمي العراق العرب منهم والأكراد، وحقد هذا النظام وجلاوزته على الإسلام وعداوتهم للمسلمين الدعاة والمجاهدين أمر لا يجادل فيه إلا جاهل أو معاند؛ وأمريكا كذلك نظام صليبي حاقد على الإسلام والمسلمين والمجاهدين في كل مكان، وما دامت المعادلة هكذا؛ كافر في مواجهة كافر فالنتيجة أن المنتصر هو الأكثر أخذاً بالأسباب المادية، فهي معادلة محسومة ولا دخل للموحد فيها من قريب أو بعيد ما دام ليس من الطائفتين. ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾).

خامساً: يقول الشيخ علي الخضير فك الله أسره في فتواه قبل حرب العراق الأخيرة والتي هي بعنوان (حكم قتال المسلم للصليبين تحت راية الطاغوت صدام): (حاكم كافر مرتد صائل على الدين والشريعة وعلى المسلمين في تلك البلاد، وهو صائل عليهم قبل الهجوم وبعده أيضاً، وملتزم بمحاربة الإسلام دائماً...

ومن قاتل تحت راية عُمّية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل؛ فقتلته جاهلية..

ثم قال: وراية صدام أغلظ، فليست راية عُمّية جاهلية فقط، بل راية كفرية ملحدة صائلة على الدين).

سادساً: وقال الشيخ ناصر الفهد فك الله أسره في كتاب (التبيان في كفر من أعان الأمريكان) الجزء الثاني: (إن حزب البعث وعقائده وتاريخه وجرائمه وخبثه وعداءه للإسلام والمسلمين أمره مشهور، وقد ألفت فيه مجموعة من الكتب، وصدرت في حقه عدد من الفتاوى تبين كفره وخروجه عن الإسلام، ولا أريد هنا أن أكرر ما كتب عن هذا الحزب، ولكني أريد التذكير بحقيقته حتى لا يغتر المسلمون ببعض المظاهر التي يظهرها طواغيت هذا الحزب إذا ادلهمت بهم الخطوب، وضاقت عليهم الأرض، وأرادوا كسب تعاطف الناس: من التشدق بالإسلام، وتسمية قتالهم جهاداً، وموتاهم شهداء، وكتابة "الله أكبر" على راياتهم!، وتصوير طواغيتهم وهم يصلون، وغير ذلك -ومن هذا ما ذكره بعض الإخوة عن طواغيت البعث أنهم الآن يأمرون بإغلاق المحلات وقت الصلاة، ولم يكن هذا من قبل!، وسمحوا لدراويش الصوفية بإحياء الليالي، ونحو هذا لخداع السذج-، مما يروج على السذج، وهم كثيرون للأسف).

وقال: (ودستور حزب البعث -بشقيه السوري والعراقي- قائم على الكفر الظاهر كغيره من الدساتير الوضعية، إلا أنه يزيد عليها بأنه لم ترد فيه كلمة الدين، ولا الإيمان بالله مطلقاً).

وقال: (حكومة مجرمة خبيثة كافرة، وتاريخها مليء بالكفر والدم والمجازر ضد المسلمين، ولو كانت لهم من القوة ما لأمريكا لعملوا من المآسي ما لم يعرفه التاريخ، وقد فعلوا بالمسلمين الأكراد الأفاعيل...).

وقال: (عند المقارنة بين حكومة البعث وحكومة أمريكا -على الجميع لعنة الله- يظهر أن كل واحدة منهما أخبث من الأخرى.. فحكومة البعث أخبث من ناحية موقفها من الشعب المسلم في العراق وقهره وإذلاله وحكمه بالحديد والنار وفرض الأفكار البعثية عليهم مما لا يعاني منه المسلمون في أمريكا!).

نكتفي بهذه الأقوال والتي تبين موقف المسلم العاقل النبيه من هذا الطاغوت.

وقد صرح -كما نقلت- مفكرة الإسلام بالآتي: (ودعا الشعب العراقي إلى احترام القانون الدولي والأديان السماوية في شأن من يسلم إليهم نفسه من جنود الاحتلال، كما دعا الشعب العراقي إلى احترام القانون الدولي في ما يخص مقتنيات الدولة).

فهل من يدعو إلى احترام القوانين الوضعية الكافرة يسمى مسلماً في دين الله.. ما لكم كيف تحكمون؟؟!!.

تقييم للحركات المجاهدة في فلسطين، وكلام حول الهدنة..

المحاوِر:

كيف تقيمون مسيرة الحركات الجهادية الإسلامية في فلسطين؟

الشيخ:

حاولت أن أجيب على هذا السؤال بأسلوب دبلوماسي ولكن لم أستطع ذلك، إذ لابد من البيان والتوضيح وعدم التهرب من الحقيقة وقول الحق..

أولاً:

الحركات المقاتلة في العالم الإسلامي ليست كلها على منهج واحد، فمنها ما هو على منهج السلف الصالح ومنها القومي ومنها الإخواني ومنها الوصولي النفعي... إلخ، وفي أرض الإسراء نجد كل هذه المناهج، ولكن المهم في سؤالنا الحركات المحسوبة على الإسلام..

(تنبيه مهم: وهو أن الطوائف المقاتلة لا تعامَل معامَلة أفرادها العوام أو حسني النية أو بعض الصادقين في هذه الطائفة، بل تعامل معاملة الراية والقيادة).

ونحن نريد أن نسأل أسئلة كبيرة في مسائل شرعية كبرى تحتاج إلى نقاش مع هذه الحركات، إذ من المعلوم في شرع الله عز وجل أن للكافر المرتد أحكام تخصه وللكافر الأصلي أحكام تخصه، وهي واضحة بينة في كتاب الله عز وجل وفي سنة النبي ﷺ، وللفقهاء كلام طويل ومستفيض في هذه المسائل.

فالجهاد الذي على منهج السلف ليس فيه تحالفات شركية أو كفرية، وليس فيه حوار مع الكافر المرتد، ولا هدنة مع المرتد، ولا أمان للمرتد، ولا عقود مع المرتد، وهذه أحكام شرعية مستقرة قررها فقهاء المسلمين، إذ يقول النبي ﷺ: ((من بدّل دينه فاقتلوه))، فمن ارتد بعد إسلامه ليس له إلا العودة إلى الإسلام أو القتل.

قال ابن تيمية رحمه الله: (وقد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعددة، منها: أن المرتد يقتل بكل حال، ولا يضرب عليه جزية، ولا تعقد له ذمة، بخلاف الكافر الأصلي، ومنها أن المرتد يقتل وإن كان عاجزاً عن القتال، بخلاف الكافر الأصلي). مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٣٤).

وقال أيضاً: (وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٧).

فلماذا لا توضح الحركات في فلسطين أعني (حماس، الجهاد) موقفها من ياسر عرفات وسلطته؟ لماذا ينادونه في كل محفل ولقاء وعبر القنوات الفضائية (بالأخ ياسر عرفات)؟ وهل المرتد أخ لهم؟

وماذا عن موقفهم من أبي مازن محمود عباس، سمعنا قادة هذه الحركات السياسيين ينادونه (بالأخ) مع علم الجميع بأن أبا مازن بهائيٌ؟

لماذا كل هذه اللقاءات مع المخابرات المصرية والحوارات مع الطواغيت؟

لماذا تأخر النصر عندهم مقارنةً بميادين أخرى للقتال؟

هذه أسئلة لا بد لهذه الحركات أن تبين موقفها منها وفق كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ بفهم سلف الأمة.

فالجماعات المجاهدة على منهج سلف الأمة تصف عدوها وصفاً واضحاً صريحاً بأن سلطة عرفات طائفة كفر وردة اجتمعت بقوة وشوكة على أمر مكفّر أجمع علماء المسلمين بل أمة الإسلام على أنه ناقض من نواقض الإسلام.

ونريد جواباً واضحاً صريحاً لا لبس فيه حول قول الشيخ أحمد ياسين حين وُجهت له هذه الأسئلة أحمد ياسين في كتاب (الظاهرة المعجزة وأسطورة التحدي)، ط دار الفرقان، (١١٦ و١١٨):

(سؤال: ولكن الشعب الفلسطيني يريد دولة ديمقراطية.. وأنت لماذا تعانده؟

جواب: وأنا أيضاً أريد دولة ديمقراطية متعددة الأحزاب، والسلطة فيها لمن يفوز في الانتخابات!

سؤال: لو فاز الحزب الشيوعي، فماذا سيكون موقفك؟

جواب: حتى ولو فاز الحزب الشيوعي فسأحترم رغبة الشعب الفلسطيني!!

سؤال: إذا ما تبين من الانتخابات أن الشعب الفلسطيني يريد دولة ديمقراطية متعددة الأحزاب، فماذا سيكون موقفك حينئذ؟

جواب: رد الشيخ ياسين غاضباً: والله نحن شعب له كرامته وله حقوق، إذا ما أعرب الشعب الفلسطيني عن رفضه للدولة الإسلامية.. فأنا أحترم وأقدس رغبته وإرادته!!).

وحين حُوصر ياسر عرفات أصدرت كتائب القسام بياناً بتاريخ ١٥/ ١/٢٠٠٢، تناقلته وسائل الإعلام، جاء فيه قولهم: (إذا لم يرفع العدو الصهيوني الحصار والقيود المفروضة على الرئيس ياسر عرفات، وبقرار مسموع وواضح؛ فسترد كتائبنا على هذه القيود في العمق الصهيوني رداً يعرفه القاصي والداني، وبعدة عمليات تزعزع كيانه، وتجعل حياته جحيماً لا يُطاق) أ. هـ.

فلماذا الاستماتة في الدفاع عن ياسر عرفات وهو أشد عداءً وكفراً من اليهود، بل هو أداة بيد اليهود لحصار الشعب الفلسطيني ولمطاردة المجاهدين الصادقين، بل مطاردة حتى أعضاء هذه الحركات، وما فضيحة جبريل رجوب عنا ببعيد.

وقد قالت حماس في البيان السابق واصفة السلطة الفلسطينية بالآتي: (في الوقت الذي يطالب فيه السيد الرئيس ياسر عرفات من كافة القوى المجاهدة والمقاومة للاحتلال بوقف إطلاق النار.. وفي الوقت الذي تطارد فيه أجهزة السلطة الفلسطينية المجاهدين والمقاومين، وتغلق المؤسسات بلا مبرر قانوني أو قرار قضائي، وتقوم بخطف بعض المجاهدين، وتداهم بيوتهم، وتروع أسرهم، وتصادر ما شاءت.. نطالب السلطة الفلسطينية بوقف كافة الإجراءات والملاحقات للمجاهدين والمقاومين ممن يطلب العدو الصهيوني ملاحقتهم.)أ.هـ.

فالجهاد في سبيل الله ونكرر في سبيل الله دون (ذوداً) عن الوطن والأرض جهاد مشروع ومأذون به، أي إذا فُعل ذلك استجابة وامتثالاً لأمر الله ورسوله ﷺ، والجهاد في سبيل الله

دون العِرض والمال جهاد مشروع ومأذون به، والجهاد في سبيل الله دون النفس والمظلمة جهاد مشروع ومأذون به.

لكن ماذا يسمى الدفاع عن الكافر المرتد عدو الإسلام والمسلمين ياسر عرفات؟.

ألم يقل الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ أليس عرفات طاغوت؟ فماذا يسمى القتال في سبيله؟.

أنا أعلم أنه سيغضب البعض من هذا الكلام!! ولكني أقول إن رضي البعض بإقفال عقله فنحن لسنا كذلك، لأن هذه الأسئلة كلها أسئلة شرعية واضحة ليست بخافية على أحد، تحتاج البيان من هذه الحركات.

والسبب والله أعلم هو النهج الإخواني الذي يعاني من أزمة عقدية خطيرة، والتي نبهنا عليها في كذا موضع، وهي أزمة التفريق بين العدو الخارجي والداخلي، فالخارجي نتحالف كلنا كما يقولون لقتاله، بينما الداخلي فلا وألف لا!

يقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني فك الله أسره في المقالات المقال رقم (٥٥): (وها هنا لا بد من وقفة، وهو أن كلمة الجهاد التي ترفعها جماعة الإخوان المسلمين هي على معنى واحد، ومفهوم قاصر، وهو جهاد الأجنبي: أي أن يجاهد المصريون الإنجليز، ويجاهد الفلسطينيون اليهود، ويجاهد الأفغان الروس، أما جهاد الكافر العربي أو المرتد العربي فهذا لا يدور بخلدهم، فهو ليس له وجود في أذهانهم بسبب عدم وجود المقدمات الشرعية لهذا النوع من القتال وهو فهم التوحيد على أساس فهم الصحابة رضي الله عنهم).

نعم هذه الحركات قد لا تستطيع القتال على جبهتين مع المرتد إن سموه مرتداً أو الطابور الخامس كما يحلو لهم أن يسموه ومع الكافر الأصلي (اليهود)، وترى من باب السياسة الشرعية عدم القتال مع المرتد (الطابور الخامس)!! نقول لها ذلك ولكن ليس لها ولا يجوز

ولا يصح بحال من الأحوال أن تصبغ الشرعية على ياسر عرفات وسلطته وتدافع عنه وتتحاور معه.. فهذه مسألة واضحة وهي مهمة جداً.

والكلام يطول في الحديث عن هذه الحركات.. أكتفي بهذا القدر هنا، داعياً القائمين عليها إلى إجراء مراجعات شاملة وإصلاح ما مضى من أخطاء جسيمة، فإن قتالنا هو في سبيل الله، في سبيل الله وحده.. ولا يكتفى هنا بالحماسة والعاطفة، بل لا بد من أن تنضبط الأمور بميزان الشرع.

ثانيًا:

نأتي إلى السؤال عن الهدنة، فهذا يحتاج إلى بحث مستقل تُعرض فيه الأدلة كاملة ويُجمع فيه كلام الفقهاء مع النظر للواقع في فبلاد الشام ولكن نشير إلى بعض الأمور:

أولاً: تعريف الهدنة: الهدنة في اللغة: السكونُ بعد الهَيْجِ، وهَدَنَ يَهْدِنُ هُدُوناً: سَكَنَ.

وفي الاصطلاح يقول ابن قدامة رحمه الله (٩/ ٢٣٨): (أن يعقد لأهل الحرب عقداً على ترك القتال مدة، بعوض وبغير عوض. وتسمى مهادنة وموادعة ومعاهدة، وذلك جائز، بدليل قول الله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾.

وروى مروان، ومسور بن مخرمة: "أن النبي ﷺ صالح سهيل بن عمرو بالحديبية، على وضع القتال عشر سنين"، ولأنه قد يكون بالمسلمين ضعف، فيهادنهم حتى يقوى المسلمون.

ولا يجوز ذلك إلا للنظر للمسلمين؛ إما أن يكون بهم ضعف عن قتالهم، وإما أن يطمع في إسلامهم بهدنتهم، أو في أدائهم الجزية، والتزامهم أحكام الملة أو غير ذلك من المصالح).

ثانياً: شروط الهدنة: واشترط فقهاء المسلمين لجواز الهدنة أربعة شروط، وهي:

١- أن يكون العاقد لها الإمام أو نائبه.

جاء في كتاب (إماطة اللثام عن بعض أحكام ذروة سنام الإسلام) (١٨٣ . ١٨٤): (ويقوم مقام الإمام أو رئيس الدولة المسلمة عند غياب الدولة المسلمة أو عند غياب السلطان أو ما أسماه الجويني " شغور الزمان من السلطان "، أقول يقوم مقامه عالم من علماء المسلمين أو أمراء الطوائف التي تقوم لإقامة الدين، فيكون لهم أو لأهل الحل والعقد عند هذه الطوائف عقد عقود الصلح والأمان إن أمكن ذلك وكان فيه مصلحة..

قال الجويني: لو خلا الزمان من السلطان فحق على قطان كل بلدة وسكان كل قرية أن يقدموا من ذوي الأحلام والنهى وذوي العقول والحجى من يلتزمون إشارته وأوامره وينتهون عن مناهيه وزواجره فإنهم لو لم يفعلوا ذلك ترددوا عند إلمام المهمات وتبلدوا عند إظلال الواقعات). أ. هـ.

٢- أن تكون لمصلحة.

وقال ابن رشد رحمه الله (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) (١/ ٢٨٣): (فأما هل تجوز المهادنة؟ فإن قوماً أجازوها ابتداء إذا رأى ذلك الإمام مصلحة للمسلمين، وقوم لم يجيزوها إلا لمكان الضرورة الداعية لأهل الإسلام...).

وقال الشيرازي الشافعي المهذب (٢/ ٢٥٩): (فإن لم يكن في الهدنة مصلحة، لم يجز عقدها لقوله عز وجل: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ وإن كان فيها مصلحة، بأن يرجو إسلامهم، أو بذل الجزية، أو معاونتهم على قتال غيرهم، جاز أن يهادن...).

٣- أن يخلو عقدها عن شرط فاسد.

قال ابن قدامة رحمه الله (المغني ١٣/فصل الشروط في عقد الهدنة): (شرط فاسد، مثل أن يشترط رد النساء، أو مهورهن، أو رد سلاحهم، أو إعطاءهم شيئا من سلاحنا، أو من آلات الحرب، أو يشترط لهم مالاً في موضع لا يجوز بذله، أو يشترط نقضها متى شاؤوا، أو أن لكل طائفة منهم نقضاً، أو يشترط رد الصبيان، أو رد الرجال، مع عدم الحاجة إليه.

فهذه كلها شروط فاسدة، لا يجوز الوفاء بها. وهل يفسد العقد بها؟ على وجهين، بناء على الشروط الفاسدة في البيع، إلا فيما إذا شرط أن لكل واحد منهم نقضها متى شاء، فينبغي أن لا تصح وجهاً واحداً، لأن طائفة الكفار يبنون على هذا الشرط، فلا يحصل الأمن منهم، ولا أمنهم منا، فيفوت معنى الهدنة).

من الشروط الفاسدة بقاء أسير واحد لدى العدو يقول الخطيب الشربيني الشافعي (مغني المحتاج: ٤/ ٢٦١) معدداً الشروط التي ينبغي أن يخلو عنها عقد الهدنة بين المسلمين والكافرين: (وكذا شرط فاسد) أي يشترط خلو عقد الهدنة من كل شرط فاسد (على الصحيح) المنصوص (بأن شرط منع فك أسرانا) منهم (أو ترك مالنا) الذي استولوا عليه.. أو نحو ذلك من الشروط الفاسدة.

والأصل في منع ما ذُكِر قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾، وفي اشتراط ذلك إهانة ينبو الإسلام عنها. أ. هـ.

٤- أن تكون مدتها معينة يعينها الإمام باجتهاده.

قال ابن قدامة رحمه الله (المغني ١٣/ فصل: ولا يجوز عقد الهدنة إلا على مدة مقدرة معلومة؛ لما ذكرناه.

قال القاضي: وظاهر كلام أحمد، أنها لا تجوز أكثر من عشر سنين. وهو اختيار أبي بكر، ومذهب الشافعي؛ لأن قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ عام خص

منه مدة العشر (لمصالحة النبي ﷺ قريشا يوم الحديبية عشرا)، ففيما زاد يبقى على مقتضى العموم.

فعلى هذا، إن زاد المدة على عشر، بطل في الزيادة.

وهل تبطل في العشر؟ على وجهين، بناء على تفريق الصفقة، وقال أبو الخطاب: ظاهر كلام أحمد، أنه يجوز على أكثر من عشر، على ما يراه الإمام من المصلحة، وبهذا قال أبو حنيفة؛ لأنه عقد يجوز في العشر، فجازت الزيادة عليها، كعقد الإجارة، والعام مخصوص في العشر لمعنى موجود فيما زاد عليها، وهو أن المصلحة قد تكون في الصلح أكثر منها في الحرب).

الجهاد الجزائري بعد أكثر من عشر سنوات من انطلاقه..

المحاوِر:

يعتري مسيرة الحركة الجهادية في الجزائر اليوم الكثير من التشويه عبر وسائل الإعلام.. فما حقيقة ما يجري هناك؟ وكيف تقيمون مسيرة ذلك التيار الجهادي بعد عشر سنوات من العمل؟

الشيخ:

لم تواجه قضية من التشويه مثل ما واجهته قضية الجزائر، حتى إن كثيراً من الأخيار إذا سمع كلمة الجزائر ردد ما يردده الإعلام الجائر، وذلك أن مشايخ الحكومات شاركوا في هذا التزوير، وأن المسلمين وأبناء الإسلام لم يكلفوا أنفسهم عناء السفر أو السؤال أو الاتصال بالمجاهدين الأخيار في الجزائر فضلوا في هذه المسألة وأضلوا كثيراً.

تقول الجماعة السلفية للدعوة والقتال في رسالتها إلى الشيخ أبي بصير: (لا نظنه يخفى عليكم شيخنا الفاضل أنباء الجهاد عندنا ضد الحكام المرتدين الذين لا زلنا نقاتلهم منذ عشر سنين، ولكن ربما لقلة الأنباء التي تصلكم وفقدان الاتصال معكم وكثرة التزييف الذي يلتبس بالوقائع عندنا، كلها أسباب قد تعطي صورة غير مطابقة لجهادنا عند الدعاة والعلماء.

ويعلم الله كم حرقة المجاهدين عندنا لنصرة الدعاة والعلماء الربانيين وتوجيهاتهم ونصحهم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((الدين النصيحة))، بل إننا لا نبالغ إن قلنا أن قلة التوجيهات والنصائح من العلماء كانت أكبر سبب للزيغ والانحراف الذي وقع فيه الجهاد عندنا أيام الجماعة الإسلامية المسلحة، فإن البداية كانت عام ١٤١٢ هـ وكانت على منهج صحيح وفق الكتاب والسنة والمنهج السلفي، وكان هناك طلبة علم كثيرون منهم من قتل رحمهم الله ومنهم من أسر، وبذهابهم بدأت بوادر الغلو والزيغ تظهر وكان ذلك جلياً عام ١٤١٧ هـ عند مقتل أخينا أبي عبد الرحمن جمال زيتوني -رحمه الله- الذي كان أميراً للجماعة آنذاك، وبعده تولى الإمارة عنتر زوابري وبطانة السوء معه وأظهروا معهم منهج الخوارج الضلّال، ولا تسأل بعدها عن الفتاوى الضالة التي تكفر الشعب الجزائري وتجيز قتل النساء والولدان والسبي، وباختصار: تحويل مجرى الحرب من قتال الحكام المرتدين إلى جبهة جديدة هي عموم الشعب الجزائري الذي كان أغلبه يناصر المجاهدين.

ولقد كان هذا بحق قاصمة كادت أن تعصف بالجهاد، لولا حفظ الله بأن سخر رجالًا من المجاهدين المخلصين وقفوا لهذا الزيغ وأعلنوا براءتهم منه وأعلنوا عدم مبايعتهم للإمارة الضالة، وتكاثفت جهودهم فبارك الله فيها..

فكان المولود الجديد الجماعة السلفية للدعوة والقتال، و قد انضمت تحته أغلب كتائب الجهاد عبر المناطق كلها بأرض الجزائر والحمد لله، فبايعوا أخانا أبو مصعب رحمه الله وبعد مقتله تولى الإمارة بعده أخونا أبو حمزة حسان حطاب حفظه الله وهو أمير الجماعة حاليًا).

إذاً شرارة الجهاد في الجزائر بدأت من عام ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م بعد الإنقلاب العسكري الذي قام به كبار الضباط في الجيش الجزائري ضد رئاسة الشاذلي بن جديد، وذلك أنه بعد فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ في تلك الانتخابات زج هؤلاء الضباط بالآلاف في السجون والمعتقلات وصالوا على المسلمين هناك، فرأى أبناء الجزائر المجاهدين أن يدفعوا هذا الصائل وإلا سيسحقون تماماً، فأنشئت الجماعة الإسلامية المسلحة، وكانت في بدايتها من عام ١٤١٢ هـ إلى وفاة جمال زيتوني -رحمه الله- على منهج أهل السنة والجماعة، ومن خلال نشاط الجماعة الإسلامية المسلحة قبل انحرافها كاد الحكم في الجزائر أن يكون لهم خصوصاً عام (١٩٩٤ م - ١٩٩٥ م)، حتى أن الدول الكبرى مثل فرنسا وغيرها بدأت تفكر بجدية فيما لو أخذوا الحكم!!.

ثم بفعل المؤامرات والاختراقات انحرفت الجماعة على يد الزوابري إلى أن خرجت الجماعة المباركة الطيبة نحسبهم كذلك (الجماعة السلفية للدعوة والقتال)، وهم في حال طيب بفضل الله عز وجل يجاهدون أعداء الله المرتدين، وهم على المنهج القويم والصراط المستقيم، واستفادوا من التجربة السابقة، فطوروا قدراتهم الأمنية والعسكرية والتنظيمية، وهم بحاجة إلى نشر قضيتهم إعلامياً ودعمهم مالياً ومعنوياً.

وقد أنشئت الجماعة السلفية في عام ١٩٩٨ م على يد أبي مصعب عبد المجيد، ثم بعد رحيله رحمه الله انتقلت إمارة الجماعة إلى أبي حمزة حسن حطاب نصره الله..

يقول أبو عبيدة القرشي وفقه الله في مقاله (الجزائر وبصيص الأمل): (لكن العديد من العوائق حالت دون تطوير الأداء الجهادي ومن بينها:

١- خبث النظام الجزائري: من المعروف أن النظام الجزائري استفاد من دروس الثورة ضد فرنسا، إضافة إلى أنه واجه ثورة إسلامية خلال عقد الثمانينات (ثورة بو يعلي رحمه الله)، وهي عوامل لعبت لصالحها لأنها أعطتها الخبرة اللازمة لمحاولات إجهاض الجهاد في الجزائر في مراحله الأولى.

كما أن هذا النظام ارتبط طيلة عقود بكل المنظمات الثورية في العالم التي تعامل معها على أساس نصرة القضية الفلسطينية، فحصل تراكماً معلوماتياً معتبراً حول هذه المنظمات وأساليب عملها على المستوى الدولي.

من جهة أخرى تعدت دموية القادة العسكريين كل الحدود الوحشية، فقد خططوا أساساً لاستهداف المدنيين العزل كوسيلة للضغط على المجاهدين، وفاتت حصيلة الممارسات الهمجية للأجهزة القمعية كل التوقعات.

فتعطش قادة العسكر للدماء ليس شيئاً طارئاً وإنما خطة ممنهجة، وضع لمساتها الأولى اللواء إسماعيل العماري مدير الاستخبارات (DRS مديرية البحث والأمن) خلال اجتماع مع مسؤولي الجيش الجزائري في بداية الصراع عندما أعلن أنه مستعد بالتضحية بثلاثة ملايين جزائري من أجل استتباب الأمن، وهي دعوة صريحة للبطش والتنكيل والقتل الجماعي.

٢- دور الاستخبارات العسكرية: لعبت الاستخبارات الجزائرية أدواراً مشبوهة لصالح السوفييت بهدف اختراق صفوف المجاهدين العرب عبر إرسال بعض المتطوعين (هم في الحقيقة ضباط استخبارات) إلى أفغانستان، وقد شكل هؤلاء الجواسيس لدى عودتهم النواة الأولى لاختراق المجاهدين في الجزائر، إضافة إلى بعض أتباع حركة بويعلي ممن تم استقطابهم داخل السجون، وقد تمكنت الاستخبارات عبر ذلك من تحقيق التأثير في سير الجماعات الإسلامية ثم تحريفها عن مسارها واستغلالها لتدمير المشروع الإسلامي من الداخل.

٣- دور الأنظمة العربية: لعبت الأنظمة العربية دوراً مكثفاً لمساعدة الانقلابيين في الجزائر، فالنظام السعودي كان أول من هب لمساندة طواغيت الجزائر بمدهم الأموال الطائلة (٣ مليار دولار في أول دفعة)، بل لقد وجه الملك فهد للقيادة الجزائرية الجديدة (أثناء لقاء مع اللواء خالد نزار) في كيفية التعامل مع المسلمين في الجزائر لخصها في ثلاث كلمات: "العصا.. العصا.. العصا".

من جهة أخرى تكلف النظام السعودي بإشعال الحرب النفسية ضد المجاهدين عبر اللجوء إلى العملاء الذين قادوا حملة تشويه شعواء ضد كل الصادقين من أبناء الحركة الإسلامية في الجزائر، وذلك لمنع الأمة من التعاطف مع مأساتهم، ونجحوا في ذلك إلى حد كبير.

بموازاة ذلك قامت الآلية الدعائية بنشر الأكاذيب والأراجيف ضد المجاهدين في صحفها العالمية، بينما حاولت تجميل الصورة القبيحة لحكام الجزائر، وقد دفعت الاستخبارات الجزائرية مقابلاً ضخماً للساهرين على تقديم تلك الخدمات، كما حصل مع الصحفي أمير طاهري.

على صعيد آخر، بعث النظام السوري والتونسي كبار جلاديه للجزائر لتعليم نظرائهم هناك كيفية الاستنطاق والتعذيب والبطش بالمسجونين، وإفادتهم بالتجربة السورية والتونسية في القضاء على الحركات الإسلامية.

٤- دور الدول الغربية: لعبت الدول الغربية وفي مقدمتها فرنسا وأمريكا دوراً ضخماً في ضخ الأموال والأسلحة والعتاد والمعلومات لصالح عسكر الجزائر.

بل يمكن القول أن بعض الأجهزة الاستخبارية الفرنسية حملت لواء الحرب النفسية والإعلامية ضد المجاهدين، وذلك عبر اتهامهم المكرر -عبر الصحافة المتواطئة- بشتى النعوت والأوصاف القبيحة والذميمة، وكذلك تحميلهم مسؤولية ما يقترف العسكر الجزائري من جرائم، إضافة إلى التضييق في الخارج على كل من يتحرك ضد مصالح حكام الجزائر.

والحصيلة: بلغت حصيلة الحرب الشعواء التي قادها النظام الجزائري ضد الحركة الإسلامية قواعدها والمتعاطفين معها الأرقام التالية:

١. مئات الآلاف من القتلى (٢٠٠٠٠٠ حسب منظمات حقوق الإنسان، ١٠٠٠٠٠ حسب تصريح الرئيس بوتفليقة).

٢. عشرات الآلاف من المختطفين (١٥٠٠٠ حسب حركة الضباط الجزائريين، ٧٠٠٠ حسب منظمة هيومان رايتس ووتش لحقوق الإنسان)، وكل أصابع الاتهام تشير إلى المسؤولية الكاملة للسلطات في هذه الممارسة البالغة الشناعة، والتي تحرم العائلات من معرفة مصير ذويهم.

٣. عشرات الآلاف (٦٠٠٠٠ تقريباً) من المسجونين ظلماً وعدواناً.

٤. ٢٠ مليون دولار من الخسائر الاقتصادية نزل على إثرها الدخل القومي للفرد من ٢٥٠٠ دولار عام ١٩٩٠ إلى ١٣٧٦ عام ١٩٩٧ ثم ١٥٠٠ دولار عام ٢٠٠١ (أي انخفض بحوالي ٦٠ % من المستوى عام ١٩٩٠).

٥. على الصعيد الاجتماعي ارتفع عدد العاطلين عن العمل من ١٣٠٠٠٠٠ شخص عام ١٩٩٢ إلى ٤٢٠٠٠٠٠ شخص عام ٢٠٠١، كما تفاقم الفقر خلال العقد الماضي، فقد ارتفع عدد الفقراء الذين يعيشون تحت الحد الأدنى من ١٥٠٠٠٠ شخص عام ١٩٩٠ إلى ١٥٠٠٠٠٠ شخص عام ٢٠٠١، مما أدى إلى ظهور الكثير من الأمراض الاجتماعية التي لم يعرفها المجتمع الجزائري من قبل.

الوضع الحالي: حقيقة لو وقعت مثل هذه الوقائع في بلد آخر لكان الجهاد انتهى منذ زمن بعيد، لكن الله قيض لأمر هذا الدين رجالاً استثنائيين رفعوا لواء الجهاد في سبيله، ولم يأبهوا لمن خالفهم ولا من خذلهم. وهؤلاء الرجال الذين قامت على أكتافهم الجماعة السلفية للدعوة والقتال.

إن بقاء هذه الحركة في ساحة الجهاد بالجزائر هو في حد ذاته كرامة من الرحمن، بالنظر إلى حجم المكر الضخم الذي طال أهل الجزائر من طرف الجيش، فإضافة إلى الكيد الاستخباراتي الهائل الذي أدى إلى استسلام غالبية من حملة السلاح لمواجهة الطغيان، فقد تم استخدام كل أنواع الأسلحة الكيماوية المحرمة دولياً وكذلك كل أنواع الأسلحة التقليدية

والطيران في دك معاقل هؤلاء الأبطال، إلا أن ذلك لم يزدهم إلا ثباتاً ويقيناً في النصر. ويرجع الفضل لهم بعد الله في بقاء جذوة الجهاد مشتعلة).

إلى أن قال: (مميزات الجماعة السلفية للدعوة والقتال:

١- القيادة الراشدة: بالنظر إلى التطور الذي عرفته الجماعة السلفية للدعوة والقتال يمكن القول بأن الجماعة تتوفر على قيادة راشدة بكل المقاييس، عبرت الجماعة على يد قادتها أمواج الفتن العاتية إلى بر الأمان، وزاد عدد المنتسبين إليها -حسب المصادر الغربية الدائمة- إلى ٤٠٠٠ مجاهد كما تضاعفت الشبكة المساندة على طول التراب الجزائري وعرضه.

وقد عرف قيادة الجماعة السفلية الالتزام الدقيق بالتعاليم الشرعية في الجهاد، وشهد لهم بذلك العدو قبل الصديق، لذلك فقد تعاطف الأهالي مع الجماعة بشكل كبير وساندوها كلما سنحت الفرصة لذلك.

٢ ـ الاستراتيجية المحنكة: لقد لجأت الجماعة إلى أسلوب حرب العصابات، وتمركزت في المناطق الجبلية الوعرة التي لم يستطع قط الجيش الفرنسي دخولها خلال حرب التحرير.

ولكن لاستهداف الجماعة للدوريات والقوافل العسكرية بالغ الأثر في معنويات الجيش، وذلك أن الضربات المركزة والمؤلمة والمفاجئة تقض مضجعه، خاصة وأنه لا يستطيع تعقب المجاهدين بعد ذلك، لوعورة المسالك وعلم المجاهدين مسبقاً بقدومه بفضل شبكة استخباراتية متطورة.

وضمن الضربات المؤلمة التي سددها المجاهدون مؤخراً للجيش السفاح: الهجوم الكبير الذي استهدف منذ شهرين قوافل عسكرية قرب مدينة باتنة (٤٥٠ كم جنوب شرق العاصمة) وأدى إلى قتل حوالي ٥٠ جندي وضابط في الحصيلة الرسمية للجيش (الحصيلة الحقيقية أكبر من ذلك بكثير).

كما أن تمركز الجماعة السلفية في منطقة القبائل كان خياراً ممتازاً لأنها منطقة تعرف منذ القدم برفضها للظلم والطغيان، كما أنه حطم آمال عملاء الاستعمار في دك إسفين بين البربر سكان منطقة القبائل والمشروع الإسلامي، لأن سكان القبائل آووا ونصروا المجاهدين، وخيبوا ظن من كان يريد الاصطياد في ماء الشعوبية العكر.

٣- الثبات على المبدأ: منذ بدايتها والجماعة السلفية تتميز بسلامة العقيدة ووضوح المنهج، وقد ساعدتها هذه المميزات على تخطي العديد من العقبات، وأشدها على الإطلاق الخداع الكبير الذي سمي بالوفاق المدني وهو اتفاق شفهي يقضي باستسلام المقاتلين والتوبة مقابل عفو الدولة وبعض الوعود المادية التافهة، إضافة إلى وعود أخرى تقضي بإرجاع الأوضاع إلى سابق عهدها الإفراج عن المعتقلين إلخ.

وقد لعب علماء السلطة ووعاظ الشرطة دوراً رئيسياً في التغرير بالكثير من المقاتلين ممن يفتقرون لوضوح الرؤية، وساغوا لهم تلك الخطوة بأنها ستوقف المجازر (التي يقوم بها الجيش) ونزيف الشعب الجزائري، فاستسلم لذلك قرابة ٣٠٠٠ من التابعين للجيش الإسلامي للإنقاذ (لعب كذلك الاختراق الاستخباراتي دوراً كبيراً في هذا الاتجاه، إذ أن مدني مزراق أحد المسؤولين الكبار لهذا الفصيل عليه أكثر من علامة استفهام).

لم يفطن هؤلاء أن هذا الأمر دُبر بليل، ولم يكن يعني سوى منح غطاء قضائي للعفو عن ضباط الاستخبارات الذين أقاموا المذابح للشعب الأعزل.

وقد ظهر الخداع بعدما نكث العسكر وعودهم، فلا المساجين أطلقوا، ولا المجازر توقفت، ولا الحريات أعيدت.. وعلى نفسها جنت براقش.

في المقابل رفضت الجماعة السلفية هذا الاتفاق الأخرق جملة وتفصيلاً، وكان التزام الجماعة بالمبادئ الشرعية العقدية بمثابة الصخرة التي تحطمت عليها أماني قادة الاستخبارات.

لم تأبه الجماعة أنها تركت لوحدها تواجه الجيش السفاح، ولا ثناها عن عزمها الوعود الكثيرة التي عرضت عليها، سواء من قبل القيادات العسكرية أو من قبل الرئيس بوتفليقة نفسه، بل استمرت الجماعة لا يضرها من خالفها ولا من خذلها في سعيها الدؤوب نحو إقامة الدولة الإسلامية.

عوائق أمام الجماعة السلفية للدعوة والقتال:

١- التدخل السافر للدول الغربية:

لقد واجهت الجماعة السلفية للدعوة والجهاد منذ إنشائها العديد من التحديات على مستوى الجزائر، ولم يكن للجماعة -حسب القرائن المتوفرة- أية طموحات لتمديد أنشطتها خارج الجزائر.

لكن فرنسا التي تعتبر الجزائر حديقتها الخلفية، سعت منذ الأيام الأولى لنشأة الجماعة إلى تعقب المتعاطفين معها في الخارج.

وقد زجت فرنسا بالعديد من هؤلاء (مباشرة أو عبر حلفاءها) في السجون، وألصقت بهم تهماً خيالية، كما حدث حين أقيم كأس العالم في فرنسا.

ثم بعد غزوة ١١ سبتمبر دخلت أمريكا على الخط، وبدأت تحلم بالقضاء على كل المجاهدين شرقاً وغرباً، بما في ذلك من ليس له علاقة البتة بتنظيم القاعدة.

منذ ذلك الحين وأمريكا تتعاون مع النظام السفاح في الجزائر ضد المجاهدين من الجماعة السلفية للدعوة والقتال، فأنشأت مركزاً مخصصاً لهذا الغرض في العاصمة الجزائرية، وأمدت بالأجهزة القمعية بشتى أنواع التسليح والتدريب.

٢- الأوضاع الأمنية المعقدة:

لقد حالت العديد من الأسباب بينها وبين التطور أداء الجماعة في الميدان الإعلامي بشكل خاص الذي لا غنى عنه في تعريف الأمة بقضيتهم، فرغم أن الجماعة تتوفر على موقع في شبكة الإنترنت، إلا أن الأوضاع الأمنية البالغة التعقيد تحرمها من تطويره بشكل دائم، فمثلاً نشرت بعض الصحف الجزائرية كيف أن الأجهزة القمعية استطاعت إلقاء القبض على مجاهدين كانا يسعيان لتطوير موقع الجماعة على الشبكة، ويختلسان الخطوط الهاتفية لبعث بيانات الجماعة إلى الخارج.. وهو نموذج يعطي فكرة حول العوائق التي تواجه المجاهدين في هذا الباب). أ. هـ.

بعد هذا العرض لما عليه إخواننا في الجزائر نتمنى من شباب الإسلام التثبت في أخبارهم خصوصاً عن إخوانهم، وأن يجعلوا قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾، فكيف إذا جاء بالخبر عدو الله ورسوله أبو تفليقة الكافر المرتد، فلا بد من مراجعة حساباتنا تجاه قضية إخواننا في الجزائر ﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾.

وأيضاً أوصي الشباب أصحاب الخبرات العالية في مجال تصميم المواقع إنشاء مواقع عدة لدعم قضايا الجهاد والمجاهدين، والتواصل مع إخواننا هناك عبر البريد الإلكتروني لنقل أخبارهم، فهذا واجب شرعي ملقىً على عواتقهم.

كما أوصي أصحاب المال بدعم الطلائع المجاهدة في كل مكان ﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾.

المسلسل الاستسلامي الذي تقوده "القيادات التاريخية" للجماعة الإسلامية في مصر، ونصيحة لكوادر الجماعة..

المحاوِر:

شهدت الساحة المصرية في الآونة الأخيرة مسلسل استسلامي تقوده ما يسمى بالقيادات التاريخية للجماعة الإسلامية في السجون المصرية، حتى وصل الأمر بهذه القيادات إلى تجريم المجاهدين وتخطئتهم، بل وصل بهم الأمر إلى تخطئة الإسلامبولي نفسه، ثم ازدادوا في غيهم ووصفوا السادات بأنه مات شهيدا! فما هي نصيحتكم لكوادر هذه الجماعة من الشباب؟

الشيخ:

بعد مرورنا على العراق ثم السفر إلى فلسطين وبعدها حلقنا إلى الجزائر، ها نحن نعود إلى مصر إلى أرض الكنانة التي خرّجت وما زالت تخرج العظماء تلو العظماء والأبطال تلو الأبطال، والكل يتابع بأسف بالغ ما يصدره هؤلاء (القادة التاريخيين)!!! من بيانات مخزية تنكروا فيها لماضيهم وجرموا فيه شهدائهم، فأصبحوا خنجراً يُطعن به إخوانهم، وكما قدمنا فيما مضى بأن الحي لا تؤمن عليه فتنة، وبأنه لا يجوز التقديم بين يدي الله ورسوله..

نعم هؤلاء القادة طال سجنهم وذاقوا ألوان العذاب ومروا بمعاناة صعبة، لكن كل هذا لا يجعلهم يتقدموا بين يدي الله ورسوله ﷺ، وما نراه هذه الأيام هو من مؤامرات طواغيت مصر الذين ما فتئوا يئدون كل مشروع في صالح الإسلام والمسلمين، فهم لم يكتفوا بمصر بل لا زلنا نراهم يتنقلون من بلد إلى بلد، وما مؤامراتهم لفلسطين عنا ببعيد.

وكان من آخر صيحات هؤلاء القادة التاريخيين!!! ما جاء في جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٥/ ٢٠٠٣/٧ م: (جدد زهدي في حواره إدانته لعملية اغتيال الرئيس المصري الراحل أنور السادات والتي وقعت عام ١٩٨١ بأيدي عناصر الجماعة بقيادة الملازم أول

خالد الإسلامبولي، وقال إنه يبدي أسفه الشديد لهذه العملية، وأنه لو عاد الزمان بالجماعة وبه لما أجازها ولعمل على منعها.

وقال إنه يعتبر السادات شهيد قتال الفتنة، وكذلك كل من سقط من أعضاء الجماعة أو أفراد الشرطة في المواجهات بينها وبين أجهزة الأمن.

كما أفتى في حواره مع الشرق الأوسط بأن الجيش والشرطة والأجهزة المدنية في الدولة ليست في حكم الطائفة الممتنعة التي كانت توجب الجماعة قتالها، بل ذهب في حواره إلى أبعد من ذلك، وقال إن التحديات العالمية التي يواجهها الحاكم حالياً قد تجعله معذوراً في عدم تطبيقه لبعض أحكام الشريعة).

وفي هذا الكلام من التقديم بين يدي الله ورسوله وإلباس الشرعية على الطواغيت ووصف الكافرين بأنهم شهداء ووصف المؤمنين بأنهم أهل فتنة، أين عقول هؤلاء القادة؟! أين هم من إصدارات جماعتهم (حتمية المواجهة، القول القاطع فيمن أمتنع عن الشرائع)..؟!

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، ويقول تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، ويقول عز وجل: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾.

وقد أجاد الشيخ الفاضل عبد المنعم مصطفى حليمة "أبو بصير" في كتابه (مبادرة الجماعة الإسلامية اعتراف بالخطأ أم انهيار وسقوط)، ونحن نعلم أن كثيراً من أفراد الجماعة الإسلامية بل وبعض القادة منهم غير موافقين ولا راضين عن هذه المبادرة وما تلاها من تنازلات واستسلامات، ولكن الإعلام المصري الكافر غيّب أصوات هؤلاء مع تغييب أجسادهم في السجون المصرية، واستغل هؤلاء المنتكسين لوأد وقتل المسيرة الجهادية في مصر.

والغريب أن هؤلاء القادة التاريخيين -كما يحلو للإعلام أن يسميهم- أصبحوا لا يتورعون عن وصف إخوانهم بالأمس بالبلطجية وما شابهها من العبارات السافلة، وتنكروا لإخوانهم،

ومع ذلك يدافعون وينافحون عن الطواغيت الذين ساموهم سوء العذاب خلال هذه الفترة من الزمن منذ قتل أنور السادات.

جاء في بيان أنصار الشريعة بتاريخ ١٦ يوليو ٢٠٠٣ م: (عجباً لمنطقكم الأحمق يا قادة الجماعة؛ هل تظنون أن حكومة مصر حكومة دراويش، تستعطفونها وتصيحون بفوق ما تتمناه منكم فتخرجكم بهذه البساطة؛ بل هي حكومة أمنية لا ترحم ولا تثق إلا بمن كفر كفرها وارتبط مصيره بمصيرها، وأكثرهم يعلمون أنهم كفار مرتدون في حكم الشرع، ولهم في مباحث أمن الدولة علماء ودراسات ومستشارون يلقنونهم الحجج التي عليهم ومن الذي ينافقهم، وأنتم أيها السذج تركتم الأدلة الناصعة وظننتم أن تمثيلكم وتقمصكم ثوب الاقتناع والإقناع سيشفع لكم عند "دراويش" أمن الدولة!!

ألا فاعلموا يا بلهاء القرن ٢١ أنه من يخرجكم من السجن بعدما قتلتم عن عقيدة واقتناع ثم رأى تبدلكم المريب دون مقدمات هو أحمق منتحر أمنياً؛ لا يعذره في حمقه هذا إلا من هو أحمق منه، ولا يحتاج المرء لشديد الذكاء كي يستخلص هذه البديهة الأمنية السافرة؛ ثم لماذا المغامرة منه وأنتم في تبذل دائم "بلا حدود" وتجددون ولاءكم له ليل نهار؛ فهو ينتفع بكم أكثر وأنتم وراء القضبان؛ كي يثمن الناس أقوالكم ومدحكم له وإضفاءكم الشرعية عليه؛ أرأيتم كيف مكر الله بكم لتكبركم وتوليكم الشياطين من دون المؤمنين..!

أما أنتم فتتكلمون ولا يسمح لغيركم ولو بكلمة من عشرات الآلاف المساجين المجاهدين المخالفين لكم، وتطبل لكم الصحف وتأتي بنفسها إلى "مركز تضليل المؤمنين" الذي تتزعمونه وتديرونه؛ لتجتمع بكم، ورجال الأمن يدخلون عليكم من كل باب بالمشروبات والمرطبات، بل ويقدمون لكم الباصات تدورون بها على السجون والمساجين دأباً؛ تسفهون صبرهم واحتسابهم، وتراودون ذممهم، بجزر وعصي فرعون، لا عصا موسى، وإخوانكم هؤلاء، كما تعلمون، لا يسمح لهم رجال الأمن ولو بكلمة في الإعلام، ولا زيارة مريحة ولا مريحة من أهليهم، وهم ألوف، بينما تطبع كتبكم وأنتم القلة المفتونة في الجماعة الإسلامية، على

نفقة من؟! وزارة الداخلية طبعاً! .. ثم تفرض على المساجين، وتعرض في معرض القاهرة الدولي للكتاب! وتزين بها القنوات الفضائية وصحف الطواغيت المحلية والعالمية و... يالها من سوءة كريهة المنظر والرائحة!

والإعلام المصري الرسمي يهاجم بالباطل المستميت كل معترض على سلوكياتكم، حتى المعارضة المدجنة الملمعة، التي لا يُفتقد زعيمها في رحلات وطائرة رئيس الجمهورية الخاصة! أعني جريدة الأسبوع، تكذب وتدعي أني كفرتكم! وتخرف بهذيان أمن الدولة؛ فأي حملة هذه التي جمعت علينا شياطين الإنس والجن بسببكم؟ لم نكن نعلم أن قيادتكم "المسخَّرة" (ولها قراءات أخرى) تحظى بتلكم المنزلة!

والسؤال هنا الآن بعد هذه المقارنة البسيطة: من هو الذي يتكلم ويتحرك ويتمول ويتبجح "بحرية يحسد عليها"، أمن أخذت أمواله، وسحبت جنسيته، وأغلق مسجده بقوة السلاح، وعزل منصبه، ومنع عنه العمل والإعانة، ولا يسمح له بأي موقع على الإنترنت، بسبب "آرائه"، ويشن عليه الإعلام حملات لا تنتهي وفي محاكمات وتشريعات ما لها من مثيل سابق في البلاد، هكذا يقولونها علناً وحتى في المحاكم، أهذا الذي يبذل من فضل الله عليه أم الذي هو مفلس يتبذل للدولة باستحواذه على الشباب ومقايضتها بهم؟ يؤسفنا أن نُضطر لذكر ذلك.

فلا تجعلوا الأمن يختار لكم ألفاظاً حاقدة من عنده، لا تزيدكم إلا افتضاحاً وسفاهة عند الناس..

فنحن نعلم أننا نتراشق مع الأمن المصري وليس معكم في حرب البيانات هذه، ولكن لا بد من أن نسمع من المساجين الآخرين، من جماعتكم وجماعة الجهاد وغيرهم، أين الشيخ عبود الزمر وإخوانه، وأين الشيخ رفاعي طه، وأين المهندس الفقيه أبو عبد الرحمن الإلكتروني، هؤلاء خُطفوا وعانوا، وها أنتم تهيلون التراب على بطولاتهم، بثمن بخس؛ خدمات زائلة

ومعدودة، ستسلب منكم بعدما يلفظكم النظام لفظ النواة العارية من كل لحم ووجه، كما هي سنة الله في أمثالكم، ونسأل الله العافية.

قادة "تاريخيون".. بأمر الدولة.. وإلى مزابل التاريخ مع الدولة!

ويُصر الإعلام الأمني على تسميتكم بالقادة "التاريخيين" ليرهبوا بكم عدو الشيطان وعدوهم، وأنتم وبلا حياء تستمرؤون ثوب الزور هذا؛ المهم عندكم هي الرئاسة، حقاً كان ما أنتم عليه أم باطلاً؛ ولم لا فمطابع "المراجعات" والتراجعات جاهزة، تحت الإشارة، ولقب "تاريخي باشا" قد أصبح لكم حكراً، ألا تباً لهذا التاريخ المخزي نهايته ولمن تزقم به وتشدق!

مرة أخرى نعيدها عليكم أيها القيادة "التاريخية" المنكفئة في سطل التاريخ ومراحيض الذاكرة: لقد نقضتم تاريخكم واعتبرتموه معرة! بما فيه عملية السادات الهالك، التي طالما تسولتم بها وجاهتكم عند المؤمنين، وضللتم منفذيها الأبطال الأبرار! ذلكم قولكم بأفواهكم.. فكيف تعيبون على الناس تنكرهم لكم وقد تنكرتم لخيرة معلميكم وشهدائكم وقادتكم كالشيخ عمر عبد الرحمن والمهندس الفقيه عبد السلام فرج والضابط المقاتل الفذ خالد الإسلامبولي وإخوانهم الأطهار؟!

فكيف يجوز لقوم الاحتفاء بلقب "القيادة التاريخية" بعدما تنكروا هم لتاريخهم، واستحرموه واستجرموه، ورموه بالجهل والضلالة، ونهوا عنه ونأو عنه وتابوا منه، وكتبوا ضده بأنفسهم! وكانوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، ثم يأتون بعد ذلك مستعلين به على سبيل الفخر واستجلاب الهيبة!

إن هذا لشيء عجاب؛ وقطعاً لا يجوز لصاحبه الفخر، وإنما قد يجوز عليه الحجر، بل والزجر؛ فرجاءً، ثم رجاءً، اخلعوا عنكم ثوب الزور هذا، ولا تسترهبوا الناس بهذا اللقب وتلك الصفة مرة أخرى؛ فالعقلاء لا يفصمون الألفاظ عن معانيها ومقتضياتها، ولا تستمرؤوا العزة بالإثم). أ. هـ.

نصائح موجهة إلى شباب الجهاد..

المحاوِر:

هل من نصائح توجهونها لشباب الجهاد، سواء لأولئكم الأبطال المرابطون على الثغور، أو لأولئكم المتربصون المتطلعون للانطلاق؟

الشيخ:

حول هذا السؤال أقول سيصدر قريباً بإذن الله كتاباً خاصاً اسمه (وصايا للمجاهدين)، ولكن لا مانع من الإشارة إلى بعض الوصايا في جمل قصيرة:

١. الحرص على التنظيم والتخطيط وإعطاء كل مرحلة من المراحل حقها والبعد عن العشوائية.

٢. عدم توسيع دائرة الصراع فوق طاقة المجاهدين وإمكانياتهم.

٣. الإعداد المناسب لكل عملية.

٤. الاهتمام بالكيف والنوع لا الكم.

٥. ضرب رأس الأفعى قبل الذيل.

٦. التأصيل والتكييف الشرعي لكل أمر أو عمل يُقدم عليه المجاهدون.

٧. عدم الالتفات إلى المخذلين والمعوقين والمثبطين والخوالف.

٨. إيصال صوتهم وكلمتهم عبر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.

٩. مباغتة ومفاجأة العدو وتغيير أساليب وفنون القتال.

١٠. الثبات وذكر الله كثيراً.

١١. السمع والطاعة للأمراء المجاهدين وعدم التنازع والخلاف فيفشلوا وتذهب ريحهم.

وأما بالنسبة لمن يتربص ويتطلع للانطلاق، فأوصيه بما سبق وأضيف:

١. نشر قضية المجاهدين بين الأهل والأصحاب بكل الطرق المتاحة.

٢. دعم إخوانه في الثغور بالمال والدعاء.

٣. الاستفادة من كل دورة فيها نفع للجهاد والمجاهدين وتطوير القدرات الذاتية.

٤. صنع الفلاشات والروابط الصوتية والأفلام الجهادية والقوائم البريدية لمن يجيد ذلك ونشرها عبر الشبكة العنكبوتية.

٥. التفقه في أبواب الجهاد بقراءة بعض الكتب المختصرة أو المطولة كل بحسبه.

٦. إيواء ونصرة إخوانهم المطاردين من قِبَلِ جند الطواغيت.

أقول هذه الوصايا وأنا أعلم أننا جميعاً بحاجة إلى وصايا أهل الثغور لنا، فهم أقرب منا إلى الله وأبعد عن الخلاف.

وكما قال ابن تيمية نقلاً عن الإمامين الجليلين ابن المبارك وأحمد: (إذا اختلفتم فاسألوا أهل الثغور).

وكما قال سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن (٥/ ٢٧٥٢): (الذين جاهدوا في الله ليصلوا إليه، ويتصلوا به.. الذين احتملوا في الطريق إليه ما احتملوا فلم ينكصوا ولم ييأسوا.. الذين صبروا على فتنة النفس وعلى فتنة الناس.. الذين حملوا أعباءهم وساروا في ذلك الريق الطويل الشاق الغريب؛ أولئك لن يتركهم الله وحدهم ولن يضيّعَ إيمانهم، ولن ينسَ جهادهم.. إنه سينظر إليهم من عليائه فيرضاهم، وسينظر إلى جهادهم إليه فيهديهم، وسينظر إلى محاولتهم الوصول فيأخذ بأيديهم، وسينظر إلى صبرهم وإحسانهم فيجازيهم خير الجزاء).

كلمة موجهة إلى زوار "منبر التوحيد والجهاد"..

المحاوِر:

كلمة أخيرة تحبون توجيهها لزوار منبر التوحيد والجهاد؟

الشيخ:

الاستفادة من منبر التوحيد والجهاد لأنه -وأقولها وأنا صادق في ذلك- يُعتبر أعظم وأكبر مكتبة إلكترونية تحمل هذه البحوث القيمة في كل الأبواب، وبالذات الأبواب التي يكرهها الطواغيت وأصحاب الفرق الضالة والمنحرفة، وأقول لهم انشروا الروابط الخاصة به عبر المنتديات الحوارية.

كما أطلب منهم دعم إخوانهم بكل ما يستطيعون بالدعاء والكتب.

أسأل الله أن يحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا ونعوذ بعظمته أن نُغتال من تحتنا.. اللهم يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث، فأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.. اللهم آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.